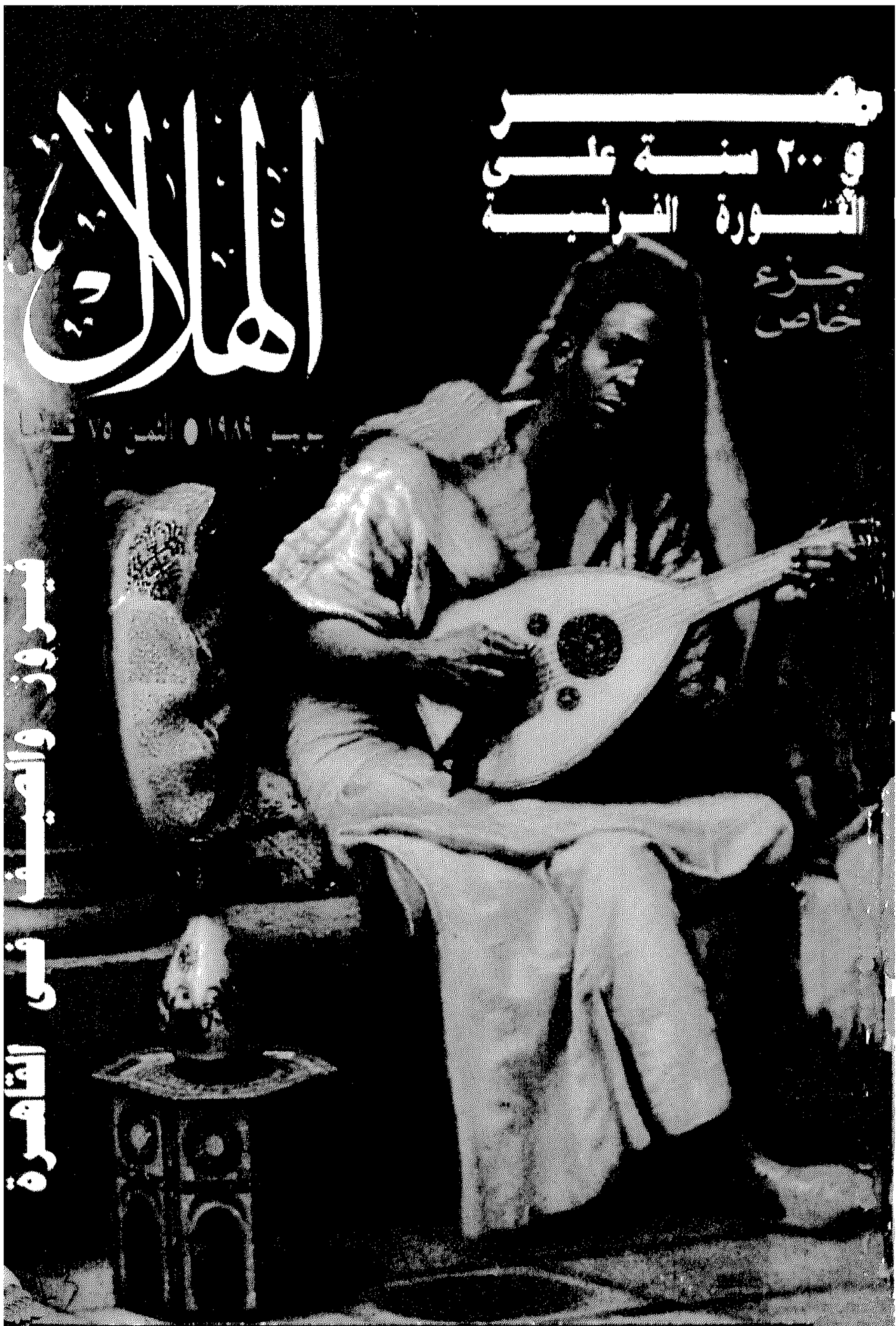

الهلال
مصر
و ٢٠٠ سنة على
الثورة الفرنسية
جزء
خاص
يوليو ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشا


قمم عربية
فيروز
● بريشة الفنان محمد ابوطالب

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • يوليو ١٩٨٩م • ذو القعدة ١٤٠٩ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

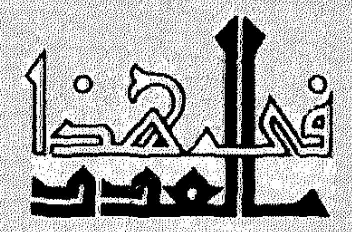
الغناء العربى المتقن كان ومازال توأم الشعر العربى ، وجزءاً أصيلا من مكونات وجدان الأديب العربى خاصة ، والإنسان العربى بوجه عام .. وقد اهتم "الهلال" دائما بنشر الكتابات والبحوث الجديدة عن الغناء العربى لأنها امتداد للكتابات القديمة الرائدة التى بدأها يونس بن سليمان الكاتب فى العصر الأموى ، ثم تلاه شيخ أهل الأدب جميعا ، الخليل بن أحمد فى العصر العباسى ، ثم الأديب الشاعر الموسيقار إسحاق الموصلى صاحب عشرات المؤلفات .. ثم لم ينقطع هذا النهر الجارى إلا قليلا طوال التاريخ العربى ..

وفى الأشهر القلائل الماضية قدم "الهلال" عدة قمم عربية فى الآداب والعلوم ، وهو يقدم فى هذا العدد قمة فى فن الغناء العربى المتقن المعاصر ، هى المطربة اللبنانية فيروز التى تعد أشهر المطربات العربيات وأبرزهن أثراً فى الغناء العربى بعد أم كلثوم ..

وفيروز متفردة فى صوتها وأدائها وفى أعمالها المسرحية الغنائية التى استمرت بلا انقطاع حتى صار لها أكبر رصيد من المسرحيات الغنائية فى مرحلة أوشك فيها المسرح الغنائى العربى أن يتلاشى !

وفى هذا الشهر تقيم فيروز حفلات غنائية فوق هضبة الهرم ، وفى ليالى صيف القاهرة ، وهى مناسبة طيبة يحتفى فيها الأدب والفن بهذه القمة المتميزة من قمم الغناء العربى ، توأم الشعر العربى ، والديوان الثانى ، بعد ديوان الشعر ، لوجدان الأمة العربية !..

اقرأ : فيروز .. النغم الحالم فى صيف القاهرة ص ١١٠



● مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية « جزء خاص » ●

فكر وثقافة



الغــــــلاف
تصميم الفنان :
محمد ابو طالب

البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنون

قصة وشعر

● الأبواب الثابتة ●

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١ .
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ،الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابو ظبى ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .



يوليو ..

شهر يوليو فى مصر هو شهر « القيظ » أو الحر الشديد ، ويوافق الشهر المصرى القديم « بؤونة » الذى مازال المصريون منذ خمسة آلاف سنة يضربون به المثل لشدة الحر ..

ومع أن شهور الربيع تمر فيها أيام من « الخماسين » أشد قيظا من أيام يوليو ، لكن يوليو ذهب بالشهرة العريضة فى هذا المضمار ، حتى زعم أحد الشعراء أن سكان مصر أو القاهرة يموتون من حرارة يوليو نهارا ، ولا يعودون إلى الحياة إلا فى الليل عندما تهب عليهم الأنسام الرطبة من النيل .. قال :

أيها السائلون عنا بمصر
كيف نُضْحِى بها وكيف نبيتُ
نحن فى هذه المدينة .. نحيا
حين نُمْسِى ، وفى النهار نموتُ

ولكن يوليو الذى زعم الشاعر أن الناس يموتون فيه نهارا ، ولايعودون إلى الحياة إلا مع هبوب أنسام الليل .. يوليو الذى زعموه هكذا ، يكاد يكون أحفل شهور السنة فى مصر وفى العالم بالأحداث التاريخية الجسام التى تتطلب أعظم قدر من الحركة والنشاط تحت وهج الشمس طوال ساعات النهار !

فى يوليو الحالى تمر سبع وثلاثون سنة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ والملك فاروق يصطاف فى الاسكندرية ، وظنها بعض الناس سحابة صيف لاتلبث أن تنقشع ، ولكن سحابة الصيف هذه بقيت فى سمائنا تمطر بلا انقطاع ، حتى غيرت وجه مصر والبلاد العربية ، وتركت أعمق الأثر فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم الثالث كله .

لقد واجهت ثورة يوليو انتكاسات وهزائم كثيرة وكبيرة ، وتعاورتها الاختلافات ، وتكاثرت عليها الاختلاقات ، وأصابها الانحراف فى الفهم والتطبيق ، وأحاط بها الأعداء فى ثياب الأصدقاء ، والاصدقاء الذين هم شر عليها من الأعداء ، ولكن هذه الثورة التى انطلقت منذ سبعة وثلاثين عاما فى عز حر « بؤونة » احتفظت بحرارتها الدالة على حياتها ، وصارت

ثورات الحرية فى شهر الحر !

دليل عمل للأمة العربية لايسهل على أحد أن يتجاهله أو يطمس معالمه ..

وفى يوليو الحالى أيضا يحتفل ممثلو العالم كله بمرور مائتى سنة على ثورة ١٤ يوليو الفرنسية الكبرى التى اندلعت فى باريس سنة ١٧٨٩ فقلبت أوربا الاقطاعية المتشبثة ببقايا القرون الوسطى ، إلى أوربا المتحررة التى قادت العالم إلى الحضارة المعاصرة ..

إن ثورة باريس الكبرى سنة ١٧٨٩ قام بها العمال الجياع والمواطنون الفقراء ، وفاز بثمراتها البورجوازيون والمغامرون والفاتكون من جميع الفئات ! .. وعلى انقاض شعارها العظيم : « الحرية والاخاء والمساواة » قامت دولة نابليون بونابرت العسكرية العدوانية الاستعمارية التى كان من بواكير أعمالها غزو مصر سنة ١٧٩٨ ثم انساحت جيوشها فى أوربا كلها حتى انهزم بونابرت وعاد النظام القديم المتعفن ، نظام ملوك البوربون ، ولكن روح الثورة لم تخمد ، فبعد أن تخلصت من بونابرت طردت البوربون وحطمت من جاء بعدهم من الملوك ، ثم نهضت بعد سقوط نابليون الثالث سنة ١٨٧١ فاشعلت ثورة « كوموتة باريس » الشعبية التى هزمها رجعيو أوربا وأبادوها ، ولكنها أقامت النظام الجمهورى من جديد ، وفتحت عصر الثورات الشعبية فى أوربا وفى العالم العربى وفى العالم كله ..

وهكذا لبثت ثورة باريس الكبرى سنة ١٧٨٩ تعمل عملها طوال مائتى سنة استقرت خلالها مبادىء الديمقراطية والحرية والمساواة ، وصارت ، ولو نظريا ، هى مبادىء عصرنا ..

إن يوليو هو شهر الحرارة اللافحة ، ولكنه أيضا شهر حرارة القلوب الثائرة .. وحسبه مجداً وفخراً أنه شهر الثورة الفرنسية الكبرى ، ثورة الحرية والاخاء والمساواة التى يحتفل العالم الأن بمرور مائتى عام عليها ..

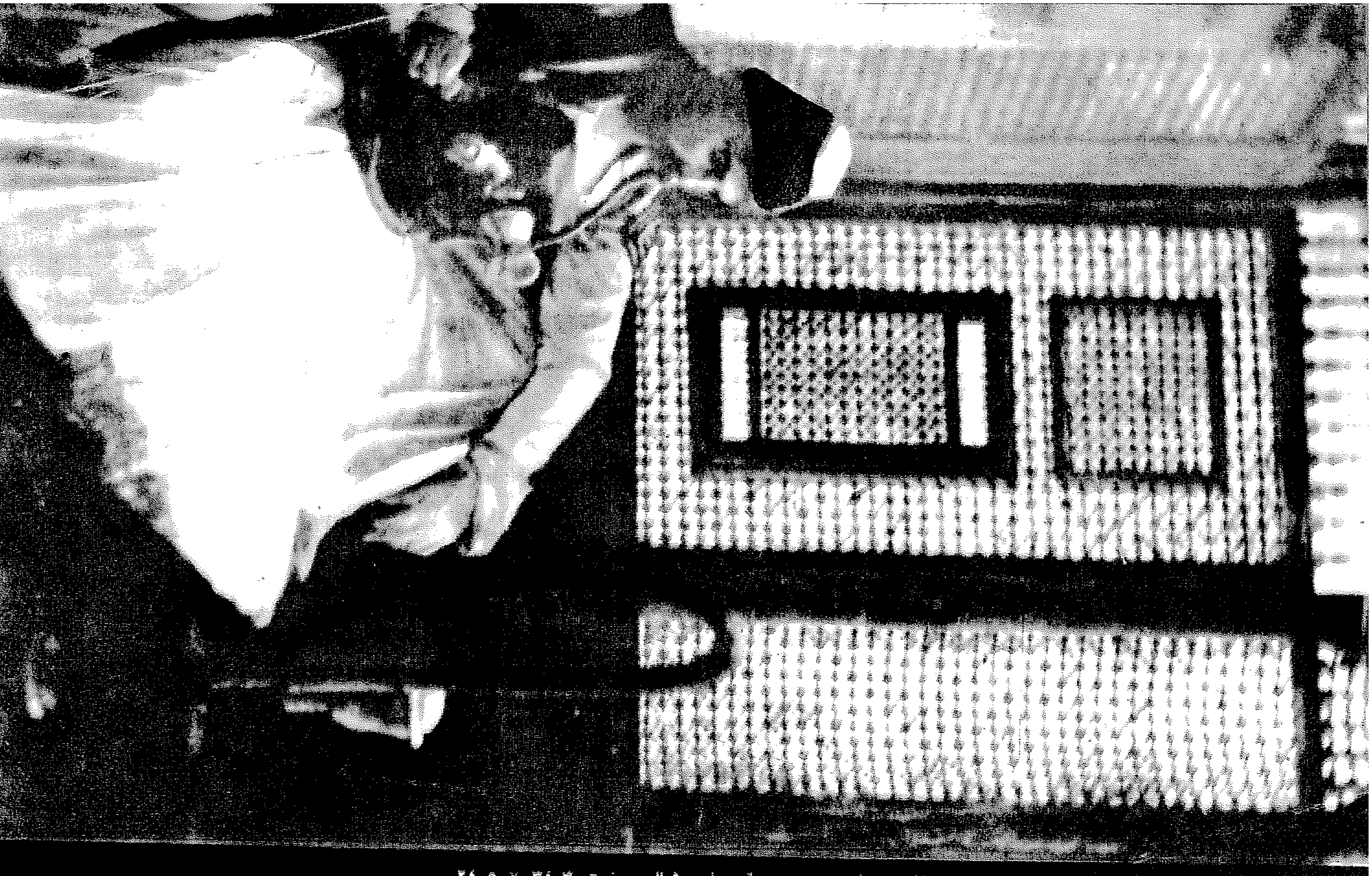
أما نحن المصريين والعرب ، فلا ننسى أن نقول : إنه أيضا شهر ثورة ٢٣ يوليو ، بكل ماحملته إلينا هذه الثورة من آمال وآلام ! ..

« المحــــرر »



شذرات من رؤى استشراقية

بقلم: ماجدة الجندي



ارناؤط يدخن .. مجموعة ديفيد شاليمر زيت ٣٤٫٣ × ٢٤٫٥

شذرات من رؤى استشراقية

لماذا الرحيل إلى الشرق ..

في القرن التاسع عشر كان الشرق بمثابة الحلم بالنسبة لمجتمع الصفوة الأوربية .. كان هو ما يرضى الحنين الأوربى للخيال أحيانا وللحرية أحيانا أخرى .. كان الشرق للبعض يعنى عودة إلى نبع استندت إليه أوروبا حتى ولو لم تعترف أحيانا .. إنه كما قال فيكتور هيجو فى مقدمة شرقياته "الشرق "كلوحة" "وفكرة" و"خيال" "صار هما" لكل الصفوة الذكية .. إنه "الشاطىء الآخر" للسفر .." .

او كما لخص شعراء أخرون "كل هذه الغارة [يقصدون أوربا] تستند إلى الشرق" .

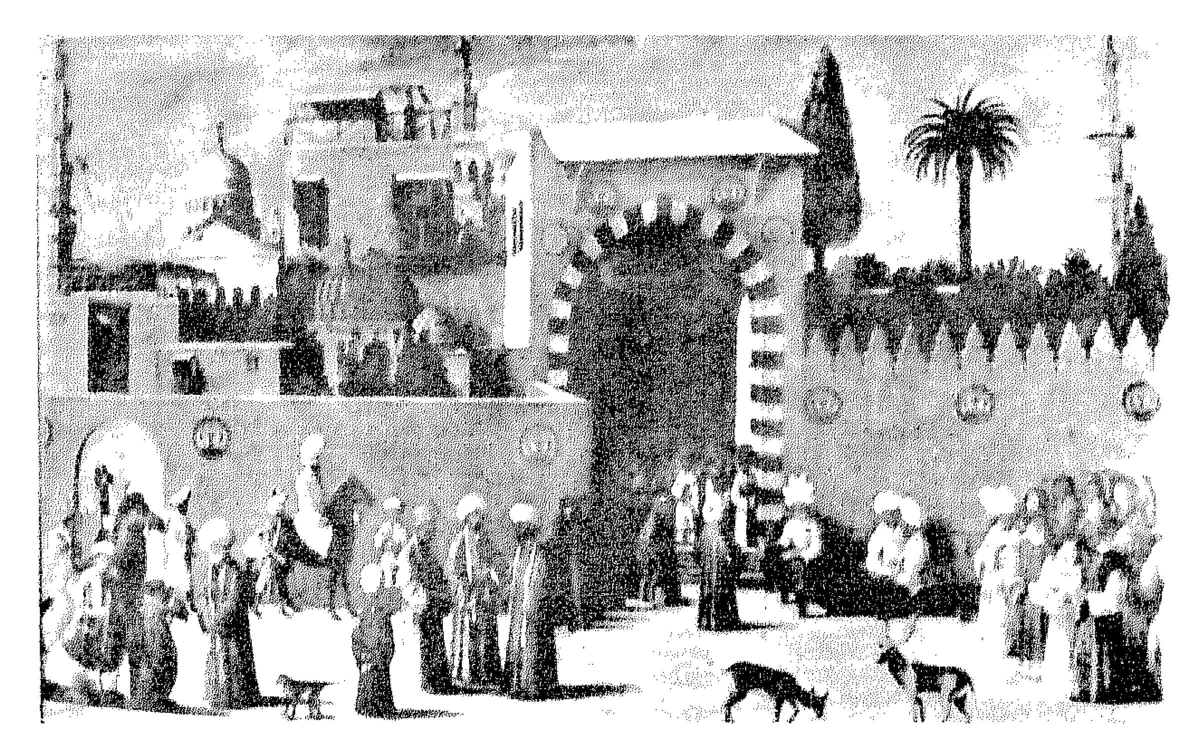
بدا الشرق للرومانتيكيين من الشعراء والفنانين الأوربيين "وطنا للعواطف الجياشة" وكما أن هناك مكتشفين أوائل لأى أرض جديدة .. كان هناك رواد أوائل للشرق الفنان .. المتوهج .. الغامض والسخى فى نفس الوقت .. أثارت رحلات هؤلاء الرواد أو بمعنى آخر مغامراتهم مخيلة القراء .. انبتت رغبة عارمة لا تقاوم لفك أسرار الشرق عامة وشرق المتوسط خاصة ولم يكن وقتها قد باح بأغلب مكنون روحه العامرة ..

هناك اربعة أسماء لشعراء تدين لهم الموجة الاستشراقية الفنانة بفضل "فض غلالة الاكتشاف" وهؤلاء الأربعة بيرون .. شاتو بريان ـ فيكتور هيجو ـ هنرى هين .

هناك سمة فريدة لما كتبه هؤلاء الأربعة هى قدرة كل شطر شعرى او جملة نثرية خطها احدهم على التعبير ليس عن الشرق كما هو بل عن شرق الفنانين عبر اللوحات والرسوم .. كانت كلماتهم هى مصدر الوحى لريشات فنانة انفعلت بالشرق وشكلت ما يمكن تسميته بالحركة الاستشراقية فى الفن التشكيلى فى القرن التاسع عشر .. وعلى رأسها المثلث الفنان دولاكروا ـ وفرومونتان وشاسريو .

● رؤى فنية

عشاق الشرق الفنانون أتوا من كل أوربا .. من انجلترا .. فرنسا سويسرا .. ايطاليا .. المانيا وحتى استراليا لكن تظل "فرنسا" هى صاحبة الرصيد الأكبر من الرؤى الفنية والفكرية الاستشراقية كان الانجليز يتسمون بالإقامة مدة طويلة



استقبال سفير فينيسيا فى القاهرة فيلليني زيت ٢٠٣ × ١١٨ متحف اللوفر

فى البلد الشرقى الذى يحطون اليه .. يغوصون فى حياة أهله .. يلبسون أرديتهم ويأكلون من طعامهم لكن الألمان الآتين إلى الشرق اختاروا "مروق السواح" كملمح لعبورهم فى المشرق بينما بدا الايطاليون ميالين للانتشار فى اكبر مساحة لأقل وقت أما الفرنسى فكان بشكل عام سواء أكان فنانا أو شاعرا أو مفكرا ـ أقرب إلى السفير غير العادى للابداع ممثلا له .. وباحثا عنه ..

★★★

كانت البداية نزعة رومانتيكية دفعت بعديد من السفراء والكتاب إلى الترحال بحثا عن زاد جديد للخيال .. لكن اعترافاً أوليا قد لا يفاجئنا كثيرا لابد من أن نورده فى البداية وهو أن أى تحفظ رسمى للحكومات الغربية إزاء فكرة رحيل البعض إلى الشرق اذا كان هذا الرحيل نحو بلدان "لها اهميتها الاستراتيجية والاقتصادية" ففى هذه الحالة بالذات كانت حكومات الغرب تشجع أو تستثمر بمعنى آخر نزعات الفنانين والكتاب الرومانتيكيين فتدفع بهم إلى أرض أحلامهم .. وأحلامها هى أيضا !

وربما يخفف هذا من المفاجأة حين نلمح على خارطة الاستشراق أسماء ليست لمجرد فنانين أو كتاب بل اسماء عسكريين ومهندسين ورجال دين وأيضا مجرد مغامرين .

● ماذا أعطاهم الشرق ؟

إذا كان الرحيل إلى الشرق بدا بمجرد رغبة اكتشاف الغامض والمثير .. أو بحثا عن نوع اخر من الارتواء فإن فنانى أوربا استخلصوا منه زادا "متنوعا" .. فى البداية ألهب الحماس وأيقظته كلمات وأشعار غزلت شرقاً غامضا وكان لهذه الكلمات "قوة





اعة الصلاة بالمسجد الأزرق
القاهرة زيت ٧٥٫٧ × ٧٣٫٦
١٨٧ صاحبها ولتر شارل هورسلى

شذرات من رؤى استشراقية

الرؤيا" لكن بعد ذلك تنوعت الأهداف التى أغرت الفنانين الغربيين بالإبداع فعكست لوحاتهم موضوعات عديدة أبرزها "الصحراء .. الحرب .. حياة الحريم .. السلطان" العنف ـ العمارة الاسلامية وخاصة مساجدها . الآثار .. ومع كل ذلك كانت النظرة الحسية الباحثة عن لون من المتع له نفس الصفة ! وفى هذا السياق قد يتردد اسم الشاعر "بيرون" الذى كان له الأثر الأعمق .. لقد بدأ شرق بيرون من أسبانيا التى زارها سنة ١٨٠٦ وبعدها زار اليونان ثم القسطنطينية وغيرها من بلاد الشرق وكان شرق بيرون حسيا لحد غير مفهوم .. وحشيا .. كان باختصار شرقاً "غريباً" .

فى سنة ١٨٢٢ نقلت أشعار بيرون فى ترجمة متواضعة إلى الفرنسية لتقلب الموازين ليس فى عالم الشعراء وحدهم بل أيضا عالم الرسامين بالذات الشباب منهم الذين هجروا الموديلات الباردة والأفكار الكلاسيكية إلى وجوه الجنود الأتراك والسلاطين .. ولم تكن كلمات بيرون وحده هى التى غيرت مصادر إلهام عالم اللون والريشة ولكن نلمح أصداء الشرق فى كلمات كوليردج وتوماس مور وشكسبير أيضا وفى مكانة خاصة وسط هؤلاء تحتل كلمات ادوارد لين مكانة لا ينازعه فيها أحد ..

فى رءوس معظم من اتجهوا إلى الشرق كانت الأراضى المقدسة أو القدس أحد الأهداف الرئيسية .. يتلوها مباشرة القاهرة خاصة لأصحاب الحلم والراغبين فى الخيال ..

كان كتاب "وصف مصر" الذى قدمته الحملة الفرنسية مسئولا عن بعث موجة حب استطلاع نحو الشرق عامة ويكفى أن نذكر اعتراف فيكتور هيجو نفسه فى كتابه "الشرقيات" او اغنياته الشرقية .

فى سنة ١٨٢٢ سار الشاعر الفرنسى الدقيق الرقيق على هدى شاتو بريان مصطحبا زوجته وابنته إلى القدس وكتب عن هذه التجربة قائلا "عبر كل حياتى كان الشرق هو حلمى الذى يبدد ظلمات العيش فى موطن رأسى .

كان شرق لامرتين ارستقراطيا قريبا من عالم صاحب الريشة شاسريو .. وعلى عكسه كانت رحلة جيرار دى ترفال الذى كان فى تجواله بالقاهرة عام ١٨٤٩ يبدو وكأنه واحد من ابنائها .. وفى القسطنطينية وسوريا كان بسيطاً متواضعا وللوحاته ميزة الدقة فى التقاط العناصر الواقعية مع مسحة من "الفانتازيا" .

تيوفيل جوبنيه تعددت رحلاته نحو الشرق .. للجزائر ثم موفدا من لويس فيليب إلى تركيا وصاحب اخيراً

الامبراطورة أوجينى فى رحلتها الشهيرة لمصر ولما زار أسبانيا شده أندلسها لدرجة غرزت فيه حنينا دائما للعالم الإسلامى .

زار الروائى الكسندر ديماس الشرق وله كتاب "خمسة عشر يوما فى سيناء" .. أما جوستاف فلوبير فله جولة شرقية طويلة استمرت من عام ١٨٤٩ إلى ١٨٥٢ واكثر ما اشتهرت به هذه الجولة "مسحة من الحزن غلفها إنه يقول بأحرف ولدتها جولته الشرقية .

"هناك الضوء .. يغمر المساحات .. يفصل الأشياء أحيانا .. يتغلغل فيها" ..

لقد عاد فلوبير من الشرق أميل إلى الحزن والوحدة وكانت بصمات هذا المكفوف على كتابه "تأملات سانت انطوان" تموج بالاضطراب والتوهج وخليط غريب من المشاعر كان له نكهته فى اعمال الرمزيين فى الادب والفن .

ونستطيع ان نرصد نفس النغمة الحزينة عند الكاتب فرومونتان فى كتابين "صيف فى الصحراء" الذى ظهر عام ١٨٥٧ و "سنة بالساحل" الذى ظهر عام ١٨٥٩ .

هذان العملان يمثلان كلاسيكيات استشراق الفن .

الروائى الفرنسى "بييرلولتى بدأت معه موجة أخرى من الكلام عن الشرق ملخصها أن شرق الشعراء الفنانين غير موجود الا فى مخيلتهم وأن الاستشراق فى الفن فى خدمه نزعة استعمارية متخفية فى عباءة الفن ..

ولقد كان لهذا المعنى ارهاصات بدأت مع تاريخ فتح قناة السويس حين طغت أحلام الغزو والتجارة وتآكلت تحتها نوازع الفن !

● نظرة خاصة على مصر

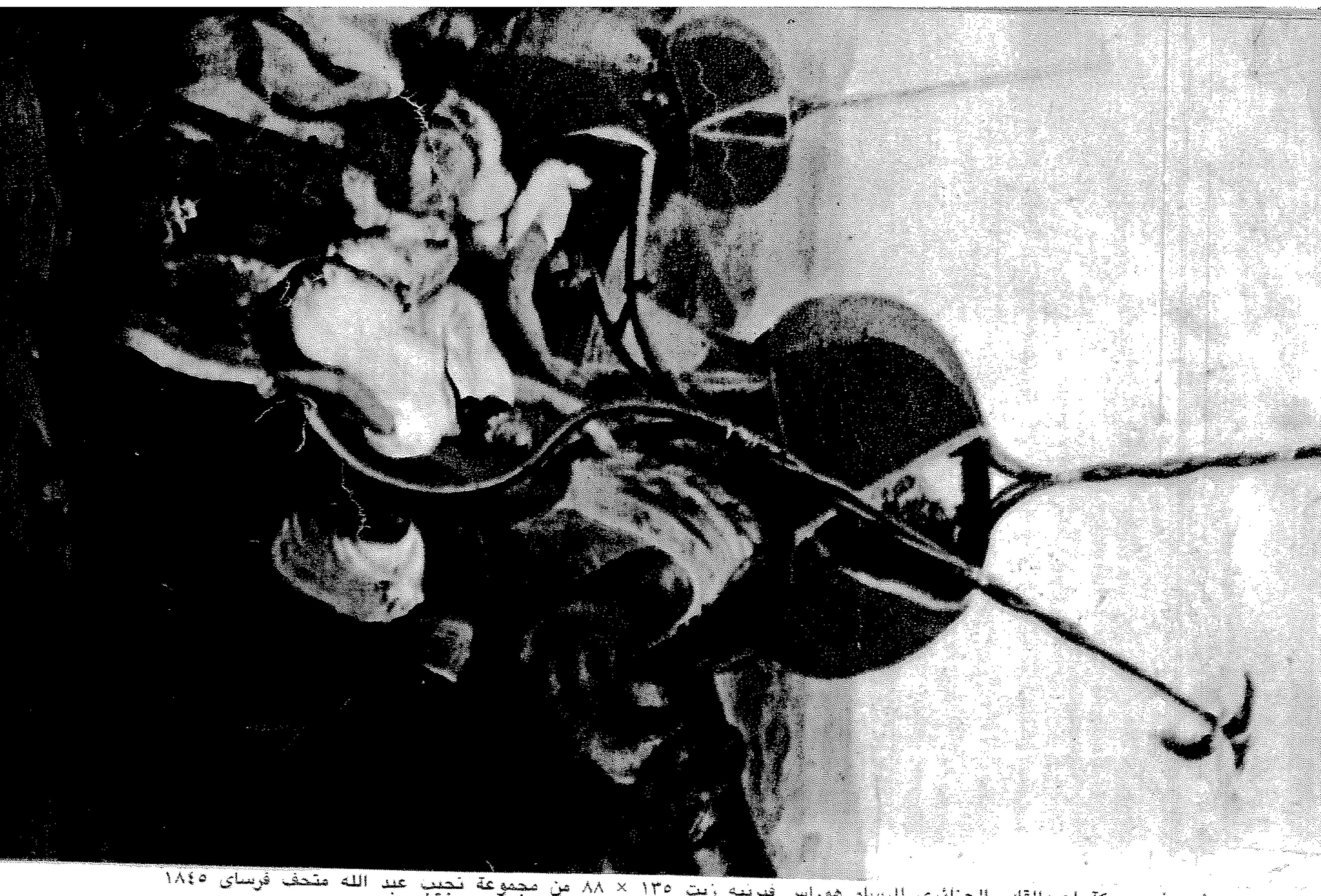
من بين كل البلاد الشرقية التى شدت "القدم الأوربية" كان لمصر مكانة أو "معزة" خاصة فى وجدان المسافر الأوربى ووراء ذلك كانت تكمن أسباب لعل أبرزها ثلاثة يمكن القطع بها فى وضوح وهى أولا "مناخها" الأقرب إلى الاعتدال .. الرحيم بلا تطرف فى حره أو برده ثم "أصولها الفرعونية" .. المتفردة .. الغامضة والتى أشعلت مخيلة الغرب حتى قبل الوقوف على فك أسوارها ..

ثم ثالثا "شعبها "المضياف" فرحابة صدر هذا الشعب .. ووده حتى إزاء القادم الغريب صارت اقرب إلى "السمعة" أو الصيت" الذى يرجح كفة الزيارة لمصر التى قيل انها كانت اكثر "البلاد المسلمة" فى الشرق التى تستقبل الزائر "بقلب مفتوح" .

منذ ١٨٤٠ امتازت القاهرة بوجود عدة فنادق أتاحت فرصة "المأوى المريح" لزائرها وكان مركز هذه الفنادق منطقة الأزبكية وهاهو أحد "الاعلانات" المنشور فى دورية فرنسية قرب التاريخ السابق يرسم لنا

استرخاء

نساء الجزائر اشهر لوحات يوجين ديلاكروا
زيت ١٨٠ × ٢٢٩ اللوفر بباريس ١٨٣٤



اسر فى معركة لعبدالقادر الجزائرى للرسام هوراس فيرنيه زيت ١٣٥ × ٨٨ من مجموعة نجيب عبد الله متحف فرساى ١٨٤٥



صورة "للمكان المريح" الذى يسعى لإغراء الرحالة القادم .. يقول الإعلان : بالقاهرة - مصر - "الفندق الملكى الكبير" .. الفندق الفرنسى الوحيد بالقاهرة الذى يتمتع بامكانيات الدرجة الأولى بوليفار "الأزبكية" ..

وتحت صورة منشورة "للفندق الملكى الكبير" بالقاهرة عدة أسطر للإغراء .

"فندق معد خصيصا" للمسافرين إلى مصر (أو الراغبين فى زيارتها) .. موقع خاص فى قلب أجمل أحياء القاهرة - قريب من مكاتب البوستة والتلغراف والمسارح ومحطة القطارات ..

صالونات للقراءة .. للأسرة .. للاستقبال .. صالات مخصصة للسيدات وأخرى خاصة بالمدخنين .. أجنحة كبيرة وصغيرة حدائق داخلية جميلة .. حمامات .. دوش داخل الفندق جرائد فرنسية وانجليزية وموظفون يتكلمون أيضا الفرنسية والانجليزية .. عربات خاصة بالفندق منه للقطار كل صباح وأخيراً هو "أقل الفنادق تكلفة" .

وطبعا بعد كل هذا الكم من المغريات لم يفت مالك الفندق التوقيع باسمه Ramonol · y

● عيون فنانة

كانت لمصر بالنسبة للرحالة أيضا "خصوية" ذات "نكهة" .. أو "خصوصية" فقد كانت قادرة على أن تعطى لكل ذوقه الخاص الذى يبحث عنه أو الذى يرضيه .. لم تكن هناك "مصر واحدة" يسعى اليها القادمون من الغرب .. بل استطاعتنا التمييز بين ثلاثة مناطق جغرافيا - داخل مصر الواحدة - كان لكل منها مريدوها وعشاقها هناك "القاهرة" واحة غنية للعين الفنانة ومرتعاً لا ينضب لأصحاب "الريشة" وعشاق اللوحة .. ثم مصر العليا أو الصعيد بنيله وانبساطاته ونخيله ، والصحراء للمتأملين والمفكرين وأصحاب المزاج الهادىء .. ووفق هذا المنظور الجغرافى نحتفظ لمنطقة السويس وما حولها بحقها فى كونها كانت الهدف الأول لفئة الرحالة العلميين .. والجغرافيين والصينيين والفضل فى ذلك أولاً "لقناتها" أو قناتنا الشهيرة .

العيون الفنانة رأت فى القاهرة مزيجاً وصفه أحدهم أخيرا بالمزيج من (النيويوركية) نسبة الى نيويورك الحالية والمراكشية فرغم القذارة احيانا او الفوضى التى حرص ابن الغرب القادم للقاهرة على الإشارة لها ثم التأكيد عليها فأنه هو نفسه لم ينكر أن القاهرة منحته ساعات رائعة المتعة .. رائعة الجمال .. وسطور جوستاف فلوبير ترشدنا حين كتب عبر

"العين الفنانة" المطلة على قاهرة المعز أو من فوق قلعتها :

"من هنا .. تبدو القاهرة أسفل نظرى .. على اليمين الصحراء .. وخطوات الجمال تنساب فوقها وظلها يؤنس مرافقيها .. فى المواجهة المروج والنيل والأهرامات .

النيل مرصع بالأشرعة البيضاء .. كل شراعين متعانقان كأنهما طائر "السنونو" محلقاً بجناحين غير محدودين .

السماء خالصة الزرقة تجوبها الصقور . والضوء يغمر المكان والأشياء .. يتغلغل فيها ..

زاوية اخرى مغايرة "للجمال القاهرى" فى عين القادم الغريب عنها يقدمها لنا "Fromentin" فرومونتان عام ١٨٦٩ عقب زيارته لمقابر الخلفاء . كتب :

"هذه الآثار الصامتة .. البيداء .. المذهبة اكثر من رمال الصحراء .. الداكنة حين تنفرج عنها أشعة الشمس .. المغمورة فى الوضوح عندما تصب فوقها خيوط النور ..

هذه القطع الرائعة ذات المذاق الصافى باسوارها ذات الخطوط الحمراء وقبابها المرصعة .. ومآذنها المفتوحة تخترق السماء .. هذه كلها قد تكون اجمل شواهد على العبقرية العربية فى ذروة زهوتها" .

نفس هذه الخلجات مترجمة إلى



المصرية الفلاحة للفنان شارل إميل هيبوليت زيت ٦٠ × ٤٢

خطوط لوحات قدمها الاسكتلندى Roberts روبرتس فى طلته التى سبقت فرومونتان بعشرين عاما وأثمرت عدة البومات (حوالى ستة) تحولت خلالها العمارة الاسلامية بأحجارها ونقوشها إلى شىء أقرب إلى نسيج الدانتيل

أما الشوارع .. شوارع القاهرة التى ملكت كما قال احدهم "مسحه البكارة الأولى" بمشربياتها .. وعرباتها .. ووقع اقدام الدواب فوق



طرقاتها فقد تحولت أسواقها .. ومشاوير البشر فيها .. وأصوات البائعين إلى "ملهم" لخطوط مبكرة عند هنرى واليس وجون فرلي - وهذا الأخير هو ابن لواحد من أشهر رسامي المائيات واكثرهم رومانتيكية - عرض زيتياته في آخريات القرن الماضى بالأكاديمية الملكية وكان محور هذه الزيتيات شوارع القاهرة النابضة بالحياة وصفحة البحر السكندرى المزروع بالأشرعة .

ومادمنا نذكر أسماء فلا يمكن أن نغفل عيون الانجليزى چون فردريك لويس الذى زار القاهرة فيما بين ١٨٤٢ - ١٨٥١ والذى حقق نجاحا عظيما فى صالون مائيات عام ١٨٥٠ بلوحة عن الحريم . "لويس" قالوا عن اعماله القاهرية انه بالامكان تحسس ملمس نسيـج الحريـر ونعومته وانت تلقى بعينك على لوحاته .. بل إنه لو ضمن رسما له احد السيوف لكان "الصليل" خلفية

أحد ثمرات الاستشراق الفنية

مستمرة للمتلقي مادام يمعن النظر بلوحة لويس .

شوارع القاهرة ايضا أوحت إلى الاسترالى المستشرق "ليوبولد كارل موللر" الذى كان مغرما بالحياة الشعبية فى القاهرة بالذات وامضى عدة سنوات . يغوص فيها حتى خرج بدرة اعماله عن "اسواق القاهرة أو التى وضع لها عنوان "الأسواق على أبواب القاهرة" .. وكان لها فضل احتلاله مكانة مرموقة بل حولته إلى موضع ثقة من رسامين زملاء له شدهم باعماله للقاهرة مثل (لنبتش وماكارات .

رصدت العين الفنانة للأوربى عناصر اخرى باللوحة القاهرية منها جموع البشر .. الدراويش .. الأعياد .. مواكب المحمل برع فيها ماكومسكى ١٨٧٦ ودوتش ١٩٠٩ .

بروسبير ماريلهات والذى امضى بالقاهرة عدة شهور من ١٨٣٠ دان فى اعماله للقاهرة بدين خاص فهى التى مدته بدفقة شعورية اضفت على رسومه صفاء شديدا دفع تيوفيل جوتييه لإعلان اعجابه الشديد به وإلى حد القول [يكفى تامل واحدة من لوحاته كى تتمنى العيش فى الشرق] .

وعلى حدود القاهرة أو عندها كانت تبدأ الصحراء .. صحراء مميزة بابى الهول إذن فهى لا تشبه أى صحراء شرقية اخرى .

فرومونتان مرة أخرى يدون خصوصية النظرة لحدود أرض الوادى وتماسها مع الصحراء القريبة .. ["الصحراء" . الفضاء الواسع .. الأرض الطينية .. الرمادية الغامقة .. المراكب الشراعية على طول النظر .. النيل اللانهائى .. الهادىء . مرآة حقيقية . زرقة السماء الحانية .. الفلاحون باثواب رمادية أو زرقاء] ملحوظة ساقها نفس الكاتب عن الفلاح المصرى اجدنى اشير إليها فلعلها كانت مفتاحا لأحد زوايا الصورة .. (الفلاح كان اقرب رمز الى النمط الفرعونية فى الحياة ..)

و "فودواركلير" كان أحد الأسماء التى احتل الفلاح شاشة رؤيتها الفنية . فودوار زار مصر حول عام ١٨٣٦ صعد بخطواته نحو جنوب مصر .. الصعيد (باحثا عن الجنة المفقودة) رسم النوبة والتقط من الصعيد بطله أو ربما مجرد فكرة (الله اعلم) لواحدة من اشهر لوحاته المعنونة (حذر مصرية) حيث رسم شابة تستحم فى النيل وتضع يديها على عينيها عندما فاجاها فارس ممتط جواده تاركه جسمها مكشوفا .

كلير له عديد من المائيات عن معابد دندرة والكرنك لكن الأهم ان له تاملاته عن "الفلاح" وتعد مذكراته من أدق ادبيات الرحالة فى وثائقيتها أو فى نفاذ رصدها .. فى ورقة تقرا عن واحدة من اغرب

شذرات من رؤى استشراقية

المصاعب التى كان يلقاها رحالة أو مستشرق قادم لمصر .. يقول [لا اعرف إلى اين اذهب "لأتجنب الرسامين .. حولى على الأقل دستة منهم .. مليئون بالموهبة لكنهم يحيطوننى !! يسرقون قاهرتى !" .

هل هى غيرة فنية تسعى للإستئثار بالرؤية ؟

المهم .. فى ورقة أخرى كتب عن محمد على "ليس هناك مايثير القلق من ناحيته .. عجوز صغير .. عيونه حية .. لفتاته .. له انف مشربة بالحمرة .. لحية بيضاء وسيمة .. معتنى بها .. ثيابه من ابسط الثياب عمة بيضاء .. رداء رمادى" .

من معبد أبيدوس استمد إلهام اشهر لوحاته الكلاسيكية والتى جعل لها عنوان "الأحلام المفقودة" .. وفى ٦ يولية ١٨٣٥ زار ابو سمبل فكتب قبل أن يرسم "اى سلام .. اى صمت .. النهر العريق يجرى بجلال عظيم .

النخيل المهتز فى وقار .. المعبد فى رحم الجبل له "هالة" لا أعرف كيف أحددها" .

دولاكروا .. شاسريو . فرومونتان مثلث الريادة فى فك سحر الشرق .

من فرنسا خرجت اشهر لوحات الاستشراق .. قدمها أولا دولاكروا فى لوحة جمعت بين رائحة الموت والتاريخ لكنها افتقدت الشرق الأصيل مما دفعه للسفر عام ١٨٣٢ إلى المغرب ومن هناك كتب "إنهم اقرب إلى الصينية الف مرة .. فى ملابسهم .. فى اشكال حياتهم .. وحتى فى اخذيتهم" وعند العودة توقف دولاكروا فى الجزائر يستوحى اشهر لوحاته بل اشهر لوحات الغربيين عن الشرق وهى لوحة "نساء الجزائر" .

لقد احب دولاكروا الشرق فى رحلته لدرجة انه قال بعد عودته لباريس "إن باريس تزعجنى .. الناس الأشياء تبدو لى فى ضوء نهار مختلف" .

اما شاسريو ثانى أضلاع المثلث فى استلهام الشرق والوله به عند فقالة العزب فقد منحه حبا يكفى أن يحب به الشرق كله (كما قال) بدأ من عشق الخيل العربية وحتى رؤية سماء الشرق التى قال عنها "حتى ازرق سماء الشرق مشتعل" .

اما "فرومونتان" آخر الأضلاع فقد قالت چورچ صاند عن أعماله .. "انها تأسرنى .." .

وبهذا المثلث الغربى اخذ الشرق لب الغرب الباحث عن مذاق الحلم وعبق الشرق .



تحتفل فرنسا بمرور مائتى عام على قيام الثورة الفرنسية .

وقد دُعى الرئيس حسنى مبارك للاشتراك فى هذه الاحتفالات التى تقام فى ١٤ يوليو الحالى .

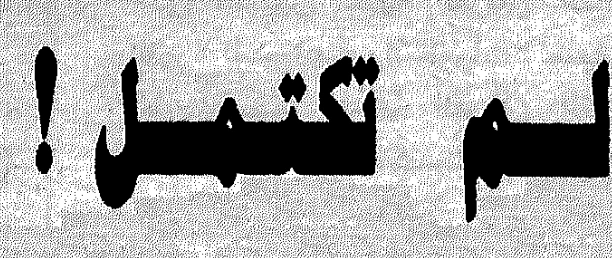
وتقدم « الهلال » بهذه المناسبة جزءا خاصا عن فكر وتأثيرات الثورة الفرنسية على مصر والشرق .

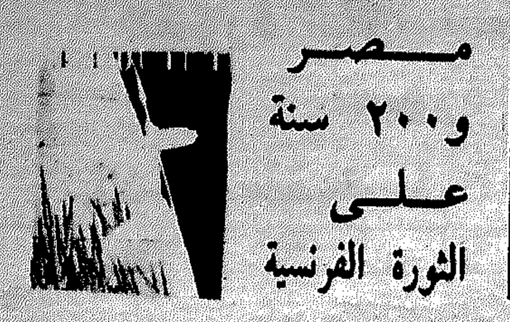
الثورة الفرنسية ... ثـــورة

لماركس كلمة مشهورة ، كثيراً ما اتذكرها ، مؤداها انه كما ان حكمك على شخص ما يجب الا يكون مبنيا على ما يقوله هذا الشخص عن نفسه فإن حكمنا على عصر ما يجب الا يكون اساسه ما يطلقه هذا العصر على نفسه من اوصاف . وقد طبق ماركس هذا المبدأ على الكثير من عصور واحداث التاريخ من بينها الثورة الفرنسية فذهب ماركس الى انه بينما صوّر اصحاب الثورة الفرنسية الهدف من ثورتهم على انه تحرير الناس جميعا من مختلف صور القهر والاستعباد فإنها فى الحقيقة لم تكن تستهدف الا تحرير البورجوازية من سيطرة الاقطاع . فالثورة الفرنسية فى نظر ماركس لم تكن الا ثورة الراسمالية الصاعدة لانتزاع حقوقهـا السياسيـة من الاقطاعيين الآخذين فى الأفول .

● قال ماركس هذا بعد الثورة الفرنسية بنحو نصف قرن ، وكان ماركس قد شهد الثورة الصناعية فى بريطانيا وبدايتها فى فرنسا والمانيا ورأى ان الذى جنى ثمرات الثورة الفرنسية لم يكن الا الراسمالية الصناعية التى استمرت رغم كل شعارات الثورة الفرنسية عن الحرية والاخاء والمساواة تخضع الطبقات العاملة لأقسى انواع الاستغلال

ثم مضى مايقرب من ١٥٠ عاما اخرى على إصدار ماركس لهذا الحكم على الثورة الفرنسية ، شهد العالم خلالها من الاحداث والتطورات ما من شأنه ان يلقى ضوءا جديدا على الثورة لم يكن ماركس فى وضع يسمح له برؤيته . إن هذا الضوء الجديد ليس من شأنه أن يكذّب الرؤية الماركسية ولكنه قد يوضح جوانب لهذه الثورة اكبر مغزى بالنسبة لفرد يعيش قرب نهاية القرن العشرين ، مما كانت لفرد عـاش وكتب فى منتصف القرن الماضى .





لـم تكتمـل !

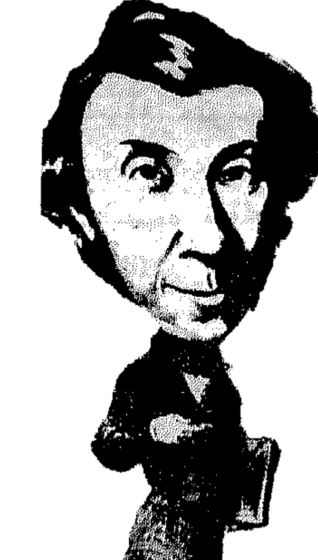
بقلم : د . جلال أمــين

● الثــورة الفرنسية والثورة الصناعية

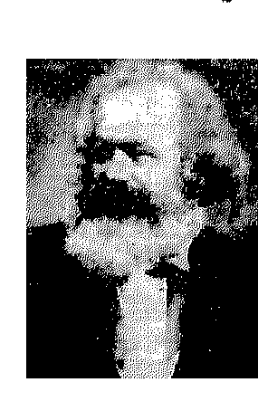
لقد اقترن قيام الثورة الفرنسية فى ١٧٨٩ بـالبدايـات الاولى للثـورة الصناعية فى اوروبا . وكان قيام الثورة الصناعية يعنى ، من بين ما يعنيه ، بداية مايسمى بنظام الانتاج الكبير الذى سمح ، عن طريق تخفيضه لنفقات الانتاج ، بتلبية حاجات شرائح واسعـة ومتـزايـدة الاتسـاع من المستهلكين بعد ان كانت الصناعة لا تلبى فى الاساس الا حاجات أقلية مترفة يسمح لها دخلها بتحمل نفقات الانتاج العالية ان الثورة الصناعية قد دشنت حقا صعود طبقة الرأسمالية الصناعية ، اقتصاديا وسياسيا ، وكانت مبادىء الثورة الفرنسية هى التعبير السياسى عن هذا الصعود ، كمـا كانت مبـادىء الاقتصاديين الكلاسيكيين ، في نفس الفترة التعبير الاقتصادى النظرى عنه . وهذا هو ما تعلمناه من ماركس ولكن الثورة الصناعية دشنت فى نفس الوقت صعود مايمكن ان نسميه بالرجل العادى او المتوسط ، الذى تمكن بفضل الآلة الحديثة من استهلاك ما لم يكن يحلم من قبل باستهلاكه لم تكن الثورة الصناعية فى خدمة الرجل العادى فى البداية، ولكنها دشنت عصر هذا الرجل ومع مطلع القرن العشرين اصبح هذا الرجل العادى هو السيد الحقيقى الذى تدور الآلة لخدمته .

لقد كان من الطبيعى لمن يراقب ما يحدث من تطورات فى منتصف القرن الماضى ، أن يكون اكثر مايلفت نظره هو واقعة استغلال الرأسمالي للعمال ، فقد كانت اكثر الظواهر للنظر لفتا بالفعل ذهاب ثمرات الثورة الصناعية

الكسيس توكفيل



ماركس



الثورة الفرنسية ثورة لم تكتمل !

لفئة قليلة فى الوقت الذى يتحمل العمال اعباءها .

ولكن هذه لم تكن الا الثمرات الأولى للثورة الصناعية فمع مرور الوقت اتسع نطاق المستفيدين من النظام الصناعى الجديد حتى شمل العمال ايضا وظهر مع الوقت ان الوظيفة الحقيقية للثورة الصناعية لم تكن هى اثراء البعض على حساب الغالبية بل هى رفع مستوى المعيشة للجميع .

اقترن هذا الصعود التدريجى بالمستوى الاقتصادى للرجل العادى بصعوده سياسيا ايضا ، اذ اقترن ارتفاع مستوى المعيشة وانتشاره الى الشرائح الاجتماعية الدنيا ، باتساع نطاق المشاركة السياسية للجماهير وحصول الجميع على حق الانتخاب والترشيح ، واتساع فرص التعبير عن الرأى للرجل العادى فإذا بمبادىء الثورة الفرنسية التى لم يجن ثمراتها فى البداية الا شرائح البورجوازية ، تصل بالفعل مع مرور الزمن الى طبقات العمال والفلاحين .

● عصر الرجل العادى

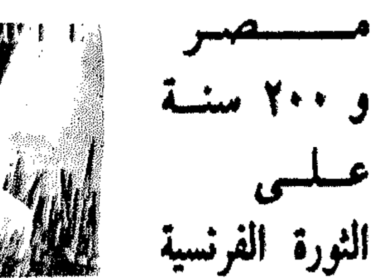
فى ضوء هذه التطورات الاقتصادية التى تمخض عنها القرنان التاليان للثورة الصناعية والتطورات السياسية التى تمخض عنها القرنان التاليان للثورة الفرنسية ، تكتسب كلا الثورتين فى نظرنا اليوم مغزى مختلفا عن المغزى الذى استخلصه ماركس . وان كان لايتناقض معه . فبينما كانت الثوراة الصناعية فى نظر ماركس تعنى فى الاساس اثراء البورجوازية الصناعية على حساب البروليتاريا وكانت الثورة الفرنسية تعنى بالنسبة له حلول السيطرة السياسية للبورجوازية محل سيطرة الاقطاع فان كلا الثورتين قد تبدوان لنا الآن وكأن وظيفتيهما التاريخية الأساسية هى تدشين "عصر الرجل العادى" اقتصاديا وسياسيا ، بعد قرون طويلة عاش خلالها الرجل العادى خاضعا لمختلف صور الاستغلال الاقتصادى والاستعباد السياسى .

دعنى اتوقف قليلا لابين ما اقصده بالضبط من وصف العصر الذى نعيش فيه "بعصر الرجل العادى" الذى اقصده هو انه فى العالم الصناعى المتقدم بشقيه المسميين بالراسمالى والاشتراكى واصبحت عجلة الجهاز الانتاجى تدور اساسا لخدمة الرجل والمرأة متوسطى الدخل ومتوسطى الذكاء فاصبح ذوق هذا الرجل العادى او المرأة العادية وقدرتهما الشرائية هما اللذان يحددان طبيعة المنتجات وأشكالها كما اصبح مستوى ذكائهما وثقافتهما هما اللذان يحددان مستوى

الثقافة السائد واصبحت الحياة السياسية بأسرها تدور حول هذا الرجل العادى والمرأة العادية لاتستهدف الا ارضاءهما او كسب ودهما . لم يكن الامر كذلك فى القرون السابقة على الثورة الصناعية والثورة الفرنسية حيث كانت السلع الصناعية المنتجة تستهدف فى الاساس ارضاء الارستقراطية وتتحدد طبيعتها واشكالها بحجم الفائض الذى تتمتع به هذه الارستقراطية ، كما كانت الحياة الثقافية تحكمها اذواق ومستوى ثقافة هذه الارستقراطية نفسها ، والحياة السياسية تدور حول تحقيق مصالحها . لقد بدأت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية اذن شيئا لم نر نهايته بعد ، قد نسميه اطلاق الجماهير من قيودها السياسية والاقتصادية على السواء .

● الثورة الروسية

إن هذه النظرة لمسار التاريخ فى القرنين الماضيين والتى تختلف عن النظرة الماركسية وإن لم تناقضها قد تؤدى الى نظرة مختلفة ايضا الى الثورة الروسية فى ١٩١٧ . فالنظرة الماركسية الى هذه الثورة تعتبرها فى الاساس ثورة طبقة على إخرى ، لكى تحل الاولى محل الثانية وينتهى بذلك الاستغلال الى الابد وكأن الثورة الروسية قد ادت للبروليتاريا ما ادته الثورة الفرنسية للبورجوازية كل منهما




مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

ثورة تستهدف احلال سيطرة طبقة محل اخرى وان كانت الثورة الروسية تضع حدا للصراع الطبقى الى الابد اما النظرة الى الثورة الفرنسية والثورة الصناعية على أنهما تمثلان نقطة البداية فى رحلة طويلة يتحرر بمقتضاها الرجل العادى تدريجيا من الاستعباد السياسى والاستغلال الاقتصادى ، فإن من شأنها ان تؤدى بنا الى النظر الى ثورة ١٩١٧ على انها ليست اكثر من الخطوة الروسية فى نفس الاتجاه : اى محاولة روسيا للحاق بالغرب فى تحقيق الديمقراطية الاقتصادية والسياسية على اوسع نطاق وذلك بتمكين روسيا من تحقيق ثورتها الصناعية من ناحية ومن احلال ثقافة وسياسة "الرجل العادى" محل ثقافة وسياسة الارستقراطية من ناحية اخرى .

● ثورة كل خمسين عاما

للكاتب الفرنسى "الكسى دى توكفيل" المشهور على الاخص بكتابه العظيم "الديمقراطية فى امريكا" المنشور فى ١٨٣٥ ، كلمة جاءت فى

الثورة الفرنسية ثورة لم تكتمل !

هذا الكتاب يقول فيها :
"اذا نحن تأملنا ما يطرأ على فرنسا من تطور كل نصف قرن من الزمان ابتداء من القرن الحادى عشر فلن يسعنا الا ان نلاحظ أن المجتمع الفرنسي قد مرّ كل خمسين عاما بثورة ذات جانبين : النبلاء يتدهور مركزهم النسبى فى المجتمع والرجل العادى يأخذ فى الصعود ، واذا بكل منهما يقترب من الاخر وعما قريب يتلاقيان وليست هذه الظاهرة بمقصورة على فرنسا .. ففى كل مكان عملت الاحداث القومية فى النهاية على تحقيق درجة اكبر من الديمقراطية وساهم الناس جميعا بمختلف تصرفاتهم فى إعلاء شأنها سواء هؤلاء الذين كانوا يقصدون بالفعل العمل لصالح الديمقراطية وأولئك الذين كانوا يخدمونها عن غير قصد ، من حاربوا من اجلها ومن ناصبوها العداء كلهم دفعوا دفعا فى نفس الاتجاه : مزيد من الديمقراطية" .

وتفسير هذه الظاهرة التى يتكلم عنها توكفيل والتى يرجع بدايتها الى القرن الحادى عشر يكمن فى الاساس فى التطور التكنولوجى الذى شهدته اوروبا منذ البدايات الاولى لعصر النهضة فكلما ارتقت قدرة الانسان على الانتاج اتسع نطاق الاستهلاك تبعا لذلك ، وكأن حجم الفجوة بين الطبقات العليا والدنيا انما تحدده فى الاساس قدرة المجتمع على الانتاج وقد احدثت الثورة الصناعية قفزة هائلة فى قدرة المجتمع الانتاجية وقدرته على اشباع الحاجات ، واتضح معها لأول مرة ان من الممكن للانسان ان يصل الى عصر تختفى معه مشكلة الندرة . ومنذ الثورة الصناعية والمجتمع الغربى يحقق قفزة بعد اخرى فى ميدان التكنولوجيا تواكبها قفزة بعد اخرى فى توزيع الثمرات ،

اذ يقترن كل تقدم تكنولوجى كبير بوصول ثمرات الجهاز الانتاجى الى شرائح اوسع فأوسع من المستهلكين . وكثيرا ما يقترن هذا الاتساع فى نطاق الاستهلاك بظهور نظرته او افكار جديدة تروج او تمهد لوصول ثمرات التقدم التكنولوجى الى شرائح اجتماعية جديدة او تدعو الى افساح مجال أكبر لهذه الشرائح الاجتماعية للتعبير عن نفسها . من الممكن ان ننظر الى الثورة الفرنسية على انها كانت اول دعوة من هذا النوع فى العصر الحديث وأن ننظر الى دعوات الاشتراكية التى بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن التالى بما فى ذلك

الماركسية على انها خطوة تالية فى نفس الاتجاه ثم الى الثورة الروسية فى ١٩١٧ على انها تمهيد لقيام روسيا بتكرار ماحدث فى الغرب .. ومن الممكن ايضا النظر الى ظهور النظرية الكينزية فى الثلاثينات من هذا القرن ، بما دعت اليه من تدخل الدولة لاتخاذ مختلف الاجراءات لعلاج البطالة بما فى ذلك توزيع الدخل وانتشار دعوات مماثلة فى الغرب فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ادت الى قيام مايسمى "بدولة الرفاهية" من الممكن النظر الى كل هذا على انه انعكاس لتطورات تكنولوجية اصبحت تسمح بتوسيع نطاق الاستهلاك حتى يصل الى متناول يد "الرجل العادى" او "الرجل المتوسط"

● ثورة العالم الثالث

بل أن من الممكن ان ننظر الى مايسمى "بثورة التوقعات او ثورة الآمال" التي يستخدمها بعض الكتاب لوصف حالة دول العالم الثالث بعد حصولها على الاستقلال ، وعلى الاخص فى اعقاب الحرب العالمية الثانية من حيث تطلعها الى تحسين مستوى معيشتها وتضييق الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة بتحقيق التنمية السريعة . من الممكن ان ننظر الى هذه "الثورة" على انها بدورها خطوة اخرى فى نفس الاتجاه : اتجاه



توسيع نطاق الاستهلاك والاستمتاع بثمرات التكنولوجيا الحديثة بتوصيلها الى شرائح اجتماعية جديدة فى دول العالم الثالث . ألم تكن ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر خطوة جبارة فى هذا الاتجاه ؟ ألم تكن وظيفتها التاريخية الاساسية فى الحقيقة توسيع نطاق الاستهلاك بحيث لايقتصر الاستمتاع بثمار التكنولوجيا الحديثة على فئة قليلة تتربع على قمة المجتمع ولا يفصلها عن غالبية المعدمين فى قاع المجتمع الا طبقة متوسطة شديدة الضآلة ؟ ثم ألم تحدث فى مصر فى السبعينات ثورة اخرى وإن كانت صامتة كانت اهم مقوماتها هجرة مئات الآلاف من المصريين الى دول النفط ومن اهم نتائجها اتساع نطاق الاستهلاك مرة اخرى ليشمل فئات اجتماعية جديدة كانت تنتسب الى طبقات دنيا من المجتمع فطفت لاول مرة على سطح الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية .

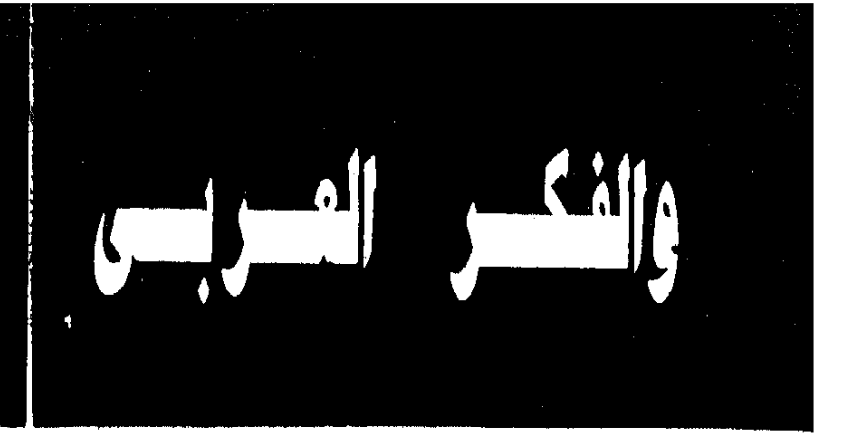
الايجوز لنا فى ضوء ذلك ان نقول ان الثورة الفرنسية كانت بداية لثورة لم نشهد نهايتها بعد ؟

الثـــورة الفـرنسيـــــة ..

يحتفل انصار الحرية فى العالم ـ هذا الشهر ـ بمرور مائتى عام على قيام الثورة الفرنسية ـ ١٧٨٩ ـ والتى يعتبرها البعض اهم ثورة سياسية فى تاريخ البشرية ، لما احدثته من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية فقد الغت السخرة ، والغت حقوق النبلاء ورجال الدين بفرض الضرائب على الشعب ، والغت ما عرف بحق الملوك الالهى فى الحكم ، وقضت على النظم الاقطاعية ، والحقت باول دستور لها ـ ١٧٩١ ـ وثيقة حقوق الانسان التى أعطت الحرية لكل إنسان وحددت مبادىء لحماية هذه الحرية ●

● تميزت هذه الوثيقة عما جاء فى الثورة الهولندية والانجليزية والأمريكية ، خاصة ما أعلنته بريطانيا مما عرف باعلان الحقوق ١٦٨٩ ، تاكيدا لما جاء بالمجناكارتا التى اعلنته ١٢١٥ ، لأن وثيقة حقوق الانسان ، قدمت مبادىء عامة للفرنسيين وللعالم ، ولم تقف داخل حدود وطنها ، كما حدث بالنسبة للثورات السابقة التى اشرنا اليها ، ولهذا كان العداء لها ومحاولة حصارها ، خاصة من الدول الأوروبية المحيطة بها ، الأمر الذى لم يحدث للثورات السابقة .

فقد التقت الدول المتعارضة المتصارعة على وجوب تصفية الثورة ، ووصل الأمر الى حد شن الحروب عليها حتى كان مؤتمر ڤيينا ـ ١٨١٥ ـ وأعادت الدول الأوروبية اسرة البوربون ، وعادت الملكية فى فرنسا ، بعد استمرار الجمهورية اكثر من عشرين عاما ، والاخطر من ذلك داب اعداء الثورة ، سواء من داخل فرنسا أو خارجها على تشويه ما حققته



بقلم : جلال السيد

الثورة ، فالثورة التى نقلت اوروبا من العصور الوسطى الى العصر الحديث ، والتى قضت على استعباد الانسان ، وقضت على استغلال الكنيسة ورجال الدين لأبناء الشعب وحرمتهم من العلم والمعرفة ، هذه الثورة فى رأى اعدائها ، انها ثورة الغوغاء ، وأنها لم تحقق سوى سفك الدماء ، وارخوا لمراحلها بما اطلقوا عليه : الأرهاب الصغير ـ الأرهاب الكبير ، وكانت الجمل الانشائية الموحية والتى قرأناها فى كتب عربية : «اصبحت الثورة تأكل بنيها ان لم تجد ما تأكله» ، وكان الشعار السائد ـ كما يزعمون ـ «قدم جارك للمقصلة ، قبل ان يقدمك» . وبالطبع هؤلاء الأعداء ، لا يشيرون الى مواجهة الثوار الى اعدائهم الذين كانوا يدافعون عن امتيازاتهم ، لا يشيرون الى مؤامرات الملكية ضد الجمعية الوطنية ولهذا كان العداء لها ، ومحاولة حصارها ، خاصة من الدول الأوروبية المحيطة بها الأمر الذى لم يحدث للثورات السابقة والتقت الدول المتصارعة على وجوب تصفية الثورة ، وشنت الحرب عليها ، واحتضنت النبلاء الهاربين وقدمت لهم المساعدات كى يغيروا على باريس للقضاء على الثورة .


روبسبير رفاعة الطهطاوى

وبالطبع لم يقف الاعداء عند الاحداث التى جرت ، فهم لا يشيرون الى مؤامرات الملك والنبلاء ، وهروبهم خارج فرنسا والاستعانة ببعض الدول ، لعودة امتيازاتهم ، وإلى المؤامرات ضد الجمعية الوطنية ، وتجاهلوا ما أقدم عليه المارشال بروجلى ، يوم ان استخدم القوات المرتزقة من الالمان والسويسريين ضد الوطن وقد تصدت لهم جماهير

الثورة الفرنسية والفكر العربى

باريس - جماهير الثورة ، دفاعا عن الوطن ، كما حطمت هذه الجماهير فى نفس الوقت سجن الباستيل - رمز الاستعباد والظلم والقهر - فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وجعلت الثورة من هذا التاريخ عيدا لها ، ثم أصبح فيما بعد العيد القومى لفرنسا .

ولم يتوقف أعداء الثورة - حتى الآن - عن التشهير بها ، وقد أثارهم ان العالم يحتفل بمرور مائتى عام على قيامها .

فنجد أن الحركة الملكية الايطالية برئاسة السنيور سيرجو بوسكيرو ، قد شكلت لجنة لمحاربة الاحتفالات بذكرى الثورة الفرنسية ، وفى اجتماعاتها ، قال سيرجو :

أن الثورة الفرنسية كانت عبارة عن حركة معادية للشعب الفرنسى فى تلك الفترة ، كما أن اسطورة السيطرة الشعبية على سجن الباستيل لم تكن سوى عملية سطو على مخزن للأسلحة فى الباستيل ، الذى كان يستضيف سبعة مساجين فقط ، منهم ثلاثة مجانين ، وقال سيرجو - كما جاء فى وكالات الأنباء على لسانه : **إن الثورة الفرنسية قامت باكبر مجزرة فى حق الشعب الفرنسى ، حيث قتلت ٣٠٠ الف فلاح ، وأن الثورة الفرنسية منبع «الأرهاب العالمى» إذ ولدت هذا الظاهرة - الأرهاب - من الثورة الفرنسية على حد زعمه .**

اما روبسبير - أحد زعماء الثورة - فهو فى راى سيرجو : ليس سوى وحش معتوه ، متعطش للدماء ، لا اكثر ولا اقل

وفى مايو الماضى وبمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة الفرنسية ، أجرت مجلة «لوبوان» استطلاعا ، جاءت نتائجه - كما زعمت المجلة - أن ١٧ فى المائة من الفرنسيين يفضلون عودة الملكية الى بلادهم .

وفى فرنسا ، احتج عشرات الملكيين - مايو الماضى - على قرار اتخذته كنيسة جورسى - مقاطعة ألون العليا بترتيل اناشيد الثورة الفرنسية فى الكنيسة ، ولم يسفر الاحتجاج عن شىء ، فقام الملكيون بتوزيع بيانات معادية للثورة الفرنسية ، والاحتفال بها ، ولكن الكورس فى الكنيسة ظل ينشد اغانى الثورة الفرنسية .

● الثورة والعالم العربى

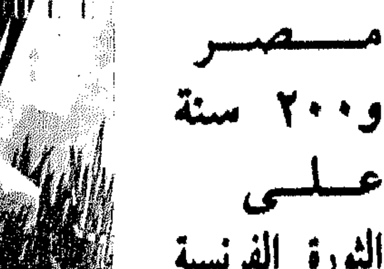
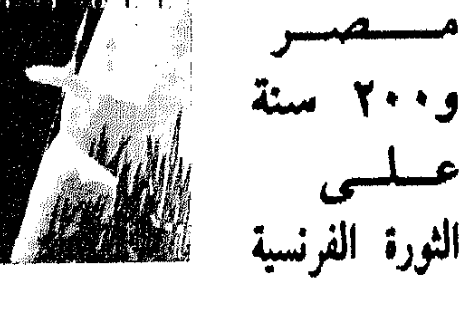
وقد انتشرت مبادىء الثورة الفرنسية - حرية - إخاء - مساواة ، انتشارا سريعا ، واثرت فى كثير من الامم والشعوب ، ولم يكن العالم العربى منعزلا عما يحدث فى اوروبا فتاريخ الاتصالات والعلاقات بين العرب والفرنجة يمتد منذ فتح العرب لأسبانيا ووصولهم جنوب فرنسا ، حتى كانت الحروب الصليبية ، وكانت حركة

التجارة مستمرة فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومن الوقائع التاريخية ما يرويه المؤرخ المصرى الشهير عبدالرحمن الجبرتى - اثناء فترة الثورة الفرنسية - فى كتابه «عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» - الجزء الرابع ص ٢٥٥ - ٢٥٦ - طبعة لجنة البيان العربى - القاهرة يقول الجبرتى . «فى سنة تسع ومائتين والف هجرية - ١٧٩٥ ميلادية» .

« وفى شهر ذى الحجة وقع من الحوادث ان الشيخ الشرقاوى له حصة بشرقية بلبيس ، حضر اليها اهلها وشكوا من محمد بك الألفى ، وذكروا أن اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ وقفلوا ابواب الجامع ، وأمر الناس بغلق الاسواق والحوانيت ، ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث رآهم ابراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم . فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها واحدثتموها» .

مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

ويصف الجبرتى المشاورات والاتصالات بين العلماء وابراهيم بك ومراد بك ، حتى التمس الأمراء الصلح ويقول : «وفى اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بك واجتمع الأمراء هناك ، وارسلوا الى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير ..

وطال الحديث (وانتهى الأمر بأن أعلن الأمراء) أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما اشترطه العلماء عليهم وانعقد الصلح على ان يقدموا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة وعلى ان يرسلوا غلال الحربية ويصرفوا غلال الشون واموال الرزق ويبطلوا لرفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتقارير والمكوس ماعدا ديوان بولاق وان يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى اموال الناس ، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة ، وكان القاضى حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وختم عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بك ، وارسلها الى مراد بك فختم عليها ايضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون

الثورة الفرنسية والفكر العربي

حسب ما رسم سادات العلماء بان جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية ، وفرح الناس وظنوا صحته . ويتوقف الدكتور لويس عوض عند هذه الواقعة « تاريخ الفكر المصرى الحديث » ويرى ان هذا الاجتماع التاريخى والمظاهرات التاريخية اسفرت عن عقد أول ميثاق مكتوب فى تاريخ مصر الحديث بين الحاكم والمحكومين ونص فيه على بعض اصول الحكم ، اهمها ابطال الظلم وأعمال السلب والنهب وابطال الضرائب الاستثنائية والغاء الجمارك الداخلية . هذه الوثيقة التاريخية استخلصها الشعب المصرى من حكام الترك والمماليك ، قبل ان تنقضى ست سنوات على الثورة واعلان حقوق الانسان فى فرنسا ، وغير معروف ان كانت فكرة اخذ تعهد كتابى على الحاكم قد نشأت من تلقاء نفسها فى رءوس العلماء المصريين أم أنها كانت صدى لما حدث فى الثورة الفرنسية ايام اعلان حقوق الانسان بلغ اسماع المثقفين المصريين فاهتزت له قلوبهم كما اهتزت قلوب الناس فى كافة ارجاء العالم المتحضر» .

ومها كان التفسير لهذه الواقعة ، سواء جاءت من افكار العلماء المصريين ، او من تأثير الثورة الفرنسية ، فإن افكار الثورة الفرنسية وشعاراتها قد سمع بها العلماء والعامة بعد ثلاث سنوات من هذه الواقعة من خلال منشورات نابليون حول الحرية والمساواة ، ولم يكن خافيا على المصريين خداع نابليون ، وطبيعة حملته الاستعمارية والتى قاوموها بشدة ، وقامت ثورات القاهرة ضدها حتى اضطرت للرحيل عن مصر عام ١٨٠١ ، لكن بقى فى اذهان العلماء والمصريين بعض الافكار . مشاركة العلماء فى الحكم عن طريق الديوان والموقف من المرأة والاهتمام بالعلوم والفنون .

وقد اعتبر بعض المؤرخين والمفكرين العرب ان بداية عصر النهضة العربية ، او بداية التاريخ العربى الحديث هو قدوم الغازى نابليون الى الشرق ، ومن هؤلاء البرت حورانى ـ فى كتابه «الفكر العربى فى عصر النهضة» والدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر المصرى الحديث» وبعض الابحاث التى جاءت فى كتاب «الفكر العربى فى مائة عام» ـ الجامعة الامريكية ـ بيروت .

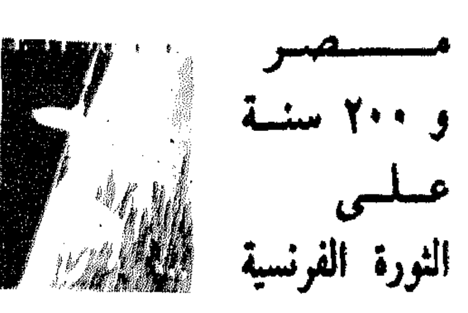
ويرى البعض مثل المفكر والأديب اللبنانى رئيف خورى ان الثورة الفرنسية لعبت دورا هاما فى تاريخ الفكر العربى وسجل ذلك فى كتابه «الفكر العربى الحديث ـ اثر الثورة

الفرنسية فى توجيهه السياسى والاجتماعى" واستشهد بنصوص عديدة للكتاب والمفكرين العرب .

وسنحاول متابعة تأثير الثورة الفرنسية على الفكر العربى من خلال كتابات المؤرخين والمفكرين والكتاب العرب .

يقول المؤرخ اللبنانى الكبير نقولا زيادة ـ فى بحثه عن الفكر العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر «زحفت افكار جديدة الى العالم العربى ، جاءته بشكل خاص مع اولئك الذين تأثروا بالثورة الفرنسية من هذه الأفكار «الحرية» ، كانت الكلمة تستعمل فى الفكر الدينى الاسلامى من حيث علاقتها بقضية الجبر والاختيار وحرية الانسان ، لكن الذى وصل الى بلادنا (الشام) فى هذه الفترة هو المعنى المدنى لكلمة «الحرية» من حيث دلالتها الاجتماعية والسياسية ومن حيث علاقة الفرد بالسلطة والمجتمع» .

ويرى نقولا زيادة ان الذين ذهبوا الى فرنسا من العرب ، تأثروا بالثورة الفرنسية تأثرا عميقا ، حتى الذين لم



يغادروا البلاد عرفوا الكثير عن الثورة الفرنسية عن طريق الخبراء والمعلمين كما ان المدارس التبشيرية الفرنسية التى قامت فى لبنان ، لم تستطع ان تتجنب الخوض فى الموضوع ولو بالتهجم عليه .

وفى بداية النهضة المصرية الحديثة ـ فى عهد محمد على ـ جاء تأثير الثورة الفرنسية من خلال طلاب البعثات التى ذهبت الى فرنسا ، والذى تصادف وجودهم فى فرنسا ايام الثورة الثانية عام ١٨٣٠ فعايشوا هذه الثورة ووقفوا على المبادىء التى انطلقت من الثورة الفرنسية الثورة الأم ، والتى أعقبتها ثورات اخرى .

وكان ابرز هؤلاء الطلاب رفاعة الطهطاوى والذى ترك لنا كتابا هاما عن رحلته فى باريس وما تلقاه فيها من ثقافة وما شاهده وتأثر به ، تحت اسم «تخليص الابريز فى تلخيص باريز ـ الديوان النفيس بإيوان باريس» .

وصادف وجود الطهطاوى فى باريس ، عهد الملك شارل العاشر (كانت بعثة الطهطاوى من عام ١٨٢٦ حتى ١٨٣١) ووزيره بولينياك الذى كان يريد الغاء كل اثر من آثار الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ وجاء الرد


روسو


فولتير

الثورة الفرنسية والفكر العربى

بثورة ١٨٣٠ ، والتى شاهدها الطهطاوى فى باريس واستمرت ثلاثة ايام عرفت «بالثلاثة المجيدة» وسقط شارل العاشر وجاء لويس فيليب .

شهد الطهطاوى ثورة الايام الثلاثة المجيدة ووصفها وصفا دقيقا فى كتابه ، وعنى بالدستور الفرنسى ونقله الى العربية قبل التعديل زمن شارل العاشر وبعد التعديل زمن لويس فيليب .

وقد حاول الطهطاوى ان يبحث فى تراثنا العربى الاسلامى ما يقابل ما يطرحه الفرنسيون ، واشار إلى ذلك فى بعض القضايا ! « وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف » .

وقد أدرك المستشرق كوسان دى برسفال ـ استاذ رفاعه ـ ما كان يهدف إليه تلميذه من كتابة « تخليص الإبريز ... » وكان تعليقه ان رفاعة أراد أن يوقظ بكتابه أهل الإسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة أهل التمدن الافرنجى والترقى فى صنائع المعاش وما تكلم عليه من المبانى السلطانية والتعليمات وغيرها" اراد ان يذكر به لاهالى بلده انه ينبغى لهم تقليد ذلك .

وقد ترجم الطهطاوى العديد من الكتب الفرنسية وأشرف على ترجمه كتاب فى تاريخ فرنسا ـ ترجمه حسن قاسم عن تاريخ شارل الثانى عشر ، وبرهان البيان فى استعمال واستخدام دولة الأمان لمونتسكيو وترجمه حسن الجبيلى .

وقد اهتم المفكرون والمثقفون العرب بالثورة الفرنسية ، وماطرحته من مبادىء حول الحرية والمساواة والحقوق الطبيعية والأمة والوطن والوطنية والقومية والجمهورية ، وتناقلها المفكرون والسياسيون فى ربوع الوطن العربى منذ القرن التاسع عشر ، وهم يضيفون إلى تلك المبادىء والآراء الكثير من تراثهم ومايفرضه عليه واقعهم .

وحين نتأمل الثورة العرابية فى مصر ، نرى تأثير أفكار الثورة الفرنسية التى ذاعت فى العالم ، وعبر عن هذه الأفكار مفكرو الثورة وقادتها ..

فالزعيم أحمد عرابى ، يتحدث فى مذكراته عن علاقته بسعيد باشا ـ حاكم مصر فى ذلك الوقت ـ فيقول : « ولشدة أعجابه بى أهدانى تاريخ نابليون بونابرت ـ باللغة العربية ـ طبع ببيروت ـ ولما طالعت هذا الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة ثورية دستورية » .

وفى دستور الثورة العرابية ـ ١٨٨٢ ـ تظهر تأثيرات الثورة الفرنسية على مبادىء هذا الدستور ، والتى منها : تقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب وتخويل المجلس حق إصدار القوانين بحيث لاتصدر إلا بتصديق منه وتقرير الميزانية ، والرقابة على أعمال الحكومة وموظفيها وإلزامها بعدم فرض اى ضريبة أو اصدار اى قانون أو لائحة ، إلا بعد تصديق المجلس عليها ، كما تضمن برنامج الحزب الوطنى ـ حزب الثورة العرابية ، الكثير من الشعارات التى طرحتها الثورة الفرنسية عن الحرية : حرية العقيدة ـ حرية الرأى ـ حرية المطبوعات .

وقد تآمرت قوى عديدة على إخفاء ما اعلنته الثورة الفرنسية ، ونسيت الدول أو تناست ، ما أعلنته شعوبها وما أكدته الثورة حول حقوق الانسان ، وأصبحت الدول الأوربية تتعامل مع الشعوب الاسيوية والافريقية بمنطق السيد والعبد ، وأعادت هذه الدول الاستعمارية ما حرمت منه من استبداد وسيطرة وتحكم ، فذاقتها للشعوب ، وكان الاستعمار الفرنسى للجزائر وتونس والمغرب ، ثم كان انتدابه بعد الحرب العالمية الأولى لسوريا ولبنان ، اما الاستعمار البريطانى فكانت مصر من نصيبه ، بعد آن تآمرت الدول الأوربية مجتمعة



على مصر فى عهد محمد على ـ ١٨٤٠ ـ وعلى الثورة العرابية ١٨٨٢ ـ ودعمت الخديو الخائن توفيق ، كما أعادت أوربا اسرة البوربون ثانية لحكم فرنسا لكن الاستعمار وكتابه لم يستطيعوا القضاء على الافكار التى تشبثت بها الشعوب من أجل حريتها ، وظلت مبادىء الثورة الفرنسية علامة مضيئة فى تاريخ الفكر الانسانى ، تستلهم منها الشعوب أفكارها وشعاراتها ، ولم يعد النظام الجمهورى بعيدا عن الأذهان .

ففى مصر ـ وفى ظل الاحتلال البريطانى ـ كتبت جريدة المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف عن النظام الجمهورى فقالت عنه « إنه غريزة كامنة فى طبع الانسان لأنه يعنى حكم الانسان لنفسه بنفسه ، ولايحركها إلا ظلم الملوك » ..

وفى أعقاب حادثة دنشواى ـ ١٩٠٦ ـ وبعد عزل كرومر ، أرادت بريطانيا أن تخفف قبضتها حتى لايحدث انفجار أو ثورة كالثورة العرابية ، فأباحت تكوين الأحزاب ، وظهرت عدة أحزاب مصرية ، كان

الثورة الفرنسية والفكر العربى

أهمها : الحزب الوطنى وحزب الأمة

ولكن الذى يعنينا فى هذا المجال هو ظهور أول حزب جمهورى فى مصر - عام ١٩٠٧ - برئاسة محمد غانم - خريج كلية الحقوق - وكان متشبعا بأفكار الثورة الفرنسية - ووصف الجمهورية الفرنسية بأنها أرقى نوع فى حكومات العالم »

وركز غانم على ضرورة تكوين حكومة جمهورية تجعل سيادة الأمة فى وادى النيل مصدر لكل سيادة فيه . والغريب أن محمد غانم نشر آراءه وأفكاره وكتب الكثير عن مساوىء أسرة محمد على ، فى جريدة الأحرار - عام ١٩٠٨ - والتى كان يملكها ويرأس تحريرها زميله وصديقه محمد وحيد - الموالى للانجليز وللاحتلال - والذى كتب مقالات بعنوان « سلامتنا من سلامة المحتلين » .. وفسر محمد وحيد تقديمه لزميله أنه لم يجد مكانا يعبر فيه عن رأيه فأفسح له صفحات جريدته ، رغم اختلاف أفكارهما تماما .. وكان محمد غانم يردد شعار الثورة الفرنسية : حرية - أخاء - مساواة - وذكر أن هذه الكلمات الثلاث يجمعها لفظ الجمهورية ، كما كان حزبه يحتفل بيوم ١٤ يوليو - ذكرى سقوط الباستيل ، وشارك الجالية الفرنسية فى مصر فى احتفالها بهذا العيد ، وحث المصريين على الاشتراك فى الحفل الذى كانت تقيمه الجالية الفرنسية فى حديقة الأزبكية باحياء ذكرى عيد الجمهورية الفرنسية وكان يغنى معهم نشيد المارسيلييز - الذى كتبه روجيه دى ليل .

ومن المفكرين والأدباء الذين تأثروا بالثورة الفرنسية : أمين الريحانى - جبران خليل جبران - جرجى زيدان - روحى الخالدى - محمد كرد على .

وفى مصر تأثر بها كثير من الكتاب والمفكرين والأدباء ، وصدرت عدة كتب عن الثورة الفرنسية نذكر منها ماكتبه : حسن جلال - الدكتور محمد صبرى السوربونى - الدكتور محمد فؤاد شكرى - الدكتور محمد أنيس .

كما ترجمت أعمال مفكرى الثورة الفرنسية : روسو - فولتير - مونتسكيو .

ويقول الدكتور طه حسين فى تقديمه لمقال عن روسو :

« لم يقف تأثير روسو السياسى عند إنشاء الثورة ، فأنتم تعرفون أثر الثورة الفرنسية ، فى نشر الديمقراطية فى أوربا ، بل فى بلاد الشرق بعد

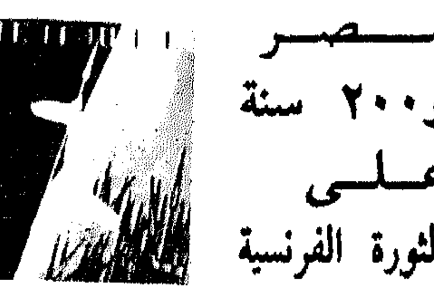
الحرب الكبرى ، فحياتنا عن الديمقراطية ومذهبنا عنه فى، فهم الحكم وفى مانريد من المثل السياسى الأعلى تتأثر بهذه الفكرة التى كان روسو أول من أشاعها وأذاعها فى كتابه « العقد الاجتماعى » .

ويقول سلامه موسى فى كتابه « حرية الفكر » .

« ليست الثورة الفرنسية فرنسية إلا بالاسم ، أما حقيقتها فعالمية ـ وأنت أيها القارىء لو قرأت الدستور الذى وضع لمصر ـ دستور ١٩٢٣ ـ لوجدت عليه مسحة « حقوق الانسان »

لافاييت موسيس عبقرية الانسان





التى أعلنتها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ووجدت فيه ألفاظا وعبارات تنم عن هذا الأصل » .

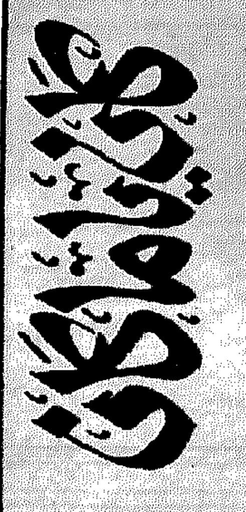
وهذه المسحة نجدها فى معظم الدساتير العربية ، كما نجد أفكار الثورة الفرنسية فى العديد من برامج الأحزاب فيما يتعلق بالحرية والديمقراطية ، وما أضيف إلى هذه الأفكار ، الأفكار الأشتركية ، التى تتحدث عن العدل الأجتماعى وحق الانسان فى الحياة .

فالافكار والآراء جهد إنسانى متصل ، وليس وقفا على أحد ، كما أن الفكر نتيجة جهود بشرية ، وقد استوعبت الثورة الفرنسية الجهود السابقة فى تاريخ الفكر الانسانى ، واضافت إليه وصاغته صياغة جديدة ، وأصبحت نقطة تحول فى التاريخ ، وأثرت فى كثير من الشعوب ، ومنها الشعب العربى ، لذا وجب علينا الاحتفال بمرور مائتى سنة على قيامه ، مشاركين بذلك أنصار الحرية فى العالم ، ومازلنا نتطلع إلى فكر اكثر ديمقراطية وأكثر عدالة وأكثر إنسانية ..



أيام من الثورة

تقديم : مصطفى درويش





مصر و٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

□ بعد وفاة لويس الخامس عشر بقليل وبالتحديد في العاشر من مايو ١٧٧٤ ، سمع الحفيد وملك فرنسا الجديد لويس السادس عشر الذي لم يكن له من العمر سوى عشرين عاما ، سمع هو وزوجته الصغيرة ماري انطوانيت ، ضجة رهيبة مصدرها جماعة من الخدم عبرت مسرعة قاعة المرايا ، جاءت للتهنئة باعتلاء العرش ..

واذا بالملكين اللذين في عمر الزهور راكعين متمتمين ..

« ربنا القدير ، احمنا ، قدم لنا يد العون لاننا شابان قاصران عن الحكم » ..

هذا الوجه الجديد لاسرتي البوربون والهابسبورج اكثر اسر اوروبا عراقة والذى استقبل في كل ارجاء فرنسا والنمسا بحماس شديد .. ترى كيف انتهت به الاقدار؟

لم يمر على هذا الابتهال سوى تسعة عشر عاما الا وكان لويس السادس عشر محكوما عليه بالاعدام ، مسوقا الى ميدان الثورة (الكونكورد) حيث تنتصب الآن بدلا من المقصلة مسلة رمسيس شامخة تناطح السماء ، مستنجدا بالجماهير الغفيرة صارخا فيها « ايها الشعب انى اموت بريئا » .

وماهي إلا لحظات - وبعد عذاب - حتى كان راسه في قبضة الجلاد ، يعرضه على الجمهور المتعطش للدماء الزرقاء والذى كان هتافه « عاشت الأمة » يشق عنان السماء ..

ونفس المصير لقيته « ماري انطوانيت » بعد ذلك بتسعة شهور الا قليلا (١٦ اكتوبر) .

حين ساقوها الى نفس الميدان حيث ضرب عنقها .

فلما انفصل راسها عن جسدها ، عرضوه على حشود الجماهير التي هاجها الفرح وعلت حناجرها بنفس الهتاف .

وخلال تلك الحقبة الجدّ قصيرة الواقعة فيما بين التتويج والأعدام مرت بالعالم ايام واعوام لم يبق منها حيا على شاشة ذاكرة التاريخ سوى يوم واحد اغر الا وهو يوم ١٤ من يولية لعام ١٧٨٩ .

اما لماذا انفرد هذا اليوم بمثل هذا المركز في ذاكرة التاريخ على امتداد قرنين من عمر الزمان ، فذلك ما تحكيه وقائع الاشهر القليلة السابقة عليه والممهدة له ، ووقائع الاعوام العشرة التالية له ، بكل احداثها الجسام .

الفرنسية .. لها تاريخ

النبـلاء



الثورة

■ المعتاد التاريخ للثورة الفرنسية من يوم الخامس من مايو ١٧٨٩ فتحت وطأة افلاس الدولة وازمة اقتصادية طاحنة اضطر الملك الى دعوة مجلس يضم ممثلين منتخبين من الطبقات الثلاثة : النبـلاء ، ورجال الـدين (الاكليروسي) وعامة الشعب ، الى الانعقاد في فرساي ..

وكان قد مر زهاء قرنين على ذلك المجلس دون انعقاد (١٦١٤)

وبطبيعة الحال تراس الملك اول اجتماع وكان لطبقتي النبلاء ورجال





مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية

الشعب يئن تحت حمل النبلاء والاكليروس

الدين ستمائة ممثل ولطبقة عامة الشعب عدد مماثل من بينه حوالى مائتى محام ورجل قانون ، ونحو مائة مصرفى ومايقارب الخمسين من ملاك الاراضى ، فضلا عن نفر من العلماء والاساتذة والكتاب .

وسرعان ماقامت مشادة عنيفة حول طريقة الاقتراع ..

وكان السؤال المطروح .

هل ينبغى ان يكون الاقتراع حسب الاشخاص فيكون عدد الاصوات مماثلا لعدد اعضاء المجلس .

أم حسب الطبقات . فيقتصر الامر على ثلاثة اصوات لاتزيد ..

فى الحالة الأولى يصبح فى امكان الطبقة الثالثة الاعتماد على عدد اصوات ممثليها ، مضافا اليهم اصوات بعض المنشقين من النبلاء ورجال الدين ، مما يؤمن لها الاغلبية فى نهاية المطاف ..

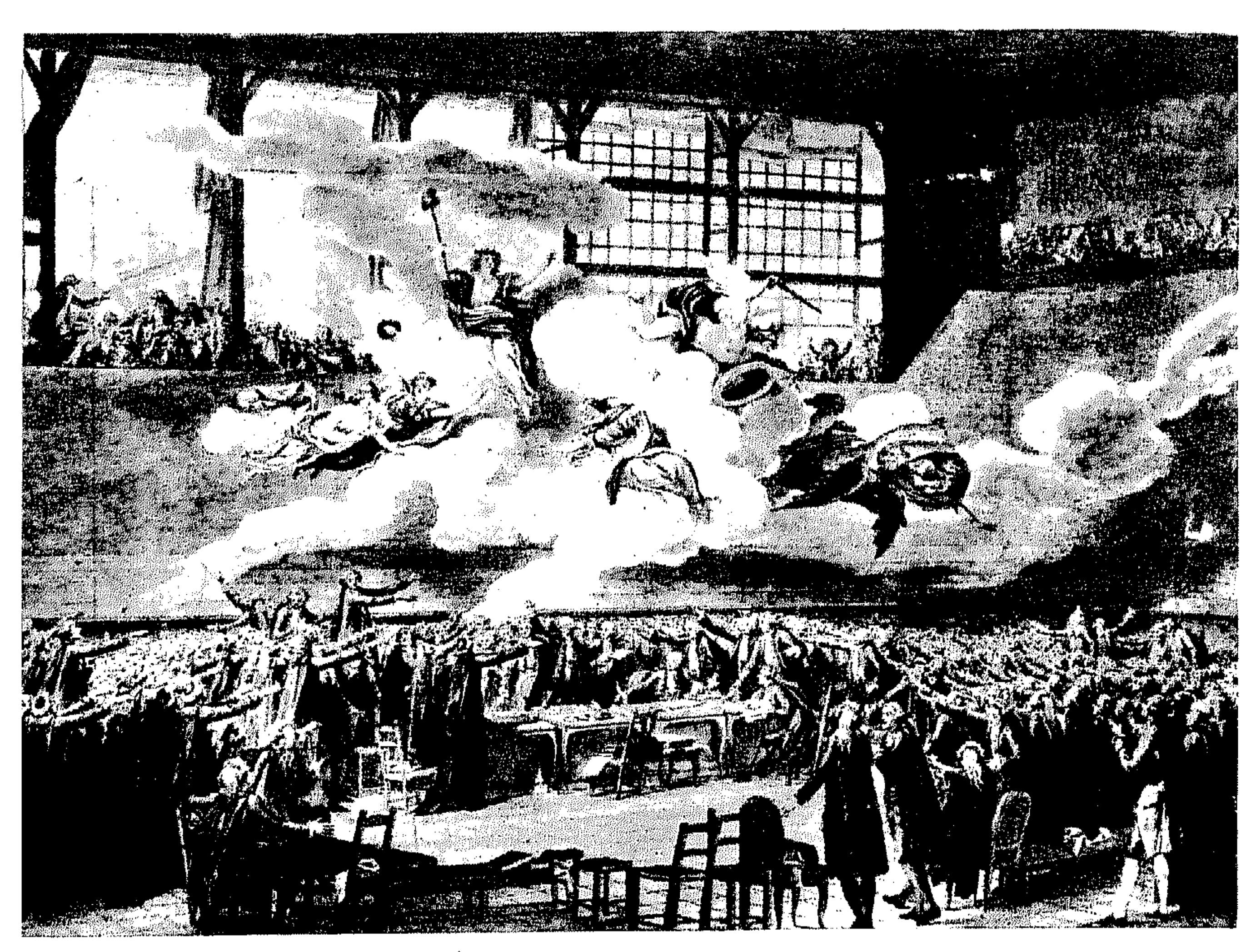
وفى الحالة الثانية يصبح تفوق طبقتى النبلاء ورجال الدين ، بفضل اتحاد صوتيهما ، امرا اكيدا .

وقد عبر « الاب سييس » عن شعور الطبقة الثالثة (البرجوازية) الغنية بالافكار وبالطاقة على العمل وبالمال ، عبر عنه حين كتب متسائلا :

« ماهى الطبقة الثالثة ؟ انها الدولة برمتها ماهو نصيبها من المهام السياسية ؟ لاشىء اطلاقا .

بماذا تطالب .. ؟

ان تصبح شيئا فى الدولة » .



جمعية وطنية وتأسيسية

□ عندما باءت بالفشل جميع محاولات حل عقدة الاقتراع المستعصية ، استقر عزم ممثلي الطبقة الثالثة على حل جذري .

فكان قرارهم بالانسحاب من الاجتماع الذى دعا اليه الملك وفى ١٧ من يونية ١٧٨٩ اعلنوا انفسهم جمعية وطنية .

وبصفتهم كذلك امروا المواطنين بالاستمرار فى دفع الضرائب ، اذا ما استمرت الجمعية فى الانعقاد .

وبحجة ان ثمة اعمال تصليح فى قاعة الاجتماع ، منع الملك ممثلى الطبقات الثلاث من دخولها ، مما اضطر ممثلى الطبقة الثالثة الى الاجتماع فى ملعب (تنيس) قريب (٢٠ يونية) حيث اقسموا على مواصلة المداولة الى يوم ان يوضع دستور للبلاد ..

بعد ذلك بثلاثة ايام حاول الملك فض الاجتماع .

فلما رفضوا الاذعان « الا على اسنة الرماح » (كونت دى ميرابو) تراجع الملك متنازلا عن امتيازاته الى مجلس تشريعى يضم ممثلى جميع الطبقات ، هو فى حقيقة الامر جمعية تاسيسية منوط بها صياغة دستور مكتوب ●



سقوط الباستيل

□ راقب الباريسيون بقلق الصراع في فرساي ، وهللوا كثيرا لخروج الطبقة الثالثة من معركة الاقتراع مكللة باكاليل الغار .

وعندما جاءهم خبر قيام الملك بابعاد وزير المالية المحبوب « نيكر » لانه من دعاة الاصلاح ..

وباستدعاء بعض القوات الموالية له وحشدها على وجه يتهدد العاصمة بسوء المصير ، تجمعوا مسلحين بالبنادق والرماح ..

وفي ١٤ من يوليو انفجرت الثورة ..

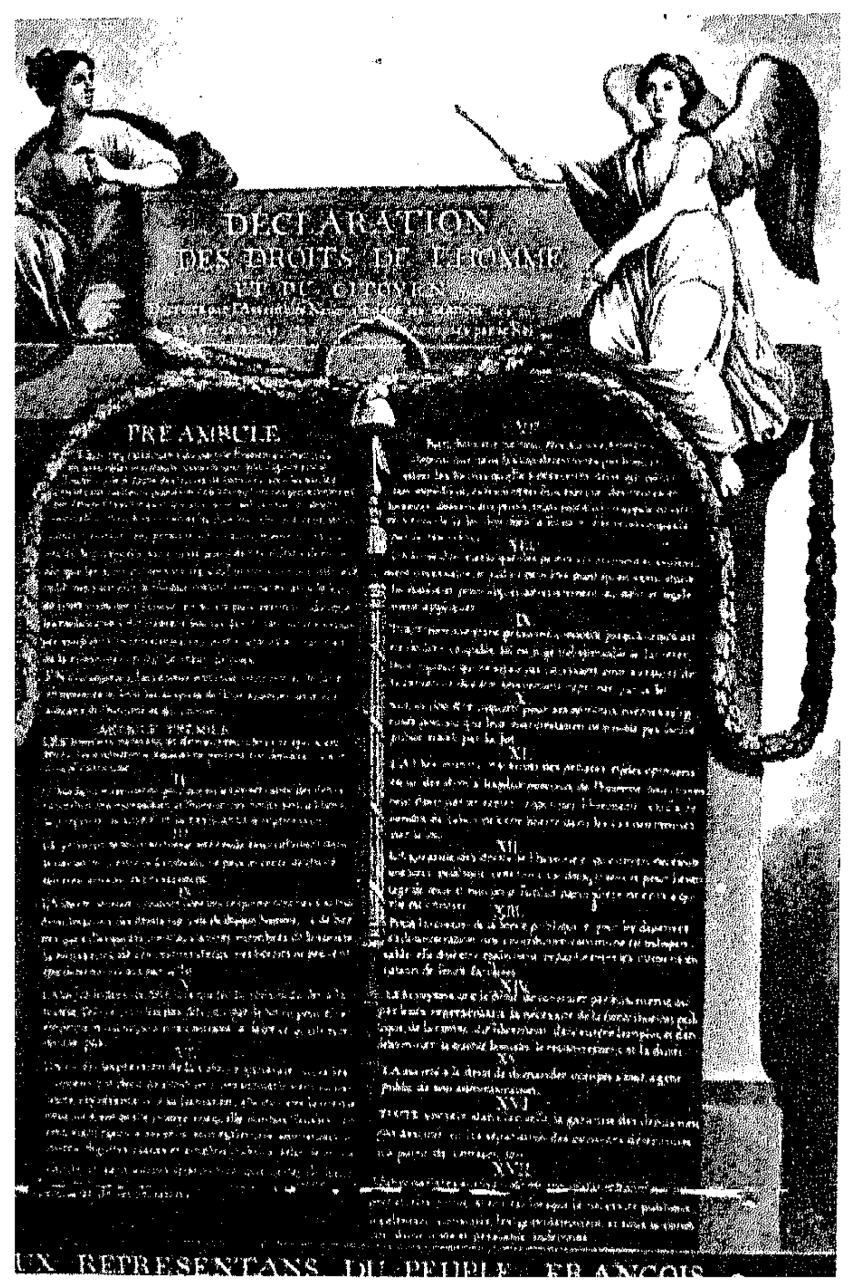
واذا بالجماهير تعصف بالباستيل ، تلك القلعة العتيقة التي كان العهد القديم قد تحول بها الى سجن غدا رمزا للقهر والاستبداد ..

ومن سخريات الاقدار انه لم يكن بين جدرانه يوم سقوطه سوى سبعة سجناء بينهم مجنونان !! ...

وما ان انتصر شعب باريس حتى تراجع الملك مرة اخرى واعاد الوزير المحبوب وزيرا ● ..

العصف بالباستيل

المبادىء الخالدة



إعلان حقوق الانسان

□ ازداد الغليان فى ربوع الريف حيث اندفعت الجموع تحرق بيوت النبلاء والمراقبين الماليين ..

وابتغاء احتواء هذا الغليان ، بادرت الجمعية التاسيسية اثناء جلستها المنعقدة مساء الرابع من اغسطس ١٧٨٩ الى الغاء حقوق الاشراف ، وفتح باب الترقى مدنيا وعسكريا امام افراد جميع الطبقات دون تمييز ..

وفى السابع والعشرين من نفس الشهر اعلنت الجمعية حقوق الانسان والمواطن .

وهى مستوحاة فى مجموعها من اعلان امريكى مماثل (١٧٧٦) .

وبموجبها اصبح لكل مواطن الحق فى الحرية والمساواة والملكية والأمان ..

واصبح على كل مواطن واجب الدفاع عن هذه الحقوق لا لنفسه فحسب ، وانما من اجل الآخرين ● ..





ثورة النساء

□ غدت باريس عاصمة مسلحة ، متذمرة ، يتهددها خطر الجوع وبرد الشتاء ..

وهاهو ذا شعبها يتدخل مرة اخرى لانقاذ الثورة .. كيف ؟ ..

ما ان انتشر خبر ان الملك يماطل فى التصديق على تشريعات ليلة الرابع من اغسطس المجيدة ..

وان الملكة باركت فرقة من المرتزقة الأجانب بمشاركتها العشاء ..

وان حناجر جنود تلك الفرقة علت بهتافات تحمل للاصلاح العداء ..

حتى توجه موكب من آلاف النساء (١٧٨٩/١٠/٥) الى قصر «فيرساى» مطالبا ..

اولا بالخبز وثانيا بانتقال الاسرة المالكة والجمعية التاسيسية الى باريس ..

ومع الاستجابة الى الطلب الأخير ، وانتقال البلاط الى قصر التوليرى بالعاصمة ، اصبحت الاسرة المالكة رهينة فى ايدى الثوار ● .



نشيد الثورة

النشيد

في فجر العشرين من سبتمبر اى قبل اعلان الجمهورية بساعات معدودات ..

استطاع الجيش الفرنسي بمؤازرة الثوار دحر الجيش البروسي الرهيب قريبا من « فالمي » من اعمال مقاطعة شامبانيا ..

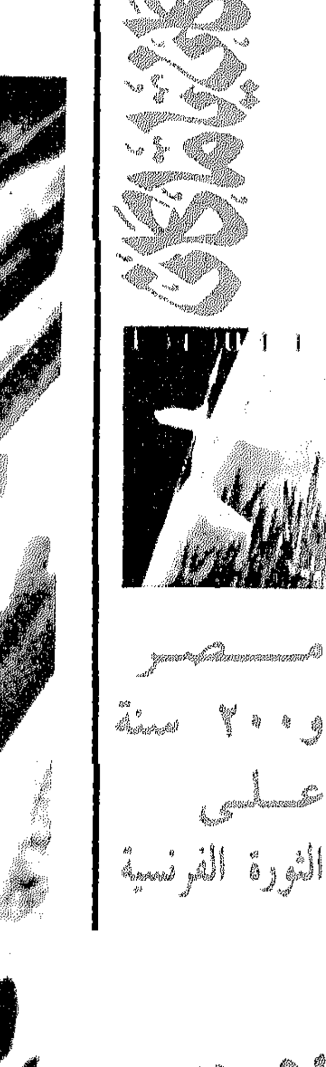
وعن هذا النصر كتب الشاعر الالماني « جوته » الذى كان احد شهود المعركة ..

« اليوم ، ومن هذا المكان بدأ عصر جديد في تاريخ العالم » ..

ومع هذا النصر اخذ في الانتشار نشيد الحرب ، ذلك النشيد الذى اطلقوا عليه فيما بعد نشيد « المارسيلييز » ..

وهو من تاليف الضابط « روجيه دى ليل » الذى ابدعه في مدينة ستراسبورج ..

وكان اول من انشده مجموعة من الرجال شدت الرحال من مارسيليا الى باريس حيث شاركت في العصف بقصر التويلرى .



مصر و ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية



ماري انطوانيت

الهروب

□ في ليل الواحد والعشرين من يونيه ١٧٩١ ترك الملك قصر التوليري متوجها مع زوجته وطفليهما الى الحدود الشرقية حيث كانت تتجمع فرق من الجيش غير مشكوك فيما تحمله للملك من حب وولاء ..

وعندما ضبط الملك في « فارين » متلبسا بحمل جوازات سفر مزورة ، اعيد مقبوضا عليه ، هو واسرته ، الى باريس حيث اوقفته الجمعية التاسيسية عن ممارسة جميع ما له من سلطات (١٧٩١/٦/٢٥) ..

هذا ولم يسترد تلك السلطات الا بعد ان وافق في الرابع عشر من سبتمبر على قبول الدستور ● .

نهاية عصر

□ لم يبق للاسرة المالكة وبالذات ماري انطوانيت سوى امل واحد ، الا وهو التدخل الاجنبي من جانب النمسا وبروسيا ..

وعندما علمت الجمعية التشريعية التي جرى انتخابها اثر

حل الجمعية التأسيسية في خريف عام ١٧٩١ ، ان جيوشا يقوم امبراطور النمسا وملك بروسيا بحشدها على حدود فرنسا بغية اغاثة الملك « لويس الطيب » ..

بادرت باعلان الحرب على هاتين الدولتين .

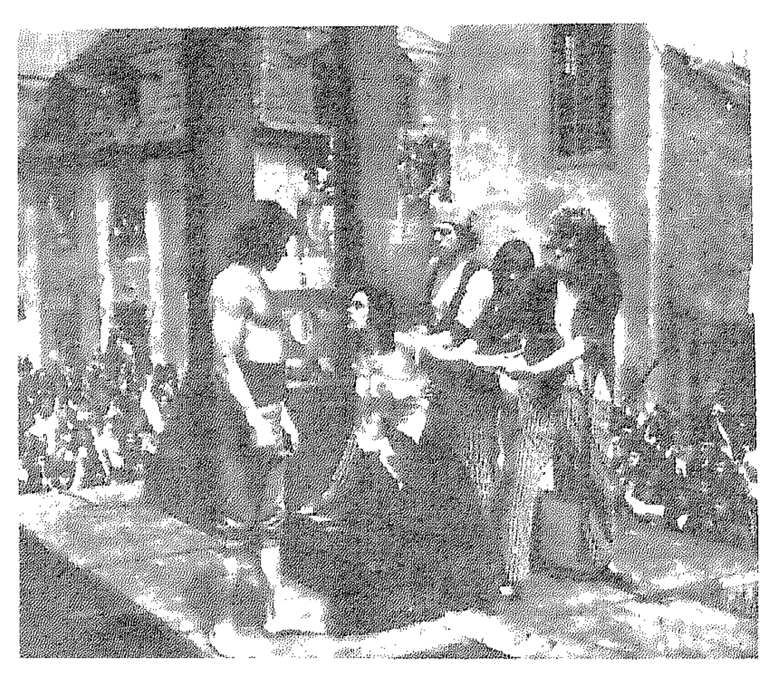
وتحت تأثير الجوع والحرمان وخطب دانتون النارية زحفت على قصر التويليرى جموع مسلحة بعضها من باريس والاخرى من مارسيليا (١٧٩٢/٨/١٠) .

فما كان من الملك الا ان لجأ الى الجمعية التشريعية التى لم تستطع حمايته .. وذلك لانها بدورها كانت تلفظ الانفاس الأخيرة .

وعلى كل فما ان انعقدت الجمعية الوطنية الجديدة عقب انتخابها حتى بادرت بالغاء الملكية واعلان الجمهورية .. وكان قرارها هذا بالاجماع (١٧٩٢/٩/٢١) .. سقطت دولة البربون وانتهى عصر ● ..



مارا مغتالا



إعداء الشعب



أعداء الشعب

□ بدأ العصر الجديد والجمهورية مهددة بالغزو من الخارج وبالحرب الأهلية فى الداخل .

وكان ان انقسمت فى مواجهة هذه الاخطار صفوف الجمهوريين فى الجمعية الوطنية الى اغلبية معتدلة من الجيروند واقلية من الجبليين تستطيع ان تحرك الشارع .

وقد وضح هذا الانقسام بجلاء عند التصويب فى تلك الجمعية على اعدام الملك ..

فالرأى القائل بضرورة اعدامه لم يفز الا باصوات ثلاثمائة وواحد وستين نائبا من بين سبعمائة وواحد وعشرين نائبا اى ان اعدامه بتهمة الخيانة العظمى لم يرجح الا بفضل صوت واحد .

ومع اتساع هوة الخلاف بين الثوار وانهزام جيوش الجمهورية وخيانة بعض القواد والتضخم وانهيار الاقتصاد ..

جرى تشكيل لجنة الأمن العام وبدأ عصر الارهاب يكثر فيه الضحايا من النبلاء والثوار والعلماء على حد سواء ..

عصر باهر مفعم بالأمجاد ..

عصر مفعم بالأسى يغتال فيه صوت الشعب « جان بول مارا » بأيدى « شارلوت كوردى » المخضبة بالدماء ..

عصر ينتهى بقادة الثورة « دانتون » ، « كاميل ديمولين » ، « سان جوست » ، « روبسبيير » وغيرهم كثير

ينتهى بهم جميعا الى المقصلة حيث تجتث رءوسهم وسط تهليل وتكبير الجماهير !!

الكورسيكى المفتون

ما ان انتهت مؤامرة ترميدور (٢٧ يولية ١٧٩٤) التى راح ضحيتها روبسبيير ورفاقه اجمعون ، حتى استبد بالجمهورية الفساد متمثلا فى حكومة الديركتوار (١٧٩٥ ــ ٩٩) ..

وبدأ نجم ضابط شاب من جزيرة كورسيكا فى الصعود بفضل انتصاراته فى الحملة الايطالية ، ومغامراته فى الحملة المصرية ..

وفى التاسع من نوفمبر ١٧٩٩ (١٨ بروميير) قام ذلك الضابط بانقلاب عسكرى ..

ويعتبر التاريخ الاخير نهاية الثورة الفرنسية ، فمن بعده اصبح نابليون بونابرت قيصرا امرا ناهيا ثم امبراطورا طاغية لاتطيق اذناه سماع كلمتى ثورة وحرية تردان على اى لسان ..




بليون .. بوجه مارلون براندو



ثم كانت غزوات ونزوات انتهت بواقعة « ووتارلو » وعزل ابن كورسيكا على صخرة سنت هيلانة الموحشة في عرض بحر الظلمات ..

وعاد « البوربون » الى ملكهم في فرنسا ، وعاد في ذيلهم اشراف الاقطاع .

حاول « نابليون » ان يمحو عام ١٧٨٩ بعام نهاية الثورة ١٧٩٩ وفشل ..

فمن منا يتذكر عام الغروب .. ومن منا لايتذكر عام الشروق ، عام بداية تلك الثورة التي تركت في العالم آثارا بعيدة عميقة ليس الى محوها من سبيل .

نابليون بونابرت



التنوير بين العرب

التنوير ظاهرة حضارية نشأت فى النصف الثانى من القرن السابع عشر على نحو مايرى بول هازار فى كتابه « أزمة الضمير الأوربى » أو فى نهاية القرن السادس عشر فى انجلترا على نحو مايرى كريستوفر هلى فى كتابه « الأصول العقلانية للثورة الانجليزية » .

وهذا التباين فى تاريخ التنوير يلازمه تباين فى معناه . فهو قد يعنى وحدة المعرفة ، أى مزج اللاهوت بالفلسفة ، والايمان بالفكر الوثنى اليونانى والرومانى . وقد يعنى التبشير بالنزعة الانسانية ، أى البحث فى قيمة الانسان وشروط سعادته ، وقدرته على مواجهة القدر .

● وقد يبدو لأول وهلة أن هذه المعانى متباينة ، ولكن مع النظرة الفاحصة ندرك أنها تدور على علمانية الثقافة وبزوغ الانسان العقلانى . وقد كانت الثورة الفرنسية معبرة عن هذه العلمانية والعقلانية .

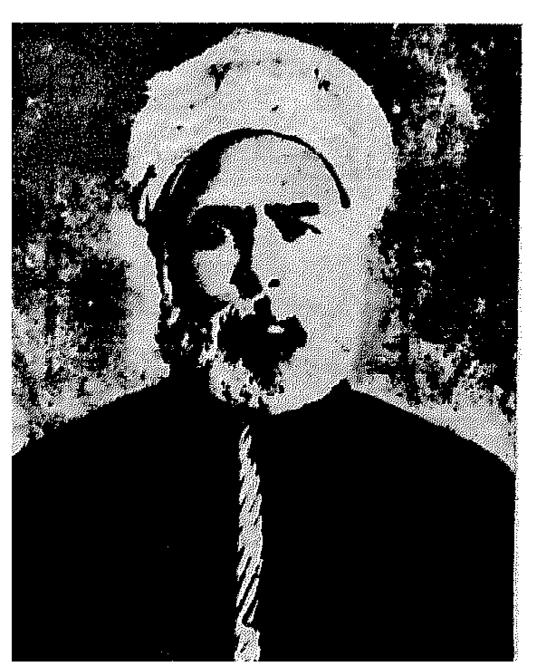
العلمانية (بفتح العين) هى تحديد للوجود الطبيعى والانسانى ببعدين هما الزمان والمكان ، أى هى تفكير فى النسبى بما هو نسبى وليس بما هو مطلق . أما العقلانية فهى عقلانية التنوير التى ترفض كل سلطان ماعدا سلطان العقل . ولهذا فان هذه العقلانية هى تتويج للعلمانية . ومن أجل مزيد من الايضاح أترجم هنا جزءا . من مقال لفيلسوف التنوير عمانوئيل كانط :

« التنوير هجرة الانسان من اللارشد ، فاللارشد هو علة هذه الهجرة ، وهو عجز الانسان عن الافادة من عقله من غير معونة الآخرين . كما ان اللارشد سببه الانسان ذاته هذا اذا لم يكن سببه نقصا فى العقل ، وانما نقص فى التصميم والجرأة على استخدام العقل من غير معونة

بقلم: د. مراد وهبه

الآخرين . كن جريئا فى استخدام عقلك . هذا هو شعار التنوير . فالكسل والجبن هما السببان فى بقاء معظم البشر فى حالة اللارشد طوال حياتهم ، مع ان الطبيعة قد حررتهم من الاعتماد على الآخرين . بل هما السببان فى تسهيل الأمر للآخرين . انه يطيب لنا ان نكون من غير الراشدين ، بل يطيب لنا ان يكون الكتاب بديلا عن عقلى ، والكاهن بديلا عن وعى ، والطبيب مرشدا لما ينبغى تناوله من طعام . وليس ثمة مبرر للتفكير اذا كان فى مقدورى شراؤه . فالآخر كفيل بتوفير جهدى . ان

الشيخ محمد عبده



الغالبية العظمى من البشر تدرك ان الطريق الى الرشد ليس فقط وعرا بل محفوفا بالمخاطر » .

ولا أدل على هذه المخاطر من أن كانط نفسه قد وجهت اليه رسالة ملكية تعرب عن عدم رضا الملك لكتابه « الدين فى حدود العقل الخالص » ، ويطلب منه الكف عن نشر أضاليله . بل إن هذه المخاطر قد لازمت فلاسفة التنوير فى فرنسا . فقد صدر أمر السلطة باحراق كتاب فولتير « رسائل فلسفية » وحبس ديدرو ستة أشهر بسبب كتابه « خواطر فلسفية » وتوقف دالامبير عن الكتابة فى « الموسوعة » بسبب الحملات العنيفة من جانب المتدينين . وعلى الرغم من هذه الحملات اشتعلت الثورة الفرنسية بقيادة فلاسفة التنوير والطبقة البرجوازية الصاعدة على أنقاص الطبقة الاقطاعية فى تلاحمها مع الحق الالهى للملك .

● ابن رشد ومفهوم التاويل

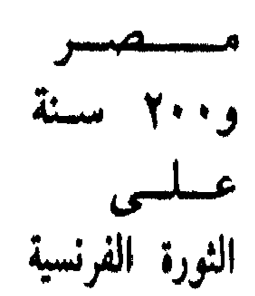
والغريب فى أمر التنوير الأوربى على الاطلاق والتنوير الفرنسى على

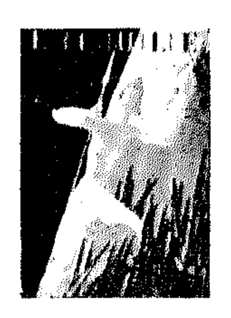
التنـويــــر
بين العرب والغرب

التخصيص أنه لم ينشأ من فراغ فله جذور وفى الامكان الكشف عن هذه الجذور اذا تعقبنا مسار التطور الفكرى فى أوربا ابتداء من عهد فردريك بارباروسا فى القرن الثانى عشر عندما دخل فى صراع مع السلطة الدينية والطبقة الاقطاعية . وأشير عليـه بتكوين مجموعة من الباحثين لترجمة مؤلفات ابن رشد لتكون سندا له فى توجيه هذا الصراع . وقيمة ابن رشد كامنة فى مفهومه عن « التأويل » فى كتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حيث يقول : « والمعارف التى قد يكشف عنها النظر البرهانى ، اما ان تمت الى ماقد سكت عنه الشرع أو ماصرح به . فاذا كان قد سكت عنه فلا اشكال فى الأمر اذ شأنه فى ذلك شأن الأحكام الفقهية التى لم يتطرق اليها الشرع وانما استنبطت بالقياس الشرعى . واذا كان قد صرح به فاما ان يكون مما يتفق مع مايقضى اليه البرهان او لايتفق . فاذا لم يتفق تحتم تأويله ، أى اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية(١)

والتأويل ، عند ابن رشد ، يختص به « الراسخون بالعلم » دون سواهم : فاذا ذهب مفكر الى ان تقرير مايجوز تأويله ومالايجوز انما يكون باجماع المسلمين قلنا ان من ائمة النظر من لايقطع بتكفير من خرق الاجماع فى التأويل .[٢] **وانا أعتقد ان هذا المفهوم للتاويل هو السبب الحقيقى فى نقمــة الخليفــة المنصــور والجمهور على ابن رشد** . فقد أمر الخليفة ابن رشد بالاقامة الجبرية بمدينة اليسانة مع عدد من المشتغلين بالحكمة والعلوم ، كما أمر باحراق كتبه وسائر كتب الفلسفة وحظر الاشتغال بالفلسفة .

أما فى اوربا فبعد ترجمة مؤلفات ابن رشد دار صراع حول أفكاره وانقسم الفلاسفة المدرسيون الى فريقين : فريق يأخذ بأقواله دون تحفظ ، وفريق ينعى عليه اصطدامه الصريح ببعض جـوانب الحقيقة المنزلة وقد تزعم الفريق الأول سيجر دى برابانت حامل لواء الرشدية اللاتينية فى باريس فى القرن الثالث عشر . وتزعم الفريق الثانى القديس توما الأكوينى وبلغ من حدة الصراع بين هذين الفريقين أن اضطرت السلطات الكنسية الى التدخل فأدانت عام ١٢٧١ ، ١٢٧٧ عددا من القضايا الفلسفية الكبرى التى تلزم عن « تأويل » ابن رشد . ومع ذلك أستمر اثر ابن رشد طيلة عدة قرون حتى القرن الثامن عشر ، قرن التنوير . وهكذا يمكن القول بأن من بين جذور التنوير فلسفة ابن رشد وعلى الأخص مفهوم « التأويل » .





● مفهوم العلمانية

اما عند العرب فلا أثر لأبن رشد ، فقد انتهى منذ إحراق مؤلفاته . وحتى عندما أراد فرح انطون احياء ابن رشد فى كتابه « ابن رشد وفلسفته » الذى استخلص منه فرح انطون مفهوم العلمانية هاجمه الشيخ محمد عبده على الرغم من العلاقة الحميمة بينهما بحجة ان فصل الدين عن الدولة ليس فقط امرا غير مرغوب بل هو أمر محال .

اما رفاعه الطهطاوى فيبدو أنه قد وعى الدرس بدقة . ففى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » يضع تحفظات وتنبيهات وتحذيرات الى القارىء تدور على السيئات التى يتسم بها العقل الأوربى ، وعلى الأخص عقل التنوير الفرنسى بالرغم من انه قد ترجم ، مدة اقامته فى فرنسا ، اثنى عشر كتابا ، وقرأ « روح القوانين » لمونتسكيو ، و« العقد الاجتماعى » لروسو ، ومعجم الفلسفة لفولتير . **وكل هذا يعنى ان رفاعة ، وهو ينقل ثقافة التنوير كان يدعو فى نفس الوقت الى عدم تمثل هذه الثقافة .**

والسبب في ذلك ان روسو ومونتسكيو وفولتير كانوا يدعون الى تأسيس مجتمع لايستند إلى أسس دينية وانما الى أسس مدنية لأن المجتمع من صنع الانسان وحده . ولهذا أخطأ البرت حوراني حين قرر أن فكر التنوير الفرنسي قد ترك أثرا في رفاعة وفي العقل المصرى بفضل رفاعة »[٣] .

اما الشيخ على عبد الرازق فقد كان جسورا في الاعلان عن تاثره بالتنوير في كتابه « الاسلام واصول الحكم » وعلى الأخص تاثره بنظرية العقد الاجتماعي وتاسيسا على هذا ، التاثر انكر الشيخ عبد الرازق الخلافة من حيث هى مفهوم ديني . يقول « الواقع المحسوس الذى يؤيده العقل ، ويشهد به التاريخ قديما وحديثا ان شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لاتتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذى يسميه الفقهاء خلافة ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء . والواقع أيضا أن صلاح المسلمين في دنياهم لا يتوقف على شيء من ذلك . فليس بنا من حاجة الى تلك الخلافة لأمور ديننا ولا لأمور دنيانا »

ثم هو ينكر الربط بين الدين والدولة . يقول « إن السلاطين قد



فولتير

روجوا لهذا الخطا الذى ساد بين الناس ان الخلافة مركز ديني ليتخذوا من الدين درعا تحمى عروشهم وتزود الخارجين عنهم . ومازالوا يروجون له من طرق شتى حتى افهموا الناس ان طاعة الأئمة من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا السلطان خليفة الله على ارضه ، وظله الممدود على عباده !!

● خطط سياسية

ويخلص من ذلك الى القول « والحق ان الدين الاسلامي برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ماهيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة ، والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية ، كلا ولا القضاء ولاغيرهما من وظائف الحكم

ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ، ولا أمر بها ولانهى عنها ، وإنما تركها لنا ، لنرجع فيها الى أحكام العقل ، وتجارب الأمم ، وقواعد السياسة » !!

وإثر صدور الكتاب بهذا التوجه التنويرى حوكم الشيخ على عبد الرازق امام هيئة كبار العلماء بحضور اربعة وعشرين عالما من علماء الهيئة بدعوى ان كتابه يحوى امورا مخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الأمة . ومن هذه الأمور قوله ان الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا . وقوله إن حكومة ابى بكر والخلفاء الراشدين كانت لادينية .

ثم صدر الحكم باجماع الآراء باخراج الشيخ على عبد الرازق من زمرة العلماء ، ومحو اسمه من سجلات الجامع الأزهر ، وطرده من كل وظيفة ، وعدم أهليته للقيام باية وظيفة عمومية



دينية كانت أو غير دينية .[٤]

وقد أيد هذا الحكم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده فى مجلة « المنار » متهما الشيخ على عبد الرازق بالالحاد والزندقة .

وفى بداية الأربعينيات تبلور قرار هيئة كبار العلماء ضد الشيخ على عبد الرازق فى صورة حزب اسلامى هو جماعة الاخوان المسلمين . وهذا الحزب جماهيرى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . وهو يقف ضد « التنوير » باعتباره ظاهرة غربية استعمارية تقع فى مجال مايسميه سيد قطب المنظر لهذه الحزب ، « المجتمع الجاهلى » .

وانا اعتقد انه ليس ثمة حزب جماهيرى مناقض لحزب الاخوان المسلمين ، وبالتالى ليس ثمة تنوير .

مراجع

(١) ابن رشد ، فصل المقال : ص ٨

(٢) نفس المرجع .

3) Albert Hourani, Arbic thousht in the Liberal Age, Oxford University Press, 1970, p · 96

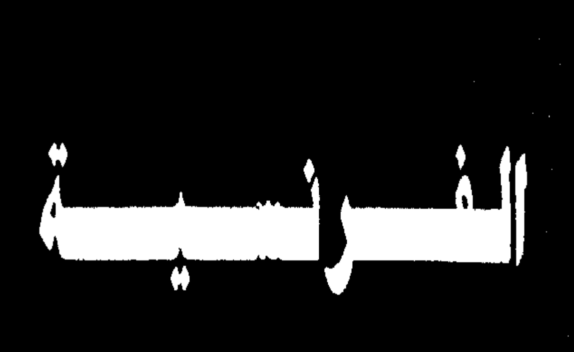
(٤) المقطم ، ٤ سبتمبر ١٩٢٥ .

ثوريــة الثــورة

تثير احتفالات فرنسا بمرور مائتى سنة على قيام الثورة الفرنسية وعلى سقوط الباستيل يوم ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ كثيرا من الجدل والنقاش فى الخارج ؛ ويعجب بعض الكتاب والمؤخرين وبخاصة فى امريكا لذلك الاهتمام (المحموم) بذكرى سقوط الباستيل ويتساءلون عما إذا كانت أحداث الثورة الفرنسية وما صاحبها من عنف وإرهاب ومذابح تستحق كل هذا الاهتمام الذى تجاوز حدود فرنسا وامتد إلى كثير من دول العالم بحيث صدر فى العام الماضى وبداية هذا العام عدد كبير من الكتب والدراسات الجادة كما عقدت الندوات العلمية حول فلسفة الثورة وانجازاتها وتاثيرها فى مسيرة التاريخ العالمى.

● علاوة على الاستعدادات الهائلة التى تقوم بها الحكومة الفرنسية والفرنسيون أنفسهم للاحتفال بهذه المناسبة على نحو مهيب لم ير العالم فى الأغلب مثيلا له من قبل ، وهل تتميز الثورة الفرنسية عن غيرها من الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى بميزات معينة تجعل لها (خصوصية) فريدة بين هذه الثورات وتبرر مشاركة العالم كله فى الاحتفال ـ أو على الأقل إبداء الاهتمام ـ بذكرى قيامها ، أم أن المسألة لا تتعدى رغبة الفرنسيين الجارفة فى الاشادة بأمجادهم وتذكير العالم بهذه الأمجاد .

وأن هذه الاحتفالات والمهرجانات التى تقيمها فرنسا بهذه المناسبة هى تعبير عن الشخصية الفرنسية وانعكاس لها اكثر مما هى دليل ومقياس لانجازات الثورة وأن الفرنسيين افلحوا فى أن يسحبوا العالم وراءهم ويشبعوا بذلك بعض الرغبات الدفينة بالشعور بالعظمة خاصة فى الوقت الحالي بعد أن تراجعت فرنسا امام قوى دولية أكبر





بقلم: د. أحمد أبوزيد

واكثر فعالية منها فى شئون السياسة والاقتصاد كما تزاحمها مزاحمة عنيفة فى أمور الثقافة ؟

والواقع أن فرنسا كانت دائما شديدة الاعتزاز بثورتها كما كانت تحرص دائما على الاحتفال بها بطريقتها الخاصة المميزة التى تكشف عن طبيعة العقلية الفرنسية الحضارية فقد احتفلت فرنسا عام ١٨٨٩ بمرور مائة سنة على قيام الثورة وأقامت فى هذه المناسبة برج إيفل الشهير ليصبح أحد المعالم الرئيسية فى العاصمة الفرنسية . ثم استعدت فرنسا عام ١٩٣٩ للاحتفال بمرور مائة وخمسين عاما على الثورة ولكن صادف ذلك بعض المتاعب والصعوبات لأن وزارة المالية الفرنسية كانت تعترض اعتراضا شديدا على ضخامة التكاليف كما كان رئيس الجمهورية نفسه يخشى من أن تتحول الاحتفالات الوطنية إلى مظاهرات ومسيرات يسارية ضخمة كما أن الشعب نفسه لم يظهر كثيرا من التحمس لهذه الاحتفالات نظرا للظروف السياسية العالمية والأوضاع العامة التى كانت تحيط بفرنسا فى ذلك الحين . ولم يكد الصيف يقترب من نهايته حتى كانت الحرب العالمية الثانية تدق أبواب أوربا وفرنسا .

ومع أن الاحتفالات بمرور مائتى سنة على الثورة الفرنسية خلال هذا الشهر (يوليو ١٩٨٩) تسير على ما يبدو فى طريقها الطبيعى الذى يتفق وجلال المناسبة فقد تعرضت هذه الاحتفالات أو الاعداد لها لكثير من المتاعب نتيجة للمنافسة والغيرة الشديدة بين الرئيس ميتران وجاك شيراك عمدة باريس والذى كان ينافسه على الرئاسة فى الانتخابات الأخيرة . والقت هذه المنافسة بعض


ميتران


جاك شيراك

الظلال القاتمة على الاستعداد لهذه الاحتفالات ، كما أدت إلى أن يسقط الرئيس ميتران من خطته فكرة إقامة معرض دولى فى باريس أثناء هذه الاحتفالات ، فقد اعترض عمدة باريس بشدة على الفكرة على أساس أن باريس لن تستطيع أن تستوعب فى وقت واحد كل تلك الأعداد الهائلة من الزوار الأجانب الذين سوف يتوافدون عليها لحضور الاحتفالات ، ومشاهدة المعرض ، واتهم رئيس الجمهورية بأنه لا يأخذ فى اعتباره راحة سكان المدينة ولا يهتم بما قد تسببه كل تلك الأعداد الكبيرة من ضغوط نفسية على أهل (الدائرة الانتخابية) .

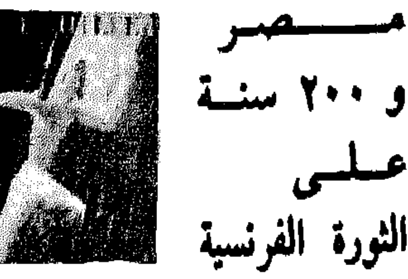
وبذلك لم يجد رئيس الجمهورية مفرا من إغفال الفكرة لأن المعرض لا يمكن أن يقام ضد رغبة (البلدية) .

● احداث لها تاريخ ●

ولكن هذا كله لا يمنع من أن الاحتفالات تلقى كثيرا من الاهتمام والترحيب والحماس من الفرنسيين أنفسهم ومن العالم كله مما يثير حفيظة وغيرة بعض الكتاب والمؤرخين فى أمريكا وبريطانيا ، فلكل من البلدين ثورته الكبرى التى لم تحظ بمثل هذا الاهتمام . وقد انعكست هذه الغيرة فى كثير من الكتابات بما فى ذلك كتابات بعض كبار المؤخرين الذين يعرفون كيف يغلفون غيرتهم فى غلاف رقيق من أسلوب العرض الساحر الساخر للحقائق والوقائع التاريخية بحيث يبرزون الجوانب الضعيفة فى أحداث الثورة ويركزون على ما صاحبها من عنف وإرهاب ومبالغة فى القسوة وأحداث القتل . فالأستاذ روبرت دارنتون أستاذ تاريخ أوربا الحديث فى جامعة برنستون مثلا يقول إنه إذا كانت فرنسا تحتفل بمرور مائتى عام على سقوط الباستيل وعلى إزالة الاقطاع وعلى إعلان حقوق الانسان والمواطن فإن الوضع فى فرنسا فى الفترة التى قامت فيها الثورة لم يكن فى حقيقة الأمر على كل ذلك القدر من السوء كما يعتقد الكثيرون ، فالباستيل كان خاليا تقريبا من السجناء وقت الهجوم عليه يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ كما أن الاقامة فيه لم تكن سيئة تماما كما يتصور الناس ولكن ذلك لم يمنع الرعاع والدهماء من أن يقتلوا مدير السجن لا لشىء إلا لأنه كان من النبلاء ثم طافوا بعد ذلك بجسده فى الشوارع . كذلك كان الاقطاع قد انتهى بالفعل وقت أن أعلنت الثورة عن إلغائه أو لم يكن له على الأقل وجود بمثل تلك الدرجة الفاحشة . وإذا كانت الثورة قد أعلنت حقوق الانسان والمواطن فإنها لم تلبث أن أهدرت هذه الحقوق بما ارتكبته من جرائم ومذابح وموجات إرهاب اجتاحت فرنسا كلها بعد خمس سنوات فقط من إعلان تلك

الحقوق ، لدرجة أن بعض المؤرخين البريطانيين مثل الفريد كوبان كان يصف هذه (الاعلانات) بأنها مجرد أسطورة . ولقد بلغت السخرية بكاتب مثل كونور كروز أوبريان أن ينعى على الروائى الفرنسى الشهير ستندال اعترافه بأنه شعر بكثير من السرور والانشراح البالغين لاعدام لويس السادس عشر (مع أن ستندال كان صبيا فى ذلك الحين) . ويقول أوبريان فى ذلك إنه لا يشك فى أن الكثيرين فى بريطانيا تقبلوا بكل الرضا الحكم بإعدام الملك شارل الأول بل وكانوا يودون من صميم قلوبهم لو أن إعدامه انتهى إلى نفس النهاية التى انتهى اليها اعدام لويس السادس عشـر (أى أنتهاء الملكيـة من بريطانيا) ولكن أن يشعر الانسان بالسرور والانشراح لاعدام أى شخص كان هذا هو الأمر غير المقبول وغير المريح .

بل ان السخرية التى تخفى وراءها كثيرا من الغيرة وصلت ببعض الكتاب الى درجة انتقاد الاستعدادات الهائلة التى يقوم بها الشعب والحكومة الآن للاحتفال بالمناسبة ويزعمون أن كل تلك الحفلات والمهرجانات والألعاب النارية والاستعراضات الراقصة سوف تجعل من باريس نسخة مزيفة من (ديزنى لاند) وانها فى عمومها تكشف عن مدى فساد الذوق الذى يتفوق فيه الفرنسيون على بقية الشعوب . وهكذا .





مـــــصـر و ٢٠٠ سنـــة عـلـــى الثورة الفرنسية

وايا ما يكون الأمر فإن السؤال الذى يختفى وراء كل هذه الانتقادات هو : ما خصوصية تلك الثورة الفرنسية التى تدعو إلى كل ذلك الاهتمام ؟ وهو اهتمام يكشف فى حد ذاته عن قدرة الثورة على البقاء حية فى أذهان الناس وعلى انها أفلحت فى أن تفرض نفسها على تاريخ العالم والانسانية ؟ وما العناصر الثورية الخاصة التى تميز هذه الثورة وتلك التى أوجدتها الثورة بحيث يمكن الكلام عن (ثورية) الثورة إن صح هذا التعبير .

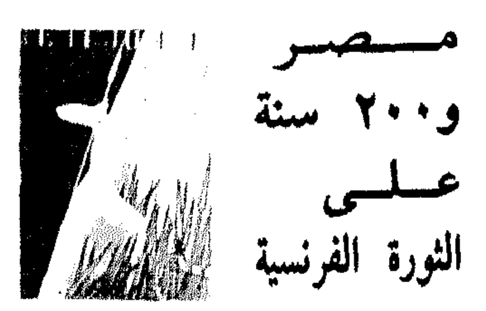
● عندما يتحول العنف من اداة إلى هدف

بدات الثورة فى مايو ١٧٨٩ بعد أن تأزمت الأمور بالدولة ووصلت الى حافة الانهيـار والافلاس . وقـد بذلت «الجمعية الوطنية » ـ كما أطلق عليها حينذاك ـ كثيرا من الجهد لمحاولة الاصلاح مثل إعلان حقوق الانسان والغاء الامتيازات الاقطاعية وإعادة النظر فى كثير من الأوضاع الدستورية ولكن هذا النشاط السياسى المكثف الذى استمر لعدة شهور تخللته بعض (الفرقعات) ـ على ما يقول الاستاذ جونسون أستاذ السياسة فى جامعة اكسفورد ـ التى كان لها دوى هائل

ثوريــة
الثورة الفرنسية

ورسمت الطريق الذى سارت فيه الأمور بعد ذلك . وكان اقتحام الباستيل - رمز الطغيان فى عهد الملكية إحدى هذه الفرقعات . ثم حدثت فرقعة أخرى من هذه الفرقعات يوم ٦ أكتوبر من العام نفسه (١٧٨٩) حين اقتادت الجماهير العائلة المالكة من قصر فرساى للاقامة فى العاصمة . وقد ارتكبت مذابح كثيرة وسادت موجات عنيفة من الارهاب الذى لم يكن يحكمه أى تفكير عقلانى . ووصل الرعب مداه فى مذابح سبتمبر عام ١٧٩٢ والتى راح ضحيتها مالايقل عن ألف شخص . ويعترف المؤرخون بأنهم لا يعرفون تماما حقيقة ما حدث لأن الوثائق الخاصة بهذه الأحداث دمرت تماما ولم يعد لها وجود . ولكن بعض المؤرخين البريطانيين يذهبون الى أن هذه المذابح (الجماعية) اتخذت شكلا طقوسيا ومأساويا كما أن المؤرخ الفرنسى بيير كارون الذى أصدر عام ١٩٣٥ كتابا عن مذابح سبتمبر يقول إن هذه المذابح كان لها طابع (شعائرى) جارف . وقد بدأت المذابح بالهجوم على بعض السجون بزعم القضاء على بعض المؤامرات التى كانت تدبر فيها للاطاحة بالثورة . واقام (الدهماء) من انفسهم محكمة وقضاة ومحلفين فى فناء أحد هذه السجون حيث كان السجناء يقدمون للمحاكمة واحدا بعد الآخر فتوجه إليهم التهم ويحكم لهم أو عليهم ليس تبعا للأدلة والشواهد وإنما تبعا لمظهرهم العام وسلوكهم وتصرفاتهم وشخصيتهم بل وتكوينهم الجسدى كما كان أى تردد أو أى اضطراب يظهر على الشخص يعتبر دليلا على الادانة وعلى ثبوت التهمة فيحكم عليه بالاعدام . وكان الذى يتولى المحاكمة وإصدار الحكم شخصا عاديا كما كانت احكامه تقابل بالتصفيق والصياح من الجماهير الذين تجمعوا من الشوارع المحيطة واصبحوا بمثابة محلفين . وكان الشخص الذى يحكم ببراءته يؤخذ بالاحضان والقبلات والتهنئة ببراءته ثم يحملونه على الاكتاف ويطوفون به فى الشوارع بينما كان الشخص الذى يحكم عليه بالادانة يتم إعدامه طعنا بالخناجر والسيوف والضرب بالهراوات الثقيلة ثم تنزع عنه ملابسه ويلقى بجسده فوق كومة من أجساد الآخرين الذين سبقوه الى الموت ، أو كانت تقطع أوصاله ويطاف بالجسد معلقا فوق سارية فى الشوارع والغريب أن الذين كانوا يقترفون هذه المذابح كانوا يرتكبونها باسم الثورة والدفاع عن الحضارة والحرية وتطهير الأرض من أعداء الانسانية .

وقد تختلف الآراء حول تفسير كل ذلك العنف والقسوة والارهاب . وقد



يكون ذلك كله نوعا من رد الفعل على المظالم التى كانت تسود وترتكب أيام النظام الملكى القديم بكل ما كان يحمله من شرور وآثام وإهدار لآدمية الناس من أفراد (الطبقة الثالثة) وأنه كان لابد ازاء ذلك كله من القضاء تماما على معالم ذلك النظام القديم والمحافظة على مبادىء الثورة من التعرض للخطر والانهيار ومقاومة أية محاولة للقيام بثورة مضادة من جانب الفئات التى كانت تريد المحافظة على الاوضاع التقليدية الراهنة ولذا لم يكن هناك طريق آخر أمام الثورة سوى استخدام العنف كوسيلة لتنوير الحياة ذاتها وقلب وتغيير كل الأوضاع القديمة وكل ما يذكر الناس بها . ولكن الظاهر ان العنف تحول من اداة الى هدف وزال بذلك الحاجز الفاصل بين الوسيلة والغاية . فمعظم الأحداث الارهابية العنيفة وقعت نتيجة الخوف على الثورة من الحركات المضادة خلال الفترة بين عام ١٧٨٩ و عام ١٧٩٩ حين أمسك بونابرت بزمام السلطة .

فكأن الظروف والملابسات العامة التى أحاطت بالثورة كانت وراء ذلك العنف الدموى خلال تلك السنوات العشر ـ أو بعضها على الأقل ، لأنه من الصعب رد مذابح سبتمبر ١٧٩٢ التى راح ضحيتها كثير من الأبرياء الى تلك الظروف والملابسات وحدها وإغفال المزاج العام الذى سيطر على الشعب الثائر وشهوته نحو الدماء وبعض المؤرخين يذهبون الآن الى أن ذلك العنف كان فى حقيقة الأمر امتدادا لمظاهر القسوة والميل الى الاجرام وسفك الدماء التى كانت تسود الشارع الباريسى وتميز الحياة اليومية فى العاصمة قبل قيام الثورة . وكما يقول هؤلاء المؤرخون وأساتذة السياسة من أمثال الاستاذ جونسون والأستاذ دارنتون أن الناس فى باريس فى القرن الثامن عشر لم يكونوا يستطيعون السير فى الشوارع دون أن تتلطخ أحذيتهم بدماء القتلى الذين كانوا يتساقطون لأوهى الأسباب ، كما أن الناس كانوا يألفون منظر إعدام المجرمين او تقطيع أوصالهم علنا . فالعنف والقتل والدماء كانت كلها عناصر مألوفة فى الحياة اليومية لدى الرجل العادى ، وكل ما فعلته الثورة هو أنها أطلقت العنان بدون قيد أو ضابط للرغبات الدموية الكامنة عند الناس ، والعيب الوحيد فى ذلك هو أن أحداث القتل والعنف والاعدام ظهرت بشكل أكثر تركيزا عما كان يحدث من قبل وأن الذى كان يتولى هذه العملية هم أفراد الشعب أو أفراد الطبقة الثالثة .

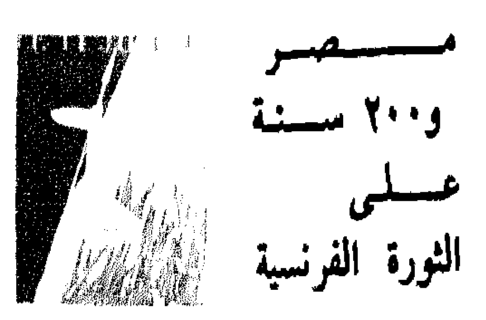
ثورية الثورة الفرنسية

● تصور جديد لمفهومى الـزمـان والمكـان

ولكن الثورة الفرنسية لم تكن مجرد مذابح جماعية وعنف وقسوة وارهاب واعدام والا لما دخلت التاريخ ولما اصبحت نقطة تحول مضيئة في تاريخ الحضارة وتاريخ الانسان وبوجه اخص تاريخ اوربا الحديث . كذلك لم تكن الثورة الفرنسية مجرد حركة لاسقاط النظام الملكى او استبدال بشكل الحكومة والدولة شكل اخر ، فقد ادت الثورة بجانب تحقيق هذا كله الى قيام نظام اجتماعى جديد ومتكامل على انقاض النظام القديم ، كما عملت على ارساء قواعد وقيم ومعتقدات ونظم وعلاقات جديدة تماما ، اى انها غيرت المجتمع الفرنسى من اساسه وفى كثير من تفاصيل الحياة الدقيقة . فالثورة الفرنسية كانت ثورة اجتماعية بقدر ما كانت ثورة سياسية وهذا لايعنى بطبيعة الحال التهوين من شأن التغيير السياسى الذى طرا على اسلوب الحكم ، فقد كانت السياسة قبل عام ١٧٨٩ (تصنع) فى فرساى فى بلاط الملك ولم يكن رجل الشارع العادى يدرك خباياها او يفهم معنى مايتخذ من قرارات سياسية فضلا عن ان يشارك فى صنع هذه القرارات . ولذا فحين وجد الناس أنفسهم أمام المشكلات السياسية التى لم يكونوا على وعى بها قبل الثورة اضطروا لأن يخترعوا كلمات ومصطلحات تتفق مع المقولات والاتجاهات والأوضاع السياسية التى أسهموا هم أنفسهم فى خلقها ، وظهرت ، مفاهيم جديدة ومصطلحات تتفق مع هذه المفاهيم مثل اليمين واليسار وهى مصطلحات وكلمات استمدوها من نفس طريقة الجلوس وتوزيع الأماكن والمقاعد فى الجمعية الوطنية ، وهذا معناه أن التجربة جاءت أولا ثم جاء المفهوم والتصور والمصطلح بعد ذلك .. بل إن كثيرا من هذه المفاهيم التى ادخلتها الثورة الفرنسية والتى كانت تعتبر بمقاييس القرن الثامن عشر انقلابا هائلا فى الفكرين السياسى والاجتماعى وفى النظرة الى العالم لم تكن واضحة تماما فى أذهان الذين كانوا ينادون بها وعملوا على صياغتها ونشرها وترسيخها فى أذهان الناس بحيث أصبحت من أهم مبادىء الثورة . فمفاهيم الحرية المدنية مثلا أو المساواة أمام القانون أو سيادة الشعب وما اليها كانت تعتبر ـ حسب التعبير الذى يستخدمه الأستاذ دارنتون ـ بمثابة متفجرات عنيفة المفعول عام ١٧٨٩ ، وإن كانت هذه المفاهيم والمصطلحات فى ذاتها تؤلف جزءا من القاموس السياسى المألوف والشائع فى الوقت الحاضر .. فلم يكن

معظم الناس فى ذلك الحين يعتبرون عدم المساواة فى الحقوق والواجبات مسألة غريبة وإنما كانوا على العكس من ذلك يعتبرون عدم المساواة أمرا طبيعيا ومقبولا لأنه يتفق مع النظام التدرجى الذى هو نظام طبيعى ، وكانت الحرية تعنى تحت النظام القديم حرية فئات معينة من المجتمع فى أن تعمل ما تشاء بفضل الامتيازات التى تتمتع بها والتى يمنحها الملك وحده لهم وهكذا . وقد حاول فلاسفة القرن الثامن عشر - أو عصر التنوير - مقاومة هذه الأوضاع وكشف زيفها وأفلحوا فى القاء بعض الظلال القاتمة الكثيفة عليها وعلى النظام الملكى وعلى التاج وعلى هالة القداسة التى كانت الملكية تحيط نفسها بها ، لعبت المنشورات السياسية دورا كبيرا فى الكشف عن زيف تلك الدعاوى وأسهمت بذلك فى تفجير الوقف وتحطيم الاطار الذهنى الذى كان يسيطر على تفكير الناس أيام ذلك النظام القديم .

بل أن الثورة تعمدت تغيير بعض المفاهيم والتصورات العامة المألوفة فى الحياة اليومية العادية والتى تعتبر من العموميات الثقافية التى تسود فى كثير من المجتمعات الانسانية ولذا تؤخذ هذه التغييرات على أنها دليل ومقياس لمدى (ثورية) الثورة الفرنسية - ان صح هذا التعبير الذى نستخدمه - هنا عنوانا لهذا المقال . وحاولت الثورة بذلك وضع تصور جديد



لمفهومى الزمان والمكان يختلف عن التصور العام الشائع ، وبذلك عمدت الى اختراع (تقويم) خاص بها ووضع (تاريخ) ثورة مغاير ومستقل عن التاريخ المتعارف عليه وتم ذلك عام ١٧٩٣ وظلت الثورة تعمل بهذا التقويم حتى عام ١٨٠٥ وبمقتضى ذلك التقويم يبدأ الزمان الثورى من نهاية النظام الملكى القديم فى ٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ الذى أصبح حسب التقويم الجديد هو أول شهر فندمير سنة واحد ؛ كما تم تقسيم الزمن إلى وحدات زمانية كانت تعتبر فى نظر الثورة وحدات طبيعية وأقرب الى العقل والى المنطق والى طبيعة الأشياء ، وصار (الاسبوع) يتألف من عشرة أيام وليس من سبعة ، كما يتألف الشهر من ثلاثة (أسابيع) والسنة من ١٢ شهرا واعتبرت الأيام الخمسة أو الستة التى تزيد على ذلك عطلة وطنية ، وأطلق على أيام (الأسبوع) العشرة أسماء جديدة تمثل التسلسل الحسابى كما كرست بعض الأيام لبعض مظاهر الحياة الريفية أو النشاط الزراعى بعد أن كانت مرتبطة فى الأصل بأسماء بعض القديسيين فى التقويم المسيحى . وبذلك أصبح يوم ٢٢

ثوريـــة
الثورة الفرنسية

نوفمبر مثلا المخصص أصلا للقديسة سيسيليا هو يوم (اللفت) بينما أصبح يوم ٢٥ نوفمبر المخصص للقديسة كاترين هو يوم الخنزير وهكذا . بل إن أسماء الشهور الجديدة جعلت الزمن يبدو كما لو كان يتطابق مع الايقاع الطبيعى للفصول . فأول يناير مثلا كان يعتبر هو اليوم الثانى عشر من شهر نيفوز ، ونيفوز هو شهر الجليد الذى يأتى بعد شهر الضباب (أو شهر برومير) وشهر البرد (أو شهر فريمير) ولكنه يسبق شهر المطر (أو شهر بليفواز) وشهر الرياح (فنتوز) وما إلى ذلك .

● منطق الثورة والوضع الجديد

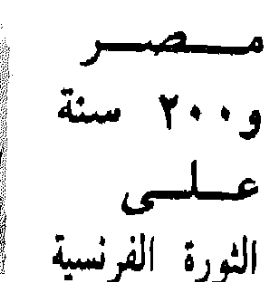
وبالمثل عملت الثورة على (تثوير) مفهوم المكان أو إدخال تعديلات (ثورية) عليه وذلك عن طريق استخدام المقاييس (المترية) باعتبارها هى أيضا نوعا من التنظيم الأقرب الى الطبيعة والى العقل وأصدرت الثورة حول هذا الموضوع مراسيم معقدة تدور حول العلاقة بين وحدات الأطوال وخطوط الطول بين القطب الشمالى وخط الاستواء وهى حسابات لم يكن فى استطاعة الرجل العادى فهمها أو تطبيقها ولذا كان يقنع باتباع المقاييس المترية . ولم يكن من السهل على أية حالة أن يتقبل الناس كل هذه التغييرات (الثورية) فى أمور الحياة اليومية خاصة وأن بعض التعديلات كانت تتعارض مع المصالح الشخصية

ولم يكن من المعقول أن يتقبل الشعب مثلا بسهولة فكرة الاسبوع ذى العشرة أيام بدلا من الأيام السبعة لأن ذلك كان معناه أن الشخص سوف يحصل على يوم راحة كل عشرة أيام بدلا من كل سبعة أيام كما هو الشأن فى النظام الذى كان معمولا به أيام الملكية وقبل الثورة .

ووصلت الحملة الثورية التى قادتها الثورة الفرنسية على أمور الحياة المألوفة الى حد تغيير أسماء المدن والشوارع التى تشير إلى الدول والنبلاء ورجال الدين بل والقديسين لكى تحمل أسماء ثورية جديدة وتغيرت بذلك أسماء ما يقرب من الف وخمسمائة شارع من شوارع باريس وميادينها . فأصبح ميدان لويس الخامس عشر الذى شهد إعدام بعض الشخصيات الهامة المعادية للثورة هو ميدان الثورة ثم تحول بعد ذلك إلى ميدان الكونكورد حيث لايزال يحتفظ بهذا الاسم حتى الآن . كذلك تغيرت أسماء بعض الكنائس وحملت اسماء جديدة بعيدة كل البعد عن القداسة والقديسيين . وهذه على أية حال أمور عادية ومألوفة فى كل الثورات بما فى ذلك الأحداث الثورية والانقلابات الصغيرة التى لا تكاد تترك اثرا فى

تاريخ الانسانية أو فى مسيرة الحضارة . ولكن الذى له دلالته العميقة فى الثورة الفرنسية هو اتساع نطاق هذه التغييرات الصادرة عن الشعب نفسه وليس عن الزعماء والسياسيين الجدد أو الانتهازيين الذين يحاولون التقرب لهؤلاء الزعماء الجدد عن طريق إطلاق اسمائهم على بعض المنشآت كما يحدث فى العالم الثالث بشكل واضح وفاضح وممجوج .

وقد بلغت بعض هذه التغييرات الثورية حدا من الطرافة قد تدعو الآن إلى السخرية وأن كانت هذه التغييرات والتعديلات تبدو منطقية ومقبولة تحت الظروف التى تمت فيها . فلم يعد هناك ما يبرر أن يحمل أحد (الثوار) اسما مثل لويس بعد الثورة وإعدام الملك ولذا غير هؤلاء الأشخاص أسماءهم إلى اسماء اخرى جديدة ذات دلالات تتفق ومنطق الثورة والوضع الجديد ، وظهرت بذلك اسماء طريفة مثل سبارتاكوس (محرر العبيد) وبروتوس (قاتل .القيصر) كما تغيرت اسماء أخرى مثل (لروا) الذى يشير إلى الملك إلى (لالوا) الذى يشير إلى القانون أو (ليبرتى) أى الحرية . بل وصل الأمر بالثوار الى حد تغيير اسم (ملكة النحل) فأصبح يطلق عليها اسم النحلة الوالدة أو على الأصح (النحلة التى تضع البيض) حتى يختفى اسم الملكة تماما من

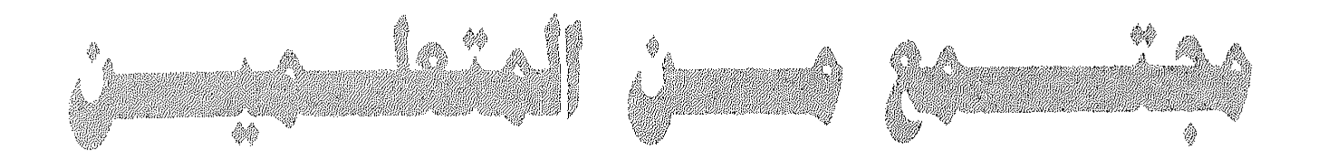




الأستعمال حتى فى المجالات العلمية ، كما تغيرت اسماء قطع الشطرنج وأوراق اللعب التى تشير الى الملوك والملكات والفرسان والقلاع وما إليها . فالثوريون المخلصون للثورة لايمكن أن يلعبوا مع الملوك والملكات .

وكتب التاريخ تمتلىء بمثل هذه الأحداث التى قد تعتبر الآن طرائف ولكن لها مغزاها العميق عن الرغبة القوية فى محو كل ما يتعلق بالنظام القديم وبالملكية . وكانت هذه الرغبة القوية العميقة العنيفة وراء العنف الثورى الذى اتسمت به الثورة الفرنسية الى حد ما على الأقل . ولكن رغم كل ما يؤخذ على الثورة فى هذا الصدد فقد كان لها بغير شك الفضل فى ظهور فكرة الأمة المتماسكة الموحدة اقتصاديا وسياسيا وعاطفيا ووجدانيا . كما أطلقت مشاعر القومية من عقالها ، وهى المشاعر التى تؤلف حتى الآن قوة دافعة ومؤثرة فى الحياة الفرنسية وتحكم علاقات فرنسا بغيرها من الدول فى المجالات السياسية والثقافية على السواء وتثير بذلك كثيرا من الضيق لدى الآخرين .

والدليل الواضح على هذا الضيق هو الكتابات الحالية التى تحاول النيل من الثورة بعد مرور مائتى عام على قيامها .



بقلم: د. شكري محمد عياد

تمر على الكاتب أوقات يسال نفسه فيها : لماذا أكتب ماأكتب ؟ ماجدواه ؟ أو ماذا اقصد انا من ورائه بجانب ملء الصفحات ؟ وهل يجد القارىء في هذه الصفحات ـ على الأقل ـ مايسرّى عنه ، أو يضع بسمة على شفتيه ، إن لم تستطع ان تحفزه على التفكير ، أو تبعث فيه إرادة التغيير ؟

هكذا كنت اسائل نفسى اياماً طويلة قبل أن اجلس لأكتب لك هذا المقال وقد جربت حيرة القلم مرات . جربت الشك الذى يقرب من الإحباط ، ولكنى لم اسمح لنفسى قط أن أكتب وأنا في مثل هذه الحالة . فليس من العدل أن تتناول هذه المجلة وتشرع في قراءتها بشيء من الثقة وحسن النية ، لتلقيها من يدك بعد لحظات وقد ركبتك هموم الدنيا . إن كانت الامور قبيحة حقاً إلى هذا الحد فلنضحك من قبحها . ولكن المشكلة هي انى لم أعد قادراً على الضحك من حالة التعليم . وكيف اضحك والناس حولى ـ صغاراً وكباراً ـ يبكون . يبكى الطفل حين تنزل عصا المعلم على يده أو على ظهره ، ويبكى المعلم بغير دموع ـ وهذا اقصى انواع البكاء ـ كلما تسلم مرتبه أول الشهر . ويبكي التلميذ ـ كبيراً او صغيراً ـ حين تظهر النتيجة آخر العام فيجد نفسه راسباً او ناجحاً بمجموع لايؤهله لدخول الكلية التي يرغب في دخولها . ويبكي أولياء الأمور طول العام من فداحة اجور الدروس الخصوصية التى اصبحت بنداً ضروريا في المصروف كالغذاء والكساء .

لا جرم أن الضحك من مثل هذه الامور يعد نذالة .

لذلك حاولت أن اضحك من سياسة التعليم ولكن كان ضحكاً فاتراً لانى لم اكن صادق النية فيه . فانا اعلم ان القائمين على سياسة التعليم يبذلون قصارى جهدهم وإن كان قتالاً في غير عدو . فالعدو الحقيقى ليس كثافة





الفصول ولا ضعف الكتاب المدرسى ولا سوء حالة المدرس مادياً ومعنوياً ، ولكنه فقدان الهدف من التعليم ونسيان طبيعة التعليم . وإدراك طبائع الأشياء واهـدافهـا او وظـائفهـا لايخص المشتغلين بها وحدهم ولكنه شان المجتمع كله ، ولذلك يدخلان فيما يسمى فلسفة ، والفلاسفة كما هو معلوم يدخلون فى كل شىء ، ولا يختصون بشىء معين ، واكثر الناس يسيئون الظن بالفلسفة لهذا السبب . وهم لاشك مخطئون ، ونتيجة خطئهم اننا لانملك فلسفة للتعليم كما لانملك فلسفة لأى شىء آخر ، واننا نبعث باولادنا إلى المدارس دون ان نعرف الغرض من ذلك ، وان الأولاد يجلسون فى الفصول ولايعرفون ماذا يتعلمون ، ومادام هذا هو المناخ العام ، والمناخ العام لا يسال عن هدف التعليم ولا طبيعة التعليم لانه يكره الفلسفة ، فطبيعى الا يهتم من ينشىء المدرسة ومن يعلم فيها بهذه الأمور .

اخطاء التعليم عندنا ليست مما يمكن كشفه بالضحك لانها ليست اخطاء فريق من الناس ولا هى راجعة إلى الانحراف عن طريق العقل السليم فى التخطيط او التنفيذ ، ولكنها اخطاء بل خطا واحد يشترك فيه المجتمع كله ومصدره الوحيد اننا لا نريد ان نفكر تفكيراً جذرياً فى قضية التعليم الأساسية : ماذا نعلّم ولماذا نعلّم . وفى تصورى ان وجود المؤسسات التعليمية . المدارس والجامعات . هو

الذى حجب عنا هذه الرؤية ، فغرقنا فى التفاصيل ونسينا المبادىء ، أو قل وقفنا عند الوسائل ونسينا الغايات .

فلما تعذر عليَّ فضح أخطاء التعليم بالسخرية ، حاولت أن أعالجها بالحلم ، لأنى لا أريد ، ياصديقى القارىء ، أن استسلم لقبح الواقع ، ولا أن ألقاك ، حين ألقاك ، ساخطاً شاكيا ، على أنى لم أحلم إلا بما يمكن تحقيقه فى الوقت الحاضر ، وليس فى المستقبل القريب أو البعيد فأحلامى لاتشتمل على الكومبيوتر الذى حدثك بعض الكتاب الواقعيين ـ بمزيج من التحقير والتيئيس ـ على أنه عنصر ضرورى فى التعليم العصرى .

ولكنني اعترف أن فى حلمى شيئا اعز منالاً من إدخال الكومبيوتر فى المدارس الثانوية أو حتى الابتدائية "فانا احلم بمجتمع كل من فيه يعلمون ويتعلمون" . ولو اننا تاملنا هذه العبارة قليلاً لما وجدنا فيها شيئا من الغرابة فالتعليم والتعلم وظيفتان من الوظائف الحيوية التى يختص بها الإنسان ولكننا تعودنا أن نربط التعلم بالمدارس والشهادات ، ولذلك جعلنا للتعلم مرحلة من العمر لا يتعداها ، ننطلق بعدها فى الحياة ، فننسى اكثر ما تعلمناه ، وجعلنا للعلم معنى واحداً لايتعداه ، وهو حشو الراس بالمعلومات ، وما اشد مايسرع إليها النسيان . وهكذا تنحصر حياتنا بعد ذلك فى السعى على أرزاقنا والبحث عن ملذاتنا ، وبالطبع مازلنا نتعلم ـ فالتعلم كما قلنا وظيفة حيوية ـ ولكننا نتعلم سلوكيات اكثرها فاسد مفسد .

فالتعلم ـ كغيره من الوظائف الحيوية ـ يمكن أن يكون صحياً ويمكن أن يكون مرضياً . وبين هذين النوعين من التعلم فرق كبير . فالتعلم المرضى معناه أن ياخذ الفرد اعتقاداً ما أو سلوكاً ما عن مجتمعه المريض ، فهو اشبه بالعدوى ، ينتقل بلا جهد ، بل الجهد إنما يكون فى توقيه . والتعلُّم الصحى معناه أن تفهم الكون الذى تعيش فيه ، أن تفهمه بجملته وتفاصيله ، لتعرف مكانك فيه كإنسان ، له تاريخ وله شخصية ، وله إرادة تتشابك مع ملايين الإرادات ، وهذا الفهم يتطلب مجهوداً متصلاً ، ولايكفيه عمر ولا اعمار ، ولكنك بقدر ما تبلغ من هذا الفهم يكون شعورك بعمق انسانيتك ، وهى السعادة التى ما بعدها سعادة .

إذا كنت صاحب مهنة فحسب فقد قنعت من حياتك بأن تعيش فى قبو ، تؤدى فيه عملاً نافعاً ولكنك لا تخرج منه ولا ترى آثار عملك على الناس ، ولا تستمد من حياة الناس ما تنفث به الحياة فى عملك . أما إذا كنت متعلماً ابديا فانت لا تزال ترى فى عملك الخاص ابعاداً تصله بكل شىء فى الكون ، وانت تجعل له بالفعل هذه الأبعاد .

صديقى القارىء ... ارجو الا تسىء فهمى ، انا لا اخاطبك انت بالذات . انا لا احاضر ولا اعظ ، انا احلم فقط .

لو كنا مجتمعاً من المعلمين المتعلمين لما صرخ الآباء والأمهات من

حرقة الدروس الخصوصية . إذن لكان الآباء والأمهات جالسين مع أبنائهم وبناتهم يعانون معهم مشقة الفهم ولذة الفهم ، ينظرون معهم فى كتبهم ، يصلون عقولهم بعقولهم ، يمدون إليهم أيديهم ليساعدوهم على التفكير ، كما تساعد طفلك الرضيع على المشى . لعلهم يقولون الآن إنهم مشغولون بالسعى فى معاشهم . أقول فهلا أختصرتم ساعة أو ساعتين من جلوسكم امام التليفزيون ؟! لعلهم يقولون إن التعليم يحتاج إلى صبر وطول بال ، وإنهم لم يخلقوا ليكونوا معلمين ، وإنهم ربما حاولوا ذلك مرة أو مرتين ، فضاق صدرهم لبطء الولد أو البنت فى الفهم ، فثاروا وصاحوا وضربوا واوقعوا فتنة فى البيت . فأقول لهم : حيلة يعرفها الأباء جيداً . ضاقت أمامكم الأعذار فاقمتم القيامة على الطفل المسكين حتى يصبح هو المجرم وانتم الأبرار ، وأوهمتم الآخرين بذلك حتى كدتم تتوهمونه أنتم انفسكم . لعلهم يكونون اكثر صراحة وأكثر طيبة ، فيقولون إنهم لا يطيقون هذه الدروس ، لانها جافة ثقيلة على النفس ، كان الله فى عون الصبى أو الصبية ، ولكنه عذاب لابد منه ، يتحملونه فى مرحلة من العمر كما تحملناه من قبلهم ، وحسبنا ما نحن فيه من هموم تشغل الذهن ، وترهق الأعصاب . فأقول لهم : هلا أبلغتم رأيكم هذا إلى واضعى المناهج ومؤلفى الكتب المدرسية ، فانتم ولا شك اقدر على ذلك من هؤلاء الصبية المساكين ، ام تراكم تدربونهم على النفاق ، والتسليم بالخطأ ، وأحتمال الظلم ؟

هلا قلتم - مثلا - كما قال ذلكم المعلم العظيم :

« كنت أستمع فى الإذاعة إلى برنامج "أوائل الطلبة" واستمعت إلى أسئلة الكيمياء - وأنا اساساً مدرس علوم - ولكنى لم اكن قادراً على الإجابة على هذه الأسئلة لأنها من نوع المعلومات التى تنسى كمعلومات ، ولكنى مازلت اعتبر انى مدرس كيمياء وطبيعة لأنى اعرف منطق دراسة الكيمياء : ماذا تعنى كيمياء .. وماذا تعنى طبيعة . وأعرف المراجع التى أرجع إليها لو أحتاج الأمر ، ولكن ليس من الضرورى أن أكون حاليا مستحضراً إجابات لكل سؤال من هذه الأسئلة وإن كنت أفهم موضوع علم الكيمياء ويمكننى عمل التجارب وتحقيقها ، وأعرف ماهى المشاكل التى يهتم بها علم الكيمياء ، كما اعرف شيئا عن تاريخ علم الكيمياء ، وأى مشكل يمكننى أن أحدد مراجعه ويمكننى دراسته وتحليله »
(حامد سعيد "بناء الإنسان والتعليم" ص ١٣)

لعلك خائف الآن ؟ لعلك تقول : هبنى فعلت كما تقول ، هبنى حاولت أن أساعد البنت أو الولد على "فهم" موضوعات المقرر ، من منطلق "فهم الكون" وهذه الأشياء ، فهل تظن أنه سينجح ؟ إنهم فى الامتحان يطلبون إجابات محددة ، وهذه لا سبيل إليها سوى الحفظ . والوقت لا يتسع للفهم -

بهذه الصورة الواسعة ـ والحفظ معاً .
فاقول لك : فى العلم كما فى الحرب :
اطلب الموت توهب لك الحياة .
الحفظ ، خوفاً من الامتحان ، كثيراً
ماكانت نتيجته الرسوب فى الامتحان ،
اما الإقدام على العلم برغبة فى الفهم
فلابد ان تكون نتيجته القدرة على
الإجابة ولو جزئياً ، وهذه خير على كل
حال من إجابة خاطئة كثيراً مايتورط
فيها التلميذ "الصمّام" . وأقول لك
ايضاً : ماادراك ان امور الامتحان سوف
تبقى سيئة كما عهدتها او سمعت عنها ؟
الا تخشى ان يجيء امتحان على عكس
ماتتصور ، فيكون قياساً للفهم اكثر من
الحفظ ، وهكذا يرجع ولدك او بنتك من
الامتحان ـ لاقدر الله ـ وقد خسر الدنيا
والآخرة ؟

إننا كثيراً مانساعد على وضع
المعايير السيئة او بقائها حين نتصور
انها هى وحدها المقبولة او الناجحة .
الذين يقدمون الرشا ـ حتى دون ان
تطلب منهم ـ مسئولون ولاشك عن
شيوع الرشوة ، وما ذلك إلا لانهم
يتوهمون ان مصالحهم لن تقضى بغير
هذه الطريقة . والذين يتوهمون ان
التعليم جامد ومتخلف ، ويحاولون ان
يطوعوا انفسهم لجموده وتخلفه ،
يساعدون بلا شك على بقائه جامداً
ومتخلفاً ، ويضاعفون المصاعب امام
المخططين والموجهين الذين يحاولون
تطويره ، وفى مواسم الامتحانات
نسمع دائماً شكاوى . والشكوى من
الامتحانات ، من الابتدائية إلى
الجامعة ، تنصب دائماً على "غموض
الأسئلة" او انها "ليست فى الكتاب
المقرر" ولا تنصب ابداً على كم
المعلومات المطلوبة .

نعم ، إن فى بلادنا نسبة عالية من
البلادة والجمود . ولكن فيها ايضاً قدراً
عظيماً من الاستنارة والرغبة فى
التقدم ، وكل ذلك موجود فى اجهزة
الدولة ، ومنها وزارة التربية والتعليم .
انا غير سعيد بدروس التليفزيون بوجه
عام . إن الاستاذ ـ والمفروض إنه خيار
من خيار ـ يدرس بطريقة ملء
الفراغات ، اى بطريقة التحفيظ
الشفهى او الكتاتيبى كما كنا نقول
قديماً . يقول الجملة وكانه يقرا من
كتاب (ولكنه ـ والحق يقال ـ يحفظها
عن ظهر قلب) ويتوقف قبل نهايتها
سائلاً : اين ؟ او يكتفون متى ؟ او : من
ماذا ؟ او على ماذا ؟ ثم يكمل الجزء
الناقص . هكذا تنزل المعلومات
تنزيلا . سمعت ذلك حتى فى بعض
دروس العلوم . ولعلك تتساءل :
مافائدة هذا والكتاب موجود ؟ ولكن
الحقيقة التى يمكن ان تكون غائبة عنك
هى ان الكتاب موجود فى حكم
المعدوم ، فتلاميذنا فى هذه الأيام لا
يقرءون الكتب ، بل يكتفون بالسماع ،
او السماع مع مشاهدة صورة الأستاذ
وهو "يشرح" .

متى ينتهى هذا المنظر ؟ ولماذا
لاتقتصر الإذاعة والتليفزيون على

تقديم النماذج الجيدة فقط ؟ وإذا حشر مكر جيد وسط طوفان من التفاهة فكيف يصل إلى من يمكنه الانتفاع به ؟ لقد استمعت فى الإذاعة أيضاً إلى حديث من هذا النوع ، وكان موضوعه تدريس العلوم ـ استمعت إليه بمحض الصدفة ـ فكم ياترى من أساتذة العلوم استمع إليه ؟ كان الحديث عن طريقتين في تدريس العلوم : طريقة تعنى بالمعلومات وطريقة تهتم بكيفية التوصل إلى المعلومات (الملاحظة ـ التصنيف ـ القياس .. الخ) وقد رجح المتحدث الطريقة الثانية ، ولكن دون استبعاد الطريقة الأولى استبعاداً تاما . ولاأدرى هل كان هذا الحديث حلقة فى سلسلة ؟ فهو يحتاج إلى متابعة ، وإلى كثير من ضرب الأمثلة .

ليس فى مقدورنا ـ انا وانت ـ ان نتجاهل مسئوليتنا ، فالتعليم ليس مسئولية وزارة التربية والتعليم وحدها . وزارة التربية والتعليم جزء من الحكومة والحكومة هى السلطة ، هى القانون . والسلطة والقانون يعملان لخدمة الشعب وبرضى الشعب ، ولكن الشعب يجب أن تكون له مؤسساته الأخرى فى جميع مناشط الحياة عدا مايتصل منها بهذين : السلطة والقانون . فوزارة التربية والتعليم تضع المعايير التى على اساسها تمنح اعتراف الدولة بدرجات التعليم وانواعه . تضع المناهج وتنظم الامتحانات وتصدر الشهادات . ولكن التعليم أوسع من ذلك . وإن كان التعليم مسئولية من مسئوليات الدولة الحديثة فإن الأمة ـ التى هى انا وانت ـ أعطت الدولة التفويض وناطت بها المسئولية . فنحن معها حين نعلم وحين نضع المعايير للتعليم . ونحن نعاونها إن استطعنا ، ونحن ايضا نسبقها إن استطعنا .

ومشكلات التعليم فى الوقت الحاضر ـ كما ونوعا ـ تجعل معاونة الأمة مطلوبة وواجبة .

وميراث الفلسفات التعليمية السابقة ، والسياسات التعليمية السابقة ، يثقل التعليم الحكومى ويعيقه عن متابعة متطلبات الحاضر ، كما أن تجربة حلول جديدة ـ ولابد من هذه التجربة ـ يمكن أن توقعه فى مزيد من الاضطراب .

وإذا كان من الضرورى أن نصبح مجتمعاً من المعلمين المتعلمين لكى نحافظ على وجودنا فى عالم اليوم ، فلن يكون فى استطاعتنا أن نظل كذلك ونحن أفراد . مجتمع المعلمين المتعلمين سيتحرك دائماً نحو مزيد من العلم (ولا عمل ولا إنتاج بدون علم) ، وهذه الحركة تتطلب تنظيماً ، وابتكاراً فى التنظيم ، وتتطلب فلسفة جديدة للتعليم . والدولة لاتضع فلسفات جديدة ، ولكنها تعتمد فلسفات ناجحة .

فهل نستطيع ذلك ، انا وانت ؟

همـــوم
ثقافيـة

نحـو نهضـة فكريـة أداتها العقل والخيال !

بقلم : مصـطفى نـبيـل

حان الوقت لكي نتوقف ونتامل بعض همومنا الثقافية ؛ بعد ان تاكد لنا ، انه يستحيل تجاوز المصاعب التى تواجهنا ، وتحقيق التطور وملاحقة العصر الا اذا بدانا بالعقل والخيال لننتقل منهما الى الواقع والحياة ، والمفروض ان المثقف هو الذى يسبق زمنه ويمهد الطريق للمستقبل ، وهذا يعني ان مستقبلنا يتوقف على قدرتنا على تطوير حياتنا ، كى تتمشى مع ما استجد على العالم من تغيرات ، حتى لانتعرض لخطر عدم مسايرتنا للعصر .

والثقافة فى نهاية الأمر تعنى تكوين نظام عقلى دقيق يعتمد فى المقام الاول على غرس الروح العلمية .

وها هو ذا العالم من حولنا ، وهاهى ذى دروس الماضى بدلالتها التى لاتخطىء ، فلم نسمع عن مجتمع متقدم لم تسبقه او تصاحبه نهضة فكرية وثقافية ، ولم نر مجتمعا يرتفع مستوى الثقافة والفكر بين افراده ، ويعجز عن المبادرة والابتكار فى مواجهة ما يعترضه من تحديات ، ولم نسمع مطلقا عن مجتمع ارتفع اقتصاديا وتخلف ثقافيا ، فمن المستحيل ان تزدهر حضارة بدون ثقافة .

وفى هذا المجال لامحل لذلك الحوار الذى يدور بين وقت وآخر ويقارن بين الاهتمام بلقمة العيش او بغذاء العقل ، او يقارن بين البناء المادى والبناء الثقافى ، فالثقافة فى ابسط معانيها هى المعرفة بالعالم والعصر والانسان من حولك ، وهى معرفة لاغنى عنها لاى ازدهار اقتصادى او تقدم مادى ، فالتقدم يقوم على ركيزتين اساسيتين ، الابتكار فى العلوم التطبيقية وازدهار العلوم الانسانية ، اى على كل من العلوم الانسانية والتطبيقية معا ..

ولامحل لتساؤل البعض .. هل انفاق المال على الثقافة اجدى ام انفاق هذا المال فى القضاء على الامية ؟ او فى تطوير نظام التعليم فى المدارس والجامعات ؟! إن الثقافة وحدها هى القادرة على خلق الحافز الحقيقى لمحو الامية ، وتطوير التعليم واصلاحه ، باعتبار الثقافة هى التى تعالج الجوانب المعنوية للحضارة التى تتمثل فى مجموع القيم التى يقوم عليها المجتمع ، والثقافة وحدها هى التى تعالج امية المتعلمين الذين خرجوا من التعليم بالقليل من المعرفة ، وهى التى تساهم فى تنمية قدرة كل صاحب فن فى فنه ، فالقارىء يتحرك تفكيره بما يقرأ ، اذا كان ما يقرؤه يثير اهتمامه الشخصى ويقترب من حياته ومشاكله ، وعندما يزداد شغفه بالقراءة ستضعه قراءاته امام معرفة بلا حدود ، ولا تدعه عاجزا قليل الحيلة امام ما يواجهه من مشكلات .

وضعف الثقافة يؤدى الى تلك الحالة التى تصرف الافراد عن اليقظة لما يدور حولهم ، وعدم ادراك الاخطار التى تهددهم وعدم التنبه الى كل ماتتطلبه يقظة الذهن وملاحقة الاحداث ، ووهن الثقافة وراء اختيار اللحظة بديلا عن الغد ، وماتحت الاقدام بديلا عن آفاق المستقبل ، والذاتى بديلا عن العام ، والمبتذل الرخيص بديلا عن الفكر الرفيع ، وهذا ـ باختصار ـ مايقف وراء صور تبلد العقل والحواس التى كثيرا مانلمحها !..

وعندما التقيت اخيرا باحد اساتذة التاريخ العرب فى احدى الجامعات الامريكية والذى جاء فى زيارة سريعة للقاهرة ، استلفت انتباهه ، انه رغم جو الحرية الرحب الذى يعيش فيه المثقفون فى مصر فإن الكتاب منصرفون عن القضية الرئيسية لكل مثقف ، والمتمثلة فى قضايا العصر وهموم البسطاء ، وهو مالم يحدث مثله فى اى فترة تاريخية سابقة !

ولايشغلهم مثلا كيف يتوصلون الى افضل الوسائل للارتفاع بمستوى



الثقافة ، وهم يعيشون على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولاتشغلهم الاساليب البسيطة والمبتكرة لنشر الثقافة ، والتى وصفها تولستوى الكاتب الروسى الشهير : « إن المعيار الحقيقى للفكر والفن ، ان يستطيع تذوقهما اقل الناس تحصيلا واكثرهم تحصيلا على السواء »

●

لقد صاحب تراجع الكتاب في حياتنا الثقافية ، تراجع النقد والمتابعة للاصدارات الجديدة ، فى الوقت الذى اصبح فيه القارىء فى اشد الحاجة لهذه المراجعة ، لكى تساعده على التمييز بين الغث والثمين ، وتقوده الى متابعة مايدخل فى اطار اهتماماته ، ويتعرف على القمم والسفوح فى الحياة الفكرية ..

كما غابت المنتديات والجمعيات الادبية التى تميزت بها منتديات مصر فى الماضى .

وكانت مصر دائما هى محور الفكر العربي وعموده الفقرى بما لديها من مفكرين وشعراء وادباء وعلماء وبما تصدره مطابعها من كتب ، وماتقدمه جامعاتها من اساتذة ودراسات وابحاث ، وماتعرضه مسارحها ومعارضها من فنون ، فـ « الأديب المصرى هو الآسى لجروح الشرق ، وهو القيثارة التى تصدح بافراحه » ، كما عبر زكى مبارك فى الخمسينيات ، ولهذا حصلت مصر على مكانة عالية وسط أمتها العربية ، ليس بما لديها من اموال ولكن بما تبثه من افكار ، يوم كانت قبلة المبشرين بالتقدم والاستنارة والعقلانية ، ويومها لعبت القاهرة فى التاريخ الحديث دورا بارزا فى بناء الوحدة الفكرية العربية ..

ومع الأيام بدات هذه الوحدة الثقافية فى الانهيار ، وتراجع الثابت وتقدم المتغير من الأمور ، وتراجعت فى العلاقات العربية الثقافة وتقدمت السياسة ، فاذا اختلف حاكم مع آخر حول قضية سياسية سرعان ماينعكس هذا الخلاف على الروابط العربية ، فتقطع الاوصال الثقافية القائمة ، وتغلق الحدود ، وتتوقف حركة انتقال البضائع والافكار وتوضع القيود على حركة المواطنين وتكاد الدورة الدموية الثقافية ان تتوقف ، وكأن المستهدف من هذا كله حقيقة ان مصر اقدم واكبر بلد عربى زادها العلم والأدب والبيان .

●

ولايمكن فصل ازمة الثقافة عن ازمة المثقفين ، فكلاهما وجها عملة واحدة ، وازمة الثقافة ترتبط بوضع المثقف فى المجتمع ، ومدى نجاح المجتمع فى استيعاب جهد مفكريه .

ولم يعد الكاتب او الفنان قادرا على اشباع مطالب الحياة من فنه أو انتاجه ، والازمة فى احد جوانبها أزمة اقتصادية ، عندما لايحقق الدخل الحد الادنى اذا اعطى جهده كله لفنه وفكره ، وخاصة ونحن امام ارتفاع كلفة العمل الثقافى وعجز الفرد العادى عن تحمل اعبائه ، فكيف يتاتى لمن تثقله مطالب الحياة ان يفكر وان يبدع ؟ انه يصبح اسيرا لاشباع احتياجاته ، ويبعد عن محراب فكره وابداعه ، وكثيرا ماتؤدى هذه الحال الى تجنب تناول امهات المسائل ، والانشغال بالرائج من الامور مهما كانت اهميته ، ويغلب على اعماله ممالأة الرأى العام بصرف النظر عن علاقته بما يكتب ، ويندر فى ظل هذه الظروف وجود الكاتب الذى يرى فى انتاجه رسالة مقدسة عليه ان يؤديها متحديا ظروفه الاقتصادية ..

ولم يعد المجتمع يقدم العناية الكافية للمواهب الشابة القادرة على العطاء الفكرى الراقى ، فقد مضى عصر السلاطين والامراء ، واصبح للمجتمع المعاصر سلاطينه وأمراؤه الممثلون فى مؤسساته الثقافية ، ويحق لنا ان نتساءل عن مصير نظام التفرغ الذى اتاح الفرصة لعدد من المواهب الشابة فى ان تقدم ابداعها ، واين لجنة المقتنيات التى تقتنى الاعمال الفنية الراقية ، التى يبدعها الفنانون التشكيليون ، لقد تحولت هذه النظم الى شكل بلا روح ، وغرقت فى البيروقراطية والمكتبية .

كذا جاءت حركة النكوص او التراجع فى التاليف والقراءة معا ؛ وخضوع الفكر للقيم السائدة بدلا من العمل على تغييرها واتباع التقاليد البالية ، ويتضاءل الابداع ويختنق ، فمن طبيعة الابداع ان يتطلع الى التغيير نحو الافضل ، ويرتفع فوق الهموم الصغيرة ، ويقدم للمتلقى القدرة على تذوق الحياة ، وكيف يفهمها ويطورها .

ومن جانب اخر يعانى المثقفون فى معظم البلاد النامية ، من دورهم الهامشى ، مما يثير لديهم صور السخط والكبت والشعور بالاحباط ، عندما لا يستفيد المجتمع من ثقافتهم وخبرتهم ، ولايجعلهم جزءا عضويا من نسيجه ، لذا يحكم على النظام الاجتماعى بمدى قدرته على الاستفادة من المثقفين والخبراء ومدى نجاحه فى جعلهم جزءا حيويا منه .

كما يحكم على اى مجتمع بحجم مؤسسات البحث والتفكير الفاعلة داخله ، التى يتمكن من خلالها المثقفون من المساهمة بالحلول المدروسة للعديد من المشاكل ، على ان يتجاوب المجتمع مع هذه الحلول .

وعلى العكس من ذلك يلاحظ فى مجتمعنا هبوط مستوى الجدل العام ، وتعثره فى قضايا قديمة ومستهلكة وعزوفه عن متابعة القضايا الحيوية ، وعودة الجدل الى قضايا قديمة مستهلكة ، سبق حسمها خلال

مطلع القرن والقرن الماضى ، فاذا كان من المفيد المراجعة للافكار بين وقت واخر فإن المراجعة شيء والبدء من جديد شيء اخر ، ففى ذلك اهدار جهود جيل الرواد الذين قدموا عصير حياتهم وخبرتهم لاجيال لاحقة .

●

نصل الى اهم واخطر مظاهر ازمة الثقافة ، والمتمثل فى الشعور السائد بالعبثية واللاجدوى ، بين الكتاب والقراء على السواء ، فمن المفترض انه اذا طرحت فكرة على الرأى العام طرحا صحيحا وفى الوقت المناسب ، وتمت مناقشتها وقبلها وتحمس لها الراى العام ، ان تجد الفكرة طريقها للتنفيذ على ارض الواقع ، عندها تسترد الفكرة والكلمة مصداقيتهما ، ويرتفع فى المجتمع صوت العقل والحكمة ، ويتحدد طريق المنافسة والابداع والمبادرة من اجل الوصول الى حلول المشاكل القائمة .

ولكن تسير الامور سيرا عكسيا ، فى اكثر القضايا التى طرحت للبحث والمناقشة وما اكثر الافكار والمقترحات التى قدمت ، وبقيت حبيسة الكلمات فى الملفات لاتلقى استجابة ، وتبقى مجرد افكار هائمة ويستمر الانفصال بين القول والفعل ، والانقطاع بين الفكرة وتنفيذها ، وبين رجال العلم ورجال العمل !

ولعل من الضرورى عند هذه النقطة ، الا نكتفى بالتعميم وان نقدم امثلة محددة من حياتنا الثقافية :

● كثيرا ماكتب الكتاب والباحثون حول التدهور الذى تعانى منه المكتبات العامة ، وماآلت اليه دار الكتب ولحق دورياتها القديمة وكتبها من تاكل ، وما أصاب ادارتها واصبح من العسير الحصول على كتاب او مخطوط قديم ، الا باجراءات معقدة ، كما تعانى من نظام عليل للفهرسة وحفظ كتبها النادرة وبُحَّ صوت الكتاب مطالبين بعودة دار الكتب الى مجدها القديم ، بعد استرداد شخصيتها الاعتبارية ، وبعد الفشل الذى منيت به عندما اصبحت جزءا من الهيئة العامة للكتاب ، وضرورة اشرافها على شبكة المكتبات العامة التى من المفروض ان تمتد الى كل مدينة وحى وقرية ونجع حتى يصل الكتاب الى كل من يحتاجه ، وطالب المثقفون بان تشترى الكتب الجديدة لهذه الشبكة من المكتبات لجنة محايدة وموضوعية وان تختار المطبوعات ذات القيمة والمستوى الرفيع ، ففى هذا حل عملى لمشكلة الكتاب وتوفيره ، مما سيؤدى الى انتعاش الكتاب الجاد وحل مشاكله ، وعندها سيعود هذا السفير الذى كان يحمل اسم مصر الى كل بلد عربى .

وضاعت كل هذه الصيحات ادراج الرياح ، وبقيت دار الكتب والمكتبات العامة تعانى من الاهمال الجسيم .

● وقضية ثقافية ثانية .. كتب العديد من المقالات حولها وقررت العديد من اللجان توصيات بشانها وهى ضرورة انشاء موسوعة عربية تضم بين دفتيها جماع المعرفة باللغة العربية ، وشرح اصحاب القضية حيوية هذا المشروع وانه اجدى من العديد من المشروعات التى تستنفد الكثير من الاموال ، ورغم كل الصيحات بقى المشروع حلما لم يتحقق .. فأى احباط يصاب به الكتاب ؟!

واذا كانت قلة الاعتمادات وعجز الميزانية حجة صحيحة ينبغى اخذها مأخذ الجد ، فإنه يمكن تحقيق دفعة قوية فى شرايين الحياة الثقافية باقل اعتمادات ممكنة ، اذا تم مجرد التنسيق الجاد بين العديد من المؤسسات الثقافية القائمة ، واذا قامت سياسة التكامل بدلا من المنافسة الضارة ، وان تلتزم كل من هذه المؤسسات بجانب من خطة ثقافية مشتركة ، وان تتعرف هذه المؤسسات على نشاط غيرها ، وان يساعد بعضها بعضا لتحقيق اهدافها المشتركة .

وخاصة ان السائد فى الحياة الثقافية عكس ذلك تماما ، كل مؤسسة ثقافية تتجاهل المؤسسة الاخرى بدلا من ان تتكامل معها ، وكل منها تريد تأكيد ذاتها على حساب غيرها ، وكلما عجزت احدى المؤسسات القائمة على تحقيق هدف ما ، اقمنا مؤسسة جديدة لتحقيق ذات الهدف ، بدلا من البحث عن الاسباب الحقيقية للفشل ومحاولة علاجه .. وبدلا من ان يقوم المجلس الاعلى للاداب والفنون بدوره فى التنسيق بين نشاطات المؤسسات المختلفة ، اصبح واحدا من هذه المؤسسات الثقافية القائمة ، تقف الى جانبه وزارة الثقافة بمؤسساتها المختلفة ، ومجمع اللغة العربية ، الى جانب الجامعات ومؤسسات البحث ، وخرجت علينا لجنة الثقافة فى اللجان القومية المتخصصة ، ببيانات ودراسات منقطعة الصلة بواقع حياتنا الثقافية !

واذا اخذنا مؤسسات نشر الكتاب وحدها ، فسنجد مؤسسات النشر تتوزع بين مؤسسات النشر الخاصة ومؤسسات النشر الصحفية ومؤسسات النشر العامة ، فاذا تعاونت كل هذه المؤسسات على تحقيق هدفها فى اعادة الاعتبار للكتابة واستخدمت ــ فى توزيع الكتاب ــ منافذ التوزيع لها جميعا ، فاية دفعة ستنالها صناعة الكتاب .

وهنا سنبدأ السير فى الطريق الصحيح ــ فقط ــ عندما تنتهى القطيعة القائمة بين القول والفعل ، ويحل التنسيق محل التضارب فى الحياة الثقافية .



ماوتسى تونج

زهاو زيانج



لى يايانج

استردوا بكين..

بقلم: عبد الرحمن شاكر

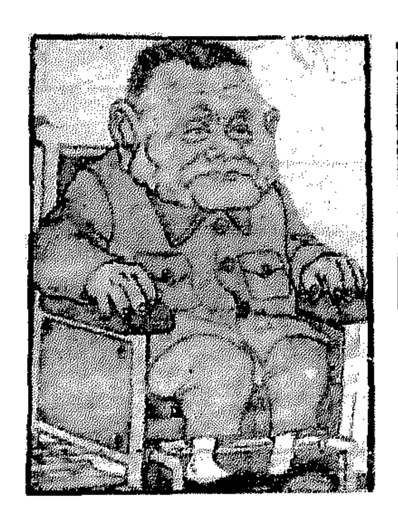
ربما يكون حكام الصين ، أو بالتحديد الجناح المتشدد من الحزب الشيوعى الصينى ، والحكومة الصينية ، قد افلحوا حتى الآن فى السيطرة على العاصمة الصينية بكين بالحديد والنار ، بالدبابات التى اجتاحت شوارعها وميادينها ، وخاصة ميدان "تيان ان مين" ، أو ميدان "السلام السماوى" ، الذى تحول إلى ميدان "القتال الارضى" او الوحشى على الأصح ، حيث راحت الدبابات تطلق نيرانها فى كل اتجاه على "بقايا" الطلبة العزل الذين كانوا لايزالون يتجمعون فى الميدان ، بعد أن كانوا منذ أيام قليلة كتلة ضخمة من البشر ، حينما انضم إليهم جموع سكان بكين من العمال وغيرهم بمن فى ذلك أعضاء الحزب الشيوعى انفسهم ، وكانت هذه الكتلة تسد الطريق أمام الدبابات وتقنع الجنود بان عليهم الا يقاتلوا إخوتهم المنادين بالديمقراطية ، والا يخرجوا على التقاليد التى وضعها "ماوتسى تونج" لجيش التحرير الصينى بان العلاقة بينه وبين الشعب وجماهيره هى علاقة السمك بالماء ، إن خرج منها او عليها ، فقد حكم على نفسه بالهلاك .



ياروزلسكى



جورباتشوف



دنج سياوبنج

ليخسروا الصين!

وبالفعل ، فإن الحكومة الصينية تزعم فى بياناتها الرسمية أن عدد القتلى والجرحى من الجنود كان أكثر بكثير من الطلبة الذين راحوا ضحية أعمال القمع ! والواقع أنه حينما بدأ الصدام بين الفريقين وهو لم يبدأ إلا عندما بدأت الكتلة البشرية فى الذوبان تمهيداً للعودة إلى الإيقاع الطبيعى للحياة .. كان من طبيعة الأمور أن يدفع الطلبة عن انفسهم ، وأن يفتكوا بمن تقع عليه أيديهم من الجنود الذين يطلقون النار عليهم ، وأن يحرقوا بقنابل صنعوها بأيديهم الدبابات والمصفحات التى تجتاح جموعهم وتسحق عظامهم !

لقد كانت تلك الكتلة البشرية ، فى ذروة تجمعها وتلاحمها ، هى القوة الحاكمة فى العاصمة الصينية العريقة ، ولكن لم تبطش بأحد ، أو تعمد إليه بأذى ، كل مافعلته أيام "حكمها" أنها حالت دون الحكومة الصينية ، واستقبال جورباتشوف فى الميدان الكبير للعاصمة ، وإقامة مراسم الاستقبال هناك كما جرت العادة . وقتها راحت الحكومة تناشد جموع الطلبة الانسحاب من الميدان ، إظهارا للتضامن مع الحكومة الصينية أمام ضيفها الكبير ، الذى جاء إليها كالمعتذر عن سياسة أسلافه خروشوف وبريجنيف إزاء الصين ، ولكن الجماهير لم تستجب لهذا النداء بالعكس من ذلك فقد قلبت الآية على

الحكومة الصينية ، وأذلتها إذلالا صارخا أمام جورباتشوف ، حينما رفعت صورته بدلا من صورة الزعماء الصينيين ، وراح الطلبة يرقصون وينشدون : الاتحاد السوفييتى لديه جورباتشوف ، فمن لدينا ؟ ! يشيرون بذلك إلى انتقادهم للزعيم الذى يقود بلادهم على طريق الديمقراطية التى أصبحت الآن هى النغمة السائدة فى كافة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى بقيادة جورباتشوف ! .

وحاول "زهاو زيانج" سكرتير **الحزب الشيوعى أن يكون على نحو ما ، أو إلى حدما هو جورباتشوف الصين ، ذهب إلى الطلبة والدموع فى عينيه حزنا على من اصابهم الاعياء منهم ممن اضربوا عن الطعام حتى تجاب مطالبهم فى الديمقراطية** ، ودعا إلى الحوار المفتوح معهم ، وحرية الحوار ـ هذه بما فى ذلك ما تكتبه الصحف ـ هى واحدة من هذه المطالب ، وربما يكون قد تناجى هو وجورباتشوف "السوفييتى" حول هذه المسألة ، ولكن قال له إنه مجرد "سكرتير عام" من ورق للحزب الشيوعى الصينى ! وأنه ومن سواه من الزعماء ، إنما يتحركون بأوامر من الثعلب العجوز "دنج سياو بنج" .. لذلك كان من حيثيات إقصائه عن منصبه أنه اذاع أسرار الحزب الشيوعى بذكر تلك الحقيقة عن الزعيم الصينى الذى يحكم البلاد من موقع رئاسة اللجنة العسكرية للحزب فقط ، ويحرك الباقين بمن فيهم سكرتير الحزب من وراء ستار ! وبذلك لحق زهاو زيانج ، بسلفه هوياويانج الذى سبق إقصاؤه من منصبه أيضا كسكرتير عام للحزب الشيوعى ، بسبب اتهامه بالتهاون مع ذات الحركة الطلابية المنادية بالديمقراطية ، أو "الليبرالية البرجوازية" كما يسميها المتشددون من حكام الصين ، وكانت وفاته فى شهر إبريل الماضى ، هى المفجر للحركة الطلابية العارمة من جديد خلال هذا العام .

وبدلا من زهاو زيانج المعتدل ، الذى قيل إن رئيس المخابرات قد خلفه فى منصبه كسكرتير عام للحزب الشيوعى ، ذهب إلى الطلبة "لى يانج" رئيس الوزراء المتعجرف ، الذى أعلن الأحكام العرفية ، وطالب الطلبة بالتفرق وإخلاء الميدان الكبير ، وأرسل الفرقة السابعة والعشرين من

الجيش لتحاصر العاصمة تمهيداً لاقتحامها ، وكان من طبيعة الأمور أن يهتف الطلبة بسقوطه ، هو ومحركه الكبير دنج سياوبنج . ثم بدأ الاقتحام حين بدأ التفرق ! وإذا كان التاريخ لم يغفر "لشيانى كاى شيك" زعيم الصين الوطنية ، الذى قهره ماوتسى تونج زعيم الصين الشعبية ، أنه كان يذيب أجساد معارضيه من الطلبة أيضا فى أحواض ملأى بحامض الكبريتيك المركز ، فإن التاريخ لن يغفر أيضاً لـ "لى يانج" أو حتى دنج سياوبنج ، رغم مايقال عن مرضه وشيخوخته واحتمال وفاته ، سحق عظام الطلبة العزل بالدبابات !

● هكذا يخسرون الصين !

إن التهمة التى يوجهها الحكام المتشددون فى الصين إلى الطلبة وحركتهم . منذ عام ١٩٨٦ ، أنهم يدعون إلى "الليبرالية البرجوازية" ، رغم أن الطلبة لم يتنكروا لحكم الحزب الشيوعى ولا للأشتراكية ولكنهم يطالبون بإطلاق حرية الصحافة والنقد والاجتماعات ، وتطهير الحكم من الفساد ، ونشر ما خفى من معلومات عن ثروات كبار رجال الدولة وأسرهم وأرصدتهم فى البنوك .

ويفرض أن الطلبة قد وصلوا فى مطالبهم إلى حد المطالبة بإطلاق حرية الأحزاب على الطريقة "البرجوازية" فإن هذه لم تعد تهمة فى أى من دول المعسكر الاشتراكى ، وقد أقرت المجر بالفعل هذه الحرية ، بعد تجربة قاسية مع دكتاتورية الحزب الشيوعى ، تم فيها سحق الحركة الديمقراطية عام ١٩٥٦ بالدبابات السوفييتية ، ورغم كل ما شاب تلك الحركة من أن الغرب كان محركا رئيسيا فيها ، وأن عدة ألوف من المتسللين عبر الحدود مع النمسا قد دخلوا المجر للفتك بأعضاء الحزب الشيوعى فإن قيادة الحزب الحالية ، قد أعلنت رد اعتبار "أوى ناجى" رئيس وزراء المجر الذى اعدمه السوفييت بعد تدخلهم المسلح ، وأقصى عن الحكم خليفته چانوس كادار ، رغم انه كان شديد الاعتدال ، وأدخل على سياسة المجر الاقتصادية والسياسية كثيرا من التعديلات التى كان يريد إدخالها "إوى ناجى" أيام حكمه ، وكانت المجر هى أول من حذر الحكومة الصينية من أستخدام القوات

المسلحة فى قمع الحركة الطلابية ، وكأنها تقول لها : عليكم أن تعتبروا بما حدث فى بلادنا !

ولكن الحكومة الصينية لم تعتبر ! لابما حدث فى المجر ، ولا بما يحدث فى الاتحاد السوفييتى ذاته ، حيث تتصاعد الموجة الديمقراطية منذ أقدم خروشوف فى عام ١٩٥٦ على إدانة ديكتاتورية ستالين وإرهابه ، حتى أصبحت الديمقراطية هى الشعار السائد فى عهد جورباتشوف ، أما بولندا فإن حركة التضامن التى حظرتها الحكومة البولندية طويلا ، قد أثبتت الانتخابات الأخيرة فى بولندا أنها تتمتع بتأييد الأغلبية الساحقة من الشعب البولندى ، إلى حد أن ياروزلسكى رئيس الحكومة البولندية ، وسكرتير الحزب الشيوعى بها ، قد أعلن أخيرا أنه من المحتمل أن يخرج الحزب الشيوعى من الحكم فى الانتخابات القادمة بعد أربعة أعوام ، لذلك ربما يسعى حاليا إلى الائتلاف فى الحكم مع منظمة تضامن ، إما ليضمن استمرار هذا الائتلاف إلى حين الانتخابات التالية أو يساهم على الأقل فى تدريب رجال منظمة تضامن على حكم البلاد تحت رعايته ، حتى يجىء أوان استلامهم لمسئولية الحكم بالكامل !

ورغم كل ذلك تتجاسر الحكومة الصينية على إعلان أن المنظمات الطلابية والعمالية المستقلة ، على غرار نقابة تضامن البولندية ، هى منظمات غير مشروعة ، وتحظر قيامها فى ظل الأحكام العرفية !

أية مشروعية هذه التى يتمتع بها حكام الصين وحدهم ؟

● إذا كانوا يريدون بذلك حق الحزب الشيوعى فى الاستئثار بالحكم ، باسم ديكتاتورية البروليتاريا ، فإن ماوتسى تونج من قديم الزمان ، قد أعلن أن النظام الذى يسعى إلى أقامته فى الصين هو "ديمقراطية جديدة" ، وأن الثورة التى يقوم بها هى ثورة الشعب المكون أساسا من الفلاحين ، بقيادة الحزب الشيوعى ، الممثل للبروليتاريا العالمية ، وليس للعمال الصينيين الصناعيين وحدهم الذين يعتبرون فى الصين اقلية ضئيلة بالنسبة للفلاحين .. وهاهى البروليتاريا العالمية بزعامة الاتحاد السوفييتى تميل الى الديمقراطية !



المصفحات تملأ شوارع بكين

● من أجل هذا الاختلاف بين وضع الثورة الصينية وسواها فإن الحزب الشيوعى الصينى خلافا لكل الأحزاب الشيوعية الأخرى ، لا يعلن تقيده بالماركسية اللينينية وحدها كعقيدة له ، ولكنه ينص فى برنامجه على إضافة أفكار ماوتسى تونج كجزء من هذه العقيدة .. ومع ذلك فإن دنج سياوبنج قد أعلن أكثر من مرة مع بدء برنامجه فى الاصلاح الاقتصادى ، أن الحقائق الاقتصادية أقوى الف مرة من كل ماقاله ماركس أو لينين .. وأكثر من ذلك قد غير كثيرا من سياسات ماوتسى تونج التقشفية ، التى كانت تستهدف الوصول السريع إلى مرحلة الشيوعية ، عن طريق الكوميونات الزراعية ، بما فى ذلك إلغاء التفاوت بين العمل الفكرى والعمل اليدوى .. فما هى العقيدة الملزمة للمجتمع الصينى ، التى تسوغ للحزب الشيوعى بأفكاره الحالية الاستئثار ـ ليس بالحكم فحسب ـ بل بكافة وسائل التعبير والتنظيم والعمل السياسى ، وهذه العقيدة ذاتها هى التغيير الواسع النطاق فيها ؟ !

● من المدهش حقاً أن تكون تهمة

الحركة الديمقراطية الطلابية ، أنها تدعو الى الليبرالية البرجوازية على طريقة الغرب ، فى الوقت الذى تدعو فيه سياسة دنج سياوبنج الاقتصادية المطبقة حاليا إلى تعلم كل شىء من الغرب ، وفى مقدمة ذلك التكنولوجيا الحديثة التى تفتقر إليها الصين ، ومن أجل ذلك تعدل فى كثير من أوضاعها الاقتصادية ، وتسمح بالعودة إلى سياسة السوق المفتوحة ، وقد سبقت بريسترويكا جورباتشوف فى ذلك بسنوات كثيرة ، واقامت كثيرا من المشروعات المشتركة مع الدوائر الرأسمالية فى الغرب ، مما سمح بنمو رأسمالية محلية جديدة فى الصين ، جلبت معها كل مبتكرات الغرب من السلع الاستهلاكية ، بل بعض مظاهر الانحلال "البرجوازى" من موسيقى الديسكو والملابس والعروض الخليعة وما إليها .. إن الديمقراطية أو الليبرالية هى أفضل إفراز للبرجوازية الغربية حتى الآن ، وافضل ما يمكن للشعوب الأخرى أن تتعلمه منها ، بدلا من أن تظل وصمة الاستبداد الشرقى عالقة إلى الأبد ، ويظل هذا الاستبداد ستارا على كثير من الفساد ! ويكفى أن "صن يات سن" مؤسس الصين الحديثة كان برجوازيا ليبراليا ، وهو الذى يرفع حكام الصين حاليا صورته إلى جانب صورة ماوتسى تونج فى عيد اول مايو ، بدلا من صور ماركس ولينين ، على حد ماروى الأستاذ محمود أمين العالم على صفحات جريدة الأهالى .

● أما القول بأن الطلبة قد جاوزوا حدودهم فى تلك المظاهرات التى اجتاحت شوارع بكين وغيرها من المدن ، بهتافهم بسقوط بعض الزعماء وتعليق ملصقات تدعو إلى ذلك ، فإن هذا الجيل من الشباب قد تعلم أن هذا عمل مشروع فى الصين الشعبية ، من ايام ماوتسى تونج ، لإسقاط من غضب عليهم من قادة الصين ، مثل ليوتشاوتش رئيس الجمهورية ، الذى كانت تهمته "البرجوازية" انه يقرا روايات شكسبير ويحب سماع الموسيقى الكلاسيكية ويفضلها على الصخب النحاسى ، المسمى بالموسيقى الصينية ! ومثل دنج سياوبنج ذاته من ضحايا الثورة الثقافية ، ولعل عقدة دنج من تلك "الثورة" وماحدث له أبانها هى التى جعلته يوافق ، أو على الأقل لايستطيع

الاعتراض على قمع حركة الطلاب بالقوة ، إزاء إلحاح المتشددين فى ذلك !

● ربما يكون التجاوز هو قيام الطلاب بصنع تمثال من الجص ، على هيئة تمثال الحرية الأمريكى ووضعه فى ميدان "تيان إن مين" فى مواجهة الصورة الضخمة لماوتسى تونج ، مما أثار استياء بعض أفراد الشعب وجعلهم يقولون : نحن فى الصين ولسنا فى أمريكا . ولكن التخلص من هذا التمثال لم يكن يستحق سحق أجساد الطلبة بالدبابات ، وهو لا يعكس الشعور الوطنى العام لديهم ، بدليل أنه قبل ذلك قد سلموا الى الشرطة من حاولوا تلويث صورة ماوتسى تونج ! ولا ندرى اذا ما كان ذلك قد ارضى دنج سياوبنج أم زاد فى مرارته !!

● أما أن الحكام الحاليين قد خسروا الصين ، أو فى طريقهم الى خسارتها بعد أن نجحوا فى استرداد بكين من أيدى طلابها وشعبها ، فالدليل على ذلك أن المظاهرات العارمة لاتزال تجتاح بقية المدن الصينية مثل شنغهاى ونانكين وسواهما ، ويزيدها غضبا ما حدث للطلبة فى بكين ، كما أن ما يقال عن الانقسام فى صفوف الجيش الصينى لأن قسما كبيرا منه ، وربما معظمه يرفض أن يشارك فى قمع الجماهير الثائرة التى يعتبر الجيش نفسه جزءا منها ، فذلك أمر وارد تماما ، وربما يكون قد وقع بالفعل ما رددته الأنباء عن نشوب قتال ما بين فرق مختلفة من الجيش ، ومن أدلة ذلك سحب الفرقة السابعة والعشرين التى اقتحمت بكين ، وساءت بذلك سمعتها ، وبالتالى معنويات جنودها ، واحلال فرقة أخرى محلها للسيطرة على العاصمة .

إن جميع الدلائل تشير الى أن النصر الذى أحرزه المتشددون فى الحزب الشيوعى والحكومة الصينية هو نصر مؤقت ، وأن ثورة مايو الطلابية فى بكين سوف تفتح صفحة جديدة فى التاريخ الصينى ، صفحة من نوع الثورة الفرنسية ، والثورة الروسية ، والثورة الصينية ذاتها فى سابق مراحلها ، مما يدخل فى الباب الذى خلده شاعرنا الكبير أحمد شوقى بقوله :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق !

آفاق العمل العربي

بقلم : قسطنطين زريق

لايمكن لاحد ان يحدد بدقة ماسيكون عليه مستقبل العمل العربى المشترك لان هذا المستقبل يتوقف على السياسات التى سيتبعها القادة العرب فى سلوكهم الداخلى وفى علاقاتهم الخارجية وعلى مدى وعى الشعوب العربية للتحديات التى تجابهها فى هذا العصر وعلى نوع ردودها على هذه التحديات .

● اما اذا سألنا ماذا يجب ان يكون عليه مستقبل العمل العربى المشترك فليس من شك أن هذا العمل يجب ان يسير حثيثا فى طريق التوسع والتكسب وان يأتى يوما بعد يوم تعبيرا عن المزيد من التضامن والتلاحم بين الشعوب العربية وبين حكامها . ذلك انه اصبح بيناً دون حاجة الى دليل إن نعيش فى عصر يستعر فيه التنافس بين الشعوب وبين الدول فى سبيل الحفاظ على الاستقلال وحماية الذات .

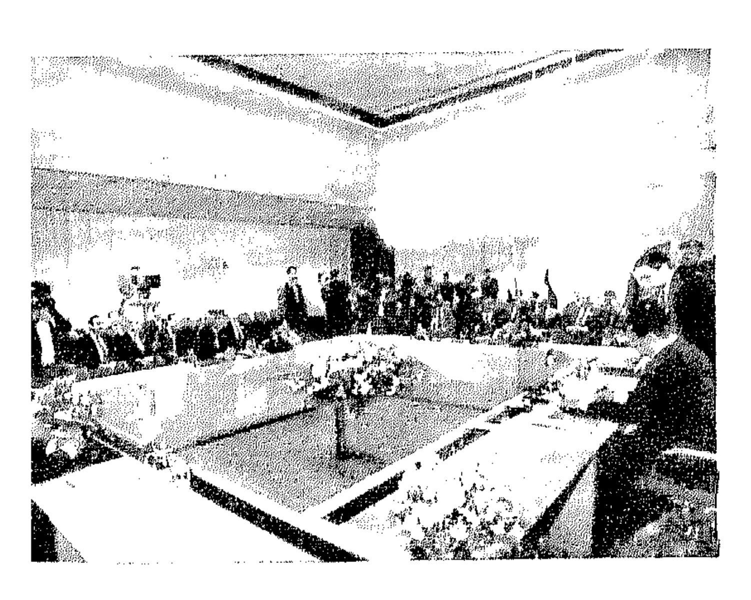
لقد تضخمت نفقات الدفاع الوطنى تضخما جسيما ، وتكاثرت الحاجات الانسانية الى حد لم يكن يُتخيل فى الامس القريب ، وهذا راجع الى تفجرين اساسيين فى قوى العصر الذى نحياه

الدكتور قسطنطين زريق احد الكتاب العرب الموموقين . نشأ فى سوريا وعاش فى لبنان وهو من المفكرين القوميين الذين تمسكوا بالاتجاه العقلى العلمى ومن اهم مؤلفاته : الوعى القومى - معنى النكبة - معركة الحضارة .

اولهما تفجر المعرفة والعلم ، هذا التفجر الذى يأتينا كل يوم بما يبهر ويذهل من المكتشفات والمخترعات والذى يدعو باستمرار الى تغيير الاجهـزة التى نستخـدمهـا فى الصناعات المدنية والعسكرية وفى الزراعة والادارة والنقل وسواها وكذلك الى تغيير اساليب الفكر ومحتوياته ومناهج العمل ومنطلقاته . اما التفجر الثانى فهو الذى يندلع فى صدور ابناء البشر حيثما كانوا فى الدول المدعوة متقدمة والاخرى المسماة "متخلفة" او "نامية" والذى يتجه نحو المزيد من المطالب فى تأمين الغذاء والكساء والسكن والصحة والتعليم والعيش الكريم بمختلف وجوهه ومعانيه ، ومع ان هذا التفجر يسود كما قلنا فى المجتمعات قاطبة فانه يشتد بصورة خاصة فى المجتمعات المتخلفة التى نهضت حديثا .

هذان التفجران الاساسيان يتطلبان فى الدرجة الاولى التجنيد والتعبئة .

تعبئة الموارد المادية والبشرية المتاحة للمجتمع واخراجها من حيز الامكان الى حيز الفعل . لايكفى مجتمعا من المجتمعات ان تكون له اراض زراعية خصبة واسعة او موارد معدنية ثرية اومادة عزيزة وضرورية لتسيير حركته الصناعية ولتيسير سبل العيش كالنفط مثلا ، بل عليه ان يكون لنفسه القدرة على تحويل هذه الثروات الممكنة الى ثروات فاعلة وذلك بوسائل العلم والتكنولوجيا المتطورة . وكذلك



مجلس التعاون العربى



مجلس السوق الاوربية المشتركة

مجلس السوق الاوربية المشتركة

لايكفيه أن يضم الاعداد الوافرة من البشر بل يتوجب عليه ان ينمى هذا المدد البشرى ليصبح ثروة حقيقية تسرى فى شرايين الحياة القومية . ولا تكون عبئا عليها او عائقا لتقدمها .

● تنمية الموارد

فكلما كانت الموارد القومية غزيرة وكلما كان المجتمع مجهزا لاستخراج

قدراتها ولحشدها فى معركة الحياة والمصير يغدو المجتمع مؤهلا لتوفية شروط البقاء والتقدم فى هذا العصر العسير وفى العصر المقبل الذى يبدو اشد عسرا وابلغ تطلبا . ومن هنا نرى نزوع الشعوب فى هذه الايام فى اتجاهين رئيسيين ، الاول : تنمية الموارد الذاتية وحشدها . والثانى : التكتل مع مجتمعات مشابهة او مجاورة فى كيانات اقتصادية او سياسية واسعة لتجميع الموارد المنماة والتنسيق بينها وحسن الافادة منها .

هذا ماتراه مثلا فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية التى تمثل اليوم المركز الاول بين القوى العالمية اقتصاديا وعسكريا : ان تلك البلاد تملك موارد طبيعية زاخرة ولكنها ما كانت لتحتل مكانها البارز بين الدول لولا مابذله اهلوها من جهود فى تنمية هذه الموارد وتصنيعها باحتضانهم للعمل والتكنولوجيا ووضعهم اياهما فى مقدمة اهتماماتهم والانفاق عليهما انفاقا سخيا . هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد حظى مؤسسو تلك البلاد وواضعو دستورها برؤية صافية ونظر بعيد ، فشادوها على اساس اتحاد الولايات التى كانوا ينتمون اليها .

ولم يكن هذا الخيار سهلا ، اذ كان بين المؤسسين من تمسك باستقلال الولايات ، ولكن الفكرة الاتحادية تغلبت فى النهاية بسبب يقظة اصحابها ومتابعتهم لحركة التاريخ ومسيرة الانسانية .

وهكذا تكونت اوسع سوق داخلية فى العالم والقاعدة القوية للصرح الاقتصادى الامريكى الذى برز على سواه فى الازمنة الحديثة ولا يزال

وهكذا يمكن للمرء ان ينتقل عبر الولايات المتحدة الخمسين فى مساحة طولها الف وخمسمائة ميل وعرضها ثلاثة الاف ميل فلايوقفه احد ولايقوم فى طريقه حاجز ، ولايحتاج الى سمة او يخضع لتفتيش جمركى ، بل يشعر انه فى بلد واحد على اختلاف طبيعته وسعة ارضه .

وان الهدف ذاته تتجه إليه دول اوربا الغربية فى هذه الايام فبعد قرون من التقاتل وعلى رغم اختلاف اللغات والاجناس كونت هذه الدول مجموعة اوربا الاقتصادية بقصد ان تكون سوقا مشتركة لاعضائها الاثنى عشر .

وهاهى الان تسعى الى ان تتحول فى نهاية عام ١٩٩٢ م الى سوق واحدة ، ينتقل فيها مواطنو هذه الدول كما يشاءون ويسكنون ويعملون حيثما يختارون ويقدر العارفون انهم سيصبحون اكبر كتلة اقتصادية متقدمة فى العالم .

وهكذا نرى ان النزوع الى التكتل قد قوى فى الازمنة الاخيرة بسبب ماتحتاجه الشعوب من قدرات لم يعد يتسنى وجودها لدى شعب واحد . فما احرى الشعوب العربية التى يجمعها اواصر اللغة والتاريخ والثقافة والمصالح المشتركة ، ان تسعى الى

التضامن والتكتل لترشيد استخدام مواردها ولتجنب اهدار هذه الموارد .

فلماذا هذه الجيوش المتفرقة التى تبنى وتسلح دون تنسيق او تعاون بين الدول العربية المختلفة ؟ ولماذا هذه الخطط التى توضع هنا وهناك فى الأرض العربية والمصانع التى تشاد والمشروعات التى تنظم دون ربط او احكام يخفف أعباءها ويوفر فوائدها ؟

● التضامن والارادة القومية

ان الحاجة الى التضامن فى هذا كله واضحة للعيان ، ولايحول دون تطبيقه سوى ضعف الارادة القومية عند الحكام بخاصة ، وغلبة المصالح الشخصية والفئوية والقطرية ، على انه لابد من القول ان التضامن العربى ليس وحده الدواء الوحيد لجميع العلل التى نشكو منها فى البلاد العربية انه لايؤدى فعله الإيجابى الا اذا جاء مقترنا بفكر تحررى تقدمى يسعى الى تحرير المواطن العربى والانسان العربى من قيود الظلم والجهل والفقر وسواها من معوقات التقدم .

اما اذا بقيت الشعوب العربية فى حالة التخلف التى ترسف فيها فان تضامنها لن يفيدها كثيرا ، لانه سيضم ضعفا الى ضعف وعجزا الى عجز ، بل انه قد لايحصل اصلا لان دوافعه الاساسية هى القوى التقدمية التى تسعى الى مكافحة التخلف ومجاراة التطور .

واذا نظرنا الى حالنا اليوم نجد مع الأسف ان توجه الحكام العرب لايزال توجها قطريا ، بل انهم لايزالون عاجزين عن ترشيد استخدام الموارد فى القطر الواحد . ومافتئوا متفرقين رغم المصالحات التى تجرى بينهم .

ان التضامن المطلوب لايقوم على النزوات الآنية بل على فكرة قومية سائدة تدخل فى صلب السيادة وتوجه الجهود فى كل ناحية من نواحى النشاط الجماعى وليس هذا بالامر الهين لان السلوك القومى كثيرا مايتطلب التضحية بمصالح فردية او فئوية او قطرية فى سبيل المصلحة القومية العليا .

ولكن لابد من هذه التضحية فى سبيل النمو الطوعى والتقدم الثابت .

وقد بدت فى الايام الاخيرة تكتلات اقليمية كمجلس التعاون لدول الخليج العربى ، والاتحاد المغربى ، ومجلس التعاون العربى وكثر التساؤل عما اذا كانت هذه التكتلات تعوق التضامن العربى الشامل او تدفع به قدما .

والواقع أن هذا او ذاك يتوقف على مدى تغلغل الفكر القومى فى اذهان الزعماء وفى صفوف الجماهير .. فاذا ظل هذا الفكر ضعيفا غدت هذه التكتلات بدائل للاتحاد القومى المنشود ووقف التضامن ضمن حدودها . هذا لن حصل أما اذا اشتد الفكر القومى وانتشر فان هذه التكتلات تصبح وسائل ممهدة للاتحاد الشامل ومن هنا كانت اهمية الرأى

العام والمستنير منه بوجه خاص ان يكون يقظا لضبط سلوك الحكام وليوجههم الوجهة القومية الجامعة لا الوجهة الاقليمية او القطرية المفرقة على ان الرأى العام المنشود لايتكون ولايقوى الا بقدر نمو الديمقراطية .

وهكذا نجد ان هذه المطالب ـ التضامن والقومية والديمقراطية ـ مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا عضويا فهى تنشط معا وتخمد معا ولاغنى لاحدها عن الاخر .

● عوائق فى وجه التضامن !

ولما كان التضامن العربى سببا هاما من اسباب تكوين القدرة العربية وتمكينها فانه لايتفق ومصالح القوى المعادية للعرب . ولذلك فهى تضع الحواجز والعوائق فى سبيله ، وتدعم عوامل التجزئة والانقسام فى داخله فثمة القوى الاستعمارية ـ القديم منها والحديث ـ التى ترمى الى التسلط على موارد الدول العربية واسواقها ، ولايروقها ان تنهض هذه الدول وتستغل هذه الموارد لذاتها لمصلحة نموها وازدهارها . وثمة القوى الصهيونية التى ليس لها امل فى البقاء والسيطرة فى فلسطين وماحول فلسطين الا اذا ظلت البلاد العربية ضعيفة ومجزأة . ولذلك فهى تحارب أية بادرة من بوادر النهضة والتنمية فى هذه البلاد واى جهد لتمكين الاواصر بين شعوبها .

نعود الى السؤال ماذا سيكون مستقبل العمل العربى المشترك ونلخص جوابا عليه بتأكيد بعض الحقائق الاساسية :

١ ـ ان المقياس الحقيقى لنمو العمل العربى المشترك هو قدرته على مجابهة شروط الحياة فى هذا العصر ، لايكفى ان نقيس هذا النمو بالمقارنة مع الماضى .

فان وتيرته يجب ان تماشى وتيرة التغير وتصاعد المطالب المعاصرة فان لم تماش هذه الوتيرة تخلف التضامن عما يجب ان يكون ولم يحقق الغاية المرجوة حتى لو جاء اكثر سرعة وانجازا مما كان عليه فى الماضى .

٢ ـ ان نمو العمل العربى المشترك الى الحد المطلوب الذى فيه سلامة الشعوب العربية ككل وحصانتها وازدهارها ليس امرا مقدرا او محتما وانما هو نتيجة الإرادة الفاعلة والدافعة والجهد المبذول فى سبيله .

٣ ـ ان مستقبل العمل العربى المشترك مرتبط اشد الارتباط بمعركة التحرر العربى : التحرر من القيود الخارجية ومن العوائق والحواجز الداخلية وهى الاهم . انها معركة شاملة ترمى الى تحرير المواطن العربى والانسان العربى من كل مايكبت ويضعف والى تجديده وتجديد مجتمعه وتأهيلهما للعطاء الحضارى .

ولذلك فاذا دعونا الى تقوية التضامن العربى ، فاننا ندعو ايضا الى الثبات والتقدم فى معركة التحرر العربى فلا تضامن بدون تحرر والعكس كذلك صحيح .




كارلوس منعم

● « الحكم هو توفير العمل »

كارلوس منعم

رئيس جمهورية الارجنتين المنتخب

● « الديمقراطية موجة المستقبل »

الرئيس الأمريكى (جورج بوش)

● « امريكا استعمرت عقلنا الباطن »

المخرج فيم فندرز

من المانيا الاتحادية


جورج بوش

● « لا أحد يبقى فى مركزه الى الابد »

هو ياوبنج

امين عام الحزب الشيوعى الصينى السابق

● « لسنا قوة عظمى ، ومع ذلك فلسنا العوبة فى ايدى الاخرين »

ريتشارد فون وايزساكر

رئيس جمهورية المانيا الاتحادية

● « الفحولة يثبتها البقاء فى السلطة »

الجنرال البانامى « مانويل نوريجا »

● « الاسلحة التى عفا عليها الزمن لاتروع »

مارجريت تاتشر

رئيسة وزراء بريطانيا

● « التفكير الذى عفا عليه الزمن اشد خطورة على امننا من السلاح الذى عفا عليه الزمن »

هانز ديترش جنشر

وزير خارجية المانيا الاتحادية

اسحاق شامير


● « لن نعطى العرب شبرا واحدا »

اسحاق شامير

رئيس وزراء اسرائيل



هل يتحول النظام العربى بعد قمة الدار البيضاء ؟ !

بقلم : جميل مطر

من المبالغة القول بأن قمة الدار البيضاء تمثل حدا فاصلا بين مرحلة ومرحلة . هناك تغير لاشك فيه ، ولكن لم يحدث تحول ، ولاينتظر ان يحدث تحول فى المستقبل القريب . المبالغون القائلون بالحد الفاصل والتحول يقدمون ثلاثة ادلة على بدء التحولات فى النظام العربى .

● الدليل الأول : أن النظام العربى قد تخلى عن عقيدته ، ويعرفون العقيدة بانها الايديولوجية القومية . فالنظام العربى كأى نظام او نسق يحتاج ليستمر الى ايديولوجية تحدد اهدافه وتوجه حركته وتمنحه طاقة الحياة والتطور ، يقولون أن النظام كانت لديه هذه الايديولوجية وتخلى عنها الى الواقعية . وبذلك صار التحدى الكبير من نظام يؤمن بعقيدة الى نظام اخر يفضل الواقعية ويرفض الايديولوجية . هذا النظام ـ حين كان يؤمن بالايديولوجية ـ سعى اعضاؤه سعيا متواصلا الى تحقيق الوحدة ، وحين ابتعد عن الايديولوجية واعتنق الواقعية بدأ يسعى الى تحقيق منافع اقتصادية عن طريق التنسيق الوظيفى بين اقتصاديات اعضائه .

فى هذا المنطق خلط كبير ، وعدم استيعاب لاسس تشكيل النظام العربى وتطوره ، ويتضمن ايضا رغبة اكيدة فى تمجيد وزخرفة التغيرات الراهنة ، وفيه قبل هذا ، وذلك انبهار بتجربة السوق الاوربية المشتركة مصاحبة



القمة الطارئة .. فى الدار البيضاء .. حدث من اجل التحول

باحباط نتيجة الهزائم والنكسات العربية المتلاحقة . فالنظام العربى نشأ عربيا ولم ينشأ شرق أوسطيا أو إسلاميا ، أو شيئا آخر ، أو لاشىء على الاطلاق ، ولكنه نشأ بهوية عربية ، أى أن « عروبته » هى التى انشأته . ثم استمر هكذا . كان يمكن فى مرحلة ما ان « يتحول » فيصير شيئا اخر . ولكنه لم يتحول . أى انه حافظ على عروبته . ولم يزل . كيف يقال اذن انه تخلى عن عقيدته . او كفر بها ؟ اجابتهم تقول لانه اعتنق الواقعية واتجه الى التنسيق الوظيفى وتحقيق المصالح .

وهنا يتضح مدى الخلط ، اذ يبدو ان بعض المحبطين من تطورات الماضى القريب لهذه الامة يريد تحميل القومية والايديولوجية اكثر مما تحتمل ، أو يصورها على غير حقيقتها ، أو هم ـ وفيهم علماء ـ يتلاعبون بالمفاهيم فيقدمون لقراء الصحف ما لايقوون على الدفاع عنه فى قاعة علم . انهم يقدمون الايديولوجية نقيضا للواقعية . تبدو



الولايات المتحدة مثلا من خلال هذا التقديم للنقيضين وكأنها بلا ايديولوجية ، والسوق الاوربية المشتركة بدون نسق ايديولوجي متكامل ، وتبدو العروبة مناقضة للمصالح ومعطلة للمنافع ومبددة للطاقات .

وينسى هؤلاء فى غمرة تصعيدهم لهذا التناقض الحقائق التاريخية . فالعرب اسسوا من خلال جامعة حكوماتهم العربية اتفاقات ومنظمات ومؤسسات هى فى الصياغة والدقة بين اولى محاولات التجمعات الوظيفية . ومايجرى الان فى الساحة العربية من انشاء تكتلات جغرافية تحت اسم الوظيفية ، ليس جديدا . بل تكرارا لما سبق محاولته ولاتعنى بأى شكل التحول من التعاون السياسى او الالتزام الايديولوجى بالوحدة الى التعاون الاقتصادى او الالتزام بالواقعية وتحقيق المصالح . الاتجاهان تلازما منذ نشأة النظام العربى . وسيادة ايهما فى اى مرحلة لم يكن سببا فى منع تحقيق الاخر . الاسباب لا علاقة لها بالقومية والواقعية ولكنها اسباب على علاقة وطيدة باساليب الحكم وصراعات الحكام العرب .

والحقيقة التى لاتخفى على احد ، ان المنظرين والممارسين الجدد للواقعية يمزجون عن قصد او غير قصد بين الاتجاه نحو الوظيفية فى العمل العربى المشترك والاتجاه نحو التنازل عن بعض حقوق ومقدسات وطنية وقومية . اذ قد يكون من الصعب ايجاد تبريرات كافية باسم الواقعية للتنازل فى مجالات السيادة والسياسة بينما يصبح الامر اقل صعوبة لو ان هذا التنازل تم فى اطار من واقعية اشمل . اشمل جغرافيا اى بانشاء تكتلات او تجمعات كل اعضائها مضطرون للتنازل فى حق هنا او مبدأ هناك ، واشمل قطاعيا اى يجعل هذه الواقعية مذهبا يغطى تحولات وتنازلات اقتصادية تحت ضغط قوى الضغط والمال الدولية وقوى التبعية المتزايدة وقوى التفكيك الداخلية واختلال موازين القوى العسكرية فى المنطقة . هذا المذهب الجديد الذى يروجون له لاعلاقة له بالواقعية كمذهب فى السلوك الدولى الرشيد ، إنما هو فى الحقيقة محاولة للتنظير والتبرير لحالة من الفوضى السياسية والاقتصادية تسود معظم قرارات وسياسات وسلوكيات اقطار المنطقة العربية .

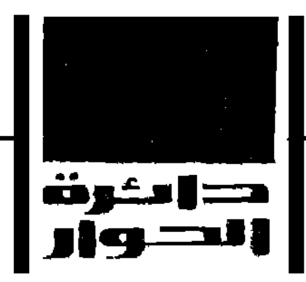
الدليل الثانى الذى يستند اليه القائلون ببدء التحول الكبير فى النظام العربى هو الادعاء بان هناك تحولا محسوسا فى انماط السلوك الخارجى

والداخلى فى الأقطار العربية ، هذا التحول فى رأيهم يتم تدريجيا عبر قناتين رئيسيتين . قناة المصالحات العربية وقناة التحولات الديمقراطية . قمة عمان عام ١٩٨٧ وصفوها بانها قمة المصالحة والوفاق والتضامن . ولكن جاءت قمة الدار البيضاء لتؤكد ان اهم واطول صراع عربى معاصر وهو صراع العراق وسوريا يزداد ضراوة وعنفا . وانه يتسلل مخترقا تحالفات ومصالحات تمت خلال قمة عمان او قبلها او بعدها ومثيرا للشغب والخلافات . واخر تسللاته كان فى قمة الدار البيضاء .

واذا افترضنا ان المصالحة العربية تتحول بالفعل الى حالة تهدئة فى الصراعات . فذلك لن يعنى تحول النظام ، فالصراعات العربية احتدت او هدأت ـ ليست بالعنصر الضرورى او الكافى لاحداث تحول فى النظام العربى . الصراعات التى تولد تحولا فى النظم الدولية هى تلك التى تفجرها مواجهات ايديولوجية عنيفة ، وهى تلك التى يمكن ان تؤدى الى اختفاء عضو او اكثر فى النظام . هذان الشرطان لايتوافران فى النظام العربى . فالصراعات العربية تشعلها وتهدئها وتطفئها علاقات بين اشخاص او عائلات او قبائل فى مناصب الحكم ، والصراع الوحيد الذى اتخذ صفة تقترب شيئا ما من نوع الحرب الايديولوجية هو الصراع الذى كان ناشبا فى الستينات بين ماسمى بالقوى التقدمية والقوى الرجعية فى العالم العربى . هذا الصراع لم تحسمه اطرافه انذاك ، وتدخلت اطراف اقليمية ودولية لحسمه . ولم يحسم ، لم يحسم انذاك ولم يحسم حتى اليوم لان كلا طرفيه احتويا على صراعات معقدة ، ولان تخلف الطرفين كان قاسما مشتركا بينهما لم يسمح بتوحد ايهما او بتطور الصراع .

ويتفاءل أصحاب نظرية التحول بقناة الديمقراطية . ومن حيث المبدأ لهم كل الحق فى هذا التفاؤل فالديمقراطية متغير جديد فى النظام العربى . وكل ما كتب عن هذا النظام كتب فى اطار غياب الديمقراطية ، وكثيرون اعتبروا هذا الغياب سببا مباشرا فى تخلف النظام فى نواحى التكامل والامن ، الديمقراطية قد تفرض على السلطة الحاكمة عدم النكوص عما اتخذته من قرارات تكاملية او امنية ، وربما تفرض عليها ايضا اتخاذ قرارات جديدة تنسجم مع مصالح الشعوب ، وقد تمنع السلطة الحاكمة من اتخاذ قرارات انعزالية او اتباع سياسات مثيرة للفوضى فى النظام العربى .

والمؤكد ان هناك اتجاها فى عدد من الدول العربية للسماح بشكل ما من



اشكال التعددية السياسية ومظهر ما من مظاهر حرية التعبير . هذا السماح فرضته ظروف معينة منها تفاقم الازمات الاقتصادية والاجتماعية . وحاجة بعض الحكومات الى التخفيف من الاعباء الملقاة عليها . وضغوط خارجية لتحرير بعض الممارسات السياسية والاقتصادية .

وبالرغم من التفاؤل السائد ، وتفاؤل كاتب هذه السطور بمستقبل الديمقراطية فى الوطن العربى ، فإن الواقع يؤكد ان مسيرتها سوف تكون شاقة ومريرة ، فالسلطة التى تعودت على احتكار القرار تحضيرا وصناعة وتنفيذا يصعب عليها ان تقبل بالمشاركة الشعبية ، واذا اضطرت لذلك ـ كما هو الحال فى كل التجارب الراهنة ـ فانها لن تسمح بأى حال ـ وفى الاجل المنظور على الأقل ـ بأن المشاركة تمتد الى قطاع السياسة الخارجية والعمل العربى ، لا اتصور مثلا ان تلجأ السلطة الحاكمة فى العراق او فى سوريا الى السماح بمشاركة شعبية حقيقية فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالصراع بينهما لا المواطن العراقى ولا المواطن السورى يقبلان بالمشاركة فى اصدار تشريع او اتخاذ قرار بتصعيد المواجهة بين دولتيهما او باغلاق الحدود ، او بتدبير مؤامرات سياسية .

ثم ان القول بأن الاتجاه المتزايد نحو قليل من الديمقراطية يعنى تحولا فى انماط السلوك العربى قول مبالغ فيه . فالتعددية حيثما طبقت فى اى بقعة من بقاع الوطن العربى لم تغير من طبيعة صنع السياسة او القرار ، بل وتكشف كل التجارب بدون استثناء انها لم تغير فى واقع احتكار حزب واحد للسلطة ولا فى فعالية المؤسسات الديمقراطية . فالحاكم مازال يحصل على اجماع اصوات الناخبين والحزب الواحد يحصل على جميع مقاعد المجالس المنتخبة .

ومع ذلك ، فقد وفقت مصر حين اعلنت على لسان رئيسها امام القمة العربية التزامها بالديمقراطية . بذلك تكون قد اضافت الى مفردات القمة العربية كلمة كانت الى عهد قريب من الكلمات المحرم النطق بها فى جلسات مؤتمرات القمة .

ـ والدليل الثالث الذى يقدمه القائلون ببدء مرحلة تحول النظام العربى ، هو وجود خريطة جديدة لتوزيع القوة فى هذا النظام وكل قائل لديه خريطة

تختلف عن الخرائط التى يقدمها بقية القائلين وهذا فى حد ذاته دليل مناقض للدليل الذى يقدمونه .

احدى الخرائط تضع منطقة الجزيرة العربية مركزا رئيسيا للقوة ، استنادا الى امكاناتها المالية . وتصور بقية اقاليم المنطقة افلاكا تدور حول هذا المركز فى دورات صراعية او تهادنية او وفاقية . خريطة اخرى تضع مركز القوة والفعالية فى الهلال الخصيب ، وبؤرته بغداد ، استنادا الى القوة العسكرية العراقية المتنامية ، وتصور بقية اقاليم المنطقة فى اوضاع اكثرها صراعى او توجسى ، خريطة ثالثة ، تعدل قليلا عن الخريطة السابقة ، وتصنع من القاهرة وبغداد مركزا جديدا للقوة ، مستندة الى موقعهما الجغرافى كطرفى كماشة يحيطان بمنطقة القلب المضطرب والمتوتر فى النظام العربى ، ومستندة ايضا الى تجمع قوتيهما البشرية والعسكرية فى شكل قوس حديدى يكاد يحيط بشمال الجزيرة العربية ممتدا من شط العرب ومنتهيا فى منطقة مابين السويس وجنوب البحر الاحمر ، وخريطة رابعة تتعدد او تتفتت فيها مراكز القوة ، يوازن بعضها بعضا ، ومن هذه الخريطة الرابعة تفرعت خرائط متنوعة احداها يصور مجالس التعاون الاقليمية الجديدة كمراكز قوى فى طور التكوين ، واخرى تجد لسوريا مكانا كمركز قوة رابع الى جانب هذه التجمعات الثلاثة ، او كقوة قابضة على التوازن .

ان الصخرة الكبرى التى تصطدم بها كل نظريات وخرائط توزيع القوة والنفوذ فى الوطن العربى هى حقيقة ان الامكانات والقدرات فى النظام العربى لها خصوصية يجب مراعاتها . فقد جرت العلوم الحديثة على قياس الامكانات والقدرات كمتغيرات مادية بينما فى الحقيقة تلعب الامكانات غير المادية او غير الملموسة كالدين والثقافة والتاريخ وغيرها دورا مهما فى النفوذ والقوة فى العالم العربى .

لذلك كله ، لن تكون قمة الدار البيضاء الحد الفاصل بين مرحلة واخرى فى تطوير النظام العربى كما يتمنى البعض او يتصور ، انما هو حلقة من حلقات حركة التغيير المستمر داخل مرحلة بدأت فى نهاية الستينات ولم تنته بعد او تتحول الى مرحلة جديدة .

لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافة ؟

بقلم : عبد المنعم الجداوى

الحج فريضة تتوج الفرائض ، واذا كانت قد جاءت الركن الخامس من أركان الاسلام . فقد أضيفت اليها عبارة وجوبها « لمن استطاع اليه سبيلا » ذلك لأنها قد لاتتوافر لكل مسلم .. لكن مامن مسلم فى مشارق الأرض أو مغاربها الا ويحرص قدر طاقته على تأديتها ، ومن خلال هذا الحرص على ادائها .. جاءت هذه الآثار الغنية تاريخيا ، وجغرافيا ، وسياحة فى الآداب ، والعلوم ، والفنون .. التى ذخرت بها المكتبة العربية ، وغير العربية .

● كان ذلك التواصل بين المسلمين ، والانفتاح الذى جعل اللغة العربية تصل الى بلاد لم تطأها قدم عربى من قبل ، وخلدت اسماء الرحالة ، والحجاج من الأدباء المسلمين . من « ابن بطوطة » الى « تقى الدين الفاسى » الى « المقدسى » الى « ابن خلدون » الى « ابن جبير » ، وكلهم كان مشوقا مشتاقا الى « مكة » تهوى اليها افئدتهم ، ولكن وهم فى زحمة الاشواق . يسجلون صورا مختلفة « لمكة المكرمة » .. كل حسب رؤيته .. الحالة السياسية . الجغرافية ، العمرانية ، الحركة الأدبية .. وهم فى توجههم الى الله . يضيفون الى ثواب العبادة . ثواب الكتابة ، ونصب عيونهم ان « مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء » . !!



كلهم يتوجهون إلى الكعبة .. يضيفون إلى عباداتهم افاقا جديدة

وقد كانت « مكة » ومازالت تخطف العيون ، والقلوب ، وتظل العيون زائغة هائمة الى ان تلتقى بالكعبة فتثب عليها .. تود لو استطاعت ان تحملها بين جفونها ..

ولما كانت كتابات العلماء اختلفت ، وتنوعت ، وتباينت من عصر الى عصر . فان قراءة احدهم لاتغنى عن الآخر ، وحتى الذين كتبوا فى عصر واحد .. لابد ان يلم المهتم بما كتبوا فكل منهم قد اختار ، وأسهب فى الزاوية التى تهمه أو كانت اكثر جذبا لاهتماماته .. وفى كتاب تاريخ مكة للعلامة الاستاذ احمد السباعى فصل شائق عن البلد الحرام فى الفترة التاريخية الزاخرة المزدحمة بالصراعات ، والتيارات التحتية ، والفوقية . أيام المماليك الأتراك ، والشراكسة .

● عملة قلاوون في مكة

و« مكة » على مدى الزمن يحكمها اشرافها فاذا غلبوا على امرهم . كان ذلك لفترات قصيرة .. يخضعون فيها للسلطان البعيد ، ويؤدون له الضريبة السنوية ويرسلون اليه بالهدايا .. لشراء رضاه فيغمض عينيه عنهم او يؤيدهم . وفي عام ٦٤٧هـ كان على « مكة » شريف يدعى « الحسن وابنه أبو نمى الأول » ، وقد ظلا بعيدين عن كل نفوذ وسار بها مستقلة خالصة « ابو نمى الأول » بعد ابيه حتى عصفت العاصفة بحكم الأيوبيين في مصر ، واجتاحت زوبعة المماليك الأتراك كل شيء في طريقها . فكان ان تطلعت عيونهم . بعد ان استقر لهم الحكم في القاهرة إلى بسط نفوذهم على مكة ، واستطاع السلطان قلاوون عام ٦٨١هـ ان يفرض الدعاء له من على منبر الحرم ، وجعل النقود المصكوكة باسمه هي عملة أهل الحرم .. لكن « ابو نمى » ثار على هذا الوضع ، وطرد جنودهم خلف أسوار مكة .. لكنهم نجحوا في تحريك ثورة ضده من الداخل من ابناء عمومته الذين ينازعونه الحكم .. فلما شعر بالخطر قبل هداياهم التي ساقوها اليه ، ورضي بالدعاء للسلطان قلاوون مرة اخرى .!

● ناظر للحرم ..

وحينما تسلم الشراكسة الحكم من اساتذتهم الأتراك . أقاموا حامية عسكرية مكونة من خمسين فارسا من فرسانهم بقيادة احد الضباط ، وحجتهم حماية الحجاج ، والقيام على شئون الأمن .. لكن الشريف حاكم « مكة » اذ ذاك (حسن بن عجلان) قاومهم ، وأصر على ان يدخل الجيش « مكة » بغير سلاح ، واستجاب الشراكسة .. الا انهم عينوا من قبلهم ناظرا للحرم تكون مهمته القيام بشئون الحجاج ،

● الحجاج الذين جمعوا بين ثواب العبادة وثواب الكتابة .. !



المحمل المصرى فى طريقه إلى الكعبة

وتيسير الحج لهم .. وقد جاء فى كتاب « الاعلام للقطبي » ان ناظر الحرم عام ٨٥٢هـ كان يدعى « بيرم خوجة » ولم تدم نظارته سوى عامين . ثم عزل ، وعين بدله بفرمان نصه [ان أمير الترك بمكة "الامير خاني" ، سافر فى علم ٨٥٦هـ ولى عوضه ناظر الحرم « التاجي » كما ولى منصب الجيش ، فهو ولى نظارة الحرم ، والربط ، والأوقاف والصدقات ، وان يكون محتسبا لمكة] وهكذا خضعت مكة لحكم الشراكسة ، واصبح يدير شئونها أمير مندوب منهم . أما امراء مكة واشرافها فيتلقون اوامر تعيينهم من هؤلاء الشراكسة ..

● النســاء يطفن ليلة الجمعة .. !

لكن كيف كانت صورة مكة الجغرافية وقتئذ .. ان العالم « تقي الدين الفاسي » يصفها فيقول كانت مكة بلدة مستطيلة لها ثلاثة اسوار . سور المعلاة وفيه بابان وسور الشبيكة وفيه باب كبير ، وسور اليمن ، وهو فى المسفلة ، والسور هنا معناه « سد » بين جبلين . لان مكة تحوطها الجبال من باقي الجهات ..

وماذا قال ابن بطوطة وهو يصف ما كانت عليه مكة عام ٧٢٥هـ .. ؟ ان ابواب مدينة مكة ثلاثة : باب المعلاة ، وباب الشبيكة ، وباب المسفلة ، وهى نفس الأبواب التى

● ابـن « بطـوطـة » يصـف نسـاء مكـة فـى الطـواف ..

لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافات ؟

ذكرها ابن جبير في عهد الأيوبيين .. يضيف ابن بطوطة انه شاهد بين الصفا والمروة سوقا عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم ، والتمر ، والسمن ، وسواها من الفاكهة ، والساعون بين الصفا والمروة . لايكادون يخلصون لازدحام الناس ، وعن يمين المروة دار امير مكة (عطيفة بن ابى نمى) ، ودار « رميثة » برباط الشرابى عند باب بنى شيبة « باب السلام » وتدق الطبول عند باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب ...

وأهل مكة لهم ظرف ونظافة فى الملابس ، واكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم ناصعة ساطعة يستعملون الطيب كثيرا ، ويكتحلون ويكثرون السواك باعواد الأراك الأخضر ، ونساء مكة فائقات الحسن رائعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احداهن لتبيت طاوية وتشترى بقوتها طيبا وهن يقصدن للطواف بالبيت فى كل ليلة جمعة . فياتين فى احسن زى ، وتغلب على المسجد رائحة طيبهن ، وأهل مكة لاياكلون فى اليوم الا اكلة واحدة بعد العصر ، ويقتصرون عليها الى مثل هذا الوقت ، ومن اراد الاكل فى باقى النهار اكل التمر ، ولذلك صحت أجسامهم ، وقلت فيهم الأمراض ، والعاهات واكلة العصر هى اكلة دسمة ولابد من وجبة الصبح او الضحى ..

وفى رجب تفد القبائل الموالية لمكة مثل « جبلة » ، و« زهران » و« غسان » ، ويشاركون اهل مكة الحفاوة بالعمرة ، ويجلبون معهم الكثير من منتجات بلادهم . فيعم الرخاء ، وهم يعتقدون ان بلادهم لن يزيد إنتاجها ، وتخصب زراعاتها ويكثر خيرها الا اذا بروا مكة وأهلها ..

وهم فصحاء الألسن صادقو النية .. يتطارحون عند الكعبة داعين بأدعية تتصعد لها القلوب ويتزاحمون عليها حتى يعجز غيرهم عن الطواف ، وهم شجعان أمجاد ، ولباسهم الجلود ، واذا وردوا مكة هلت اعراب الطريق لمقدمهم ..

ويستقبل «رمضان» بالطبول ، وتجديد فرش المساجد ، ويكثرون فيه الشمع والمشاعل . حتى تتلألأ المساجد نورا . اما السحور فيتولاه المؤذن الزمزمي ، ويجيبونه المؤذنون الآخرون . فاذا انطفا قنديل المئذنة الزمزمية كان ذلك اعلانا بالامساك عن الطعام ، وكان اصحاب الصناعات يتخذون مقاعدهم فى بلاط المسجد المتصل بدار الندوة كالخياطين ، وبجانبهم

القارئون والنساخون ، وباعة الدقيق والعقيق ..

● الحركة العلمية لم تتوقف ابدا !

ولم تتوقف الحركة العلمية طوال تاريخ مكة لا فى عهد الفاطميين ولا الأمويين ولا الأتراك ، ولا الشراكسة . فالعلماء وطلابهم لم ينفضوا ابدا ، ولم تتوقف حلقاتهم فى الحرم وفى بيوت خصصت لهذه المهمة الجليلة تتولاها عائلات بعينها كانت تتوارث العلم ، وقد اشتهر من هذه المدارس علماء اجلاء تركوا الكثير من الآثار المكتوبة من آل القرشى وآل الطبرى ويسجل التاريخ ان سيدة من آل الطبرى برزت فى تلك الفترة بعلمها ، وسعة اطلاعها ، مما يؤكد ان المرأة كانت تطلب العلم ، وتعلمه كالرجال سواء بسواء ، الا وهى « ام سلمة بنت المحب الطبرى » ، وكذلك طار صيت علماء من آل النويرى ، وكان منهم قاض بمكة كما اشتهر مجد الدين به يعقوب الفيروزبادى صاحب القاموس المعروف ، وقد كتبه فى منزله بمكة بجوار الصفا .

● المحمل المصرى والمحامل الأخرى ..

وكان أول من نظم طابورا او قافلة الحج من مصر . هو « جمال الدين » الشركسى ، وكان قد خرج والده اميرا على قافلة الحج مع المحمل المصرى عام ٨٠٩هـ . فأمر بان تتوقف القافلة عند عجرود بين السويس والقاهرة ، وان يثبت اسم كل حاج ، واسم اسرته ، فى دفتر ، ويرصد ما معه من أموال ، ومكانه فى القافلة ، وجعل العسكر فى المقدمة ، والأموال ، والمؤونة فى الوسط ، وتنتهى بحراس شداد .. حتى لاتهاجم القافلة من الخارجين على القانون واعتنى بوضع علامات على الطريق من الحجارة حتى لايضل الحجاج الطريق ، وكانت القوافل تقطع الطريق بين السويس والعقبة فى عشرة ايام .

ثم ترتاح القافلة فى مدينة العقبة ، وكانت بها قلعة مصرية بها حامية من العسكر المصريين . وفيها يلتقى الحاج المصرى بالحاج السورى القادم من دمشق . ويتبادل الحجاج البضائع ، والمعلومات ، ويتعرف بعضهم على بلاد البعض ـ ثم تمضى القوافل الى مدينة الوجه وهى ذات محافظ من الشراكسة ، وله جنود يشرفون على الأمن فى أسواقها .. وكانت ثمة طرق اخرى اكثرها برية تمضى فيها قوافل الشام ، والقدس أهمها طريق العريش وطريق العلا ، وهو الطريق الذى يقطعه (المحمل الشامى) .. من دمشق فى مدة لاتقل عن اربعين يوما .. فقد كان يصل الى مكة تلك الايام عدة «محامل» كلها انشئت على غرار « المحمل

لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافات ؟

المصـرى » ، وهــى « المحمـل الشامى » و« المحمل العراقى » ، و« المحمل اليمنى » .. !

● نشأة المطوفين .. !

وقبل عهد الشراكسة لم تكن عرفت مهنة او حرفة التطويف فى مكة .. لكنها ابتدعت ايامهم لضعفهم الشديد فى اللغة العربية ، وميلهم الى الأبهة ، والبذل ، واعتمادهم على من يخدمهم ويدلهم على مشاعر الحج ، ويتلو عنهم الأدعية او لكى يرددوها خلفه .

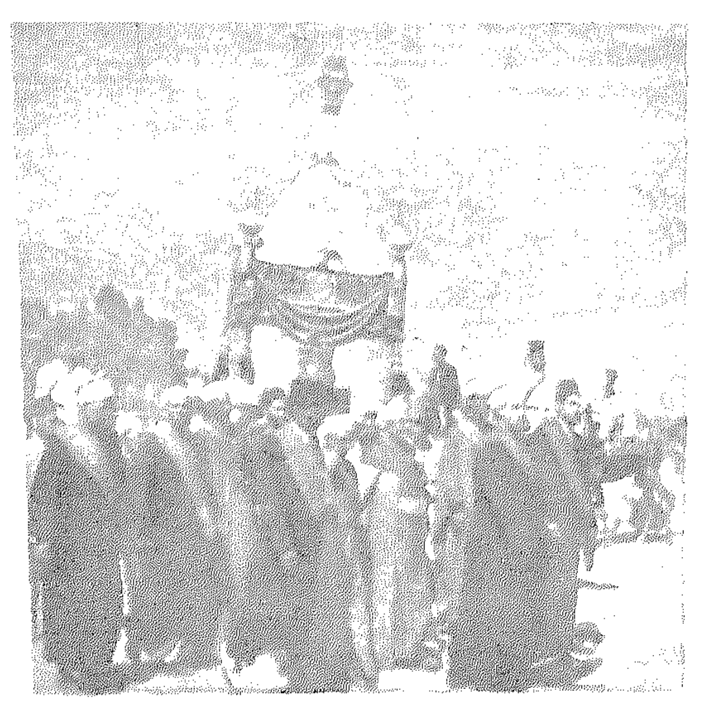
وحينما حج السلطان « قايتباى » عام ٨٨٤هـ . كان يلقنه الأدعية ويرشده قاضى مكة ابراهيم بين ظهيرة فكان اول مطوف ، وبعده تزاحم الفقراء من طلاب العلم فى الحرم على احترافها للحصول على المقابل من الحجاج الشراكسة ..

وتفقد « قايتباى » اعيان مكة الذين استقبلوه خارج مكة فلما سال اذا كان أحد من المسئولين لم يخرج للقائه .. فقال له الوشاة ان الشيخ محب الدين الطبرى المكى امام الحرم لم يحضر .. فلما التقى به فى الحرم . عاتبه لأنه لم يستقبله خارج مكة فأجابه بانه اراد ان يستقبله فى اشرف بقعة وهى المسجد الحرام .. فسر السلطان من الجواب وقال له امرت لك بمائة دينار شهريا مقابل امامتك .. فرد عليه الامام قائلا ان امامتى حسبة لله لا أقبل عليها اجرا .. ولما رجع الى مصر امر بتعيينه رئيسا للقضاة ، ومشيخة الحـرم ، والافتـاء والتـدريس والحسبة .. وجاء رسول يحمل اوراق التعيين الى الشيخ .. فلما بلغ بيته . سال عنه وهو يمنى نفسه بهدية عظيمة لقاء هذه البشرى .. فقيل له ان الشيخ حمل العجين ليخبزه فى فرن فى اقصى الشارع . فذهل الرسول .. وانتظره حتى عاد فقدم اليه الأوراق ، وهو يفرك يديه فرحا .. فما كان من الشيخ الا ان اعطاه رغيفين .. فصعب ذلك على الرسول ، وقال ان مكافاة مثل هذا الخبر الف دينار .. فرد اليه الشيخ الأوراق وقـال له .. اذهب الى السلطان وسلمه الأوراق فلا حاجة لى بها .. !! بقى ان اقول ان هذا الشيخ هو والد «ام سلمة» العالمة القـارئة التى اشتهـرت بعلمهـا واستماع الخاصة ، والعامة الى دروسها التى كانت تلقيها فى بيتها فى مكة .. اقول هذا لبعض الذين يقولون ان الاسلام لم يعط المرأة حقها من الرعـاية ، والعنـاية ، والاهتمام . كما اعطى الرجل .. !!

● أم القرى والبلد الأمين

ان مكة البلد الأمين جاءت عليها فترات لم تكن آمنة .. لكنها لاتلبث ان تعود الى ما كانت عليه . بلد الأمن ، والدعة والخير يأتيها من كل مكان ، ويجد فيها الخائف أمنا ، والعاطل عملا ، والجائع شبعا ، والتاجر رزقا وخيرا ... وذلك جعلها منطقة جذب لايقاوم ، وتدفق المسلمون اليها من الشرق ، والغرب ، ولهذا تجد فى مكة مناطق كثيرة حملت اسماء الذين اسسوها ، ولاتزال ذرياتهم تسكنها .. فيقال « جبل الترك » او « جبل الهندى » أو حارة السليمانية ، أو زقاق المغاربة ، وزقاق البخارية وهذه الجاليات نقلت الى مكة الكثير من عاداتها ، وتقاليدها ، والكثير من الصناعات ، وكانت مكة قادرة على استيعابهم ، واحتوائهم ، وطبعهم بطابعها .. رغم انهم ادخلوا على لغتها الكثير من كلماتهم ، ولهجاتهم .. مما اضعف اللغة العربية الأصيلة ، والتى تبحث عنها الآن فلا تكاد تعثر عليها ..

وقد بقيت العائلات القديمة ، وكانها غريبة فى مكة واقدم العائلات هى عائلة « آل الشيبى » وهم ذرية « شيبة بن عثمان بن ابى طلحة الحجبى » من اولاد عبد الدار وقد ظل بينهم خالدا فى مكة كما



صورة قديمة للمحمل وهو فى طريقه إلى الأرض المقدسة

ظلت خدمتهم فى الحجابه خالدة مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام ، "خذوها يابنى عبد الدار خالدة تالدة إلي يوم القيامة لاينزعها منكم الا ظالم" وهؤلاء نسلهم لم ينقطع عن مكة .. ثم بقيت اسر العلماء الذين اثروا حياة مكة العلمية ..

ولم تتوقف هجرة المغاربة او السوريين او الأتراك او الأكراد او المصريين او السودانيين الى مكة .. أما العراقيون فهم اقل الاجناس هجرة اليها ، كذلك اهل ايران .. وأوسع الجاليات هجرة اليها الحضارمة وتتربع عائلاتهم على عرش التجارة ، والمال فى بلاد الحجاز كلها .. !

أقصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم

آه يا ولاد!



اخيرا جاء الماء ، ورويت الارض التى حصد عنها قمحها ، وتلك التى بقى بهسا زرعها المستحصد ، به عجز اصحابها عن سداد الايجار ، هكذا طفحت الشقوق ، وامتلأت الحقول بالمياه، وغمرت ، فخرجت منها اسراب هائلة من الفيران ، غيطانية بنية صفراء الظهور ، تجرى يخبط بعضها فى بعض، يقفز بعضها فوق بعض فرار مذعور أعدى الجراد فطارت جماعاته فوق سيل الفيران المتحدر ، والفراشات ، والعناكب تتعلق بخيوطها ، تتسلق الوهم صعدا ، والعصافير تزقزق وتضرب بجناحها هاربة - ومالك الحزين ينشد مكانا رائقا يستمتع فيه بالماء ، تزحم الفيران المكان بالجنون ، ومالك الحزين ليسمع له ليعبر ، ثم ينظر اين يحط

سحب من فيران غيطانية ، سمينة بما قرضت من سنابل القمح طوال الموسم ، ينطلقون لا يلوون على شىء ، من الحقول الى الاجران ازدحمت بها الارض ، تزلزلها بركضها

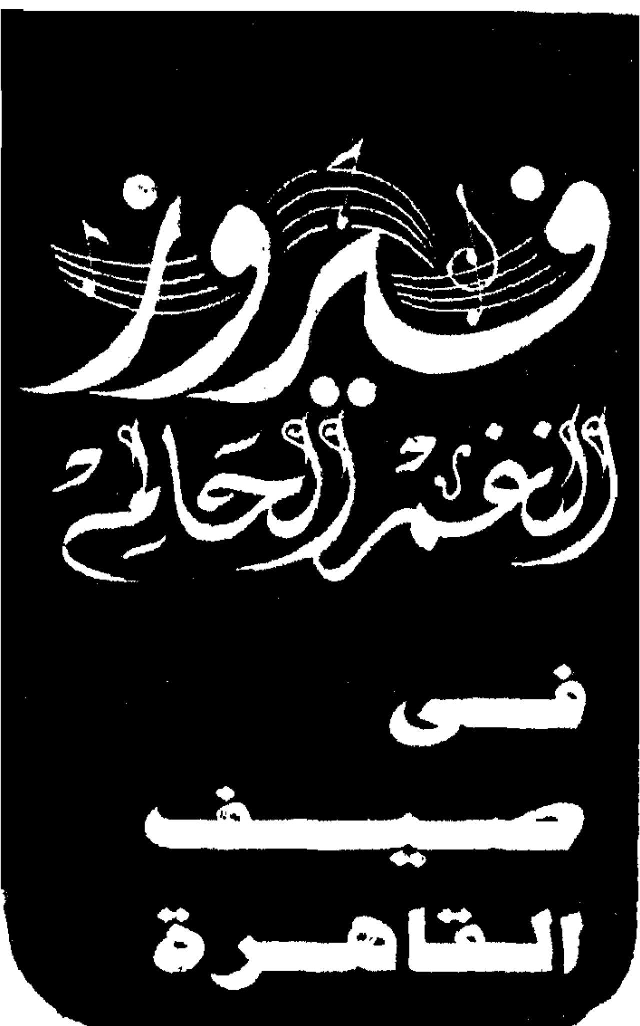
الصموت وتسد الافق بسحب شفيفة فانتشر الفزع ، من ناحية القرية خرج العيال ، سحابة كثيفة ، عيال حفاة ، جلابيب على العرى ، سيقانهم ملتوية رفيعة ، وكروشهم منتفخة ، والوجوه ، والعيون تقرحت ، والشعر اشعث ، هجموا قابلوا هجمة الفيران ، كلما دفقت المياه فى الارض بها من جديد ، وجاء العيال على الصياح تخالط الجمعان صرخات الفرح وصرخات الفزع حتى كف الجرى واوقف الفرار وهمد العفار ، وما بقى فى القرية طفل ، الا وقد حاز فارين او ثلاثة او اربعة . والولد حويط .. ! اصطنع فتلات ، لكل فار منها ، فيرانه الاربعة . ربط الفتلة على الساق ربطا محكما ، وخلى لها الفتل طويلا ارخاه ومشى يمسك الاربعة حبال فى يده مسكا وثيقا ، وعند اخر الحبال تترقص وتتلعب، يوقع لها بالارخاء والشد ، تنوى ان تفر فيرغمها الرباط ، وتستمر اللعبة ، رقصة رهيبة ، والطفل سعيد بشغبه وانتصاره .

تمادى ، فدق وتدا فى الارض ، واحكم فيه ربط الفتلات الاربع، كل واحدة تنتهى بواحد من فيرانه ، تركها تجرى والاحبال ترغمها على الجرى فى دائرة مركزها الوتد ، والولد يجرى يطارد الفيران على محيط الدائرة . يصفق ويذكر ويتراقص والجرى دائب والدائرة لا تعرف الاكتمال ابدا . حتى تعب الصغير ، جلس وحيواناته واقفة جامدة ينبض فى كروشها النفس .

قال الولد لنفسه وفى يده الحبال الاربعة ، ان هذه الا ابقارنا ، لنعلق فى رقبة الواحد منها حجرا ، وتوثقه توثيقا شديدا ، واطلقها تسير والحبال معه ، وان ابت السير جذبها ، تعلو الساق المربوطة وتمشى الفيران ينقلون ثلاثا ويجرون الحجارة والولد يصيح بها صيحاته بالبقر ، ويضربها بالعصا ، ويسرف فى الضرب حتى ماتت . كل واحد منها داخ وانتقض وفاء دماء، فالصغير ضرب كلا ان اوانه منهم بالحجر فقد ملها .

هكذا ماتت فيرانه الاربعة ، فانطلق ينظر فى امر الاطفال ، ارض الجرن مغطاة بجثث الفيران ، يركلها ، بعض الصغار فى ايديهم بعض من فيران يلهون بها ، لقد ملها . لم يطل النظر ولم يتوقف بهم . مضى ، الحقول ملئت بالماء حتى فاض اندلق فى الجرن صانعا بركة وقف الصغار على الحافة يدورون بها ويقذفون الماء بالحجارة لحق بهم . البركة مملوءة فئرانا تقوم تخبطها قذائف الطوب تصيبها فتغوص ، او تطفو لتنصب القذائف عليها مرة اخرى ، والشواطىء محروسة ، كل فرار مدرك ، يضرب الفيران فترجع الى الماء . صاح الولد ان اه لو كنت اطلقت بقراتى هنا ..! واخذ من الطوب يقذف الى ان غرقت الحيوانات فى الماء العكر .

والوقت صار الى اصفرار الشمس ، والمغرب وشيك ، اب العيال ، يمشون فى جماعات ، يضحكون، ويلعبون شقاوة ، لكنهم المتعبون ، يحكون عما كان من امر الفئران : اه ياولاد .. !!



بقلم: كمال النجمى

الصيف المصرى فوق هضبة الهرم فى هذا الشهر ، هو صيف « فيروز » مطربة لبنان ومطربة العرب .. يفتح لها ذراعيه ، وسمعه وبصره ، ويرطب بالأنسام الندية والنفحات الشذية لياليه القمراء ، ويقطف من أغصان صوتها المثمر تفاحة الطرب ، ويشعل وجدانه بالنشوة والوجد ! ..

يتذكر السامع فى طربه لفيروز قول أحمد شوقى أمير الشعراء :

لبنان والخلد اختراع الله لم
يُوسَم بأزين منهما ملكوتهُ

فإن الصوت النغوم الذى تتغنى به فيروز ، هو تجسيد بالنبرات المغردة لجمال لبنان ، جبلا وبحراً ، وهواء وسماء ..

وهو صوت رقيق صغير المساحة مثل لبنان ، ولكنه قوى مثله ، وتمتد فى هذا الصوت الرقيق الصغير شعرة ذهبية طويلة رفيعة متينة ، تلعب فوقها الألحان برشاقة وبراعة وقوة لاتملكها بعض الأصوات ذات الجهارة والعرامة وسعة المساحة .

قبل سبعين عاما كانت « البحة » الواسعة التى تأكل نصف الصوت ، هى مصدر الجاذبية فى الغناء العربى ، وكانت منيرة المهدية هى صاحبة البحة الكبرى بين المغنيات والمغنين ، فانتزعت بهذه البحة سلطنة الطرب ! .

ولبثت منيرة تصعر خدها للناس تيهاً بهذه البحة التى خصتها بها الأقدار ، ولكن "فن البحة" استنفد أغراضه حين ظهرت أم كلثوم بصوتها اللامع كعين الشمس وسيطرت على ساحة الغناء ، فلم يبق من البحة إلا أثر ضئيل يتعلق به صوت أم كلثوم أحياناً على سبيل الذكرى ! .

ومن أيام منيرة إلى أيامنا ، وردت على أسماعنا أصوات لا حصر لها ، حتى جاء صوت فيروز ، فحل همسها الأبيض محل الجهارة البحّاء ، وتحرك تاريخ الغناء العربى ماشياً من مرحلة إلى مرحلة ، منتقلاً من حال إلى حال .

● فى سنة ١٩٤٩ سمعت صوت فيروز لأول مرة من إذاعة بيروت ..

وفى سنة ١٩٦٩ رأيت فيروز وسمعتها تغنى على أحد مسارح دمشق ، فواجهتها بسمعى وبصرى لأول مرة ، وشاهدت فنها يتحدر من أصل ينبوعه ..

وها أنذا مع الناس فى القاهرة سنة ١٩٨٩ ننتظر قدومها ، ونتهيأ للقائها فوق هضبة الهرم العالية ، وتحت ليل القاهرة الساجى ..

إن مياها كثيرة جدا قد انسابت فى نهر الحياة من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٨٩ .. أربعة عقود من الزمان غيرت الكثير فينا وفيما حولنا ، ولكن فيروز بصوتها وفنها بقيت كأنها لا تتأثر بتقلبات الأيام ، فهى مطربة لبنان والعرب فى السراء والضراء ، وحين اليأس ، أى حين الحرب ! . وقد ظل هذا البأس يتفجر طوال السنين ناراً ودماراً ، ولكن فيروز بقيت تحلق كالعصفور فوق الحريق ، مع أن هذا الحريق استلب منها فى لهيبه ودخانه نصف عمرها الفنى تقريباً ! .

بدأت فيروز حياتها الفنية سنة ١٩٤٥ فى إذاعة بيروت ضمن فتيات الإنشاد أو الكورس ، وغنت فى تلك الأيام مرددة "المذهب" وراء كل مطربة كبيرة أو شهيرة تقف أمام ميكروفون الإذاعة ، ولكن المطربات الكبيرات والشهيرات اللاتى وقفت وراءهن فيروز اختفين أو تقهقرن أو نالهن الإجهاد ، وانطلقت هى وحدها من وراء صفوف الكورس حتى طبقت شهرتها الآفاق !

وبرزت فيروز من أول أمرها فى ثوب غنائى جديد ، فكانت ألمع المطربات فى عصر

ام كلثوم الذى هو عصر تجديد الغناء العربى جملة وتفصيلاً .

والقانون الأساسى - إن صح التعبير - الذى كان ومازال يتحكم فى تطور ونمو الغناء المصرى ، والغناء اللبنانى من ورائه ، منذ الثلاثينات حتى يومنا هذا ، هو القانون الكلثومى إن صح التعبير ، مرة أخرى ! ..

فلم يكن من بد طوال العقود الخمسة الماضية وإلى اليوم ، أن تتمرس كل مطربة تبتغى النجاح ، بالعلوم الغنائية الحديثة المتطورة فى الغناء العربى ، وهى حصيلة غناء ام كلثوم وابتكاراتها الفنية واكتشافاتها الصوتية طوال السنين ، مع كوكبة ملحنيها العظماء على امتداد خمسين عاما ..

ولا توجد مطربة فى مصر او فى أى بلد عربى - مهما كان لون غنائها ومعدن صوتها وحجمه ومساحته - لم تدخل مدرسة أم كلثوم وتتعلم منها شيئاً او اشياء ..

ولكن المطربات تفاوتن فيما طبعن به أساليبهن فى الغناء حتى ليكاد أثر الغناء الكلثومى يكون خافيا فى بعض أساليبهن الغنائية .. وابرز هؤلاء قديماً المطربة العظيمة اسمهان .. واشدهن اثرا وسحرا الآن ، مطربتنا الفريدة فيروز ..

لقد تاثرت فيروز بالفن الكلثومى الذى هو فن العصر ، وأخذت منه ما يناسب صوتها واضافت إليه إضافات اساسية جعلت من فيروز مطربة شديدة التميز فى عصر أم كلثوم ، بل اظهرتها أحيانا إلى جانب ام كلثوم ، وهذه طبقة فى النجاح لم تبلغها مطربة غير فيروز ، فكانت هى المطربة الواحدة إلى جانب ام كلثوم الوحيدة ..

وفيروز من أصوات الميزوسوبرانو الخفيفة ، فهى لاتصل إلى طبقة السوبرانو العالية ، وطبقة صوتها هادئة النبرات ، بطيئة الذبذبات نسبياً ، ولكنها تستخرج من خفة صوتها حركة درامية مؤثرة ، وتتفنن فى تطويع مساحة صوتها التى تنحصر فى ثمانى درجات موسيقية ، او ثمانية مقامات ، لكل النغمات التى يصنعها ملحنو اغانيها الفردية واغانيها المسرحية والجماعية ..

وصوت فيروز خافت نسبياً ولكنه لامع النبرات ، نقى من كل شائبة ، ساعدته تربيته الفنية الصحيحة على اداء الغناء العربى بلهجة حديثة تشبه فى الأسماع احياناً لهجة الغناء الأوربى ، حتى إن بعضهم رشحها للغناء الأوبرالى على الطريقة الأوربية ، وهو امر يشبه ان يكون مستحيلاً ، لأن صوت فيروز - برغم شكله الخارجى - هو صوت طبيعى وليس صوتاً مستعاراً ، والفرق كبير بين الصوتين فالغناء العربى لايمكن اداؤه على وجهه الصحيح نطقاً ولحناً إلا بالصوت الطبيعى ..

وللغناء الأوبرالى قواعد فى تربية الصوت غير قواعد تربية الصوت على الغناء العربى ، تشمل اجهزة النطق والتنفس والمضغ والبلع والحجاب الحاجز والرئتين واوضاع البطن والراس واموراً اخرى كثيرة ..

والمغنى الأوبرالى - من هذا الطراز - عاجز عن الغناء العربى الصحيح .. كذلك

المغنى ذو الصوت العربى لايستطيع الغناء الأوبرالى على وجهه الفنى الدقيق .. وقد كانت أم كلثوم ذات الصوت الأعظم لاتستطيع أداء الغناء الأوبرالى ، ومثلها جميع مغنيات عصرها ، ومنهن فيروز التى يظن بعضهم انها تغنى بصوت مستعار .. وهذا غير صحيح ، بل إنه جهل بمعنى الصوت المستعار ، ففيروز لم تغن قط إلا بصوت طبيعى ، وكان غناؤها ومازال غناءً عربيا ، برغم ما قد يبدو على بعض الحانه من "تفرنج" !

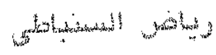
ويمكن أن يقال إن للميكروفون فضلاً على مستمعى فيروز لأنه جلا لهم مرآة هذا الصوت الجميل الذى لولا الميكروفون لتغير طريقه إلى الأسماع ، ولفات الكثيرين منهم الكثير منه ، ولم يكن ممكناً ظهوره بنجاح فائق إلا فى عصر الميكروفون الذى كان له الفضل فى نجاح أصوات خافتة جميلة أو فائقة الجمال ، مثل صوت عبد الحليم حافظ ، وصوت القارىء العبقرى الشيخ محمد رفعت ..

وقد جاءت فيروز فى الوقت المناسب فشغلت مكاناً لم تكن تشغله مطربة أخرى فى البلاد العربية كلها ، وهو مكان المطربة ذات النبرات الرومانسية الحالمة التى يتضمن أداؤها الرومانسى ثورية فنية أو فورة دراماتيكية افتتن بها المستمعون ..

وقد غدت فيروز رمزاً من رموز الغناء العربى الحديث ، ولكنها ـ بوجه خاص ـ صارت رمزاً لفن الغناء اللبنانى المتطور الذى كان له أثر فى الغناء المصرى والغناء فى كل بلد عربى تقريبا ، حتى فى البلاد التى سجن مطربوها ومطرباتها اصواتهم فى السلم الخماسى ، مثل اليمن وبلاد الخليج والسودان وليبيا وغيرها من البلاد العربية ، فضلاً عن مطربى البلاد العربية الأخرى الذين تاثروا بالغناء الهندى والغناء الفارسى ، حتى خفى علينا أثر الغناء العربى فى حناجرهم .

وقد كان الغناء اللبنانى إلى أربعين عاما خلت ، متخلفا عن الغناء المصرى مائة عام على الأقل ، ولسنا فى الحقيقة أول من قال بهذا الرأى ، فقد سبقنا إليه المطرب اللبنانى الكبير وديع الصافى ..









محمد عبد الوهاب

ذلك ان مصر - لأسباب تاريخية كثيرة - قد سبقت شقيقاتها العربيات فى المجالات العلمية والأدبية والفنية ، ومن بينها مجال الغناء والموسيقى .

فقد بدأت نهضة الغناء المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير قبل مائة وخمسين عاما ، حين ظهر الأديب الموسيقى الشيخ محمد بن اسماعيل فأزاح الستار عن الموشحات الأندلسية الدفينة ، وكتب عنها كتابه الفريد "سفينة الملك" الذى اشتهر باسم "سفينة الشيخ شهاب" .. واجتمع حوله تلاميذه وبدأت على ايديهم حركة الغناء المصرى بعد همودة الطويل ، وتبلورت الأشكال الغنائية الرئيسية : الدور والموشح والموال والقصيدة والطقطوقة ..

ثم قفز الغناء المصرى على أيدى أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ومن عاصرهم من الملحنين والمغنين قفزات جبارة لم يعرف الغناء العربى مثيلا لسرعتها وعمقها منذ عصراسحاق الموصلى قبل الف ومائتى سنة ، فانتقل الغناء المصرى إلى آفاق رحبة رفيعة لم يكن يحلم بها المغنون ولا الملحنون ولا المستمعون ..

ولم يستطع فن الغناء اللبنانى ان يلحق بهذه التطورات إلا بعد ان استقلت الدولة اللبنانية والتأمت الطوائف ، وسار لبنان فى طريق التطور وملاحقة الجديد فى العلوم والفنون ، فعندئذ اتيح للموسيقيين اللبنانيين ان يقفوا على أعمال اشقائهم الموسيقيين المصريين ويستوعبوها ويتعلموا منها ..

وكان عاصى ومنصور الرحبانيان فى طليعة الموسيقيين اللبنانيين الذين وثبوا ليلحقوا بركب الغناء المصرى المنطلق بأقصى سرعته ، ونجحا فى اللحاق به نجاحا عظيما ، واضافوا إليه ما استطاعوا ..

ومن حسن الطالع ان قيضت لهما الأقدار صوت فيروز ليعرض فنهما فى التلحين ، فضلا عن فنهما فى الشعر الشعبى والشعر الفصيح ، وانتقل عاصى الرحبانى من وظيفته كشرطى فى بلدية بيروت إلى اروقة الإذاعة اللبنانية ، ليملأ الأثير بصوت فيروز ، ومعه شقيقه منصور الذى قاسمه كتابة أغانى فيروز وتلحينها . ولا أدرى فى الحقيقة كيف يمكن ان يتقاسم اثنان - ولو كانا أخوين - تاليف اغنية او تلحينها ، فهذا لم يسبق له مثيل فيما علمنا من عجائب النظم والتلحين .

هل معنى ذلك ان هذين الأخوين النابغتين استطاعا ان يسدا فجوة المائة عام التى كانت تفصل بين الغناء المصرى والغناء فى لبنان والبلدان العربية الأخرى ؟! .

الحقيقة انهما سدا الفجوة وتجاوزاها فى المسرح الغنائى اللبنانى ، أما فى الأغنية الفردية فإن جهدهما وقف - مع صوت فيروز - عند حدود لم يستطع ان يتجاوزها ، حتى بالاضافة إلى جهود الملحنين اللبنانيين الآخرين ..

وعندئذ ظهر فى "الورشة" الرحبانية الفيروزية موسيقار مصر محمد عبد الوهاب ..

لم يكن عبد الوهاب يريد المشاركة فى مسرح فيروز والرحبانية الذى بلغ غاية

النجاح ، وتفوق على المسرح الغنائى المصرى .. مع أن لعبد الوهاب تجارب فى التلحين للمسرح الغنائى منذ سنة ١٩٢٥ حين لحن لمسرح الريحانى ، ثم فى سنة ١٩٢٦ لمسرح منيرة المهدية ..

ولا أدرى الظروف النفسية التى دفعت عبد الوهاب فى الستينات إلى إحياء ماضيه الغنائى فى العشرينات بصوت فيروز ! .. لعل الظروف النفسية لم تكن وحدها ، فهناك أيضا الأرباح ! .. وهكذا غنت فيروز "ياجارة الوادى" و"خايف اقول اللى ف قلبى" وغيرهما من أغانيه بدعوى إظهارها فى شكل جديد من التوزيع الموسيقى .. فماذا حدث ؟! ..

لقد سجلت فيروز هذه الأغانى القديمة فى عز شهرتها وإقبال المستمعين على كل ماتغنيه ، ولكن الفرق كان كبيرا بين صوت عبد الوهاب القديم البالغ اربعة عشر مقاما ، وصوت فيروز المحدود بثمانية مقامات ، فضلا عن اختلاف تكوين الصوتين فى القرار والجواب ، مما جعل الرحبانية يقومون بتبسيط واختصار أغانى عبد الوهاب القديمة ، وتضييق حجمها ، وتقليص مساحتها ، وخفض طبقة الصوت فيها ، وإلغاء قراراتها الأصلية المؤداة بقرار صوت عبد الوهاب العميق الذى لا مثيل له ، فضلا عن جواباتها التى تزيد على جواب صوت فيروز باكثر من خمس درجات او ست ..

وبعد هذه العملية الباترة دخلت تلك الأغانى فى حنجرة فيروز ، فكانت هذه العملية الجراحية فى رأيى ورأى كل ذى ذوق أو معرفة بالغناء ، مسيئة إلى فيروز المطربة الموهوبة ذات الصوت الخاص ، اللطيف التكوين ، البديع النبرات ، المؤثر برقته ونعومته وخصوصيته ، لا بالجرى وراء أغانى اصوات الفحول من كبار مطربى العشرينات ! ..

ويبدو أن عبد الوهاب كان بينه وبين نفسه على هذا الرأى الذى كنا نحن ومازلنا عليه .. فسرعان ماتقدم إلى فيروز بثلاثة الحان جديدة لثلاث أغنيات من تلحينه : "اسهار بعد اسهار" .. و"مر بى" .. و "سكن الليل"



احمد شوقى — منيرة المهدية — أم كلثوم

إن هذه الأغنيات ـ ومنها قصيدتان ـ أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن عبد الوهاب هو خير من يعرف المزايا الفريدة لصوت فيروز ، وانه يفهم بدقة تامة حدوده المقامية ، ومواطن إبداع نبراته .. فجاءت هذه الألحان في صوت فيروز آية فى التلحين وفى الصوت وفى الأداء ..

وقلنا يومئذ وقال كل من سمعوها متسائلين :

ـ هل أراد عبد الوهاب بهذه الألحان التى التزم فيها حدود صوت فيروز ومزاياه ومواصفاته أن يعلن براءته من تجربة غنائها لألحانه القديمة المفصلة تفصيلا على صوته الذهبى القديم الجبار فى العشرينات ؟! ..

لقد استخرج عبد الوهاب بالحانه الجديدة هذه اجمل ما فى نبرات فيروز ، ومس فى صوتها مكامن لم يمسسها أحد قبله ، ولم يعرف أحد بعده كيف يمسها ، حتى جاء الملحن العظيم رياض السنباطى ـ رحمه الله ـ فلحن لفيروز قبيل وفاته لحنا لم تغنه حتى اليوم ، ويقال إنها ستغنيه فى حفلاتها هذا الشهر فى القاهرة .

فما الذى جعل فيروز تتردد فى غناء لحن السنباطى عدة سنوات ؟! .

اكاد اقول أنها ترددت فى غنائه لأنها وجدته غير مناسب لمقاييس صوتها ، فالسنباطى لايبدع فى التلحين إلا على مقاييس صوت أم كلثوم .. وقد صرح قبل وفاته ـ رحمه الله ـ انه اكتشف مناطق عالية فى صوت فيروز لم يكتشفها احد قبله ..

فليت شعرى ، اية مناطق هذه التى اكتشفها السنباطى ، وتجنبها عبد الوهاب فقصر الحانه لفيروز على مناطق ودرجات صوتية بعينها ؟! .

هذا هو الفرق بين مذهبين فى النظر إلى صوت فيروز والتلحين لهذا الصوت



شمادية الجبل .. فيروز

عبدالحليم حافظ

الجميل ذى الخصوصية الشديدة في جماله ! .. ولايخالجنا الشك في صحة مذهب عبد الوهاب !

إن السنباطي ظل يبحث في صوت فيروز عن جواب لم يصعد إليه أحد من الملحنين .. وليس المهم هو الجواب أو القرار لذاته ، بل المهم صياغة هذين صياغة جديدة .. وذلك هو ماصنعه عبد الوهاب ..

وبعد ، فإن المطربات اللبنانيات المشهورات جميعا ، لم يبلغن النجاح إلا بعد أن جعلن مصر مقر إقامتهن ، ولم يكن ممكنا أن ينجحن لو بقين في لبنان ، إلا فيروز ، فإنها أقامت في لبنان ونجحت هناك وانتشر نجاحها في العالم العربي كله وهي هناك ، بل كانت سببا في تقديم اللهجة اللبنانية إلى العالم العربي على أوسع نطاق لأول مرة ، فاحب المستمع العربي هذه اللهجة ، وجرت كلمات أغاني فيروز على الألسنة بين المحيط والخليج ، حتى إن المصريين نطقوا - للمرة الأولى - بغير اللهجة المصرية في الغناء .. وذلك هو سحر فيروز الذى تفردت به بين جميع مطربات العالم العربي ، فإنهن جميعا نطقن اللهجة المصرية تقربا إلى المستمع الذى يفضل هذه اللهجة في الغناء كما يفضلها في السينما والمسرح والتليفزيون ..

أما فيروز فإنها تقدم غناءها الفردى كما تقدم غناءها المسرحي باللهجة اللبنانية ، فتجد هذه اللهجة من الإقبال - على لسان فيروز وحدها - ماتجده اللهجة المصرية التى صارت منذ زمن بعيد هي اللهجة الغالبة على الأعمال الفنية في العالم العربي ، نظرا للسبق التاريخي الذى أحرزه الفن المصرى في جميع المجالات ..

وفوق هضبة الهرم ، وفي مسارح القاهرة سيجتمع حول الفن الفيروزى خلال صيف القاهرة الحار ، مصريون وعرب من جميع الأقطار ، مستمعين ومستمتعين بفنها الرائع الذى جاءت به من لبنان ولكنه يهز وجدان الإنسان العربي في كل مكان ..

وفيروز تجيء إلى القاهرة وقد سيطر على ليالى ضفاف النيل غربان الملاهي الليلية الذين ركبوا السلم الخماسي البدائي في غنائهم الشائه ، وستجد فيروز فصيلا جديدا بين جمهور الغناء يريد أن يتسلى ويمرح ويتلذذ ، ولايعرف شيئا عن الفن الحقيقي ..

إن جمهور سياح الصيف سوف يملأ جانبا كبيرا من مقاعد حفلات فيروز وهو جمهور أفسده الفن الغنائي الفاسد .. وسوف تجد فيروز أن الغناء العربي يكاد أن ينقطع ويتلاشى .. فماذا تصنع فيروز ؟! ..

إن الغناء العربي سوف يجلس في سفح الهرم ، وقبالة أبي الهول ، ويستمع إلى فيروز ، ويحلم بالليالي الجميلة العاطرة التى كان فيها ملء الأسماع !...

وسيرى المستمعون في صورة فيروز وصوتها حلما يطبقون عليه أهداب عيونهم ! ..

أمسية حول أدب نجيب محفوظ في قصر الأمم بجنيف

بقلم : جميل عطية إبراهيم

اقيمت أمسية حول ادب نجيب محفوظ وحياته فى قصر الأمم بجنيف الشهر الماضى للدبلوماسيين العرب والأجانب والعاملين بالأمم المتحدة وحضرها ايضا بعض المهتمين بالأدب العربى من لوزان وبرن وغيرهما من المدن السويسرية .

اعد الأمسية وأشرف عليها مكتب الاعلام بالبعثة المصرية فى جنيف بالتعاون مع النادى العربى بقصر الأمم وتبرع المترجمون المصريون بالترجمة الفورية للغات الفرنسية والانجليزية والعربية والعكس .

وكان فى مقدمة الحاضرين الدكتور نبيل العربى سفير مصر لدى الأمم المتحدة والأستاذ ممدوح عبد الرازق سفير مصر فى برن والمستشرقان المعروفان هارتموت فاندريش الألمانى الجنسية الذى سبق له ترجمة العديد من الأعمال العربية إلى الألمانية والسيد واندنبرج استاذ علم الأديان فى جامعة برن .

وقد تضمنت الأمسية ثلاث محاضرات حول ادب نجيب محفوظ وفيلما عن حياته .



نجيب محفوظ

وقد تحدث فى الأمسية الأستاذ بهاء طاهر وقدم دراسة متعمقة لأدب نجيب محفوظ الذى يدور فى الفترة الفرعونية من تاريخ مصر ورواياته : عبث الأقدار ، ورادوبيس ، وكفاح طيبة . وقد اهتم الأستاذ بهاء طاهر بابراز الأجواء العامة لهذه الروايات وربطها بالأحداث التاريخية ، كما أوضح الأستاذ بهاء طاهر مفهوم نجيب محفوظ للقدر الذى يختلف عن مفهوم اليونان كلية وكذلك مفهومى الجبر والاختيار مبينا أن مفاهيم الأستاذ نجيب محفوظ حول هذه القضايا منذ رواياته المبكرة نابعة من التراث الاسلامى وليس الثقافة اليونانية .

ثم تحدثت الدكتورة فوزية العشماوى عن العمل الروائى لنجيب محفوظ من واقع خبرتها فى ترجمة رواية ميرامار إلى اللغة الفرنسية وتخصصها فى دراسة ادبه وقد ركزت محاضرتها على الأجواء العامة التى تدور فيها رواياته متناولة بالتحليل بعض شخصياته الروائية .

ثم تناولت المستشرقة الانجليزية المعروفة هيلارى كيلباتريك ادب نجيب محفوظ من زاوية العالمية مستخدمة مناهج علم الأدب المقارن فى هذه المقارنة .

وهكذا فإن الحدث الأدبى الكبير فى العام الماضى أى فوز الأستاذ نجيب محفوظ بجائزة نوبل لاتزال أصداؤه تتفاعل فى دنيا الثقافة على امتداد المعمورة .



ضد فقه اللغة الألمانية وتراكيبها

الناطقات باللغة الألمانية ثائرات هذه الأيام ضد فقه اللغة الألمانية وتراكيبها وطريقة اشتقاق الأسماء بسبب تجاهل لغتهن للهوية النسائية وسيطرة الرجل على فقه هذه اللغة .

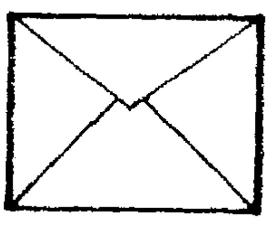
وتقول السيدة سنتنا ترومل بلوتز فى كتاب لها صدر سنة ١٩٨٢ حول قضية سيطرة الرجال على اللغة أن الرجال يقدمون النغمات الرئيسية عند الحديث الى السيدات حتى شاعت مقولات مفادها أن السيدة الفاضلة هى التى تصمت ، ومن هذا الصمت المفروض على النساء تشكلت لغة خاصة بهن .

وتقول الباحثة أنها بلغت الأربعين من العمر قبل أن تتاح لها فرصة تأمل لغة السيدات وهن يتخاطبن مع بعضهن البعض ، ودهشت ، وذلك إثر تجربة شخصية سنة ١٩٧٢ عندما عاشت بين مجموعة من السيدات والفتيات لالقاء مجموعة من المحاضرات فى إحدى الجامعات .

ومنذ ذلك الحين اهتمت بدراسة هذه الظاهرة للاجابة على عدة تساؤلات منها :

ـ هل يتحدث النساء مع بعضهن البعض بشكل مختلف عن مخاطبتهن

رسالة



جنيف

للرجال ؟!

- كيف يتحدث الرجال عن النساء وباية لغة ، وكيف يعلق الرجال على احاديث النساء ؟!

وقد قادت هذه التساؤلات الباحثة لدراسة وضعية النساء في البنية اللغوية الألمانية واوردت العديد من الأمثلة الطريقة التي تتجاهل هوية النساء والتي ترى انها نتيجة لسيطرة الرجل وانسحاق المرأة ، ومن هذه الأمثلة التي ترى انها تعبر عن انسحاق المرأة :

- مستمع هذه الأحاديث عليه كذا وكذا ...

- على كل مسافر أن ...

- نحن في حاجة إلى شخص يمكنه الاعتماد على نفسه ...

- الانسان يمر في حالة الوضع بظروف مختلفة كل مرة ...

وترى المؤلفة أن هذه الأقوال الشائعة في الحياة العامة على الرغم انها توجه الى الجنسين ، فالمسافر قد يكون مسافرة والمطلوب للوظيفة قد يكون إمراة إلا أن اللغة المستخدمة والشائعة في مثل هذه الأحوال في محورها توجه إلى الرجل . ومن المعروف ان الضمائر في معظم اللغات تشير فقط إلى المذكر وفي التمييز يجب المذكر المؤنث بغض النظر عن نسبة المذكر إلى المؤنث ، فيقال عادة :

""مائة مغن : تسع وتسعون مغنية ومغن واحد""

ومن أطرف الملاحظات التي توصلت إليها الباحثة هي أن النساء عندما يتحدثن يملن عادة الى استخدام صيغة التصغير بطريقة تشبه حديث الصغار الى الكبار ، كما ان المراة الناطقة بالألمانية في زعم الباحثة تكثر من استخدام صيغة الشك في حديثها بطريقة تبرز خوفها من الادلاء برأى قاطع فتقول :

- أليس كذلك ، انه ...

- اليس حقيقيا ان ...

وهذه صيغ لا تعبر عن رأى المراة .

كما ترى الباحثة ان النساء يكثرن من استخدام صيغ تظهر الحسرة والأسف في الحياة اليومية مثل :

- انا لست إلا ربة بيت للأسف .

وتستشهد الباحثة بفقرة من دراسة لكاتبة أمريكية عن لغة الاعتذار عند النساء فتقول :

"يكثر النساء من الاعتذار وطلب السماح ويقلن ذلك بصورة دائمة ، والرجل يقول ايضا في بعض المناسبات : "اعذرني" او "انا آسف" ولكن الاعتذار وطلب السماح بالنسبة للسيدات طريقة حياة ولغة يومية" .

وتؤكد الباحثة على أن الانسان يصنع هويته بواسطة اللغة التي يستخدمها انطلاقا من اللغة التي

صنعها السود فى الولايات المتحدة فى مواجهة سيطرة الرجل الأبيض . ففى الولايات المتحدة كان من الشائع فى السابق القول : رجل زنجى أو أدب زنجى فاستبدل السود هذه اللغة التى تحط من قدرهم بفرض استخدام تعبيرات مثل : رجل أسود أو أدب السود وذلك فى مقابل القول رجل أبيض او ادب البيض .

وترى الكاتبة أن احكام الرجال المسبقة ضد النساء تدفع النساء إلى استخدام لغة وصيغ دونية . وهكذا تستمر سيطرة الرجال على النساء . كما استمرت سيطرة البيض على السود فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى اكتشف السود لغتهم الخاصة وفرضوها على البيض وطالبوا بالتغيير ورفضوا أن يطلق عليهم زنوج وقالوا : هم بيض ونحن سود . وقد نجح السود فى اجبار البيض على الكف عن استخدام لغة دونية معهم فى السنوات الأخيرة . وتؤكد الباحثة سنتا ترومل بلوتز أن المرأة لن تتحرر من سيطرة الرجل إلا إذا فرضت عليه استخدام لغة اخرى تؤكد هويتها .

وقد تلقفت الجماعات النسائية كتاب الباحثة فور صدوره سنة ١٩٨٢ واصبح محورا لكثير من التعليقات والدراسات ، غير أن باحثة المانية اخرى هى السيدة لويزا بوش قد سارت على طريق الثورة خطوة اخرى أشد جراة من رفيقتها وتستعد حاليا لاصدار كتابها القنبلة رافعة شعار "كل الناس اخوات" فى مقابل القول الماثور كل الناس أخوة .

وقد قدمت السيدة لويزا بوش الى مدينة بازل لالقاء محاضرة فى جماعة من السيدات لعرض فكرتها فى المطالبة بتانيث اللغة كلية ، فيقال طبيبة ومدرسة فى مقابل طبيب ومدرس وتبرر السيدة لويزا بوش ثورتها على التراكيب الألمانية قائلة انها تود الانطلاق من النقيض إلى النقيض حتى يتولد النقيض الثالث الذى يحقق المساواة للطرفين ، ومن الجدير بالذكر هنا بيان أن كلمة انسان فى اللغة الالمانية Der.Mensch لا تانيث لها ، كما ان هذه اللغة تسمح بالقول : "هى تلميذ مجتهد" مما يثير ثائرة النساء اللاتى يبحثن عن هويتهن فى اللغة ، وهذه صيغة غير شائعة فاللغة تسمح بالقول ايضا : "هى تلميذة مجتهدة" ولكنها صيغة صحيحة ومقبولة وفقا لقواعد هذه اللغة .

وعلى كل اللغة العربية أكثر رحابة فى هذا الشأن من اللغة الألمانية فضمير المخاطب يفرق بين الرجل والمراة فيقال : أنتَ ، وانت . بينما فى اللغة الالمانية يقال : Du التى توجه إلى الرجل وإلى المراة على السواء .

وربما ثورة الناطقات بالألمانية تثير الباحثات فى اللغة العربية حيث شاعت تراكيب مثل السيدة الوزير او الدكتور علية ... عميد كلية ... او الدكتورة فاطمة استاذ الأمراض الباطنية ... الى غير ذلك من الألقاب ، حيث لم تحسم هذه القضية والبعض ياخذها على محمل تكريم المراة وليس الانتقاص من شأنها .

السلطة

ندوة الهلال

تقديم عاطف مصطفى

□ عقدت الهلال ندوة بعنوان « بين الصحافة والسلطة في مصر » تحدث فيها د . أحمد حسين الصاوى أستاذ الصحافة وشارك فيها د . عبدالعزيز الدالى الأستاذ بجامعة الزقازيق ود . محمد الجوهرى نائب رئيس جامعة القاهرة ود . عونى عبدالرعوف عميد كلية الألسن والأديب فاروق خورشيد والباحث الأديب عبدالتواب يوسف ..

تناولت الندوة استعراضا لبداية الصحافة في مصر منذ دخول الحملة الفرنسية ومرورا بعصر محمد علي وازدهارها في عصر اسماعيل وماوصلت إليه الآن في ظل وجود صحافة معارضة .

وحرصت الندوة على مناقشة كل الجوانب التى مرت بها الصحافة من حيث الحرص على تمصيرها وتعريبها فى أيام الحملة الفرنسية وفى ظل حكم محمد على وأبنائه ، وأهمية حرية الصحافة ، والدور الذى ينبغى أن تقوم به لمصلحة الشعب أولا .

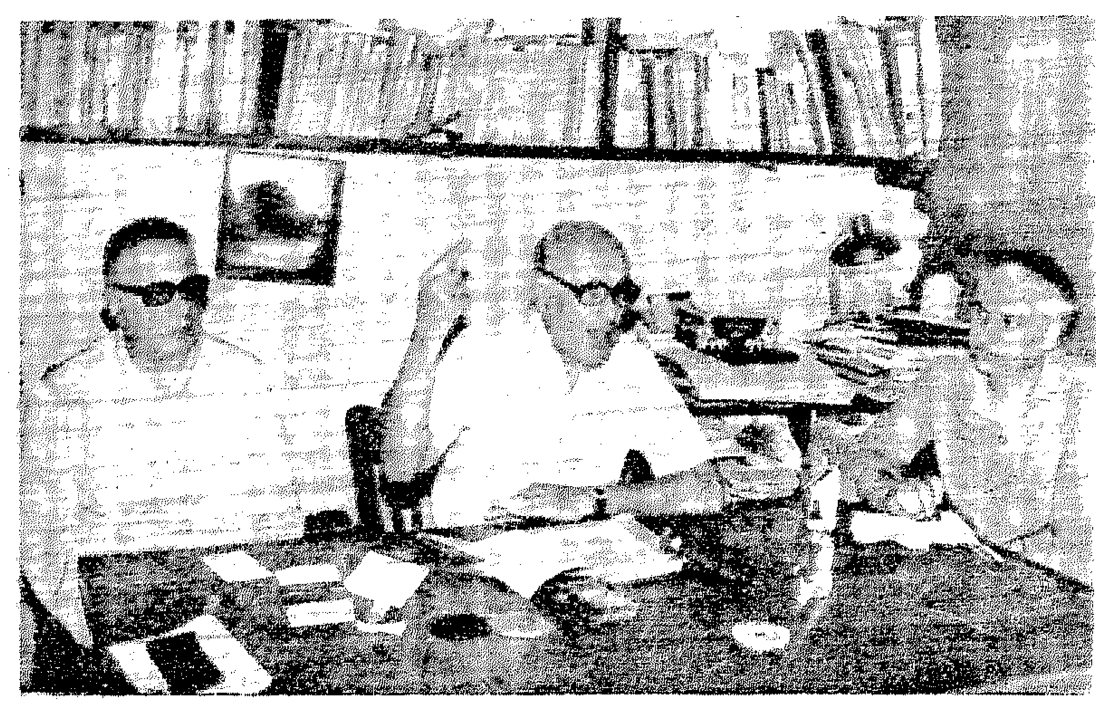
تحدث الدكتور الصاوى بالتفصيل عن بداية الصحافة فى مصر وعلاقتها بالسلطة ثم فتح باب المناقشة والحوار الذى امتد لساعتين كاملتين .

قال الدكتور الصاوى : فى البداية يهمنى أن أتحدث أولا عن العلاقة بين الصحافة والسلطة بوجه عام ، فهذه العلاقة قديمة ، ومنذ نشأت الصحافة كان لابد أن تكون هناك علاقة ما بينها وبين السلطة ، لأن الصحافة وظيفة اجتماعية كبيرة ، نشأت بالمعنى الحديث ، بعد أن إخترعت الطباعة ، وعبر تطور الصحافة نشأت نظريتان بين الصحافة والسلطة .

الاولى : منها هى نظرية السلطة ، ومعناها أن الظروف التى تحكم صدور الصحافة تنبثق عن نظام الحكم السلطوى ، أى فى ظل الحكم الأوتوقراطى وفى ظل الحكومة المستنيرة بالمعنى السياسى ، وليس بالمعنى اللغوى ، توجد صحافة ترتبط بالسلطة من خلال هذا المفهوم .

فالحقيقة مثلا هى ماتراه السلطة الحاكمة ، والسلطة الحاكمة تحكم وتوجه والصحافة تنقل الرأى والفكر والمعلومة من أعلى إلى أسفل ، فالصحف تعلم





كشف الدكتور الصاوى عن العلاقة بين صحافة السلطة والصحافة الحرة

الناس بما تود السلطة أن يعرفه الناس .

وقد برزت هذه الفلسفة بتلك المقومات التى أشرت اليها بإيجاز بالذات خلال حكم أسرة تيودور وأسرة ستيوارت فى انجلترا حيث كان هناك مكتب للصحافة يتبع الملك رأسا ، وكانت عملية النشر عبارة عن اتفاق بين السلطة الحاكمة ، التى هى مصدر القوة وبين الناشر .

والصحف فى ظل هذا النظام تفتقد حقا بالغ الأهمية ، وهو حق مراجعة جهاز الحكم أو نقد السلطة ، والصحافة هنا تفتقد الحق الذى أصبح الآن حقا شائعا ، كما تعلم .

الثانية : وهى نظرية الحرية التى ازدهرت بفعل عدة عوامل مثل الاقتصاد الحر ، وظهور الأفكار الديمقراطية ، وعصر التنوير ، وهى تعتبر أن المواطن لم يعد يعتمد على الدولة فى كل شىء ، ولكنه يستطيع أن يميز بين الحقيقة والزيف ،

ولم تعد الحقيقة وقفا على السلطة الحاكمة ، ولذا فإن الصحافة أصبحت تشارك فى البحث عن الحقيقة ، ولم تعد أداة للحكومة أو السلطة بل هى وسيلة تقدم للناس الحقائق المختلفة لكل موضوع ، بحيث تترك الحرية للمواطن الذى يقرأ الصحيفة ، فى أن يشارك برأيه وينتقد ، ويمارس حقه فى نقد الحكومة !

وقد سارت هذه النظرية فى القرنين ١٩ ، ٢٠ وفى القرن العشرين ظهر تعديل لكل من النظريتين السابق الاشارة إليهما ، حيث تحولت نظرية السلطة إلى النظرية السوفييتية عندما حكم الحزب الاشتراكى الاتحاد السوفييتى ، وأصبحت هناك نظرية سوفييتية للاعلام والحرية هنا سلبية ، أما فى الاعلام الغربى فقد صدرت تعديلات خاصة فى الولايات المتحدة من خلال نمو الاحتكارات الاعلامية .

وهناك مجتمعات الآن فى العالم لاتخضع تماما لنظرية الحرية ، ولا لنظرية المسئولية الاجتماعية ، وإنما تأخذ من هنا بقدر ماتأخذ من هناك .

● بداية الصحافة فى مصر ●

وفى مصر بدأت الصحافة من خلال حملة بونابرت ، كسلاح إعلامى لشعب تختلف لغته عن لغة الشعب الفرنسى .

ورغم الظروف التى كان يعيشها الشعب ، والتى لم تكن تسمح مطلقا له أن يعبر عن نفسه بطريقة عصرية ، فإنه حاول أن يساهم فى هذه العملية ، مثل محاولات بعض المصريين فى أن يحرروا المنشورات ، عندما لاحظوا سوء لغتها وركاكة تعبيراتها .

وعندما تولى محمد على الحكم ، كان لابد أن يخاطب الشعب ، كى يعلمه بالدور الذى يؤديه لهذا الشعب ، فأصدر « الوقائع المصرية » والتى كانت عبارة عن قرارات وكان لابد أن تطعم المادة التى تنشر فيها وهى مادة جافة بشىء من الادب الشعبى مرة ، ومن الشعر مرة اخرى .

وشهد عصر محمد على وأبنائه الصحافة السلطوية ، حيث جسدت صحيفة « الوقائع » السياسة السلطوية ، وحاول رفاعة الطهطاوى ربيب السلطة أن يجسد سياسة السلطة فى « الوقائع » إلا أنه بعد أن عاد من بعثته إلى فرنسا بحوالى ١١ سنة تولى رئاسة تحرير « الوقائع » عددا واحدا !

وعندما انتهى عصر محمد على بدأ عصر اسماعيل ، وهو عصر ملىء بالمتغيرات حيث زادت نسبة المتعلمين وعادت البعثات من الخارج ، وفتح اسماعيل صدره للوافدين السوريين ، واضطر إلى عمل مجلس شورى النواب ، وأحدث كل هذا نوعا من الغليان وتدفق المشاعر الشعبية .

وفكر اسماعيل فى إحياء الصحافة والاهتمام بها ، واستفاد من مطبعة بولاق ، وساعد على إصدار مجلات عديدة وساعد ذلك على ظهور صحافة غير سلطوية ، وكان من أهم وسائل جمال الدين الأفغانى فى الكفاح ، تشجيع الناس على إصدار الصحف ، وابتدأت الصحف الوطنية فى الظهور .

ولايمكن إغفال المد الشعبى الكبير .. مد شعبى وطنى ، ومد شعبى مصرى بعد

أن شعر الناس بمصريتهم في مقاومة السلطة ، وفي محاولة أن يكون لهؤلاء الناس صحافة تتبلور عن وجود نوع من الازدواجية .

● فقد كانت توجد صحافة سلطة ، مقتصرة على نطاق الرسميات والقوانين والتثقيف والتعلم .

● وأيضا صحافة لاسلطة نسميها صحافة أهلية ، أو صحافة شعبية وهى قادرة على المقاومة وعلى النقد .

وعندما دخل الاحتلال مصر ، تغير وجه المجتمع ، وتغير وجه السياسة ، فقام الانجليز بإلغاء الصحف الوطنية ، وعهد إلى بعض السوريين بإصدار صحيفة « المقطم » التى كانت تستفز المصريين ، أما كرومر فقد خطط لكى تكون هناك صحافة سلطة ، ثم تسمح السلطة بإصدار صحف أخرى ، كى لايكون هناك فراغ ، ولم يكن كرومر يطبق قيود قانون المطبوعات على الصحف ، ولكنه كان يتخذه سلاحا يهدد به .

● حرية الصحافة ●

وفى العشرينيات والثلاثينيات عاشت الصحافة المصرية بنسبة لاتقل عن ٨٠ ٪ فى ظل نظرية الحرية .. كانت صحافة ليبرالية كاملة مهما قيل فى فساد ذلك العصر ، وقد تركت ثورة ١٩١٩ فى نفوس الناس آثارا لايمكن أن يتنازلوا عنها ، مهما اختلف المصريون ، لذا جاءت الاتجاهات الاصلاحية فى الأدب وفى النقد والتعليم ، وكانت بداياتها صيحات ودعوات حارة جدا فى الصحف فى ذلك الوقت .

وكانت هناك سلبيات فى العلاقة بين الصحافة والسلطة مثل المصادرات وإغلاق الصحف ، لكن قانون المطبوعات لعام ١٩٣٦ بمقارنته بمثيله فى أى بلد أوربى ديمقراطى كان أرجح كفة !

وجاءت فترة الحرب العالمية الثانية وهى فترة ظلام ، مثل الحرب العالمية الأولى إلا أنه بعد الحرب عادت الصحافة إلى مكانتها ، واستأنفت ازدهارها وانجازاتها وجهودها فى خدمة التنمية .

وفى الفترة مابين ١٩٤٥ - ١٩٥٢ تحدثت الصحف عن موضوعات عديدة من بينها ، الحياد الايجابى ، الاصلاح الزراعى ، ضرورة التصنيع ، وأرغمت الصحف المصرية الانجليز على الجلاء عن الاسكندرية والقاهرة ، فضلا عن أن الصحافة هى التى مهدت لقيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

وبعد قيام ثورة يوليو بدأت مفاهيم جديدة فى الظهور ، وعلى وجه السرعة أوقفت الثورة صحفا ، وألغت الأحزاب ، وصادرت صحفها ، ثم أممت الصحافة عام ١٩٦٠ ، وأصبحت الصحف صحف سلطة !

وجاء التأميم من أجل إلغاء ملكية الصحف وإتباعها الى التنظيم السياسى الوحيد فى البلاد وهو الاتحاد القومى ، ثم الاتحاد الاشتراكى .

ومع حكم السادات أراد الا يتخلى عن مظاهر السلطة وجهاز الحكم ، ووقع فى مطب عندما ألغى الاتحاد الاشتراكى فأصبح هناك فراغ سياسى مرة أخرى ، مما اضطره إلى الاعلان عن فكرة المنابر ثم الاحزاب ، وأصبح للأحزاب جرائدها ، ثم فكر فى أنشاء مجلس الشورى الذى يمثل الدولة فى ملكية الصحف ثم انبثق عنه المجلس الأعلى للصحافة ، الذى أولى الصحف الحكومية عناية كبيرة .

أصبحت لدينا الآن صحف تتمتع

بامتيازات كبيرة ، وصحف الأحزاب وهى صحف ضعيفة مغلوبة على أمرها ولكنها لاتخرج عن نطاق السلطة ، فهى تحصل على معونة من الحكومة ، كما أن غالبية محرريها من الصحفيين العاملين بالصحف القومية وبعض هذه الصحف الحزبية تستفيد بكل الطرق من الامتيازات المتاحة لها .

وطالب د . الصاوى فى نهاية مقدمته إلى ضرورة وجود حرية كاملة للصحافة حتى قبل أن تكون هناك ديمقراطية قائلا .. نحن لانريد العودة إلى عهد الرأسمالية الكاملة عندما كان الفرد يملك صحيفة .

● دور خطير للصحافة الأجنبية !

ثم بدأت المناقشة :

فاروق خورشيد : من ناحية منهج الندوة لى ملاحظة عن الصحافة المصرية وقد اقتصرها د . الصاوى على العلاقة بين الصحافة المصرية والسلطة ، وحصر السلطة فى سلطة الحاكم القائم ، سواء كان حاكما فرنسيا أو عثمانيا أو انجليزيا أو مصريا .

وهناك بعد ثالث ، هو السلطة الخارجية ، وكنت أتمنى أن يتعرض د . الصاوى لهذا الجانب ، لأن الصحافة المصرية ، وبالتالى الصحافة العربية كلها تعرضت لضغوط خطيرة جدا منذ نشأتها لمراكز النفوذ العالمى ، خاصة وأن هناك سلطات أجنبية لها مصالح فى المنطقة فى أن تنشىء صحفا ، وقد أثرت هذه الصحف بشكل مباشر على الصحف المصرية والعربية ، فضلا عن أنها وجدت رواجا كبيرا ، وكانت ذات نفوذ ثقافى ، وتأثير إعلامى كبير على الناس ، وهذه نقطة هامة لأنها تدخل سلطة جديدة أخرى غير السلطة المحلية ، وهى السلطة العالمية وبالتالى تدخلنا فى مراكز الصراع العالمى .

ووجود مثل هذه الصحافة وصدورها باللغة العربية ، ربما أثر تأثيرا كبيرا فى التركيب الثقافى المصرى والعربى ، وهذا يمتد بالطبع إلى الموقف السياسى الحزبى أو غير الحزبى والانتماء الاجتماعى والثقافى .

وفى اعتقادى أن هذه الدول حاولت التأثير من خلال المصاريف السرية والاعلانات المدفوعة ، سواء كانت إعلانا مباشرا أو غير مباشر .

أيضا أشير إلى نقطة هامة وهى أن عمل الصحفى فى غالبية الأحيان - أصبح مجرد وظيفة يحصل عليها وترتبط بالمرتب وليس بموقف يريد أن يعبر عنه !

وهنا اختلفت رؤيتنا للصحفى بعد أن كنا ننظر للصحفى والصحيفة على أنها وسيلة للتنوير ولإيضاح الرأى الآخر ، فى محاولة للاقتراب من الحقيقة ، إلا أنها أصبحت مجرد شىء يصدر بلا طعم أو موقف ، وهذا مؤشر خطير للاحباط الذى يصيب القارىء المصرى بصورة عامة !

فى الماضى لم يكن الصحفى يجرؤ أن يعمل فى أية صحيفة إلا إذا كان صاحب هواية حقيقية فى المجال الذى يتخصص فيه ، وصاحب موقف ورأى وفكر ثابت ، ولكن حينما تحولت المسألة إلى وظيفة ، فإن عليه أن يملأ الفراغ وبالتالى اختفت الصفحة الأدبية ، وأصبح لايوجد عندنا رأى اجتماعى ولا رأى سياسى ولا أدبى ،



فاروق خورشيد   د. محمد الجوهرى   عبد التواب يوسف   د. عوض عبد الرؤوف

وبالتالى اختفى النقد الحقيقى !

د. الصاوى : إن مسألة الفكر والرأى فى الصحافة مسألة هامة جدا وسبق للاستاذ فاروق خورشيد أن أثارها فى بعض كتبه.

أما قضية الأدب والصحافة فلم تحسم حتى الآن، ولكننى أود أن أضيف بعض الحقائق، وهى أن الصحافة الحديثة باعتبارها وسيلة الاعلام والاتصال الأولى، لاتقتصر أهميتها فى الحقيقة على الفكر أو الرأى فقط، بل إن الصحافة إخبار فى فن الخبر وكيفية أن تنقل للناس مايحدث، وكيف تستجيب لحق من حقوق الانسان فى العصر الحديث

● دفاع عن الصحافة

د. محمد الجوهرى : شعرت بانطباع من خلال الندوة أن الدكتور الصاوى يدافع عن الصحفى وربما يكون هذا الانطباع لدى خاطىء، كما أننى أضم صوتى لفاروق خورشيد فيما أشار اليه من التدخل الخارجى من خلال الصحافة الأجنبية، وعلينا أن ندرس بعناية ماحدث للبنان من خلال الوكالات التى تحولت إلى ميليشيات تحارب بعضها البعض.

وهذه فى رأيى نقطة تمثل انحرافا مباشرا وخطيرا لاستخدام قوة الصحافة، أشير أيضا إلى أن لدينا صحافة حكومية وصحافة معارضة وما أعرفه شخصيا من مصادره الأصلية أن حوالى ٩٠٪ مما نشر فى صحف المعارضة مختلق وغير حقيقى.

أيضا فإن فكرة النقد أو مواجهة السلطة لاتصدر بناء على تدقيق وأمانة صحفية فى المقام الأول، بقدر ماهى صادرة عن معارضة سياسية تقصد الاثارة المحمومة بدون هدف محدد !

إنى مندهش جدا مما يحدث فى بعض صحف المعارضة من هجوم على بعض الوزراء والشخصيات العامة، والصمت الذى يتم فى مواجهة ذلك بحجة ان ذلك يدعم موقف المسئول..

إن ضوابط الحوار ينبغى أن تكون فى صحافتنا، فأنا استطيع ان أهاجم وأنقد وأؤيد وأعارض فى حدود تشريعات تحدد العلاقة وهى علاقة مركبة تكون نوعا من التفاعل بين الرأى والسلطة، أو الصحافة والسلطة.

د. الصاوى : إن من بين مايتضمنه هذا السؤال هل أنا أدافع عن الصحافة وردى أن الصحافة قوة اجتماعية مؤثرة

وذات وظيفة ومفيدة جدا وضرورية ايضا .. لابد أن أدافع عنها ولكى أدافع عن الصحافة ، أطالب بحريتها ، ومهما قيل عن الديمقراطية ، فمن المبادىء البديهية المعروفة لاديمقراطية بدون حرية ولا أحد يقول إن الصحافة أو حرية الصحافة معناها التسيب أو اللاقيود ، فلا يوجد تجمع بلا قيود وهذه بديهيات نعترف بها ، ولكن شكل القيود يختلف فمثلا عندما تأتى غانية وتنشر مذكراتها فى صحيفة وتدفع الصحيفة لها مليون جنيه وتبدأ فى النشر ويثور الرأى العام ، يلجأ مجلس الصحافة البريطانى إلى التدخل فورا لايقاف الصحيفة والمذكرات وحدث ذلك خلال العقدين الأخيرين فى بريطانيا .

إن مايحدث الآن فى مصر ليست قيودا وليست حرية بالمعنى المحدد ومانعيبه جميعا على صحف المعارضة هو رد فعل القيد السلطوى وحينما يلغى قانون الصحافة الذى تطالب نقابة الصحفيين بكل فئاتها بالغائه ، ويعدل وتمنح الصحافة قدرا من الحرية سوف تتراجع صحف المعارضة عن هذه المهاترات والتطرف وسوف يصبح هناك نوع من التعقل فى معالجة القضايا مثلما يحدث فى بلاد أخرى وأود أن أذكر أمرا بالغ الأهمية وهو أن السلطات قد تدعم الصحف ، ولكن ليس معنى ذلك التدخل فى شئونها ، وهناك ست دول أوربية من أرقى الدول الديمقراطية تدعم الصحف من بينها السويد ونجد فى الصفحات الأولى لصحفها هجوما على رئيس الوزراء ..

إن العمالة وأدوات الطباعة والورق مكلف جدا ومرتفع فى أثمانه وينبغى أن نفرق بين دعم الصحف وبين التدخل فى توجيه الصحف .

ومن هنا فإن المطالبة بحرية الصحافة أعتبرها وسيلة إعلامية ولاتعنى إلغاء عطف الحكومة ورعايتها لها ، وأيضا لاتلغى وجود قوانين وضعية وقيود معقولة ولاتلغى فكرة أن هناك بعض وسائل الاعلام لابد أن تكون حكومية خالصة مثل الراديو .

ولكننى أفرق بين الصحافة المطبوعة وبين وسائل الاعلام الأخرى فلا أطالب بأن تكون الاذاعة حرة ، وقد يكون هذا موجودا فى دول أوربا .. كما أن دعوتى الى الصحافة لاتمنع مطلقا وجود صحف حكومية أيضا ، ووجود صحف حزبية .

إذا أردنا أن نعيش حياة ديمقراطية صحيحة فلنبدأ أولا بإعطاء الحرية الكافية للصحافة فى حدود المسئولية الاجتماعية والقوانين الوضعية .

● تأثير الفن الصحفى

عبدالتواب يوسف : هناك منظور خاص بالفن الصحفى .. و « روضة المدارس » تعتبر من الصحف والمجلات التى قدمت لونا فريدا من ألوان التنوير من خلال المعرفة ، وهو نوع من أنواع الفن الصحفى المطلوب باستمرار ، وبحيث لايصطدم بالسلطة بهدف خدمة قضية معينة على المدى الطويل .

واستخدام الفن الصحفى كان دائما « لعبة » تلجأ إليها السلطة أحيانا وتلجأ إليها بعض العناصر الراغبة فى التحرير ، وفى فرض الحرية والديمقراطية .

وقد « لعبت » السلطة فى ذلك الوقت دورا فى الضغط على الصحف من خلال

الاعلانات التى كانت تساعد فى ازدهار الصحيفة .

والفن الصحفى عموما والجمهور مدخلان لمعرفة تاريخ الصحافة مع السلطة فى مصر ، وكيف يمكن أن تواجه السلطة بصحافة حرة وديمقراطية حقيقية .

د . الصلاوى : إن موضوع الفن الصحفى ، أو المستحدثات فى الصحافة مثل التدخل فى الصحافة ومواردها موضوع آخر ليس له علاقة بين الصحافة والسلطة ومن الممكن أن تكون الحكومة أو السلطة صاحبة فضل فى إدخال مستحدثات فى الصحافة ، ويمكن أيضا أن يكون الأفراد أصحاب فضل فى ذلك الأمر ، وهذه بلاشك اجتهادات متعددة سواء من جانب القوة أو من جانب الأفراد وهذا موضوع ليست له علاقة بما أقصده وهو الصراع بين السلطة والصحافة .

● لغة الحاكم

د . عونى عبدالرءوف : أتساءل عن ثلاث نقاط :

أولا : اللغة التى كتب بها الفرنسيون المنشورات المختلفة ، وهل كانت لغة المستشرقين أنذاك يغلب عليها الطابع العربى القديم ، وماهو نوع التجاوب من قبل الشعب المصرى ، وهل كان تدخل علماء الأزهر فى تصويب لغة المنشورات لأنها لغة مترجمة عن الفرنسية أو لبعدها عن لغة العصر الذى كانوا يعيشون فيه .

أيضا أتساءل عن كيفية كتابة المنشورات باللغة العربية أيام الحملة الفرنسية وهل كانت تفرض لغة الحاكم أيام محمد على لكى يتعلم المصريون اللغة التركية وماهى صلة مجلس الشورى بالصحافة ..

د . الصلاوى : إن لغة المنشورات التى أصدرها نابليون بونابرت ، كانت تكتب بالفرنسية ، ويقوم مستشرقون بترجمتها .. وهذه تصلح لدراسة لغوية مستفيضة لمحاولات إدخال تغييرات ومصطلحات عربية جديدة مثل كلمة الجمهور التى تطورت إلى الجمهوريين على أيدى رفاعه الطهطاوى ، وهناك كلمات كثيرة أخرى لم تترجم كما ينبغى مثل فكر الشعب والدين ، وكلمات أخرى من الفرنسية ، مثل شعار الثورة الفرنسية (الحرية ـ المساواة ـ الاخاء) وكان بونابرت يحرص على أن يكتب العلماء المنشورات وحرر العلماء المصريون هذه المنشورات ، وحرصا على كتابتها باللغة العربية الرصينة .

وقد ظهر ازدواج اللغة فى ايام الحملة الفرنسية ، وفى عهد محمد على ، وهو التعبير بلغة الحاكم ، ولغة المحكوم ، اشعارا أو كنوع من السلطة ، فالفرنسيون كتبوا المنشورات بلغتين ، وحرص محمد على على الكتابة فى الوقائع باللغة التركية .

وكان دور رفاعة الطهطاوى هاما فى الوقائع إذ حرص على تحريرها باللغة العربية وكتابة الموضوعات المصرية قبل الموضوعات التركية .

أما فيما يختص بعلاقة مجلس الشورى بالصحافة ، فقد انبثق عنه المجلس الأعلى للصحافة ويرأس هذا المجلس رئيس مجلس الشورى ، وهو صورة من صور الملكية وقد قدمت عدة اقتراحات سنة ١٩٨٠ لمناقشة ملكية الصحافة لمن .. وكان من الممكن أن تحل مشكلة الازدواجية بالملكية التعاونية أو بشركات قابضة و تمليك الصحافة للعاملين بها !



محمود بقشيش

الذكرى المئوية

للفنان محمد ناجي

وإعادة قراءته

نظّم المركز القومي للفنون التشكيلية مهرجانا لتكريم أحد رواد الفن التشكيلي في مصر . ضم المهرجان معرضا شاملا لانتاجه بقاعة النيل ، وندوات ، وكتابا احتوى مختارات مما كُتب عن الفنان .. وعلى الرغم من الجهد الكبير المبذول الذي يستحق من أجله المركز القومي . ومُعِدّ الكتاب الاستاذ «نبيل فرج» التهنئة .. فإن معظم مقالات الكتاب تكشف عن طريقة في التفكير تُذوِّب الحدود الفاصلة بين «التكريم» و«التاليه» .

إن إحياء ذكرى فنان تعني - في تقديري - إعادة قراءته ، واستخلاص القيمة الباقية في إبداعه . وقدرتها على التاثير والحوار مع ابداعات أجيال لاحقة .. أما في حالة «التاليه» فليس هناك غير المصادرة والالغاء لكل انجازات الآخرين .. حيث لا تتسع الساحة الفنية لغير فنان واحد !

وجه من الاقصر للفنان ناجي



كان «ناجى» فنانا جادا بغير شك ، أمينا مع عصره ، أمينا مع قلقه الخاص ! يبحث عن نفسه ، أو عن اسلوب شخصى يميزه ، بين مدارس ومذاهب وتيارات انبهر بها فى لحظات التلاقى الأولى ، غير أنه كان ينتقل من مدرسة إلى مذهب إلى تيار فى خفة الطائر فوق الاغصان .. فانتقل من «تأثرية » «مونيه » الذى كان قد التقى به شخصيا .. إلى «سورا » و «سيناك » و «سيزان » .. وقبل ذلك كان مفتونا بابداعات «عصر النهضة » ، ويعلق «رمسيس يونان » على ذلك بقوله :

كادت المرحلة الكلاسيكية فى فن «ناجى» تقتصر على زيارة المتاحف ونقل صورة أو صورتين من عصر الاحياء . ولا يبدو لنا من تأمل أعماله اللاحقة أنه قد أفاد كثيرا من هذه المرحلة ، سواء فيما يتعلق بالثروة اللونية أو من حيث براعة التأليف وروعة الألحان .

أن النموذج أو النماذج الشخصية التى تعلق بها فى بعض مراحله ، لم تؤثر ـ فيما أعلم ـ فى الأجيال اللاحقة ، فقد كان الطريق إلى «النموذج الأوربى » ميسورا أمام تلك الأجيال .. سواء بالاتصال المباشر بالمنابع ، أو بالاتصال غير المباشر بواسطة الكتاب . ولا شك أن الاتصال بالمنابع الأصلية افضل من نقل أو استعارة نماذج وسيط .. ومع ذلك فقد كانت دعوة عصر «ناجى» إلى تمصير النموذج الأوربى قد وجدت ولاتزال تجد لها صدى ، وفى حين اقتصر التعبير عن توجهات قومية فى فن «ناجى» على الموضوع فقط ، تجاوز بعض من أبرز فنانى الأجيال اللاحقة حدود الموضوع الوصفى . الخارجى إلى منطقة الأسلوب أو منهج الرؤية الفنية .

ومن الدعوات التى تركت آثارا دعوته الى الاهتمام بالفن الشعبى ، غير أنها كانت دعوات نظرية تركت آثارها على ابداع شقيقته الفنانة «عفت ناجى» وزوجها الفنان «سعد الخادم » بينما لا نجد فى مجمل انتاجه ما ينبئنا باستلهامه هذا الفن المعشوق . وحاول أن يقيم جسورا مع ابداعات الفن المصرى القديم .. غير أن الناتج لا يكشف عن عمق هذا الاتصال ، ولا يكاد يتجاوز حدود «النظرة العابرة» (على حد تعبير رمسيس يونان)

وربما تساءلنا ونحن نتذكر رحلته «الجوجانية » الى الحبشة : إذا كان «جوجان » قد هرب من الحضارة الأوربية الى حياة أقرب إلى الفطرة فى «تاهيتى » فما الداعى لفنان ينتمى الى العالم الثالث ، وبينه وبين فلاحى

عزبته فى أبى حمص بضع ساعات .. ما الداعى الى زيارته الحبشية ؟ .. يجيب « رمسيس يونان » :

لا نشك فى أن هذه النزعة الرومانتيكية هى التى حملت «ناجى» على الرحيل الى الحبشة ، ثم الرحيل - فى أواخر حياته - الى قبرص .

ولقد أشاد معظم نقاده بلوحات الحبشة ، لما بها من حرارة فى اللون ، وجرأة فى التنفيذ ، وفطرية فى الأداء .. وبعد أن تركت مرحلة الحبشة بعض الآثار على عدد من اللوحات أنجزها عقب عودته مثل «جنى القطن » و«عازف الارغول » و «الصيد بالشباك » و «بنات أمينوفيس الرابع » خفتت درجة الحرارة اللونية .

وإذا كانت رحلة «ناجى» الابداعية تضم عديدا من الاساليب المستعارة ، والموضوعات المختارة ، وتباينا فى المستوى الفنى ، فإن عجالاته اتسمت بصدق التعبير وحرارة الأداء ، والبراعة فى كثير من الأحيان ، ربما لالتصاقه المباشر بموضوعات واقعية قريبة الى نفسه مثل الفلاحين والحرفيين والحيوانات وخاصة «الحمار » الذى يرسمه بكثير من التعاطف .

أننى أعد تلك العجالات المرسومة بالقلم الرصاص والأقلام الملونة هى أفضل انجازاته ، ولا تزال رسالتها إلينا .. بالدعوة إلى الحوار مع الحياة .. قائمة وحية ، وأرى أن طموح «ناجى» الى «ابتكار اسلوب شخصى » مؤثر كان أكبر بكثير من حجم موهبته . ويشخص «رمسيس يونان » حالته بقوله :

لوحة الفنان - نماذج من القرية لناجى





لم يكن من الممكن إذن لناجى - لذلك الرجل المحتشم الذى لا يقبل حتى على ما يقبل عليه أمثاله من الفنانين من رسم (العارى) ، بل لذلك المتأنق المتحفظ الذى لا يخلع وهو يرسم حتى ربطة عنقه - أن يقدم على تلك الحركة المتمردة الفاجرة (يقصد حركة السيريالية والتكعيبية) التى تقضى ، أول ما تقضى ، بالتجرد حتى من القيود الخفية والأقنعة غير المنظورة .

ورغم ذلك فقد نجح «ناجى» فى التأثير فى الجانب الاجتماعى فى الفن : فقد كان أول مدير مصرى لمدرسة الفنون الجميلة ، ومتحف الفن الحديث ، كما أنشأ أتيليه الاسكندرية والقاهرة ، كما حاول كسر الحواجز بين الفنان والجمهور بجدارياته الشهيرة ، وطالب الدولة بتخصيص مساحات من المنشآت للاعمال الفنية ، ولا تزال الدعوة قائمة حتى الآن .

منازل ونخيل للفنان ناجى

بورتريه الاستاذ ناجي الايطالي



جوزيف فيننكر

وفن الإعلان فى العشرينات والثلاثينات

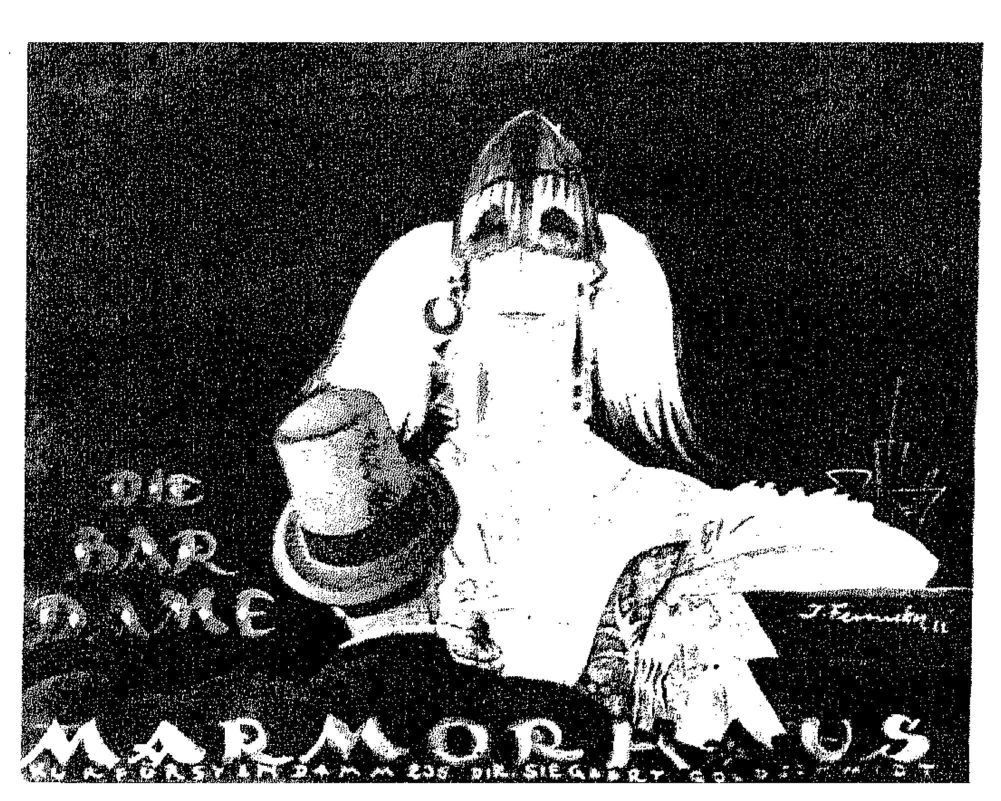
تجول ما شئت - أو بمعنى أصح - إن استطعت فى شوارع القاهرة ، لا لتتأمل فوضى الزحام والعمارة ، ولكن وجه ناظريك الى الاعلانات السينمائية .. ماذا يكون حكمك عليها ؟ ! .. ألن تقول معى : ما اقبحها ، وأبعدها عن الذوق ، وأبعدها عن تثقيف حواس مشاهديها ! .. وربما أضفت معى : هكذا كانت .. ولعلها ازدادت سوءاً ، فكان الملصق فيما مضى يكتفى بضم بطلى الفيلم مع واحد أو اثنين من المساعدين ، أما اليوم فإن مساحة الملصق صارت أشبه بسوق يضم الحابل والنابل فى زحام ينفر منه الذوق

السليم . إن مصمم الاعلان ليس هو «صانع القرار» فى عمله ، فالمنتج له شروط ، والمخرج له شروط ، والنجم له شروط ، وبوليس الآداب له شروط ، وعليه أن يوازن بينها جميعا ، والنتيجة هى ما نراه .. ولو عقدنا مقارنة بين ما نراه فى شوارع القاهرة ، وما تعرضه «قاعة اخناتون» بالزمالك ، لرائد فن الاعلان فى المانيا «جوزيف فيننكر» لأصابتنا الدهشة حقا . لقد أنجز تلك

الاعلانات بين الحربين العالميتين ، وكانت هناك رقابة مشددة على الملصقات ،، وتستطيع ملاحظة ختم الرقابة الألمانية على كثير من ملصقات المعرض ، ولاشك أن المنتج والمخرج - مثلنا - كان لهما دور ما فى انتاج الملصق ، ورغم ذلك فالنتيجة كانت ملصقات رفيعة المستوى .. فكيف نجح هذا الفنان فى العشرينات من هذا القرن فيما أخفق فيه كل مصممى الاعلان فى مصر ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين ؟ !

أترك الاجابة إلى مصممى الاعلان ، والمنتجين ، والمخرجين الذين استسلموا لشروط جمهور «عدوية» !

ضم المعرض أكثر من خمسين ملصقا إعلانيا ، يقدم كل ملصق لوحة تفسر طابع كل فيلم ، التزم فيها الفنان بالايجاز البليغ ، فى اللون والرسوم الخطية ، مع حبكة فى التصميم .. مما أعطى الملصق بعدا تجاوز به حدود الانتماء الى فيلم بعينه الى أن يصبح لوحة مستقلة ، تلفت اليها الانظار بسبب هذا الايجاز المركز ، ولا يضم





فتاة البار ـ للفنان فينتكر

الملصق من أسماء العاملين فى الفيلم ، إلا أكثرهم أهمية وبروزا .. بالاضافة الى ختم الرقابة ! ..

واسلوبه ، بشكل عام ، يمكن ادراجه فى إطار الاسلوب التعبيرى ، وأن تغيرت بعض ملامح تعبيريته باختلاف طبيعة الفيلم ، ففى لوحة فيلم «كارمن » (١٩١٨) ، و«فتاة البار » (١٩٢٢) تقترب تعبيريته من طابع «تولوزلوتريك » بينما يصل بها إلى درجة عالية من التحريف فى فيلم «أشباح» (١٩٢٠) ، وفيلم «أبناء الليل » (١٩٢١) بينما تبدو فى لوحة فيلم «الأب والابن » (١٩١٨) قريبة من طابع المحاكاة الواقعية ، وهو يطوّع كل مهاراته التقنية لتجسيد طابع الفيلم ، ففى فيلم «فتاة البار » تكتشف للوهلة الأولى أنك انتقلت الى عالم الليل ، والهمس ، والحلم ، ومتعة الاسترخاء .

فتاة البار تتسيد مسطح اللوحة . غارقة فى الضوء . تحوطها مساحة داكنة من الخلف ، أما الطرف الثانى أو المساعد أو طالب المتعة ففى منطقة الدرجات الوسطى . الظلية . وقد احتلّ موقعا سفليا ليؤكد شموخ البطلة ، ولا يكاد يترك عنصرا من عناصر اللوحة دون أن يمنحه دورا فى المشاركة فى تأكيد

جو الليل ، مثل الومضات التى وضعها فى عنوان الفيلم والتى بدت أقرب إلى النجوم ، ومع «كارمن » تشعر أنك أمام فتاة لعوب معتدة بنفسها . فاتنة . دقيقة التكوين . احتشد لها بكل ما يجسد شخصيتها ، باسلوب قريب من (تولوزلوتريك) . أما فى فيلم «الاشباح » فيتجه اتجاها مغايرا ، تتميز بتعبيرية لاذعة .. تميز التعبيرية الألمانية عن غيرها .



فيلم الاخوة كارمازوف . انتاج عام ١٩٣١ اخراج اوزيب

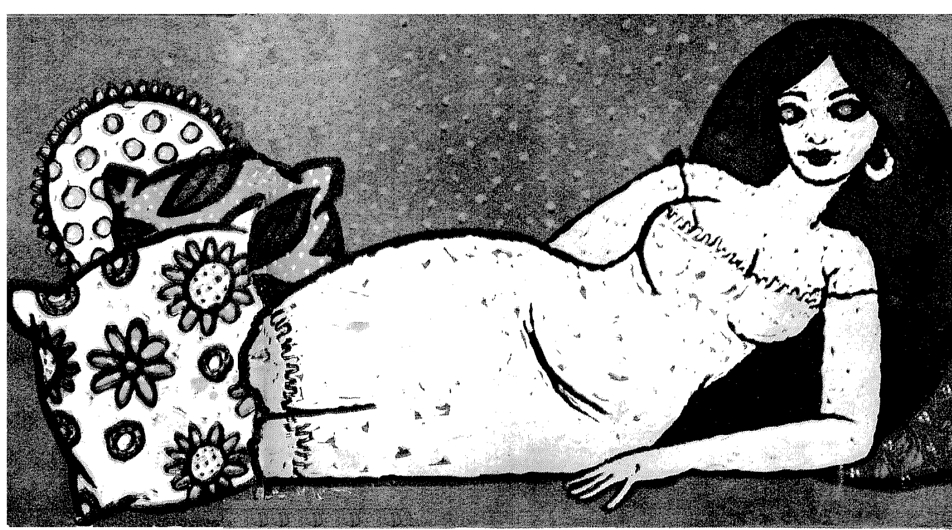


إلى شعراء العالم

شعر :
سمير أبو الحمد حافظ

يا أمراء الشعر
من منكم لا يعرفني
من منكم لم يمدحني وسط قصيدة
او يجعلني رمزا لصلاه
من منكم لم يتعلم مني
معنى الصد
الرفض
وكيف يكون الموت حياه
اعرف اني كنت صغيرا
يجهلني تاريخ العالم
لكني الآن
مكتوب في كل الصفحات
وجهي محفوظ في شاشات العرض
محفور في كل العدسات
فانا يعرفني شجر التين
وشجر الزيتون
وبيت المقدس
تعرفني كل الطرقات
لم ترضعني امي لبنا
لم يمنحني ابتي سيفا
علمني ان امسك حجرا
ان اجعل من أزمنة الشعر
زمنا للاحجار
علمني كيف أبيع اللعبة
واشاكس مثل الثوار
اتشكل في عمق الموت
واصادق وهج النار
علمني حين تجف بحور بلادي
اجعل من دمي انهار
علمني أن احفر فوق جبين الزمن القادم
ان الطفل تعلم
حين تموت الشمس
لابد وأن يولد
من احشاء الليل نهار







قصة قصيرة ..

بقلم: فاروق خورشيد

لايدرى متى حدث هذا ، ولا كيف .. لقد غدا نجما ساطعا فى مجتمع القاهرة الكل يتسابقون الى التعرف اليه ، والى دعوته على الغداء والعشاء والافطار - ان امكن .

ولكن هذا ماحدث ، وهذا ما اصبح واقعا يعيشه ، ويدير راسه ، ويلفه فى دوامة متصلة لاتهدأ ولا تستقر .. ووجد نفسه فى هذا المطعم الفاخر الذى لم يدخله قبل الآن قط ، بل لم يدخل مثله ابدا - وكان الداعى رقيقا ، فجمع مع الطعام والشراب ، مجموعة من الاصدقاء والصديقات .. وقال له :

- ان لم تشرب انت فلن يشرب احد ، فالكل هنا مدعو للاحتفال بك ، ومن اجلك ، فإن طلبت القرفة شربوا جميعا القرفة ، وان شربت كاسا شربوا جميعا فى نخبك .

قال وهو يدير راسه فى المكان المعتم الضوء ، المعطر الرائحة ، المنغم بموسيقى حالمة :

- افى مثل هذا المكان تشرب القرفة ؟

ضحك صاحبه وربت على فخذه فى الفة ، وقال :

- كل واشرب ما تشاء .

- اطرق برأسه وقال :

- ولكنى لا استطيع ان ادعو احدا على كاس هنا ، فلم اكن مستعدا ، يعنى مافى الجيب .

عاد صاحبه يضحك وهو يربت على فخذه فى الفة متزايدة ، ويقول :

- انت معزوم ، وكل هؤلاء معزومون من اجل خاطرك فكلهم يريدون التعرف إليك فقط ، ولا حساب هنا لشرب فالحساب مدفوع ، انت تامر ..

ضحك على استحياء وقال :

- انت تعرف اننى احب أن أشرب .

ضحك الصديق ضحكة عريضة ، وصاح بالساقى وهو يقول :

- ونحن كلنا نحب ان نشرب ، فقط كنا نتحرج ان ترفض الشراب فى مكان عام .. ولكن الشراب ينزل حالا .

وتلفت حوله فى حذر .

كيف جاء هنا ، ولم هو هنا اصلا ؟ واحس بيد حانية تربت على فخذه فى رقة فانتفض ، والتقت عيناه بعينيها .. وتاه .

ضحكت ففاح المكان كله ببخور مقدس ، ثم مدت يدا ترفع خصلة متهدلة عند حاجبها فاهتز قلبه ، وقالت ، وفى صوتها حلم عميق ، عميق مفعم بروائح شرقية بهيجة غريبة .

- انت هنا ضيفى انا

قال فى حيرة :

- والداعى ؟

همست وهى تضحك وتمد اصابعها الطويلة الباردة الملمس الى خده ، تقرصه فى حذر :

- هذه دعوتى انا - افهمت ؟ فانا وهو واحد فهو زوجى وان لم تقبل هذه الدعوة على العشاء لاكلته اكلا .

ضحكت ، وانفرجت شفتاها عن صفين من الاسنان اللامعة البراقة ، وشىء رقيق يمر بينهما فى عذوبة ، وقالت :

- وانا قادرة على الأكل .. الطعام والناس ايضا .

ثم قرصته فى فخذه .. ولحس بتيار من الكهرباء يمر بجسده كله ، فيهزه ، ويهزه .. ونظر حوله .. لم ير احدا كل ما حدث ، زوجها يضحك مع امراة الى جواره ، والاخر يميل على امراة يحدثها فى اذنها ، او ربما فى انفها ، وربما فى شفتيـهـا ، وهمس فـى ضعف :

- انصرف الآن ، فهذه سهرة مشوقة ، وانـا سعيد ، واشكر لكم ، اعنى اشكر لك هذه الدعوة .

قالت :

- الى اين ؟ نحن لم نبدا الليل بعد ، هل انت جبان ؟

نظر اليها وصمت .. لم يكن يعرف هل هو جبان ؟ كـل جبان يتصـور انه شجاع ، بل واحمق فى بعض الاحيان ، حين يندفع الى مواطن الخطر الحقيقية فتصبح حياته كلها فى خطر ..

هل هو جبان ؟ وطال صمته .. وقالت :

- بل انت جبان .

قال :

- امام عينيك ربما ..

وضحكت .. وشالت ذراعيها ، فانداح حاجـز رقيـق يكشف ابطـهـا ، وشعيرات خفيفة هناك .. واحس راسـه يدور من جديد ، وعـاد يقول فى خوف :

- انصرف الآن .

ضحكت وقالت :

- انت مصر .. فاذهب إذن ، ولكنى اريـد رقم تليفونك ، وان تعدنى بلقاء قريب .

هل قال ؟ وهل وعد ؟ هل اعطاها رقم التليفون ؟ كيف انصرف ؟ هو لايدرى .. كل ما يدريه انه فى الليل ، فى سـريـره ، جمـع نفسـه بصعـوبـة ، وتنفس فى عمق ، وهمس كانما يؤكد لنفسه شيئا :

- ليلة وانقضت .

★ ★ ★

جـاءه الصـوت عبـر التليفون يضحك ويهمس ويسخر ، ويتاود ، ويقول :

- هـل نسيت سهرة الامس .. انا لم انس .

همس فى اضطـراب وحرج :

- هذا تليفون المكتب ، وينبغى ان يكون الكلام محسوبا ..

صاحت وهى تضحك:

- الم اقل لك ، انت جبان !

قال فى حرج :

- لست جبانا، ولكن هذا تليفون المكتب .

قالت فى حدة :

- قلتها من قبل .

قال فى تخاذل :

- ونحن تعارفنا بالامس فقط كصديقين عابرين .

ضحكت فى خـلاعـة وقالت :

- كصديقين .. اهذا صحيح .؟ ام انت جبان وكذاب ايضا؟

قال :

- انت تهاجميننى فى عنف

قالت :

- انا لا احب المداورة ، ولا احب الضعف .

قال :

- ولكن زوجك صديقى ، وانت بعد زوجة زميل .

قاطعته الضحكة الناعمة المتفتحة وقالت :

- يالخيالك .. مازلت صـديق زوجى ، ومازلت زوجة صديقك .. ومازلنا اصدقاء ، وانما اردت ان اعرف مدى شجاعتك فى عرينك .

قال فى دهشة :

- عرينى ؟

قالت وهى تعود الى ضحكتـهـا الممطـوطـة الساخرة :

- مكتبك اعنى .. وعرفت كم انت شجاع فيه ، ولكن اصبر ، هذا رقم تليفونى ، وخاطبنى متى احببت ، فقط اريدك حين تخاطبنى ان تنسى انك جبان ، او انك تدعى الجبن .

وضحكت وقالت :

- انت ولد شقى رغم شعراتك البيضاء .. ولم تخدع واحدة مثلى ..

ثم اغلقت السمـاعة ،

وانتهت المكالمة .. وظل يضع السماعة الى اذنه فى دهشة ـ لم يعرف من قبل فى حياته شيئا كهذا ، ولا امرأة لها كل هذه الجراة .. ودون أن يحس ، وجد نفسه يدون رقم تليفونها امامه وهو يبتسم ..

★ ★ ★

كانت الليلة باردة الى حد جعل ساقيه ترتجفان واسنانه تصطك ، وكانت أمرأته قد أعطته ظهرها من زمن طويل ، وكان مؤرقا لايعرف طريقه الى النوم وهب من رقدته فى شجاعة فائقة ، وخرج الى حجرة مكتبه يبحث عن كاس .. ربما ادفأت الخمر اطرافه الباردة . وحين شرب الكاس ، عرف أن البرد ليس فى اطرافه ولنما هو فى دمه نفسه .. كان يرتجف بحثا عن دفء لايقدمه له بيته ، ولا الخمر ، ولا هذا التسكع العقيم بين المسجل يبعث بموسيقى سقيمة ، ومصباح المكتب يضيء صفحات سخيفة من كتاب بارد لاحياة فيه ولاحياة فى القائله ، ولا فى معانيه .. هل ينام كالكلب متكورا على نفسه ؟ أم يسكر حتى ينسى نفسه ووجوده ، وينخمر .. أم يقرأ هذه السخافات التى لايحبها .. حتى الموسيقى اصبحت مملة وعقيمة .

ودون أن يحس وجد نفسه يبحث عن الورقة التى كتب فيها رقم تليفونها ، واخذ يدير القرص فى إندفاع ، ودون تحرز .. وفجاة سمع صوتا على الجانب الآخر من التليفون يضحك نفس الضحكة المليئة الساخرة العابثة ، وسمع صوتها الهادر بالحياة يقول :

ـ هذا انت .. كنت اعرف انك ستتكلم .

قال متلعثما خجلا :

ـ اسف ان تكلمت فى هذه الساعة المتاخرة من الليل .

وقبل ان ينهى كلامه ، قاطعته ضاحكة ساخرة ، عابثة ، ماجنة ، وقالت :

ـ ياستاذ ، ضع سماعة التليفون ، وتعال ..

قال دون أن يدرك معنى كلماته :

ـ ماذا ؟

قالت فى ضيق كله دلال :

ـ يا استاذ البس ملابسك وتعال فورا .. وكفّ عن الكلام .

قال متلعثما :

ـ فى هذه الساعة؟

ضحكت ثم ضحكت مرة اخرى وسكتت ، فقال متلعثما :

ـ الساعة متاخرة :

قالت ساخرة :

ـ متاخرة عن اى شيء يا استاذ ؟ ..

قال وهو يجمع اطراف نفسه المتبعثرة :

ـ عن زمن انوم ..

صاحت وكانها تنهر طفلا شقيا عابثا :

ـ ياشاطر ، ليس هناك وقت للنوم ، ولا وقت للاستيقاظ .. المسالة انك تعيش او لاتعيش .. فهل انت تعيش الآن ؟

تردد ووجم ثم وجد نفسه يندفع قائلا :

ـ لا .. لست اعيش ، بل لست أوجد ، كل شيء بارد وسخيف .

جاء صوتها عبر التليفون قائلا :

ـ ياسلام .

ثم سكتت ، وسكتت محرجا .. وحين طال السكوت قالت فى سخرية :

ـ يا استاذ .. عيب ..

قال فى حذر :

ـ عيب ، ماذا فعلت ليكون عيبا .. ؟

قالت فى انف :

ـ ماتقوله عيب .. وما تفعله عيب . انزل يارجل وخذ سيارتك وتعال .

قال :

ـ إلى .. اين ؟

قالت :

ـ خذ عنوانى ، اكتبه حالا، والبس و انزل ، انا فى انتظارك ..

قال متلعثه :

ـ ولكن الليل .. وظروفك ، و

ضحكت ساخرة وقالت :

ـ جبان ، الم اقل لك ـ

اترك كل شيء لي ، فقط تعال .. ولاتنس ، الدنيا برد ، البس معطفك .

لم يدر ماحدث له ، اغلق التليفون ، ومضى يدور في الغرفة كالمجنون ، يغلق المسجل ، يشرب كاسا او بقاياه حتى الثمالة ، يهرع الى حجرة النوم ، يرمي الروب والبيجامة ويرتدي ملابسه مسرعا .. يرقب زوجته النائمة في استكانة ، تصدر صوتا رقيقا وهادئا ، ومستقرا ، هي نائمة ، وستظل نائمة حتى الصباح .. وحين انتهى من ارتداء حذائه ، تلفت حوله ، واسرع يطفيء نور الاباجورة ثم عاد الى دولاب الملابس ، ياخذ المعطف ، وغادر الحجرة والشقة ، والمنزل ، وركب سيارته ، وانطلق بها الى حيث الصوت الغريب .

★ ★ ★

حين وصل بعربته ، فتح له البواب الباب الخارجي ثم قال في ادب :

- هنا يابك ، العربة في امان .

لم يفهم كيف عرف البواب انه قادم ، ولا انه بك ، فقط اعطى البواب جنيها . ورد على تحيته ، ترك العربة وهو يلتف بمعطفه ، فقد كان البرد قاسيا ، وجرى البواب امامه ، وهو يحتضن الجنيه في كفه الى باب المصعد . وقال :

- اي دور يابك ؟

وارتج عليه ، لم يعرف كيف يقول انه لايعرف الدور ولا الشقة ، لكنه تذكر اسم زوجها ، فقال للبواب الاسم وهو يرقبه في حذر .. ولكن البواب رفع يده الى راسه تحية واجلالا ، اغلق باب المصعد ، ووضع يده على مفتاح الدور المطلوب ، وسكن الى جواره في المصعد دون حديث .. وحين وقف المصعد ، فتح له الباب ، وهو يقول في ادب :

- هنا يابك .

وغادر المصعد ، واغلق البواب بابه .. ووجد نفسه في ردهة مضيئة ، وعدة ابواب .. وتملكه التردد من جديد ، وجعل يجيل نظره في الابواب في حيرة ، وكاد يمد يده يبحث في جيبه عن العنوان المكتوب ، ولكن

بـابا بعيـدا انفتح فى صمت ، وخـرجت اليـه بابتسامتها المشرقة وهى تقول فى صوت هامس :
- اهلا .. من هنا .
ولم يفكر ، فقط مضى مسرعا وكانما يخشى نور الردهة .. وحين وصل الى الباب امتدت يدها إلى ذراعه تقوده وهى تهمس ضاحكة :
- كنت انتظرك ، وحين سمعت صـوت المصعد عرفت انه انت .. تعال .
وكصـوتهـا الهـامس الغامض ، بدأ كل شىء هامسا وغامضا .. فحين اغلق الباب كانت الردهة التى قادته عبرها معتمة ، ضعيفـة الضوء ، ولكن رائحتها هى كانت نفاذة ومدلة ومخدرة .. وانساق وراءها عبر الردهة وقد تاه فـى الـعطـر الفـواح ، والصمت ، والضوء المعتم واليد التى تقوده فى ثقة ..
كان كل شىء رائعا ، ومسترخيا ، وقد ضاع برد الشتـاء خارج الشقـة ، وخارج هذا الوجود المعطر الرقيق .
وانحنـى فـى سيـره لضغطه يدهـا ، وفتحت بابا ، ودخل وراءها الى ردهة اخرى رقيقة الضوء رقيقة الرائحة ، ثم فتحت باب غرفة وقالت هامسة :
- تفضل .
وطالعته اصوات الموسيقى الحالمة ، كما طالعته رائحة العطر المرطب ، قبل أن يدخل الغـرفة .. ودخـل وقالت :
- هات معطفك .. هنا دفؤك ، وهنا تهدأ .
واخـذت المـعطـف ، ودخل الى عالم مخملى عجيب .. كان الضوء موزعا بطريقة هادئة ، وكـانت الموسيقى تنبعث من مصدر مجهـول ، وكـان العطـر الهادىء فواحا ، يهدهـد انفاسه ويحذر وجوده كله ، وكانت الحجرة الممتـدة امامه كانها من الاحلام .. وكانما خرج من صقيع يناير الى دفء يونيو . وطوت المعطف ووضعته الى حافة مقعد ، وقالت :
- اتحس بالدفء ؟
ضحك ضحكة خافتة وهــو يقـول متلمسـا ملابسه الشتوية :
- نحن فى الصيف .
قالت :
- تخفف إذن
ثم قادته الى الحجرة الرئيسية فى الجناح .. بالفعل كان كأنه فى جناح مستقل فى فندق عالمى الطراز .. الأضواء خافتة وموزعة بنظام .. وروائح ذكية تتصاعد من كل مكان ، والمقاعد مريحة فى كسائها ، وفى لونها ، وفى شكلها العام ، وخلع الجـاكيت والبلـوفـر ، واسترخى فى هدوء .. وعـادت تسوق أمامه منضدة متحركة مليئة بـالزجـاجات الفـاخـرة النوع وقالت :
- شرابك المفضل ، قل تجد ..
نظر الى المنضدة وما عليها من زجاجات وتاه .. ثم قال :
- ماتشائين ..
قالت :
- فأنت ملكى الليلة أسقيـك كمـا أحـب ، وأطعمك ما أريد ، وأفعل ما أشاء .
ضحـك وهو يحس بخدر يلم باطرافه كلها ، وهمس :
- ياسلام ..
ضحكت هى ، ومدت يدها بالزجاجة ، فمد يده يملأ كاسه ، رشف منها رشفات ، وهدأت نفسه . كل تعب اليوم ، انزاح ، وراح .. وهو يغوص فى المقعد الوثير ، وفى يده كاس رقيقة ، وموسيقى حالمة تحوطه وتبتلعه ، وتنسيه متاعب اليوم كله .
وفجأة سمع صوتها هامسا تعيده الى دنيا الواقع ، وكانت تقول :
- مولاى شهريار يأكل الآن ، أم فيما بعد .. ؟
كان صوتها ضاحكا وساخرا معا ، ورفع راسه

اليها ، كانت قد غيرت ثوبها الذى لقيته به .. كانت في ثوب هفهاف ، عربى التطريز ، يكشف اكبر مما يكسو ، واستمر في استرخائه وهو يقول :

ـ مولاتى تامر فانا ملك لها الليل ـ أو ماتبقى منه

قالت :

ـ الطعام جاهز يامولاى .

ودفعت أمامها بعربة صغيرة أخرى محملة باطباق متعددة ..

ولم ينظر الى المائدة أو الاطباق ، عاد نظره الى المائدة الأخرى المحملة بالزجاجات ، ثم رفع راسه اليها وقال :

ـ كل هذه الضجة الا توقظ من بالبيت ؟

ضحكت ولوحت بساعدها ، فانكشف الساعد حتى ابطها ، اذ انزاح الثوب الشفاف عنه ليكشف تناسقه ولونه العاجي ، وقالت :

ـ الحوائط مبطنة بعوازل الصوت يامولاى .

وأسقط في يده .. ماهذا العالم السحرى الذى دخله ؟ وجعل يتلفت حوله كفار وقع في مصيدة .

وعادت ضحكتها تجلجل من جديد وهى تقول :

ـ مولاى شهريار ياخذ كاسه حتى لايثقله الطعام .

ولعن شهريار وشهرزاد والجنى ، والمصباح المسحور ، وكل مايتعلق بالف ليلة ، وهو ياخذ كاسه في يده ، وقال :

ـ هذا كثير .

ضحكت وهى تمد يدها الى الحائط فإذا بالستار المسدل يتداخل الى بعضه ويختفى في الحائط ، واذا هو امام حجرة صغيرة كانت مختفية ، الأضاءة الهامسة ، والسرير الوثير الغريب ، لم ير في حياته من قبل سريرا دائريا إلا الآن .. وذهل ، فوجم وسكت .. وقالت :

ـ أيعجبك يامولاى .. ؟

وفجاة ضحك ، واغرق في الضحك ، ووضع الكاس امامه ، وعاد يضحك من جديد ، قالت مذهولة :

ـ مالذى يضحكك في السرير يامولاى ؟

توقف عن الضحك فجاة ، وعاد ينقل بصره بينها وبين الحجرة التى غدت واسعة جدا ، وبين منضدة الشراب ، ومنضدة الطعام ، ثم السرير الذى تكشفت عنه الستار وقال :

ـ كان سرير أمي النحاسى عاليا .. وكانت تصعد إليه بسلالم خشبية ، سلمتين كهاتين السلمتين تماما .

ضحكت وهى تشرب من كاسها ، ثم تضعها فوق المنضدة امامها ، وقالت :

ـ مثلهما تماما .. ؟

قال :

ـ لا .. هذه السلالم مخملية ، وواطئة ، فليس لها ضرورة بالفعل ، فالصعود الى هذا السرير لايحتاج اليها .. وأنها ..

صاحت وهى تقلع من مكانها ، لتحط فوق فخذيه :

ـ لكنها ذكرتك بالسرير القديم .

وضحكت وهى تعبث في شعره الكث الأبيض وقالت :

ـ أنا لست امك ، وهذا ليس سرير امك ، هذا السرير يشترى أمك وكل ما ملكت ، ربما هى وأجدادها ايضا .

واحس بيدها باردة

على رأسه ، كأن كل أصبع يشق لنفسه مجرى في شعره حتى يصل ببرودته الى رأسه ، ثم تشقها الى مخه نفسه .. وعاد احساسه بالبرد يشتد رغم دفء الغرفة ، وضحكت ، وقفزت تتأود أمامه وهي تقول :

- هذه أذواق اوروبية ياسيد .

وقال وهو يستجمع ماضاع من شوارده :

- اين ذهب .. مولاى . هل تحول الى سيد بقدرة قادر .

قالت :

- ذهب مع أفكارك التي انستك اين أنت .. فهل أنت مازلت هنا ؟

ضحك ، ورفع كأسه الى شفتيه يحتسي جرعة كبيرة ، ثم قال :

- بل انا هنا ، ولن ينسيني انى هنا ، انني تذكرت سرير امي النحاس صاحب الدرجتين الخشبيتين .

شربت من كاسها ، وتأودت ، وضحكت .. ووضعت اصبعها فوق شفتيها في تحذير ، وقالت :

- ينسى مولاى امه ، وأنسى انا أنه تجاوز حد الأدب ، فأنا لست أمه .

ضحك وقال :

- لو شاهدتني أمي الآن لماتت بالسكتة القلبية فأنا وسط الحرام الذي كانت تدعو لي دائما أن اتجنبه وأن تجنبه لي الأيام .

وكأنما أحس بسخف كلامه ، فشرب من كأسه جرعة ، ثم ضحك وصفق بيديه ، وقال :

- لماذا كل هذا الكلام .. انا جائع .

قالت :

- الطعام جاهز يامولاى .

قال :

- عدنا الى مولاى ، ونسينا ياسيد لو تنسين مولاى هذه .

قالت :

- كيف أنساها ، وأنت مولاى .

ودون أن ياخذ حذره ، مدت يدها الى ملابسه تنتزعها قطعة اثر أخرى ، وثقل الجو ، والموسيقى حالمة ، والجو عطرى ، وكل شيء دافيء وهي شهية ، وغريبة ومتفتحة .. ونسى نفسه ونسى أمه ، ونسى كل شيء ، فقط هو في حضن هذا العطر ، وهذا الدفء ، وهذا الثراء .

★ ★ ★

حين دخل الى سريره نام في عمق .. وبلا أحلام .. وحين افاق في النهار ، وضع المخدة فوق رأسه ونام من جديد .. وظل ينام الى أن ايقظه قرع على الباب ، وصياح يقول أن العربة تحت تنتظر ذهابه إلى عمله ، وان السائق ينتظر ، وان البيت كله ينتظر ، وأنه أن نام بعد هذا فحكاية وعبث ..

وفي مكتبه شرب القهوة ، وبعد القهوة ، قهوة ، ومضى يعمل في تعثر اول الامر ، وفي تردد بعد ذلك ، ثم في ثبات واصرار .. وسرعان مانسى نفسه في العمل .. وكان أمسا لم يكن .. وضرب جرس التليفون الأول ، فرفع السماعة وقال :

- حول كل التليفونات على صالة التحرير .. انا مشغول .

واغلق السماعة .. وعاد يندمج من جديد في موضوع المقال الذي تحول من مجرد أفكار عابرة الى مشروع واعد .

ولكن التليفون الثانى ضرب فى شدة ، ورفع السماعة وهو يقول :

- نعم ..

كان مستسلما ، فهذا التليفون مباشر ، ولايمكن إلا أن يرد عليه أو يقطع المكالمة بنفسه ، وكان على وشك أن يقطع المكالمة حيث غاب عنه رد من يتحدث ، حين سمع صوتها المتأود الهادىء يقول :

- الا تريد أن ترد على احد ؟

ووجم ... وعادت تقول :

- أنا لن أكلمك .. ولكن يجب أن ترد علىّ حين أطلبك .

قال دون أن يفكر :

- أنا مشغول بالمقال ، ولابد أن ينتهى بسرعة ، وإلا أخرنا طبع الجريدة كلها .

ضحكت ساخرة ، وتأود صوتها من جديد ، وقالت :

- يا استاذ أنا قبل المقال .

قال فى حيرة :

- نعم .

عادت تضحك ، وقالت :

- أى نعم يا استاذ ؟

قال فى حيرة :

- لم أفهم .

قالت :

- انا أحببتك ، ألا تحبنى مثل ما أحببتك .

قال :

- أنت امراة عظيمة .

ضحكت وتأودت ، وقالت :

- أمس كنت تقول كلاما غير هذا تماما .

قال فى حذر :

- يعنى ؟

قالت :

- يعنى انك نسيت نفسك ، وما فعلت ، وماقلت ، وما أعلنت .. أنت قلت انك عبدى ، وانك لم تعرف امراة مثلى من قبل ، وانك شاكر لدنياك انك عرفتنى

قال فى ضعف :

- حديث الامس انتهى مع الأمس ، فقد اثر فى الشراب والمكان ، وانك أمراة جميلة ورائعة .

قالت فى زهو وهى تضحك :

- أرأيت انت لن تنسى الأمس ، سواء كانت تشغلك مقالة ام لم تكن تشغلك .

قال فى تشبث :

- بل هى تشغلنى الآن بالفعل ..

قالت :

- هذا لايهمنى فى شىء .. المهم أنك اصبحت ملكى ، ومقالتك هذه ، اصبحت ملكى اليس كذلك ياحبيبى ..

ولم يفهم .. وادار كلماتها فى راسه ، ولم يفهم ، فقال :

- بالطبع .. بالطبع .. ولكن انا سأكلمك بعد حين .

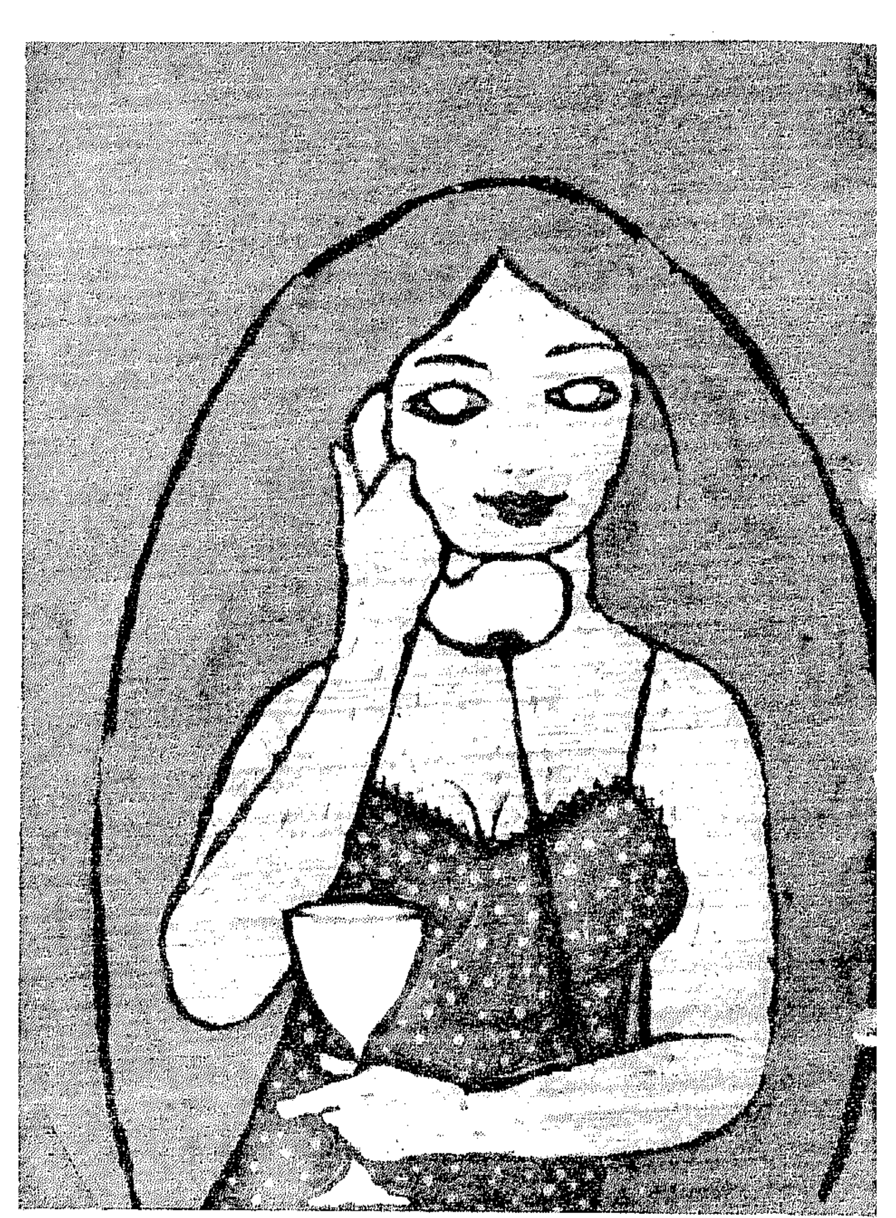
قالت فى حزم :

- بل ستكلمنى الآن ، انا أعرف أن مقالك الذى تكتبه ملىء بالاحصاءات والأرقام فهو عن وزارة معينة .

وعن وزير معين بالذات .. وهو لعلمك ابن خالتى واحب أن تضع هذا فى اعتبارك وانت تعاود الكتابة من جديد ..

ووجم ، وضحكت ، وجاءه صوتها العابث من الطرف الآخر من التليفون يقول :

- أعجبتك شقتى أمس ، واعجبك الجناح



الـذى أشغلـه منهـا ، واعجبتـك الغـرفـة ، وأعجبك السرير .

وضحكت ، ثم قالت ساخرة :

ـ ألم تدرك أن مثل هذه الغرفة ينقصها شيء هام في عصرنا يا أستاذ؟!

ووجم ولم يرد فعادت تضحك ساخرة ، وتقول في صوت كله قسوة وعبث :

ـ ينقصه كاميـرات التليفزيون يا استاذ ، انت صورت أمس ، كل ماحدث منك ، كل ماقلته ، كل ما كنته ، كان عاريا امامى وأمام عـدسات الفيديو .

دارت رأسه ، وفجأة انطفـأ النور أمـامه ، وارتفعت صيحات من خارج مكتبه .

ـ النور أنطفأ .

ـ الاستـاذ يكتـب الافتتاحية .

ـ اسرعوا بالبطاريات .

ـ ليبحث أحد عن النور ، لماذا أنطفأ ؟

ـ أدخل شمعة الآن للأستاذ .

ـ دوامة مرت برأسه وهو يسمع كل الأصوات الآتيـة مـن المكتـب الصغير الملحق بمكتبه .. وفجأة قال له الصوت القاسي فى التليفون :

ـ المقال يا استاذ ، انتبه ، هو ابن خالتى .

واغلقت التليفـون ، وانتهت المكالمة .

وسُحـب غـريبـة تجمعت فى رأسه ، وهو لايرى الورق ولكنه يمسك بالقلم ، ويضغط بسنه فـوق الورق . وفجـأة أنكسـر سـن القلـم ، وصمت كل شيء .

رأى فى الثقافة

لا اعتقد انها مكارثية

اتهام قاس جدا ساقته احدى الناقدات ضد زميل لها أشاع فى النفس غما وحزنا .

فأنا لا أفضل تسمية واقعة نشر الدكتور ابراهيم حمادة لنص « مسرحيات بن دانيال » ناقصا « مكارثية » علمية ، وانما أفضل تسميتها رقابة علمية جاءت بالنص ناقصا و« مقصوص » الجناح .

وقد يقول البعض أنها رقابة أقسى من رقابة الموظفين لأنها رقابة عالم بالقصد ، حتى ولو جاءت فى كلمة هامسة .

وأعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تحل بطريقة واحدة : أن توجه هذه الطبعة لتلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية ليقرءوها كجزء من تراث لابد أن يقرءوه .

أعتقد أن هذا حل عملى ، فلا نظن أن ابراهيم حمادة فكر فى أن يعمل رقيبا يوما ما ، كما لانظن أنه فكر فى أن يعمل جزارا ، كل مافى الأمر ، على ما نظن ، أنه خشى الارهاب السائد فعمل عملته التى علينا مساعدته فى تجاوزها ، وأن نطالبه الآن ، والآن بالذات ، بأن يصححها بنشر النص الكامل على أن يوجهه ، هذه المرة ، الى الباحثين والمثقفين والمبدعين ممن يرون ضرورة حصولهم عليه كاملا .

أليس مشروعا أن تكون هناك نصوص مخففة للتلاميذ ، ونصوص كاملة للذين امتلكوا الوعى بأهمية التراث الحى يقرءونه كما هو عليه غير منقوص ؟

أليس هذا مشروعا ؟ .

نحن فى انتظار هذا الحل الوحيد .

وإلا فإن أجيالنا القادمة ستتهمنا بأن المكارثية أصبحت متغلغلة فى نفوسنا ، وقانا الله شر حكم التاريخ .

عبده جبير

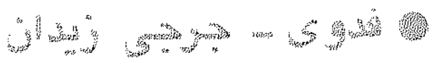
• إشارات ثقافية •

• مهرجان المسرح التجريبي على الأبواب

ها هو مهرجان المسرح التجريبي الثاني وقد أصبح على الأبواب ، وأصبح على رأسه هذه المرة عدد من العاملين في حقل المسرح المصري من أولئك الذين تعقد الأمال عليهم ليخرجوه لنا ، هذه المرة ، في صورة مشرفة ، وعلى درجة من الجدية ربما ساهمت في دفع حركة المسرح المصري خطوات للأمام ، بعد سيادة المسرح التجاري المبتذل طوال السنوات الماضية .

وأملنا كبير في أن يكون وجود الدكتور على الراعي ضمن أو على رأس ، هذه الكوكبة من المسئولين دافعا ليصل المهرجان الى هذا المستوى الذي ننشده .

فلا يزال الأمل في المسرح المصري كاحد أهم الأشكال الفنية قدرة على الاتصال المباشر بالجماهير معقودا على لحظة يستيقظ فيها من سباته العميق وانها لمسئولية ضخمة أن يأتي هذا المهرجان والعلاقات المصرية العربية قد عادت مع جميع الدول العربية ، ونرجو أن تكون الفترة الباقية من الآن وحتى موعد انعقاده في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم كافية لدعوة الفرق التجريبية العربية من البلدان العربية كلها ، وأن يكون برنامج العروض متوازنا مع برنامج الندوات واللقاءات الفكرية ، وكل ما نستطيع أن نقوله الآن : دعونا نأمل ، فالأمل لا يزال في النفوس ، واننا والمتعطشين على أي حال ننتظر لنرى .



• فدوى - جرجي زيدان



جرجي زيدان

جرجي زيدان انسحب تأثيره على كل الأباء والأمهات العربيات في عصره .

هذه هي الحقيقة التي تخطر ببالك وأنت تطالع السيرة الذاتية للشاعرة العربية الفلسطينية الكبيرة « فدوى طوقان » .

تقول شاعرتنا في سيرتها الحية الجميلة ، كان أبي وأمي من مدمني قراءة روايات جرجي زيدان التاريخية ،



احيا شخصية البطلة فى قصة « أسيرة المتمهدى » (فـدوى) واحتفظت ذاكرتهما باسمها ليعطياه لأول أنثى تولد لهما فيما بعد ..

وهكذا تكتشف من هذه الواقعة كم كان تأثير الكاتب على الناس فى ذلك الوقت وهو ما يبدو أننا بدأنا نفقده شيئا فشيئا .. أن يسمى أب وام ابنتهما باسم بطلة الكاتب ، هذا هو التأثير الحق ، لأن معناه انهما تخيلا البطلة حية صاحية .

على اى حال تبقى هذه السيرة واحدة من أجمل السير التى كتبت فى تاريخ الكتابة العربية ، ليس فقط لتمكن صاحبتها وغنائية لغتها المشرقة ، بل لأنها تحكى لنا تفاصيل الحياة اليومية فى فلسطين (نابلس) لنعرف منها كيف كان الناس يعيشون ، وفيم يفكرون ، وكيف يتصرفون ، كما نعرف ان احدا من الشعب الفلسطينى لم يكن الا منخرطا بهذا الشكل أو ذاك فى قضية وطنه .

كما تعكس ذلك التداخل الانسانى اليومى بين أهل مصر وأهل فلسطين ، ليس فقط فى التبادل الثقافى الملحوظ ، بل وايضا فى عمق حياة الناس اليومية ، وعمق الروابط التى ربطت بين الفنانين والشعراء .

وفى هذه السيرة نرى حال المرأة العربية حتى تلك التى حققت وضعا متميزا بابداعاتها فى هذه المجتمعات المغلقة التى أصابت الكثيرات منهن بالام روحية لا نهاية لها .

وتحكى لنا فدوى طوقان عن الأوضاع التى عاشتها فلسطين منذ ما قبل الحرب العالمية وحتى ما بعد حرب ٦٧ ، ونفاجا عند ذاك بانقطاع هذا التسلسل الآخاذ للسير ، وكأن نفسها نفسه قد انقطع عند الهزيمة .

(الكتاب طبع فى القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ٤ ج . م) .

● هكذا يتكلم قادة الانتفاضة

لابد ان أيا منا يريد أن يعرف المزيد والمزيد من تفاصيل ما يجرى فى الأراضى العربية المحتلة فى فلسطين .

فهذه الملحمة التى يصوغها « اطفال الحجارة » وشباب وشابات فلسطين ، هى وحدها القادرة على حمل العلم الفلسطينى وغرسه فى مكانه الطبيعى . ارض فلسطين .

وعلى مافى هذا الكتاب من معلومات مهمة عما يجرى فى أرض الانتفاضة فإن اللقاءات الحية مع عدد كبير من قادة هذه الانتفاضة الذين نسمع اراءهم الحية وبشكل مباشر ، هى ربما ما يجعله هاما ومثيرا فى نفس الوقت .

إن شهادات مروان البرغوثى (رئيس اتحاد طلاب جامعة بيرزيت) ، وشهادات كل من شاهر سعد (رئيس اتحاد نقابات عمال الضفة الغربية)

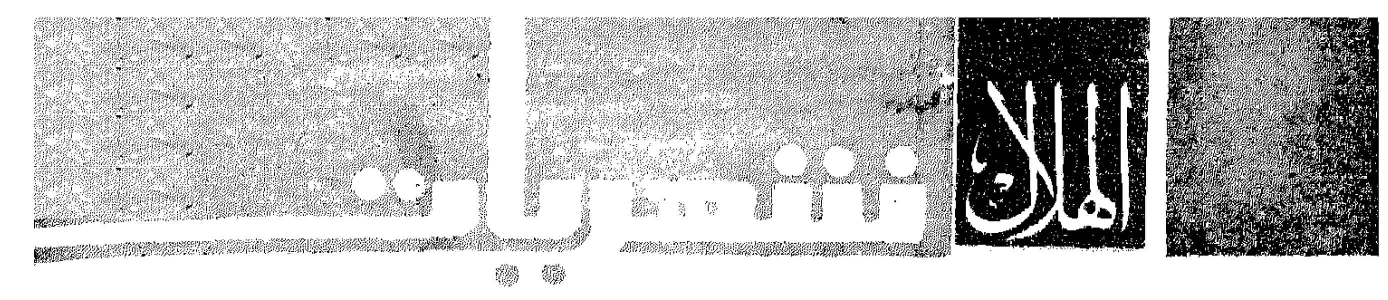


وشحادة المنياوى (رئيس اتحاد العمال سابقا) وسميحة خليل (رئيسة جمعية انعاش الأسرة ، ود . محمد سعدى (رئيس مجلس أمناء جامعة بيرزيت) - توفى أخيرا - ود . سرى نسيبة (الأستاذ فى جامعة بيرزيت) ود . صائب عريقات (أستاذ العلوم السياسية جامعة النجاح) ود . عبدالستار قاسم (أستاذ مشارك فى العلوم السياسية) وابراهيم الدقاق (نقيب المهندسين ورئيس الملتقى الفكرى العربى بالقدس) ، وحنا سنيورة (رئيس تحرير صحيفة الفجر) وعلى الخليلى (رئيس تحرير الفجر الأدبى) تقول ان شهادات هؤلاء ليست تنظيرا منبت الصلة بالواقع ، بل هو كلام حى يستحسن - ان لم يقل يجب - أن نستمع اليه ، فهو الصوت الذى نسمعه مدويا كل يوم .

لقد تناولت هذه الحوارات الحيه التى أجراها الكاتب الفلسطينى « توفيق أبوبكر » سبعة محاور أساسية دارت المناقشات حولها وهى :

١ - الفلسطينيون فى الداخل ونظرتهم للعالم العربى .
٢ - نضوج الشخصية الوطنية الفلسطينية : الوطنى والقومى والعلاقة بينهما .
٣ - النضال السياسى واطروحات الواقعية والاعتدال والتطرف .
٤ - دعم الصمود . مفهوم الصمود واحواله : الايجابيات والسلبيات .
٥ - البدائل السياسية المطروحة وامكانات نجاحها .
٦ - الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الأرض المحتلة .
٧ - الانتفاضة . الحدث الذى يفرض نفسه .

(النص صادر عن مطابع القبس الكويتية)



الدكتور سيد عويس وداعا

رحل عنا المفكر الاجتماعى الكبير الدكتور سـيد عـويس بعـد رحلة حافلة ، قدم خلالها دراسات بالغة الاهمية حول المجتمع المصرى ...

واستمد هذه الدراسات من عمله الميداني وجمع في دراساته الاجتماعية بين العمل الميداني وسط البسطاء وبين دراساته الاكاديمية ، وجمع أيضا بين دراسة عميقة للتراث المصرى ودراسة جادة لتطور العلوم الاجتماعية في الغرب .فجاءت دراساته ذات نكهة خاصة تتميز بالصدق والعمق ، وتحمل شحنة من الاعـزاز والحب للمجتمع الذى عاش في حاراته ومقاهيه وجوامعه وأسواقه . يحمل افراده بين جوانحهم حلمهم الابدى فى العدل والتطور .

ومن سواه بتركيبته الفريدة ، يبحث وينقب عن تلك الرسائل التي يبعثـها بسطاء الناس الى الامام الشافعى ، شاكين او متضرعين ، ويخرج من هـذه الدراسات بنتائج هامة ترتبط بالخلود فى التراث الثقافى المصرى ، ومن غيره قدم دراسات ميدانية عن ظاهرة العنف في المجتمع ، والحركات الصـوفية ، والزار ، أويقدم تلك الدراسة الشائقة حول الجمل والعبـارات التي تكتب على الحافلات وسيارات النقل والاجرة ، والتي تعكس قيم البسطاء واحلامهم ، وتمثـل جهازا اعلاميا مستقلا .

ويمكن رصد أبرز ما تميزت به دراسات الدكتور سيد عويس :

● توصل من خلال دراساته وأبحاثه الى استمرارية وحدة الثقافة المصرية منذ الفراعنة حتى اليوم .

● أعطى مكانا بارزا فى أبحاثه للدراسات الميدانية للوصـول الى أغوار المشاكل الاجتماعية .

● ايمانه بأن النهضة والتطور يبدآن من تغيير وضع المرأة فى المجتمـع وهى البداية الضرورية للتقدم .

● عمل مستشارا بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية فى علم الاجتماع عام ١٩٦٥ ووسام العلوم والفنون مـن





الدرجة الاولى فى العام التالى ثم وسام الجمهورية من الدرجة الثانية عام ١٩٨٢ واخيرا جائزة الدولة التقديرية فى العلوم عام ١٩٨٦ ·

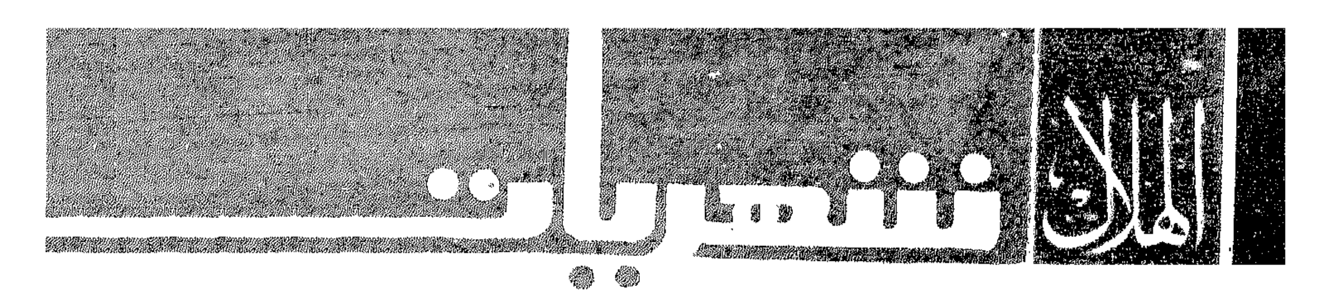
كان بحكم منصبه وعمله يرصد ويتابع ويراقب ويحلل ويفسر باحثا فى الانسان المصرى تغيراته وتفاعلاته عوامل قوته وبواعث ضعفه وردود افعاله ازاء القوة الغاشمة سواء كانت استعمارية او محلية ·

فهو واحد من العلماء المصريين الذين اتيح لهم التعرف على حضارة الغرب من مصادرها المباشرة الى جانب هضمه وتمثيله امصادر الفكر والتاريخ المصرى القديم والحديث فى مختلف احقابه وعصوره ·

وهو واحد من جيل المؤسسين الكبار الذى ترك بصماته على مهنة الخدمة الاجتماعية والبحوث الجنائية والبحوث الثقافية ·

كما أنه من أوائل الاخصائيين الاجتماعيين الذين عملوا فى محيط الاحداث ومارس مهنته بحب وشغف ·

وتميزت انجازات الراحل د · سيد عويس العلمية بالغوص فى التاريخ الاجتماعى المصرى والحرص على تتبع ودراسة العادات والتقاليد الشعبية ، واستطاع أن يكشف عن العديد من الظواهر الاجتماعية الثقافية . حيث كان يرى انه لا تقوم نهضة ثقافية فى هذا المجتمع الا اذا قامت نهضة تيسر التذوق الفنى فى محيط أعضائه والفنون كلها ويقصد بذلك الفنون التى تعكس ظروف المجتمع بصدق وهى فى رأيه تعبر عن الحقائق تماما · المهم ان يكون الفن او الفنون فنونا صادقة وأن تعكس الظروف سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بأمان حتى نعرف الغث من السمين فنحرص على الثمين ونواجه الغث مواجهة موضوعية وكان يتوقع أن يقوم الجميع ويقصد المثقفين والمسئولة واجباتهم نحو تشجيع الوان الفنون العديدة وذلك باطلاق الحريات التى تيسر للفنان العمل ·



أكثر من نصف قرن استغرقتها رحلة الدكتور سيد عويس وأمد الهلال بالعديد من المقالات القيمة وكتب خلالها ٢٥ كتابا ونحو ١٥٠ دراسة علمية واجتماعية من أهمـــها :

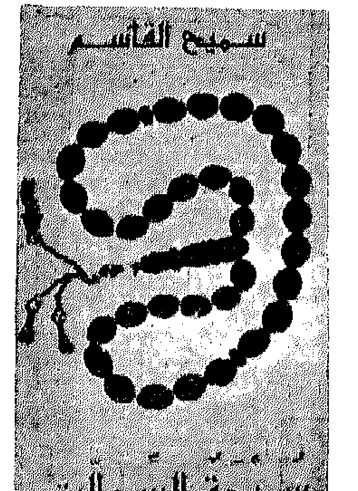
ـــ الخلود في التراث الثقافي المصرى
ـــ حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ·
ـــ التاريخ الذى أحمله على ظهرى ·
ـــ لا للعنف ·

لقد وضع د · سيد عويس خبرته وعلمه أمام الاجيال القادمة ، عندما كتب سيرته الذاتية بقدر غير معهود من الصراحة والصدق ، والتى نشرت فى كتاب الهلال فى ثلاثة أجزاء ·

وقال كلمته الاخيرة فى كتاب بعنوان « من وحى المجتمع المصرى » سيصدر فى كتاب الهلال خلال الشهر الحالى ·

مكتبة الهلال

الكتـــاب : سبحـــة السجلات
شـعــر : سميــح القاسم
الناشر : مؤسســة الثقافة الفلسطينية . ١١٦ ص



منذ ديوانه الأول « مواكب الشمس » الذى صدر عام ١٩٥٨ والشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم لم يكف ـ على الرغم من شواغله السياسية العديدة ـ عن عطائه الشعرى ، وكتاباته النثرية التى تحمل روح شاعر محلق فى افاق الخلاص من نير المستعمر حتى بلغت قائمة كتبه اثنين وثلاثين كتابا بالعد والحصر .

وديوانه الجديد هذا اشبه بعمل درامى واحد ، لم يتوقف فيه عند شكل قصيدة التفعيلة او القصيدة العمودية ، بل صاغ بناءه فى شكل جديد استلهمه من شكل بناء المنظومة الاسلامية ، فالسبحة تكر ، لكن مدخل المنظومة يبدأ بـ

« الشرابة » .
خيوطك أم شراييني ؟ .
سألتك .
لاتجيبني .

ثم مقطع المأذنة المرتفعة كرسول على جبل غادرته القبائل فظل وحيدا يجادل .

ثم الشاهدان : الشرق والغرب ، والماء والنار .

الشرق والغرب : لا أهل ولا سكن ضاقت بكالروح ، فاخرج أيها البدن

والماء والنار : ضد الغد لازمه ولا فكاك

إذن فليقف الزمن

ثم ندخل الى رواقات السجلات الثلاثة والثلاثين ، لنجد انفسنا فى فيض شعرى دفاق ، من سجل الى سجل ، حتى يكتمل البناء فى السجل الأخير ، سجل وردة الزمن الحاضر والامل القادم .

الكتاب : عبدالناصر والمخابرات البريطانية
تأليف : محمد شكرى حافظ
الناشر : كتاب الحرية ، القاهرة
٢٠٢ ص ، ٤ ج ، م

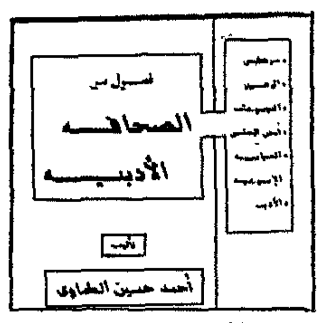


عمل مؤلف هذا الكتاب ضابطا ترقى حتى وصل منصب رئيس العمليات بهيئة الأمن القومى فى مصر .

وفى هذا الكتاب يحكى لنا حكاية مثيرة للغاية عن واحدة من أهم الانتصارات التى قادها بنفسه وحققتها المخابرات العامة المصرية ، بكشف شبكة خطيرة للتجسس شكلها البريطانيون فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو بقصد الاطاحة بنظام جمال عبدالناصر .

وبذكاء شديد يحكى كيف استطاع وبامكانات لاتكاد تذكر أن يعمل على كشف هذه الشبكة الخطيرة

الكتاب فصول من الصحافة الأدبية
تأليف : احمد حسين الطماوى
الناشر : دار الفرجانى ، القاهرة لندن ٣٤٠ ص .



هذا واحد من الجهود القليلة التى تناولت موضوع الصحافة الأدبية فى الوطن العربى مقارنة بعدد ما صدر من هذه الصحافة ، وخطورة الدور الذى قامت به .

يتناول المؤلف بالتحليل والعرض المجلات التالية ، واصحابها ، الموسوعات ، أنيس الجليس ، سركيس ، الزهور ، السياسة الأسبوعية ، المقتطف ، الأديب .

ثم يختم دراسته بدراسة تاريخية عن الصحافة فى الخليج .



العالم في سطور

كان

● ثورة وجنس وأكاذيب ●

كان ملصق مهرجان « كان » الدولي للفيلم (٤٢) هذا العام متفقا مع مناسبة الاحتفال بمرور مائتي عام على ثورة الرابع عشر من يوليه .

فقد استوحاه مبدعه « لودوفيك » من لوحة للفنان الفرنسي « ديلاكروا » معروفة تحت عنوان « الحرية تقود الشعب » .

وهي في الملصق « ماريان » رمز الثورة الفرنسية تقود عشاق السينما رافعة بدلا من العلم المثلث الألوان ، شريطا سينمائيا عليه لقطة من فيلم « نابليون » لصاحبه المخرج الفرنسي الراحل « آبيل جانس » الذي مثل فيه دور « سان جوست » احد مشاهير قادة الثورة .

ولو كان قد كتب « لجانس » ان يحيا حتى ايامنا هذه ، لكان له من العمر مائة عام .

ومن ملامح المهرجان الأخرى في تحية الثورة فيلم « الحرية » وهو عبارة عن لقطات جمعها المخرج « لوران جيكوب » من خمسة وثلاثين فيلما عن الثورة انتجت في اوربا والولايات المتحدة على امتداد عمر فن السينما .

ولقد روعي في اختيار تلك اللقطات وتوليفها ان يتزامن تاريخيا ما تظهره من احداث مع احداث الثورة في الواقع .

هذا ولقد استغرق اعداد فيلم « الحرية » عاما او يزيد .



وربما كان من غرائب المهرجان ان السينما التي خرجت من حلبة المنافسة بنصيب الاسد من الجوائز الكبرى في عالم الثورة كانت السينما الأمريكية وليست السينما الفرنسية .

فجنس ، اكاذيب ، وشريط فيديو الذي فاز بالسعفة الذهبية ، فضلا عن جائزة اتحاد النقاد العالمي ، فيلم من اخراج شاب امريكي - « ستيفن سودر برج » ليس له من العمر سوى ستة وعشرين عاما .

وهذه هي المرة الأولى في تاريخ كان التي يفوز فيها فيلم من اخراج مبدع في مثل هذا السن المبكر بجائزة المهرجان الكبرى .

وكانت جائزتا احسن ممثل وممثلة من نصيب اولاد العم سام .

الأولى فاز بها "جيمس سبيدر" عن ادائه في « جنس .. اكاذيب .. » .

والثانية فازت بها « ميريل ستريب » عن دورها في فيلم « صرخة في الظلام » .

وفوق كل هذا منح فيلم «القطار الغامض»

للمخرج الأمريكي « جيم جارمش » جائزة احسن اسهام .

وما اعجب امر المهرجانات في سنوات الاحتفال بالثورات!!

باريس

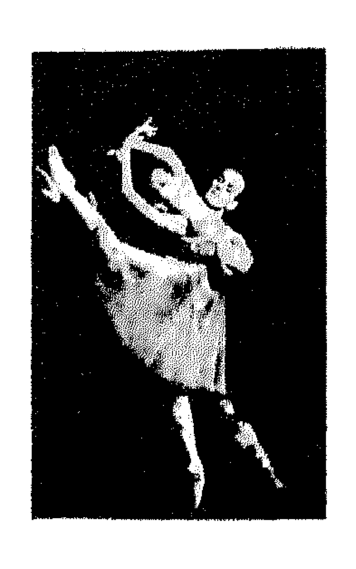
● لورد الرقص يحيي الثورة ●

بمناسبة احتفالات الثورة .. كلفت الحكومة الفرنسية الفنان « موريس بيجار » بابداع باليه يتحدث عن الثورة بلغة الرقص .

ولقد افصح « بيجار » في احاديث مع اجهزة الاعلام ، عما في باله من خواطر وخيالات .

وفي الحق تخوف من سمعوا تلك الاحاديث من ان ينحدر الباليه الى مجرد محاضرة جافة عن البيئة ومايتهددها من اخطار ووعظ وارشاد حول العالم الثالث ومشاكله الجسام ، وتفسير لاعلان حقوق الانسان الذي اصبح في خبر كان .

حقا ثمة بعض من كل هذا في باليه



« ١٧٨٩ » .. غير انه .. بفضل براعة « بيجار » في الاخراج وحسه المسرحي الذي لايعلى عليه ، استطاع ان يوصل الرسالة الى الجمهور ، ويجعلهم مستمتعين بما انطوت عليه من مواعظ وارشادات .

فمثلا لم يقع في شرك اختيار « ماكسميليان روبسبيير » او غيره من الثوار قادة للرقصات . وانما اختار مهرجين اثنين .

احدهما يهبط من السماوات .

اما الاخر فمرتد قلنسوة الثورة . وعلى طرف انفه مرسومة الكرة التقليدية بلون الدماء .

والباليه يبدأ بأصوات عاصفة رعدية مجسمة وبالاعيب ضوئية زرقاء . خضراء مسلطة من اربعمائة كشاف .

وليس من شك ان المؤثرات الضوئية الممتعة الاخاذة قد اسهمت في نجاح الباليه بنصيب كبير .

وبعد استهلال يبدأ برجال مرتدين سراويل عمالية قذرة ذات حمالتين ويدفعون الى امام بصناديق قمامة ينطلق من داخلها اطفال .

بعد ذلك يندفع الى خشبة المسرح صغار خلف مكنسة عملاقة .

وهنا يقوم المهرجان بوصف بعض احداث الثورة لهؤلاء الصغار .

وسرعان مايختفي الصغار ولانرى لهم اثرا الا عندما نشاهدهم عائدين لاجتياح سجن الباستيل .

وطبعا في باليه كهذا كان لابد ان يظهر ممثلو الطبقات الثلاثة : البرجوازية النبلاء والاكليروس .

ثم لويس السادس عشر ينزل هو وماري انطوانيت درجات سلم القصر الكبير .

ويختلط الراقصون مرتدين ملابس الباليه او السراويل العادية بشخصيات الثورة المعروفة .

وبين الحين والحين

ينفرد الراقصون بالعرض ، فلا نشاهد الا رقصا مجردا على انغام مقاطع من سيمفونيات بيتهوفن الأولى والسابعة والثامنة والتاسعة .

ومن حسنات الباليه ان صاحبه « بيجار » لم يتح لروبسبيير فرصة الكلام طويلا .

لانه لو كان قد سمح له بذلك فاطال لاختل الايقاع ، واصاب الجمهور الاملال .

نيويورك

● ثورة حتى المقصلة ●



منذ مائتى عام والثورة الفرنسية تثير الكثير من القول كتب فيها المؤرخون القدماء ، وكتب فيها المحدثون واختلفوا فيما بينهم ، فبعضهم تحمس لها حماسا شديدا ، والبعض الاخر اتخذ منها موقفا معاديا .

وفى هذه الايام الاخيرة ، وبمناسبة الاحتفالات بالعيد المئوى الثانى لتلك الثورة اخرجت المطابع فى الولايات المتحدة مجلدا ضخما من تسعمائة وثمانى واربعين صفحة تحت عنوان "مواطنون" : وصف احداث الثورة الفرنسية » من تاليف مؤرخ جامعة هارفارد « سيمون شماع » .

وبادىء ذى بدء احب ان الاحظ انه فى تفسيره لتلك الثورة يجنح الى التفكير المحافظ .

فهو يرى ان تجارة فرنسا وصناعات التعدين والمنسوجات ، كل ذلك كان فى ظل العهد القديم اى قبل الثورة فى حالة ازدهار على وشك الاثمار .

وفوق هذا فالعديد من المشروعات كان يدار بواسطة رجال من الارستقراطية اكثرهم اشترى الالقاب او حصل عليها بعرق الجبين .

وفى الحق . ان الطبقات العليا كانت متلهفة على الاندفاع بفرنسا نحو التحديث التكنولوجى .

ومن هنا ترحيبها بعقد مجالس الطبقات الثلاثة البرجوازية والنبلاء والاكليروس ، واقامة ملكية دستورية تستعين بها على تحقيق ماتريد من المآرب والامال .

وعلى النقيض من ذلك كان الفقراء وقتذاك فهم الذين عادوا الجديد ، وبالتحديد قاوموا حرية التجارة والتسامح الدينى .

وربما كان من طرائف ماجاء فى كتاب « شماع » ان كلمة « ديمقراطية » كانت من الكلمات غير المستعملة فى اللغة الانجليزية قبل الثورة الفرنسية .

فهى لم تظهر فى لغة شكسبير الا بعد عام من العصف بسجن الباستيل .

كذلك كانت فكرة اليسار بمعنى مجموعة سياسية متميزة ، هذه الفكرة لم تظهر فى الحياة السياسية الواقعة الا عام ١٧٩٠ .

عقب ذلك بثلاثة اعوام ، واليسار قابض على زمام السلطة . والثورة قبل ان تدور بها

الدوائر منتصرة فى ذروتها . فى ذلك الوقت شبت ثورة فلاحين مسلحة فى شمال غربى فرنسا . اجبرت جيش الجمهورية الجديد على شن حرب من نوع غير مالوف اسموها « الحرب الصغيرة » .

وهذه التسمية مصدر التعبير المستحدث « جيريللا » (مصغر حرب) بالفرنسية .

وهو تعبير نترجمه فى لغة الضاد الى حرب العصابات و« شماع » يقف فى سرده لوقائع الثورة فى تسلسل زمنى لايحيد عند اعدام « روبسبيير » (١٧٩٤) .

قبل تلك النهاية الماساوية تحدث صاحب الكتاب الملحمة عن قادة الثورة الذى اجتزت رءوس معظمهم بالمقصلة (الجيلوتين) تحدث عنهم بالاعاجيب .

فمثلا « كاميل ديمولين » الذى وهب نفسه للحرية والمساواة ، معبرا عن ذلك بقوله : (استطيع ان أموت وانا سعيد من اجل مثل هذا الهدف المجيد . واكتب بدمائى « فرنسا حرة ») .

كاميل هذا الذى خطب فى الجماهير مثيرا "الى السلاح .. الى السلاح الموت عندى افضل من الخضوع للعبودية » (١٧٨٩/٧/١٢) .

هو نفسه الذى كتب الى زوجته بعد ذلك بخمسة اعوام من غيابات السجن ، وقبل ان يذهبوا به هو وحليفه « دانتون » الى المقصلة ، فقال « حلمت بجمهورية لاحد الا ويقدسها لم يخطر ابدا على بالى ان الناس ممكن ان يكونوا على هذه الدرجة من الوحشية والظلم"

لندن

● ثورة ضلّت الطريق ●

فى وصف ايام الثورة الفرنسية استهل الاديب الانجليزى « شارلز ديكنز » عمله الروائى الشهير « قصة المدينتين » هكذا :

« كان احسن الأزمان ، وكان اسوا الأزمان ، كان عصر الحكمة وكان عصر



شارلز ديكنز

الجهالة ، كان عهد اليقين والايمان وكان عهد الحيرة والشكوك ، كان اوان النور وكان اوان الظلام ، كان ربيع الرجاء وكان زمهرير القنوط ، بين ايدينا كل شىء وليس بين ايدينا شىء فقط ، وسبيلنا جميعا الى سماء عليين وسبيلنا جميعا الى قرار الجحيم » .

وقد يخيّل ان هذه النظرة الى تلك الثورة قد تغيرت الان ، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين .

ولكن نظرة يسيرة سريعة الى مايكتب فى الجرائد والمجلات الانجليزية بمناسبة عيدها المئوى الثانى تكفى لاقناعنا بان تلك النظرة لم تتغير .

او ان حظها من التغيير يوشك الا يكون



شيئا ولعل خير تأكيد لذلك تلك التأملات التى كتبها المؤرخ الانجليزى « روازى » بمناسبة ذلك العيد .

فماذا قال وهو يتأمل ؟

قال من بين ما قال انها كانت حتمية ومرغوبا فيها اثناء مراحلها الأولى .

وفوق هذا فقد كانت ثورة لاتقاوم ، واية ذلك ماجاء على لسان « نابليون » من ان مقاومتها كان امرا مستحيلا .

وعلاوة على ماتقدم فهى لم تكن حدثا واحدا بسيطا .

بل كانت مجموعة من الاحداث المركبة ، اشبه بمد عارم مابرح يرتفع حتى غطت مياهه الأرض ثم فاضت متجاوزة الحدود زاحفة على اراضى الشعوب الاخرى ، مستثيرة الحماس جنبا الى جنب مع الفزع والروع ، مستحثة التاييد والتنديد فى آن واحد .

ويشيع الان بين الشعوب المتكلمة باللغة الانجليزية الرأى القائل بأن الثورة الفرنسية كانت فى البداية حدثا له مزايا اكثر من ان تحصى .

ولكن سرعان ماجرفها تيار العنف والتطرف والارهاب .

والسؤال هو متى حدث هذا التحول الرهيب ؟

ليما - بيرو

● الكاتب .. رئيسا للجمهورية ●

ترى ماذا يمكن ان يحدث لو اصبح كاتب رئيسا للجمهورية ؟

ماذا كان يحدث لو اصبح افلاطون رئيسا ، مثلا لجمهوريته . او توماس مور رئيسا للمدينة الفاضلة .. ترى هل كانت هذه الدولة ستقوم بصفاتها المنشودة .

الكاتب فى واد .. والسياسة فى واد اخر .. هذا ماأجمع عليه الكثيرون بشأن انشغال الكاتب بالعمل السياسى التنفيذى .. لكن هذا الأمر قد يختلف كثيرا بشأن الكاتب البيروقى المعروف ماريوبارجاس يوسا . فقد قرر ان يرشح نفسه رئيسا للجمهورية



ماريو بارجاس يوسا

فى الانتخابات الاخيرة فى بيرو .

ولاشك ان مثل هذا الحدث قد اثار العديد من التساؤلات . فالكاتب قد التزم فى اكثر رواياته بالواقع السياسى والاجتماعى فى امريكا اللاتينية وعرف المنفى والاضطهاد . ولم يتوقف يوما عن الابداع . ولاعن العطاء فى مجال السياسة .

وقد أجرت مجلة توفيل اويسرفاتور حديثا سياسيا مع الكاتب بهذه المناسبة قال فيه : "لم ادخل السياسة كى اصبح رئيسا للجمهورية . فهذه الوظيفة لم تعد شرفا فى بيرو . ولكنها اصبحت بمثابة خطيئة فهى محاطة دائما بالعنف . والفساد . ومن ناحية

اخرى . فانا اضحى بعالمى الادبى عند اقترابى من السياسة فغزو السلطة ، بل والسلطة نفسها ، يعنى تجاهل النشاط الادبى . وانا اعتبر نفسى دائما مفكرا فى مواجهة السلطة ولم اقف الى جانبها قط ، فهى التى تبعثنى على الكتابة بتصرفاتها غير الرشيدة . والايدولوجية صدقونى فاننى اعانى وانا اديب ، واعانى اكثر وانا رجل سياسة" .

ويقول يوسا انه قد اضطر الى قبول المغامرة . فقد ظل يكتب طوال ثلاثين عاما عما يحدث فى بيرو . عن امريكا اللاتينية عن الديمقراطية والحرية وقيم الغرب ، وعليه الان ان يطبق ماكتبه على الواقع الذى دافع عنه .

جنيف

● الديمقراطية والمسئولية فى الاسلام ●

احتفل الكاتب رجاء جارودى اخيرا بعيد ميلاده الخامس والسبعين . وبهذه المناسبة ، ووسط اهتمام الصحافة العالمية بالمد الاسلامى ، راحت مجلة « حدث الخميس » تجرى معه حديثا حول تحولاته العديدة فى حياته من الايمان بالشمولية الى الايمان بالاسلام ، وحصوله على جائزة الملك فيصل وفى سؤال طرحته المجلة لماذا انت اكثر اسلاما الان ؟ رد الكاتب :

اولا ، لان الاسلام القرآنى وليس الاسلام الشائع عند الناس يعترف بجميع الانبياء السابقين كأنبياء حقيقيين ففى القرآن، يعتبر كل من ابراهيم . وموسى . والمسيح من انبياء الاسلام ، وهذه امكانية كبرى لدخول كافة الاديان والثقافات فى عظمة الاسلام .

ويقول جارودى ان النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) قد تعرض مثل كافة الانبياء للمخاطر فقد كاد ان يقتل فى مكة ، وهاجر الى المدينة . وهناك اصبح زعيما بمعنى انه قام بسن القانون استلهاما من الله فهو يعلن دائما ان الله وحده اعلم .

وقد قارن جارودى بين القانون الاسلامى الذى جاء به القرآن الكريم وبين القوانين التى كانت موجودة فى تلك الآونة فى الدولة الرومانية ولدى المسيحيين كما اكد ان الاسلام هو فى المقام الأول دين مسئولية .

وفى سؤال عن الديمقراطية فى الاسلام ردا على ما قاله جان جاك روسو :

"لا يمكن ان توجد ديمقراطية فى بلاد الالهة » قال : لايمكن ان تتحقق الديمقراطية الا فى مشاركة الايمان بالقيم المطلقة ، فالحياة غابة ، والمصلحة الشخصية تستخدم كمقياس . وماقاله روسو موجود فى القران . فقد احس روبسبيير جيدا ان الديمقراطية لايمكن ان توجد وسط جماعات ذات افكار مطلقة . ولكن وسط جماعات مؤمنة بفكرة . والدين هو اجمل واسمى الافكار .

مصر
في الأدب العالمي

أجاثا كريستي

من عالم الجريمة إلى فلسفة الموت

بقلم: محمود قاسم

في احصائية ، نشرت أخيرا ، ثبت أن الكاتبة البريطانية آجاثا كريستى قد ترجمت اعمالها الى ٢٥٨ لغة . ولم يتفوق عليها في عدد اللغات سوى حكايات الرسوم المتحركة للفأر ميكي ماوس ..

ولم تشر الاحصائية الى عدد المرات التي طبعت فيها روايات الكاتبة . ولاعدد الروايات المترجمة ، لكن المعروف ان كريستي قد عرفت بغزارة انتاجها الروائى ، بالاضافة الى الاقبال الهائل على قراءة هذه الروايات في شتى انحاء العالم . ومهما اختلفت الاراء حول اهمية ما تكتبه كريستي . فانها تعتبر صاحبة اكبر رصيد في كتابة الروايات بين كتاب الرواية في جميع العصور قاطبة . حيث زادت اعمالها على الخمسمائة كتاب

● واذا تصورنا ان اية رواية من هذه الروايات قد طبع منها فى طبعة واحدة ، باللغة الانجليزية ، ثلاثة ملايين نسخة ، لاستطعنا ان نتصور عدد النسخ المطبوعة فى كل لغات العالم لكل هذا الكم الغزير من الروايات . ولأدركنا حجم القراء الذين يتعاملون مع ما تكتبه السيدة كريستي .

مثل هذا الامر يشير الى مدى ما



اجاثا كريستى وزوجها الاثرى ماكس مالوان

قرأه العالم عن مصر والشرق العربى من خلال الروايات والمسرحيات المكتوبة فى اطار هذا العالم الرحب ، وهى اعمال ادبية ، بوليسية ، بدا فيها مدى شغف الكاتبة بحضارة الشرق وواقعه المعاصر . ومدى حبها له وايمانها به .. بل وجنونها بما حققه الشرق للانسانية جمعاء ..

فمن المعروف ان اجاثا كريستى قد رافقت زوجها الاثرى ماكس مالوان الى منطقة الشرق الاوسط بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٢ . فاقامت بصفة خاصة بين كل من سوريا والعراق ومصر وقد أحبت هذه المناطق بتواريخها القديمة والحديثة . واهتمت بقراءة التاريخ . ونقبت عن الاثار وشاركت فى جمع التحف الأثرية . ثم نشرت عن هذه البلاد قرابة سبعة كتب منها روايتان عن العراق هما "موعد فى بغداد" و "جريمة فى العراق" . وعن سوريا نشرت "موعد مع الموت" التى تدور احداثها بين عمان والقدس ودمشق . وعن مصر نشرت رواية "موت على النيل" عام ١٩٣٧ . و "الموت يأتى فى النهاية" ١٩٤٢ . ومسرحية "اخناتون" بالاضافة الى العديد من الروايات جاء فيها ذكر مصر بشكل مباشر

□ تدور وقائع الروايات البوليسية حول جريمة قتل واحدة . او جرائم متعددة متلاحقة . يرتكبها فى الغالب شخص واحد . لاتعرف هويته . او دوافعه للقتل سوى فى الصفحات الاخيرة من الرواية . ولذا فإن الغموض هو الكيان المهيمن على كل احداث الرواية . ولاينكشف قط من هذا الكيان سوى فى السطور الاخيرة للرواية ..

□ تدور احداث هذه الروايات ، فى اغلب الاحيان ، فى مجتمع مغلق ، ومن خلال شخصيات متعددة جاءت الى هذا المكان مصادفة أو جبراً . حيث تبدأ الشبهات فى ان تحط نفسها فوق اكثر من شخص . وتصور الروايات كلا منهم وكأنه الجانى الحقيقى . وعندما تظهر هوية هذا



الجانى ، فانه يكون ، غالبا ابعد الناس عن مواطن الشبهات .

وقد يكون هذا المكان قطارا ، او سفينة ، او عوامة ،أو منزلا ، او طائرة ، او مدينة صغيرة جدا .. وفى الروايتين اللتين سنتعرض لهما من اعمال كريستى . تبدو هذه السمات واضحة تماما . فهناك رواية تدور أحداثها ، فوق عوامة تنقل مجموعة من السائحين فوق نهر النيل . أما الرواية الثانية ، فتدور احداثها فى بيت الكاهن امحوتب إبان الاسرة الحادية عشرة بمدينة طيبة ، عاصمة مصر فى تلك الآونة .

□ نتيجة لغزارة إنتاج الكاتبة ، لم يكن بمقدورها ان تحصر جرائم ابطالها داخل البيوت اللندنية ، لذا راحت تستفيد من رحلاتها فى انحاء العالم كى تصور وقائع جديدة لجرائم فى كل من بغداد والاقصر وطيبة . واسطانبول ، وباريس . ورغم ذلك فان هذه الجرائم بريطانية الجنسية . بمعنى أن المدن المذكورة آنفا وغيرها ، لم تكن فى هذه الروايات سوى ديكور خارجى . قد لا يهم كثيرا . أما اشخاص هذه الروايات فهم من البريطانيين الذين جاءوا الى هذه البلاد فى رحلات عابرة . سواء فوق نهر النيل ، او دجلة . او فى قطار الشرق السريع ، وسوف نرى ان



موت على النيل

روايات «جريمة على النيل" و "موعد فى بغداد" و "جريمة فى العراق" و "موعد مع الموت" قد خلت تماما من أى اشارة او ذكر ، للوطنيين فى هذه البلاد ..

□ الكثير من الأدباء الذين كتبوا عن مصر كانوا اسرى للتاريخ الفرعونى . حيث راحوا يتوغلون فيه على أساس انه ينفصل تماما عن مصر الحديثة . مثلما فعل ميكافالتاراى (فنلندا) ، بولين جدج (كندا) ، الا أن اجاثا كريستى قد كتبت عن مصر المعاصرة مثلما كتبت عن أرض الفراعنة ورغم انها تعاملت مع مصر الحديثة كأنها سائحة لم تشاهد من البلاد ، سوى النيل من فوق سطح عوامة تضم مجموعة من الاثرياء



ليست للموت نهاية

البريطانيين فى رواية "موت على النيل" ، فإنها فى رواية "الموت يأتى فى النهاية" ، المنشورة فى روايات الهلال تحت اسم "غادة طيبة" وايضا فى مسرحية "اخناتون" قد دخلت البيت المصرى القديم ، وتوغلت فى اروقته ، وعاشت مع افراده الكثيرى العدد . وبدت كأنها واحدة منهم .

● عندما ماتت المليونيرة

هذه هى السمات العامة لروايات اجاثا كريستى بصفة عامة . وللروايات المكتوبة عن مصر والعراق بصفة خاصة . ويهمنا هنا ان نتناول كل رواية منها فى ضوء هذه الملامح ، فالشخصية الرئيسية فى رواية "موت على النيل" هى المليونيرة الشابة لينيت ريدجواى ، التى تتزوج من شاب لايملك سوى وسامته . وبعد ان اقتلعته من خطيبته التى كانت تتصور أنها تملكه بكل ما لديها من عواطف جياشة . وفى رحلة شهر العسل التى قضتها بين اروقة المعابد ، وفوق باخرة متجهة من أسوان الى الجنوب ، تفاجأ انها محاطة باشخاص عديدين يكرهونها ويتمنون لها الموت .. منهم جاكلين خطيبة سيمون السابقة واندرو ، الوصى عليها ، وفرجسون السياسى المتطرف الذى لا يميل الى الاثرياء وآخرون وفى منتصف الرواية يجد المفتش بوارو نفسه امام جريمة منتظرة . تقتل فيها المليونيرة الشابة . ويبدأ فى التحرى . وكلما توغل فى البحث عن القاتل . تحدث جريمة جديدة حتى يتوصل الى المجرم الحقيقى ، كالعادة فى السطور الاخيرة من الرواية .

ولان رحلة المليونيرة الشابة بدافع السياحة فى المقام الاول فان الكاتبة تتحدث عن مصر وكأنها مجرد ديكور مسرحى جميل ، تحدث فوق نيلها جريمة بريطانية الجلد واللحم . فكل الاشخاص الذين يقلون المركب ليسوا سوى فوج سياحى بريطانى .. ويمكن لهذة الجريمة ان تحدث فى اى مكان آخر فى العالم بنفس وقائعها .. فوق صفحة اى نهر .. لكن الكاتبة اختارت مصر ، لما تكنه لها من اعجاب باد من ناحية ، ولرغبتها فى تغيير ديكور رواياتها من ناحية اخرى ..

وفى هذه الرواية ، مثل كل روايات



الكاتبة ، حرصت اجاثا كريستى على صناعة حبكة متقنة بصرف النظر عن سمات المكان او الاشخاص الذين يعيشون فيه . وهى تدرك تماما ان قارئى هذه الروايات قد لايهمهم كثيرا شكل الديكور الخارجى للاحداث . بقدر الاهتمام بدوافع او وقائع الجريمة . الا ان هذا الامر قد اختلف تماما بالنسبة للفيلم الذى اخرجه جون جيلرمين عن الرواية عام ١٩٧٩ . فقد حرص المخرج ان تدور أحداث الفيلم فى منطقة "الاهرامات وابو الهول" . وهى غير موجودة فى الرواية الا لماما .

وتختلف وقائع ، وعالم رواية "الموت يأتى فى النهاية" تماما عن الرواية السابقة . فهى تدور بأكملها فى التاريخ المصرى القديم . فى الفترة بيين عامى ٢٠٦٠ و ٢٠٥٦ قبل الميلاد . وقد جاء فى مقدمة الطبعة الفرنسية من الرواية التى ترجمت الى "ليس للموت نهاية" ان الكاتبة قد استمدت هذه الرواية من بعض البرديات المتعلقة بالوزير المصرى ايبى . وعرفت ان هناك جريمة ما قد حدثت فى عهده . ومن هنا راحت تنسج خطوط الرواية التى تدور فى بيت الكاهن امحوتب ، الذى عاد ذات يوم الى منزله بصحبة فتاة تدعى نوفريت .

ورغم أن الرواية تنتمى الى النوع البوليسى . فان الكاتبة قد وضعت فيها كل ما استطاعت ان تحصله من قراءات عن مصر القديمة حيث وصفت العلاقات الاجتماعية بكل دقة ودور المرأة فى قيادة البيت المصرى . متمثلة فى رنزنب ابنة امحوتب التى مات زوجها . فكان عليها ان تعود الى بيت ابيها لتعيش فيه وتديره ، وقد كشفت الكاتبة ، من خلال منظورها ، عن العلاقات المتشابكة فى بيت مصرى قديم به العديد من الاشخاص ، كما استطاعت ان تعبر بكل صدق ووضوح عن مشاعرها تجاه مصر . فى عبارات واضحة .. من خلال ماردده حورى وكيل اعمال امحوتب .. وهو وطنى مخلص ومعجب بمصريته : « اننا ، نحن المصريين شعب عجيب اننا نحب الحياة ولذا نشرع مبكرين فى التأهب للموت ، وفيه تنفق ثروة البلاد . فى تشييد الاهرام . والمقابر وصرف هبات القبور .

ويقول حورى ايضا ، فى نفس الحوار الذى دار بينه وبين نوفريت "لانك مصرية صميمة فأنت تحبين الحياة . لانك تشعرين احيانا بظل الموت قريبا منك" . ثم قوله لها : «ان مصر كلها مشغولة بفكرة الموت . لأن لنا عينين فى اجسامنا . ولكن ليس لنا عينان فى عقولنا . ونحن لا نقدر ان نفكر فى حياة أخرى بعد الموت . وانما نتصور استمرار هذه الحياة التى نعرفها» .

وسوف نرى أن الكاتبة استخدمت

نفس العبارات والاجواء فى مسرحيتها عن اخناتون . كما انها وصفت شعائر الموت والدفن والتحنيط بشىء من التفاصيل فى روايتها . لدرجة كادت ان تبعدها عن الخط البوليسى العام للرواية . مثلما ابتعدت عن الحبكة الدرامية فى المسرحية وقد دفع هذا بالناقد موريس كونستنان وبير أن يؤكد أن هذه الرواية ليست عملا بوليسيا بالمرة . ولكنها رواية نفسية ممتازة . حيث تم رسم الشخصيات بمنتهى الدقة وبإبهار بالغ . «أضيف أيضا اننى عندما ما قرأت هذا الكتاب ادركت السبب الذى تتمتع به اعمال اجاثا كريستى بأهمية . أسباب تفلت منا بصفة عامة لاننا اعتدنا ، ونحن نقرأ الروايات البوليسية الا نهتم سوى بالحبكة . اما هذه فقد فتحت عينىّ على تلك المواهب النفسية التى لايروح اليها فكر الانسان العادى . ولكننى لاحظتها رويدا رويدا . وكأن روحى قد اغتصبت من خلال رواية كبيرة .

ومن المؤكد ان هذه الرواية هى اكثر اعمال كريستى عمقا واهمية . فرغم ان كل اعمالها تدور حول الموت والجريمة . فأنها لم تناقش مسألة الوجود والعدم . والموت المتصل ، عنقوديا بالحياة الا فى هذه الرواية . وهكذا فأن قراءات الكاتبة فى تاريخ مصر قد جعل من ادب الكاتبة اكثر اهمية .. وقد بدا ان الكاتبة تود ان تستفيد من هذه القراءات فى مسرحية "أخناتون" حيث استعانت فى اغلب الحوار بالاناشيد الشعبية والتراتيل الكهنوتية المعروفة فى التاريخ المصرى . وفى هذه المسرحية بدا اعجاب كريستى ، ليس فقط بداعى التوحيد اخناتون .. بل بالشعب المصرى .. وحضارته مثل العبارة التى جاءت على لسان كبير الكهنة : «فمصر تحتاج الى مواهب شتى لدى ابنائها ، فهى تنشد لدى كهانها الحكمة والعلم ، اما لدى جنودها ، فتنشر الذراع القوية ..

وفى نفس الحوار يرد حور محب على الكاهن قائلا : «فمصر قد فتحت العالم ، والسلام يعم الامبراطورية بأسرها» وفى مكان آخر قد يردد نفس الشخص «... فنحن الآن متقدمون ، ومصر تقود العالم فى ركب التقدم ، والاستنارة ، ولنا امبراطورية ...»

والمسرحية مليئة بمثل هذه العبارات عن مصر والمصريين بشكل مكثف ، ربما اكثر من اى عمل روائى آخر للكاتبة .. وربما هى من المرات القليلة التى تبتعد فيها المؤلفة عن الكتابة البوليسية . وكأنها ارادت ان تعبر عن انطباعاتها تجاه اخناتون وفكره .. وجاء ذلك على حساب الحبكة من جديد

استطاعت كريستى ، اذن ، بهذا الحب . والاعجاب . ان تنقل للملايين من القراء فى العالم اجمع الوجه المشرق عن مصر .. وحاولت جاهدة أن تمحو بعضا من الصورة غير الحقيقية التى حاول الكثيرون إلصاقها بمصر . سواء قديما . ام حديثا ..

● مسحوق الايحاء الانسانى

قام خبير « التخدير النفسى » اناتولى كاسبيروفسكى خلال جراحة كبيرة فى ساقى أحد المصابين ، بتخدير الساقين بالايحاء عن بعد !! والطريف ان المصاب لم يتناول اية مسكنات خلال فترة مابعد الجراحة بينما كان تناول المسكنات يستمر فترة اسبوع بعد الجراحات المشابهة لشدة الالام التى يعانيها المريض ..

وقد عبر كاسبيروفسكى عن سعادته لاختبار الافكار التى استخلصها خلال عمله مايزيد على ربع قرن فى حقل الطب النفسى ، واكد على امكانية اتمام « الضبط النفسى » عبر مسافات هائلة مما يجعل فكرة الايحاء عبر القارات ، بل ودون اعتبار للخواطر اللغوية ـ امرا ممكنا !!

ويقول اناتولى كاسبيروفسكى ان مايهمنى كطبيب ليس التخدير بالإيحاء بل التأثيرات العلاجية التى يمكن ان تنشأ عنه ـ الايحاء ـ فقد سمعنا عن حالة السيدة المسنة التى اختفت الجلطة التى تعانى منها بتاثير الايحاء فما هى الالية العلاجية فى مثل حالتها ؟ لقد اعتدنا الحديث عن « العقاقير النباتية » فماذا ياترى عن « العقاقير البشرية »؟ فالمعروف من قديم الزمان ان جسد الانسان يقوم بتركيب مواد مثل الانسولين والهرمونات والانتيرفيرون .. فماذا لو قمنا بالبحث عن اليات تكوين الجسم نفسه لبدائل الادوية التى نتناولها ؟

ويقوم هذا الطبيب حاليا بعلاج امراض مثل سلس البول والربو الشعبى والسمنة عن طريق الايحاء ، وهو يؤكد « ان مصنع الادوية » الموجود داخل جسد كل منا ثرى للغاية ويمكن ان يكون وفير الانتاج ايضا .. فهل يفلح فى الامتداد « بمساحيق الايحاء الانسانى » حتى تزاحم المساحيق الدوائية الكيميائية التى تضر الجسد البشرى ربما بقدر ماتفيده ؟

● اللغة العربية والكمبيوتر

تطور البحث عن المعلومات بواسطة الكمبيوتر من مجرد البحث عن معلومة رقمية ليشمل البعد اللغوى .. فيمكن الان البحث عن كلمة « مصر » فى نصا ما ـ او مجموعة من النصوص ـ بصورتها المجردة وبكل اللواصق (مثل بمصر) واللواحق (مثل مصرا ، مصريون) كما يمكن البحث عن اى كلمة او كلمات اخرى .

وقد انجز « المعالج » الذى يمكن الكمبيوتر من القيام بهذه المهمة د .

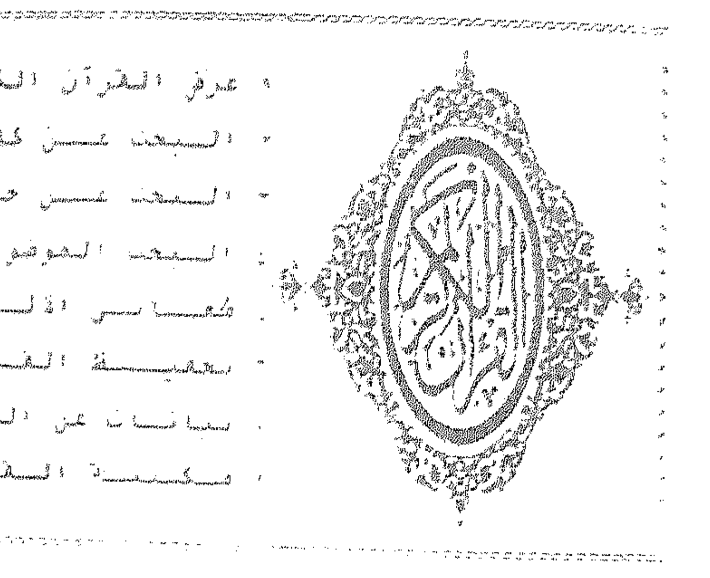
نبيل على ، واطلق عليه اسم المعالج الصرفى المتعدد الاغراض .. ويشكل هذا المعالج قفزة باهرة فى مجال تعامل الكمبيوتر مع عمق اللغة العربية على نحو اصيل بعيدا عن السطحية الناتجة عن شف تجارب من لغات اخرى تفترق كثيرا عنها .

ذلك انه يراعى ماتتميز به الكلمة فى العربية عنها فى اللغات الاخرى ، وبالذات من حيث خضوعها للاشتقاق الصرفى او التشكيل النحوى فان كلمة (قرأ) مثلا يتفرع منها اشتقاق وجمع : قارئان ، قراء ، مقروء ، قارءات قرآن ، قراءة ، قارئيه .. الخ على عكس مقابلها فى الانجليزية (read)اذ لايشتق ولايتوالد عنها الا عدد محدود مثل reader قارىء reading قراءة ، readable مقروء .

ومن يتمعن فى هذين المثالين يجد ان جذر الكلمة الانجليزية read ظل دون تغيير بينما انصهر جذر الكلمة العربية « قرأ » بالاضافة الى ماتعرض له من سوابق ولواحق .

ومن هنا كان من المستحيل ان يؤدى التزام الحلول التى جرى التوصل اليها مع اللغة الانجليزية لنتائج لها قيمتها مع اللغة العربية ، لعدم تعرض بنية الكلمات الانجليزية لتغييرات جذرية مثل العربية .

وتقوم فكرة المحلل الصرفى الذى توصل اليه « د . نبيل على » على تحليل كلمات اى نص تحليلا صرفيا



فيقوم بتفكيك كل كلمة منه فيفصل جذعها عما يتصل به من السوابق (الادوات والحروف) واللواحق (الضمائر المتصلة وزوائد التصريف وعلامات الاعراب) وكمثال فان كلمة « متشاكسون » يحللها الكمبيوتر فيحدد جذر الكلمة « شكس » كما يحدد انها مصوغة على وزن متفاعل بزيادة « ون » دلالة الجمع والرفع ويتم تخزين الكلمة بموجب رقم الجذر والوزن الصرفى مضافا اليه « ون » على شكل مجموعة من المعادلات الرياضية ، وعند الاستدعاء يحولها الكمبيوتر الى مقابلها اللغوى فيستدعى « شكس » ويصيغه على وزن متفاعل ثم يضيف الواو والنون ..

وقد اختبرت صلاحية هذا المحلل الصرفى من خلال تخزين نص القرآن الكريم واستعادته حيث امكن اختصار حجم حفظ نص القرآن بنسبة ٧٠٪

واسفر الاختبار عن نجاح باهر تمثل فى برنامج يتعامل مع النص القرآنى بالبحث عن الكلمات والجمل والموضوعات ومعانى الالفاظ .. اقره الازهر الشريف .

وبتوفر هذا المعالج الصرفى اصبح دخول العربية عالم المعالجة الآلية امرا ممكنا فبالاضافة الى ضغط النصوص العربية وحفظها واسترجاعها سيمكن المحلل من تصحيح الاخطاء الاملائية وتحليل النصوص ودعم التشكيل التلقائى لها ، كما يتيح فرصة انشاء قواعد بيانات تتضمن النصوص الكاملة وفرصة ميكنة المعاجم العربية .



• المحطات النووية والبيئة

طبقا للاحصائيات التى اصدرتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية شهد عام ١٩٨٨ تشغيل ١٢ مفاعلا نوويا جديدا لانتاج الكهرباء فى سبع دول ليصبح اجمالى المفاعلات النووية التى دخلت طور التشغيل على مستوى العالم ٤٢٨ مفاعلا نوويا تسهم فى انتاج الكهرباء بنسبة ١٦٪ من الانتاج العالمى (٥٠ ـ ٧٠٪ فى بعض الدول)

ووسط حملات المحافظة على البيئة يبرز بين العوامل التى تساق لتعزيز اللجوء الى المحطات النووية انها محطات الطاقة الوحيدة التى لاينبعث نتيجة تشغيلها غاز ثانى اكسيد الكربون وغيره من الغازات التى تلوث البيئة .

• المشورة العلمية للرؤساء

صارت الاعتبارات العلمية التقنية جزءا لايتجزأ من كل قضايا عالمنا المعاصر ، سواء كان ذلك فى مضمار التعليم او البيئة او الرعاية الصحية او التنافس الاقتصادى بين الدول .

ومع موجة الحوادث التقنية المتصاعدة فى عالمنا : تشرنوبل ، مكوك الفضاء تشالنجر ، انفجار خط الغاز السيبيرى .. لابد وان يراود الناس تساؤل حول مدى سلامة سبل تقديم المشورة العلمية للمسئولين الذين يقرون البرامج التقنية .

وقد نشرت مجلة العلوم الامريكية دراسة حول تقديم المشورة للرئيس الامريكي كشفت عن غياب نظام فعال يمكن البيت الابيض من تلقي المشورة حول قضايا العلم والتقنية ، وبينت ان العمل في مضمار برنامج حرب النجوم استمر دون اعتبار لوجهات نظر الخبراء وان الحكومة احجمت عن اتخاذ الاجراءات .اللازمة لحماية البيئة على الرغم من الادلة العلمية المتزايدة على التدهور البيئي وان كثيرا من البرامج التقنية الامريكية القومية الطابع ، تفتقر الى الاشراف العلمي المناسب ..

بل وكشفت الدراسة ان اقرار السياسات التقنية يجرى تحت ضغط قيادات برامج تقنية كبيرة ، ومجموعات ذات مصالح في البرامج التى تقوم بها الادارة الامريكية وكلا الفريقين يفضلان الا يتلقى الرئيس مشورة علمية من خارجهما .

وتشير الدراسة الى الموقف الحرج الذى وجد الرئيس ايزنهاور نفسه فيه حين فوجيء العالم باطلاق الاتحاد السوفييتي لأول قمر صناعى عام ١٩٥٧ حيث اسس فى البيت الابيض منصب المساعد الخاص للعلم والتقنية ، الذى طور نظاما لتقديم المشورة التقنية للرئيس .. لكن نيكسون سرعان ما ألغاه عام ١٩٧٢ حين تعارضت التوصيات العلمية مرارا مع مراميه السياسية .

وبينت الدراسة ان « المؤتمر الدستوى » الامريكى اعطى الرئيس

ايزنهاور



مسئوليات كبيرة دون ان يدخل فى تفاصيل كيفية حصوله على النصح والمعونة ذلك ان المؤتمر لم يتوقع ان يصبح العالم على صورته الحالية من التعقيد ..

الجدير بالذكر ان دراسة مجلة العلوم الامريكية جاءت فى اطار نقاش يستهدف ايضاح ضرورة التزام الرئيس الامريكي بوش باراء مكتب سياسات العلم والتقنية التى كان ريجان يضرب بها عرض الحائط وبالذات فى مشاريع تقنية هامة مثل برنامج حرب النجوم او ادخال تعديلات وراثية على الانسان ..

● الليزر يسلك الشرايين

انتشرت على نطاق واسع امراض ضيق الشرايين نتيجة اكتسائها من الداخل بطبقة شحمية .. ويتسبب مثل هذا الضيق فى اقلال كمية الدم التى

ينقلها الشريان الامر الذى يؤدى الى عواقب وخيمة حين يتصل باعضاء حيوية مثل الدماغ والقلب .

وفيما يخص القلب كان الاطباء يعتمدن الى حد بعيد على جراحة فتح القلب واستبدال قطعة من احد شرايين ساق المريض بجزء الشريان الذى ضاق .. وهذه العملية وان كانت ناجحة الا انها تنطوى على نسبة كبيرة من مخاطر الجراحة عامة ، ولهذا السبب سعى الاطباء الى ايجاد وسائل لازالة ضيق الشرايين - والتاجية منها بالذات - دون الحاجة الى فتح الصدر .



وأحد هذه الوسائل هى دفع بالون صغير داخل الشريان حتى المنطقة المصابة بالضيق ، ونفخ البالون بسرعة الى ضغط معين وإبقاؤه لفترة من الزمن تنكبس خلالها المادة المسببة للضيق على جدار الشريان فيزول الضيق ورغم سهولة هذه العملية واتمامها فى وقت قصير تحت تاثير التخدير الموضعى ، فقد ظهرت لها عيوب عديدة اهمها فشل الطبيب فى بعض الاحيان فى تمرير البالون عبر المادة المسببة للانسداد وعودة الانسداد مرة اخرى فى كثير من الحالات بعد اجراء العملية .

وقد بدأ الاطباء تلافيا لذلك فى استخدام الليزر فى عمليات تنظيف الشرايين « المسدودة » ويتميز اسلوب الليزر بانه يخترق الانسداد اختراقا تاما مزيلا كل بقاياه دون اى فتات يمكن ان يتراكم ويسبب انسدادا اخر . ويعمل شعاع الليزر من خلال ليف بصرى يمرر داخل الشريان الى نقطة الانسداد وتكمن صعوبة هذا الاسلوب فى ضرورة تصويب الشعاع بدقة كبيرة وتوقى عدم خرق جدار الشريان عن طريق الخطا .

• وصفات من أجل الموت

صدر فى الولايات المتحدة اخيرا كتاب « وصفات من اجل الموت : تسميم

العالم الثالث » ألفه ثلاثة من العلماء المطلعين فى مجال تجارة الدواء لبلدان العالم الثالث حذروا فيه من تصدير الادوية الزائفة والخطرة الى هذه البلدان بما يجعلها مقلبا لنفيات شركات الدواء العالمية .

ويعزز ما اشار اليه الكتاب النقاش الذى دار حول الموضوع فى البرلمان الاوربى ، وانتهى بما يشبه الاجماع الى ضرورة تشديد الشروط المفروضة على تصدير الدواء خارج حدود اوربا .. وكذا النداء الذى وجهه البابا يوحنا حين قال ان الادوية تثير مشكلات خطيرة من حيث صناعتها واستعمالها وامكانية وصولها الى كل المرضى من اى بلد كانوا .. وواضح انه يجب اخضاع الادوية لقانون اخلاقى متشدد جدا .

وكانت مناقشات البرلمان الاوربى قد كشفت ان العالم الثالث كثيرا مايتلقى من شركات الدواء انواعا ضارة (بسبب اثارها الجانبية) يمنع استخدامها فى البلدان التى تنتجها ، كما يتلقى ادوية انتهت مدة صلاحيتها وادوية لايمكن حفظها لوقت طويل وخاصة فى المناطق الحارة ، وكميات كبيرة من بعض الاصناف بلا مبرر .

ولعله يلقى الضوء هنا ان ماينفق على شراء الدواء وغيره من المواد الصيدلية تصل الى ٢٦٪ من ميزانية زامبيا ، ٤٤٪ من ميزانية نيبال ، ٦٠٪ من ميزانية بنجلاديش بينما لاتتجاوز ميزانية الدواء فى البلدان التى تنتج الدواء ٨ ـ ١٠٪ من ميزانية الصحة .. وكثيرا مايتدخل عاملا الفساد والرشوة فى شراء كميات مبالغ فيها من الدواء .

اغرب مافى الامر ان القضايا التى تفضح التعفن الاخلاقى والتجارى التى تضرب العالم الثالث فى الصميم ، مثل قضايا تسريب النفايات و .. مازالت تثار فى الاوساط الغربية المستنيرة اكثر مما تثار فى بيت الضحية (العالم الثالث) ويبين ذلك عمق الحاجة لا الى سياسات دوائية تناسب الحالة الاقتصادية والصحية لسكان العالم الثالث فقط ، بل الى تأسيس الانظمة والقوانين التى تمكن من تنفيذ هذه السياسات ، ذلك بالاضافة الى التغلب على ضعف القدرات العلمية والتقنية بحيث لاتتحول بلدان العالم الثالث الى هدف سهل لشركات الدواء . ولعل المنظمات الصحية العالمية وأوساط الغرب المستنيرة تساهم بنصيب فى هذا المجال .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

الغزالي

١٠٥٨ - ١١١١ م

اعظم عالم ديني في الاسلام ، ومن اهم الشخصيات في تاريخ الفكر الديني كله . وربما كان هو وصلاح الدين الايوبي احب شخصيتين اسلاميتين الى المسيحيين الغربيين الذين يعتبرونهما اقرب المسلمين الى المسيحية ..

كانت الحياة الفكرية في العصر الذى شهده الغزالي مضطربة قلقة ، موزعة بين المحافظين من علماء الدين القانعين بالقرآن والحديث ، والعصريين المتقدميين الذين لا يرون ضيرا في الاقتباس من المذاهب الفلسفية والعقلانية ، والمعتزلة الاخذين عن الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو ، والشيعة الباطنية الذين رأوا للنصوص الدينية تفسيرا باطنيا لا يدركه الا الصفوة ، والظاهرية التى لا تعترف الا بالتفسير الحرفي لهذه النصوص ، والصوفية التى تؤمن بأن معرفة الله تتأتى لطالب الحقيقة بواسطة نور داخلي ، لا بواسطة العقل او باتباع السنة .. كل هذه الفئات كانت تتجاذب الفكر الاسلامى فى زمن الغزالي .

كتب يقول : « ولم ازل منذ راهقت الى الان وقد اناف السن على الخمسين ، اقتحم لجة هذا البحر العميق ، واستكشف اسرار مذهب كل طائفة : لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ، ولا زنديقا الا



وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته وزندقته . وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديدني من ريعان عمري غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلتي ، لا باختياري وحيلتي » وفي موضع آخر : « طلبت العلم لغير الله، فأبى العلم الا أن يكون لله » .

كان يقر الفلاسفة على أخذهم بالمنطق الاغريقي ، لا سيما القياس المنطقي عند أرسطو ، بل وراح يبرر استخدام المنطق في علوم الدين والشرع . غير أنه خالفهم في اعتقادهم أن بامكان الفلسفة أن تصل مستقلة الى الحقائق الدينية ، وأن العقل وحده هو الهادي الى الحقيقة ..
وكان يحترم السنة وظاهر الشريعة ، غير أنه رأى أن علماء الدين يهتمون بالظاهر وبالامور الثانوية أكثر مما يهتمون بالباطن والامور الجوهرية . وكان يرفع من شأن الصوفية وتجاربها الروحية ، ويقول مع أصحابها : « رب

ان كنت أعبدك خوفا من جهنم فالقى فى جهنم ، وان كنت أعبدك طمعا فى الجنة فاحرمنى من الجنة ، أما اذا كنت أعبدك لذاتك فلا تمتنع عني جمالك الاسني » . غير أنه كان شديد النقد فى الوقت نفسه لغلاة الصوفية القائلين بنظرية الحلول والاتحاد بالله .. وبموقفه هذا استطاع الغزالى أن يجعل من السنة ومن الفلسفة ومن الصوفية نظاما واحدا منسجما ، وأن يقنع علماء الدين بالرضا عن الصوفية وعن منهج الفلاسفة فى التفكير المنطقى المنظم ، وأن يعيد الصوفية الى الانصياع لظاهر الشريعة ، وأن يكبح جماح الفلاسفة فى ركونهم المطلق الى العقل

أهم كتبه « احياء علوم الدين » الذى يقول بعض الفقهاء عنه وانه لو أتلفت جميع الكتب التى ألفت عن الاسلام وسلم منها هذا الكتاب لاستعاض الناس به عن فقدها . يليه « المنقذ من الضلال » الذى سجل فيه سيرته الذاتية ، ويصف ما لقيه فى رحلته الروحية من القلق النفسى والاضطراب الفكرى قبل أن يصل الى الايمان واليقين ، والى مفهوم عن الدين باعتباره حياة روحية وأعمالا صالحة ، لا مجرد طقوس وشعائر وعبادات شكلية .

كان الغزالى ذا عقل متحرر شغوف بالمعرفة واستكشاف الحقيقة، مع جرأة دفعته الى الاخذ بأمور تخالف ما اصطلح عليه جمهرة العلماء ، كتأييده لاستخدام الموسيقى أداة للتعبد والورع ، واعتقاده أن ملاذ الجنة ملاذ روحية لا مادية ، ونظرته السمحاء الى المسيحية والمسيحيين ، ورفضه لعن الخليفة الاموى يزيد بن معاوية قائلا « ان كل مسلم يلعن أخاه المسلم يجب أن يلعن » .. الى آخره ..

والخلاصة ان سعى الغزالى الخالص المخلص من أجل بلوغ المثل الاعلى فى الدين ، وما كان يتحلى به من نبل فى الخلق ، وزهد وتقشف ، وسماحة وسعة صدر ، أمور تؤهله لان يحتل مكانة رفيعة فى قائمة القديسين الذين شهدهم تاريخ البشرية .

جلال الدين الرومى

١٢٠٧ - ١٢٧٣ م

شاعر وصوفى فارسى ، هو أكبر شعراء الصوفية فى الشرق والغرب ، وواحد من شعراء الإنسانية الأفذاذ . اسسّ طريقة المولوية (الدراويش الراقصون) التى جعل للموسيقى فى محافلها محلا ممتازا . ويلقّب عادة بلقب مولانا .

ترك أثرين خالدين : الديوان (فى نحو ستة وأربعين

ألف بيت) ، والمثنوى (فى خمسة وعشرين ألفا وسبعمائة بيت) . فأما الديوان فقصائد متفرقة مستقل بعضها عن بعض ، لكل منها وزنها وقافيتها وموضوعها ، وتغلب فيها فورة الشعر وخياله ، وكذا العناية بالصناعة اللفظية ، وهى بالتالى ادخل فى الشعر . وأما المثنوى فمنظومة واحدة فى وزن واحد وضرب واحد من التقفية (تسمى فى العربية "المزدوج") ويظهر فيها أثر الإملاء المرتجل والثورة التى لاتتريّث للترتيب والإحكام .

وقد استغرقت كتابة "المثنوى" ثلاثة عشر عاما . وفيه تختلط الأساطير والحكايات والتأملات الفلسفية التى قصد بها إلى تصوير المذاهب الصوفية وتفسيرها .. يقول الشاعر الصوفى الكبير عبد الرحمن الجامى : "كتاب المثنوى هو القرآن فى اللسان الفارسى . فأما جلال الدين الرومى فلم يكن نبيا ، غير أنه قد أوتى الكتاب !" . أما جلال الدين نفسه فقد وصف كتابه فى المقدمة قائلا : هذا كتاب المثنوى ، وهو أصول أصول أصول الدين ، فى كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر وشرع الله الأزهر ، وبرهان الله الأظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق إشراقا أنور من الإصباح !

كان زمن الشاعر يعد من أقسى مامرّ على البشرية من عصور . فهو القرن الذى شهد غارات المغول المدمرة على العالم الإسلامى . ورغم أن جلال الدين عاش قريبا من مسرح تلك الأحداث ، فقد وجد فى نفسه طاقة هائلة على الانتاج الأدبى ، وبقى رغم تلك



الحوادث الوحشية وهدم معالم الحضارة ، مؤمنا بالانسان وبأصله الإلهى ، ناظرا إلى البشرية كلها نظرة الحنان والعطف ، مسخرا ملكاته للنهوض بها من كبوتها .

فأما فلسفة "المثنوى" فتعاليم الصوفية التى عبرّ عنها فى أسلوب يتأجج حماسة . وليس تصوّفه من النوع السلبى الذى يدع الحياة وما فيها ويدعو الى هجرها ويعدّها شرا . وإنما هو مزيج من الفلسفة والحكمة العملية ، تصوف بنّاء يستمد عناصره من الإنسان ، ويتعمق فى بحث مشاكله الروحية والعملية ، ويحاول أن يرسم له المثل العليا فى الفكر والعمل .. وفيه الكثير من آراء الأفلاطونية الجديدة كما هى الحال عند غيره من المتصوفين . وبعض آرائه شبيه جدا بآراء المتصوفة النصارى .. كما أن عنده جرأة متناهية فى الفكر قد لايغتفرها المسلمون إلا بسبب دواعى الصياغة الشعرية ، كقوله "إن الشرّ نفسه من عظمة الله وانه جزء من كماله ، وأن قدرة الله تتجلّى فى خلق الجميل كما تتجلّى فى خلق القبيح الذى يزدريه الناس" .. وعنده أن الشعور الدينى هو كل شيء . ففى المثنوى يخاطب الله موسى بقوله : "وماذا تُجدينى الكلمات ؟ إننى اريد قلبا مضطرما .. أَشعل فى القلوب نار المحبّة ولا تلقِ بالا الى الألفاظ" .

وجلال الدين فى شعره قوى البيان ، فياض الخيال ، بارع التصوير ، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة ، ويسوق المثل إثر المثل ، والمعانى تأتيه ارسالا ، وبحر الرّمل يطاوعه . وكان يمتلك قدرة عجيبة على أن يتناول الموضوع المطروق فيجعل منه موضوعا جديدا . فالمثنوى يشتمل على عدة مئات من القصص كلها أو جلّها أصول قديمة ، ولكنها عنده تتحول تحولا كاملا ، وتتغير معالمها ، وتصبح حافلة بالمعانى الرائعة التى لم تخطر على بال مؤلف القصة . وعلى سبيل المثال ، فإن قصة الارنب التى صرعت الأسد وردت فى "كليلة ودمنة" فى بضعة أسطر ، فنظم فيها جلال الدين زهاء خمسمائة بيت ، وجعلها محورا لألوان رائعة من الحوار ، وهيكلا أدار حوله مناقشات ممتعة عن السعى والتوكل ، والقضاء والقدر ، وغير ذلك . وقد كان بارعا فى فن الحوار ، يبين عن طريقه وجهات النظر المختلفة ، وينتهى منه بالرأى الذى يريد بيانه .. والكثير من محاوراته يرقى الى مستوى الأدب التمثيلى الرفيع . كما كان بمقدوره أن يجسد الأفكار بفضل روعة صوره البيانية ، فيجعلنا نشعر بالمعنويات كأنها محسوسات نكاد نلمسها ، كما يستطيع فى يسر أن ينطلق من المحسوسات الى المعنويات ، لايكاد يذكر فكرة حتى يؤيدها بعشرات الصور المتلاحقة التى نلمس فيها سعة العلم ، وعمق الشعور والتفكير ، والاستغراق فى العشق الالهى .

كان يُملى المثنوى كلما هبط عليه الإلهام ، واقفا او جالسا أو ماشيا ، فى الحمام أو فى غرفة نومه ، فى الليل أو النهار ، دون قيد ودون تفكير فى خطة محكمة . فالافكار تتوارد بالتداعى الحر ، والحكايات تنقطع بحكايات أخرى ثم تكمل بعد مئات الأبيات ، والأمثال التى يضربها توحى بتأملات ، وهذه توحى بأخرى ، وهذه توحى بغيرها . ولذا فقد جاء الكتاب مفكك الأوصال من حيث التأليف . غير أن هذا الافتقار الى النظام كان نتيجة الإلهام الشعرى المتدفق الذى يسوق الشاعر أمامه سوقا ، ويقفز قفزا . فإن صبر القارىء على ذلك الى نهايته ، خرج من قراءته فى ثقة من أن هذا الكتاب من أعظم ما تفتقت عنه قرائح البشر .

محمد بن موسى الخوارزمي

٧٨٠ - ٨٤٨ م

مؤسس علم الجبر ، وأول وأكبر عالم رياضي في العالم الإسلامي . وهو أيضا فلكي وجغرافي بارز .
يعرفه العلماء الأوربيون باسم Algorismus ومن اسمه اشتقت كلمة Algorism (نظام العدّ العشرى) .
وهو الذى أعدّ للخليفة المامون مختصرا لبعض الجداول الفلكية الهندية المعروفة باسم السِّنْد هِنْد (مشتقة من الكلمة السنسكريتية Siddhanta . والف ايضا وصفا للبقاع المأهولة من الأرض معتمدا فى تأليفه على كتاب بطليموس فى الجغرافيا غير أن مؤلفاته فى الرياضة كانت أهم شانا من ناحية تأثيرها فأحد كتبه يعتبر أساس علم الجبر ، بل إن كلمة Algebra مشتقة من اسم الكتاب ، فى حين كان كتاب اخر له أول كتاب فى علم الحساب يستخدم العلامات العشرية التى نستخدمها نحن الآن ، ويستخدمها العالم كله ، الا وهى الأرقام التى يسميها المؤلفون العرب بالارقام الهندية ، ويسمونها فى الغرب بالارقام العربية .
وقد ادرك المشتغلون بالحساب مزايا هذه الارقام العشرة التى يشير موقعها الى قدرها ، على النظام الستينى الذى عرفه اليونانيون . وقد ابتدع الخوارزمي وخلفاؤه طرقا لحل عمليات رياضية معقدة متنوعة ، كبيان الجذر التربيعى للعدد بالطريقة الحسابية .

لقد ظلت أوروبا الغربية حتى القرن الثالث عشر تستخدم الأرقام الرومانية غير المريحة التى زادت من صعوبة حل معظم العمليات الحسابية ، وأخرت دراسة النظرية الرياضية . وقد تم تبنى الأوروبيين للأرقام العربية التى استخدمها الخوارزمي بفضل كتاب للعالم الإيطالى ليوناردو فيبوناتشى عام ١٢٠٢ ، أوضح فيه كيف أن العلامات العشر تمكن من تبسيط العمليات الحسابية وتوسيع مجالها .
وقد تبنى الفرنجة استخدام هذه الأرقام منذ ذلك الحين فى معظم أغراضهم العملية .
وبيدء استخدامها دخلت اللغات الاوروبية عدة كلمات عربية ؛ فالكلمة الفرنسية Chiffre



والألمانية Ziffer والانجليزيةCipher وكذا كلمة Zero الفرنسية والانجليزية ، كلها مشتقة من الكلمة العربية "صفر" ومعناها "الخالى" وقد أطلقت الكلمة العربية على العلامة المستخدمة لبيان خلوّ موقع معين (الآحاد ، العشرات ، المئات .. الخ) ورسمت العلامة على هيئة حلقة فى داخلها فراغ .

أما عن الجبر ، فلم يكن محل دراسة منهجية جادة حتى ألف الخوارزمى كتابه المعنون «المختصر فى حساب الجبر والمقابلة» . والجبر والمقابلة هما العمليات التى تختزل فيهما المسائل الرياضية الى ست معادلات :

(١) ا س^{٢} = ب س

(٢) ا س^{٢} = جـ

(٣) ا س = جـ

(٤) ا س^{٢} + ب س = جـ

(٥) ا س + جـ = ب س

(٦) ب س + جـ = ا س^{٢}

(ومن الطريف أن نلاحظ فى مجال تأثر اللغة الأسبانية بالعربية ، استخدام الأسبان لكلمتى "الجبر" "والكسر" تماما كما فى العربية ، سواء بالنسبة للكسور الرياضية أو "كسور العظام" أو جبر الكسر الرياضى بمعنى اختزاله ، "وجبر كسر العظام" أى إعادة إلتئامها) .

لغـويـات

● كانت ضواحى مدينة القاهرة منذ عهد غير بعيد هادئة نظيفة لأنها كانت بعيدة عن كثافة العمران .. ولم تعد كلمة "الضواحى" الآن تحمل معناها السابق .. وأصل كلمة الضواحى فى اللغة ماكان خارج سور البلدة من زرع ونخيل وأكواخ .. والضاحية من أى شىء ، هى ناحيته البارزة .. وضاحية الإنسان ، هى ما ضحا منه ـ أى برز وظهر ـ للشمس ، كالمنكبين والكتفين .

● عامة المصريين يقولون : هذا الحمل الثقيل يضلع الإنسان ! .. وهو تعبير صحيح .. ومن كلام على بن أبى طالب : "اردد إلى الله ورسوله مايُضْلِعُكَ من الخطوب" .

● يزعم بعض المستشرقين أن العرب كانوا لايعرفون أن القمر يكتسب النور من الشمس حتى تعلموا ذلك من الأوربيين فى العصر الحديث .. وهذا زعم باطل ، يكفى لتكذيبه بيت واحد لأبى الطيب المتنبى قاله قبل ألف سنة مدحا لسيف الدولة ضمن إحدى قصائده :

تَكَسَّبُ الشمسُ منكَ النورَ طالعةً
كما تَكَسَّبُ منها نُورَهُ القمرُ

أى أن الشمس تستمد نورها من سيف الدولة ، كما يستمد القمر نوره من الشمس .. ولم يكن المتنبى هو الذى اكتشف أن القمر يستمد نوره من الشمس ، وإنما كان يردد "معلومات عامة" يعرفها العرب فى عصره وقبل عصره حتى أيام الجاهلية التى ورد فى شعرها مايدل على ذلك ، أى منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ! ..

● الخنساء الشاعرة العربية المشهورة سميت كذلك دلالة على جمالها فى نظر أهلها الذين أطلقوا عليها هذا الاسم .. والخنساء فى اللغة هى البقرة الوحشية الواسعة العينين . وكانت المرأة العربية تسمى بها تشبيها ! ..

● "الفلاة" كلمة مهمة عند العرب لأنها هى الصحراء ، والجمع فلوات ، واسمها مأخوذ من قول العرب : "فَلَوت فلانا بالسيف" .. أى قطعته بالسيف ، فتكون الفلاة قد سميت كذلك لأنها تقطع من يسافر فيها كأنها السيف ! .. هكذا قيل ! .. وفى ظننا أن قولهم : "فلوته بالسيف" مأخوذ من الفلاة ، وليست الفلاة مأخوذة من السيف ، لأن الفلاة سبقت السيف إلى الوجود !

• الجوانية .. فى ذكرى صاحبها •

• عندما اصدر المرحوم الدكتور عثمان أمين كتابه «الجوانية ـ أصول عقيدة وفلسفة ثورة » فى سنة ١٩٦٤ أثار جدلا فى الساحة الثقافية فى مصر ، وبادر الدكتور طه حسين فأعلن ان الجوانية لا تقوم على أساس فلسفى دقيق .. ورغم ما اثير فانها كانت محاولة فكرية لتشييد بنيان فلسفى اسلامى عربى يعالج مباحث المعرفة والوجود من منظور مفكر أصيل على اسس من تأمل روح الدين والاخلاق ، ومن تأمل ات القران الكريم وأحاديث الرسول ، وشكلت الجوانية فى حياة مؤسسها تيارا فلسفيا يحاول ان يثبت وجوده فى مواجهة الفلسفات الغربية ومدارسها فى مصر .

واصطلاح الجوانية اشتق من الجوانى وهو لفظ استعمل فى اللغة العربية للدلالة على معانى الباطن والداخل والجوهرى والأصيل ، وقد ورد لفظ الجوانى والبرانى فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه الحارث الهمذانى عن على كرم الله وجهه عندما قال له الرسول : يا على ما من عبد إلا وله جوانى وبرانى (بمعنى سريرة وعلانية) فمن اصلح جوانيه أصلح الله برانيه ، ومن أفسد جوانيه افسد الله برانيه . وقد ورد اللفظان (برانى ـ جوانى) فى كتب الحديث والسير وآثار اهل التصوف الاسلامى .

واذا كان عثمان امين قد أبرز ملامح الجوانية فى تزكية الوعى الانسانى والمعرفة الجوانية والتركيز على قوة الروح والارادة الانسانية ، فإنه استطاع ان يكون نموذجا حيا للفيلسوف الداعية لفلسفته الجديدة يتطابق قوله مع عمله ، وتكون مؤلفاته تطبيقا منهجيا للجوانية فى النظر والتفكير والتأمل . ففى كتابه «رائد الفكر المصرى» عن الاستاذ الامام محمد عبده يقدم اوسع ترجمة تحليلية كتبت عنه مستخدما منهجه الجوانى فى استقصاء فلسفة الداعية الاسلامى الكبير ومقارنتها بغيرها من مذاهب الفلاسفة . ويختار فى كتابه «رواد الوعى الانسانى» اربعة من قادة الفكر الاسلامى وهم جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبى ومحمد اقبال ويترجم لهم كنماذج مشرقة وعلامات مضيئة فى ايقاظ الوعى الانسانى .

ويكتب فيلسوف الجوانية كتابه عن «فلسفة اللغة العربية» فيبرز عبقريتها وخصائصها الذاتية ويدافع عنها فى مواجهة كل مظاهر الغزو الفكرى والثقافى ويدعو الى اصلاحها لمواءمة العصر ومتطلباته .

ومن قبل عالج فى كتابه «محاولات فلسفية» قضايا الميتافيزيقا والمعرفة والوجود ، وفى هذا الكتاب لفتات عميقة الدلالة على روح الجوانية ، وتبدو فيه روح الثورة على الفلسفة المدرسية ، والتطلع الى الفلسفة حارسة المدنية

والحضارة ، ويعكف الفيلسوف الجليل على فكر استاذه وصديقه العقاد فى كتابه «نظرات فى فكر العقاد» مستخدما منهجه الجوانى فى سبر اغوار ذات العقاد وموضوع كتاباته مستخدما ما تنطوى عليه الشخصية العقلية من فضائل اخلاقية وجواهر مثالية وخصائص نفسية تنفرد بها .

وبعد ، فقد كانت الجوانية فلسفة عربية اسلامية تأتلف من عطايا العقل وهدايا القلب وومضات الشعور ، وخلجات النفس ، اهداها الى العقل العربى والاسلامى فيلسوف أدى الرسالة وحمل الامانة بكل ما ينبغى ان يتوافر عليه الفيلسوف والمفكر الحر .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● محنة الغلاء ●

● نشرتم فى عدد يونيو الماضى من «الهلال» قصيدة للشاعر محمد أمين الجندى عنوانها «محنة الغلاء» .. وقد شاء القائمون على «توضيب» القصيدة ان يفصلوا بين الشطر الأول والشطر الثانى من كل بيت بخط اسود غليظ ، كأنما المطلوب ان يقرأ القارىء كل «عمود» على حدة ، وهذا خطأ فادح فى توضيب الشعر . فمثلا البيتان الاول والثانى هما :



ما للغلاء ازال الله غمته   أحال أيامنا كربا واهوالا

حتى غدونا ولا غير الغلاء لنا   من الهموم مصابا يشغل البالا

هذان البيتان نشرا بالطريقة الخاطئة التالية :

ما للغلاء ازال الله غمته
حتى غدونا ولاغير الغلاء لنا
أحال ايامنا كربا واهوالا
من الهموم مصابا يشغل البالا

أن كثيرين من القراء لم يتمكنوا من فهم هذه القصيدة التى شوهها «التوضيب» الخاطىء مع الأسف

على رجب حميد الدين
الاسكندرية

تعليق الهلال :

ـ معك كل الحق ، فهذه غلطة «التوضيب» وغلطة التصحيح ايضا والمفروض ان يكون فى اقسام التوضيب والتصحيح فى الصحف المصرية من يفهم الشعر ! ..

● يوم تكريم المعلم ●

قياما قياما لرمز مجيد   سلاما سلاما لرأى سديد

معلمنا الحر نحن الندى   وفاء وحبا لك اليوم عيد

معلمنا انت نبع الضياء   معلمنا انت فيض السماء

زرعت المبادىء فى ارضنا   فنلنا بفضلك حلو الرجاء

معلمنا هدينا فى المحن   يلقننا سر حب الوطن

بمثلك فى ليلنا نهتدى   ونصمد فيه صمود الاشم

إلهى أشبه ثواب الرسل   جزاء حياة لنا قد بذل

ووفقه فهو منار العلا   مثال الابوة نبض الأمل

زغلول توفيق ـ بنى سويف

● يعز من يشاء ويذل من يشاء ●

● اطلعت فى عدد مايو ١٩٨٩ على المقال القيم للاستاذ صلاح عيسى والمعنون « محمد حسنين هيكل ـ تراجيديا الفرعون والكاهن» .

ومع تقديرنا لكتابات الاستاذ صلاح عيسى الا انى ارجو ان أنبه الى خطأ وقع فى آخر فقرة من المقال فقد ذكر ما يأتى : «وكان صوت جميل يأتى من بعيد فيتلو قول الله تعالى عز وجل «سبحان الذى بيده الملك يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهوعلى كل شىء قدير» .

وصحة الآية الكريمة : هى «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير «سورة آل عمران » الآية رقم ٢٦ .

قارىء

● أقلام الشبان ●

● طالعت هلال ابريل الماضى فرأيت فى صفحات «أنت والهلال» اسمى بين اسماء عديدة تفضلتم بتوجيه الشكر اليها ! .. وها اننذا أبادلكم الشكر بألف «عفو» .. ولكن هل يبتغى الاديب كلمات شكر لا اكثر ؟ !

اذا كان فى نيتكم تقديم الاعمال فلماذا لا تخبرون اصحابها ؟ ! ربما تعتقدون ان هذه منحة لا يستحقها مثل هؤلاء الدخلاء والمتطفلين الذين لا اسم لهم ولا «واسطة» والذين تعتقدون ان تعاملكم معهم ينبغى ان يمر من وراء ستار .

وبالنسبة لمجلة الهلال المشهود لها بالتميز فى اختيار موضوعاتها ، فمن المتبع فيها أنها تخصص مساحات ثابتة «محجوزة» فى كل عدد شهريا وبصفة مزمنة لكتاب معروفين ومنهم خاصة كتاب القصة القصيرة وقد يتخيل القارىء ـ مع تقديرى لهم ـ كأنما قد ابرم بينهم وبين المجلة عقد يتجدد من تلقاء نفسه .

تقصفون أسنة الأقلام الجديدة وتسألون عن سبب كسرها !

واخيرا أرجو من سيادتكم بعد قراءة هذه الرسالة المطولة التروى قبل ان «تشحذون» قلمكم للرد مهاجمين على طول الخط لكل قائل كلمة حق .. وأنى اشهد لكم مع الجميع ببلاغة القول مع ايجازه .. لكن مهلا سيدى فماذكرته هنا ان لم يكن كله صوابا «فى رأيكم» ففيه «كثيرا» من الصواب لذا الأمر لا يتطلب الرد انما يحتاج الى نظرة متأنية لأمور خطأ لكنها صارت فى حكم الاعتيادية لاصرار بعض المسئولين بالمجلة على العمل بالمثل الشعبى السائد والمعمول به للآن : «اللى تعرفه احسن من اللى ما تعرفهوش» .

وعذرا ايضا .. فهى كلمة عتاب لا أكثر .

وارجو نشر الجزء الهام من رسالتى حسبما ترون لأنى لا اتكلم بلسان حالى فهو لسان حال اولئك الادباء الواعدين الذين يتلمسون الخطوط الأولى فى طريق طويل بلا معين او سند .. لكنها لعنة الادب ..

سمير يوسف
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ ها نحن اولاء نعود مرة اخرى الى أوهام بعض الادباء الناشئين التى تصور لهم ان الصحف تضطهد انتاجهم ، وان الادباء الناضجين الذين تنشر الصحف انتاجهم إنما ينشرون هذا الانتاج بالواسطة والعلاقات العامة .

ونحن يا عزيزى لانكاد نجد قلما واعدا حتى نبادر الى تشجيعه واحتضان انتاجه ، وهذا على عكس ما تتصوره تماما .. وليس لدينا كتاب مزمنون على حد تعبيرك ، وعندنا إنتاج جيد دائم قد تتكرر اسماء اصحابه وقد لا تتكرر .. ثم إن لكل مجلة وصحيفة فى العالم كله محرريها الدائمين ، ولا يثير هذا احتجاج احد من قرائها ولايطالب اديب ناشىء بطردهم ليحل محلهم ..

ولا نطيل عليك ، فلنا تجارب مع أدباء شباب لم نستطع ان نقتلع من أذهانهم ذلك الوهم ، فلعلك تراجع انتاجك بالانضاج المتأنى ، والتجويد المستمر ، قبل ان تسمح لنفسك بتوزيع الاتهامات على المجلات الادبية ، والزعم بأن القائمين على النشر يكسرون قلمك ! .. ونصارحك إعزازا منا ورغبة فى نجاحك ، أنك مازلت فى أول الطريق ، وأنك متى اوغلت فى الطريق ، وانضجت أدواتك ، فسوف تجد الابواب مفتوحة لك على مصاريعها ان شاء الله ..

يقى ان ننبهك الى إننا وضعنا لك كلمة «تشحذون» بين قوسين ، لأنها منصوبة بأن ، فتكون صحتها «تشحذوا» وكذلك كلمة «كثيرا» فلا وجه لنصبها ، وصوابها الرفع فتقول «كثير» .. فهلّا بذلت بعض عنايتك فى النحو والصرف قبل ان تتهم الصحف بكسر قلمك ؟ !

● اغلاط فى العدد الماضى ●

● وقعت بعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية فى العدد الماضى من «الهلال» .. كما يلى :

١ ـ فى مقالة «الزيدية» جاء اسم «النفس الزكية» بالذال ، وصحتها بالزاى كما نثبتها هنا ، وهو اسم مشهور .

٢ ـ صورة الزعيم الصينى المنشورة فى مقالة «الربيع الديمقراطى» مكتوب تحتها زنج سياو بنج ، والصواب دنج بدلا من زنج .

٣ ـ فى مقالة «مرة واحدة فى ندوة العقاد» ان الطبعة الأولى من كتاب عبقرية محمد للعقاد صدرت سنة ١٩٢٤ والصواب ١٩٤٢ .. وجاء فى هذه المقالة ان جريدة «السياسة» كانت لسان حال الحزب السعدى ، والصواب «حزب الاحرار الدستوريين» ، أما الحزب السعدى فكانت صحيفته اليومية

تسمى «الاساس» وهى التى كان يكتب فيها العقاد ولم يكن يكتب فى جريدة السياسة كما جاء فى المقال .

٤ ـ فى المقالة المعنونة «أحمد بهاء الدين» القلم والاسلاك الشائكة كلمة «السوفييت» مكتوبة بيائين هكذا . «سوفييت» .. والصواب الياء الواحدة ، لأنه لا توجد الياء بعد الياء الا بفتح الياء الأولى وسكون الياء الثانية ، أما وضع اليائين لدلالة على مد الياء الواحدة فخطأ واضح ، وهذه الغلطة تتكرر فى مقالات اخرى .

قارىء لغوى

• على المحطة •

(اقطفى زهرة انتظارى بقبله)   أو ضعينى بفتحة الصدر فله
جمعتنا محطة وانتظار   ليت جمع العيون يسهل مثله
ما وقوف العبير ينظر حوله   بالرصيف الذى يعانق ظله
مرسلا طرفه بكل مكان   كإله الجمال ينشر رسله !
نقلة إثر نقلة ياكمانا   إن قلبى فى نقلة إثر نقله

نهل الثغر من عيونك نهله   ثم اوغلت فى ضباب الرحله
أوَ إطراق موعد ؟ افتديه   ذلك الموعد الدميع المقله !

لا تشدى مظلة النور وابقى   وخذى لهفتى وعمرى مظله
الشتاء الذى ترين شتائى   مطر الشوق جاء يطلب أهله
لا تخافى ابتلال ثوبك . عودى   أى غيم لاقى الضياء فبلّه
إننى طفل نظرتين ، انسبينى   لحرير القوام ، أو للمقله
المسافات شرنقتنا زمانا   ثم ها نحن أطلقتنا طله

عبدالرحمن عبدالمولى
الاسكندرية

• الشراب •

• اقصوصة :

• اليوم سأقول له رأيى فيه .. سأعلنها له بلا خوف .. سأمطره بوابل من الكلمات لن يستطيع معها الاعتراض ....لن أمنحه فرصة للرد حتى لاينتصر علىّ .

في كل مرة أقف فيها أمامه أحاول التمرد على حالة الصمت ، تلك الحالة التى تعترينى وأنا أنظر الى عينيه .. أراه يقول ما يريد ، أحاول الرد .. لا أستطيع ـ أضطر الى هز رأسى علامة الايجاب ... أنظر إلى أرض الغرفة هربا من عينيه .... أسمع أحدهم يهمس ... لن تجد ما تبحث عنه .... يهمس آخر .. الى متى ستبحث عن التراب بين الشقوق ؟

لا أهتم بأحد منهم .. أتمعن فى المربعات المتساوية التى لا تتغير يوما عن يوم ... تدوسها الأقدام .. ينظفها العمال .. يملؤها التراب عند الظهر .. أهمس لنفسى فى يقين ... قد تتغير ذات يوم .

. . . .

بالأمس لوى شفتيه ... لمعت حدقتا عينيه . غادر المكان وهو يتمتم ببعض الكلمات .. ضحك الزملاء .. شاركتهم الضحك ... عدت إلى مكتبى ومازالت شفتاى منفرجتين ... سألت نفسى لماذا يضحكون ، حاولت أن أسأل أحدهم عن تلك الضحكات ، لاحظت وجود الأتربة على المقعد والمكتب معا . لابد أن أنظف المكان ، اتجهت الى الشباك ، نهرنى أحدهم فى عنف :

ـ الجو بارد وأنت تفتح الشباك ؟

ـ أريد أن أنظف المكان من التراب .

أعرض بجانبه ولم يرد .. صممت أن أطرد التراب .. نظرت الى المربعات المتساوية على الأرض ... أغلقت الشباك .. بدأت فى تنظيف المكان .

. . . .

اليوم سأنظر فى عينيه ، أسأله وأستفهم منه ، وإذا لزم الأمر قد أحاوره ، نعم قد أحاوره ، وإذا فكر أن يتطاول سأعلن له رأيى فيه ، سأمطره بوابل من الكلمات لن أعطيه فرصة للرد ، ولن أرتعد مهما فعل .. أما الزملاء ، فاذا ضحك أحدهم ، فسوف أسأله لماذا يضحك ، وأكيد سأنتظر الجواب .

. . . .

اتجهت اليوم الى مكتبى هادىء الوجه ... مستريح البال .. نظفت المكان ... محوت أثار التراب ... نثرت بعض الماء ... فتحت الشباك لبعض الوقت .... نظرت الى المربعات المتساوية على الأرض .. الى المكتب والمقعد معا .... حاولت أن أبحث عن تراب فى المكان ... جلست خلف المكتب فى هدوء .. توافد الزملاء ... تحفزت للقاء .. طال

الوقت .. سألت عنه .. قيل أنه لم يحضر اليوم ... نظرت للأرض التى نظفتها منذ قليل ، والى المكتب والمقعد أيضا ...... حاولت أن ابتسم وأنا اقول لنفسى فى هدوء ... غدا لابد أن انظف المكان من جديد .

....

محمد عباس على

• مع أصدقائنا •

● **صالح عبدالكريم بشير صالح :**

ـ الأعداد التى أصدرها «الهلال» من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٢٥ لايعاد طبعها فى الوقت الحاضر ، وربما حدث هذا فى المستقبل إن شاء الله

● **رفعت عبدالوهاب المرصفى ـ شبرا ـ القاهرة :**

ـ قصيدتكم فى رثاء الشاعر المرحوم طاهر أبو فاشا تضم سطورا موزونة وأخرى ليست كذلك .. وأنت تقول إنها من بحر المتدارك ، وصحيح أن معظمها ينتمى إلى هذا البحر ، ولكن ماهى صلة المتدارك بقولك مثلا :

«إن كانت دنان الموت لابد من جرعها ، فالجذور تموت .. » .. هذا اقرب إلى بحر المسرح .. ونلاحظ أنك كثير النظم ، فهلا جعلت بعض وقتك لقراءة الشعر والنظر فيه ، ونعنى الشعر الحقيقى ، شعر الفحول الأقدمين والأحدثين .. إن قراءة هذا الشعر تفيدك فى تقويم الوزن وصقل الديباجة ..

● **يوسف ابراهيم عبدالله على ـ كلية الهندسة بجامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة :**

ـ سرنا كثيرا تتبعكم للأدب المصرى الحديث ، وخصوصا أعمال الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وأما تعليقكم على مقالة «نجيب محفوظ يحاور نفسه » المنشورة فى هلال ابريل الماضى ، فأنتم على حق فى بسط وجهة نظركم ، ولعل نجيب محفوظ يقصد فعلا ماشرحتموه من المعانى ..

● **ونشكر السادة : محمود عبدالمجيد أحمد .. عبدالرحيم الماسخ .. نزيه أحمد رمضان .. عاصم فريد البرقوقى .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. سمير يوسف .. على زين العابدين شاكر ..**

الكلمة الأخيرة

«الطوفان»

لاأعرف على وجه اليقين ماهو السبب الحقيقى الذى انفجر فجاة ليقودنا إلى قرار غريب وغير مفهوم بإلغاء مشروع "منخفض القطارة" .

هناك بالطبع اسباب قد قيلت اذكر انها دارت بين محورين أحدهما التكلفة الباهظة للمشروع والآخر هو ضرورة اللجوء إلى التفجير النووى لشق القناة من البحر الأبيض إلى المنخفض وما قد يترتب على هذا من أخطار "إشعاعية" .. وربما قيل وقتها ايضا كلام عن تعرض مصر للوقوع فى احابيل حزام زلزال خطير نتيجة لإنشاء بحيرة صناعية بهذه الضخامة فى المنخفض (مائتا كيلو متر عرضا ومائة وخمسون طولاً)

ولست ازعم اننى خبير فى أحد هذه الفروع : الاقتصاد او الچيولوچيا او الچيورومفولوجى ولكنى جلست منذ ايام الى مجموعة من الخبراء فى هذه العلوم وفوجئت بهم جميعاً يفندون كل ماعرض من أسباب ويؤكدون أن تنفيذ المشروع مسالة آمنة تماما من الوجهة الطبيعية والچيولوچية ومجزية جدا من الوجهة الاقتصادية .. وهنا نتوقف لحظة .. لقد نمى إلى علمى أن هناك مشروعاً لخبير مصرى معروف بالاستغلال الكامل لمشروع المنخفض ليس فقط فى توليد طاقة كهربائية لاتقل عن ألف ميجاوات .. بل ايضا فى زراعة الصحراء الغربية كلها (خمسون مليون فدان) !!

فى الظروف الصعبة التى نقف فيها حيارى امام مشكلة الانفجار السكانى الذى يهدد بالتهام الأخضر واليابس .. يبدو هذا المشروع حلماً رائعاً لدرجة لاتصدق . حلماً تنداح إثره أحلام بعرض المستقبل كله وكلها موشاة بآمال كبار فى الزراعة والسياحة والثورة العمرانية والحضارية التى تخلق مصراً أخرى غير تلك التى نرقبها اليوم مهددة بالطوفان .. ولانملك غير التحسر على قابل الأيام والاجيال .. يبقى أن هذا المشروع ليس مجرد حلم . إنه بقدر ماعرفت خطة دقيقة ومتكاملة وأهم من هذا .. خطة "ممكنة" قابلة للتنفيذ !

مبلغ علمى ايضا ان بيوت الخبرة الاجنبية فى أكثر من بلد اوربى .. وبعد حماس ملتهب لتنفيذ المشروع تلقت اوامر "مريبة" بالصمت ! .. وصمتت .. وإذا كنت لا أميل إلى نظرية المؤامرة الدولية التى تستهدف تحجيم مصر وتقزيم دورها .. فإننى لاأملك إلا أن أتساءل .. وبعد التساؤل اقول .. نظرة أخرى إلى مشروع القطارة ياأسيادنا !



أسامة أنور عكاشة


صخر
للتعليم العربي في كل مكان
العلم في الصغر كالنقش في الحجر

الهلال

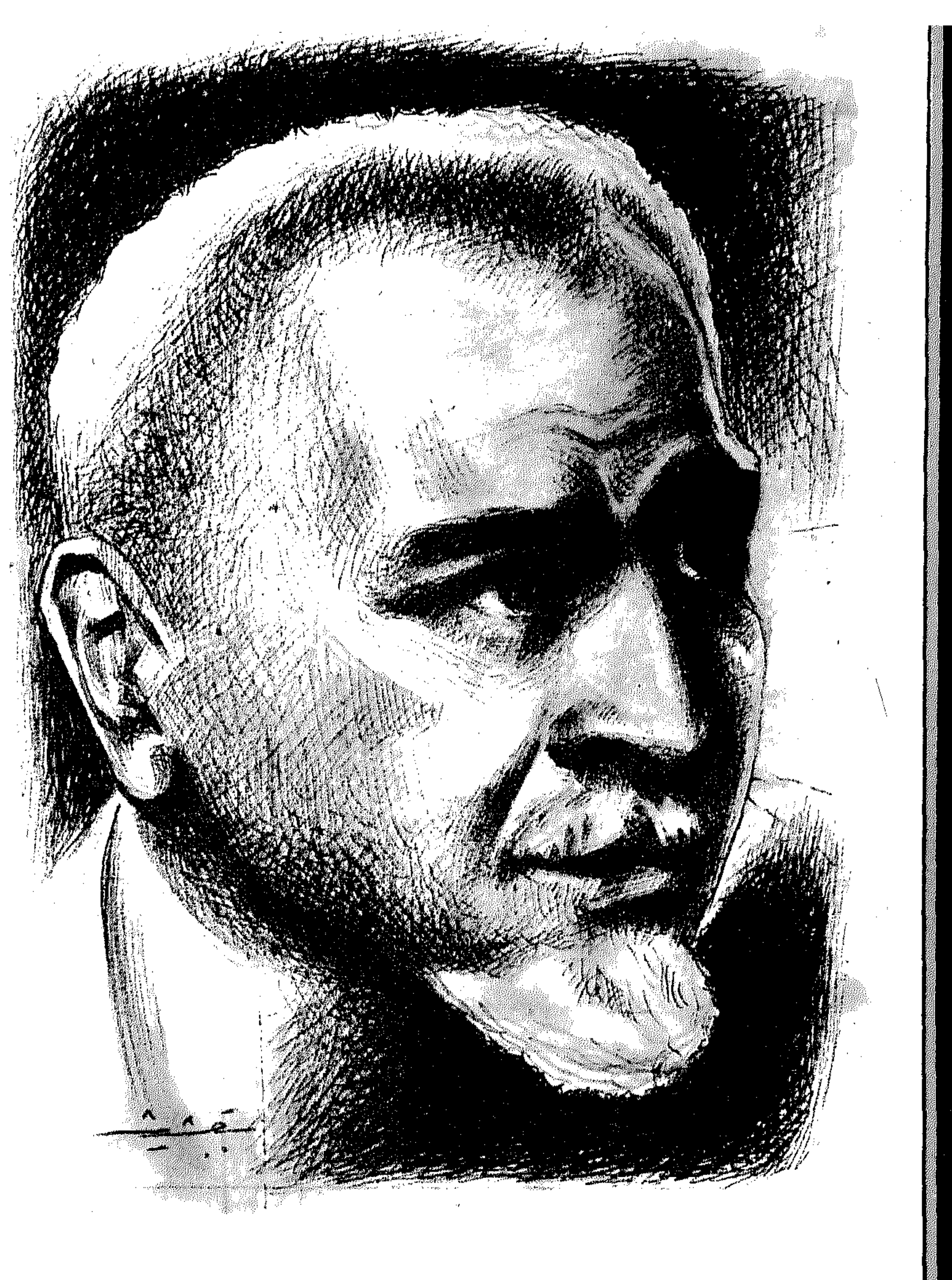
اغسطس ١٩٩٩ • الثمن ١٥ قرشا

ندوة الهلال

يحيى حقي :
خليها على الله

السوق
قلب المدينة
الإسلامية

قمم عربية



الحسين فوزي



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المشرف الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المدير الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير الفني
عيسى دياب

السنة السادسة والتسعون . أغسطس ١٩٨٩ م . ذو الحجة ١٤٠٩ هـ

أهدت الدولة جائزتها التقديرية هذا العام لشيخ الحفارين والرائد الأول للاستنساخ الفني فى مصر والعالم العربى الحسين فوزى والذى بلغ من العمر ٨٤ عاما .

ولد بالقاهرة سنة ١٩٠٥ وتخرج فى كلية الفنون الجميلة سنة ١٩٢٨ ثم بعث إلى باريس لدراسة فنون الرسم والتلوين والحفر والزخرفة وعاد سنة ١٩٣٤ ليؤسس ويرأس قسم الحفر بالكلية التى تخرج فيها .

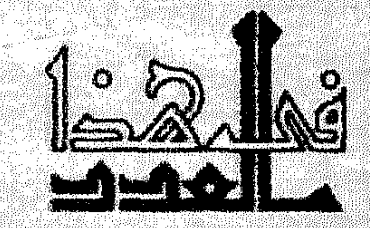
وهو من الفنانين الذين تأثروا بالبيئة المصرية الصميمة فكانت موضوعاته تعبيرا صادقا عن عصره نستطيع أن نتبين فيها الكثير من العادات والتقاليد والمظاهر الثقافية كما فى رائعته الزيتية «الدلالة» و «مصر .. ياقلة العطشان» ـ «فى انتظار الطلائع» . والحسين فوزى رائد مبدع له خبرة السنين التى جعلته فريدا فى هذا المجال واشتهر بلوحاته الزيتية ومطبوعاته المحفورة على الخشب والزنك والنحاس الا ان أعماله بالحفر على المشمع « اللاينو » التى انجزها فى الستينيات تعتبر من معالم طريق حركتنا المعاصرة ومن أروع ماظهر فى فنوننا الحديثة .. ومازال الحسين فوزى يقود تيار التحديث على أسس صلبة ومعايير محكمة يستخرجها من الأكاديمية التقليدية ليلبى احتياجات الثقافة الجديدة .

ومن اشهر أعماله رسومه الملونة داخل جوامع القاهرة طبعتها الدولة فى مجلدين يعتبران من أهم المنجزات الفنية فى مجتمعنا- فى العصر الحديث .

(إقرأ المقال ص ١٢٨)

فكر وثقافة

ص





الغلاف
تصميم الفنان :
محمود الشيخ
تصوير
شوقى مصطفى



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدي ١١٥١١ ؛ القاهرة تليفون: ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١ . رقم التلكس: 92703 HILAL U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ـ لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٢٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبي ٦ دراهم ـ لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبي ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم ـ المغرب ١٥ درهما ـ غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ـ نيويورك ٤٠٠ سنت . اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات .



جوائز الدولة للمبدعين لا للموظفين

اعتاد « الهلال » أن يدعو فى المناسبات السنوية لجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ، الى أن تكون هذه الجوائز ـ وبخاصة جوائز الأدب والفن ـ من حق المبدعين ، أدباء وفنانين ، لا من نصيب هيئات التدريس والأكاديميين والمدرسيين والموظفين المسيطرين ..

ولكن سيطرة هذه العناصر على جوائز الدولة فى الأدب والفن ، حالت فى الغالب دون وصولها الى مستحقيها .. وتحولت جوائز الدولة من تشجيع وتقدير المبدعين الى تشجيع وتقدير المدرسيين والموظفين أصحاب الجاه ..

ونحن نعترف لهؤلاء الموظفين والمدرسيين بأنهم من الفضلاء الأكفاء فى مجالاتهم ، ولكن كثيرين منهم لم يرتفعوا الى مافوق المنزلة الوسطى فى الأدب والفن ، وإن كان نجمهم قد تألق فى سماء المحاباة ، وارتفع فى فضاء التقدير غير الدقيق !

وبعض المبدعين كانوا يمارسون العمل الأكاديمى ولكنهم لم يحصلوا على الجائزة برغم استحقاقهم لها ، لأن جاه الوظائف لم يشملهم ، ومن هؤلاء الدكتور لويس عوض الذى ظل بعيدا عن الجائزة حتى وصلت اليه هذا العام بعد أن بلغ الرابعة والسبعين ، وسبقه اليها كثير ممن يمكن اعتبارهم من تلاميذه .

وممن تخطتهم الجائزة ـ كأنها عاجزة عن الرؤية ـ المخرج السينمائى الكبير صلاح أبوسيف .. وهاهى ذى أخيرا تراه بعد أن أغمضت عنه عينيها على مدى السنين !..

وقد أسعدنا بحق أن تصل الجائزة هذا العام الى عدد من المبدعين ذوى الصلة الوثقى بالهلال .. على رأسهم الدكتور شكرى محمد عياد الذى حصل على الجائزة التقديرية ، بعد أن تجاوزته سنة بعد سنة الى من لانريد أن ننتقص من أقدارهم شيئا .

إن قراء الهلال يلتقون بالدكتور شكرى عياد كل شهر ، وهو لايخلف موعده معهم .. ولعل القراء يذكرون كيف ثرنا فى باب « عزيزى القارىء » منذ بضعة أشهر ، رافعين صوت الاحتجاج على الغبن الذى يلقاه هذا الأديب المبدع الكبير فى وطنه .

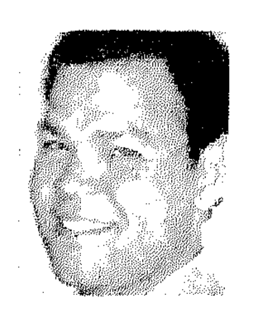
ويسعدنا اليوم أن نرفع صوتنا مهنئين وزارة الثقافة التى حملت اليه الجائزة ، وإن تأخرت كثيرا .. وقد تقبلها بتواضعه المعهود ، ولم يفعل مثلما فعل « برنارد شو » قديما عندما رفض جائزة نوبل لأنها جاءته متأخرة !

ومن المبدعين الذين يعتز « الهلال » بحصولهم على الجائزة التشجيعية الشاعر الأستاذ فتحى سعيد ـ رحمه الله ـ وقد فاز بالجائزة نظير كتابه « السفر على جواد الشعر » الذى صدر فى العام الماضى ضمن سلسلة « كتاب الهلال » ولكن الجائزة لم تتحرك اليه الا بعد أن تحرك مفارقا الحياة الدنيا !..


د . شكرى عياد


د . لويس عوض


المنسى قنديل


محمود قاسم

ومن مطبوعاتنا أيضا رواية « بيع نفس بشرية » التى صدرت منذ أشهر ضمن سلسلة « روايات الهلال » وقد فاز مبدعها الأستاذ محمد المنسى قنديل بالجائزة التشجيعية ..

أما الأستاذ محمود محمود قاسم ، وشهرته « محمود قاسم » فقط ، فقد فاز بالجائزة التشجيعية لثقافة الطفل ، وكان أصغر المتقدمين لهذه الجائزة سنا .. وهو كاتب دائم فى « الهلال » منذ عام ١٩٨١ كما أنه سكرتير تحرير « روايات الهلال » منذ عامين تقريبا .. وله نشاطات متعددة فى الترجمة والابداع .

وقد أسعدنا ماطرأ من « تحرر » على قرارات اللجان الخاصة بالجوائز التقديرية والتشجيعية هذا العام .

ففى جائزة الشعر التشجيعية ، تشجعت لجنة الشعر ، برغم قصورها وسلبيتها ، ورشحت للجائزة شاعرا لم يتقدم اليها وهو الأستاذ محمد عفيفى مطر ، وقد نال الجائزة ، ولكن بعد أن نالها معظم « المتنفذين » من أعضاء هذه اللجنة فى السنوات الماضية !

كذلك وصلت الجائزة الى الشاعر طاهر ابوفاشا ـ رحمه الله ـ وكان جديرا بأن ينالها فى حياته التى أربت على ثمانين عاما عاشها يرقب صغار الشعراء يتواثبون على الجوائز لأنهم من « المتنفذين » أو من المدرسيين أو من الموظفين ، أو من ذوى الصوت المسموع هنا أو هناك !

ومهما يكن من شىء .. فإن الذى حدث فى سراديب لجان الجوائز التقديرية والتشجيعية هذا العام ، كان أخف وطأة مما كان يحدث فى الأعوام الماضية ، فاتسعت آفاق التقدير الصحيح بعد الامعان طويلا فى التقديرات الخاطئة ، والدليل على اتساع آفاق التقدير ، هذا العدد الكبير نسبيا من المبدعين الحقيقيين الذين فازوا بالجوائز ، وكانت الجوائز فى الماضى تتسلل من سراديب اللجان فى جنح الظلام الى « الموعودين » من أصحاب البخت والنصيب !

بقى أن نقول : ان هذه هى الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح .. ولابد من خطوات أخرى واسعة ، تحرر الجوائز من العبودية التى عاشت فيها طويلا .

وحبذا لو استقلت جوائز المبدعين من أدباء وفنانين ، عن جوائز المدرسيين والموظفين .

وليت لجان التحكيم فى الابداع ، تتكون من المبدعين المخلصين ، لا من وكلاء الوزارات وكبار الموظفين وفحول الأكاديميين والمدرسيين !..

« المحـــرر »

متحف الجزيرة

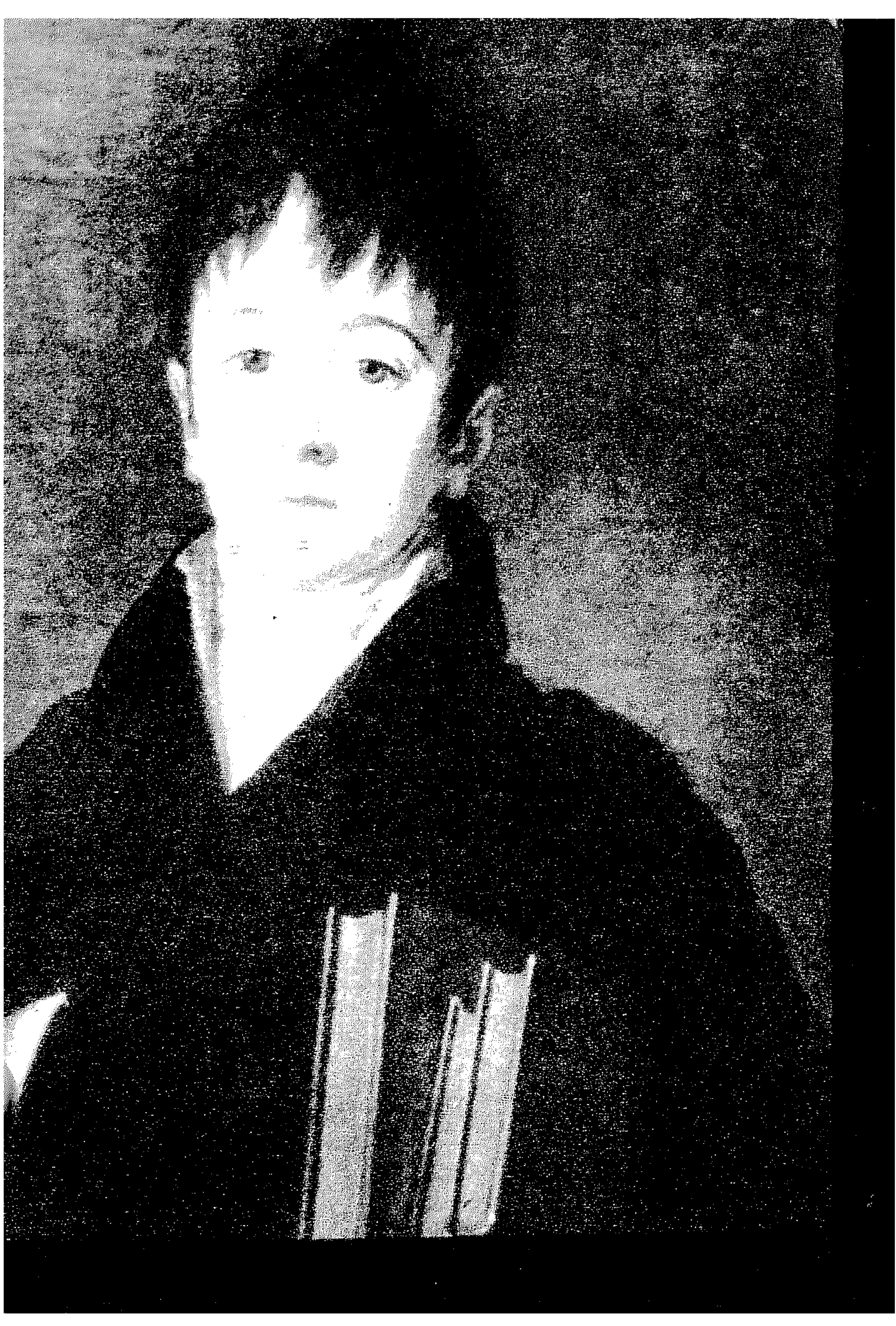
التاريخ فى قصر على النيل

نجوى صالح

● كل ما فى القصر العتيق له رائحة الزمن الماضى الذى كان عظيما بفنانيه يزهو بعبقرياتهم على كثير من الأيام القادمة اللوحات توشك ان تسمع اصواتها التماثيل لدقتها ومهارة وحذق نحتها يخيل اليك انها تتحرك . ساعية اليك او مدبرة عنك حقبات متباعدة تتقارب . وتتدانى وتتلاقى معا كأنها فى يوم البعث محمد على بدهائه . ابراهيم على حصانه اسماعيل بغروره - توفيق بحماقاته فاروق بجنونه عصور وأزمان اختصرت لتسجن فى هذا القصر الذى يطل على النيل

● بعثة اللوفر تشهد بأن القصر يضم مالا يضمه اللوفر ..

● مستشفى لترميم القطع الفنية المصابة ..



متحف الجزيرة

إن مائة الف قطعة فنية ،
وأكثر يضمها ذلك القصر الذى أطلقوا عليه أسم (متحف الجزيرة) وكل قطعة فيه هى علامة تاريخ وإشارة حضارة ، ونبرة تطور إنساني ـ سجله عباقرة من شعوب مختلفة ، وفى عصور متباينة .. فى لوحات أو تماثيل أو أوان خزفية أو ذهبية او فخارية .. وقد قام هذا المتحف من ربع قرن . لكى يكون المسرح الذى تعرض عليه كل هذه التحف المختلفة ، ولكى يكون قبلة السياح ، وأهل البلد من عشاق الفن ، والباحثين والدارسين ، والاجيال الجديدة من الفنانين العرب ، والاجانب .. كان الهدف منه أن يكون "لوفر الشرق" كمتحف "اللوفر" فى باريس .. فهل أدى حقا هذه الوظيفة .. ؟

الجواب بكل اسف لا .. فالقطع الفنية النادرة والتماثيل ، واللوحات وقطع اخرى هى أجزاء كاملة من تاريخنا .. جمعت من القصور الملكية ، وأخرى من قصور الأمراء .. دفعت دفعا ، وزج بها الى أقبية ، ومخازن هذا القصر ، وحرم الجميع من رؤيتها ، والاستمتاع بها . لأسباب كثيرة بعضها فنى وبعضها يرجع الى ازمة الاسكان .. ضاقت جنبات القصر . عن أماكن تليق بقدرها .. أو عجزت وزارة الثقافة عن تدبير "فاترينات" للعرض يتوفر فيها الجمال والامان .. !

الغريب فى الأمر أنه رغم مضى هذه السنوات الطويلة على إنشائه . فإن المتحف مازال فى دور التطوير ، وإعادة التنسيق ، وتقييم القطع الفنية التى تربو على مائة الف قطعة كما يقول الاستاذ "عبد الوهاب مرسى" مدير عام المتحف .. فالمتحف كان يستقبل الجماهير الى عامين فقط .. ثم رأى المشرفون عليه ، والذين يقومون على أمره .. أن يعيدوا ترتيبه ، وتجديده ، وترميم بعض القطع التى أصابها التلف ، واللوحات التى أدركها البلى ، وكان أن رصدت الحكومة لهذه التجديدات ثمانية ملايين من الجنيهات . لم ينل منها المتحف سوى مليون واحد فقط .. !! وذهبت الملايين السبعة الأخرى الى طريق آخر لايوصل الى المتحف .. !

● ماذا قالت بعثة متحف "اللوفر" ..؟

وقد جاءت بعثة من متحف "اللوفر" بفرنسا ، لكى تشاهد وتتطلع وتقيم القطع الفنية ودهش أفرادها ، ووقفوا فى وجوم وذهول أمام القطع واللوحات ، واقروا أن الموجودات التى يضمها المتحف ، وترقد فى دهاليزه ، وأقبيته . لايوجد مثلها فى "اللوفر" وأن تلك الكنوز الفنية ـ لايعرف عنها متحف اللوفر شيئا مع العلم بأنه يفخر برصد كل آثار الفنانين فى العالم .. فضلا عن عثورهم على أعمال فريدة

● ١٢٠ ألـف قطعـة ، ولـوحـة ، وتمثال ..
● بلايـين الجنـيهات فـى دهاليـز وأقبـية المتحف العتيد ..

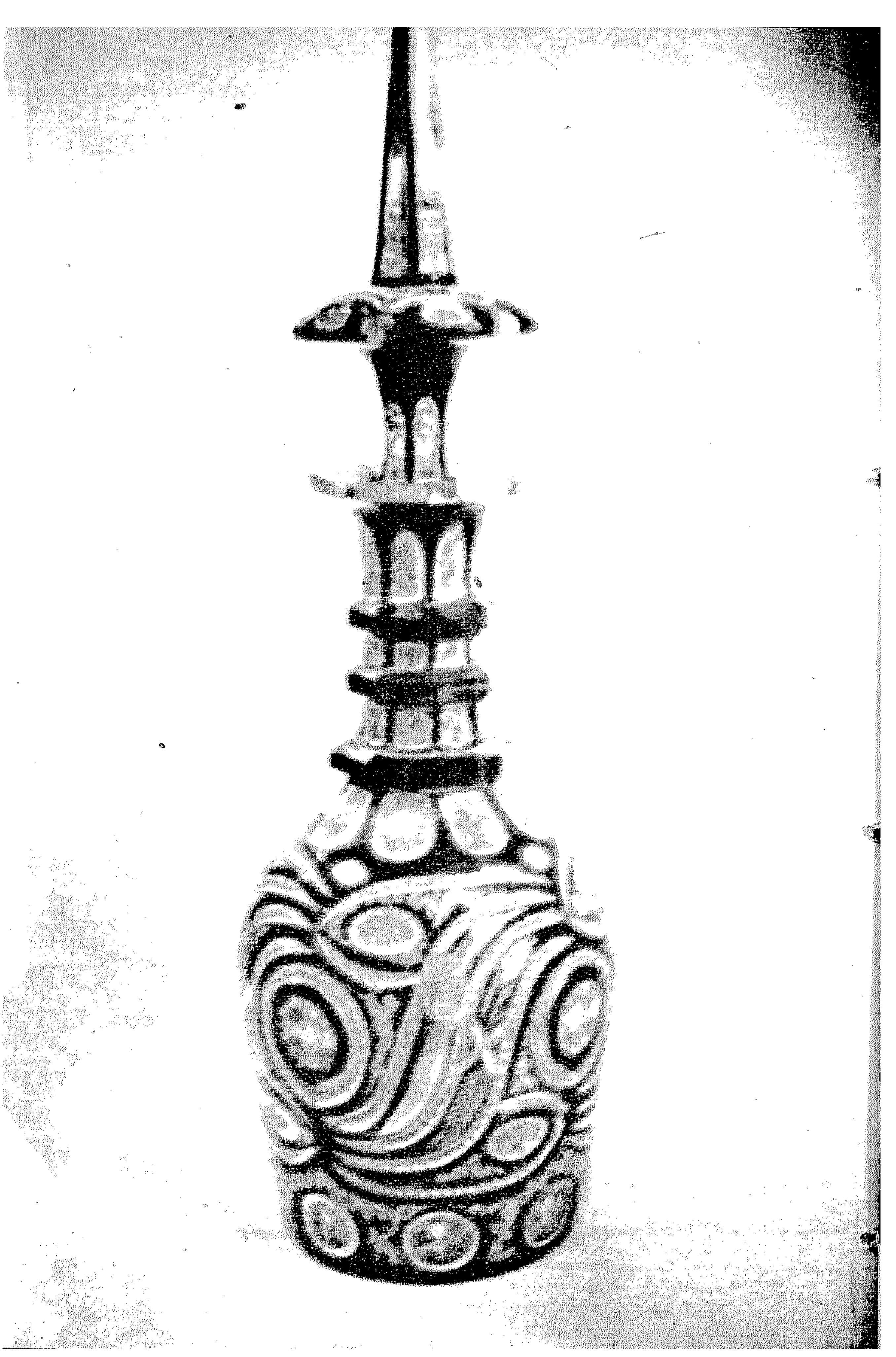


● تماثيل من البرونز .. الخديو إسماعيل على حصانه
صفية زغلول .. وسعد زغلول والأمير محمد على

لفنانين فرنسيين عظام ، غير مدرجة أمام أسمائهم فى "متحف اللوفر" .. وعلى سبيل المثال لا الحصر . فإن احدى لوحات الفنان التأثيرى (فان جوخ) الموجودة فى هذا المتحف تقدر بـ ٢٤ مليون جنيه ، وأخرى للفنان (رنوار) تقدر بنفس الثمن فهى لاتقل عنها معنى ، وفنا ، ولوحات أخرى للفنانين ، و "دوبلاكروا" و "مانيه" و "ديجا" و رودان" أشهر من أمسكوا بالريشة فى القرن العشرين ..

والى جانب هذه الكنوز الفنية توجد يوميات الحملة الفرنسية فى مصر مصورة بريشة الرسامين الذين صاحبوا الحملة





متحف الجزيرة

وهذه اللوحات هى من أجمل ، وأدق ما يصور حقبة حافلة بالصراع من تاريخ القاهرة . ومرافقها وأسواقها ، وسواحلها ، وبعض الاحداث الهامة مصورة أى مرسومة ، وموقعة باسماء الفنانين العظام ..

ثم لوحات من المدرسة الايطالية القديمة والمعاصرة والعديد من لوحات "الجوبلان" من القرن الثامن عشر ، وتلك مجموعة نادرة مازالت تحتفظ برونقها ، وقيمتها الفنية ، وقد وقفت البعثة الفرنسية عندها طويلا ، وتحدثوا عنها طويلا .. !

مازال (عبد الوهاب مرسى) مدير المتحف يمضى بنا فى جوف الزمان المتمركز فى هذا المكان .. ومن اللوحات الى التحف ، والاثاثات التى جيء بها من قصور الأمراء . إننا الآن أمام مجموعة من السجاد الايرانى ، والفرنسى ، وبعض قطع الاثاث الهندى ، والتركى والعربى ، المصنوعة من الاخشاب النادرة كالابنوس ، والساج ، والقطع تحمل زخارف ايرانية ، وهندية محفورة بدقة مذهلة ..

"وقازات" إغريقية يرجع تاريخها الى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد صنعت من نوع نادر من الخزف يطلقون عليه خزف "الرقة" .. وهناك مجموعات أخرى من الاوانى المصنوعة من الخزف الفرنسى مثل "السيفر" و "البسكوى" وأخرى المانية من الخزف "المايسن" وتماثيل من الخزف والبرونز كل منها تحفة فنية يصل عددها الى ٣٢٠٠ قطعة بين صغيرة ، ومتوسطة وكبيرة .. بعضها للحيوانات ، والطيور الجارحة ، وبعضها للآدميين .. !

أما التحف الزجاجية والتى يرجع تاريخها الى العصر الاغريقى فيربو عددها على خمسة آلاف قطعة ، بعضها مطعم بالصدف مع الألوان الرائعة ، وقد الصق بها الصدف بعد صهرها اثناء الصنع مما يقطع بقدرة فائقة ، ومهارة صناعها من الفنانين القدامى . رغم التلقائية الشديدة فى تشكيلها المتنوع المساحات والمقاسات .. ولعل أثمن هذه المجموعات . هى مجموعة الأمير يوسف كمال ، وكان من المعروفين على المستوى العالمى بأنه من كبار هواة هذه التحف ، وتضم مجموعته بعض الخناجر ، والسكاكين ذات المقابض الذهبية ، والفضية ، والخزفية المزركشة ، والمصنوعة من العاج المنحوت على هيئة

خبيرة أجنبية لاستخراج شهادات ميلاد للقطع الفنية .. !

لوحـــة واحدة ثمنها ٢٤ مليـــون جنيـــه .. !

رءوس آدمية ، وحيوانية ، وأقنعة ، ومجموعة من أثمن المقتنيات العالمية من العصى، وبعضها يصل ثمنها الى مئات الآلاف .. !

ومجموعة "قصر السكاكينى باشا" وهى التى نقلت من قصره المعروف فى الميدان القائم باسمه فى حى غمرة ، وهى تحف من الاثاث تمثل مختلف العصور ، وكلها من الاخشاب النادرة وأطقم الموائد من الذهب ، والفضة واكواب على شكل تماثيل لها مقابض ساحرة .

● شهادة ميلاد لكل قطعة ..

وتضيف السيدة "چانيت كيرلس" التى تدير المتحف منذ ١٩٦٦ .. أن المتحف يضم ١٤ صالة لعرض اللوحات والتحف والتماثيل والمقتنيات . ويشتمل أيضا على ثمانية مخازن فى البدروم ، والاقبية ، والذى يرقد فى الظلام أضعاف ماكان معروضا قبل أن يغلق للتحسينات ..

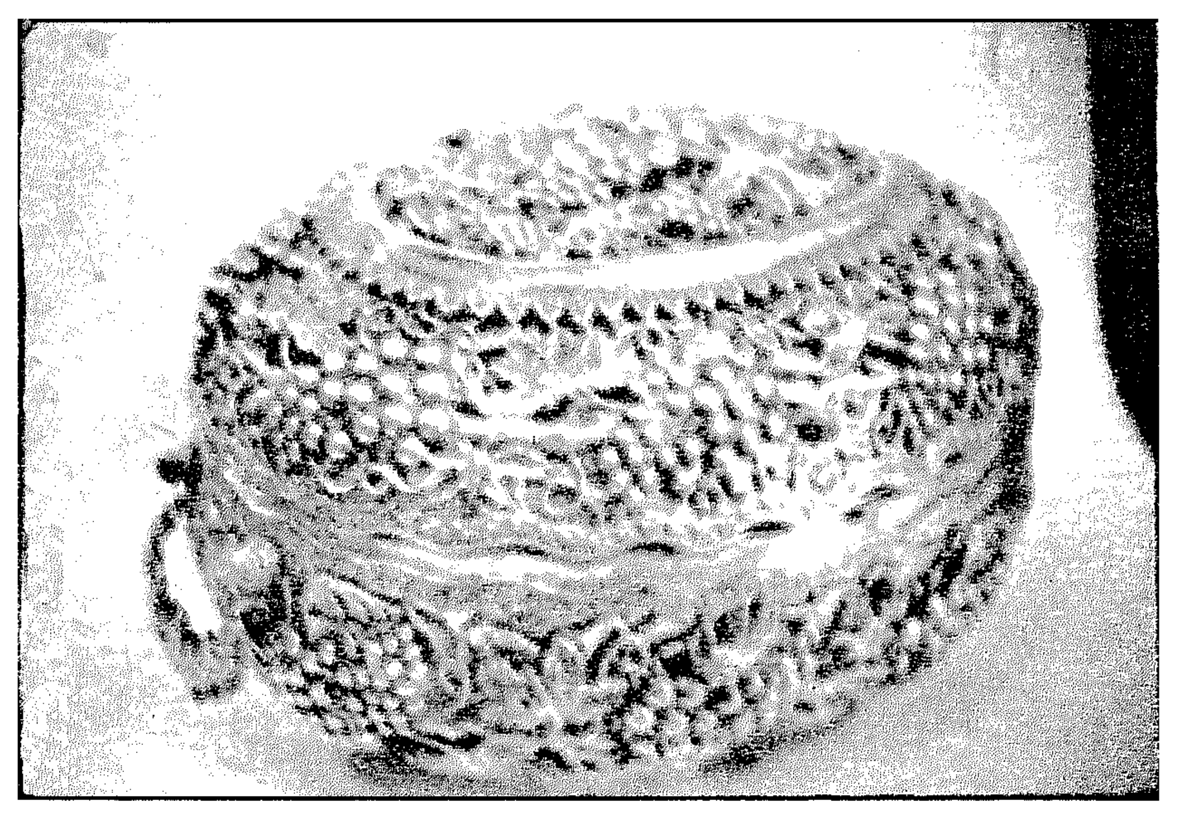
ومنذ سنوات أستقدمت الدولة خبيرة أجنبية لها خبرة فى متحف اللوفر لتقوم بعمل هام ودقيق .. هو التأريخ لكل قطعة فنية من حيث العصر ، والصنع واسم الصانع الفنان إذا أمكن . وتحديد الحضارة التى تنتمى اليها وتدون كل ذلك فى بطاقات متعددة تكون بمثابة شهادة ميلاد للقطعة وقد استعانت بالتحليل المعملى ، وكل الوسائل العلمية الحديثة ، وكان ذلك سهلا بالنسبة لكثير من اللوحات غير الموقعة .. أما العسير فكان إثبات مصادر القطع الفنية كبعض التماثيل و "الفازات" والتحف المذهبة أو التى من الذهب ، والمفضضة أو التى من الفضة .. !

والعجب كل العجب فى تاريخ بعض اللوحات .. التى قد تكون رسمت فى ايطاليا أو فرنسا .. ثم بيعت فى انجلترا .. ثم حصل عليها أحد الهواة فى امريكا .. وقد تعود من رحلتها مع هاو جديد الى ايطاليا .. ثم جاءت الى مصر مع كبار الأثرياء أو الأمراء ، وكل ذلك لابد أن يدون بأمانة شديدة فى تحقيق شخصية اللوحة ، والى جانب عمل الخبيرة . كانت تقوم بتحقيق مدى الصدق والتخريج فى تاريخ كل لوحة وجدت معها بطاقة قديمة .. ومايجرى على اللوحات يجرى أيضا على بعض البراويز القيمة ، وهى معلومات تضيف أضعافا مضاعفة الى ثمن اللوحة حينما تعرض للبيع .. فالى جانب قيمتها الفنية تضاف اليها القيمة التاريخية

● لصوص المتاحف

وتضيف السيدة مديرة المتحف لزهاء ربع قرن أنها تفاخر بأن المتحف لم يتعرض للسرقة طوال هذه السنوات سوى مرة واحدة .. أيام كان "ثروت عكاشه"

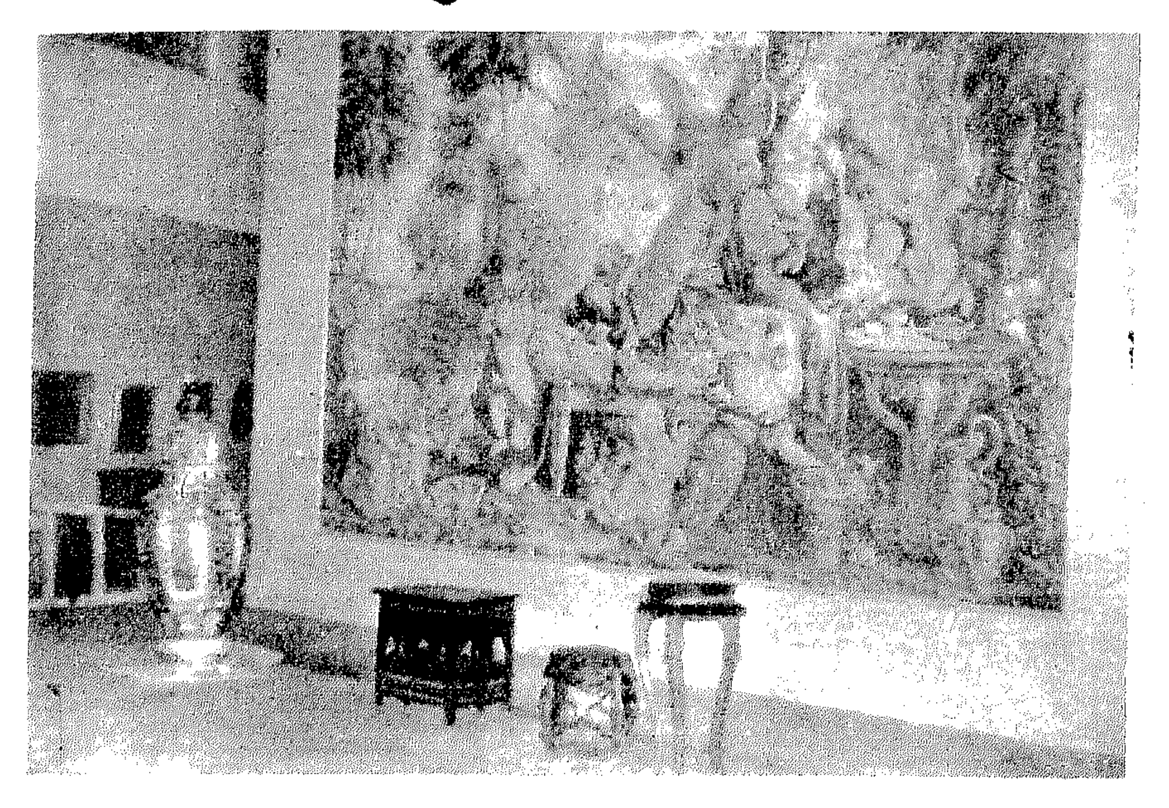




علبة ضخمة من الفضة الخالصة .. تستخدم في الحمام لوضع الروائح .. والصابون

● أوانى زجاجية من العصر البطلمى والرومانى والإسلامى ..

متحف الجزيرة



لوحة مشغولة بالحرير محتفظة بألوانها الخلابة

وزيرا للثقافة أذ سرقت لوحة لفنان فرنسى ، وبعد أيام تلقى الوزير برقية من مواطن تشير الى أن اللوحة مدفونة تحت شجرة فى منطقة الهرم ، وقد وجدت وعادت الى مكانها فى المتحف ..

وجميع العاملين فى المتحف بما فيهم المديرة .. يخصم من مرتباتهم ٣٪ كتأمين منذ عشر سنوات .. وهذا الخصم عدا الخصومات العادية التى تخصم من كل موظفى الدولة ..

وكل هذه الكنوز التى لاتقدر بمال ، والتى كما قلنا أن لوحة واحدة بينها تساوى ٢٤ مليون جنيه .. يصرف أو ينفق على نظافة المكان الذى يضمها مبلغ (٧٠) جنيها لشراء أدوات نظافة ، ومكانس وفرش ، وجرادل وهى تصرف كسلفة مستديمة .. اذا نفدت فلا بد من تقديم ما يثبت ذلك لصرف غيرها ولك أن تتصور أن هذا القصر كله يصرف عليه ، وعلى نظافته حتى يصبح لائقا باستقبال السياح . هذا المبلغ التافه.. ألست معى فى أننا نفسد الطبخة كما يقول المثل الشعبى .. "من أجل بمليم ملح" ؟!

● مستشفى للقطع الفنية

وفى غرفة الترميم والاصلاحات أفزعنى هذا العدد الكبير من التحف الرائعة من الكريستال "دى بوصيم" المشروخة أو المكسورة ويجرى فيها العمل لاعادتها الى ما كانت عليه ولكن هيهات أن يعود الى هذه القطع بريقها وسحرها القديمان ..

وسألت أحمد فودة "وكيل المتحف" و "عصام الشريف" المسئول عن صالة الترميم .. عن السر فى الاصابات الكثيرة التى تصيب هذه التحف الكريستالية الغالية .. فقال . ان الموظف الذى يريد أن يصل الى هذه التحف لكى يزيل عنها التراب أو ينظفها لابد أن يجتاز كوة تحت جدار يؤدى الى مكانها .. ثم يحملها ويعود بها من نفس الكوة ، ولما كانت هذه الكوة ترغمه على أن يمشى على يديه ، وقدميه .. فإن القطعة التى يحملها لابد ان تنزلق منه فتتحطم أو تشرخ ، ونضطر الى نقلها الى هذه المستشفى لنعيد صياغتها .. ولاحول ولاقوة الا بالله .. !

وقد تحطمت قارة كبرى ذات قيمة فنية تاريخية الى ١٢٠ قطعة صغيرة ، وأعيد ترميمها ، ولكن القطعة فقدت بهاءها ، ورونقها ، وقد حكمت اللجنة المشكلة من ٥٢ فناناً تشكيلياً ، ومتقفا .. بأن ترميم الخزفيات لايقدم ولايؤخر بعد تحطيم الآنية .. فمنظرها يصبح مشوهاً يبعث على الرثاء لا الاعجاب . !

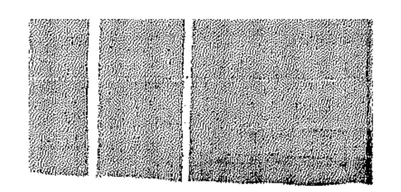
● المتحف الشامل

متحف الجزيرة يختلف عن كثير من المتاحف فى أنه متحف شامل . غير متخصص فهو يضم اللوحات ، والتحف ، والاثاث من العصور المختلفة ، ومن مداوس إيطالية ، وفرنسية ، وتركية ، وهندية وانجليزية ، وتلك ميزة ليست متوافرة لمتاحف غيرها ــ على قدر علمنا ــ سوى متحف (الفن والزخرفة) فى باريس ــ ولعل اجمل مافيه ، مازال حبيس القبو . هو مجموعة التماثيل البرونزية لاسرة محمد على من رأس الشجرة إلى الملك فاروق ، وحبذا لو عرضت هذه المجموعة النادرة .. عندما يعاد فتح المتحف .. فتلك حقبة من تاريخنا شئنا أم ابينا ، وتحمل الى جانب قيمتها التاريخية اروع قيمة فنية . فبعث محمد على بدهائه ، وابراهيم على حصانه ، واسماعيل بغروره ، وتوفيق بحماقته وفاروق بجنونه .. قيمة حرام ان يحرم منها عشاق الفنون ، وهواة التحف .. !



● تمثال لطفلة من الرخام الكراوة الايطالى

● سبعون جنيها هى ميزانية نظافة المتحف ..!؟



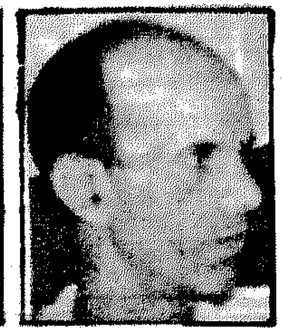
المدرسة الجديدة

بقلم : د . شكري محمد عياد

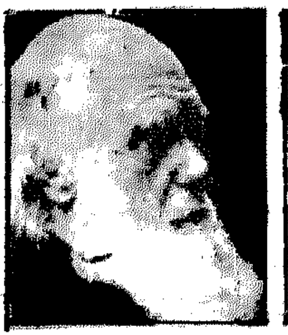
اتابع مقالات صديقي وزميلي القديم الدكتور حامد عمار على صفحات « الاهالي » وهو يكتبها دائما « من المطبخ التعليمي » ولاعجب فهو طاه من امهر الطهاة ، أستاذ تربية من الصف الاول منذ اكثر من ثلاثين عاما . وكتابه « بناء البشر » الذي ظهر في اواخر الخمسينات خليق ان ينتفع به حتى اليوم ، ولكنه أدهشني بمقاله الاخير (الاهالي ٥ يوليه ٨٩) اذ وجدته متمردا ـ مثلي ـ على نظام التعليم من أساسه .

● فأنت لاتتوقع ممن سلخ عمره الطويل المبارك في اعداد المعلمين ان يبلغ به السخط حد القول ان التعليم ـ على الاقل بصورته الحالية ـ يضر اكثر مما ينفع ! ولايخفف من دهشتي اني قرأت مثل هذا الرأي لاستاذ اكبر منا سنا وتجربة وارسخ قدما في تعليم الصغار والكبار وهو الاستاذ حامد سعيد صاحب « التعليم وبناء الانسان » . ولكن مادامًا قد التقيا عند فكرة « بناء الانسان » فلماذا لايلتقيان ايضا عند الشعور بأن التعليم كما نمارسه مقصر اشد التقصير في عملية البناء هذه ؟ انما موضع الدهشة عند امثالي وامثالك من غير الخبراء في « المطبخ التعليمي » ان الدعوى لاتنحصر في ان التعليم « مقصر » اذا نظرنا اليه بهذا الاعتبار ، بل تذهب إلى انه « مفسد » او « معطل » ولعلنا نتجرأ فنسأل هؤلاء الخبراء : ماذا تريدون ان نفعل بأولادنا اذن ؟ نخرجهم من المدرسة ، وبذلك نحسن اليهم ؟ واذا « حررناهم » من المدرسة والتعليم الذي تقدمه المدرسة ، فماذا يفعلون بأوقاتهم ؟ هل نطلقهم في الشوارع ؟





د . حامد عمار



تشارلز داروين





حامد سعيد



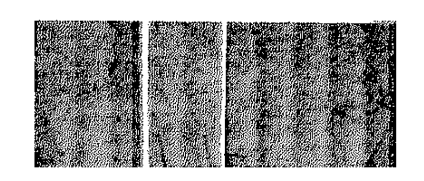
اينشتاين

ام انكم اردتم بهذه الدعوى الى نوع من المبالغة ، والخبراء من حقهم ان يبالغوا احيانا كما يفعل الادباء ؟

نعم كان داروين فى طفولته تلميذا خائبا ، وكذلك كان اينشتين ، ونحن نقرأ هذا ونتعجب ولكننا لانسر اذا رسب ابننا ـ لاقدر الله ـ فى الامتحان ، تفاؤلا بانه حين يكبر سوف يكون عالما مثل داروين او اينشتين ، اما الدكتور حامد عمار فيداعبنا فى موضوع الامتحان بالذات ، ويقترح علينا الا نقول بعد اليوم « عند الامتحان يكرم المرء او يهان » بل « عند الامتحان يكرم المرء او يصان » اى انه اذا لم يكرم عند الامتحان فرسب بدلا من ان ينجح كما كنا نأمل ، فيجب الا نظن ان اهانة حلت بساحته لاسمح الله ، بل ان الرسوب صانه من الوقوع فى حبائل المدارس والمعلمين !

● رسالة المدرسة

هكذا انضم الينا ـ فريق الساخطين على المدارس والتعليم ـ خبير عظيم فى حجم الدكتور حامد عمار ! فحمدا لله ثم حمدا لله..! ولننتهز هذه الفرصة لكى نطالبه ، هو وغيره من الخبراء ، بإعادة النظر فى نظام المدارس من اوله ومن اساسه ، وفى عملية التعليم من اولها ومن اساسها ، لاننا لانحسبهم يعمدون الى المبالغة تشبها بالادباء ، ولانحسبهم يمزحون وهم يتحدثون عن العمل الذى وهبوه اعمارهم ، فمزاحهم هو التعبير المقبول عن حقيقة مرة ، والحقيقة هنا هى ان رسالة المدرسة لاتعدو حشو اذهان التلاميذ بالمعلومات ، وان الامتحان لابد وان يكون اختبارا لمقدار ماحفظ التلميذ من هذه المعلومات ، وبما ان الحفظ غير المقترن بالخبرة لا « يحفظ » شيئا ، فطبيعى ان تطير المعلومة من ذهن التلميذ حين يحتاج اليها وقت الامتحان ، وربما لجأ الى



القفز على الأشواك

الغش ، وربما ساعده المدرس او المراقب على الغش ، وربما يسر له ولى امره سبيل الغش ، فهم جميعا ـ التلميذ وابواه ومدرسوه ـ يؤمنون فى قرارة انفسهم بان هذه المعلومات لاقيمة لها ، وانها لن تنفع التلميذ فى « حياته العملية » وان كان مفتاح « الحياة العملية » عندهم هو « الشهادة » لاغير ، فليحصل عليها باى طريقة وهذا منطق سليم الا فى نقطة واحدة : وهى ان « الحياة العملية » التى تعتبر الشهادة جواز مرور لها ـ اى الوظيفة الحكومية ـ لاشىء فيها من « الحياة العملية » فى معظم الحالات فهى اما بطالة مقنعة واما عمل روتينى لايتطلب اكثر من معرفة القراءة والكتابة . وبما ان الحكومة لايمكنها ان تخلق اموالا من الهواء لتدفع رواتب موظفيها (الورق المطبوع لاقيمة له ان لم يمثل مواد حقيقية) بل يجب ان تأخذ قسما مما ينتجه المنتجون لتعطيه لموظفيها ، لقاء الخدمات التى يقوم بها هؤلاء الموظفون للمنتجين ، فالنتيجة الحتمية لهذه السلسلة من الاسباب والمسببات هى ان هذا التلميذ الذى يجلس اليوم على « تخته » ليحصل على « الشهادة » غدا ويطالب الحكومة بان توظفه بعد غد ، انما يضع الحكومة ـ وهى فى هذه الحالة ممثلة للمجتمع ـ فى ورطة لا مخرج منها .

واذن فمنع هذه الورطة بمنع مسبباتها هو الحل .

فبعض الناس ينادون بالا تلتزم الدولة بتعيين الخريجين ويتناسون ان لنا دستورا « اشتراكيا » يجعل العمل حقا للجميع ، بل يتناسون ان الدول الراسمالية نفسها تنزعج اذا ارتفعت نسبة البطالة ، وان هذا الرقم يمكن ان يسقط الحكومة ويجىء بالمعارضة الى الحكم . ولاادرى الى متى نصر على تجاهل اصل الداء وهو نظام التعليم .

وبعض الناس يغالطون انفسهم بطريقة اخرى ، فهم منزعجون فقط لكثرة الجامعيين . ولذلك يطالبون ـ وقد تستجيب وزارة التربية والتعليم لمطالبهم ـ بالتقليل من التعليم الثانوى العام ، الذى يؤدى فقط الى الجامعة ، والاكثار من التعليم الفنى الزراعى والصناعى والتجارى ، ويتجاهلون ان انشاء مدرسة صناعية او زراعية يكلف اضعاف مايكلفه انشاء مدرسة ثانوية عادية (تماما كالفرق بين الكليات العملية والكليات النظرية) ومن هنا يصبح بعض التعليم الفنى اما زراعيا او صناعيا ضعيف الاعداد ، واما تجاريا لايختلف كثيرا عن الثانوى العادى ، فيتخرج الطالب من هذا او ذاك ليبحث عن وظيفة مكتبية ، لانه لايحسن عملا اخر .

● الدور التنويرى للمدرسة

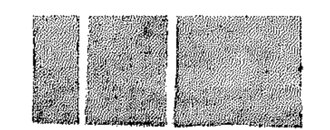
اننا نلح على الجانب الاقتصادى للمشكلة التعليمية لان الاقتصاد هو ـ

بالفعل ـ اهم مايشغلنا فى الوقت الحاضر ، ولكننا لاننسى الدور التنويرى للمدرسة ، ولاسيما فى بلد متخلف ، ولاأثر التعليم فى تكوين الشخصية المكتملة . اننا حين نفتح مدرسة لنجمع فيها الاطفال بدلا من تركهم يهيمون فى الشوارع ، او تسليمهم لكبار جهلاء نحميهم حقا من اضرار كثيرة محتملة ، ولكننا نحرمهم ايضا من فوائد كثيرة ممكنة .. اقرأ سيرة جوركى باجزائها الثلاثة : طفولتى ، بينما اكسب عيشى ، جامعاتى ، لترى كيف يمكن ان يتعلم صبى فقير في مجتمع متخلف لايمنحه الا القليل جدا من التعليم المنتظم ، صبى يضطر الى العمل لكسب قوته وهو بعد طفل ، لعلك تقول : جوركى عبقرى مثل داروين واينشتين ، ولايقاس على العباقرة ، ولكننى اسالك : هل كانت تتاح لهذا العبقرى تجارب كالتى مر بها وهو يعمل صبيا فى حانوت بائع احذية ، او مساعدا للطاهى فى سفينة نهرية ، لو ان النظام المدرسى تولى امره ليعزله عن تجارب الحياة بخيرها وشرها ؟ اليس دور المدرسة فى مجتمع كمجتمعنا سلبيا الى حد كبير فهى تقى الطفل (إلى حد ما فقط) من المؤثرات الخارجية الضارة ، ولكنها فى الوقت نفسه تحرمه من تنمية قدراته على الملاحظة والاستنتاج ، وتكبت نشاطه الجسمى والعقلى بوجه عام ؟

أليس من السخرية ان تنفق الدولة الفقيرة اموالا طائلة لتحول الاجيال الجديدة الى نسخ مكررة من فكر ضحل ، وشخصية باهتة لاتضيف شيئا الى الحياة ، ولاتستمتع هى نفسها بالحياة ؟ أليس من الواجب ان نتوقف قليلا ، لنواجه المشكلة من الجذور ؟

امامنا آلاف الابنية التى تسميها مدارس . بيوت ضخمة يحبس فيها الاطفال والشباب فترة من النهار ، وبعضهم يثور على هذا الحبس فتراهم يقفزون من فوق السور بعد « اخذ الغياب » تحديد النسل لم ينفع للتقليل من اعدادهم الوفيرة ، ولعل هذا الفشل راجع جزئيا على الأقل الى ان الاباء والامهات لايفكرون فى مستقبل هؤلاء الابناء لانهم هم انفسهم لايملكون وعيا حقيقيا بقيمة الحياة وقيمة التفكير . من هذه المدارس ـ عفوا ، من هذه السجون يتخرج كل عام مئات الالوف من العاطلين واليائسين ، الا يمكننا ان نتيح لهم فرصا افضل ؟

عندما نفكر على هذا النحو نجد انفسنا رافضين للوضع القائم ، غير مستعدين لمناقشة الاف المشكلات الصغيرة التى تترتب عليه . بدلا من ذلك نبنى فى خيالنا نموذجا اخر مختلفا كل الاختلاف ، بعبارة اخرى نحلم بمدن فاضلة لاأثر فيها لهذه المشكلات . وعندما نتحول هكذا الى فلاسفة طوبويين يضحك منا الناس العمليون ويستمرون على ماهم فيه . تستمر الكتب الرديئة والمدرس الممرور والحبس فى الفصول والقفز



فوق السور . فالحلم المثالى لايعنى سوى المثاليين ، ولن يكون له من قيمة الا اذا نزلنا به الى الواقع .

كيف ؟ اننا لاندعو الى هدم المدارس الموجودة ، ولا الى تسريح المدرسين ، بل اننا ندعو الى تأهيل الالوف المؤلفة من الموظفين الزائدين عن الحاجة فى جميع التخصصات ليكونوا مدرسين ناجحين ، وندعو الى تغيير الفكرة عن التعليم وعندما تتغير الفكرة سوف يتغير المكان ، وككل نظام جديد ، ندعو الى ان يقوم النظام الجديد للتعليم بجانب النظام القديم ليحل محله آخر الامر .

فى مصر « مجتمعات جديدة » فى العاشر من رمضان و٦ اكتوبر ومدينة السادات ، والبقية تأتى ، فلاغنى عن انشاء المدن الجديدة لمواجهة الزيادة فى السكان والحاجة الى التوسع الزراعى والصناعى . والمدن الجديدة فى حاجة الى خدمات والتعليم على رأس هذه الخدمات وهى ـ بعد مدن قائمة على مؤسسات انتاجية فهى تهيىء فرصة نادرة لنظام تعليمى جديد يربط التعليم بالعمل .

لا اظن اننا نقدم على مغامرة خطيرة او نحمل هذه المؤسسات عبئا كبيرا لو ألزمنا كل مؤسسة من هذه المؤسسات ـ او التزمت هى من تلقاء نفسها ـ بان تتبعها مدرسة اعدادية صغيرة ويمكن ان تشترك مجموعة من المؤسسات المتقاربة الموقع فى مدرسة واحدة . وعلى كل حال فان المطلوب ـ تعليميا ـ يمكن ان يقتصر على غرفة واحدة ! فى جوانب هذه الغرفة خزائن صغيرة تحتوى على الكتب ووسائل الايضاح الضرورية وتتناوب التعليم المكتبى فى هذه الغرفة فرق التعليم الاعدادى الثلاث ، لانهم سيمضون ثلث « اليوم المدرسى » فقط فى هذا المكان ، وفى الثلث الثانى سيقومون بعمل مساعدين فى المؤسسة الزراعية او الصناعية الملحقة بها هذه « المدرسة » اما الثلث الاخير فسيقضونه فى ملاعب رعاية الشباب . ولن يكون التوفيق بين هذه الاوقات صعبا ، فالخبراء فى اعداد الجداول فى مدارسنا حاذقون فى مراعاة اعتبارات لاتحصى : هذا المدرس بيته بعيد فلا يأخذ الحصة الاولى ولا الثانية ، وهذا لايأتى يوم كذا لانه يسافر اسبوعيا الى قريته ، وهذا يحب ان ينصرف مبكرا لاسباب تخصه ، الخ ، وعلى كل حال فتتمة الاقتراح ، ان يكون للفرقة الواحدة معلم واحد ، يتفق تخصصه مع عمل المؤسسة ويعد اعدادا تربويا ملائما ، بما فى ذلك ان يعتنى هو نفسه بثقافته العامة ، التى لايحتاج الى اكثر منها ليكون مرشدا لطالب المرحلة الاعدادية .

هل هناك ماهو ايسر من هذا النظام ؟ اننا لاننسى ، مع وفائه بكل شروط التعليم الصحيح ، ان الطالب سيتقدم بعد ثلاث سنوات الى امتحان

الشهادة الاعدادية وسيظفر بهذه الشهادة العزيزة على قلوب الجميع وليس ثمة مايمنع بعد النجاح فى هذه المرحلة ، من ان تنظم المرحلة الثانوية على الاسس نفسها ، مع تعديلات طفيفة وسينمو هذا النظام ويتسع بنمو المجتمعات الجديدة ، وسيرسمان معا نمطا جديدا للحياة فى مصر ، حياة لاتعرف اليأس ولا الاحباط ، ولا التعصب ولا ضيق الافق ، ولا الكسل ولا الاعتماد دائما على الغير ، وسيفتح نموذج « المدرسة الجديدة » كنموذج « المجتمع الجديد » افاقا رحبة امام مصر كلها . سنمر امام مدارسنا الحالية بضجيجها الفوضوى واسوارها العالية التى لا تمنع التلاميذ - رغم علوها - من القفز فوقها فنتنسم منها وحولها روائح المستقبل لانها اصبحت خلايا علم وعمل .

● القاعدة والقمة

هذه صورة لنظام التعليم كما نتخيله للمرحلتين الاعدادية والثانوية وهى كما نرى لاتنفصل عن صورة المجتمع الرشيد المنتج الذى نتخيله . علينا ان نحاذر من حلم « المدينة الفاضلة » كما نحاذر من الاستسلام للواقع ، فكلاهما - كما يقال - وجهان لعملة واحدة بل أن كثيرا من الاحلام المتواضعة (كحلم تحسين نظام الامتحان مثلا) تظل مستحيلة التحقيق لانها تنسى او تتناسى الواقع فى مجموعه ، ولاتنظر الا الى جزئية واحدة منه ، وقد اقتصرنا فى حديثنا اليوم على المرحلتين الاعدادية والثانوية لانهما (وهما متكاملتان فى الحقيقة) المرحلة التى يتفتح فيها وعى الناشىء لمعنى « المواطنة » ويبدأ التفكير فى مستقبله . فهما - من ثمة - مرتبطتان اوثق الارتباط بمستقبل الامة .. مطلب النمو الطبيعى فى هذه المرحلة ان يصبح الفرد مواطنا ، اى عضوا فى مجتمع ، له حقوق وعليه مسئوليات . ولكنه لن ينجح فى هذه المرحلة الا اذا عبر المرحلة السابقة لها بنجاح .. اعنى مرحلة الطفولة التى يتلقى فيها الرعاية ، ولايحسن سوى اللعب ، ثم ان بعد مرحلة « المواطن المسئول » مرحلة اعلى وهى مرحلة المواطن المتميز بخبرة خاصة وكفاءة غير عادية واذا كانت المرحلة الاولى حقا للجميع ، فان المرحلة الاخيرة فرض كفاية على القلة . ان التعليم الابتدائى والتعليم الجامعى هما القاعدة والقمة ، ومشكلاتهما فى بلادنا لاتقل عن مشكلات مرحلة الاعداد المهنى ولكن الحلول المناسبة لهذه المشكلات قد لاتكون صعبة اذا استعنا بالخيال المرتبط بالواقع .

والكاتب - كما قلت غير مرة - لايرسم سياسات ولايضع خططا ، ان دوره لايعدو التنمية واثارة الفكر والخيال ، واذا استطاع ان يجعل فكره وخياله ملكا للجميع فقد هيأ التربة لتتلقى سياسات وخططا ناجحة . فلعلك - ايها القارىء العزيز - لاتضيق بهذه المقالات ، حتى تحدثك ، فى أشهر مقبلة ، عن قاعدة التعليم وقمته : التعليم الابتدائى والتعليم الجامعى .

● ● يروى ان طاليس ــ اول فلاسفة اليونان ــ كان يمشى ذات يوم مشدود البصر الى النجــوم ، فتعثر فوقع فى بئر . ورأته عندئذ فتاة تراقية (اى من تراقيا) فضحكت منه وقالت ســاخرة ((انك لحرصك على معرفة ما يدور فى السماء لا تدرى ماذا يجرى عنــد قدميك)) .

الفتاة الــتى سخرت من الفيلسوف

وهـذا السكون الذى يحيط بنـا كحــبل المشــنقة

بقلم : عبد الرشيد الصادق المحمودى

يروى القصة افلاطون فى محاورته عن « ثياتيتوس » . ونقلها عنه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى فاتحة كتابه « لم الفلسفة ؟ » (الاسكندرية ، ١٩٨١) . وكان جديرا به ان ينقل للقارىء شيئا مما قاله افلاطون تعليقا على سخرية الفتاة وما يكمن فى هذه السخرية من نقد للفلاسفة لا زال يتردد عبر القرون ، وهــو انهم يجهلون شئون الدنيا .

اما افلاطون ، فقد تقبل التهمة عن طيب خاطــر . فالفيلسوف فى رأى افلاطون غريب عما يحيط به لا يدرى ماذا يدور من حوله عاجز عن التصــدى لمشكلات الحياة اليومية . انه لا يعيش فى المدينة الا بجسمه ، بل هو يجهل مــا اذا كان اقرب جيرانه انسانا ام حيوانا ، ولا يستطيع ان يرد على الاهانة اذا وجهت اليه . ولابد ان يكون مثارا للسخرية فهو يبدو بين الناس عاجزا زريــا عييا كانه الابله .

ولكن افلاطون لا يتفنن فى رسم هذا الوضع المزرى الا ليرفع من شــان الفيلسوف . فما تصوره فى فن الحياة الا دليل على حريته . ان الفيلســوف فى



رأى افلاطون انسان حر ، لانه ينفق وقته فى البحث عن الحقيقة ، لا يعنيه كم تمضى من الوقت فى التفكير بحاجاتها · وهو لم يتعلم فى مدرسة الحياة ولم يخضع للاقوياء فيها ، وهو الذى لم يتقن العيش والعمل تحت وطأتهم · ولم يكتسب القدرة على قول أو عمل ما يرضيهم · وهو لا يخالط السادة ولا يعنيه نور السلطة او الجاه او الثروة او النسب العريق · وهو لا يتردد على مجامع الساسة ومنتدياتهم ومآدبهم · وليس لنا أن نلوم هذا الذى لم يتدرب الا على الحرية والفراغ اذا بدا ساذجا قليل الحيلة عند اداء عمل من الاعمال اليدوية او الدنيوية « كطى الفراش او تتبيل الطعام او تنميق الكلام » · فمجاله هو الافق الاعلى ، لا يتحرك الا محلقا فى كل مكان تحت الارض وفيها وراء السماء ، فيقيس الارض ويجوب السماوات ويستكشف الطبيعة بأسرها وجميع الاشياء كاملة · وتستطيع الفتاة التراقية الآن ان تضحك ما شاءت ، لان سخريتها من الفيلسوف انما تدل على أنه يحقق مهمته وتؤكد انتماءه الى مستوى من العلم والحقائق يفوق الارض وما عليها ·

ووضع الفيلسوف كما يصورة افلاطون يكاد يطابق وضع الشاعر كما يتغناه بودلير فى قصيدته عن طائر البحر الذى يدعى « القطرس » . أذ يحدث احيانا أن يقتنص البحارة هذا الطائر الذى يتبع السفن وهى تنزلق فوق الاعماق . فاذا وضعوه على خشب السفينة ناء بجناحيه الطويلين الابيضين فتدليا على جانبيه وأخذ يتخبط كالاعرج وصار دميما مثيرا للسخرية وسط صياح البحـــــــارة واستخفافهم . ولكن لا حرج على المسافر المجنح الجميل ، أمير السحب الذى يطارد العواصف ويهزأ بالرماة ، فما خلق جناحاه لارضاء البحارة . وكـــذلك شأن الشاعر بين الناس ، فهو لا يحيا بينهم الا منفيا .

ولكن عبد الغفار مكاوى لا يستطيع أن يدير ظهره للفتاة التراقية ولـــلارض الصلبة التى تقف عليها . صدى ضحكاتها لازال يتردد عبر القرون حتى يبـــلغ سمعه . وهى لا تفتأ تمثل على صفحات كتابه بصورة أو بأخرى حتى « الطيف » الذى كان يزور شعراء الغزل القدامى . فاذا لم تظهر بنفسها جاءت فى صورة من ينوب عنها . فالمؤلف يتخيل فى موضع ما من كتابه أن السؤال عن موضوع الفلسفة وجدواها يأتيه من فتى أو فتاة من أهل هذا العصر . بل ان من بيـــن الفلاسفة أنفسهم من قد يطرح السؤال ويتبنى النقد والاتهام . واذا لم ينطق عن الفتاة شخص أو اخر ، فان الواقع كما نشهده ــ وخاصة اذا كنا من أبنـــاء العالم الثالث ومصر على وجه التحديد ــ كفيل بالافصاح . أمثلة للمشكلات التى يطرحها الواقع : « موقفنا من الماضى : تسلط الموتى على الاحيـــاء حتى كادت الآية تنعكس ويصبح الموتى هم الاحياء .. السكون ــ لحد الجمود ــ الذى يحيط بحياتنا كحبل المشنقة ، ويحول بيننا وبين التحرك والتغير .. سوء اســـتخدام الحرية واساءة فهمها ... تسلط الكلمات الجارية علينا ... « طبائع الاستبداد» الغالب علينا من الاب فى المنزل والشرطى فى الشارع والموظف فى المكتب والمعـلم فى المدرســة ، عبر درجــــات الهــــرم الموروث المشــــئوم ، آثـــار التغيـرات الاجتماعية والاقتصادية والتقنية على تغيرات الوعى والقيم ، اندحار معظم القيم الايجابية فى مجتمع الاستقرار (الزراعى) القديم لتحل محلها قيم (المدينـة) السلبية الضارية ... » الى آخر القائمة المفزعة المألوفة . ماذا يمكن للفلســفة أن تفعل بازاء هذا الواقع الصارخ ؟

كيف يستطيع أستاذ الفلسفة أن يقنع طلابه اليوم بأن الفلسفة يمكنـــها أن تعالج الواقع ــ هذا الواقع ؟ ذلك الآن هو وضع مؤلف « لم الفلسفة ؟ » ، وهو وضع لا يحسد عليه . انه ليذكرنى بحالى ذات يوم عندما طـــلب الى أن ألقى درسا فى المنطق فى احدى المدارس الثانوية بالسيدة زينب . وكان الفصـــــل المعنى يسمى « خامسة تاسع » أى الفصل التاسع من السنة الخامســــــة (أو التوجيهية) . ولعلنى بدأت الدرس بقولى : « سنتحدث الان عن المفهــــوم والماصدق » أو شيئا من هذا القبيل ، فكأنى ألقيت فى الفصل قنبلة . فلقد كان « خامسة تاسع » يضم كل الحالات المزمنة والمستعصية من المخضرمين وفحـــول الراسبين فى المدرسة ، وما أن سمعوا تلك العبارة حتى انفجر الضجيج لـــمدة عشرين دقيقة :ضرب بالايدى على القماطر ودق بالكعوب على الارض ومـــواء وعواء ونباح ونهيق وصهيل وصفير . ولقد خيل الى حينئـــذ اننى وقعت فى مغارة للشطار وحاملى المطاوى والمشارط ، وكان على أن أتوقع بين لحظة وأخرى

دخول الاستاذ الذى كان يدرسنى حينئذ على التدريس ليقيم ـ من بين ما يقيم ـ قدرتى على التحكم فى الطلاب واستثارة اهتمامهم · ولكن حالى يومئذ لا يقارن بحال كاتب « لم الفلسفة ؟ » اليوم · فلقد تفاقم الكابوس واتسع نطاقه وانى لاقدر انه لم يخف شيئا من جوانب الازمة ، ولابد لقارئه أن يلاحظ بوضوح ما فى الكتاب من توتر عنيف · فهناك من ناحية حرص المؤلف على أن يثبت أن للفلسفة دورا تلعبه فى الواقع ، وهو حرص شديد يدفعه الى أن يحشد كل تاريخ للفلسفة للرد على تلك الملاحظة التى أبدتها فتاة رقيقة الحال (يصفها افلاطون بأنها خادم) ذات يوم من أيام القرن السادس قبل الميلاد · وهناك من ناحية أخرى ثقل الواقع وكثافته ، وعبد الغفار مكاوى لا يألو جهدا ـ بما أوتى من مواهب قصصية وشعرية ـ فى تقديمه للقارىء مفصلا وفى صورته « الخام » · ويمتد التوتر فى بعض الاحيان ليظهر صارخا فى صور الكاتب ولغته · فسقراط يهبط حافيا الى الاسواق ليناقش الناس فى المشكلات الفلسفية ، والفيلسوف لا ينظر الى النجوم الا وقدماه فى الوحل ، ونيتشه الذى يريد أن يخاطب الناس بالمطرقة· وترتفع اللهجة تارة لتشبه لغة الوعاظ والعرافين والمهددين بالويل والثبور ، ثم تنخفض تارة أخرى الى مستوى النجوى أو المونولوج الداخلى لتعرب عن الاسى والقنوط · وفى الكتاب شىء يذكرنا برواية « ثرثرة فوق النيل » لنجيب محفوظ وبأنيس زكى على وجه التحديد · فهناك امال كبار ووعى فادح بأن الامور قد خرجت أو بسبيلها الى أن تخرج من نطاق الفكر والارادة ·

ويترتب على ذلك أن قارىء الكتاب لا يمكن أن يقف منه موقف اللامبالاة · فهو ممتع مشوق وهو مثير للسخط وهو فى الحالتين حافز على التفكير ·ولاسجل اذن فى بداية النقد أننى مدين له ، فقد دفعنى الى الكتابة دفعا · بل ولقد أومأ فى بعض الحالات الى الطريق الذى ينبغى أن أسلكه ـ على خلافه ·

يحاول الدكتور عبد الغفار مكاوى أن يثبت أن الفلسفة تعنى بالواقع وبالواقع الاجتماعى بصفة خاصة · لكن المحاولة تنطوى على غموض أساسى لابد من ازالته · اذ يبدو أحيانا أن المؤلف يتخذ طريقا سهلا الى الرد ، وهو أنينكر التهمة من أصلها ، فيقول أو يبدو كأنه يقول أن الفلسفة لم تكن فى يوم من الايام معزولة عن الواقع أو غافلة عنه · صحيح أن طاليس كان يمشى مشدود البصر الى السماء ، لكنه كان يرصدها لنفع الناس وخير محاصيلهم ، ولقد كان هو نفسه مزارعا وتاجرا ناجحا ، ولقد كانت لافلاطون وأرسطو وهيجلوغيرهم صلات وثيقة بالحكام وشئون الحكم · وكثيرة هى الاشياء التى يمكن أن تقال فى هذا الصدد · الم يؤسس أرسطو عدة علوم بداية من الميتافيزيقا حتى الخطابةومرورا بعلوم الطبيعة والحياة والنفس والسياسة والاخلاق ؟ والم يقل هيجل أن الفلسفة هى عصرها معبرا عنه بالافكار ؟ أو لم يشبهها ببومة منرفا ـ ربة الحكمة التى لا تظهر الا فى المساء ، وذلك أن الفلسفة تأتى فى نهاية الفترة التاريخية لتجمع أطراف ما حدث وتترجمه الى لغة الفكر ؟

ولكن مؤلف « لم الفلسفة ؟ » لا يكاد يطرق هذا الباب حتى يرتد منه ـ أو هكذا يبدو · وذلك أن هناك مشكلة حقيقية لا تمسها تلك الاقوال التى تقنع بما هو عام وظاهر ، ولا تتناول موقف الفلاسفة من الدنيا وهم يتناولونها على صعيد الفكر · فمن الممكن أن نسلم بأن الفلاسفة كانوا دائما على علم بالواقع، وبأن كبارهم يعدون أعلم أهل زمانهم بتطور الاحداث والمعارف ، وبأن معظمهم

يتصرفون في الحياة اليومية كما يتصرف سائر الناس ، وبان بعضهم أكثر في هذا الميدان حذقا وتبصرا ولياقة من رجال العمل والسياسة • ولكن ذلك كله لا ينفي أن كثيرا من الفلاسفة الذين لا يعيبهم الجهل بأى حـــــال يمارسون نوعا من التجهيل ، فهم في فلسفاتهم لا يتصلون بالواقع الا لينفصلوا عنه ، ولا يلمون به الا ليدرجوه في دائرة الاوهام والاحلام ، أو ليعتبروه نسخة مشوهة من عالم علوى أو مظهرا لحقيقة كامنة عندما يقول أفلاطون أن الفيلسوف يجهل ما اذا كان أقرب جيرانه انسانا أم حيوانا ، فانه يريد أن يقول أن الفيلسوف منصرف عن العالم بكل ما فيه • فالفيلسوف لا يتساءل عن جاره لانه معنى بالبحث في ماهية الانسان • ولا يهتم بالحاكم لانه مشغول بالحكم في ذاته ، ولا يولى أى اعتبار لسعادة هذا الفرد أو ذاك لانه منصرف الى النظر في السعادة البشرية بصـــفة عامة • ولكن افلاطون يفترض ايضا أن هذه الماهيات أو الحقائق توجد في عالم قائم بذاته هو عالم المثل • ويؤدى ذلك أن الفيلسوف يبدأ بالاشياء كما نصادفها جميعا ، ثم يقتص منها على ماهياتها ، ثم يجرد هذه الماهيات ويضعها في عالم عـــلوى ، ليتـــاح له عندئذ أن يزعـم أن الماهيـــات في هـــذا العـــالم المثـــالي هي الموضوعات الحقيقية للنظر الفلسفي ، وان يركل الاشياء الواقعية بوصفها نسخا مشوهة من مثلها العليا •

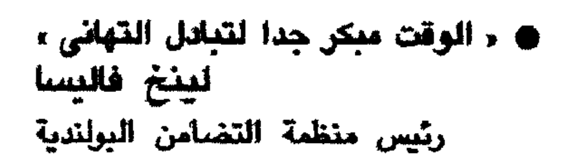
ولا ينبغي أن ننخدع بقولة هيجل أن الفلسفة هي عصرها معبـــرا عنـــه بالافكار • فهذا القول البرىء في ظاهر الامر يعني في الحقيقة أن الفلســـفة (كمجموعة من الافكار) هي عصرها (كمجموعة من الاوضاع والاحــــداث التاريخية) تشملهما ، لانهما كليهما ليسا الا وجهين لمرحلة من مراحل تحـــقق الروح المطلق • وهو اذن يوحد بين الفلسفة وعصرها ليدرجهما في جوف الحوت الذى يبتلع كل شيء أى المطلق •

ومثل هذه الفلسفات تنطوى اذن على ما هو أخطر من الجهل لانها تقوم على محاولة منظمة للالمام بكل الموجودات التى تعرفها بقية الحط من شـــأنها بحيث لا تصلح للدراسة الا بقدر ما تؤدى الدراسة الى انكارها • وماذا يجـــنى الانســـان العادى من علم الفيلسوف اذا كان ينتهى الى أن الأوضاع الفردية ليســـت الا أوهاما أو حلقات في دراما كونية روحية مطلقة ؟ أو لا تؤدى مثل هذه الفلسفة الى توطيد دعائم الظلم والطغيان ؟

وتلك هي اذن المشكلة الحقيقية التى تواجه عبد الغفار مكاوى وأى فيلسوف آخر يحاول أن يدافع عن صلة الفلسفة بالحياة • فليست مهمة هذا الفيلســـوف أن يرجع الى سير الفلاسفة لكى يبين الى أى حد كانوا على علم بما يجـــــرى في عصرهم ، وانما عليه أن يثبت بالمنطق والبرهان أن الفلسفة بطبيعتها يمـــكن أو ينبغى أن تدرس الواقع وأن الاشياء في هذا الواقع بحكم وجودها ذاته أن تكون موضوعا للنظر الفلسفى • على هذا الفيلسوف بعبارة أخرى أن يرد الاعتبـــار للفلسفة وللاشياء الواقع عن طريق البحث النظرى في طبيعة المعرفة الفلسفية وفي وجود الاشياء الواقعية • وفي مثل هذا البحث يكمن الرد المقنع على سخرية الفتاة التراقيـــة •

وهناك من الشواهد ما يدل على أن مؤلف كتاب « لم الفلسفة ؟ » يتحرك في هذا الاتجاه الفلسفى • ولكننا لا نكاد نهتم بهذه البوادر التى تبشر بالخيـــر حتى تتبدد كالسراب • فالى مقالة قادمة نرصد فيها ظهورها واختفاءها •

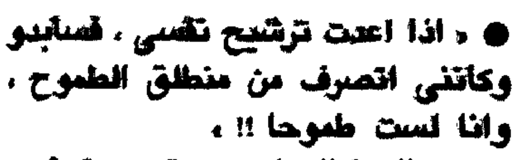




● « الوقت مبكر جدا لتبادل التهاني »
لينخ فاليسا
رئيس منظمة التضامن البولندية

لينخ فاليسا

● « الحالة الاقتصادية تزداد سوءاً »
ليونيد أبالكين
نائب رئيس الوزراء السوفيتى



● « اذا اعدت ترشيح نفسى ، فسابدو وكانتى اتصرف من منطلق الطموح ، وانا لست طموحا !! »
الجنرال اوجوستو بيتوشيه
رئيس جمهورية شيلى



اوجوستو

● « من ليس ضدنا فهو معنا »
يانوس كاداو
الأمين العام السابق الحزب الشيوعى المجرى

● « تاييد الكونجرس لأسرائيل فى الذروة »
دانييل انويى
عضو مجلس الشيوخ الامريكى

● « التنوير والتثوير يجب ان يتم من الداخل ، اما ما يأتى من الخارج فلا معنى له »
المفكر
د . محمد عابد الجابرى

اندريه جروميكو



● « الشيخوخة شىء عنيد ، ولامهرب منها »
اندرية جروميكو
الرئيس السابق للاتحاد السوفيتى

● « جروميكو اساسا كان محاربا من محاربى الحرب الباردة »
لورد كارنجتون

إمبراطور الصين

والاعتراف الأخير

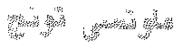
بقلم: عبد الرحمن شاكر

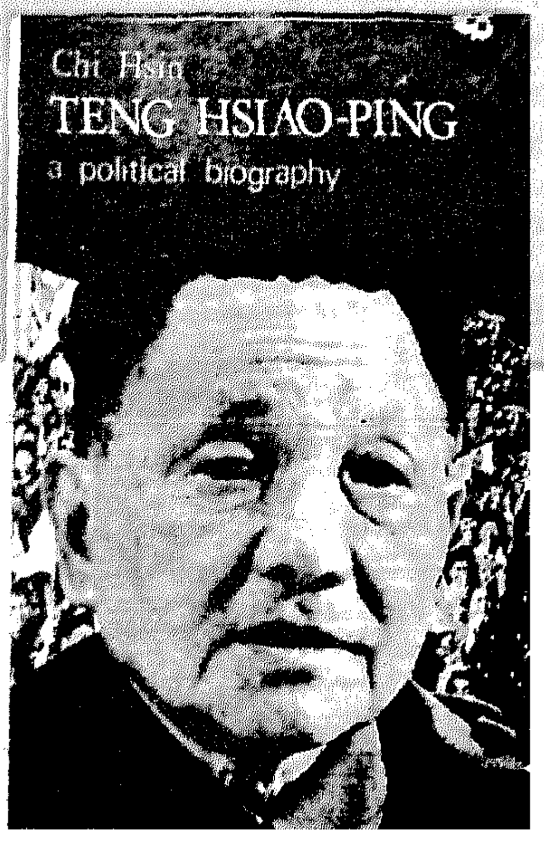
لم يكد يمضي شهر واحد على اقتحام الدبابات الصينية ميدان "تيان إن مين" بالعاصمة بكين لقمع مظاهرات الطلبة فيه ، حتى كان الزعيم الصينى الكبير "دنج سيلوبنج" يدعو الى الحد من عدد الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام من المنشقين او المتمردين على السلطة ، ومديرى تلك المظاهرات ، كذلك دعا الزعيم الصينى الى اتخاذ اجراء ضد الفساد الذى أدى الى فقدان الثقة بالحزب الشيوعى لدى الجماهير .

وكان سببا فى الاضطرابات التى شهدتها الصين أخيرا وقال ان عائلات كبار الموظفين" متورطة فى هذا الفساد ! وبالطبع لم يذهب دنج سياوبنج فى اعترافه الى حد التسليم بأن ابنه هو شخصيا احد هؤلاء المتورطين ، كما لم يعترف بأن المطالبة بالديمقراطية التى يصفها بـ "الليبرالية البرجوازية" إنما هى لكشف هذا الفساد وبدونها سوف يظل يستشرى تحت مظلة الاستبداد وأن تلك هى الحقيقة التاريخية التى كشفت عنها تجربة مختلف المجتمعات !

وقصة دنج سياوبنج ، مع الاعتراف بالأخطاء ، قديمة ، مع انه عرف فترة فى دوائر الحزب الشيوعى الصينى بأنه الرجل الذى هو على حق دائما ! وقبل أن يدب الخلاف بين ماوتسى تونج وخروشوف ، كان هذا الاخير فى زيارة للصين وقدم اليه ماوتسى تونج ، دنج سياوبنج بقوله : "انظر الى هذا الرجل الضئيل الحجم ، انه شديد الذكاء وينتظره مستقبل عظيم" وبعد سنوات كان ماوتسى تونج يصيح غاضبا : "من هو هذا الامبراطور" الذى يتخذ قرارات من وراء ظهورنا ؟ ويعنى ذلك "دنج سياوبنج" ، الذى كان قد اصبح سكرتيرا عاما للجنة المركزية فى الحزب الشيوعى الصينى واحيانا اخرى كان "ماو" يصرح باسمه ويقول







ان "دنج سياوبنج يمثل مملكة وحدة !"

ولد دنج سياوبنج عام ١٩٠٤ لأسرة اقطاعية وكان يحمل اسم "كان تسى كاو" ، واستبدل به اسمه الحالى حينما التحق بالحزب الشيوعى الصينى عام ١٩٢٥ . وقد سافر وهو فى السادسة عشرة من عمره فى عام ١٩٢٠ الى فرنسا لاستكمال دراسته وهناك التحق برابطة الشباب الاشتراكى الصينى التى اعيد تشكيلها تحت اسم رابطة الشباب الشيوعى الصينى عام ١٩٢١ ثم اصبحت هى الفرع الاوربى العام للحزب الشيوعى الصينى الذى أعلن تشكيله فى شنغهاى فى نفس العام وتوجه شوان لاى من المانيا الى فرنسا ليحضر الاجتماع الذى اعلن فيه تشكيل هذا الفرع وكان بمثابة منظمة شبه سرية لمساعدة الطلبة الصينيين الذين اوفدتهم الحكومة الصينية فى بعثات خارجية على تدبير شئون معاشهم من ناحية ولنشر الفكر الاشتراكى والشيوعى بينهم من ناحية اخرى . ولاشك ان ذكريات هذه الأعوام المبكرة من حياة الزعيم الصينى تعاوده بشدة وهو يشهد الطلبة الصينيين المبعوثين حاليا الى الخارج يشكلون اتحادا ديمقراطيا مستقلا ، فى فرنسا ايضا ويرفض اكثر من نصفهم اى حوالى ٢٥ الف طالب العودة الى الصين الا اذا اقرت

والاعتراف الاخير

فيها الحريات الديمقراطية !

● النبوغ العسكري

وفي واقع الامر لم يتعلم دنج سياوبنج في المدارس الفرنسية شيئا ! فقد كانت خطته في البداية ان يعمل نصف الوقت ـ لكي يعيش كما هو الحال بالنسبة لكثير من زملائه ونصفه الآخر يدرس فيه ، ولكن بدلا من ذلك التحق بمصنع للاحذية "الكاوتشوك" في فرنسا وظل به خمس سنوات حتى عاد الى الصين ! ولكن اظهر مهارة قيادية بارزة في نشاطه السياسي من خلال رابطة الطلبة الشيوعيين .

وبعد عودته من باريس ، التحق دنج سياوبنج لفترة قصيرة بجامعة صن يات سن (مؤسس الجمهورية الصينية) ولكنه سرعان ما ترك الدراسة وانخرط في النشاط السياسي المكثف للحزب الشيوعي الصيني في الفترة الحرجة التي اعقبت وفاة صن يات سن ، بالتالي تمزق جبهة الكومنتانج ، التي كان صن يات سن يعترف بدور للشيوعيين فيها وبدأت سياسة شيان كاي شيك في القضاء عليهم وعلى وجودهم السياسي في تلك الفترة رسم ماوتسي تونج استراتيجية جديدة للشيوعيين تقوم على التوجه الى الفلاحين واثارتهم ضد ملاك الأراضي الاقطاعيين واغرائهم باقتسام الأرض فيما بينهم وتشكيل فرق مسلحة للدفاع عنها ، اصبحت فيما بعد هي جيش التحرير الشعبي الصيني الذي كان ماو يدعو الى تجنيد الطلبة ليكونوا ضباطا لهذا الجيش ، وكان دنج سياوبنج واحدا من هؤلاء الضباط الطلبة وتولى مسئولية قيادية في "الجيش السابع" حديث التكوين وعين عميدا للاكاديمية صن يات سن العسكرية في ضواحي مدينة سيان بمقاطعة تشانسي ومن هذا الموقع قام بمناورة بارعة في التحالف مع بعض امراء الجند الاقطاعيين لصد احدى حملات شيان كاي شيك لابادة الشيوعيين مستغلا روح المنافسة بين هؤلاء الافراد وبعضهم البعض من جانب ، وخشيتهم من سطوة الحكومة المركزية بزعامة شيان كاي شيك من جانب آخر .

كذلك ظهرت براعة دنج سياوبنج العسكرية في المسيرة الكبرى ، التي رحل فيها الجيش الاحمر من قاعدته في الجنوب الى قاعدة اخرى في شمال غرب الصين تعرف باسم "يينان" على الحدود السوفييتية حيث استوعب جيدا استراتيجية رئيس اللجنة العسكرية الجديد في الحزب وهو ماوتسي تونج شخصيا ، تلك الاستراتيجية التي تقوم اساسا على

حرب العصابات بعد أن كان دنج سياوبنج اعترف بخطئه فى اتباع خط "وانج بنج" فى الحرب التقليدية التى كبدت الجيش الصينى الاحمر خسائر فادحة وعوقب على هذا الخطأ بتعيينه رئيسا لتحرير جريدة النجم الاحمر (جريدة الجيش الاحمر الصينى) بدلا من العمل العسكرى المباشر وعاد دنج الى العمل العسكرى بعد أن ايد بقوة ماوتسى تونج ضد وانج بنج وهو ذات المسلك الذى سوف يتبعه بعد ذلك فى نقد ليوتشاوتش والاعتراف عليه وعلى نفسه معا !

من هـذه البراعـة العسكريـة والاستراتيجية انه فى ظل الحصار الذى كان يفرضه شيان كاى شيك على بعض فرق الجيش الاحمر وفى مواجهة الغزو اليابانى ونقص المؤن التى يحصل عليها هذا الجيش امر دنج سياوبنج رجاله بان يزرعوا الارض بأنفسهم وهم فلاحـون اساسـا ـ ويستنبتوا منها ما يحتاجونه من غذاء وفائض يحصلون مقابله على بقية المؤن من- المـلابس الى طلقات الرصاص .

وقد مكنت المسيرة الكبرى الجيش الاحمر وهجرته الى الشمال حيث بدأ الغزو اليابانى علم ١٩٢٤ ، فى ان يثبت للشعب الصينى انه هو القوة الرئيسية فى النضال ضد هذا الغزو وحينما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ تجددت الحرب الاهلية بين الكومنتانج برئاسة شيان كاى شيك وتأييد الولايات المتحدة الامريكية والحزب الشيوعى وجيشه الاحمر بتأييد الاتحاد السوفيتى وقام دنج سياوبنج بدور كبير فى حصار بكين (عاصمة شيان كاى شيك) واسقاطها ومن ثم اعلان قيام جمهورية الصين الشعبيـة ١٩٤٩ واصبح "دنج" واحدا من ابرز قادتها :

● دعاة الطريق الراسمالى

كان دنج سياوبنج هو مبعوث مـاوتسى تونـج لحضور المؤتمـر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى عام ١٩٥٦ وهوالمؤتمر الذى اعلن فيه خروشوف نقده لسياسة تقديس الفرد التى اتبعها الحزب ايام ستالين وترتب عليها كثير من الفضائح التى ارتكبها الزعيم "المقدس" وعاد دنج الى الصين ممتلئا بالحماسة لما فعله خروشوف بزعيمه السابق ولكن اخذ عليه انه ربط مابين ادانة تقديس الفرد من ناحية ومن ناحية اخرى لقراره بامكانية قيام الاشتراكية بالطريق البرلمانى فى بعض البلدان التى استقرت فيها الديمقراطية رغم ان العلاقة ما بين الاثنين واضحة حيث ان مصدر تقديس الفرد كان هو التزام الشيـوعيين بمبـدأ ديكتـاتوريـة



والاعتراف الاخير

البروليتاريا او الحزب الشيوعى وهو الامر الذى لم يدر بخلد دنج سياوبنج أن يتخلى عنه (١) وفى أوائل الستينيات حينما تولى دنج سياوبنج سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى قرر أن يفعل شيئا يحد به من تقديس الفرد فى الصين وهذا الفرد بالطبع كان هو ماوتسى تونج زعيم الحزب الشيوعى الصينى واتخذ دنج قرارا بتعديل دستور الحزب بحيث يلغى منه النص الذى يقول ان الحزب يسترشد بأفكار ماوتسى تونج بالاضافة الى الماركسية اللينينية ولم يكن دنج قد استشار ماوتسى تونج فى امر هذا التعديل مما جعله يثور ويتساءل عن ذلك "الامبراطور" .. كما قدمنا فى اول المقال !

وبالمقابل راح ماوتسى تونج يشن حملته ضد دعاة العودة الى الطريق الرأسمالى من قادة الحزب وعلى رأسهم "ليوتشاوتشى" رئيس الجمهورية ودنج سياوبنج سكرتير عام اللجنة المركزية ويصف هؤلاء بأنهم قد استمرأوا المعيشة الرغدة التى تتيحها لهم مرتباتهم الضخمة وامتيازاتهم الاجتماعية وانعزلوا عن جماهير الشعب الكادحة وأنهم فى ذلك يحاكون قادة الاتحاد السوفيتى الذين تحولوا الى برجوازيين ويمهدون لعودة بلادهم الى الرأسمالية وهى بالفعل قد اصبحت اشتراكية امبريالية !! وكانت تلك هى بداية الثورة الثقافية فى عام ١٩٦٤ ، واندلعت المظاهرات بتحريض من ماوتسى تونج ضد "المراجعين" و "المنحرفين" ودعاة العودة الى الرأسمالية من قادة الحزب الشيوعى والحكومة الصينية .

وادرك دنج سياوبنج من اين تهب الريح وقدم نقدا ذاتيا اعترف فيه على نفسه وعلى ليوتشاوتشى بأنهم فى واقع الامر يسلكون مسلك دعاة العودة الى الرأسمالية وكان ان سقط ليوتشاوتشى نهائيا عام ١٩٦٧ ولايعرف مصيره حتى الان (وربما يكون قد اعدم او مات دون ان يحس به احد) اما دنج سياوبنج فقد عاقبته الثورة الثقافية بابعاده الى احدى المزارع ليعمل بيديه ويتعلم انه لافرق بين من يعملون بأيديهم ومن يعملون بأذهانهم وبالتالى ليس هناك ما يدعو الى تمييز هؤلاء الاخرين بمن فيهم هو ، وهو الرجل المثقف الشديد الذكاء ! وقد حاولت عصابة الاربعة التخلص منه نهائيا ، ولكنها سقطت بعد موت ماوتسى تونج عام ١٩٧٦ وعاد دنج سياوبنج ليصبح اقوى رجل فى الصين .

ومن موقع رئيس اللجنة العسكرية

---

(١) لمزيد من تفاصيل هذه العلاقة راجع ماكتبناه عنها فى كتابنا (الثورة الاشتراكية العالمية) الصادر فى القاهرة عام ١٩٦١ .

بالحزب الشيوعى الصينى ومن هذا الموقع أعلن انتهاء الثورة الثقافية وبدأ سياسته فى تحديث الصين عن طريق ما سماه "جرعات غير ضارة من الرأسمالية" بالعودة الى سياسة السوق وفتح ابواب الصين لاستيراد التكنولوجيا الغربية والتعاون الاقتصادى مع الدوائر المالية والصناعية فى الغرب .. وقد ترتب على هذه السياسة الانفتاحية كثير من التغييرات الاجتماعية حيث ظهرت رأسمالية صينية جديدة وحقق بعض كبار الموظفين مكاسب ضخمة عن طريق الرشا ، واستغلال النفوذ .. فى الوقت الذى ارتفعت فيه الاسعار واصبحت الحياة صعبة بالنسبة لكثير من العمال والفلاحين واصبح بعضهم يعانون من البطالة ويشعر الطلبة بان المستقبل مظلم امامهم .. لذلك كانت المظاهرات المنادية بالديمقراطية ، والتى اندلعت خلال شهر ابريل ومايو الماضيين .. ولكن دنج سياوبنج الذى يدعو الى جرعات غير ضارة من الرأسمالية .. لم ير بعد ان الصين بحاجة ايضا الى جرعات مماثلة من الديمقراطية !

● الاعتراف الأخير

ولكن دنج فى كلماته التى صدرنا بها هذا المقال لم يستطع أن يتجاهل الواقع الصينى الذى ادى الى ما يشبه قيام ثورة ديمقراطية جديدة فى الصين بدأها الطلبة فى ميدان "تيان إن مين" ولم يتم قمعها الا بالدبابات وفرق الاعدام رميا بالرصاص لمن يقبض عليه من عناصرها المحركة !

والى جانب اعتراف دنج سياوبنج جاءت اعترافات اخرى من معاونيه من المتشددين منهم "لى يانج" رئيس الوزراء الذى صرح لوفد بوليفى بأن قمع التمرد كان معقولا لانه ما من حكومة او حزب يسمح بتدمير نفسه ! اى ان المسألة كلها كانت دفاعا عن النفس بالنسبة للحكومة والحزب الحاكم ضد الشعب الثائر عليهم وعلى مفاسدهم .

ولكن القادة المتشددين فى الصين قد قاموا بعزل زهاو زيانج سكرتير الحزب الشيوعى السابق من منصبه لانه دعا الى الاستماع الى الطلبة الثائرين والتفاهم معهم ويحاول السكرتير الجديد للحزب ان يلقى بالمسئولية على زهاو زيانج فى فقدان الثقة بالحزب ورجاله ولكنه يؤكد ان زهاو زيانج مايزال حيا وحرا فى منزله وذلك التصريح - وكل الاعترافات السابق الاشارة اليها دليل على أن ثورة ١٩٨٩ الديمقراطية فى الصين - رغم قمعها بالدبابات قد شرعت تلقى بثقلها على ضمير حكام الصين وتلك بداية الطريق .. او المسيرة الكبرى الجديدة !

■ ■ ■



بقلم : د. سعيد اسماعيل على

ربما كانت الصلة السليمة بين المفكرين والناس ، واساليب التخاطب الناجعة بينهم ، من اهم القضايا والمشكلات التى تستحق التامل والتدبر فى هذه الايام فى مجال الفكر الاسلامى بصفة خاصة ، مع التسليم باهميتها كذلك فى مجالات الفكر الأخرى ، لكنها هنا بالذات اذ تتصل فى كثير من الاحيان بالتحليل والتحريم ، والكفر والايمان ، فإنها تصبح على اعلى درجات الخطورة والالحاح . فلا جدوى من ان يقف كل فريق من المفكرين والناس على رأس جبل يفصل بينهما واد سحيق ، فريق يصيح وفريق لا يكاد يسمع ، واذا سمع فإنه لا يكاد يفقه ، واذا فقه فإنه لا يكاد يتمثل الأمر فى سلوكه ومواقفه ، وبذلك يظل المجال مفتوحا امام الذين يحسنون استهواء عامة الناس ويجيدون وسائل استفزازهم ، وتحريك مشاعرهم وغرائزهم ، ويدفعون بهم بعيدا عن منهج الاسلام فى الوسطية ، فتزداد الفرقة فى صفوف المسلمين ويشيع التشاحن والتقاطع ويسارع بعض من يتربصون بجماعة المسلمين الفرص الى توجيه التهم وتوزيع التكفير على كل من اراد ان يتبع هدى الاسلام ويجمع المسلمين على كلمة سواء .

وهكذا يصبح من واجب عقلاء هذه الامة ان يسارعوا الى رأب الصدع ، وان يتنادوا الى بحث اسباب الفرقة والتناحر ووصف العلاج ، والتداوى به . وتظل القضية الاساسية والسؤال الكبير الموجه الينا جميعا : ماهى الوسيلة المجدية لتحقيق هذه الغاية ؟ ماهى المعادلة الصحيحة التى توصلنا الى الحل المنشود ؟ كيف يمكن ان تؤثر مواقف المفكرين والعلماء وآراؤهم فى الناس ؟

تلك كانت مقتطفات مطولة من خطاب القاه الملك حسين فى حفل افتتاح المؤتمر العام السابع للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية .

ومما لا شك فيه ان الطريق الصحيح الذى يمكن للمسلم المعاصر ان يسلكه لمواجهة مثل هذه الاشكالية ، ان يتسلح بسلاح المعرفة الصحيحة حيث لم يعد يفيد الاكتفاء بالاساليب العاطفية التى تثير الاحاسيس وتدفع الى الحماس . لكنها فى

ظل غيبة الخطاب العقلي سرعان ما تنطفيء، وكثيرا ما تقع في أخطاء الغلو والتطرف. والمعرفة لا يمكن ان تكون صحيحة الا اذا ضبطت بمنهج دقيق يمنع التردي في هوة الاحكام الخاطئة والانحرافات الفكرية.

ومن هنا كان التركيز في مؤتمر هذا العام على تدارس (السنة النبوية) كمنهج لابد للمسلم أن يحسن استخدامه بعمق الايمان واحاطة العقل ووعي البصيرة.

والخطوة الاولى على هذا الطريق هي مناقشة مدى ما يمكن الاعتماد عليه من مصادر المعرفة، والذي يهمنا في هذا المقام ان نتذكر بأن موضوع المعرفة عندما يكون مسألة خاضعة للتجربة والمشاهدة، فإن المنهج اليها لابد ان يكون محصورا في التجربة والمشاهدة. ولكن عندما يكون مسألة غيبية، كأن تكون عائدة الى ماض سحيق، أو متوقعة الحصول في المستقبل البعيد، فإن المنهج الى معرفة هذه المسألة أحد طريقين فيما تؤكد دراسة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي المقدمة الى هذا المؤتمر:

اولهما، وهو الاصل والمنطلق، الوقوف على الخبر اليقيني الصادق المتصل بالمصدر الموثوق به ثقة علمية، والذي يمكن ان يكشف عن خبيئة تلك المسألة.

ثانيهما، (وهو سبيل فرعي، ينتج في ظروف محددة وضمن شروط معينة) الاعتماد على قانون التلازم، اي تتابع المستلزمات العقلية التي لابد ان تنتج عن فرضية غيبية ما، فيما لو قدرنا انها واقعة وصحيحة.



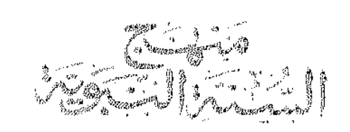
د. محمد عمارة د. يوسف القرضاوي

● الخبر اليقيني

والطريق الأساسي الأول يحتاج إلى إلقاء مزيد من الضوء عليه، وهو الخبر اليقيني، فنحن، بعد ان تكامل ايماننا بوجود الله عز وجل، لانشك في انه المصدر اليقيني الصحيح لكل معضلة كونية مدفونة في غياهب الغيب الماضي أو المستقبل، ومن ثم فلا مندوحة لنا - في طريق معاناتنا من اجل المعرفة - من أن نصغي جيدا إلى ما يقوله هذا الصانع، معرفا بمصنوعاته ومنبها الى كل ما هو جدير بالمعرفة عنها.

وهكذا، فإن المعرفة العلمية الصحيحة لقصة هذا الكون، كما هي متوقفة على العقل الانساني المدرك، متوقفة في الوقت ذاته على بلاغات اخبارية ترد الينا عبر قناة علمية دقيقة من صانع هذا الكون. وغني عن البيان ان المعرفة لا تتحقق الا اذا ألقح العقل الانساني هذه البلاغات، فلا يغني واحد منهما عن الآخر على طريق معرفة الغيوب الكونية، مهما حاول الانسان وجاهد.

وعلى الرغم مما استقر في وجدان المسلمين وعقولهم وقلوبهم من ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي كشف عن



طريق الوحى بابلاغ الناس بالرسالة الاسلامية الالهية المتمثلة فى القرآن الكريم ، ومن ثم اعتبروا سنته مصدرا اساسيا ثانيا لابد من الالتزام به ، فإن هناك نفرا من الذين حادوا عن الطريق القوا ظلال شبهة على السنة اشار اليها بحث الشيخ عز الدين الخطيب التميمى ، منها :

- الادعاء بأن القرآن الكريم قد فصل وبين كل أمور الدين وكل احكامه ، فقد قال الله تعالى :

«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء .. «الانعام / ٣٨» ، فلا يحتاج الى شىء آخر كالسنة والا لما كان تبيانا لكل شىء .

- الادعاء بأن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها كالقرآن ، ويستندون فى ذلك الى قوله عز وجل : «انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » «الحجر / ٩» ، وهذا يدل فى زعمهم على ان الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة .

- كما زعموا ان السنة لو كانت حجة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بكتابتها لما فى ذلك من صيانتها من العبث والتبديل والخطأ والنسيان وضمان وصولها الى المسلمين مقطوعا بصحتها وثبوتها .

- أن تدوين الحديث لم يعرف الا على رأس المائة الاولى من الهجرة أى بعد ان طرأ عليها - فى زعمهم - الخطأ والنسيان ، ودخل فيها التحريف والتغيير فتزلزلت الثقة بضبطها ، وذلك مما يوجب الشك فيها وعدم الاعتماد عليها فى أخذ الاحكام .

كثرة الوضاعين للحديث يجعل الثقة بصحة الاحاديث ضعيفة ويجعل المرء لا يطمئن الى السنة النبوية من حيث ورودها .

- زعم المشككون ان ضعف بعض الاحاديث فى كتب الصحاح كان ناشئا عن تقصير المحدثين أنفسهم الذين حصروا عنايتهم فى سند الاحاديث دون متونها .

وقد ناقش الشيخ عز الدين الخطيب هذه الشبهات مناقشة منهجية علمية مستفيضة وفندها مما لا يتسع المقام لبيانه ، ويكفى التنبيه الى ان كتاب الله تعالى قد مليء بالآيات الدالة - باجتماعها - دلالة قاطعة على حجية السنة ، وهذه الآيات على انواع ، وقد تشتمل الآية الواحدة على اكثر من نوع :

● النوع الأول : ما يدل على وجوب الايمان به صلى الله عليه وسلم ، والايمان به معناه : التصديق والاذعان برسالته وبجميع ما جاء به من عند الله سواء ورد ذكره فى القرآن ام لا ، أو يدل على أن عدم اتباعه ، والرضا بحكمه ، يتنافى مع الايمان ، قال تعالى : «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (الحجرات / ١٥) .

● النوع الثانى ، ما يدل على ان الرسول مبين للكتاب ، وشارح له شرحا معتبرا عنده تعالى مطابقا لما حكم به على العباد ، وانه يعلم امته : الكتاب والحكمة ، وهى - كما قال الشافعى ، وغيره - السنة . وعلى تسليم انها الكتاب ، فتعليم

الأمة اياه معناه : شرحه وبيان مجمله ، وتوضيح مشكله ، وذلك يستلزم : حجية بيانه للكتاب بقوله او فعله او تقريره قال تعالى : «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون (النحل / ٤٤) .

● النوع الثالث : مايدل على وجوب طاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ طاعة مطلقة فيما يأمر به وينهى عنه ، وعلى ان طاعته : طاعة الله ، وعلى التحذير من مخالفته وتبديل سنته ، قال تعالى : «قل اطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين (آل عمران / ٣٢)

● النوع الرابع : ما يدل على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فى جميع ما يصدر عنه ، والتأسى فى ذلك به وعلى ان اتباعه لازم لمحبة الله ، قال تعالى : «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (آل عمران) ٣١) .

● النوع الخامس : ما يدل على ان الله قد كلفه صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه متلوا او غير متلو ، وبتبليغ جميع ما أنزل عليه ، ونهاه عن التقصير فى شىء منه او تغييره وتبديله ، قال تعالى : «اتبع ما أوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، وأعرض عن المشركين» (الانعام / ١٠٦) . د . عبد الغنى عبدالخالق : حجية السنة ، صفحات متفرقة .

ومن هنا كان الحرص على العمل بالسنة ، وحتى يطمئن العالم ويطمئن الناس ، كان لابد من الاستناد الى عمليات ضبط وتدقيق .

وإذا كان اهتمام كثير من فقهاء الأمس يتركز على جانب (الرواية) ، فإن فقهاءنا المعاصرين ـ بالاضافة الى ذلك ـ يبذلون جهدا كبيرا فى التركيز على جانب (الدراية) ، الأول يتعلق بالشكل ، والثانى يتعلق بالمضمون ، فمن ذلك على سبيل المثال أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والاهداف الثابتة التى تسعى السنة الى تحقيقها ـ فيما يرى **الدكتور يوسف القرضاوى** ـ وبين الوسائل الآنية والبيئية التى تعينها احيانا للوصول الى الهدف المنشود ، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل كأنها مقصودة لذاتها ، مع ان الذى يتعمق فى فهم السنة وأسرارها يتبين له ان المهم هو الهدف ، وهو الثابت والدائم ، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات ، ومن هنا تجد الاهتمام كثيرا لدى الدارسين للسنة المهتمين بالطب النبوى ، حيث يركزون بحثهم على الأدوية والاعشاب والحبوب وغيرها مما وصفه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للتداوى به فى علاج بعض العلل والأمراض البدنية

ومن رأى القرضاوى فى دراسته التى قدمها (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ان هذه الوصفات وما شابهها ليست هى روح الطب النبوى ، بل روحه : المحافظة على صحة الانسان وحياته ، وسلامة جسمه الى غير ذلك من التوجيهات التى تمثل حقيقة الطب النبوى الصالح لكل زمان ومكان .

لكن هناك محاذير مما قد يتردى فيه البعض من (التأويل) ، ومن الأمثلة التى يمكن الاستشهاد بها فى هذا المقام الحديث المشهور الذى رواه مسلم فى صحيحه فى قضية (تأبير النخل) ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم فى الروايات :



« أنتم أعلم بأمر دنياكم » فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسى كله من الاسلام بهذا الحديث لأن امر السياسة وحده أصولا وفروعا من أمر دنيانا ، فنحن أعلم به ، وأراد اخرون ان يحذفوا النظام الاقتصادى كله من الاسلام كذلك بسبب هذا الحديث الواحد .

لكن الدكتور القرضاوى فى بحث آخر بعنوان (الجانب التشريعى فى السنة النبوية) يفسر هذا الحديث بأن معناه أن الدين لا يتدخل فى امور البشر التى تدفع اليها غرائزهم وحاجاتهم الدنيوية ، الا حيث يكون فيها إفراط او تفريط أو إنحراف ، كما انه يتدخل ليربط حركات الانسان كلها بأهداف ربانية عليا وقيم اخلاقية مثلى ، ثم ليرسم آدابا انسانية راقية فى اداء هذه الاعمال تميزه عن الحيوان الأعجم .

ومن الأمثلة التى تساق فى هذا الشأن : الزراعة ـ مثلا ـ فالاسلام يحث عليها ، ويعد الزراع بأفضل المثوبة عند الله «ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة . رواه البخارى» فى كتاب المزارعة . ولكن الدين لا يتدخل ليعلم الناس كيف يزرعون ، وماذا يزرعون ؟ ومتى يزرعون ؟ وبأى شىء وبماذا يسقون الزرع ؟ أ بالشادوف أم بالطنبور أم بالساقية ؟ أم بالالة الميكانيكية ؟ بالرى التقليدى او بالرش او التنقيط أو غيرها ؟ الدين لا يتدخل هنا ، فليس هذا من اختصاصه ، انما هو من اختصاص اهل العلم والخبرة والمسئولين .

وعلى هذا فإن المسلم يستطيع ان يلتمس فى السنة مصدرا ثريا للمعرفة الاساسية فى بناء الحضارة الاسلامية عددها الدكتور محمد عمارة فى بحثه عن (السنة النبوية مصدرا للمعرفة) فى الجوانب التالية :

أ ـ مصدرا لمعرفة اسباب نزول البلاغ القرانى والوحى الالهى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما يمثله ذلك من علم لتفسير القرآن ، ووعى بحكمة التشريع ، وعون على مواكبة هذا التشريع للتطور مع تغير الزمان والمكان .

ب ـ ومصدرا لمعرفة التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والحربى والادبى للتجربة الاسلامية فى عصر صدر الاسلام .

ج ـ ومصدرا (للفروع) التى وقف القرآن عند أصولها ، ومنها نتعلم التمييز بين الثوابت والمبادىء والأركان والاصول وبين الفروع والمتغيرات ، التى تقوم وتنمو وتتجدد على هذه القواعد والأصول ، مرتبطة بها ، ومصطبغة بصبغتها ، وفى الوقت نفسه مظللة لمساحات جديدة من الوقائع والمشكلات .

د ـ ومصدرا لأبنية وهياكل الدولة الاسلامية التى أقامها المسلمون لحماية الدعوة ونصرتها ..

هـ ـ ومصدرا للتمييز بين ما لا يستقل العقل بادراكه ـ من حيث الحسن والقبح ـ وفى التشريع والاحكام والفرائض والشعائر .. وفى كيفية الجزاء ، ومقادير الثواب والعقاب .. وبين ما هو من شئون الدنيا ، الموكولة الى عقول البشر ،

لقدرتها على أن تستقل بادراكها ـ حسنا وقبحا ـ وعلى أن تقتن لها فى اطار شرع الله .. الخ .

● ● ●

وقدم كاتب هذه السطور دراسة عن (السنة مصدرا للتربية الاسلامية) ، استند فيها الكاتب الى المهام التى كلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل المولى عز وجل ، فهى مهام تعد ملخصة لرسالة التربية نفسها وهى :

١ ـ تعليم القرآن الكريم ، أى تفهيم الناس معانى آياته ومقاصد نصوصه وأوامره ونواهيه ، وكشف معالم الطريق التى يدعو الناس إليها ، وتحديد حدودها ، ليمكن المؤمنين تطبيق نصوصه بصورة تحقق أغراضها العامة الاصلاحية وتحافظ على روحها .

٢ ـ تعليم الحكمة وايضاح طرقها وأساليبها فى القول والعمل وفقا لقوله تعالى فى موطن آخر «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن» .

٣ ـ تطهير قلوب المؤمنين وأعمالهم من الملابسات التى قد تشوبها ، فتفسدها وذلك بزرع الاخلاص فى نفوسهم والايثار وحب الخير ووزن الأمور بميزان المصلحة العامة لا بميزان الاهواء والمصالح الخاصة ، وهذا معنى تزكيتهم فى الآية التى جمعت هذه المهام الثلاثة فى قوله عز وجل «لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين» (آل عمران / ١٦٤)

ومن الأعمال التى شدت الانتباه ، تلك المحاولات العلمية الجادة التى بدأ بها البعض منذ فترة لاستثمار التقدم التكنولوجى الحديث فى التعامل مع السنة ، وذلك باستخدام اجهزة الكومبيوتر فى صورة متعددة تيسر على الباحثين والدارسين والفقهاء معرفة اى جانب من جوانب السنة ، مثال ذلك ما عرضه **الدكتور محمد مصطفى الأعظمى** فى دراسته :

فبامكان البرامج التى انتجت بالكومبيوتر ان تتيح :

ـ البحث عن حديث ما عن طريق كلمة واحدة أو عدة كلمات ، أو راو ، أو رواة أو البحث عن طريق الكلمات والرواة معا .

ـ تخريج حديث ما ، وذلك أما عن طريق البحث عن الكلمات المماثلة تماما ، أو بتحويله الى الأصل الثلاثى ، وذلك فى كتاب واحد . او فى كتب متعددة .

ـ القراءة من الكتاب حسب ترتيب المؤلف .

ـ البحث عن الاحاديث حسب الموضوعات فى كتاب واحد او عدة كتب .

ـ البحث عن المتابعات والشواهد .

ـ معرفة رواة تراجم الكتب الستة فى تقريب التهذيب .

ـ معرفة ترجمة الراوى الذى ورد ذكره فى اسناد حديث ما ، والوصول اليه مباشرة .

ـ البحث فى مختار الصحاح أو النهاية لابن الأثير .

ـ معرفة معانى الكلمة الواردة فى حديث ما ، والوصول اليه مباشرة .

ـ معجم للاسانيد .

ـ شجرة كل حديث تبين مدى انتشار

الحديث وأماكن وجوده فى مختلف الكتب .

ـ معرفة كافة مرويات راو معين فى كتاب واحد او عدة كتب ، مع معرفة مروياته عن شيخ معين كتاب واحد أو فى عدة كتب .

ـ البحث عن الحديث اما عن طريق اللفظ او عدة ألفاظ بواسطة اللغة الانجليزية او التركية او الماليزية .

ـ امكانية تغيير البنوط على الشاشة او على الطابع .

ـ امكانية تغيير الالوان .

ـ استخراج المعلومات وتخزينها فى الحاسب الآلى فى ملف خاص .

ـ الاماكن الجغرافية وتحديدها فى الخريطة .

ـ معلومات عن المدن مع الصور لها .

ـ النظر فى المخطوطات بالتسلسل .

ـ النظر فى المخطوطات من الحديث مباشرة .

ـ الفهارس المتنوعة للاراء الفقهية والكلام فى الجرح والتعديل .

ـ التسجيل الصوتى للاحاديث .

ـ المعلومات عن الكتب المخزنة

ـ المعلومات عن مؤلفى الكتب المخزونة .

ولم تكن هذه الندوة التى عقدت بعمان تحت مظلة المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بالاشتراك مع المعهد العالمى للفكر الاسلامى بواشنطن ، الا حلقة جديدة فى سلسلة من الندوات والمؤتمرات التى عقدت فى سنوات سابقة .

واستقراء أعمال الندوات والمؤتمرات السابقة ، يبين لنا بحق ان العقد الأول من هذا القرن الهجرى قد عبر ـ كما أكد محيي الدين عطية فى تقريره ـ عن نفرة علماء الأمة للالتفاف حول السنة النبوية والذود عنها . واتسمت معظم المحاور المطروحة فى ندوات هذه المرحلة بالعمومية ، وقد أدت دورها المرحلى ، وبدأ الاتجاه التخصصى يبرز وينتشر ، بحيث لم يعد من المتوقع عقد مؤتمرات عامة عن السنة النبوية دون تحديد مجال معين من مجالاتها ودون تخصيص محاور دقيقة ودعوة الباحثين الى تغطيتها .

كذلك فقد لوحظ أن المرحلة الماضية قد شهدت مولد الاهتمام باستخدام التقنيات الحديثة فى جمع وتصنيف وفهرسة تراث السنة النبوية والاستعانة بالكومبيوتر فى كافة مجالات خدمة السنة ، وظهرت بحوث متخصصة فى مؤتمرات سابقة تعبر عن بداية جديدة فى اتجاه مواكبة العصر وإن كان ينقصها التنسيق والتكامل ، كما اتجهت بحوث كثيرة الى معالجة قضايا المجتمع من خلال السنة النبوية كما هو واضح من الكم الكبير لبحوث المؤتمرين الأخيرين فى قطر ومصر . وبذلك لم تعد النظرة الى السنة مقصورة على اعتبارها مصدرا للأحكام الشرعية وانما هى ايضا مصدر لبناء المعرفة والفكر والثقافة والحضارة .

لغويات

● للمطربة فايزة أحمد - رحمها الله - أغنية تنادى فيها «الحبيب الأسمر» بقولها : « ياالأسمراني » .. وقد جرت اللهجة العامية على حذف « ال » - أداة التعريف - عند النداء طبقا لقواعد اللغة الفصيحة .. ولكن النداء مع وجود أداة التعريف ، لغة فصيحة أيضا ، كقوله تعالى : « الا يا اسجدوا » .. ومعناها : « ألا يا أيها الناس اسجدوا » .. وقال الشاعر الأموى ذو الرمة : « الا يا اسلمي يادار ميّ على البلى » .

● الرجل الشديد الحب للنساء يسميه الافرنج «دون جوان» أو «كازانوفا» - تشبيها له بهذين العاشقين الفاتكين - اما العرب فتسمي ذلك الرجل «زير نساء» .. وهذا اللقب أصله الفعل «زار .. يزور» .. فالرجل الذى يكثر من «زيارة» النساء ، أو مزاورتهن يسمى «زير نساء» اى كثير «الزيارة» لهن !

● اعتادت الصحف ان تمنح المرأة العاملة لقب الرجل اذا كانت رئيسة أو مديرة او استاذة ، فتقول الصحف : فلانة رئيس تحرير مجلة كذا ، أو مدير تحرير ، أو فلانة أستاذ بالجامعة ، ما عدا السيدة آمال عثمان فإنهم يسمونها «وزيرة» ولايحرمونها من تاء التانيث ، وهو الاصح فى رأينا ، والأكثر تحديدا .. فالرجل يسمى شاعرا ، والمرأة شاعرة ، ويسمى كاتبا ، والمرأة كاتبة ، ويسمى رئيسا ومديرا وأستاذا ، والمرأة رئيسة ومديرة واستاذة .. والرجل يسمى زوجا ، والمرأة زوجة ، وإذا ولدت المرأة طفلين ذكرين من بطن واحد ، فهما توأمان ، فاذا كانا انثيين فهما توأمتان .. وقد أخطأ نحاة آخر الزمن الذين يرون أن أعمال الرجل تبقى مذكّرة حين تتولاها المرأة !

● يقولون : فلان ذاق الأمرّين في حياته ، ولايسألون ما هما هذان الامرّان - بفتح الميم وفتح الراء وشدها - حتى صار هذا التعبير مجرد «كليشيه» .. والأمران هما الفقر والشيخوخة ، ويستعملان فى هذا التعبير بمعنى الشدة الهائلة والشر العظيم ..

علـى باشا مبارك

بين إغراء الثورة ومنطق الاصلاح !

بقلم : مصطفى نبيل

علىّ باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣م) ، رجل فكر وعمل ، يكفيه ما قام به فى عمارة الارض وبناء الانسان ، مع بدايات النهضة المصرية الحديثة فى القرن الماضى .

ورغم إنجازاته ، توقف الكتّاب والمؤرخون حيارى امام موقفه من الثورة العُرابية والاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ، وهذا ما يحاول أن يعالجه هذا المقال .

● على باشا مبارك ، أحد الشخصيات التاريخية فى حياة مصر الحديثة ، ساهم فى حركة النهوض الوطنى الحديث ، واقام لها اساسا راسخا ، وبدأ رحلته من اعماق الريف فى ظروف بالغة الصعوبة ، هى ذات ظروف شعب مصر فى القرن التاسع عشر ، وخاض معركة باسلة ، ورفض الواقع الذى كان يعيشه ، وتطلع الى حياة وأفاق جديدة ، وأصبح أحد الرجال المرموقين ، وساهم فى مسئولية الحكم وتولى الوزارة أكثر من مرة ، وجمع خلالها بين التعليم والاوقاف والاشغال ، فكان بحق مهندس مصر الأول ، وكان فى ذات الوقت « ابو التعليم المصرى الحديث » .

وانتقل من شظف العيش عند سفح الهرم الاجتماعى الى بحبوحة العيش فى قمة الهرم الوظيفى ، ولم تغفل عينه لحظة واحدة عن رسالته فى النهضة وتقديم ما يقدر عليه للبسطاء من أبناء البلاد ..

قام بدوره كاملا فى أحد الدورات التاريخية الهامة فى القرن الماضى ، واعطى أهم ما يقدمه مثقف لشعبه ، المعرفة والعمران ، وركز جهوده على نشر التعليم المدنى واقامة المدارس ،

على باشا مبارك



محمود سامى البارودى



وتطوير نظام الكتاتيب ، وكان له فضل إقامة دار الكتب المصرية ومدرسة دار العلوم ، وكان أول من أدرك أهمية قيام مجلة فكرية تنشر المعرفة وتنمي الذوق والجمال لدى القارىء ، وأصدر مجلة «روضة المدارس » ، ودعا الى تعليم المرأة وخروجها الى الحياة والعمل قبل دعوة قاسم أمين وهدى شعراوى ..

وساهم فى «العمران» وطور القناطر الخيرية وشق الترع والقنوات ، وشارك فى معظم عمليات التوسع العمرانى ، وخاصة تلك التى تمت فى عصر اسماعيل ، وحقق حلم كل مثقف ، عندما سجل تجربته فى كتابه «الخطط التوفيقية» ، ذلك العمل الفذ الذى يعتبر من أهم الكتب التى صدرت فى القرن الماضى ، وعبر من خلاله عن حبه العميق لكل حجر وأثر ، ورصد التغير الاجتماعى الذى تعيشه البلاد ، وسجل شوارع وجوامع ومدارس وحمامات وأسبلة القاهرة ، وكأنه يخاف عليها من الاندثار أو النسيان ، وسجل المدن والقرى والنجوع على طول الوادى وترجم لأعلامها ، ولم يؤرخ فى خططه للقاهرة وحدها ولا للحكام وحدهم ، بل استعرض بانوراما الحياة المصرية ، وصدرت خططه فى عشرين جزءا

على باشا مبارك

وخمسة مجلدات ، أعادت الهيئة العامة للكتاب نشر سبعة أجزاء منها .

وبعث فى سفره القيم من جديد نهج المقريزى فى خططه ، فوصل حاضر الخطط بماضيها ، وأظهر مقدرة فائقة على تحقيق المعالم والمواقع ، ومقارنتها بما كانت عليه فى الماضى ، ووضع رحيق خبرته التى اكتسبها خلال الوظائف العديدة التى تولاها فى هذا الكتاب .

وهى نفس المحاولة التى قام بها نجيب محفوظ على نحو آخر ، عندما رصد الحياة الاجتماعية فى اعماله الروائية وخاصة الثلاثية ، وهى ذات المحاولة التى طورها الدكتور جمال حمدان فى سفره الكبير «مصر .. دراسة فى عبقرية المكان» .

وكل هذه الاعمال تعكس ولاء المثقف العميق لوطنه وشعبه .

● عمارة الأرض وبناء الإنسان

قضى على مبارك حياته فى صبر ودأب الفلاح المصرى ، يبنى ويعمر ويبذر فى الأرض المصرية بذور التقدم والنهضة ، ويسعى ليلحق وطنه بمنجزات العصر والحضارة ، ولم يكتف بدوره كمهندس تكنوقراطى ، وانما أدرك أهمية أن يتعلم ويثقف الأهالى ، فتلازمت جهوده فى اقامة البناء المادى مع الاهتمام بعقل الأمة ووجدانها ، ووزع جهوده على عمارة الأرض وبناء الانسان .

ولم يفعل مثل كثيرين غيره ، يتزود بالمعرفة والعلم ، وينتقل الى فلك جديد يبعده عن أهله وبيئته ، بل نجد على مبارك فى كل أعماله يسعى الى ترقية البسطاء من شعبه ، ويسهم فى يقظة الفكر ونشر التعليم ، ويوظف المناصب التى يتولاها فى خدمة الاهالى ، لعله يرد بعض حق الوطن عليه .. يقول فى سيرته الذاتية : « إنى لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز ، فقد نشأت فى ظله ، وتقلبت فى مهده ، وتربيت فى حجر كفالته وتعهده ، حتى صرت من أبنائه المعدودين ، ورجاله المعروفين ، وتمتعت صغيرا وكبيرا بكثير من خيراته وثمراته ، ولا أزال متمتعا بطيباته ، فأجدنى وإن استوفيت الجهد ، وقضيت العمر فى خدمته ، لم أقم بعشر معشار ما علىّ من واجباته وحقوقه ... ولم يمنعنى هذا من بذل جهد المقل .. وأن أخدم وطنى بكل ما نالته يدى وبلغ إمكانى مما أراه يعود عليه بالفائدة والنفع ، قل أو جل ، كالسعى فى استكثار المكاتب والمدارس .. وتعميم التربية والتعليم .. ونشر الكتب المفيدة .. »

● الفطنة والعناد

ينتمى على مبارك لأسرة فقيرة وإن كانت مصرية عريقة ، تعلم القراءة

وحفظ القرآن فى صباه على يد شيخ أعمى فى قرية برنبال ـ دقهلية ، ومن يومها ظل يخوض رحلة كفاح باسلة ، سلاحُه الفطنة والعناد ، يتغلب دائما على التحديات التى تواجهه ، وترك لنا تفاصيل معاناته فى سيرته الذاتية . ونقل طفولته البائسة ، وصحبناه وهو يهرب من شيخه الأعمى ومن أسرته ، لكى يختار بنفسه مصيره ، وهو يعانى من السجن ظلما لأنه تجرأ وحصل على حقه من صاحب العمل ، وفى كل هذه الظروف القاسية ، لم يتخل عن حلمه فى الالتحاق بالمدرسة . ويصف معاناة طفولته : « راسخ فى ذهنى ، ما كان مرتبه على مؤدبى فى صغرى ، أن آتى اليه بشىء من المنزل ، فكنت أتحايل تحايل اللصوص حتى أختلسه وآتيه به ، وإن امتنعت أو أتيت بأقل مما طلب توعدنى أو ضربنى ، فكان يعاملنا معاملة الخدم (!) ... ولكثرة ضربه لى تركته وأبيت أن أذهب إليه ... واخترت ألّا أكون فقيها ، وإنما أكون كاتبا ، لما كنت أرى للكتاب من حسن الهيئة والهيبة والقرب من الحكام .. »

وعمل بالفعل كاتب قسم ، ومن جديد يسىء الكاتب الذى عمل معاونا له ، حتى شج رأسه بمقلاة بن ، ورفض الذهاب الى الكاتب كما رفض الذهاب الى الشيخ ، وعندما يعمل كاتبا فى السجن بعد الافراج عنه ، لفت انتباهه وأثار اهتمامه كيف أتيح لعنبر أفندى المئسور الوصول الى مركزه وهو الأسود الحبشى ، والمناصب يحتكرها الاتراك والشراكسة ، وهنا يضع الفتى الأسمر يده على السر ، عندما علم أن عنبر أفندى تعلم فى إحدى المدارس التى أقامها محمد على ، وأدرك أن التعليم هو الطريق ،ويسجل فى سيرته .. «وددت أن أكون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها .. والحكام يؤخذون من المدارس .. » .

وأخذ تراكم الخبرة من تجاربه القاسية يحدد مساره ، وكلما قست عليه الظروف قويت عزيمته ، وصمم على أن يتعلم مهما كانت المشاق ، وعزم على الوصول الى المدرسة فى القاهرة ماشيا ، وفى الطريق يلتحق بأحد المدارس العسكرية التى أقامها محمد على فى «منية العز» وتصبح خطوته الأولى فى طريق طويل ، فيختار منها لتفوقه لكى يلتحق بمدرسة الجهادية فى قصر العينى ، ومنها الى مدرسة المهندسخانه ، وأخيرا يختار الفتى ضمن ٧٠ طالبا فى بعثة الأنجال التى تضم أربعة من أبناء اسرة الخديو للتعليم فى فرنسا .

وها هو فى باريس عام ١٨٤٤ بعد برنبال ومنية العز والقاهرة ..

ولابد أن هذه التجربة الفريدة هى التى أوحت لنجيب محفوظ فى روايته حديث **المساء والصباح** ، بتلك الشخصية التى اختطفها رجال محمد على من حى الجمالية ، للتعليم فى المدارس ، وأرسل لتفوقه فى بعثة لدراسة الطب فى فرنسا .

علي باشا مبارك

وفي رحلته تلك الشاقة يخوض علي مبارك صراعا مريرا مع ظروفه القاسية ومع والده الذي يخاف على ابنه من الغربة ، ويعمل كل ما يستطيع لمنعه من الرحيل ، وعلى قدر عناده كان عناد والده ، الذي ينتزعه من المدرسة ويحبسه في البيت ، ويعود الفتى ويتسلل ويصل الى المدرسة ولا يبرحها ، في صراع ارادات طويل ، ولم يكن الفتى قليل الحيلة ، وإنما يتغلب على المصاعب التي تعترضه ، ولايستسلم للأقدار ، وعندما يشح الكاتب راسه لايخضع له وإنما يتركه باحثا عن ظروف أفضل ، وعندما يمتنع صاحب العمل عن تسليمه راتبه ... «امسكت عندى قدر ماهيتى» .

وعندما يصل الى باريس ولايعرف أية كلمة فرنسية وتستعصي عليه اللغة الجديدة .. «سألت عن كتاب الأطفال ، فنبئوني عن كتاب فناشتريته ، واشتغلت بحفظه ، وشمرت عن ساعد جدى في الحفظ والمطالعة ، ولزمت السهاد ، وحرمت الرقاد ، فكنت لا أنام من الليل الا قليلا حتى كان ذلك ديدنا لى ، فحفظت الكتاب بمعناه عن ظهر قلب ، ثم حفظت جزءا كبيرا من كتاب التاريخ بمعناه ايضا . وحفظت الأشكال الهندسية والاصطلاحات ، كل ذلك في ثلاثة الأشهر الأولى» ، ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يصبح من الثلاثة الأول في البعثة التي قضى بها ست سنوات ، وأن ينتقل بعدها الى قمة الهرم الاجتماعي .

● مشروع النهضة

وتسير حياته في مصر مضطربة هائجة مثل عصره ، فالجميع رهن بإشارة الحاكم ، والجميع أسير ما يحاك حوله من دسائس ، يرتفع حينا الى أعلى المناصب ، ويفقد وظيفته حينا آخر ، ويبحث عن مصادر الرزق ، إما بزراعة الأرض او العمل في التجارة ، ويتذكر قائلا .. «كلما تقدمت في العمر وكثرت العيال ، كنت أرى التقهقر ونفاد ما استحوذت عليه» ، ويذكر .. «أنه يعلم ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الايذاء .. » (!) ومع ذلك عاش في كنف هذه العائلة طالما تجح في تحقيق رسالته وتنفيذ مشروعه في ترقية أبناء جلدته وتطوير حياتهم .

ويتميز موقف الرجل خلال كل أطوار حياته ، بالسعي لتحقيق رسالته في مقاومة الجهل وبناء الانسان وهو يعرف أن هذا الهدف لايمكن ان يتحقق في مصر الا عن طريق الحكومة وجهاز الدولة ، ولعله أول من كتب عن طبيعة الوادى وتأثير نهر النيل على وجود سلطة مركزية حاكمة هي الحكومة اى الاداة الفعالة لنفع البلاد والعباد ، فيعكف عند اقصائه ـ الذى كثيرا ما تكرر ـ على تأليف الكتب استكمالا لرسالته .

ولعل مارواه فى واقعة تكليف الخديو سعيد له برسم الاستحكامات العسكرية فى «أبو حماد» قرب رشيد ، ما يعكس أسلوب تعامله مع الخديو ، فبعد إنجاز مهمته لم يقدر على تقديم رسوماته الى الخديو ، وينصحه مأمور التشريفات .. « كن معنا على الدوام لعلك تجد فرصة للقاء .. » ،ويلازم على مبارك حاشية الخديو ثلاثة أشهر ، ينتقل معهم من بلد الى بلد ، ومن موقع الى موقع ، ومن قصر الى قصر ، حتى كان يوما ووقع نظر الخديو عليه ، فناداه وسأله عن الرسم ، وأصبح **بعدها واحدا من رجال المعية ، وكان مبدؤه الدائم الطاعة لولى الأمر ، وكان هذا موقعه مع عباس الأول وسعيد واسماعيل وتوفيق ، ومن موقعه ينشر التعليم ويقترب كل يوم من تحقيق مشروعه فى النهضة .**

● تراجم الأعيان

كما يظهر موقفه ذلك من خلال قراءة تراجم الاعيان التى جاء فى الخطط عند حديثه عن البلدان المختلفة ، وفى روايته للانتفاضات الفلاحية الثلاث التى سجلها وحدة ، وكان أول من رصد الحركة الاجتماعية فى القرن الماضى ، ولاحظ خلالها دور ولى النعم فى مصير الاعيان ، فالحكومة هى المصدر الرئيسى للنفوذ والفلوس ! ، فالنفوذ فى الريف يتركز فى بقايا



احمد عرابى

عائلات المماليك والملتزمين السابقين ، وعند استعراضه لمدينة اسيوط يتحدث عن .. «قيسارية محمد بك الدفتردار التى بناها سنة ١٢٣٨ هـ ، وقت كان مديرا لأسيوط» ، وعند حديثه عن أعيان الغربية يذكر ثاقب باشا الذى شغل عددا من الوظائف ، ويحصر ثروته فيقول .. «ومنها ٢٠٠ فدان أنعم عليه بها الخديو عباس» ، ويلاحظ وجود ارستقراطية ادارية وعسكرية «.. كثيرا ما تغتصب «أراضى الميرى» ، ويذكر عند الحديث عن عزبة شلقان أنه .. «جعل على أرض مساكنها حكرا يدفع للميرى كل سنة بالعدالة ضرورة أن هذه الأرض ملك للميرى ، وكان المشايخ والحكام يأخذونه لأنفسهم بمحض الظلم (!!)» .

ويذكر عن رفاعة رافع الطهطاوى

على باشا مبارك

أن مصدر ثروته الضخمة ، هى منح الأرض التى حصل عليها خلال عهود محمد على وابراهيم وسعيد واسماعيل .. « فبلغ جميع ما فى ملكه حين وفاته ١٦٠٠ فدان غير ما جدده من الاملاك والعقارات فى بلده وفى القاهرة » .

ومن جانب آخر يدين على مبارك الانتفاضات الثلاث بعد أن يسرد تفاصيلها ، ويرى فى كل منها مصدر تعاسة القائمين بها ، وسببا فى زوال النعمة وخروجا على طاعة «الامام» ! ، وشهدت قنا الانتفاضة الأولى عندما تزعم أحد المشايخ حركة الفلاحين ضد قرارات محمد على ، وطرد الشيخ عمال الحكومة وأقام حكما محليا ، وتمكن محمد على من القضاء على هذه الانتفاضة بعد شهرين بعد أن جرد لها حملة عسكرية قضت عليها ، أما الانتفاضة الثانية فشهدتها الاقصر ضد الفرمانات الجديدة لمحمد على ، وتذمرا من النظم الجديدة ، أما الانتفاضة الثالثة ، فقد وقعت فى «قرية» قاو فى أوائل عهد اسماعيل سنة ١٨٦٥ م ، ويسجل بالنسبة لواقعة قاو .. « كان أهلها أهل يسار لخصوبة أرضهم وجودة محصولها .. فأتاهم من كان سببا فى ازالة تلك النعم عنهم وابادة كثير من أنفسهم وأموالهم وتخريب بيوتهم » .

وعندما يتحدث عن ظروف تدهور بعض الأسر ، بسبب موقفها المناهض للسلطات الحاكمة ، فيذكر عائلة ابراهيم الغيبسى (طهطا) ، الذى كان يشغل منصب ناظر قسم فى عهد محمد على ، وخلال الصراعات التى قامت فى هذه المنطقة بين الصوامعة والوناتية ، كان يتعصب لقومه سرا ، فنفت الحكومة ابنه ومات ولم يعقب ذكورا .. »

وفى المقابل يروى قصة عمدة العقال (أسيوط) عبد العال العقالى أيام انتفاضة الفلاحين فى قاو «جمع أهل البلد ، ومنعهم من العصيان ضمن من عصى ، بل قام بهم مع العساكر على العصاة فحظى بالرضا والقبول ، وترك أملاكا كثيرة وقصورا مشيدة وبنى جامعا فاخرا ومنزلهم عامر الى الآن»

● التطور والثورة

يقول على مبارك .. "لا يخفى أن تربية الملل (الشعوب) أمر صعب ، يلزم لها زمن طويل لأن هناك عوائد قديمة ، وأخلاقا راسخة فى الأذهان ذميمة ، وأفكاراً فاسدة ، واعتقادات كاسدة ، فلا تزول بمجرد بعض التجددات ، بل تبقى عند الشيوخ ومن قرب منهم فى السن إلى الممات ، بل ربما ورثها عنهم بعض الراشدين من الشبان ، فلا تنعدم بالكلية إلا بعد انقراض جميع هؤلاء أو أكثرهم . فعلى حكم العقل ، يلزم التربص إلى انقضاء ثلاثة أجيال ، أى مائة سنة أو مائة وخمسين سنة" .

وهنا يبدو فكر على باشا مبارك رافضا للفكر الثورى ومن المنتمين إلى الدراسة الليبرالية التى تؤمن بالتطور المتدرج ، وأن الحياة الاجتماعية تحمل بذور عناصر التطور ، وتملك آلية إصلاح المسار والتغلب على العقبات ، ويعارض الثورة بما تحمله من إحتمالات الفشل وما تنادى به من التجديد والتجريب ، ويعتمد على النمو الداخلى للمجتمع ..

ولعل القصة التى حكاها ووقعت فى منذرته أيام انتشار أفكار الثورة ، فى مرحلة النهوض وتحدى الأجنبى المتمثل فى صندوق الدين - تؤكد رأيه ورفضه للثورة وإيمانه بالإصلاح المتدرج .

عندما يروى أنه "فى أوائل عهدى بالحكومة ، بعد عودتى من أوروبا ، أمرت يوماً من الأيام أن أذهب إلى سراى رأس التين لأقابل الوالى ، فأدخلونى غرفة أنتظر ، وكان ينتظر معى فى الغرفة اثنان لا يعرفانى وكانا من هذا العنصر - الترك والشركس -، وطالت مدة الانتظار وأنا صامت ، أما هما فلم يكن لهما حديث سوى ، كيف يصل هذا الفلاح ، إلى قصر الوالى ..؟! وهل يعقل أن يدخل فلاح القصر ، وكان حديثهما يدور باللغة التركية ظنا منهم أننى لا أعرفها » . ويختم حكايته قائلا .. «وأصبح هذا الفلاح اليوم ناظرا ، وهذا مكسب كبير لنا ، فإذا صبرنا فسنحل محل هؤلاء الشركس " .. وهو هنا يقدم حيثياته ضد الثورة والتغيير المفاجىء فى أعلى قمة السلطة ، ويختار التطور منهجا وأسلوبا فى التغيير ، وهذا طبيعى معه كأحد العلماء والتكنوقراط الذى حقق الكثير من إنجازاته بوصفه موظفاً عمومياً .

ويلاحظ أن مدرستى الثورة والاصلاح وجدا جنبا إلى جنب فى الفكر المصرى الحديث ، ونجد عبد الله النديم فى طليعة أصحاب الموقف الثورى ، **وتردد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بين الثورة ومنهج التطور المتدرج ، ففى أيامه الأولى وقف مع الثورة ، حتى يوم انفصاله عن جمال الدين الأفغانى فى باريس ، ورفضه لفكرة الثورة ، والوصول إلى الدرجة التى يلعن فيها لفظ "السياسة" ، وتركيزه بعد عودته إلى القاهرة على الفكر والتعليم والتثقيف ، والتزامه نهج التطور التدريجى .**

● على مبارك والثورة

فإذا كانت جهود على مبارك قد ساهمت بالقطع فى التمهيد للثورة العرابية ، فقد نال عدد كبير من رجالها حظهم من التعليم فى المدارس التى أقامها ، ولم يعد مقبولا بعد انتشار التعليم أن تقتصر المناصب العليا على الأتراك والشركس ويستبعد أبناء البلاد ، فما هو موقفه منها ؟!

لقد جرف تيار الثورة العاتى المصريين جميعاً ، وتحدى هذا التيار

على باشا مبارك

فى أحد اللحظات التاريخية نهجه واسلوبه ، وكان من العسير عليه - وهو الراصد للحركة الاجتماعية فى مصر - أن يكون بعيداً عنها ، خاصة وهو الفلاح الذى شق طريقه من أعماق الريف ، الحالم برفقة بنى قومه ، وتعاطف مع الثورة بالفعل فى أيامها الأولى ، وكانت "منذرتـه » كعبة لرجالها ، وكان يتردد عليها زعيم الثورة أحمد عرابى نفسه ، ويسجل تاريخ الثورة أن على مبارك كان يتبرع لها بسخاء ، كما ينسق فى عمله العام معها ، ويتضامن مع محمود سامى البارودى فى وزارة رياض ، ويسجل بلنت أن كلا من على مبارك والبارودى كانا يضعان العقبات فى طريق رياض باشا سنة ١٨٨١ ، لكى يعود شريف باشا لرئاسة الوزارة كجزء من خطة العرابيين ، ويصبح على مبارك أحد أقطاب حزب الثورة ، الحزب الوطنى

كانت هذه مواقفه قبل دخول الثورة مرحلة التحدى والصدام التى أعقبها السقـوط وهنـا وقـف الكتـاب والمؤرخون حيارى أمام مواقف تبدو متضاربة من الثورة وأحداثها ، وأمام تلك الانجازات الهامة التى حققها البسطاء من شعبه .

وهل تخلى على مبارك عن الثورة فى لحظاتها الحرجة ..؟!

وماهو موقفه من القوات البريطانية التى احتلت البلاد وما جرته على مصر من ويلات .؟! لقد وقف على مبارك مع رجال الثورة عندما كانوا قوة داخلية يسعون إلى التغيير فى إطار النظام القائم ، **ولكن عندما انزلقت إلى مرحلة الصدام مع الخديو ومع القوى الأجنبية المتربصة ، كان له معها شأن آخر ، واصبحت الأحداث السريعة المتلاحقة تمثل تهديداً حقيقيا على كل ما حلم بتحقيقه .**

● ضـرب الإسكندرية

لقد ظهر موقفه الجديد من الثورة ، بعد ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وانسحاب القـوات المصرية أمام قوات الاحتلال ، وبقاء الخديو فى الاسكندرية ، ورأت قيادة الثورة فى القاهرة ، أنه إما أن يكون الخديو أسيراً وإما أن يكون قد انحاز لقوات الاحتلال ، وفى الحالتين لا يجوز ترك البلاد بدون سلطة شرعية عليا ، وقلم المجلس العرفى ليملأ الفراغ وعقد اجتماع فى ديوان وزارة الداخلية ، وقر رأيهم على إرسال وفد إلى الإسكندرية ويطلبون من الخديو التوجه إلى القاهرة حتى يصبح الحاكم الشرعى فى البلاد .

ويكمل عرابى فى مـذكراتـه : "وانتخب على باشا مبارك وزير الأشغال سابقا - فى زمن الاستيداد - رئيسا للوفد" ، وتظهر بعض التفاصيل مما جاء فى استجواب حسين باشا

الدرمللى أمام المحكمة ، الذى يذكر أنه خلال الاجتماع ، قام الشيخ عليش منادياً بخلع الخديو ، وظاهره عدد من الضباط منهم على الروبى ، ووقف البعض وبينهم على مبارك دون ذلك ، وقام محمد عبيد بالرد عليهم ، (الذى استشهد فيما بعد وهو يقاتل قوات الاحتلال) وقال على مبارك : "ما الذى يمنع من أن تكون أخبار الاسكندرية كذباً ؟، ورد عليه عبد الله النديم بحدة : وماذا بشأن شهادة ٣٠٠ ألف نسمة خرجوا من الإسكندرية ؟!"

وسرعان ما تحول على باشا مبارك من مؤيد إلى وسيط ومن وسيط إلى طرف ، وتخلى عن مهمته ، ويسجل عبدالله النديم هذه الواقعة بقوله .. : "وتوجهوا إلى كفر الدوار ، ومنه إلى حزب البواد ، فانضم على مبارك وأحمد السيوفى إلى أهل المين بخفى حنين" .

وعندما يروى على باشا مبارك أحداث الثورة العرابية فى سيرته الذاتية ـ التى لم تتجاوز ثلاث صفحات ، ويتعرض خلالها لهذه الواقعة .. فيقول : "تشكل بالقاهرة مجلس عرفى بأمر عرابى للنظر فى المصالح ، وكثيراً ما عقدوا مجالس للنظر فى مسائل تعرض من طرف العرابى وحزبه ، وفى آخر مرة عقد مجلس بديوان الداخلية بالقاهرة ، ندب إليه كثير من الأمراء والعلماء والروحانيين وأعيان البلد ، وكنت قد



الخديو توفيق

حضرت من بلدى لقضاء بعض المصالح .. فعينت سفيراً إلى الأسكندرية مع جماعة من الوطنيين ، فلما وصلنا إلى الأسكندرية تكلمت فى عمل طريقة لما يوجب خمود الفتنة ، فأجاب جناب الخديو ، وصارت المكالمة فى هذا الشأن مع الانجليز ، لكن لم ينجح ذلك لمزيد نفر العسكرية !!"

كما يذكر فى ذات السيرة والتى كتبها فى ظل الخديو توفيق وبعد فشل الثورة : "إن ضباط الثورة العرابية الذين تظاهروا لقطع مرتباتهم ، جرت منهم أمور جاوزت حد الأدب .." ، ويقول فى موضع آخر : "إن العرابيين تدخلوا فيما ليس من شأنهم .. وأن الغرور ركبهم عندما سالمهم توفيق أول الأمر .."

وهو هنا يعبر عن حقيقة موقفه من

علي باشا مبارك

الثورة وأحداثها ، كما يلاحظ أنه عندما يستعرض في كتابه الخطط ما قام به في وزارة الأشغال في وزارة رياض .. يقول : "وهكذا كانت الأعمال قائمة على قدم السداد ، وكانت هيئة النظار سائرة في الطريق الجادة ناشرة ألوية العدل والتسوية بين القوى والضعيف ، والرفيع والوضيع ، فاستوجب ذلك إثارة الحقد في صدور أرباب الأغراض فتقولوا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلط كثير منهم بضباط العسكرية وأوغروا صدورهم وألقوا في آذانهم أنهم الأحق بتعديل القوانين والتصرف في الحكومة حيث أنهم أهل الوطن وأصحاب القوة .."

ويعلق في موضع آخر على وزارة البارودي التي احتل فيها عرابي وزارة الجهادية ، قائلا : "فلم تخمد نيران الفتنة ، وانضم إلى الطائفة العرابية الخوارج كثير من أهل البلاد وأعيانها ما بين راغب وراهب" .

وفي المقابل يسجل عرابي .. "أن علي مبارك كان وزيراً للأشغال في وزارة شريف باشا التي أقامت زينة في حديقة الأزبكية دامت ثلاث ليال ابتهاجاً بدخول الإنجليز للقاهرة ، وأن علي مبارك كان يجلس مع الوزراء خلف توفيق ، وهو يعرض جنود قوات الاحتلال الانجليزي في ساحة عابدين"

ليس هذا فحسب ، بل من يقلب مؤلفات علي باشا مبارك ، يلاحظ أنه تجاهل معظم قادة الثورة في تراجمه ، وأحيانا تجنب البلاد التي نشأوا فيها ، فلم يترجم في خططه للزعيم أحمد عرابي ، ولا لعبد الله النديم ، ولا حتى للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ومن ترجم لهم من الثوار لم يعالج موقفهم خلال الثورة ، بل ويلاحظ أيضا أنه لم يترجم للزعيم الكبير عمر مكرم الذي له الفضل في تنصيب محمد علي والياً على مصر ، ثم تخلص منه محمد علي ونفاه خارج مصر ، فهل تجاهل لكي لا يغضب الأسرة العلوية !.

وأخيرا

فليكن موقف علي باشا من الثورة قائما على إيمانه العميق بالتطور والتدرج بديلاً عن الثورة ومخاطرها ، وليكن دافعه إلى ذلك حرصه الشديد على استكمال مشروعه الذي قطع فيه شوطا واسعاً ، ومع تقديره الدقيق لموازين القوى ، ولمن سيكون له الغلبة .

ولكن علينا أن نتوقف طويلاً ، وهو يعبر إلى الجانب الآخر في أحد اللحظات التاريخية الدقيقة ، وعندها لن يكون من الإنصاف إلقاء اللوم على اولئك الذين طالبوا بالحرية ، وجاهدوا في سبيل وطنهم ، وحتى إذا انتهى جهادهم وتضحياتهم إلى الخسران .

أعداء الثورة الفرنسية

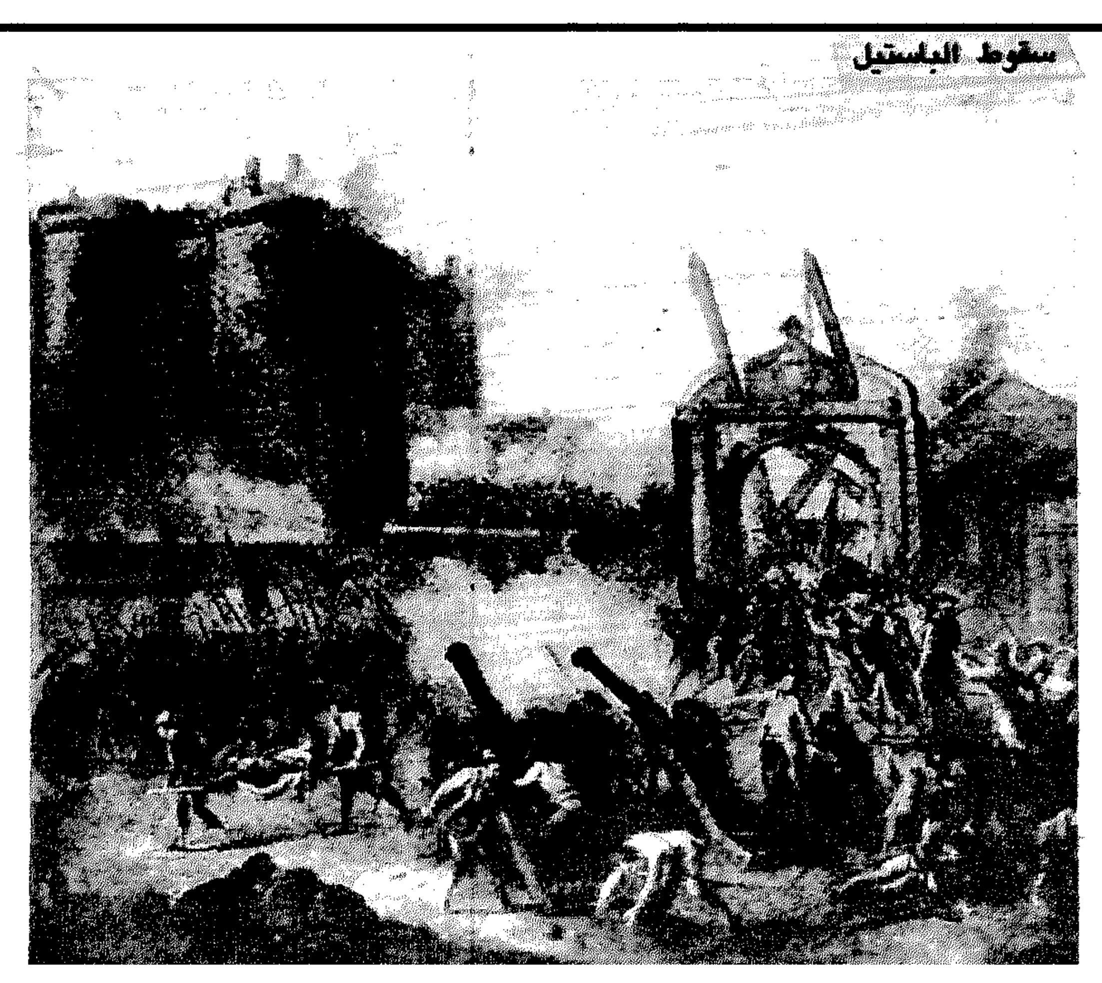
المحافظون البريطانيون

بين الثورة والتطور

بقلم: د. أحمد أبو زيد

كان سقوط الباستيل يوم ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ بشيرا ببزوغ فجر جديد للحرية في نظر الكثيرين ممن عاصروا تلك الاحداث سواء في فرنسا او خارجها .

سقوط الباستيل



أعداء الثورة الفرنسية

■ وفى بريطانيا بالذات وقف كثير من الكتاب والمفكرين والساسة الى جانب الثورة لأنها كانت تحمل - فى رأيهم - آمالا عريضة بمستقبل جديد وباهر للانسان بحيث نجد ويليام بت مثلا يعترف صراحة بأنه ينظر قدما الى اليوم الذى يشاهد فيه فرنسا الحرة وقد أعيد بناؤها وأصبحت واحدة من أهم وأقوى الدول فى أوروبا . بل أن بعض رجال الدين الذين يوصفون بأنهم (منشقون) كانوا يؤازرون الثورة أو على الأقل يتعاطفون معها . ووصل الأمر بأحدهم وهو الدكتور ريتشارد برايس الى أن يعلن فى الكنيسة أثناء الصلاة أنه لايرحب فحسب بالثورة فى فرنسا باعتبارها بداية لعمر جديد من الحرية ولكنه يربط بينها وبين الثورة الانجليزية التى قامت عام ١٦٨٨ وأنه سعيد لأنه عاش حتى رأى الناس وقد بدأوا يفهمون معنى حقوق الانسان بطريقة أفضل من أى وقت مضى ويرى الأمم وهى تجاهد من أجل حريتها بعد أن كان الناس قد نسوا معنى هذه الكلمة ، بل انه ذهب الى أبعد من ذلك حين أهاب بأصدقاء الحرية والكتاب والمفكرين بأن يهبوا للدفاع عن الثورة كما أهاب بالانجليز بأن يقوموا للمناداة والضغط على الحكومة من أجل الاصلاح فى انجلترا أسوة بما يحدث فى فرنسا .

● الصراع من أجل الحرية

ولكن تطور الاحداث وتسارعها وازدياد العنف ودخول الثورة فى فترة من الأرهاب الدموى جعل الكثيرين يتشككون فيها وفى أهدافها ويقفون منها بالتالى موقف العداء الصريح . بل إن بعض الكتاب والمفكرين البريطانيين اتخذوا هذا الموقف العدائى من الثورة حتى قبل أن تدخل فرنسا فى دوامة الاحداث الدموية اعتبارا من مذابح سبتمبر الشهيرة حتى إعدام الملك والملكة . ومن الطبيعى أن يكون معظم هؤلاء المعارضين والمناوئين للثورة من الكتاب والسياسيين المحافظين الذين لم يكونوا يتصورون إمكان مصادرة الاملاك أو قيام ثورة اجتماعية ضد الدين والكنيسة والنظام الملكى العريق وكانوا يخشون فى الوقت ذاته أن تنتقل هذه المبادىء (الهدامة) الى بريطانيا . وقد وجد هذا الموقف تعبيرا له فى رسالة كتبها المفكر السياسى المحافظ إدموند بيرك (الذى يعتبر خير ممثل لأعداء الثورة الفرنسية) الى لورد شالفونت بتاريخ ٩ أغسطس ١٧٨٩ ينعى فيها على الانجليز اعجابهم وانبهارهم بأحداث الثورة الفرنسية "وصراع الفرنسيين من أجل

الحرية" أو أنه على الرغم من إعجابه شخصيا بالروح الكامنة وراء الثورة فإنه يشعر بالارتياع الشديد من « اندلاع الضراوة الباريسية القديمة » بطريقة مخيفة للغاية ، وأنه لابد للناس من أن يكون لديهم قدر من الاعتدال يؤهلهم للحرية وإلا أصبحت هذه الحرية مسألة بغيضة وكريهة ومرفوضة منهم هم أنفسهم إساءة بالغة للآخرين" فالحرية التى كان يقصدها هؤلاء المحافظون المعادون للثورة ومنهم بيرك هى الحرية الاجتماعية التى لن تتحقق إلا من خلال « تمسك الجميع بضبط النفس » بحيث يصعب عليهم أن يجدوا أية وسيلة أو مبرر كاف للاعتداء على حريات غيرهم من أفراد المجتمع .

فكأن العداء للثورة الفرنسية كان صادرا الى حد ما على الأقل - من أن يصل تأثيرها الى انجلترا . أى أن الخطر لم يكن كامنا فى فرنسا ذاتها بقدر ماهو فى نوع التفكير الذى انتج تلك الاحداث التى قامت فى فرنسا وفى الناس الذين يحبذون مجىء هذا النوع من التفكير الى انجلترا من أمثال الدكتور برايس والطريف فى الأمر أن الذين وقفوا موقف العداء من الثورة الفرنسية لم يظهروا مثل ذلك العداء للثورة الأمريكية أو على الأصح لم يهاجموها بمثل ماهاجموا به الثورة الفرنسية وكانت حجتهم هى أن الثورة الأمريكية كانت رغم كل شىء تهدف فى آخر الأمر الى انفصال مجموعة من المستعمرات وتحقيق استقلالها وتبعيتها وبذلك فلايمكن مقارنتها بثورة أدت الى هدم وإزالة واسقاط نظام مستقر لدولة عظمى مثل فرنسا . كذلك كانت الثورة الفرنسية تبدو فى أعين الكتاب والمفكرين الانجليز ظاهرة جديدة تماما ومختلفة كل الاختلاف عن كل الحركات الثورية المعروفة بما فى ذلك الثورة الانجليزية التى كانت فى آخر الأمر مجرد ثورة محدودة أدت الى بعض التغييرات الدستورية وادخال بعض التعديلات على نظام التسلسل فى العائلة المالكة . فالثورة الفرنسية كانت تستند الى نظرية واضحة ومهمة عن حقوق الانسان ، كما يقول الدكتور باركين استاذ التاريخ فى جامعة كيمبردج . وكان لهذه النظرية متطلباتها ومطالبها ودعاواها كما كانت تقوم على مسلمات ومبادىء انسانية عامة . ثم أنها رغم كل ما أحاط بها من مذابح وأهوال تخاطب العقل الانسانى بشكل صريح ومباشر وتنادى باسم العقل بضرورة نبذ التقاليد والأعراف الاجتماعية التى سادت لعدة قرون مع ضرورة إعادة تشكيل المجتمع على أسس عقلية وعقلانية جديدة . وكل هذا من شأنه أن يمثل خطرا داهما فى نظر للساسة والكتاب المحافظين فى انجلترا كما كان دافعا لهم على الوقوف موقف العداء الصريح منها ومن دعاواها التى تهدد كيان المجتمع الانجليزى التقليدى الراسخ .

● عصر التنوير

ولم يكن هؤلاء المعارضون والمعادون للثورة الفرنسية يجهلون حقيقة الأوضاع السيئة فى فرنسا أو طبيعة المشكلات التى كانت تواجهها والتى دفعت الناس الى التذمر والتمرد والثورة على النظام القائم والأوضاع السائدة فى المجتمع ؟ ولكنهم كانوا فى الوقت ذاته يدركون قوة الهدم والتخريب التى تحملها هذه الحركة

الثورية والتى كان يمكن أن تنتقل من فرنسا الى انجلترا بل والى كل انحاء أوروبا . والأهم من ذلك أنهم كانوا يدركون ويخشون قوة الأفكار التى مهدت لهذه الثورة ومدى خطورة هذه الأفكار على النظم والقيم والعلاقات التقليدية التى كان الساسة المحافظون يأخذونها أمورا مسلما بها . وقد تكون هناك أسباب وعوامل داخلية كثيرة فى فرنسا أدت الى قيام الثورة ، ولكن كانت هناك عوامل أخرى تتعدى هذه الظروف والأوضاع الداخلية ، وهى عوامل تتمثل فى بعض العناصر الفكرية التى لم تكن مقصورة على فرنسا وحدها بحال ، ونعنى بها الفكر الذى ساد فى عصر التنوير والذى كان يهدف الى خلق نظرة جديدة الى الانسان ويرمى الى تحرره عن طريق العقل من ربقة واضطهاد الأوضاع الدينية والاخلاقيـة والحياة التقليدية السائدة فى أوروبا حتى يمكنه تحقيق ذاته والتحكم فى مصيره وفى قدره . فمع أن حركة التنوير كانت قد بدأت فى الأصل من أجل التحرر من « جمود التقاليد الذهنية » والانصراف عن المنطق الجامد التقليدى فانها لم تلبث أن أخذت تشكك فى كل القيم التقليدية والمعتقدات وتبشر بأهمية الفردية المطلقة وتعمل على ابراز التقدم البشرى وتنادى باتباع المناهج التجريبية للعلوم وبتحكيم العقل فى كل شىء على مايقول مجدى وهبه . وكان هذا يمثل ثورة ضد كل ماكان سائدا فى أوروبا من قيم وتقاليد ، وبذلك كانت حركة التنوير تحمل فى ثناياها كثيرا من العناصر الهدامة والقوى الابداعية الخلاقة فى وقت واحد وهو ماتمثل فى الثورة الفرنسية الى حد كبير . فقد كانت الثورة بكل ما تشتمل عليه من تمرد وهدم للتقاليد تحمل الأمل بقيام مستقبل انسانى جديد يقوم على أسس جديدة .

ولم يكن أعداء الثورة الفـرنسية وبخاصة من الكتاب والسياسيين الانجليز يؤمنون بمبدأ العقلانية فى السياسة ولا بإمكان فهم ذلك العالم المضطرب فهما عقلانيا فضلا عن إمكان تغييره على أسس عقلانية بحتة ، كما أن الحياة الاجتماعية لاتعتمد فى وجودها واستمرارها على النشاط (العقلانى) وحده وإنما هى تعتمد فى الوقت ذاته على المشاعر والعادات والتقاليد والأرتباطات العاطفية والميول والأهواء والوجدانـات ، التى بدونها تتحطم هذه الحياة الاجتماعية وتنهار تماما وعلى هذا الأساس وقف أعداء الثورة الفرنسية موقفا عدائيا أيضا مما يسميه الدكتور باركن (المزاج العقلانى) أو الاتجاه العقلانى الذى هو وليد حركة التنوير ، وأصبح هذا المزاج العقلانى بذلك هدفا للهجوم العنيف بحيث أطلق عليه أدموند بيرك اسم (الميتافيزيقا السياسية) فالهجوم على الثورة الفرنسية كان الى حد ما على الأقل هجوما على حركة التنوير ذاتها التى كانت ترى تغليب العقـل والتنكر للمشـاعر والعـواطف الانسانية بكل ما تحمله من تضارب وتناقض وتعارض مع التفكير المنطقى . ولايجد أدموند بيرك السياسى المحافظ الذى كرس كتابا كاملا للهجوم على الثورة الفرنسية حرجا فى أن يقول فى ذلك الكتاب موجها الحديث الى صديقه الشاب الفرنسى الذى الف الكتاب من أجله : "فأنت ترى ياسيدى أننى - فى عصر

التنوير - أجد فى نفسى من الشجاعة مايجعلنى أعترف بأننا على العموم بشر لنا مشاعر فجة غير مهذبة وأننا بدلا من أن ننبذ كل أهوائنا وميولنا يجب علينا أن نحتفى بها الى أبعد حد ممكن .

والواقع ان اعداء الثورة الفرنسية من الكتاب ورجال السياسة الانجليز لم يكونوا يقفون ضد التقدم أو التطور أوالاصلاح . فقد كانوا يدركون أن المجتمع الفرنسى ، وشأنه فى ذلك شأن كل المجتمعات كان يعانى من كثير من الشرور والمظالم والمتاعب والانحرافات ويتعرض لكثير من الأخطار والاضطرابات وإساءة استخدام السلطة ، ولكنهم كانوا يؤمنون فى الوقت ذاته بأن الحياة الاجتماعية فى كل مجتمع من المجتمعات أيضا تحمل فى ثناياها بذور عناصر التقدم وامكانات التطور والرقى وقوى اصلاح المسار والقضاء على المتاعب والصعوبات ، ولذا كانوا يرون أن (الفعل السياسى) يجب ألا يركن الى مخاطر التجديد والتجريب وإنما ينبغى أن يرتكز على ما يسميه بعض هؤلاء الكتاب (ثقافة النمو الداخلى للمجتمع) والصورة التى يقدمها أدموند بيرك بالذات فى ذلك هى صورة (البستانى) الذى يتعهد حديقته ويعمل على نمائها وازدهارها وليس صورة (المهندس) الذى يهدم لكى يشيد ويخترع ويجرب ، بكل مايتعرض له ذلك التجريب من مخاطر واحتمالات الفشل . وهذا هو فى رأيه ورأى بقية اعداء الثورة من المعاصرين له مافعلته الثورة الفرنسية وما تفعله كل ثورة فى العادة ، فلقد هدمت الثورة الفرنسية القيم القديمة ودخلت فى دوامة التجريب لاقامة مجتمع جديد ، مع أن المجتمع القديم والحياة الاجتماعية والثقافية القديمة كانت تحمل كل عناصر وقوى وامكانات التقدم وكانت خليقة بأن تحقق ذلك التقدم لو أحسن البحث عنها ثم أستغلالها .

كذلك يأخذ أعداء الثورة الفرنسية عليها أنها كانت ثورة (طوباوية) ومثالية وتهدف الى اقامة المجتمع المثالى أو المجتمع الفاضل إن أمكن استخدام هذه الكلمة هنا . ومن الطبيعى أن الكتاب ورجال السياسة المحافظين كانوا يقفون ضد هذه النزعة الطوباوية بكل ما تحمله من تطرف فى اتجاهها نحو التجديد والتحديث وعمليات الاحياء الاجتماعى ومحاولة تحقيق الكمال فى مختلف مجالات الحياة وما يؤدى اليه ذلك من مفارقات بين ماهو قائم وما ينبغى أن يكون وبالتالى ازدياد الهوة وتعميق الفوارق بدلا من تضييقها وملئها بالتدريج ، وأنه لابد فى حركات الاصلاح الاجتماعى والسياسى من أن تؤخذ مختلف الاعتبارات والعوامل والابعاد فى الحسبان حتى يسلم التقدم من المزالق الخطرة التى قد تؤدى اليها الثورة والتطرف والنزعات الطوباوية غير المتعقلة والمتسرعة .

● التقدم الاجتماعى

واذا كان لامفر من التسليم بضرورة بأهمية رفاهية المجتمع وتقدمه فإن ذلك يعتمد على أمور وعوامل كثيرة ومعقدة . ومن الخطأ فى رأى أعداء الثورة التركيز على أمر واحد منها والتضحية ببقية الاعتبارات . وعلى ذلك ، فإذا كانت الثورة الفرنسية قد نادت بالحرية وأعطتها أولوية مطلقة أو شبه مطلقة واتخذت منها مثالا ثوريا عملت على تحقيقه فإن ثمة أمورا

أعداء الثورة الفرنسية

اخرى لاتقل عن الحرية شانا بالنسبة لمجتمع مثل العدالة والامن والسلام والاستقرار وهي امور تطلب وتراد لذاتها من ناحية ، كما انها تخدم اهداف الحرية وتساعد على تحقيقها وارساء قواعدها وترسيخها من الناحية الاخرى فالتقدم الاجتماعي يوجد بذوره في القيم الكامنة والمتجسدة في حياة المجتمع كما انه يتحقق بتنمية هذه البذور وتعهدها بالرعاية اكثر مما يوجد في الاهداف البعيدة الصعبة المنال والتي يتطلب الوصول اليها المخاطرة بالاشياء التي يتمتع بها المجتمع بالفعل او في التضحية بالواقع القائم الحقيقي من اجل مستقبل متخيل او وهمي او من اجل نوع من الكمال المطلق الذي يصعب حتى تصوره بكل تفاصيله الدقيقة . واذا كان اعداء الثورة يرفضون فكرة الكمال المطلق فإنهم يتكلمون عما يسمونه بالكمال العملي ، وتحقيق هذا الكمال العملي لا يحتاج الى الحماسة الزائدة الطائشة للاصلاح بقدر ما يحتاج الى القدرة على ادراك الممكن والعمل في حدود ذلك الممكن وهذا يتطلب بدوره ضرورة توافر مايسمونه بالوعي الواقعي اى ادراك ما يمكن تحقيقه وما ينبغي انجازه مع الاخذ في الاعتبار امكانات المجتمع ونبض الحياة فيه واحترام واقعه وظروفه وقيمه وتاريخه وتراثه اذا اريد الاستمرار في التقدم والتطور بخطى ثابتة

وواضح ان هذه الاعتراضات او الانتقادات التي كان يوجهها اعداء الثورة الفرنسية منذ مائتي سنة هي نفس الاعتراضات والانتقادات التي يوجهها اعداء اية ثورة من الثورات التي تقوم لتغيير الاوضاع الجامدة السائدة في المجتمع والتي يرفضها ذلك المجتمع لانها لم تعد تتفق مع الظروف الجديدة او المستجدة او مع متطلبات الشعوب وتطلعاتها او مع المبادىء والحقوق التي تهدرها هذه الاوضاع . ولقد وجدت ، هذه الاعتراضات والانتقادات منذ قرنين صدى قويا وبخاصة في المجتمع البريطاني نتيجة لكتابات ادموند بيرك بالذات ، الذي يعتبر من اشهر وأهم اعداء الثورة الفرنسية خاصة وانه عاصر احداثها وشاهدها عن قرب ولذا تعتبر كتابته حول الموضوع بمثابة شهادة حية وان كانت لم تسلم بغير شك من التأثر بالاعتبارات السياسية المتعلقة بانجلترا ذاتها والخوف من امتداد الثورة اليها . ولقد تحقق خوف بيرك على اية حال حين قامت الثورة بالفعل في ايرلندة - موطنه الاصلي - عام ١٧٩٨ اى في السنة التالية لوفاته .

ولقد تشكك أدموند بيرك في الثورة الفرنسية وأهدافها والنتائج (الوخيمة) التي سوف تترتب عليها حتى في الوقت الذي كان غيره من الكتاب والسياسيين والمفكرين يرحبون بها ويأملون فيها الخير . وقد كتب بيرك عن الثورة كتابا ضخما بعنوان (تأملات في الثورة الفرنسية) ، وقد لقى الكتاب كثيرا من الترحيب والقبول الحسن في بريطانيا بعد صدوره ، بل وكان من أهم الكتب خلال القرن التاسع عشر ولايزال حتى الآن يعتبر من أهم كتب فلسفة السياسة وبخاصة فيما يتعلق بتقويم الثورة من وجهة نظر سياسي بريطاني محافظ . ويزيد من أهمية هذا الكتاب انه يصدر عن

سياسى محترف وليس عن فيلسوف أو مفكر سياسى نظرى ، ولذا فإن الآراء التى يضمها فى الكتاب والتى تعبر عن نظرته المعادية للثورة الفرنسية آراء تصدر عن التجربة أو عن الخبرة والممارسة الشخصية وليس عن القراءات أو التأمل النظرى المجرد . ومن هنا كان الكتاب يعتبر من أفضل التعليقات أو الشروح على الأحداث التى شاهدها وعاصرها وإن كانت تعبر عن نظرة خاصة الى الأمور ولذا فإنها قد تفتقر الى عنصر الموضوعية التى تتصف بهـا الكتـابـات التـاريخيـة الاكاديمية ، ولكنه على أية حال لم يكن يهدف الى أن يترك لنا دراسة أكاديمية حول الثورة وأحداثها ، ولم يكن يستطيع ذلك حتى لو أراد . والمهم هو أن هذا الكتاب المعبر عن الموقف العدائى من الثورة الفرنسية صدر فى نوفمبر عام ١٧٩٠ أى فى العام التالى لاندلاع الثورة ، ووجد له فى الحال صدى هائلا لدرجة أن أحد أصدقاء بيرك وصف الكتاب بأنه كان من القوة بحيث يستطيع أن (يقلب) الجمعية الوطنية (الفرنسية) رأسا على عقب ويحول مسار واتجاه الرأى العام فى أوربا كلها عن الثورة . وربما كانت معرفتنا فى العالم العربى ببيرك وكتاباته وآرائه قليلة بل وتكاد تكون معدومة إلا فى أضيق الحدود ، ولكن لاتزال هذه الكتابات فى الخارج مصدرا للالهام ومثارا للمناقشة بين أنصار الجديد وأتباع القديم بوجه عام ولايزال (أعداء الثورات) السياسية والاجتماعية يجدون فيها مبررات لآرائهم ومواقفهم المحافظة التى قد يصفها (أعداؤهم) بالجمود والتخلف فلقد كان بيرك يؤمن بأن الاصلاح والتقدم يحتاجان الى التفكير أو الى تلاقى الافكار واصطراعها خلال الزمن لرسم وتحديد الخطوات التى تؤدى الى تحقيق الهدف من خلال التقدم البطىء المطرد الثابت وبحيث تؤدى كل خطوة الى خطوة تالية ثابتة وراسخة وبحيث تنتهى العملية كلها بسلام . فالاصلاح والتقدم عمليتان معقدتان تحتاجان الى التوفيق والى التوازن ، وهو أمر لن يمكن تحقيقه إلا عن طريق دراسة عقول الناس وافعالهم . وهذا لايعنى أبدا التنكر تماما للثورات أو رفض وجود ظروف تحتم قيامها أو إنكار ضرورة قيام الثورة إن لم يكن ثمة بد من قيامها . فكثيرا ما تفرض المشكلات نفسها على المجتمع ، وكثيرا مايجد المجتمع نفسه تحت رحمة الأحداث المفاجئة بحيث تكون الثورة أحيانا هى الحل الوحيد أو المخرج الوحيد من تلك الأوضاع الصعبة أو المستحيلة ، أنما المهم فى رايه هو أن تؤخذ فى الاعتبار دائما إمكان اللجوء الى الأساليب الأخرى وعدم الانسياق بدون وعى فى تيارات الحماسة الزائدة التى كثيرا ما تؤدى بالانسان والمجتمع الى الضياع بعد أن يضل بهما الطريق . ولكن ربما كان ذلك يصدق بالمثل بالنسبة للمبالغة والمغالاة فى الركون الى حكم العقل وحده والتنكر للجوانب غير العقلية أو غير العقلانية فى تكوين الجنس البشرى . وهذا ـ على مايقول ـ هو حكم الطبيعة الانسانية ولادخل للمرء فيه ولايمكن تعديله بحال ، ولذا فإن الفعل الانسانى خليق بأن يؤدى الخير اذا استخدم الناس كل قواهم المختلفة بشىء من التناسق والانسجام والتناغم وهى كلها أمور تتعارض تماما مع فكرة الثورة ولا يمكن أن تؤدى الى قيامها .



رؤية معمارية للشكل والوظيفة

تأليف : د. محمد شرابي عرض وتقديم : د. حسن رجب

ليس يأسرني في مدينة مثل سوقها .. فسوق المدينة هو روحها .. هو نبضها الحي .. قد يكون متسارعا دفاقا .. وقد يكون هادئا رقراقا .. ولكنه في كل الأحوال صادق التعبير عن مزاج الناس .. ليس فيه تصنع ولاتجمل .. لذلك يكون اول ما أقصد في المدينة سوقها .

وبحق ليس هناك في العالم ما هو أجمل من السوق في المدينة الاسلامية .. فهنا لاتحس بنبض الحاضر فقط ، وانما تحس بأنفاس الماضي أيضا .. هنا تمتزج الروائح والالوان والأزمان .. لذلك كانت سعادتي بلا حدود وانا اتلقف كتاب « البازار . مركز المدينة التقليدى فى الشرق الأوسط ومنشآته التجارية » .

طول العنوان ينبيء بأنه كتاب علمي .. كما ينبيء بذلك أيضا اسم مؤلفه وهو الدكتور محمد شرابى .. استاذ تاريخ العمارة فى جامعة دارمشتات بألمانيا الغربية .. والكتاب صادر باللغة الألمانية ـ بالطبع ـ فيما يقرب من ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، منها أكثر من مائة صفحة من اللوحات المصورة .. يضاف إليها اكثر

قيصرية مقبية اصفهان



السقف المقبى في خان مرجان ببغداد



من مائة وخمسين صفحة تقدم فهرسا شاملا لهذه الأسواق فى ٥٨ مدينة اسلامية .. وفوق ذلك كله عشرات الرسوم المعمارية التى تمتد بعض لوحاتها على مساحة أربع أو خمس صفحات متصلة !

والمؤلف قد رجع الى أكثر من ٦٠٠ مرجع بين تراثي ومحدث ..

● العشق والتوحد

لعل من المفيد أن أقدم المؤلف قبل الكتاب ، حتى نفهم العلاقة الحميمة بين المنشىء والبناء ، إلى درجة العشق والتوحد ، والتى تجعل القيام بمثل هذا العمل الضخم أمرا ممكنا ولا أقول ميسورا .

التقيت بمحمد شرابى لأول مرة فى عام ١٩٥٧ ، أو لعلها كانت ٥٨ ، بمسجد برلين الكبير .. وكان قد جاء إلى برلين ليدرس الهندسة فى جامعتها التكنولوجية الشهيرة .. والتى تخرج فيها « فرنرفون براون » عالم الصواريخ الألمانى الشهير ، والذى فتح ابواب السماء أمام صناعة الفضاء الأمريكية .. جاء محمد إلى برلين لأن مجموعه فى « التوجيهية » لم يسمح له بدخول كلية هندسة مصرية !

وفى برلين تكشفت مواهب الشاب ـ أو خيبة نظام التعليم عندنا ـ فما لبث أن بز أقرانه وحصل على البكالوريوس بامتياز ثم الدكتوراه .

وهى تجربة تكررت مع كثيرين غيره ، مما يؤكد ذكاء المصرى وقدرته المغمورين نتيجة لتعاون نظام تلقينى فاشل ، مع مناخ معادٍ لحرية الفكر والابتكار مما يؤدى إلى وأد تفرده وعبقريته فى مهدهما !

ورغم نجاحه فى السلك الاكاديمى ، وتعيينه استاذا لتاريخ العمارة بجامعة المانية ، وبخاصة فى الحياة العملية كمهندس معمارى استشارى مرموق ، فإن حضارة أوربا لم تستطع أن تمتص وتقتلع جذوره ..

وهكذا ظل قلبه دائما معلقا بالشرق .. ولهذا لم يتأخر يوما عن دعوة للمساهمة فى إعمار بلاده .. ولعل من أهم الأعمال التى قام بها فى هذا المجال اعادة تخطيط وانشاء سوق جدة القديم ..

وكانت الاسواق تجذبه اليها باستمرار مفتاحا للتفاعل الأجتماعى والاقتصادى بهذه المدن .. لهذا اتسعت رحلاته العلمية والعملية عبر السنوات الطوال ، فشملت اسواق العرب والعجم والترك ، وغيرهم من الشعوب الاسلامية .. ينظر اليها من أمام ومن خلف .. من تحت ومن فوق .. فهو حينا طائر ينظر من علٍ .. وهو

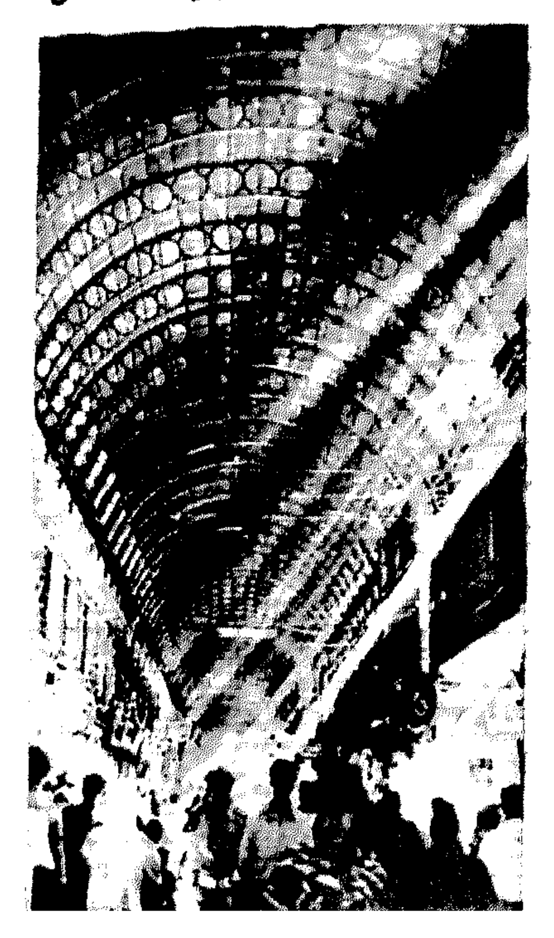
حينا آخر ملتصق بالأرض ينقب فى الأساس وهو فى كل الأحوال عالم مدقق وعاشق مفتون .. وعلى كثرة من كتب عن الأسواق الشرقية من المؤرخين والجغرافيين والمستشرقين ، فإن شرابى يقدم فى هذا الكتاب رؤية جديدة مبهرة ، من وجهة نظر معمارية تجرد الاشكال الى وحدات هندسية ، يصوغ منها بعد ذلك منظومة منطقية تفسر الشكل والوظيفة فى اطار الفلسفة والحضارة الاسلامية ..



● مفتاح المدينة

يقول شرابى فى مقدمة كتابه أن المدينة التقليدية فى الشرق الأوسط لايمكن فهمها إلا بمعرفة المركز والقلب ، أى البازار ومنشآته .. التجارية فى تفاعل اجتماعى اقتصادى مساحى (فراغى) .. ويقول انه لا يركز على التاريخ الحضارى ، فهذا عمل ابدع فيه عشرات من المؤرخين المسلمين والمستشرقين من مختلف التخصصات .. مايهم شرابى هو وصف وتحليل موضوعى لظاهرة لاتزال قائمة حتى يومنا هذا كما أن همه الأول ليس أيضا التركيز على العناصر المعمارية الزخرفية والجمالية ، وانما يريد أن يستخلص المنظومة الاساسية من الملامح والخصائص التى تحكم الشكل والوظيفة فى الشرق الأدنى ، والذى يحدده بالمساحة الواقعة بين

سوق الحميدية ـ دمشق



المحيط الأطلسى فى الغرب والهندى فى الشرق وقزوين فى الشمال وبحر العرب فى الجنوب ..

وهى المنطقة المتأثرة بالحضارة الهلينية الرومانية ، والتى سكنتها شعوب اسلامية منذ القرن السابع الميلادى ..

فى هذه المنطقة الشاسعة برزت ثلاثة أشكال رئيسية متميزة للمنشآت التجارية ، سواء من ناحية الشكل أو من ناحية الوظيفة

١ ـ أول هذه الاشكال هو « البازار » .. وهى كلمة فارسية .. ويندرج تحت مفهومها الشامل المنشآت التجارية التى تقع فى مركز المدينة ، وتكون مسقوفة ، وعلى الأغلب تقفل الشوارع المؤدية اليها ببوابات وتستخدم هذه التسمية حتى يومنا هذا فى ايران وبعض مناطق تركيا .. وتصغر أحيانا الى « بازارجى » ..

أما العرب فيستخدمون تسمية « السوق » لهذا النوع من المنشآت ..

ويرجع المؤلف الكلمة إلى اللغة البابلية القديمة ـ بينما يرجعها مصدر

آخر إلى أصل آرامى .. وقد انتشر استخدام تصغيرها « سويقة » فى العصر الوسيط ..

أما فى تركيا فتستخدم كلمة « شارشى » وهى مستمدة من كلمتى (شهار ـ سوق) ..

وعادة تنسب إلى شىء ففى ايران مثلا هناك « بازار الوكيل » فى شيراز ، و « على باشا شارشى » فى أدرنة ، و « سوق مدحت باشا » فى دمشق ، وسوق الغورية ، فى القاهرة ..

● القيصرية

أما الشكل الثانى فهو

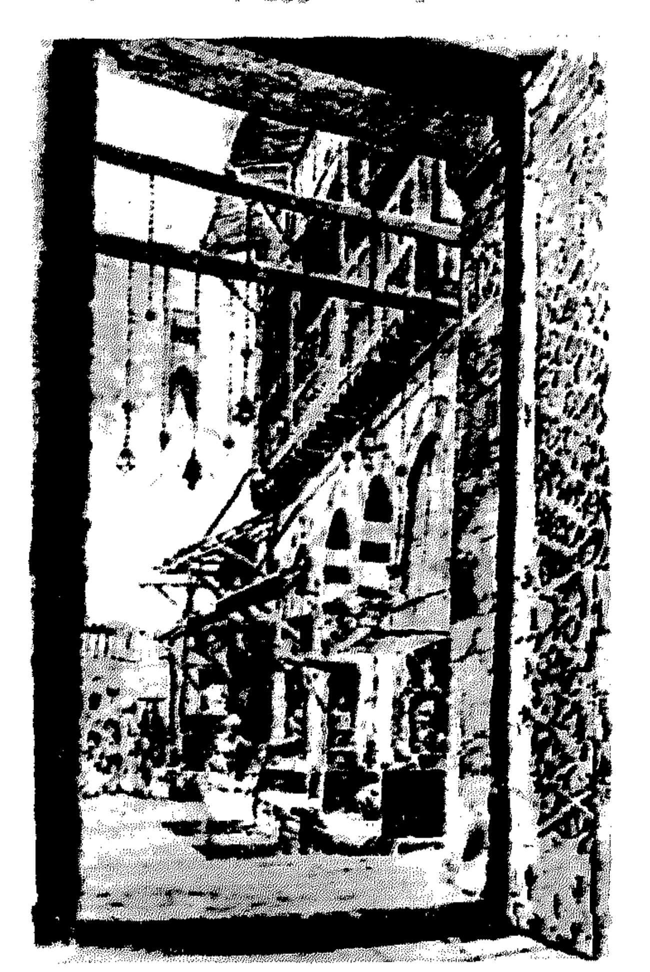
الفناء الداخلى لفندق رحبة القيس



« القيصرية » وهو تعبير عن متاجر التجزئة فقط ، دون أن تتوافر بها وسائل للمبيت .. والشكل الثالث هو « الخان » ، وهى كلمة فارسية بمعنى البيت .. وكانت تطلق على المؤسسات التجارية التى تتوفر بها وسائل الأقامة للغرباء .. وقد انتشر استخدام هذه الكلمة فى ايران قديما ثم فى تركيا وسوريا وفلسطين والعراق .. وفى اليمن كانت تسمى « جمرك » .. أو « سمسرة » ..

أما العرب فاستخدموا كلمة « فندق » ويرجعه المؤلف الى اليونانية ـ كذلك استخدمت « كارفان سراى » وهى مركب من كلمتين فارسيتين وكان « كارفان سراى » عادة يشبه استراحة للمسافرين ملحق به مخزن للبضائع ..

أما فى مصر فقد اقتصر استخدام اسم « الوكالة » على هذا النوع من المنشآت ..



دكاكين عند الواجهة الشمالية لمدرسة السلطان قلاوون بالقاهرة

● الاستمرارية

أهم مايميز السوق الاسلامى بأشكاله المختلفة هو الاستمرارية التاريخية .. فهو ليس نتاج عصر بذاته أو حاكم بعينه .. وانما هو نتاج مئات ، بل وآلاف السنين .. هذه الاستمرارية التاريخية هى الطابع الاساسى ، الذى لاتفهم هذه المؤسسة الحضارية إلا من خلاله .. تقوم هذه الاستمرارية على التلقى والتجريب ثم التوارث .. ولكن وراء هذه العملية من التوارث المعمارى تقف رؤية حضارية محددة وفكر اقتصادى واضح ونظام اجتماعى ثابت المعالم ..

دين حضرى

يقول المؤلف ان الاسلام دين حضرى نشأ فى كنف المدن مثل مكة والمدينة ثم امتد وازدهر فى الشرق الهلينى .. ويقول ان الاسلام سعى الى توحيد الفكر الدينى والفعل الحياتى فى إطار الشريعة ، التى



القيصرية ـ غرناطة

حاولت ان تنظم حياة المدينة بكل تفصيلاتها .. واذا كان التطور الفعلى للأحداث قد باعد بين اصول الشريعة وبين مجريات الواقع المعاش فى كثير من الأحيان فى القضايا السياسية ، فقد بقيت وحدة المسلمين ظاهرة فى سلوكهم الأجتماعى والاقتصادى ..

ساعد على ذلك مرونة الشريعة فى مجال أحكام الاقتصاد ، مما مكن الناس من التوصل من خلالها إلى حلول لمشاكلهم الاقتصادية الآنية ..

أى أن الشريعة بقيت بالأساس منهاجا واطارا عاما للسلوك ، دون أن تضع قانونا تجاريا مجددا .. ولكنه يقول أنه يمكن تحديد ملامح عامة للاقتصاد الاسلامى كما ساد فى القرون الأولى ، وكان له تأثيره على العمارة التجارية الاسلامية ..

أول هذه الملامح هى الحرية التجارية ومايمكن أن يسمى بالراسمالية الليبرالية .. أما المؤسسات التى كانت تسيطر وتشكل هذه الأنماط التجارية فكان على رأسها الدولة الاسلامية ، وكذلك القضاة والفقهاء .. الى جانبها نشأت طوائف الحرفيين (الفتيان) والتى يمكن تشبيهها باتحادات العمال الحالية ولعبت دورا اقتصاديا هاما ، بالأضافة الى دورها الاجتماعى والدينى ..

ولكن العامل الأساسى الذى شكل « السوق » كان مبدأ ليبرالية الاقتصاد وسيطرة الأفراد على مجالات التجارة والنقل والتوزيع .. فأصبح السوق هو مركز التنظيم الاقتصادى والتمويل .. ورغم أن هذا النمط الرأسمالى التجارى - الذى لانستطيع مساواته بالرأسمالية المعاصرة - لم يهتم ولم يتسع للقطاع الانتاجى - ممثلا فى الزراعة والصناعة - فإنه أفسح لها مجالا فى السوق لممارسة أنشطتها محققا بذلك وحدة اقتصادية كاملة غير مسبوقة ..

● وحدة العقيدة

لم يؤثر شىء فى الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية فى الشرق الاوسط قدر ما أثرت فيها وحدة العقيدة .. هذه الوحدة التى لم تتجاوز القومية والجنسية واللون فقط . بل تعدت ايضا التقاليد والعادات المختلفة لبلاد التى دخلها الاسلام - هذه الوحدة صاغها القرآن والحديث فى جميع مناحى حياة المسلم ، بحيث تراجعت الحدود بين الحياتين الدينية والمدنية الى السلفية .. وتوحد بذلك المسجد مع السوق فى تناسق كامل .. ومن الجدير بالذكر أنه على مدى قرون طويلة وبرغم النزاعات والفرقة السياسية فان العلاقات بين الدول الاسلامية ظلت قائمة تسمح بتبادل القيم الفكرية والمادية بين بعضها البعض .. ولذلك يمكن القول بلا تحفظ بوجود وحدة (كتلة) عربية - ايرانية - تركية . كانت تتبادل التجارة مع اوربا .

● الجوار

الذى يسير فى اى سوق اسلامية يلحظ فورا علاقة الود والوئام التى تسود اصحاب الدكاكين المتراصة وهى نتيجة مباشرة لتطبيق مبدأ «الجوار» الاسلامى الذى يتعدى مفهوم التعايش السلمى الى ايجابية معاونة الجار بل والدفاع عنه من حق «الجوار» ايضا نشأ عنصر هام من عناصر معمار السوق الاسلامى فهذا القانون الاسلامى يحدد مفهوم "الشارع" "بالطريق النافذ" ، والذى يفتح للمرور العام .. وقد استقر فى فقه المذاهب ان هذا الشارع لا يجوز ان يقل عن سبعة اذرع (حولى ٢,٥ م) .. والغزالى يسميه "اباحة" اى ملك الجميع ، يخدم كل الأغراض ويستخدمه الكل مهما اختلف دينه .. والغزالى يوضح مبدأ حق الانسان فى ملكه بعدم الاضرار بجاره ، بحيث لا يضر بجار او بعابر سبيل راجلا او راكبا .

● من الصين إلى الأندلس

اذا كانت هناك بعض الاختلافات الصغيرة فى عمارة السوق الاسلامية

من بلد الى بلد فإن الاساس واحد والفلسفة التى تحكم عماراتها واحدة .. يتضح ذلك من متابعة هذه العمارة فى ارجاء العالم الاسلامى مهما بعدت الشقة فابن بطوطة حين زار الصين فى القرن ١٣ الميلادى وصف مدينة (هانصا) وهى اكبر مدينة رآها فى حياته ، وقال انها مقسمة الى ستة مدن فأما المدينة الثالثة ، والتى يسكنها المسلمون فإن تنظيم سوقها لا يختلف عما عهده فى بقية العالم الاسلامى .. وفى الاندلس كانت الاسواق مقامة على نفس طراز الاسواق فى المغرب وفى الجزيرة العربية .. حتى عادت اسبانيا الى حكم المسيحين فزالت معالم هذه الاسواق وقام مقامها اسواق تشابه مثيلاتها فى ايطاليا وفرنسا .

ما حدد الشكل اذن هو تفاعل عوامل اجتماعية واقتصادية وقانونية وجمالية .. وبزوال هذه العوامل تغيرت الاشكال .

فالسوق الاسلاميه اذن شىء فريد فى طبيعته لا علاقة له بما سبقه من الاشكال المعمارية المعروفة عند اليونان ، (Agora) أو عند الرومان (FARUM) فالسوق هو مركز


خان الجمرك - حلب

المدينة التجارى ، وهو مقر العمومية بعكس الخصوصية التى تمثلها منطقة المساكن .. والتى يمكن تشبيهها فى عمارة المساكن التقليدية بالسلاملك (العام) والحرملك (الخاص) .. ولكن الجديد ايضا فى مركز المدينة الاسلامى أنه يجمع العناصر الدينية والثقافية التجارية فى تناغم كامل .. وبدا ذلك واضحا فى عمارة السوق ..

● مراكز الجذب

تعتبر ابواب المدينة ، والمساجد ، ومقامات لولياء الله الصالحين ،

العسكرية وكبار التجار والحكام ، والذين كانوا يسيطرون على مجريات الأمور فى المدينة ويرقبون احداثها ..

وقد تكاملت هذه المبانى المختلفة وظيفيا .. فقد خدمت الأفنية الداخلية للمساجد والمدارس والمنشآت التجارية الكبيرة كجزائر للراحة والاستجمام ، بعد عناء المشى ساعات طويلة فى السوق . كما كانت تجهيزات المساجد بالنوافير ودورات المياه هامة جدا لزوار السوق .. كما كان قرب المسجد من حشود الناس هاما لتسهيل قيامهم بصلاة الجماعة فى المسجد ، سواء يوم الجمعة او الصلوات الخمس اليومية .. والواقع أن اماكن التجمع القديمة فى العصر الكلاسيكى كانت قد فقدت اهميتها بظهور الكنيسة ثم المسجد ، والذى اصبح هو المركز الاساسى للتجمع الشعبى ..



فناء وكالة البازرعة .. القاهرة

والحصون ، من مراكز الجذب الاساسية لزائرى منطقة السوق .. يضاف الى ذلك المنشآت التجارية - سواء أضمت وسائل للاقامة ام لم تضم ، والمدارس والمستشفيات والمقاهى ، والسبل (نوافير المياه) .. هذه المبانى المركزية تمثل تجمعا متكاملا يجسد من ناحية المفهوم الاسلامى للتوحد الكامل بين الفعل الدينى والدنيوى . كما انه يضع فى اعتباره تلبية احتياجات برجوازية المدينة .. هذه البرجوازية التى كانت تتكون من العلماء والارستقراطية

ويمكننا ان نقسم العلاقة بين السوق ومراكز الجذب الرئيسية الى اربعة انماط رئيسية :

١ - ان تصل السوق بين بوابتين من بوابات المدينة مثلما هو قائم فى الجزائر والقاهرة والقيروان ومكناس والرباط .

٢ - ان تصل السوق بين احدى بوابات المدينة والمسجد الجامع او القصر ، مثلما نجد فى فاس والمدينة وطهران وتونس .



٣ ـ الربط بين مسجدين رئيسيين او مقامين .. كما هو الحال فى اصفهان واستنبول ومكة المكرمة

٤ ـ أن تكون صلة بين المسجد الجامع والقلعة ، أو بين القلعة وتحصينات اخرى مثل احد ابواب المدينة .. او بين الميناء وقلب المدينة .. مثال ذلك ما نراه في حلب وبغداد ودمشق والكويت والمهدية وتطوان ..

وتمثل السوق بذلك المحور الاساسى والصلة بين اثنين من مراكز الجذب بالمدينة .. وكانت تختلف طولا مابين ٢٠٠ الى ٥٠٠ متر من الدكاكين المتراصة .. وكان عرض السوق يتراوح بين ٤ و ٨ أمتار .. وكانت المبانى فى المحور الرئيسى للسوق تتكون عادة من طابق واحد .. وان كانت العتبة فى القاهرة تمثل استثناء من ذلك ، حيث كانت الأدوار العليا تستخدم للسكن .. كذلك المحور الرئيسى لسوق مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وصنعاء .. من المحور الرئيسى تتفرع شوارع تختلف فى الطول والعرض ، تزدحم على جانبيها المتاجر ايضا .. ويمكن ان تضيق هذه الشوارع الجانبين حتى تصل الى ١,٥ متر ، حتى لا يكاد ثلاثة من المارة يستطيعون عبورها جنبا الى جنب مثلما هو قائم فى الاسكندرية وبيروت .. وهو تراجع حديث نسبيا عن الحد الأدنى للطريق النافذ والذى لا يجوز ان يقل عن سبعة اذرع .. وتوجد على المحور الرئيسى للسوق بوابات يمكن اغلاقها ، بحيث تنقسم الى قطاعات مستقلة ..

● قباب

وتعتبر السقوف من المظاهر العامة للسوق الاسلامية لحماية الانسان والحيوان والمبانى والبضائع من الشمس المحرقة اوالمطر ، مهما كان قليلا ، والبرد فى بعض المناطق مثل حلب واستنبول وشيراز .. وتختلف الاسقف من منطقة الى اخرى فى الشكل وفى الخامات المستخدمة .. فهى حينا من الطوب النى او الأحمر أو هى من الواح الخشب .. وقد تنفتح هذه السقوف على قبة كبيرة فى نقطة مركزية مثلما نشاهده امام خان القطن بالقاهرة او امام المسجد الكبير فى مكناس . ولعل مصر بالذات كانت من اقل المناطق استخداما للسقوف ، نظرا للوظيفة المزدوجة تجاريا وسكنيا ..

وكانت بالقباب وجوانب السقف فتحات صغيرة يتسلل منها الضوء حانيا خافتا يريح العين ويلقى بظلال جذابة على العمارة البسيطة .. كما

كانت هذه الفتحات تفيد فى التهوية صيفا . ويسد بعضها شتاء

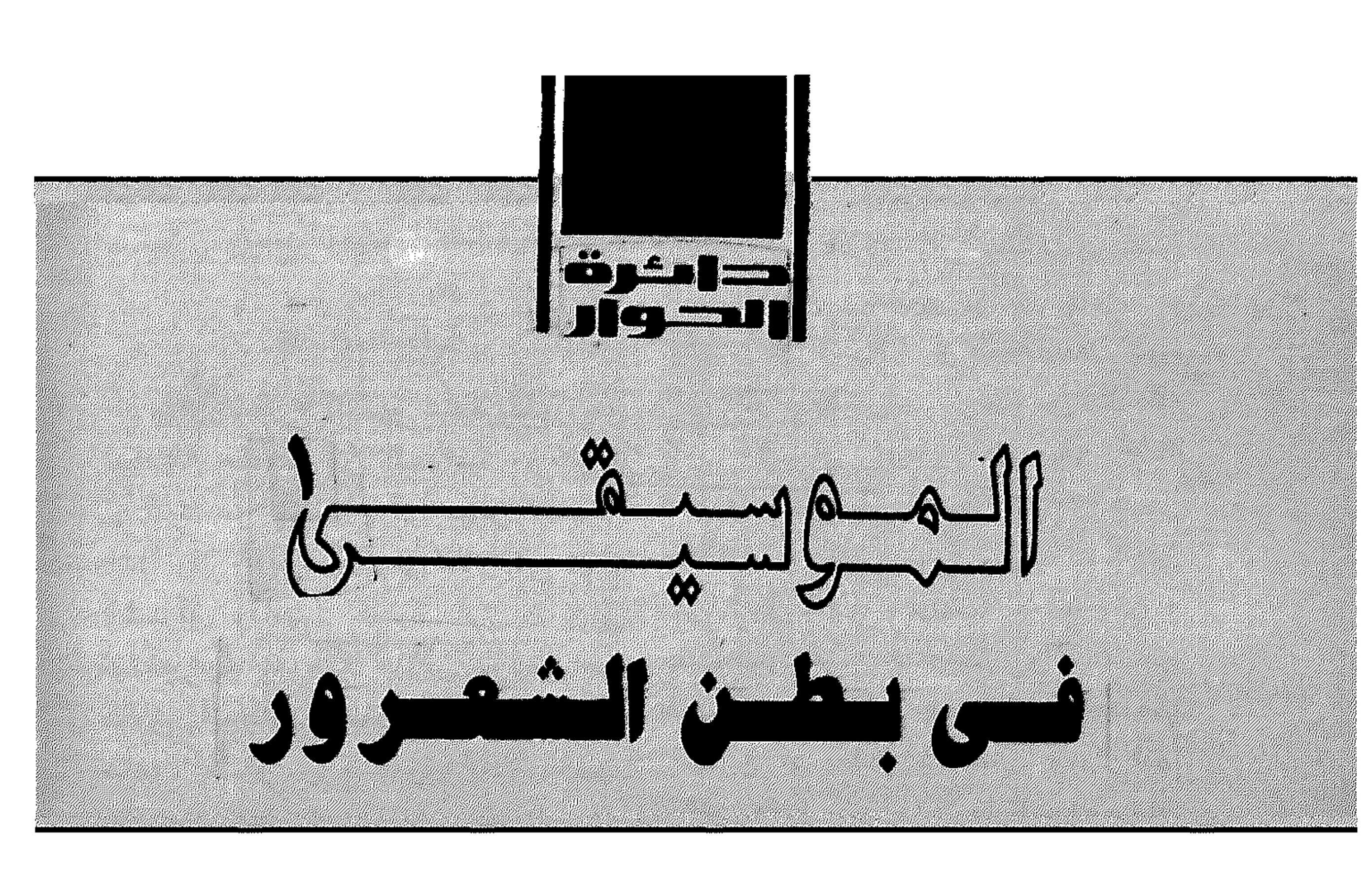
● **المصطبة**

وكان شارع السوق عادة يتكون من سلسلة متصلة من الحوانيت (كان - حانوت - محل) .. وكان شكل الحانوت (كما بقى حتى الآن فى حلب وشيراز وفاس) عبارة عن صندوق صغير جدا .. مثلا مترين مربعين فى سوق العطارين بتونس .. بل هناك ماهو اصغر فى «سوق باب مصر» بالمدينة المنورة ، وسوق زنقة الستات بالاسكندرية .. ولكن بعض هذه الدكاكين كان متسعا ، حتى وصلت الى ١٥م٢ فى شيراز . وكانت هذه الدكاكين (الصناديق ، مفتوحة جهة الطريق .. وكانت الدكاكين عادة ترتفع عن مستوى الطريق ، بحيث يحدث نوع من الفصل بينها وبين الطريق ، كما كان ذلك يتيح مكانا لجلوس البائع والمشترى وقد ازيلت هذه المصاطب فى القرن التاسع عشر بمصر بأمر الحاكم ، ولكن بقيت صورها ولكننا مازلنا نرى نماذج لها فى حلب .. ولكن الشارع كان يستخدم ايضا فى عرض البضاعة ..

وكان هذا جزءا هاما ومميزا للسوق .. فهناك علاقة حميمة بين الشارع والدكان والمشترى ، أو المتفرج ، الذى كان يشاهد ويلمس البضاعة ، ويقضى وقتا يطول او يقصر فى الثرثرة او المساومة ، دون اى التزام بالشراء .. وأهم من ذلك كله أن الانسان يفعل ذلك كله اثناء المرور ، دون ان يضطر الى ان يدخل الدكان .. وكان طبيعة ترتيب الدكاكين فى شكل خلايا متراصة تسمح بمرونة شديدة فى التوسع والانكماش للسوق .. وكذلك فى تغيير صاحب الدكان او طبيعة نشاطه ، حيث انها كانت عادة مستأجرة ومازالت الاسواق حتى يومنا هذا تسير على نفس المنوال الذى حكى عنه ياقوت فى تأسيس بغداد .. كذلك ما رواه ابن بطوطة عن سوق النجف .. فقرب باب المدينة (اى فى طرف السوق) يجتمع تجار المواد الغذائية والطباخون .. يتلوهم الخبازون بعدهم باعة الفاكهة ثم الخياطون .. ثم سوق العطارين والكتبجية بالقرب من المسجد والمدرسة ..

هذه عجالة سريعة فى «بازار» شرابى لا تشفى غليلا .. ولكن عساها تدفع من بيدهم أمر الثقافة فى هذا البلد .. الى البحث عن مترجم ينقل الى العربية هذا السفر العظيم ..





نبدأ بهذه الطرفة !..

فعندما كتبنا مقالاتنا عن الشعر التفعيلى فى مجلتى « التحرير » والعالم العربى منذ خمسة وثلاثين عاما ، استعملنا كثيرا كلمة « الشعارير » وصفا لمن لايحسنون نظم الشعر من التفعيليين وغيرهم ، وطال استعمالنا لهذه الكلمة وثقلت وطأتها على « الشعارير » فاتفق ان التقى بعضهم بالدكتور طه حسين - رحمه الله - فبثوه شكواهم وسألوه : مامعنى الشعارير ؟!.. فأجاب من فوره :

- الشعارير جمع « شعرور » .. وهو من يدّعى قول الشعر !

كأنما كان الشعارير عاجزين حتى عن الرجوع الى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى هذا اللقب الذى خلعناه عليهم فى ذلك الحين !

تذكرت هذا حين قرأت كلمة الناقد الاستاذ ابراهيم فتحى فى هلال يونيو تعقيبا على مقالنا المنشور فى هلال مايو الماضى بعنوان « عصر الشعارير » .. فقد استفتى الاستاذ فتحى « المعجم الوسيط » و« مختار الصحاح » فى معنى الشعرور والشعارير ، كأنه لم يقع عليهما فى كلام من قبل ، وقد خذله « المعجم الوسيط » حين قال له ان المتشاعر اقل درجة من الشعرور ، واصدق من قول المعجم الوسيط قول « ابن رشيق » فى كتابه « العمدة » ان الشعرور « لاشىء » ويأتى بعد الشويعر والمتشاعر ، لان كليهما على

ان النظم بالتفعيلة وحدها دون معرفة الشعراء بالبحور المتكاملة معرفة صحيحة ، سيؤدى الى عجز شعراء الاجيال القادمة عن نظم الشعر موزونا حتى بالتفعيلة ، لان البحور المتكاملة هى الالحان ذات الاصول الجامعة التى تهتدى بها طبيعة الشاعر الى فروعها ومجزوءاتها ، ويكتسب منها الشاعر مهارة غريزية فى الاداء الشعرى !!

بقلم: كمال النجمى

« شىء » .. او على « شوى » .. وهو الشىء مصغرا .. الا اننى فى مقالى ذكرت الشعرور والشويعر فقط وقارنت بينهما ، ولم اذكر المتشاعر ولا المتشاعرين وهم جمهور الناظمين فى هذه الايام !..

● بعد هذه الطرفة ، نتحدث عن اسطورة متداولة فى تاريخ الشعر التفعيلى ، مؤداها ان « مخترع » هذا الشعر هو المرحوم بدر شاكر السياب الشاعر العراقى ، ومعه الشاعرة نازك الملائكة ، او بعده بقليل !

وقد اخذ الاستاذ ابراهيم فتحى بهذه الاسطورة وذكر اسم السياب واسم الملائكة فى « اولى المحاولات لتجديد طريقة الوزن فى الشعر الجديد »!..

ان اولى المحاولات فى هذا السبيل ـ حقا ـ كانت محاولة الشاعر اليمنى الحضرمى المصرى المرحوم على احمد باكثير فى اوائل الثلاثينات ، اذ ترجم المسرحية الشعرية الشيكسبيرية « روميو وجولييت » شعرا تفعيليا ـ لاول مرة فى تاريخ الشعر العربى ـ وفى سنة ١٩٣٦ كتب مسرحية بالشعر التفعيلى اسمها « اخناتون ونفرتيتى » ونشرها سنة ١٩٣٨ .. وبهاتين المسرحيتين سجل لنفسه « براءة اختراع » الشعر التفعيلى ..

ولكن « المخترعين » تكاثروا على اختراع الرجل الحيى المتواضع ، وكلهم يزعم لنفسه ، او يزعم له الزاعمون انه المخترع الوحيد ، حتى



اضطر باكثير ان يتحدث عن نفسه ويقول بصراحة انه هو لاغيره صاحب الاختراع الذى كثر منتحلوه !

يذكّرنى المرحوم باكثير فى حياته ثم فى دفاعه عن عمله هذا الذى ادعاه المدعون ، بالشخصية الكوميدية البديعة التى رسمها فى مسرحيته المشهورة « جلفدان هانم » وهى شخصية كاتب قصصى سماه « عاطف الاشمونى » وجعل احد الاثرياء ينتحل قصة له تسمى « الجنة البائسة » .. فيخرج الكاتب الحقيقى عاطف الاشمونى فى اخر الامر وعلى صدره لافتة باسمه واسم قصته وصوته الصارخ يقول للناس مرة بعد مرة :

ـ أنا عاطف الاشمونى مؤلف الجنة البائسة !..

● ان عاطف الاشمونى الذى رسم باكثير شخصيته لايختلف كثيرا عن باكثير الذى اطبق المنتحلون على اختراعه فى الاوزان التفعيلية .. ولانذهب فى ذلك بعيدا ، بل ندع باكثير يروى لنا القصة فى مقدمة طبعة الستينات من مسرحيته « اخناتون ونفرتيتى »

« وجدت ان البحور التى يمكن استعمالها هى البحور التى تفعيلاتها واحدة مكررة ، كالكامل والرمل



د . طـه حسين

والمتقارب والمتدارك فكان ان استعملت هذه البحور الصالحة كلها فى ترجمة روميو وجولييت ، ثم لاحظت ان اكثر هذه البحور مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو المتدارك فالتزمته فى هذه المسرحية ـ اخناتون ونفرتيتى ـ والبيت هنا ليس وحده كما هو الحال فى الشعر العربى المألوف وانما الوحدة هى الجملة التامة المعنى »..

ويقول باكثير : « فى نظرى ان هذه الطريقة الجديدة لم يسبقنى اليها احد ـ

كانت « اخناتون ونفرتيتى » اكثر نضجا فى طريقة النظم بالتفعيلة من مسرحية « روميو وجولييت » وقدر لها ان تكون اولى التجارب الحقيقة للشعر التفعيلى ، وظهر صداها اول ماظهر فى العراق لدى الشاعرين بدر شاكر


على احمد باكثير


بدر شاكر السياب

السياب ونازك الملائكة ، بعد انطلاق هذه التجربة من مصر على يد باكثير بنحو عشر سنوات .

ويقول باكثير : « كان الشاعر السياب يذكر لى هذا السبق فى كلمات الاهداء التى كان يخطها على كتبه المهداة إلىَّ ».

ولايذكر باكثير كلام السياب مباهيا ، بل يذكره تحقيقا لما كان يشعر به من ألم الجحود ، فقد كان الصمت من حوله يغتال الحقيقة ويواريها فى الظلام !

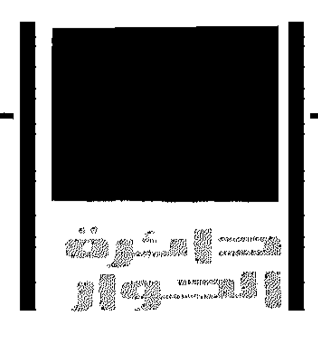
● هل اطلنا الجملة الاعتراضية عن باكثير ودوره فى الشعر التفعيلى ؟!..

ربما !.. ولكننا اطلناها عامدين ، لان الشعر التفعيلى اجتمعت فيه وتراكمت عليه اساطير من كل لون ، ولابد من الفحص عن حقيقة هذه الاساطير مادمنا قد عدنا الى الكلام على قضايا هذا الجنس الجديد من اجناس الشعر العربى .

ونظن اننا سنحتاج الى اطالة القول شهرا اخر او شهرين على حسب المقام ..

فى مقالنا « عصر الشعارير » دار كلامنا حول الشعراء التفعيليين الذين تكاثروا فى الزمن الاخير ولم تدخل فى طبائعهم اوزان الشعر العربى المتكاملة التى هى اساس ضبط اوزان المجزوءات والشذرات التفعيلية على اختلافها .

وقلنا ان البحور المتكاملة هى التى يستمد منها الشاعر مقدرته العفوية غير المصطنعة ، على النظم بالتفعيلة او البحر ، فلا فرق بين شاعر التفعيلة وشاعر البحر ذى المصراعين فى الحاجة الى المعرفة التامة بالبحور



لتنطبع فيه مقدرة شعرية عميقة الجذور ، تصبح بالمرانة وقوة الموهبة ، سليقة فيه !

ويدون المعرفة الدقيقة بالبحور تنكسر التفاعيل ، لانها اجزاء من البحور ، ولاتتم معرفة الشاعر بالتفعيلة منفصلة عن البحر الذى تنتمى اليه ، ولابد للشاعر التفعيلى الحريص على اوزان تفعيلاته ، من ان يعرف البحور التى جاءت منها هذه التفعيلات ، والا طارت من يديه التفعيلات والبحور جميعا .

ومتى عجز الشاعر عن تمييز التفعيلة بعد عجزه عن تمييز البحر ، صار لامحالة عاجزا عن النظم بالتفعيلة بعد عجزه عن النظم بالبحر ، ويصاب عندئذ بالصمم الموسيقى فى الاوزان الشعرية ، فتختلط فى سمعه البحور والاوزان والتفعيلات ، وتتساوى لديه موسيقى التفعيلة القادمة من بحر المتدارك ، والتفعيلة السابحة فى بحر المتقارب ، ويستوى عنده ضربات الكامل ونقرات الرمل ، لان تمييز الفروق الدقيقة بين هذه الالحان انما يجىء بانطباعها فى الشاعر انطباعا ، بصفتها جزءا لايتجزأ من موهبته الشعرية !..

اننا نكرر التحذير من هذا المنزلق الذى يستدرج شعراء التفعيلة الجدد الذين قطعوا صلتهم بالشعر العربى المتكامل الاوزان قديمه وحديثه ، وجعلوا كل زادهم شعر التفعيلة الذى كتبه الرواد امثال السياب والملائكة وعبد الصبور وغيرهم ، فان انطباع اوزان التفعيلة فى طبع الشاعر الناشىء الذى يرشح نفسه لقول الشعر ، لايتأتى من استيعاب اشعار هؤلاء التفعيليين ، لانهم هم انفسهم بدأوا حياتهم فى الشعر بالنظم المتكامل الاوزان ، ولهذا نظموا بالتفعيلة فلم تتكسر فى ايديهم !.

لكن انطباع اوزان التفعيلة فى طبع الشاعر الناشىء يحصل باستيعاب ملكة الوزن من طول النظر فى الشعر العربى الموزون المقفى .. فاذا نضجت هذه الملكة فى الشاعر ، فله بعد ذلك ان يخرج من البحور الى التفعيلات بلا حرج ..

أما الاكتفاء بالتفعيلات فى غضارة النشأة من دون معرفة البحور ، فعاقبته العجز التام عن النظم بهذه وتلك معا ..

● فنحن لا نعارض النظم بالتفاعيل ، ولكنا نشدد التحذير من عجز الاجيال القادمة ، والكثير من ابناء الجيل الحاضر ، عن النظم بالتفاعيل ، لانقطاع صلتهم بالبحور ، وطرحهم الشعر العربى وراء ظهورهم مقودين بتوجيهات نقدية غير صحيحة ..

ونحن لاندعو الى الانكباب على كتب العروض التى يسخر منها الاستاذ ابراهيم فتحى ، ويذكرها بلا مناسبة ،

فاننا لم نذكر فى مقالنا عن عصر الشعارير ، كتب العروض من قريب ولا من بعيد ، وانما نوهنا بالشعر العربى الجيد لانه الينبوع الذى يستقى منه الشاعر فى نشأته اوزان الشعر بدون ان يطلع على حرف واحد فى كتب العروض .. وهذا ماحدث للشاعر محمود سامى البارودى رائد شعراء عصر النهضة او عصر الاحياء ، فانه نظم الشعر ونبغ فيه واعاد اليه ديباجته الذهبية ، قبل ان يقرأ حرفا فى العروض ، بل قبل ان يتضلع فى اللغة نحوا وصرفا ، وانما استقى ملكته واكتسب مقدرته من دواوين الشعر ... فلا داعى لما ذكره الاستاذ فتحى من ان « دراسة البحور الخليلية واجب مفترض من اجل تطوير الشعر » مع انه ذكر هذه العبارة على سبيل التنازل لا على سبيل النصح والارشاد ، وكتبها بطريقة الاوصياء على الفكر ، بعد ان تحرر الفكر من الأوصياء .

ان دراسة بحور الشعر واستيعابها على وجهها الصحيح لايتم الا فى بحر الشعر ذاته ، اى فى دواوين الشعراء ، وان البحور ليست بحور الخليل وانما هى الشعر العربى واوزانه فى دواوينه فمن شاء ان تحصل له فيها الملكة ويستقيم الطبع ، فليست كتب العروض هى الطريق الصحيح كما يوصى الاستاذ فتحى مريديه من طلاب التفاعيل .



نازك الملائكة

وليست آراؤنا فى مسألة الشعر التفعيلى ترديدا لشىء جاء فى كتاب « اللغة الشاعرة » للعقاد كما اومأ الاستاذ ابراهيم فتحى ، فان آراءنا هذه منشورة قبل صدور كتاب الاستاذ العقاد بسنوات .. ولا اغالى اذا قلت انها كانت مما حفز العقاد وغيره الى خوض هذا المجال ، وليحاول الاستاذ فتحى ان يعثر على شىء للعقاد او غيره منشور قبل ان ننشر نحن كلماتنا سنة ١٩٥٥ ويكون له الاجر والثواب ان عثر على شىء من ذلك وارشدنا اليه ، وطابق معناه معنى ماكتبناه !

ولايقلل هذا من قدر العقاد الكاتب العظيم ، ولايزيد من قدرنا ، فقد انطلقنا نحن الى معركة تأنى هو فى الانطلاق اليها ، واختلفت السبل الفكرية ـ بيننا وبينه اختلافا جوهريا لاتخطئه عين مبصرة !..



ومازلت احتفظ بخطاب من الشاعر الكبير المرحوم عزيز اباظة كتبه سنة ١٩٥٥ يسألنى فيه ان اهدى اليه نسخة من مقالاتى التى كنت نشرتها حينذاك فى نقد الشعر التفعيلى ، حيث لم يكن فى « سوق النشر » صفحة واحدة تطرق هذا الباب !

● يبدو لى ان الاستاذ فتحى قد اضاع وقتا فى الكلام عن العروض بطريقة مدرسية ، واستهزأ بالعروضيين القدماء - رحمهم الله واثابهم - وخلط بين دعوتنا الى اكتساب ملكة الاوزان ، وبين ماتوهمه من اننا ندعو الشعارير الى قراءة كتب العروض والانصراف عن الشعر التفعيلى .

وماكنت اظن ان كاتبا محنكا تختلط عليه الامور الى هذا الحد .. فنحن ما اردنا الا تحذير التفعيليين الجدد من نسيان اوزان التفعيلة والانزلاق الى القصيدة النثرية التى يدعو اليها الان الشعرور الذى يسمى نفسه « ادونيس » واخرون على شاكلته من حثالة شعارير مصر والبلاد العربية .

فالكلام اذن عن عروض الخليل بن احمد ومشكلاته كلام خارج عن الموضوع ، وهروب من جوهر المشكلة الذى هو تزايد جهل الشعراء التفعيليين الجدد جيلا بعد جيل بأوزان التفعيلات ، وتكاثر الذين ينظمون بالتفعيلة وهم يجهلونها ، حتى ليبدو جليا ان شعراء الاجيال القادمة القريبة سوف « يتمتعون » بجهل تام للاوزان

صلاح عبدالصبور



عباس العقاد



التفعيلية ، ولانتحدث عن البحور ولا القوافى ..

ولا يبقى لهم عندئذ الا الحيل اللفظية الساذجة التى يسمونها « الموسيقى الداخلية » .. وماهى الا ادخال لموسيقى الشعر فى بطن الشاعر ، او فى بطن الشعرور !

وليست الاوزان المتكاملة أطرا متحجرة تمنع تقدم الشعر ، ولكن الاطر المتحجرة حقا ، هى مايتمسك به بعضم من افكار عفاها الزمان ، واثبت سذاجة القائلين بها فى الادب والشعر .. ومن عجب ان من بقى من هؤلاء لم يحاول ان يتعلم شيئا جديدا ، ومازال يلوك لهجة التنظير المتعالى !

● وباختصار .. نحن لم نتحدث عن « العروض » بكلمة واحدة مع احترامنا له وعدم سخريتنا منه كما يسخر منه بعض المتنطسين .. ولم نهاجم الشعر الجديد ، فمن عجب ان يتصدى لنا بعضهم « دفاعا عن الشعر الجديد »!

صحيح اننا نددنا بالنزعة المدمرة لدى شعارير هذه الايام للخلاص من التفعيلة بعد خلاصهم من البحر ، ومقارفة مايسمونه القصيدة النثرية « ذات الموسيقى الداخلية »

ولكن التنديد بهؤلاء السخفاء ، حق لكل من لايعجبه سخفهم ، كما ان حريتهم تبقى فى ايديهم يتصرفون بها كيف شاءوا فى الهدم والتدمير .

لقد اضلتهم التوجيهات الفكرية ا النظرية الساذجة وكنا نظن ان هذه التوجيهات قد مضى زمانها ولكن ثبت لنا اخيرا انها مازالت تدب دبيبها !

● وبعد ..

فان الاوزان الجبارة الدقيقة الواسعة المدى الغزيرة الالحان ، هى ميزة تنفرد بها اللغة العربية وحدها من دون لغات العالم كله « وهنا تستطيع مراجعة كتاب اللغة الشاعرة » .. فماذا يحدث اذا احتفظ الشعر العربى بهذه الميزة الرائعة الفريدة التى لامثيل لها فى لغات العالم ؟!

– ايكون الشعر العربى عندئذ الى نقصه ام الى تمامه ، والى غزارة موسيقاه ام الى ضحالتها ؟!

واذا استطاع شاعر نابغة ان ينظم بالبحور المتكاملة اعلى طبقات النظم افنطلب منه عندئذ ان يهجر البحور ، ليكون ناقصا نقص القادرين على التمام ، مقلدا تقليدا قروديا اعمى شعراء اللغات الاخرى التى لاتملك ماتملكه لغتنا ؟!

ان الشعارير الذين تقرقر « الموسيقى الداخلية » فى بطونهم ، يريدون وأد جوهر عظيم من جواهر الثقافة القومية والوطنية ، هو الاوزان ، ويريدون منا ان نتخلى عن بحر زاخر من الثراء النغمى العبقرى ، لكى يشنفوا اسماعنا باسجوعاتهم البدائية فى سطورهم النثرية الاعجمية !



عندما تولى الرئيس السادات السلطة

بقلم : د . رشدى سعيد

كتب الدكتور فوزى منصور تعليقا على كتاب المرحوم محمد عبدالسلام الزيات «السادات : القناع والحقيقة» (الهلال - يونية ٨٩) أبدى فيه بعض الآراء عن أحداث الفترة الحرجة التى سبقت وتلت وفاة الرئيس عبدالناصر والتى كانت موضوع الكتاب - ولما كنت قد عاصرت هذه الفترة كسياسى فقد يكون من المفيد أن أنقل إلى القارىء شكل المناخ الذى كان سائدا فى هذه الفترة التى تميزت بإنجازات هائلة فى ميادين إعادة بناء الجيش والاقتصاد والصناعة وفى نفس الوقت بصراعات كثيرة بداخل التنظيم السياسى الواحد الذى كان سائدا فى ذلك الوقت .

● التنظيم السياسى الواحد. وتعدد المجموعات

عجت الساحة السياسية فى تلك الفترة بمجموعات كثيرة - فبالإضافة إلى مجموعتى اليسار التى كانتا موضوع تعليق الدكتور منصور فقد كانت هناك مجموعات أخرى كثيرة التفت كل واحدة منها حول قطب ما من أقطاب النظام ودارت اهتماماتها بصفة أساسية حول مصالح شخصية أو فئوية وجمعتها ارتباطات الأسر والبلديات وشغل القطب فيها صفة الوسيط لدى السلطة - وكانت معظم هذه المجموعات التى انتظمت بداخل التنظيم السياسى الواحد متأثرة بالفكر السلفى الذى شكل تيارا أساسيا ومتعاظما منذ قيام الثورة ومنذ تولى رموزها السلفية شئون الإعلام والتربية والتعليم وأمانة التنظيم السياسى ذاته لفترة طويلة .

أما مجموعتا اليسار إذا أخذنا بتصنيف الدكتور منصور فقد برز منهما ماأسماه بمجموعة « اليسار الناصرى » التى كانت مجموعة منظمة ومغلقة مكونة من بعض أعضاء الحرس القديم الذين أحاطوا أنفسهم بهالة من الغموض والسرية ولم يسمحوا لأحد باختراق معاقلهم أو حتى مجرد الانتماء إليهم فلم يستطع الكثيرون أن يحصلوا حتى على مجرد العضوية العاملة فى التنظيم السياسى كما حدث لليسار الماركسى كما جاء فى مقال الدكتور منصور .

وليس هنا مجال تحليل إيديولوجية مجموعة «اليسار الناصرى» هذه فقد يكون مجرد وصفها بهذا الاسم مجالا للطعن وعدم القبول ولكن المؤكد أنها كانت مجموعة على درجة كبيرة من الوطنية تجمع شتات أفكار متباينة تمتد من شوفانية مصر الفتاة وحلم الدكتاتور العادل إلى رطانة الماركسية والأفكار الليبرالية ـ على أن كل هذه الأفكار والإيديولوجيات لم تكن هى المحرك الأول للقرارات اليومية لهذه المجموعة فقد كان تحركها تدفعه اعتبارات عملية وتخوف شديد من منافسيها من المجموعات والشلل الكثيرة التى كانت تموج بها الساحة السياسية ولم يكن اليسار الماركسى فى الواقع إلا واحدا فقط من هذه المجموعات بل لعله كان أقلها تأثيرا على الحكم وأبعدها عن مصادر السلطة ـ وقد تجمع لدى مجموعة الحرس القديم هذه مفاتيح السلطة فى العام الذى سبق وفاة عبدالناصر .

وليس عجيبا فى أى نظام سياسى أن ينتظم الناس فيه فى مجموعات فهذا حق طبيعى للتعبير عن مصالحهم المشتركة ـ وفى نظام التعدد السياسى تتخذ هذه المجموعات صورة الأحزاب أما فى نظام مصر الستينات فقد كانت تتخذ صورة تجمعات تعمل داخل إطار تحالف قوى الشعب العاملة التى حاول ميثاق العمل الوطنى الصادر فى سنة ١٩٦٢ تجميعها بداخل تنظيم سياسى واحد .

على أن التطبيق العملى لفكرة التنظيم السياسى الواحد جعل إمكان ربط هذه المجموعات المتباينة التفكير والمصالح والخلفيات ممكنا فقط تحت قيادة عبدالناصر الذى كان رصيده الشعبى الكاسح يؤهله لكى يعمل حكما بينها ويفض منازعاتها ويجمعها تحت قيادته ـ ويبدو لى أن اهتمام عبدالناصر بالقيام بهذا الدور قد قل فى سنيه الأخيرة تحت ضغط متطلبات معركة إزالة آثار العدوان والتصعيد فى حرب الاستنزاف ـ وكان من نتيجة ذلك بدء تفكك التحالف وتراجع دور التوفيق والمهادنة بين المجموعات المختلفة وبروز دور التصفية أو المجابهة الذى اتخذته مجموعة «اليسار الناصرى» التى تعاظم نفوذها حتى استولت على حد قول الدكتور منصور «على كل شىء» ـ مجلس الأمة والاتحاد الاشتراكى والسلطة .

كان عمل هذه المجموعة محاطا بالسرية فكانت القرارات تتخذ دون مقدمات والقيادات يتم تغييرها دون إعلان أى سبب حتى لأولئك الذين تأثروا بها فقد كانت كلها تتم بطريقة تعسفية نتيجة تقارير وآراء شخصية تكتبها أجهزة خفية يستدعى خبراؤها عشوائيا ومن بين من يقبلون أن يبرروا مايطلب منهم من أحكام ويستؤجر عيونها من بين من يقبلون النميمة ويحسنون استرقاق السمع ونقل الأسرار ـ وقد يكون مرجع هذا النمط من العمل إلى قلق هذه المجموعة مما قد يحاك ضدها من مؤامرات سواء على المستوى المحلى من المجموعات المنافسة أو العالمى فقد كانت مصر فى تلك الفترة ولاتزال مسرحا لعمليات أقلام المخابرات الأجنبية على جميع أصنافها وهناك من القرائن مايؤكد تعاظم هذا الدور قبل عدوان ٦٧ وبعده .

وقد أثارت أعمال هذه المجموعة جوا من الضيق والخوف بين العدد الأكبر للناس وهو الجو الذى استطاع من خلاله



الرئيس السادات أن يثبت اقدامه فى الحكم وان يحصل على تأييد شبه شعبى للحركة التى أسماها بالتصحيح والتى قام بها فى مايو ١٩٧١ بالرغم من تجاوزاتها الواضحة .

● إنعكاسات صراعات التنظيم السياسى على البناء

وخلال هذه الفترة التى عجت بمنازعات قيادات التنظيم السياسى كانت مصر كلها فى حالة تعبئة كاملة يقف شبابها على جبهة القتال وجموع قوتها العاملة فى المصانع والحقول على أتم الاستعداد للعمل والتضحية بالأرواح من أجل إزالة اثار عدوان ١٩٦٧ وبناء مصر المستقبل التى حلموا بها مستقلة ، أبية ينعم فيها الجميع دون تمييز ـ وفى هذه الفترة تبين للكثيرين أن تحقيق هذه الاحلام لن يتم إلا باللحاق بالعصر وعبور الفجوة الحضارية التى تفصلنا عن العالم المتقدم وتحديث الإدارة ـ وقد تم بالفعل بعض الإصلاحات فى هذا الاتجاه على أن الملاحظ أنها صوحبت بأعمال تؤكد الشكل السلفى للنظام فكثرت أعمال بناء دور العبادة وزادت البرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون وأعطى اهتمام اكبر للمقررات الدينية بالمدارس ـ وقد يفسر هذا الاهتمام المزدوج توزيع المناصب الوزارية فى ذلك الوقت كانت الفترة التى تلت هزيمة ١٩٦٧ على الرغم من صعوبتها فترة مضيئة على عكس مايردده الكثيرون ففيها زادت إنتاجية العامل وتحسن ميزان مصر التجارى وفيها أخذ المصريون أعمالهم بجد فقد أفاقوا بعد الهزيمة وشمروا عن سواعدهم عندما رأوا جدية القيادة بعد أن قامت بتطهير الجيش وأعادت بناءه وأسلمت قطاع الاقتصاد والصناعة إلى قيادات جادة استعانت فيها بعناصر جديدة ذات تاريخ نظيف ـ هنا التف المصريون حول عبدالناصر وأعطوه ثقتهم وعملوا معه وتحت قيادته فى حماس .

وقد انعكست الصراعات السياسية بشكل أو آخر علينا نحن «التكنوقراط» الذين جيىء بهم بعد هزيمة ١٩٦٧ لانقاذ الحال فسببت جوا من الضيق والغضب سهل على الكثيرين قبول تزكية السادات للرئاسة ، كما أضاف إلى الرصيد الذى استفاد منه الرئيس الجديد فى تثبيت اقدامه فى الحكم عندما شب الخلاف بينه وبين رجال الحرس القديم .

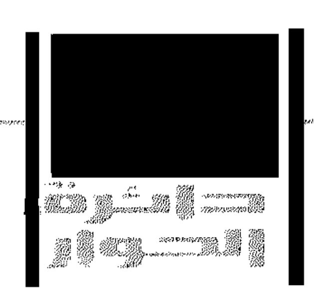
ففى الوقت الذى كان البناء فيه يرتفع والعمل يسير فى جد كان هناك من يربض وراء المكاتب ليراقب أعمالنا ويقيمها ليس بما انتجنا ولكن حسب موقعنا فى عملية تصفية الحسابات التى كانت دائرة على أشدها فى تلك الفترة ـ فإن كان وزير الصناعة فى ذلك الوقت غير مرضى عليه خيرت القيادات تحته بين النم عليه وفقدان رضا رجال التنظيم السياسى ـ وإن كان هناك شخص مثالى حدث وأن دخل الحلبة السياسية فوق رءوس هذا التنظيم ودون تزكية إحدى قياداته فإن العمل على إقصائه والدس له يصبح أحد مشاغل هذا التنظيم ـ كان شكل قرارات تعيينى ينبىء بأنها قد صدرت دون الرجوع إلى التنظيم السياسى فقد ظهرت حاملة اسمى الثنائى الذى اشتهرت به ودون أن يضاف إليه اسم الجد حسب تقاليد أجهزة الأمن .

ومن أسف أن كل هذه الصراعات الصغيرة كانت تحدث فى فترة كبرت فيها مصر وامتلأت بحماس من كانوا يديرون حرب الاستنزاف ويعدون الجيش لعبور القناة ويبنون حوائط الصواريخ تحت النار ومن كانوا يديرون المعارك الدبلوماسية الهائلة لكسب الرأى العام العالمى فى الحلبات الدولية ومن كانوا يديـرون المصانع ويعيدون تخطيطها ويزيدون إنتاجها تحت أصعب الظروف ومن كانوا يعملون بأرضها ومصانعها فى حماس منقطع النظير وزراء قل أن يجد الإنسان له مثيلا فى تاريخ مصر الحديث ـ ولم يكن غريبا لذلك أن جاء اختيار وزراء الدفاع والخارجية والصناعة والاقتصاد ممن عرف عنهم الجدية والأمانة المطلقة فى تلك الفترة من التاريخ .

وإذا كان لى فى نهاية هذا المقال أن آخذ بعض العبر مما حدث فإنى أبدأ بالقول بأن عملية نقل السلطة بعد وفاة عبدالناصر وماأدت إليه من تغير السياسة العامة للدولة على غير ماتمناه الكثيرون ممن أيدوا الرئيس الجديد كان بسبب سوء وضع التنظيم السياسى القائم فى ذلك الوقت فقد كان واحدا من القطاعات التى لم تنلها يد الإصلاح التى نالت قطاعات الجيش والصناعة والاقتصاد بعد هزيمة ١٩٦٧ فظل جهازا بيروقراطيا دون جذور شعبية ومن العسير أن نتصور أن مثل هذا الجهاز كان من الممكن أن يلد شيئا أحسن مما ولد .

ويبدو لى أن إهمال إعادة بناء التنظيم السياسى كان بسبب أن مثل هذا الأمر كان سيحتاج إلى تغيير كامل فى توجهات السياسة العامة للدولة والتى لم يكن عبدالناصر مستعدا للقيام بها وقت احتداد المعارك العسكرية فقد كان أمر إعادة البنـاء محتاجـا إلى قبول النظـرية الديمقراطية وتشجيع المشاركة الشعبية فى عمليات الانتخاب لكل المستويات وإزالة وصمة التزوير التى التصقت بها وكذلك على قبول مبدأ العلنية فى العمل وحرية المـواطن فى الحصول على المعلومات ووضع الصحافـة وأجهزة الإعلام تحت قيادة مستقلة تذيع الأخبار فى موضوعية وتعطى الوقت المتساوى لإذاعة الرأى والرأى الآخر دون تمييز جماعة عن أخرى وأخيرا تأكيد نزاهة الحكم بالإعلان عن ثروات السياسيين ومقدار مايؤدونه من ضرائب كل عام وإخراج قانون محاكمة الوزراء ووضع قانون من أين لك هذا موضع التطبيق الجدى ـ وكل هذه كانت ولاتزال أمورا صعبة القبول .

أما العبرة الثانية فهى أن الإدارة الجيدة التى تعمل للصالح العام والقابلة للحساب هى كل مايطلبه المصريون لكى ينطلقوا فى أعمالهم ويبدعوا فيها فهم فى أغلبهم متقبلون للتنوير وهم عمليون لاتهمهم النظريات والخطب والعظـات قـدر مـاتهمهم الأعمال . سيطيعون القانون إن أطاعه كبارهم وسيكونون أول من يدوسه إن رأوا كبارهم يستغلونه لصالحهم ـ وسيعملون بجد إن كان رؤساؤهم جادين وسيهزلون إن رأوا رؤساءهم هازلين ـ ومصر اليوم فى أشد الحاجة إلى أخذ أمورها بالجد وإعادة بناء جهاز خدمتها العامة بعد أن تفكك إربا حتى تستطيع أن تواجه مشاكلها المتزايدة فكل الظواهر وكل رقم فى إحصاءاتها ينبىء بخطر مبيت .



الأزمة الراهنة لليسار المصري

بقلم: د. فؤاد زكريا


حسني مبارك

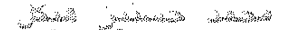

أنور السادات


جمال عبدالناصر

ولكن الأزمة العالمية لليسار هي في صميمها، وعلى الرغم من جميع المظاهر البادية، علامة صحة لا علامة مرض، فتجربة اليسار في الحكم ترجع في أقدم نماذجها، أي في الاتحاد السوفيتي إلى أقل من ثلاثة أرباع القرن، وترجع أمثلتها الأخرى، أي الكتلة الشرقية في أوروبا والشرق الأقصى، إلى أقل من نصف قرن، ولو قارنا هذه الفترة بالتاريخ الطويل للأنظمة الأخرى، ومنها النظام الرأسمالي، لوجدناها

لابد من الأعتراف بأن اليسار يمر بمرحلة أزمة حادة على المستوى العالمى ، لا على المستوى المحلى فحسب ، ففى الوقت الذى أكتب فيه هذه السطور ، كانت أهم الأنباء التى تنقلها الينا أجهزة الاعلام بمختلف أنواعها تتعلق بالمظاهرات الواسعة النطاق التى هزت كيان الصين وأرغمت جيشه على التدخل بطريقة لاتخلو من القمعية ، كما تتعلق بالانتخابات البولندية التى أسفرت عن انتصار ساحق لأنصار نقابة التضامن البولندية على مرشحى الحزب الشيوعى الحاكم ، وبالاضطرابات القومية والعرقية التى تتأجج فى عدد غير قليل من الجمهوريات السوفيتية . وهذه الأحداث كلها تشير إلى اختلالات حادة فى قلب المعسكر الأشتراكى ، ومن ثم إلى أزمة حقيقية فى اليسار العالمى على مستوى الفكر والممارسة معا .





محمد حسنين هيكل



على صبرى



د. عزيز صدقى

فترة قصيرة بجميع المقاييس ، بل لأمكن القول إنها فترة التجارب الأولى التى ينبغى أن يتم تعديلها وتصحيح مسارها مرات متعددة الى أن تصل الى مرحلة النضج وتعرف طريق الاستقرار .

ومن جهة أخرى فإن النظام الخصم ، أعنى النظام الرأسمالى ، لايترك التجربة الاشتراكية لحظة واحدة كيما تنمو بصورة طبيعية وتتطور إلى الحد الذى يتيح لها تحقيق كل ما تنطوى عليه من إمكانات . فهو



يحاربها بتبنى الكثير من مطالبها ، وكل من يتغنى بالمستوى المرتفع للعامل الأمريكى ، مثلا ، عليه أن يتذكر أن أرتفاع المستوى هذا ليس على الاطلاق تطورا للرأسمالية فى اتجاه "إنسانى" يستهدف صالح الطبقة العاملة ، وإنما هو فى جزء كبير منه رد فعل على وجود الرؤية الاشتراكية فى عالم القرن العشرين ، ومحاولة ذكية لامتصاص عنصر السخط الذى هو الوقود الفعال لأى ثورة .

ومن جهة ثالثة فإن هذا النظام الرأسمالى يحارب التجربة الأشتراكية بخلق أجواء من التوتر العالمى الدائم تجعل ساحة الصراع بين النظامين هى ساحة اقتصاد الحرب والتسلح ، لا اقتصاد السلام ، مما يؤدى الى اختلال أساسى فى التوازن بين النظامين ، اللذين يزدهر أحدهما فى جو صناعة الأسلحة وأدوات الدمار ، ولايزدهر الأخر إلا فى ظروف التنافس السلمى

وهكذا فإن التجربة اليسارية ، على المستوى العالمى ، تمر بأزمة تستدعى منها "وقفة مع النفس" ومراجعة الخطوات الماضية وإدخال تعديلات جذرية على مسارها . ولهذه الأزمة أسباب نابعة من قلب التجربة ذاتها : إذ لم يكن بناء الاشتراكية يحتاج الى كل هذا القدر من التشدد ، ومن الجمود العقائدى ، ومن التعتيم والاحتكار الاعلامى ، ومن البيروقراطية الادارية المتحجرة . ولكن لها أيضا أسبابا نابعة من تلك المقاومة الضارية التى يمارسها تجاهها اليمين العالمى ، حين يدفعها الى الانكماش والعجز عن تحقيق إمكاناتها الهائلة بأن يفرض عليها جوا دائما من التوتر والازمات والحروب والتسلح الباهظ التكاليف . ولابد أن تخرج التجربة اليسارية العالمية من هذه الأزمة وقد اكتسبت مزيدا من النضج والخبرة ، وعدلت مسارها على النحو الذى يضمن تحقيق إمكاناتها على نحو أفضل ، وحرمان خصومها من الأسلحة المادية والمعنوية التى يستخدمونها ضدها بلا هوادة .

ولكن ، هل يمكن القول إن أزمة اليسار فى مصر ليست إلا انعكاسا لأزمة اليسار العالمية هذه ؟ الواقع أن أزمة اليسار المصرى أقدم عهدا ، ونصيب العوامل المحلية فيها أكبر بكثير من نصيب العوامل الخارجية : وعلى سبيل المثال فإن من المشكوك فيه أن تكون قد حدثت فى داخل اليسار المصرى محاولات نظرية مماثلة لتلك التى قامت بها الأحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ، مثلا ، من أجل إعادة تفسير الماركسية وتجاوز مبدأ أساسى فيها مثل دكتاتورية البروليتاريات الخ ...

هذا كله يبدو فى نظر اليسار المصرى ، خلال العقود الأخيرة ، ترفا لايملك إمكانية ممارسته . أما الميدان الذى تصب فيه جهود اليسار المصرى وتدور حول أفكاره وممارساته ، فهو الساحة الداخلية قبل كل شيء .

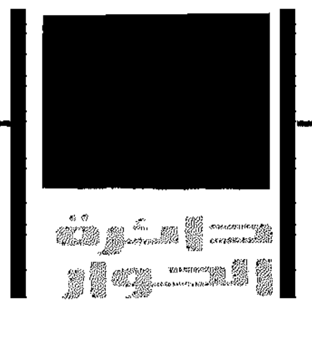
● دور فعال لليسار المصرى

لقد بلغ اليسار المصرى ، خلال نصف القرن الأخير ، مستوى عاليا من التأثير فى الأحداث خلال فترات ثلاث :كانت الأولى منها فترة ١٩٤٥/ ٤٦ ، حين لعب اليسار دورا فعالا فى إحباط اتفاقية صدقى - بيفن ، وتأجيج الصراع ضد الاستعمار البريطانى والحكم الرجعى فى الداخل . وكانت الثانية أيام الكفاح المسلح فى القنال عامى ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، حين قامت الحكومة بتوزيع السلاح على الشعب (وهى سابقة لم تحدث من قبل ولا من بعد) وأتاحت بذلك لقوى اليسار أن تلتحم التحاما حقيقيا فى نضال وطنى ضد الاستعمار كان -يمكن أن يؤدى ، لولا حريق القاهرة والثورة المنضبطة المترتبة عليه ، الى تغيير حاسم فى خريطة المنطقة العربية بأسرها ، وكانت القمة الثالثة من قمم تأثير اليسار هى أحداث مارس ١٩٥٤ ، التى لعبت فيها قوى اليسار خارج الجيش وداخله دورا يستحيل تجاهله ، وكان من الممكن أن تشكل بدورها منعطفا حاسما فى مسيرة الشعب العربى نحو الاستقلال والعدالة الاجتماعية فى إطار ديمقراطى ، لولا تحرك القوى المناوئة لها فى انقلاب كان يحمل ، فى ذلك الحين ، الكثير من ملامح انقلاب الجنرال زاهدى ضد حكم محمد مصدق فى إيران .

خلال تلك المراحل الثلاث كان اليسار المصرى فاعلا ، وكان التحامه بالقواعد الجماهيرية حقيقة واقعة ، وكانت الصورة الشعبية لليسار ، حتى فى نظر الجموع التى تفتقر الى الوعى السياسى ولا تملك فهما واضحا لمعنى الأشتراكية أو الماركسية أو الشيوعية ، إيجابية الى حد بعيد ، ويمكن القول إن تلك هى الذروة العليا التى وصل اليها تأثير اليسار فى مجرى الكفاح الوطنى المصرى . وبعد هذه الذروة ، أخذ هذا التأثير فى الهبوط ، وبدلا من أن يظل ايجابيا ، أصبح دور اليسار أقرب كثيرا الى رد الفعل إزاء الأحداث المتلاحقة التى خرجت عن سيطرته وأفلت زمامها منه . وربما كانت الصحوة الوحيدة التى استطاع اليسار خلالها أن يفعل شيئا يتسم بقدر من الايجابية ، هى مظاهرات الطلبة وبعض التجمعات العمالية فى الفترة الواقعة بين هزيمة ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن قد يكون من الأدق القول إن هذه الفترة شهدت محاولة لظهور يسار جديد ، خارج عن سيطرة القيادات التقليدية .

● اليسار والتجربة الناصرية

إن المرء ليس بحاجة الى ذكاء غير عادى لكى يقول إن الوضع السائد



الآن لليسار يتسم بالتردى الشديد ، وأن قدرة اليسار على التأثير في الحركة العامة للمجتمع وصلت الى حدها الأدنى إذا ما قورنت بما كانت عليه خلال نصف القرن الأخير ، وفى اعتقادى أن من الظلم الفادح القول إن اليسار هو وحده المسئول عن هذا التردى . فبقدر ما توجد عوامل هامة ترجع مسئوليتها ، بغير شك ، الى اليسار نفسه ، توجد عوامل أخرى لاتقل أهمية ، كان اليسار فيها هو الضحية ، وكانت هناك قوى عاتية ، يصعب على اليسار فى بلد غير صناعى كمصر ، أن يتصدى لها ، هيأت كل الفرص كيما توجه الأحداث فى اتجاه يهدم الأرض من تحت أقدام اليسار .

وفى هذا الصدد لابد لى من التذكير ببعض العوامل التى تحدثت عنها فى كتابات سابقة ، والتى كان لها دور رئيسى فى أزمة اليسار الراهنة . فقد سبق لى أن أشرت (فى مجلة "فكر" ، العدد الأول) الى عجز اليسار عن الاهتداء الى لغة مبسطة يخاطب بها جماهير الناس ويربط بواسطتها بين أفكاره التقدمية وبين المشاكل التى يعانيها الناس فى حياتهم اليومية . فقد ظل الخطاب اليسارى خطابا ثقافيا الى حد بعيد ، أعنى أنه يصدر عن المثقفين ويتجه الى المثقفين واتسمت التحليلات التى قدمها اليسار للأحداث الكبرى بقدر كبير من التجريد ، قد يكون تعبيرا عن عمق حقيقى ، ولكنه قطعا عاجز عن الوصول الى الملايين التى يفترض أن هذا الفكر يعمل لصالحها . ولم تكن كثير من الخلافات النظرية التى نشبت بين جماعات اليسار تعنى شيئا واضحا خارج نطاق أعضاء هذه الجماعات . وكان من الطبيعى أن يؤدى ذلك الى قيام فجوة واسعة بين اليسار وبين جمهوره الطبيعى ، وهى الفجوة التى أحسنت استغلالها الجماعات الاسلامية ، بخطابها السهل المباشر ، **الذى يتعمد السطحية فى كثير من الاحيان** .

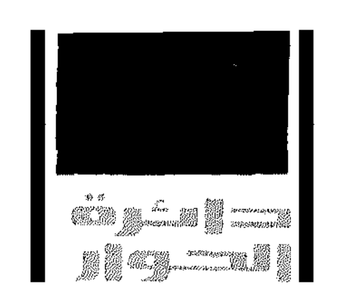
وأود الآن أن أضيف الى هذه النقطة ، أن إغراق اليسار فى التنظير يسير فى اتجاه مضاد لذلك الاتجاه العملى البرجماتى ، الذى تسلكه الجماعات الاسلامية . فقد عرفت هذه الجماعات كيف تتغلغل بصورة مباشرة بين الجماهير من خلال "اعمال" لها صلة واضحة بالمعاناة اليومية لهذه الجماهير ، ولم تكترث كثيرا بالضعف الواضح لحججها ، أو بالتناقض الصارخ فى منطقها ، مكسبت الجماهير برغم **الهزال الفكرى الشديد** لدعوتها . وفى تصورى أن الخدمة الصامتة للناس فى مستوصف صغير ، أو فى فصول لمحو الأمية ، أو فى جمعية تعاونية تكسر حدة الغلاء ، تؤدى الى نتائج تفوق بمراحل شرح جميع قوانين الديالكتيك أو المادية التاريخية لمن يراد إقناعهم بالاشتراكية .

كذلك فإننى اليوم اقوى اعتقادا بصحة التحليل الذى قدمته من قبل عن الأضرار الفادحة التى لحقت بشعبية اليسار المصرى من جراء ارتباطه المصيرى بالتجربة الناصرية فى سنواتها الأخيرة ، وهو التحليل الذى أثار غضب عدد من أهم رموز اليسار عند نشره فى أوائل عام ١٩٧٥ . بل إن مضى السنين أثبت صحة ما توقعته فى ذلك الحين ، من أن اليسار سيرتبط فى ذهن الرأى العام ـ ظلما بكل تأكيد ـ بجميع الاجراءات القمعية العشوائية التى أتخذت فى العهد الناصرى وها نحن أولاء اليوم نرى الكتاب اليمينيين الرجعيين ، سواء فى جريدة الوفد الجديد أو فى العديد من الصحف والمجلات الدينية ، يسارعون بتخويف الناس من عفاريت المعتقلات والحراسات وزوار الفجر كلما جرأ صوت على الارتفاع مدافعا عن القطاع العام أو داعيا الى أدنى قدر من التخطيط والترشيد فى الاقتصاد . ومن الواضح أن هذا التخويف يمارس تأثيره البالغ على مختلف فئات الناس ، باستثناء صفوة واعية ضئيلة منهم .

ومع ذلك فلابد أن يعترف أى منصف بأن عملية التخويف هذه تنطوى على مغالطتين صارختين : أولاهما أن هذا الأرتباط بين الإجراءات القمعية والترشيد الاقتصادى إذا كان قد حدث فى التجربة الناصرية ، فليس معنى ذلك أنه سيحدث حتما فى أية تجربة أخرى ، إذ أن من الممكن بسهولة تامة تصور التخطيط والترشيد المحكم فى إطار غير قمعى . أما المغالطة الثانية فهى النظر الى اليسار على أنه مسئول ، أو مشارك فى المسئولية ، عن إجراءات الاعتقال العشوائى والتعذيب وكبت الحريات وتركيز أضواء مجتمع كامل على فرد واحد . فقد كان اليسار بعيدا كل البعد عن اتخاذ أى قرار رئيسى فى هذا الاتجاه ، بل لقد عانى هو ذاته ـ فى الأعوام نفسها التى كانت الناصرية تتخذ فيها إجراءات وصفت بأنها أشتراكية ، وربما يسارية ـ من أشد ضروب التعذيب وقمع الحرية . ومع ذلك فإن اليسار ، بالرغم من براءته الكاملة من هذه التهمة ، قد أعطى أعداءه السلاح الذى يهاجمونه به ظلما وعدوانا ، حين أصر ـ ولايزال ـ على ربط نفسه بالتجربة الناصرية ، ورأى فى هذه التجربة تحقيقا لمطامحه (مع اعترافه بوجود بعض الشوائب التى لا تؤثر ـ فى اعتقاده ـ على تقييمه العام للتجربة) .



سامى شرف — شعراوى جمعة



ويكفى أن أستشهد بمثالين قريبين يكشفان عن ضرورة مراجعة اليسار لموقفه من التجربة الناصرية ، حتى يتحرر من التهديد بالابتزاز الذى يمارسه اليمين عليه منذ منتصف السبعينات . ففى دراسة قريبة العهد نشرها الدكتور عبد العظيم أنيس تعليقا على كتاب محمد حسنين هيكل الأخير "سنوات الغليان" (وظهرت فى جريدتى "الأهالى" المصرية و "الوطن" الكويتية) ، كان الكاتب واضحا كل الوضوح فى توجيه الاتهام الى عبد الناصر أكثر من مرة بأنه استجاب لمطلب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ، راونترى ، حين زاره وأجرى محادثات معه فى أواخر عام ١٩٥٨ ، كان من نتيجتها أنه أصدر أوامره باعتقال عدد كبير من الشيوعيين بلا محاكمة فى أعقاب الزيارة مباشرة .

وإذا كان استنتاج الكاتب صحيحا ـ وكل الدلائل تدل على أنه كذلك ـ فقد كان المتوقع أن يستخلص النتائج الضرورية من استجابة الزعيم الكبير لمطالب وكيل وزارة أمريكى بإيداع المئات من الوطنيين فى أبشع المعتقلات ، فى نفس الوقت الذى كان يتخذ فيه إجراءات توصف بأنها أشتراكية تحقق مطالب اليسار . وأقل ما كان ينبغى عمله هو التصدى بجدية لهذا التناقض الصارخ ، ومحاولة تفسيره على نحو لابد أن يؤدى ، فى النهاية ، إلى مراجعة الأحكام الحماسية لليسار على التجربة الناصرية .

أما المثل الثانى فهو مستمد من آخر حديث أدلى به الاستاذ هيكل (مجلة الشباب ـ عدد يونيو ١٩٨٩) . ففى هذا الحديث بالنص : "لقد آمن عبد الناصر مثلا بالقطاع العام ، ودافع عنه . فهل كان هذا إيمانا ايديولوجيا به ؟ إنى أراه إيمان ضرورة . والرئيس مبارك الآن يدافع عن القطاع العام ويؤمن به . فهل هو إيمان ايديولوجى به ؟ إنى أراه أيضا ايمان ضرورة ، لأن المرحلة تفرض ذلك ، وكل مرحلة لها ضروراتها ؟"

هذا المعنى ، الذى أكده صاحب الحديث أكثر من مرة ، لم يصدر عن صحفى أو معلق عادى ، وإنما صدر عن أقرب الناس الى قلب عبد الناصر وعقله ، وأقدر الناس على التنظير لفكره وممارساته خلال حياته وبعد مماته . **وهو ـ ببساطة ـ يقول لليسار : إن عبد الناصر لم يخلق القطاع العام لأنه يؤمن بفكركم أو بأيديولوجيتكم ، بل خلقه لأن ضرورات المرحلة كانت تقتضى ذلك . وبطبيعة الحال فإن عبارة "ضرورات المرحلة" تشمل مدى واسعا من التفسيرات . فإلى جانب الضرورات الاقتصادية ، هناك أيضا ضرورات سياسية ، كرغبة النظام**

في وضع القطاع الاقتصادى تحت قبضته بعد أن ظل طويلا مستقلا عنه ، وبعد أن أثبت هذا الاستقلال خطورته حين عمل الرأسماليون والتجار السوريون على مناوأة تجربة الوحدة بعد وقت قصير من بدايتها ، ونجحوا بعد فترة وجيزة من صدور أهم القرارات "الأشتراكية" فى تحقيق الانفصال .

وقد تكون هناك ضرورات أقل شأنا ، كالحاجة الى إيجاد مجال للعمل أمام العديد من القادة العسكريين الذين يحالون إلى التقاعد في سن مبكرة ، والذين يمكن أن تتحقق من خلالهم سيطرة النظام على المشروعات المؤممة ، المهم فى الأمر أن أقرب الشخصيات الى معرفة طريقة تفكير عبد الناصر يربط بين دفاع عبد الناصر عن القطاع العام ودفاع الرئيس مبارك عنه ، ويؤكد أن هذا الدفاع لم يصدر عن أيديولوجية ، وانما أملته الضرورات العملية لمرحلة معينة (ولو أقتضت مرحلة أخرى ضرورات مغايرة لتخلى عنه بالطبع) .

● هيكل واليسار

ألا يعنى هذا الكلام أن هيكل يخرج الآن لسانه لكل الجهود الضخمة التى بذلها اليسار المصرى من أجل إرساء اجراءات عبد الناصر "الاشتراكية" على أسس أيديولوجية ؟ ألا يعنى - مثلا - أنه يسعى بجملة واحدة الى هدم كل ما فعله مؤسسو المعهد الاشتراكي ومنظروه أيام عبد الناصر ؟

يبدو لى أن المشاركين فى ذلك الجهد التنظيرى الضخم مطالبون الآن بالرد ، شريطة أن يكون ردهم موجها الى من هدم عليهم معبدهم ، أعنى الى هيكل ، لا الى من يكتب هذه السطور !

ولكن الأمر الذى لايمكن تجاهله هو أن تنظير اليسار المصرى لتجربة عبد الناصر يحتاج - فى ضوء كلمات هيكل على الأقل - الى مراجعة شاملة ، وأن الموقف الأيديولوجى لليسار المصرى ، خلال أواخر الستينات ثم السبعينات ، قد لحقه اضطراب أساسى بعد أن تبنت التجربة الناصرية الكثير من شعاراته ، من الوجهة الشكلية ، مع حرصها على أن تطبق هذه الشعارات بطريقتها الخاصة فى نفس الوقت الذى كانت تكيل فيه صنوف العذاب لأهم رموز اليسار . فى اعتقادى أن هذا الاضطراب كانت له انعكاساته الهامة على موقع اليسار على الخريطة المصرية حتى لحظتنا الراهنة .

فأغلب الظن أن هذا الخلط والاضطراب هو السبب الرئيسى لتلك الظاهرة التى أشار اليها الزميل الدكتور فوزى منصور بدقة ووضوح فى قاله "اليساريون والسلطة" (مجلة الهلال - عدد يونية ١٩٨٩) ، وأعنى بها ظاهرة عدم قدرة فصائل من اليسار المصرى على تحديد الجانب الذى يستحق دعمهم فى الصراع بين مجموعة السادات ومجموعة على صبرى ، وهو الصراع المعروف بأزمة مايو ١٩٧١ ، ثم أنضمام عضوين رئيسيين من هذه الفصائل الى الوزارة



التى الفت بعد انتصار الجناح الساداتى . فالخطأ الرئيسى ، فى اعتقادى ، لم يقع فى لحظة الصراع بين أجنحة السلطة فى هذا الوقت المتأخر ، وإنما وقع قبل ذلك بسنوات طويلة .

ذلك لأنه ، إذا كانت الكتلة الرئيسية والهامة والمؤثرة من اليسار المصرى قد اقتنعت وهى فى معتقلات عبدالناصر بأن قرارات ١٩٦١ وما تلاها هى قرارات أشتراكية تشكل نواة لأيديولوجية جديدة تبناها النظام الناصرى بعد نضوجه وعودته أخيرا الى جادة الصواب ، وإذا كان هذا هو الأساس الذى بنت عليه تحليلاتها منذ ذلك الحين ، فإن من المتوقع أن تغيم الرؤية أمام بعض فصائل اليسار ، خلال أزمة مايو التى نشبت بين جناحين ينتمى كل منهما الى صميم التجربة الناصرية . وليس غريبا أن يتصور البعض أن الجناح الذى يضم رموزا أساسية قامت على أكتافها التجربة "الأشتراكية" ، مثل هيكل الذى نشر على الملايين تنظيراته الاعلامية للتجربة ، ومثل عزيز صدقى الذى أخذ على عاتقه تنفيذها عمليا ، ليس هو الجناح الأسوأ بالضرورة ، وأن الجناح الذى يضم عدوا أصيلا للشيوعية ، مثل على صبرى ، ورموزا ضخمة لدى المخابرات والمعتقلات ، مثل سامى شرف وشعراوى جمعة ، ليس هو الجناح الأفضل بالضرورة

ومن هنا فإن الظاهرة التى اشار اليها الدكتور فوزى منصور فى مقاله الأخير ، إذا كانت خطأ ، فهى فى رأيى خطأ فرعى ترتب على خطأ رئيسى أسبق منه بكثير ، بل هى النتيجة الطبيعية والمتوقعة لضربة المعلم التى قام بها عبد الناصر ، حين خنق اليسار عن طريق احتضانه .

وعلى اية حال ، فإنى اتفق تماما مع الدكتور فوزى منصور فى قوله إن اشتراك عضوين يساريين بارزين فى أول وزارة شكلها السادات بعد ١٥ مايو لم يكن ليؤثر ايجابا أو سلبا على حركة الثورة المضادة التى كانت تحكمها حسابات أعقد وأبعد مدى بكثير . ولكنى أختلف معه فى رأيه القائل إن هذه المشاركة أثرت على مصداقية اليسار ، وكان لها صداها ـ بالتالى ـ على أزمة اليسار الراهنة . ذلك لأن جذور هذه الأزمة ترجع كما قلت الى الفترة الناصرية الأسبق ، ولم يكن هذا الاشتراك إلا عرضا واحدا ، وصارخا ، من أعراض مرض أقدم من ذلك بكثير ، ومن المؤكد أنه لو كان جميع اليساريين قد رفضوا المشاركة فى أية وزارة ساداتية ، لما تحسن وضع اليسار كثيرا فى المرحلة اللاحقة .

على أن الانصاف يقتضى منا أن نشير الى الوجه الآخر للعملة ، أعنى ذلك الوجه الذى كان اليسار فيه ضحية لظروف موضوعية يصعب عليه ، وربما يستحيل ، دفعها ، فأزمة اليسار لاترجع فقط الى العوامل التى كان اليسار ذاته مسئولا عنها ، وإنما ترجع أيضا ، وبالقدر نفسه ، إلى أوضاع

خلقت فى مصر بصورة متعمدة من أجل تحطيم اليسار .

أول هذه العوامل هو استخدام لعبة الديمقراطية ـ أو على الأصح الافتقار الى الديمقراطية ـ من أجل تلطيخ سمعة اليسار مع العهد الناصرى . ومن اللافت للنظر أن أول من ابتدع هذه الفكرة ، وأعطى إشارة البدء لتنفيذها ، كان هيكل نفسه ،كما أكد هو ذاته فى كتاباته ، وكما ورد فى مقال الدكتور فوزى منصور الأخير . فحين نصح هيكل السادات بألا يتوسع فى حديثه الأول الى الأمة بعد ١٥ مايو فى الكلام عن تآمر مراكز القوى داخليا وخارجيا ، وأن يركز بدلا من ذلك على فكرة الديمقراطية ، كانت تلك إشارة البدء التى أطلقها المايسترو البارع لتلك المعزوفة النشاز التى ظلت تردد منذ ذلك الحين ، وحتى يومنا هذا ، والتى تحمل اليسار أوزار الوضع اللاديمقراطى فى العهد الناصرى ـ ذلك الوضع الذى كان هيكل ذاته بالطبع ، دعامة أساسية من دعاماته !

ويمكن القول إنه برغم اختلاف الظروف وتعدد المتغيرات ، كان هناك خط متصل بين نصيحة هيكل للسادات بالعزف على نغمة الديمقراطية وزوال دولة المخابرات ، وبين مقالات "الوفد الجديد" وصحف الجماعات الاسلامية فى الثمانينات حول الربط بين اليسار وبين تعسف مراكز القوى الناصرية .

وثانى هذه العوامل هو ذلك المخطط الضخم ، الواسع النطاق ، للتحول نحو أمريكا فى الأستراتيجية السياسية، والعسكرية والاقتصادية ، ذلك



ابراهيم نصر الدين

المخطط الذى لم يكن اليسار يملك إلا التنبيه إلى خطورته ـ وهو بلا شك قد فعل ـ ولكنه كان عاجزا عن ايقاف مده الجارف ، الذى شاركت فيه جميع إمكانات قوى عالمية وعربية ومصرية عاتية ، وكان أوضح دليل على ضخامة هذا المخطط ، وتجاوز نطاق امكانات أية قوة محلية ، أن حرب أكتوبر ذاتها قد أستخدمها صانعو القرار السياسى وليس الشعب المصرى بطبيعة الحال ـ جواز مرور لاعلان التحول نحو أمريكا ، وأن الأمريكيين أصبحوا هم الوسطاء والاصدقاء الاعزاء فى أعقاب تلك الحرب التى أستخدمت فيها إسرائيل أحدث الأسلحة الأمريكية ، وأرقى نواتج تكنولوجيا الفضاء الأمريكية ، من أجل قتل أبنائنا والزحف على أرضنا وحصار جيشنا الثالث ، بينما أصبح السوفيت الد الأعداء بمجرد أن ساعدتنا أسلحتهم على إحراز أول نصر حصلنا عليه فى حروبنا الأربع ضد إسرائيل . ولاشك أن الطابع الصارخ لهذا "اللامنطق" يوحى على الفور بأن المخطط كان أضخم من أن تتمكن قوى اليسار المحدودة من



إيقافه بطريقة فعالة . وبطبيعة الحال فإن ضرب اليسار وتحجيمه وشن أوسع الحملات القمعية والدعائية ضده كان جزءا لايتجزأ من هذا المخطط .

وفى أيامنا هذه بلغ هذا المخطط ذروتـه فى الاعتماد الاقتصـادى والغذائى بوجه خاص ـ على أمريكا . ولهذا الاعتماد بالطبع علاقة وثيقة بأزمة اليسار الراهنة فقد جندت قوى كاملة فى المجتمع للتبشير بعظمة الحيـاة الأمريكيـة وحلم الرخـاء الأمريكى وروعة المبادرة الفردية وعظمة الأفراد الذين ينتقلون ـ بذكائهم وحسن انتهازهم للفرص ـ من معدمين الى أصحاب ملايين . وتمكنت الدعاية المركزة والاقلام التى أطلت علينا فجأة منذ السبعينات ، من غرس هذا الحلم الخادع حتى فى نفوس من يستحيـل عليهم ، بحكم وضعهم الاجتماعى ، أن يحققوا نزرا يسيرا منه . **وأدى الاعتماد على المعونة الأمريكية فى الحصول على القوت الضرورى ، وعلى القمح خاصة ، إلى أرتباط الرأسمالية فى أذهان الملايين ـ لاشعوريا على الأقل ـ بـإمكان الحصـول على الخبز ، وأرتباط الأشتراكية واليسار بشبح الجوع ، وعلى هذا النحو تضافرت ظروف موضـوعية قـاهرة على تخـويف الجماهيـر من اليسار وتنفيرها منه .**

ويأتى بعد ذلك العامل الثالث ، الذى ربما كان فى المرحلة الراهنة أهم العـوامل جميعـا ، وهـو سيطـرة الجماعات الدينية على قطاعات متزايدة من الشارع المصرى . هذا التصاعد الواضح للقوى الدينية هو فى آن واحد سبب ونتيجة لأزمة اليسار : فهو أولا قد أستولى على الجماهير التى كانت مؤهلة بحكم أوضاعها الاجتماعية لمساندة اليسار ، ونشر بينها فكرا سلفيا . وهو ثانيا يجعل من محاربة اليسار هدفه الأول والأهم ، إذ أن الجماعات الاسلامية المتباينة قد تختلف فى أمور كثيرة ، ولكنها تتفق جميعا على النظر الى كل ماهو يسارى وكل من هو يسارى على أنه العدو رقم واحد .

ولكن أهم العوامل التى عملت على ترجيح كفة الفكر الدينى على الفكر اليسارى والقومى والديمقراطى فى التجمعات الشعبية والمهنية وفى النقابات والاتحادات الطلابية ، هو أن التيار الدينى كان يستند الى ذلك التراث الطويل من التدين ، المختزن بعمق فى نفسية الانسان المصرى ، والذى لايحتاج إيقاظه واستدعاؤه الى أى جهد يذكر . فالتيار الدينى ينهل من نبع موجود بالفعل منذ الوف السنين ، ولا فضل له فيه على الاطلاق . والاساس الذى تبنى عليه دعوته جاهز قبل أن يولد أى مرشد عام أو أى أمير جماعة بقرون عديدة . وكل ما على الداعية المعاصرة فى أية جماعة دينية هو أن يستند الى ذلك المخزون الهائل من التراث الدينى الشعبى ، لكى يجد

على الفور آذانا صاغية ، واتباعا طائعين .

والنتيجة الضرورية لهذه الحقيقة الهامة ، التى لا يتنبه اليها الكثيرون على الرغم من بساطتها ووضوحها ، هى أن دعاة التيار الاسلامى يخدعوننا ويخدعون أنفسهم حين يتوهمون آن الفضل فى انتشار حركتهم وتفوقها الملحوظ على الفكر اليسارى فى الأونة الأخيرة يرجع الى براعتهم أو قدراتهم من جهة ، والى عجز اليسار من جهة أخرى ، فحقيقة الأمر أن الداعية الاسلامى لايحتاج الى بذل جهد يذكر ، لأنه التراث القديم المتغلغل فى نفوس الناس قد مهد له الأرض كلها ، بحيث يضمن الداعية تحقيق أفضل النتائج وهو متكىء على أريكة التراث دون أن يرفع إصبعا أما اليسارى فأن دعوته كثيرا ما تنطوى على تصادم مع التقاليد ، وتغيير حاد للمسار وخروج عن مألوف النظم والمؤسسات ، ومن ثم فإن الجهد الذى يحتاج الى بذله لاقناع الناس بكل هذه التغييرات لابد أن يكون هائلا ، وتظل نتائجه مع ذلك غير مضمونة .

والخلاصة أن هناك قدرا كبيرا من الظلم فى المقارنة بين النجاح الكاسح الذى تحرزه الجماعات الاسلامية والتراجع الواضح للتيارات اليسارية . وعلى الرغم من جميع النقاط السلبية التى أشرنا اليها فى هذا المقال ، فإن هناك قدرا لايستهان به من سوء الفهم وقصور التحليل فى الاعتقاد بأن نجاح الجماعات الدينية وتراجع اليساريين يرجع الى أن الأولين قد بذلوا جهودا واتبعوا أساليب تفوق ما قام به الآخرون .

بقيت كلمة أخيرة ، تعبر عن رأى شخصى بحت ، ولكنها فى نظرى صادقة كل الصدق ، وهى أن أزمة اليسار هى فى الواقع أزمتنا جميعا ، ومحنة اليسار الراهنة مظهر رئيسى من مظاهر محنة مصر . ذلك لأن اليسار ، مهما قيل عنه ، يضم أفضل العقول ويقدم أفضل الحلول . والكارثة الحقيقية التى تعانيها مصر فى العقود الأخيرة من القرن العشرين هى أن من لايملكون أى حل حقيقى لمشكلاتها وأزماتها هم المسيطرون على الجماهير ، على حين أن من يقدمون البرامج الوحيدة القادرة على إنقاذ مجتمعنا مما ينتظره من كوارث محققة ، ينفض عنهم الناس .

وقد يقول هواة التحليل النفسى أن هذا تعبير عن نزوع إنتحارى لاشعورى ينتاب مجتمعا يائسا ، ولكن من يتأمل الأمور بنظرة منطقية لابد أن يلمح ، على مدى العقود الأخيرة ، تيارا جبارا ، يستند على جناحين أحدهما خارجى والآخر داخلى ، يعمل بتخطيط دقيق من أجل تهيئة الظروف الموضوعية لتأكيد هذا الوضع المعكوس فى مصر ، بوصفها قلب العالم العربى ومفتاح الشرق الأوسط .

ولا يعنى ذلك على الاطلاق أن نستسلم لليأس ونرفع الرايات البيضاء بحجة أننا عاجزون عن مقاومة هذا التيار ، بل إن كل مايعنيه هو التنبيه بلا مداراة أو مواربة ، الى ضراوة المعركة التى تنتظر قوى التقدم فى مصر .

الشاعر أحمد هيكل في ديوانه: أصداء الناى

بقلم : جليلة رضا



ظاهرتان قويتان فى ديوان « أصداء الناى » للشاعر الدكتور أحمد هيكل ... هما : الحرية .. والسلام .

ولقد استطعت أن أستاق رائحة عطرهما النفاذ فى كل زاوية من قصيدة ، وكل ركن من بيت ، فى هذا الديوان ..

هذا مالفت نظرى خلال قراءته ، وذلك هو إحساسى بعد القراءة ..

إن الديوان يحمل فى أعماقه كنزين ثمينين .. حرية .. وسلام .

إذن ، فأهم وأبرز سمات الشاعر ، هو نزوعه إلى الحرية بكل ما تملك من انطلاق للإرادة واعتداد بالنفس ..

ثم ميله إلى السلام بما فيه من خير للناس ، وإسعاد للبشر .

لذلك . تكررت كلمة الحرية فى قصيدته الأولى ، ولو لم يوجهها الشاعر إلى طيف الحرية ، لخلناه يناجى معشوقة : أنثى ساحرة .

يقول الشاعر :

دعى عينيك فى عينىّ ترتاحان فى الظل الحنون
فياكم عاشتا بالسهد تحترقان فى نار الحنين
ويا كم طافتا فى أوجه الدنيا والاف العيون

ولكن الشاعر يحاول أن يبعد ذكرى الماضى بما فيه من بعد وهجر لحبيبته « الحرية » ويتذكر أيامه الحاضرة ، وفرحته بلقياها ، وتنعمه بوصالها :

دعيني انتشي من عطرك المنساب من نفح الحنان
فقد عايشت هذا العطر حتى صار روحا في كياني
ولما غاب عشت القهر والحرمان موءود الأماني
وحتى الآهة الخرساء كانت من محاظير الزمان
.. دعيني احتمي في الواحة الخضراء من بعد الهجير
اغني طائرا في افقك المنسوج من عطر ونور

★ ★ ★

لقد قلت مرارا إنني أحتفي بكل مذهب شعرى ألمس فيه لمسات الأصالة والجدة .
واثبت أكثر من مرة أن المشكلة ليست في أسلوب التعبير كلاسيكيا أو حرا . وإنما المشكلة في قدرة الشاعر وطاقته الفنية ، وإيمانه بمضمون شعره .

وديوان « أصداء الناى » من هذا النوع ، شعر يستوحى طبيعة مصر السمحة الرحبة ، ونيلها المنساب في يسر وعذوبة .

شعر عذب الألفاظ سهل القياد ، عميق المعنى ، لا يعمد إلى التعقيد ولايحمل القارىء شطط الغوص وراء معنى خبيء في طيات الغيب .

إن صاحب ديوان « أصداء الناى » شاعر يدرك جيدا أن الشعر جزء من كياننا الانساني وأنه فن لاتستغنى عنه الحياة .. وهذا هو التراث الذى نعتز به .

ولولا وجود بعض الهدّامين له لما فقد بعض الشعراء ثقتهم بالقيم الفنية ، التى دابت الانسانية على تركيزها في الشعر .

ولقد اغتنم الشاعر فرصة النضج الفكرى الحالى لديه ليجمع قصائد ماضيه وحاضره ، في هذه المجموعة الشعرية ، فتسنى له أن يكتب شعرا حالفه التوفيق ..

★ ★ ★

ذلك أن الشعر ليس كما يظن البعض مجرد مشاعر .. فالمشاعر تأتى وحدها في سن مبكرة ، وإنما الشعر تجارب قبل كل شيء .

وكما يقول رينيه ـ ماديا ويلك : « لكي نكتب بيتا واحدا من الشعر الجيد ، يجب أن نكون قد شاهدنا عدة مدن وأشخاص وأشياء »

يجب أن نعرف كيف تطير العصافير ، وكيف تتحرك براعم الزهور صباحا : يجب أن نؤتى القدرة على استيعاب التفكير في دروب كائنة في مناطق مجهولة ...

« أن نلتفت إلى الوراء ، نحو أيام الطفولة .. وأن نجتر لقاءات بعيدة ، وتجولات شديدة العمق والخطورة .. »

وأنا اقول لايكفى أن نكون مدركين طريقة التفكير في كل هذه الأمور ، بل يجب أن تكون لنا أحلام من الذكريات المستحيلة ، تعزز العاطفة ، وتمضى بها نحو عالم الكلمات المسموعة ..

★ ★ ★

ولقد تخيرت من الديوان موضوعات منوعة منها الوطنية والتأملية والناقدة للحياة ، وكلها قصائد جيدة : الجديدة منها والقديمة .. وقصائد ديوان « أصداء الناى » قد تنوعت موسيقاها وتساوقت مع العواطف ، وتآلفت أفكارها ، فبدت صورها قريبة من الحقيقة .. فلاهى صور

خيالية رومانتيكية حالمة ، ولاهى ضبابية تتحدى الذكاء والفطنة .
ولنستمع إليه فى قصيدته « إلى جميلة الجزائرية » :

آه ياأخت والفؤاد انين
تحت وطء الهموم وهى ثقيله
انا لم اعرف الترمل واليُتم
وفقْد الصغار زهر الطفوله
غير أنى احسست هذا جميعا
منذ نالوك بالأذى .. ياجميله

وينتابه غضب ، ويتنكر للقدر ، ويصيح احتجاجا على سلطات الاحتلال

اتموتين والبغايا بباريس
يمتعن بالحياة الطويله
ايطيح الجلاد راس ملاك
كى تعيش الجماجم المخبوله
ايدوى الرصاص فى صدرك الحر
وتدمى فيه المعانى الجميله

لكن الأمل مازال يراوده ، وقوة (الله أكبر) فيقول :

لا تراعى فالليل يعقبه الفجر
وبعد الهجير تحلو الخميله
انظرى فالصباح يشرق فى الأفق
وجيش الظلام يخفى فلوله
هكذا تسعد الجزائر بالنصر
وكل الرغائب الماموله

● تجارب الشاعر

صور تزيد معانى التجربة جلاء وقوة وتعمل على توصيلها إلى القارىء فى يسر وسهولة .
أجل . إن ديوان « أصداء الناى » قد التزم صاحبه بوضع الكلمة فى موضعها المناسب ، فعبرت عن تجارب الشاعر ، تعبيرا صادقا .. والصدق فى الشعر أهم عوامل درجات التفوق .
فكم من شاعر جيد الصياغة ، غير قادر على التفكير ، فيما يشعر به عديم الايمان بحقيقته . ذلك هو المقلد الذى يخرج شعرا ميتا ، لايهز وجدان القارىء ولايحرك شعوره .
فليس الأمر أمر ابيات فى قصيدة ، ولاهو أمر القصيدة نفسها ، إنما هو أمر ارتعاشة الشاعر ، فى اللحظة الحاسمة ، لحظة نورانية الخلق .. عندما يقف وجها لوجه أمام سمائه الشعرية ، مبدلا بحقائقه الراهنة حقائق جوهرية ، محررا كونه من ماديته ، ليكوِّن عالما ليس له قابلية التجزؤ ..

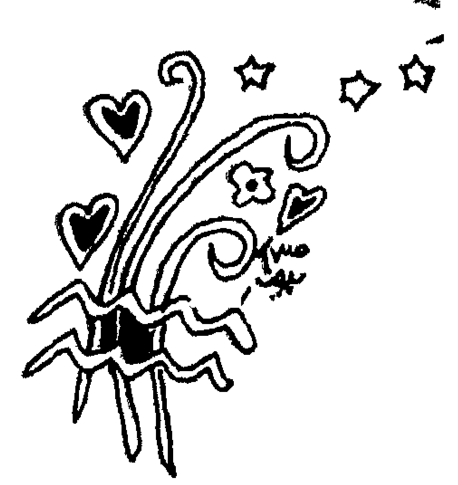
ومصر وطننا الحبيب هى الشغل الشاغل فى ديوان الشاعر احمد هيكل ، يناجيها إذا غاب عنها ، ويناجيها وهو فى أحضانها ، ويزجيها أعذب الكلمات .. ففى قصيدة « جنتى وأحزان الخريف » :



فطاوعت اشواقى وأسرعت عائدا
كعودة طير للفضاء وللسِّرْب
اقبل لهفان الجوانح أرضها
واخرج فيها دمع عينيَّ بالترب
واحلم ان انسى عليها مواجعى
فحسبى أن أحيا على ارضها .. حسبى

★ ★ ★

ويتساءل شاعرنا أى سحر فى بلده يشده إليها وهو يحيا فى بلاد حباها الله بكل معانى الحسن والجمال :



طال ياليل عن النيل غيابى
فمتى تشرق يافجر إيابى
هاهنا حولى جنات وحور
غير انى فى اغتراب وهجير
إنما مصر وقد شاء هواها
أن يرد النفس عن حب سواها
اى سحر فى مياه النيل يسرى
رشفة منه افدّيها بعمرى

ويعترف أن وطنه هو دنياه وفنه وفردوسه فيقول :

هذه دنياى بل محراب فنى
وهى فردوسى الذى فيه اغنى

وهكذا نجد الديوان مليئا بعديد من أمثال هذه القصيدة المشبوبة ، حبا للوطن .
وحنين الوطن داء معروف يصاب به كل مغترب ، غير أن شاعرنا أوتى له نبض وروح ودرجته الفنية ممتازة .
نأتى بعد ذلك الى شعره الدينى فنتأمل بكل خشوع .. والشعر الدينى عند الشعراء المجيدين هو أكبر دعامة لخلودهم ، فصفوة إبداعهم فى هذا الجانب يجب أن تكون موضع الحفاوة والانتفاع بها لخير الاسلام والانسانية .
ففى ذكرى مولد الرسول ، يقول الشاعر فى قصيدة (لمن النور) :

مالهذا النخيل يرقص كالصوفىّ	لما انتشى وذاب صفاء
مالتلك الجبال اضحت قلوبا	فى ضلوع الصحراء تحيى الرجاء
ما لكل القفار صارت رياضا	ثم اضحى هجيرها أفياء ؟

إلى أن يقول :

اتراه الربيع تنسج للكون   برداه .. غلائلا خضراء
لا .. فإن الربيع يمكث حينا   ثم يمسى هواجرا او شتاء
والربيع القدسى خلده الله   لتبقى الحياة اسمى بهاء
ليس هذا الربيع غير وليد   جعل الأرض جنة فيحاء

ويقول أيضا فى يوم مولد الرسول العظيم :

فجران .. فجر سنا وفجر وليد   قد لاح ضوؤهما بافق البيد
هى ليلة ركع الزمان امامها   والدهر حيَاها بطول سجود
هى فى الليالى الغر مثل مليكة   وبقية الليلات مثل .. عبيد

ويمر شاعرنا فى أعوامه الأولى بما يمر به الشباب ، يعذبه الشعر ويرهقه الخيال ، ويصاحبه القلق والوهم ، ويملأ عالم الرؤى الغريب جوانبه بشعور مبهم ..

فتجلجل التجربة قوية محتدمة تبعثه على الانتقال إلى الأحداث على جناح الصور الشعرية ..

ويفيض قلب الشاعر أخيرا بالشعر فى قصيدة « صرخة » :

يارب اين طريقى   ∴   واين اين رفيقى
طرحت روحى بسجن   ∴   من الظلام الصفيق
ولم تدع لى انيسا   ∴   سوى اساى العميق
وثورة فى دمائى   ∴   تضج عبر عروقى
وادمع ناضبات   ∴   يؤذن نار حريقى
وخافق فى ضلوعى   ∴   ليهفان مثل غريق
فبات يدعو ويدعو   ∴   يارب اين طريقى ؟

وتمر به الأعوام والأيام ويصير شاعرنا الشاب رجلا كامل الرجولة ، ولكنه لايتغير .. وكيف تتغير نفسيته وطباعه ؟ وهو لم يزل هو هو الشاعر الملىء بمشاعر القلق والحيرة ؟ وبكل قوى الايمان والثقة بالخالق ، يهتف فى قصيدة « ضراعة » ، وهو يشكو لله غربته ، وتشرد أيامه وظلام دروبه :

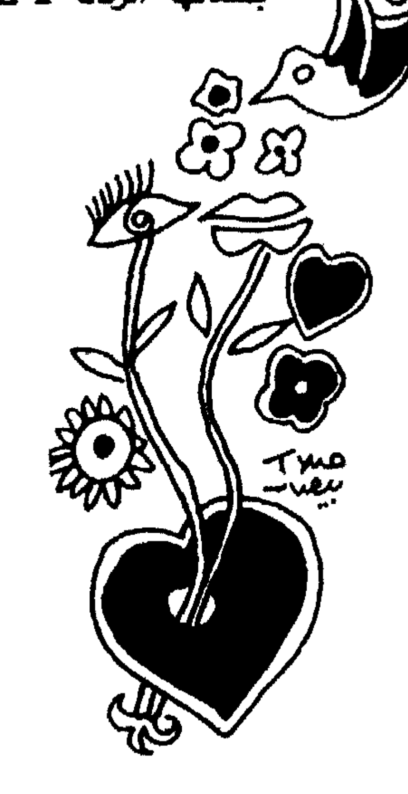
إلى بابك المامول اسرعت يارَبى
تطوف به روحى ويطرقه قلبى
جفانى من ساقيتهم صافى الهوى
واعرض احبابى وانكرنى صحبى



وافردت إلا من مرارة غصة
والام سهم قد تكسر فى جنبى
وجئتك لا اخشى عواقب زلة
فعفوك يارحمن اكبر من ذنبى
ولكننى أشكو اغترابا ووحدة
تشرد أيامى وتظلم لى دربى
فهبْ لى سلام الروح وارحم مواجعى
فليس امامى غير بابك ياربى

والآن ، وبعد أن عشنا مع الشاعر الدكتور أحمد هيكل فى ثوراته النفسية ، نأتى إلى شعر الغزل فى ديوانه « أصداء النأى » فنبحث بصعوبة علنا نجد بعضا منه .. ولكن الشعر العاطفى عند شاعرنا قليل ونادر .. لست أدرى لماذا وهو الذى أجاد إجادة مذهلة فى قصيدته : « أندلسية » ؟ فاستعمل فيها الكلمة بكل ماتملك وتحمل من قوة تعبير ، وصورها تصويرا رائعا ، حتى خرجت لنا القصيدة فى ثياب من السحر الفاتن ..

وهى تستأهل أن نختتم بها هذه الوقفة الشعرية ، حتى تظل فى مسمعنا جميعا ، بكلماتها الرنانة ـ كعصفور مغرد يلتقط حبات غذائه :ـ



هيفاء .. كالغصن الرطيب تبسمت فيه الزهور
بيضاء .. مثل الياسمين يضىء فى الروض النضير
وندية .. كالطل يمسح جبهة الصبح المنير
وشذية .. كالورد يسطع بالجمال وبالعبير
ودقيقة .. مثل النسيم اذا تعطر فى البكور
وشجية .. مثل التناجى الحلو أو شدو الطيور
ورشيقة .. مثل الفراش يُخال ازهارا تطير
وعميقة .. كالنبع دفاقا من الصافى النمير
ووديعة .. مثل الحمام مرفرفا حول الغدير
ورفيعة .. كالشمس تخطو فوق هامات البدور
وبريئة .. مثل السنا فى نظرة الطفل الغرير
ووضيئة .. مثل الهدى يصحو بوصفته الضمير
وحبيبة .. كالعذب لاح لظامىء بين الصخور
وخصيبة .. كالحب تورق من بشاشته الصدور
هى واحة القلب الذى صهرته نيران الهجير
هى معبد الروح السنى وكعبة الحب الطهور

وليت شعرى ماسرُّ هذه الأندلسية الفاتنة ، التى هزت وجدان شاعرنا القوى ، حتى فاضت مشاعره بكل هذا الشعر العبقرى الرائع .. ؟

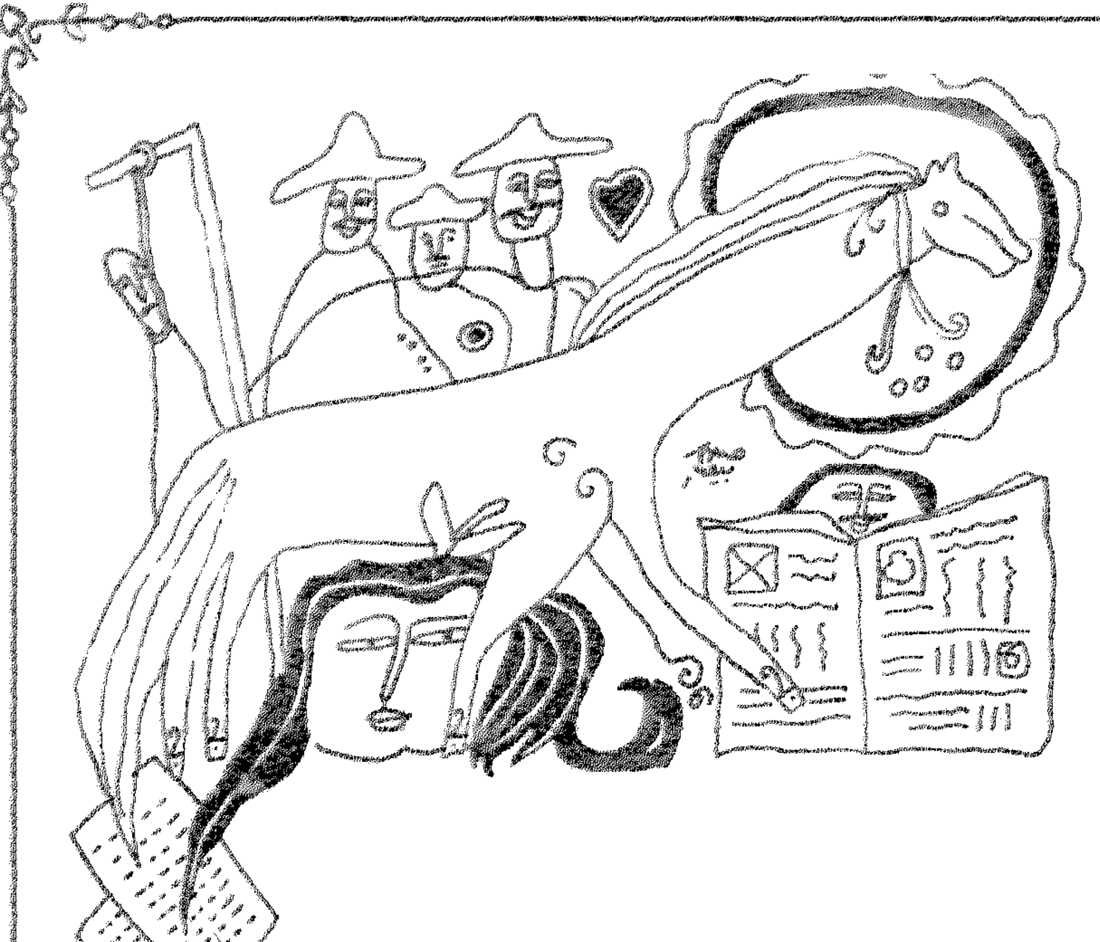
والحق أقول : نادرا مايقرأ الانسان قصيدة اكتملت فيها معالم الجمال مثل قصيدة : « أندلسية » للشاعر الكبير : دكتور أحمد هيكل .

لمن يهمه الأمر

شعر :

نافع خليل يوسف

لو قرأت الصحف يوما ... او تدبرت الملاحق
سوف ينتابك مس ... من جنون لا يفارق
قلب الصفحات وانظر ... يارفيقي - لا تمالق
دولة الفكر تداعت ... وهوت تحت المطارق
وخيول الشعر خارت ... مُذْ غدا الشعر ينافق
ورياح الموت هبت ... لم يعد فى الساح خارق
قل لصبيان تعالوا ... فوق هامات الخلائق
خففوا الوطء قليلا ... واهجروا هذى الطرائق
اى سخف قد جرحتم ... وانتقاص للحقائق
كم دعى بات يهذى ... وهو فى الفكر مراهق
يا لأسماء تباهت ... سودت وجه الملاحق
ايها القارىء عفوا ... ان اكن عنك اشاقق
هل ترى فى الفكر شيئا ... غير مسروق وسارق
جمدوا الابداع طرا ... فغدا الابداع مارق
قلب الصفحات واحكم ... هل ترى للفكر طارق ؟!



دجنوا الشعر وقالوا شعرنا شعر البنادق
ويحكم ! يكفى هراء شعركم ـ شعر الفنادق
اترعوا الصفحات زيفا فى سطور كالمشانق
ذاك فنان عظيم فاتح من نسل طارق
تلك حسناء تجلت اضرمت هذى الحرائق
صورة باللون تغرى الهبت عقل المراهق
اترى نحن قطيع ام جنود فى الخنادق ؟!
بالعصر بات يزهو فى سقوط فى المزالق
ايها القارىء اقبل وانطلق مثل الصواعق
لقن اللاهين درسا انت فى التلقين حاذق
لاتخف من كان هشا همه كيف يمالق
ياضياع الفكر فينا بعد ان كنا شواهق
اين فرسان القوافى ؟ اين هاتيك الخوارق ؟!
رب رحماك فانى عائذ ! فالجو خانق !!

مصمم مسرحى جزائرى فى لندن !

بقلم/ عبدالقادر فراح

عبد القادر فراح مصمم مسرحى جزائرى التحق بفرقة شكسبير الملكية منذ عام ١٩٦٠ وصار أحد اعمدة هذه الفرقة العتيدة بشعبتيها فى لندن وفى ستراتفورد أون ايفون .

وللفنان فراح تجربة طويلة وغنية فى التصميم المسرحى (الديكور .والملابس) فى بريطانيا وأوربا وأمريكا . وقد كان فى زيارة قصيرة للقاهرة فطلبت «الهلال» منه أن يكتب لها مقالا يعرف القراء بفن التصميم المسرحى فى العالم ويحدثنا فيه عن بعض جوانب تجربته الفنية .

ان مجرد سقوط بقعة ضوء على المسرح العارى ودخول الممثل دائرة الضوء هذه للقيام بفعل مسرحى ..

أو انتشار ضباب خفيف فى بقعة الضوء ..

أو نبض المؤثرات التكنولوجية فوق المسرح ، والحركة الآلية لأجزاء الديكور أو الاكسسوار ..

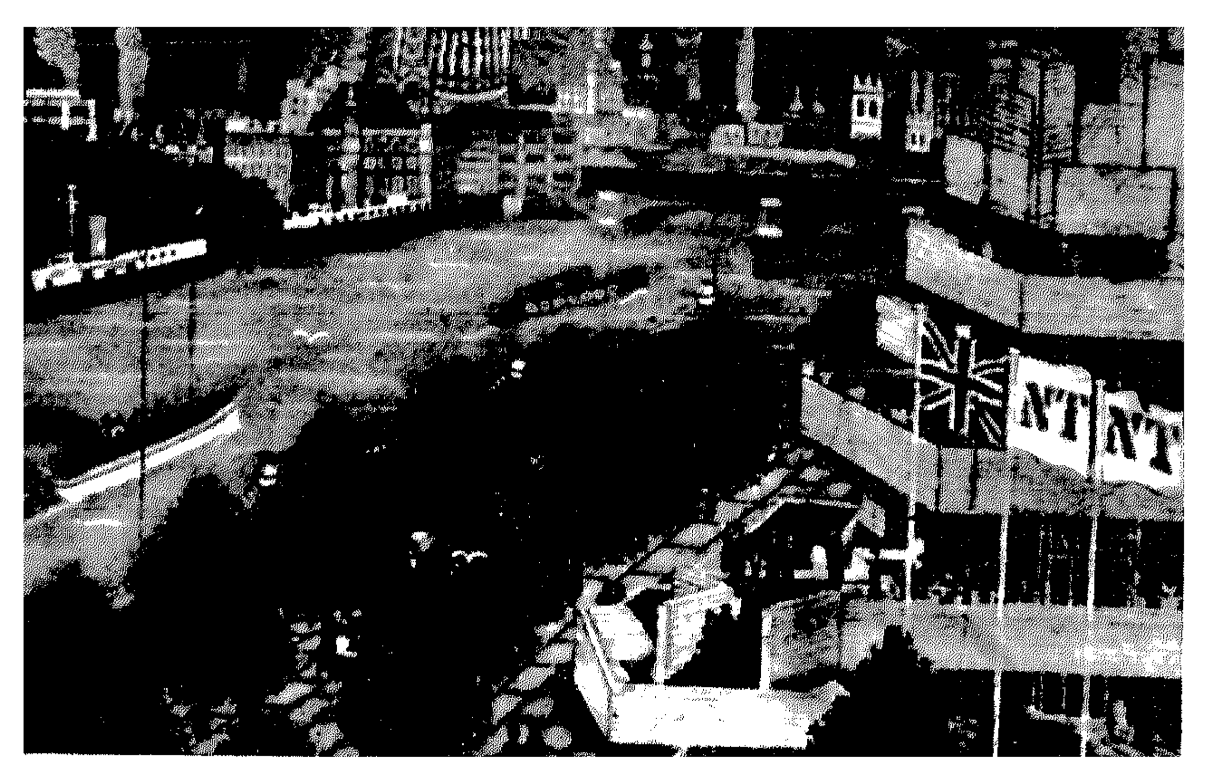
ان مجرد بث أضواء مضبوطة توحى بوجود حديقة على منصة المسرح فى حين لا توجد عليها شجرة واحدة ..

.. كل هذه من أدوات التصميم المسرحى وابداعه .

ان الرسام يبدع فنه فى بعدين اثنين . والنحات يبدع فنه فى ثلاثة أبعاد .. بينما المصمم المسرحى يربط الأبعاد الثلاثة فى عمله ويضيف اليها بعدا رابعا هو الزمن .. اى ايقاع التغيير فى المنظر المسرحى .. وهذا الايقاع هو فى الواقع نبض العرض المسرحى وانفاسه . فحركة الديكور ، وتتابع المشاهد ، وزمن تغيير المشاهد هى ديناميكية العرض المسرحى .

● **المفاضلة بين البدائل**

وعندما نتحدث عن الديكور المسرحى فى بلادنا الشرقية كثيرا ما يذهب الخيال الى الامكانيات



المسرح القومى البريطانى يحتل موقعا فريدا على ضفة نهر التايمز

البؤساء .. عن رواية فيكتور هيجو بلندن



التكنولوجية المتنوعة المتاحة امام المسرح الغربى ..

وأبجدية الوسائل الآلية ذات تأثير قوى بلاشك .. بشرط إن يكـون لتوظيفها مبرر كاف من ناحية الاسلوب ، ومن ناحية التكلفة أيضا .

ولكن هذا ليس هو بداية المشروع بالنسبة للفنان الموكل اليه تصميم الديكور . فان تصميم الديكور يقتضى أولا رسم المناظر المسرحية وصناعتها عادة من مادة خفيفة أو رخوة كالقماش أو من المواد الصلبة كـالخشب والمعـادن والعجائن البـلاستيكيـة المعتمـة أو نصـف الشفافـة أو الشفافة ..

ملاحظات مصمم مسرحى جزائرى

أول ما يفكر فيه الفنان المصمم هو المفاضلة بين هذه البدائل ..

ومن الممكن أيضا انشاء الديكور بالمرايا . والمرايا تختلف أيضا درجات انعكاس الصورة- عليها أو درجات صفائها ، ومن الممكن أن تكون مقعرة أو محدبة أو اسطوانية المقطع أو فقاعية التكوين (ويحدث ذلك بضغط الهواء فى عجينتها) ..

ويمكن صنع المناظر بمواد معتمة تمتص الضوء أو بمواد صقيلة تعكس الضياء ..

هذه كلها اختيارات واردة تشغل الفنان وهو فى حالة اختيار الاسلوب وفهم النص المسرحى وملاءمة خطة التصميم مع خطة الاخراج .

كما أن المصمم يريد للديكور المسرحى أن يحدث أثرا ديناميكيا (حركيا) امام أعين الجمهور ، وهذا يقتضى بالطبع مساهمة منشأة صناعية أو ورشة هندسية متخصصة فى الانشاءات المعدنية .

إن المؤثرات الديناميكية تتيح لأجزاء الديكور أن تتحرك فى عمق المسرح أو من جانب الى جانب أو رأسيا ، وبطريق التبادل على الابعاد الثلاثة .

ومعدات الضوء فى المسرح ذات أهمية قصوى . ففى مسارح فرقة شكسبير الملكية حيث أعمل مائتان وخمسون مصدر ضوء (بروجكتور) فى المسرح التجريبى والصغير (٣٠٠ مقعد) وسبعمائة وخمسون مصدرا للضوء فى المسرحين الكبيرين (١٢٥٠ مقعدا ـ ١٤٠٠ مقعد) .. وكل متر مربع من المساحة التى يجرى عليها التمثيل يمكن أن يضاء من يمين المنصة ومن شمالها ومن الخلف ومن الأمام ومن أعلى .. واحيانا من تحت المنصة .

إن معدات جيدة للاضاءة تساعد المصمم على الاستغناء عن بعض اجزاء الديكور وتخفيف ثقل الديكور على المنصة ، كما تساعد المتفرج على سماع الممثلين بشكل أفضل حيث يراهم على نحو أفضل .

ويتكون النظام السمعى بالمسرح على أساس من الحلول المعمارية الصوتية ، كما يعتمد أيضا على الحلول الصوتية للتصميم الديكورى . ولذلك فإننى شخصيا لا أحب استخدام المواد الرخوة أو اللينة فى بناء المنظر المسرحى حول المنصة حيث أن مثل هذه المواد (كالقماش وما اليه) تميت صوت الممثل وتمتصه .

وأدوات المصمم المسرحى لاحدود لها . ومن بينها بث الصور من خلال آلة العرض (البروجكشن) من أى ناحية يشاء المصمم وبأى زاوية يختارها .

ويمكنه أيضا استخدام التكنولوجيا السمعية والبصرية ، واشعة الليزر ، وكل المؤثرات البصرية بترتيب ابجدياتها على النسق الذى يشاء .

وعلى أى الأحوال فمن المهم أن نتذكر دائما أن الغاية النهائية للتصميم المسرحى الجيد هى الممثل ذاته .. خاصة اذا كان الممثل متميز القدرات .. وسواء كان التصميم اساسه الجماليات التكنولوجية أو كان أساسه الانتخاب المتقشف .

★ ★ ★

ولايمكن تصور التصميم الامثل للديكور أو الملابس أو الادوات (الاكسسوار) بمعزل عن ابداع المخرج .

فعندما يبدأ المصمم عمله فى المشروع المسرحى يتبادل هو والمخرج الافكار والانطباعات والتصورات عن النص المسرحى وهى عملية الرى اللازمة بعد البذر ، وتجرى بالضرورة على رأس الهرم الابداعى - والهرم ذاته هو بالطبع النص المسرحى .. فالمؤلف المسرحى هو الهرم وهو الهواء الذى يتنفسه كل فريق المبدعين فى المسرحية .

ولكن حين يكتمل العرض المسرحى أمام الجمهور يقف على قمته الممثل والمؤلف .. أما بقية الفريق (المخرج والمصمم والمؤلف الموسيقى ومصمم الرقص والفنيون وكل عمال الورشة) فانهم يصبحون الهرم ذاته الذى يقف على قمته المؤلف والممثل معا .

● روح الفريق

ولابد للنجاح ان ينسجم العمل كله بروح الفريق ، ويتألف هذا الانسجام من تنامى القناعات ومن تداعيات الاقناع وحججه ، ومن جهد العمل ، وترتيبا على جهد كل فرد من الفريق مع الآخرين فى التقييم واعادة التقييم والتفاهم والالتزام .

فالانتاج المسرحى فى النهاية اشبه باليد الواحدة التى تعتمد حركة كل إصبع فيها على حركة الاصابع الاخرى والاصابع الخمس للانتاج المسرحى هى المؤلف والمخرج والمصمم والممثل والفنى .

وعندما يختار المسرح مؤلفا هاما مثل سوفوكليس أو اليابانى زيامى أو شكسبير أو موليير أو برشت يصبح هذا المؤلف هو العامل المؤثر الأول فى عمل الفريق .

عندما يعمل الفريق على الوجه الأكمل تتحقق المعادلات فى المشروع المسرحى فى أحسن صورة بالترتيب الآتى :

١ - المخرج + النص + المصمم

٢ - المخرج + النص + الممثل .

٣ - الممثل + النص + الجمهور .

ملاحظات مصمم مسرحى جزائرى

ان كل ملاحظاتى تنبع من تجربتى فى معالجة مؤلفات ٩٠ كاتبا مسرحيا ومؤلفا موسيقيا .. كلاسيكيين ومحدثين ، ومن واقع التعاون مع ٣٧ مخرجا ومصمما للرقص فى سبع مناطق لغوية مختلفة فى هولندا - فرنسا - انجلترا - تونس - كندا - الولايات المتحدة - المانيا - النمسا - المكسيك - ايطاليا ، فضلا عن مساهمتى كمسئول ومستشار فى مجال تعليم التصميم المسرحى فى فرنسا (ستراسبورج) وانجلترا (لندن) وكندا (مونتريال) والولايات المتحدة (المركز الدرامى جوبارد بنيويورك) ..

* * *

وفى حياتى العملية صادفت نوعين من الممثلين :

١) الممثل الذى أبرزه نجاح واحد ، وصاغ الدور الذى نجح فيه شخصيته فى قالب ضيق طوال حياته فأصبح مقضيا عليه بتمثيل نفس النمط بغض النظر عن المسرحية ..

٢) الممثل المتلون والقادر على التغير وتطوير إمكانياته .

ونفس هذا التقسيم ينطبق ايضا على المخرجين والمصممين المسرحيين .

١) فالمصمم المسرحى الذى عرف عنه اسلوب خاص أصبح موضة فنية يصبح عمله مثل الفاترينة الزجاجية لمحل تجارى ، يغدو رخيصا ورتيبا ..

٢) والمصمم المسرحى من النوع الثانى قادر دائما على ارتياد آفاق جديدة فى فن التصميم ويساهم بذلك فى تطور فن المسرح فى بلاده .

ان المصمم رجل مسرح يعرف بدقة عملية ابداع المؤلف فى بناء مسرحيته ، وعملية ابداع الممثل فى بناء أدواته الفنية ، وعملية ابداع المخرج فى المزاوجة بين الرؤيا وبين الادوات العملية للعرض المسرحى .

والتصميم فن معمارى ولابد أن يملأ أعين الجمهور بالثراء الفنى والتعبيرى بحيث يختفى أو يكاد يختفى عن الانظار اطار فتحة المنصة فتتداخل المنصة فى صالة الجمهور . فاطار المنصة من مخلفات المسرح البورجوازى القديم حيث كان الجمهور يحب الاحساس بالتباعد عن المنصة . وهذا الاطار يمثل شاشة السينما . والمسرح يستطيع أن يتيح للمتفرج لحظات نادرة لاتقدر السينما أن تعطيها وهى اللحظات التى يختفى فيها اطار المنصة فى أعين الجمهور . أن مقدمة المنصة هى منطقة الوصل ومنطقة اندماج الجمهور بالمسرح ويجب تجهيزها كمنصة مسرح مستقلة بذاتها من حيث الاضاءة والمداخل والمخارج للكواليس أو للصالة ذاتها احيانا .



لقطة من مسرحية « كوريولانوس » لشكسبير في اخر معالجة لها .

ان المسرح يتحدى دائما كل تقليد . فما نعتبره اليوم طليعيا سيصبح غدا من الكليشيهات المملة : وقدرة التأثير هي من الظواهر الضرورية في الفنون ويصبح التأثير شريرا اذا قاد الفن الى التقليد الفارغ أو المتكرر ، ويصبح التأثير خيرا اذا ساعد على اكتشاف طرق جديدة واساليب جديدة .

وقد شوهت هوليود سمعة الشرق باظهاره فى صورة كاريكاتيرية غليظة . وقد قلدت السينما التجارية الهندية هوليود فى تصوير الشرق بالوان فظيعة وكليشيهات غليظة واصبحت لسينما الهندية كالمخدرات أو مثل علم مخاتل ..

وما آلت إليه السينما التجارية الهندية هو بحد ذاته تحذير كاف للسينما العربية والمسرح العربى والتليفزيون . ان شجرة ميتة لايمكن أن تحجب عن أعيننا غابة المشاكل والحلول الفنية للتصميم الفنى لاجواء الشرق .

ولابد أن تتكثف الاتصالات بين ممثلى وممارسى الفنون المسرحية فى العالم العربى بحيث يستفيد الجيل الشاب من الفنانين الناشئين الذين نعول عليهم اليوم فى ايجاد حلول مناسبة فى الغد .



تقديم
عاطف مصطفى

الأديب الكبير يحيى حقى :

أنا عاشق للغة العربية

أغنى لغات العالم

أستضافت مجلة الهلال الأستاذ يحيى حقى الأديب الكبير .. ورائد القصة القصيرة فى مصر .. بل شيخها وزعيمها الذى مازال حتى الآن يبرز أهميتها فى فن الأدب ويحرص على أن يوجه شبابنا من القصاصين بالطريقة المثلى لكتابتها ..

استضافته "الهلال" لكى يتحدث عن تجربته الذاتية ، وليضيف على مدى مشواره الفنى آراء هى بحق خلاصة تجربة ما يزيد على نصف قرن ..

فأديبنا الكبير صبغ اللغة التى يكتب بها بصبغة خاصة ، فحينما ترى جملة بهذا الشكل ، تحس أن هذه الجملة لا يمكن أن يكون قد كتبها سوى يحيى حقى ، فجملته ليست عبارة عن لفظة ، وإنما هى مليئة بأفكار وأحاسيس وانطباعات كلها جمعها فى ذاته ..

إنه يؤمن بالتجربة الذاتية وأنها مهمة جدا فى العمل الفنى .. كما يؤمن بضرورة أن يتعرف شباب القصة على تاريخ مصر وبأن يكتبوا فى السيرة ، بدلا من القول بأن الوحى لم يأت ، وفى هذه الحالة لا يستطيعون كتابة القصة أو "السيرة الذاتية" ، وضرب مثلا على ذلك بضرورة التعرف على تجربة محمد المويلحى والاستفادة منها .

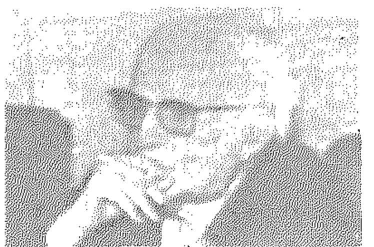
ويحيى حقى هو عاشق اللغة العربية الأول ، بل إنه من أشد أنصارها ، فله مطمح كبير فى ألا يبقى فى اللغة العربية لفظ واحد إلا وجد له مكانا فى كتاباته ، ومن خلال أحاديثه لا ينسى أن يشير إلى مشكلات فى اللغة بالنسبة للمثنى والجمع ويؤكد على أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم وموقفه من العامية محدد فهو لا يستعملها إلا عندما لا يجد الفصحى تطاوعه ، وأن يكون التعبير العامى "فنى" .

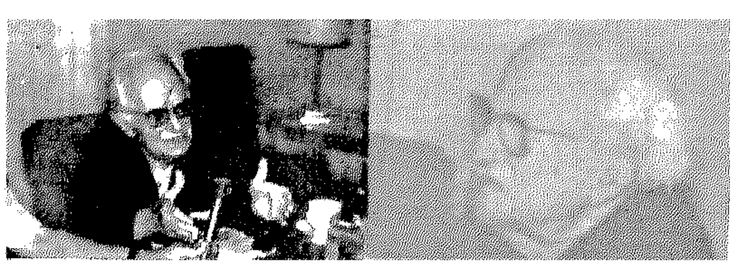
•• نصيحتي للأدباء الشبان : أغلق فمك وأنت تكتب ، ولكي تصل إلى الموهبة ينبغي أن تكتب ببساطة .

•• الفنون تحتاج إلى حرية ، وإذا اختلطت بالدولة سوف تضيع وتدخل في دعاية وسياسة !

•• أنا حزين جداً أن يقال " المومس " في أدب نجيب محفوظ في مصر !!

•• جميع تجاربي الأدبية ليست نابعة من قراءة كتب وإنما من قراءات وتفاعلات ذاتية .





والقصة القصيرة عنده مجموعة من جمل قصيرة مستقلة ، لابد ان تستوفى كمالها قبل أن تتحول منها إلى الجملة التالية .. لقد شبه الكلام بعملية عجين ، فنضع في "الماجور" كل المواد من دقيق وملح وماء وخميرة ، حتى يتالف منها كيان متماسك ، وهو في الوقت ذاته مؤلف من الأجزاء المتناسبة .

يحيى حقى إبن السيدة زينب له أكثر من ثلاثين كتابا ، منها كتب نالت شهرتها ، وكتب كما أشار الأديب الكبير لم يوزع منها سوى ١٥٠ نسخة فقط .. طلب منه الأستاذ احمد بهاء الدين ان يكتب في الأهرام فاعتذر ، ومع ذلك واصل الكتابة في صحف اقل انتشارا وذيوعا من الأهرام من بينها التعاون والسياسى والمساء .

●●●●

إشترك فى الندوة الدكتور مصطفى ماهر أستاذ الأدب الألمانى بآداب عين شمس والناقد الأديب فؤاد دواره والكاتبان محمد روميش وابراهيم أصلان ومصطفى نبيل رئيس التحرير .

وقد حرص الأستاذ يحيى حقي على أن يحضر إلى الندوة هذا العدد القليل لأنه لم يعد يطيق ندوات مفتوحة ، تضم أعدادا كبيرة ، فضلا عن أن الندوة بهذا العدد القليل ، أعطت سمة الأسرة الواحدة وحرص المشاركون فى الندوة على سماع كل الأراء التى قالها أديبنا الكبير .

منذ البداية كنا نود أن نتعرف على كل جديد يضيفه استاذنا يحيى حقى .. كيف استفدنا من الغرب فى القصة القصيرة .. آراؤه فى المدارس المختلفة ، خاصة المدرسة الحديثة التى ركز عليها فى الندوة والاهتمام بتاريخ مصر والشخصيات التى لم تحظ باهتمام حتى الان ... فقد أبرز ضرورة العناية بالوثائق فضلا عن اهمية التجربة الذاتية والصدق الفنى فى الأعمال الأدبية وتحدث عن سبب عدم كتابة نجيب محفوظ عن القرية المصرية وشغفه باللغة العربية وحرصه على كل لفظة يكتبها فهو على حد تعبيره "عاشق متيم صبابة باللغة العربية" .. كما أشار إلى ما ينبغى أن يفعله الأدباء الشبان اثناء الكتابة ، وعلاقته الحميمة بالأستاذ المحقق محمود شاكر .. وحدد مفهوم الفن وانه ينقسم الى فن الرسم وفن النحت وفن القول ولذلك فهو ينادى فى العصر الحديث

بضرورة حذف كلمة أدب وأن يستبدل بها كلمة "فن القول" ، فليس هناك أدب فقط ، بل هناك فن وأدب بمعنى "فن القول" وحينما نتتبع تاريخ القصة القصيرة نجدها قد أتت إلينا من "فن القول" ..

■ **د . مصطفى ماهر : أحسست من خلال قراءاتى لكتاب "هذا الشعر" أن لك طريقة مميزة تحبب القارىء فى الشعر خاصة المتنبى وأبى فراس الحمدانى ، وليس كل قارىء مهتما بهذا التراث الصعب . كيف استخدمت اللغة الشاعرة فى قصصك ؟**

●● يحيى حقى : أود أن تدعونى لكى أتحدث عن نفسى قليلا .. فسبب انجذابى الى القصة القصيرة ، أننى أشترط أن يكون فيها نفس شعرى ، والآن دخلت فى قضية غريبة جدا .

أولا : يجب فى كل بحث أن نبدأ بكلمة "الفن" .

وجميع تجاربى الأدبية ، ليست ناتجة من قراءة كتب ، وإنما ناتجة من قراءات وتفاعلات ذاتية .

وفى ذهنى أن الفن نعمة كبيرة جدا من الله ، الفن نوع من الانجلاء البصرى والروحى ، ويحولك من بنى آدم يأكل ويشرب إلى كلمة بنى آدم حقيقية .

والفن فى نظرى هو الاتصال الروحى بالكون بالخالق بالجمال بكل ما فى الحياة من هذه الأشياء ، التى كأننا مولودون بشوق غريزى للوصول إليها .

هذا الفن بدأ يفهمه حتى الانسان ساكن الكهوف والذى رسم لنا على جدرانها بعض الرسومات وطوع بعض الأدوات واستخدمها فى الموسيقى والايقاع الموسيقى .

■ **الهلال : إذن ماذا عن هذا الفن ، خاصة وأننا نعلم أن لك رؤية خاصة للفن ؟**

●● يحيى حقى : انقسم الفن الى فن الرسم وفن النحت وفن القول ، ولذلك فإننى أنادى فى العصر الحديث بأن تحذف كلمة أدب وتستبدل كلمة فن القول بها ، لأننى أود أن تكون كلمة فن بجانب أدب ، فليس هناك أدب وحده ، بل هناك فن - أدب أى فن القول ، وليس هناك قول ، بل هناك فن القول ، وحينما تكتب يكون هناك فن القول ، ولابد أن تكون فكرة الفن موجودة وحينما نتتبع تاريخ القصة القصيرة نجدها جاءت إلينا من فن القول وعلى الكاتب وهو يكتب أن يتمثل علما أسميه "الامتاع والمؤانسة" بمعنى امتاع ومؤانسة القارىء فى حدود الفن ..

هناك قضية هامة أريد أن أتوقف عندها قليلا ..

قلت ذات مرة لمحمد روميش وفؤاد دواره كنت أتمنى أن يلقى كتاب "هذا الشعر" باهتمام أكبر ، لأننى تحدثت فيه عن شاعر من أعظم الشعراء الذين نتصورهم فى الوجود ، انه شاعر مسلم عاش فى الهند ، ولم يذكره أحد فى مصر ، وبرغم أننى عرفت القارىء المصرى بهذا الشاعر ، فإننى لم أجد أثرا لما كتبت !

أيضا دراستى عن صلاح جاهين ، اعتقد أنها ألقت الضوء على الاهتمام باللغة العامية الفنية ، وتستحق الدراسة ، لقد نسيت ما كتبته عن صلاح جاهين ، لكن بعضهم قال : كأنك تنبأت بأنه سينتحر ولا أعلم هل هذا الأثر كان عندكم أم لا ..

وعلى ذكر هذا صدرت لى كتب مترجمة (فأنا مترجم أيضا) صدر منها فى دار المعارف (مسرحية دكتور كنوك) (مسرحية الطائر الأزرق) وستصدر (البلطة) (الأب الضليل) .

والترجمة مهمة جدا لأى كاتب ، لأننى حين أكتب أستطيع أن أهرب من موضع لا اجد كلمة تناسبه ، أما إذا ترجمت ، اقسمت أن أكون أمينا ، ولابد فى هذه الحالة أن أجد الكلمة التى أريدها .. وكان يقال عن بعض الأشخاص .. كان إذا ترجم .. ألف !

■ الهلال : استاذ يحيى .. نود فى معرض الحديث عن نفسك ، أن تذكر لنا علاقتك بالأستاذ محمود شاكر ، وتأثير بعض النقاد عليك ؟

●● يحيى حقى : الأستاذ شاكر بالطبع ليس ناقدا ، ولكنه عالم كبير ، والمباحث التى بحثتها فيما بينى وبين نفسى أن أقارن الأسلوب منذ بدأت أكتب ، وبينه وبين أسلوبى منذ عرفت محمود شاكر ومن مآثر محمود شاكر أننا قرأنا الشعر الجاهلى كله ، نصا والقاء وحفظا وحين كنت أكتب كان يبصرنى بثراء اللغة العربية ، ويبصرنى بشىء أسميه سليقة اللغة العربية ..

ولكى تصل إلى الموهبة ، ينبغى أن تكتسب سليقة ، ولكن حينما أقارن أسلوبى قبل أن عرفت محمود شاكر أجد أن بذرة المبادىء التى استندت إليها موجودة ، وهو ضرورة تحديد اللفظ فى مكانه ..

والخطوة الأولى هى البحث عن المواجهة الصحيحة للكلمة الصحيحة ، فلا تحذف كلمة ، ولا تجد كلمة تحل محلها ، وهذا الشرط التزمت به بدون ملقن وبدون درس ، وبدون الاطلاع على كتاب ، انما هو شىء غريزى فى النفس ، لعل أساسه رغبة احترامى للقارىء ويجب أن يشعر المؤلف الأدبى وهو يكتب بأن أمامه قارئا ينبغى أن يحترمه ويصدقه القول ..

وبرغم مشكلات اللغة فإننى دائما التزم بدقة اختيار اللفظ ووضعه فى مكانه .

إننى عاشق متيم صبابة باللغة العربية ، فهى من أغنى لغات العالم وقواعدها بسيطة ومن الممكن أن نعرفها .

■ الهلال : لهذا كان اللقاء من اجل الاهتمام بهذه النقاط مع الأستاذ محمود شاكر .

●● يحيى حقى : لا .. أنا قابلته مصادفة .

■ ابراهيم اصلان : يعنى اختيار هذا اللفظ فى علاقته بتأكيد إيقاع معين او صوت معين . إن لفظا اكثر دقة ولكنه اكثر تحقيقا لنبرة فى الحكى يريد الانسان ان يحققها .

●● يحيى حقى : أقول لكل الشبان الذين يؤلفون (حينما تكتب إغلق فمك ، وإياك أن تفتح فمك) العبرة فقط فى أن تضع لنا

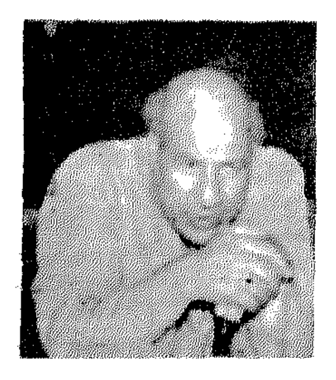




د . مصطفى ماهر



فؤاد دوارة



محمد روميش

نصا منسابا كأنك تسير فى طريق معبد ، وبصرك باللغة سوف يساعدك كثيرا على اجتياز كل الصعاب .

إن قواعد النحو والصرف ليست موضوعة للتصعيب ، أو لكلام نظرى ، إنها موضوعة لتوضيح النص وتبيانه .. الضمير الغائب يعود على أقرب اسم مثلا ، فإذا بعد الاسم تكررت ، وقواعد الأجرومية موضوعة لبيان هذا ، والجملة الثانية ينبغى أن تنبع من الجملة الأولى .

أى تنبع نبعا حتميا .. الجملة الأولى تستدعى حتما أن تكون الجملة الثانية بهذا الشكل ، فهذا هو السياق الذى يعطيك الأسلوب المنساب ولذلك قلت إن أكبر مطمع لكاتب أن يقول له قارىء : "حين أقرؤك ـ لا أشعر أننى أقرأ" ، حيث لا تقف أو لا تتعثر لغتك فى الطريق وهذا محتاج للعلم باللغة والاحساس الفنى ، وتعبيرك بالصور عن الخبر ..

إن آخر كلام قلته للشبان : عندنا طريقتان لرواية القصة القصيرة .

الطريقة الأولى : أنا كنت عندهم ، وجئت ووجدتهم بيأكلوا ويشربوا ، وأبوهم يتشاجر مع زوجته .. الخ .

فتجد هنا (كان) هى الغالبة فى هذا النص .

(وأيام كنت أعمل فى "المجلة" كان الساعى الذى ينظف غرفتى يجد ٥٠ كان ملقاه فى الغرفة يمينا ويسارا) !!

والطريقة الثانية : يقول لك فيها (تعال نبص من خرم الباب على الجماعة الموجودين خلف الباب ، ولايدرون أننى أتلصص عليهم ، بيقولوا ايه) .

نجد أن الفعل هنا مضارع مباشرة ، والمضارع أقوى فى جذب انتباه القارىء وأدعى للشعور بالحركة .

■ الهلال : لماذا اخترت أن تكتب فى صحف المساء والتعاون وغيرهما ولم تكتب فى الاهرام رغم دعوتك للكتابة فيه ولماذا نجد اعمالك المنشورة فى كتبك الآن قد نشرت فى صحف اقل انتشارا مثل التعاون والسينما والمساء وهل هذا الاختيار كان من جانبك ؟

●● يحيى حقى : وبعد أن طلب من فؤاد دواره قراءة مقال بعنوان "شخصيات ومراحل عمالية" قال : مثل هذه الموضوعات كانت تعجبنى جدا .. "وأنا شايف ان الجرائد اليومية الكبرى كانت متقمعة شوية !" وفى حاجة الى موضوعات وإلى أسلوب اخر .

ولكى أجد حريتى التامة فى أن أكتب ما أريد أن أكتبه بدون التفكير فى أى شىء اخر ..

لقد فضلت أن أكتب لنفسى وأنشر فى أى جريدة !

■ **الهلال : بالنسبة للنقد كان هناك ما يمكن تسميته بالظاهر والباطن ، بمعنى أن النقد كأنه موجه للبيب ، بحيث تبدو المقالة وكأنها نوع من التقريظ ، وهو فى النهاية نوع من النقد اللاذع ..**

●● يحيى حقى : لكن يبقى السؤال .. هل قلت الحق !

حتى د . محمد مندور قال نقدا ديلوماسيا .

وأعترف بأننى الذى استعملت تعبير الهمس .. "الأدب المهموس" .

■ **الهلال : كلنا مهتمون بتجربتك فى مصلحة الفنون ، وبالتحديد مهتمون بكيفية أن تكون هناك وزارة أو حكومة تتولى مسئولية ثقافية ثم تتحول الى عملية اعلامية وبعيدة عن الثقافة . وما نعيشه الان هو أن وزارة الثقافة تقوم بمهمة اعلامية وليست ثقافية ، ما الذى يمكن عمله حتى لا يحدث هذا .. على ضوء تجربتك فى مصلحة الفنون من قبل ؟ ..**

●● يحيى حقى : أولا مصلحة الفنون كانت أول هيئة تختص بالفنون ، وكان اسمها غريبا جدا .. (مصلحة الفنون) ولم يكن أحد وقتها يعرف الفنون ..

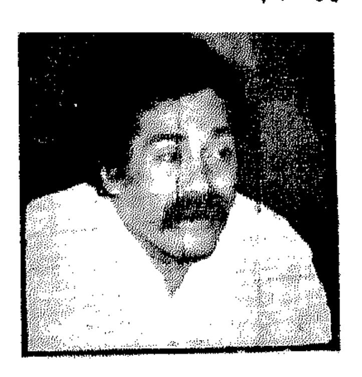
وللأسف الشديد فإن الدولة ـ خصوصا فى النظام الشيوعى ـ تتدخل فى الفنون ، وهذا الاشتباك خطير جدا على الفنون ..

والفنون تحتاج الى حرية ، واذا اختلطت بالدولة ، فسوف تضيع وتدخل فى دعاية وسياسة !

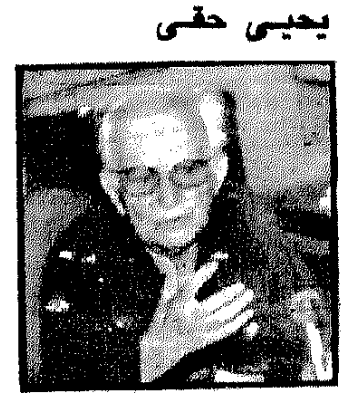
وينبغى أن تكون الفنون بعيدة عن الدولة ، واقصى ما يمكن أن تفعل الدولة أن تعطى جوائز .

ولا ينبغى أن تصنع الدولة فيلما أو

ابراهيم اصلان



يحيى حقى



مصطفى نبيل



مسرحية ، بل تترك ذلك للانتاج الفردى والحر ...

عموما هذه تجربة تحتاج الى حديث طويل جدا .

● المدرسة الحديثة مشروع قومى ●

■ **طرح الأديب محمد روميش ضرورة توافر الصدق الفنى فى داخل العمل وخارجه والا اصبح الأديب مزيفا ومزورا ، وعلق على ذلك د . مصطفى ماهر وقال القاص ابراهيم أصـلان بأن المسألة لا تتوقف على المادة والمعلومات التى من الممكن أن يجمعها الكاتب ، إنها تتوقف على استخدام هذه المعلومات ..**

يقول الأديب يحيى حقى : لاشك أن الدكتور محمد حسين هيكل كان متأثرا بالأدب الفرنسى ، وهناك ملامح ما بين وفاة زينب وماجدولين ومن أغرب الأشياء فى هذه الرواية أن البطل يختفى فى وسط الرواية .

وهيكل لم يكتب القصة القصيرة ! ..

ولكن لماذا بدأت المدرسة الحديثة بالقصة القصيرة ؟

.. إننى أعتبر أن المدرسة الحديثة هامة جدا ، لأنها لم تكن مشروعا أدبيا ، بل كانت مشروعا قوميا فى أول الأمر ، خاصة بعد ثورة ١٩١٩ هذا الحدث الكبير أمام أكبر دولة فى العالم فى ذلك الوقت ، ليس بحثا فقط عن الاستقلال ، بل بحثا عن الذات .

نشأة المدرسة الحديثة كانت مشروعا قوميا ، وهو ضرورة أن يكون لنا أدبنا الخاص بنا ، وكانت القصة القصيرة هى الاختيار الأسهل ، لأن الرواية تحتاج الى وقت أطول ، وتكنيك أكبر .

من مظاهر هذا المشروع القومى إلتفات الأدباء فى ذلك الوقت ، إلى رجل الشارع ، هذا الانسان الكادح الذى كان أساس رواياتهم ، وكتبوا أيضا عن الريف ، وخير مثال لذلك قصة محمود طاهر لاشين وهى بعنوان "فى القرية" وتعتبر من أجمل نماذج القصة القصيرة ، منذ كتبت حتى الان - فى وصفها قرية ، ونلمح فيها الرمز (الرجل الذى يوقد المصباح) ومعناه أنه يأتى الينا بالعلم وبالنور .

كانت القصة القصيرة هى التى ترضى هذه النزعة السريعة الملحة على أن يكون لنا أدب قومى يعبر عنا ..

ومن ملاحظاتى أن العطف على هذا الرجل الكادح من خلال القصة القصيرة ، لم يمنع من أن الكتاب سبوه أشد السباب وهزأوا به ، وهذا دليل على المثل الفرنسى القائل "من أحب عرف كيف يعاقب !" .

وهذا الالتحام بين الشعور القومى وبين أى عمل اخر شرط للنجاح ونضرب مثلا بالأزهر كنظام تعليم .. لقد وجدنا عندنا نظامين تعليميين مختلفين ..

ولا جدال أن الأزهر كان مشروعا قوميا فى ذلك الوقت ، والشعب احتضن هذه المؤسسة واعتنى بها ، وكانت كل عائلة ترسل واحدا من أبنائها الى الأزهر ، وحين يعود بعد أن يستكمل تعليمه ، يصبح ذا مقام رفيع فى القرية .

وحينما نشأ النظام التعليمى الحديث ، فقدنا عنصر هذا الطابع القومى لأن المجتمع حقيقة يحتضن هذا النظام التعليمى ، وأسوأ مظاهره الأخيرة احتضان الشهادة ، أى أن نظام التعليم

الحديث لدينا فقد الشعور بالانتماء للمؤسسة التعليمية .

وكان من أهم شخصيات المدرسة الحديثة أحمد خيرى سعيد ، وكان شابا يدرس الطب ، ووصل حتى السنة الرابعة ، ثم ترك الدراسة واشتغل فى بعض المجلات ، وهو الذى أنشأ هذه المدرسة ، وعمل لنا صحيفة الفجر ، واشترى مطبعة يدوية تقوم بطبع هذه الجريدة واصدارها وبدأوا فى نشر بعض القصص ، وبدأت أنشر فيها قصصى ..

وهنا لا أتفق مع من قال إن أول قصة نشرت لى هى "فله ومشمش ولولو" ولا أظن أن هذا صحيح ، ولو رجعنا إلى الفجر فستجد قصصا أخرى نشرت قبل هذه القصة ويمكن القول بأن جماعة المدرسة الحديثة أرادت أن تقلد الأدب القصصى القصير فى أوربا ، وأنا هنا أحب استعمال تعبير محاذاة ومحاذاة بمعنى أنا سوف أمشى فى طريقى وأنت ماشى فى طريقك فنحن نمشى جنبا الى جنب ، وهنا فأنا لا أتلوك ، ولكننى أسايرك وهناك فرق كبير جدا بين الاثنين .. فهؤلاء الأدباء لم تكن لديهم فكرة التقليد ، وانما المحاذاة .

● بداية القصة والرواية فى الأزهر ●

■ محمد روميش : ألم يكن هناك اختيار اخر ياأستاذ يحيى لتطوير الحدوتة ؟

● يحيى حقى : لا .. لماذا ؟ .. لأننا بدأنا نتعلم اللغة الانجليزية من الصف الأول الابتدائى ، وكان مدرسونا من المصريين ، ولازالت أول جملة حفظناها Acat Sat on Amat أى (قطة جلست على الحصيرة) ومشينا نظن أننا نتحدث الانجليزية إلى أن دخلنا المدرسة الثانوية فوجدنا أنفسنا أمام مدرس انجليزى ، وأول درس ألقاه علينا المدرس لم نفهم منه كلمة واحدة ، لا نطقا ولا فهما ! ، لأن المصريين يتحدثون الانجليزية باللغة العربية ..

ولغاية الآن من التجارب الغريبة جدا ، حينما تحضر محاضرات يلقيها مصريون بلغة أجنبية ، وقارن بينها وبين ابن اللغة الأجنبية تستطيع أن تفهم من كلام المصريين !

الأدباء فى ذلك الوقت قرأوا الأدب الانجليزى وقرأوا الأدب الفرنسى أيضا ، ومن حسن الحظ أنه كان عصر ازدهار النشر . كنا نشترى طبعات الكتب القيمة ومن بينها طبعة نلسون بخمسة قروش ، ولاشك أن الأدباء قرأوا الأدب الانجليزى وعرفوا كيف تكتب القصة ، وفى حقيقة الأمر يمكن الا يكونوا قد درسوا قواعد القصة أو شروطها ،. أو عدم تدخل المؤلف ، لكنهم أخذوا أريجها وعطرها الفنى وكتيوه ، فهم لم يقلدوا ولكنهم سايروا فى الحقيقة .

ومن ملاحظاتى أننى احببت أن تتبع الدراسات الأدبية هذه الظاهرة ، لبيان كيف تأثر هؤلاء الأدباء فعلا بالآداب الانجليزية المكتوبة باللغة الانجليزية .

إننى أتساءل متى بدأ فى دار العلوم والأزهر كتابة القصة والرواية .. سوف نجد أنهم تأخروا ! .. .

ونحن نلاحظ بأنهم تأخروا لأنهم لم يقرأوا بالأدب الانجليزى ، واحبوا أن

يستقوا مما نشر باللغة العربية ، وهذه تحتاج إلى مرحلة مرور وأعتقد أنه من الضرورى أن يقوم أحد الشبان الباحثين بعمل دراسة حول متى بدأت كتابة الرواية والقصة القصيرة فى الأزهر ودار العلوم ، ولماذا تأخرت ، ولماذا سبق "الأفندية" اذا كان هذا مشروع قومى ، ويدخل فى هذا البحث أيضا أسلوب "الأفندية" وأسلوب دار العلوم .

يعنى حينما نقارن أديبا مثل محمد عبدالحليم عبدالله ونجيب محفوظ ، نجد عبدالحليم عبدالله مغرما بالتشبيه فى أغلب رواياته ونصوصه وبشكل واضح جدا ، وهو لم يقتصر على الفكرة العربية فى التشبيه والتى وصلت فى سخافتها الى حد قولهم :

قوم جلسنا والماء من حولنا

كأننا قوم جلوس حولهم ماء

أو وجهها كالبدر ، وشفتاها كالكريز ، وهذا أبسط أنواع التشبيه ، ولكنه أمكنه أن يطور التشبيه بفضل احساسه الفنى أن يشبه شيئا ماديا بشىء معنوى كقوله كان مسكينا كعلبة سردين ملقاة فى القمامة !

والتشبيه فى نظرى هو الصفة ، أى نريد أن نحدد شيئا ، وحينما نصفه نحدده ، والتشبيه كأنك ترسم دائرتين متساويتين اذا انطبقت واحدة على الاخرى ، فلا يكون هناك تشبيه فى هذه الحالة وكأننا نقول (كأننا قوم جلوس حولنا ماء) ، أما اذا التحمت الدائرتان قليلا ، فسوف تتحدد مسافة تجمع بين الاثنين ، وتستقل بالذات ، وبالتالى فان مطلب التشبيه هو العثور على وجه الشبه بين شيئين غير مطابقين تماما ..

وفى مدارس النقد الحديث يكرهون التشبيه جدا لأنه من المحسنات اللفظية .. وحينما قرأت وترجمت رواية "طونيو كروجر" اندهشت جدا لأن البطل فى كل موضع يذهب اليه يقول - على سبيل المثال - ترابيزة خشبية منقرة لها ثلاثة أرجل ، واحدة منها انكسرت فكل اسم متبوع بأربع صفات وهذا شىء غريب جدا ، ولقد انتقدته ، ثم أدركت أن البطل فى هذه الرواية شاب ، كان قد غاب عن بلده ، ورجع بعد هذا الغياب ، فكأنه مستغرب كل شىء ويود أن يعرف الحقيقة ، فاضطر الى استعمال أدوات تعبيرية من التشبيه والوصف ..

وأنا هنا أحذر الكتّاب الناشئين من أن ينجذبوا فى المبالغة فى التشبيه ، واستخدامه فى الأسلوب ، علما بأن التعبير المباشر يكون أفضل .

وأنا شخصيا استخدمت الكثير من التشبيه وأحبه وأكتبه .

■ محمد روميس : سيادتك قلت ان المدرسة الحديثة كانت مشروعا قوميا ، وقلت إنه كان أمامها خيار أن تأخذ الحدوتة وتطورها ، علما بانها قد أخذت القصة الحديثة الوافدة أساسا من أوربا .. يخيل إلى أن هذا كان موقفا من الحضارة الغربية ، بالرغم من اننا كنا قد انتهينا من ثورة ١٩١٩ ، التى كانت أساسا ضد انجلترا ، وبالتالى - جزئيا - ضد الحضارة الغربية .. لكنكم اخذتم القصة القصيرة من الحضارة الغربية .

●● يحيى حقى : طبعا .. لقد كان لهؤلاء

الكتاب احترام كبير .. كان اسم "تولستوى" وغيره فقد ساعدنا ، وكنا شديدى الانبهار بأدبهم ونتمنى أن نصل الى هذه الدرجة من التعبير الفنى .
الان جاءت إلى فكرة ... جماعة المدرسة الحديثة تأثرت بالأدب الروسى ، وأنا واحد منهم ..

مثلا .. دور "المومس" فى الأدب المصرى الحديث نابع من "سونيا" فى رواية "كرايمرنشون" التى قرأناها واندهشنا جدا ، كيف تصبح بطلة الرواية "مومس" .

ومنذ هذا الوقت بدأ ادخال "المومس" فى الرواية المصرية الحديثة خاصة بعد اطلاعنا على الآداب الروسية ..

وهنا أحب أن يتم عمل دراسة عن دور "المومس" فى روايات نجيب محفوظ .. وكيف استخدمها ..

المصيبة أن يقال بأن "المومس" فى أعمال نجيب محفوظ هى مصر ، مثل رواية "ميرامار" .. إننى حزين جدا ومندهش لهذا القول !!

■ **فؤاد دواره : المدرسة الحديثة وغيرها بعد ثورة ١٩١٩ ، لم يأخذا شكل القصة القصيرة فقط ، بل أخذا شكل الحضارة الغربية فى كل شىء فعلى سبيل المثال أنشأ طلعت حرب بنك مصر على النظام الأوربى ولم يكن هناك رفض لهذه الحضارة المتقدمة ، فقط نحن نرفض الاستعمار والاحتلال ، لكن لا نرفض الأشكال الأدبية والفنية ، على سبيل المثال فإن المثال مختار الذى بعث الحضارة والنحت المصرى القديم درسه فى فرنسا وتاثر بالفنان "رودان" .**

إذن التاثر بالحضارة الغربية ليس سبة ، فالمهم أن نكتب قصة جيدة مصرية فى ذلك الوقت ، ولذلك كنا نجد إلى فترة قريبة "قصة مصرية" ، صحيح انها تاخذ الشكل الأوربى ، ولكن ذلك تأكيد على معنى المصرية والمضمون المصرى .

■ **محمد روميش : رغم قولك بأن المدرسة الحديثة مشروع قومي وهذه صفة هامة جدا ، إلا أنها لم تجد تعارضا بين ان تقوم بمشروع قومي ، وبين ان تأخذ من الحضارة الغربية ، وهذا رد على التيار المعاصر والذى يرفض الأخذ من الحضارة الغربية .**

●● يحيى حقى : بدا الحذر من أن نقلد الغرب .. فى الوقت نفسه بدا فى ضميرنا شىء من الشعور بأن نستقل بذاتنا ، علما بأننا لا نقلد إنما نحاذى .. فأنا أسير فى طريقى ، لكن لا أدخل فى سكتك لازم أنبع من الطريق الذى أسير فيه .

■ **د . مصطفى ماهر : لكن تولد لدى احساس بانكم وانتم سائرون فى هذا المشروع القومى ، انكم تصدرون عن فلسفة ثقافية ، هذه فلسفة تؤمن بوحدة الثقافة العالمية ، ولم**



الأديب يحيى حقى بين أصدقائه الذين حرصوا أن يكونوا من محاوريه فى ندوة الهلال

تكونوا تتحدثون عن الثقافة الغربية ، وانما كنتم تتكلمون عن ثقافات الأمم الأخرى ، من حيث ضرورة التفاعل بيننا وبينهم ، وبينهم وبيننا ، ولهذا كنتم تهتمون ـ مثلا ـ بالنموذج الروسى ، وهذا النموذج لا علاقة مباشرة به بالنموذج الغربى ، خاصة إذا أردنا أن نتحدث عن مفهوم أن نستعمر من ثقافة الغرب ، ويبدو أن استخدام مفهوم الغزو الثقافى والاستعمار الثقافى استخدام خاطىء تماما .. وماذا كانت وجهة نظركم فى ذلك الأمر ؟ ..

●● يحيى حقى : لقد كنا منبهرين بالحضارة الغربية ، وكنا متجهين إلى أوربا فنحن أقرب إلى فرنسا وانجلترا منا الى امريكا .

■ فؤاد دواره : وعرضتم الأدب الروسى عن طريق اللغة الانجليزية ، والأدب الروسى نفسه متأثر بفرنسا .

■ د . مصطفى ماهر : لكننى اقصد انهم كانوا يدركون أن هذا الموضوع اتصال بالثقافة العالمية ، وليس اتصالا بثقافة الغرب بالضرورة .

ننشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من ندوة اديبنا الكبير يحيى حقى



وأنا اشتريت لنفسى لفة فيها شطيرتان ، وانتحيت جانبا ، اكل ، أستطعم الجبن بالزبد ، شدنى وجه الفتى المكلف بصنع القهوة هنا،واقف قدام الموقد ، كلما فرغ من صنع كوب ناوله لمنتظره ، او نادى على الجالس يرقب • الوك لقمتى ، وعيناى على الجندى الذى يخدم فى المقهى ، اتطلع ارى استياءه وقهره ، وكآبة ملامحه تستر ثوران داخله •

تذكرت عمى وابن عمى اللذين قضيا خدمتهما العسكرية ، وكان وقتهما رديئا ، ياتيان بالتضرر والمواجع والشكوى ، ويرحلان رجوعا بالمدامع • هذان، وكل من جرب الجهادية، قبلهما او بعدهما • حكاياتهم حفظت وبقيت سحبا داكنة على الجبين وفى العينين • نعم • تذكرت، مريرة الذكرى، الا ان الجبن بالزبد فى شطيرتى بقى ملذا•

جاء رجل عجوز يلبس منامة مخططة ، وفوقها معطف منزلى من الصوف المربعات جلس الى جماعة كانوا فى انتظاره • حيوه قائلين: « يا سيادة اللواء ••• يا باشا ••• !! » والرجل

العجوز سره أن تجملت رتبته رغم ملابسه. قال محدثا الجماعة المحيطة به : « ان الجراحة التى أجريت لى نجحت، الحمد لله ، ساخرج بعد خمسة أيام .. آه .. ! » ثم كلم المجند الفتى المشغول بالمشروبات الساخنة للافطار . كلمه دون ان يستدير له . قال يسال: «عندك كوكاكولا ؟» وهذا اقتم لون وجهه ستترا على الغل الذى يبين فى عصاب يديه . قال ردا على العجوز اللواء : « لا ! » وانا قلقت . تابعت رسوم المشاعر على ملامح الوجهين ، لكنى بقيت امضغ قضماتى من شطيرتى حسنة المذاق .

تكلم اللواء العجوز يكاد يصيح ، وزراعاه طائران ، قال : «اخ .. طيب .. عندك شاى ؟ اذن اتنى بكوب يا ولد ! » والولد صنع الشاى ، وملأ الكوب ، ثم ازاحة على طرف الطاولة التى يقف قدامها . تفكرت ، هل يقوم اللواء يتناول شايه ؟! وقفت اللقمة فى فمى. تأملت وجه المجند المكلف بصنع القهوة ، يحسن به أن يكون فى قريته الان . حتى قام واحد من الجماعة المحيطة بالضابط ، وجاءه بشايه . ولماذا يرشف من كوبه بدأت أمضغ . ان الجبن بالزبد وحسن الصنعة غريبة على قريتنا .

أمضغ خبزى وانا انطلع الى وجه الفتى ، يرهقه كتمان تغير خاطره ، وستر الانفعالات عجبت . اذا أقبل ضابطان طبيبان على وجهيهما سهر الليل ومشقة الخدمة . جلسا فى ركن بعيد ، بذلك لم أسمع حديثهما ، لكن عيونهما ذابلة فى دوائر رمادية . ميزت نداءهما على القهوة فى صلف مرهق ، والاجابة صمت مكتوم ، وانا تنبهت .

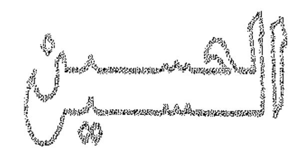
صنع القهوة بالعناية الواجبة ، وبانصراف الرغبة فى فنجالين . نظر لهما ، راقاه ،نادى على الضابطين الطبيبين: « القهوة ! » وجاءه ردهما حاسما باترا : « احملها لنا هنا .. !» وصفق احدهما الاتربيزة التى يجلس اليها بفرشة كفه .

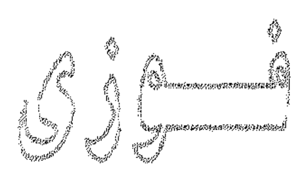
وانا فقدت كلية الرغبة فى الاكل . بقيت منى شطيرة ، أعدت لفها فى ورقتها ، واحكمت اللفة أراقب الذل الذى بلا آخر على وجه الفتى الموكول بالخدمة مر بى حاملا الفنجالين . وضعهما حيث صفق الضابط الطبيب أمامه بفرشة كفه ، ثم يمر بى متدلى الذراعين ساقط الرأس كسير النظرة ، الى حيث يقف قدام الموقد .

وانا قمت له ، وقفت قدامه حيث يقف الذين لهم رغائب فى مشروب سخن . ابتسمت له ، كدت أضحك له من فرط أساى . طلبت شايا وبقيت حتى أخذت كوبى وعدت لمكانى أرشف مشروبى . أفكر فى الشطيرة ، هل أحملها معى اذا انصرفت ؟

الضابطان الطبيبان قاما ومضيا ، الفتى المجند أسرع الى حيث كانا ، منقضا متحفزا ، صحت فى نفسى: «انهما انصرفا .. ! » لكنه اخذ الفنجالين وعاد . مر بى ، لما وازنى استوقفته ، قلت له: «هل لك فى شطيرة .. ؟ » اختطفها منى ، ولوح بها والقاها فى سلة القمامة . صعب على أمر الشطيرة . أنها لقمة مبروكة نسمة ، والواحد لا يلقى بالنعمة فى القمامة . حرام . لكن هذا فداء غضبة الفتى . اذن يسامحنا الله .







الحسين فوزى

قوبل فوز الفنان الكبير « الحسين فوزى » بجـائزة الدولة التقديرية بارتياح شديد بين الفنانين ٠٠ لا يخلو من شائبة حزن ! ٠٠ فها هو يحصل عليها فى سن الرابعة والثمانين ٠ لا يكاد يقوى على الحركة ٠٠ ورغم ذلك يداوم على زيارة المعـارض الهامة ، حريصا على نثر كلمات التشجيع ، وعندما يستانس بانسان فانه يشكو له عما تبدد من ممتلكات فنية ، بعد ان اضطر الى التخلى عن بيته الكبير. الانيق ٠٠ الذى كان يتسع لانتـاجه الغزير فى مجال الرسم ، والحفـر ، والتصوير ٠٠ بمساحاته المختلفة التى يزيد بعضها على الامتار الثلاثة ٠٠اما الان فلم يبق من تـراثه المحفوظ الا القليل الذى يمـلكه ، او تملكه بعض متاحفنا ٠ اخشى ان اقول ان الجائزة جاءت متاخرة جدا ، وبدت اقـرب الى تحية وداع !

اذكر اننى عندما كنت طالبا صغيرا ٠٠ كنت اتابع مبهورا رسومه الملونـة على اغلفة مجلة « على بابا » واعترف بان تلك الرسوم كانت احد حوافـزى الى الالتحاق بكلية الفنون الجميلة ، وكان « الحسين فوزى » استاذا بها، بعد عودته من بعثته الى فرنسا عـام ١٩٣٤ ، واسس اول قسم لفن «الحفر» وتخرج على يديه فنانون مرموقـون الان ، واحتل بعضهم مواقع مؤثـرة فى صناعة « القرار » ٠

ارتبط فن « الحفر » بانتشار وذيوع الاصل الفنى عبر قنوات الاستنسـاخ: الصحافة / المطبعة ـ التليفزيون الان٠ وكان انتشار الرسم الصحفى، والمحفور الفنى المطبوع فى الصحافة ٠٠ واسعا، ومؤثرا ليس فقط على المتلقين بل على المبدعين انفسهم ٠ وكان « الحسـين فوزى » من القليلين الذين وفقوا الى اسلوب فنى يحتفى بتسجيل الواقـع المرئى بقدر احتفائه بالتعبير الحـار الذى يحفـل بالحركة ، متخذا مـن الانسان وعـالمه اليـومى موضوعا حميما ، لا يكاد يفارقه الا فى مرحلة اخيرة عندما اتجه الى شكل من اشكال التجريد ٠

كانت رسومه فى جريدة «الاهرام» فى الستينيات ـ المصاحبة لرواية كاتبنا العـالمى « نجيب محفـوظ » : اولاد حارتنا ـ مفاجئـة لمتابع الجـريدة بمستواها الرفيع ٠٠ وهو المسـتوى الذى افتقدته الجـريدة حتى الان ٠ وكشفت تلك الرسـوم عن اعجـاب « الحسين فوزى » بفنان عصر النهضة العظيم « مايكل انجلو » ، فاحتفـل مثله بالامكانات التعبيرية للجسـد الانسانى ، وخاصة الاطراف، والوجه ٠٠ وكان ينبه على طلبته بمتـابعة تلك الرسوم وتامل تعبيرات الايـدى ، وفى رايه ان من لا يعرف لغـة الايدى لا يكون قادرا على رسمها من كـل

يفــوز أخـيـرا



الزوايا لا يكون رساما حقيقيا ، وهو بالفعل ـ رغم انى لا أحب افعل التفضيل ـ ابرع من رسم الايدى والاصـــابع وتمكن عن كشف لغتها • تامل ما شئت من رسوم معظم رسامينا فى الصحافة فلن تجـد الا هــروبا فى هروب فى هروب ! •

ان المتابع لانتاج « الحسين فوزى » عبر مراحله المختلفة ، ومجالات ابداعه المتنوعة ، وأساليبه المتعددة ، يكتشـف ملامح جوهرية ثابتة • تفصح عن منبع الفنان وانتمائه الرئيسى : اقصـد الفن المصرى القديم • أن رسومه الصحفية ومحفوراته غير الصحفية ، ورســومه الزيتية ـ على السواء ـ موســومة بالصلابة والاقتصاد •• حتى فى اعماله التى تنحاز انحيازا لا لبس فيـه الى الاسلوب « الاكاديمى » (وهو اسلوب يتسم كما نعلم بالحيادية) نرى فيهـا الصلابة والاقتصاد •• ففى لوحـــة « الدلالــة » ـ عـــلى سبيل المثال ـ (واللوحة موجودة الان بمكتب عميـــد كلية الفنون الجميلة بالقاهرة) كـــل مبررات الثرثرة « الاكاديمية » •• من ثياب مـن كل نـــوع •• الى امراتين سمينتين ، الى عناصر « اكسسوارية » تكمل المشهد ، ولو اتيحت تلك العناصر لفنان مثـــل « فيرمير » لاغرقنا فى تفصيلات لا حد لها لكنها بين يـــدى الفنان المصرى « الحســـين فوزى » عكست انتخابا فرعونيا ! •• فقـــد اقتصد كثيرا فى تفاصـــيل الثياب ، واختزل من ترهل « النموذجين » ـ فى الواقع ـ فاكسب جسديهما شيئا مــن الرشاقة والتماسك !•• وزاد مـــن تماسكها احتفاله بالخطوط المؤطـرة لهما ـ أو بمعنى ادق ـ لكل العناصر• وتتصاعد درجة الصلابة ، لدرجـــة الاقتراب الشديد من عالم النحـت ، فى محفوراته على « اللاينو » ـ وهــو نوع من المشمع ـ ففيها الاقتصـــاد واسقاط التفاصيل الوصفية التقريرية للنموذج • مكتفيا بالقيمة الملمســية التى استولدها من الخامة•وبالنسبةلى فقد تمنيت ان اشاهد محفوراته تـلك منحوتات مكبرة • ان حياة هذا الفنان الحافلة بالابداع وتدريس الفن لا يتسع لها هذا المجال المحدود ، واذا جاز لنا أن نستخلص فى تلك العجالة حكمة ما •• فيمكن القول بان تامل رحلتـــه يكشف عن حرص على ان يكون فنـه : شكلا ومضمونا •• فنا مصريا ،يخاطب الجماهير العريضة دون ان يسقط فى ابتذال المالاة ، ودون ان يفقد القدرة على التطور ، والحوار مع انجـازات الفن الحديث ، واتسم فنه ـ كما قلت ـ بالايجاز الفرعونى ـ رغم ما يتبـدى احيانا من حرص على التفاصيل ـ وهو ايجاز بليغ ، تطور الى أن صار تطبيقا لقول النفرى : « اذا اتسعت الرؤيـة ضاقت العبارة » !



مع ثلاثة أجيال من الفنانين

لاتزال المعارض تتلاحق ، رغم ان الموسم التشكيلى بالقاهرة يوشك على الانتهاء ، ولاتزال بعض المعارض تقدم المثير . الجدير بالتامل .. والاختلاف ! .. من بين ذلك الحشد الكبير اخترت ثلاثة معارض لثلاثة اجيال من الفنانين .. منهم من رسخت اقدامه ، ومنهم من يسير فى طريق النضوج ، ومنهم من لايزال يتلمس بدايات الطريق ! ..

والفنانون هم : الفنان . الشاعر الناقد .. « أحمد مرسى » ، المقيم حاليا بالولايات المتحدة ، والفنان «محمود ابو العزم» الذى يعمل استاذا بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، والطبيب الشاب الذى وقع فى هوى الفن «خالد حافظ» ... أما أهم المعارض الجماعية ، على الاطلاق ، فكان مهرجان شباب التشكيليين الذى اقيم بقاعة النيل .. ويستحق منا ان نخصص له كل مساحة العدد القادم من «جولة المعارض» .

● الفارس المجهول !

أقام الفنان «أحمد مرسى» معرضا بمجمع الفنون بالزمالك ، ضم منتخبات من مراحل مختلفة ، وهو أول معرض له فى القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات ، أمضاها فى الولايات المتحدة ولا يزال يقيم بها ، وكنت قد شاهدت آخر معرض له قبل السفر عام ١٩٦٩ ، بالاضافة إلى أعمال متفرقة ، كما شاهدت له معظم رسومه الصحفية .. وعندما التقيت بلوحات معرضه أصبت بدهشة ، والسبب أن كل شىء ظل كآخر عهدنا به . لم يتغير شىء فى موقفه الجمالى والتعبيرى (أو ما يصفه



الإنسان والحصان (لوحة للفنان احمد مرسى)

بعض النقاد بتعبير «الرؤية») ولم يتحرف عن اسلوبه الرمزى ، ومفردتاه الرئيسيتان (كانتا ولا تزالان) : الانسان ، والحصان ، بالاضافة الى مفردات طارئة كالقوقعة ، والساعة ، والكأس ، والتاج . وكما تتراوح رموزه بين الذاتية والموضوعية ، فكذلك تبدو ملامح انسانه ، وحصانه .. فهى تنتمى الى مبدع بعينه ، بقدر ما تنتمى الى أصول فى التراث القديم والمعاصر ؛ الفرعونى والاوربى وهى ملامح ثابتة . تنوب عن توقيع الفنان .. لو شاء !

إنسانه نحيل . ورقى . لا حول له . ذو بعدين . يشترك مع وجه الحصان



فى ثبات الحزن ، وسعة العيون ، وتثليث الوجه .. وإن جاء مثلث وجه الانسان أكثر صراحة وحدة . وانحيازا لهذا الشكل الهندسى الصارم ضحى برأس الانسان وجبهته .. وما تركه لنا لا يسمح لنا إلا بالحيرة ! .. ولا ندرى إن كانت تلك الوجوه أقنعة أم وجوها .. وهو عندما يستعير رموزا أو رسوما شعبية فهو يضعها فى مفارقات تؤيد سياق الحزن والأسى .. ومثل كل الرمزين يضعنا فى نوع من الحياد «البريختى » - إن صح التعبير - وعلينا أن نعيد تشكيل وحدات اللوحات بحيث نعيد لها دفقها التعبيرى . الانفعالى . ففى لوحة « الفارس » - على سبيل المثال - وهو عنوان افتراضى - تستدعى إلى الذاكرة المشابهات فى اللغة . أن اللوحة لا تتسع الا الى وجه الفارس . القناعى . مزين الصدر بالاسد الشعبى . وفى الجانب الآخر من اللوحة يظهر شبيهه ؛ الفرس ! .. الفارس بالألوان الساخنة ، والفرس ، والمساحة الفاصلة بينهما ، والأسد المرسوم .. بالألوان الباردة .. إن تجاور الاشكال ، والميل إلى التنظيم الشطرنجي للعناصر ، والانصراف - بالضرورة - عن التفاعل الدينامى بينهما ، رجحت كفة الطابع السكونى للوحات ، رغم الألوان الصريحة . الصارخة . والمساحات الضخمة . واللمسات المتدفقة . وإذا كان هذا هو الجانب الشخصى أو الذاتى فى شخوصه وكائناته الرمزية ، فإن الصلة بينها وبين الرسوم المصرية القديمة - كما أشرت من قبل - لا تخطئها العين ، بالاضافة إلى ما يبدو فى أعماله من إعجاب شخصى ببيكاسو !

● أحلام مصرية فى معرض «محمود أبو العزم»

منذ دعا «محمود مختار» - الأب الروحى للحركة التشكيلية المصرية - بالفعل والقول إلى ضرورة إبداع فن يكتسب تفرده من استلهام الارث الفرعونى ، دون إغفال للارث الأوربى . قديمه وحديثه ، مع التحذير من السقوط فى توفيقية متعسفة .. منذ دعا «مختار» إلى ذلك ولا تزال الشعلة مشتعلة ، وإن تنوعت .. فلم تكتف الاجيال اللاحقة «بالفرعونية» بل تجاوزتها إلى «القبطية » و «الاسلامية » ، تستلهمها منفردة أو مجتمعة . واختلفت درجات الاستلهام ، والتوفيق ، والجدل ، مما افضى إلى تنوع واختلاف فى المواقف الجمالية والتعبيرية ، وشكل كل هذا إطارا واسعا يمكن وصفه بأنه مدرسة مصرية . وتكشف كل معارض الفنان «محمود أبو العزم » عن انتماء الى هذه المدرسة ، كما يكشف كل معرض

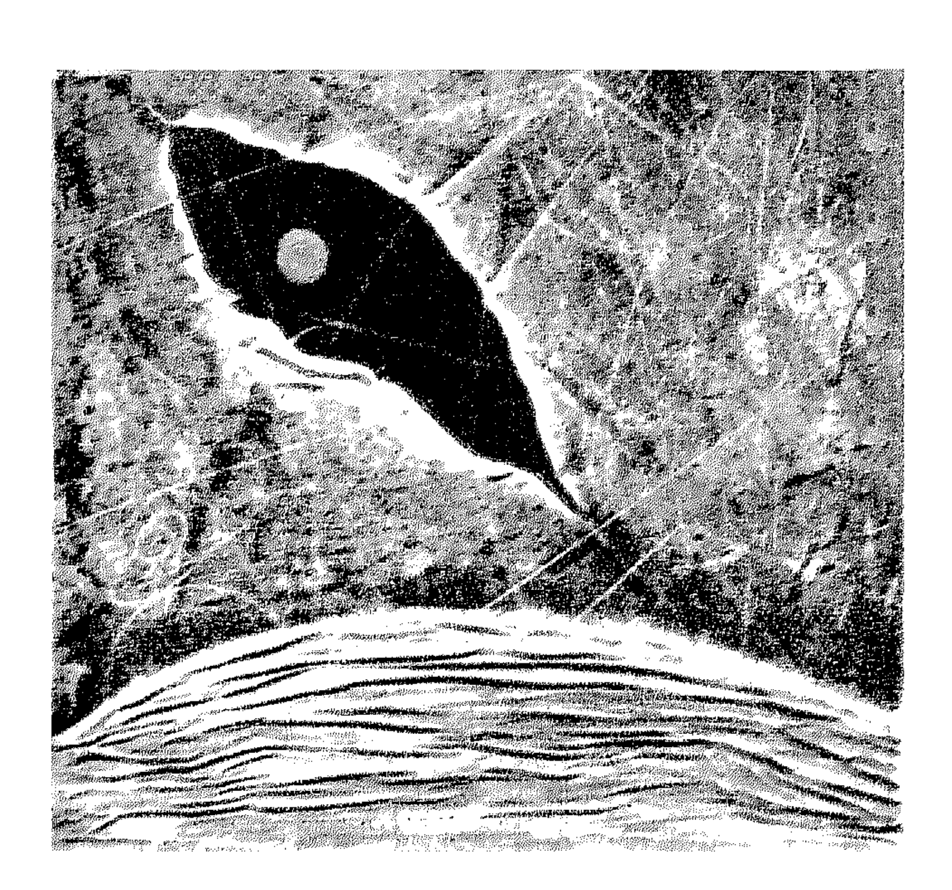


من نماذج اعمال الفنان محمود ابوالعزم

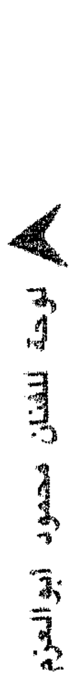
له عن درجة من درجات التجويد ، واعتقد ـ كمتابع للوحات هذا الفنان (منذ كان طالبا فى الفنون الجميلة إلى أن صار استاذا بها) أنه بلغ بمعرضه الأخير درجة من التجويد لم يبلغها فى معارضه السابقة ، سواء فى الحبكة التصميمية ، واللونية ، أو تماسك الرؤية ، إن المتابع للوحاته يكتشف تعلق الفنان بمفردات بعينها ابرزها عنصر «الانسان» وإنسانه خاص جدا ، لاتكاد تراه حتى تجد أنك لست فى حاجة إلى قراءة توقيعه . يرتدى جلبابا بسيطا . أبيض فى أغلب الأحيان . بلا فم . بلا أذن . يجلس أو يقف ساكنا .

لا تغير من هيئته لحظات المسرات أو الأحزان . وتكتشف .. عند التوغل فى عالمه الذى يلبس قناع الرمز والحلم .. إن تلك الأفواه لا ضرورة لها لمن يريد للتخاطب والتراسل أن يكون باطنيا . إن مفردة أو وحدة الانسان تكشف .. ببساطتها ، وشفافية كتلها ، ووضوح خطوطها الخارجية ، ووجوهها الاستبطانية عن انتماء صريح الى التراث الفرعونى ، بينما تشى تصميمات لوحاته عن «ميل» إلى المذهب السيريالى ، وأقول «ميل» لا "انحياز" ، فثمة كوابح أخلاقية تحول دون جموح الخيال ، واقتحام المحرمات ، وتقف بالفنان المصرى بشكل عام ، وبمحمود أبو العزم ، بشكل خاص ، عند حدود التعبير المؤدب ! .. لهذا رجحت عنده كفة الاستعارة «الرمزية» الباردة بطبيعتها ـ على الجموح «السيريالى» ، واتسقت مع ميله الى التنظيم الهندسى ، يشكل به حركة شخوص العرض المسرحى ، وكان تحريكه ذكيا .. فى معظم الأحوال !





لوحتان للفنان
خالد حافظ



لوحة للفنان محمود ابو العزم





● مولد فنان !

اقيم بالقاعة التجريبية ، الملحقة بقاعة النيل ، معرض للطبيب الشاب «خالد حافظ» . قدمه للساحة التشكيلية الفنان الكبير «أحمد نوار» . وباللقاء معه اعترف لى بأن الطب لم يكن هدفه الأول بل الفن ، غير أن لوائح مكتب التنسيق حالت دون ذلك ، فكان عليه أن يلتحق بكلية الطب .. وينضم إلى فيالق «فنانى الأحد» ، وهم الغالبية العظمى من الفنانين المصريين ، فالتفرغ الكلى للفن فى مصر غير معترف به حتى الآن ، والمتاح هو بعض المسكنات السنوية التى تمنحها وزارة الثقافة لعدد محدود من الفنانين المتميزين .

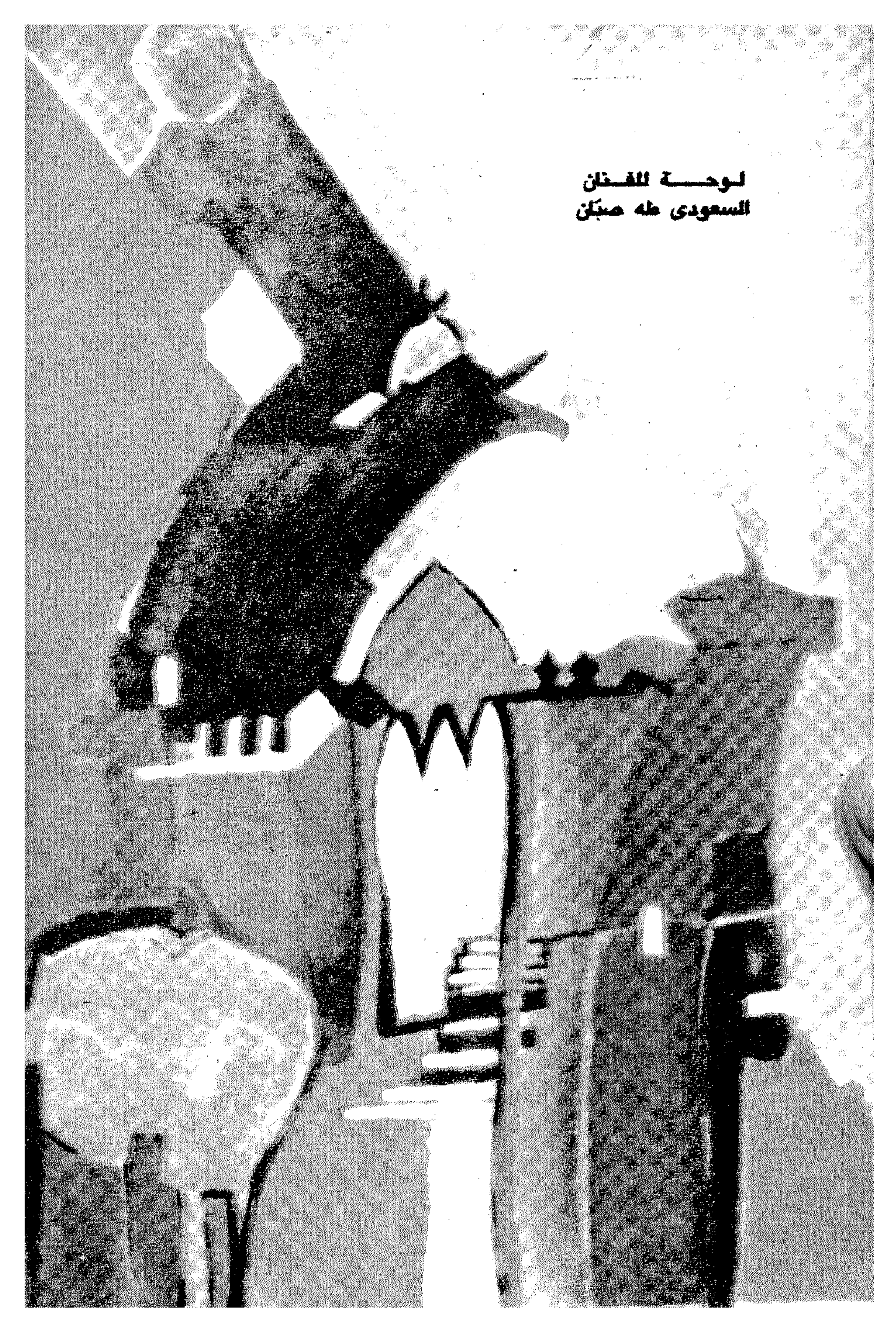
توضع محاولات «خالد حافظ» فى إطار «العرض الفنى الشامل» ، الذى يجمع بين وسائط مختلفة ، يربطها «موضوع» واحد ، ولابد أن تنتظمها ، بالضرورة ، وحدة تربط هذا الشتات .. وهو شكل فنى لا يعترف بالفواصل القائمة بين المجالات التقليدية للابداع التشكيلى . وأحب الآن أن اشرك القارىء فى لحظات لقائى الأولى بهذا العرض ، وهى لحظات أنشد فيها المتعة الخالصة ، تاركا ـ قدر الطاقة ـ كل عوائق المصطلحات ، وكل ما يعكر صفو اللقاء الأول . كان انطباع الوهلة الأولى .. اننى أمام محاولات يريد لها صاحبها أن تشارك تمردات الاتجاه الرامى إلى تجاوز حدود سكونية ، وثبات اللوحة المؤطرة .. ولم يكتف بالخروج على إطار اللوحة ، بل نشر فوق أرضية القاعة حبالا ثعبانية التكوين ، تشتبك مع أقدام الزائرين ، وكأنه يريد الامساك بزائره من رأسه حتى قدميه ! .. أما الفكرة الخاطفة الثانية التى برقت فى ذهنى .. هى أنه يريد أن يقول كل شىء دفعة واحدة . يجمع بين شتات لا يجتمع إلا بدرجة كبيرة من البراعة .. وهو مالم يكشف عنه التنفيذ . «حاول» أن يقيم جسورا بين الثابت المستديم فى إطار اللوحة ، والعارض الوقتى فى شكل «الحبال» الملقاة هنا وهناك .. وهى ـ فى تقديرى ـ زيادات لا ضرورة لها ، وعبء على اللوحة ، ولعله أدرك ذلك .. فأعفى بعض لوحاته من هذا العبء .. لهذا سأكتفى بالحديث عن لوحاته التى احتفلت بالقيمة الملمسية ، وتكشف عن تأثر واضح بالفنان السكندرى «عبدالسلام عيد» ، كما ذكرتنى طريقة إمطار اللوحات برذاذ الوان«الأكليريك» ، وفوضى الخطوط العشوائية بالفنان الأمريكى «جاكسون بولوك» ، وقد لاحظ الفنان «نوار» فى خطوطه الهندسية . المعترضة . بعض المشابهة مع العلامات التى تحدد مواضع العمليات الجراحية ، ويتحدث

«خالد حافظ» عن تلك العشوائية فى مقدمته (بضمير الغائب) .

(مازالت تبهره الحوائط التى تعج بالالوان المتناثرة . المتنافرة . الوقحة) ولاحظ الفنان «رمزى مصطفى» علاقة بين كونه طبيبا للأمراض الجلدية وبين مظاهر تلك الأمراض على السطح الملون ! .. ومن الطبيعى أن يتأثر كل فنان بمن سبقه ، فلم يولد أحد من فراغ ، إنما عليه أن يقدم إضافته أو يرضى بظلال التقليد ، فليس المهم أن أشارك بعض الآخرين تمردهم على اللوحة المؤطرة ، ولكن المهم أن أجد مبررا تعبيريا وجماليا يحتم هذا مع طبيعة تجربتى أو أسلوبى الشخصى ، وهو مالم أجده فى معرض فناننا الشاب ، كان خروجه على إطار اللوحة مجرد زيادة طفيلية - كما أشرت من قبل - على أننى عندما جلست أتأمل اللوحات وجدت أنه كان لديه الفرصة للامساك بحوارية شعرية . رمزية أهدرها بقلق الرغبة فى الامساك بكل المتناقضات : فالوسيط الذى استخدمه كان نوعا واحدا من القماش - أو بلغة الشكل - نوعا واحدا من الملامس ، غير أنه تعامل مع تلك الخامة على المسطح التصويرى تعاملا متقابلا ومقبولا ، بأن ألصق قطعة من القماش على اللوحات لاخفاء جزء من المسطح الملون ، ومزق قطعة أخرى ، وكان من الممكن أن يكون بين « الأخفاء » « والاظهار » حوار لم يحدث للأسف ، فلم يغط القماش شيئا ذا بال ، ولم يكشف عند تمزيقه جديدا ، ينعش الفضول .. وهو ما أتمنى أن ألتقى به فى معرض مقبل له .

• تظاهرة للفن السعودى فى الأوبرا المصرية !

أقامت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون معرضا لفن اللوحة المؤطرة .. بقاعة الاوبرا .. قوبل بحفاوة اعلامية ، واهتمام من الفنانين والنقاد المصريين . ضم المعرض اربعين فنانا وفنانة ، ينتمون الى اجيال مختلفة . بعضهم معروف لدى الفنانين المصريين امثال : محمد السليم وعبدالحليم رضوى وعبدالرحمن السليمان وسعد العبيد ، ومنهم من يعرض لاول مرة خارج الحدود امثال الفنان الشاب "خالد الامير" . ان الحركة التشكيلية السعودية حديثة العهد ، وربما لهذا السبب اكتفى صناعها بالاخذ ببعض المذاهب الاوربية المعاصرة والتى تتسق مع بنيتهم الثقافية ، وهذا يفسر سيادة الاسلوب التجريدى فى



لوحـــة للفـنان
السعودي طه صبان

من أعمال الفنان عبدالرحمن السليمان



المعرض ، وهى تجريدية اتاح لها استلهام الحروف العربية ، والزخارف الشعبية "بعض" الخصوصية ، كما ظهر ايضا وجه اخر للتجريد وهو التجريد المطلق ، ومن ابرز ممثليه فى المعرض الفنان "محمد الرصيص" والفنان "محمد سيام" ، وان مال "الرصيص" الى صرامة الخطوط الهندسية ، والتقابل الحاد بين الالوان الباردة والساخنة ، بينما تميز "سيام" بـالتداعيـات اللونيـة . التلقائيـة . المبهجة لهذا توارى وجه الانسان ، ولم يظهر الا نادرا ، غير ان تلك الندرة تكشف ـ وربمـا كان استنتـاجى صحيحا ـ عن تغير فى نظرة المجتمع السعودى الى الفن ، وتراجع فى بعض المحاذير التى كانت تحول دون ظهور وجه الانسان .. فما بالك والوجوه التى شاهدناها فى المعرض لفتيات تتجلى فى عيونهن وشفاههن رغبات انثوية صريحة ! .. غير ان تلك الوجوه المرسومة لم ترتفع الى مستوى معظم لوحات المعرض ، واكتفت بالطابع الصحفى المتعجل .

وننتقل الان الى عدد من التعليقات النقـدية السـريعة لاعمـال بعض الفنانين .

● خالد الامير : قدم لـوحتين رمزيتين ذات طابع سوداوى . يكشف اداؤه عن درجة ملحوظة من الاتقان الاكاديمي .. سواء فى الرسم او التجسيم . وهو يميل الى البناء والتركيب الذى بلغ درجة ملحوظة من التعقيد فى لوحة له بعنوان : "بقايا لوحة" .

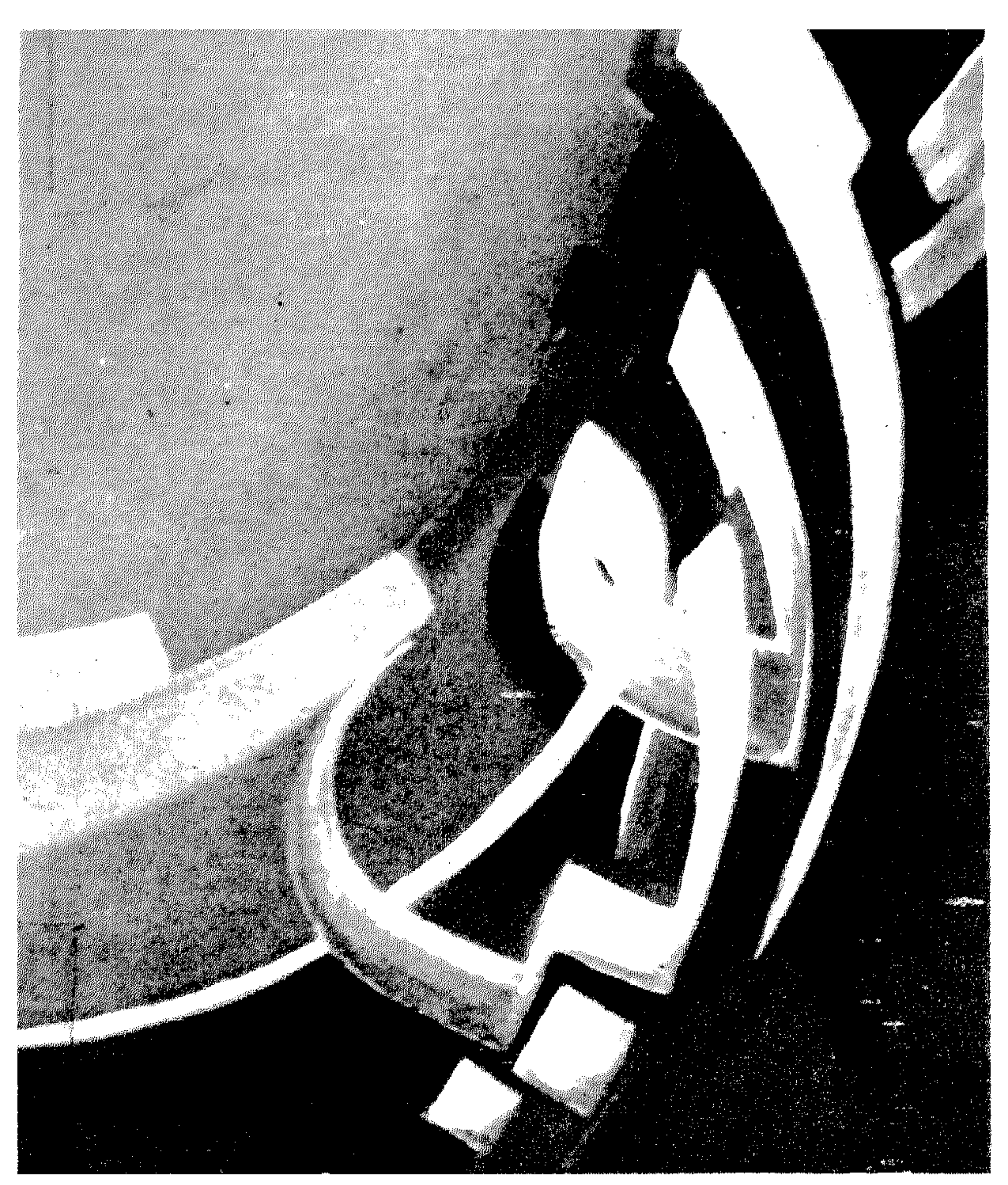
● محمد السليم : تتميز لوحاته بالتقشف اللونى القريب من لون الصحراء ، وبالشفافية ، والتموجات الكثبانية ذات الإيحاءات الحروفية والمذاق التصوفى .

● عبدالحليم الرضوى : جمع بين الشخوص والزخارف الشعبية .. فى اداء يتسم بفطرية خشنة ، مع توقيع باللغة الانجليزية يحمل تاريخ ١٩٨٣ !

● عبدالرحمن السليمان : وجوه قناعية ، لا تكشف عن اسرارها الدفينة ، محاطة من الجانبين بوحدات هندسية متناظرة ، مشتقة من شكل "النقطة" ، مع اقتصاد فى اللون وانصراف عن التجسيم ، وحساسية فى اللمسات .

● محمد رضا وارس : اتسمت لوحته بجـرأة التكوين ، وبـراعة اللمسة ، والاقتصاد الشـديد فى اللون ، فاكتفى بالاخضر ودرجاته .. صعودا الى الضوء الابيض الذى تألق فى الحروف

● فاطمة بايزيد : قدمت لوحة جميلة عن الزهور . نسيج لوحتها



لوحة للفنان رضا وارس

يكشف عن تمكن جعل سطح لوحتها التصويرى سطحا ثريا باللون والملمس ، وتشترك مع معظم العارضين فى الاقتصاد فى اللون ، وان كان اقتصادها مبررا .. لاعطاء اكبر قدر من التألق على الارضية الحمراء والافرع الزرقاء .

● سليمان الحلوة : لوحة حروفية ، يقام فيها حوار بصرى متعادل بين الالوان الباردة والساخنة ، يكشف عن تأثر واضح بالفنان العراقى "رافع الناصرى" .

● يحيى الشريفى : تمثل لوحته تداعيات لحرف السين مع فواصل هندسية ، زخرفية ، وتذكرنا هذه اللوحة بالفنان المصرى "كمال السراج" الذى كرس جزءا كبيرا من حياته الفنية مع هذا الحرف !



قصة قصيرة

بقلم : نجيبة العسال

كلمات قاسية سمعتها كثيرا ، وكثيراً ما دارت داخل نفسى واعماقى تؤرقنى وتعذبنى ويخيل الى انها تضعنى داخل وعاء كبير مظلم خارجه عليه غطاء كثيف كطبقات من النار وداخله مملوء بماء يغلى وتحت الوعاء نار تتصاعد فى بطء وتكاسل تهدد قليلا ثم تعلو فجأة لاحس بها تتصاعد حتى يكاد بخارها يخرج من فمى وعينى واذنى .

فجأة ينظر زوجى الى وفى عينيه رثاء وفى صوته نبرة كلها عطف ساخر ويقول وهو يهز راسه فى اسف .

— لا فائدة دائما ضعيفة الارادة لاتحزمين رايك وحتى لو حصل فلا تثبتين عليه طويلا .

وانظر اليه وقد صمت فى كل شىء حتى انفاسى اشعر كانها لن تتردد فى صدرى بعد هذا ولكن اتنهد فى بطء واشيح عنه دون كلمة واحدة واتسلل بعيدا عنه . وانا اقول لنفسى واذا انا حزمت امرى فى امور كثيرة ترى ماذا تكون النتيجة ؟

اما امى فهى دائما تنظر الى فى حب شديد وحنان اشد ولكنها تقول فى قسوة مستترة .

— لماذا يا حبيبتى لماذا لا تثورين فى وجه زوجك عندما لا تعجبك كلماته لماذا لا تقولين له كل ما عندك — كونى قوية الشخصية ارجوك

وانظر الى امى طويلا دون ان اتكلم بصوت مسموع ولكن اقول لنفسى ماذا تظن امى فى طريقة معالجتى لامورى وهل لابد من الثورة حتى اقول لزوجى كل ما عندى .

وزميلاتى فى المدرسة كثيرا ما تخرج كلماتهن وكانها تمطرنى سخرية وان كانت ممزوجة بالحرص على مكانتى لدى زوجى وتوفيقى فى كل نواحى حياتى حتى وان كانت تطعننى فى صميم كيانى النفسى . فكثيرا ما تقول احداهن عندما ترانى صامتة ساكتة .

— انت اليوم غير متلائمة تماما لا معنا



ولا مع نفسه • صدقيني يا حبيبتي • القــوة مطلوبة • لا داعي لكل هذه المسكنة وهذا الاحتمال •

لم تضحك ساخرة وهي تتركني مسرعة • وإن كانت كلماتهـا الأخيرة تطن في أذني تأسدوا تتسيدوا •• ماذا تعني هذه الرتيبه لليالي المسبقة • هل لأنها رأتني أتنهد طويلا وأنا أحط على مقعدي في فناء المدرسة لحظة استراحة الصباح ؟ هل لأنها لاحظت ذبول وجهي واعيائي الواضح لم لأنني قد أعدت على مسامعها بعض متاعبي اليومية • في مناسبات سابقة • وأتمطى على مقعدي وأسرح طويلا في مأساتي ثم أضع يدى على ركبتي وأجلس مكورة قليلا أنظر الى أرض الفناء وأتوه عما حولي حتى أصوات الصغار الصاخبة في فناء المدرسة تأتي الى وكأنها أصوات مجوفة تطن في فضاء أنني لست ضعيفة الارادة كما يتهمني زوجي دائما أكون مسالمة معه حتى ولكنني فقط أحاول أن

إنها حياتي

قصة قصيرة

لا تصل بعض المواقف الى طريق مسدود اننى اضغط على نفسى لانى اشعر فى اعماقى انى استطيع التحمل واننى بشىء من نكران الذات ممكن اسير بالامور الى الاحسن والافضل ولهذا لا اترك نفسى تثور فى وجه زوجى كما تود امى التى هنا لا تنقصنى قوة الشخصية ولكنى افضل التحمل من اجل اولادى اخشى ان تصل بنا الثوره الى مالا تحمد عقباه اما زميلتى التى تؤاخذنى على استكانتى واحتمالى فهذا لانى اتكلم عن حيرتى ومتاعبى بين زميلاتى بسبب ما اعانيه فى يومى بين واجباتى المنزلية والعملية واكثرهن يتكلمن من هذا ولكن لم اتعود مهاجمة احداهن اننى اعيش فى كل لحظة داخل حيرتى ولا ادرى ماذا افعل ففى مساء كل يوم اتخذ قرارا ولكنى فى صباح اليوم التالى انسف هذا القرار وكانه لم يكن · انسى تماما ما اتخذته بالامس من قرارات واصحو من نومى كعادتى فى السادسة صباحا اصرخ على اولادى لايقاظهم من النوم · اجرى على المطبخ لاجهز الشاى والساندوتشات لى وللاولاد · اهرول الى حجرتهم انهم لا زالوا يغطون فى نومهم ارفعهم بين يدى اجرى بهم الى الحمام البسهم ثياب المدرسة انهم معى فى مدرسة اللغات التى اعمل بها والقريبة من بيتى وكان التحاقهم بالمدرسة هو سبب عملى المباشر بها بعد رجوعنا من الخارج واستقرارنا فى بلدنا · المهم اجلس سريعا واولادى الى مائدة الافطار ارتدى ثياب الخروج · كيفما اتفق احاول ايقاظ زوجى من نومه كل مطالبه جاهزة على المائدة القريبة من فراشه اجرى باطفالى على المدرسة ان ابنتى الكبرى فى الثامنة والاصغر فى السابعة اطفالى يدخلون الى فصولهم اتوه انا فى اطفال الاخرين · انسى نفسى تماما بين تلاميذ فصلى اولى حضانة احبهم كلهم بلا استثناء وهم يحبوننى بكل براءة الاطفال وتلقائيتهم وصدقهم هبه لا تترك يدى وائل يناديني بين لحظة واخرى · اولياء امورهم سعداء جدا بمجهودى معهم نطقهم للغة الانجليزية بصورة سليمة · يسعدنى خاصة وقد نطقوا بداية الكلمات على يدى ماذا افعل كيف اترك كل هؤلاء الصغار الذين يتعلقون بى · ابنى وابنتى يهرعون الى فى استراحة الصباح حسب السعاة والدادات · ابنى وابنتى فى غاية الجوع انا ايضا وزوجى ازف ميعاد حضوره اجرى على المطبخ حافية القدمين بالشراب فقط · ثياب الخروج مازالت على جسدى اضع الطعام على النار واولادى يصرخون الطعام ياامى التليفون يدق سيعود زوجى بعد ساعة واحدة ومعه ضيف على الغداء اخوه جاء من الاسكندرية منذ قليل زحمة فى راسى · ماذا اقدم للضيف القادم · وهكذا انه يوم من ايامى لم ينته بعد الغداء اذهب باطفالى الى الحمام ويحين موعد الشاى واوقظ اطفالى استعدادا للشاى وللمذاكره · واكون انا قد قمت بعملية تنظيف سريع للبيت بعد خروج زوجى واخيه ووضعت الغسيل داخل الغسالة وجمعت غسيل الامس من الشرفة وابدا فى الكواء وانا اذاكر لاطفالى ·· وياتى المساء ·· لا ·· لا لن استطيع الاستمرار هكذا

لابد من تقديم استقالتي ان هذا هو الهلاك بعينه واقول هذا لامي كل ليلة تقريبا عبر اسلاك التليفون ويعود زوجي في اخر الليل فاعيد على مسامعه قراري بتقديم استقالتي ٠ويقول كلماته المعهوده احزمي امرك ولا تكونين ضعيفة الارادة واشكو لامي اتهامات زوجي وتقول هي الاخرى لماذا لاتثورين في وجهه ولماذا لاتطلبين منه ان يساعدك ولو بالمذاكره للاولاد ٠ولماذا لا تطلبين منه ان يوافق على حضور شغاله ولو مرتين في الاسبوع ٠ او ترسلي المكوه الى الكواء انت التى تجلبين على نفسك كل هذا واقسم ان استقيل لابد من التفرغ ـ للبيت قبل كل شيء انني لن استطيع الاستمرار هكذا ولكن في الصباح اذهب الى المدرسة وتمتد يد هبه تمسك بيدى وينادينى وائل وتجتمع حولى الزميلات المخلصات وابتسامه صافية من عم عبده بواب المدرسة النوبي ودعوة صادقة ٠ من داده خديجة وقبله ودود من ابله سنية ٠ رباه ماذا افعل ومع ضحة الصباح تعود الشكوى للزميلات وتعود السخرية من استكانتي واحتمالي ٠٠ واشعر بالوعاء المملوء بالماء الذي يفور وانا داخله ٠ وينتهي اليوم الدراسي ويستمر يومي في الحياة اه يا ربي ٠ انها الحياة كيف ابتعد عنها ٠ كيف اخرج من كل هذا ٠ ساخرج ساقدم استقالتي في نهاية السنة الدراسية حتى اقضي يومي في الاسترخاء ٠ والنوم وكيف يحدث هذا لام مثلى واتذكر الاجازه الصيفية في العام الماضي وهل استرحت هل قضيت يومي اغط في نومي او الهواتنا واولادي في النادي او على شاطىء البحر ٠ ابدا انها دوامه اخرى من نوع اخر وبنظام اخر مهما يكن ساستقيل حتى لا اسمع كل هذه الكلمات وحتى لا اشكو لاحد من ظروفي القاسية وتبدأ امتحانات اخر السنة وتظهر النتيجة وتكون نتيجة اولادي تفوق كامل واقف مرفوعة القامة ٠ واولادي يتسلمون شهاداتهم وشهادات التقدير واحس انني داخل فرحة تملأ نفسي بموجه كالزبد الابيض الشفاف تؤرجحني بين السحاب كطفلة لا تبغي شيئا من الحياة ٠ اكثر من هذه الفرحة الحانيه ولاتتركني الارجوحة اهدأ قليلا على الارض فسرعان ما تؤرجحني مرة اخرى بفرحه اكبر واكبر لقد ظهرت نتيجة امتحان تلاميذى الصغار ٠ وقد نال ثلاثون منهم الدرجات النهائية وتعلن ناظرة المدرسة انني قدمت للعام الدراسي اعلى نتيجة بين المدرسات وتلتف حولى امهات تلاميذى ولا ادرى ماذا يقلن او ما هي كلمات الشكر التي تتوالى على اذاني ٠ فقد كانت هناك كلمات اخرى داخلى تصعد الى اذاني لتمحو كل قراراتي السابقة ٠ بقرار واحد اخيرا يؤكد لي انني ليست ضعيفة الارادة ٠ او لا املك الشخصية القوية ولن اكون حازمة كما يقول زوجي ولكنني انسانه اعرف ما اريد فعلا كل ما في الامر ٠ انني لن اشكو الى احد بعد اليوم ٠ ولن اتكلم عن مشاكلي مع احد ٠ وانا وحدى التي تستطيع ان تقذف بعيدا بالوعاء المملوء بالماء ٠ الذي يغلي ويفور في بطء ٠ يكفي ان اذكر دائما ما وصل اليه اولادي وتلاميذى ان هذا لمنتهى قوة الارادة والحزم ٠ ساذكر هذا دائما واراجعه كما اراجع دروس تلاميذى واكرر لنفسي ان هذه هي حياتي ٠٠ حياتي انا وحدى وليس لاحد رأى فيها ٠٠ انا احياها واحيا بها وانا المسئولة عنها وحدى

الثورة الفرنسية على الشاشة

بقلم : مصطفى درويش

هذا كتاب ضخم فخم تكاد لا تخلو صفحة من صفحاته من لقطة أو اكثر مأخوذة من احد الافلام التى عرضت لبعض احداث الثورة الفرنسية على امتداد عمر السينما الذى يقترب من مائة عام .

واغرب ما اعجب له بعد الانتهاء من قراءة ذلك الكتاب القيم (طبعة ميلان .. سبتمبر ١٩٨٨) لصاحبه « روجيه ايكار » وهو من القلائل المتخصصين فى البحث والتأريخ للسينما ، المولعين بالفن السابع ، لاسيما ما كان منه صامتا سابقا على إصابة السينما بداء الثرثرة والكلام .

أغرب العجب هذا هو أن السينما الفرنسية قد جنحت فى معظم أفلامها الى التعاطف مع ضحايا الثورة والارهاب : الملك والملكة والامراء والنبلاء .

قبل ذلك الاكتشاف كنت أظن - وبعض الظن إثم - أن السينمائيين الانجلوسكسون هم وحدهم الذين يمقتون الثورة مقتا شديدا ، ومن ثم يكيدون لها فى افلامهم كيدا عظيما ، وذلك بحكم أولا : أن الانجلوسكسون ، وكما قال عنهم بحق المؤرخ الفرنسى النابه «جورج لوفقر » ، قد قاموا على عكس الفرنسيين بثورتهم ضد الاستبداد لمصلحة الارستقراطية المتحالفة مع البرجوازية .

ثانيا : أن مؤلف « الثورة الفرنسية .. تاريخ » الذى حمل فيه صاحبه الاديب الانجليزى «توماس كارلايل » على الثورة ، محقرا من شأن قادتها وبالذات « ماكسيمليان روبسبيير » ، متهما إياهم بالاسراف فى البطش والارهاب ، والتعطش للدماء : ذلك المؤلف الشهير كان له تأثير كبير على الأدب الانجليزى ، ومن بعده السينما فى كل من انجلترا والولايات المتحدة ، وآية ذلك « قصة المدينتين » الموثقة وقائعها باعتراف صاحبها « شارلز ديكنز » « من مؤلف كارلايل » ، والتى جرى ترجمتها الى السينما الامريكية والانجليزية خمس مرات اثناء مدة لا تزيد على نصف قرن من عمر الزمن .

● ثورة مفترى عليها

أما بعد قراءة كتاب المؤرخ «ايكار » ، فقد استبان ان السينما الفرنسية فى



اعدام مارى انطوانيت

عدائها للثورة وتعاطفها مع ضحاياها لا تختلف عن السينما الانجلوسكسونية الا فى القليل .

فباستثناء افلام تعد على اصابع اليد الواحدة لعل اهمها « المارسيلييز » رائعة « جان رينوار » و « نابليون » ملحمة « آبيل جانس »

طغى العداء للثورة على ما انتجته السينما الفرنسية من افلام منذ عام ١٨٩٧ وحتى يومنا هذا .

وقصة فيلمى « المارسيلييز » و «نابليون » ـ وهى من القصص الحزين ـ انما تكشف عن مدى صعوبة ، أن لم يكن استحالة ابداع افلام تعرض لتاريخ ثورة الرابع عشر من يولية بموضوعية حتى فى وطنها فرنسا .

فالفيلم الأول لم ينجح « رينوار » فى اخراجه الا بفضل .

اولا : المد الشعبى المعادى للفاشية ذلك المد العارم الذى اوصل الجبهة الشعبية الى الحكم فى منتصف الثلاثينيات (١٩٣٦) .

ثانيا : حملة التبرعات تحت رعاية اتحاد العمال العام من أجل تمويل « فيلم وحدة الأمة الفرنسية ضد اقلية من المستغلين ، فيلم حقوق الانسان والمواطن » كما كان مكتوبا فى المنشورات التى جرى توزيعها على نطاق واسع وسط الجماهير تحريضا لها على التبرع من اجل تحقيق ذلك الهدف النبيل .

ومع ذلك ، فالمارسيلييز عندما جرى

الثـــورة الفرنســـية علــى الشــاشــة

عرضه فى فبراير ١٩٢٨ ، كان نصيبه من النجاح جد قليل .

ومأساة « نابليون » اشد هولا .

فصاحبه « جانس » ، وهو احد عباقرة الفن السابع ـ لم يستطع أن يكمله لا لشىء سوى ضيق ذات اليد .

ومن هنا توقف سيرة « نابليون » فى الفيلم المكون من أربعة أجزاء طويلة عند حملته الايطالية التى لولاها لما كانت انتصارات ، ولما كانت المغامرة المصرية ، ولما كانت الامجاد .

والغريب أن « نابليون » الذى يعتبر اهم فيلم فى تاريخ السينما الفرنسية ، وكان أول عرض له بدار اوبرا باريس فى حضور الجنرال ديجول والأديب « اندريه مالرو » وصفوة المجتمع فى مدينة النور ،

بونابرت .. فيلم لم يكتمل



الغريب أنه ـ ورغم كل هذا ـ لم تتح له فرصة أن يعرض فى الصورة الكاملة التى شاءها له مبدعه « جانس » أى على ثلاث شاشات فى نفس الوقت ، ومع موسيقى تصويرية يعزفها اوركسترا حى ، الا بعد ذلك بحوالى خمسة وخمسين عاما ... وأين ؟

فى لندن (٣٠ نوفمبر ١٩٨٠) ونيويورك (٢٣ يناير ١٩٨١) ثم فى كولوزييم روما فى حضور عمدتها وحرم الرئيس فرانسوا ميتران !!

وبفضل من ؟ .. أثنان ليس بينهما فرنسى ، أحدهما « كيفين براونلو » المؤرخ والناقد الانجليزى ، والآخر « فرانسيس فورد كوبولا » المخرج والمنتج الامريكى صاحب « الأب الروحى » ، والآخرة الآن .

فاذا ما انتقلنا من هذه القصة الحزينة الى الاقلام الفرنسية المعادية للثورة ، لتبين لنا انها لا عد لها ولا حصر ، اكثرها متعاطف مع العهد القديم ، وبخاصة آخر ملوك فرنسا قبل الثورة « لويس السادس عشر » وزوجته « مارى انطوانيت » وابنهما الوحيد .

● شهد الملكة

فمنذ بدايات الفن السابع ، وبالتحديد عام ١٩٠٣ ، والسينما الفرنسية ترصع جيدها بين الحين والحين بفيلم يحكى فاجعة الملكة التى فقدت الزوج فالاولاد واخيرا الحياة بالصعود الى المقصلة لتواجه الموت مرفوعة الرأس ، محتفظة بأهم ما فى الوجود .. الكرامة والكبرياء .

وكما وقع اختيار السينما الامريكية ـ بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما على الثورة الفرنسية ـ على نجمة تروجلدوين

ماير الاولى «نورماشيرر » كى تمثل دور الملكة الشهيدة (١٩٣٨) .

اختارت السينما الفرنسية نجمتها الاولى « ميشيل مورجان » كى تتقمص شخصية تلك الملكة فى فيلم (١٩٥٥) حاول تبرئتها من اتهامات الثورة لها ، وذلك بإلقاء مسئولية تصرفاتها المتسمة بالسذاجة وطيش الشباب على البلاط الفرنسي الذى كانت تسوده ، وقت اعتلاء زوجها للعرش ، المؤامرات والبحث عن اللذات .

وبقدر اهتمام السينما الفرنسية بأمر «مارى انطوانيت » فى كل صغيرة وكبيرة سواء أكان ذلك ابان العهد القديم حيث طيبات الحياة اللذيذة أو فيما بعد الثورة عندما ابتذلها الدهر بعبث حوادثه وخطوبه الجسام .

بنفس القدر ، إن لم يكن اكثر ، كان اهمالها لشأن كل ما هو هام من وقائع وشخصيات الثورة فمثلا «الأب سييس » الذى لعب دورا بارزا فى أحداث الثورة الى أن قام «نابليون » بالتصفية النهائية لها بانقلاب ١٨ برومير ؛ هذا الاب لم يكتب له ، حتى هذه الساعة ـ أن يظهر على الشاشة ولو فى لقطة يتيمة .

والكونت ميرابو خطيب الثورة المفوه ، وان كان قد أتيح له أن يظهر على الشاشة ، الا أنه لم يمنح له من الوقت فى تلك المرة التى لم تتكرر ، إلا بما يسمح له بأن يصيح « نحن هنا بإرادة الشعب .. »

أما ليلة الرابع من اغسطس ١٧٨٩ ، تلك الليلة المجيدة التى خطت فيها الجمعية التأسيسية خطوتها العملاقة بالغاء حقوق الاشراف ، ممهدة بذلك الى اعلان حقوق الانسان والمواطن قبل أن ينتهى الشهر بأيام : فلا أحد من السينمائيين اعارها ذرة من اهتمام .

ومن أعجب العجب ما جاء فى الكتاب بخصوص موقف السينما السوفيتية من الثورة الفرنسية فلقد كان المتوقع من تلك السينما ان تمجد ثورة استلهم القادة البلاشفة منها الكثير .. ثورة وصفها « لينين » بانها « عظيمة » .

وعن قادتها من اليعاقبة قال « عظمة اليعاقبة الحقيقيين تاريخيا .. يعاقبة ١٧٩٣ ، انما تنحصر فى انهم كانوا يعاقبة مع الشعب مع الأغلبية الثورية .. مع الطبقات الثورية طليعة عصرهم »

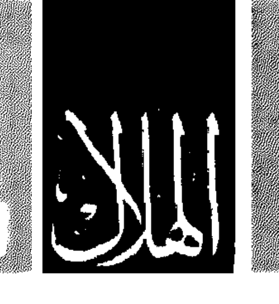
ولكن المتوقع شيء ، والواقع شيء آخر .

فحظ الثورة الفرنسية مع السينما السوفيتية كان صمتا اقرب الى صمت القبور .

وتفسيرا لهذه الظاهرة التى تبدو شاذة يقول صاحب الكتاب ان استيلاء « ستالين » على السلطة بعد موت « لينين » جاء بانقلاب شبيه بانقلاب « ترميدور » (٢٧ يولية ١٧٩٤) الذى طاح باليعاقبة ، وراح ضحيته روبسبيير وجميع رفاقه الثوريين .

ومن هنا صيرورة يعاقبة ١٧٩٣ ومشاهير قادتهم امثال روبسبيير ، مارا ، سان جوست اشخاصا غير مرغوب فيهم سينمائيا داخل الاتحاد السوفييتى ومن هنا امتناع السينمائيين السوفييت ايثارا منهم للسلامة ، عن الاشارة الى «الثورة العظيمة » ، ولو من بعيد .

وما أعجب امر ثورة نادت بالحرية ، وينتهى بها القدر مضطهدة على الشاشة فى المشرق والمغرب على حد سواء .



رأى فى الثقافة

• رفع الرقابة عن الكتاب العربى •

لاشك ان دعوة الصديق الناقد « سامى خشبة » فى الأهرام (٧/١٠) الماضى بتوسيع وتدعيم النشر العربى المشترك ، خاصة في دول مجلس التعاون العربى (مصر ، العراق ، الأردن ، اليمن) دعوة تستحق دعمها لتكون مطلبا لكل المثقفين العرب ، لكننا نضيف اليها دعوة أخرى بالمطالبة بالغاء الجمارك والرسوم على الكتب ، تلك التى تصدر فى اى من هذه البلدان خارج النشر المشترك ، الذى لم يتم حتى الآن إلا بين هيئتين هما : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ودار الشئون الثقافية في بغداد ، والكتب التى تصدر فى هذه البلدان الأربع ، سواء مايصدر من دور النشر العامة والخاصة تعد بالآلاف ، ونظن أن القراء فى هذه البلدان فى شوق لأن يروا كل الكتب التى تصدر من هذه الدور الأخرى ، كما ندعو الجهات المعنية بالكتاب ، أن تبادر (كما بادرت الهيئات العاملة فى حقول السلع الاستهلاكية) إلى رفع الرقابة عن الكتب القادمة من هذه البلدان فيما بينها ، وحتى نكون واقعيين نرجو ان يتضمن إلغاء الرقابة على الكتب بين هذه البلدان الكتب الثقافية كخطوة أولى تنتهى الى رفع الرقابة عن كل الكتب بشتى انواعها ..

طبعا نحن نتمنى أن ترفع الرقابة عن الكتب العربية بين جميع البلدان العربية ، لكنه إذا كان التعاون قد وصل على ارض الواقع إلى حد إلغاء تاشيرات الدخول للأفراد ، وتسهيل تبادل السلع الاستهلاكية بين البلدان الأربعة الى حدودها القصوى ، اليس من الأولى ، والثقافة هى العنصر الأول الفاعل فى وحدة البلاد العربية أن يكون دخول الكتاب العربي وخروجه بين هذه البلدان هو المطلب الأول ، على الاقل لنا كمثقفين يهمهم أن يطلعوا على مايجرى فى البلدان الأخرى ..

إنه امل نرجو ان تتحرك من اجله الهيئات والمؤسسات العاملة فى حقل نشر الكتاب فى هذه البلدان ليتحقق فى القريب العاجل ..

عبده جبير

الممثلة « رغدة » شاعرة أيضا !

يبدو انها ستصبح « تقليعة » لممثلاتنا الجميلات أن يقضين بعض وقت فراغهن فى الكتابة ، كتابة « القصة » ، وكتابة « الشعر » ، فهاهى اسعاد يونس تكتب القصص ، ونقرأ

عن قرب صدور مجموعة « شعرية » للممثلة الفاتنة « ليلى علوى » ، ولكن قبل أن تصدر كل من اسعاد وليلى أيا من مجموعاتهما ، سبقتهما الممثلة الجميلة « رغدة » فى اصدار مجموعتها الشعرية « مواسم العشق » ..

هل هذا حق لهن ؟

بالقطع ، إن التعبير عن النفس حق يكفله الدستور ، ولكن من حقنا أيضا نحن معشر « النقادة » أن نقف أمام هذه الأعمال ، ونرى ما إذا كان هذا شعرا أم شيئا آخر ..

فى البداية لابد أن نعترف مع رغدة نفسها بأن الشعر هو آخر مايمكن أن نبحث عنه فى كتابها هذا فهى نفسها قالت ذلك ، اسمعوها وهى تقول :

« قد لاتكون لمواسمى هذه مقاييس الشعر ومواصفاته التقليدية من قافية وعروض وأوزان تعودت عليها ، رغم إلمامى بمتطلباته هذه وبضوابطه ككل (انظر !) وذلك من قبيل (هكذا) دراستى للغة العربية فى جامعة حلب وانتهاء بجامعة القاهرة .. وهذا لايعنى ادعاء (الحمدلله) بامكانيتى فى السيطرة على التحكم (هكذا) (باحاسيسى الصاخبة والمندفعة تحت مظلة كل ضوابط الشعر ، وقد يتأتى لى هذا فى مرحلة من المراحل القادمة إن شاء الله » ..

هذا عن الشعر ، وضوابطه ، ومواصفاته ، التقليدية بطبيعة الحال - فماذا عن الموضوع ؟

تقول رغدة : « مواسمى هذه خلجات



رغدة .. شاعرة

امرأة شرقية تعيش الحب وتعايشه بكل مواسمه المشرقة منها والمتسربلة ، محورها الصدق والاستسلام لهذا الصدق بكل معاييره واشكاله حتى لو كشف هذا الاستسلام جوانب الضعف وأدرك مساعى الخضوع فيها ، فمواسمى هذه نبضات حواءَ لطالما تاق تدفق أنوثتها الى محيط آدم يحتويها قبل أن يجف تدفقها تحت وطأة شمس « الزمن » ..

هكذا تكلمت « رغدة » ..

نتخلى - إذن - عن وهم الشعر ، ونبدأ القراءة ، على أمل ان يعوضنا صدق التجربة عما تعودناه من مقاييس وأوزان ، وان كانت التجربة ، فى الشعر خاصة ، وفى الفن عامة ، هى مالا يمكن فصله عن نسيج هذا النوع الادبى أو الفنى ، أو ذاك ..

وبادىء ذى بدء .. هناك عنوانان رئيسيان فى هذه المجموعة : أولهما : « مواسم الأنوثة » ، والثانى « مواسم

العشق » ، ويمكن ، بمريد من الاعتساف ، اضافة عنوان ثالث ، هو العنوان الأخير « موسم » لكن هذه العناوين هى مجرد « تقسيمة » مفترضة ، أو مقترحة ، ولا تغير فى كثير او قليل من محصلة القراءة ..

فنحن ، ومن العنوان الأول ، أمام ثنائية « الرجل الصياد ، والمرأة الطريدة » وهى ثنائية غير مرفوضة ، إلا أن يكون هذا من منطلق أخلاقى ، بل هى ـ على العكس ـ ثنائية فاعلة فى تراث الابداع البشرى ، شريطة أن يكون الابداع « ابداعا » ، والا كانت الاخلاق أولى ! ..

إن لعبة الصيد والطراد هى واحدة من أكثر ألعاب البشرية .. قدما ، وحميمية ، وإثارة فما بالنا وطرفا اللعبة هما الرجل والمرأة ؟ .. إن اللعبة حينئذ تكون لعبة الحياة ! ..

ونتأمل تفاصيل هذه اللعبة بقلم « رغدة » فماذا نجد ؟ .. إن ثنائية : الرجل ـ المراة ، الصياد ، الطريدة ، تختزل لتصبح : الذكر ـ الانثى ، الذئب ، الفريسة ، فاذا سلمنا بأن لعبة الحياة قد تتضاءل الى حد الضرورة البيولوجية ، كان علينا أن نفتش ـ فى هذا الشق الضيق ـ عن ملامح الذئب ، واختلاجات الفريسة ، والعلامات الفارقة التى تميزهما عند « رغدة » عنهما عند غيرها ، أو حتى فى اللغة ..

هنا ، لايسعفنا سوى عدد محدود من المفردات التى تشير إلى طرفى اللعبة ، من قبيل : آدم ، حواء ، رجل ، أنثى ، اما اللعبة ذاتها ـ أو التجربة ـ فليست أسعد حظا ، فهى لاتتجاوز المستوى « الاشارى » للغة ، وترد ، مثل : حلم ، خطيئة ، تفاحة ، أسطورة ، وجع ، جنة ، جمرة ، طهر ، عهر ، و : الذئب الوديع ، الضعف الانثوى ، حريم الأرض ، ليل الأثم ، شبق الرجولة ، نهود الأحلام ، انامل الشيطان ! ..

وحتى لاتكون هناك شبهة اجتزاء مخل ، فاننا نترك رغدة تقول :

« يراود ساحة تكوينى ..
ضعف انثوى ..
معك وبك .
يكتسحنى دفئك الرجولى .
يطوينى
أنا الأنثى ياذئبى الوديع
انا بانتظارى (؟)
لقمة فى شدقيك (!)
انا بانتظارى
طفلة فى ساعديك .
انا حواء يادم .
مهما ادعيت
بركان فكر له رائحة الحضارة
وشبق الرجولة .

أو تقول :

منذ آلاف السنين
ملايينها
ولادتها
وأنا أحمل فى داخلى
كل نساء الأرض
عفوا : كل حريم الأرض

● ● ●

على قدر البغض
يتراكم جوعى اليك

بين أسنانى
تزدحم أرصفتى
بأنفاسك
وتحيل معها ليل الاثم
بخارطتى
نورا

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فما هو أصل المسالة ؟

إنها الخبرة السطحية ، والتجربة الفارغة ، ولو أننا تغاضينا عن الركاكة ، وافتعال ثقافة الخطيئة الأولى ، فإن كل هذا يجرنا إلى أن الادعاء ، الثابت الوحيد هو : ادعاء الشعر ، الذى لاتبعث فيه شيئا تلك الرسوم العادية التى اجتهد الفنان « هبة عنايت » فى أن يخاطب من خلالها أدنى غرائزنا ـ علها تشعل شيئا فى رماد الكلمات ، ولكن ..

• مسرح •

• « داير مايدور » والتاكيد على حقيقة المسرح الجاد •

ماذا يمكننا أن نقول بشان هذا العرض وأمثاله ؟

هل نردد المقولة الجاهزة (مصر ولادة) ، أم نؤكد على حقيقة ضاعت أو تضيع فى خضم انفعالاتنا الزائدة ، وأقوالنا التى نرددها دوما عن أن المسرح المصرى فى أزمة ؟

لاشك أن هؤلاء الفتية والفتيات (أعضاء فريق الورشة) أدركوا حقيقة بسيطة ، وهامه فى نفس الوقت ، هى أن المسرح عمل جماعى (هل هناك ابسط من ذلك) ، وأنه رسالة قبل أن يكون اى شىء آخر ، وبهذه الروح (روح الرسالة التى يؤدونها عبر روح جماعية) استطاعوا صياغة ، أو بالأحرى ، أعادة صياغة المقولة القديمة الجديدة التى تعيد الاشياء الى اصولها الأولى ، وبالتالى استطاعوا أن يتقدموا فى الأتجاه الصحيح ، دون تكلف أو افتعال ، دون أن « يتفلسفوا » أكثر من اللازم ، فكانت النتيجة أن قدموا عرضا مسرحيا حقيقيا ..

فهم ـ ولادراكهم لحقيقة أن المسرح عرض متكامل ـ تتضافر جميع عناصره من أجل النتيجة النهائية ، أخذوا يعملون على النص الذى اختاروه ، أيضا ، بشكل جماعى ، حتى انتهى إلى صياغة مصرية ، ورؤية لها جذورها فى الأصل ، لكنها تلتقى فى الأساس فى

عطية خير و أحمد كمال داير مايدور

صلب هذا العمل الجماعى ، لتأتى النتيجة ، ربما مختلفة كليا عن البداية ، وإن كانت تؤدى إلى نفس الهدف ..

لذلك لم يحس أحد من الذين شاهدوا هذا العرض ، إلا بهذه الحقيقة ، حقيقة هذا العمل الجماعى الذى جاء بعرض متكامل ، تنافست أطرافه ، لتؤكد على الحقيقة الأولى ، يمكننا أن نعمل معا لتأتى النتيجة شيئا مشرفا ..

فليس هذا النص الذى قدمته فرقة الورشة على مسرح المركز الثقافى الفرنسى (المكان الوحيد الذى أتيح لهم) هو نص الفريد جارى الأول ، بل هو نص جديد تعاون على صياغته كل من نجيب جويلى مع خالد جويلى والمخرج حسن الجريتلى ، تخللته الحان الشاعر أسامة الغزولى ، لتضفى عليه موسيقى جورج كازازيان ابعادا أغنتها اضاءة جان كلود بلانش ، وجوت جاسر جبر ، وأداء الممثلة الموهوبة عبلة كامل مع كل من أحمد كمال ، واحمد مختار ، وسيد رجب ، ومنى زكريا ، ومحمود اللوزى ، ورامز الياس ، وفانيا اكسر چيان ، وتميم عبده ، واستفان منير ، وبقية المتعاونين على أنجاح العرض ، لتأتى النتيجة مؤكدة على هذه الحقيقة البسيطة ، نعم يمكننا أن نقدم عرضا مسرحيا جيدا ، اذا ادركنا حقيقة أن المسرح : أداء جماعى ، ورسالة نبيلة .

اهلا بهذا العرض الجديد الجميل لفرقة الورشة التى تؤكد على أن المسرح الجاد ممكن وباقل التكاليف ..

• شعر •

• هذا الشىء لصالح من ؟ •

• نزار قبانى و « قصيدة » جديدة ! •

لاشك أنه حق أول لكل شاعر وناشر فى بلادنا العربية أن ينتقد مايرى أنه يستحق النقد فى بلاده (العربية) دون أن يكون نقده لاى بلد عربى (حتى ولو كان خارج وطنه الرسمى) شيئا معيبا يستحق عليه اللوم ، بل هو فى تقديرنا واجب تفرضه عليه الأمانة ، أمانة كونه مثقفا فى الأساس ..

وحين انتقد نزار قبانى من قبل فى كثير من أشعاره الأوضاع العربية ، والسلطات العربية ، لم يكن أحد منا ضده فى هذا النقد ، بل كنا نرى أنه حق له (حتى ولو جاء هذا فى احيان كثيرة على حساب الشعر) ، ولكن أن يعمم نزار قبانى وصف العربى ، ليجعله شاملا لكل عربى ، حاكما ومحكوما ، صحفيا وكاتبا ، يمينيا ويساريا .

ويقيم هذه المفارقة بين هذا العربى الجاهل (أبو جهل) وبين الانجليزى (الديمقراطى الحر المتنور) ويعقد هذه المقارنة (الجاهلة الجهول) التى تذكرنا برسوم بعض الرسامين على

نـزار قبانى

صفحات بعض المجلات الفرنسية والأنجليزية ويصورون العرب وهم يبدون (كلهم هكذا وبالأجماع فى غاية الفظاظة والجهل والتخلف) .. إننا عند هذا الحد نقول لا ، وألف لا ، فليس كل العرب ، حتى أولئك الذين يرتدون الدشداشة) أبو جهل ، وليس كل بدو العرب على هذه الدرجة من خسة النفس ، وإلا فإنك تبيع الشرف فى سوق نخاسة الأنجليز ، ولاتعرف ماهو الثمن ، ولصالح من ؟ هل لصالح الأنجليز ؟ وحتى لانتمادى ننشر هنا نص هذه القصيدة المسماة (ابو جهل يشترى فليت ستريت) وندعو الجميع ، قراء وكتابا لابداء رايهم فيها .. (مع العلم بان نزار نفسه نشر قصيدة أخرى فى العدد التالى من مجلة الناشر التى نشرت قصيدته هذه حملها نقدا للأنظمة العربية هو من صميم حقه كصاحب رأى ، وإن كان مستواها الشعرى يقول بانه ليس لديه جديد) وفيما يلى نص قصيدة « ابو جهل » ..

● أبو جهل ● ● يشترى (فليت ستريت)...

هل اختفت من لندن ؟
باصالتها الجميلة الحمراء .
وصارت النوق التى جئنا بها من يثرب
واسطة الركوب فى عاصمة الضباب ؟

★ ★ ★

تسرب البدو إلى قصر بكنغهام
ونامو فى سرير الملكه
والانجليز لملموا تاريخهم .. وانصرفوا
واحترفوا الوقوف ـ مثلما كُنَّا ـ
على الأطلال

★ ★ ★

هاهم بنو تغلب .. فى (سُوهُو) ..
وفى (فيكتوريا) ..
يشمرون ذيل دشداشاتهم
ويرقصون الجاز ...

★ ★ ★

عنترة
يبحث طول الليل عن رومية
بيضاء كالزبدة
أو مليسة الفخذين كالهلال
ياكلها كبيضة مسلوقة ..
من غير ملح ـ فى مدى دقيقة ـ
ويرفع السروال !!

★ ★ ★

هاهم بنو عبس ..
على مداخل المترو ..
يعبون كئوس البيرة المبرده

وينهشون قطعة ..
من نهد كل سيده !!

★ ★ ★

هل سقط الكبار من كتابنا
فى بورصة الريال ؟
هل أصبحت إنجلترا عاصمة الخلافه ؟
وأصبح البترول يمشى ملكا
فى شارع الصحافة ؟؟ .

★ ★ ★

جرائد ...
جرائد ...
جرائد ..:
تنتظر الزبون فى ناصية الشارع
كالبغايا ..
جرائد جاءت إلى لندن كى تمارس الحرية .
تحولت - على يد النفط - إلى سبايا .

★ ★ ★

جئنا لأوروبا
لكى نشرب من منابع الحضاره
جئنا .. لكى نبحث عن نافذة بحريه
من بعدما سدوا علينا عنق المحاره
جئنا .. لكى نكتب حرياتنا ..
من بعد أن ضاقت على أجسادنا العباره
لكننا ، حين امتلكنا صحفا .
تحولت نصوصنا
إلى بيان صادر عن غرفة التجاره ..

★ ★ ★

جئنا لأوروبا .. لكى نستنشق الهواء
جئنا .. لكى نعرف ما ألوانها السماء
جئنا .. هروبا من سياط القهر ، والقمع
ومن أذى داحس والغبراء ..
لكننا لم نتامل زهرة جميلة
ولم نشاهد مرة .. حمامة بيضاء
وظلت الصحراء فى داخلنا ...
وظلت الصحراء ...

★ ★ ★

للواحد الأوحد .. فى عليائه
تزدان كل الأغلفه ...
وتكتب المدائح المزيفه ..
ويزحف الفكر الوصولى على جبينه
ليلثم العباءة المشرفه ..
هل هذه صحافةٌ ؟
أم مكتب للصيرفه !!

★ ★ ★

على الذى يريد أن يفوز فى رئاسة التحرير ..
عليه أن يبوس فى الصباح والمساء ..
ركبة الأمير ..
عليه أن يمشى على أربعة ..
كى يركب الأمير !!

★ ★ ★

يعطى طويل العمر .. للصحافة المرتزقه
مجموعة من الظروف المغلقه ..
وبعدها ..
ينفجر النباح .. والشتائم المُنسَّقةُ ...

★ ★ ★

ماлليساريين من كتابنا
قد تركوا (لينين) خلف ظهرهم
وقرروا أن يركبوا الجمال ؟؟

★ ★ ★

هذا .. له زاوية يومية
هذا ... له عمود ...

والفارق الوحيد فيما بينهم
طريقة الركوع .. والسجود ..

★ ★ ★

لاترفع الصوت .. فانت آمن ..
ولاتناقش أبدا مسدسا .. أو حاكما فردا
فانت آمن ...
وكن بلا لون .. ولا طعم .. ولا رائحه
وكن بلا رأى .. ولاقضية كبرى
فانت آمن ...
واكتب عن الطقس .. وعن .
حبوب منع الحمل - إن شئت -
فانت آمن ...
هذا هو القانون فى مزرعة الدواجن ..

★ ★ ★

أيا طويل العمر :
يامن تشترى النساء بالأرطال ..
وتشترى الأقلام بالأرطال ..
لسنا نريد أى شىء منك
فانكح جواريك كما تريد ...
واذبح رعاياك كما تريد
وحاصر الأمة بالنار .. وبالحديد
لا أحد يريد منك مُلكك السعيد
لا احد يريد ان يسرق منك جبة الخلا
فاشرب نبيذ النفط عن آخره ...
واترك لنا الثقافه ....

ماذا يحدث فى مجلة الشعر ؟ !

لاشك ان حال مجلة "الشعر" ، مثل حال الكثير من الاشياء فى بلادنا ، فقبل عدة سنوات ظلت المجلة تصدر وهى تحمل اسم رئيس التحرير الذى يعمل فى أحدى الدول العربية .. ويقوم بادارتها هاتفيا .. ثم صدر قرار أن يتولى رئاسة تحريرها الشاعر المبدع فتحى سعيد .. إلا أن القدر سرعان ما عاجله ، فلم يمهله ان يتم رحلته فى صبغ المجلة بهوية محددة جلاة وجديدة ..

واذكر انني عقب حضور مأتم الشاعر فتحى سعيد ركبت سيارة ضمت ثلاثة من الشعراء ، المتبايني الاتجاهات ، لم يكن لهم حديث سوى عن رئيس تحرير مجلة الشعر المنتظر ، وطوال مسافة العودة الطويلة الى المنزل ، راح الشعراء يطرحون الاسماء المتوقعة وتوصلوا إن لا أحد يصلح من كل هذه الاسماء المطروحة لرئاسة تحرير المجلة والاسباب عديدة منها عدم الاستلطاف .. وعدم الموهبة .. ومنها عدم وضوح الرؤية .

والآن ، وبعد اكثر من سبعة شهور على رحيل فتحى سعيد ، يبدو أن المسئولين فى اتحاد الأذاعة والتليفزيون ، الذى يصدر المجلة ربع سنويا ، قد وصلوا الى نفس ماتوصل اليه الشعراء الثلاثة ، ليلة رحيل الشاعر فتحى سعيد .. فحتى الآن لم



يصدر قرار بتعيين اى رئيس تحرير لمجلة الشعر ..

ووسط هذا الترقب ، صدر عدد شهر يوليو من المجلة الذى اشرف على اصداره احمد هريدى ، سكرتير التحرير ، الذى بدأ وكأنه تلميذ مجتهد فى مدرسة فتحى سعيد فى إدارة المجلة .. وذلك من حيث قدرته على اختيار المقالات المنشورة فى الملف الرئيسى بالمجلة .. او فيما يتعلق بالقصائد المنتقاة .. سواء كنصوص شعرية كتبها كل من أحمد سويلم وطاهر ابوفاشا وجمال القصاص .. والشاعر المكسيكى اوكتافيو بات أو من الأصوات الجديدة التى راسلت المجلة من الاسكندرية ، وأسيوط ، والضفة الغربية المحتلة .. والمانيا الغربية ، وملوى .

وقد ركز العدد على القاء الضوء على المسرح الشعرى المعاصر سواء فيما يتعلق باشكالية اللغة .. والبعد الايقاعى فى المسرح الشعرى .. ثم المسرح الشعرى العربى واشترك فى كتابة هذا الملف كل من الدكتور مصطفى عبد الغنى ووليد منير .. ومحمود نسيم .. ومحمود قرنى ..

السؤال الأن .. الى متى تستمر حالة الانتظار لمجلة الشعر ؟ ! ..

• مكتبة الهلال •

● الكتاب : حصاة فى بحر مالح

● المؤلف : سيد حامد النساج

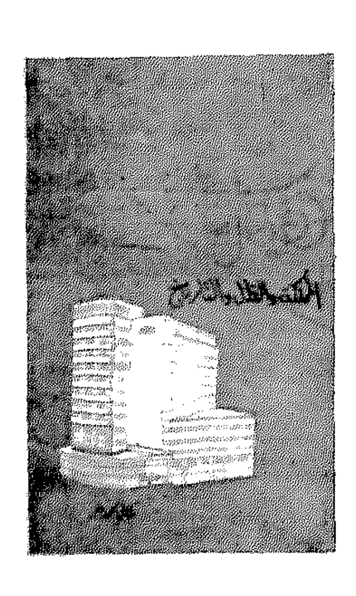
● الناشر : دار المعارف - اقرأ (١٩٦ ص) - ١٩٨٨

● هذا الكتاب مجموعة من المقالات المتنوعة .. أغلبها يتناول قضايا مشكلات الحياة الثقافية والأجتماعية من القاع حتى السطح .. يكشف المؤلف من خلالها .. الغياب الادبى والثقافى فى الداخل والخارج .. وقضية المناخ الذى سادته ثقافة المزاج الخاص ؟ .. واتهامات الأدباء والمثقفين بعضهم لبعض بالخيانة والعمالة والتخلف .. ويلقى الضوء على الجيل الجديد من شباب الكتاب والمفكرين والنقاد بانه جيل مظلوم لم يأخذ حقه على خريطة النشر ليصل الى الناس .. وفيه يدين القيادات التى تسيطر على وسائل النشر فى الصحف والمجلات .

ويضرب مثلا بالدور

الذي قام به الأديب الراحل حسين القباني في الحياة الثقافية .. وماقدمه من عون وتشجيع للأدباء من الشبان الذين التفوا حول ندوته التي كان يعقدها كل اسبوع بانتظام من فوق كرسي متحرك لم يمنعه من التأليف والترجمة .. ولم يحاول مرة ان يسيء الى احد ممن عرفهم او قرأ لهم او عنهم ..

ورغم ان عنوان الكتاب يثير في النفس شجون تحريك المياه الراكدة في البحيرة الثقافية الآسنة .. بانه « حصاة في بحر هائج » .. فان بعض الموضوعات مثل : العاملون المصريون في الخارج بلا غطاء .. والتربية العسكرية الحائرة في جامعاتنا .. وغيرها ، كان يجب الا تضاف على كشف الحركة الأدبية والفكرية التي حاول المؤلف ان يكشف فيها عن الأمراض التي تعاني منها حياتنا الثقافية ..



الكتاب : هيكل.. المملكة والظل والتاريخ
تأليف : كمال محمد على
الناشر : المؤلف
١٤٤ ص . ٢٠٠٤ م

مؤلف هذا الكتاب هو رئيس وحدة المعلومات بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، ومؤلف للعديد من الكتب الاخرى ذات الطابع المعلوماتي . ويحاول في كتابه هذا ان يعكس جانبا من سيرة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ، وسلوكياته منذ مطلع حياته الصحفية متتبعا للخط البياني لصعود صاحب السيرة الى مكانته ككاتب شهير ذي نفوذ متفرد ، محاولا تخطي الصعاب كمن يمشي على الجمر ، ولاشك ان الحديث عن الاستاذ هيكل الذي اصبح جزءا رئيسيا من تاريخ مصر ، موضوع مثير ويحمل الكثير من عناصر الفائدة والتشويق . ولكنه واقع تماما تحت تأثير « كاريزما » شخصية هيكل ، وان كان يحاول بكل جهد ممكن ان يكون موضوعيا والمشكلة الاساسية ان الكاتب هنا يقف عند حد « المعلومة » دون ان تكون له رؤية واضحة في دراسته ، او لنقل عرضه لجوانب هذه السيرة ، الأمر الذي يبدو ان مهنته قد اثرت فيه ، لكنه لايفتقد الشجاعة في قول كلمة حق يراها في مناطق عديدة تناثرت في فصول هذا الكتاب .

الصيف والأدب

من حكايات الشاطئ الرومانسية .. وقصص المستعمرات الدامية

بقلم: محمود قاسم

تختلف مشاعر الناس وتتباين ، فيما يتعلق بفصول السنة . لكن الكثير من الناس يحبون الصيف لأنه موسم الاجازات والراحة . والابتعاد عن روتين العمل ووتيرة الحياة . من أجل إذابة جليد التصق بهم طوال عام بأكمله .. فيهربون الى الشواطئ بحثا عن ترطيب الجسد ومحاولة لصقل العقل والوجدان .. لبعض الوقت ..

ولأن الأدب صورة خاصة ، وعامة للمجتمع . فان الكثير من الأدباء قد راحوا يكتبون عن الصيف من وجهات نظر مختلفة . كل من مفهومه الخاص . وحسب علاقته بالصيف سواء كمصيف او كفصل جغرافي تزحف فيه الحرارة على الاجساد وتكاد تنهشها . وتتدفق فيه الحشرات من حولنا .. او تزداد معدلات الجريمة .. او قصص الحب البريئة والملتهبة لذا راح بعض الأدباء يذهب بشخوصه الى الشواطئ سعيا لقضاء اجازة صيفية . وحاول البعض أن يصور الصيف كحالة كابوسية من الصعب النفاذ منها الى اى امل حقيقى .

ويمكن ايجاز السمات العامة فى الأدب الذى يتناول حكايات الصيف فى جزء منها أو فى اغلب حوادثها فى النقاط الآتية :

لم يكن الصيف ابدا هو الموسم الجميل الذى يشد الناس الى الاجازات وشواطئ البحر بل هو فى بعض الروايات ليس سوى هيكل من الجحيم الحار والجاف .. قد يتولد عنه عنف سياسى او اجتماعى ومثل هذا النموذج موجود فى رواية « الغريب » لألبير كامى .. و« الحشائش تغنى » لدوريس ليسنج .

قد يتحول الصيف بحرارته وسخونته من فصل جغرافي سنوى الى جدران صماء تحبس فى إطارها مجموعة من البشر اليائسين الذين عليهم النفاذ بجلودهم ..

الصيف هو فى غالب الروايات الرومانسية فصل . الحب . والعلاقات الجديدة .. وقد شغف بعض الكتاب بسرد حكايات الحب الصيفية مثلما فعل البرتو



البرتومورافيا

مورافيا .. واحسان عبد القدوس وايضا توماس من .

والغريب ان الروايات التى تعاملت مع الصيف من منظور وردى لم تحظ باهتمام نقدى ملائم .. مثلما حدث لرواية «البنات والصيف» لاحسان عبدالقدوس .. «الفك المفترس» لبيتر بنشلى . لكن الأمر اختلف كثيرا بالنسبة لرواية « الموت فى فينسيا » لتوماس من و «ضحكة فى الظلام» لفلاديمير نابوكوف...

● غرام فى قارب

لا شك ان للكاتب الايطالى البرتو مورافيا عشقه الخاص لحكايات الصيف العاطفية . والحسية . وقد تكرر مشهد بعينه فى ثلاث روايات للكاتب هى « المراهق » و« شبح فى الظهيرة » ثم «١٩٣٤» . هذا المشهد يتمثل فى رجل وأمرأة يركبان قاربا صغيرا يصعد بهما الى مسافة بعيدة من البحر . وهناك بعيدا عن الاعين يمارسان الحب الملتهب .. ولكن هذا الاتصال الجنسى يكون سببا فى عملية تحول كاملة فى نوع العلاقة ..

ففى رواية «المراهق» لم يكن الصيف حدثا سعيدا للصبى اجو ستينو .. فهذا الفصل كان سببا لأنفصاله عاطفيا عن امه . التى وهبته كل مشاعرها ووقتها فيما قبل . وفى الصيف حين ذهبا معا الى شاطىء البحر بدأ يشعر بأن الرجل الذى تقف لتحادثه بين حين وآخر سيكون سببا فى بعد الشقة عن امه وتحس الأم بمشاعر ابنها فتذهب مع حبيبها الى عرض البحر فى قارب صغير من اجل ممارسة بعض الهوى .. ويكون هذا الحدث سببا حقيقيا فى تغيير العلاقة بين الأم وابنها .

تكرر مثل هذا المشهد فى رواية «شبح فى الظهير» .. ثم فى «١٩٣٤» ففى هذه الرواية رحل كاتب شاب الى مدينة كابرى لتأليف رواية جديدة . فاذا به يقع فريسة لممثلة محترفة .. تتعامل معه بسخرية شديدة . فهى تمثل عليه دور الفتاة الحالمة التى تتمنى ان تنتحر مع حبيبها فوق فراش عذرى على طريقة الشاعر الالمانى فون كلايست ثم تعود لتمثل دور اختها التوأم .. وهى فتاة غارقة فى الحسية والشهوانية فتخرج معه الى عرض البحر .. وتتعرى امامه على طريقة الشباب المراهقين . فوق نفس القارب الذى سبق ان ركب مثيلا له كل من العاشقين فى «المراهق» «وشبح فى الظهيرة» .

وقد انحصرت حكايات مورافيا الصيفية فى اطار ضيق من البشر . بمعنى ان اشخاص رواياته الذين يذهبون الى الصيف ويركبون البحر فوق قارب صغير ، معزولون عن العالم فالفندق فى الروايات الثلاث التى ينزل بها هؤلاء الاشخاص شبه خاو . الا من أشباح انسانية تتحرك هنا وهناك . وتكاد تشعر انه لا يوجد فى المصيف سوى ابطال هذه الروايات .

الصيف والأدب

وفى رواية «ضحكة فى الظلام» رأينا نفس العالم الذى يصنعه نابوكوف .. فقد اختارت الزوجة ان تذهب الى المصيف مع رجلين الأول هو زوجها العزيز الذى يصرف عليها امواله ببذخ . والثانى هو عشيقها الشاب الملتهب المشاعر . وفوق رمال الشاطىء تتعمد المرأة ان تمارس الحب مع عشيقها فى مكان قريب من زوجها الذى لا يراها لكنه يبدأ فى الاحساس بأن شيئا غير عادى يحدث حوله .. ورغم ذلك لا يعلن تمردا .. ولا يبدى تعارضا . بل يمتثل الى الاساليب التى تمارسها المرأة لاذلاله حتى تقتله فى النهاية وهو مستسلم تماما .

● حكايات صيفية

أما حكايات احسان عبدالقدوس فلم تبتعد كثيرا عما رواه نابوكوف ومورافيا . الا ان ابطاله الذاهبين الى المصيف لم يتحركوا بعيدا عن حدود رمال الشاطىء . وسور الكورنيش القصير الذى يطل مباشرة على البحر وقد روى الكاتب خمس حكايات صيفية لخمس فتيات جئن الى بلاجات الاسكندرية .. وبعض هذه الحكايات مورافية من خلال العلاقات المتشابكة المرتبطة بالخيانة او الغيرة ، او الزلة مثل حكاية البنت التى وجدت نفسها اسيرة لكل من زوجها وصديقه . الزوج لا يدرى شيئا مما يفعله صديقه اسماعيل الذى يلاحق زوجته فى كل مكان . يريدها لنفسه بروحها وجسدها والفتاة واقعة بين فضيلتها التى تربت عليها وبين خطيئة تفرض نفسها من أعلاها وهى بنت متدينة تعرف حدود الخير والصلاح ولكن كل من حولها يحاول ان يرسم لها إطارا يجب الا تخرج عنه . فاسماعيل يحل مكان الأم عقب الزواج . يختار لها ملابسها ويحسب لها خطواتها ويرسم لها يومها . هى وزوجها . ويجلس بجانبها حول المائدة بينما الزوج يجلس بعيدا . وتدور أحداث هذه العلاقات المتشابكة اثناء اجازة صيف رغم انها يمكن ان تدور فى اى وقت من العام . الا ان الكاتب اكد ان الصيف يعد ديكورا افضل لمثل هذه الحكايات .

ومن حكايات الصيف الجميلة عند احسان عبدالقدوس ماروواه عن ماسى . او تلك التى اسماها الكاتب اجمل فتاة على الشاطىء عام ١٩٥٨ . ولابد لمثل هذه الفتاة ان تجذب الانظار حولها .. الا انها لا تنجذب سوى لرجل واحد يختلف فى جذوره ومنبعه عنها .. وتصدم حين تعرف ان هذا الرجل يحب امراة اخرى .. وتتصور ان منافستها لابد ان تكون أكثر حسنا منها . الى ان تتصل بها امرأة تخبرها انها الحبيبة المنشودة .. وعندما تقابلها تصدم .. فهى ليست سوى كتلة من الشحم الآدمي . ولذا تقرر ماسى ان تنحسب من هذه التجربة المتشابكة بكل كبرياء .

وفى هذا المضمار يجب الا ننسى رواية «الموت فى فينسيا» .. لتوماس من حيث ذهب كاتب روائى يدعى اشنباخ الى شاطىء فينسيا لقضاء الايام الأخيرة من فصل الصيف .. وهناك يلتقى بصبى صغير يذكره بشبابه الضائع .. وعبثا يحاول الكاتب الذى خطه المشيب ان يحادث الصبى لكن بلا جدوى .. فرغم أنه كاتب يسطر مؤلفاته لالاف القراء الذين يعجبون بما يكتب .. فهو عاجز تماما عن الاتصال بصبى صغير .. جاء مع اسرته

الى البلاج لقضاء اجازة صيف .

● روائح العرق فى المستعمرات

أما حكايات الصيف فى البلاد الحارة خاصة فى المستعمرات ، فقد برزت فى روايات عالمية متعددة وقد اتسمت هذه المستعمرات دوما بالقيظ الشديد والصراع الحضارى بين المستعمرين والوطنيين . ومن ابرز هذه الروايات «الحشائش تغنى» لدوريس ليسنج .. ثم « حفل السيد المحافظ ».. للممثلة مارى فرانس بيزيه .. وايضا رواية « الغريب » لالبير كامى .

ففى هذه المستعمرات تشتد درجات الحرارة الى درجة الاحتراق وتفوح رائحة جلود البشر وتدور المواجهة فى «الحشائش تغنى» بين مارى تيريز المرأة البيضاء وموسى الزنجى . الذى يعمل فى مزرعة زوجها . وهى تتمتع بتعذيبه واذلاله .. فتدفعه ان يعمل تحت قيظ الشمس الذى يحول بشرته السوداء الى قطعة من الفحم ويفوح العرق كريها من المسام وتتلذذ مارى بهذه السادية التى تمارسها على موسى . الا انها تحس بماسوشية تمتثل فى عينيه . فهو رجل لا يتكلم سوى بعينيه ..

ووسط هذا القيظ القادم من شمس الصيف اللافحة . تنمو مشاعر ملتهبة بين امرأة بيضاء وزنجى . فلا يمكن لهما ابدا ان يلتقيا فى بلد يقوم على التفرقة العنصرية . هو جنوب افريقيا .

وتدور احداث رواية « حفل السيد المحافظ » فى مستعمرة كالدونيا الفرنسية فى صيف عام ١٩٤٦ . وبطلة الرواية تعيش مرحلة التحول الانثوى . فهى فى الخامسة عشرة فتاة محبوسة داخل جلدها تود ان تنطلق من هذا المحبس المغلق .. وان تمارس حريتها المنشودة . فتذهب الى الحدائق وتجمع الورود كى تكتب على اوراقها .. وبينما ترى البنات يذهبن الى الشواطىء ويرتدين ملابس البحر المزركشة . فانها تتجه الى المكتبة من اجل لمّ حصاد معرفى جديد . ولذا فهى تعلن غضبها على ابيها الذى يمثل الاستعمارى الرجعى الذى جاء لامتلاك اراضى الآخرين .

وتختلف رواية « الفك المفترس » فى منظورها الى الصيف . فقد تحول الموسم السياحى فى مدينة اميتى الأمريكية الى كابوس والمدينة تعتمد فى مواردها على موسم الصيف . وبينما الموسم على اشده . والناس فى حال من المتعة .. يخرج على المصطافين قرش متوحش متعطش للدماء . فيحول البسمات الى صراخات .. ويبكى الابرياء من جميع الاعمار . وتنسال الدماء فوق المياه الزرقاء وينزرع الخوف فى قلوب المصطافين . وتهددهم امكانية ظهور القرش مرة أخرى . ويقررون التزام الرمال ويتطلعون الى المياه دون ان يتمكنوا من لمسها .. فلا يمكن ان يوجد مصيف دون سباحة فى البحر حتى ولو كان الخطر ماثلا امام الناس . بكل ما به من انياب شرسة . لذا فعندما بادر شخص بالنزول الى المياه .. تعمد الجميع نسيان خوفهم واسرعوا بكل ثبات وفرحة ناحية الخطر يحتضونه .. ويعشقونه .

تلك بعض النماذج من الأدب المعاصر التى ربطت بين الانسان والصيف .. وكما رأينا فليست حكايات الصيف كلها وردية أو رومانسية .. بل هى ايضا دامية . مليئة بروائح العرق وحكايات الكراهية والالم ..



العالم في سطور

• ميونخ •

• نابليون وهتلر •

في كتاب واحد "نابليون وهتلر : سيرة مقارنة" (٣١٩ صفحة) يعرض صاحبه "ديزموند سيوارد" لهذين الطاغيتين .

وقوام هذا العرض ان الطبيعة البشرية لا تتغير ، وانما الذى يتغير هو الظروف المحيطة بها .

خذ مثلا غزوتي روسيا في ١٨١٢ و١٩٤١ اللتين دفعتا بالطاغيتين الى كارثة الهزيمة النهائية .

لماذا خاطر الاثنان بغزو روسيا رغم انها لم تكن تشكل خطرا ظاهرا ؟

يجيب صاحب الكتاب قائلا ان بريطانيا هى التى كانت مستهدفة بذلك الغزو فى كلتا الحالتين .

فما ان تستبعد روسيا من حلبة الصراع حتى تضطر بريطانيا ، وقد عزلت واصبحت بدون حليف فى القارة ، الى الجلوس الى مائدة المفاوضات .

وثمة عامل ثان ادى الى هذه المخاطرة ، الا وهو فقدان الطاغيتين لكل اتصال بالواقع .

فالحرب عند الاثنين لم تعد استمرارا للسياسة ، ولكن بوسائل اخرى ، وانما اصبحت غاية فى ذاتها .

لقد افسدتهما السلطة المطلقة افسادا مطلقا .

وفى الحق ، فكلاهما فى السعى الى مزيد من السلطة كان لا يؤمن بأى شىء سوى نفسه ، متوهما انه رجل الاقدار .

"انا جئت لأغير وجه الأرض" هكذا فى حديث مع شقيقه قال "نابليون" .

"انا اسير فى الطريق الذى اختارته لى العناية الالهية ، بيقين السائرين نياما" هكذا قال "هتلر" .

وكلاهما كان مغاليا فى الوطنية ، ومع ذلك لم يكن ليهتم أو ليهتز لمعاناة المواطنين .



نابليون



ادولف هتلر

وكلاهما كان يحلم ببناء امبراطورية عالمية ، لا لشىء سوى تحقيق الامجاد نفخا للذات .

وكلاهما كان متجردا من اى رادع خلقى يحول دون ارتكاب فظائع يشيب من هولها الولدان .

وعند صاحب الكتاب انه لا فرق بين نابليون وهتلر فى هذا المجال ، وان ما حال بين الأول وبين الانحدار الى

حضيض الثانى هو ان مستوى التكنولوجيا فى زمن الحروب النابوليونية كان أقل بكثير من مستواها ابان الحرب العالمية الثانية .

• باريس •

● أندريه شديد .. ٦٠ عاما ●

احتفلت الكاتبة المصرية اندريه شديد منذ اسابيع بعيد ميلادها الستين . وبهذه المناسبة اجرت مجلة "شئون عربية" الصادرة باللغة الفرنسية فى باريس حديثا مع الكاتبة .

وتقول اندريه شديد انها قد استلهمت أغلب مؤلفاتها من منابعها الشرقية "أنا سعيدة اننى أعيش بين اماكن متعددة . فانا أعيش فى ثراء خاص . يتمثل فى حريتى التى اعشقها . وقد سبق ان قلت اننى ليس لدى النية ان اقتلع جذورى بشكل ماساوى . فهذا ليس بالأمر السهل بالنسبة لى . فانا أحس أننى انتمى الى الشرق والغرب معا . وقد كتبت كثيرا عن مصر ولبنان .. وهما وطنى الحقيقى بالنسبة لى . كما أحس بأن الكثير من الاشياء تتلاحم وتتزاوج .. وتتناطح . ولذا أشعر بالسعادة دوما وأنا أسمع ان "اليوم السادس" و"نوم الخلاص" مثلا ، كتب واقعية عن مصر . يجب أن نحتفظ دوما بشىء ما فى أعماقنا . ونحن نعبر بين بيئات مختلفة .

من المعروف ان اندريه شديد مولودة فى القاهرة عام ١٩٢٩ . وقد تلقت دراستها فى المدارس الفرنسية . ثم سافرت ، مع اسرتها ، الى لبنان من أجل استكمال دراستها . وما لبثت ان عادت إلى القاهرة . وحصلت على دبلوم الصحافة من الجامعة الامريكية . وعاشت فى المدينة بضع سنوات مارست فيها الكتابة والنشر ، ولكنها وجدت نفسها مضطرة الى الرحيل مع زوجها لويس شديد ، الذى حملت اسمه ، إلى فرنسا بعد أن حصل على وظيفة مرموقة فى معهد لويس باستير .

وقد زارت اندريه مصر مرات عديدة كان اخرها فى يونيه ١٩٨٨ . حين منحتها الجامعة الأمريكية . درجة الدكتوراه الفخرية .



اندريه شديد

والطريف انها رغم الفترة الطويلة التى اقامتها فى باريس . فانهـا تعتبر كاتبة "اجنبية" .

• ساكس •

• موت أسطورة •

جاء الموت اللـورد اوليفييه يوم الحادى عشر من يولية ، وهو فى منزله بجنوب انجلترا . وله من العمر ٨٢ عاما ، وذلك بعد صراع مرير مع السرطان دام عامين او يزيد .

كان اول صعود له على خشبة المسرح قبل اربعة وستين عامـا ، وبالتحديد يوم الاول من يناير لعام ١٩٢٥ .

وفى البدء قال له النقـاد انه ليس فى استطاعته ان يكون ممثلا شكسبيريا .

ولم يكتفوا بذلك ، بل قدموا اليه النصح بالا يحـاول الاقتـراب من مسـرحيـات شكسبيـر ابدا .

ومن سخرية الاقدار بهؤلاء النقاد ان "لورنس اوليفييه" يعتبر الآن من ذلك النفر القليل فى تـاريـخ المسـرح البريطانى خلال القرن العشرين الذى استطاع ان يتقمص جميـع الشخصيات الهامة فى تلـك المسـرحيـات (روميـو ، انطـونيـو ، ماكبث ، ياجو ، عطيل ، هنـرى الخـامس ، ريتشارد الثالث ، الملك لير) ، ويتقمصها بنجاح فنقطـع النظير وانـه الوحيد من بين . جميع ممثلى المسرح والسينما فى بريطانيا الذى منح لقب لورد للدور الذى لعبـه فى النـهـوض بـالمسرح ، وبخـاصـة ماكان منه متصلا باعمال شكسبير .

ولم تكن الطريق الى هـذا المجد مفـروشة بالزهـور ففى النصف الاول من الثـلاثينيات سافر "اوليفييه" الى الولايات المتحدة كى يجـرب حظـه مـع هوليوود .

وهناك رفضته ربة الجمال "جريتا جاربو" عـاشقا لهـا فى فيلم "الملكـة كريستينـا" ، مؤثرة عليه ، "جـون جيلبرت" الذى لم يمر عام وبعض عام على ادائـه لـدور السفيـر الاسبـانـى الـعـاشـق للملكة ، الا وقد اصبح نسيا منسيا .

وما ان اقترب عقد الثلاثينيات من نهايته الا وكان "اوليفييه" مقتحما مـع زوجتـه الثـانيـة "فيفيـان لى" اسـوار هوليوود حيث اسند اليه دورا "هيثكليـف" فى "مرتفعات ويذرنج" و "ماكسيم دى وينتر" فى "ريبكـا" أول افـلام المرحلة الامريكية من حياة "الفريد هيتشكوك" مخـرج التشـويـق الشهير .

اما زوجته فقد اسند اليهـا دور "سكارليت اوهارا" فى "ذهب مع الريح" (١٩٣٩) .

ومن ماثر "أوليفييه" قيامة بانتاج واخـراج وتمثيل كل من "هنرى الخامس" ، "هاملت" و "ريتشـارد الثـالـث" والافلام الثلاثة مأخوذة عن مسـرحيات بنفس الاسم لشكسبير .

ومن اجل الفيلم الاول استحـدثت اكـاديميـة الصورة المتحركة فى عاصمة السينما - جائزة



لورانس أوليفييه مع طفليه من زوجته الثالثة

اوسكار خاصة تكريما لصاحبه وذلك لقيامه بإنتاجه واخراجه وتمثيله دون ان يهاب .
وفضلا عما تقدم توجت "هاملت" وصاحبه بجائزتى اوسكار احسن فيلم وممثل .
ولعلها المرة الاولى والاخيرة فى تاريخ اوسكار التى تمنح فيها جائزتها المشتهاة لفيلم ماخوذ عن مسرحية لشكسبير .
يبقى ان اقول ان بقاء "اوليفييه" فى القمة متربعا على عرش المسرح زهاء اربعين عاما ، انما يرجع الى شغفه بالمسرح ، واتقاد شرارة ذلك الشغف فى قلبه .
هذا الى نجاحه فى الجمع بين التواضع ازاء العمل الذى يقوم بتمثيله ، وبين الاعتداد بالنفس والثقة بها .
وذلك الجمع نادرا ما يتحقق للممثل ، لاسيما اذا كان نجما شهورا .
فالنجومية والشهرة غالبا ما يصاحبهما الغرور بعد حفله باليه توجه احدهم الى الراقصة الاولى "مارجوت فونتين" سائلا .
"من فضلك اشرحى ما كنت تؤديه فى ذلك البالية ؟ »
وجاء جوابها مانعا جامعا "لقد شرحت وانا أؤديه واذا لم اكن ، فعلى الأقل انا آسفة» .
وفى حديث له مع مجلة "لايف" الامريكية (١٨ / ٥ / ١٩٦٤) قال "اوليفييه" اذا ما سئلت عن التمثيل ، فستجىء إجابتى مطابقة تماما لإجابة "مارجوت" ، لا تختلف عنها فى كثير او قليل .

مصـــــــر
في الأدب العالمي

كاليوبي ناكوبولو

والريف المصري في الرواية اليونانية المعاصرة

بقلم : د. نعيم عطيه

ان حبي لهؤلاء الناس الذين عشت بينهم سنوات عدة قد غذت على مر الوقت هذه الحكاية فيتجسد في مخيلتي كل أولئك الفلاحين الذين عرفتهم .. وهاهم يعودون ليحيوا واقعا تختلط فيه المرارة والكفاح ولحظات السعادة القليلة ..

ان كل الأحداث التي استقيتها من حياتي اليومية بينهم قد أصبحت هي الخيوط التي نسجت منها شجرة على ..

كاليوبي ناكوبولو



غلاف رواية كاليوبي ناكوبولو الأخيرة الصادرة في أثينا ١٩٨٢ عن حياة المؤلف بالمنصورة

مراكب شراعية على النيل . الغلاف الأخير لرواية ناكوبولو الأخيرة عن مصر

ΕΡΓΑ ΤΗΣ ΙΔΙΑΣ

Τό λουλουδένιο χαμόγελο, (Νουβέλλα)	Κάϊρο	1953
Σάγκαρετ 'Αλυ (Μυθιστόρημα)	Αλεξάνδρεια	1957
Κοντά στό Νείλο (Διηγήματα)	Διογένης, Αθήνα	1979

ثبت بالاعمال الأدبية اليونانية المعاصرة لكوبولو وفيها الاشارة إلى مجموعتها القصصية « الابتسامة الوردية » المنشورة بالقاهرة ١٩٥٣

من التيارات التي تستحق الاهتمام في الأدب اليوناني الحديث تيار الكتابة عن الحياة المصرية .. وعلى صفحات ضافية دبجت باليونانية ارتسم كثير من معالم بيئتنا الريفية .. وظهر الفلاح المصري بطلا يستحوذ على الانتباه ..

ويرجع الفضل في هذا التيار الى لفيف من الأدباء اليونانيين المعاصرين الذين عاشوا في مصر .. ونخص بالذكر منهم القصاص .. ن . بوسولاس الذي اوحت اليه تربتنا وارضنا بصفحات ضافية في كتابه الصيف الصادر عام ١٩٦١ وفيليبوبيريذيس الذي تذكر له محاولته الربط بين اليونانيين المهاجرين الى مصر والبيئة الريفية التي عاشوا فيها ، وذلك في كتابه « تجار الاقطان » وهي مجموعة قصصية صدرت بالاسكندرية عام ١٩٤٥ ..

وفي مقدمة الأدباء اليونانيين الذين استوحوا البيئة المصرية في اعمالهم كوستا ساجاراداس ..

مصــــــر
في الأدب العالمي

فقد أقام بأسيوط وكان أول من لفت انظار قرائه اليونانيين الى حياة أهل ريفنا برواية « نبيهة » التى كتبها عام ١٩٢٤ ثم تبعها فى العام التالى بمجموعته القصصية « حكايات » المستوحاة بدورها من حياة فلاحينا والبدو المقيمين على ضفاف النيل وكان اشتغال ساجاراداس بتجارة الاقطان فرصة أتاحت له أن يجوب ريفنا ويلتقط منه أقاصيصه وحكاياته التى جعلته رائد الكتاب اليونانيين الذين وجهوا اهتمامهم الى وصف مشاهد من حياتنا الشعبية .. وقد رجع ساجاراداس أيضا الى ماضى بلادنا فكتب عام ١٩٥١ « بتاح حتب » ترجم فيها جانبا من حياة الفراعنة وأدبهم ..

وقد عرب الاستاذ عبد السميع المصرى رواية ساجاراداس (نبيهة) بعنوان (عذراء أسيوط) وأشار أديبنا يحيى حقى فى كتابه (خطوات فى النقد) الى هذه الرواية متنبها الى دلالتها فيقول عنها .. « هزت روحى هزا عنيفا حتى غلبنى التأثر ، وأذاقتنى كأسا مترعة من سعادة لاحد لها .. لأن كاتبها اليونانى يخالطنا عن قرب ، ويعاشرنا منذ أمد . وتدل مقدمة المترجم : على أن المؤلف قد كرس لمصرنا العزيزة وطنه الثانى ، أو لعله أصبح وطنه الأول ، عصارة ذهنه وفنه ، وذوب روحه ، ووقف عليها جل مؤلفاته الكثيرة ..

● البيئة المصرية في عيون يونانية

وقد سارت القصاصة كاليوبى ناكوبولو التى عاشت سنين طويلة فى الريف المصرى الى جوار زوجها الذى اشتغل بالزراعة ـ سارت فى روايتها « شجرة علىّ » الصادرة بالاسكندرية عام ١٩٥٧ علــى ذات النهــج الــذى اختطــه ساجاراداس .. فسردت فى روايتها تلك حياة أسرة ريفية مركزة اهتمامها على التقاليد والعادات فى ريفنا ، وقد شيدت محور الرواية على الرغبة المتأصلة فى أن تنجب المرأة لزوجها ولدا ذكرا .. ومن خلال هذه السعادة المتواترة تتابع ناكوبولو بعين القصاصة المدققة حياة ريفنا كله ..

تبدأ الرواية بولادة الابن الرابع لفلاح ميسور الحال يملك ستة أفدنة بالميراث فى قرية من قرى شمال الدلتا حيث الأرض تحتاج الى جهد وعرق ..

كان هذا الابن الرابع ولدا وسيما أشقر فرحت به أمه أميرة وظلت تخاف عليه من حسد الحاسدين كى لا يخطفه الموت .. فأخفت عن الجيران أن المولود ذكر ، وشبكت بثيابه حجابا يحميه من شر العين ، وعلى جبينه علقت حجرا صغيرا أزرق ، وكانت اذا نظرت إلى قسماته هامت به اعجابا وأسرعت تلطخ الوجه الصغير بقليل من التراب حفاظا عليه ..

لم يكن علىّ وكان هذا اسم الولد ، يجد فى نفسه ميلا الى أن يغادر القرية ولا إلى أن يصبح طبيبا ، انه يريد فحسب أن يشتغل بالتجارة .. ولكنها مشيئة الأب .. ذهب الابن الى المدينة واشترى له بدلة افرنجية عندما لبسها أول مرة ظل يختال بها أمام المرآة ساعات وساعات رغم أنها كانت أكبر من مقاسه بنمرتين .. ولكن البائع أقنع أباه وزوج عمته بالشراء فالولد سرعان ماسيكبر ، وبعد سنتين ستصبح

على مقاسه تماما ..

كبر عليّ وبلغ السابعة عشرة .. لكن جسمه النامى كان كمن فى الحادية والعشرين من عمره .. وفى الأعياد كان عليّ ينصب مراجيح فى ساحة القرية .. تقبل عليها بنات القرية وأولادها ، كانت هذه المراجيح سعادة لأهل القرية .. كانت صبايا القرية بثيابهن الملونة الزاهية يقبلن على المراجيح تضىء الابتسامة ثغورهن ، ولكن عينى عليّ كانتا تبحثان دوما عن صبية بعينها .. عن نرجس الفتاة اليتيمة الفقيرة .. هل ستأتى الصغيرة ؟ كانت امها فاطمة تخاف على وحدتها وتشقى بالخدمة حتى توفر لها حياة آمنة بعد أن تركهما زوجها سالم مقتولا برصاصتين فى ظهره .. كان سالم خفيرا .. وأرداه رصاص المهربين فى ليلة حالكة السواد .. رفضت أرملته الشابة الزواج من بعده .. مكرسة حياتها لتربية وحيدتها اليتيمة نرجس .. وهاهى نرجس تناهز الخامسة عشرة من عمرها هذا العيد وهاهى الأم توصى ابنتها ألا تذهب إلى الساحة .. فقد أصبحت صبية لايليق بها أن تركب المراجيح ..

مضى الحب العذرى يوثق عراه بين قلبى الفتى والفتاة .. ويملأ عليهما الحياة .

انشغل عليّ بتجهيز عش الزوجية ، اشترى السرير البرنزى ذا الأعمدة الأربعة ، وأوصى أن يعد اللحاف والمرتبة والوسائد من أجود اصناف القطن .. وطلى البيت بالجير الابيض ، بيت الاسرة الذى لم يدهن منذ فرح الأب ، هذا ما تقوله الجدة للاسطى رجب النقاش ..

مامن أمل يداعب قلوب الصغيرات أحلى من الزواج بابن الحلال ، وعندئذ تأتى الماشطة لتعدهن لاستقبال العريس .. وهاهى نرجس العروس اليتيمة تركب لأول مرة فى عربة تطوف بها فى موكب صاخب أزقة القرية المتربة .. وأمام العربة ذات الجوادين تؤدى الراقصة البندرية رقصاتها ارتجالا .. استغرق الموكب ساعة والموسيقى تعزف والراقصة تمسك الدف تزف العروس وتجمع النقوط .. وعند باب العريس توقف الموكب وانطلقت الزغاريد ، وأدخلت العروس محمولة على طشت حتى تتفادى ماقد يكون قد عمل لها من سحر على عتبة الباب ..

وتقول الكاتبة : ان الفلاحين لايحبون الطفرات ، بل يفضلون أن يسيروا فى ذات الطريق الذى اختطه لهم أسلافهم أبا عن جد .. وبذلك تنتقل العادات وتصير راسخة فى حياة الجماعة ، تفرد على الأفراد نفوذها وسطوتها .. الا ان عليّا كسر العرف فى زواجه ، فهو وان كان قد بذل قصارى جهده ليأتى زواجه فى المظهر اللائق وألا ينسى بسهولة ألا أنه اصر - على الرغم من توسلات أمه وأم العروس - أن يسقط من مراسم زواجه عادة دارجة تمرد عليها ضميره الذى صقله على أى حال ذلك القسط الضئيل من الثقافة الذى حصل عليه فى البندر ..

اثنا عشر عاما مضت على زواج نرجس ولم تحمل من عليّ .. ورغم أنه لم يبد من هذا الوضع تذمرا ، فإن الزوجة الوفية فاتحت زوجها ذات يوم فى أمر جلل .. طلبت منه أن يتزوج عليها .. ليجرب مع امرأة أخرى فربما انجبت له أولاد يملئون قلبه وبيته فرحا ..

اطرقت العروس موافقة وكانت بدورها طيعة نشيطة ، تطبخ وتكنس وتخبز وتذهب

الى الترعة لتغسل وتحضر المياه كل يوم .. وسرعان ماعلقت فى الشهر الأول من زواجها وأنجبت لعلىّ طفلة .. الا انه كان يتوق الآن الى أن يكون له ابن ، ويسعى جاهدا أن تنجب له زوجته الثانية ولدا ذكرا .. ولكنها بعد فتحية أنجبت له بنتا ثانية ثم ثالثة ولأول مرة فى حياته شعر علىّ بالنقمة تغلى فى عروقه وبالرغبة العارمة فى أن يضرب ويحطم .. ومالبث أن طلق زوجته الثانية .. لم يعد يطيقها . لم يخترها برضاه .

تزوج علىّ للمرة الثالثة .. كانت العروس فى هذه المرة هندية ابنة افكار صديقة زوجته .. كانت العروس فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها ، كانت ستصبح فى عمر ابنه من نرجس لو كانا قد أنجبا ولدا فور أن تزوجا - وعلى عكس موقف نرجس من الزوجة الثانية دبت الغيرة فى قلبها من هندية فلم تكن الزوجة الثانية من اختيار زوجها أما الثالثة فقد اشتاق اليها قلبه واشتهاها جسده عندما جاءت ذات يوم الى البيت مع أمها فى زيارة لنرجس .. أصبحت الزوجة العاقر تخشى تلك الصبية المنطوية الصموت .. وبغريزتها كانت تتبين ماكان يجتهد علىّ فى اخفائه عنها من حب للصغيرة الجديدة .. ومع الغيرة تستيقظ فى النفس كوامن الحقد والشر ..

● تسجيل ورصد لحركة الحياة فى الريف

ومن الملاحظات التى تسجلها الكاتبة أيضا هجرة ابن القرية الى البندر ما أن يتبين الفارق بين نوعى الحياة فيهما ، رغم ان كلا فى المدينة يحاول أن يقتلع عين الآخر .. كما يقول الشيخ شاكر لابنه حسن الذى يريد أن يرحل ولا يطيق البقاء فى القرية الكئيبة ويقول الابن : وددت ألا اكون قد رأيت ، أما وقد رأيت كيف يحيا الآخرون فاننى سأختنق اذا بقيت فى القرية ..

وعندما تقف الكاتبة عند مظاهر فقر أو بؤس فى البيئة الريفية تعرضها بكثير من العطف والمشاركة وعدم القاء اللوم .. ومن الأمثلة على محبتها لشخوص البيئة الريفية وصفها التفصيلى لنجار القرية الأسطى (ص ١٦١ و ١٦٢) مصلح السواقى صانع المفاتيح الخشبية ، يحمل مبردا ومنشارا أطول منه .. لا يجادل فيما يعطى له من أجر ، ويلقى به فى جيبه بعد أن يقبله وجها وظهرا .. ويجيب على الدوام بحاضر .

لوحات من حياة القرية . نساؤها ورجالها رسموا بألوان محلية .. وطعم الوصف بكلمات من ذات البيئة كالطرحة والكعك والمسحراتى والخولى ، بحيث لايمكن للعين أن تخطىء كل هذه التفاصيل الدقيقة التى تضفى الجو المصرى على فقرات العمل الروائى بل ان الحوار ذاته رغم أنه مكتوب باليونانية تكاد تسمعه فى خيالك يجرى على ألسنة القرويين بلغتهم الدارجة .. وربما رجع الفضل فى ذلك على الأخص إلى استخدام الكلمات والعبارات العادية التى يتداولها القرويون فى هذه المواقف ..

وتختلط بلغة الكاتبة اليونانية كلمات عربية كثيرة من واقع البيئة المحلية مما يحقق امتزاجا طريفا بين لغتين متحابتين .. وتلحق الكاتبة بروايتها قائمة بالكلمات والعبارات العربية التى

استخدمتها ومعناها باليونانية .. ولا تكتفى الكاتبة باستخدام كلمات عربية ، بل انها تستعير أمثلة كاملة من اللغة الشعبية مثل « ياملح دارنا كتر عيالنا » تستخدمها كما هى مكتوبة بالأحرف اليونانية (ص ١٢٩) وكما تنقل الكاتبة عبارات باللغة العربية تدرجها فى حوارها فأنها تترجم أيضا بعض العبارات العربية ترجمة حرفية مثل البقية فى حياتك وهذا حال الدنيا (ص ١٧٤ و ١٧٥) ..

ان شجرة علىّ مثل لما يمكن أن يكون عليه الرباط الثقافى بين شعبين صديقين مثل ينضح بالحب وبالوفاء لأرضنا الكريمة

● لوحات واقعية من البيئة المصرية

وتتتابع مستويات الرواية ، فتتحول من علاقات أسرية الى علاقات مع البيئة الريفية المحوطة بالأبطال ، وتنتهى الى علاقة بالوطن كله .. اذ تمضى الأيام والسنون وينتقل شوقى بن علىّ من القرية الى البندر ، ثم الى العاصمة فى طلب الدراسة الثانوية والجامعية .. ويتفتح عقله وقلبه على قضية وطنه بأسره .. وبخاصة وهو يعاصر أحرج سنوات كفاحه .. وهى أواخر الأربعينيات من هذا القرن . كان شوقى يقول لأبيه بحماسة : نحن الجيل الجديد ، نحن الدماء الفتية . يجب ان نزلزل . أنمنهدم . لنعيد البناء ..

لكن هاهى آمال الابن الشهيد تتحقق . هاهو الشعب ينفض عن كاهله النظام القديم ويقيم حكاما جددا ، وهاهو علىّ الذى عشش الحزن فى قلبه يتابع أحداث ١٩٥٢ برضاء وحماسة فقد تجسدت فيها روح الشهيد . كان يطبق جفنيه ، ويحدث طيف ابنه قائلا : أجل أجل ، يابنى ، الآن فقط أدركت كلامك ، الآن فقط زالت الغشاوة عن عينى وانزاح الصمم عن أذنى ، كانت الأرض بحاجة الى دمائك الطاهرة لترتوى وتخصب من جديد ، لم يضع ابنى هباء اذن ..

هذه أحداث رواية اليونانية كاليوبى ناكابولو ، ولايقتصر الأمر فى هذه الرواية على استخلاص الموضوع من الريف المصرى ، بل أن الذى يستوقفنا فى هذا العمل أيضا هو شغف الكاتبة بتسجيل العادات والتقاليد الريفية ، فهى تلتقط وتسجل فى ثنايا روايتها العديد من مظاهر الحياة المصرية ، الحجاب ، الحسد ، الحجر الأزرق ، الخوف من أن يخطف الموت المولود الذكر ، الصندوق المزركش الذى تجلبه العروس القروية ضمن جهازها ، النارجيلة وكركرة مائها ، القبلات مثل الرعد التى تألف القرويات تبادلها عند اللقاء ، التفاف الأسرة حول الطبلية وكيف يقطعون الرغيف فى شكل ملعقة صغيرة ويغمسونها فى الطبق الواحد الكبير ، غزو العساكر الفرنسيين للدلتا ثم دحرهم واختلاط دماء هؤلاء الفرنسيين بدماء بعض المصريين ، الأصول التركية التى تنعكس على قسمات كثير من الفلاحين الذين يتميزون بشعر أشقر وعينين زرقاوين وبشرة بيضاء يتفردون بها وسط الفلاحين السمر ذوى القسمات الداكنة ، الأقمشة اللامعة الرخيصة التى تفصل منها فساتين العيد ، مناديل الرأس الملونة وطريقة لبس الطرحة .. حلاق القرية خالع الاسنان ، التمسك بصوم رمضان حتى فى حالة المرض . الزغاريد المديدة ، اقامة السرادقات فى الأفراح ، والماشطة التى تهيىء العروس ، وتعرف الكثير من الوصفات البلدية وأساليب السحر .

● الاضطرابات المزاجية الموسمية ●

كان الطبيب النفسي بيتر موللر يعالج امرأة من نوبات دورية من الكآبة الشتوية .. وكانت المريضة تتنقل خلال العلاج ، الذى استمر عدة سنوات ، بين عدد من المدن ، لكنها حافظت خلال ذلك على اتصالها بطبيبها ..

وفى بداية الثمانينيات راح الطبيب يراجع المعطيات التى تجمعت لديه عن هذه المريضة ، ولاحظ انه كلما انتقلت الى منطقة اكثر توغلا نحو الشمال بكرت اصابتها بالاكتئاب عند قدوم الخريف ، وطال امتداد فترة الاصابة فى الربيع ، كما لاحظ ان الكآبة قد زالت تماما خلال مناسبتين سافرت فيهما المرأة الى جامايكا ..

هنا افترض موللر ان وجود ضوء الشمس او انعدامه يسهم بطريقة ما فى حالة الكآبة التى تتعرض لها المرأة ، وقرر ان يقوم بتجارب فى العلاج لمثل حالاتها باستخدام الضوء (من مصدر صناعى له طيف كامل)، واكتشف الطبيب ان المريض يشفى من كآبته فى مدة تقل عن اسبوع ..

وحين تناهت انباء هذه التجربة الى اسماع الاوساط العلمية اجرى كثيرمن العلماء تجارب متعددة فى هذا الصدد ، لعل اطرفها ذلك الاستبيان الذى نشره فريق علمى من جامعة كاليفورنيا فى صحيفة « الولايات المتحدة الامريكية اليوم » فى مارس ١٩٨٥ وتضمن وصف اعراض ما يعرف بالاكتئاب الدورى الشتوى ، دون أى ذكر لفرضية علاقته بطول النهار ، وطلب الى الذين يجيبون بنعم على ثمانية او اكثر من اسئلة الاستبيان ان يعيدوه بالبريد الى الباحثين ..

وباجراءات حسابية ، اخذت بعينى الاعتبار ارقام التوزيع فى مختلف المناطق ، و ... تبين ان هناك ١٠٠ مصاب بالاكتئاب من كل مائة الف شخص ، فى المناطق الشمالية من الولايات المتحدة ، بفارق كبير جدا عن عدد المصابين فى المناطق الجنوبية..

وعلى الرغم من ان الرابطة بين الاكتئاب والشتاء معروفة منذ القدم ، حتى ان المستكشف العظيم فردريك كوك كتب فى مذكراته (مايو ١٨٩٨) .. لقد هبط الشتاء والظلام علينا ببطء ولكن باصرار .. ولم يكن من الصعب أن أقرأ على وجوه رفاقى أفكارهم وتقلبات أمزجتهم .. ان ستار الظلام الذى انسدل على العالم الجليدى الخارجى قد انسدل ايضا على العالم الداخلى لنفوسنا ، فالرجال يجلسون حول الموائد مكتئبين ..

على الرغم من وضوح هذه الرابطة منذ زمن فان الايام الاخيرة شهدت الكشف عن الخلل البيوكيميائى الكامن وراء الرابطة ، ذلك ان هرمون الميلاتونين الذى يؤثر فى المزاج وفى مستويات الطاقة الذاتية يتأثر بدورة الضوء والظلام اليومية للارض مثله فى ذلك الناقل العصبى سيروتونين الذى ينظم شهية الفرد للاطعمة الغنية بالكربوهيدرات ..

•جامعة عربية مفتوحة•

تبدأ جامعة القدس المفتوحة بتقديم خدمات التعلم عن بعد في شــــهر اكتوبر ·

وقد بدأ التفكير في انشاء جامعة القدس المفتوحة عام ١٩٧٥ ، أخــذا بعيني الاعتبار لاحتياجات الشــعب العربي عامة والفلسطيني خاصة من التعليم الجامعي ، في ظل الظــروف السكانية والاجتماعية والاقتصــادية والثقافية وواقع التمزق والتشـــتت والاحتلال الذى يعيشه الفلسطينيون··

وقامت منظمة اليونسكو بأعــداد دراسة الجدوى لمشروع الجامعة وذلك بالتعاون مع الصــندوق « القــومي الفلسطيني » و « الصــندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتمــاعي » · وتمت الدراسة عام ١٩٨٠ ، واتخــذ المؤتمر العام لليونسكو ، بعد ذلك ، قــرارا يـحث على تنفيذ مشـــروع الجامعة ··

وقد اجلت ظروف مختلفة البـــدء في تنفيذ هذا المشروع حتي أواخـــر عام ١٩٨٥ · ونظرا لان الصــعوبة الرئيسية في عمل مثل هذه الجامعــة تكمن في أعــداد المواد التعليميــة بالاســاليب التقنية الحديثة .(برامج الكمبيوتر وأشرطة الفيديو و ···) فقد تم تجهيزاستوديو خاص بالجامعة لتقليل النفقات ··

وتم تحديد تخصصات الدراسة في الجامعة انطلاقا من الربط بين الرغبة في التعليم العالي والحاجة الي الانماء الاقتصــادى والاجتماعي والتقني ، اضافة الى الاهداف الذاتية المتنوعة لطــالبي العلم · وتتوزع برامـــج الجامعة بين خمسة تخصصات هي الارض والتنمية الريفية،البيت والتنمية الاســرية ، التكنولوجيا والعــلوم التطبيقية ، الادارة والريادة ،التربية·

وتشترط الجامعة في المرحلة الاولى ان يكون المتقدم للالتحاق بها حاصــلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية أو ما يعــادلها ، بغض النظر عن العمر والجنس والجنسية وسنة الحصـــول على الشهادة وتتراوح رسوم الجامعة بين ٣٠و٥٠٪من رســوم الجامعات التقليدية ·

وسوف تستخدم الجامعة أساليب متنوعة للاختبارات والتقويم المستمر ، لقياس مدى تقدم الطالب واستيعابه، ومساعدته في عــلاج الصــعوبات الدراسية التي تعترضه ، ولقياس مدى نجاحه أخيرا في تحصيل المقررات ·· ومن هذه الاساليب التقويم الذاتي الذى يختبر به المتعلم نفسه عبر المقـــرر الدراسي ، والتقويم المستمر للطالب من قبل الموجه التربوى ، والامتحانات الدورية التى تجـــرى في المراكـــز التعليمية ·

والي جانب منح درجة البكالوريوس (في المرحلة الاولى) ستقدم الجامعة برامج للتعلم والتدريب المســتمرين ، وستنهض بدور تثقيفي عام · وفي هذا المضمار يمكن للطالب دراسة مقررات مختارة ، لاتؤدى بالضــــرورة الى حصوله على درجة جامعية وانمـــا شهادة بالمقررات التى اختارها لاثراء معرفته وخبراته ·

وجدير بالذكر انه تم عشية بـــدء الدراسة بالجامعة تعيين الدكتور منذر صلاح الرئيس السابق لجامعة النجاح في نابلس ، رئيسا للجامعة ·

• صحفي في الفضاء •

اتفقت احدى شبكات التلفـــــاز اليابانية مع وكالة الفضاء المدنيـــة السوفييتية على ارسال احد مذيعيهـا في رحلة فضائية على متن المحطـــة المدارية « مير » ، وسوف تتم الرحلة في مايو ١٩٩١ ، بعد تدريب خـاص يتلقاه المذيع في الاتحاد الســوفييتي

هذا وقد كانت وكالة الفضـــــاء الامريكية تزمع في مرحلة ســابقة ارسال صحفي الى الفضاء واعلنت عن ذلك فسجل مئات الصحفيين اسماءهم للمشاركة في الرحلة ولكن كل شيء تأجل الى موعد غير محدد بعد كارثة المكوك « تشالنجر » .

وقد ادى اعلان نبأ رحلة المذيـــع الياباني الى قلق في اوســاط وكالة الفضاء الرسمية اليابانية ، التي تشرف منذ سنوات على اعــداد ثلاثة رواد فضاء لكي يشارك احدهم في رحــلة لمكوك الفضاء الامريكي ، لكن التغير الذي طرأ على برامج المكوك يؤكــــد ان المذيع الياباني سيسبق هــــؤلاء الرواد ..

وقد علقت الطبيبة سياكي موكاي ، وهي أحد المرشحين لرحـــلة المكوك على خبر رحلة المذيع : « ان المذيع قد يقوم بوصف الرحــلة افضـــــل من طبيبة القلب » .

وجدير بالذكر ان الاتحاد السوفييتي يســـتضف « ملاحين » اجــانب في رحلاته الفضائية منذ اكثر من عشــر سنوات وتحتاج الرحلة في الســفن الفضائية « سويوز » الى تدريب اقسى من الذي تحتاجه رحـــلات المكوك الامريكي ، ذلك ان الضيف في الاخيرة يقوم برحلة في قمرة خاصة اكثر يسرا

وواضح ان هناك بعد انتهاء الحرب الباردة بين العمــــلاقين ، حـــربا اكثر برودة « تستعر » بينهما تشـكل الاستضافة في رحلات الفضاء احــد تجلياتها ولعل ذلك يتضح من كـــون الاتفاق على القيام بتحليق ملاح كوني اجنبي في رحلة فضائية مشتركة اصبح قاسما مشتركا بين نتائج رحــــلات جورباتشوف لاهم البلدان الاوربيـــة الغربية .

بقيت اشارة الى ان المكوك الامريكي استضاف الامير السعودي سلطان بن سلمان في احدى رحلاته ، بينما حـل السوري محمد فارس ضيفا على المحطة الفضائية السوفيتية « مير » في صيف ١٩٨٧ .



الامير سلطان بن عبدالعزيز

• نبض الأرض •

يتكون سطح الارض ، وفق النظرية العلمية المعتمدة ، من سطح «فسيفسائي» تتحرك الواحه بعضها بالنسبة لبعض، بسرعات يبـــلغ معدلها بضــــعة سنتيمترات في السنة ، بتاثير طبقـــة ساخنة لدنة تطفـــــو عليهـا الواح القشرة الارضية هذه ..

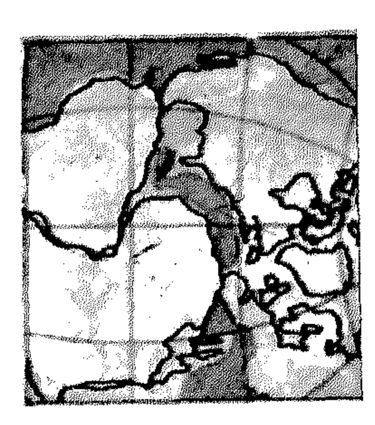
وهناك قرائن ودلائل في تاريــــخ الارض على ان معظم القارات (ان لم تكن كلها) قد تجمع لتكوين قــــارة عظمى واحدة ، انشطرت فيما بعــــد الى قارات عديدة اصــــغر ، وعادت في حقبة زمانية اخرى لتنضــــم الى بعضها مكونة قارة عظمى اخرى ، و٠

وقد اثار هذا الكشف ـ حين تم ـ تساؤل حول العــوامل التي تتحكم في تكوين القارات العظمى ثم تفرقها،وعما اذا كان ذلك يحدث بمجرد الصدف ، نتيجة لارتحال الالواح القــــارية ، بصورة عشوائية ٠٠

لكن بعض الاطرادات المنظمـــة في السجل الجيولوجي قــادت عــددا من العلماء الى الاعتقاد بأنه لابــــد من وجود عملية اكثر انتظاما (وربمـــا دورية) في هذا الشأن ٠٠

وقد كانت النظرة السائدة الى حركة الواح القشرة الارضية انها تنبــــع من تيارات الحمل في الطبقة الساخنة اللدنة الناتجة عن ارتفاع كميــــة الحرارة الناتجة عن انحلال العناصر المشعة ٠٠ لكن التحلل الاشــــعاعي عملية مستمرة ، يتناقص معدلهـــــا بهدوء مع الزمن ، ومن ثم لا يمــــكن تناوب التجمع والتفرق القـــارى الى عملية انتاج الحرارة نفسها ٠٠

والنظرية الجديدة ترى أن الظاهرة الاساســــية وراء نبض الارض ليس انتاج الحرارة وانما توصيلهـــــا وفقدانها ، ذلك انه ليس للقشــــرة القارية نفس كفاءة القشرة المحيطـــة (المغطاة بالماء) وعليــه ففي حـــالة القارة العظمى تتراكم الحــــرارة من الطبقة السفلية مسببة تقبب القشــــرة الارضية لتنفصل الى اجزاء في النهاية



٠٠ واذ تتفرق اجزاء القــارة العظمى يمكن للحرارة ان تنتقل خلال احواض المحيط التي توجد فيما بينها ، وبعــــد افلات قدر معين من الحرارة يمــكن ان تنساق الاجزاء القارية للتجمـــع ثانية ٠

ان فرضية دورة تجمع وتشـــتت القارة العظمى تمثل صيغة جديدة لفهم تاريخ الارض الجيولوجي تنفي صفة الصدفة عن حركة الواح القشـــرة الارضية وتضفي عليها صفة الانتظام، وتتيح وجهة جديدة لفهم تاريخ الحياة على الارض ٠٠ فلابد ان لاطوار تجمع القارات وتفرقها تأثيرات مناخية هائلة مثل انحسار وظهور اجزاء من اليابسة، وشيوع وتقلص المناطق الجليدية وتغير تيارات السريان وحالات الركـــود في المحيط العالمي،وغير ذلك من التأثيرات

مجمل القول ان دورة القارة العظمى تشكل في واقع الامر نبض الارض فمع كل نبضة يتغير ويتحدد مناخ الارض وجيولوجيتها وما عليها من كائنـــات حية ٠٠

● أنشطة فضائية بلاخطة ●

في عام ١٩٨٧ ، وبصـــدد الدور الذي يلعبه العسكريون الامـــريكيون

في اقامة محطة فضائية ، قال جيمس فلتشر رئيس وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) : « لايوجد أي دور للمؤسسة العسكرية في المحطة الفضائية » . لكن قوله عجز على مايبدو في الوصول الى البنتاجون ، ففي نفس الاسبوع طلبت وزارة الدفاع من « ناسا » تأجيل المفاوضات مع الدول الاخرى المهتمة ـ بالمحطة الفضائية حتى يقرر العسكريون الكيفية التى قد يستخدمونها بها .

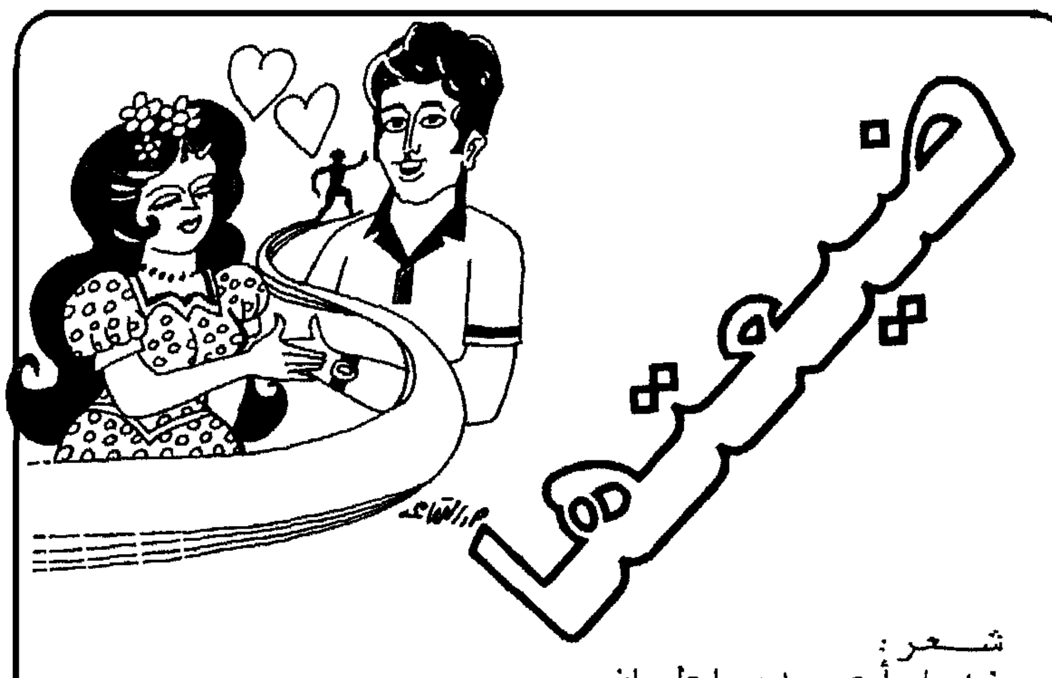
وبينما سلم المسئولون في ناسا بانهم قد فوجئوا بطلب وزارة الدفاع ، فقد صرحوا بانهم سيحترمونه ذلك أن برنامجهم وان كان مخصصا لاستعمالات الفضاء السلمية فهو لا يستبعد القيام بأبحاث لوزارة الدفاع الامريكية .. وحتى فلتشر نفسه فانه كان قد اكد خلال الحديث السابق الاشارة اليه على أن «ناسا» ستستمر في خدمة المؤسسة العسكرية وأن وزارة الدفاع ستكون دائما عميلا رئيسيا لمكوك الفضاء ، واشار الى ان المكوك سيسهم ، اضافة الى دوره في اطلاق اقمار صناعية عسكرية ، في انشاء منصة فضائية ـ لابحاث مبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) ، وتوحي التقارير الاخيرة بان احتياجات الباحثين في مبادرة الدفاع قد تفسر اهتمام وزارة الدفاع المفاجىء بالمحطة الفضائية .

وأبدى بيتر بانكس الذي يترأس لجنة استشارية تقدم لـ «ناسا» النصح حول الانشطة الفضائية العلمية ، ابدى انزعاجه من مشاركة العسكريين في المحطة الفضائية ، وتوقع انسحاب اليابان فورا من المشروع ، وبين أن دولا أخرى قد تتبعها ، وقال أن المحطة الفضائية ستنجح بفضل المشاركة الدولية لا بسبب المشاركة العسكرية .

المهم أن عسكرة المحطة ، وبعد ضغوط الميزانية ، قد تنسف البرنامج العلمي لابحاث الفضاء الذى وصفه فلتشر بأنه في حالة مرعبة من التشوش ، من دون ذلك .. فقد ارجأ حادث تشالنجر اطلاق اجهزة فضائية علمية واوضح دوناهيو ان ثمة خطرا من ان يؤدى الارتباك في برنامج البحث العلمي الى عزوف طلاب الدراسات العليا عن دراسة علوم الفلك مما سيؤدى الى انكماش عدد الباحثين في هذا المجال ..

وكخطوة في سبيل استعادة قدرة « ناسا » على اطلاق الاجهزة العلمية أشار فلتشر الى نية الوكالة اقتناء اسطول من صواريخ الحمل (التى تستخدم لمرة واحدة) واعترف بان قرار وقف برامج هذه الصواريخ في أواخر السبعينات من اجل تركيز جميع الموارد للمكوك ربما كان قرارا خاطئا ..

والى جوار الاعتبارات العسكرية على المهتمين بابحاث الفضاء مواجهة الاهتمامات التجارية للوكالة ، بالذات ومازال الخلاف حول الامكانات التجارية للفضاء قائما على قدم وساق ..



شعر:
نبيل أحمد سلطان

ياعين بكّى ما بدالك واسكبى حزنا عليها
إنى شربت الحب يوم شربته من راحتيها
وحفظت يوم حفظت شعر العاشقين على يديها
(انسانة فتانة) خلق الحيا من وجنيتها

فى طرفها حور وسحر هادىء فى مقلتيها
غنيت من جدى بها وكتبت أشعارى اليها
أحببتها وهجرتها وبكيت من أسفى عليها

★★★

ياسلوة الماضى البعيد وغنوة الشعر الأصيل
وفتات أشعار من التشبيب والغزل الجميل

ومودة دامت وما بليت من الزمن الطويل
لاتحسبى أنى قصدتك تائبا كى تغفرى لى
فخطيئتى كبرى وذنبى ليس بالشىء القليل

بقلم : حسين أحمد أمين

عبد الرحمن الداخل

٧٣١ - ٧٨٨ م

قال الخليفة العباسى المنصور يوما لأصحابه : أخبرونى عن صقر قريش من هو ؟ قالوا : أنت . قال . : لا . قالوا : فمعاوية قال : ولا هذا . قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن ياأمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته .

كان العباسيون بعد إطاحتهم بحكم الأمويين الذى دام تسعين سنة ، قد أصدروا الامر عام ٧٥٠ م باستئصال كافة افراد البيت الأموى ، وانتشرت عيونهم فى كل قطر يتعقبون اخبارهم وكان من بين القلة التى نجت من سيوف العباسيين شاب فى التاسعة عشرة هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، الذى فر من العراق عبر الصحراء السورية الى فلسطين ، ثم عبر صحراء سيناء الى مصر ، ثم عبر أقطار شمال أفريقيا الى الأندلس التى فتحها أجداده الأمويون .

كانت الأندلس فى ذلك الحين فى حال من الفوضى شاملة ، وحرب أهلية بين عرب الجنوب (اليمانيين) وعرب الشمال (القيسيين) الذين لم يتناسوا ثاراتهم وأحقادهم القديمة وجددوا نزاعاتهم الجاهلية .. كان القيسيون سنيين ، واليمانيون شيعيين ، والبربر معادين لهم جميعا ومعظمهم من الخوارج ، واهل البلد من الأسبان يتحينون الفرص للتخلص من كافتهم . وقد تعاقب على الحكم خلال ثلاثة وعشرين عاما قبل ظهور عبد الرحمن بينهم ثلاثة وعشرون أميرا .

دخل عبد الرحمن الأندلس وما معه غير أربعمائة من الموالى المخلصين لبنى أمية ويحكى أنه حين نزل الى البر عام ٧٥٥ اهدى اليه جند الشام جارية جميلة فلما رآها

فى التاريخ الإسلامى



وتأمل حسنها قال : "إن هذه من القلب والعين بمكان غير أنى إن اشتغلت عنها بما أتطلع إليه ظلمتها ، وإن اشتغلت بها عما أتطلع إليه ظلمت همتى . فلا حاجة لى بها" وردها اليهم .

توافد الناس إليه يقدمون له فروض الطاعة وقد سئموا طول الصراع بينهم وافتقار الأندلس الى حاكم يرضى الجميع به . فلما امتلأت صفوف جيشه بالاتباع زحف بهم الى قرطبة فافتتحها وجعلها عاصمة ملكه . غير أنه سرعان ما نشبت بالأندلس الثورات المتتالية التى اشعلها اليمانيون والبربر ، ولم يلبث الخليفة المنصور أن ارسل جيشا من الموالين للعباسيين ليعيد الاندلس الى حكمه . وقد تمكن عبد الرحمن من اخماد الثورات والقضاء على جيش المنصور فما تولى هارون "رشيد زمام الأمور فى بغداد حتى راح

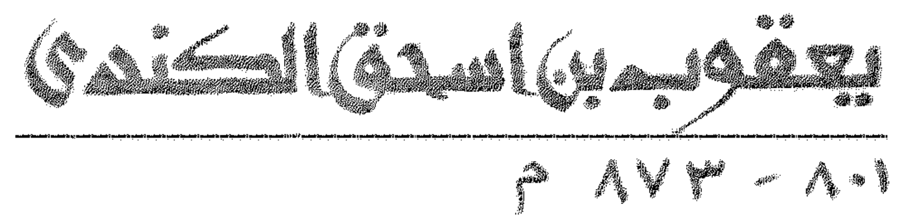
يحث شارلمان ملك الفرنجة على محاربة عدوه فى الاندلس مقابل ان يقوم الرشيد بمحاربة البيزنطيين أعداء شرلمان فعبر شرلمان جبال البرانس فى طريقه الى عبد الرحمن ، غير أن أنباء وقوع اضطرابات فى امبراطوريته اضطرته الى العودة فورا من حيث أتى دون أن يحقق بغيته فى الاندلس .

وبانسحاب الفرنجة خلا الجو لعبد الرحمن "الداخل" فلم يلق طوال السنوات الكثيرة المتبقية من حكمه أية ثورة فى الداخل أو غزو من الخارج . ويعرف له التاريخ أنه ، وهو الذى كان يقود الجيوش دائما بنفسه ، لم يخسر معركة قط ، وأن انجازاته فى زمن السلم لم تكن بدون إنجازاته فى زمن الحرب . فقد وضع لدولته اسسا فى التنظيم والادارة دامت قرنين ونصف قرن باستثناء بعض التعديلات التى أدخلها عليها عبد الرحمن الثالث . وقد وجد عبد الرحمن الجيش وقت دخوله الأندلس منظما حسب الطريقة العربية القبلية البدائية ، فأنشأ جيشا نظاميا قوامه اربعون الف مقاتل . ورأى أسبانيا معرضة للغزو من البحر من ثلاث جهات ، فأنشأ نواة لأسطول بحرى هو الاول من نوعه فى الأندلس الاسلامية ، وهو الذى أصبح فى عهد عبد الرحمن الثالث أقوى اسطول فى غربى البحر الأبيض المتوسط .

كذلك بلغت الاندلس فى عهده قمة جديدة من النمو الاقتصادى والرقى الحضارى ، مما مهد الطريق لعصر طويل من الازدهار لن تعرفه اسبانيا من قبل وبحيث اضحت قرطبة تنافس القسطنطينيه وبغداد فى الفخامة ورغد العيش ورعاية العلوم والفنون واشتهرت لدى العرب وغير العرب باسم عروس الاندلس وجوهرة الدنيا .

واقدم عبد الرحمن قبل وفاته بثلاث سنوات على إعادة بناء مسجد قرطبة وتوسيعه ، بحيث اصبح سقفه يقوم على غابة كثيفة من الاعمدة الفخمة (١٢٩٣ عمودا) وأصبح كعبة المسلمين فى غرب العالم الاسلامى ولا يزال المسجد الى اليوم قائما ، ويعدّ ، بعد قصر الحمراء أكثر الاماكن الاثرية فى الاندلس اجتذابا للسياح .

وكان عبد الرحمن الى جانب هذا كله شاعرا وخطيبا مجيدا غير أن التاريخ سيذكر لهذا الشاب الطريد الشريد انه تمكن بكياسته وصلابته من أن يؤسس الدولة الأموية المجيدة الثانية التى ظلت قائمة فى الاندلس حتى عام ١٠٣١ ، وأن يجابه فى نجاح عداوة أقوى وأعظم حاكمين فى الشرق والغرب (هارون الرشيد وشرلمان) وأن يقضى على الفتن والثورات والعداوات التى كادت لولا دخوله الأندلس أن تعصف بالحكم الاسلامى فى تلك الدولة .



اول فلاسفة الاسلام ، والفيلسوف الاسلامى الوحيد ذو الأصل العربى ، ولذا لقب بفيلسوف العرب . وإليه يرجع الفضل فى إقامة حرم ثابت للفكر اليونانى فى الحضارة

العربية .

كان علماء الدين والفقهاء والمعتزلة والصوفية يحتكرون الهيمنة على الحياة الفكرية فى دار الاسلام . واذ بدأ الفكر اليونانى يتسرب اليها فى عهدى الرشيد والمأمون عن طريق ما ترجمه النصارى السريانيون من مؤلفات الاغريق ، كان هذا الفكر تحديا صارخا للفكر العربى السائد آنذاك . فالاسلام - شأن اليهودية والمسيحية - يقوم على الوحى ويتطلب الايمان المطلق والتسليم بينما يحل الاغريق العقل فى ارفع مرتبة ، ويرونه طريق الوصول الى أية حقيقة ، وتاخذ فلسفتهم بالمنطق وحده . وقد سبق الصدام بين علماء الدين فى الإسلام والفلسفة الاغريقية ، صدام مماثل بين علماء الدين اليهود والمسيحيين وتلك الفلسفة . وهو صدام يعنى إما إخضاع الدين لأصول الفلسفة وهو مايضيع الدين معه ، واما إخضاع الفلسفة لأصول علم الدين ، وهو ما تضيع الفلسفة معه .

وقد كانت العقدة قد بلغت مبلغا مستفحلا من الاستحكام حين ظهر يعقوب الكندى فى بلاط المأمون بذكائه المتوقد ، وعقله الذى اتسع لكل صنوف المعرفة البشرية فهو منكب على دراسة الفلسفة ، وواسع الاطلاع على الكيمياء والطب وعلم الفلك والرياضيات والهندسة والطبيعة وعلوم الدين والمنطق . وهو فوق هذا شديد الثقة فى إمكان الوصول الى توفيق بين الفكر العربى الأصيل والفكر اليونانى الدخيل وبين الفلسفة الاغريقية وعلوم الدين الاسلامى . وفى هذا تكمن أهمية الكندى . فهو أول من دعا من المسلمين الى التفاهم والانسجام بين الفكرين وهى دعوة سرعان ما انتشرت فى جميع الاقطار الاسلامية وكانت عاملا نشطا مخصبا فى الفكر الاسلامى حتى القرن الثانى عشر الميلادى .

وتعتبر قائمة مؤلفات الكندى أطول قائمة فى مؤلفات العرب ، وربما فى مؤلفات العرب أو غير العرب . فابن النديم فى الفهرست يسجل له ٢٣١ عنوانا سواء فى الفلسفة أو علم النفس او الطب او البصريات او الرياضيات او الموسيقى أو الجغرافيا أو علم الفلك أو المنطق أو العلوم الطبيعية او علم السياسة .. غير أن معظم هذه المؤلفات لم يصل إلينا . والغريب أن عدد ما بقى من كتبه فى اللغة اللاتينية أكثر مما بقى من أصولها العربية . وهو ما يوحى بأن حرص الأوروبيين على الاستفادة من فكر الكندى (فيلسوف العرب !) كان أكبر من حرص بنى جلدته .

وخلاصة هذا الفكر هى أن الفلسفة أرفع شأنا ومرتبة من علوم اللاهوت والفقه والأخلاق . وبوسع الانسان أن يصل عن طريق الفلسفة الى الحقيقة التى يعتمد الأنبياء على الوحى فى الوصول اليها . غير أن المعرفة النبوية تهبط على صاحبها دون جهد أو

مشقة ، فى حين يحصل الفيلسوف على الحقيقة بكد منه وتعب ، وإخضاع كل خطوة فكرية للتجربة والمنطق والبرهان .. كذلك فإن النبوة امتياز يمنح لقلة من البشر ، بينما الفلسفة بابها مفتوح لكل من شاء من الناس وعلى أى حال فإن المعرفة التى يحصل عليها النبى الكامل هى ذات المعرفة التى يتوصل اليها الفيلسوف المقتدر .

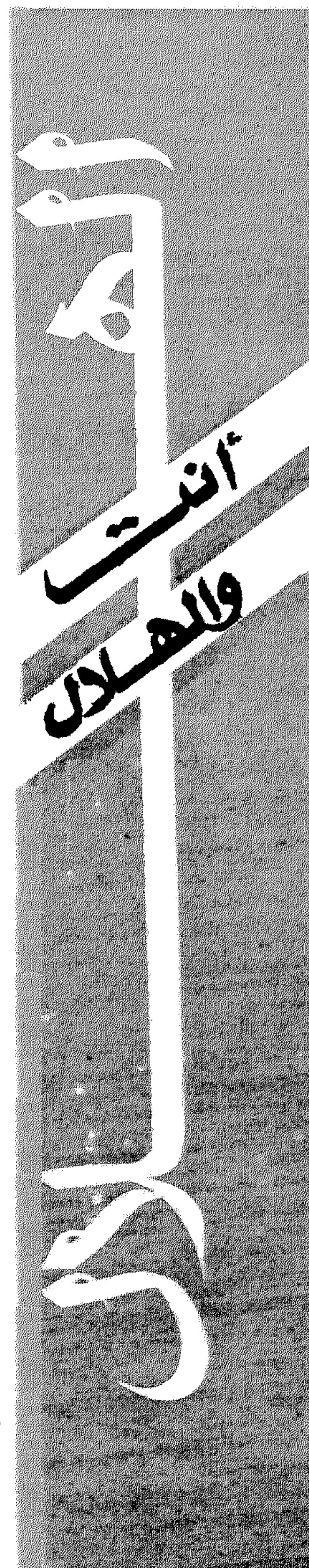
وعند الكندى ان الله يسير العالم المادى بؤاسطة قوانين طبيعية وضعها كى تكون بمثابة سبل ومسالك تسير المادة بموجبها دون ما حاجة الى تدخل من الله لاحق . والعلل التى تسير الكون محدودة فى الزمان والمكان اما الله فقديم ، هو العلة الأولى ، وهو العلة الحقيقية ، وعلة العلل هو يفعل ولا يتفعل ، يرى ولايرى يحرك ولايتحرك .

اما الروح فهى ليست جسما بل هى جوهر واحد بسيط ، ومنبثق من الله كما ينبثق النور من الشمس . واصلها الالهى هذا يميزها عن الجسد وشهواته حتى اذا ما انفصلت عن الجسد عادت الى حيث اتت ، أى الى النور الالهى وباتت لها القدرة على أن ترى الحق سبحانه .

وللكندى فضل كبير فى انه كان أول من لجأ الى التفسير الرمزى للآيات القرآنية . فعن آية "والنجم والشجر يسجدان" مثلا يقول إن السجود هنا يختلف عن معنى السجود فى الصلاة إذ هو فى هذه الاية يعنى الطاعة ، واتباع المخلوقات كافة للقوانين التى وضعها الله لها .. وقد كان هذا التفسير الرمزى للنصوص الدينية الذى بدأه الكندى وتبعه فيه الكثيرون بعده ، أداة خير فى تطور الفكر الاسلامى وانتفع بها المسلمون المستنيرون فى العصر الحديث .

وقد كان الكندى على رأس جماعة العقلانيين المتحررين التى شملها المأمون برعايته غير أنه ما أفضت الخلافة الى المتوكل ونشأت ردة فعل عنيفة ضد حركة النظر العقلى حتى فقد الكندى مركزه فى البلاط ، بل وأمر الخليفة الجديد بجلده خمسين جلدة ، ومصادرة مكتبته الضخمة .





● ندوة العقاد ●

● هذه ملاحظات على مقال الدكتور الطاهر احمد مكى فى هلال يونيو الماضى عن « ندوة العقاد » ·· فقد قال ان العقاد كان يكتب فى جريدة السياسة لسان حزب السعديين ، فى حين أن جريدة السياسة كانت لسان حزب الاحرار الدستوريين ، ولم يكتب فيها العقاد قط ·· أما جريدة السعديين فكان اسمها « الاساس » وكان العقاد يكتب فيها ·· وذكر الدكتور مكى أن العقاد كان يكتب فى الكتلة أيضا وهذا غير صحيح ، الا ما كانت تنقله الكتلة أحيانا من كلمات فى باب « أقوال الصحف » ·

كما جاء فى نفس المقال ان عناد العقاد فى خصومة الوفد أركبه الشطط فكتب فى « مجلة » روز اليوسف مقاله الشهير فى صفحتها الاولى وبعنوان على عرض الصفحة كلها : « ملك ديمقراطى وسوقة مستبدة » ·· وهنا أيضا نسى الدكتور أن المقال نشر فى جريدة روز اليوسف اليومية التى لم يكتب لها الاستمرار

وهناك نقطة أخرى هامة تطرق لها الدكتور ولم يحاول الغوص فى حقيقتها وأسبابها ·· وهى مهاجمة العقاد لهتلر عدو الانجليز ، وقوله ان العقاد أبعد ما يكون عن العمالة وكراهيته للاستبداد والديكتاتورية بلا حدود · وهنا نتساءل عن صحة هذه المقولة على ضوء مواقف العقاد المتناقضة حيث كان المدافع الاقوى عن الوفد فى عهد سعد زغلول وعهد مصطفى النحاس ثم انقلب الى الضد تماما عندما انشق فى روز اليوسف عن الوفد وأصبح المهاجم الاول للوفد وقيادته التى أمضى عمره دفاعا عنها ، ثم انضم لاحزاب الاقلية والسراى الملكية الفاسدة ونسى أنه قد سجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ·

كيف كان العقاد وكيف أصبح المدافع عن الملك وعن رئيس حزب الاحرار الدستوريين الذى حكم البلد بالحديد والنار والذى أطلق عليه « صاحب اليد الحديدية » · هذا هو المعسكر الذى انضم اليه من يقول عنه الدكتور ان كراهيته للديكتاتورية والاستبداد بلا حدود ؟!

ونرجع الى مهاجمته هتلر والنازية وننسى أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان مجندا للدفاع عن الحلفاء بصفة عامة ومهاجما لدول المحور ·· ويحضرنى الان أن قيادة القوات البريطانية عندما واصل روميل زحفه داخل الاراضى المصرية حتى وصل الى العلمين قد بادرت الى احراق أوراقها ونقل كل هام لديها الى الخرطوم · وكان أول من نقل الى الخرطوم الاستاذ العقاد · فهل كان نقله الى السودان خوفا وهلعا من انتقام الالمان عند احتلالهم مصر ؟! هذا احتمال ممكن · أم أن الحلفاء هم الذين نقلوه حتى يستمر فى القيام بواجباته الدعائية ضد

دول المحور وهذا احتمال أيضا ممكن ، وهذه نقطة مازالت فى حاجة الى فحص وتدقيق .

والحقيقة أن هناك نواحى كثيرة فى شخصية العقـــاد وتصرفاته وأفكاره وتناقضاتها تحتاج الى مزيد من الدراسة .

محمود شرف
وكيل وزارة التعمير سابقا
٣ شارع ٢٤ زهراء حلوان

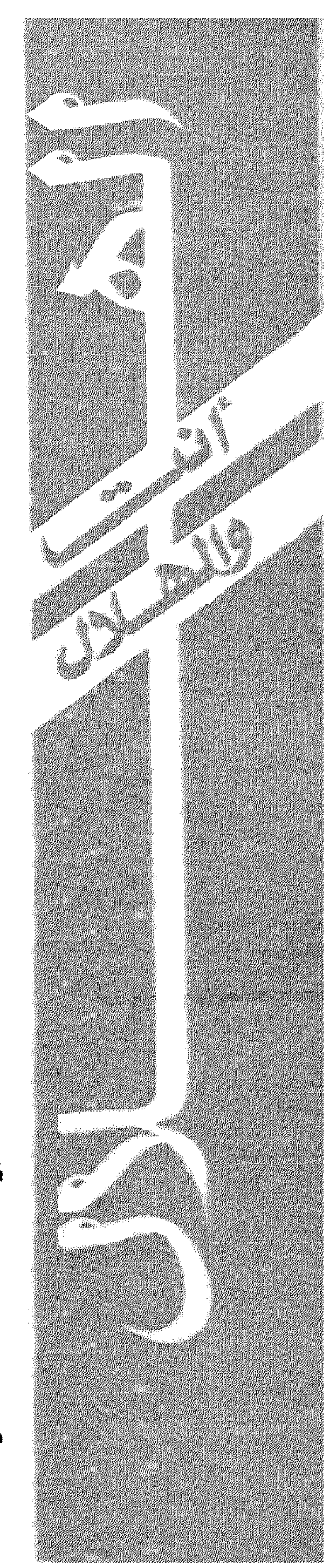
● تعليق الهـلال :

ـ لعل الاستاذ محمود شرف اطلع فى عدد يوليو الماضى على تصحيح احد قرائنا لاسماء الصحف التي كتب فيها العقاد،وهو نفس التصحيح الذى يذكـره في ملاحظاته .. واما انضمام العقاد لاحزاب الاقلية بعد دفاعه الطويل عن الوفد ، فلم يكن سببه ـ فى رأى العقـــاد ـ تمسك الوفد بالديمقراطية والدستور ، بل كان سببه عكس ذلك ، واما هجومه على هتلر خلال الحـرب العالمية الثانية فكان ـ في رأينا ـ موقفا صحيحا ولم يكن العقاد يتقاضى أجرا عليه ، كذلك كان مدحه الملك فاروق فى حينه لاغبار عليه لان فساد فاروق لم يكن قد مـلأ الدنيا وشـغل الناس ، وكانت اغلبية الناس حينذاك تظن به خيرا .. الا ان العقاد في مواقفه وكتاباته ، مازال فى حاجة الى دراسات عميقة كما تقولون ..

● كل صباح ●

كل صباح
اذهب للبحر .. ساعة ضيقى
فالبحر صديقى !
ايام مرت من عمرى ..
يا سيدنا البحر
هل تقدر ان تقرأ كفى
قال البحر
قم واغسل ثوبك
طهر نفسك
دع عنك خيالاتك
حلمك عن يوم ياتى
مثل الشمس
احلامك عن نشوة شعرك ذابت
ذابت كالثلج
ماضى عمرك غامض
لا يفصح عن شىء ياتى .. !!

السـيد إبراهيم عطية
كفـر صقر



● أدباء آخر زمن ●

● في عدد أكتوبر الماضي من الهلال نشرت قصة تعج بالاخطاء الاملائية والنحوية منسوبة الى من دعا نفسه : خيرى ابراهيم / سوهاج ٠

وفي عدد نوفمبر نشرت المجلة تكذيبا لخيرى السيد ابراهيم ـ الحقيقى ـ ، جاء فيه أن القصة مدسوسة عليه ، وأن هناك من استغل اسمه للاساءة اليه ، وارفق برده صورة لقصة من تاليفه تؤكد دفاعه ٠

وفي العدد التالي نشرت المجلة رسالة لمن دعا نفسه خيرى السيد ابراهيم ادعى فيها أنه مدرس باحدى مدارس مركز طما بسوهاج ، وأنه يكتب القصة منذ فترة و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠٠ ويعلم الله مدى زيفه وبهتانه ٠

وفي عدد تالى نشرت مجلتكم قصيدة لمن دعا نفسه : اوفى عبد الله الانور / سوهاج بها من الاخطاء ما لا يقع فيه طالب بالاعدادية ، فما البال بخريج دار العلوم ٠٠

وفي هذا العدد ـ يونيو ـ نشرتم ردا على قصة ارسلها من ادعى ـ أيضا ـ أنه القاص الكبير حسين علام ٠ ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان القصة تزخربالاخطاء والفجاجة ٠

ولانى أعرف جميع أدباء سوهاج تقريبا ، واعرف حجم كل منهم ، اقرر بضمير مطمئن ان الرسالات الموقعة باسماء : خيرى السيد ، اوفي عبد الله ، حسين علام مدسوسة عليهم من جرثومة دبت مؤخرا فى عصب الحياة الثقافية بسوهاج ، تجد فى الاساءة الى الادباء متنفسا ٠

الواقع يقول ـ واسمحوا لى بهذا التجاوز ـ ان استغلال مجلتكم الموقرة فى هذا العمل راجع الى عدم متابعتها للحركة الادبية بالاقاليم ، ومن ثم فيمكن ارسال اى عمل باى اسم مطلوب الاساءة اليه والتشهير به ، فى الوقت الذى لا تستطيع تلك الجرثومة ان تاتى فعلتها المفضوحة فى الصفحات الادبية بالصحف لمعرفة القائمين عليها بالرموز الادبية بالاقاليم ، ومن ثم استطاعتها التفريق بين الحقيقى والزائف ٠

وحتى نسد الباب امام هذا العبث اللامسئول ، اقترح عدم نشر اية رسالة او ابداع منسوهاج الا اذا ارفق به بطاقته الشخصية او العائلية ٠٠٠ وأبدأ بنفسى ٠

فاروق حسان السيد
سوهاج

● تعليق الهلال :

ـ ان الفساد الذى دب الى الحياة الادبية فى سوهاج قد دب ايضا الى الحياة الادبية فى كل المحافظات ٠ ولم يعد هنا

« رموز » كما تقول يشار اليها بالبنان ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، واستسهل الناس الشعر والقصة والادب ، وصار فى مصر عشرة آلاف شاعر وقاص وكاتب مقال !‥ وقد نبهنا صديقنا الاستاذ محمد جبريل فى صفحته الادبية القيمة بجريدة « المساء » الى « الادباتية » الجهلاء الذين يدسون علينا انتاجهم الركيك باسماء غير اسمائهم ، ولكننا مهما اتخذنا من احتياطات فلن نسد هذا الباب من ابواب الفساد فى الحياة الادبية ، لان فسادها يتصل بالفساد الشامل الذى يضرب نواحى كثيرة فى حياة الناس ·

• أمة العرب •

امة العرب ، يا فخار الانام
من قديم ، وامجد الأقوام
فجر احلامكم سناه تجلى
بعد ليل الخطوب والآلام
فاحطموا القيد ، وانشطوا من عقال الـ
اسر ، واستمتعوا بعيش الكرام
واجمعوا شملكم ، وصونوا حماكم
باتحاد القوى ، ورعى الذمام
واحذروا فتنة الدخيل المداجي
واقتلوا دسه بسيف الوئام
فهو يسعى لأن تعيشوا ضعافا
فى صراع ، وفرقة ، وانقسام

محمد امين الجنيدى
كوم حمادة ـ خربتا





بيروت الاحرف تسقط حرفا تلو الآخر
ما ابشع بلوانا ···
عورتنا مازالت ملقاة فوق الانقاض
انقاض العالم قد جمعت فى ارضك
كى تروى للعالم ···
أسطورة عصر تترى
بيروت ···
انشودة حزن تتلوى فى حلق الطفل
الأب ··· المجد
الطير ···
اطيارك يا بيروت ···

لا تملك زادا ... لا تملك غير الخوف
بيـروت ...
أرجاؤك ما عادت ارجاء ... بل اوراق ...
تتبعثر فى كثبان الريح
والصمت دواء عار يتلوى ...
كالأفعى فى جوف الحلم
والحلم ينـادى
والحلم ينا ... د ... ى !

محمود مغربى محمد
قنـا

● ابن المتنبى وابن المعرى ●

● حزنت كثيرا لما وصلت اليه حـال الادب فى أيامنـا عندما قرأت أخيرا فى الصفحة الادبية باحدى الجرائد اليوميـة خبرا عنوانه : « موجز أحمد » .. ونصه يقول : « صدر الجزء الثالث من شرح ديوان ابن الطيب المتنبى ، شـرحه ابن العـلاء المعرى » !..

فكاتب الخبر ومراجعه ومصححه لا يعـرفون أن عنوان الديوان هو « معجز أحمد » ..وهو عنوان مشهور جداً فى الادب العربى لان صاحبه هو أبو العلاء المعرى ، ولان صاحب الديوان هو ابو الطيب المتنبى ، وقد تفضل كاتب الخبر فسمى الاول « ابن العلاء » وسمى الثانى « ابن المتنبى » !.. وهـو خطأ عجيب غير مسبوق .. ولعلكم ستدافعون عنه وتقولون أنه خطأ مطبعى !..

عبد الواحد محمد شلبى
اسيوط ـ الحمراء

● تعليق الهـلال :

ـ هذا خطأ غير مسبوق فعلا ، فان ابا العلاء المعرى قد صار له بمقتضى هذا الخطأ « ابن » وهو القائل : « هذا جناه ابى على .. وما جنيت على احد » .. لانه لم يلد ولدا ولا بنتا ولم يتزوج فى حياته ! اما ديوان ابى الطيب المتنبى فلاول مـرة يسمى ديوان «ابن الطيب المتنبى» ، ورحـم الله « محسـدا » ابن ابى الطيب الذى قتله الاعراب كما قتلوا اباه العظيم قبـل الف سنة ! . ومع ذلك نرجح ان هذا خطأ مطبعى ، وان المسئولين عن التصحيح فى « الصفحة الادبية » لم يسمعوا فى حياتهم بشرح المعرى لديوان المتنبى المسمى « معجز أحمد » .. ولا علم لهم باسم ابى العلاء ولا باسم ابى الطيب ! .. ورحم الله اللغة العربية وأدبها وأدباءها !.

أنت والهـلال

● الثلاثة الكبار ●

● ظلت الصحف عدة أسابيع تبشرنا بالاحتفال الذى سيقام لمناسبة مرور مائة سنة على ميلاد العقاد وطه حسين ‥ ثم ـ فجأة ـ رأينا الصحف تضيف اليهما اسم مصطفى صادق الرافعى ، فما معنى هذا فى رأيكم ؟!‥

عبد رب رب النبى رجب الشافعى
الاسكندرية ـ شارع خليل مطران

● تعليق الهلال :

ـ لا ندرى معنى ذلك بالضبط ‥ فالرافعى من مواليد ١٨٨٠ والعقاد وطه حسين من مواليد ١٨٨٩ وكان يجب الاحتفال بالذكرى المئوية للرافعى سنة ١٩٨٠ أى منذ تسع سنوات ، ولكن يبدو أن المسئولين عن هـذه المهرجانات لم يتنبهوا الى اهميـة الرافعى فى ذلك الحين فالحقوه بطه والعقاد ، ليمثل الاتجـاه المحافظ فى « التنوير » اذا كان هذان يمثلان الاتجاه التقدمى !‥ ومع ذلك فان الحاق اسم الرافعى فى آخر لحظة باسم العقـاد وطه حسين ، يستحق الشكر ممن تذكروا هـذا الاديب العظيم المجهول فى وطنه !‥‥

● ضياع العيال ●

اخـلو بنفسى فابـكى   على ضـياع العيـال
لهم مطالب ‥ كثـر   والحـال فى شر حال
فى عالم ‥ ليس فيه   ما يشترى بالخيـال
فليس يؤكل (شعر)   وليس ياتى بمـال
قل ‥ طول يومك شعرا   واسهر لذاك الليـالى
فانت تنفخ ‥ لهـوا   فى (قربة) من خبال !
ياليتنى كنت (جلفا)   ولم اكن بالمثـالى ‥
‥ يلقى بنى (بجيبى)   مـا يرتجى من نوال !
لـكن جيـبى نظيف   نظافتى فى خـلالى
والدهـر ما عاد يعنى   بالخير ، او بالجمال !
كن ذا (قروش) ، واقبـل   تقبل عليك المعـالى
ولست للقرش اهـلا   وليس ذا فى احتمالى
من ثم ابكى اذا مـا   اخلو ‥ ضياع العيال !

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

أنت والهلال

● قمة الدار البيضاء ●

لقـــد عدنا ، وان عدنا　　فقد عدتم لنـا أيضـا
وعاد سماؤنا صـــفوا　　وعادت أرضنا روضـا
وكان المعود يا أحبـــا　　ب في شرع الهوى فرضـا
فسيروا للعـــلا صـــفا　　والقوا بأسكم أرضـا
وخوضوا كل معتـــرك　　يعيد حقوقكم خوضـا
بتدبيـــر وتبصـــرة　　وعزم يرفض المنقضـا
لأجـــداد لكم مجـــد　　فشيدوا مثـــله وضـا
فليس هنـــاك مستعص　　اذا ما رمتمو نهضـا

أحمد قاسم أحمد
قنـا

● مع أصدقائنا ●

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ قصيدتكم « خيط الذاكرة » جيدة ، ونرجو أن ننشرها فى أحد الاعداد القادمة ·· أما المسئول عن باب « أنت والهلال » فهو ليس الاسم الذى ذكرتموه فى رســـالتكم ·· وننشر مقطوعتك الرشيقة « كل صباح » فى هذا الباب ، قبل أن ننشر « خيـــط الذاكرة » داخل العدد !··

● عبد الرحيم الماسخ ـ نجع الماسخ ـ المراغة :

ـ شاعريتكم واضحة ، ولكن ربما يجنى عليها كثرة مـا تنظمونه من الشعر ، ورغبتكم الشديدة فى النشر دائما ·· ان التجويد يا عزيزى أهم من النشر والانتشار ·

● حسين عـــلام ـ سوهاج :

ـ هل قرأت الكلمة المنشورة فى هـــذا البـــاب للاديب السوهاجى فاروق حسان ؟! انه يقول انك تدس الرسائل الركيكة علينا نكاية فى الادباء السوهاجيين ، ونحن نصدقه لان رسالتك الجديدة طافحة بالاغـــــلاط ،ولا نصدق أن أديبا يكتبهـــا مهما كان ضعيفا · نحذرك من العودة الى الكتابة الينا بهـذه الطريقة ·· أو اثبت شخصيتك اثباتا قاطعا ··

● علي محمد علي اغا ـ سوهاج :

ـ وأنت أيضا من سوهاج ، فهل تكتب الينا باسمك أو باسم غيرك ؟!·· على كل حال لا تتعب نفسك ولا تضيع وقتك فى نظم الشعر ، اذا كنت صاحب هذا الشعر وصاحب هذا الاسم !

● أحمد محمد علي أبو زيد ـ القاهرة :

ـ قصائدكم ، أكثرها ليس موزونا ، ومعظمها نثر ·· وقد توقفنا عند قطعة لك عنوانها « أغنية من أفغانستان » ·· لم نفهم منها شيئا ·· ثم انك تقول ان جميع « قصائدك » هذه منشورة فى دواوينك ، فلماذا نعيد نشرها ؟!

● محمود عبد المجيد احمد ـ نجع حمادى :
ـ كلمتكم بعنوان « الثراء والافلاس » كلمة مدرسية بسيطة نشكرك عليها ·

● زغلول توفيق ـ بني سويف :
ـ ماذا تقصد بالمشهد التمثيلى الذى كتبته الينا بعنوان « محاكمة نوح » ·· نرجو أن تكتب رسائلك القـادمة على وجه واحد من الورقة ··

● فرج على ـ طالب بالثانوية العامة ـ قنا :
ـ نشكر لك اهتمامك بالشعر والادب وأنت فى هذا السن الصغيرة ، ولكن شعرك مازال يفتقر الى الاوزان !

● عبد الناصر عبد الرحيم احمد ـ السويس :
ـ شعرك غارق فى الاستعارات العجيبة المستحيلة ·· حاول أن تكون أكثر بساطة ، وأن تجعل شعرك مفهوما ·

● محمد على الخوربى ـ صنعاء ـ اليمن :
ـ أما قصيدتكم فقد سبق الرد عليها ولا تتسع المجلة لنشر كل ما يصلها من الشعر ، وأمـا قصـــــة « انشتين هناك » فهى بداية لطريق طويل فى القصة القصيرة اذا كنت تعتزم أن تكتب القصص القصيرة ·

● صلاح شفيع ـ مدرس لغة عربية بثانوية بلقاس :
ـ قصتك القصيرة جدا التى عنوانها « ٨ ديسمبر » تحتاج الى من يشرحها للقارىء !

● رفعت عبد الوهاب المرصفى ـ شارع شبرا ـ القاهرة :
ـ نشكرك على حسن ظنك وتقبلك النقد بصدر رحب ونرحب برسائلك ·

● جابر يوسف صادق ـ قنـا :
ـ أنت ـ كما تقول ـ مازلت تحتاج الى معرفة الاوزان ·

● يوسف عبد العزيز ـ كوم عمران ـ قنا :
ـ قصيدتكم جيدة الاوزان ، ونرجو أن تستمروا فى الكتابة الينا ·

● أبو بكر محمد محمد حسانين ـ ابو تشت :
ـ خطكم هو المشكلة ، فنحن نقرؤه بصعوبة ، ونأسف لضيق المجال فى شهر مارس الماضى عن نشر بعض تعليقاتكم ·

● محمد امين عيسوى ـ الاسماعيلية :
ـ نشكركم على ما أرسلتموه الينا من مقتطفات من الشعر العربى القديم عن « طيف الخيال » ·· ونتمنى لكم وقتا سـعيدا مع هذه المقتطفات الجميلة ، ولولا ضيق المجال لنشرنا بعضها ·

● عاصم فريد البرقوقى ـ جليم ـ الاسكندرية :
ـ الادمان ـ كما تقولون ـ مقبرة للاديب ، وهو أيضا مقبرة للفنان ولكل انسان !

لقاء وحيد مع العقاد

ظل العقاد بالنسبة لي يمثل حالة من حالات الرعب الذى لا يغيب ، حتى بعد أن قرأت له بعضا من عمله الشامخ دون أن أتحول إلى واحد من قرائه المولعين ولا الكارهين .

فلقد حدث أننى الآخر لم أحصل إلا على الابتدائية ، ولكنى بدأت أروح وارجع أمام الأهل والأصدقاء محملا بمزيد من الكتب ، مما جعلنى معرضا بين حين وآخر إلى سماع هذه العبارة المجزية .

«حضرته فاكر نفسه العقاد» . وهكذا تحول الرجل الذى مثل مع طه حسين جناحي الأسطورة التى هيمنت على حياتنا الفكرية والروحية إلى هولة رهيبة لافضيلة لها إلا الدراية به .

وفى أحد أيام عام ١٩٦٣ كنت فى زيارة الكاتب الراحل ضياء الشرقاوى بالشركة التى كان يعمل بها فى عمارة الايموبيليا ، وغادرته ، وما أن تقدمته فى شارع شريف حتى فوجئت بالعقاد يأتى على نفس الرصيف ، وأمامى .

تسمرت فى مكانى ، استوعبته كله دفعة واحدة : القامة المديدة ، البدلة الفاتحة ، والنظارة ، والكوفية الرفيعة الطويلة ، والطربوش القصير المائل ، (هل كان يرتدى الطربوش حقا أم أن خيالى هو الذى يضيفه الآن ؟) .

ومثل كل أسطورة جليلة يمكن لها أن تدب على قدمين احتل الاطار المهيأ له فى روحى احتلالا كاملا ، دون زيادة ولا نقصان .

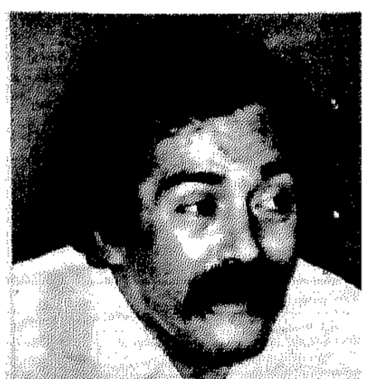
وعندما اقترب ، رفعت وجهى ورأيت العينين الصافيتين ، ولما عبرنى ، استدرت ، ومشيت وراءه ـ وايقنت أن العقاد لو كان أطول من هذا ، أو أقصر من ذلك بمقدار اصبع واحدة ، لما أمكن له أن يكون العقاد أبدا .

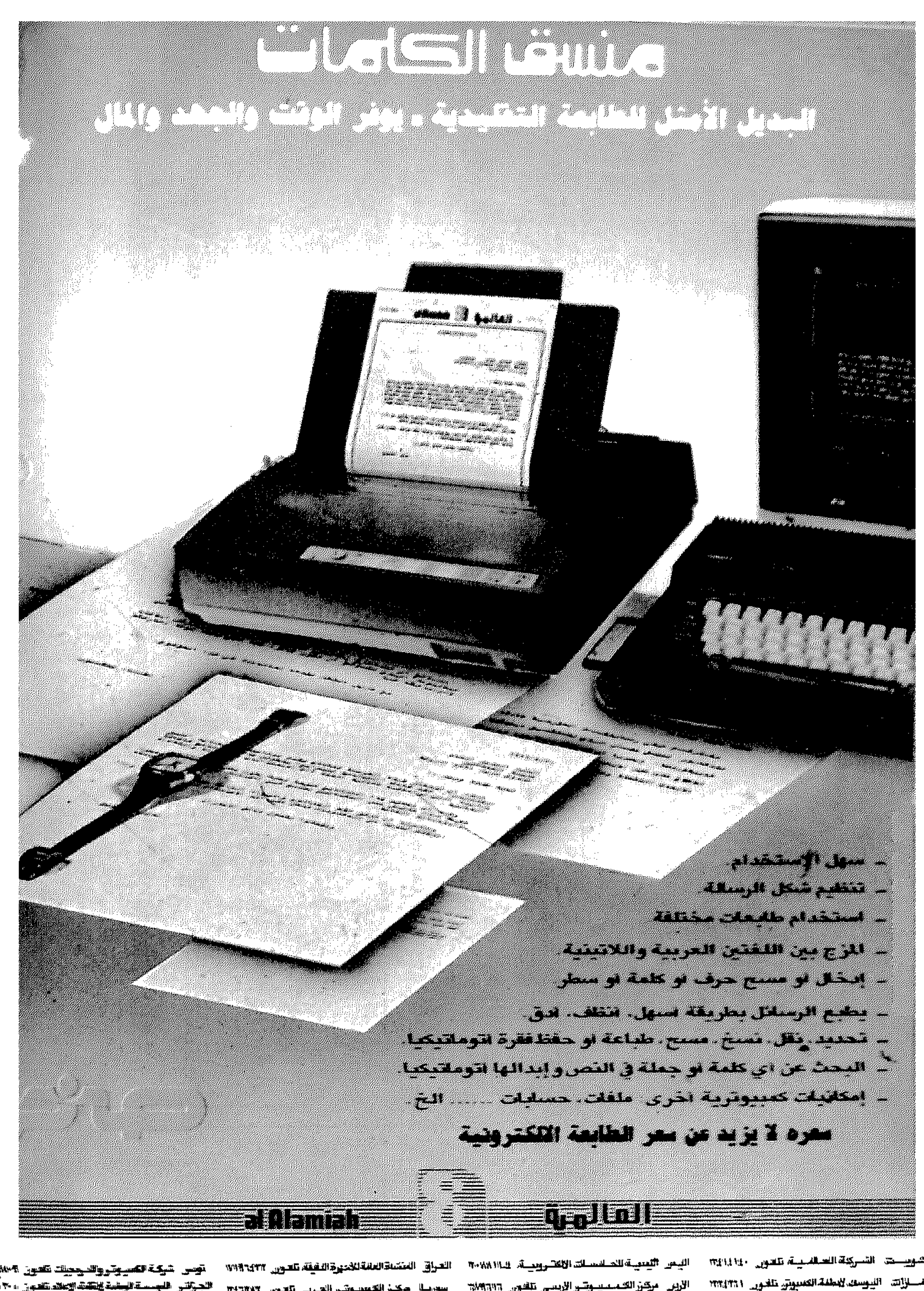
ولم يمر وقت حتى وقف أمام واحدة من المكتبات الصغيرة . لم تكن هناك كتب ، بل ادوات كتابية . ورأيته ينحنى تماما ، ويتأمل قلما فى علبة مفتوحة على رصف معلق ، فعل ذلك ثم مد يده إلى جيب سترته واخرج قلمه ، وانحنى أكثر وهو يمسكه بين يديه وتأمله هو الآخر ، ثم تأمل القلد المعروض واستغرق طويلا فى المقارنة بين القلمين . اقتربت بدورى وقد تصورته وجد قرينا لقلمه ، وقفت على بعد خطوتين عن يمينه ، رأيت القلم المعروض ، ورأيت القلم الذى يمسكه بين يديه ، واصابتنى دهشة بالغة .

لم يكن هناك وجه للشبه أو المقارنة بين القلمين لافى الحجم ولا فى اللون ، وهكذا وقفت ساكنا وشعرت أنه أحس بى دون أن يلتفت ثم أعاد القلم إلى جيبه وهو ينتصب ، ويبتعد حتى استدار مع ناصية المبنى الكبير واختفى .

بعد ذلك بشهور قليلة مات .

ابراهيم أصلان





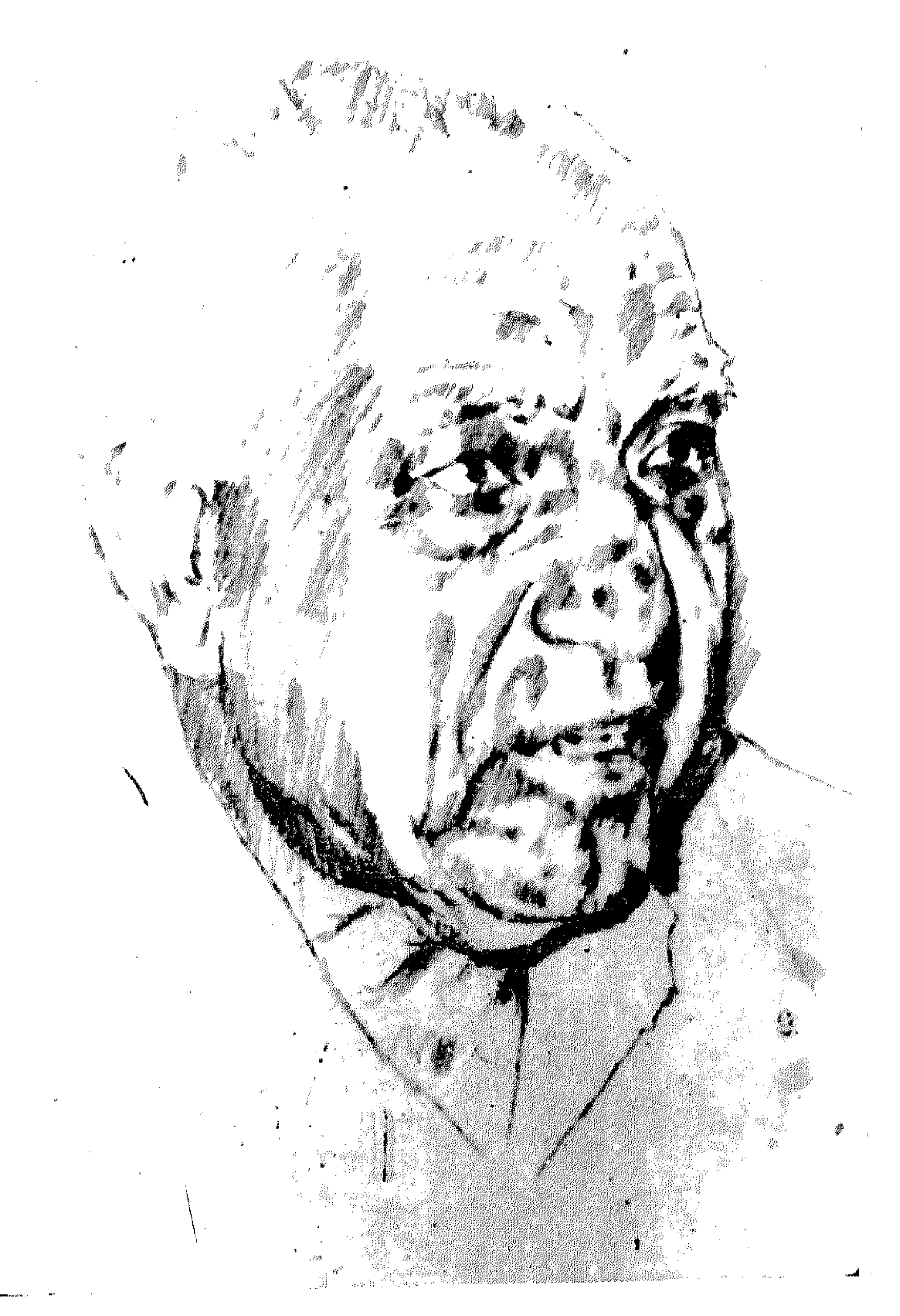
منسق الكلمات
البديل الأمثل للطابعة التقليدية . يوفر الوقت والجهد والمال
ـ سهل الإستخدام.
ـ تنظيم شكل الرسالة.
ـ استخدام طابعات مختلفة
ـ المزج بين اللغتين العربية واللاتينية
ـ إدخال او مسح حرف او كلمة او سطر
ـ يطبع الرسائل بطريقة اسهل، انظف، ادق
ـ تحديد، نقل، نسخ، مسح، طباعة او حفظ فقرة اتوماتيكيا.
ـ البحث عن اي كلمة او جملة في النص وإبدالها اتوماتيكيا.
ـ إمكانيات كمبيوترية اخرى ملفات، حسابات ...... الخ.
سعره لا يزيد عن سعر الطابعة الالكترونية
al Alamiah
العالمية



سبتمبر ١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا

الأدب وقهر المرأة

حكاية القاهرة ! شابة ومتصابية



صلاح أبو سيف

القاهرة عاصمة السينما فى الوطن العربى ما فى ذلك شك .

وهى ما كان يمكن أن تصبح تلك العاصمة التى تتطلع الى افلامها الأبصار من المحيط الى الخليج ، لولا كوكبة من رواد أوائل لمع من بينها اسم « صلاح أبوسيف » الفائز بجائزة الدولة التقديرية .

ولا غرابة فى هذا الانفراد بالتالق والتميز .

فحياته منذ البداية تدور حول السينما وجودا وعدما .

فهو ما أن اكتشف دنيا الأطياف حتى فتن بها فاذا به يشاهد الأفلام بانتظام منذ أن كان صبيا .

يؤلفها منذ أن كان شابا فتيا .

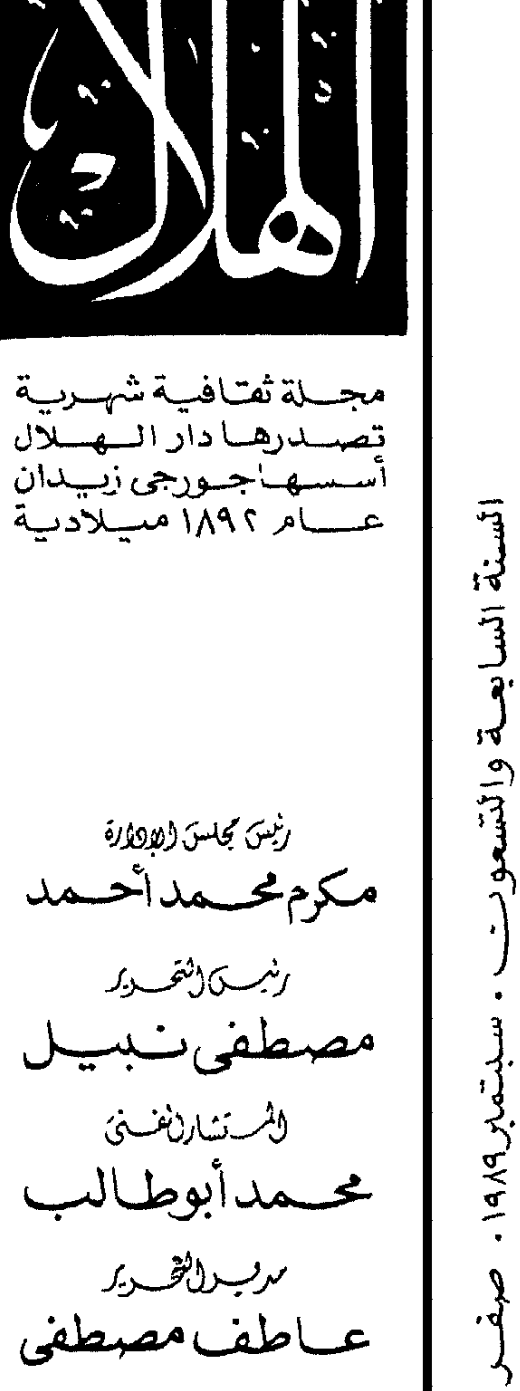
يخرجها منذ خمسة واربعين عاما ويواصل ابداعها رغم انه بلغ من الكبر عتيا .

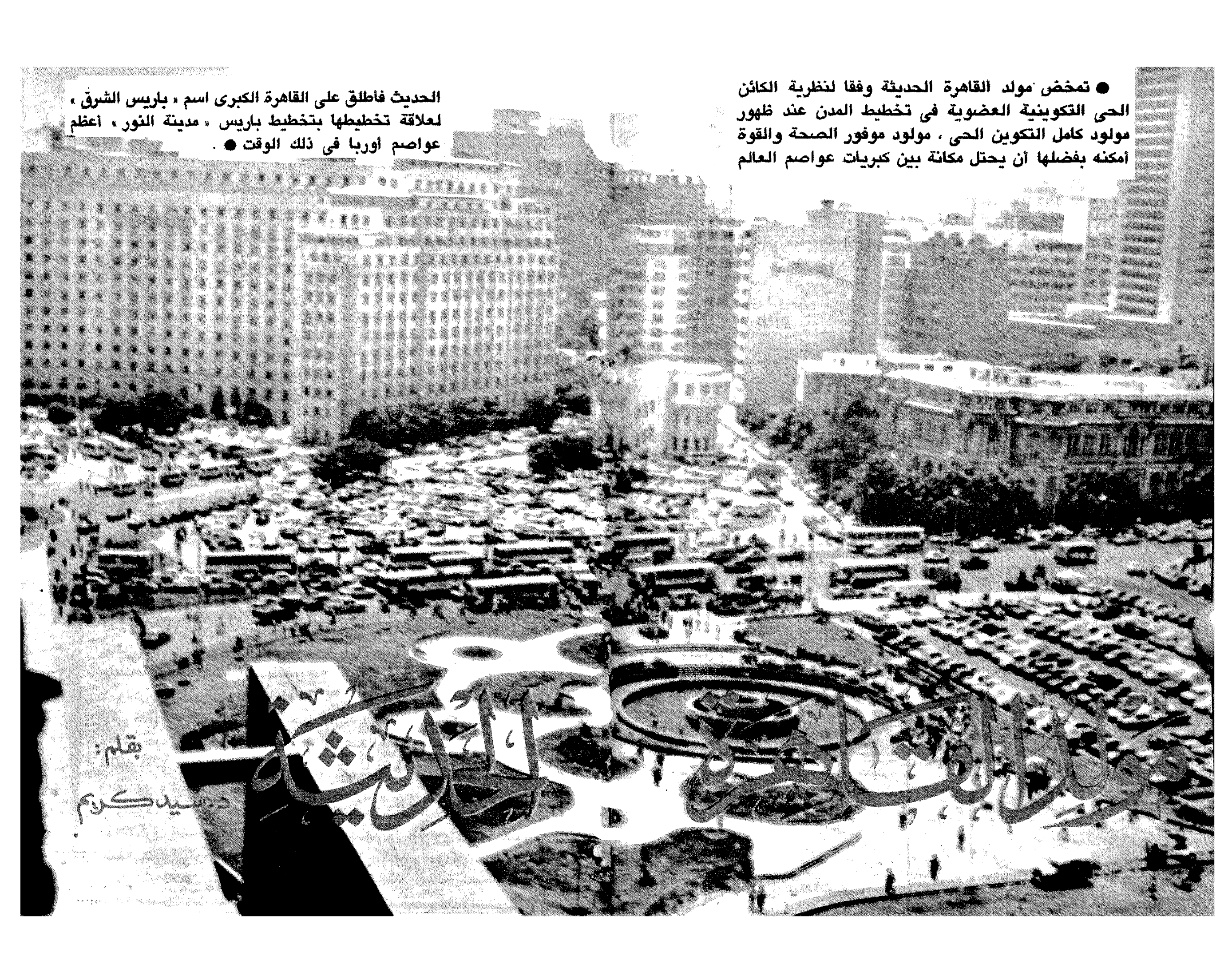
ولقد استطاع الفنان صلاح أبوسيف ، بفضل كل هذا الحب والمثابرة ، علاوة على موهبة الابداع السينمائى ، أن يرسم بالكاميرا قطاعات حية أخاذة من المجتمع المصرى ابان النصف الأول من القرن العشرين ، مجتمع الوحش وريا وسكينة والفتوة وغير ذلك من افلام امتعت الجماهير ولاتزال .

وأن يترجم قاهرة نجيب محفوظ وأمين يوسف غراب ويوسف السباعى الى لغة السينما فى بداية ونهاية وفضيحة فى القاهرة ٣٠ وشباب امرأة والسقا مات .

وهو بهذا المحصول السينمائى الوفير يكون قد لعب دورا كبيرا حاسما فى ولادة السينما المصرية من جديد ، فى الانتقال بها من مرحلة الطفولة حيث كانت بدائية تحبو الى مرحلة أكثر نضجا واكتمالا ، ترنو فيها الى واقعية بلا شطآن .

اقرأ صلاح أبوسيف
صعود الى الواقعية .
ص ١١٠





مولد القاهرة الحديثة

بقلم: د. سيد كريم

● تمخض مولد القاهرة الحديثة وفقا لنظرية الكائن الحى التكوينية العضوية فى تخطيط المدن عند ظهور مولود كامل التكوين الحى ، مولود موفور الصحة والقوة أمكنه بفضلها أن يحتل مكانة بين كبريات عواصم العالم الحديث فاطلق على القاهرة الكبرى اسم « باريس الشرق » لعلاقة تخطيطها بتخطيط باريس « مدينة النور » أعظم عواصم أوربا فى ذلك الوقت ● .



نحن فى انتظار قصتك القصيرة

فى جميع مراحله ، خلال مائة عام تقريبا ، فتح "الهلال" صفحاته للموهوبين من الأدباء والمفكرين والشعراء والفنانين ، فلم يقتصر على نشر إنتاج الأعلام والقمم والمشاهير ، بل عنى دائما بتقديم أسماء جديدة ، ونجحت الأسماء الجديدة فى أكثر الأحيان فى إثبات جدارتها ، ووصلت كلماتها ونفثاتها إلى القراء فى مصر والعالم العربى ، وإلى كل قارىء عربى فى كل مكان من العالم ..

وكانت "المسابقات" أو "المباريات" من وسائل "الهلال" فى اكتشاف المواهب الجديدة الناضجة أو الواعدة بالنضج ، وإن كنا نعترف بأن الظروف لم تتح لنا خلال السنوات الطويلة الماضية أن نقيم أية مسابقة أو مباراة ، لأن أصحاب الأدب والفن وطرائق التعبير الأخرى ، انشغلوا منذ نكسة ١٩٦٧ بمصاب الوطن ، وتمزقت الأجيال الجديدة فى هذه المجالات بحثا عن الطريق ، وتدهورت الثقافة ، ومال ركن الأدب ، وتفكك الشعر ، ثم غلبت على بصائر الناس وأبصارهم الشاشة الصغيرة الملونة ، فصارت أستاذة العصر ، ورائدة الفكر ، وموئل المعرفة والثقافة والترفيه لسواد الناس !..

ولكن المصدر الأساسى للثقافة مازال هو الحرف المطبوع ، وسوف يبقى كذلك ، ونتوقع أن يزداد عدد الأدباء الذين يكتبون القصة والمقالة والمسرحية والقصيدة ، مهما ازداد عدد كُتّاب السيناريو والحوار التليفزيونى والمخرجين والممثلين فى المسلسلات وأفلام السينما والفيديو وغيرها ..

وسوف يزداد مع عدد الأقلام التى تكتب الحرف المطبوع ، عدد قراء هذا الحرف الساحر العريق الذى ظن بعضهم أن التطورات العاصفة قد غلبته على أمره ، فأثبت لهم أنه غالب لا مغلوب ، وباقٍ على امتداد الزمان ، وتقلبات الحدثان !..

إن "الهلال" ـ انسجاماً منه مع هذه الصورة المتفائلة ـ يهيب بأدباء الجيل الجديد وغيرهم أن يكتبوا ولا يتوقفوا .. ولا ييأسوا !.. إن المستقبل يفتح لهم ذراعيه ويرحب بهم ، ويتطلع إلى الطريف البديع من تراث قرائحهم الموهوبة ..

"والهلال" يقدم بين يدى هذه الدعوة ، إسهاماً متواضعاً يتكون من "مسابقات" للقصة القصيرة والمقالة والشعر ، بادئا فى هذا العدد بمسابقة القصة القصيرة للأدباء الشبان ولمن يشاء من غيرهم كذلك ..

إننا نقول لهم جميعا ، وبخاصة لأولئك المتواضعين الذين آثروا الانزواء : اكشفوا عن أنفسكم فلن يستطيع أحد أن يكتشفكم بدون أن تمدوا أيديكم إليه .

عزيزى القارىء ..

إننا نرحب بك وبكل من يشترك فى مسابقة القصة القصيرة ، فهى مفتوحة لجميع الأقلام . وقد نشرنا شروط المباراة في صفحة (١٢٦) ، وربما كانت الجوائز المالية التى تقدمها للفائزين ، أقرب إلى التواضع ، ولكن معناها الرمزى عظيم ، والمهم أن تسفر المسابقة عن حصيلة طيبة من إبداع الأقلام الموهبة ، وإنها لكثيرة فى مصر وفى العالم العربى .. وسينشر "الهلال" القصص الفائزة تباعا مع تقارير لجنة التحكيم .. ونتطلع إلى إقامة حفل خاص لتوزيع الجوائز على الفائزين ..

وتتألف لجنة التحكيم فى المسابقة من أدباء ونقاد ثقات فضلاء ذوى تجربة طويلة فى هذا المجال ، وسيكون اشتراكهم فى النقد والتحكيم فى هذه المسابقة عملا من أعمال الإبداع أيضا ، وليس تقديرا للدرجات فى امتحان عام .

عزيزى القارىء ..

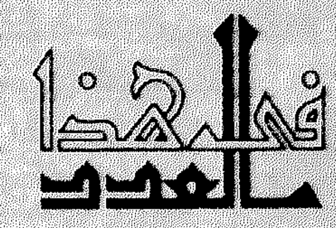
هل تكتب القصة القصيرة ؟!

هل يروق لك أن تشترك فى مسابقة "الهلال" للقصة القصيرة" ؟!..

إقرأ الشروط الخاصة بالمسابقة فى صفحة (١٢٦) وأبعث إلينا قصتك فى الموعد المحدد ، وسننشر فى الأعداد القادمة ، وقبل إعلان نتائج المسابقة ، عناوين القصص التى وصلت إلينا ، ومعلومات أخرى تتعلق بها ، فى انتظار موعد النتائج الذى يعلن فور انتهاء لجنة التحكيم من مهمتها .. ونلتقى إن شاء الله ..

« المحــرر »

فكر وثقافة





تصميم الغلاف :
الفنان : محمد أبو طالب

تصوير : فاروق الخادم

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنــون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL UN

ثمن النسخة

سوريا : ٤٠ ليرة ، لبنان : ٣٠٠ ليرة ، الاردن ٤٠٠ فلس ، الكويت : ٤٠٠ فلس ، العراق ٥٠٠ فلس ، السعودية : ٥ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية : ١٢٥ سنتا ، البحرين : ٨٠٠ فلس ، الدوحه : ٦ ريالات ، دبى : ٦ دراهم ، لوس انجلوس : ٤٠٠ سنت ، ابوظبى : ٦ دراهم ، مسقط : ٦٠٠ بيسه ، تونس : ١٤٠٠ مليم ، المغرب : ١٥ درهما ، غزه والضفة : ٧٥ سنتا ، داكار : ٦٠٠ فرنك ، لندن : ١٢٥ بنسا ، ايطاليا : ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك : ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية : ٨ ريالات ، كندا : ٥ دولارات .

مولد القاهرة الحديثة



ميدان المحطة قديما . الاشجار يانعة والاتساع على مدى الأفق .

إن شهادة ميلاد مدينة القاهرة التى نعيش فيها اليوم ، تشير الى أنها ولدت عام ١٨٦٣ م فمعالمها التخطيطية والعمرانية ماهى الا ثمرة برنامج تكوينى عمرانى وانشائى شامل ومتكامل وضع لمدينة يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ليصل فى نهايته العظمى الى سبعمائة ألف ساكن خلال نصف قرن من الزمان ، وتمتد حدودها لتعبر نهر النيل لتغطى مساحة تزيد على أربعة أمثال مساحتها القائمة .

كان ذلك عندما تولى الخديو اسماعيل الحكم وكانت القاهرة لا تزيد على مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة وتنحدر غربا لتنتهى عند ميدان العتبة الخضراء الذى كانت تحتله مجموعة من الخرائب والمقابر المعروفة بترب المناصرة وترب الأزبكية ، تكملها سلسلة من المستنقعات والتلال التى تمتد حتى تصل الى شاطىء نهر النيل .

بينما كانت صور القاهرة التى عرفها العالم الغربى القديم تضم مناظر القلعة والمآذن وهى تطل على النيل الساحر كانت القاهرة نفسها تبتعد بأسوارها المقفلة ما يزيد على الأربعة كيلومترات .

لم يكن النيل فى موضعه الحالى بل كان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى وصولا الى

مولد القاهرة الحديثة



وتحول ميدان المحطة ١٩٨٩ الى غابة من الاسمنت والسيارات والبشر.

شمال امبابة وبولاق .

كانت القاهرة يفصلها عن العالم الخارجى مجموعة من الأسوار والبوابات التى تنتمى الى مختلف العصور المصرية والرومانية والعربية .

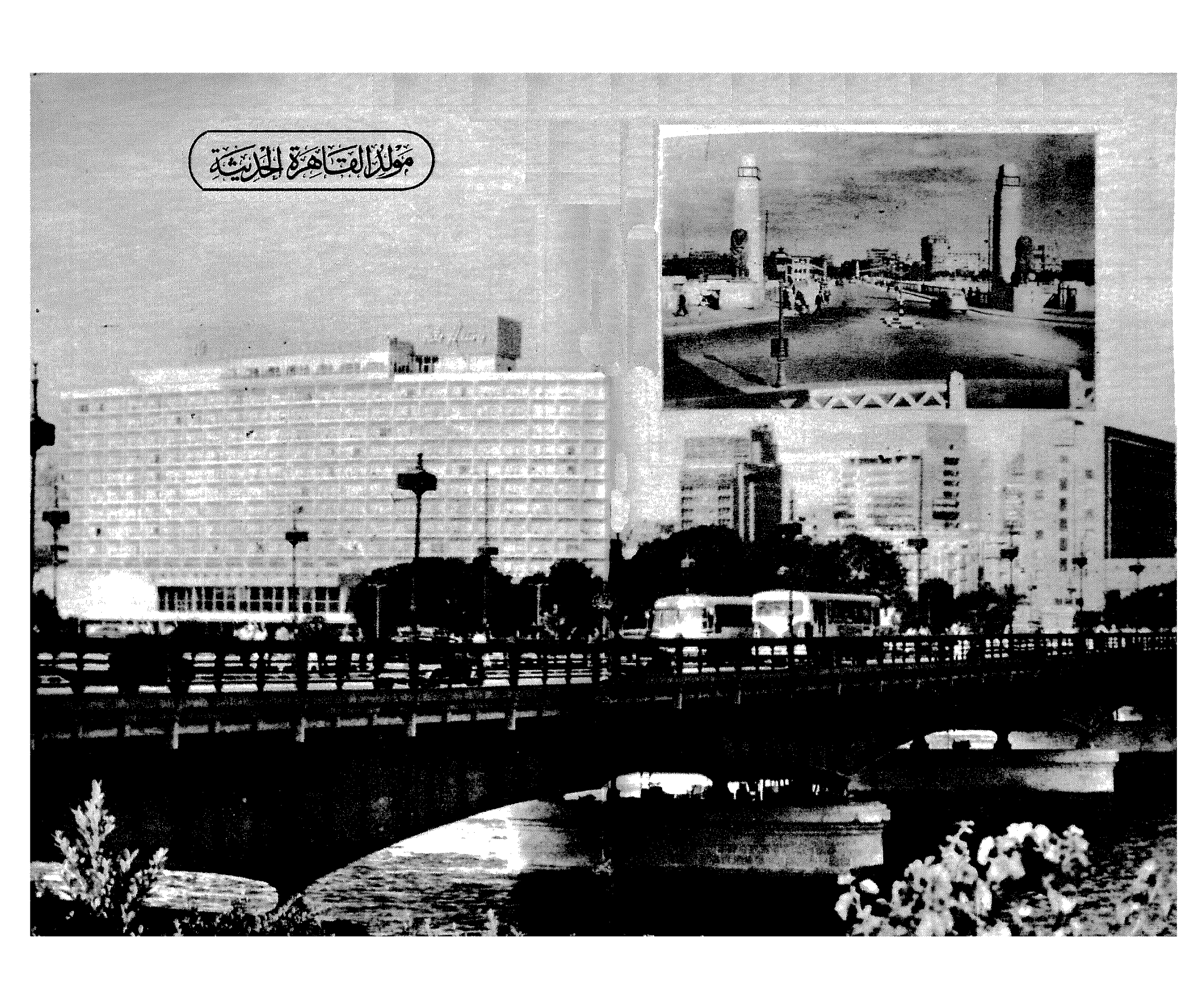
لم يكن للمدينة مداخل مفتوحة واقتصرت مداخلها على بواباتها المقفلة لم يكن بالقاهرة مجار عمومية فكانت خزانات مجاريها تطفح اثناء الفيضان وتختلط مياهها بمياه البرك التى تغذيها بمياه الشرب .

لم يكن بالقاهرة مياه جارية للشرب فكان الماء ينقل اليها بواسطة السقائين من البرك الأسنة والمستنقعات .

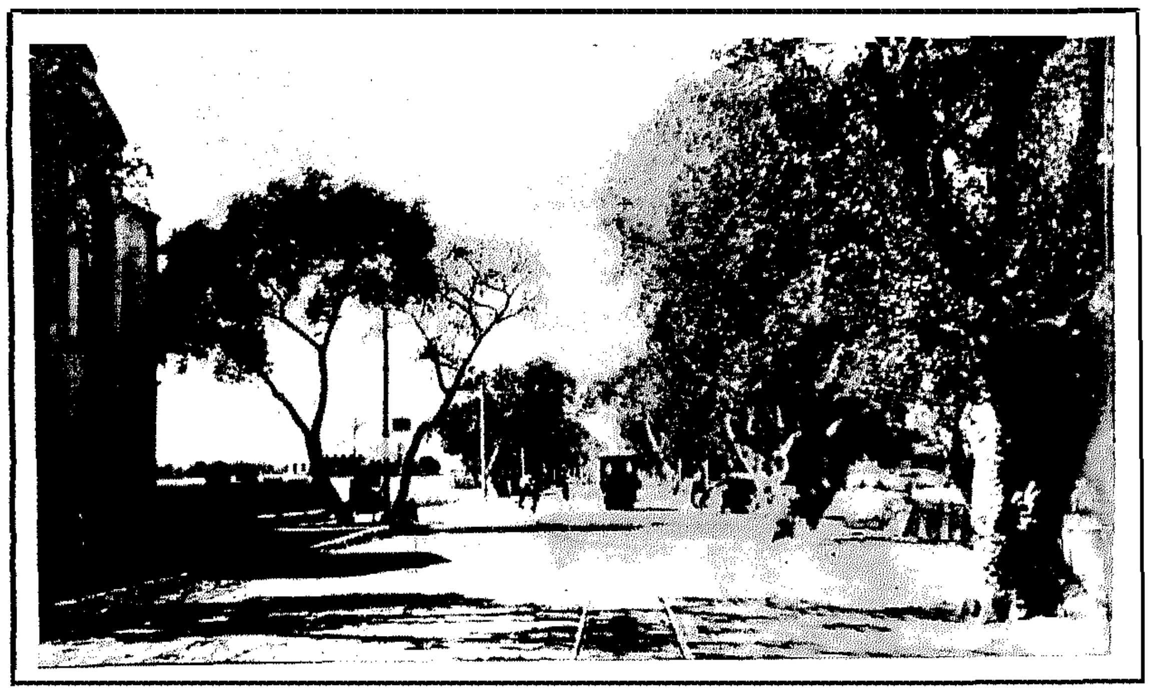
لم يكن بالقاهرة ما ينير شوارعها وأحياءها من المصابيح ، ولم يكن بمدينة القاهرة ما تحتاج اليه عاصمة للبلاد من مبانى الخدمات الرئيسية العامة .

هكذا كانت القاهرة عندما تسلمها اسماعيل باشا .. هاله ان يجد القاهرة عاصمة بلاده .. وقبلة أنظار العالم قد بدأت فى الانحلال .

لجأ اسماعيل باشا الى صديق شبابه الامبراطور نابليون الثالث ليعاونه فى اعادة تخطيط عاصمة بلاده ، وذلك بتكليف مهندس التخطيط العالمى « هاوسمان » الذى بلغت


مولد القاهرة الحديثة

مولد القاهرة الحديثة



شارع شبرا القديم تم تخطيطه كي يعكس صورة باريس بخضرتها وجمالها .

شهرته الآفاق عندما قام بتخطيط باريس التى أصبحت حديث عالم تخطيط المدن ، كأجمل عاصمة فى الغرب .

طلب اسماعيل باشا من هاوسمان أن يخطط له القاهرة لتعكس صورة باريس التى قضى فيها فترة شبابه وما تربطه بها من ذكريات .

باريس بمختلف معالمها ومبانيها العامة وغاباتها ومسارحها .. بل ونهر السين الذى تحيا المدينة على ضفتيه

فحقق « هاوسمان » تلك الأمنية .. أو المعجزة الفنية فظهرت القاهرة التى أطلق عليها اسم « باريس الشرق » لتحتل مكانها على خريطة العالم الحديث بين عواصم العالم الكبرى

● لقد أطلق على التخطيط الشامل والمتكامل لبعث القاهرة واعادة تعميرها اسم « برنامج المشروعات السبعة » لأنه يتكون فى تخطيطه المدنى من سبعة مشروعات حيوية ضخمة يسيطر كل منها على منطقة بأكملها ، ويضم بين طياته ناحية هامة من نواحى الاصلاح وارتبطت تلك المشروعات السبعة بعضها مع البعض لتكون اكبر مشروع تخطيطى مهد لأوسع تطور عمرانى مرت به القاهرة عبر تاريخها المعمارى الطويل .. ويمكن تلخيص تلك المشروعات فيما يلى :

مولد القاهرة الحديثة



شارع شبرا ١٩٨٩ . اختفت الحدائق واماكن النزهة والرياضة "شبرا كلمة تعنى حدائق" .

١ ـ مشروع تحويل مجرى النيل : كان المجرى الرئيسى يمر فى الجهة الغربية محاذيا شارع الدقى الحالى مارا ببولاق الدكرور وامبابة والعجوزة ، فتم نقل مجراه الرئيسى ليحتل مكانة فى التخطيط الجديد فى وسط القاهرة بدلا من ابتعاده عنها ، بدأت عملية التحويل فى أواخر عام ١٨٦٣ وتم تنفيذها فى عام ونصف عندما حفر النيل مجراه الجديد بنفسه بفضل بناء السدود التى حولت وحددت مسار مجراه .

لقد ترتب على نقل مجرى النيل نشأة المنطقة الغربية التى نتجت عن ردم مجراه القديم وتخطيطها لتمتد اليها حدود القاهرة الجديدة ، مع الانتهاء من حفر مجرى النيل الجديد وتثبيت شواطئه أقيم فوقه أول كوبرى يربط شاطئيه أو جناحى المدينة ، وهو أول كوبرى أقيم على النيل من منبعه الى مصبه ، قامت بانشائه شركة « فيف ليل » الفرنسية ويبلغ طوله ٤٠٦ أمتار وبه فتحتان ملاحيتان لمرور السفن واستغرق العمل فى انشائه عاما ونصفا ، وزينت مداخل الكوبرى بأربعة سباع برونزية اطلق العامة بسببها اسم "ابو السباع" على إسماعيل باشا .

٢ ـ منطقة الأزبكية : كانت مقابر غرب القاهرة القديمة تحتل منطقة العتبة الخضراء الحالية امتدادا الى بركة الازبكية وجامع السلطان ازبك


مولد القاهرة الحديثة

مولد القاهرة الحديثة

الذى سميت المنطقة باسمه وهى مدافن ترب المناصرة وترب الأزبكية وهى المدافن التى كانت تعوق امتداد القاهرة فى اتجاه النيل فكان فى مقدمة برنامج التخطيط ازالة المدافن والمستنقعات والخرائب المحيطة بها لتفسح الطريق امام التخطيط الجديد حيث تعتبر تلك المنطقة نواة أو عصب المدينة الجديدة ، وصدر القرار بنقل المقابر حفاظا على حرمتها نظرا لما تعرضت له من اهمال وتلف فصدرت أوامر الخديو بانشاء حوض كبير نقلت إليه عظام المقابر ليقام فوق الحوض مسجد للصلاة؛تكريما لحرمة اصحابها وارضاء للمواطنين واطلق على المسجد اسم مسجد العظام وهو الاسم المعروف به الى الآن .

أما بركة الأزبكية وما كان يحيط بها من مستنقعات فقد ردمها التخطيط برمال التلال المحيطة بها ، فتم تحويل جزء منها الى حديقة عامة غرست فيها الأشجار النادرة التى جلبت من جميع انحاء العالم تحت اشراف المهندس الفرنسى باريل بك لتتحول الى متنزه عام مساحته ٢٠ فدانا لتكون بمثابة رئتى القاهرة ونقل تصميمها بما تحويه من نافورات وبرك للطيور وأحواض للنباتات النادرة بل بما يحيط بها من أسوار معدنية وبوابات زخرفية لتكون صورة طبق الأصل من حديقة لوكسمبرج الشهيرة التى تتوسط باريس ، وأطلق على الحديقة اسم حديقة الأزبكية نسبة الى اسم البركة والمنطقة التى أقيمت مكانها .. وامتد تخطيط المنطقة الى الجزء المعروف حاليا بشارع وجه البركة شمالا ، والأجزاء الجنوبية منها الى ميدان التياترو الذى سمي فيما بعد عند افتتاح دار الأوبرا بميدان الأوبرا .. وبعد انشاء حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا خططت المنطقة بأكملها بما فى ذلك شارع كلوت بك وميدان العتبة الخضراء أى عتبة الدخول الى الجنة وأقيم فى وسط الميدان تمثال ابراهيم باشا الذى نقل فيما بعد الى ميدان الأوبرا .. ومن ميدان العتبة تم شق الشوارع الرئيسية التى تخترق الاحياء القديمة وتصل قلب القاهرة الحديثة بكل من حى القلعة وقصورها وأطلق على الشارع اسم « شارع محمد على » ثم شارع الموسكى الذى يربط القاهرة القديمة بالمنطقة الشمالية واتخذ الشارع والحى اسمه من قنطرة وقصر « موسك بك » الذى تحولت به قنطرة الخليج المصرى الى مدخل للشارع والحى .

أما المبانى الرئيسية العامة التى فرضها التخطيط ومتطلباته العمرانية والتى ضربت رقما قياسيا فى سرعة انشائها وأعدادها وتجهيزها التجارى

مولد القاهرة الحديثة

التخطيط نفسه وسرعة تطورها وتشمل « دار الأوبرا » التى تصدرت الميدان الذى يحمل اسمها استغرق بناؤها وتجهيزها ستة أشهر أشرف على اعدادها شارل جارنيه منشىء دار الأوبرا فى باريس وتم افتتاحها عام ١٨٦٩ كما أقيم بالمنطقة « مسرح الكوميديا » مماثلا لمسرح الكوميدى فرانسيز فى باريس وتمت اقامته فى ثلاثة أشهر وكان موقعه مكان دار البريد الحالية واحتفل بافتتاحه عام ١٨٦٨ . كما أقيم بميدان الأوبرا أول فندق للسياحة والضيافة أطلق عليه اسم « نيواوتيل » وهو المعروف حاليا باسم « فندق الكونتننتال » ...

٣ ـ منطقة عابدين : كانت منطقة عابدين ـ قلب القاهرة ـ عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة منها بركة الفراعين ، وكانت تقع مكان ميدان سراى عابدين ثم بركة السقايين وبركة الفوالة وبركة الرطل وبركة الفيل وبركة الناصرية ومجموعة كبيرة من البرك الصغيرة والمستنقعات تتخللها سلسلة من الهضاب والمرتفعات وكثبان الرمال والقلاع تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية الى نهاية شارع المبتديان . فاحتوى التخطيط تسوية تلك الهضاب والمرتفعات وردم البرك باتربتها فاصبحت تلك المنطقة بعد تخطيطها من أجمل اخطاط القاهرة الجديدة .

اشتمل برنامج التخطيط على نقل مقر الحكم بعد أن كان فى القلعة وفى أطراف المدينة الى مقره الحالى فى وسطها النابض ، فاختار له المخطط موقعا كانت تحتله اطلال قصر عابدين بك احد المماليك الذى يطل على بركة الفراعين التى تم ردمها لتتحول الى ميدان للقصر تبلغ مساحته تسعة أفدنة اقيمت على احد جوانبه قشلاقات الحرس ، تم بناء القصر وافتتاحه عام ١٨٧٤ وطلب اسماعيل باشا أن يحتفظ القصر والميدان باسم « عابدين » لان ذلك الاسم ملك لتاريخ القاهرة والمنطقة ورفض أن يحمل اسم مؤسسه .

من أهم الشوارع التى تم خطها لتربط الميدان بالمناطق الأخرى شارع عابدين وشارع عبدالعزيز الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى السلطان عبدالعزيز التركى بمناسبة زيارته لمصر فى عهد اسماعيل باشا واشتراكه فى افتتاحه .

٤ ـ منطقة الشاطىء الشرقى : تعتبر تلك المنطقة اكثر مشروعات التعمير والتخطيط حيث وصلت القاهرة القديمة بشاطىء النيل ، بدأ مشروع التخطيط بازالة جميع التلال والهضاب واستعمال اتربتها فى ردم البرك والمستنقعات التى كانت تمتد من شارع عماد الدين وامتداده المعروف

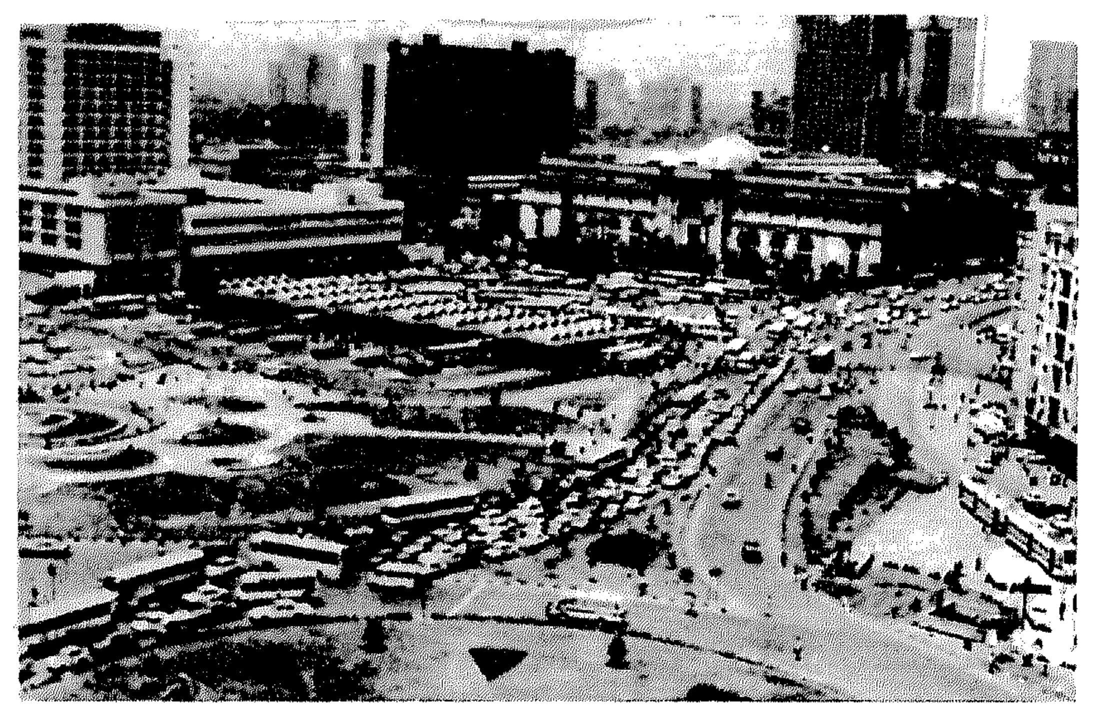
مولد القاهرة الحديثة



اتجهت النية لتخطيط ميدان التحرير ليشابه
ميدان الاتوال بباريس فى شكله وابعاده ومحاوره .

حاليا بشارع محمد بك فريد وبين شارع الملكة وماربيت باشا وجنوبا الى قصر العينى وتشمل اخطاط التوفيقية والاسماعيلية ومعروف وباب اللوق والدواوين والجوياتى والقاصد والانشا والمنيرة ولكل من تلك الاسماء اصل تاريخى مرتبط بالزمان والمكان وبيئة المجتمع ، يتوسط التخطيط ميدان الاسماعيلية (التحرير حاليا) الذى طلب اسماعيل باشا تخطيطه مشابها « لميدان الاتوال » فى باريس من حيث شكله وأبعاده ومحاور الشوارع التى تصب فيه والميادين الداخلية التى يلتقى بها كل منها وهى ميادين سليمان باشا وشامبليون والكبرى ، ولكل من تلك الميادين مثيل فى تخطيط باريس .

وقد وصف على مبارك باشا ذلك المشروع فى كتاب الخطط التوفيقية بقوله : « **وكان بهذه المنطقة كثبان اتربة وبرك ومياه آسنة ومستنقعات وأراضى سباخ فلما جاء الخديو اسماعيل أمر بازالة هذه الكثبان وردم البرك وتمهيد جميع الأرض وتخطيطها الى شوارع وميادين وجعلت منازلها منفردة عن بعضها ودكت أرض شوارعها بالدقشوم وانشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومرت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها وتزويد مساكنها بمياه الشرب ونصبت فيها فوانيس الغاز لاضاءتها وتنويرها وعهد الى**



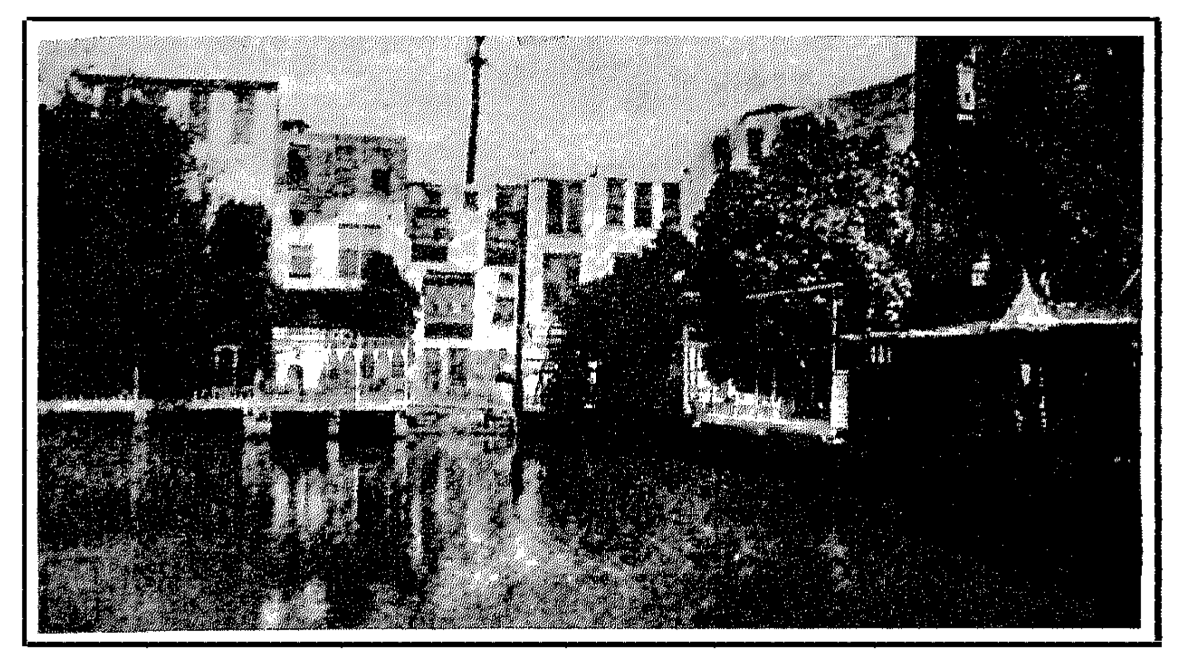
احدث صورة لميدان التحرير بعد ان رفعوا عنه كل مظاهر الخضرة والجمال

احدى الشركات الانجليزية لعمل مشروع لصرف المجارى فأصبح خط الاسماعيلية من أبهج اخطاط القاهرة وأعمرها .

عندما وصل التخطيط الى شاطىء النيل أقام الخديو اسماعيل سراى الاسماعيلية على الضلع الجنوبى للميدان وقد هدمت السراى فى عهد الاحتلال الانجليزى ولم يبق من السراى الا المسجد الذى كان ملحقا بها ، كما أقيمت مجموعة من القصور مطلة على النيل أهمها قصر الدوبارة والقصر العالى يضمهما سور مرتفع يطل على شارع قصر العينى وقد هدمت القصور حوالى عام ١٩٠٠ وقسمت أراضيها وتحولت فى عهد الاحتلال الى المنطقة المعروفة حاليا باسم جاردن ستى وهو الاسم الذى أطلقه عليها الانجليز عند تخطيطها .

٥ ـ الشاطىء الغربى : عندما تم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء اراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وشارع النيل (البحر الأعمى سابقا) تمتد من الجيزة وامبابة فى الطول ومن شاطىء النيل القديم شرقا الى بولاق الدكرور والعجوزة غربا .

فقامت احدى الشركات المشتركة بردم الجزء الجنوبى بين مدينة الجيزة وشارع ثروت بلغ ارتفاع الردم فى معظم أجزائها ما يزيد على المترين ،



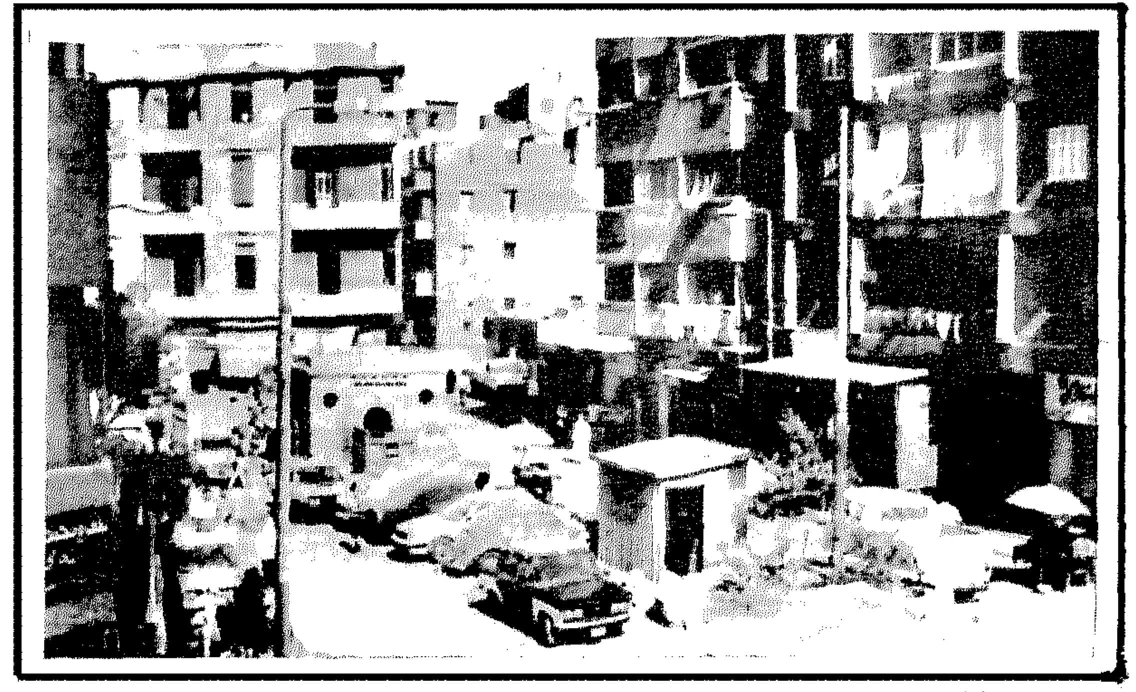
بركة الفيل . احدى البرك التى ردمت بعد أن جاءها العمران . فأصبحت من أجمل اخطاط القاهرة الجديدة .

أما المنطقة البحرية الممتدة الى امبابة فقد طمت ارضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ما عليها من طمى . قام التخطيط بتحويل القسم الجنوبى منها الى اورمان اى غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة فى باريس قام بتخطيطها وتنسيقها « باريل بك » الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية ، تبلغ مساحة تلك الغابة ٤٦٥ فدانا جلبت لها مجموعة نادرة من الاشجار من آسيا وأوربا وأمريكا كما أقيمت على جزء منها حديقة الحيوانات وتمتد الحديقة حتى تصل الى سراى الجيزة بمبانيها الضخمة التى كانت تقع موضع مخازن الترام وشارع المدارس كما أقيم بالتخطيط مجموعة من المبانى الادارية والخدمية العامة كمدرسة المساحة ومدرسة الحرف .

٦ ـ منطقة الزمالك والجزيرة :

وهى الجزيرة التى تتوسط النيل والتى تكون شكلها الحالى نتيجة لتحول مجرى النهر وتياره فكان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد أن تراكم الطمى والرمل بالجزء الشمالى من الجزيرة الممتد من شارع الزمالك الحالى الى طرف الجزيرة بالقرب من جزيرة وراق الحضر والتى تحولت الى مصيف للحرس وسكان القاهرة فصدر أمر الخديو بعدم اقامة اى مبان أو منشآت بالشاطىء سوى « الزمالك »

مولد القاهرة الحديثة



لقطة حديثة لبركة الفيل وقد غيرتها الخرسانة المسلحة تماما

والزمالك لفظ ألبانى معناه العشة أو كشك الاستحمام فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم « الزمالك » ثم أطلق فيما بعد على الجزيرة بأكملها فسميت **بجزيرة الزمالك** . لم يشيد على الجزيرة وشاطئها الشمالى من المبانى سوى قصر للضيافة فى الموقع الذى تحول الى ناد للضباط الموجود حاليا ، وتم تخطيط باقى الجزيرة وأقيم على شاطئها الشرقى عام ١٨٦٨ سراى الجزيرة التى شيدت لنزول الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث الذى قدم له يد المساعدة فى تخطيط وتعمير مدينة القاهرة عاصمة البلاد وتحقيق حلمه لتصبح « باريس الشرق » وذلك بالعمل على ارسال مجموعة من الخبراء والمهندسين الفرنسيين الذين ساهموا فى تخطيط باريس نفسها ، والشركات الفرنسية التى ساهمت فى تنفيذ الأعمال المدنية والمنشآت العمرانية والقصور والتى تمت جميعها فى زمن قياسى كان حديث العالم أجمع بالاضافة الى معاونته بالقروض اللازمة التى قام باستغلالها لحفر قناة السويس وترعة الاسماعيلية وبناء القاهرة ، وقد اعدت سراى الجزيرة لنزول الامبراطورة بمناسبة زيارتها لمصر لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتحولت بعدها إلى قصر للضيافة لكبار الزوار . وهو القصر الذى تحول أخيرا الى فندق ماريوت السياحى .

٧ ـ منطقة شمال القاهرة ومداخلها : كان أول ما يستقبل الزائر أو السائح الأجنبى عند وصوله الى مدينة القاهرة عن طريق السكة الحديد التى تم توصيلها الى مدينة القاهرة الجديدة (وتعتبر مصر ثانى دولة أدخلت اليها السكة الحديدية بعد انجلترا) ـ كانت تستقبل السائح منطقة الفجالة التى اشتهرت بمزارع الفجل وحقوله التى تغذى احياء القاهرة الفقيرة ووضعها الأجانب فى دعاياتهم المغرضة بأنه الغذاء القومى لمصر ولذا اطلق على تلك المنطقة اسم الفجالة نسبة الى زارعى الفجل الذين كانوا يسكنون قرية خربة تسمى كوم الريش تحولت الى مجموعة من الخرائب والاطلال يسكنها الخارجون على القانون فبدأت مهمة التخطيط بإزالة المزارع والمستنقعات التى تحيط بها وردمها برمال الأكوام والتلال التى كانت تغطى موقع ميدان المحطة الحالى ، وتم تسوية وتخطيط المنطقة الممتدة من حى الفجالة الذي اتخذ اسمه من مزارع الفجل والسكاكينى التى كان يحتلها قصر السكاكينى بك وتسوية المنطقة بأكملها بما فى ميدان المحطة الحالى الذى أقيم به أول محطة للسكة الحديد بالقاهرة الجديدة وقسمت أرض المنطقة لتتحول الى حى من أجمل احياء السكن بالقاهرة وصفها أحد الكتاب بقوله : « ان مزرعة الفجالة تحولت الى مزرعة للقصور التى حولت الحى الى أجمل احياء السكن بالقاهرة » .. وامتد التخطيط جنوبيا ليتصل بمنطقة الأزبكية بعد ازالة « ساحة مناخ الجمال » ومنطقة مدابغ القاهرة واخترقت كلا منهما الشوارع الرئيسية التى حمل كل منهما اسم المكان وهما شارع المناخ وشارع المدابغ (سابقا) بعدما غير المعاصرون اسماءهما اكثر من مرة اسوة بغيرهما من الشوارع والأحياء ، كان اسم كل منها بمثابة وثيقة ناطقة فى سجلات تاريخ المدينة تحكى اصالة تاريخها .

اشتهرت شبرا منذ عهد محمد على باشا بحدائقها ومزارعها النضرة وكانت تعتبر مكانا للرياضة والنزهة خارج المدينة ، واسم شبرا مصرى قديم بمعنى الحدائق كما وجد له اسم مرادف فى اللغة الالبانية يحمل نفس المعنى خاصة أن القاهرة تحمل كثيرا من الأسماء التركية والألبانية كالزمالك والأورمان وغيرها .

كان شارع شبرا من أجمل شوارع القاهرة الجديدة اشتهر بأشجاره الباسقة المزهرة التى زرعت على جانبيه وتشابكت اغصانها فحولته الى خميلة مسقوفة تبارى الشعراء الأجانب فى وصفها والفنانون فى تصويرها . وامتد التخطيط على جانبى الشارع فتحول الحى الشرقى من الشارع الى حى اجتذب الكثير من

الأسر الكبيرة من بينها قصر زينب هانم بنت محمد على وقصر اينجه هانم ارملة سعيد باشا وقصر شيكولانى وقصر النزهة وغيرها من القصور ومازالت شوارع الحى تحتفظ بأسماء القصور التى كانت تطل عليها ، كما امتد التخطيط غرب الشارع ليصل الى منطقة بولاق الذى كانت تتوسطه بحيرة ، كما أن الشوارع المحيطة به كشارع الترعة البولاقية ، وروض الفرج وعشرات غيرها من الأسماء ارتبط كل منها بأحداث الزمان والمكان .

● منشآت ثقافية وخدمية

● إذا انتقلنا الى العناصر العمرانية التى ارتبطت بالتخطيط وأكدت مولد المدينة ككائن عضوى حى متكامل التكوين فلم يكن برنامج التعمير مقصورا على بناء القصور كما صورته الدعايات كقصر عابدين والقبة والزعفران والجزيرة والتى لا تزال تقوم بدورها الحضارى الى الآن والتى تبادلتها مختلف عهود الحكم ، بل تكامل التعمير نفسه بمنشآت الثقافة الحضارية والخدمات العامة فاحتل كل منها مكانه الطبيعى فى المدينة الجديدة متوازيا مع تخطيط مناطقها وأحيائها ، فبينما كانت عواصم العالم الكبرى تفخر كل منها باقامة متحف للآثار المصرية كانت مصر نفسها تفتقر الى وجود متحف تحفظ به كنوز آثارها التى تتسرب من مصر لتجد لها مكانا فى تلك المتاحف الأجنبية . فكان فى مقدمة المشروعات التى تضمنها تخطيط القاهرة الجديدة أقامة متحف للآثار (الانتيكخانة) مشابهة لمتحف اللوفر بباريس كما اقيمت دار مستقلة للآثار العربية كما أقيمت دار للكتب اسوة بمكتبة باريس المشهورة جمع فيها ماتشتت من الكتب التى كانت يحتفظ بها قصور الأمراء وأضاف اليها نحو الفى مجلد من المخطوطات العربية والفارسية اشتراها اسماعيل باشا من تركة المناسترلى باشا واهدى للمكتبة مجموعة من الكتب والمخطوطات القيمة التى تركها اخوه الأمير فاضل ... كما أرسل مجموعة من البعثات الخاصة تطوف بلاد العالم لتجمع نفائس الكتب بمختلف اللغات ، وساهمت مكتبة باريس باهداء المكتبة أو دار الكتب المصرية مجموعة من الكتب والمؤلفات التى تحتفظ بأكثر من نسخة منها وذلك فى مناسبة افتتاح الدار ، التى الحقت بها دار للطباعة والنشر اسست لها أول جمعية علمية مهمتها نشر الثقافة تحت رآسة محمد عارف باشا .

● الآثار الدينية والاهتمام بها

لم يغفل التخطيط الجديد الاهتمام بالآثار الدينية ومواقعها فى المدينة الجديدة . فأمر اسماعيل باشا ببناء مسجد كبير حول ضريح سيدنا الحسين قام بتصميمه على مبارك باشا وشيد ابوابه الرخامية الثلاثة التى تطل

مولد القاهرة الحديثة



الأوبرا القديمة : تاريخ المدن منقوش على حوائط مبانيها ، ومكتوب على نواصى شوارعها

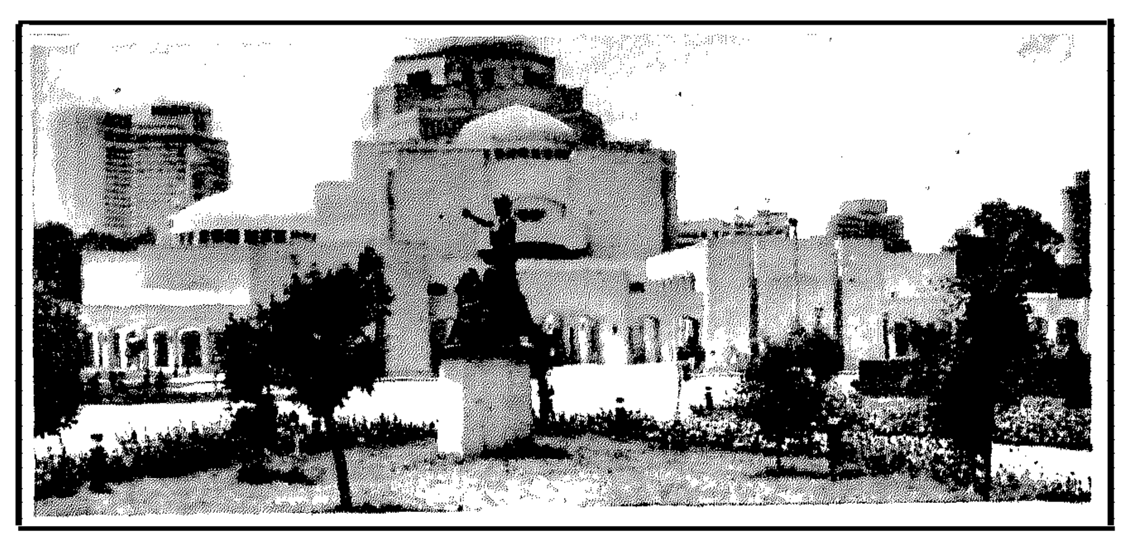
على خان الخليلى والميدان الخاص بالمسجد بساحاته الواسعة التى تفصله عن الأزهر وتسمح بتجميع الزوار فى المناسبات الدينية وقام بنفس العمل ببناء مسجد مماثل يضم ضريح السيدة زينب وخطط له ميدان خاص يعد من أكبر ميادين القاهرة الشعبية وهو ميدان السيدة زينب الحالى ، كما أنشأ فى الجهة القبلية لقصر عابدين جامعا خاصا مرتفعا بدرج وكان يصلى فيه صلاة الجمعة مع الشعب .

● **إن تاريخ المدن منقوش على حوائط مبانيها ومكتوب على نواصى شوارعها ودروب حواريها .**

فتلك النقوش التى تحمل اسماء الاشخاص والأماكن والمعالم هى صفحات تاريخ حياة المدينة والعبث بها عبث بالتاريخ وأصالة الحضارة .

فالثورة الفرنسية عندما اجتاحت باريس ، وقتلت ملوكها وشردت ابناءها لم تحاول ان تقتل تاريخ مدينتها فعندما احتلت الثورة القصر الملكى لتحوله الى مجلس للشعب احتفظ المجلس باسم القصر الملكى (الباليه روايال) لتلك القصور التى تحولت الى متاحف أو مؤسسات احتفظت جميعها بأسماء أصحابها كما هو الحال فى متحف اللوفر اكبر متاحف باريس وحافظت الثورة على تماثيل الملوك والعظماء التى تزين ميادين باريس ، وأقاموا للثورة تماثيل تمجدها فى الميادين التى لم تكن بها تماثيل مع احتفاظ الميادين باسمائها الأصلية ، هكذا احتفظت باريس مدينة النور بأصالة تاريخها لم تحاول اى من الثورات القديمة أو الحديثة التى اجتاحتها أن تعبث به أو تحاول

مولد القاهرة الحديثة

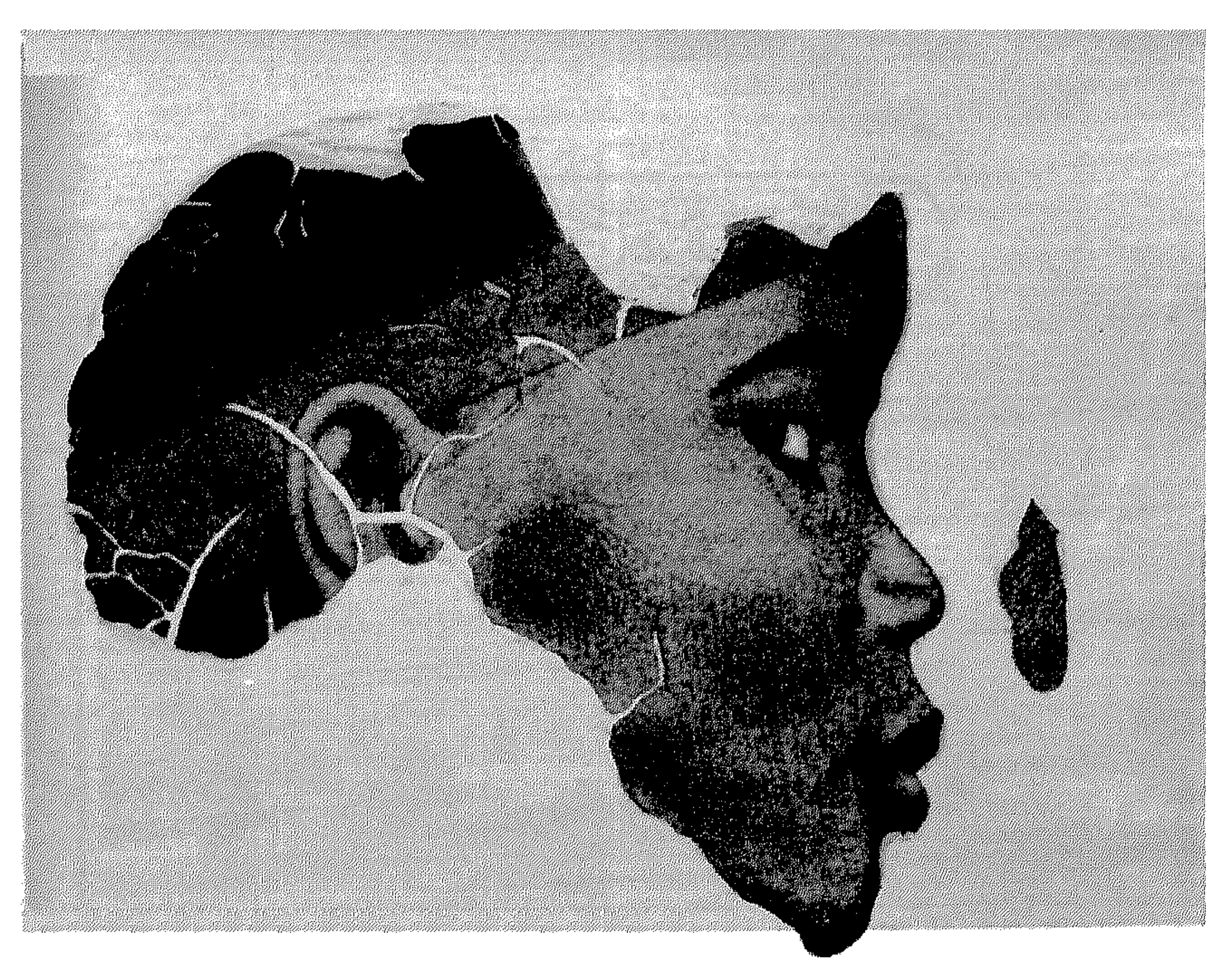


الأوبرا الجديدة . محاولة لربط العمارة بكل من العمارة الاسلامية ، والمعاصرة .

الاعتداء عليه .

إن ذاكرة التاريخ لا تنسى ما قامت به ثورة منف فى أعقاب الأسرة السادسة التى أطلق عليها المؤرخون اسم « ثورة الرعاع » وسجلها تاريخ مصر باسم عصر الاضمحلال التى قام فيها حكام الثورة بعمل مماثل - احتلوا القصور ومحوا اسماء اصحابها ونسبوها لانفسهم وتتابع حكام الثورة ليقوم كل منهم بنفس الدور فيمحو اسم من سبقه من على القصور والمبانى لينسبها لنفسه وامتد ذلك الى القبور والتماثيل كما اتى وصفه فى برديات الحكيم « ايبيوور » الذى كتب تاريخ الثورة بقوله « لقد تبادلوا القصور وتبادلوا القبور وتسابقوا فى تحطيم تماثيل من قبلهم لوضع تماثيلهم بدلا منها . وهكذا سقطت صفحات من تاريخ مصر فى عهد الثورة ، سقطت معها اسماء سبعين حاكما توارثوا الحكم ومحا التاريخ اعمالهم وما خلفته الثورة التى استمر حكمها مائة وخمسين عاما وصف تاريخ الحضارة المصرية عهدها باسم « عصر الاضمحلال » .

لقد آن الأوان لنعيد للقاهرة رد اعتبارها واعادة الصفحات التى انتزعت من سجل تاريخها لتامين اصالة تاريخها بعودة الحق الى اسماء شوارعها ومنشاتها واحيائها الأصلية واعادة تماثيل من ساهموا فى بنائها وبناء نهضتها العمرانية لتعود الى الميادين التى كانت تحمل اسماءها .



مصر وحقبة أفريقيا

بقلم : د. بطرس غالى
وزير الدولة للشئون الخارجية

إذا كانت مصر هى حجر الزاوية ، والأرض الركن فى الثلاثية القارية ، التى يتألف منها العالم القديم ، وإذا كانت هى البوابة المشتركة لأفريقيا وآسيا وهى المدخل الطبيعى لكليهما ، فإنها بكل اليقين ، الطريق الطبيعى إلى أفريقيا . فالنيل هو النهر الوحيد يفتح الوراء القارى ، وبفضله تكتسب مصر طبيعة المسلك وتصبح الدهليز الوحيد إلى قلب القارة .

كما أن أرض مصر ، تربة وماء ، جزء من جسم أفريقيا ، ولقد جعلت الظروف الجغرافية والتاريخية من مصر مشعل النور فى القارة الأفريقية ، ومنارة أفريقيا الحضارية . وجدير بالذكر أن مصر أفريقية ، بقدر مصرية أفريقيا . ذلك أن أفريقيا ، لا تجد بين جنباتها أكثر من مصر تفاخر بها العالم ، فهى أم التاريخ فى قارة قيل أنها بلا تاريخ .

ولعل هيرودوت كان جغرافياً قبل أن يكون مؤرخاً حين قال « إن مصر هبة النيل » ، ذلك أن الحقيقة الأولى فى الوجود المصرى ، هى أن مصر هى النيل ، ولأن مصر هى النيل ، أو أن النيل هو مصر ، فما من رباط لمصر بخارجها ، أقوى وأعمق من النيل . ومامن منطقة خارجية يمكن أن ترتبط بها مصر ، أكثر وأشد من تلك التى يربطها بها النيل .

وحتى خارج البعد النيلى ، على محور الجنوب ، يتأكد تأثير مصر الحضارى ، على طول ساحل البحر الأحمر ، منذ رحلات فراعنة مصر إلى بلاد بونت ، التى وإن كانت تعنى عند بعض المؤرخين دائرة القرن الأفريقى ، فإنها تمتد عند البعض الآخر ، لتشمل ساحل الزنج وزنجبار وشرق أفريقيا بلا استثناء . بل وتشير بعض الدراسات إلى وصول إشعاع مصر الحضارى ، إلى محور الصحراء الكبرى ، وبين القبائل النيلوتية فى أعالى البحار ، وبين بعض قبائل نيجيريا وغرب أفريقيا .

وكما يتداخل الكل مع الجزء والعام مع الخاص ، يتداخل بعد مصر الأفريقى مع بعدها النيلى ، حتى يمكن أن نزعم أن القطاع الأكبر من بعدنا الأفريقى ، إنما هو ببساطة بعدنا النيلى ، يكمله من ناحية اليمين قطاع هام على طول البحر الأحمر وشرق أفريقيا .

ولا أدل على اتجاه حضارة مصر تاريخياً صوب الجنوب والشرق ، من موقع طيبة ، وهى المدينة الكبرى التى ظلت طويلاً عاصمة وطنية ، بل إن موقع طيبة الجنوبى المتطرف فى مصر ، لا يمكن إلا أن يكون مؤشراً ومفسراً للبعد النيلى فى توجهها منذ القدم .

كما أن الاتجاه الجنوبى والشرقى لمصر ، لم ينقطع طوال العصور القديمة وبعدها . فلقد انتقل تأثير الحضارة المصرية إلى أفريقيا بطول مجرى النيل . ومثلما صدرت مصر عناصر حضارتها وعقيدتها الفرعونية إلى الجنوب ، كررت دورها مع المسيحية ثم الإسلام .

فرغم أن المسيحية اتخذت من مصر شكلاً خاصاً بها ، حتى أصبحت القبطية فى معنى ما ديانة من الديانات التى تتحدد بإقليم معين وبشعب معين ، فإنها لم تلبث أن امتدت جنوباً وبعيداً ، بل لقد توطنت المسيحية وتوطدت فى النوبة جنوباً . أما الحبشة فكانت نهاية الإشعاع الدينى لمصر ، حيث ارتبطت كلية بالكنيسة المصرية . وأصبحنا نجد أن ملامح الماضى فى النواة المصرية ، هى ملامح الحاضر على أطراف منطقتها الحضارية أو أبعادها النيلية .

● دور هام لمصر ●

ومع الإسلام يتأكد دور مصر من جديد ، فقد لعبت مصر دوراً هاماً فى دفع المد الجديد ، حتى انفتح الطريق كاملاً . وفى القرن التاسع عشر ، انطلق البعد النيلى فى مصر ، فى عهد محمد على وأسرته الحاكمة ، فى حوض النيل وشرق أفريقيا . وهنا يلاحظ ، من الناحية السياسية ، أن حدود مصر وقتذاك ، قد تعدت حدود النيل وتقدمت على محورين هما النيل والبحر الأحمر . وتقوم تلك الحقيقة ، كأوضح تعبير عن تداخل البعدين النيلى والأفريقى لمصر .

وإذا كان السودان قلب بعدنا النيلى ، موقعاً ورقعة ، فإن أطرافه فى هضبة الحبشة من يمين ، وهضبة البحيرات من

مصر وحقبة افريقيا

يسار ، أو من شمال وجنوب هى قلب منابعنا المائية ، ومن ثم قمة وحدتنا الهدرولوجية .

وهكذا ظل بعد مصر الأفريقى عامة ، والنيل خاصة ، بعداً أصيلاً وجوهرياً ، لم يعرف الانقطاع ، ولا تعرض للاهتزاز ، بل لعله زاد عمقاً وقوة على مر العصور إجمالاً . وإذا ما كان يغلب على هذا بعد الطابع الحضارى والطبيعى أساساً ، لأنه بعد هيدرولوجى ، بالغ الخطورة ، بحسبانه أساس الوجود المصرى كله ، فإن ذلك على وجه التحديد ، ما يمنحه تلك الأهمية السياسية الخاصة .

واذا كانت انتماءات مصر الأفريقية ، وتأثيراتها الحضارية فيها ونشاطاتها واتصالاتها معها ، تتفاوت فى الكثافة والنوع والدرجة ، من إقليم إلى إقليم ، بحسب الضوابط الطبيعية والمسافة الجغرافية ، فهى أقوى تجاه الجنوب منها فى نصف القارة الشمالى بصفة عامة . ومن ثم فلعله من الأولى ، أن تكون مصر جزءاً من شرق أفريقيا بحسب تقسيمات الأمم المتحدة ، وليست جزءاً من شمال أفريقيا كما هو عليه الوضع الآن ، ذلك أن ارتباطها بالشرق هو ارتباط طبيعى أصيل ، يحقق لها القدر الأكبر من الفعالية والتفاعل ، وينسجم بشكل أعمق مع حقائق المكان والكيان .

وانطلاقا من حقيقة أن الحضارة المصرية ، الضاربة أصولها فى جذور الزمن ، هى فى جوهرها التاريخى حضارة أفريقية ، تتوجه صوب الجنوب ، فإنه من الطبيعى أن يكون انتماء مصر الأفريقى ، انتماء قدر ومصير ، وأن ترتبط اهتماماتنا على الساحة الأفريقية بمصالح الأمن القومى وبالأهداف الاستراتيجية العليا .

كما ظلت الدائرة الأفريقية ـ على اتساعها ـ واحدة من أكثر دوائر العمل الدبلوماسى المصرى حيوية وأهمية ، كما ظلت الدائرة النيلية تقف منها بمثابة الجذر الضارب فى أعماق التاريخ ، توصل بين مصر وأفريقيا برباط خالد ، هو الماضى والحاضر والمستقبل فى آن واحد .

ولعله من الطبيعى أن يكون إدراك مصر الحديثة ، ووعيها المسئول بحقيقة موقعها الاستراتيجى الفريد ، وامتداد أمنها بمفهومه القومى الواسع إلى أفريقيا ذاتها ، دافعاً لها على القيام بدور ريادى متميز ، والاضطلاع بمسئوليات قومية طليعية فى أفريقيا .

فلقد وقف الشعب المصرى ، مؤمناً بالمصير الأفريقى الواحد ، على مر تاريخ طويل ، هنا على مدخل القارة الافريقية ، يؤدى فى إصرار ووعى ، رسالته الحافلة بالمسئولية والعطاء .

وعلى مدخل القارة ، وكما حاول شعبنا المصرى فى السابق ، أن تكون أرضه جسراً للحضارات والثقافات ، تمر عليه إلى الآفاق البعيدة المترامية وراء أرضه ، فأنه وفى هذه الحقبة من الزمان ، التى يمكن أن تسمى بجدارة ، حقبة أفريقيا ، فإن شعبنا مازال ، وسيظل ، يؤدى رسالته التاريخية تجاه غيره من شعوب القارة الأفريقية .

● سند للأشقاء ●

فلقد سجل التاريخ لمصر الحديثة ، أنها كانت دوماً الملاذ والسند الحقيقى ، لشعوب القارة الأفريقية ، ولحركات

التحرير فيها .. تدعم قضاياها ، وتمد لها يد العون والتأييد ، في مواجهة المستعمر الغاصب ، حتى يتحقق لها النصر وتنال حقها في الحرية والاستقلال .

وكما التزمت مصر في سياستها الخارجية تجاه أفريقيا ، ببذل كل العون والتأييد لكفاح الشعوب الأفريقية ، التي مازالت ترزخ تحت نير السيطرة الأجنبية والتمييز العنصري ، ودعم حركات التحرير الشرعية في نضالها من أجل الحرية والاستقلال ، فقد أولت الدبلوماسية المصرية كذلك اهتماماً خاصاً للجهود المبذولة لمساعدة أفريقيا على العبور فوق أزمتها الاقتصادية الطاحنة ، من خلال وضع وتنفيذ استراتيجية اقتصادية شاملة ، تحقق مزيداً من التعاون بين الجنوب والجنوب ، أي بين الدول الأفريقية بعضها وبعض ، مع توجيه موارد أفريقيا المادية لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها .

وتحقيقاً لهذه الأهداف ، اتجهت الدبلوماسية المصرية في تحركها في افريقيا الى العمل من خلال محاور ثلاثة تمثل أولها في الاطار الثنائي بمجالاته المختلفة ، من تبادل للزيارات على مختلف المستويات ، وابرام اتفاقيات التعاون مع الدول الأفريقية ، بينما تناول ثانيها الاطار الاقليمي متعدد الأطراف مع دول حوض نهر النيل من خلال مجموعة اندوجو ، واختص ثالثها بالاطار الشامل مع المستوى القاري ، من خلال منظمة الوحدة الأفريقية والتنظيمات الدولية الأخرى .

ولإلقاء الضوء على مظاهر هذا التحرك بمحاوره الثلاثة ، يمكن القول إنه فيما يتعلق بالاطار الثنائي ، شهدت العلاقات المصرية الافريقية نشاطاً ملحوظاً ، على مدى الاثنى عشر عاماً الماضية (١٩٧٧ ـ ١٩٨٨) ، حيث تبادلت مصر العديد من الزيارات الرسمية مع كثير من الدول الأفريقية ، وفي مقدمتها زيارات متبادلة على مستوى رؤساء الجمهوريات ، وعلى مستوى الوزراء ، وصدرت عن هذه الزيارات بيانات رسمية مشتركة ، عكست في مجملها توافقاً في الآراء تجاه العديد من المشاكل الأفريقية والإقليمية والدولية .

كما شهدت علاقات مصر الافريقية ، اضطراداً متزايداً ودعماً متنامياً لأواصر التعاون في مختلف المجالات ، وتم ابرام العديد من اتفاقيات التعاون التجاري والاقتصادي والثقافي والعلمي والتقني بين مصر والعديد من الدول الأفريقية .

ومن ناحية أخرى ، استضافت مصر العديد من المؤتمرات والاجتماعات الأفريقية ، كما نظمت وزارة الخارجية الكثير من الندوات والدورات التدريبية ، لتنمية الخبرات الأفريقية في مختلف المجالات ، بحيث لم يكن يكاد يمضي شهر واحد ، دون أن تشهد القاهرة ، تجمعا أفريقياً أو أكثر ، يحقق المزيد من التعاون بين مصر وبين شقيقاتها الأفريقيات .

وإيماناً بدور مصر الأفريقي الرائد ، ومسئولياتها التاريخية تجاه شعوب القارة الأفريقية ، ورغبة في تأكيد وتدعيم الحضور المصري في افريقيا ، انشأت وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٨٠ ، الصندوق المصري للتعاون الفني مع الدول الأفريقية ، بهدف تقديم المعونة الفنية للدول الأفريقية ، سواء من خلال

إيفاد خبراء مصريين إليها فى مختلف التخصصات ، أو تخصيص منح تدريبية فى مصر لأبناء هذه الدول ، فضلاً عن المساهمة فى دراسات الجدوى ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها .

وقد ركز الصندوق بالفعل منذ بدء نشاطه عام ١٩٨١ ، على تقديم مختلف أشكال الخبرات الفنية ، فى مجالات تنمية القوى البشرية التقنية ، عن طريق إيفاد الخبرة المصرية المتخصصة فى سائر المجالات التى تحتاجها دول القارة الأفريقية ، أو بتوفير التأهيل اللازم للكادرات الأفريقية فى شكل منح تدريبية وتنظيم الدورات والحلقات الدراسية ، لأبناء الدول الأفريقية فى مختلف المراكز والمعاهد والأكاديميات المتخصصة فى حمهورية مصر العربية .

ولقد صادف نشاط الصندوق المصرى ، الذى يعد الأداة التقنية الرئيسية للدبلوماسية المصرية ، على المستوى العملى الفاعل فى التعاون مع الدول الافريقية ، نجاحا كبيرا ، كما لقى اهتماما واسعا ليس فقط من جانب الدول الأفريقية جميعا ، بل ومن جانب العديد من المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ، والتجمعات الاقليمية العاملة فى مجال المعونة الفنية .

كما عقد الصندوق المصرى ، منذ إنشائه وحتى الآن ، اتفاقات للتعاون الفنى ، مع خمس وثلاثين دولة أفريقية ، وعلى مدى سنى نشاطه خلال الفترة من ١٩٨١ ـ ١٩٨٨ ، بلغ عدد الخبراء المصريين الذين أوفدهم الصندوق ألفا وثمانمائة وواحد وسبعين خبيراً (على أساس أن مدة الخبير سنة واحدة) .

وفى مجال التدريب ، أتاح الصندوق منذ إنشائه وحتى يناير ١٩٨٩ ، الفرصة لعدد ألف وثمانمائة وأثنين وثلاثين من أبناء القارة الأفريقية للتدريب فى جمهورية مصر العربية فى مختلف المجالات ، فضلاً عن ألف متدرب من أبناء الدول الأفريقية الذين أشتركوا فى الدورات التى تم تنظيمها وتمويلها فى مختلف المجالات ، مثل الخدمة الدبلوماسية ، والشرطة ومكافحة الجريمة ، وفى مجالات المرأة الريفية والتنظيمات التعاونية الزراعية وغيرها . هذا بالإضافة إلى مائة وأثنين وثمانين من أبناء القارة الذين شاركوا فى الدورات التى عقدت فى إطار نظام التعاون الثلاثى ، بالاشتراك مع اليابان فى مجالات النقل البحرى والصحة والزراعة .

وقد بلغ عدد الدول التى أوفد الصندوق خبراء إليها ، أربعين دولة ، كما بلغ عدد الدول التى أتاح الصندوق لأبنائها فرصة التدريب فى مصر ، خمسة وأربعين دولة . كما تزايدت أنشطة الصندوق التى شملت ، بالإضافة إلى إيفاد الخبراء إلى الدول الأفريقية ، واستقبال أبناء هذه الدول للتدريب فى مصر ، إيفاد الصندوق لبعثات الخبرة الفنية فى المهام قصيرة الأجل للدول الأفريقية فى مختلف المجالات ، فضلاً عن تنظيم برامج يوفد إليها الأساتذة والمحاضرون المصريون لإلقاء محاضرات فى الجامعات والمعاهد فى القارة ، وقد بلغ عدد البرامج التى نظمت لهؤلاء المحاضرين سبعة وأربعين برنامجاً .

وإلى جانب ذلك ، تضمنت أنشطة الصندوق المساهمة فى تمويل أنشطة المنظمات والاتحادات والجمعيات التى تعمل فى الحقل الأفريقى ، والإسهام فى تمويل أنشطة الاجتماعات والمؤتمرات ، فضلاً عن الإسهام فى تمويل الندوات والحلقات الدراسية التى تعقد فى مختلف شئون التنمية الأفريقية .

وفى مجال التنمية الاقتصادية تشمل أنشطة الصندوق كلا من الزراعة والصناعة ، فضلاً عن قطاع الأعمال والأستشارات الهندسية ، وإدارة وتنمية الموانىء والنقل ، بما فى ذلك النقل البحرى والطيران المدنى ، والمواصلات السلكية واللاسلكية ، هذا إلى جانب الأنشطة الخاصة بالتنمية الاجتماعية ، التى تشتمل على مجالات الطب والصحة والشرطة والأمن العام ومكافحة الجريمة ، فضلاً عن الأنشطة الاجتماعية الأخرى .

ونظراً لكون الزراعة لاتزال تعتبر المصدر الرئيسى الذى يعتمد عليه سكان البلاد الأفريقية ، والأساس الذى تقوم عليه التنمية الاقتصادية فى هذه البلاد ، رغم مشكلات الجفاف وتزايد السكان ، فقد أهتم الصندوق بتقديم المعونات الفنية فى المجال الزراعى ، عن طريق إيفاد الخبراء المصريين المتخصصين في الزراعة والأراضى والرى والمياه ، فضلاً عن الأطباء البيطريين لتنمية الثروة الحيوانية فى الدول الأفريقية .

وفى ذات المجال الزراعى ، أسهم الصندوق فى تمويل المعونات الفنية فى مجالات العمل الريفى فى أفريقيا ، وتشجيع أنشطة لجنة الفلاحين الافارقة ، وكذلك اتحاد الفلاحين الافارقة ، وقام الصندوق بتمويل الدورات التدريبية التى تعقد للكادرات من التنظيمات الفلاحية التعاونية ، ومن قيادات شباب الفلاحين الأفريقيين ، وقيادات المرأة الريفية الأفريقية .

● مجالات متعددة

أما فى مجال التنمية الصناعية ، فقد تضمنت أنشطة الصندوق منذ إنشائه إيفاد الخبراء فى مختلف قطاعات الهندسة والكهرباء .والطاقة والبترول والچيولوچيا والمناجم . وعقد الصندوق اتفاقات للتعاون الفنى مع المنظمات الدولية المعنية ومع الدول الأفريقية ، سواء لإيفاد الخبراء فى مجال التصنيع ، أو لتدريب الفنيين من أبناء القارة فى مجالات التنمية الصناعية .

وفى ٢٦ يونيو عام ١٩٨٤ ، تم توقيع مذكرة اتفاق بين الصندوق ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ، بمقتضاها يسهم الصندوق ، على مدى فترة خمس سنوات بخدمات خبراء يوفدون إلى الدول الأفريقية ، وذلك فى إطار عقد التنمية الصناعية فى أفريقيا . ويقضى الاتفاق بأن يتم استخدام هؤلاء الخبراء المصريين ، فى مشروعات التعاون التقنى التى تضطلع بها منظمة "اليونيدو" فى إطار العقد المذكور .

ولعل هذا الاتفاق يقوم كنموذج على ما تسعى إليه مصر من فتح مجالات جديدة للتعاون مع الدول الأفريقية الشقيقة ، من خلال صيغة ما اتفق على تسميته "بالتعاون الثلاثى" الذى يقوم على أساس المزاوجة بين ماتوفره مصر من معينة وخبرة فنية ، وماتسهم به الدول المتقدمة

مصر وحقبة افريقيا

أو المنظمات والوكالات المتخصصة ، من مساعدات عينية ومادية بهدف إقامة مشروعات مشتركة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الدول الأفريقية .

وتقوم السياسة المصرية على الإلتزام بضرورة العمل على تعبئة كل الطاقات واستنفار مختلف الهمم ، وتجميع كافة الخبرات ، من كل نوع ، وفى كل ميدان ، من أجل تكثيف التعاون ، وحشد الإمكانات ، داخل الأسرة الأفريقية تحقيقاً لخير بلادنا ومصلحتها .

وإذا كانت فئات الخبرات الفنية المصرية الموفدة إلى مختلف دول القارة الأفريقية ، هى ذات فائدة إيجابية فى دعم التنمية الاقتصادية الأفريقية ، فإن العمل على تنمية التعاون بين رجال الأعمال ، وتبادل الخبرة الاستشارية ، وتكريس المعرفة التكنولوجية ، من أجل خدمة قضايا التنمية الأفريقية ، من شأنه أن يلعب دوراً أساسياً وفعالاً فى بناء الجسور والروابط بين بلداننا الشقيقة ، من أجل خيرها وتقدمها . وتعمل مصر على إشراك رجال الأعمال والإستشاريين المصريين فى اللجان المشتركة بينها وبين شقيقاتها الأفريقيات ، كما تشجع اتصالاتهم مع أقرانهم فى مختلف الدول الأفريقية ، وتتيح لهم كل الفرص لمد نشاطهم عبر القارة الأفريقية كلها ، وهى سمة جديدة غدت تميز حركتنا الدبلوماسية الراهنة .

وتنطلق حركة الدبلوماسية المصرية على النطاق الأفريقى بالعمل الواعى على تعميق مفهوم الاعتماد على النفس فرديا وجماعياً ، وذلك بمضاعفة حجم التعاون الاقتصادى داخل الجماعة الأفريقية ، ولعله من المؤشرات الرقمية ذات الدلالة السلبية الواضحة ، أن التبادل التجارى بين الدول الأفريقية ، لايشكل سوى ٤٪ فقط من حجم تجارتها الخارجية ، فى وقت نستطيع فيه أن نحقق مكاسب كبرى بإعطاء أولوية متقدمة للتبادل فيما بيننا ، وهو ماقطعت مصر فيه شوطاً كبيراً ، وتعتزم أن تسير فيه إلى نهاية الطريق .

وإذا كانت اللجان المشتركة بين جمهورية مصر العربية ، وبين سائر الدول الأفريقية ، الشقيقة ، هى الإطار العام للتعاون المتعدد الجوانب ، والمتنوع المناحى ، إنطلاقاً من إيماننا بأن مستقبل التنمية الأفريقية ، ومستقبل تطوير المجتمعات الأفريقية سيظل مرتهناً بمدى القدرة على النجاح فى تحقيق التعاون بين الجنوب والجنوب ، وفى تحقيق الاستراتيجية العامة لخطة عمل لاجوس ، التى ترمى إلى إقامة سوق أفريقية مشتركة ، فإن النظرة المصرية تؤمن بأن هذه السوق المشتركة على اتساع القارة الأفريقية ، التى تجسد الأمل الذى تتطلع شعوب أفريقيا إلى تحقيقه ، مع استشراف القرن الحادى والعشرين ، لاينبغى أن تكون سوقاً مشتركة للسلع والخدمات فقط ، ولكن سوقاً مشتركة للعقول الأفريقية والخبرات الفنية والعلمية المتخصصة ، التى يتعين تكريسها من أجل خدمة أهداف التنمية والتطوير للاقتصاد والمجتمع والحياة فى الدول الأفريقية .

ولا يخفى مايجسده التعاون الثنائى

بين مصر والدول الأفريقية من مفاهيم عملية لدبلوماسية التعاون الفعال والمجدى بين الجنوب والجنوب ، فضلاً عما يوفره من مجال للعمل ، وفرص للنشاط أمام الخبرات الفنية فى مصر ، والمهنيين والتقنوقراط واليد العاملة المصرية ، فى أسواق العمل الأفريقية التى ستظل مفتوحة لاستيعاب الملايين من مختلف المهارات والتخصصات والقدرات المصرية التى تحتاج إليها وتأمل فى الاستفادة منها .

كما يهيىء هذا النمط من التعاون الفرصة السانحة لتعميق مختلف ألوان التبادل فى المجالات المتنوعة ، وخاصة فى مجال التبادل التجارى ، وفتح آفاق جديدة للصادرات المصرية فى الأسواق الأفريقية ، واحتمالات توسع العلاقات التجارية ، وتنويع بنودها وخاصة فى مجال الواردات المصرية من الغذاء والمنتجات الزراعية .

وإلى جانب كل هذه المزايا الإيجابية والمصالح المباشرة ذات النفع المتبادل ، بين مصر وبين شقيقاتها من الدول الأفريقية ، فإن الوجود المصرى والرصيد المادى والمعنوى الضخم الذى تصنعه كل هذه الشبكة المتنامية من العلاقات المصرية ـ الأفريقية ، يظل هو الدعامة الأساسية والضمانة الجوهرية لتطوير ونمو وتداخل المصير المشترك ، الذى يربط مستقبل مصر بهذه القارة التى تنتمى إليها إنتماء عضوياً أبدياً على مر الزمن .

● دور حوض النيل

أما عن تحرك الدبلوماسية المصرية على المحور الثانى من محاور نشاطها الأفريقى ، والمتمثل فى الإطار الإقليمى متعدد الأطراف مع دول حوض نهر النيل ، فقد جاء هذا التحرك من وعى مصر بأهمية البعد النيلى وتأثيراته الحيوية سياسيا واقتصاديا وأمنيا ، فى حاضر ومستقبل الشعب المصرى .

ومن ثم فقد حرصت مصر على إقامة تعاون واسع ووثيق مع دول حوض نهر النيل ، من أجل تنشيط وتعميق العلاقات بينها فى مجالات الاقتصاد والتجارة والزراعة والرى والاتصالات والنقل وغيرها .

وتحقيقا لهذه الأهداف ، وتجسيدا لها ، كانت الدبلوماسية المصرية وراء السعى لتكوين تجمع لدول حوض نهر النيل المعروف باسم مجموعة «أندوجو» والتى تعنى «الأخاء» باللغة السواحلية ، كاطار إقليمى للتشاور والتنسيق والعمل المشترك بهدف تنمية علاقات التعاون الاقتصادى والاجتماعى لصالح شعوب هذه الدول جميعا .

وجدير بالذكر أن حركة الدبلوماسية المصرية فى هذا الاتجاه ، قد جاءت كذلك اتساقا مع قرارات مؤتمر القمة الاقتصادى الأول لمنظمة الوحدة الأفريقية ، الذى عقد فى لاجوس عام ١٩٨٠ ، الذى دعا إلى إقامة تجمعات إقليمية كخطوة على طريق التكامل الجماعى القارى ، كما كان دافعها ينطلق من الإدراك لأهمية السعى لدعم وتنشيط (التعاون الإقليمى) فى المجالات المختلفة ، بوصفها خطوة هامة على طريق الوحدة والتضامن فى القارة الأفريقية .

وكانت القاهرة مقرا للاجتماع الثالث (لمجموعة اندوجو) الذى عقد فى

اغسطس ١٩٨٥ ، بينما استضافت كينشاسا مؤتمره الرابع فى مايو ١٩٨٧ ، أما المؤتمر الخامس لتجمع الأندوجو فقد عقد على أرض القاهرة فى نوفمبر ١٩٨٨ ، وقد شاركت فيه إلى جانب مصر كل من السودان وزائير وأوغندا وتنزانيا ورواندا وبورندى وأفريقيا الوسطى ، كما تميز بمشاركة ثلاث منظمات فنية أفريقية هى اللجنة الاقتصادية لأفريقا ، التابعة للأمم المتحدة ، واتحاد جمعيات الطرق الأفريقية ، ومنظمة إدارة وتنمية حوض نهر كاجيرا ، فضلا عن ممثل عن منظمة الوحدة الأفريقية ، إلى جانب المنظمات الأربع التى سبق أن شاركت فى المؤتمر الوزارى للمجموعة ، وهى برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، والاتحاد الافريقى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، والاتحاد الافريقى للسكك الحديدية والمكتب الأفريقى لعلوم التربية ، الأمر الذى أضفى ، ولاشك ، على اهتمامات المؤتمر بعدا فنيا أكثر شمولا وتنوعا ، كما أثرى حضور هذه المنظمات مناقشات المؤتمر ومداولاته ، مما أسهم فى بلورة مفهوم (الأندوجو) ، كتجمع يستهدف تحقيق الاستقرار والتقدم للدول المنتمية إليه ، وفق أسس التعاون الإقليمى متعدد الأطراف .

وقد سار مؤتمر القاهرة ، خطوة متقدمة على هذا الطريق ، إذ قدم الوفد المصرى تقريرا للاجتماع عن الاتصالات التى قامت بها مصر مع رئاسة برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، تنفيذا للتكليف الذى عهد به مؤتمر كينشاسا الرابع للمجموعة إلى مصر ، وهو التكليف الذى يتمثل فى الطلب المقدم إلى برنامج الأمم المتحدة للتنمية لعمل دراسة جدوى فنية اقتصادية شاملة ، يمكن اتخاذها كخطة عامة للتعاون الإقليمى بين دول المجموعة ، وهو الطلب الذى وافق برنامج الأمم المتحدة للتنمية على الاستجابة له .

وفيما يتعلق بالاطار الجماعى على المستوى القارى ، فى حركة الدبلوماسية المصرية الأفريقية ، فإنه يمكن القول إن مصر قد ظلت على مدى الخمس والعشرين عاما المنصرمة ، تحرص على تأكيد إيمانها وتمسكها بمنظمة الوحدة الأفريقية ، ذلك التجمع الأفريقى الكبير الذى كان بحق بداية مرحلة جديدة وحاسمة فى تاريخ شعوب قارتنا العظيمة ، ومسيرة نضالها البطولى ، من أجل الحرية والاستقلال والوحدة ، والعمل على تحقيق التقدم . كما تميزت ممارسات مصر ونشاطاتها داخل منظمة الوحدة الأفريقية بالعمل الدائب على دعم قدراتها وزيادة فعاليتها فى مواجهة المشاكل الأفريقية ، وفى مد جسور التعاون والترابط بين الدول الأفريقية جميعا فى كافة المجالات .

ويمكن القول دون مبالغة ، أن الدبلوماسية المصرية تعيش هموم أفريقيا بفكرها وبوجدانها ، ومن ثم فإنه من الطبيعى أن يرتبط جل نشاطها ارتباطا عضويا بالقضايا الأفريقية ، التى هى ـ فى نفس الوقت ـ قضايا مصيرية ، تدافع عنها وتعمل من أجل حلها .

وقد لعبت مصر ـ من خلال دبلوماسيتها الهادئة ـ دورا فعالا فى تمكين المنظمة من تخطى المشاكل

السياسية التى واجهتها ، كما تشاركها اليوم فى جهودها من أجل مواجهة المشاكل الاقتصادية الملحة والمزمنة التى تعانى منها شعوبها ، والتى تفاقمت أبعادها وتضاعفت آثارها فى السنين الأخيرة بشكل أصبح يمثل عائقا حقيقيا لكل الجهود المبذولة لتحقيق وتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى أفريقيا .

ويقوم الموقف المصرى على أساس أن السبيل الوحيد لتسوية أزمة ديون أفريقيا هو معالجتها بمنهج شامل ومنصف فى اطار استراتيجية تعاونية متكاملة ، توجه نحو التنمية ، وتراعى فيها الخصائص المميزة لأزمة الديون الخارجية الافريقية ، وأنه بالنظر إلى تكافل اقتصاديات البلدان المدينة والبلدان الدائنة ، فإن هذه الاستراتيجية ـ الرامية إلى حل مشكلة الديون الخارجية ـ يجب أن تقوم على أساس التعاون والحوار المتواصل والمسئولية المشتركة ، ولابد من توخى المرونة فى تنفيذها ، فى جو من التعاون الدولى المكثف .

وإذا كانت مصر تعمل بكل جهد على تدعيم التضامن الأفريقى على اتساع القارة ، فإنها تدرك فى نفس الوقت مدى حيوية وجوهرية تأكيد التضامن العربى ـ الأفريقى داخل القارة وخارجها .

ولاشك أن دور العوامل الجيوبوليتيكة ، كان عظيم الأهمية فى ربط الوطن بأفريقيا ، بتلك الوشائج التجارية والثقافية والدينية والسياسية .

وجدير بالذكر ، أن مصر ـ بتطور التاريخ ـ قد ارتبطت عرقيا وتاريخيا ودينيا وثقافيا وحضاريا ، بالأمة العربية ، إلا أن ذلك لم ينل من أصالتها الأفريقية ، كما لم يضعف من سعيها الدائم لدعم أواصر الأخوة والتعاون مع شعوب القارة الأفريقية فى ذات الوقت .

ولعل مبادرة مصر للدعوة إلى عقد أول مؤتمر قمة عربى ـ أفريقى ، وإلى استضافة هذه القمة التى عقدت بالقاهرة فى مارس ١٩٧٧ ، مايؤكد هذا السعى المصرى المتواصل من أجل تحقيق التقاء هاتين المجموعتين من الدول النامية ، التى ذاقت معا ويلات الاستعمار ومرارة التمييز العنصرى ، وقررت أن تتعاون معا فى إطار تنظيمات مشتركة من أجل تكوين جبهة واحدة لمواجهة تحديات تخوضها من أجل التحرر والتنمية وبناء نظام جديد .

وتؤمن مصر إيمانا عميقا بأن الوعى الصحيح بالحقائق الموضوعية فى كل من العالم العربى وأفريقيا ، ليدفع اليوم بالحاح إلى أن نتجاوز الأزمة الراهنة ، التى يعيشها هذا التعاون العربى ـ الأفريقى ، وأن نقتنص الفرصة الواحدة فننفض عن أجهزة التعاون العربى ـ الأفريقى ، ماران عليها من جمود وركود ، وندفع بدماء الحياة فى شرايين النفع المتبادل والتعاون المشترك والصالح الجماعى .

وتؤمن مصر بأنه إذا كان صحيحا حاجة العالم العربى إلى افريقيا ، وإذا كان صحيحا بنفس الدرجة حاجة افريقيا إلى العالم العربى ، فإن مصر العربية ـ الأفريقية فى ذات الوقت ، لتستشعر تلك الحاجة المضاعفة آلاف المرات ، ذلك أن الجمع بين العالمين سيكون علامة فارقة لمستقبل جديد ، من المؤكد أنه سيختلف عما نعيشه من أوضاع غير مواتية لكلانا فى الحاضر

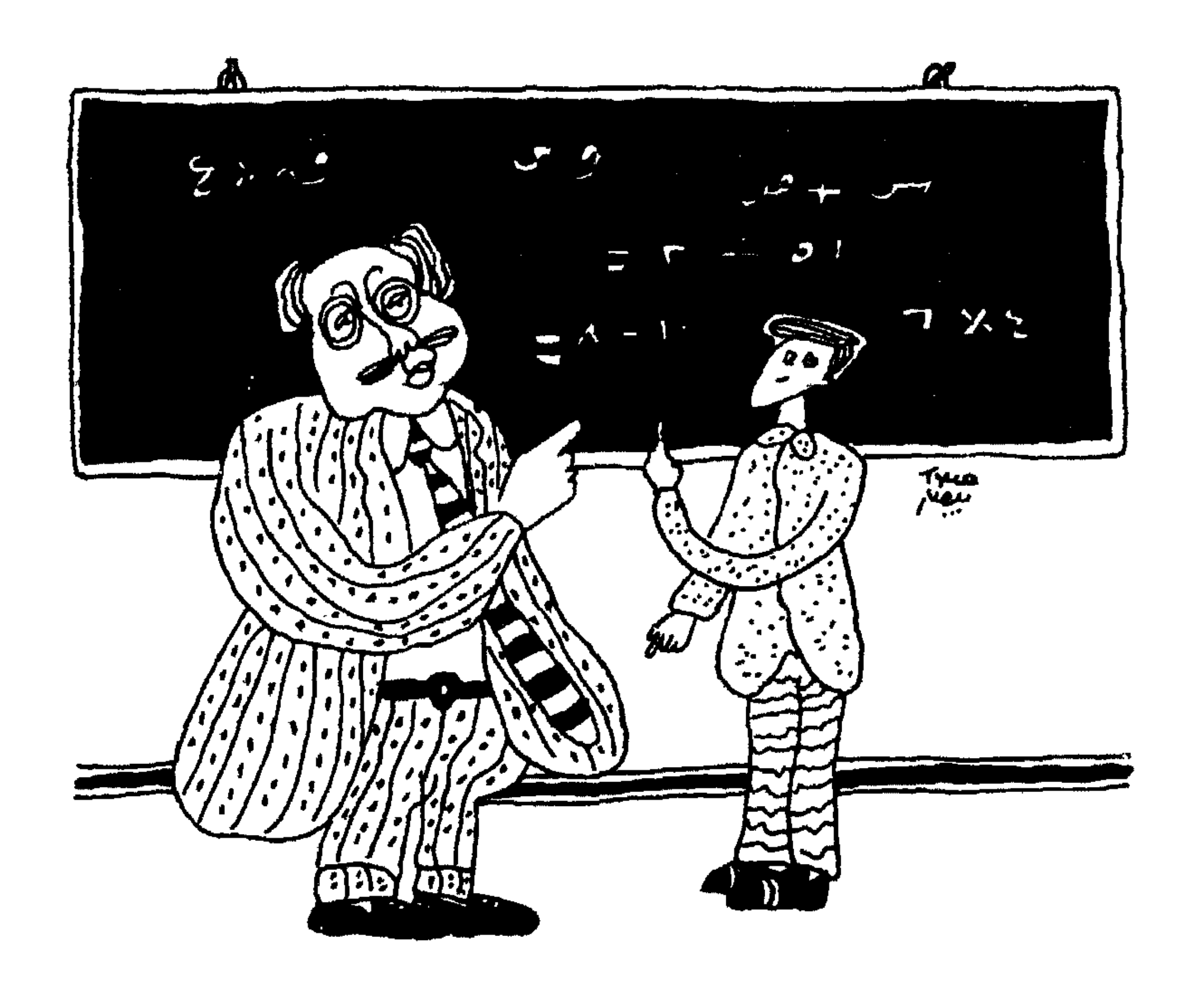
الطفل المفترى عليه

بقلم: د. شكري محمد عياد

التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر : حكمة قديمة وسليمة ، وان كان العلم قد زادها تخصيصا ، فعلم نفس الطفل يقول : إن أسس الشخصية توضع فى السنوات الخمس الأولى ، والمعنيون بالنمو اللغوى يقولون إن اكتساب اللغة يتم بسهولة فى السنوات الست الأولى من حياة الطفل ، ثم يتناقص بالتدريج ، أو يصبح أكثر اعتمادا على القياس العقلى ، وإن كان تشومسكى يقول إن الطفل بين الثانية والثالثة يقوم بعمليات عقلية بالغة الدقة تسمح له بأن يبدأ فى إنتاج عدد كبير من الجمل التى لم يسمعها من قبل .

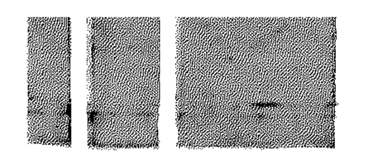
● والواقع أننا لانفهم الأطفال جيدا فقليل منا يتذكرون طفولتهم . واذا تذكروها فإنما يتذكرون منها حوادث معينة ، وقلما يتذكرون كيف كانوا يفكرون أو يشعرون . والظاهر أن شعور الطفل بالنقص إزاء الكبار ، واستعجاله النمو ، يطمسان ذكريات الطفولة ويعملان على قولبته داخل مجموعة من العادات والأفكار التى يتقبلها بدون تفكير . والسعداء حقا هم الذين يحتفظون بشىء من غرابة الطفولة والأكثر سعادة هم الذين يستطيعون أن يتكلموا مع الأطفال .

تعليم الأطفال شىء هين جدا وممتع جدا ، لو تعلمنا نحن أولا كيف ندخل إلى عالمهم . كل شىء ممكن فى نظر الطفل ، وكل شىء يستحق أن نجربه . أليست هذه هى بذرة كل اكتشاف وكل اختراع ؟ إن عالم الطفل ملىء بالقوى المجهولة ، ولهذا يصدق كل مايسمعه من حكايات الجن والسحرة ، وربما ظن أنه يستطيع أن



يختفى أو يطير مثلهم ، وهنا يمكننا أن نطلعه على بعض منجزات العلم ، فعالم اليوم هو ساحر الأمس . والطفل يريد أن يصادق كل ماحوله ، من بشر وحيوان ونبات ، وهو قادر على أن يكتشف ممالك الطبيعة بنفسه ، وليس علينا إلا أن نساعده وننبهه إلى بعض المخاطر ، دون أن نجعل الخوف حاجزا يشل قواه الفكرية والجسمية . والطفل يسأل ولا يكف عن السؤال ، يسأل عن كل مافوق الأرض وماتحت السماء ، وعما تحت الأرض ومافوق السماء أيضا ، وليس فى وسعنا أن نجيب عن كل اسئلته ، ولكننا نستطيع - على الأقل - الا نقتل شهيته للأسئلة ، وذلك بأن نسأل معه ونفكر معه .

حاول ، صديقى القارىء ، أن تتذكر بعض تجارب طفولتك فى المدرسة : تذكر كم مرة انتهرت - أو ربما عوقبت - كما انتهرت أنا عندما كنا فى قمة نشاطنا الفكرى المبدع . أذكر



من هذه التجارب حادثتين : كانت أولاهما مع مدرس الديانة حين قال لنا أن الله هو الذى خلق لنا الأرض والسماء والبحار والأنهار وكل شىء فلمعت فى ذهنى فكرة همست بها لجارى ، فرفع اصبعه باندفاع وسأل الشيخ ومن خلق الله ؟ وهنا قامت قيامة مدرس الديانة واصفر وجه زميلى . أحسب أن هذه الفكرة خطرت لكل طفل فى سن معينة ، ونال نصيبه من الزجر بسببها ، وتعلم أن يؤمن بدون تفكير ، وأن يسبل عينيه ويتمتم بأى شىء كلما ذكر الله والرسول ، وزعموا له حين كبر أن عمر بن الخطاب كان يقول : « اللهم ايمانا كايمان العجائز » فاختلط الدين فى عقله بالخرافة ، ولو أن مدرس الديانة قرأ عليه فى تلك السن الغضة خمس آيات من سورة الأنعام لفهمهن ربما أكثر من مدرس الديانة نفسه . أما الحادثة الثانية فكانت لى مع مدرس الحساب ، جئته بحل مسألة من الواجب وكان الحل صحيحا . ولكن المدرس أمرنى أن أقف وسألنى بمرأى ومسمع من الفصل كله حتى يعتبروا بحالتى : من أخبرك بهذا الحل ؟ قلت له ، وكنت صادقا : لم يخبرنى به أحد . قال : بل أخبرك به أخوك فلان ، وكان لى اخ يقاربه فى السن . قلت : أنا فكرت فيه وحدى ، قال : لاتكذب . ومازال بى حتى كذبت و اعترفت أن أخى هو الذى أرشدنى إلى هذا الحل قال المدرس وقد رضى عن ذكائه : هذه طريقة عتيقة لحل هذا النوع من المسائل ونحن نحلها بطريقة أخرى . بعد ذلك لم أع شيئا من الطريقة التى شرحها وأصبحت جبانا . وأصبح الحساب مشكلتى الكبرى حتى المرحلة الثانوية . ولا أزعم أن العالم خسر رياضيا أخر مثل الخوارزمى أو بوانكاريه ، ولكننى واثق أنى خسرت كثيرا لأنى لم استطع إلى اليوم أن أتغلب على ضعفى القديم فى الرياضة أو نفورى منها .

● معاناة داخل المدرسة

لا أظننى أبالغ إذا قلت إن نظام التعليم كثيرا مايكون معطلا لنشاط التلميذ الجسمى والعقلى بدلا من أن يساعد على تنمية قدراته الكامنة . ان الطفل فى سن المدرسة الابتدائية يحشر فى فصول كثيفة العدد ، داخل أبنية لاتوجد فيها مساحات للحركة الحرة ، فضلا عن اللعب المنظم أو غير المنظم ، ولذلك تراهم دائما فى الشوارع المحيطة بالمدرسة ، يزحمونها ويملئونها بالضجيج . ولم يعد ذلك مقصورا على المدارس الحكومية المجانية أو شبه المجانية ، بل أصبحنا نراه فى معظم المدارس الخاصة ، التى تكلف أولياء الأمور مصروفات باهظة إن هذه الحالة يمكن أن تملأ طفلا حساسا بالفزع ، وتضاعف العبء على المدرس أو المدرسة فى مجرد « حفظ النظام » ،

دع عنك واجب التدريس نفسه ، ولابد من علاج سريع لهذه الحالة إلى أن يعاد النظر فى « اقتصاديات التعليم » من أساسها وقد يكون بعض هذا العلاج بأيدى مديرى المدارس أنفسهم . لماذا لاينظم جدول الدراسة مثلا بحيث يقضى قسم من التلاميذ بعض الوقت فى ملعب رعاية الشباب القريب من المدرسة ؟ لماذا لايصبح التمثيل جزءا أساسيا من نشاط الفصل ، فتتاح للتلاميذ فرصة التحرك أثناء الحصة الدراسية ؟ نعم إن هذه حلول جزئية وقليلة الأثر ، ولكنها تذكرنا على الأقل بأن تعليم الأطفال يجب ألا ينطوى على تشويه لطبائعهم .

ولو أعيد الاهتمام بمكافحة الأمية ، وخصصت فترة من الليل لتعليم الكبار ، وعمم ذلك فى عدد كاف من المدارس ونظمت الحملة بحيث يكون البرنامج مغريا للكبار ، فسوف يؤدى ذلك خلال سنوات قليلة إلى تخفيف العبء عن المدرسة الأدبية ، إذ ان الابوين سيصبحان معلمين لأبنائهما ولعله يخفف العبء أيضا من طريق آخر ، إذ يساعد على تحديد النسل ، أو « تنظيمه » كما تحب الدعاية الرسمية أن تقول !

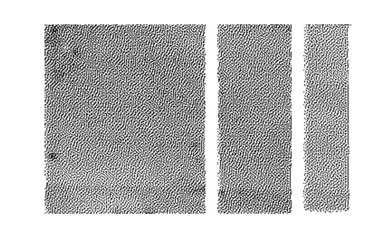
● القراءة مشكلة العصر

تدبير المال اللازم ليكون التعليم الابتدائى الجيد حقا مكفولا لكل مواطن صغير ، وفرض العقوبات على الآباء الذين يحرمون أبناءهم من هذا الحق ، عملان سياديان من أعمال الدولة . ولكن بقاء التعليم قضية مثارة أمام الرأى العام ، سيؤدى فى نهاية الأمر ، إلى القرارات السياسية المناسبة ، وقد تصبح هذه القرارات أسهل أمام المخططين والمتفذين إذا وضحت للجميع أهداف التعليم الابتدائى ووظيفته .

لعل معظم الناس متفقون على أن هدف التعليم الابتدائى ـ أو الأساسى ـ هو اتقان آليات القراءة والكتابة ومبادىء الحساب . ولعلهم متفقون أيضا على أن اتقان آليات القراءة والكتابة أصبح مشكلة المشاكل فى هذا العصر . الجميع يشكون من أن الأجيال الجديدة لم تعد تعرف لغتها . هذه لاشك مصيبة ولاسيما إذا لاحظنا أن معظم الكبار ـ أيضا ـ لايحسنون استعمال لغتهم ! بل إن مظاهر التحلل اللغوى أصبحت لافتة للنظر ، فى الكلمات العامية المبهمة التى تخترع كل يوم ، والأسماء الأعجمية على المحلات العامة ، وأخيرا ـ وهذا هو الخطر الأكبر ـ فى المحاولات الصريحة والمستترة لادخال لغة أجنبية كلغة حديث فى المجتمع المصرى ، ولو بصورة محدودة أول الأمر .

والتحلل اللغوى لابد أن يؤدى إلى تحلل قومى .

لقد أشار كثير من كتاب الصحف الى أن الخطابات التى تردهم من قراء



« متعلمين » طلاب جامعيين أو خريجين تحفل بالأخطاء اللغوية بمختلف أنواعها : من مادة لغوية إلى نحو إلى إملاء ! ومن المفارقات المضحكة المبكية أنى كنت أدرس « علم الأسلوب » لفريق من طلاب المرحلة الجامعية الأولى (الليسانس) فراعنى أنهم يخطئون فى الاملاء أخطاء لاتقبل من تلميذ الابتدائى ، فخصصت فى أول كل محاضرة (ياللسخرية !) عشر دقائق لمراجعة القواعد الاملائية ! ولكن الجامعة لاترى نفسها ـ عادة ـ مسئولة عن هذه الفضائح ، أو مطالبة بعلاجها . ولها الحق فهى تقول ان الطلاب يجيئونها من المدرسة الثانوية ضعافا فى اللغة العربية (تخيل ـ أو لعلك تعلم ـ كيف يكون حالهم فى اللغة الانجليزية او الفرنسية ، اللتين تحاول بعض الأوساط إحلالهما محل العربية !) والمدرسة الثانوية أيضا لاترى نفسها مسئولة بالأصالة عن هذه الأخطاء الشنيعة ولها الحق أيضا ، فالتلاميذ يجيئونها من المدرسة الابتدائية وهم ـ بالكاد ـ يفكون الخط .

أصل الداء إذن فى المرحلة الابتدائية .

وقد سبق القول إن اكتساب اللغة انشط مايكون فى السنوات الست الأولى من حياة الطفل ومعنى ذلك أن يكتسبها بطريقة يخيل الينا أنها تلقائية (مع أنها فى الحقيقة ليست كذلك) واذا تأملت نشاط الطفل اللغوى فى هذه المرحلة علمت أن للتمرين دخلا كبيرا فى تكوين المهارة اللغوية . المهم أنه يدخل المدرسة الابتدائية وهو متقن ـ بالفعل ـ للغة التى التقطها من أهله ، والتى تسمى لذلك لغة الأم ، أو اللغة الأم ، متقن لها فهما وكلاما وفى حدود إدراكه ومعارفه العامة ، واللغة أو اللغات التى يتعلمها فى المدرسة بعد ذلك يجب أن تبنى على هذا الأساس ، إن أردنا الا نمحو معظم الخبرات اللغوية التى اكتسبها فى المنزل . وعلى هذا المبدأ يسيرون اليوم فى تعليم اللغات الأجنبية فقد أصبح من المعترف به أن تشرح المفردات والقواعد بمقابلاتها فى اللغة الأم ، حتى تتمكن عادة اللغة الجديدة من نفس المتعلم ، فتصبح المقارنة بين اللغات بعد ذلك نوعا من البحث الأسلوبى الراقى .

● علاج الضعف اللغوى

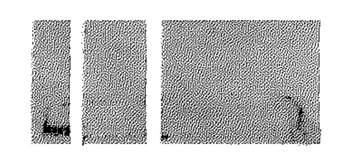
والسؤال الآن هو : كيف نعامل اللغة الأم ـ العامية أو لغة الخطاب العادى ـ حين يدخل الطفل المدرسة ؟ لقد كانت العادة ـ ولاتزال ـ ألا يعترف بها عند تدريس الفصحى ، أى أن المعلم يغمض عينيه عنها وكأنها غير موجودة ولكن العامية كانت تزاحم الفصحى دائما على ألسنة التلاميذ وأقلامهم . ومن ثم كان علاج الضعف اللغوى فى رأى كثير من المربين هو

إلزام المعلمين فى مراحل التعليم المختلفة أن يتكلموا بالفصحى مهما تكن المادة التى يدرسونها ومن الأمور التى تدعو إلى العجب . حقا أن كثيرين من المعنيين بأمر اللغة العربية الفصحى مازالوا متمسكين بهذا الرأى رغم أن التجربة أثبتت استحالة الأخذ به عمليا . فالمواقف اللغوية لا تفتعل افتعالا وقد تحدد مجال كل من العامية والفصحى فى الاستعمال بحيث وصل الى درجة العرف الاجتماعى ، وأصبح من العسير - إن لم يكن من المتعذر - تغييره . فالعامية تستخدم فى الخطاب العادى ، ويكتب بها بعض الشعر ومعظم التمثيل . والفصحى هى لغة الكتابة العلمية كلها ومعظم الكتابة الأدبية وهى لغة الخطابة والنقاش فى المحافل وقد تقترب الفصحى من العامية فيما يسمى اللغة الثالثة ، كما تقترب العامية من الفصحى فى حوار المثقفين وفى بعض الشعر العامى ، **ولكن تبقى الخصائص المميزة لكل من العامية والفصحى حتى فى هذه الصور الممتزجة . ومنها : ترك الاعراب والتثنية فى العامية ،** وإهمال جميع الأسماء الموصولة ما عدا « ال » التى لم تستعمل فى الفصحى كاسم موصول ، إلا فى لغة ضعيفة ، مع الوقوف عليها بحيث تسمع اللام مشددة ومضافا اليها ياء ، وما يترتب على ترك الاعراب من التزام ترتيب معين لأجزاء الجملة .

والكلام على الفروق بين العامية والفصحى ، وهل تعد الأولى "لغه" او "لهجة" يحتمل نقاشاً فنياً كثيراً . ولكننا لا نخوض فيه الآن ، لأننا لسنا بصدد التشريع للغة ، إن كان مثل هذا "التشريع" ممكناً ، إنما نبحث فى تعليم اللغة ولا مراء فى أنها ستكون الفصحى ، ولا مراء كذلك فى أن الفروق التى أشرنا إليها كثيرة ومهمة بحيث لايسوغ الاغضاء عنها إذا اردنا أن نرسخ عادات الفصحى فى عقل الناشىء بحيث تنطبع على عقله ولسانه .

● تجربة مهمة

وقد أتيح لى فى أثناء زيارة سريعة للكويت أن أطلع على تجربة مهمة فى تعليم الفصحى للصغار يقوم بها منذ بضع سنوات أستاذ فى التربية ، متخصص فى تعليم اللغات الأجنبية ، وهو الدكتور عبد الله الدنان . وهو ينطلق من مسلمة أن الفروق بين الفصحى والعامية تحتم علينا معاملة الأولى على أنها لغة مختلفة (مع العمل على التقريب بينهما بقدر الإمكان) . وبما أن السنوات الست الأولى هى أنسب مراحل العمر لغرس العادات اللغوية فى نفس الطفل - هكذا يمضى الدكتور عبد الله الدنان فى أطروحته - فيجب أن نبدأ تعليم الطفل الفصحى من سن الروضة ، وذلك عن طريق الحوار العادى داخل المدرسة ، مع الاعتراف بأنه سيظل يتكلم لهجته العامية خارجها ، والدكتور



عبد الله الدنان يتمسك بالاعراب ، حتى فى اواخر الجمل ، و لايزال علينا أن ننتظر حتى نرى هؤلاء الأطفال حين يكبرون ، ونعرف إلى أى حد احتفظوا بعادات الفصحى بعد تركهم الروضة ، ومعروف أن الأطفال الصغار يفقدون العادات اللغوية بسهولة كما يكتسبونها بسهولة ، إذا توقف استعمالهم لها . فقد رجعنا إذن إلى إجبار المعلمين جميعاً ، فى مراحل التعليم المختلفة ، على التزام الفصحى فى جميع كلامهم ومحاوراتهم مع تلاميذهم ، وقد ثبت أن هذا مطلب غير عملى كما سبق القول . دع عنك أن الذين يمكن أن يتمتعوا بهذا الامتياز قبل التعليم الابتدائى هم فئة محظوظة ، ونحن إنما نفكر فى التعليم الأساسى الذى يجمع بين أبناء الأمة الواحدة على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم .

والأوضاع اللغوية ليست قدراً مقدوراً ، فهى تتغير كما يتغير كل شيء فى هذا الكون ، وهى تتغير نحو التقارب فالتوحيد ، كما تتغير نحو التباعد فالتشعب ، ولكن التغيير لا يبدأ من فراغ وتوجه الارادة البشرية نحو التغيير يستلزم أولاً أن نعرف الواقع لكى نحقق الممكن .

فالاعتراف بأن اللغة العربية الفصحى هى أولاً وقبل كل شيء لغة قراءة وكتابة ، وخطابة ومناظرة ، هو منطلقنا لتبقى لغة حية (ولاشك عندنا أن التقارب سوف يحدث بعد ذلك ، ربما بسرعة أكبر مما نتصور ، بين الفصحى والعامية) . إذن فلتغرس عادة القراءة منذ المرحلة الابتدائية . لترص خزائن الكتب ، مع خزائن اللعب التعليمية ووسائل الايضاح ، حول جدران الفصل . ولتكن الكتب التى تقدم للطفل جميلة مشوقة ، فى موضوعاتها ولغتها وفى إخراجها أيضاً . وليكن الكلام مضبوطاً بالشكل دائماً ، ولتكن علامات الشكل موضوعة فوق الحروف بطريقة ثابتة لاتربك التلميذ الصغير .

ولكيلا يتوهم الطفل ، حين يكبر ، أن اللغة العربية لغة ميتة ، لتكن الأناشيد والتمثيليات على رأس مواد اللغة العربية ، وليشجع فى السنتين الثالثة والرابعة من هذه المرحلة ، على المناظرة والتعبير باللغة الفصحى ، والطفل فى هذه السن مشغوف بالتعبير عن نفسه فليشجع على استعمال الفصحى كلما أراد ذلك ، ولا ريب أنه سيجدها أكثر ثراء وأقوى تأثيراً من العامية .

إن طفلاً ينشأ هذه التنشئة ستصبح اللغة فى يده مفتاحاً لكل العلوم (كما هى فى الواقع) ، وأداة جيدة للتفكير ، ووسيلة فعالة للتأثير .

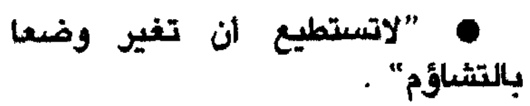
ولن نشكو عندئذ من أمية المتعلمين !



● "من الضرورى أن نحصن أنفسنا ضد الاحباط الناجم عن غموض صورة السلام" .

الشاعر محمود درويش

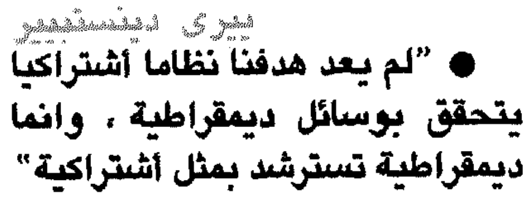
محمود درويش



● "لاتستطيع أن تغير وضعا بالتشاؤم" .

المنشق التشيكوسلوفاكى

بيرى دينستبير



● "لم يعد هدفنا نظاما أشتراكيا يتحقق بوسائل ديمقراطية ، وانما ديمقراطية تسترشد بمثل أشتراكية"

اكيل اوكيتو
أمين عام الحزب
الشيوعى الأيطالى



سوسوكى اونو

● "لا افكر فى الاستقالة" .

سوسوكى اونو
رئيس وزراء اليابان المستقيل

● "أريد أن أورث أولادى الحكمة لا المال"

لولى هيسليب
اديبة فيتنامية تعيش فى الولايات المتحدة

● "لن اعتزل حتى الموت !"

جورج سولتى
قائد أوركسترا شيكاغو السيمفونى سابقا

● "حقوق الانسان لم تبدأ فى فرنسا !" .

مارجريت تاتشر
رئيسة وزراء بريطانيا



مارجريت تاتشر

● "السلام المتوازن فى مصلحة الجميع" .

القائد الفلسطينى
محمود عباس (ابو مازن)

نحو فلسفة إسلامية معاصرة ومتحف التاريخ

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

ذهبت بلا بطاقة دعوة .. فلم أستطع مقاومة اغراء ندوة تعقد بالقاهرة تحت شعار (نحو فلسفة اسلامية معاصرة) .. ودواعى الاغراء متعددة :

● أولا - إن المنظم لهذه الندوة هو (المعهد العالمى للفكر الاسلامى) بواشنطن ، وهو مؤسسة فكرية اسلامية خاصة ، من تلك المؤسسات التى رأيناها تظهر على الأراضى الأوربية والأمريكية فى السنوات الأخيرة ، هربا من عديد من القيود التى تعوق انطلاقة الفكر ، وبحثا عن مناخ يتيح حرية الحركة الثقافية بعيدا عن سيف المعز وذهبه فى الأرض المحلية .

والذى يتابع جهود هذا المعهد ، يلمس مدى تكريسها لمعالجة الازمة الفكرية لدى الامة الاسلامية واشعارها بقدرها وتحريرها من عقد التعصب والهزيمة الروحية والفكرية ، وانقاذها من الانفتاح الوهمى والاعتزاز السلبى بالتاريخ .

ويشد انتباهنا الى متابعة هذه الجهود ، سعيها الى توفير الرؤية الاسلامية بتأصيل قضايا الاسلام الكلية وتوضيحها وتوكيدها وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الاسلامية العامة .

وكذلك استعادة الهوية الفكرية / الثقافية للأمة عن طريق التبديل الثقافى واسلامية فلسفة ومنهجية العلوم الانسانية مع تمثل افضل ما وصلت إليه المعرفة الحديثة وهضمه والخروج منه بنتائج مفيدة تسهم فى،



عباس العقاد



د . محمد عمارة

تغذية المعرفة الاسـلامية ومـدها بالصالح النافع .

ثانيا : جدة وطرافة الموضوع نفسه ، فالقول بـ (فلسفة اسلامية معاصرة) يستدعي الى الذهن على الفور جهود عدد من الفلاسفـة الإسلاميين في القرون الاولى أمثال الكندى والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالى .. الخ ، فهل يعنى القول (بالمعاصرة) رؤية عصرية لجهود هؤلاء المفكرين ؟ أم يعنى مناقشة للجهود الفكرية فى العالم الاسلامى فى العصر الراهن ؟ أم يعنى محاولة (توظيف) و (استثمار) جهود فلاسفة الاسـلام فى مواجهـة المشكلات والقضايا التى تحاصر المسلم فى العصر الحاضر ؟

وأيا كان القصد ، فالموضوع على درجة عالية من الحيوية فى فترة كثر فيها النقاش حول أزمة العقل المسلم بين تيارات شتى تتجاذبه ، متعددة الوجهة ، متباينة الاسلوب ، مختلفة المجال .

ثالثا ـ ان كاتب هذه السطور ، باعتباره جنديا فى كتيبة العلوم التربوية والنفسية ، يحاول منذ سنوات عديدة ، ان يؤصل لتربية تستند الى العقيدة الاسلامية مصدرا ، وتتوسل بالعقل والعلم منهجا ، وتستلهم هموم الانسان المعاصـر فردا وجمـاعة موضوعا للتفكير والبحث ، وتستهدف صورة لمستقبل إعمار الارض وتنمية المجتمع ويقظة العقل البشرى .

ومن هنا ، فان موضوع (نحو فلسفة اسلامية معاصرة) لابد ان يثير الانتباه ، لأنه يشكل رافدا رئيسا لبناء الانسان وفقا للتصور الذى اشرنا اليه .

فى اليوم الاول : كانت الصدمة شديدة ! !

والصدمة المقصودة هنا هى اتساع وعمق الهوة بين الامل المرجو والواقع المفروض .

كان الأمل ، أن نشهد عملية (سحب) للتاريخ القديم الى عصرنا الحاضر، فإذا المشهد هو عملية سحب للعصر الحاضر الى القرون الأولى :

أبحاث ودراسات تدور حول مسائل شغلت العقل الفلسفى المسلم فى العصور الاسلامية الأولى ، مثل قدم العالم وحدوثه والجوهـر والعرض والعقول العشرة والعقل الفعال والعقل المنفعل ، والفيض ، وما الى هذا وذاك من قضايا انقضى زمانها وولى ، وأصبحت جزءا من متحف التاريخ ، اذا عنينا بها ، فمن أجل هدف

(معرفى) ، لا أكثر ولا أقل ، ولكن العقل المسلم المعاصر لم يعد هذا مما يشغله ويقض مضجعه .

ان الذى يشغل العقل المسلم المعاصر هو هذه (الارادة) الذاتية المكبلة بسلاسل الديون الخارجية ، والتخلف المزرى ، والتبعية المفجعة ، وتشتت الولاءات وتبعثر الهويات ، وثلاثية المأساة المتناقضة : أكثر معدلات الفقر والجوع + أضخم الأرصدة والدخول المالية + وفرة العقول من العلماء والمفكرين ، والنتيجة ، حتى كتابة هذه السطور فى موازين القوى العالمية صفر كبير .

لكن الله قد لطف بنا وبالحضور ..

فقد بدأت المناقشات الشفهية تهرب من سجن التاريخ لِتُعمِل الفكر فى الهموم الفكرية المعاصرة ، وبدأت تظهر أبحاث ودراسات اخرى ، بعضها يقترب من موضوع الندوة ، وبعضها الآخر يقف فى قلبها حقا .

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نصنف الابحاث والدراسات التى قدمت الى فئات ثلاث :

الفئة الأولى : أبحاث ودراسات انصب اهتمامها فى مناقشة المسائل الفلسفية كما عنى بها فلاسفة الاسلام فى القرون التى عاشوها ، لكنها سكتت تماما عن السؤال المطروح : ثم ماذا ؟ ما موقفى أنا الانسان المعاصر من كل هذا ؟ بماذا تعيننى هذه المسائل على مواجهة ما أعانيه اليوم وما قد أعانيه غدا ؟

الفئة الثانية : أبحاث ودراسات محورت موضوعاتها حول قضايا فلسفية قديمة فى كثير من الأحوال لكنها ـ فى استحياء ـ حاولت أن تجيب على التساؤل المطروح ، وكان من الطبيعى أن تجىء الاجابات غير شافية ، لأن ما شغل مسلمى الأمس ، ليس بالضرورة يمكن أن يشغل مسلمى اليوم . أن الزمان يعدو ، والأرض تدور ، وعقارب الساعة تسير الى أمام ولا تتقهقر ، فكيف يمكن فرض اجابة الامس على انسان اليوم ؟!

الفئة الثالثة : هى التى انطلقت ابحاثها ودراساتها من الازمة الفكرية التى يعيشها العقل المسلم فى العصر الحاضر ، والمشكلات التى تواجهها الجهود الفلسفية المعاصرة فى العالم الاسلامى سواء داخل الأروقة الاكاديمية المتمثلة بالدرجة الأولى فى الجامعات ، أو فى الساحة الفكرية العامة .

● مواجهة قضية التراث والمعاصرة

ومع ذلك ، فإن الدراسة التحليلية لمجموع الأوراق المقدمة يمكن أن تفرز عددا من الأفكار الهامة ، حتى من خلال الفئتين الأولى والثانية ، فعلى

الرغم مما أثبتناه عنهما ، فإننا نستطيع أن نعثر على أفكار لم يكثف الضوء عليها ، لكننا نقتطعها مما أضمرت فيه لنخرجها في دائرة الضوء لتشكل ، مع غيرها ، حبات عقد في الموضوع المطروح :

ـ كيف واجه العقل المسلم قضية التراث والمعاصرة ؟ عندما قام المسلمون بأضخم مشروع للترجمة في العصر العباسي ، لوحظ أنهم ترجموا كل ما وصل الى أيديهم ـ مثلا ـ من تراث اليونان في الفلسفة والعلوم والرياضيات ، ولم يفعلوا نفس الشيء بالنسبة لتراث اليونان في الفن والادب ، فالأول يتصل بالعقل والعلم ، وكل منهما عام في البشر ، والثاني يتصل بالشعور والوجدان ، وكل منهما خاص في البشر ، وهذا يدل على أن العقل العربي حين أراد الترجمة ترجم منها ما يحتاجه في مسيرته الحضارية ، فكان لديه معيار حضاري استطاع أن ينتقي به ما ينتقيه ، أي أنه تعامل مع تراث الحضارات السابقة من خلال منظوره العربي الاسلامي .

ـ المواجهة بين العقل والوحي : فعندما اطلعت العقلية الاسلامية على الفلسفة اليونانية بصفة خاصة ، نظر بعض ممثليها من الفلاسفة الاسلاميين الى هذه الفلسفة باعجاب وتقدير نظرا لما احتوته من تحليلات منطقية دقيقة ومعمار عقلي متماسك ونظرات فكرية تغوص في الاعماق ، لاتقف عند القشور وانما تمتد الى اللباب ،مما يشير الى قدرة العقل البشري على المساجلة الفكرية وتحدي المجهول ومنازلة العقبات والصعاب ، لكن هذه العقلية الاسلامية وجدت بين يديها كتاب الله وسنة رسوله ينقلان اليها توجيهات وفكرا وقضايا جاءت عن طريق الوحي لا العقل ، ثم اذا بالعقلية الاسلامية لاترى تمام الاتفاق بين ما جاء بطريق العقل وما جاء بطريق الوحي ، واذا كان هناك من حسم القضية فرفض الوحي مؤثرا العقل ، وهناك من رفض العقل مؤثرا ما جاء به الوحي ، فإن الجمهرة الكبرى حاولت تناول القضية من منظور توفيقي ، لايرى تقابلا بين الاثنين ، فاذا كان جوهر الايمان يقتضي التسليم (بالغيب) ، إلا أن فهم ما يجيء به الوحي وتفسيره وتطبيقه لايكون الا بحسن استخدام العقل ومناهج وادوات تفكيره ، فضلا عن ضرورة العقل ابتداء للتدليل على ضرورة الايمان وجوهريته .

ـ كانت مباحث علم الكلام تتركز في دراسة الألوهية والنبوة والبعث في القرون السابقة ، وليست هذه الموضوعات مما يعني به الفكر المعاصر . أن المسلم المعاصر بحاجة الى أن يعمل المتخصصون في هذا الفرع مباضع البحث العلمي في مبحث لابد أن يحتل مقاما اساسيا في علم الكلام ، الا وهو مبحث الانسان : غاية وجوده ، حريته ، علاقاته ، مكانته ، تكوينه ، ولن يبعدنا هذا عن

نحو فلسفة إسلامية معاصرة ومنحف التاريخ

مفهوم علم الكلام حتى فى عصوره القديمة ، فالفارابى (ت ٣٣٩ هـ) على سبيل المثال فى كتابه أحصاء العلوم ، يعرفه بقوله "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملكة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل" .

- يستند كثير من السلفيين الغلاة الى آراء ابن تيمية فى الهجوم على الفلسفة الى درجة التحريم ، لكن القراءة المتأنية لكتاباته تبين أنه لم يهاجم الفلسفة على أطلاقها وانما الفلسفة بالتصور الأغريقى الذى ساد الفلسفة الاسلامية ، يقول ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية : ".. وأما نفى الفلسفة مطلقا أو أثباتها ، فلا يمكن ، اذ ليس للفلاسفة مذهب ينصرونه ولا قول يتفقون عليه .. ولايتفقون الا على مايتفق عليه جميع بنى ادم من الحسيات المشاهدة والعقليات التى لاينازع فيها احد وجميع مايوجد فى كلام هؤلاء وغيرهم من العقليات الصحيحة ليس فيه مايدل على خلاف ما اخبرت به الرسل" .

هذا بطبيعة الحال ، فضلا عن دعوة القرآن الى استعمال الحجة والبرهان اقتداء بطريقته فى الاستدلال وكذلك دعوته الى الملاحظة والتفكر وقياس الغائب على الشاهد ، وابرازه اهمية الاعتبار والاستبصار والتنديد بالتقليد .

ان مضمون « فلسفة اسلامية » الذى يدرس فى الكتب المدرسية واغلب الكتب الجامعية يبعد كثيرا عن حقيقة فكر فلاسفة المسلمين الذين بقوا على عهدهم بالنسبة لتقدير المضمون العقلى للفكر الاسلامى ، ذلك ان هذا المضمون عندما يقدم الى عقول الدارسين ، يقدم لهم على اساس ان فلاسفة المسلمين بقوا اتباعا للفكر اليونانى ، وقد اثبت عدد غير قليل من الباحثين المحدثين والمعاصرين شطط هذا الظن ومباينته للواقع مما لامجال لبيانه فى مقالنا الحالى حيث يحتاج الى صفحات مطولة .

لكن هذا لايمنع من ابراز انتقاد محمد اقبال - مثلا - لاغراق بعض الفلاسفة الإسلاميين فى التجريد العقلى الموروث من الفلسفة اليونانية ، فقد اورثها هذا عزلة عن المجتمع وعجزا عن التأثير فيه ، وانشغالا بالفكر ، افقدها حرارة الحياة ونبض الكفاح والقدرة على التغيير .

فالمطلوب اذا فكر ملتحم بحركة الجموع ، يستمد منها مقومات التفكير ويستهدف تغيير الواقع وبث الحياة فى عروق الثقافة .

- يخطىء كثيرون ممن يؤرخون للفلسفة الاسلامية عندما يدرسون ما تحويه من أفكار ونظريات ومذاهب مجردة عن تيار الحياة الاجتماعية بكل أبعادها الزمانية والمكانية ، ذلك أن

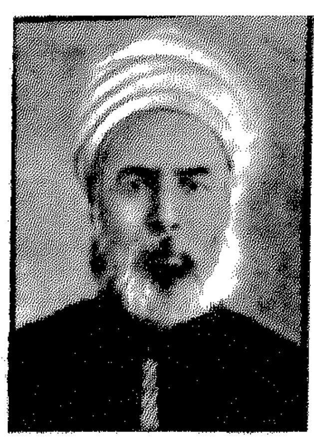




سيد قطب



محمد اقبال



الشيخ محمد عبده

مثل هذا النهج لايجرد هذه الفلسفة من مصادرها الحية فقط ، وانما ينسف نسفا جهود فهمها وتفسيرها ، فالفهم والتفسير فى الفكر الفلسفى لا يتأتى بالنظر فيه فى ذاته ومدى اتساق أجزائه بعضها مع بعض والعلاقات الداخلية التى تربط بين مقوماته ، وانما يتأتى بالدرجة الاولى بالوعى بحركة التفاعل المجتمعى بين الفكرة وظروف نشأتها والقوى المؤثرة فيها ، وصراع المذاهب والافكار قد يكون غطاؤه البادى للعيون صراع عقول ، ولكن النظر الاجتماعى العلمى السليم يستطيع ان يبصر تحت السطح حركة شرائح وفئات وتضارب مصالح وأهواء ، وتنازع سلطات ومراكز .

● جهود متصلة

ومن هنا فإذا كانت دراسة الجهود السابقة لفلاسفة الاسلام ضرورة من الناحية العلمية التاريخية ، فإنها يمكن ان تصبح ذات وظيفة عصرية اذا درست فى سياقها الاجتماعى ، ذلك ان مثل هذه الدراسة ستوفر لدى الدارسين بصرا بقواعد ومبادىء حركة الفكر مما يشكل أدوات بحث ومناهج نظر يمكن ان تستخدم فى مواقف بحثية جديدة .

ـ ليست الفلسفة الاسلامية هى فقط جهود السلف القدماء ، فهناك جهود اخرى شهدها العصر الحديث بحاجة الى ان تدخل تحت مظلة الدراسات الفلسفية الاسلامية . صحيح ان مراكز الاهتمام مختلفة ، والموضوعات متباينة ، لكن ذلك من طبائع الامور ، ومن أمثلة الجهود الفكرية الحديثة :

× جهد الأفغانى فى إيقاظ العقل الإسلامى من سباته ومحاربة الهيمنة الاستعمارية وسيطرتها على مقدرات هذا العقل .

× جهد محمد عبده فى التنوير الدينى والاجتماعى ووضع قضية التربية والتعليم فى مقدمة السبل التى لابد منها فى التفسير الثقافى .

× خير الدين التونسى ، ودوره فى الدعوة الى التغريب الحضارى ، بغض

النظر عما اذا كنا نوافق على هذا الرأى أو نشجبه .

× عبد الحميد بن باديس ، ونقده للطرق الصوفية من حيث أشاعتها روح التكاسل والتواكل ، من أجل بناء شخصية مسلمة ذات قوة ومناعة .

× طه حسين وجهده فى الدراسة الاجتماعية للتاريخ الاسلامى فى عهده الاول والنظرة النقدية القائمة على منهج الشك الديكارتى .

× سيد قطب ، والتصور الاسلامى الذى يقدمه لمجتمع يعيد سيرة الصدر الأول من الاسلام فى ايمانه وكفاحه ونقائه وطهارته .

× العقاد ، وتفسيره لقضايا فلسفية وتاريخية اسلامية بمنظور عصرى ، وردوده على ما سبق من صور نقد وهجوم على الاسلام .

- ومن يستقرىء تاريخ العلم والحضارة يمكنه ملاحظة أثر التطور العلمى والتقنى على مناهج التفكير وطبيعة التحول فى مختلف ضروب النشاط الانسانى اذا ما قارن بين حدود عالم الانسان منذ كان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر ، الى ان وصل الى تفجير الطاقة من الذرة والنواة .

واذا كان سكان الكرة الارضية ينقسمون الآن الى شمال قوى وجنوب ضعيف متخلف ، فان الادراك الواعى لطبيعة التطورات التى تحدث فى كل ميادين العلم المعاصر من شأنه ان يساعد على تقييم موضوعى لتلك الفجوة الواسعة بين سكان الكوكب الواحد . كما ان التوصيف الامين لهذا الواقع العلمى والتقنى يعتبر مقدمة ضرورية للتفكير فى الخروج من مستنقع التخلف والاسهام فى اعداد عقليات علمية قادرة على المشاركة فى ميادين الابتكار والابداع . وبطبيعة الحال ، سوف تختلف طرائق التناول باختلاف الوجهات الفلسفية المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر على تعددها وتباينها .

ويكون التحدى الحقيقى الذى يواجه الفكر الاسلامى فى هذا العصر ، هو قدرته على تقديم اجابات شافية لكل ما تسفر عنه تطورات العلوم وتقنياتها ، وذلك من خلال صياغة جديدة لفلسفتنا الاسلامية تأخذ فى اعتبارها لغة العلم وتحدياته ، وتسهم فى بناء الحضارة المعاصرة بنصيب يتناسب مع مجد الامة الاسلامية ومكانتها فى تاريخ العلم والحضارة . (دراسة د . أحمد فؤاد باشا عن علاقة العلم بالفلسفة الاسلامية) .

- ومن المهم للغاية ان تكون مناهج الدراسات الفلسفية الاسلامية مؤدية الى تنمية الجانب النقدى عند الدارس . صحيح أننا نجد فى بعضها ما قد يؤدى الى هذا الجانب ، ولكن

هذا لايكفى ، والا فكيف نفسر عدم ادراك بعض الشباب لما فى بعض الاتجاهات من صور انحراف وصور تضليل اننا اذا نسينا الجانب النقدى ، فستكون لدى الدارس القدرة على نقد ما يراه من اراء باطلة وعدم الوقوع اسيرا لبريقها . وتتضح أهمية هذا الجانب بالذات فى هذا العصر الذى نعيشه ، ذلك العصر الذى تحول الصراع فيه من صراع مسلح بالمدفع والبارود الى صراع ايديولوجى : بالفكرة والرأى ، كل يحشد امكاناته وقدراته لمحاولة فرض فكره وغزو الفكر الاخر بمختلف الوسائل والاساليب .

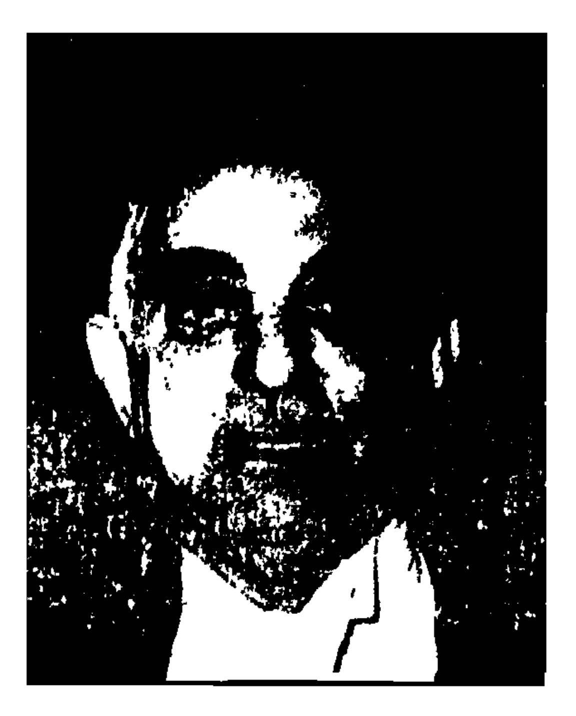
والنزعة النقدية لا تكون مطلوبة فقط لمواجهة الافكار القادمة من أصحاب الايدويولوجيات الأجنبية ، ولكنه يكون مطلوبا كذلك لحسن التعامل مع تراثنا الفلسفى ، بحيث تتمزق هالة التقديس التى تحيط به ليبدو على حقيقته : جهد بشرى غير معصوم من الخطأ ، قابل لأن يؤخذ منه ويترك بغير حساسية ولاتعصب ولا عقد مضمون الفكر الفلسفى ، فالاسباب لابد ان تصل بين موضوعات الفلسفة الاسلامية التى يدرسها طلاب الجامعة والمدارس وبين حياة المسلمين وقضاياهم المعاصرة .

ـ واذا تركنا جانب الفكر ونزلنا الى ساحة الواقع الى التاريخ ، تاريخ الاحداث والوقائع ، نجد ان الدراسات والابحاث التى لاتنطلق من (الذاتية الثقافية) للأمة ، لم تستطع ان تؤثر أو تحدث تغييرا يذكر على صعيد الواقع الاجتماعى والسياسى فى عالمنا العربى والاسلامى بل على العكس من ذلك تماما ، لم تزد تلك الابحاث والدراسات هذا الواقع الا تأزما وضنكا وتخلفا وتأخرا ، الشىء الذى يجعلنا نتساءل بصددها : لمن تكتب وتنشر تلك الدراسات والابحاث ؟ ان الجواب العلمى على ذلك هو أنها للتداول بين المثقفين ونخبهم لا غير . والجماهير ؟

واخيرا يجىء صوت مفكرنا الكبير محمد عمارة ، بفكره الثاقب ، ورؤيته الشمولية ـ كما عودنا دائما ـ ليؤكد ، اننا فى ظل حضارة جعل الله التجديد لدينها سنة وقانونا ، لايمكن لأهلها دوام التقليد فى فلسفتها . فمن الممكن ـ بل والواجب ـ القيام بنهضة فلسفية كجزء من فريضة النهضة الفكرية العامة ـ تستعين بـ (التجديد) وبـ (الابداع) على صياغة فلسفة اسلامية معاصرة للاسلام والمسلمين .

ان انجاز هذه المهمة الكبرى ـ مهمة بلورة فلسفة اسلامية معاصرة تمثل فكرية ايديولوجية ـ لأمة تريد ان تجدد واقعها بواسطة دينها الاسلامى ، انما يستدعى تخطيطا وتنفيذا لابد له من فريق عمل قائد لكوكبة من صفوة المشتغلين بالفلسفة الاسلامية .





بين نوري السعيد وسعد زغلول

بقلم : ربيع شتا

ظهرت مقولة كبيرة تقول : إن سعد زغلول انما ركب الموجة عام ١٩١٩ . قال هذا المرحوم فتحي رضوان وقصد بها إنكار او التقليل من زعامة سعد زغلول فى ثورة ١٩١٩ .

وهى مقولة خطيرة ومن رجل خبير . ففتحي رضوان عاش حياته كلها منغمسا فى الحياة السياسية والحزبية والصحفية يمارس السياسة عمليا كل يوم كأنها خبزه اليومى . بل لا يجد فى الحياة لذة ولا يجد ذاته هو نفسه الا بالممارسة اليومية للسياسة .

● وهو مثل عبد الرحمن الرافعى ينظران الى السياسة المصرية من زاوية ظلوا اوفياء لها حتى الموت وهى زاوية الحزب الوطنى . ويريان فى اسف عميق ان الحزب الوطنى فقد اضواءه واتباعه وإجماع الشارع المصرى عليه بسبب ظهور ثم صعود حزب الوفد . ففتحى رضوان - غالباً - ما كان يحس وكأن حزب الوفد قد سرق كل شىء من الحزب الوطنى . هذاالإحساس بلوره بأسلوبه الأدبى المتمرن والذى لا ينقطع يوما واحدا عن الكتابة او الخطابة . بلوره فى مقولة أن سعد زغلول ركب موجة ١٩١٩ .. ولو أنه قال ان حزب الوفد سرق الحزب الوطنى لكان اصدق . ولكن لم يكن هذا الا ليثير سخرية الناس من الحزب الوطنى ذاته . وفتحى رضوان كان من اقـدر المحـامين المتـرافعيـن بـل والمتخصصين فى الدفاع السياسى . فهذه المقولة لايمكن ان يصوغها الا بعد تأمل طويل عريض وبعد استحضار كل براعته كمحام سياسى . والحق اننى ظللت فى حيرة : هل فتحى رضوان صادق فى مقولته ام هو حزبى أو هى بلاغة الشعراء عندما يهيمون .

ظلت حيرتى هذه الى ان حسمها نورى السعيد نفسه . نورى السعيد رئيس وزراء العراق الذى سجن ومثل به فى ثورة تموز بالعراق بانتهاء الملكية وقيام الجمهورية .

نورى السعيد له مذكرات من ثلاثة اقسام ، الأول : عن حياته العسكرية فى ثورة حسين بن على حتى عام ١٨ ، والثانى : عن دوره فى الحركة العربية مع فيصل كملك على سوريا الى يوم خروجه من دمشق فى ٢١ تموز ١٩٢٠ ، والثالث : عن دوره فى الحكم الوطنى العراقى حتى وفاة فيصل عام ١٩٣٢ .

مايهمنا هنا هو القسم الاول . ويلاحظ هنا انه كان قبل قيام ثورة ١٩ تماما . وان نورى السعيد اتصل بسعد زغلول قبل ثورة ١٩ سنة ١٩١٥ اى قبل الثورة باربع سنوات كاملة .

نحكى الوقائع اولا .. ثم نستنتج بعد ذلك .

أعلن الاتراك الدستور - المشروطية - عام ١٩٠٨ . وكان هذا الدستور فيه ما بدا كأنه مغالاة للعنصر التركى . فهو دستور منقول عن اوربا او متأثر بدساتير أوربا . وأوربا كانت تقدس مذهب الوطنية فى حين ان الدولة العثمانية كانت تتخذ الملّة اى الديانة هى اساس تصنيف الناس .

هذا التعصب الى التتريك فى دستور ١٩٠٨ سرعان ما اشعل لدى العرب تعصبا مضادا ايضا ولكن دون تفكير فى الانفصال عن الدولة العثمانية .

كان عزيز على المصرى من غلاة المتعصبين للقومية العربية - مع انه يتكلم «تركى» : ودخل السجن لمدة شهرين وخرج فى نيسان (ابريل) ١٩١٤ من السجن عائدا الى مصر .

كان نورى السعيد - وهو زميل فى المدرسة الحربية لعلى العمرى - ايضا من دعاة العروبة . واتعظ بسجن عزيز مع المصرى فعزم على ان يهرب من تركيا الى الجزيرة العربية ليعمل مع امراء هذه الجزيرة . دون ان يفكر - بعد - فى عمل ثورة عربية . وكان هناك وسطاء بينه وبين امراء الجزيرة العربية وقتئذ . الوسطاء هم طالب النقيب (الذى كاد يرشح لعرش العراق فيما بعد) والمحامى سليمان





بين نورى السعيد وسعد زغلول

قيض الذى كان نائبا فى «مجلس المبعوثان» (النواب) العثمانى ومزاحم الباجة جى .

سافر نورى السعيد من الأستانة مصطحبا معه صديقه الدكتور عبد الله الدملوجى الى البصرة فى طريقه بعد ذلك الى الجزيرة العربية ولكنه فى البصرة مرض مرضا حال دون مواصلة السفر ، فانطلق وحده الى الجزيرة لملاقاة ابن سعود على أمل ان يلحق به نورى .

غير أن الحرب العالمية الاولى نشبت (عام ١٩١٤) ولازال نورى مريضا بل ان الانجليز احتلوا البصرة وهو مازال مريضا ـ حتى ان الانجليز نقلوه الى الهند للعلاج . ولما طال المرض نقلوه الى مصر كان ذلك عام ١٩١٥ .

ها قد وصلنا مصر .. اتصل نورى بعزيز المصرى وشريف الفاروقى ورءوف عبد الهادى . وعلم منهم ان الحكومة العثمانية قد شنقت فى دمشق بعض شباب العرب وان محاكم عرفية قد عقدت لمحاكمة آخرين وأن التهم المتداولة فى المحكمة هى ان تركيا تنسب اليهم تهمة الانفصال عن تركيا والعمل على اسقاط الخلافة والتآمر مع دول أجنبية .

لكن نورى السعيد كان خالى الذهن من موضوع التآمر العربى والانفصال وكان يعتقد ان غرض العرب هو الاصلاح وتشكيل حكم محلى للعرب وإدارات لامركزية فى الولايات العربية . بل يقول إنه كان على علم تام بمطامع الدول الاجنبية فى الامبراطورية العثمانية .

ويقول إنه هو وعزيز على المصرى رغم تشاورهما معا عدة مرات كانا يجهلان تمام الجهل وجود اتصالات بين مكماهون وشريف مكة حسين بن على . وكانا يجهلان ماذا تريد الدول الاجنبية من البلاد العربية وهل تستطيع هذه الدول العربية ان تضمن استقلال نفسها إذا استقلت أم لا رغم وجود مطامع استعمارية غير خافية .

واخيرا قر رأى عزيز على المصرى والزملاء الآخرين على ان يسافر عزيز الى حسين بن على ليطلع على ارائه وعلى المذكرات المتصلة بينه وبين مكماهون ثم يبرق بعد ذلك الى عزيز المصرى هذه المعلومات .

ثم يقول نورى السعيد حرفيا صـ ٢٣ "رأيت ان من المفيد قبل مغادرتى مصر أن اتصل بالمرحوم سعد زغلول وكنت من المعجبين لاستخراج رأيه" .

يستخرج رأيه فيما هو واخوانه مقدمون عليه . هل يثورون على تركيا ام لا هل ينضمون الى حسين بن على أم لا .

ثم يقول حرفيا : فلما عرضت عليه الأمر وجدته فى حيرة شديدة بالنظر للغموض والملابسات التى كانت تحيط بالموقف . **إذن كان سعد زغلول متانيا ويدرس الموقف قبل البت فيه . وهذا امر طبيعى فاولا هو كان قاضيا ولابد ان**



الفريق عزيز المصرى



الشريف حسين بن على

مهنته كقاض تصاحبه فى مستقبل حياته ثم هو كان سياسيا يدرك ان بحر السياسة لا يعتمد على الحظ بل لابد له من معلومات وتحليلات كما لابد للبحار من خرائط وادوات وخبرة .

ثم يقول نورى إلا أنه خرج من حيرته بقوله : « ان وضع البلاد العربية وضع شعب محكوم لا يملك من امره شيئا فإذا استطعتم ان تكونوا لهذا الشعب (لاحظ لهذا الشعب !) وضعا آخر ، وضعا استقلاليا فسيكون لكم الفضل فى هذا ، واذا خبتم فلن تضيعوا شيئا عدا انفسكم وسمعتكم وانتم لستم من المغامرين بشىء انتم من المجاهدين لتسعون لتحقيق شىء فاذا لم تتوصلوا اليه ، فلا لوم عليكم إلا بقدر ما يمسكم من كلام ونقد .

إن الامر يتوقف على النتائج التى ستحققونها فاذا كانت نتائج عظيمة فعملكم سيقاس بها واذا فشلتم فلابد من ان يحكم عليكم (بالاعدام طبعا) . ولا تكونون قد اضعتم شيئا موجودا فى الوقت الحاضر . فليس لكم كيان تجازفون به كما هو الحال بالنسبة الى الدولة العثمانية (انظر رأيه عام ١٥ فى مجازفة الدولة العثمانية بالدخول فى الحرب !!) فان الدولةالعثمانية اذا خسرت الحرب ستخسر شيئا كبيرا » .

ارايت كيف يفكر سعد زغلول فى تؤدة ولايبنى حساباته على عاطفة ويزن المكاسب والخسائر المنتظرة لنورى السعيد ولتركيا .

يقول نورى السعيد : فما كان منى حين سمعت هذا الحديث من المرحوم سعد زغلول الا ان نقلته الى عزيز على المصرى ثم غادرت مصر الى الجزيرة العربية (حيث صار اركان حرب حسين حسن بن





بين نوري السعيد وسعد زغلول

على) ارايت كيف ان نورى السعيد قد شحن كما تشحن البطارية . يقول أحمد امين فى مذكراته انه ما كان يحضر مقابلة لسعد زغلول الا ويخرج وكأن موتوره قد شحن فينطلق سائرا فى الشارع بحماس حتى انه كان ينسى محطة الترام او الاوتوبيس ويظل مندفعا فى السير .

فها هما شابان نورى السعيد وعزيز المصرى كلاهما من الاعلام فيما بعد . يذهبان اولا الى سعد زغلول ليستطلعا رأيه حتى اذا سمعاه اندفعا ينفذانه مطمئنين وبكل حماس مع ادراكهما ان هذا الامر قد يكون فيه اعدامهما .

ثم يقول نورى السعيد : يتضح لكم من هذا المعرض الموجز اننا حين اقدمنا على الثورة لم يكن لنا وضع او كيان دولى نخشى عليه من الزوال . فلم يكن فى البلاد العربية حكومة اوشبه حكومة حتى ولا ادارات محلية وهو وضع يختلف كل الاختلاف عن وضع البلاد العربيــة الحاضر كنا حينئذ اذا جازفنا فإنما كنا نجازف بأرواحنا فحسب . اما الآن فيجب ان نحسب كل حساب عند القيام باى عمل لئلا يؤدى عملنا الى كارثة يصعب تلافيها .

والآن نعود الى مقولة فتحى رضوان الشهيرة بان سعد زغلول ركب موجة الثورة . اولا : يتضح من مقابلة نورى السعيد الذى بالكاد كان قد تخرج فى الكلية العسكرية فى استنبول ان سعدا وهو فى عام ١٩١٥ ـ اى قبل ثورة ١٩ باربع سنوات . كان قد وصل فى وجدان الشعب المصرى وعموم الشعوب العربية الى مرتبة المرجعية بدليل أن نورى وعزيز على المصرى رجعا اليه اولا وبدليل اخذهما برأيه . ثانيا : وبدليل انهما لم يستشيرا احدا غيره بعد ابداء رأيه .

وليس هذا غريبا فقد كان الانجليز انفسهم قد استندوا اليه منصب وزير المعارف العمومية عام ١٩٠٦ وفى فترة الاحتلال كانت وزارة المعارف اخطر وزارة بلا شك . وهم لايستدون إليه هذه الوزارة اعتباطا . فلابد اولا من إعجابهم به . ومحاولة منهم فى التقاطه الى صفهم . هذا الى جانب انه قبيل ذلك كان الوكيل المنتخب من الشعب للجمعية التشريعية التى كانت هى برلمان هذه الفترة فسعد زغلول لم يقفز على الثورة عام ١٩١٩ كما يقفز مقامر فوق ظهر حصان لا يملكه بل العكس هو الصحيح تماما . فالشعب كان قد اعطاه توكيلا بالزعامة منذ انتخابه وكيلا للجمعية التشـريعية والانجليـز اعترفوا رغم خصومتهم بأهميته وبهذه الزعامة . ومما يذكر للانجليز انهم لم يحاولوا تزوير ارادة الشعب فى انتخاب الجمعية ولا وضعوا قيودا على ترشيح سعد او امثاله فى الوكالة عن الامة .

وأما تعبير ركوب الموجة فهو فى حد ذاته شهادة لسعد زغلول اذا حق انه فعلا ركب الموجة لان ركوب الموجة ليس شيئا

سهلا . انه اكبر نمرة فى السيرك . ولايقدر عليها الا اكفأ وامهر لاعبى السيرك . ولايعنى اطلاقا ان مجهولا او قاصرا تستدعيه الموجة العاتية وتحمله على ظهرها بمجرد المصادفة البحتة . فالتعبير الذى يقصد منه الكاتب الكبير فتحى رضوان ان سعد زغلول صار زعيما لثورة ١٩ . بالمصادفة هو تعبير فى حقيقته شهادة بعبقرية سعد زغلول فالموجات لا تركب هكذا بسهولة ولا بالمصادفة ولا بوصف سهل من اديب او مترافع والا فكل الثورات فى التاريخ ليست الا موجات حظ وكل الأسماء التاريخية ليست الا رجالا كسبوا «لوثارية» الحظ السياسى فقط .

والشق الآخر الذى برر به فتحى رضوان مقولته هذه هى قوله ان دينامو الثورة الحقيقى هو عبد الرحمن فهمى . وغريب جدا أن يصدر هذا الرأى عن رجل منقوع فى السياسة طوال حياته . فالثورات لاتتم ولاتستمر بالتآمر والتدبير الليلى والجماعات العدائية للثورات انما تخلقها خلقا الافكار واما حملة القنابل والمنشورات فهم ادوات تنفيذ هذه الافكار هم العربة التى يجرها الحصان وليس العكس وكثيرا ما يكونون هم ضحايا الافكار وشهداء هذه الافكار .

ففكرة الاستقلال الوطنى وأن الشعب المصرى جدير ان يحكم نفسه وانه ليس اقل من اى شعب مستقل وان الانجليز مهما كانوا امبراطوريين فإن المصريين معهم على قدم مساواة . هى افكار بثها ورعاها وتعهدها سعد زغلول .. لاعبد الرحمن فهمى . وكلاهما لايستغنى عن



فتحى رضوان

الاخر كالبيت والسلم ، السلم لا يتشىء بيتا ولكن البيت ايضا يحتاج الى سلم لكى يصير بيتا ويسكنه الناس .

وبقيت ملحوظة طريفة أوردتها مذكرات نورى السعيد عن ثورة الشريف حسين بن على فيقول : انه بعد ان كون جيشا لحسين بن على وجد فريقا من ٢٠٠ يهودى عملوا فرقة مخصوصة تحارب مع حسين بن على ضد الخلافة العثمانية اذن كان الصهاينة يدركون تماما ان الطريق الى اقامة اسرائيل هو اسقاط الخلافة العثمانية وان هذه الحقيقة نفسها كانت غائبة تماما عن ذهن كل من سعد زغلول ونورى السعيد ولولا نشر مذكرات نورى السعيد اخيرا ماعرفنا هذه الحقيقة وهذا يؤيد ما ذكرناه قبلا فى كتاباتنا مرارا عن ان الثورة العرابية وثورة الشريف حسين ابن على كانت تحارب فقط ضد الخلافة الاسلامية وان صقور الصهيونية دزراتيلى وجامبتا (وزير خارجية فرنسا) وروتشلد يحومون فى سماء المنطقة منذ القرن ١٩ .

خواطر عن طاهر الطناحي

بقلم : د . محمد رجب البيومي



كانت مجلة الهلال شغلا شاغلا لطاهر الطناحي مدى اربعين عاما من حياته ، وانني لاسبح بعين الخيـال فاتصوره في عـالم الغيب لا يزال مشغولا بها ، فهو يترقب صدورها ، ويطالعها بشغف وحنين كمهده من قبل ويغلو بي الوهم فاتصـوره متسائلا عني لماذا لم اكتب عنه حتى الآن .

اجل ، اشرف الطنـاحي على مجلات اسبوعية في دار الهلال فترة ما من فترات حياته ، ولكن اشواقه الدافقة كانت تجذبه دائما الى دار الهلال ، واذكر اني قلت له ، لقد احتل كتاب الهلال وروايات الهلال بعض فراغك لتنشغل عـن مجلتك حينا من الزمن فاشرق وجهـه بابتسامة معبرة وقال ، هما ولدان للهلال ، ارعاهما من اجل امهمـا الرءوم .

أكثر خلطاء الطناحي يعلمون أنه بدأ عمله الصحافي في دار الهلال، ويعدون هذه الدار موطنه العلمي منذ اتجه الى هذا المجال ، أما الحقيقة فتنطق بغير ما يعلمون ، لانه التحق بالاهرام وهو طالب بمدرسة القضاء الشرعي ، وقد جذبه الاستاذ داود بركات الى عالم الصحافة بما لمسه عن قرب ، من جده الحازم ، وصبره الدءوب ، لان الكاتب الكبير كان يقرأ يوميا ما يقع في يده من افتتاحيات الصحف العالمية ، ليجد الزاد المتواصل لقرائه ، كما كان يغادر مكتبه بين الساعة والساعة الى مطبعة الاهرام ليرى بعين الصقر دولاب العمل فى كدحه الجاد ، مع عطف وتسامح وسعة صدر ، وطاهر الشاب يلمس الكهل الصبور لاينى عن العمل قراءة واستقبالا وتأليفا وتفتيشا وتوجيها ، فيعرف أن العرق وسيلة النجاح ، وأن وراءه فى مضمار السبق الصحفي سبحا طويلا ليصبح رجلا ذا شأن ، ولم ينس أن يعترف بفضل أستاذه فيقول عنه فى مقال تحت عنوان (علمتني الحياة) .

« صاحبت الاستاذ دواد بركات رئيس تحرير الاهرام الاسبق فى مفتتح حياتي الصحافية ، فتعلمت كيف يكون الصحفي النزيه » .

● نشأة أدبية

فى دمياط الجميلة بين البحر الابيض وبحيرة المنزلة ونيل مصر الى امتداد النخيل الاسمر الفارع المتشابك فى العقود الاولى من هذا القرن نشأ طاهر الطناحي ليتعلم فى مدرسة الشاعر الكبير على الغربى وكان حينئذ جهير الصوت يمتد ابداعه في المؤيد واللواء والدستور والجريدة الى ربوع العالم العربي ، ويراسل زملاءه الكبار من أمثال حافظ وأحمد محرم وامام العبد ، ولصاحب المدرسة أناشيد وطنية وحماسية ، يفرضها على التلاميذ فيرددونها كل صباح ، ثم يقيم الحفلات فى مواسم الهجرة والمولد والاسراء ، لتلقى الخطب من الكبار والصغار معا، فنشأ من أبناء على الغربى جيل ممتاز نذكر منه محمد الاسمر وطاهر ابا فاشا وطاهر الطناحي وطاهر الجبلاوى ومحمود عماد ومحمد مصطفى الماحى وحسن كامل الصيرفى وعبد اللطيف النشار وسواهم ممن ألفوا الكتب ونظموا الدواوين ، وملئوا الصحف ، وقد تحدث الطناحى عن اثر الغربى فى نشأته الادبية فى رسالة بعث بها الى الاستاذ نقولا يوسف فنشرها بمجلة (الاديب اغسطس سنة ١٩٦٧) حيث انه غرس البذرة الادبية فى نفسه التى خلصت للأدب والشعر منذ بدأت تخط الحروف الاولى فى المدرسة الابتدائية ، ثم حفظ القرآن والتحق بالمعهد الدينى بدمياط ، وجاء الى القاهرة ليتصل بمدرسة القضاء فمدرسة دار العلوم ، ولذكرياته بهذين المعهدين حديث يطول، حيث تزعم الفريق الدرعمي الذى نادى بترك الزى الازهرى ونشر مقالات عن اتجاهه فى جريدة البلاغ ، ولامر ما ترك دار العلوم قبل أن يظفر بشهادتها العلمية لان عمله بالاهرام فدار الهلال قد اتجه به الى الفضاء الطلق مادام، يملك الموهبة المسعفة والقلم المبين .

● فى دار الهلال

من غير المعهود أن يتقدم ناشىء شاب

لدار كبرى مثل دار الهلال ، فيحرز ثقة ذوى الشأن بها لاول عام يبدأ به ، لاسيما والاستاذ أميل زيدان من الحنكة والاحتياط والتريث بحيث لا يمنح ثقته عفوا دون أسباب أكيدة ، وكم عرفنا من أنباء كبارا واوساطا التحقوا بدار الهلال وقتا ما، ثم جدمن الخلاف ما جعل الاسباب تنقطع لامور يقدرها أصحاب الدار ، وقد بدأ طاهر الطناحي عمله بمجلة المصور ، وتطلب ذلك منه أن يجرى التحقيقات الصحفية مع كبار المسئولين من وزراء وسياسيين ، واذا كان الحديث الصحفى مع انباء نابهين مثل احمد لطفى السيد ومنصور فهمى ومحمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق لا يكلف الصحفى عناء فى تحرير الاجابة لسلامة ما يبدون من الاراء من الناحية الاسلوبية فان اجراء الاحاديث مع رجال السياسة والاقتصاد والاعمال الحرة يتطلب جهدا واعيا فى اختيار التعبير المناسب كما يتطلب دقه أمينة فى تحديد المراد على وجه لا يسمح بالاختلاف اليسير بين الشكل والمضمون وقد اجرى الشاب المتحمس لاول عهده احاديث سياسية واقتصادية واجتماعية مع كبار المسئولين ، فنقلها اجمل نقل ، وصاغها أنور صياغة ، فنالت تقدير المتحدثين أنفسهم قبل ان تنال تقدير المسئولين عن النشر فى دار الهلال ، وزاد من مكانة طاهر الطناحى فى داره الصحفية الواسعة النشاط أن فريقا من الكبار من أمثال الامير محمد على والامير عمر طوسون واسماعيل صدقى وطلعت حرب ، وحسين سرى وأحمد حسنين وغيرهم ممن يتساوون معهم فى المكانة العالية كانوا يصرون على أن يكون طاهر الطناحى وسيلة دار الهلال اليهم ، بل ربما يكون من العجب أن بعض من سبقوا طاهرا فى هذا المجال بدار الهلال يقابلون بالاعتذار ، والسياسى الكبير منطقى مع نفسه حين يرحب بالطناحى لانه ينظر فيجد حديثه المتناثر قد صيغ فى أجمل سياق ، كما يرى براعة نادرة من طاهر الطناحى تتجلى فيما يقدم به الحديث من لوامع كاشفة تضىء جوانب هامة من شخصية المتحدث الكبير كما تشير الى ادوار حياته بايجاز شاف لا يضر به الاختصار ، ولعل الاستاذ الكبير حافظ محمود قد لمس هذه الحقيقة حين كتب ذكرياته عن الطناحى بمجلة قافلة الزيت صفر ١٣٨٩ هـ .

● النظر البعيد

كان طاهر الطناحى بدار الهلال اشبه بسفير سياسى لبلاده فى دولة كبرى ، فهو يتمتع بدبلوماسية حاذقة ، تريه ادق الخوافى المستترة فى الظواهر المرئية ، وتمنحه من بعد النظر وسلامة التقدير ما يجعل حدسه التخيل موضع الاصابة المحققة ، فهو ينتخب الصفوة من الكتاب ، والبارع من الموضوعات ، والدقيق من الاحداث ، ليفرق الموضوع بمن يناسبه ويختار من الاسئلة ما ينفذ الى الصميم دون حجاب ، ويكون هو فى اكثر الاحيان صاحب الحديث الذى يستل الاسرار من الضمائر باخفى ما يكون من التمهيد ، والذى يواصل الطرق فى ابتسام وتؤدة حتى يجوز ارتياح من يستوضحه الرأى فى المشكل الغامض ، لذلك استطاع أن يقنع كبارا

من أعلام السياسة والفن والادب بكتابة مذكراتهم ، وبتاثيره الشخصي نشرت سلسلة كتاب الهلال مذكرات عبد العزيز فهمي واسماعيل صدقي واحمد لطفي السيد ، ومحمد علي علوبة ، ونجيب الريحاني وباحتياله البارع أقنع العقاد أن يكتب قصته عن سارة مفرقة في احدى مجلات الهلال قبل أن تطبع في كتاب خاص وهي مجلة (الدنيا) الاسبوعية ، كما جعله يكتب تاريخ حياته في سلسلة كتاب الهلال تحت عنوان (أنا) و (حياة قلم) وان رجلا يبلغ هذا المبلغ القوى لدى قادة السياسة والفكر لذو موهبة لا تنكر ، كما أن ذاكرة الطناحي القوية كانت احدى مميزاته الكبرى اذ صاحب شوقي وحافظ ومطران ومي وكاظمي والمازني والعقاد وطه حسين ومحمد فريد وجدى والرافعي ومنصور فهمي ، فعرف الدقيق الخافي مما يجهله الكثيرون عن هؤلاء، وقد أصدر كتابه الكبير (حياة مطران) في مجلد واسع فاجأ الناس بما يجهلون من حقائق أدبية نقلها الطناحي عن الشاعر الكبير ، وكان في نيته أن يصدر مجلدا حافلا عن الانسة مي اذ كان من أخلص أصدقائها في محنتها الاخيرة حين تخلى عنها الهائمون بها وتركوها مرتعشة في ثلوج الوحدة والجحود ، وقد سافر طاهر الى لبنان في مأساتها المشتهرة ليقف بنفسه على ما يحاك هناك من دسائس لا تستطيع الخلاص منها ، وقد قدرته الكاتبة حق التقدير ، وكشفت له عن أوهام كانت عند الناس بمنزلة الحقائق ، واذكر أن الطناحي رحمه الله حدثني ذات يوم عن خيالات غرامها الموهومة التي الصقت بها الصاقا ، فكان مما قال : ان مي رحمها الله قد اعترفت له أن قلبها لم يتفتح لمحبة احد غير جبران خليل جبران وكان حبا اشبه بالخيال ، لان الحبيبين لم يتقابلا وجها لوجه ، ولكن البريد كان رسول الشوق المتردد، ولعل هذا البعد البعيد بين الجسدين النازحين كان أهم عوامل الحب المتقد، أما ما يذكر عن هوى الرافعي والعقاد وصبرى والجميل وولي الدين يكن فقد كان يقف عند حدود الصداقة البريئة من ناحيتها ، وان فهم على غير وجهه لدى من يتخيلون فيحكمون ، ومن طرائف الطناحي انه كان يحتال على اصطياد بعض الرسائل العاطفية بوسائل ماكرة ، فقد بعث للمازني بعدة خطابات ممهورة باسم حسناء تعشقه وتلهف المازني على الرسائل فرد عليها في شوق جارف ، وبقى الامر مستترا حتى مات المازني ، ونشر الطناحي الرسائل بمجلة الهلال ثم جمعها بين فصول كتابه الشهير (ساعات من حياتي) وللأدب رب غفور .

● حساسيات بالغة

كان الطناحي في أكثر أحواله صاحب الرأى المختار في شئون التحرير بدار الهلال ، لان ثقة الاستاذ أميل زيدان بكفايته واخلاصه لا تحد ، هذا ما كان يبدو على السطح لمن يرى الظواهر اللائحة فلا يبحث عن مكنونها المستتر، أما الحقيقة التي خفيت عن الكثيرين ، فقد نفس عنها طاهر ذات مساء ، حين ذكر لي أن عمله بدار الهلال قد عاقه أن يبدى بعض النقدات الهادفة ، وجعله يخضع لمشيئة لا ترغب الاثارة مهما كانت ذات نفع علمي مؤكد ، ومما

يرويه الرجل في مجال التمثيل ، انه بعد رحيل أحمد شوقي توالت مقالات الاطراء مقدرة مكانته الشعرية وزعامته الادبية. فكتب طاهر مقالا تحت عنوان (شوقي والمتنبي في ثوب) حيث عرض موازنة بين قصيدتين للمتنبي وشوقي كان احتذاء أمير الشعراء واضحا ملموسا لمن يطالع الاصل والفرع ، وتقدم بالمقال فرفض الاستاذ اميل نشره قائلا ان جمهرة القراء ستتهم الهلال بمعاداة شوقي الفقيد ، وفي ظرف كثر فيه الباكون والمادحون ، فقال الاستاذ طاهر ، ولكن الهلال قد اتسعت من قبل لنقد مماثل ، فقال الاستاذ أميل ، انك موظف بدار الهلال، ولست كاتبا من الخارج فموقفك غير موقف من تاتي مقالته بالبريد ، وقد اضطر طاهر أن ينشر بحثه في مجلة أبولو حين أصدرت عددا خاصا بشوقي في ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

هذه واحدة ، اما الثانية فقد كتب الاستاذ طاهر الطناحي نقدا تاريخيا فنيا لفيلم (دنانير) الذي مثلته ام كلثوم وكتب أحداثه أحمد رامي سنة ١٩٤٠ م ونشر النقد بمجلة الثقافة منعا لاحراج دار الهلال ، وكان النقد يتجه الى تخطئه المؤلف في أحداث تاريخية غيرها عن واقعها دون ضرورة فنية ، وفي الاحتيال على أن تملأ أم كلثوم المساحة باغان لا تنم عن روح العصر العباسي ، كما كان المخرج مخطئا حين جعل سليمان نجيب وعباس فارس يمثلان الرشيد وجعفر البرمكي وبينهما عشرون عاما مع أن الرشيد رضع مع جعفر من ثدي واحد ، ولدا في عام واحد ، وقد تأثر الاستاذ رامي والانسة أم كلثوم (حينئذ) بما كتبه الطناحي ، واتصلا بدار الهلال واضطر الاستاذ أميل لارضائهما ، ثم واجه الطناحي بأنه أمام الناس يعبر عن دار الهلال ، وان كتب نقده في مجلة الثقافة ونشره الاستاذ أحمد أمين ، ثم طلب منه الا يعود ! ولدى أحداث سياسية تتجسد هذا الاتجاه كمت دار الهلال فم طاهر عن أن يبدى رأيه الصريح كما يريد .


على فراش الموت

أصدر الطناحي عدة مؤلفات هامة مثل (أمير قصر الذهب) و (على ضفاف دجلة والفرات) وقد سماه في طبعة ثانية (معارك السيف والقلم) و (حياة خليل مطران) و (ساعات من


اسماعيل صدقي


طلعت حرب


اميل زيدان

حياتى) و (شوقى وحافظ) وهى مؤلفات متداولة شهيرة ، وسنقف عند اثرين فذين من أحسن ما كتب ، هما كتابه (على فراش الموت) وكتابه (حديقة الادباء) .

أما كتاب (على فراش الموت) وقد طبعه مرة ثانية تحت عنوان (الساعات الاخيرة) فهو مزاج من صحائف الادب والتاريخ والاخلاق حتى ليصعب على الناقد أن يميل به الى ضرب خاص من الفنون ، فهو كتاب أدب لدى من يرى المؤلف يحاكى أساليب من يتحدث عنهم ويعيش فى أجوائهم مصورا حلقات حياتهم فى يسر لا يرهقه التحليل ، ولكنه يقدم الخصائص الفكرية ،والوقائع السياسية والاحداث الاجتماعية فى سهولة تجعل التحقيق حوارا بين سميرين لا مناقشة بين باحثين ، كما أن براعة الطناحى تتجلى فى تقمص شخصية من يتحدث عنه روحا وأسلوبا فكأن الكاتب هو المتحدث عنه تماما . وأضرب المثل بحديثه عن المنفلوطى والبكرى ، والاول ذو سلاسة وعذوبة، والثانى ذو سجع واقتباس ، وقد مات المنفلوطى يوم شغلت مصر بحادث الاعتداء على سعد زغلول فنسيت وداع الكاتب الكبير متأثرة بحادث الزعيم الخطير .

هذا من الناحية الادبية ، أما الناحيتان التاريخية والخلقية فبارزتان للعيان .

● حديقة الادباء

من يوم أن أصدر الاستاذ عبد العزيز البشرى صور المرآة . وكثير من الكتاب يحاولون محاكاته ، ومن بين هؤلاء محمود تيمور فى (ملامح وغضون) وطاهر الطناحى فى (حديقة الادباء) ، حيث تحدث عن عشرين من الشخصيات البارزة فى العالم العربى ، وآثر أن يرمز لكل شخصية بما يناسبها فأحمد لطفى السيد نسر ، والعقاد عقاب ، وابراهيم ناجى سنجاب ، ورامى فراشه ، وبنت الشاطىء بطة ، وقد عجبت لاختيار الطاووس رمزا لميخائيل نعيمه ، وهو كاتب وديع هادىء لايعرف زهو الطاووس ، ولعله لو اختار الطاووس لزكى مبارك لكان أوفق ، ومما بدا للعيان بمجرد القراءة العابرة أن عين الرضا عن كل عيب كليلة ، فلم يكن هم الطناحى وتيمور غير رصد المحاسن فحسب ، بحيث لا يمكن أن ترى فيما كتباه بعض ما تراه عند البشرى حين تحدث عن أحمد زيور وابراهيم وجيه واسماعيل سرى وأبى الفضل الجيزاوى واذ كان الساخر الكبير نارا تشوى ، وسوطا يلهب ، أما الطناحى فكان هبة نسيم تمر كثيرا على الروض فترجع متشبثة بالعبير، وجعل الرمز سبيلا الى تحليل الشخصية الانسانية مما يحتاج الى مهارة فى الاختيار ، ودقة فى المقارنة ، وغوص فى الاعماق ، ولعل المؤلف قد بلغ فى هذا النطاق كثيرا مما يريد . هذا وقد كان الطناحى شاعرا تضم مجلات الهلال ديوانه المتناثر على مدى الاعوام الطوال وهو بذلك قد زاول البحث والقصة والقصيدة والمقال . رحمه الله .



لندع التاريخ يتكلم

بقلم: د. فؤاد مرسى

دعانى الدكتور فوزى منصور فى ختام مقاله الذى كتبه بعنوان : « اليساريون والسلطة » لتقديم "دراسة وافية" تجيب على تساؤلاته . وهى تساؤلات تعرض فيما يبدو لى بديهيات يدركها أبسط الناس وعيا . بل ولقد أوعز إلىّ شخصيا بالاجابة جاهزة . فهو يتساءل فى الواقع تساؤله الجوهرى عما "اذا كان اشتراك التقدميين ولو بصفة اسمية فى حمل المسئولية مع قادة الثورات المضادة أو حتى فى الحكومات المحافظة أو الرجعية أدعى إلى تحقيق أهداف هؤلاء أم اهداف أولئك ، خصوصا اذا كان هؤلاء التقدميون غير مرتبطين حزبيا أو جماهيريا بقوى اجتماعية تستطيع أن تمدهم بقوة من عندها !!

● وبغير حاجة لادعاء السذاجة من جانبى ، فإن الإجابة على تساؤل الدكتور فوزى معروضة سلفا : فهو تساؤل إيحائى ولاحاجة بنا اليه فى مثل هذا الوقت فهو لايفيد .

لكن التساؤل الجوهرى حقا والضرورى هنا حقا : قد كان ينبغى أن يكون هو التالى : عندما تبين التقدميون نذر الثورة المضادة آتية لاريب فيها فماذا ينبغى عليهم أن يفعلوا ؟ أن يتصدوا لها بالمقاومة بكل وسيلة متاحة أم أن يسلموا بها كنازلة من النوازل ويستسلموا لها كقدر محتوم ويتركوا الساحة خاوية بلا مقاومة فتحل الثورة المضادة وتستقر وتبيض وتفرخ ؟! فإذا ما قر قرارهم على المقاومة فكيف تكون ، وهل تكون من خارج النظام أم من داخله ؟ وكيف يمكن ان تعنى كل قوى الثورة والمقاومة بعد الثورة المضادة وانزال الهزيمة بها ؟

والاجابة على مثل هذا التساؤل لاتحكمها سوى وقائع الحياة ـ وليس النوايا الطيبة ولا الرغبات المخلصة . ولاحتى الرجوع الى القواعد العامة للعلوم بما فيها علم السياسة . فشجرة الحياة الخضراء لاتنمو طبقا لحرفية علم النبات . وانما تحكمها أيضا خصوصية أوضاعها.

وعندما يطالبنى الدكتور بتفسير لاسباب تعاونى مع السادات بعد ١٥ مايو

فينبغى أن يستدعى الى الذاكرة مجموع الظروف التى أحاطت بذلك الموقف ودعت اليه .

أولا : عند وفاة جمال عبد الناصر كان فى مصر نظام وطنى تقدمى يقننه الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس والدستور المؤقت ، وتمارس السلطة فيه مؤسسات شرعية يقف على رأسها الاتحاد الأشتراكى ممثلا بالاسم على الاقل لتحالف قوى الشعب العامل يتقدمها عمال القطاع العام وفلاحو الاصلاح الزراعى والمثقفون من أبناء العمال والفلاحين . ولايعقل ولايقبل عقلا أن تتغير طبيعة هذا - النظام فجأة وبمجرد وفاة عبد الناصر وخلافة السادات له : فأنور السادات هو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو منذ قيامها حتى وفاة جمال عبد الناصر . وهو النائب - الوحيد لرئيس الجمهورية الذى اختاره عبدالناصر لنا لكى يخلفه . وإذا كان الدكتور فوزى منصور يرى أن ملامح السادات كانت واضحة قبل الثورة وبعد الثورة لايفلح قناع فى اخفائها ، وأن ناصريته لم تكن لتخدع إلا من يريد أن ينخدع بها ، فكل من هذا ينبغى أن يوجه لعبد الناصر قبل أن يوجه لأى أحد آخر .

ثانيا : عندما تعرض نظام يوليو الوطنى التقدمى للصراع الحاد بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، وعندما تصاعدت المواجهة بين اليسار الناصرى والسادات فى قمة النظام ، وحتى بعدما اجهز السادات على القوى الناصرية فى الحكم ، فلقد ظل النظام وطنيا تقدميا. فالواقع أن منجزات ثورة يوليو كانت قائمة سليمة لم تمس . كانت لاتزال امانة بأيدى الشعب العامل كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه . كانت وثائق الثورة قائمة ، ومؤسساتها قائمة ، وسياساتها قائمة ، واذا كانت الديمقراطية السياسية القاصرة لم تمكن من تعبئة قوى الثورة للدفاع عنها فذلك واقع سابق لم يطرأ عليه جديد . كانت مقومات النظام الوطنى التقدمى مازالت قائمة . وبالتالى يكون من الخطأ الفادح قول الدكتور فوزى منصور "لم يحسم الأمر نهائيا لصالح الثورة المضادة إلا بتولى السادات السلطة واجهازه على القوى الناصرية" .

لقد كان الاجهاز على القوى الناصرية ضربة حاسمة حلت بالثورة ونصرا كبيرا للثورة المضادة . وذلك تطور خطير يتحمل اليسار الناصرى مسئوليته الجسيمة قبل السادات نفسه . ومع ذلك ، فإن هزيمة اليسار الناصرى لم يكن معناها هزيمة الثورة نهائيا ولا انتصار الثورة المضادة نهائيا . وانما كان معناها اقصاء اليسار الناصرى من السلطة وفتح الطريق أمام طوفان الثورة المضادة .

ولكن بقى النظام بأسسه ونظمه ومؤسساته ، وبقى الشعب وعلى رأسه عمال القطاع العام وفلاحو الاصلاح الزراعى والمثقفون من ابناء العمال والفلاحين . وعلى الرغم من تخلف الجماهير . فلقد كان هناك ابناء منظمة الشباب وخريجو المعهد الأشتراكى . وكان لابد من مواصلة النضال فى كافة الميادين وعلى كافة الساحات - مستخدمين كلما أمكن شرعية ثورة يوليو كاملة . كان يجب تعبئة قوى الثورة لصد الثورة المضادة .

ثالثا - فى الوقت نفسه . وفى حين أن الصراع فى قمة السلطة كان خلافا على أسلوب الحكم انعكس على أسلوب معالجة القضايا الجوهرية للبلاد وخاصة القضية

الوطنية المحتدمة ، فإن أنور السادات استخدم كل مشروعية الثورة لفتح الطريق أمام زحف الثورة المضادة . واستمر يناور ويناور ، ويضلل ويرهب ، ويقمع ويروع سنوات طوالا حتى يعلن الثورة المضادة ، فيلغي مواثيق الثورة وأسسها ومؤسساتها وسياساتها . كان مازال يتحسس مواقفه ويحسب خطواته . وأعلن الثورة المضادة بانقلاب بطيء بدأه في مايو ١٩٧١ ولم يقننه إلا بالانفتاح الاقتصادى فى يونيو ١٩٧٤ ـ مستفيدا حتى من حرب أكتوبر لصالح مخططه . وهى سنوات طوال كان ينبغى على قوى الثورة هى الأخرى أن تفيد منها .

مازلت أذكر كيف بادر فى ١٠ يونيو ١٩٧١ ليعلن أن "تنظيمنا السياسى ليس فيه مكان للذين وقفوا موقف العداء لخط عبد الناصر . ليس فيه مكان لأعداء الأشتراكية والتحول الأشتراكى » . وفى يوليو ١٩٧٢ قال بأعلى صوته "أن الناصرية هى المنهاج الواضح لثورة ٢٣ يوليو . لابديل لها ولا ابتعاد عنها . أن الناصرية كما عشناها مع القائد المعلم موجودة فى الوثائق الثلاثة : « فلسفة الثورة والميثاق وبيان ٣٠ مارس . فهذه الوثائق هى فكرنا وخطنا السياسى » . وفى الانياء كان يؤكد بلا انقطاع "لما اقول عدونا يبقوا ـ اتنين امريكا أولا وأسرائيل ثانيا ـ بوضوح ـ علشان ما نتبلبلش « بل أنه هو القائل : "صداقتنا للاتحاد السوفيتى ليست انحيازا له وانما هى أيضا وبنفس المعيار انحياز للاستقلال وللقومية وللحرية السياسية والاجتماعية » .

● الخطيئة الأولى

فالواقع أن السادات لم يكن أبدا ـ وعلى خلاف كل التقييمات المتسرعة التى أحاطت به ـ لم يكن أبدا بالقيادة الهينة ولا السهلة ولا البسيطة .

ولقد كان خطأ أولئك الذين هونوا من شأنه هو الخطأ القاتل بل هو الخطيئة الأولى حقا .

رابعا ـ فى ذلك الوقت لم يكن اليسار المصرى موحدا ولا حتى منظما فاليسار الناصرى كان موجودا فى الاتحاد الأشتراكى . لكنه لم يكن موحدا بالمرة بينما كان اليسار الماركسى مقصيا فى جملته عن الاتحاد الأشتراكى . ولم يتشكل الحزب الطليعى الذى كان يفترض فيه أن يتولى الدفاع ـ بالروح والدم حقا لا قولا ـ عن الاشتراكية ويحمى النظام الوطنى التقدمى الذى يمكن أن يفتح الباب لها . وفى الوقت الذى تولى السادات كان اليسار الماركسى مشتتا مفتتا . وعندما التقيت بالسيد شعراوى جمعة صباح الخميس ١٣ مايو وحتى الواحدة ظهرا بمكتبه فى وزارة الداخلية وعرضت عليه ما أملك من تأييد واستعداد للمشاركة ، تفضل علىّ بأن طمأننى الى قوة موقفهم وعدم احتياجهم لأية مساعدة ، وأنهم يقبضون بالفعل على ناصية الأمور وليس السادات . ولم أكن أعلم وقتها أن قرار اقالته من منصبه قد صدر ونحن نتحاور معا .

كذلك لم يكن هناك تنظيم ماركسى يتحمل مسئولية الحديث باسم اليسار الماركسى . ولذلك فعندما قبلت التعاون مع السادات فى تلك اللحظات لم يكن ذلك قرارا من تنظيم ماركسى أيا يكن ولايتحمل مسئولية قرارى أحد

سواى ، ولايمكن أن يسأل أحد غيرى عن قرارى الذى اتخذته باقتناع .

لأنه ينبغى أن يعرف كل مناضل ثورى كيف يحدد فى كل فترة تلك الحلقة الخاصة بها والتى يجب عليه التمسك بها بكل قواه من أجل الامساك بالسلسلة كلها والتحضير من ثم للانتقال إلى الحلقة التالية . وليس ذلك بالأمر البسيط أو السهل .

ماذا كانت تلك الحلقة فى حينها ؟ كانت هى الامساك بالقضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار . كما كانت هى بالتالى التأكيد على معانى الوحدة الوطنية كمطلب لازم للمعركة الوطنية والتأكيد أيضا على معانى الديمقراطية ليس فقط لتمكين الجماهير من ممارسة الحريات السياسية بل أيضا لتمكينها من المشاركة فى الحكم بمعنى المشاركة الفعالة فى صياغة القرارات الحاسمة التى تمس مصير البلاد ومستقبلها .

ومن ثم كان لابد من فضح المخطط الاستعمارى لتصفية ثورة يوليو . وهو المخطط الذى أخذ السادات ينفذه ويصفه فى التطبيق قطعة قطعة وخطوة خطوة .

وماذا كان يمكن أن يكون دورى ؟ أن أقوم بالتنبيه الى المخطط من اول لحظة وأن أفعل كل ما استطيع لمقاومته . ولا اريد أن اتحدث عن نفسى وعما فعلته فهذا أمر امجه ولا أجيده على الاطلاق . لكنى استطيع أن أقول بفخر شديد انى فعلت ما كان يجب أن افعله .

وفضحت المخطط وأنا فى قمة النظام . وها هو كتابى بيمينى . وثيقة تاريخية لم يسبق نشرها فى مصر . وانما هى حديث لى نشرته جريدة (النهار) البيروتية بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧١ - أى بعد أقل من أسبوعين من الأحداث وبعد أيام قليلة من تعيينى فى قمة الاتحاد الأشتراكى . فلندع التاريخ نفسه يتكلم فهو أصدق إنباء .

وجهة نظر الدكتور فؤاد مرسى كماركسى فى الظروف الراهنة ، ما أبحث عنه .. هكذا قال مراسل النهار . وبدأ فؤاد مرسى الحديث قائلا : « يجب أن نسجل أنه للمرة الأولى فى تاريخ ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ يقوم النظام على التعاون مع الاشتراكيين الماركسيين بصورة رسمية وعلى أعلى مستويات السياسة والدولة (...) .

إننا نقيِّم هذا الحدث تقييما موضوعيا ونعتبره انعطافا حاسما ومهما فى تاريخ الثورة المصرية له دلالته الخاصة بالوحدة الوطنية والاتجاه الى توسيع الحريات وتأكيدها . ولذلك فنحن نرحب به ترحيبا كبيرا ونقبل على هذا التعاون بالروح نفسها وهى روح الأمل فى أن يكون دورنا مساعدا على دعم الثورة المصرية وتعزيز صفوف القوى الوطنية والاتجاه الى تعزيز الممارسة الديمقراطية فى البلاد" .

وأضاف موضحا : "أن موقفنا هذا ينبع من نقطة مبدئية وهى أن الرئيس السادات يقف على رأس نظام وطنى خضع طوال السنوات الماضية لاختبارات مريرة فأثبت بما لايقبل الشك موقفه الوطنى المعادى للاستعمار . هذا الموقف الذى لايمكن أن يتبدل لمجرد السعى من أجل تحقيق حل سلمى لصراع مصر والدول العربية مع اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة" .

سألت :

بعد ضربة مراكز القوى أطلق السادات شعارات راوحت بين التهديد بالفرم والعمل من أجل إيجاد وحدة وطنية حقيقية



وعندما سألت فؤاد مرسى رأيه فى هده الشعارات أجاب :

"ما يعنينا حاليا هو القضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار وبالتحديد الوصول الى حل للصراع العربى ـ الاسرائيلى . ومن ثم فإن كل القضايا الأخرى تعتبر ثانوية بالنسبة الى القضية الأساسية ولا نعالجها إلا من زاوية خدمتها للقضية الاساسية وهى قضية النضال ضد الصهيونية والامبريالية . ولذلك فإننا نؤكد على معانى الوحدة الوطنية ونراها مطلبا لازما للمعركة ، كما نؤكد على معنى الديمقراطية ليس فقط فى ممارسة الجماهير للحريات العامة بل ايضا فى ضرورة مشاركة الطبقات الشعبية فى الحكم بمعنى المشاركة فى صياغة القرارات الحاسمة التى تمس مصير البلاد ومستقبلها .

ومن هنا فنحن نرحب بما يطرحه الرئيس السادات من برامج ترمى الى تعزيز الوحدة الوطنية والديمقراطية . ومن المؤكد أن المساعى لاعادة بناء الدولة على أسس عصرية إنما هى مساع مقيدة لكننا نفهم الدولة العصرية بصفة كونها دولة الاشتراكية والديمقراطية .

وبالتالى فلا تعارض بين الاهتمام بإعادة بناء الدولة وبين القضية المحورية وهى قضية النضال ضد الاستعمار"

●

لقد كثرت التصنيفات للاحداث التى جدت يوم ١٥ أيار . البعض اعتبرها ثورة جديدة . البعض الآخر اعتبرها حركة تصحيح . أما الدكتور فؤاد مرسى فيقول إن ماجرى "كان خلافا على أسلوب الحكم أنعكس على أسلوب معالجة القضايا الاساسية للبلاد وخاصة القضية الوطنية" .

السؤال الأساسى هو : كيف يقبل الماركسيون المصريون التعاون مع السادات فى حين أنه ضرب صديقهم ـ أو هكذا كان يتصرف ويصور ذلك للناس ـ على صبرى ، وضرب معه أيضا عددا من اليساريين القياديين والكتاب .

وأجاب فؤاد مرسى عن هذا السؤال بالآتى :

"هناك تناقض ومأساة فى الموضوع . إن جزءا من النظام الذى كان قريبا منا موضوعيا ويطرح قضايا وشعارات قريبة منا ، كان بعيدا عنا ذاتيا . موقفه منا قبل ١٥ أيار معروف . أنه لم يقبل فى صفوف الاتحاد الاشتراكى إلا الأقلية منا . لم يسمح بوجودنا فى المسئوليات المهمة على المستوى السياسى ، على عكس الرئيس السادات الذى أتاح لنا فرص العمل الوطنى وعلينا أن نبرهن أننا جديرون بذلك" .

ماهو تصور الماركسيين المصريين لخطط الاستعمار بالنسبة إلى مصر والمنطقة العربية ؟

يجيب فؤاد مرسى :

"فى تصورى أن الاستعمار العالمى وبالذات الولايات المتحدة تسعى بكل ما تملك لاسقاط النظام الوطنى فى مصر . كان هذا مخطط الولايات المتحدة أيام عبدالناصر . ومازال المخطط على حاله فى ظل انور السادات . واعتقادى الراسخ هو أن الولايات المتحدة سعت ومازالت تسعى لاسقاط نظام انور السادات .



ردا على مقال « الأزمة الراهنة لليسار المصرى »

بل ظلمت اليسار المصرى .. يادكتور !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

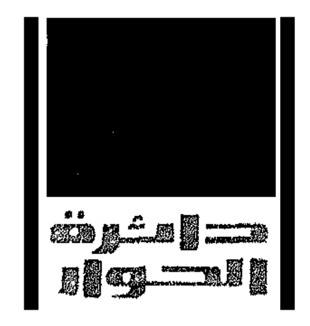
بالرغم من أن مقال الدكتور فؤاد زكريا ، بعنوان الازمة الراهنة لليسار المصرى فى عدد اغسطس الماضى من الهلال يبدى تعاطفا مع قضية اليسار المصرى ، فإنه اوقع به ظلما فادحا ، وخاصة حينما قال :

« وعلى سبيل المثال ، فان من المشكوك فيه ان تكون قد حدثت فى داخل اليسار المصرى محاولات نظرية مماثلة لتلك التى قامت بها الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا واسبانيا مثلا من اجل إعادة تفسير الماركسية ، وتجاوز مبدأ اساسى فيها مثل ديكتاتورية البروليتاريات .. الخ » ويردف ذلك بقوله : « هذا كله يبدو فى نظر اليسار المصرى خلال العقود الاخيرة ترفا لايملك امكانية ممارسته » !..

● ولا ادرى كيف لم يشعر الدكتور فؤاد زكريا بالتناقض بين هذا الذى قاله ، والذى اورده بعد ذلك بعدة فقرات حيث يصف اليسار المصرى

بالاغراق فى التنظير ؟! فكيف يمكن ان يغرق هذا اليسار فى التنظير ولا تكون له محاولات نظرية مثل الاحزاب الشيوعية الاوربية التى ذكرها ؟

واريح الدكتور فؤاد زكريا وأتعب نفسى ! نعم اتعبها تعبا شديدا حينما اجد نفسى مضطرا الى ذكر محاولة نظرية واحدة على الأقل ، وهى المحاولة التى حاولتها فى اواخر عام ١٩٦١ فى كتاب بعنوان "نظرية التاريخ المعاصر : الثورة الاشتراكية العالمية" . فما اشق على الكاتب من ان يضطر الى الكلام عن سابق عمله ،



ولكن ماحيلتنا اذا كان بعض من يكتبون يتجاهلون اعمال غيرهم ، ويسمحون لانفسهم باطلاق احكام عامة مجحفة ؟

وكنت أستطيع اغفال الموضوع برمته لولا انى اتحمل مسئولية خاصة فى النقطة التى يأخذها الدكتور فؤاد زكريا بشدة على اليسار المصرى ، وهى تعاونه مع التجربة الناصرية فى الاشتراكية حيث اننى دعوت فى هذا الكتاب الى حل المنظمات الشيوعية التى كانت قائمة آنذاك وقد استجاب اليسار المصرى الى هذه الدعوة ، واعلنوا حل منظماتهم السرية فى عام ١٩٦٤ وقبولهم الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الخاص الذى يعرف باسم التنظيم الطليعى .

● قنبلة خروشوف

واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد اشار فى مقدمة مقاله الى ارتباط ازمة اليسار المصرى الراهنة ، بالازمة فى اليسار العالمى بصفة عامة ، فان هذه الازمة لم تكن وليدة اليوم بل كانت قائمة ، شعرنا بها بعد المؤتمر العشرين للحزب البلشفى فى عام ١٩٥٦ . وهو المؤتمر الذى ادان فيه خروشوف ، سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى آنذاك ، سياسة "تقديس الفرد" وكشف عن كثير من فظائع ستالين . وكانت هذه قنبلة فجرها خروشوف فى وجه اليسار العالمى كله واجبر الجميع بما فى ذلك اليسار المصرى على مراجعة حساباته .

وقد استندت فى الكتاب المذكور الى وثائق المؤتمر العشرين للحزب البلشفى فى التوصل الى تحليل محدد حول طبيعة العصر الذى نعيش فيه وهو انه عصر "انتصار الثورة الاشتراكية العالمية" الذى يتمثل فى ثلاثة عناصر رئيسية :

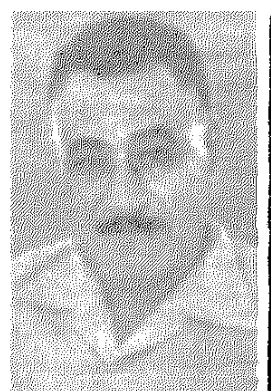
اولا : قيام نظام اشتراكى عالمى لايمكن قهره وهو السائد فيما يعرف باسم المعسكر الاشتراكى .

ثانيا : اندحار الايديولوجية البرجوازية وغلبة الفكر الاشتراكى وهو ذات ما اشار اليه الدكتور فؤاد زكريا أخيرا فى مقاله بقوله عن ارتفاع مستوى معيشة العمال فى الدول الراسمالية وخاصة امريكا : « انما هو فى جزء كبير منه رد فعل على وجود الرؤية الاشتراكية فى عالم القرن العشرين ومحاولة ذكية لامتصاص عنصر السخط الذى هو الوقود الفعال لاى ثورة » .

ثالثا : تحرر معظم المستعمرات السابقة واتجاهها بعد الاستقلال الى التنمية الاقتصادية باتباع الطريق غير الرأسمالى الذى يحمل كثيرا من سمات الاشتراكية كما حدث عندنا فى مصر وسواها من بلاد العالم النامى مثل سوريا والهند واندونيسيا وهلم جرا .



خروشوف



عبدالناصر



جورباتشوف



لينين

من مجموع تلك العناصر ذهبت الى القول بان "انتصار الثورة الاشتراكية العالمية" قد اتخذ مظهرا آخر خلاف التصور الذى كان سائدا لدى الماركسيين فى ذلك الحين وهو ان يسود العالم او معظمه نظام شبيه بالنظام السوفيتى تماما كما خالف قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ بقيادة لينين ، ثم انتقالها بعد ذلك الى مجموعة من البلدان المتخلفة صناعيا مثل الصين وأوربا الشرقية ، تصور الجيل الاقدم من الماركسيين ان الموطن الطبيعى لتلك الثورة هو الدول الرأسمالية المتقدمة وقلت ان قيام الثورة الاشتراكية فى الدول المتخلفة قد اعفى الدول المتقدمة صناعيا منها ، حيث نشطت فيها قوى الاصلاح المتمثلة اساسا فى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاوربية وأجبرت حكوماتها ورأسماليات بلادها على رفع مستوى معيشة العمال فيها وتقديم ضمانات اجتماعية عديدة ضد البطالة والمرض والشيخوخة .. وما اليها .

● نهاية الحاجة الى الديكتاتورية

والنتيجة الرئيسية التى افضى اليها هذا التحليل هى ان الحاجة الى ديكتاتورية البروليتاريا قد انتهت تماما سواء فى الاتحاد السوفيتى او باقى الدول الاشتراكية او ايديولوجية الاحزاب الشيوعية خارج هذا المعسكر وان على جميع الماركسيين ان يعودوا الى مبدأ الاشتراكية الديمقراطية وان يسعوا الى الوحدة مع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية على اساس هذا المبدأ فهل بقى شك لدى الدكتور فؤاد زكريا حول هذه النقطة ؟

واكثر من ذلك ذهبت الى ان عصر المرحلة اللينينية من الفكر الماركسى قد انتهى تماما ، ليس لأن اللينينية كانت خطأ ولكن نظرا لكونها النظرية التى انجزت الثورة الاشتراكية العالمية على النحو المذكور فإن مهمتها التاريخية قد انتهت وحان ان تفسح الطريق لمرحلة جديدة من الفكر الماركسى (وليس لمجرد اعادة تفسير الماركسية كما يقول الدكتور فى



مقاله) واهم عناصر هذه المرحلة الجديدة من الماركسية هى مايلى :
أولا : انها المرحلة التى تستوعب ما سبقها من الفكر الاشتراكى بما فيه الماركسية ذلك الفكر الذى اعاد تشكيل العالم بتأثيراته الهائلة اى انهـا ـ اى المرحلـة الجـديـدة ـ الماركسية التى تقى الماركسية ودورها التاريخى ، وتتعامل مع الواقع الجيد من هذا المنطلق .
ثانيا : انه اذا كانت مهمة المرحلة السابقة من الفكر الماركسى هى تنمية الصراع الطبقى من اجل تغيير علاقات الانتاج فإن مهمة المرحلة الجديدة من الماركسية هى تهدئة الصراع الطبقى من اجل تطوير قوى الانتاج وانه اذا كان الصراع الطبقى يتخذ حاليا مظهر انقسام العالم الى معسكرين متعاديين يستنزفان قواهما الاقتصادية فى سباق التسلح ويعرضان البشرية لخطر الدمار الشامل فإن الضرورة التاريخية المالية هى فى انهاء هذا الانقسام وتوجيه جهود المعسكرين من اجل انجاز الثورة الصناعية الثانية (اى الثورة التكنولوجية) التى سوف تغير تشكيل كيان المجتمع الانسانى على نحو لايدرك مداه حاليا ، وان المعسكر الاشتراكى هو الذى تقع عليه مسئولية انهاء هذا الانقسام ، وذلك باقرار مبدأ الديمقراطيـة وانهاء الخـوف من الشيوعية الذى تستغله الامبريالية فى تخويف شعبها وحملها على مساندة سياستها فى سباق التسلح وان الاشتراكية فى التزامها بالديمقراطية تستطيع ايضا ان تتنازل عن كثير من التطرف الاشتراكى وتسمح بوجود صور لاضرر منها من الملكية الفردية لوسائل الانتاج .

واقول للدكتور فؤاد زكريا : إنه لو لمح تشابها بين هذا الكلام وبين مايقوله ويفعله جورباتشوف حاليا تحت اسم البريسترويكا ، ويصفه بأنه « التفكير الجديد لبلادنا وللعالم » .

فليعلم اننا قد سبقنا الى هذا القول قبـل ان يسمـع العـالم بـاسم جورباتشوف او البريسترويكا بربع قرن من الزمان !

● الناصرية .. لماذا ؟

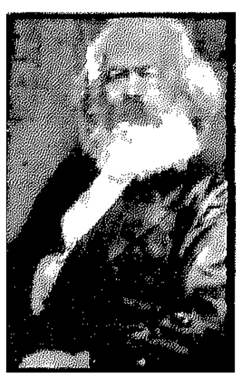
ولعل الدكتور فؤاد زكريا يسألنى : اذا كنت كما تدعى قـد دعوت الماركسيين فى العالم الى نبـذ ديكتاتورية البروليتاريا ، فكيف اجزت لنفسك ان تدعو الماركسيين فى مصر الى حـل المنظمـات الشيـوعيـة والانضواء تحت لواء عبد الناصر فى اشتراكيته (الاضطرارية) كما يفهم من كلام هيكل الذى اورده الدكتور ، رغم ان عبد الناصر بدوره كان ديكتاتورا !! اليس هذا تناقضا ؟

واقول للدكتور : ان الامر كما تبدى لى فى ذلك الحين هو ان عبد الناصر وسواه من قادة العالم الثالث لم يكن احدهم يمثل طبقة بذاتها وانما كان



ستالين







كارل ماركس

هيكل



حسنى مبارك

يمثل حلفا من الطبقات الثورية ذلك ما كتبته فى الكتاب المذكور ، وهى الصيغة التى "ترجمها" جمال عبد الناصر بعد ذلك فى "ميثاقه" الصادر عام ١٩٦٢ إلى « تحالف قوى الشعب العاملة » ، كانت المسألة عندى ان الحلف بين طبقات ثورية حتى ولو اتخذ مظهرا ديكتاتوريا هو اكثر ديمقراطية من ديكتاتورية طبقة واحدة وهى البروليتاريا ، وخاصة ان هذا الحلف لا يتوقع فيه ان يدور صدام واسع النطاق ما بين البروليتاريا - اى العمال الصناعيين - وبين قطاعات واسعة من الشعب ممثلة اساسا فى صغار الملاك من الفلاحين كما حدث فى الاتحاد السوفيتى حينما توجه الى فرض سياسة المزارع الجماعية بالقوة وكان ذلك بداية تحول ديكتاتورية البروليتاريا بقيادة ستالين الى استبداد مطلق وارهاب شنيع كما فصلت فى الكتاب المذكور .

واهم من ذلك ، كنت اذهب الى ان الاحزاب الشيوعية بتمسكها بمبدأ ديكتاتورية البروليتاريا انما تغرى قادة الشعوب والحركات الثورية الاخرى بتقليدها فى مبدأ الديكتاتورية الثورية وانها بتحولها الى الديمقراطية سوف ترفع منسوب الديمقراطية فى العالم كله بما فى ذلك البلدان النامية التى اوجدت ما يسمى طريقها الخاص فى الاشتراكية .

لذلك كان مؤدى دعوتى المنظمات الشيوعية فى مصر الى حل نفسها هو انه على الماركسيين اولا ان يلتزموا ايديولجيا بمبدأ الديمقراطية حتى يمكنهم اقناع سواهم به ، ومعروف ان تلك المنظمات كانت تقوم على مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا التى هى على حد تعبير ستالين جوهر النظرية اللينينية التى اعلنت ان مرحلتها قد انتهت كما قدمت .

● الاضطرار إلى الاشتراكية

واعود الى ما نقله الدكتور فؤاد زكريا عن هيكل واستنكره وهو قول هيكل : « لقد آمن عبد الناصر مثلا بالقطاع العام ، ودافع عنه فهل كان



هذا ايمانا ايديولوجيا به ؟ انى اراه ايمان ضرورة » !!

وتعليقي على ذلك هو ان كل ايمان بالقطاع العام فى هذا الزمان هو ايمان ضرورة ، من اول كارل ماركس ذاته فهذا الرجل لم يؤسس عقيدة دينية وانما سمى مذهبه باسم الاشتراكية العلمية ، ومؤداه ان الاشتراكية سوف تطبق فى هذا العالم ـ ليس لان الناس تريد ذلك ـ بل لانها سوف تصبح ضرورة حينما تصبح تناقضات الرأسمالية خانقة لقوى الانتاج معرقلة لتطورها ، تلك هى قيمة الحل الاشتراكى لتلك التناقضات كما صورها كارل ماركس . والاشتراكية التى طبقت فى الاتحاد السوفيتى كانت ايضا اشتراكية ضرورة كما اوضح « ميلوفان جيلاس » فى كتابه "الطبقة الجديدة" والضرورة كانت هى الحاجة الى التصنيع وانه حينما عجزت الرأسمالية فى روسيا عن استكمال التطور الصناعى بطريقة رأسمالية تولت البروليتاريا ـ او قيادتها من الطبقة الجديدة ـ مهمة التصنيع بطريقة اشتراكية تعتمد فيها اساسا على القطاع العام ، وتلك هى التجربة التى انتقلت ثمارها الى بلادنا وكافة البلدان النامية التى عجزت عن تطوير صناعتها بالطريق الرأسمالى حيث اصبح هذا الطريق مسدودا امامها بسيطرة البلدان الرأسمالية الكبرى على الاسواق .

اما قول الدكتور فؤاد زكريا « ان دفاع عبد الناصر عن القطاع العام ودفاع الرئيس مبارك عنه .. انما املته الضرورات العملية لمرحلة معينة ليضيف بعد ذلك بين قوسين : "ولو اقتضت مرحلة اخرى ضرورات مغايرة لتخلى عنه بالطبع" فاقول له ان ذلك وارد تماما بل انه هو الذى يحدث الان فى المعسكر الاشتراكى على صور متفاوتة شريطة ان يكون فى مصلحة الشعوب ، وباختيارها الديمقراطى .. أليست ديمقراطية الاشتراكية هى ما نبحث عنه انت وانا يادكتور ؟!

اما بالنسبة لمقالة الدكتور فؤاد زكريا عن ان عبد الناصر « قد خنق اليسار المصرى عن طريق احتضانه » فقد سبق ان عقدت مقارنة فى الكتاب المذكور (صـ ١١١ ، ١١٢) بين ما حدث بالنسبة للثورة البرجوازية فى اوروبا فى القرن التاسع عشر والثورة الاشتراكية فى القرن العشرين واوردت فى هذا الصدد عبارات بعيدة الدلالة لكل من كارل ماركس وزميله فريدريك انجلز ، وقلت معقبا على ذلك : « هذه هى نفس مكانة كينز والمدرسة السويدية والتيارات الاصلاحية الحديثة بصفة عامة من الاشتراكية" ، وذلك بعض من ديالكتيكية التاريخ وتطوره من خلال وحدة المتناقضات .



رد هادىء على مقال « على مبارك »

بقلم : ممدوح المغربى

نشرت (الهلال) الغراء فى عددها الأخير (اغسطس ١٩٨٩) مقالا بعنوان (على باشا مبارك) بين اغراء الثورة ومنطق الاصلاح للاستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير المجلة ، ومجلة الهلال لا تحتاج لشهادة منى أو من غيرى ، فهى رائدة المجلات الثقافية بلا منازع وأميرة المجلات الادبية بلا ريب ، لقوة مادتها وقدرة كتابها ، وحظيت بذلك على مر عصورها دون تمييز . رغم عمرها المديد .

● وبصفتى من قراء المجلة الدائمين لأكثر من ثلاثين عاما متواصلة وشرفت فترة بالنشر على صفحاتها ، واعلم ان المجلة لها مفعول السحر لقارئها عربيا ومحليا ، وان القارىء يلتزم بما تقوله (الهلال) واعتباره مصدرا موثوقا به ، وحجة دامغة على الرأى ، رأيت من واجبى ان ارد على مانشر بها بخصوص الرائد الكبير على باشا مبارك ، آملا ان يتسع صدر المجلة لهذا التوضيح المتواضع .

بداية أشكر للاستاذ نبيل تذكره لهذا الرائد (ابو التعليم فى مصر) رغم مرور قرابة القرن على وفاته . وكذلك الاشادة باثاره وعلى راسها (خططه) ، الا اننى اتوقف عند عدة نقاط هى

١ ـ ادانة على باشا مبارك لحركات التحرر والانتفاضات التى حدثت فى وجوده واعتبارها خروجا على الامام .

٢ ـ موقف على باشا مبارك من الثورة العرابية كمناصر لها ، ووسيط بين الحكومة وزعمائها ثم منحاز ضد الثوار .

٣ ـ مواقفه فى تسجيل التاريخ وعدم ذكر أعلام الثورة وانحيازه لسياسة الخديو .

واقف هنا لاقول موضحا هذه النقاط حتى لايلتبس على البعض ويتم تشويه الاعلام بلا جريرة ـ لمجرد اختلاف فى



الرأى او عدم تحليل للظروف المحيطة بهم .

أولا : تميزت شخصية على باشا مبارك حيث وضع فكرا متميزا ومحددا أوضحه صاحب المقال على لسان على مبارك نفسه ، فقد أمن الرجل باصلاح الفرد واصلاح المجتمع من مجموع اصلاحات الافراد ، لان المجتمع يتكون من الافراد ، وهذا فى حد ذاته أول منطق عربى يظهر بهذه الصورة ، للوقوف الجماعى فيما بعد للفساد والطغاة ، حتى اذا هبوا كانوا على قلب رجل واحد لايستطيع الخديو أو عملاء الاستعمار من دحرهم فى هذه الحالة .

وبطبيعة الحال لايستطيع من هو مثله الذى لايملك سوى قلمه وفكره ان يفعل غير ذلك ، وبالنسبة لثوار عرابى قدم لهم الرجل من ماله بسخاء ، وتسق معهم الى ابعد الحدود ، وكانت (منذرته) قبلة لهم ، ويشهد على ذلك صلته القوية برب السيف والقلم محمود سامى البارودى ، الذى استمرت علاقته به بعد النفى ، وهو الذى اشار بضرورة طبع ديوانه ، رغم انه لم يره مطبوعا فى حياته ، ولم يطبع الا الى حرف اللام .

وعلى مبارك ايضا هو الذى خطط لاقتلاع رياض باشا عام ١٨٨١ وكان ذلك مطلب العرابيين لاعادة شريف باشا ، وهو نفسه الذى اصبح ـ بما له من قوة ثورية ـ قطبا كبيرا بحزب الثورة (الحزب الوطنى) .

ثانيا : ذكر الكاتب ان على باشا مبارك اصبح طرفا ضد الثورة ، وهذه مقولة يجب ان تكون مدروسة من كافة النواحى قبل طرحها على القراء ، ونسأل الكاتب الكبير هل قامت الثورة على ما خطط لها (بمنذرته) ؟؟ هل ظهرت هناك اختلافات ؟؟ ام ان الثورة رأت ان يكون على باشا مبارك داخل الجهاز الحكومى للدولة ليكون للثوار قوة ومنعة ، واعتقد ان الثورة فعلا ابقت عليه داخل الحكومة بدليل انه كان مدخرا للتفاوض معهم (كوسيط) . على حد قول الكاتب ، فى نفس الوقت الذى تحس فيه الحكومة ان له على الثوار (دلالا) أو نفوذا ، وعادة لاتستطيع الحكومة اى حكومة ان توسط اى شخص لدى جماعة من الجماعات الا اذا كان له عندهم حظوة ، وهذا اعتراف ضمنى من كُتاب المذكرات (عرابى) أو غيره ان هذا الرجل من الوطنيين الثوار بلغة الرمز على ايامهم لذلك كان من الواجب ان يتريث كاتبنا الكبير فى هذا الحكم على ذلك الرجل حتى لاتشوه صورته بهذا الشكل .

ثالثا : ان مذكرات عرابى وفى الجزء الخاص بتلك النقاط ليست حجة على ان الرجل كان ضد الثورة او منحازا للحكومة ، ومن يدرينا فربما ما حدث كان تمويها حتى لايفقد على مبارك

مكانته لدى الحكام وثقته عند الخديو حتى تنتفع به الثورة والثوار ، ويعم بهذه الصلة الخير على البلاد والعباد .

وترجمته في خططه ، واغفاله بعض اسماء الثوار وبلادهم دليل آخر على عمق صلته بالثوار والثورة ، وكاتبنا الكبير يعلم ان الحرية المنقوصة تحتاج من الكتاب الرمز والاحاجى ودفع الشك ، وفي العصر الحديث حينما نشر هيكل ان كبار قادة القوات المسلحة بالاراضى الحجازية ، الم تكن تلك خدعة قامت حربنا التحريرية بعدها بساعات ؟؟

واذا تركنا على باشا مبارك وعصره ، وطبقنا ما يقول الكاتب ، لوجدنا فى عصرنا الحديث ان المذكرات والاعتراضات بل والافتراءات ايضا لم تكتب عن عهد عبد الناصر الا بعد رحيله بدءا من الهجوم على السد العالى وعودة الوعى لتوفيق الحكيم وحتى كتاب اعتماد خورشيد .

ان ثوار يوليو انفسهم لم يكتبوا مذكراتهم (وهذه موضة العصر) الا بعد رحيل عبد الناصر ، وكذلك المقربون من الرئيس السادات فعلوا نفس الشيء ، وهكذا دواليك حتى يرث الله الارض ومن عليها .

اننى اعترض على رئيس التحرير لابرازه النقاط دون محاولة تبريرها بمقتضيات العصر الذى حدثت فيه ، ولابد أن ينقى الوجه الجميل المتالق لاعلامنا دون مساس ، ودون الأخذ بمواطن الشبهات فى وطنيتهم ، ولانفعل ما تفعله صحف الاثارة وتركيزها على تشويه الاعلام ، فمثلا د . طه حسين واحمد حسن الزيات وزكى مبارك واحمد لطفى السيد وسعد زغلول ومحمد عبده وغيرهم من الاعلام يحلو للبعض ان يتهمهم فى وطنيتهم بل ويضيفون انهم كانوا ماسونيين ، وينشر هذا على الملأ ، وكذلك نشر آخر مقالا باحدى الدول العربية يتهم فيه الاستاذ الكبير امين الخولى انه كان (عينا) للحكومة على رفاقه بالخارج والداخل وغيره من قمم الاعلام فى مصرنا الحبيبة .

إن هذا الاسلوب فى تناول الاعلام واجب محاربته لانه يشوه وجه مصرنا الحبيبة ، ويجب على الكتاب وأد الترهات والمزاعم التى يحلو للبعض ابرازها لنبقى على هذه الاشراقة الحلوة لعظمة مصر .

وواجب علينا أيضا ان نحذو حذو عمنا الكبير عباس محمود العقاد فى تناوله للاعلام حين ترجم لهم حين قال ما معناه يجب ان اقول ان فلانا يملك كذا ولا اقول ولا يملك كذا ، يكفى ان نؤكد على الاشراقية فى اعلامنا وبلادنا ، واذا تعرضنا لغير ذلك فلا بأس من تحليل المواقف ودرء الشبهات ، والدفاع بروح العصر مع وضع عصور الاعلام فى الاعتبار .

وليغفر لى الكاتب حبى لبلادى واعلامها الذى يصل الى حد التعصب (هب جنة الخلد عدن هل يغنى ذلك عن وطن) .

تعدد الأصوات ومعناه في الشعر والموسيقى

بقلم: كمال النجمي



زعموا أن فى شعر التفعيلة وفى القصيدة النثرية نوعاً من "الموسيقى الداخلية" والحركات الإيقاعية .. وأنظمة بديعة من البناء الهارمونى ذى الأصوات المتعددة المتناغمة .. أما الشعر الموزون المقفى فهو الألحان الميلودية ذات الصوت الواحد الذى لا هرمنة فيه ولا تعدد أصوات !!

ولعل المقصود بتعدد الأصوات فى الشعر التفعيلى والنثرى ، هو تركيب الأصوات على هيئة الموسيقى البوليفونية ذات الأصوات المتعددة ، وربما كان المقصود بالهارمونى فى هذا الشعر هو تأليف الأصوات الموسيقية المتآلفة ، ولعلهم يقصدون "الكونتربوينت" .. ولعلهم لا يقصدون ذلك إلا على سبيل "التشبيه" بمعناه اللغوى المعروف ، فإذا قالوا : إن بناء الشعر التفعيلى يشبه بناء الموسيقى الأوربية المتعددة الأصوات ، فإنما يريدون أن هذا البناء يشبه ذاك ، أو كأنه هو !.. لأن الشروط العلمية والفنية التى تتحكم فى تأليف الموسيقى المتعددة الأصوات ، ليس لها صلة بالشروط الفنية والعلمية التى يقوم عليها بناء الشعر ، تفعيليا كان أو موزونا مقفى ، فضلا عن القصيدة النثرية ..

ونحن لا نصد أحدا عن نظم التفعيلات ، بل نرى الجيد منها إضافة حسنة للشعر العربى ..

ولا نزجر أحدا عن كتابة القصيدة النثرية بشرط إثبات صفتها النثرية ، فلا يزعمون أنها شعر خالص ، وهى مجرد نثر تسرى فيه روح الشعر ..

لا بديل للشعر الموزون

وليس الشعر المنثور شيئا جديدا ، فقد كتبه الأدباء المصريون والعرب منذ عشرات السنين .. ولو اطلع الشعارير على مجلدات "الهلال" فى العشرينات لرأوا فيها قصائد نثرية لجبران خليل جبران وغيره ، ولو اطلعوا على مجلدات مجلة "الرسالة" فى الثلاثينات لوجدوا فيها قصائد نثرية رائعة لمصطفى صادق الرافعى ضمن مقالاته التى كان بعضها من الأدب "الدينى" كما يقولون .

ولكن جبران والرافعى والآخرين ممن كتبوا القصائد النثرية ، لم يخطر ببالهم أنها بديل للشعر الموزون المقفى كما ينادى بهذه الدعوة أو الدعوى الآن بعض الشعارير فى مصر والبلاد العربية ، وبخاصة الشعرور المغرور الذى يسمى نفسه أدونيس ..

كذلك لم يخطر لعلى أحمد باكثير وهو يكتب مسرحية "نفرتيتى واخناتون" بتفعيلات بحر "المتدارك" قبل خمسين عاما ، إحلال التفعيلة محل البيت ذى المصراعين .

وقديما جدا لم يخطر للوشاحين الذين اخترعوا عجائب الأوزان ، أن يطردوا من الساحة شعر البحور الستة عشر ،

ويجعلوها مرتعا للتوشيح وحده ..

إن تعايش جميع أشكال الشعر العربى هو سبيله الصحيح إلى الثراء والنماء ، أما الزراية بالشعر العربى ، فهذا من عمل المبشرين الأجانب ، لا من عمل النقاد المنتمين إلى الأمة صاحبة الطريقة الفريدة فى الشعر ، وصاحبة اللغة الوحيدة التى استطاعت أن تقوم بتبعات هذه الطريقة بين جميع اللغات ..

● فماذا عن دعوى الهارمونى والميلودى فى الشعر الموزون والشعر التفعيلى ، وشعر النثر ؟!..

إن الموسيقى أصوات غير ناطقة ، حتى وإن نطقت فى الغناء ، تقوم على أصول فنية وعلمية خاصة ، أما الشعر فأصوات ناطقة لها أصول فنية وعلمية أخرى ، فلا يصح أن ننقل "اصطلاح" الميلودى والهارمونى من الموسيقى إلى الشعر إلا على سبيل "التشبيه" الذى لا صلة له بالحقائق العلمية والفنية .

ولا يصح أن نقيم على هذا التشبيه مذهبا أدبيا أو نقديا ، فهذه شعوذة ، وتلبيس على الناس بألفاظ ضخمة مثل "البوليفونى" و"الهارمونى" و"الكونتربنطى" .. وما إليها من كلمات يتخذونها مغالق وشبكات لاصطياد السذج وتفخيم الذات !..

قد يقال إن ثمة تشابها بين الشعر التفعيلى والموسيقى المتراكبة ، إذ يستخدم الشعر التفعيلى شذرات من بحور متعددة فى قصيدة واحدة ، فتختفى عندئذ الإيقاعات أو النقرات فى البحر المتكامل ، وتظهر بدلا منها إيقاعات متعددة أو متضادة أو متوافقة على حسب المطلوب ..

وهذا غير صحيح من جهتين :

ـ إحداهما أن الشعارير اقتصروا على تفعيلات ثلاثة أبحر أو أربعة .. وتركوا البحور الأخرى ، ومنها البحور التى لا يستطيعون اجتزاء تفعيلاتها .. وقد قرأت كلامهم فرأيته يكاد يكون مكتوبا كله بتفعيلة بحر المتدارك ، فانظر أيها القارىء ـ أعزك الله ـ كيف انكمشت إيقاعات الشعارير ولم تتضاعف ، ولم تتوافق ولم تتضاد ولم تزد على نغمات "الهزج" الغنائى القديم الذى كان أبسط ألوان الغناء ..

ـ أما الجهة الأخرى ، فإن الموسيقى ليست إيقاعا فقط .. بل إن الإيقاع يكون أحيانا خافيا فيها ، ولا مجال لتعدده أو كثافته أو توافقه أو تضاده ، فإذا حدث من ذلك شىء كان افتعالا رديئا مزعجا ..

وقد أمسك الشعارير ونقادهم بتلابيب الإيقاع ، وزعموا أنه "الموسيقى" .. وإنما الموسيقى بحر من الألحان لا ساحل له ، ولا علم للشعارير ونقادهم بثبجه ولا شطآنه !..

ومع ذلك نتوقف عند الإيقاع ، حتى نتبين وجه الحقيقة فيه ..

● علامة التوازن العروضى

إن التفعيلة الواحدة قائمة على نقرات أو إيقاعات متعلقة بكسور الصوت العربى

أو ما اعتدنا أن نسميه "ربع الصوت" في الغناء ، فضلا عن الصوت الكامل ونصف الصوت على الطريقة الغنائية العربية في مقامات الغناء العربي وإيقاعاته الثقيلة والخفيفة المعروفة بأسمائها وأوزانها ..

ويمكن أداء هذه الإيقاعات - وهي توزينات لغوية عربية بحتة - على دف أو طبل أداء صحيحا ، فينكشف لنا عندئذ أن تكثيف الإيقاعات التفعيلية لا تتألف منه "موسيقى بوليفونية" ، بل يتألف منه إيقاع ميلودي صميم لافكاك منه حتى ولو خرجت الإيقاعات من الأوزان التفعيلية القائمة على سلم الموسيقى العربية المؤلف من أربعة وعشرين ربع صوت !..

وإذا وضعنا تفعيلة من بحر إلى جوار تفعيلة من بحر ثان إلى تفعيلة من بحر ثالث ، فرابع ، فخامس ، لم نحصل من الناحية الموسيقية إلا على إيقاع ميلودي بحت ، فلا فرق بين حصيلة التفعيلات في آخر المطاف ، وبين حصيلة الأوزان المتكاملة ، وإن اختلف شكل توزيع التفعيلات ..

فالعلاقة بين إيقاع التفعيلات والايقاعات الموسيقية هي علاقة التوازن العروضي واللغوي فقط ، وهي قائمة على كسور الصوت ، وأساسها ميلودي غير مشوب بأية "هرمنة" من أي نوع ، ولا يقول بالهرمنة هنا إلا امرؤ جهل الشعر والموسيقى جميعا ..

وهذا هو الشأن في كل كلام بشري ، موزون أو غير موزون ، في جميع لغات العالم ، ولم تحدث "هرمنة موسيقية" من ذلك القبيل في أي شعر بأية لغة على وجه الأرض ، ولن يحدث ذلك إلا إذا تغيرت العلوم والفنون الموسيقية في الشرق والغرب ، إكراما لعيون الشعارير أصحاب الأصوات الموسيقية المتعددة في الشعر التفعيلي والقصيدة النثرية !..

تلك هي الحقائق بلا مراء ، فمن أي النواحي أتيت هذا الباب لم تجد إلا هذا الذي حدثناك عنه ، فما حديث أولئك القوم إذن عما زعموا من هرمنة الشعر التفعيلي والشعر النثري ، وما إلى ذلك من أباطيل في الموسيقى واللغة ؟!..

ويدعو إلى السخرية أن ذوي الهرمنة يكثرون من استعمال تفعيلة الرجز وهي متتالية نغمية ميلودية كانوا يهدهدون بها راكبي الإبل ، أو الإبل ذاتها ، في الصحراء ، فتتكفىء على إيقاعاتها صدور الركبان ثم تستقيم ظهورهم ، وفقا لحركة الراكب وحركة البعير !..



ولم تكن العرب تسمى الرجز شعرا ولا الرجاز شاعرا ، فلا عجب أن يتهافت الشعارير فى زماننا على تفعيلته فى تأليف كلامهم ، فإن كلامهم ليس شعرا ، وليسوا هم بشعراء ..

وإنما تجىء "هرمنة" الشعر من تركيب معانيه وأخيلته وتعبيراته واستعاراته وتكثيف أصواته الوجدانية والدرامية ، لا بما زعموا من تركيب تفعيلاته وهرمنتها ، مع ركاكة كلامهم وعجمته وبعده عن طلاوة فن الشعر وحلاوته ..

وإذا لم يتسع وجدان الشاعر لتركيب المعانى والأحاسيس والصور فلن يجديه فتيلا ما يزعمه من تركيب الأوزان والتفعيلات !..

● تحذير للجيل الجديد

ولقد كان أصل كلامنا فى هذا الشأن هو التحذير من الصمم الموسيقى أو الإيقاعى - إن أردت الدقة - الذى أصاب الكثيرين من الجيل الحاضر ممن ينظمون بالتفعيلة تقليدا لشعرائها الرواد أو تقليدا لمن جاء بعقبهم من الشعراء التفعيليين الأصلاء الذين لا ينقصهم العلم بالبحور والأوزان المتكاملة ..

ونحن نتلقى فى "الهلال" نسيلا من الانتاج الشعرى لهذا الجيل الجديد الذى يجهل الأوزان المتكاملة كما يجهل أوزان التفاعيل ، ويكتب خليطا من النثر والتفعيل وهو يظن أنه يكتب شعرا تفعيليا صحيح الوزن .

وإنما جهل هؤلاء الصغار - وبعضهم كبار - أوزان التفاعيل ، لأنهم يجهلون فى الأصل أوزان الشعر العربى ، أو البحور الستة عشر التى جفت بين أيديهم ، ونحاول بدعوتنا هذه أن نعيد المياه إليها من جديد ..

وسوف تصبح بحور الشعر عند شعراء الجيل القادم ، وكذلك التفعيلات ، ألغازا عصية على أفهامهم لأنهم لم يتمرسوا بها ، ولم يعرفوها جملة وتفصيلا ، فلا فرق فى أسماعهم بين ما اعوج واختل من أوزانها ، وبين ما اعتدل واستقام ، وإيقاع الشعر فى أسماعهم كإيقاع النثر ..

وقد صرنا الآن فى حاجة ماسة إلى نهضة شعرية عربية جديدة كالتى بدأها محمود سامى البارودى قبل مائة عام فى عصر الإحياء الأدبى ، ولكن ليس على طريق البارودى ، ولا كما صنع البارودى ، فقد تغيرت الدنيا ، وتطور نظر الناس إلى الشعر ، مع كوننا فى عصر الشعارير ، وتجددت الحاجة إلى إنهاض الشعر العربى من جديد ، ولكن بأسماء أخرى وأفكار أخرى وطرائق جديدة تضاف إلى طرائق شعراء العربية جميعا ، من لدن

امرىء القيس وزهير ، إلى البارودى وشوقى واسماعيل صبرى باشا واحمد محرم وبشارة عبد الله الخـورى وغيرهم ..

ولا يمكن أن يستقر الشعر العربى الجديد فى موضعه الصحيح إذا كان ذيلا للحركة النقدية ، خاضعا لديكتاتورية نقاد يعيشـون فى عصر "جـدانـوف" .. ويصدرون مراسيم بهدم الفى سنة من الشعر العربى ، وبناء الفى سنة غيرها .. فهذا خيال ، بل خبال .. ومن حسن الحظ أن هذا ليس فى طوق أحد من البشر ، ولو كان ناقدا من أصحاب الفـرمانـات والمراسيم التى تجاوزتها تطورات الفكر المتقدم فى كل مكان ..



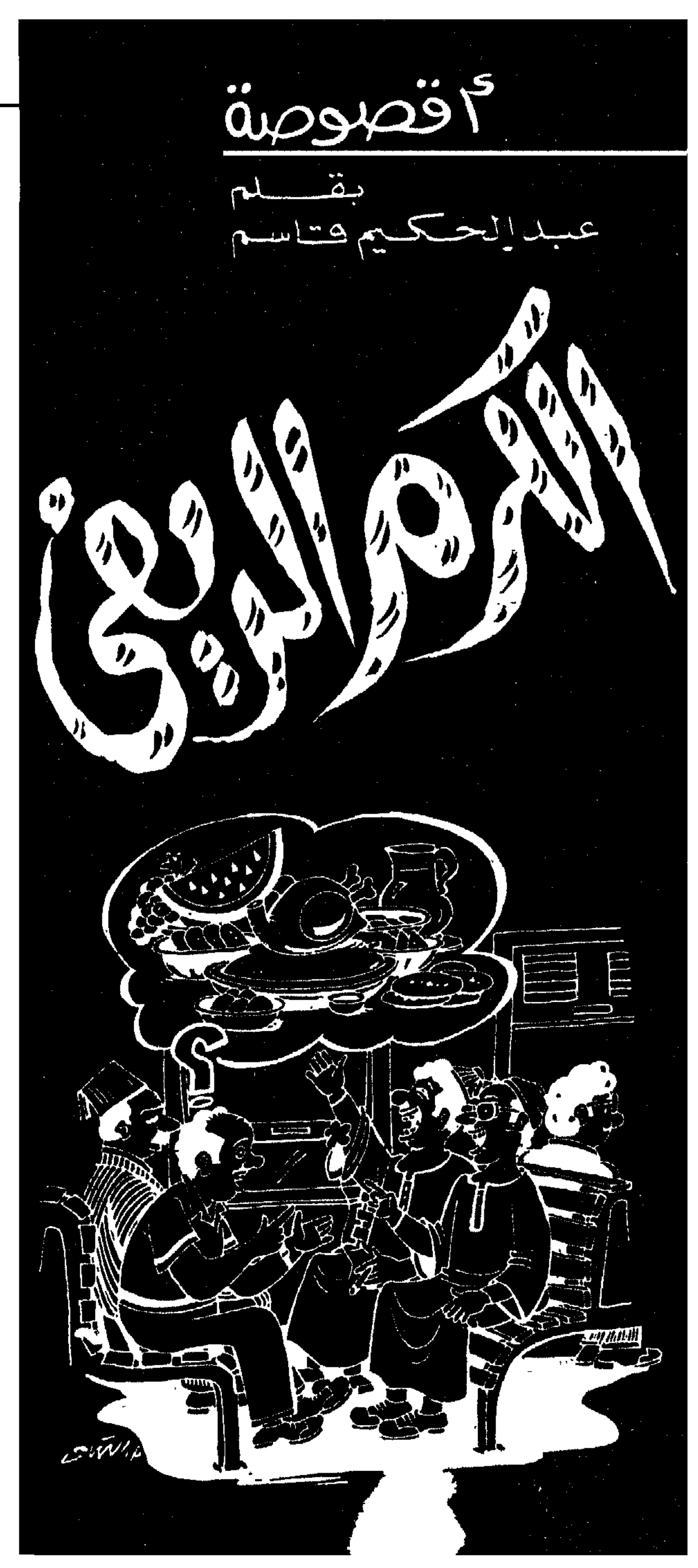
● استيعـاب الاوزان

وبعد فإنى أتقدم بنصيحة للشعراء الجدد تقدمت بها مرارا من قبل ، رجاء أن ينتفعوا بها إذا شاءوا .. وفحواها بإيجاز أن يبدأ الشاعر التفعيلى حياته الشعرية باستيعاب الأوزان المتكاملة للشعر العربى فى الدواوين الزاخرة للشعراء المجيدين الذين لم يتحيفهم ضعف ولا فسولة ، حتى تنطبع الأوزان والتفعيلات بـإيقاعهـا الصحيح فى وجدان الشاعر الناشىء ، فإذا حصلت له الملكة الصحيحة فيها كانت هى الأساس الذى يستند إليه فى نظم الشعر التفعيلى بأوزان لا غبار عليها ، ثم ينطلق فى سبيله كيف شاء ..

وإذا تثاقل الشعراء الجدد عن هذا العمل الذى لا يكلفهم شيئا ، فسوف يعض بنان الندم كل من يمتد به العمر منهم ومنا حتى يرى الشعر العربى فى القرن الواحد والعشرين ، نثرا خالصا من كل وزن ، بعيدا حتى عن رونق الأسجاع القديمة عند الحريرى والهمذانى والقاضى الفاضل ، خاليا حتى من أبسط أشكال الميلودى ، فضلا عن الهارمونى الذى يزعمه الزاعمون الآن !

ولم ينته كلامنا ، ولكن لا رغبة بنا فى مواصلته والاسماع صماء ..

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى



هما ولدا عمي «محمد ومحمود» نقعد في مصر، لا نترك اسلاك الهاتف تبرد من حرارة عواطفنا الا واتصلنا ببعضنا مرة اخرى ، كيف الحال ؟ والعيال ؟ لم أرك من زمان ؟ واضع المسماع وأشرد نواحي بلدنا وسنوات اليفاعة - كان ابوهما يعزني معزة ابنه الكبير ، واذا يراني مقبلا يقوم مسلما مرحبا مهللا بصوت يفيض فرحة ، ويجتمع الناس علي وعليه ، واجلس اليهم ، ويجلس الينا «محمد ومحمود» ، ونحن فرحانون باجتماع الاهل والاحباب في الباحة المؤطرة بالدور ، بالنعمة الانسجام التام الذى يشمل الريف وناسه ..! يتنادون من على الابواب، يضحكون برفق ، ويتشاتمون في المزاح برفق، ويخرجون بطعامهم الى امام دورهم ، ويتعازمون بحرارة ، ويتقاوون بالعزم على الضيف الغريب ، ويسرف هذا في التأبي، فيحزنون .

لقد مات عمي ، وجرحني بموته ، وباع ولداه منزلهم ، حزنت لذلك ، الجرح البالغ بقي رابطي بالحتة قدام

باب بيته . ارامق البيت
وسكانه العزب ، وامتسى
وفي قلبي يبقى المطرح
والدور المجاورة ،وولداه
اللذان يعملان في القاهرة،
لا اترك اسلاك الهاتف
تبرد من لهفتي عليهما .

نلتقي في البلد كل ان
نفرح باللقاء ، ونتعانق،
ونضحك من كل قلوبنا،
ونرتدي الملابس الريفية،
ونتيه بأزيائنا وباحتفال
الناس بنا ، يا سلام على
الصلة التي تبقى تصلك
بالارض ، تصلك باصولك
الريفية لا تنقطع ، نروح
هناك نغتسل من الملالة
القاهرية ، من كر الايام
وشبه الايام ببعضها .
ثم نعود ريانين بالريف،
شبعانين،اغتذت ارواحنا
فنفيض في ثرثرة على
اسلاك الهاتف ، ثم
لا نلبث الا ان نشتاق الى
السفر مرة اخرى .

لماذا يسافر كل
واحد منا بنفسه ،
لماذا يسافر كل منفردا ؟
لماذا لا نسافر جمعا ؟
تقابلنا في باب الحديد،
وقد اخذنا العزم على
بدء المتعة بزيارة البلدة
في قلب القاهرة نفسها.
تقابلنا ، وضحكت لما
رايتهما يلبسان الجلابيب
البلدية ، اتتعجلان
بارتداء الزى ؟ ضحكا
من كلامي وانتفخاوطالت
قامتاهما تيها ، وجلسنا
في القطار نثرثر على
متعتنا المرتقبه ، نجلس
في الباحة ويلتم علينا
الناس ، فلان وفلان
وفلان ، كل مشوق
ليسمع منك وكل مشوق
ليحكي لك . كل مصر
على ان يقريك ، يحلفون
عليك ان تاكل عندهم
ويصرون على حلفانهم ،
والواحد يتأبى وكما
اشتدت العزيمة اشتد
الواحد في تأبيه ، حتى
ينكسف الواحد منهم،
ينكسر بما لم تجب
عزيمته .

رويدا رويدا يفتر
حديثنا ، ويبدأ الواحد
منا يتقلق ، وتزاحم
الكآبة مشاعر الفرح .
نضحك هنا وهناك ،
تغالب كآبتنا ، لكن
لا سبيل ، فان في القلب
ثقل من ناحية الحقيقة :
أن الواحد ضيف متعلق
برغائب مضيفه ، لو زفر
تركت انفاسه بصمات
على زجاج روحنا
المصقول فيتغبش . لكننا
نتذكر الحمية والحماسة،
نشد الذكريات على اعتام
ارواحنا ، حتى وصلنا
الى طنطا ..

نزلنا الى المدينة ،
اهي بالغة الروعة ام
نحن نضيف عليها من
فرحنا . هذا غاية
نزهتنا ، زيارة طنطا
ايام كنا في البلد ،
ومولد السيد البدوي
والحلوى وغداء من
الفول والطعمية ، فاذا
محمد الاخ الكبير يقول:

ـ لناكل لقمة هنا
قبل ان نذهب الى البلد

شدهت لكلامه ،
واستعجبت ! ثم استيقظ
في نوع من الحانين ،
فسألته مكتئبا لرده
المتوقع ، قلت له :

ـ لماذا ناكل ؟ وهم
يقدمون لنا في البلد
الطعام ، ويجزلونه ،
ويعزمون علينا آثقل
العزائم ؟ فتكلم محمد
ومحمود يبتسم موافقا .
بدأ يصف قائلا :

ـ نحن ناكل هنا ،
لا ننزل على الناس
بجوعنا ، انهم يعزمون
علينا ، ولا نجد نحن
مناصا من التأبي ،
ويعزمون علينا بطريقة
تضخم فيه التأبي ،فحتى
اذا بلغ تأبينا نراه حزن
الرجل وانصرف

استيقظت في نفسي
غصة قديمة ، غصة
غالبتها لتبقى سكتي الى
الريف موطأة
قلت له :

ـ ماذا لو اكلنا ؟

قال ابن عمي :

ـ العزومة والتأبي ،
فاين المخرج ؟


حلمي التونى
٨٦



بقلم:
د. نجوى عانوس

رسم: الفنان حلمى التونى

كان المجتمع المصرى قبل تولية الخديو اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) كسائر المجتمعات الشرقية قائما على الحكم الشيخى وهو ضرب من الحكم تكون السلطة فيه كسلطة الأب فى منزله بجميع مميزاتها من سيطرة تكاد تكون غير محدودة، وواجبات نحو الجماعة غير معينة وحقوق فى تمثيل الجماعة مطلقة غير مقيدة، وكان مشايخ القرى الذين هم محور النظام الاجتماعى كله يعولون على هذه السلطة فى قراهم

انحلت حياة القرية الجماعية على اثر التغيرات الاقتصادية وظهور القانون الشخصى الأوربى كان من الطبيعى ان يضمحل نفوذ الشيخ وذلك عندما انشأ اسماعيل المحاكم الجديدة التى جمعت بين الفلاح والقانون فظهرت وظيفة «العمدة» فى عصر اسماعيل، آذ جعل الى جانب المشايخ فئة كبيرة من الملاك الكبار تسمى بالعمد تتمتع بالرئاسة على المشايخ استمد المويلحى فى «حديث عيسى بن هشام» شخصية العمدة من الواقع المصرى فى الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر وفى عهد الخديو توفيق ابن اسماعيل. وهو العمدة الذى جاء من الريف الى القاهرة (المدينة) وجيوبه مملوءة بثمن القطن فيندفع الى بيوت القمار ويقيم مغامرات مع الراقصات اللائى يسلبن ماله ويعود نادما الى قريته كما يوضح خضوع العمدة الواضح لاستغلال الطبقة المستثرية فى المدينة.



استمد يعقوب صنوع فى ١٨٧٨ شخصية « شيخ الحارة » او شيخ البلد » من الواقع المصرى وجعلها الشخصية الرئيسية فى لعباته التياترية وهى عبارة عن مسرحيات قصيرة نشرها فى صحف أبى نظارة زرقا ورمز بهذه الشخصية الى الخديو اسماعيل وربما اطلق عليه هذا اللقب لضعف سيطرته على مصر فى عهد التدخل الانجليزى ، فشيخ الحارة فى لعبة « القرداتى » يمثل الوسيط بين الأهالى والسنجق التركى الذى يجبر الاهالى على دفع الضرائب .

وفى بداية هذا القرن نجد شخصية العمدة يقوم بتمثيلها نجيب الريحانى فى ١٩٠٨ ، اذ كان يمثل هذا الدور فى فرقة جالتزى الفرنسية التى كانت تمثل على مسرح عبد العزيز ، ويمثلها أيضا شخصية الشيخ عاشور للفنان الشعبى عبد القادر سليمان الذى قدم فاصلا بعنوان « الشيخ عاشور » فى مقهى شيبان بالاسكندرية عام ١٩١١ اذ يصف النص محاولة عشيق الحصول على الفتاة التى يهواها رغم اصرار ابيها على تزويجها من صديقه العمدة الثرى عاشور ويحضر العمدة وخادمه الى القاهرة لرؤية عروسه .

ونجد شخصية العمدة الثرى فى مسرحية « ملك وشيطان » قبيل الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٣ للكاتب المسرحى عباس علام ، والعمدة هنا بالرغم من جانبه الموهوب بين الفلاحين الا انه يرتمى فى احضان الطبقة الحاكمة والباشوات ويتقرب الى موظفى الادارة العليا وتقربا الى هذه الطبقة يرغم ابنه « حليم » العائد من اوربا على العمل فى وظيفة حكومية كما يرغمه على الزواج من ابنة احد الباشوات وهى فتاة متفرنجة ارستقراطية فينشأ صراع بين حليم المتمسك بالتقاليد الشرقية وبين زوجته الغربية الطباع ينتهى بتطليقه اياها والزواج من ابنة عمه .

انعكست الظروف الاقتصادية على شخصية العمدة فى المسرح المصرى فارتبطت بزراعة القطن واعتمدت على انخفاض أو ارتفاع اسعاره ، فعندما اعلنت انجلترا حمايتها على مصر اثناء الحرب العالمية الأولى فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وفرضت الاحكام العرفية وساءت الأحوال الاقتصادية وعم الكساد واشتد الضيق بالمزارعين ضعف تيار المسرح الجاد اذ كان الجو خانقا فى مصر يضيق به الشعب غاية الضيق فكان طبيعيا ان تنجح الميول الى طلب التسلية والترفيه وان يسود تيار المسرح الضاحك .

وفى هذه الظروف برزت شخصية « كشكش » كمنظومة معادلة للتغير الاقتصادى والقلق الاجتماعى .

وفى ١٩١٦ اتفق « عزيز عيد » مع امين صدقى ان يضع له مسرحية مصرية تمثل حادثة من صميم الريف فكانت القرية الحمراء وابطالها عمدة كفر البلاص

وخفير وابنة الخفير فتاة جميلة ، تدعى « عين ابوها » وتعمل الفتاة فى خدمة العمدة الذى يحبها ويغتصبها فيثور ابوها الخفير ويقتل ابنته وقد مثل عزيز عيد دور العمدة ومثل الريحانى دور الخفير ومثلت روز اليوسف دور عين ابوها .

توضح هذه المسرحية استغلال عمد الريف لمراكزهم فى سبيل تحقيق ملذاتهم .

وفى أول يونيه ١٩١٦ اخرج الريحانى اول مسرحيات « كشكش » بعنوان « تعالى لى يابطة » ثم « بستة ريال » « بكره فى المشمش » .

ونجد « كشكش » فى « خليك تقيل » فى ١٩١٦ يقوم بمغامرة مع عشيقة فرنسية تدعى « تريز » وتقوم الحماة « ام شوع » بمراقبته ويستطيع « كشكش » فى نهاية المسرحية بذكائه وبأساليبه الساذجة الشريفة كشف خداع عشيقته الاجنبية وكشف حيل « القواد الاجنبى » ويأمر خادمه « زعرب » بضرب العشيقة الخائنة .

اتجه ابراهيم رمزى الى الكوميديا فكتب « دخول الحمام مش زى خروجه » فى ١٩١٦ و« عقبال الحبا يب » فى العام نفسه وتدور المسرحيتان حول شخصية العمدة الذى جاء الى القاهرة وجيوبه مملوءة بثمن القطن فتحتال عليه زوجة الحمامى « زينب » فى دخول الحمام وتسلب ماله وتحتال عليه الخاطبة « فاطمة » فى عقبال الحبايب وتسلب ايضا ماله .

● مشعوذون ودجالون

وبينما ظهر بعض المشعوذين فى اثناء الحرب العالمية الأولى ـ الذين يدعون معرفة علم الكيمياء وانه بامكانهم تحويل النحاس الى ذهب واتسع مجال التدجيل والشعوذة والتنجيم نتيجة للحرمان والفقر اذ قويت الاحلام بالفرج فاتجه المصريون الى الدجالين لتحويل احلامهم الى واقع .

يتنبأ الدجال فى مسرحية « ام احمد » لنجيب الريحانى بزواج ام احمد من رجل مصرى كبير السن يرتدى عمامة ، نحيف القوام ، ابيض اللحية وذلك بعد ان تزوجت من الهندى والشامى والمغربى والفارسى وهربت منهم جميعا .

ويحضر « كشكش » تحقيقا للنبوءة، فيغازل ام احمد ويتباهى بجنسيته المصرية ، فيذكر ان جنسيته مصرى ، وديانته ايضا مصرى وبالرغم من ظهور « برهوم » الشامى زوج ام احمد الأول والأعجمى الزوج الثانى والهندى الزوج الثالث والمغربى الرابع ترفض الزواج منهم جميعا وتتزوج من كشكش المصرى وتنتهى المسرحية بأغنية توضح الدرس المستفاد منها .

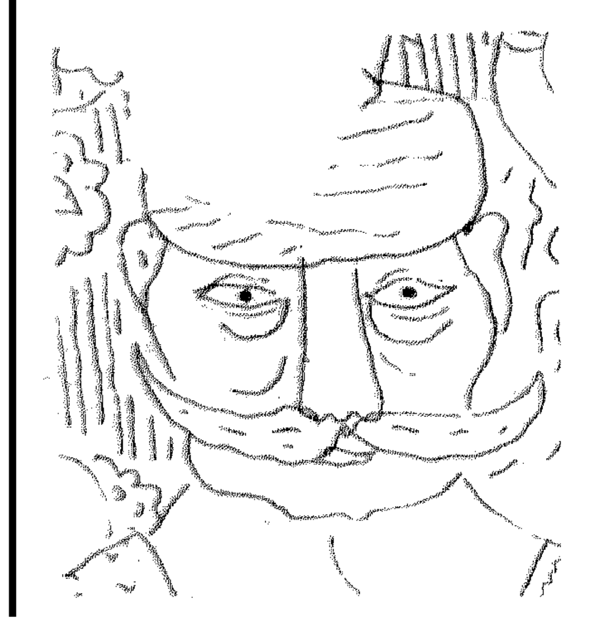
آدى اعظم درس ياجاهل رأيته
سيب جيراتك كل واحد جوه بيته
ليه تجوزه على غيرك تخطف منه ماله
دا اللى مش على خاطرى بعيد عنك تطوله
خلى دين الانسانية يبقى دينك يابن عمى
وقتها اعطيك حياتى وكمان افديك بدمى
حط ايديك مع ايدى بالمحبة اللى بيننا
سعد مصر اليوم حايبقى نور وزينة

ويعود كشكش ليصبح شخصية قومية فى ١٩١٨ معبرة عن الجماعة وآمالها اذ اخرج الريحانى « حمار وحلاوة » .

تتناول المسرحية حكاية « كشكش بك » عمدة كفر البلاص الذى راح فى غيبوبة تحت تأثير مخدر ورأى انه قد اصبح ملكا

يحل مشكلات الرعية الذين يشكون اليه سوء الحال والفقر ، ويعكس هنا كشكش هموم الجماعة واحلامهم فى حاكم عادل فكشكش هنا يحلم بحياة افضل ويشعرنا بالقلق فلا نطمئن الى واقعنا بل نطمع فى تغييره ونرفضه فالحلم يؤدى الى التمرد والثورة ، وفى عام ١٩١٩ اندلعت ثورة من اخطر الثورات فى تاريخ مصر الحديثة وكانت الطبقة البرجوازية اول من استجاب اليها وهنا جعل الريحانى من كشكش رمزا للمقاومة فى صراع المصريين ضد الانجليز ، فيدور استعراض « اش » حول كشكش الذى يفقد كل امواله على مائدة القمار ويضطر الى الاستدانة من احد (الخواجات) وعندما يعجز عن سداد دينه يلجأ الى بيع ارضه ولكنه ينجو من الافلاس حيث يهبط عليه ميراث فى آخر لحظة يصور كشكش احتيال اليونانى عليه .

كشكش : خرالمبو شاف جيبى معمر
راح دغرى واقف متسمر
ع العزبة عينه بتدور
قال لى العب بارتيتة بوكر.



يابيه اشرب جونى ووكر
شربت ، سكرت ، خسرت
لما وقعت فى حيص بيص .
وعنها وكمبيالة كانت جنبى محضرها .

ويوضح العمدة فى «القضية نمرة ١٤» من تأليف امين صدقى الفارق بين شخصيتهم فى ١٩١٤ وشخصيتهم فى ١٩١٩ : يقولون :

عمد : عمدة الأيام دى ياويكه بطل امور البولوتيكة وشاف أن الخبص هتيكة بده يشوف طين اجداده ، بده يربى ولاده ، ويخدم وطنه وبلاده . كانت السنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٣١ سنوات الوفد فى صراعاته مع القصر والانجليز ومع حزب الأمة ولم يكن هذا الصراع إلا انعكاسا للصراع بين طبقة الأعيان أصحاب المصالح الحقيقية والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة التى كونت نسيج حزب الوفد وانتصر القصر لاصحاب المصالح بعد تصريح ٢٨ فبراير وجاء دستور ١٩ ابريل ١٩٢٣ حاميا لطبقة الاعيان .

تخلى الريحانى عن «كشكش » إذ صار نموذجا باليا ، واتجه إلى الشخصيات الواقعية والاستعانة بنماذج الشعب فقدم ميلودراما «ريا وسكينة » ؛ ويشكك ناقد معاصر فى نجاح الريحانى فى التمثيل الجاد فيقول :

«ونجيب كشكش بك هو الكل فى الكل على المسرح ، ولكن نجيب قد نتف لحية كشكش بك واقسم الا يعود إلى الجبة والعمامة والقفطان فهل سينجح فى التمثيل الجدى .. »

قدم امين صدقى شخصية العمدة فى مسرحية «الانتخابات » فى ١٩٢٣ ؛ فهو «رمضان بيه سالم أبو حويجه الدنف من اعيان برما غربية من جهة طنطا ، يساعد

«رجب » وحزبه «حزب المقايسبين » فى الفوز فى الانتخاب ، وهنا يتضح دور الاعيان فى السيطرة على الاحزاب وفى الانتخابات .

بعد فشل الريحانى فى التراجيديا والميلودراما - فيما عدا ريا وسكينة - يعود إلى شخصية كشكش ولكن جمهور المسارح فى عام ١٩٢٧ يختلف عنه فى السنوات السابقة ؛ فأغاني كشكش واستعراضاته قد اصبحت مبتذلة . قدم كشكش فى فبراير ١٩٢٧ استعراض فرانكو آراب تحت عنوان « ليلة جنان » ثم قدم « علشان بوسة » .. فى العام نفسه . ونجد « كشكش » فى هذه المسرحية يغازل امرأة فى احد محلات الملابس ويقبلها ، فتصرخ المرأة وتستغيث فيضطر كشكش إلى الهرب والاختفاء فى أحد أركان المحل حتى يعرف من صديقه «سفروت» بائع بالمحل - ان زوجها رجل غنى من الاعيان وقد ابلغ البوليس والحكمدارية والنيابة للقبض عليه ويقترح سفروت عليه التخفى فى شخصية بائع ملابس يونانى وبطبيعة الحال ينتهز الريحانى هذه الفرصة لكى يقدم فئات مختلفة من الوافدين لشراء الملابس ساخرا منهم موضحا عيوبهم ، ويقع « كشكش » فى الكثير من المفارقات المضحكة لعدم درايته بهذه المهنة ؛ ويتشاجر مع «ام شولح » التى تطلب شراء «برنيطة » تقليدا للاجنبيات ، وأخيرا يختبىء «كشكش » . فى صندوق ملابس اميرة هندية تدعى «تنجانوره » وهنا يسخر «كشكش » من الجنرال الهندى الذى يقوم بسرقة سيدته ، ويحمل «الجنرال » الصندوق إلى الهند وهنا يصف لنا «كشكش » الهند ، مثله مثل بطل حكايات الف ليلة وليلة الذى يقوم برحلات إلى جزيرة الواق واق ، مثلما نجد فى الليالى بيئات متعددة بين الخيال والمعلومات الصحيحة المشوهة . وهنا يطلب العودة إلى مصر :

كشكش : قولولى سكة مصر فين .
الامير : سكة مصر .
الجنرال : ايوه يامولاى .
الامير : وانت جاى من مصر هنا تعمل ايه .
كشكش : عارفين ايه اللى جرجرنى هنا علشان بوسه .

واستمر الريحانى يقدم استعراضاته حتى عام ١٩٢٩ حيث عانى العالم وقتئذ من أزمة اقتصادية عنيفة تطاير شررها إلى مصر ظهرت هذه الازمة فى نيويورك عام ١٩٢٩ عقب انهيار مفاجىء فى اسعار البورصة وتأثر الاقتصاد المصرى بالكارثة وانخفضت اسعار القطن وحيث اقبل الجمهور المصرى على الترفيه والتسلية للاضحاك .

وفى ١٩٣١ اتجه «الريحانى إلى الكوميديا الجادة فى «الجنيه المصرى » التى اقتبسها عن مسرحية «توباز » لمارسيل بانيول ليعالج عيوب المجتمع ويناقش مشكلات الطبقة البرجوازية ، فبطلها « ياقوت » يعمل مدرسا فى إحدى المدارس الابتدائية ، ولكن لم تلق هذه المسرحية اقبالا من الجمهور لحاجته إلى الترفيه والتسلية .

وفى ١٩٣٧ قدم استعراض «الدنيا على كف عفريت » وحاول أن يمزج فيها عناصر الاضحاك والاستعراض بنقد المجتمع وتوضيح سلبياته اعنى بين الفارس والكوميديا الاجتماعية الجادة فتوضح المسرحية شخصية العمدة

«كشكش » رئيس محكمة كفر البلاص ، فهو يرفض مقابلة الفلاحين ، يقضى ليله مع اصدقائه وأهله فى المسامرات وتبادل النكات وينام نهاره ، ويعرفنا أحد الفلاحين بأعضاء المحكمة :

قاضى الغرام مغربى   واللى شهد هندى
وفضلت ابرطل بكـام   او ذى وكام جندى
ضيعت فـى الرشـوه   تلتين اللى كان عندى
وطلعت فـى الحكـم   لاشندى ولا بندى

يحاول اليونانى «نيقولا » استغلاله وشراء القطن منه بأرخص من ثمنه لكنه يفشل ، وينتقل «كشكش » وخادمه «زعرب » إلى القاهرة للبحث عن وريثة العمدة السابق الثرى ؛ وهنا يوضح الامراض الاجتماعية التى انتشرت فى القاهرة فى اعقاب الحرب العالمية الاولى .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية هبط سعر القطن وكسرت الحرب إلى حد ما الاقطاع الزراعى وانتعشت الصناعة المصرية والرأسمالية المصرية وظهرت طبقة الاغنياء المحدثين وكانوا هدفا لهجوم الريحانى الذى تحمس وقتئذ إلى قضية الفقراء والانسان الصغير وهو موظف الحكومة وكاتب الحسابات والمدرس وبالتالى اختفت شخصية «كشكش » .

ظهرت فى أثناء الحرب العالمية الثانية شخصية «عبدالرحيم كبير الرحيمية » لمحمد التابعى ، وهى اقرب إلى شخصية «شيخ البلد » منها إلى العمدة وهو ريفى ساذج ، طيب القلب ، محبوب من الفلاحين . يسافر كبير الرحيمية فى «عبدالرحيم فى باريس » ومعه « خادمه » «شولح » إلى باريس للعلاج تقليدا لـ «عبدالحفيظ» كبير «الحفيظية » ، وقبل سفره يحل بعض مشكلات اهالى القرية حلولا أقرب إلى حلول قراقوش فى كتاب «الفاشوش فى حكم قراقوش» لابن حماتى ، وبينما يشكو الفلاح (ابن البلد) من الخواجة «خرارمبو » يتحيز العمدة إلى الفلاح ويأمر بنفى الخواجة واغلاق خمارته .

يغازل «عبدالرحيم » فى باريس فتاة فرنسية ويطلب منها العودة معه إلى مصر فتوافق وعندما يعود بالفرنسية إلى القرية يغضب الأهالى ويرفضون تقديم الهدايا احتفالا بعودته وتغضب أيضا زوجته خضرة ، فيعطى كبير الرحيمية الفتاة إلى اليونانى «خرارمبو » للزواج منها ، فهى من جنسيته ، ويعمل على ارضاء أهل قريته .

وفى «الامير خروب » يقوم بدور العمدة الذى فقد ماله فى لعب القمار واضطر ان يعمل بائع «جاوى وفاسوخ » ويسافر إلى «زنجبار » حيث يعينه الشعب هناك ملكا عليهم .

وبنشاط اعمال الفدائيين قامت ثورة ١٩٥٢ ، واعلنت الجمهورية وابعد الملك والغى الحكم الملكى ، كما صدر قانون الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية الزراعية تمهيدا للقضاء على الاقطاع وبالتالى اختفت شخصية العمدة فى المسرح المصرى وانحصر الاهتمام حول الطبقة البرجوازية والفلاحين .

وبهذا أكون قد عرضت عرضا سريعا موجزا لتطور شخصية العمدة فى مسرحنا المصرى .

تقديم
عاطف مصطفى

الأديب الكبير يحيى حقى :



النقد الانطباعى ، من أخطر التهم التى واجهت أديبنا الكبير يحيى حقى ، لذلك استبعد اساتذة الجامعات اسمه ، كرائد من رواد النقد الأدبى ، فى حين احتفلوا بصغار النقاد ، وهواة القص واللصق !

هذه القضية الخطيرة يتحدث عنها ، فضلا عن قضايا هامة تضع شبابنا على الطريق الصحيحة ، وليترسموا خطى الرواد ، لكى تخرج أعمالهم الأدبية بعيدا عن التزييف ، وتغوص فى باطن تاريخنا العربى والاسلامى ضرب يحيى حقى أمثلة لذلك أبرزها إبداع محمد المويلحى فى القص واعتبره رائدا فى هذا المجال ، وأشار الى جهود الشيخ على يوسف صاحب المؤيد الذى بدأ فقيرا ، وحقق شهرة واسعة فى مجال العمل الصحفى .



مادة خصبة لأدبائنا الشباب

قال يحيى حقي عن كتابه الذى صدر اخيرا بعنوان « صفحات من تاريخ مصر » لقد فعل معى فؤاد دواره ، مافعله محمد المويلحى ، حين مر على القرافة فاستخرج رجلا تركيا قديما اسمه السلاملكى ، وهو فى الواقع قد اخرج اللغة العربية الفصحى فى ذلك العصر من القبر ، وأدخلها المدينة لتعرف كيف تكتب .

هذا الكتاب ليست قيمته فى أنه جزء هام من تاريخنا وتاريخ القصة ، بل يجب ان يدرس دراسة لغوية متانية ، ولحسن الحظ فهو مسبوق بمقدمة شيقة كتبها الأديب الراحل عبد الرحمن صدقى ، الذى ظلم فى الدراسات الأدبية ، ولم يتحدث عنه أحد كشاعر ومترجم .

إن شخصية محمد المويلحى تخامرنى دائما ، وافكر فيها طويلا ، ودائما أقول للشبان الذين يزورونني .. أحيانا قد لايواتيكم الوحى ، وليس ضروريا أن تقفوا مكتوفى الأيدى ، بل أمامكم فرص عديدة فى استخدام الأسلوب القصصى فى كتابة السيرة ، واحق الأشخاص عندكم بكتابة السيرة ، هو محمد المويلحى .

وكتابة السيرة بأسلوب قصصى مخرج للشباب ، اذا أرادوا أن يستخدموا قلمهم وموهبتهم القصصية ، فى موضوع لايحتاج الى وحى أو إلى فكرة جيدة ولدينا فى الآداب الغربية كتب عظيمة جدا ، ومؤلفون عظماء جدا كتبوا السيرة بأسلوب قصصى ، يجمع مابين الأدب والتاريخ والقصة وبلا شك فإن العبرة بالأسلوب الأدبى والتصوير الذى يكتبه المؤلف .

■ **فؤاد دوارة : هؤلاء الكتاب الذين تطالبهم بأن يكتبوا بنفس الصورة التى كتب بها محمد المويلحى ، ماهى المصادر التى ينبغى أن يعتمدوا عليها ؟**

●● يحيى حقى : لدينا مرجعان .. مايكتبه الشيخ عبد العزيز البشرى ، وأيضا مايكتبه أنور الجندى .

ومع الأسف الشديد فاننا لانحتفى ولانهتم بوثائقنا ومستنداتنا ، وعلى سبيل المثال حينما نذهب الى دار المحفوظات بالقلعة لانستطيع أن نحصل بسهولة على ملفات الموظفين .

وحينما كتبت عن محمود طاهر لاشين ، ذهبت الى القلعة « دار المحفوظات » وطلبت ملف خدمته ، لأننى اعتبره مرجعا من أهم المراجع ، ونفس الشىء وبجهد أكبر فعلت ذلك بالنسبة للفنان المسرحى الراحل نجيب الريحانى ، والذى يود البحث عن شىء هام ، ينبغى أن يبذل جهدا للحصول على المعلومات المطلوبة .

إن الحصول على المعلومات والوثائق عندنا أصبح مشكلة ضخمة ، فلا تتيسر المعلومة الصحيحة المطلوبة ، وعلى عكس ذلك تماما تجد فى أوروبا أناسا متفرغين لحفظ وثائق الدولة ، وقد شاهدت فى بعض مكتبات بفرنسا كيف يحتفظون باعلانات للمسارح مضى عليها اكثر من ثمانين عاما ، حتى تذكرة الترام يحتفظون بها ! ..

وجمع الوثائق مظهر لشعور الأمة بأنها امة ، ولوجود أشخاص لديها ينبرون للعلم ولطلبه .

■ **الهلال : هنا يمكن القول بأن المشكلة التى تواجهنا هى التاكل الذى حدث فى دار الكتب ، وفى الوثائق الموجودة بالقلعة والتى لم تعد منظمة بحيث لايمكن الرجوع اليها او الاستفادة منها .**

●● يحيى حقى : لقد حاول الملك فؤاد ـ هذا الرجل الذى لا أحبه ـ فى وقت من الأوقات إعادة نشر وثائق محمد على ، ونشر منها الجزء الأول بالفعل ، وحينما قرأتها اندهشت ، حيث وجدت محمد على يكتب لممثله فى المنيا قائلا « عندك كام كيس تبن ! » ولايمكن بالتالى ان تعرف شخصية محمد على إلا إذا قرأت هذه الرسائل وهى مطبوعة لحسن الحظ .

■ **د . مصطفى ماهر : لقد أشرت إلى محمد المويلحى ، وفسرت حركته بأنها من وجهة نظرك هى احياء اللغة العربية القديمة (الفصحى) .**

●● يحيى حقى : أود القول بأن اللغة العربية ليست قديمة ، وليست حديثة : اللغة العربية ، لغة عربية واحدة ، خلقت ومستمرة ، وهذه أعجوبة من الأعاجيب .. إقرأ القرآن واستخرج منه مائة كلمة

● صحافة العشرينات أعطت الأدباء اهتماما أكثر مما نراه الان !



يحيى حقى : ابواب الخير الفردية اغلقت

فقط وعلى الفور تكاد تقول إنه مكتوب بلغة اليوم . فكيف يمكن ان تعيش لغة على مدى ١٤ قرنا من الزمان وهى محتفظة بهذه القدرة على الاستمرارية ، وهذا مايشبهه الانسان بأن شخصا يحمل على ظهره كنزا ضخما مثل خزانة حديدية ، وهى عبء كبير فى حملها ، والمشكلة مع اللغة ، كيف نجمع مابين هذا الكنز الهائل جدا الذى أمامنا وبين أن نستخدمه ! ..

■ **د . مصطفى ماهر : لكن فى حالة محمد المويلحى نلاحظ أنه كان فى موقف صعب ، هو استخدام اللغة العربية ، كما استخدمت فى المقامات القديمة ، ومحاولة استخدام هذه اللغة فى قالب قصصى جديد ، بمعنى أنه أحس بأن هناك ضرورة لأن تكون هناك قوالب جديدة ، فما هو التجديد الذى كان يقوم به المويلحى .**

●● يحيى حقى : إن المشكلة التى واجهها المويلحى تجىء من ناحيتين : أن هذا المجتمع تلقى تأثيرات أجنبية فنقول مثلا (أجزخانة) ولانقول (صيدلية) فهذه الألفاظ جاءت من خارج اللغة العربية ، ثم نشأة اللغة العامية الدارجة وتداولها بين الناس ، بحيث ان المقابل للغة نسى .

إن أركانا كثيرة فى حياتنا العامة لانعرف كيف نستخدم فيها اللغة العربية !

وعلى ذكر الشخصيات التى ينبغى ان يكتب فيها الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » هذا الرجل أتى من صعيد مصر وهو فقير ، وفى أواخر أيامه نجده صاحب جريدة المؤيد ، التى كانت تكتب بأسلوب من أرقى مـايمكن ، وكانت الجريدة توزع فى جميع البلاد الاسلامية فى اسيا وافريقيا ..

كتبت فى « فجر القصة المصرية » يوم اشترى الشيخ على يوسف مطبعة من أوروبا واحتفل بها احتفالا هائلا ، وطلب من الأعيان الحضور لمشاهدة هذه المطبعة ، وفى أواخر ايامه تزوج بنت الشيخ السادات ، وقالوا له انت غير كفء لها ، ولابد أن تطلق ، وينبغى أن تخرج من بيتك وتذهب إلى بيت شيخ الأزهر ، حتى يمكن الفصل فى القضية ، وكانت قضية اسمها « حسن أبو على سرق المعزة ! » وأطلقت هذه المقولة على الشيخ على يوسف ! .. وفى أواخر حياته قال : إننى أتنازل عن كل شىء وأكتفى بمشيخة السجادة الوفائية !

هذان المثالان .. محمد المويلحى وعلى يوسف يمثلان عصرا دراميا ، يستحث كاتب القصة على أن يجرب قلمه .

■ ابراهيم اصلان : هناك استفسار بسيط ، بغض النظر عن قواعد الصرف والنحو ، فى مفهومك للغة القص ، هل تبحث عما هو فصيح ام عما هو دقيق ؟

●● يحيى حقى : ألجأ إلى العامية أحيانا ، وأنا لست « غاوى » لغة ، ولكننى أبحث عن الفكر الذى وراء اللغة ، فاذا كانت اللغة مائعة ، فان الفكر مائع ، واذا استلزمت أن تكون اللغة دقيقة جدا ، فمعنى ذلك أن فكرك دقيق ..

■ الهلال : فتحى رضوان رحمه الله قال عنك إنك أعظم من يكتب المقال ، القصة ، ويتمثل فى كتاباته دائما تقنية القصة القصيرة .

■ محمد روميش : يحيى حقى يتمثل دائما فى كتاباته تقنية القصة القصيرة ، وهذا طبيعى لأنه يعرف كل اشكال الكتابة الأدبية قديما ، لكن هواه مع القصة القصيـرة ، ومن

● أضع أمامى قواميس اللغة ، فهى معينى للكلمة التى أريدها

● نفدت مجموعات قصصية على مدى ست سنوات بقلم : كاتب مجهول !

الطبيعى أن يتأثر فى كتابته للمقال بتقنية القصة القصيرة .

●● يحيى حقّى : لقد تحدثت عن تجربتى فى « صح النوم » هذا الكتاب له مفتاح ألقيت به فى البحر ، ولغاية الآن يجب أن أضعه فى يد القارىء ، وإلا استعصى عليه الفهم ، لأننى كتبتها بعد الثورة بثلاث سنوات فقط ، وكان غرضى فى هذا الكتاب التحذير من الديكتاتورية ، وبالأخص الديكتاتورية العسكرية ، وقد استدعتنى الرقابة فى ذلك الوقت ، وقلت لهم إننى أتحدث عن الماضى والحاضر ، والجريرة الأولى كما يتبين من الرواية أن الفن ألغى ، والمبدع الذى يبدع أصبح عازفا !

ثانيا : الفرد أصبح ملفا ، والرجل الخبير فى التجارة والحدادة ، نصبوه أمينا لمخزن وهو شاعر ، وحينما أرادوا تعيين أمين مخزن لم يطلبوا مقابلة الأشخاص والتعرف على ملفاتهم ، ففى النظام الشيوعى يحول الانسان ليس من مسمار فى آلة فقط ، بل ملف لاينظر اليه كانسان .

والملاحظة الثالثة : أن أبواب الخير الفردية أغلقت .. أى أن « صح النوم » فيها ملاحظات على تأثير الديكتاتورية على المجتمع ، وهذا هو الكتاب الوحيد الذى طبعته على حسابى فكل كتبى كانت تطبع مسلسلات وتباع على أرصفة ، ولاتجدها فى المكتبات ، وكانت أسعارها تتراوح بين خمسة قروش وعشرة أيضا .

■ الهلال : إذن كانت هناك مشكلة توزيع .. الآن لدينا مشكلة حقيقية فى القراءة ، فالكتاب يصدر ، ولكنه لايوزع ، وبالتالى فإننا نتعرض إلى نوع جديد من المشاكل !

●● يحيى حقى : شرط للقراءة أن يشعر القارىء أنك صادق وأمين ، وضربت مثلا بذلك باللغة الفصحى والعامية وفى يوم من الأيام كنت أسير فى الشارع ، وكان جمال عبد الناصر يلقى إحدى خطبه ، فى موقف كان الجمهور كله حول الراديوهات ومكبرات الصوت ، وكان يخطب بالفصحى ، ورأيت عاملا يستمع باعجاب ، فتدخلت أسأله .. هل هذا الكلام يعجبك ؟

قال : نعم .

قلت : هل تحب أن يقول « مروحش » بدلا من « أن يذهب » .

قال : لا .. أنا فاهم كل شىء ، فقط اتركنى أسمع كل مايقوله عبد الناصر .

ومن هنا وجدت ان اللغة ليست الفاظا ، ولكنها شعور ، فحينما يشعر القارىء أنك جاد معه ، وأنك تحترمه ، وأنك بذلت كل الجهد لاتقان عملك يحترمك فورا ..

أما أن تزيف عليه موضوعا ، ويكون عارفا بأنك « حرامى » وتتحدث عن الأمان وداعية للاسلام ، وأنت لاتصلى ، فمن المؤكد أن الكتاب لايقرأ . أيضا أنا أرى أن الكتاب لايأخذ حقه فى وسائل الاعلام ، ولابد من تخصيص مساحات كافية لعرض الكتب ، ولقد وددت حينما توليت مجلة « المجلة » أن أخصص ثلثها لعرض الكتب .

● فى قضايا النقد ●

■ فؤاد دواره : كل مبدع كبير فى داخله ناقد ، وحينما نتابع انتاجك نجد ان صوت الناقد عندك عال جدا ، بجانب المبدع ، وابتدأ مبكرا جدا ، بحيث يمكن القول بعد ان كاد يكتمل نشر انتاجك الأدبى ، نحس ان جهودك النقدية لاتقل عن جهودك الابداعية هل هذا صحيح ، وكيف تفسره ؟

●● يحيى حقى : من أغرب الأشياء فى حياتنا الأدبية أننى أرسلت لصحيفة يومية ست مقالات نقد لمجموعة « سخرية النأى » ومجموعة لمحمود طاهر لاشين ، فتصور فى هذا الوقت (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) تقبل صحيفة يومية نشر ست مقالات نقد أدبى بامضاء كاتب مجهول ، وهذا يدلك على كيفية وجود ازدهار أدبى غريب فى هذا الوقت .

على كل حال حينما ينغمس الانسان فى مشكلات الكتابة الأدبية ، ويقرأ أى كتاب فسوف يحس تلقائيا بشعور ما ، ويريد أن يصدر عليه حكمه الذاتى الذى نشأ فى نفسه .

بالنسبة لى كانت المسألة فى غاية البساطة ، وهى أن أنقل شعورى بعد قراءة الكتاب الى مقال ، لهذا فقد بدأت مبكرا ، وسوف تجد فى كتابى « خطوات فى النقد » مقالات عن نقد ديوان احمد رامى الأول وعن الشاعر أحمد شوقى .

وبعد ذلك عشت الى وقت انهالت فيه الاتهامات على الأدب الانطباعى والنقد الانطباعى ، وحذفت من قائمة النقاد فى الجامعة . فلايذكرنى أحد ابدا ، وإذا ذكرت يقولون عنى .. هذا ناقد انطباعى ! لكن دعنى أقول بأننى ألاحظ عند د . شكرى عياد ود . محمد عنانى من خلال سماعى لهما فى الراديو ، دفاعا عن ضرورة كسر القيود الاكاديمية او التعبيرات الفنية ، وأيضا أسماء المدارس والمذاهب ، للخروج الى الراحة والحرية اللذين يمثلان فى الأدب الانطباعى المنضبط .. وتسأل : ولماذا نقف عند الانطباعية ؟

أقول : إن مذهبى فى النقد ان الكتاب هو الذى يوحى بالنقد ، فإذا كان الكتاب او كانت القصة التى أقرؤها مثالا بديعا لصنعة القصة تماما مثل الترزى الذى يتقن تفصيل « بدلة » وضبطها ، فالمؤلف الذى عنده هذه البراعة ، والتى يسمونها أحيانا المغاير الموضوعى ، ندرسها من حيث فنية الشكل .

هناك مؤلف ثانٍ متبرع لدراسة الوضع الاجتماعى فى عصره مثل نجيب ، اذن ندرسه من حيث قيمته كشاهد اجتماعى .

كاتب آخر عنده ثراء فى اللغة الفصحى ، وأحيانا ألفاظ كثيرة ... علينا أن ندرسه أيضا من هذا الجانب ، ولابأس أن تجمع المقالة بين كل هذه النواحى المختلفة ، لكن يجب أن نوجه العناية الأولى لميزة هذا الكاتب وشهادته إن كانت شهادة اجتماعية أو لغوية .

... أنا متهم كثيرا مع محمد روميش وفؤاد دواره ، وأحيانا أذكر بعض القصص التى كتبتها بوضوح شديد ، لكننى أعترف لكم بأننى لا أذكر مقالاتى النقدية بهذا الوضوح ، فالإبداع الذاتى يحتاج الى هيجان عاطفى وعقلى ، وفى تجميع أشياء كثيرة من الداخل والخارج ، ويحتاج ذلك الى جهد كبير ليرى النور ، أما بالنسبة لعملية النقد فكأنك تعمل على البارد ، وحينما أردت أن أنقد « مصرع كليوباترا » لأحمد شوقى ابتعدت عن الأبطال ، وركزت نقدى على الشخصيات الثانوية .

■ ابراهيم اصلان : اعتبرك المبدع العربى الوحيد فى أدبنا العربى كله ، والذى له ملاحظات ذكية حول مشكلات الكتابة ، هل ترتب على اهتمامك بهذا الجانب مشاكل فى الابداع ؟

●● يحيى حقى : هذا أساس ابداعى الفنى ، إنك تجد على مكتبى اربعة قواميس على الأقل ، تجد كتاب المذكر والمؤنث ، تجد كتاب الخصائص ، تجد كل ما أستطيع أن أحصل عليه للوصول الى الكلمة التى أريدها .

إننى أقابل مشكلة تحير بعض الكتاب فى كيفية استخدام اللغة ، وأنا أتمنى من كل كاتب يستطيع أن يعثر لنا على لفظ فصيح يؤدى معنى لاتعبر عنه الا بكلام « سطحى » أو باللغة العامية ، أن يدخله فى حركة التداول وليكن هو أول ضحية ، وهناك أمل مع الاستمرار أن يدخل هذا الحرف ، لأن أساس التعبير الفنى هو الثراء اللفظى .

إن اللغة العربية من اغنى لغات العالم ، ففى مسألة الألوان والأطياف تجد عشرين فعلا واسما ، وكل فعل او اسم له معنى خاص .

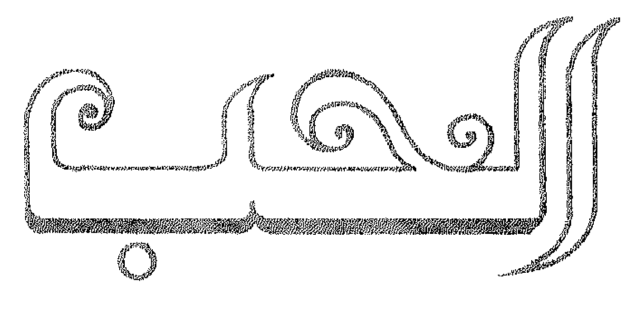
وبهذه المناسبة أقول اننى أرضى أن انسى كل قصصى ، ولا انسى أننى جاهدت جهادا شديدا فى أن تكون البلاغة نابعة من النص ذاته ، بل من داخله ، وأساس هذا الينبوع هو أن تحدد ألفاظك وتضعها فى أماكنها ...

● ● ●

توقف الرجل .. ونظر الينا ، لقد أمضينا قرابة الساعتين ، ولقد أطلت عليكم .. فعذرا ..

ولكن برغم الارهاق الذى أصاب الرجل وهو يتحدث بكل العذوبة بدت السعادة الغامرة تطل من عينين صافيتين .

فقد اضاء لنا بقنديله (اقصد قنديل ام هاشم) الطريق للشباب القصصى الواعد من أجل عطاء فنى وأدبى متجدد .



الحب بين المثالية والواقعية

بقلم : أمين محمود العقاد

الحب هو واحد من المثل العليا والقيم العظمى (كالخير والحق والحرية والعدالة والمساواة وغيرها) تلك المبادىء التى نؤمن بها نحن البشر جميعا ـ مهما اختلفت معتقداتنا ومذاهبنا ـ ونرفعها الى مرتبة القداسة . مما يجعلنا نحترمها ونأتمر بأمرها ، ومما يجعلها تتحكم ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ فى سلوكنا ، وبالتالى فى مصائرنا . وهى جميعا مقولات يحوطها الضباب ويغلفها الغموض .



شارل بودلير

● وفى محاولة لفهم هذه المبادىء انقسم الفلاسفة إلى فريقين كبيرين هما المثاليون والواقعيون . وسوف يتبين لنا أن رأى أحدهما هو النقيض التام لرأى الآخر ..وفى محاولتى لعرض الرأيين سوف أحاول أن أكون محايدا تماما بينهما . واستعنت بأقوال الرواد حينا ، وبالحوار حينا آخر ، كل ذلك حتى لا أفرض رأيا على القارىء فى هذا الصراع الذى يشبه صراع الديناصورات ، وحتى



جورج برناردشو

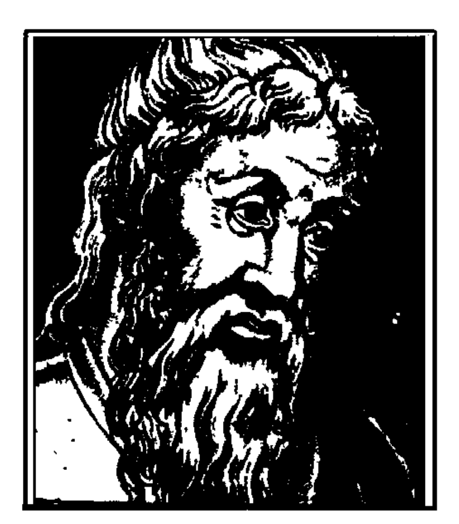
يتوفر للقارىء حرية الاختيار . ولكننى اذكر وأحذر أن الحياد المطلق بينهما ممتنع . فلا حياد بين حق وباطل أو بين خيرٍ وشر أو بين جميل وقبيح . فان حدثَ - فى بعض الأحيان - عن الحياد الواجب فأرجو الصفح والمغفرة .

● المثالية والواقعية

التفرقة الحادة بينهما - فى رأيى - هى



هنريك ابسن



سقراط

أن المثاليين يقولون بأن المبادىء هى قيم مطلقة وثابتة ولاتخضع لظروف الواقع ، بينما الواقعيون يقولون بأنها قيم غير مطلقة وغير ثابتة (أى نسبية ومتغيرة) وتخضع لمقتضيات الواقع . والمثاليون يؤمنون بأن مثلهم الأعلى - سواء كان فى داخل النفس أو خارجها - فان محاولة الوصول اليه والتحقق به هى "رحلة عذاب" محفوفة بالمخاطر وتعترضها العقبات .

وقد اخترت ثلاثة نماذج ادبية تفصح عن ذلك المعنى ، أعرضها فيما يلى :

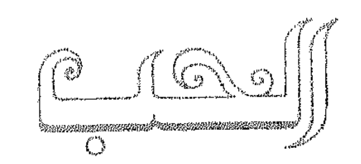
١ - الشاعر الكبير شارل بودلير (١٨٢٩ - ١٨٦٧) يصور أزمته مع المثل العليا قائلا :

سأظل دائما - وربما الى الأبد - كذئب وقع فى كمين : أثب الى قمة المثل العليا .

٢ - الأديب الكبير توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) يرى أن المثل الأعلى فى داخل النفس ، يقول :

الحق انك لن تجد فى مقامات الحياة مقاما الا وله واجبه الاسمي ومثله الاعلى . فهنا ، فى هذه الحالة القائمة والظروف الراهنة - على بؤسها ومهانتها ونكدها وحقارتها - نعم هنا فى هذا الموقف الذى انت فيه ، يوجد المثل الاعلى الذى انت به هائم كلف . فاكدح لتحصيله واعمل لتحقيقه ، وكن حيا مؤمنا وحرا مطلقا . أجل ايها الأحمق ! أن المثل الأعلى هو ذات نفسك ، والعقبة ايضا فى ذات نفسك .

٣ - الاديب الكبير ارسكين كالدويل (١٩٠٣ - ؟) يرى أن المثل الأعلى هو



بين المثالية والواقعية

""الرب الاله"" وانه داخل النفس يقول : لقد خُدعنا خدعة وضيعة فى مكان ما . لقد افزعنا الرب فى أجساد الحيوانات وحاول ان يجعلنا نسلك مسلك الملائكة من هنا كان منشأ البلاء . ان الانسان يولد والرب الاله فى صميم ذاته . فاذا حمل على ان يحيا كما يطلب اليه القسيس ان يحيا ، فعندئذ ينشأ البلاء .

هذا والكثرة الغالبة من الكتاب مثاليون . ولكن ـ مع ذلك ما اكثر الرواد الذين ينحازون الى الواقعية ضد المثالية . واذكر على رأسهم برناردشو وابسن وجيته وفولتير وشوبنهور . واكتفى هنا بنموذج واحد :

الكاتب المسرحى الكبير برناردشو (١٨٥٦ ـ١٩٥٠) يفرق بين الواقعى والمثالى قائلا :

الواقعى هو الشخص الذى لديه الشجاعة الكافية لمواجهة الحقائق التى يرتعد منها المثاليون . ولا عجب إذا كان المثالى والواقعى لا يتفقان . فالمثالى يقول : الواقعية معناها الانانية : والانانية معناها فساد الأخلاق . والواقعى يقول : المثالية ما هى الا حديث اجوف و "وجع دماغ" على لاشىء وهو يعتبر ان هذه المثل والمبادىء ليست سوى ملابس مهلهلة قد بليت من كثرة استعمالها . وهى تعوق تقدم الانسان بدرجة لاتحتمل .

(كتابه : جوهر الابسينية ـ من فصل بعنوان : المثالية والمثاليون)

● حوار بين مثالى وواقعى

ـ عندما حكم الاثينيون على سقراط بالموت ، نصحه الواقعيون من أمثالك بالهرب والنجاة بجلده ، ولكنه رفض . لماذا ؟ لأن المبادىء والمثل العليا هى كل شىء فى الحياة . لقد ضحى بنفسه فى سبيلها فمات شهيدا . أليست هذه هى المثالية فى اروع صورها ؟

ـ سقراط رائد كبير . وكل رائد هو "نسيج وحده" أنه دائما عبد لمبدئه وقدوة لأتباعه . وسقراط رجل كرس حياته كلها لمبدأ الفضيلة . فكيف يرتكب عملا غير فاضل ؟ لقد تصور أن هربه من الموت يهدم تماما ذلك البناء الشامخ الذى أفنى عمره فى اقامته ، كما يجعله قدوة سيئة لاتباعه . ان تضحيته فى سبيل مبدئه هى استغناء عن الهام فى سبيل الأهم . هى اذن تضحية لا تخلو من انانية . ولكن دعنا من الرواد . لنفرض ان رجلا مثلى ومثلك ، حكم عليه بما حكم على سقراط ، بم تنصحه ؟ بالموت ام بالنجاة ؟

ـ بالموت طبعا . مثلما فعل سقراط .

ـ أليس هذا قرارا غير انسانى ؟

ـ بل هو قمة فى الانسانية . هل هناك ما هو اسمى من التضحية بالنفس فى سبيل المبدأ ؟

أليست الانسانية هى نصرة المبادىء ؟

ـ عجبا ! نصرتها ضد الإنسان ؟!

لا . لا . هذه ليست انسانية . فالانسانية هى من مسماها : نصرة الانسان لا المبادىء .

ـ عجبا ! نصرة الانسان حتى ضد المبادىء ؟

– ضد اى شيء يعوق تقدمه ، حتى لو كانت المبادىء . المبادىء التى تضحى بالانسان تكون حتما غير انسانية ، وينبغى عندئذ تغييرها ليحل محلها مبادىء انسانية حقيقية تعلى من شأن الانسان لا ان تزفه الى الموت .

– انت انسان لا يحترم المبادىء .

– بل انت انسان لا يحترم الانسان .

– انا لا احترم الانسان الذى لا يحترم المبادىء .

– وانا لا احترم الانسان الذى لا يحترم الانسان .

– عجبا ! كيف امكنك ان تقول انك لا تحترم المبادىء .

– عجبا ! انا قلت هذا ؟! انا لا احترم شيئا قدر احترامى للمبادىء . بل ان احترامى لها اكبر واعمق من احترامك لها ، لانه ينبع من فهم اشمل واستخدام افضل لها .

– من يحترم المبادىء لا يعلى شيئا عليها .

– الانسان هو الحقيقة العظمى فى هذا الكون . ان وصفك له بأنه ليس سوى "شىء" هو احتقار للانسان . انك تحتقر نفسك باحتقارك للانسان . هل خلق الانسان من اجل المبادىء أم المبادىء من اجل الانسان ؟

– الانسان كائن فان اما المبادىء فخالدة . الانسان هو الوسيلة والمبادىء هى الهدف .

– بل المبادىء هى الوسيلة ، والإنسان هو الهدف .

وهكذا يستمر الحوار بينهما دونما اى امل فى اللقاء . بل انه لواستمر اكثر من ذلك لتحول الى مهاترات والى تبادل للشتائم والاتهامات . وعموما فكل رأى منهما يلقى الأضواء على الرأى الآخر .

والرأى المثالى هو الذى يطغى على تفكيرنا بينما الرأى الواقعى هو الذى يطغى – رضينا ام ابينا – على سلوكنا .

هناك رأى يقول : إننا جميعا نكون فى شبابنا مثاليين ثم نتحول تدريجيا – بتقدم العمر – الى واقعيين . كما أن هناك رأيا شائعا يقول : إن الانسان لايملك الا ان يكون أحد اثنين : اما ان يكون افلاطونيا او ارسطيا .

يقول الشاعر الكبير عمر ابو ريشه (١٩١٠ – ؟) :

لست تستطيع أن تكون ملاكا
فان اسطعت فلتكن انسانا .

● الحب والحياة

أن فهمنا للحب له تأثير كبير على سلوكنا في الحياة ، وبالتالى على مقدراتنا ومصائرنا . ولبيان هذا التأثير أعرض هذه النماذج الثلاثة :

١ – الملك ادوارد الثامن تنازل عن عرش بريطانيا بسبب حبه لامرأة . المثاليون يقولون هذا اكبر دليل على روعة الحب وقدراته الخارقة . اما الواقعيون فيقولون : إن هذا الحب لا يستحق ان يدفع فيه هذا الثمن الكبير . والغريب فى الأمر ان السيدة التى قرر الملك ترك المُلك من اجلها قد ضمت صوتها الى صوت المستر بلدوين رئيس الوزراء ، فى مطالبته له بالبقاء مع عدم الزواج . ولكنه صمم على الزواج لمجرد انه وعدها بذلك . كان عليها ان تتخذ منه موقفا اشد بان تهدده برفضها للزواج اذا هجر العرش . الملك لم يكن يدرك آنئذ ان محبوبته تفضل ان تظل صديقةللملك على ان تكون زوجة لملك مخلوع . ومما لاشك فيه ان الرجل لابد قد



بين المثالية والواقعية

ادرك - بمرور السنين - ليس فقط ان تنازله عن العرش كان خطأ ، وانما ايضا ان حبه ذاته كان خطأ .

٢ - الأديب الروسى الكبير ليو تولستوى وزع ثروته على الفلاحين بسبب حبه المفرط للفقراء . الواقعيون يقولون : ليس لهذا السبب وحده ، وانما ايضا لكراهيته لورثته ، فالرجل كان يكرر دائما فى سنواته الأخيرة : اللهم قدرنى على محبة ذوى قرباى . ولما طلب من برناردشو ان يفعل نفس الفعل قال : انا لست اقل من تولستوى حبا للفقراء ، ولكننى لو وزعت ثروتى على كل فقراء بريطانيا لما استفادوا شيئا . كل ماسوف يحدث هو ان الفقراء سوف يزدادون رجلا والأغنياء سوف ينقصون نفس الرجل .

٣ - المهاتما غاندى آمن بالحب المطلق الشامل لكل الموجودات ، فتطرف فى محبة الحيوانات واستنكر "عدوان" البشر مما جعله يحرم على نفسه وعلى اتباعه قتل الحيوانات واكل اللحوم .

وعندما سئل : الا تفتك بكوبرا انقاذا لحياة طفل او دفاعا عن النفس ؟

قال : اننى لا استطيع القضاء على الكوبرا دون انتهاك مبدأين من مبادئى هما : عدم الخوف وعدم القتل . الافضل ان اعمل على تهدئة روع الافعى بموجات من الحب . فانا لا اعدل مبادئى لكى تتلاءم مع الظروف . ثم اضاف بصراحته المأثورة :



شوبنهاور

اعترف لك باننى لا اقوى على فعل ذلك لو واجهتنى كوبرا .

(كتاب : فلسفة الهند فى سيرة يوجى - ترجمة زكى عوض - من فصل بعنوان : مع غاندى فى "وردها")

اكتفى بهذا عن اثر التصور المثالى للحب على السلوك . ولم يتبقَّ سوى اثر التصور الواقعى للحب على السلوك وسوف احاول عرضه فى السطور الاتية :

اولا - ابدأ بان احدد ان الحب الذى ينبغى علىّ ان ارصده هنا هو :

حب الانسان للانسان ، لا اكثر ولا اقل . "لا اكثر" . اى دون شموله لكل الموجودات الاخرى . وينبغى التنويه هنا بان حب الانسان لشىء بعينه ، كحبه لعمله او لقطته لا يدخل اطلاقا فى نطاق ذلك الحب الشامل . و"لا اقل" اى دون شموله لكل الموجودات الاخرى . وينبغى التنويه هنا بان حب الانسان لشىء بعينه كحبه لعمله او لقطته لا يدخل اطلاقا فى نطاق ذلك الحب الشامل . و"لا اقل" اى دون قصره على فريق من البشر دون فريق ، كمحبة الفقراء وكراهية الاغنياء او



ليو تولستوى

العكس . اعنى ان الانسان الذى يحقق مصلحة من الصراع بين النقيضين يحق له القصر ، ولكن الإنسان الذى لا مصلحة له فيه (كالمشرع والقاضى والباحث) لماذا القصر ؟ الواقعيون يقولون ان الحب الشامل والحب المقصور هما تطرفان احدهما افراط والآخر تفريط . وهما كلاهما من اكثر الامراض فتكا بالبشر . اما حب الإنسان للانسان – دون شمول او قصر – فمطلوب دائما وواجب علينا جميعا . اما الكراهية فهى بعامة مكروهة ومرفوضة لان ضررها علينا اكثر من ضررها على الاخرين .

ثانيا – المقولة المأثورة للسيد المسيح بأن نحب أعداءنا وأن نبارك لاعنينا ، الواقعيون يقولون : إننا لا يمكننا ان نحب من تكره لاستحالة الجمع بين النقيضين فى شخص واحد . ان الفهم الوحيد الممكن لهذه المقولة هو أنها دعوة إلى التظاهر بالحب لا الى الحب الخالص . ان هذا يعنى اننا اذا امتنعت علينا محبة الناس – لسبب ما – فلا اقل من ان نتظاهر بمحبتهم . فالتظاهر بالحب يحقق لنا نفس الهدف الذى يحققه الحب الخالص الا وهو رضاء الناس .

– ثالثا – الرواد المثاليون كثيرا ما يقولون : الحب هو هدف اعظم لنا جميعا ، ومأمل منشود ، ومحطة وصول يشتهيها ويعمل لها كل انسان ، ولايصل اليها المرء الا بعد طول عناء ورحلة عذاب . وعندما نصل اليها تشرق الدنيا فى وجوهنا بعد إظلام ونرى الكون جميلا بعد قبح ونبدأ نتذوق طعم السعادة ونتعرف الى حقيقة الوجود وندرك كنه الاشياء . ان الحب – باختصار – هو الحل لازمة الإنسان .

الواقعيون يرفضون هذا المنطق جملة وتفصيلا قائلين : ان الحب لا يمكن أن يكون هدفا بذاته وانما هو وسيلة لهدف . اننا لا نحب لمجرد الحب وإنما لتحقيق امر نرغب فى تحقيقه . اننا نحب المرأة لكى نكون اسرة ، ونحب جارنا حتى يبادلنا نفس الشعور . الحب اذن ينبغى ان يكون اداة فى خدمة الانسان . اما الزعم بأن الحب هو الحل وان "الاستغراق" فى الحب لايوصلنا الى مشاهدة الحقيقة فزعم لايقوم على دليل فالمشاهد ان الاستغراق فى الحب لا يوصلنا الى مشاهدة الحقيقة وانما الى العماء عن مشاهدتها . ومما يدعم هذا الرأى :

١ – ان الاستغراق فى الحب هو تطرف ضار بالانسان كضرر التطرف بعامة .

٢ – ان تلك الحقيقة لم تغب عن عيون البشر منذ القدم ، فقد توارثنا مأثورة تقول : عين المحب عمياء .

واختم بهذا المثل الشعبى المشهور :
احبب صديقك هونا ما عسى ان يكون عدوك يوما ما .
واحبب عدوك هونا ما عسى ان يكون صديقك يوما ما .

صلاح ابو سيف

صعود الى الواقعية

بقلم : مصطفى درويش

الفتوة .. ثمرة تعاون بين محفوظ وصلاح ابوسيف



ولد قبل خمسة وسبعين عاما إلا قليلا . وبالتحديد فى العاشر من مارس لعام ١٩١٥ .

والعجيب أن مولده لم يكن فى بيت أبيه عمدة قرية "الحومة" من اعمال مركز الواسطى ، ذلك العمدة الثرى المتعدد الزوجات .

وانما فى بيت أمه "البندرية" التى كانت قد غادرت ريف الصعيد ثائرة على حياة حريم قوامها الاستسلام للذل والهوان مؤثرة العودة الى حارة "قساوات" ببولاق ذلك الحى الشعبى الذى لايفصله عن الزمالك حى أبناء الذوات سوى شريط ضيق من ماء .



● واعجب العجب أن أمه هى التى اسمته "صلاح الدين" وبهذه البشرى أرسلت برقية الى زوجها العمدة الذى لم يبادر بشد الرحال الى القاهرة مفضلا الا يرى كتلة اللحم والدم التى تدعى ابنه حتى اليوم السابع .

مؤجلا الاستمتاع بسماع وعوعة ابن البندرية وصياحه ، تلقفه بين ذراعيه وتقبيل وجنتيه الى ذلك اليوم يوم "سبوع" الصغير .

وليس من شك انه ما كان له ان يبصر يومئذ الصلة التى بين هذا المولود الجديد ، الذى لايعرف من اسراره سوى انه صبى ، وبين عالم الأطياف .

ففى ذلك الزمن الموغل فى القدم لم يكن للسينما من العمر سوى عشرين عاما .

ولم يكن فى مصر صناعة تنتج افلاما .

وعلى حد فلو كان لعمدة "الحومة" ان يرى تلك الكتلة الصغيرة التى تقطر حياة بعد خمسة وسبعين عاما تفوز بجائزة الدولة التقديرية للدور الذى لعبته فى النهوض بالسينما المصرية ، لظن ان ما يمر أمام عينيه ان هو الا أضغاث احلام .

ولو كان له ـ وهو فى غمرة السعادة بذلك التكريم ان يشاهد أحد الأفلام التى من أجلها منح وليده تلك الجائزة المشتهاة ، وليكن "الزوجة الثانية" لهاله سخرية الفيلم اللاذعة بالعمد ونظام تعدد الزوجات ولانقلب فرحه الى غم وتحولت بهجته الى رعشة وآلام .

وبعد ذلك بعشرة اعوام . أثناء تسكع الصبى "صلاح" فى شوارع القاهرة القريبة من حيه بولاق هربا من دراسة إضافية اجبر عليها فى المساء استرعت

انتباهه صور معلقة على واجهة مبنى بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية الان)

وكان ان سمع صوتا يغريه بالدخول فى تجربة يدفع به الى المجهول .

وهاهو ذا يشترى تذكرة بقرش صاغ من حر مصروف يده الذى لم يكن يتجاوز خمسة مليمات فى اليوم الواحد .

وهاهو ذا جالس فى الصف الاول من قاعة سينما ايديال ، وعلى شاشة بيضاء امامه يتحرك رجل صغير مرتديا قبعة طاسة وحذاء كبيرا مرتخيا وسروالا منفوخا باليا محاكيا فى سيره مشية البطة .

هكذا التقى "صلاح" لأول مرة بالسينما فى شخص "شارلى شابلن" المتشرد الخالد .

وبفضل هذا اللقاء السعيد بدأ مشوار "صلاح ابوسيف" مع الفن السابع ، ذلك المشوار الذى كتب له ان يستمر قرابة اربعة وستين عاما من عمر الزمان

● واقعية متميزة

وفى الحق فان طريقه الى الاحتراف السينمائى صعودا الى الاخراج والتميز فيه بالواقعية لم يكن من تلك الطرق الملكية المفروشة بالزهور والرياحين .

كان على "صلاح" ان يخوض معارك كثيرة قبل ان ينجح فى الانفراد باخراج اول فيلم روائى طويل "دائما فى قلبى" (١٩٤٦)

وكان عليه ان يصبر ويثابر قرابة خمسة اعوام بعد التاريخ الاخير حتى يستطيع ان ينطلق بابداعه من كهوف السينما التقليدية المظلمة الى رحاب الواقعية بفيلم لك يوم ياظالم (١٩٥١)

مرة اخرى لن تكون المرة الاخيرة يذهب به قدره الى لقاء آخر سعيد .... واين ؟

فى المحلة الكبرى بعيدا عن القاهرة التى كانت تتخلق عاصمة للسينما العربية وذلك بدءا من منتصف العشرينات .

وهو فى هذه المرة لايلتقى بطيف من نور داخل قاعة مغلقة بالظلام وانما يلتقى بشخص المخرج "نيازى مصطفى" الذى كان قد جاء الى قلعة الصناعة المصرية فى المحلة ابتغاء تصوير فيلم يسجل امجاد شركات بنك مصر .

ومهما يكن من أمر فما أن التقيا هو و "نيازى" وتبادلا اطراف الحديث ، حتى اكتشف الاخير انه انما يواجه شابا مولعا بالسينما وقارئا ممتازا لكل ما كتب عنها فى لغة الضاد .

● نهاية مرحلة الهواية

وما ان عاد نيازى ـ ذلك المخرج الذى رحل عن دنيانا مقتولا قبل ثلاثة أعوام ـ الى القاهرة حتى اطلق فى ردهات شركة مصر للتمثيل والسينما نبأ وجود شاب يعمل فى شركة الغزل بالمحلة وله بالسينما شغف شديد ورغبة فى ان يبدأ حياته من جديد صانعا للأفلام وكما فى الاساطير والاحلام نجح "نيازى" فى اقناع المسئولين بتلك الشركة بنقل الشاب المحلاوى المولع بالسينما الى



المخرج الكبير مع شكرى سرحان فى « الزوجة الثانية »

الاستديو بالقاهرة حيث استهل حياته السينمائية بالعمل مساعدا بقسم التوليف "المونتاج" (١٩٣٦)

وتعتبر هذه البداية نهاية مرحلة الهواية فى حياة "صلاح" .

فبدءا من ذلك التاريخ اى منذ خمسين عاما او يزيد و "صلاح" يحترف السينما لا يعيش الا بها ولها حتى يومنا هذا .

والان الى لقائه السعيد الثالث. على عكس لقاءيه مع "شابلن" و"نيازى" كان لقاؤه مع "كمال سليم" وليد تفكير وتدبير ... كيف ؟

لأمر فى نفس الاقدار سمع "صلاح" اسم "كمال" يتردد كثيرا فى اروقة استديو مصر بوصفه شخصا عنيدا ينشد الكمال فى كل شىء لايرتضى به بديلا .

واذا به يجد نفسه مشوقا اشد الشوق الى الالتقاء به ولا يستطيع على ذلك صبرا

ولما "كان كمال" قد ترك الاستديو فى لحظة غضب مستقيلا . وكان معروفا عنه انه يسهر فى مقهى رجينا بشارع عماد الدين (محمد فريد الان) ملتقى الفنانين الشبان فقد توجه صلاح الى ذلك المقهى فى احدى الامسيات مبيتا النية على التعرف بكمال وما ان التقى الاثنان حتى نشأت بينهما صداقة زادت قوة وتوثقا على مر الايام

وكان من بين ثمارها ان اتصلت الاسباب الوثيقة بين "صلاح" وبين جماعة من المثقفين شغفت بالادب والفن واتخذت من الماركسية هاديا ومرشدا .

كان من بين نجوم تلك الجماعة الفريدة

الرسام "رمسيس يونان" والاديب "البير قوصيرى" والسينمائى "كمال سليم" بطبيعة الحال .

ولم يقف الأمر بين الرجلين كمال وصلاح عند هذه الصداقة وهذا الانتماء وانما نشأت بينهما صلات عمل فى مجال السينما ذلك المجال المحبب لقلب صلاح والذى هو عنده غاية الغايات

وغنى عن البيان أن خير ما أثمرته هذه الصلات هو فيلم العزيمة الذى اخرجه كمال وشارك صلاح فيه بالتوليف

واخص ما يمتاز به العزيمة هو جنوحه الى الواقعية .

● خطوة فى طريق الواقعية

فلأول مرة تذهب الكاميرا الى حارة ولأول مرة تلعب الحارة دورا هاما ذا دلالة فى رسم شخصيات الفيلم وفهمها .

وهذا الانتقال من جانب صانعى العزيمة الى الحارة على وجه يخدم المعالجة السينمائية لم يكن بالامر السهل اليسير .

فالرقابة بشقيها الرسمى وغير الرسمى كانت تحمل العداء الشديد لاية انطلاقة من الصالونات والبارات والكاباريهات وما الى ذلك من اماكن الحياة اللذيذة الى ازقة وحوارى الاحياء الشعبية حيث تقيم الغالبية الغالبة المعذبة بالفقر والشقاء

ومع ذلك فالعزيمة لايعدو ان يكون خطوة متواضعة الى امام فى طريق الواقعية .. لماذا ؟

لان مبدعيه لم يذهبوا الى الحياة المصرية ليعرضوها كما هى دون تزويق وتجميل .

وانما اكتفوا بحارة مشيدة داخل استديو حسب تصور كمال سليم لها وهو تصور منبت الصلة بالواقع وآية ذلك انه لم يجد حلا لمشكلة البطل المتبطل فى الفيلم حسين صدقى الا فى تبني احد الباشاوات اولاد الاكابر لقضيته . وانتهاء ذلك التبنى الزائف الى تسكين البطل فى وظيفة محترمة اعادت اليه الثقة والاعتبار .

ومهما يكن من شيء فلقد استفاد صلاح من تلك الخطوة التى بفضلها انكشف له من اسرار الفن السابع الكثير .

غير انه كان لابد له من نوافذ اخرى يطل منها على هذا الفن الوليد الشديد التعقيد .

وها هو ذا فى مدينة النور لأول مرة قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل .

انه بين مصدق ومكذب . هل هو فى حلم ام هو فى علم ؟

وما ان يفيق من هول الصدمة الثقافية حتى يقبل بقلب مفتوح على الدراسة وعلى مشاهدة الافلام

ويتأثر كثيرا بتيار الواقعية الناقدة الذى كان متسيدا السينما الفرنسية فى تلك الايام الكئيبة العصيبة وهو تيار يغلب عليه اليأس اليائس .

وبالنظر الى اندلاع نيران الحرب فقد اسرع "صلاح" بمغادرة باريس عائدا الى استديو مصر حيث لم تتح له فرصة العمل كمخرج الا بعد ستة اعوام .

ومن عبث الاقدار ان يكون اول فيلم يخرجه صلاح وهو "دايما فى قلبى"



انور وجدى
(ريا وسكينة)

فريد شوقى
(الفتوة)



صلاح ابوسيف وتحية كاريوكا ورمسيس نجيب فى كان مع « شباب امراة »

مقتبسا من قصة فيلم هوليودى "جسر ووترلو" بطولة ڤڤيان لى نجمة "ذهب مع الريح"

ولو استمر صلاح فى طريق صنع افلام مقتبسة على هذا الوجه القبيح لما بقى فى ذاكرتنا حيا ولكان الآن نسيا منسيا **وهنا ولأمر ما فى علم الغيب التقى صلاح بنجيب محفوظ فى منتصف الاربعينات واذا به يشجع اديبنا على العمل معه فى السينما يوهمه بان كتابة السيناريو لاتختلف عن كتابة القصة فى كثير او قليل .**

وتبدأ بينهما علاقة عمل سينمائية تستمر خمسة عشر عاما تثمر افلاما متصلة بعصرها مثل "ريا وسكينة" ، "الوحش" و "الفتوة" افلاما اكثر وعيا ونضجا من العزيمة ، وما انتج بعده من اعمال سينمائية معظمها خليق الا يحفل به ولا يلتفت اليه وهكذا ، وبفضل لقاء آخر سعيد ربح الفن السابع موهبتين .

نجيب محفوظ كاتبا للسيناريو وللقصة السينمائية وصلاح ابو سيف مخرجا رائدا ثابت الاقدام .



رأى فى الثقافة

هذا النقد الانطباعى السخيف

ربما فى الأربعينيات والخمسينيات حيث كانت القصة العربية فنا مستحدثا لم ترسخ اقدامه بعد فى المجتمع ، كان تلخيص القصة وتسجيل الانطباع الذهنى العابر عنها على الورق امرا مستحبا ، وان كان هذا التلخيص الانطباعى ، اصبح الان فى مهب الريح ، لم يبق منه شىء سوى النوايا الحسنة لاصحابه ، فاجيال النقاد الجدد من العارفين حقا ، العالمين حقا ، جاءت لتحيله الى مجرد ذكرى عابرة ، واصبح مثار تندر ودعاواه على الأقل لانه انصب على تلك « الابداعات » القابلة ، هى نفسها للتلخيص فى بضع كلمات ، فلم يبق منه ، او منها شىء يذكر .

كان هذا فى الماضى ، لكن البعض يصر هذه الايام ليعيد لنا هذه الذكرى ليكتب لنا انطباعاته عن اعمال ادبية ، فيسىء لها ، وللنقد ، ولفن القصة الذى لو تعلمون قد حقق انجازات تستحق ، على الأقل ، ان نقف امامه بجهد يخرج بنا من هذه المرحلة الانطباعية الى مرحلة يستحقها بما هو عليه من جهد .

لكن هل هنك من يهتم الان بمثل هذه الكتابات الانطباعية ؟ وهل هى مفيدة لاحد ، للكاتب ، او قارئه ، او حتى للمنبر الذى يكتب فيه ؟

لانعتقد ، وستكون نتيجتها كما كانت فى السابق ، مجرد ذكرى تمر ، ولامن سمع ولامن رأى .

كل الذى نود ان نقوله باندهاش :

ألا يحس هؤلاء الانطباعيون ان الزمن قد فاتهم ، واننا فى عصر العلم الذى لايلقى اساءة اكثر من اساءة سبغ الروح العلمية على جسده الهزيل ؟

مجرد سؤال ؟

● عبده جبير ●

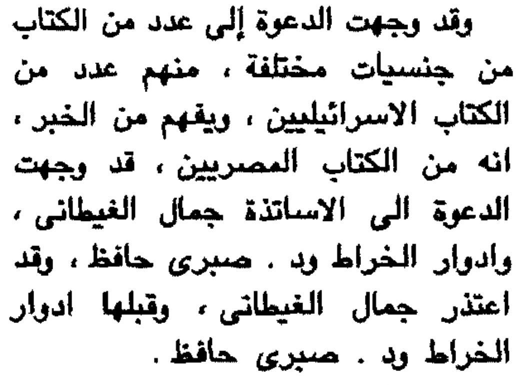


اشارات ثقافية

الأدباء العرب واسرائيل !

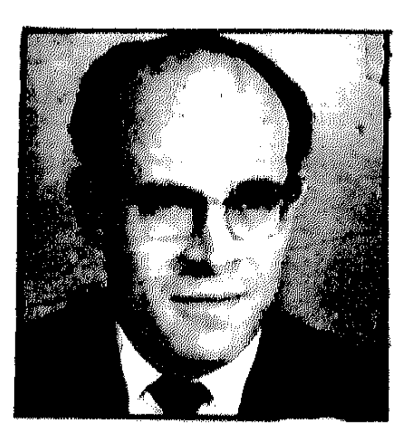
نشرت الصحف بتاريخ ١٤ يونيو ٨٩ ، خبرا عن مؤتمر يقام فى مدينة « بودابست » بالمجر لدراسة ادب الشرق الاوسط والأقصى والأدب المجرى ، تنظمه مؤسسة « ويدلاند » الامريكية .


د . صبرى حافظ


وقد وجهت الدعوة إلى عدد من الكتاب من جنسيات مختلفة ، منهم عدد من الكتاب الاسرائيليين ، ويفهم من الخبر ، انه من الكتاب المصريين ، قد وجهت الدعوة الى الاساتذة جمال الغيطانى ، وادوار الخراط ود . صبرى حافظ ، وقد اعتذر جمال الغيطانى ، وقبلها ادوار الخراط ود . صبرى حافظ .

ويثير لقاء كتاب مصريين عرب مع كتاب اسرائيليين فى ندوة او مؤتمر يحمل صفة العالمية ، قضية العلاقة مع الكيان الصهيونى ، الذى زرع زراعة قسرية فى الوطن الفلسطينى .

فمن المعروف إن الحكومات العربية ، انتهى بها الامر ، كل فى حدود امكانياتها وقدراتها ، وعلاقاتها بالاستجابة او الرفض او الملاينة ، بالسياسات


ادوار الخراط



اشارات ثقافية

الامبريالية ، قاومت عسكريا ودبلوماسيا اقتلاع الشعب العربى الفلسطينى من وطنه فلسطين ، وقاومت زرع جسم غريب ، لاينمو الا فى حدود مايباد من الجسم الفلسطينى ، والمعادلة مستمرة منذ ماقبل ١٩٤٨ حتى الآن . إبادة مستمرة من جهة ، وترسيخ للوجود الصهيونى من جهة اخرى . هل لو قلنا ان المشروع الصهيونى يتجاوز الوطن الفلسطينى ، نأتى بجديد ، او نعدو الحقيقة .

على مستوى علاقة الكيان الصهيونى مع الحكومات العربية ، فالتزحزح عن المواقف مستمر ، من اسرائيل المزعومة ، الى ازالة اثار العدوان الى الارض مقابل السلام ، وعلى افتراض الحد الاقصى من حسن النية بالنسبة الى الحكومات العربية ، فالحقيقة التى تفرض نفسها ، ان اختلال ميزان التوازن العسكرى لصالح الكيان الصهيونى ، يقف وراء التحـات فى مـوقف رفض الكيـان الصهيونى ، الى مقولة الارض مقابل السلام يساند اختلال ميزان التوازن العسكرى ، وكعنصر هـام فى هذا الاختلال الاستراتيجية الامبريالية ، سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، او اوربا الغربية أو مبدأ القبول السوفييتى بوجود دولة اسرائيل ، أى ان الحكومات العربية تنثنى امام واقع عسكرى من جهة واستراتيجية عالمية من جهة اخرى .

على أن المعادلة ، فى هذه المنطقة من العالم ليست قائمة بين الحكومات العربية ، من جهة ، والكيان الصهيونى من جهة اخرى . يوجد عنصر هام وفعال ، أنه شعوب هذه المنطقة ، الشعوب العربية ، اذا كانت الحكومات العربية لتنثنى أمام واقع اليم تكرهه ، فإن هذا الواقع الأليم لا ينسحب على الشعوب العربية ، ومن حق هذه الشعوب أن تتخذ وأن تتمسك بالموقف المبدئى ، دفاعا عن أوطانها وعن رخائها ، وعن لقمة الخبز من حق هذه الشعوب أن تتخذ الموقف الصحيح ، وهو رفض الكيان الصهيونى ، أن شعوب هذه المنطقة ، قبلت اليهود كيهود افراد ، أكثر من الفى سنة .

أما أن يتحول اليهود ، الى كيان سيـاسى ، امبـريـالى ، استيطـانى ، ويشكلوا خنجرا فى قلب الشعـوب العربية ، يحول دون وحدتها التى هى سبيل رخائها ، فهذا موقف آخر ، ومن حق الشعوب العربية أن ترفضه ، وهذا الموقف هو ما اصطلح على تسميته ، "رفض التطبيع مع الكيان الصهيونى" وليكن الرفض شاملا ، على مستوى الأفراد كتابا ، ومفكرين ، وفنـانين ، وصحفيين ، وأطباء ، ومهندسين ، وليكن على مستـوى الجماعـات ، نقـابـات واتحادات ، ولتكن المقولة كما يلى : الحكومات انثنت أمام الواقع الكريه ، ولكن الشعوب تقاوم ، فهى تدافع عن وجودها ، وعن مصالحها ، وليكن هذا الموقف ثابتا ، نغذيه دائما باليقظة ،

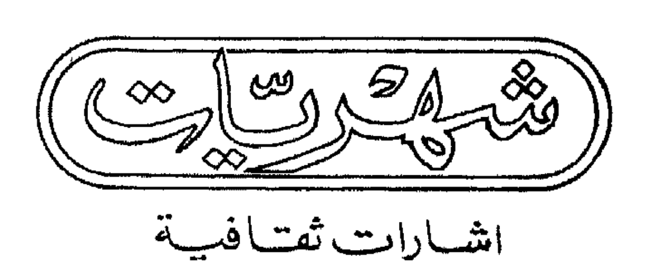


اشارات ثقافية

وبالتذكير ، وبعدم التهاون ، ولنحفظ لهذا الموقف حدته ولنحفظ له جدته ، أن التاريخ لايعرف الثبات ، وحقائقه متغيرة ، وماهو مستحيل أو صعب اليوم ، قد يكون غدا فى متناول اليد ، ولنع أن اسرائيل لم ترض أن تترك للتاريخ أن يقول كلمته ، وأن يفصل بينها وبين العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، فحرصت فى ممارساتها اليومية والاستراتيجية على أن يدفع الفلسطينيون ثمن ترقب تغيير الموازين العسكرية ، والاستراتيجيات الدولية ، فكانت عمليات الطرد الجماعى ، واخلاء القرى الفلسطينية بأكملها ، ومحوها وليقرأ من يريد رواية « خربة خزعة » للكاتب الصهيونى يزهار سيملانسكى ، ليعرف كيف تخلى القرى العربية فى فلسطين من أهلها وكيف تعاد هذه القرى ، ليقام مكانها مستوطنات لليهود القادمين من أحراش العالم ، وليقرأ من يريد "عربى فى اسرائيل" لفوزى الاسمر ، ليقف على كيف يتم الاعتقال الجماعى والطرد الجماعى ، وكيف يعامل المستوطنون الصهاينة ، أحد علمائهم ، لأنه وقع على بيان يستنكر الفعل الجماعى بعد هزيمة ١٩٦٧ داخل اسرائيل .. طرد جماعى .. .. قتل جماعى .. هدم قرى بأكملها .. زرع مستوطنات فى كل انحاء فلسطين ، وما يطولونه من الوطن العربى .

لامنجاة - اذن - من المشروع الصهيونى سوى الموقف الشعبى ، موقف الشعوب العربية ، موقف المقاطعة الشامل ، الصارم ، البات ، ولتستمر المقاطعة خمسين سنة ولتستمر مائة سنة ، أو فلتكن حرب الألف عام ، كما كتب ذات مرة ، استاذنا احمد بهاء الدين فى واحد من يومياته ، لتكن مقاطعة الشعوب العربية قائمة ، حتى تتغير حقائق الواقع الراهن الكريه ، وحتى تأتى اللحظة التاريخية التى يذوب فيها اليهود داخل الجسم العربى ، ويذوب اليهود كأفراد ، كما كانوا فى هذه المنطقة من العالم طوال الفى سنة ، سابقة ولن تضار الشعوب العربية أن تقاطع الكيان الصهيونى ، مقاطعة شاملة كاملة ، الف سنة لاحقة ، لن يضيرنا أن نقاطع عددا من الروايات الدعائية الكاذبة بالضرورة ، فإن الوضع فى دولة اسرائيل لايسمح بانشاء فن صادق ، ولن يوجد الكاتب الاسرائيلى الذى يملك القدرة أو التضحية بحياته ويواجه الوحوش ، اى المستوطنين ، إن العالم الاسرائيلى ، الذى أشيع أنه موقع على بيان يستنكر القتل الجماعى ، بعد حرب ٦٧ ، قوطع فى المستوطنة التى كان يقيم بها ، لا أكل معه ، لاحديث ، معه أو زوجته ، ثم آخر الأمر ، القوا به من النافذة ، يراجع كتاب الكاتب فوزى الأسمر المشار اليه ايها الناس : لتتثنى الحكومات ، ولنقل مؤقتا ، لكن واجب الشعوب أن ترفض .

● محمد روميش



اشارات ثقافية

حفاظا على التراث

قرار حكيم وعاقل وشجاع الذى اتخذه الدكتور احمد نوار رئيس المركز القومي للفنون التشكيلية بعدم إعارة اى عمل من اللوحات العالمية من متاحفنا الى الخارج ، وحتى المتاحف العالمية التي تقيم معارض خاصة لكبار الفنانين ، حتى تتم عملية توثيق اعمال متاحفنا وتوصيفها فنيا، ووضع اللوائح المنظمة لإعارة اللوحات للخارج .

واننا ان كنا نرى ضرورة ان يكون هذا القرار الذى وصف بانه مؤقت ، قرارا دائما ، حفاظا على هذا التراث الفنى الكبير الذى تحتويه متاحفنا ، من جهة ، ولدفع من يريد ان يراه ان ياتى الى هنا ليعرف اننا لسنا مجرد اناس يركبون الجمال (كما هى الصورة فى الغرب عنا) ، واننا قادرون على الحفاظ على هذا التراث(؟!) ، من جهة ثانية نقول كنا نود ايضا ، علاوة على رغبتنا فى دوامه ان يشمل اعمال فنانينا الكبار التى لاتعار فقط ، ولكن تباع لكل من يدفع الثمن ، ويخرج علنا وفى وضح النهار ، وليس اخر هذه الكوارث ماحدث مع اعمال الفنانين العظام ، عبد الهادى الجزار وكمال خليفة ، وسيف وانلى ، وغيرهم .

ولم يتألم المرء كما يتألم يوم يرى احد الاجانب يبتاع اهم لوحات الجزار ، ويحملها ويرحل دون حس او خبر ماذا نقول ؟

هل يتحقق املنا ؟

● مهرجان الرباط الدولى

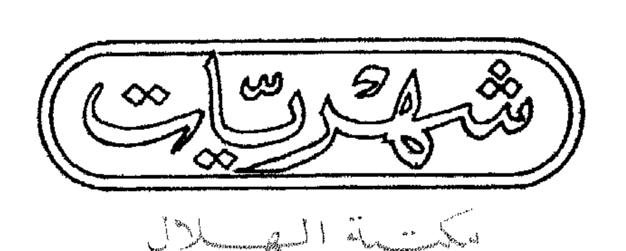
منذ اقيم مهرجان الرباط السينمائى الدولي لأول مرة عام ١٩٨٢ كان مهرجانا دوليا ، وان كان يدعو ضيوفه من الاقطار العربية والاجنبية ، لكن الصفة الدولية التى تقتضى الاعتراف به من هيئة المهرجانات السينمائية الدولية لم يكن قد حصل عليها بعد .

هذا العام ولأول مرة ، يحصل المهرجان على العضوية الدولية ، الأمر الذى يعنى ان جوائزه ستكون محل تقدير دولى ، وهى بالتالي ، ستوزع على : افضل مخرج ، افضل ممثل اول ، افضل ممثلة اولى ، بالاضافة الى عدة جوائز اخرى لتكريم السينمائيين العرب محل التقدير .

الممثلة القديرة فاتن حمامة هى ضيفة شرف مهرجان هذا العام ، وسيعرض فيلمها الاخير « يوم مر ويوم حلو » بحضور مخرج الفيلم خيرى بشارة .

مخرجنا الكبير صلاح ابو سيف سيشارك ايضا فى عضوية لجنة التحكيم التى سيرأسها الروائى المغربى الطاهر بن جلون .

اقيم المهرجان فى ربوع مبانى محافظة العاصمة المغربية الرباط فى اكبر قاعة عرض سينمائى بالمغرب الشقيق ، لمدة اسبوعين بدءا من ١٥ اغسطس الماضى وحتى نهاية الشهر .



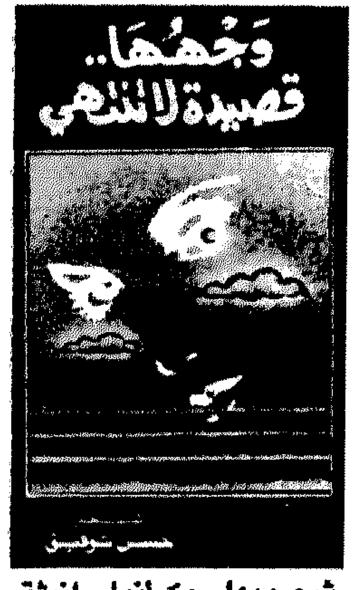
مكتبة الهلال

الكتاب وجهها قصيدة لا تنتهي ديوان شعر الأستاذ حسن توفيق

● هذا هو الديوان السابع للشاعر المطبوع المجدد الأستاذ حسن توفيق الذى لا يشك من يطالع دواوينه السبعة فى انه أحد الشعراء المجيدين المبرزين فى الجيل الحاضر ، وإن لم يكن أعلى الشعراء صوتا أو أبعدهم صيتا ، لأنه أقرب إلى الانزواء أو الانطواء ، والبعد عن الأضواء ، والتفرغ لتجويد فنه الشعرى الذى اثبت من خلال دواوينه السبعة أن مكانته تجىء فى مقدمة صفوف شعراء هذا الجيل ..

ديوان "وجهها قصيدة لا تنتهي" .. يبدأ بقصيدة من تفعيلات بحر "الكامل" تحمل عنوان الديوان ، ويقول فيها :

كصفاء نبع الأمنيات
يطل وجهك منعشا صحراء عمرى اليابسة
تتجدد الأشياء فيها ، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنما انبثق الربيع مهللا ..
ويطل وجهك منعشا .. يجتاز بى أعتى المسالك والدروب المعبسة ..



وهذه القصيدة تنتمى الى الشعر التفعيلي ، ولكن تفعيلات بحر "الكامل" فيها تكاد تكون تامة ، لا ينقصها إلا القافية ..

ويبرهن الشاعر فى هذه القصيدة على طول نفسه الشعرى ، إذ ينتظم القصيدة كلها من تفعيلات هذا البحر ، مع تنويع عدد التفعيلات ، فهى اثنتان احيانا ، وثلاث احيانا اخرى ، وقد تكون أربعا أو خمسا فتزيد على التفعيلات الأصلية للبحر ذى المصراعين .

والأستاذ حسن توفيق لا يقيد شاعريته بنظام الشعر التفعيلي دون سواه ، وديوانه يضم قصائد متكاملة الأوزان ، مثل قصيدته :

صوتك الناعس الذى اتانى
مسكرا كل خفقة فى كيانى

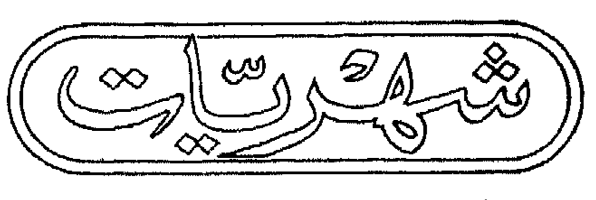
فهذه من بحر "الخفيف" متكاملا غير مجزوء ولا ملتفت إلى تفعيلات ..

ومثل قصيدته : "حاصر الشوق فى التنائى سمائى" وهى من بحر الخفيف ايضا .. وقصيدته التى مطلعها :

أكاد أحس الآن أنى مطوق
بزهرات فل من بهائك تعبق

وهى من بحر "الطويل" .. وقصيدة "عندما باح الجمال" من بحر "البسيط" .. وقصائد أخرى .

وإنما نتحدث عن تنوع أوزان شعر هذا الديوان ، واختلافها بين التفعيلة والأوزان المتكاملة ، لأن الشاعر العربى الحق المكتمل الأداة ينبغى له أن يحرر نفسه من العبودية لشكل واحد من أشكال النظم .. وفى هذا المضمار يمكن أن يقال إن الشاعر حسن توفيق هو أحد



مكتبة الهلال

الشعراء الرواد الذين يجب على ناشئة الشعراء النظر طويلا في دواوينهم للاستفادة من تقنيتهم في الأوزان، فضلا عن أساليبهم الشعرية المتطورة البارعة الأداء، الثرية المضمون ..

والملاحظ أن شاعرنا الأستاذ حسن توفيق لبث يكتب الشعر التفعيلي فقط خلال الفترة التى نظم فيها قصائد ديوانيه الأول والثاني وهما : "الدم في الحدائق" و "احب أن اقول : لا" .. ثم بدات قصائده ذات الأوزان والقوافي تظهر في ديوانه الثالث : "قصائد عاشقة" ثم توالى ظهور هذه القصائد في دواوينه : "حينما يصبح الحلم سيفا" .. و "انتظار الآتى" و "قصة الطوفان" ..

وللأستاذ حسن توفيق براعة خاصة في نظم قصائد تشبه حين يراها القارىء لأول وهلة مقالات مكتوبة بعرض صفحة الديوان .. وربما قراها من لا يعرف الأوزان بوصفها نثرا .. ولكنها شعر من طراز ممتاز، يستخدم في كل سطر منه تفعيلات بيتين او بيت وبعض بيت، ولا ينتهي الكلام إلا بانتهاء المعنى .. ومن هذا القبيل قصيدته "نداء الحب" في ديوانه "قصائد عاشقة" .. ومطلعها :

أناديك حين تشق محاريث هذا الزمان خطوط الهوان على الأوجه الشاحبات، وتهدر عاصفة في الصميم ..

ثم يردف هذا المطلع بفقرة من أربعة أسطر يقول فيها :

"أناديك حين أتوه خلال شرايين هذا الزحام الملطخ بالعابرين من الخائفين، وبالخائفين - برغم توهج شمس الظهيرة - مستنقعات الرؤى الباليات .. أناديك حين أتوه وتترك سود الظلال من البصمات على القلب ماتترك النار في قلب غصن هشيم" ..

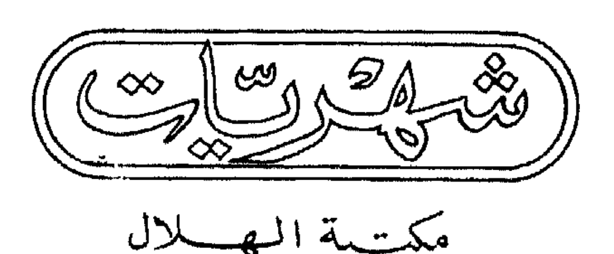
فمن يطالع هذه الفقرة الطويلة المتشابكة الكلمات يظنها لأول وهلة نثرا، ولكنها شعر جيد من وزن "المتقارب" .

وهكذا يثبت الأستاذ حسن توفيق بدواوينه السبعة وبشعره التفعيلي وشعره الموزون المقفى ايضا، انه في الطليعة من شعراء الجيل وإن لم يتبوأ مكانته بعد، وهو خليق بمكانة كريمة عزيزة، لأنه أحد الأوائل المتفوقين بلا مراء ..

ودواوينه السبعة التى صدرت حتى الآن، وآخرها ديوان : "وجهها قصيدة لا تنتهي" هي أعماله الكاملة حتى اليوم، وأعماله غير الكاملة باعتبار ما ينتظره الشعر من دواوينه الجديدة إن شاء الله ..

ومن عجب أنه اضطر لطبع هذه الدواوين بجهده الخاص، على تواضعه، فهو شاعر وليس ناشرا، في الوقت الذى نرى فيه كثيرا من الأعمال الكاملة تنشرها دور النشر الرسمية في مصر لشعراء جدد لا يبلغ بعضهم هذا المستوى الممتاز الذى بلغه حسن توفيق ..

تحية لهذا الشاعر المخلص لفن الشعر، ورجاء أن نتلقى ديوانه الثامن في وقت قريب ! .. ونعترف بأننا لم نستطع أن نلم في هذه الكلمة إلا بالإطار الشكلي لفنه الشعري اما مضمونه فإن الحديث عنه طويل المدى ..



الكتاب : الارهاب المقدس
تاليف : أمير الطاهرى
الناشر : المكتب العربى للمعارف
٢٧٢ ص . ٨ ج م

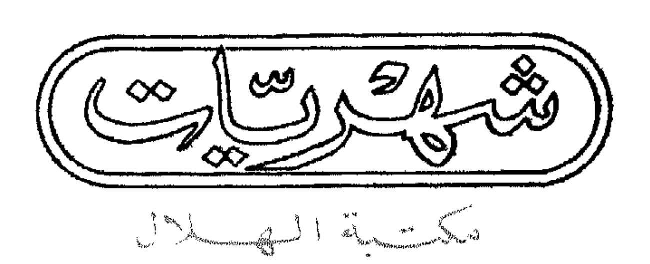
يحاول مؤلف هذا الكتاب (رئيس تحرير جريدة كيهان فى عهد الشاه) والذى يقيم الان فى فرنسا ، بكل ما اوتى من معلومات جمعها بكل الطرق ، ومن كل مكان حتى من وثائق مخابرات العالم ، ان يصوغ نظرية متكاملة ، مفادها ان هناك شيئا اسمه « الارهاب المقدس » الذى يتبناه الغلاة ، فى كل عصر ومكان ، كما تتبناه كل الجماعات الاسلامية الراديكالية ، بالجملة والتفصيل ، وهو كلام قد يبدو مثيرا ، خاصة لاهل الغرب ، بل نكاد نقول انه الكلام الذى يريدون ان يسمعوه ولايريدون سماع غيره .

أمير الطاهري

الإرهاب المقدس

لكن ، يبدو ، وبسبب حماسه الشديد لاثبات هذه « النظرية » على طول صفحات الكتاب ، وبسبب ان المعلومات التى استقاها من هذه « الوثائق » المخابراتية ، ليست كلها صحيحة ، بل الاغلب الاعم منها مغلوط ، نقول لهذين السببين ، خسر الكاتب هدفه ، وضل عن طريقه ووقع فى اخطاء تاريخية ، بل واخطأ فى معلومات بسيطة ، ليس اقلها ماذكره عن ان حسن البنا قد حوكم واعدم ، وهذا كما هو معروف غير صحيح ، اذ ان البنا قد اغتيل ، وهكذا يبدو ان الطريق الصحيح للحصول على المعلومات ليس سوى طريق واحد ، هو طريق العلم والعلماء ، والمؤرخين غير المغرضين ، كما يبدو انه من السهل جدا ان طريق الضلال يمكن ان ياخذ صاحب الغرض الى التهلكة .

هناك قطعا جماعات ارهابية ، لكنها بالقطع ايضا ، ليست هى ممثلة للاسلام الحق ، وهذا ماتجاهله المؤلف عمدا ، وكان اجدى به ، ان يلمح ولو مرة واحدة ، عن هذا الارهاب الفظيع الذى تمارسه الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها اسرائيل ، جهارا نهارا دون ان يلفت نظره انه كتاب مثير اشبه بافلام روسى ، والوسترن ، والحلقات البوليسية المقصود بها تشويه عالم الاسلام ، والعرب ، طبعا .



مكتبة الهلال

الكتاب : مؤلفات على سالم
تاليف : على سالم
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
٤٢٤ ص . ٥٢٥ ق م

هذا هو المجلد الأول من سلسلة « مؤلفات على سالم » التى تزمع الهيئة المصرية العامة للكتاب اصدارها لمؤلفنا المسرحى المعروف ، وضمن مشروع الهيئة لاصدار مؤلفات كتابنا الراسخين فى سلاسل تضم اعمالهم فى طبعات موثقة ومتكاملة .

نقول متكاملة ، ولانقول كاملة ، وهذا بالضبط مايعطى لهذه السلسلة مصداقيتها بعيدا عن التقليد الذى ساد فى عالمنا العربى (وانتقدناه سابقا على صفحات الهلال) باصدار مايسميه بعض الناشرين ، الاعمال الكاملة ، وهو لايمكن ان يكون كاملا ، بحكم ان اصحابه لايزالون على قيد الحياة ، ولايزالون يكتبون ، الأمر الذى يجعل القارىء فى حيرة .

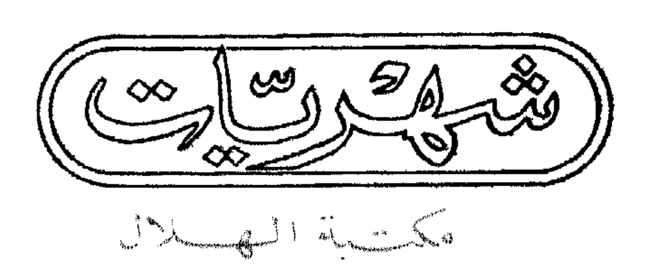
مؤلفات على سالم
- عفاريت مصر الجديدة
- انت اللى قتلت الوحش
- عملية نوح
- بكالوريوس فى حكم الشعوب



يضم الجزء الأول من مؤلفات على سالم اربع مسرحيات من اشهر مسرحيات الكاتب ، هى عفاريت مصر الجديدة ، انت اللى قتلت الوحش ، عملية نوح ، وبكالوريوس فى حكم الشعوب ، واننا وان كنا لانميل الى تلخيص الاعمال الفنية ، ولا الى تقديمها بشكل انطباعى فإن الناشر هنا ، لم يساعدنا فى الحصول على المعلومات الكافية ، عن هذه النصوص وتاريخ كتابتها، وتواريخ عروضها المختلفة ، وعن المؤلف وهو مانرجو ان يتداركه فى الاجزاء التالية ، بل وفى المشروع كله ، حتى تصبح هذه الطبعات هى الطبعات المعتمدة ، والموثقة فى حياة كتابنا اطال الله عمرهم .

الكتاب : أصوات مراكش
تاليف : الياس كانيتى
ترجمة : حسونة المصباحى
الناشر : دار توبيقال - المغرب
٨٠ ص . ٢٤ د . م

هذا نص ادبى راق الى حد يصل به الى ان يكون عملا فنيا متكاملا ، له بناؤه المعمارى الشاهق ، ولغته المتقنة (على الأقل فى هذه الترجمة) جاء نتيجة



الياس كانيتي
جائزة نوبل

اصوات مراكش

لرحلة زار فيها الكاتب (المولود فى بلغاريا عام ١٩٠٥ م) مدينة مراكش المغربية ، وهو فى الثامنة والأربعين ، وكان برفقة اصدقاء له من انجلترا يعدون فيلما عن المغرب ، فكانت هذه الزيارة حدثا رائعا له ، فقد فتنته مراكش ، واذهلته الوانها واصواتها وروائحها وحركتها واهلها ، وحيواناتها ، وحال عودته الى لندن التى استقر فيها منذ سنة ١٩٣٥ هربا من القمع النازى ، شرع فى كتابة هذا النص « اصوات مراكش » .

والياس كانيتى ، يعد اليوم واحدا من اعظم كتاب اللغة الالمانية ، وهو يعيش منذ مدة طويلة بعيدا عن الاضواء الزائفة ، والمناسبات المغرضة ، وقد حصل على جوائز عديدة اخرها جائزة نوبل ، عام ١٩٨١ .

هو اذن نص عن روح هذه المدينة العربية ، يستعصى على التلخيص المخل ، ويجب ان يقرأ حتى يصل ، كاملا ، شأن الاعمال العظيمة كلها ، كتابا يبعث على البهجة ويهز المشاعر من الاعماق .

الكتاب : الانسان بين الجوهر والمظهر
تأليف : اريك زورم
ترجمة : سعد زهران
تقديم : لطفى فطيم
الناشر : عالم المعرفة - الكويت .

يقدم هذا الكتاب فكرة جديرة بالتامل هى فكرة المقابلة بين الملكية او حب التملك ، والوجود او الاحساس بالحياة ، او بمعنى اخر اختيار الانسان بين طريقة فى الحياة تقوم على الاقتناء والاستحواذ ، والاكتناز ، والجشع ، وبين طريقة اخرى تقوم على ترسيخ قواعد الوجود الانسانى الخير ، واتاحة الفرصة للبشر ليخرجوا اجمل ماعندهم من مواهب وملكات واخلاق .

هو اذن يبين بقدرة العالم والمحلل الفذ ان العالم فى ازمته الحاضرة يتجاذبه اسلوبان فى الوجود يتصارعان من اجل الفوز بالنفس البشرية اسلوب مادى بحت ، واسلوب يتجلى فى الشعور بمتعة التجربة المشتركة ، ويتامل كذا الاسلوب فى الحب ، وفى سمو القيم الانسانية على القيم المادية .

انه كتاب عن ازمة الحضارة الحديثة لكاتب شهير (ولد عام ١٩٠٠ فى المانيا وتوفى فى سويسرا عام ١٩٧٩) ترجمت له العديد من اعماله الى العربية ، منها الخوف من الحرية ، وتجاوز الوهم ، والمجتمع السليم ، وثورة الأمل .



مسابقة الهلال للقصة القصيرة

■ من أجل اكتشاف جيل جديد متميز فى الابداع القصصى ، تقيم مجلة الهلال مسابقة فى القصة القصيرة بين الادباء الشبان فى جميع أنحاء الوطن العربى :

● تعلن النتيجة فى عدد شهر يناير ١٩٩٠ ، وتنشر القصص الفائزة تباعاً فى مجلة الهلال .

● الجوائز على التوالى هى : ٣٠٠ جنيه للفائز الأول ، ٢٠٠ جنيه للفائز الثانى ، ١٠٠ جنيه للفائز الثالث .. بالاضافة إلى جوائز عديدة للفائزين من الرابع حتى العاشر .

● تتشكل لجنة التحكيم من السادة : الدكتور شكرى عياد (رئيساً) الدكتور أمين العيوطى ، الأستاذ سليمان فياض .

● وترجو مجلة « الهلال » من المتقدمين للمسابقة أن يراعوا مايلى :

● أن تكون القصة مكتوبة على الآلة الكاتبة من نسختين .

● آخر موعد لاستلام القصص المشتركة ١٥ نوفمبر ١٩٨٩ .

● لايزيد سن المشترك عن ثلاثين عاماً .

● يمكن للمتسابق أن يتقدم بأى عدد من القصص القصيرة ، وأن يرفق بكل قصة الكوبون الخاص بالمسابقة .

الكوبون

اسم المتسابق : ....

عنوانه : ....

اسم القصة : ....

رقم مسلسل : ....

(خاص باللجنة)

المسرح السياحى مولد ... يا دنيا

بقلم : على سالم

في السنوات الاخيرة ازدهرت ظاهرة مسرحية بشكل بالغ الحساسية وهي عرض مجموعة من المسرحيات الترفيهية بصورة مكثفة في الأماكن التي يرتادها السائحون .

ترى ما هو شكل هذا المسرح ؟ ولماذا ازدهر .. وما هو مستقبله ..؟ . وهل يشكل خطورة على المسرح الجاد .. ؟

الغريب ان المسرح السياحى ، وهذه هى تسميته الحقيقية ، اصبح معروفا فى العواصم العالمية التى تزدهر فيها السياحة . حيث يجىء الناس لقضاء اوقات لطيفة يخرجون فيها عن روتين الحياة اليومى .. ويسعون للمغامرة العابرة .. وللتسلية السطحيــة .. ولمشــاهــدة الفنــون الرخيصة .. قبل ان يغرقوا مرة اخرى فى خضم الاعمال الوظيفية ..

وعلى المسرحيات المعروضة فى اماكن ارتياد السائحين ان تخاطب جمهورها بما يريد ، ولذا فان المسرح السياحى موجود فى مدن مثل القاهرة ولندن .. والاسكندرية ونيويورك حيث توجد السياحة بشكل نشط ..

والمسرحيات المعروضة فى هذه الاماكن تهتم ، فى المقام الاول ، بعملية التسلية ، خاصة الحسى منها . وتنحصر الموضوعات التى تناقشها فى نطاق محدود . حول العلاقات الزوجية ، والمقالب التى يدبرها الزوج لامرأته ، او بالعكس ، والاستعراض . وكل ما يبهر العين . او يجعل المتفرج يشعر بالانفعال اللذيذ الاقرب الى اللذة الحسية .

وبشكل عام لا اعتراض على وجود هذا المسرح . فهو يقوم بدور هام فى تنشيط السياحة للدول التى تعتمد فى دخلها على السياحة . فهو لايقل اهمية عن دور الفنادق ذوات الخمس نجوم فى العملية السياحية كما لايقل عن اهمية

خواطر علي سالم

اعداد الشواطىء اعداداً جيداً .. فكل هـذا سبـب في عمليـة التنشيط السياحي .. ويدفع بسائحين جدد الى الحضور من أجل التسلية .

وقد جاءت بداية المسرح السياحي في مصر مع ظهور السياحة العربية .. التي تضم ايضا المصريين المعارين الى الخارج الذين يحضرون الى البلاد من أجل قضاء اجازة قصيرة ..

ويمكن حصر السمات العامة في المسرح السياحي في عدة نقاط يهمنا ان نذكر منها :

□ يستعين هذا المسرح في المقام الاول بنجوم معروفين . فالاساس فيه هو الممثل النجم وليس النص او المخرج فالمتفرج السائح يريد ان يرى النجم الفلانى أمامه شخصيا ولذا فهو يردد : تعال نشوف فلان الفلانى عادل امام مثلا ، اوسيد زيان او محمد صبحي وسعيا وراء هذه السمة الهامة فان النص المسرحي يقدم هذا النجم للمتفرج فوق طبق من الورق المفضض هو العرض المسرحي ..

والنجم بالتالي يهمه اكبر عدد من المستهلكين فالكم يعنى إيرادا اكبر له وللمنتج ويهمنا ان نذكر ان الاقبال على النجم يزداد كلما اتسعت قدرته على الاضحاك بالنسبة للعنصر الرجالي . اما بالنسبة للعنصر النسائي فلا بد ان يتسم بالانوثة الطاغية .

□ لا اهمية للنص على الاطلاق بل ان بعض العروض لايذكر على افيشاتها اسم المؤلف وغالبا ما تكون هذه النصوص مزيجا من نصوص مسرحيات سياحية سابقة في مواقفها او نكاتها او تعليقاتها الحسية الساخنة ..

□ وجـود حملة دعـائيـة قـويـة للمسرحية .

□ يجب ان يعرض النص في مكان يؤمه السائحون لان القائمين على هذه العروض لايهمهم جذب المتفرج المقيم في المـديـنـة .. لان أسعـار هـذه المسرحيات لاتتناسب قط مع دخول هؤلاء المواطنين .

□ اللعب على الغريزة الجنسية . والالفاظ الفاضحة . وعنصر التغفيل (الزوج يغافل زوجته . والحلوة تغافل زوجها)

□ ارتفاع اسعار التذاكر بشكل مبالغ فيه .. ايمانا بان سائحا واحدا افضل بما لديه من قدرة على شراء التذاكر مهما ارتفع الثمن ..

□ اتجـه بعض منتجى المسرح السياحي في الفترات الاخيرة الى تطعيم عروضهم بفرق اجنبية بهدف الاستفادة من الاستعراضات المثيرة . والمشاركة في العملية السياحية ..

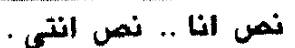
□ غياب الحركة النقدية فهذا المسرح لايتعرض لاى نقد . ولايثير جدلا على المستوى العقلي لكن اخباره موجودة في الصحافة النقدية الرخيصة .

هذه هي بعض سمات المسرح السياحي .. وهو مسرح بعيد عن المتفرج الجاد او الباحث عن الضحكة



مسرحية حالة طوارئ





نص انا .. نص انتى .

الراقية اللطيفة .. لذا يجب عدم الخلط بين النصوص المسرحية فوق خشبات المسارح السياحية . وبين المسرحيات الحقيقية خاصة الضاحك منها التى تعتمد على نص حقيقي مرتبط بافكار سامية . وما يسمى بشرف المهنة .

لكن ! اذا كان هذا هو واقع المسرح السياحي فماذا عن مستقبله ؟

لقد دفع نجاح هذا المسرح ورواجه على مستوى الجماهير بالعديد من المنتجين الى الدخول فيه . ويكفى ان تطالع صفحات الاعلانات عن المسرحيات المعروضة في موسم الصيف في القاهرة والاسكندرية لتدرك الكم الهائل للمسرحيات المعروضة .. ومدى تفاهة اسمائها على الاقل ان لم يكن موضوعاتها ..

لذا فمن المتوقع ان رءوس الاموال الكبيرة سوف تقامر قريبا بالدخول الى هذا المسرح مما سيجعلها تهتم اكثر بحرفية خشبة المسرح من اضاءة ، ومايسمى بالمسرح الاسود مثلا والمسرح الاخضر او المسرح الملون . او بتقديم لوحات راقصة اكثر جاذبية .

وسوف يحدث هذا الامر قريبا فى القاهرة مثلما حدث للمسرح السياحى في المدن الكبرى مثل لندن وباريس حيث ياتى السائحون بشكل مكثف .

ومستقبل هذا المسرح اشبه بمستقبل اى مولد .. فالسياحة كالمولد .. فانت لست مطالبا في المولد بعمل حانوت سمك ! ولكن يمكنك إعداد السمك بشكل سريع ، فالمولد يقام ويلعلع .. ويتألق ثم ينفض فى دقائق .. ولايترك أثرا من اى نوع .. كما ان المولد يتمسح في شخصية تدعو إلى الاحترام . وهكذا يفعل المسرح السياحى .



مواهب جديدة

فى صالون الشباب الأول

أقام المركز القومى للفنون مسابقة هامة ، خصصت للمبدعين من الشباب تحت سن الخامسة والثلاثين ، واعتمدت لجوائزها ميزانية ضخمة ، ومجالات التسابق هى :

النحت والتصوير والحفر والرسم .. وفرع جديد لم يسبق الاحتفال به على المستوى الرسمى أو غير الرسمى وهو فرع : «العرض التشكيلى . الشامل . فى الفراغ » ..

ويضم العرض الواحد عديدا من الخامات والمجالات فى كيان تشكيلى واحد ، وحدد لكل فرع جائزة أولى قدرها ثلاثة آلاف من الجنيهات ، وخمس جوائز تشجيعية قدر كل واحدة خمسمائة جنيه ، وبالتالى فإن مجموع الجوائز ثلاثون جائزة . وقد خلقت الفجوة الكبيرة بين الجائزة الأولى أو الكبرى والجوائز التى تليها مباشرة .. بعض الصعوبات فى التحكيم .. فالمستويات متقاربة ، ولم تظهر - إلا نادرا - فروق ترقى إلى مستوى الحسم الابهارى . ورأت اللجنة عدم حجب الجائزة الأولى ، حتى لا يتعرض المشاركون فى المعرض إلى الاحباط ، فى أول تجربة عرض كبرى لهم .

● وقد أوصت لجنة التحكيم بضرورة مراعاة التدرج فى الجوائز مستقبلا .. وتوسيع دائرة التسابق ، بضم مجالات إبداع تشكيلية أخرى ، ومراعاة الدقة فى اختيار الأعمال المعروضة .. لتفادى شوائب الهبوط . وقد أتيح لى أن

سقراط للفنان هشام نوار .. الحاصل على الجائزة الأولى



أشارك فى التحكيم ، وأن أعيش لحظات طويلة من العناء المشترك فى اختيار الأعمال الفائزة .. بدأت فى السابعة مساء حتى ما بعد الواحدة من صباح اليوم التالى ! ..

وضمت اللجنة عددا من أبرز الفنانين ونقاد الفن .. وهم : حسين بيكار (رئيسا) . صبرى منصور (أمينا) وعضوية كل من : أحمد عبدالوهاب . حازم فتح الله . حسن عثمان . صالح رضا . كمال الجويلى . نعيم عطية . مجدى قناوى .. وأحيط الافتتاح وتوزيع الجوائز بمهرجان صدحت فيه الموسيقى النحاسية ، واشتعلت الشعلة ، وتحرك موكب الزهور ، وانجز معرض فورى خارج القاعة ، قام بانجازه كل المتسابقين . كان احتفالا أريد له أن يكون عيدا للشباب . وشاهد المعرض على امتداد شهر جمهور كبير - بالقياس إلى بقية المعارض الأخرى - حسب إجماع مشرفى القاعة - كما أحيط ببعض الرعاية الاعلامية .

سألت نفسى سؤالا مباشرا .. وأنا فى الطريق إلى الندوة الختامية لهذا المعرض المشاركة فيها .. سألت نفسى : هل هذا معرض ناجح ؟.. وأجبت : نعم .

والمعرض فى مجمله يقدم صورة جديدة لقلق أجيال سابقة ، تمحورت حول محاور متعددة ، ومتسقة فى نفس الوقت : أهما محور "الأصالة والمعاصرة" ، ومحور "التجريب" .. أما المحور الأول فقد ارتبط بتطلعات جديدة ، تتسق مع البنية الجديدة للمجتمع ، وهى بنية مخلخلة ، صنعتها سياسة السبعينات الانفتاحية ، وقد صادفت أحدهم - وأحسبنى مبالغا لو خلعت عليه صفة «فنان » - صادفته حزينا ، ولما سألته عن السبب أخبرنى بأن عدم فوزه فى المعرض يحول دون اشتراكه فى مسابقة دولية ! .. وليست هذه حالة فردية للأسف ، بل إن المتابعة الدائمة تؤكد أن الرغبة فى الانتشار والذيوع السريع : محليا وعالميا - قبل امتلاك أدوات التعبير الفنى - صفة غالبة على هذا الجيل .. كان من الطبيعى أن ترجح كفة النموذج الأوربى الغربى فى ابداعاتهم ، أما من حاول منهم استعارة أقنعة قومية فقد لجأ إلى نوع من الخطابية غير الناضجة . أما المحور الثانى : «التجريب » .. فقد ظهر على استحياء .. مثل اللجوء إلى كسر إطار اللوحة - أحيانا - دون أن يحتم ذلك أية ضرورة تعبيرية أو جمالية ..

• العرض التشكيلى الشامل فى الفراغ •

كان أكثر جوانب المعرض المكدس إثارة ، ولفتا لانتباه لجنة التحكيم .. ومن أبرز الأعمال التى عرضت عمل الفنان «هشام نوار » ، ونال به الجائزة الكبرى - باجماع لجنة التحكيم - ومن الجدير بالذكر أنه لم يتلق أية دراسة معهدية . يمثل عمله شكلا إنسانيا لحظة سقوط نعرف نتيجتها الحتمية ، والمروعة ، عندما يصطدم الجسد بالأرض .. ويبدو من تمزق بعض

أعضائه ، وانتشار بقع الدم ، والتواء الأعضاء من الألم ، أن سقوطه جاء من ارتفاع شاهق ، غير أن الفنان لايقف عند الحدود الوصفية .. الواقعية . التي تحلل حالة سقوط جسد حي ، بل تتجاوزه إلى بُعْد رمزي .. نرى فيه «الانسان» في كل مكان في عصرنا الحافل بالتعاسة . إنسان «هشام» يبدو من واقع مفرداته عديم الفائدة . منبوذا . مبرمجا .

يسقط عاريا إلا من أوراق الجرائد التي تمثل جلده .. وعلى مكان انتظار الكارثة ـ الأرض ـ قاعدة عليها قصاصات من صفحات الوفيات ، تنتشر فوقها نقاط دموية . إن هذا العمل الفني . المثير يجسد رؤية سوداوية .. وهو ـ على مستوى الأداء الفني ـ يقدمها بأعلى درجات التصعيد .. مثل التصعيد «الميلودرامي» المسرحي ، حيث لايملك المتلقي إلا أن يشارك هذا الضغط التصعيدي بتصعيد آخر يعادله ، ويضع حدا مؤقتا له .. فيغرق في التصفيق الحاد ! .. ويشارك «حمدي أبو المعاطي» في التعبير عن مأساة الانسان المعاصر بشكل آخر ، ووسيط رمزي آخر : هو «الحمامة» المرسومة تارة ، والحقيقية / المحنطة .. تارة أخرى ، وكلتا الحمامتين سجينة خلف قضبان ، أو خيوط موحية بالسجن ، بدت حماماته المرسومة أنيقة ـ والأناقة صفة مميزة لكل جزئيات عمله ـ بالونية التجسيم ، وعلى النقيض من الحمامات الحقيقية . المغتالة . الغارقة في الدم ، والتي تخلق ، بالضرورة ، موقفا انفعاليا مغايرا لدى المتلقي . إن القانون المألوف : قانون التنوع في الوحدة نراه مطبقا تطبيقا حرفيا ، سواء في مسطحات اللوحة الواحدة ، أو تنوع الشكل الهرمي .. الخ .. غير أن كل لوحة من اللوحات الثلاث التي قدمها .. يمكن أن تعرض مستقلة ، ولم يرضه ذلك .. فأغرقها في زيادات من الخطوط والعناصر أرهقت وحدتها .

إن إسلوب أداء هذا الفنان يذكرنا بأسلوب أستاذه الفنان «أحمد نوار» الرمزي ، الذي يتميز بدقة التنفيذ ، والبراعة ، والأناقة .. خاصة في مجموعته المسماة بمعادلة السلام .. والتي احتلت فيها «الحمامة» المحور الرئيسي .. أيضا .

وينصرف «محمد يوسف» و «سامي كشك» ، عن الطابع الميلودرامي لهشام نوار ، والطابع الرمزي "لحمدي أبو المعاطي" إلى طابع شكلي . جمالي . به طرافة . ولا يخلو ـ بطبيعة الفن ـ من رموز .. فقدم «محمد يوسف» عرضا محكم التصميم ، يجمع بين خامات من البيئة الريفية .. مزينة بما يوحي بأن انتماءها إلى الريف المصري لايحول بينها وبين الاستمتاع بالثقافة .. التي تتبدى في شكل اسطوانات ملصوقة بالكليم ، واستلهم «كشك» شكل آلة القانون بأوتارها الكثيرة .. إذا لمستها أطراف شبيهة بالرسوم الفرعونية صدر عنها صوت .. وإن جاء الصوت ـ للأسف ـ مناقضا لحلاوة صوت القانون :

• النحت •

من المواهب البارزة في هذا المجال المثَّال «طارق الكومي» الفائز بجائزة النحت الكبرى ، وهو يشارك الفنان «هشام نوار» الطابع المأساوي ، بعدد كبير من المنحوتات ، تكشف عن قدرة واضحة في



السيطرة على أدواته النحتية ، وعن ميل إلى البناء ، مع حرص على الحركة .. ووسيطه إلى ذلك هو الانسان بهيئته المعروفة ، المحرفة التحريف الذى تشترطه الضرورات التعبيرية والجمالية . فى منحوتاته إيجاز وصلابة المنحوتة المصرية القديمة .. وبينما يظهر إنسان هشام نوار ، ساقطا من عل ، نرى إنسان

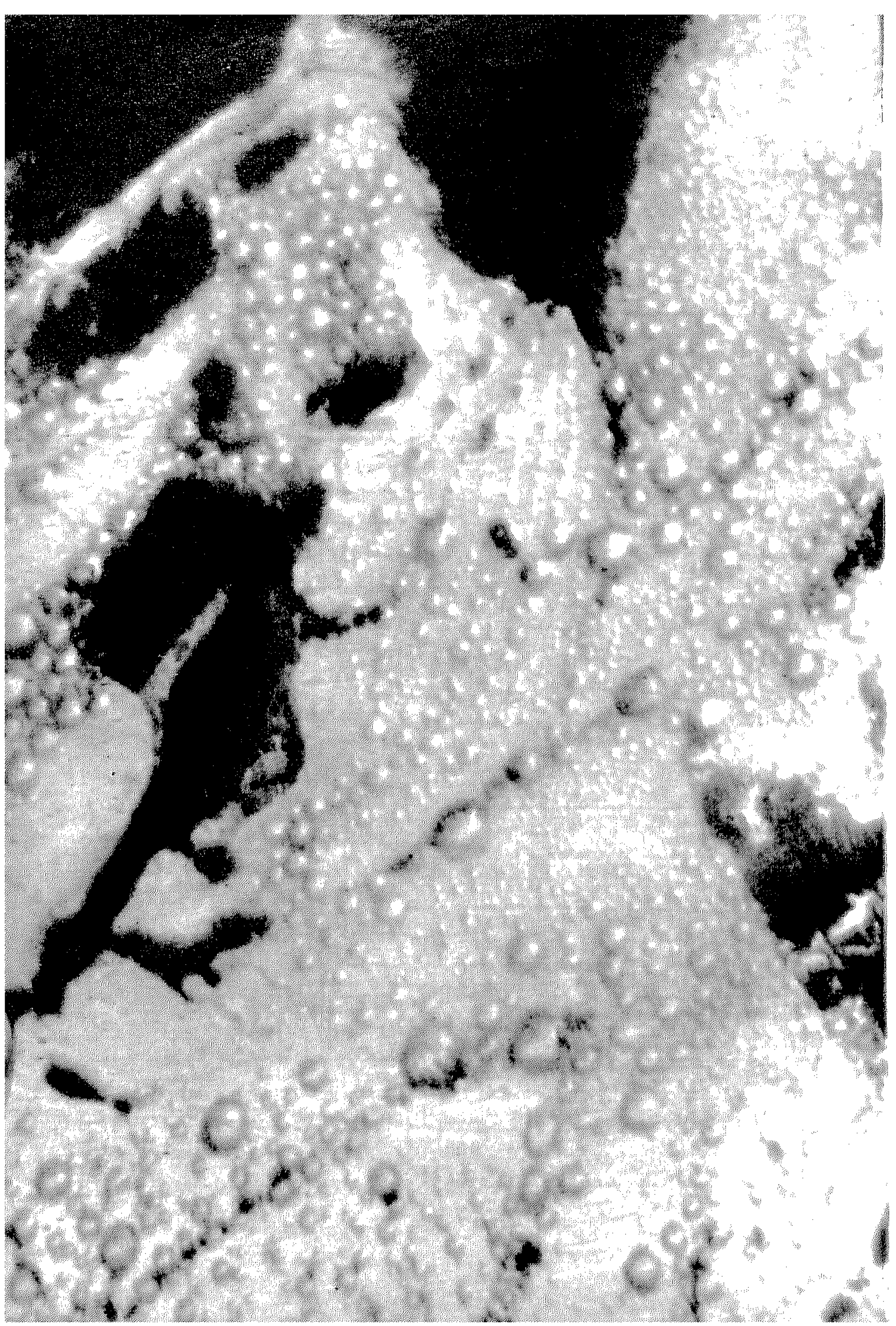
نحت خشب للفنان عبدالمنعم عبدالسميع

صالون الشباب الاول ١٩٨٩



طارق الكومى ، غارقا ، لا تظهر منه سوى آثار تطلب النجدة ، أو مشدودا إلى ما يشبه المشنقة .. ممسخا لا حول له . وجهه بلا ملامح ـ مثل وجه تمثال «هشام نوار» ـ حتى لا يدل على فرد بعينه بل إلى «الانسان» . وعلى الرغم من تمدد «إنسان» «طارق الكومى» و «هشام نوار» خارج حدود الانتماء إلى منطقة بعينها .. إلى الترميز إلى إنسان القرن العشرين .. فإنه يحرك تساؤلا أو سؤالا هو : ألا يفجر داخلنا «هذا الرمز العام» أحزان محيطنا المصرى والعربى ، وبتعبير آخر : ألا نشاهد فيه صورتنا ؟ »

ومن بين المنحوتات التى لفتت إليها أنظار لجنة التحكيم منحوتة خشبية للفنان «عبدالمنعم عبدالسميع» . إن منحوتته تلك ، بالاضافة إلى منحوتات أخرى اشترك بها فى معارض مختلفة ، تؤكد توجهه نحو «التجريد» اسلوبا ، وبلاغة الاختزال ، ورقة سطح الكتلة ، طريقا للأداء . وتذكرنا اعماله بكتل «برانكوزى» فى نقائها ، وابتعادها عن الثرثرة التشكيلية . فى كتلته ـ المعروضة ـ يقوم الخط الخارجى برسم ، وقفل التكوين . وعلى الرغم من أن المنحوتة خشبية ، تسمح بيسر باختراق الفراغ فإنه أصر على طمسه ، ولم يسمح إلا بارتفاعات وانخفاضات ناعمة ، شكلت فى مجملها شكلا موحيا بهيئة إنسان . وقدم «يونس وسلان» نسرا من شرائح الحديد ، ينقض على ضحية . المنحوتة مثيرة فى حركة كتلتها المندفعة ، وفى تشابك الحديد والفراغ ، وقد اندهشت عندما علمت منه إن تلك كانت المحاولة الأولى فى النحت ، ويالها من بداية تستحق الثناء والتشجيع





.. وكان من الممكن أن تبقى تلك الومضة كامنة لولا وجود هذه المسابقة .

● التصوير ●

من بين الأعمال المتميزة فى هذا المجال لوحتان للفنان «المشد» ، ولم يسبق لى أن شاهدت له شيئا ، ولم أسمع به ، والطريف أنه لم يدرس الفن دراسة معهدية ، ولايزال طالبا فى كلية التجارة . أداؤه يتسم بالدقة والأناقة ، ويكشف عن قدرة واضحة فى الرسم والتجسيم ، وميل إلى تنظيم العناصر تنظيما رياضيا ، تجريديا ، لا يخلو من الرمز .. ومن ذلك الشىء أو تلك الحالة التى لا تستطيع الامساك بها أو نقلها إلى كلمات .. ونصفها عادة بكلمة «شعر» . ألوانه بسيطة ، وصريحة : لوحة ذات لون وردى ، وأخرى ذات لون أزرق .. يتدرجان من الغامق إلى الفاتح ، ويشكل كل منهما فضاء اللوحة .. الموحي بالمدى الممتد .. تتحرك فوقه فى المقدمة خطوط هندسية ، ذات جسم اسطوانى ، وتنتشر أجسام صغيرة .. تشكل فى مجملها إيحاء بلعبة «بلياردو» كونية .. وعندما سألته إن كان ثمة مقدمات تحضيرية لما قدمه فى المعرض .. أجاب بالنفى ، غير أن ما توصل إليه بفضل المسابقة .. قد حرك بداخله نوازع الخلق ، والرغبة فى مواصلة الطريق .

ومن بين الأعمال التى لفتت إليها الأنظار ـ أيضا ـ لوحات «أحمد رجب» استعان بتذاكر السفر ، كوحدات مرسومة . يقوم بتلصيقها فى أنساق ، افتقد بعضها الحبكة التصميمية ، وإن أثار فى وجدان متلقيه إيحاءات بلحظات أبعد من حدود جماليات اللوحة .. فمن منا لم يحتفظ بتذاكر سفر .. حنينا إلى لحظات خاصة فى الزمان والمكان ؟ ! .. أما «جيهان سلامة» و «جيهان سليمان» فقد قدمتا مسطحات تصويرية تتسم بالجرأة ، والتمكن .. فى اللون الصدّاح عند «جيهان سليمان» واشتباك اللون ونقيضه عن «جيهان سلامة» ، وفى الوقت الذى اقتربت فيه «ج . سليمان» من ملامح الواقع ، وانتمت إلى الاسلوب «الحوشى» ، تخففت «ج . سلامة» من مظاهر الواقع ، واتجهت إلى «التجريد» .. دون أن تتنازل عن حرارة واندفاع الاسلوب الحوشى .

● الحفر ●

من بين الأسماء التى لمعت فى هذا المجال : صلاح المليجى وأحمد عمر أحمد .. كما لمعت أسماء أخرى ، وإن لم ينل أصحابها جوائز ، بسبب خروج أعمالهم على شروط المسابقة أمثال : حسين الشحات ومحمود قاعود وأحمد اللباد . إن «المليجى» و «أبو المعاطى» ، وغيرهما ، يتبنون بعض الملامح الاسلوبية

للفنان «نوار» ، وإن بالغ «المليجى» فى زحام العناصر ، والرموز ، والايحاءات القصصية ، كان من نتيجته تشتت الوحدة الضرورية للعمل الفنى ، وأجهد المتلقى الذى لايجد فى تلك الغابة من العناصر .. سوى استعراض المهارة فى التعامل مع خامة «الزنك» ، على النقيض من «أحمد عمر أحمد» الذى تميزت محفوراته على الخشب بالبساطة ، والسذاجة النافذة إلى القلب ، فضلا عن التصميمات الممتعة والمحكمة .. رغم عدم تكلفها .

• الرسم •

من بين الأسماء التى لمعت فى هذا المجال : خميس خلف ونجوى محمد أحمد ومتولى عصب وصالح عبدالمعطى ومحمد الناصر ، وأحب أن أتوقف قليلا عند لوحات «خميس خلف» لما تتمتع به من رهافة فائقة فى استخدام قلم «الرابيدو جراف» ، وقدرة فى تصعيد الدرجات الضوئية ، من الغامق الى الفاتح .. حتى يصل إلى التطابق مع لون الورقة البيضاء ، وكنت قد شاهدت له معرضين ، يمثلان تنويعات على شكل حميم إلى نفسه ، وهو شكل عجينى ، لا ندرى إن كان يمثل لحظة تشكل وميلاد ، أم تحلل وفناء ، ويقدر إعجابى ببراعته ، وحساسيته ، فإننى أدعوه إلى إعادة تأمل ذلك «الشكل أو اللاشكل» الملح على ريشته المرهفة ، حتى لا يقع فى دائرة الاجترار .

وأخيرا ..

فلقد كان لهذه المسابقة التى بادر بها المركز القومى للفنون فضل الكشف عن موهوبين حقيقيين .. نتوقع لهم تألقا فى المستقبل .

• معرض بدايات الصور الفوتوغرافية •

أقيم بقاعة نقابة التشكيليين المستديرة معرض فى فن التصوير الفوتوغرافى ، ضم مختارات قليلة من متحف كلية الفنون التطبيقية ، والصور المعروضة قد سجلت فى أعقاب ابتكار «الكاميرا» على يد «لويس چاك داجير ١٨٢٨ ، وضم المعرض أيضا بعض آلات التصوير التى تنتمى الى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، وكان من الطبيعى أن تغرى شمس وآثار مصر مستشرقين جددا ، يتخذون من تلك الأداة الساحرة : «الكاميرا» .. أداة لتسجيل ما يمكنهم الوصول إليه ، وبغض النظر عن دوافع هذا الغزو وملابساته ، فقد ترك لنا هؤلاء المصورون الكثير الذى يستحق الدراسة والتأمل ، يضيف اليها الوعى بأن تلك اللحظات التى كانت حية ، واختفت الآن نهائيا من الوجود .. شعورا عميقا بالفقدان . فعلى الرغم من ضبابية الصور ، واختفاء التفاصيل ، وانعدام الالوان ، واصطناع الأوضاع السياحية للنماذج .. فقد أثرت فىّ بعمق صور هؤلاء البشر الأجداد .. خاصة صور الأطفال والشباب والبدويات الجميلات . إن الملاحظة التى يلاحظها المتلقى على تلك التسجيلات المصورة ، هى أن هؤلاء المصورين قد اكتفوا





الحمامات السجينة للفنان حمدى ابو المعاطى



سيدة بدوية . للمصور الفرنسي سجاب حوالى ١٨٧٠

بالتسجيل الخارجى للعمارة ، والتسجيل المصطنع - فى أغلب الأحوال - للموضوعات التى تدور حول الانسان المصرى فى حياته اليومية ، والطرقات .. حيث الباعة ، والتجار ، ورواد المقاهى .. الخ ، وعلى الرغم من هذا القصور ، فقد تركوا مادة تصلح لبحث الباحثين فى علم الاجتماع ، وربما لنقاد الفن الذين يروقهم اكتشاف صلة بين تكوينات هؤلاء المصورين ، وبين مخزونهم من تكوينات عصر النهضة : بين بدويات (سجاب) الحالمات (حوالى ١٨٧٠) وسيدات «ديلاكروا » الجزائريات (١٧٩٨ - ١٨٦٢) . إن ما قدّم فى المعرض نماذج قليلة جدا .. وربما بسبب ضيق قاعة العرض .. لم يكن أمام معدى المعرض د . أمير أمين على ود . مصطفى حسين كمال الا أن يقدما حسن النوايا ، أملا فى تحريك الاهتمام نحو إنشاء متحف جيد لهذا الفن الوثائقى : فن التصوير . كما أؤيد الاستاذ «أحمد فؤاد البكرى » نائب رئيس جمعية صالون مصر للتصوير الضوئى فى دعوته الى الاتصال بجمعيات ونوادى ومتاحف التصوير بالدول العربية والاجنبية ، لتبادل نسخ من الصور والمعلومات أملا فى نمو هذا المتحف .

مواجيد

شعر

فؤاد سليمان مغنم

موغلا فى الاقامة
.. مستغرقا فى الرحيل
يزاوج بين تمرده وتمرده .. ويشد حزام الجسارة
تبدو المرات صاخبة ـ والعناقيد غاضبة
واللغات تمط الشفاه وتنشىء
من لغط الضوء جسرا
شهوات من السفر الرخو نحو الاقامة
تنشب بين خلاياه جذوتها
وهو يحتد شيئا فشيئا
ويلهث خلف خيوط من الدم والمستحيل
تتقرى القصيدة هيئتها فى الجدار الذى نسجته النجوم
ليس بين انقشاع الخواء الذى يتفاقم حول مضاربها
وانبجاس الينابيع بين أصابعه
غير اسئلة
وستار من القيظ يلتف
ينسجه .. يتقراه خيطا فخيطا
ويسد له ربما
ثم يعلن ان الاقامة مفتتح للرحيل
لايزال المؤذن يعلن ان المسافة شاسعة
بين حلم وهيئته
واحتراق ونشوته
وانبعاث من الصمت والهمسات الودود
لا تزال المسافة بين الرعاة وخضرة هذى السهول
محاصرة بالسؤال

القصيدة

ومحفورة في السديم
والخرائط ملغومة باللغات العقيمة
والمهمات
وموبوءة بالنزيف
لايزال المؤذن محتشدا ـ يامريد ـ
المحاريب ممتقعا وجهها بالتثاؤب
محتقنا صمتها بالوجوم
يحتويك الندى ـ يامريد ـ الوصال وصالك
والبحر مصطخب بالعناق
اقترف ما تشاء
اغترف ماتشاء
تشقق جلد المواجيد من وردة تتشظى
وتبرى أصابعها الصبوات
تخط المدى قبسا قبسا
وتؤرخ كينونة لاتغادرها دهشة
او يطارحها وجع حزنه
يامريد اقترب .. وتقرب .. وذب
يكشف الليل سواته الغطيط
ويبسط فاكهة المريد
تهدج صوت المؤذن
فالوقت متسع لاقتراف الضجيج
الخرائط مفتوحة لانتزاع الهوية
والبحر منفتح لاغتراف الالق

قصة قصيرة



بقلم :
أحمد الشيخ

محيوسا داخل الكرسى الاسيوطى كان يجلس ، مهموما وعاجزا عن طرح المزيد من الاسئلة ، كان الاخر خلف المكتب على الكرسى الدوار يستخلص من داخل الملف أوراقا ثم يمزقها ، كان فى القلب جرح قديم ينفتح وحلم يتمزق مثل تلك الاوراق التى لابد وانها تخصه اكثر مما تخص اى كائن فى هذا العالم ، لكنه

لم يجرؤ حتى على الاستفسار عن هذه الاوراق « كان الملف يتضاءل على نحو ظاهر .. ربما على عكس الامل الذى كان يتزايد كلما التقى بالرجل وسلمه ورقة او شهادة أو مستند مطلوب لنجاح القضية ، لم يكن الامر مجرد قضية خسرها او حلم لم يتحقق ، بدا له فى هذا اللقاء ان الرجل الذى وثق به واطمأن الى قدراته قد تخلى عنه على نحو غامض ، صحيح انه قريب من الدرجة الثانية لكنه من خلال الجلسات المتكرره والمحاورات وسهر الليالى والمشاركة فى الاهتمامات كان يبدو له اكثر من اخ ، بل انه كان يزرع فيه

الامنيات مؤكدا ان المكسب مضمون ،خمس سنوات ومزرعة الرجاء تزهر وترطب القلب ، لكنه فى تلك الليلة لم يكتف بابلاغه انهم خسروا القضية بل انه تحول وعلى غير توقع الى اسطوانه مشروخة تهدف الى تيئيسه تماما من جدوى الاستئناف او التفكير مجرد التفكير فى الاستمرار فى تلك



الخصومة ، زفر المواطن مرتضى الماحى كانما ليعلن عن وجوده للاخر الذى لم يلتفت .. قام من جلسته ، لعله فكر ان يقترب من [illegible] يطل فيها او يستجديها تفسيرا ، لكن [illegible] التيه وجعل بضعهـ[illegible] بالقلوب بحيث يتكشف الوجه الخالى ويتوارى الوجه المكتوب .. همهم مهيبا قدرا من الاستياء من تلك المحاولة الفاشلة لاقتحامه فاخجل المواطن مرتضى واجبره على معاودة الجلوس .. غمغم :

ـ مجرد مسودات يلزم التخلص منها ، سلم امرك لله [illegible] ثم [illegible] لغريب .. هو [illegible] فى كل الحالات [illegible] عنه او قريب هو ابن عمه

ـ اعرف .

- انت تعرفيني لك، لقد حاولت بكل الوسائل، نصيبك ، لو كان هناك اي امل في الاستئناف ما تأخرت ابدا ..

- لكنك قلت مرة ..

- دعك من كل ماكنت اقوله ، انا لم اخدعك طبعا ... كل ما هنالك انني كنت امل في اشياء لم تحدث ، تكشفت امور لم تكن في الحسبان .. انت لا تعرف قضايا المواريث ودهاليز اسانيد الامتلاك ، انت شاعر ، مالك انت بهذه الامور .. هي شغلي الشاغل طوال عمري وعندما اؤكد لك انه لا امل فيجب ان تتأكد من ذلك .. يا مرتضي .. الاستمرار في القضية تعميق للخلاف وتوليد لعداوات انت في غنى عنها ..

- طبعا .. لكن ..

- انت حر .. ملفك الان جاهز .. فيه كل المستندات والتوكيل .. تفضل ..

مد يده واخذ الملف لم يفتحه ، وضعه امامه .. لم يكن لديه في هذه اللحظات اي شيء يقال

●

خجلانا من نفسه كأي مواطن شريف في ماخور او مجتمع مسفير من محترفي الفساد والافساد، كان يدخل الزقاق والملف في يده ، كان يستشعر دفئا غامضا وسط الرطوبة المسيطرة ، لعله دفء دم الضحية نفسه لحظة النزف ، كان الهواء باردا ولزوجة ارض الزقاق من اثر قطرات تحذره من امكانية السقوط، كان يخطو علي مهل ونقاط المطر متناهية الصغر تكشف عن وجودها اكثر عندما تتساقط في البؤر المتناثرة علي ارضية الزقاق دوائر متباعدة ومتقاربة بشكل عفوي ، كان عليه ان يحمي الملف باوراقه منها ومن احتمالات السقوط وكثيرا ما كان يحدث وتنزلق قدمه ايام المطر، وربما لانه كان حذرا اكثر من كل المرات السابقة افلح في دخول البيت دون سقوط .

قالت هي بمرارة من فقد اعز عزيز لديه وهي تهبد صدرها براحتيها :

- اله الموت وخراب الديار .

لم يعلق ، سرح بخياله في البعيد ، اكدت .

- اشتراه .. اين عمك سوسة وبحره غويط ، اسألك يا مرتضي .. لا تفرط في حقك وحق الاولاد ..

- نحاول ..

قالها بياس لكنها واصلت :

- ما ضاع حق وراءه مطالب وحقك ظاهر مثل عين الشمس . هز رأسه مؤيدا ثم شرع في خلع ملابسه فناولته الملاءة ليرتديها ويتمدد بطوله علي الفراش .. مستندا بظهره علي الوسادة وكأنه مريض يحتضر وعيناه غائبتان عن كل ما يحيطه من اشياء ..

حدث نفسه قائلا :

« ربما يا مرتضي عملها ابوك،كتب الارض لابن اخيه كي يحرمك من الامتلاك ، لقد كنت دائما علي غير هواه وارادته ، ارادك طبيبا ففشلت وفصلت من الطب ،جاهد ان يساعدك لتكمل تعليمك في الاداب او الزراعة او حتي الحقوق فلم تسعفه ، كنت تخدعه وتكتب الشعر وهو العنيد الذي لم يعترض علي ارادته غيرك ، وكم هددك وحرمك من المساعدات في حياته ، كنت انت يا مرتضي نقطة ضعفه بحسب ما كان يعلن وكنت خيبة امل ايضا سحرتك دواوين الشعر وغيبك

الدوران في جنبات المدن سعيا لكشف لم يكتمل ، وربما يا مرتضى باع بالفعل وقبض الثمن ، وربما كان اعلام الوراثة الذي جاءك مجرد اجراء لاكمال الصفقة .. »

قام وقلب في اوراق الملف ، بدا له ان الحق ضاع فعلا وان محاولات الاستمرار في الصراع حماقة ، ويبدو له في نفس الوقت ان الاستسلام والسكون عته وبلادة ، وتحير في امر نفسه مشدودا الى رغبته الصادقة في ان يعيش ما تبقى من عمره في سلام مع الناس ولو كف عن الحلم في احياء حقه المسلوب، او الافاقة والصحو وتجهيز نفسه لخوض النزال صارخا في وجه الكل انه وريث شرعي لاب لايجوز له التصرف في املاكه على هذا النحو وهو في ايامه الاخيرة فاقد للوعي والادراك بحسب ما اكده الكثيرون من اهل الكفر ، وكان في الذهن اطفال ومطالب ومسكن بائس وجيرة فاسدة واجر هزيل ، وكانت هي ايضا هناك باحلامها في زمن يختلف ان استعاد شيئا من حقه الاكيد باعتباره الوريث الشرعي الوحيد للرجل الذي اكد له البعض انه باع في حضورهم بكامل وعيه وادراكه وقبض الثمن .

●

وعندما التقى بابن العم واضع اليد على ارضه وداره شعر بالخجل ، ربما توهم ان الاخر يلومه او يهدده ان هو استمر في قضية محسومة بحساباته على الاقل كانوا قد توسطوا لكي يلتقي معه في جلسة هادئة ، كان الاخر بملامحه الحادة ينظر نحوه باستهانة واستخفاف ، يتحسس شاربه وكانما يتوعد ، قال احدهم :

- الصلح خير ، والدم لا يتحول الى ماء يا مرتضى ..

- طبعا ..

اجاب هو .. لكن الاخر انتفض واقفا ، وبحدة اعلن :

- الارض ارضي والدار داري ومن يفكر في دخولها سوف ادفنه فيها وهو حي .

لطف احدهم صوته وهو يهدىء من عصبيته :

- له حق .. كل الحق .. لكن الرجل جاء بنفسه ليؤكد لك انه لا يطمع في كثير .

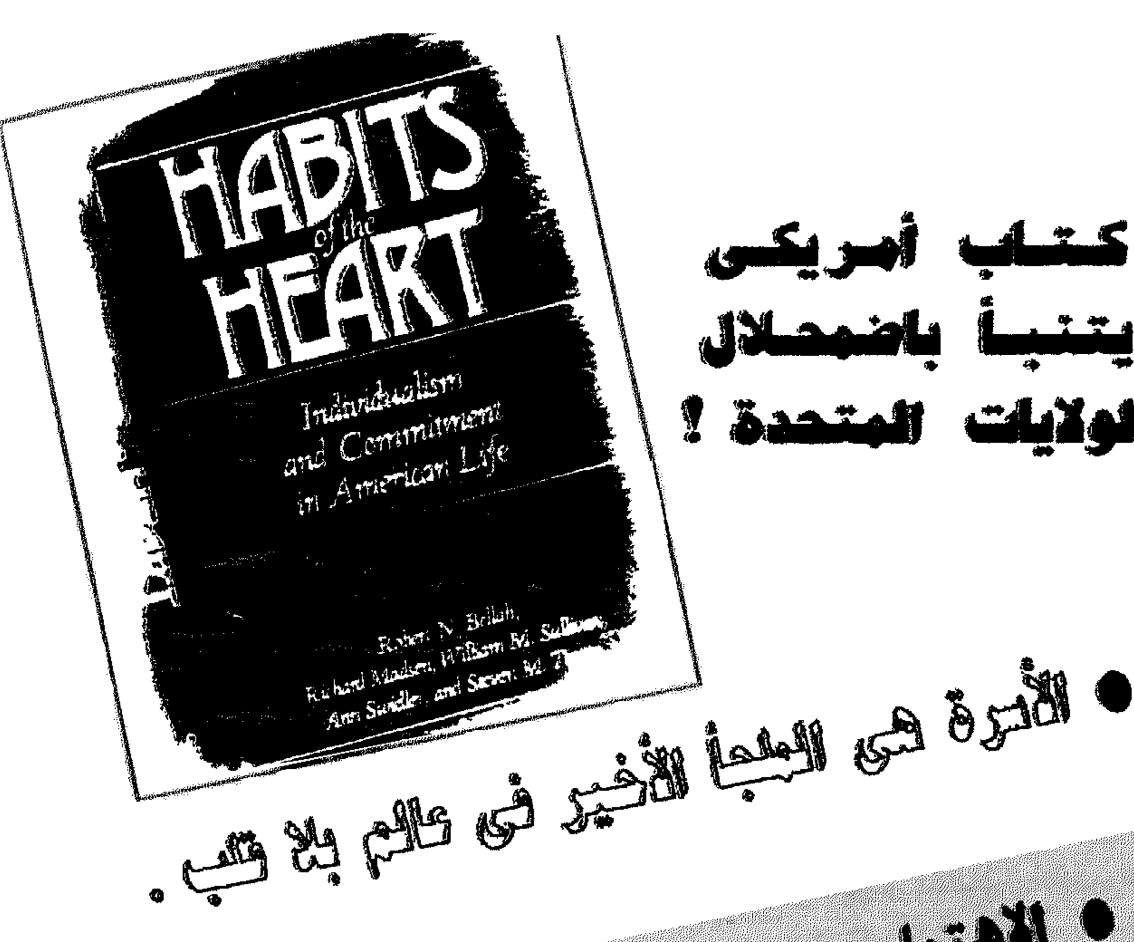
اضاف اخر :

- يمكنك ان ترضيه بما تجود به نفسك ، وهو في كل الحالات من دمك ولحمك .

استحسن الكل الفكرة .. واطرق الواطن مرتضى الماحي، شعر انه متسول رخيص او معوق صامت يستجدي الاخرون باسمه حسنة تفيض ، تضاءل وانكمش وتصبب العرق من كل مسام جسمه فارتعش ، قام على غير توقع منهم ومشى صامتا متغاضيا عن كل العبارات التي سمعها ولم ينشغل بتفسيرها او الرد عليها .. وعند الطريق الزراعي وقف بالية يطل على السيارات التي ترسل اضواءها من بعيد فتبدو العتمة المسيطرة .. ولا يدري كيف ولا متى ركب تلك السيارة التي تتجه نحو المدينة ، حتى الوجود اختلطت وما عاد قادرا على تمييزها او تسميتها لنفسه بينما يستعيد الامر من اوله ويحاول تفسيره وقد ابتعد .

●

كان الملف في يده وقد حسم امره تماما وكانت هي تبدو سعيدة لانه صحا لنفسه واعلنها صريحة بانه سوف يستمر في مشواره سعيا لاستعادة حقه لاخر نفس في عمره ..



كتاب أمريكى يتنبأ باضمحلال الولايات المتحدة !

- الأسرة هى الملجأ الأخير فى عالم بلا قلب .
- الاهتمام بالذات أدى إلى صعوبة الزواج .
- الأمريكان أكثر الشعوب عصبية .

عرض وتعليق بقلم :
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

هذا الكتاب دراسة قامت بها مجموعة بحث فى احدى الجامعات الأمريكية ، حول القيم والحياة الأمريكية . وطبعت منه كما تعودت دور النشر الجامعية أعداد محدودة .

ولكن سرعان ما لقى إقبالا واسعا من القراء وأعيد نشره وحقق أعلى الأرقام توزيعا ، فهو عرض ونقد للحياة الأمريكية ، سلبياتها وايجابياتها ، وعنوانه : عادات القلب الفردية والالتزام فى الحياة الأمريكية .

وقد جرى تأليف هذا الكتاب عن طريق العمل الجماعي بدلا من تخصيص قسم منه لكل باحث . وقد قام كل من الباحثين بوضع مسودة الموضوع الذى كلف بكتابته ثم جرى عرضها على المؤلفين جميعا وتطويرها عن طريق المناقشات الجماعية التى أعيد على ضوئها كتابة الموضوع وفى النهاية قام بللاه Bellah بمراجعة الكتاب وضبطه ككل بهدف توحيد الأسلوب ووجهات النظر .

ويتناول هذا الكتاب التغيرات التى طرأت على الحياة الأمريكية خلال قرنين من الزمان ـ ففى القرن التاسع عشر ارتبطت بوحدات جغرافية صغيرة تبرز فيها العلاقات الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها أجزاء من حياة مشتركة أكبر ـ ثم ازداد تدخل المجتمع بالتدريج كما ازداد تكامله اقتصاديا وتقنيا ووظيفيا . ففى مدن أواسط القرن التاسع عشر الصغيرة كان من الواضح أن عمل كل فرد يصب فى مصلحة المجموع وأنه يشكل علاقة أخلاقية بين الناس بدل كونه مصدر منافع مادية أو نفسية . ولكن بظهور مجتمع الصناعات الكبيرة ازدادت صعوبة اعتبار العمل إسهاما اجتماعيا وأصبح يعتبر نشاطا مرتبطا بالمصلحة الذاتية . وقبل ذلك كانت الحياة الخاصة وأنماط أوقات الفراغ وشغلها تعكس الوضع الاجتماعى وبالتالى ترتبط بالطبقة الاجتماعية ، وبالتدريج أصبح الوضع الاجتماعى والطبقة الاجتماعية يرتبطان بصورة متزايدة بنظام وظيفى قومى ويقل اعتمادها على الجماعات المحلية فى الوقت الذى تضاعفت فيه الحريات الخاصة بصورة لم يكن ممكنا تصورها فى المدينة الصغيرة أو حتى فى النخبات الحضرية القديمة . وما حلت عشرينات القرن العشرين حتى أصبح الاهتمام بالتعبير عن أسلوب الحياة أكثر وضوحا فى القطاعات الأكثر ثراء من المجتمع الأمريكى ولو أن الرأى العام كان لايزال موزع المشاعر فى الوقت الذى عرفت فيه البلاد تدفق الهجرات الخارجية التى جعلت الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر تتعرض للتنوع الثقافى مما جعل الأمريكان أميل إلى التسامح . ويقوم أسلوب الحياة المعاصرة فى الولايات المتحدة على درجة من الاختيار الشخصى تحرره إلى حد كبير من الفواصل العرقية والدينية وربما كان ظهور أنماط الحياة الجديدة أكثر وضوحا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ومن الممكن أن نطلق عليها اسم «ثقافة الشباب» هنالك ظهر نمط جديد لملء أوقات الفراغ ولاختيار الملبس والذوق المرتبط بأشياء مثل الموسيقى أو الطعام مما ميز الشباب دون ربط ذلك بأصلهم العرقى أو الدينى ، ورغم أن تنوع أسلوب الحياة قد يكون أبرز فى المدن الكبرى حيث لاتشترك المجموعات البشرية إلا فى طريقة ملء أوقات الفراغ فإن كثيرا من مظاهر الحياة الأمريكية فى الوقت الحاضر يمكن اعتبارها تنوعا فى أسلوب التناول ـ وبدا أن الانسلاخ عن الماضى جزء من التراث الأمريكى فقد تطورت الأفكار الخاصة بالذات وبالأسرة والدين والعمل بعد أن بارحت الأجيال القديمة مقارها وكنائسها ووظائفها لتبدأ من جديد . فحين لم يعد ثمة نمط موضوعى للصواب والخطأ والخير والشر أصبحت الذات ومشاعرها هى المرشد الأخلاقى الوحيد . ولكن ماهو نوع العالم

كتاب أمريكي يتنبأ باضمحلال الولايات المتحدة



الذى تقطنه هذه الذات التى تتطور باستمرار ولكن دون غاية أخلاقية محددة ؟ فلكل فرد الحق فى أن يكون له - أولا - «حيز صغير» خاص به ، وهو يتمتع بالحرية التامة داخل حدود هذا الحيز . ومن الناحية النظرية على الأقل نجد أن هذا الحق المدنى والنفسى يشمل كل شخص بغض النظر عن جنسه وعرقه أو نظام قيمه طالما أن ممارسته لهذا الحق لا تجور على حق الآخرين فى أن يعملوا نفس الشىء .

● غموض لايمكن إغفاله

ولاترشدنا الثقافة الأمريكية كثيرا عن كيفية ملء تعرجات هذه الذات المستقلة ذاتيا والمسئولة عن نفسها ، ولو أنها تشير إلى ناحيتين هامتين إحداهما العمل الذى هو المجال الأمثل للفردية النفعية . ويفترض الآن أن بإمكان الرجال بل النساء أن يعتمدوا على أنفسهم فى مجال العمل . أما الناحية الأخرى فهى أسلوب الحياة - الذى هو المجال الأمثل للتعبير عن الفردية - إذ من المفترض أننا نستطيع العثور على مجموعة من الأشخاص المتعاطفين - أو على الأقل على شخص واحد متعاطف - يمكننا أن نقطع معهم أوقات فراغنا ونحن ننعم بمشاعر القبول والسعادة والحب . ولكن المؤسسات والآخرين هم مرآة أنفسنا ، إذ لسنا أهدافا فى حد ذاتها سواء باعتبارنا أفرادا أو جماعات ، بحكم أننا أجزاء من كل أكبر يمكننا أن ننساه أو أن نتصوره وفق صورتنا دون أن ندفع ثمنا باهظا . فمنذ تدفق السكان على الولايات المتحدة حتى أواخر القرن الثامن عشر فى الحواضر - وحتى مابعد ذلك - فى المناطق الريفية كانت الأسرة كلا يتعاون اقتصاديا ، بحيث كان الأباء والزوجات والأبناء يعملون سويا فى المتجر لتحقيق الفائدة المشتركة للأسرة . وفى إطار هذا النمط كان الأب مسئولا عن سلام ونظام «حكومة أسرته» - فهو الذى يحدد وظيفة الأبن ويقرر الزيجات ويشرف على أملاك زوجته ، بل على أجرها إذا ما كان لها أجر . أما الأسرة الجديدة فى أوائل القرن التاسع عشر فلم تنعم بالمساواة ولو أنها أصبحت تقوم على الاختيار الحر بشكل لم يسبق له مثيل . فقد تقلصت إلى حد كبير سلطة الأب على الأبناء الذين أصبحوا يختارون أعمالهم ورفيقات حياتهم . ولم يعد النساء يخضعن لسيطرة الرجل ، بعد أن ارتبط نمط الأسرة الجديد ارتباطا وثيقا بالاقتصاد التجارى والصناعى الجديد . وقد أدى هذا التغير إلى القضاء على المهام الاقتصادية للسيدات الموسرات اللاتى أقتصر نشاطهن على الاقتصاد المنزلى بعد أن كن يسهمن فى أعمال الأسرة وإن يكن وضعهن الاجتماعى قد ازداد أهمية . ومع ازدياد الثراء أصبحت النساء يتلقين التعليم ولكن فى «أكاديميات النساء» فى معظم الأحوال ، وأمكنهن الاشتراك فى الارتباطات الاجتماعية بمحض اختيارهن ولو أن ذلك كان يتم فى معظم الأحوال فى جمعيات ترتبط بالكنائس . وخلال الثلاثينات من القرن العشرين كان رجال الدين هم الذين يكتبون كثيرا من المادة التى تقدم للنساء

والتى كانت تمجد «مجال المرأة» باعتبارها بؤرة للسلام والوئام والحب والتفانى فى مواجهة أنانية «العالم» وانعدام أخلاقه . وفى خلال هذه الفترة برزت للمرة الأولى الأيديولوجية الخاصة بالأسرة باعتبارها ملجأ فى عالم لاقلب له . وكانت هذه الفكرة لاتزال مسيطرة على من التقى معهم الباحثون .

● إنجاب الأطفال بقرار مسبق !!

نخلص إلى اتساع مجال القرارات الفردية وبخاصة لدى الطبقة الوسطى التى هى أهم الطبقات فى الولايات المتحدة . فلم تعد الأسرة الصغيرة معزولة وهو ما يذهب إليه البعض ، ولو أن الاتصال بالأقارب خارج نطاق الأسرة الصغيرة اصبح يتوقف ليس فقط على القرب الجغرافى بل أيضا على التفضيل الشخصى وأصبحت العلاقات بين الوالدين والأطفال بعد أن يبارح هؤلاء الآخرون المنزل تعتمد على التفاوض واتسع مجال القرار الفردى داخل نطاق الأسرة ، فلم يعد مما يشين أن يظل المرء "عزبا" وليس معنى هذا انتهاء الضغط الاجتماعى من أجل الزواج ، بل إن كل الذى حدث أنه اصبح أضعف منه فى أى فترة أخرى من فترات التاريخ الأمريكى . وأصبح إنجاب الأطفال يتم طبقا لقرار مسبق وكذلك الحال بالنسبة إلى عددهم ، وبالتالى اختفت الأسرة الكبيرة . وأصبح الطلاق اكثر قبولا منه فى أى وقت مضى باعتياره مخرجا من زيجة غير سعيدة ، كما اصبحت مساواة المرأة بالرجل أمرا معترفا به . وكل هذا مما جعل الزواج أمرا اصعب مما كان وذلك بحكم أن الأمريكان اصبحوا يهتمون بالذات رغم إيمانهم بالحب الذى هو لدى المسيحيين شىء يرتبط بالعقيدة الدينية ويضع الواجب فوق تقلبات الشعور ويحض على التضحية بالمصلحة الشخصية فى سبيل مصلحة الآخرين . ورغم أن معظم الأمريكان يتوقون إلى الحب الدائم إلا أن القليلين منهم على استعداد لقبول الزواج الأبدى على أساس الانجيل وحده . والمرأة اكثر من الرجل برما بالزواج ، لأن زوجها لايزال يتوقع منها أن تقوم بالعمل فى البيت وخارجه وأن تتولى تربية الأطفال . ورغم تحرير المرأة فلا تزال تخصص لها الأعمال الأقل أهمية والأجور الأقل ، هذا برغم بدئها اقتحام الأعمال التى كانت مخصصة للرجل لهذا لم تعد تؤمن بأنها الجانب الذى عليه أن يقدم التضحيات للآخرين .

ونتيجة لكل ما سبق اصبح الأمريكان اكثر الشعوب عصبية ولجوءا إلى العلاج النفسى بعد أن تفكك القالب القديم وقويت الفردية وتسابق الجميع من أجل الربح والنجاح . ورغم تحدث الأمريكان عن حرية الأفراد وعن الفروق الثقافية فإنهم يهملون العلاقة بين المجموعات التى يختلف بعضها عن البعض الآخر فى النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كما يخشون تسلط قوة سياسية على القوى الأخرى فى مجتمع تسوده الراسمالية ووسائل الاتصال الحديثة وتوجد فيه الشركات الضخمة التى تسيطر على قطاعات هامة فى الأسواق وترهقه الصناعات المرتبطة بالدفاع التى لا تحصى نفقاتها وتتقدم فيه التقنيات التى تضخم السيطرة

كـتـاب أمريكـي يتنبـأ باضمحـلال الولايات المتحدة



المركزية على المال والانتاج والتسويق وما إلى ذلك . رغم ذلك فان كثيرا من الأمريكان يدركون الآن أن المؤسسات الضخمة أيا كان خطرها انما هي جزء من الواقع الاجتماعي السائد في أواخر القرن العشرين وأن ضعضعة الادارات الحكومية التي تقوم بالتنظيم ليست في الواقع أمرا مرغوبا فيه . ونتيجة لهذا الادراك تتضخم الهوة وتدفع الكثيرين الى الاعتقاد بأن «القيادة الفعالة" التي تستعين بـالمهارة التقنيـة يمكنها مـواجهة مشـاكل التعقيـدات غيـر المنظورة . ويخلص مؤلفو هذا الكتاب الى انه أيا كانت التعقيدات المصاحبة لتطور الدولة فمن الواجب التركيز على بث الشعور بالمواطنه في الادارات الحكومية ذاتها وهو الشعور الذي رغم وجوده يؤثر فيه كثيرا الشك في الحكومة وفي السياسة وفي فكرة الادارة الفعالة غير الشخصية . كما يدعو إلى زيادة هيبة الحكومة بدلا من إضعافها ـ ذلك لكي يمكن تقليص خطر الطغيان الإداري خاصة وأن الامريكان دأبوا ، في الأوقات التي تواجه فيها البلاد صعوبات لا يمكن للنظام القائم أن يجد لها حلولا ، على البحث عن تصورات جديدة للحياة الاجتماعية لا ترتبط بالأحزاب السياسية كما يحدث في المجتمعات الأوروبية بقدر ما ترتبط بحركات اجتماعية لها تاريخ طويل في الولايات المتحدة منذ القلاقل التي سبقت الاستقلال ، وهذه الحركات الاجتماعية متنـوعة وتحظى بمساندة الكنائس والجماعات القائمة، وكثيرا ما أدت الى قيام مؤسسات عامة جديدة أمكنها في بعض الاحيان أن تغير مجرى الحياة القومية .

● ثروة لا تجلب السعادة

والدين من أهم الوسائل التي تمكن الأمريكان من الانخراط في حياة جماعية . وهم يقدمون للهيئات والتنظيمات المرتبطة بالدين الأموال ويكرسون لها من الوقت ما يفوق كثيرا مما يكرسونه لكل الهيئات القائمة على الاختيار الحر فحوالي ٦٠٪ من الأمريكان يشتركون في جماعات دينية ، كما أن حوالي ٤٠٪ يحافظون على أداء الصلوات الدينية على الأقل مرة في الأسبوع ، وهي نسبة تفوق كثيرا ما يوجد في أوروبا الغربية أو حتى في كندا ، وهكذا تكثر في الـولايات المتحـدة الجمعيات الدينية ومنها جمعيات محاربة تجارة الرقيق .

ويذهب مؤلفو الكتاب إلى أنه رغم غنى أمريكا فإن ثمة دولا أغنى منها وإلى أن الأمريكان ـ رغم غنـاهم ـ فقراء لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم بحكم أن ثروتهم لم تجلب لهم السعادة ولأن استعداداتهم العسكرية لن تنجيهم من الدمار النووي . ولهذا يدعون إلى مشاركة ثروتهم مع الآخرين بدلا من الاعتقاد بأن الأمريكي مخلوق متميز .

ورأينا في هذا الكتاب أنه يمثل محاولة

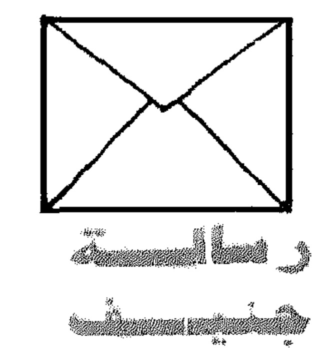


الدولة الصهيونية على الأرض العربية وما استتبعه ذلك من آثار مدمرة بالنسبة إلى العالم العربى الذى عانى من أربع حروب مع هذه الدولة ، دع عنك تخريبها للبنان وضربها للمفاعل العراقى واعتداءها على تونس . وكل ذلك ، أو جله ، ناتج عن مساندة الولايات المتحدة للأطماع الصهيونية وخضوعها لضغوط اللوبى الصهيونى الموجود داخل أراضيها .

جديدة للتأليف الجماعى القائم على الحوار وطرح محتواه على القراء ليبدوا آراءهم . ولقد وفق المؤلفون فى طرح سلبيات وإيجابيات الحياة الأمريكية التى ثبت أنها تجتذب غير الأمريكيين الذين يقتدون بها دون موازنة ودون اختيار ما يناسب تراثهم وثقافاتهم . وهكذا أدى الاقتباس الأعمى عن الأنماط الأمريكية الى انتشار أفلام رعاة البقر والموسيقى الصاخبة والهامبورجر وغير ذلك فى مناطق كثيرة من العالم تتأثر أجيالها الصاعدة بسلبيات الحياة الأمريكية دون أن يقلدوا دأب أبناء العم سام على العمل المتواصل المرهق أحيانا واستقطابهم للعقول المفكرة من شتى أنحاء العالم مما ساعدهم على تطوير بلدهم بحيث أضحت من أقوى دول العالم من الناحية المادية وإن يكن ذلك قد أورث الأمريكان قدرا كبيرا من الغرور الذى ورطهم فى أخطاء جسيمة فى بقاع كثيرة من العالم . نتيجة لاتباعهم أسلوب «العصى الغليظة » وعدم اكتراثهم بمشاعر الآخرين ونظرهم إلى الأمور من زاوية المصالح الأمريكية وحدها . ولقد قاسينا ـ نحن العرب ـ ولانزال نقاسى من زرع

حقيقة إن الولايات المتحدة فتحت ذراعيها للوافدين عليها من شتى أنحاء العالم واقامت مجتمعا يتمسك بالحرية الفردية ويندد بالطغيان ويتصدى له قدر طاقته ، إلا أن التوفيقات التى اصابتها قد ادارت راسها وجعلتها تهدد أجزاء كثيرة من العالم فى ثروتها ووجودها ذاته خاصة وقد ساعدت على إزاحة الاستعمار القديم عن كثير من بلدان العالم القديم لكى تسيطر عليها هى باساليب جديدة يربطها البعض بالامبريالية الجديدة التى اضحت الولايات المتحدة مصدرا لها ولا شك أن الفردية السائدة فى الولايات المتحدة لا تكفى لمواجهة البلدان التى يقوم فيها العمل على أساس جماعى ، كما هو الحال فى بعض بلدان الشرق الأقصى ، فلقد تنبأ أوزفالد شبنجلر باضمحلال الغرب فى الوقت الذى كان يسيطر فيه على العالم ، وتنبأ مؤلفو الكتاب الذى نقدمه للقراء العرب باضمحلال الولايات المتحدة فى الوقت الذى تبدو فيه وكانها قد هيمنت على مصائر البشرية .

الدول العظمى



رسالة جنيف

بقلم: جميل عطيه إبراهيم

قفز الى مكان متقدم من الاهتمامات الدولية فى الآونة الاخيرة ، موضوع المصنفات الادبية والفنية ، فلم يعد مقصورا على مؤلف مشهور او على طبقة من المؤلفين ، ولكنه مطروح كجزء من تجارة السلع والخدمات التى تهيمن عليها الدول الكبرى ..

لا اعتقد أن فوز الاستاذ نجيب محفوظ بجائزة نوبل واقبال دور النشر العالمية على شراء حقوق ترجمة ونشر اعماله الادبية قد اثار جدلا واسعا حول مسألة كيفية توفير الحماية للمصنفات الادبية والفنية وبراءات الاختراع والعلامات التجارية فى البلدان العربية وعلى النطاق العالمى فى ظل الظروف الحالية فى مصر بدرجة كافية .

والدافع لكتابة هذه الرسالة من جنيف ليس الدفاع عن حقوق الاستاذ نجيب محفوظ ـ وهى جديرة بالدفاع عنها ـ ولكن لان مسألة المصنفات الادبية والفنية وبراءات الاختراع والعلامات التجارية قد اصبحت ورقة رابحة فى يد الدول العظمى ، وقد نجحت الولايات المتحدة الامريكية فى فرض ارادتها بمعاونة الدول الغربية المتقدمة على المجتمع الدولى باعتبار الكتاب او الفيلم موازيا لصناعة المنسوجات والمسألة الزراعية والمقصود بهذا القول هو انه اذا وجدت نسخة مزورة من كتاب ما فى بلد او شريط اغنية مزور يحق اتخاذ اجراءات انتقامية ضد هذه الدولة ومقاطعة صادراتها او وقف التجارة معها .

الامر جد ولا مزاح فيه ، فبعد تعثر المفاوضات بين الدول الغنية والنامية لعدة سنوات ، لم تنتظر الادارة الامريكية فى عهد الرئيس السابق ريجان نتائج المفاوضات حول هذه المسألة واصدرت قانونا جديدا للتجارة عرف باسم قانون التجارة الامريكى الجديد لسنة ١٩٨٨ تضمن المبادىء التى كانت تطالب الولايات المتحدة الامريكية بها فى المفاوضات ووضعها موضع التنفيذ الفورى ، وقد اصدرت الولايات المتحدة الامريكية وفقا لهذا القانون بيانا بالدول التى تنتهك تلك المبادىء وقسمتها الى فئتين: دول يجب معاملتها بحسم لجسامة الانتهاكات وتستحق توقيع عقوبات عليها وتتضمن ثمانى دول منها : البرازيل ـ الهند ـ المكسيك ـ كوريا ـ السعودية ـ تايوان ـ تايلاند .

لعبتها حقوق الأدباء والفنانين



نجيب محفوظ



لويس عوض

وقائمة اخرى انتهاكاتها ليست جسيمة من وجهة نظر الحكومة الامريكية ولا يتعين توقيع عقوبات عليها ومن بينها مصر - ايطاليا - باكستان - اليابان - تركيا - الارجنتين - كندا ٠

هذه الانتهاكات تتعلق بمبادىء وضعتها الولايات المتحدة بعيدا عن الاجماع الدولى وتطالب بتنفيذها واحترامها بينما الدول الاخرى لاتجد نفسها ملتزمة بالضرورة بتطبيقها او وضعها موضع اعتبار ٠

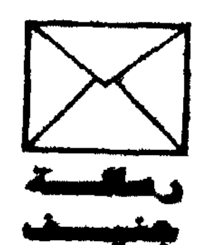
وما يجرى على الساحة الامريكية يؤكد ان قضية المصنفات الادبية والفنية وحقوق المؤلف وبراءات الاختراع والعلامات التجارية قد انتقلت الى مرحلة اخرى تمس مصالح الدول النامية على الساحة الدولية خاصة ان الدول النامية مشغولة بموضوع حقها فى نقل التكنولوجيا ووجوب اتاحة الفرص لها بشروط ميسرة للولوج الى هذا العالم الجديد ٠

واذا كنا قد بدأنا بالاشارة الى ما اتخذته الولايات المتحدة من اجراءات حازمة باصدارها هذا القانون فان الوضع حول موائد المفاوضات اكثر تعقيدا ٠

والغريب أن هذا الصراع الشرس الذى تخوضه وفود الدول النامية فى جولات المفاوضات المتتالية فى المنظمات الدولية واخرها فى جنيف من ديسمبر الى يوليو الحالى يجرى ويتم فى معزل عن الرأى العام فى تلك الدول - وذلك فى الوقت الذى تسعى فيه الدول العظمى لتشكيل نظام عالمى جديد يحقق مصالحها على حساب الدول النامية ٠

ومن الملاحظ ان ابعاد معالجة هذه المسألة قد انتقلت فى السنوات الاخيرة من مرحلة البحث عن تفاهم بين الدول الى مرحلة التهديد وفرض الامر الواقع ٠ وربما من الافضل تناول اهم الاليات الدولية والاتفاقيات التى تنظم هذه الامور وكيفية معالجتها وانتقالها من منظمة عالمية الى اخرى لرصد المسارات التى اتخذتها المفاوضات وبيان التهديدات الغربية ٠

من اهم الاتفاقيات التى تنظم امور المصنفات الفنية والادبية والحماية الدولية للملكية الصناعية اتفاقيتان مشهورتان احداهما تتعلق بحقوق المؤلف وتعرف باتفاقية برن او الاتفاقية الخاصة بحماية المصنفات الادبية والفنية لسنة ١٨٨٦ ٠والاتفاقية الاخرى تختص بالحماية الدولية للملكية الصناعية « براءات الاختراع» العلامات التجارية - نقل التكنولوجيا وتعرف باتفاقية باريس وتعود الى سنة



رسالة جنيف

١٨٨٣ · بالاضافة الى مجموعة اخرى من الاتفاقيات حديثة العهد وبعضها يرجع الى سنة ١٩٧٨ وتختص بتسجيل الاكتشافات العلمية خاصة بعد التقدم الهائل فى علوم الهندسة الوراثية ·

● اتفاقيات المصنفات ● الفنية والادبية

تعتبر اتفاقية برن من اكثر الاتفاقيات المثيرة للجدل فى الدول النامية وقد انضمت لها حتى مارس ١٩٨٩ ثمانون دولة فقط ـ وكانت آخر دولة قد أعلنت انضمامها رسميا لهذه الاتفاقية هى الولايات المتحدة الامريكية حيث اودعت وثائق الانضمام فى المنظمة العالمية للملكية الفكرية فى ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ على ان يكون انضمامها سارى المفعول منذ اول مارس ١٩٨٩ ·

وقد انضمت من الدول العربية الى اتفاقية برن ٦ دول هى مصر وليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا ولبنان اما بقية الدول العربية فقد اتخذت موقفا اكثر حذرا ورفضت الانضمام الى هذه الاتفاقية ·

ومن المعروف ان اتفاقية برن بتعديلاتها المختلفة ترعى حقوق المؤلف ومصالحه المالية والادبية وتمتد الى المصنفات الادبية بكافة اشكالها والمصنفات الموسيقية والتصويرية والافلام والخرائط الجغرافية ولم تترك مجالا من مجال الابداع الا وقننته تقنينا دقيقا حتى اشكال حروف الطباعة تعرضت لها ·

وقد عدلت هذه الاتفاقية سنة ١٩٧١ واضيفت اليها ٦ مواد اطلق عليها « احكام خاصة بشأن الدول النامية » والغرض منها معاونة الدول النامية فى الاستفادة من احكام هذه الاتفاقية غير ان دراسة هذه المواد توضح بجلاء انها غير كافية لتلبية احتياجات الدول النامية ·

● تجريم سرقة العمل الابداعى

بعيدا عن الخوض فى تفاصيل هذه الاتفاقيات المختلفة سواء اتفاقية برن أو اتفاقية باريس نود الاشارة الى ان سرقة الابداع الادبى أو الفنى جريمة لا تغتفر ، وهذا مبدأ يقر به الجميع ، ولكن الخلاف لا يدور حول الاعتراف بملكية صاحب العمل الفنى ولكن كيفية الاستفادة به وطرحه على الجماهير العريضة التى من حقها أيضا الاستفادة منه · فجوهر المسألة يتعلق بحق الاخرين فى الاستفادة بالكتاب او القطعة الموسيقية أو الاختراع مع الاعتراف بأن المبدع له حقوق معترف بها ـ وقد سبق للدكتور لويس عوض أن عرض رأيا هاما عندما أبدت مصر رغبتها فى الانضمام الى اتفاقية برن فى السبعينات أثناء تولى الدكتور جمال العطيفى مسئولية وزارة الثقافة حيث طالب الدكتور لويس عوض بالتريث فى الانضمام الى هذه الاتفاقية على ان تقود مصر حملة داخل منظمة اليونسكو تطالب فيها بأن تتحمل منظمة اليونسكو تعويض المبدعين الغربيين عن حقوقهم وفى مقابل تعويضهم عن حقوقهم تنهل الدول النامية من هذا النبع بالترجمة والنشر الرخيص دون سؤال او طلب اذن ودون قيود ·

وقد أسس الدكتور لويس عوض

دعوته على مبدأ الشرعية الدولية أيضا فالكنوز التى نهبتها الدول الاستعمارية من العالم الثالث وتعرضها فى متاحفها تكفى لسداد التزامات الدول النامية لمئات من السنين .

وطبعا ضاعت هذه الدعوى ولم تجد من يتبناها سواء فى مصر أو فى الخارج ، واذا كان الدكتور لويس عوض قد اهتم فى دعوته بموضوع المصنفات الادبية والفنية فان موضوع براءات الاختراع وحق الدول النامية فى الحصول على التكنولوجيات الحديثة أصبح مقلقا فعقود توريد المصانع الى الدول النامية أصبحت تتضمن شروطا صعبة ، ومن أشهر الامثلة التى يتندر بها فى أسى فى اروقة الامم المتحدة ويتعلق بعقود الاذعان فى نقل التكنولوجيا ان دولة نامية وفقيرة جدا استوردت مصنعا متقدما جدا لتصنيع القطن وبعد بناء المصنع وجدت الدولة النامية نفسها فى موقف لا تحسد عليه فالقطن الذى تنتجه لا يناسب هذا المصنع المتقدم وفشلت جهودها فى محاولة تشغيله فلما رأت بيعه لدولة نامية ثالثة ، رفضت الدولة الاولى التى باعت لها المصنع السماح لها بالبيع ـ لان من شروط العقد عدم تصدير هذه التقنية المتقدمة لدولة ثانية .

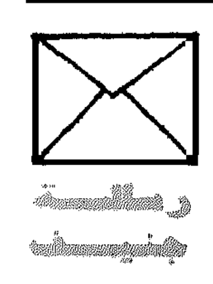
وفى الواقع مشاكل نقل التكنولوجيا معقدة الى حد مقلق بالنسبة للدول النامية وقد سعت الدول النامية فى اطار منظمة التجارة والتنمية «الانكتاد» الى التوصل الى اتفاق يسهل نقل التكنولوجيا الى الدول النامية ولكن المفاوضات لم تحرز تقدما يذكر بعد عشر سنوات من المفاوضات .

ومن الامثلة الاخرى التى تتعلق بنقل التكنولوجيا : استوردت دولة نامية مصنعا ثم ادخلت عليه تعديلات هامة ، ووفقا لعقود الاذعان الحالية ليس من حق الدول النامية تصدير التعديلات التى ادخلتها لدولة ثالثة .

لقد احسنت الدول النامية بنقل قضية نقل التكنولوجيا الى منظمة مؤتمر التجارة والتنمية « الانكتاد » والاوراق والمناقشات التى تدور حول موضوع نقل التكنولوجيا تكون أدبيات غنية مليئة بالاراء الثاقبة التى قدمتها الدول النامية الى درجة انه اصبح هناك أساتذة قانون دولى يتخصصون فى دراسة موضوع نقل التكنولوجيا من الناحية القانونية البحتة (ولمن يود المزيد حول موضوع نقل التكنولوجيا يمكنه الرجوع الى الدراسة الهامة التى اصدرها الدكتور حسام محمد عيسى بالعربية بعنوان : نقل التكنولوجيا ـ دراسة فى الاليات القانونية للتبعية الدولية : دار المستقبل ١٩٨٧) .

ولم يكن الغرض من هذه الرسالة مناقشة تفاصيل هذه الاتفاقيات ولكن تتبع المسارات التى اتبعتها الدول الغربية فى الترويج لهذه الاتفاقيات على مدى عدة عقود حتى انتهت بالتهديد ووضع الكتاب فى مقابل القمح وشريط الفيديو أو الاغنية فى مقابل القروض .

اتبعت الدول الغنية سياسة الخطوة خطوة على مدى عدة عقود فى الترويج لاتفاقيات برن وباريس وغيرها وتقييد الدول النامية بها ، وقد تمكنت فى خبث شديد من تنظيم صفوفها فى مواجهة الدول النامية التى كان يطلق عليها سابقا الدول المتخلفة وعملت على انشاء منظمة عالمية جديدة لحماية الملكية الفكرية ومقرها جنيف واعتبرت احدى الوكالات المتخصصة التابعة



لمنظمة الامم المتحدة وقد تأسست هذه المنظمة بموجب اتفاقية تم توقيعها في استوكهلم سنة ١٩٦٧ بعنوان « اتفاقية انشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية» ودخلت حيز التنفيذ سنة ١٩٧٠ وأصبحت هذه المنظمة وكالة متخصصة تابعة للامم المتحدة في ديسمبر ١٩٧٤.

وكما هو واضح فان انشاء هذه المنظمة قد جاء متأخرا عن الاتفاقيات الشهيرة فاتفاقية برن يرجع تاريخها الى ١٨٨٦ كما قلنا • والغرض من انشاء هذه المنظمة هو تشجيع الدول على الانضمام الى الاتفاقيات السابق الاشارة اليها ومساعدتها في تكوين الكوادر التي تقوم بمهمة المتابعة والرقابة وتنشط هذه المنظمة في اقامة وتنظيم ندوات للعاملين في الدول النامية وسعت ذات مرة لتوقيع اتفاقية مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس •

ومن الجدير بالذكر ان الدول في مقدورها الانضمام الى هذه المنظمة بغض النظر عن انضمامها الى اتفاقية برن أو باريس أو رفضها لهما وقد انضمت الى هذه المنظمة ١٤ دولةعربية من منطلق متابعة ما يجري في أروقة هذه المنظمة عن كثب •

واذا كانت جهود اجيال المثقفين في الدول النامية في سنوات المد الشوري في السابق قد تركزت على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد عجزت عن سحب البساط من الدول الغنية ودراسة هذه الموضوعاتفي اطار خطط التنمية بالدول النامية ونقلها الى ساحة الجمعية العامة للامم المتحدة ومنظمة اليونسكو • ومن الملاحظ ان الدول المتقدمة بعد انشاء المنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية قطعت خطوة أخرى أشد خطورة وهي نقل موضوع المصنفات الفنية والادبية والبراءات والعلامات التجارية الى منظمة الجات وهي المنظمة التي تختص بموضوعات التجارة والتعريفة الجمركية بموجب الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية •

وعلى الرغم من ان الاتفاقية العامة نصوصها واضحة وتتعلق بأمور التجارة والسلع والقيود الجمركية وتسعى لتشجيع التجارة العالمية وازالة المعوقات فقد نجحت الولايات المتحدة الامريكية منذ عدة سنوات في فرض ادخال موضوع الخدمات الى جولة المفاوضات وبعدها استطاعت جر المنضمين الى الاتفاقية الى مناقشة موضوع المصنفات الفنية والادبية ونقل التكنولوجيا •

وقد قبلت الدول النامية العروض الامريكية على مضض وحاولت تأجيل النظر فيها بكل السبل • وتتلخص المطالب الامريكية حاليا في المطالبة بوضع قواعد جديدة في اطار منظمة الجات أو الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة لحماية الملكية الفكرية ووضع التشريعات اللازمة لهذه القواعد الجديدة فضلا عن وضع نظام جديد لحل المنازعات حول هذا الموضوع وفرض اجراءات انتقامية ضد التقاعس والاهمال في تنفيذ هذه القواعد •



العالم في سطور

• القاهرة •

انشاد وانشاء في الأوبرا

قبل ايام زارت القاهرة فرقة كورال من اشهر فرق المدارس في العالم ، الا وهي فرقة كورال مدرسة الغناء ببلچيكا .

واول ما يلاحظ على اعضائها سواء أكانوا اطفالا ام شبابا انه قد جرى اختيارهم بدقة من طلبة مدرسة سان مارك بمدينة آلست .

واخص ما يميز المقطوعات التى انشدتها تلك الفرقة على خشبة المسرح الكبير بدار الاوبرا هو التنوع .

فقد امتع المنشدون باصواتهم العذبة التى لم يكن يصاحبها سوى عزف على آلة بيانو منفرد ، امتعونا بمختارات غنائية من أوبرا « ديدو واينياس » للموسيقار الانجليزى « هنرى بورسيل » ومقطوعات بعضها من قداس الموتى للموسيقار الانجليزى « اندو لويد ويبر » وبعضها الآخر للموسيقار الأشهر « هاندل » .

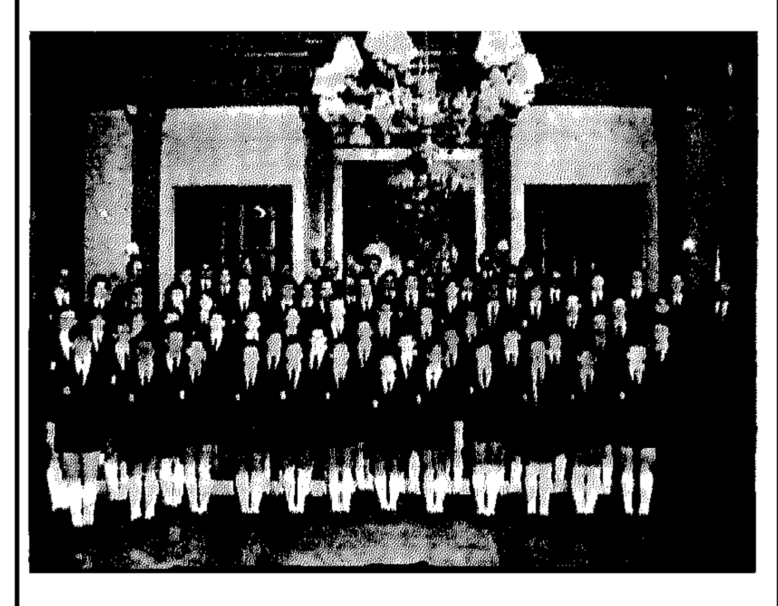
هذا فضلا عن مقطوعات كورالية مختارة من التراث الشائع فى دول أوربا .

وهنا يحسن التذكرة بأن الدكتورة رتيبة الحفنى قد خاضت تجربة تكوين فرقة كورال للصغار مرتين .

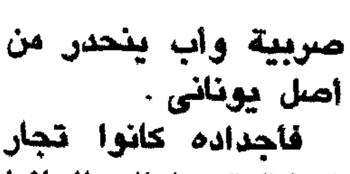
الأولى قبل ربع قرن من عمر الزمن حين اشرفت على انشاء فرقة كورال للأطفال بمحافظة القاهرة .

والثانية الآن فى الأوبرا الجديدة حيث تتخلق فرقة كورال اطفال تحت اشرافها .

والأمل كل الأمل أن يكتب لتجربتها الثانية النجاح والتوفيق فى زمن لا تلقى فيه مثل تلك الفرق لا عناية ولا رعاية .







الأساطير تموت

باختفاء هربرت فون كارايان (١٩٠٨ - ١٩٨٩) من مسرح الحياة يكون قد اختفى اشهر - ولا أقول أهم - قائد أوركسترا سيمفونى طوال حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وعلى كل فبفضل عشقه للموسيقى واستيعابه للغتها ومقدرته الفائقة على استعادة كل ما سمع من انغام حتى انه كان يقود الأوركسترا بدون نوتة مغمض العينين .

بفضل ذلك استطاع أن يصل باوركسترا برلين السيمفونى الى مستوى يقرب من الكمال يجعل منه أعلى أوركسترات العالم شأنا على امتداد ثلاثين عاما أو يزيد .

ومن عجب أنه - ورغم مظهره البروسى القاسى - لم تكن تجرى فى عروقه دماء الألمان .

فقد ولد فى « سالزبورج » من أم صربية وأب ينحدر من أصل يونانى .

فأجداده كانوا تجار اقمشة قدموا الى المانيا نازحين من مقدونيا قبل ثلاثة قرون من عمر الزمان .

ومقابل خدمات قدمها الى الامبراطورية الرومانية المقدسة كوفىء واحد من أولئك الأجداد بتنصيبه فارسا ، الأمر الذى حدا به الى تغيير اسم العائلة من « كارايانيس » الى « كارايان »

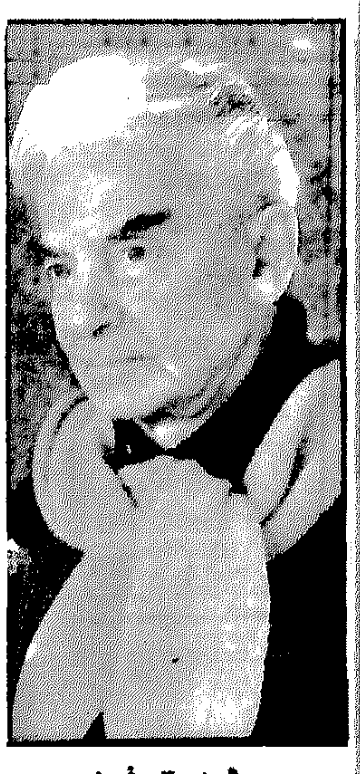
بدأ كارايان حياته مع عالم الانغام عازفا للبيانو .

التحق باكاديمية فيينا للموسيقى حيث درس فن قيادة الأوركسترا .

وخلال عام ١٩٣٣ انضم الى الحزب النازى ابتغاء الحصول على مركز قائد أوركسترا « أخن » .

بعد انتهاء الحرب وتبرئته من تهمة النازية (١٩٤٦) أخذ نجمه فى الصعود .

انشأت أوركسترا الفيلهارمونيا بلندن خصيصا له .



هربرت فون

وفيما بين عامى ١٩٥٥ و١٩٦٤ كان يقود أوركسترا برلين ويدير فنيا كلا من مهرجان سالزبورج وأوبرا فيينا ، كل ذلك فى وقت واحد .

ومع ذلك - ورغم كل ما ناله من شهرة ومجد وثروة - فعندما جنح الى تعيين امراة عازفة أولى للمزمار (كلارينيت) فى اوركسترا برلين ، اذا به يفاجأ بمقاومة غير متوقعة من العازفين اضطرته الى التراجع وهو مغيظ من عبث الأقدار .

● نيويورك ●

● حقائق واكاذيب ●

ثلاثة كتب عن ستالين تنشر فى وقت واحد واغلب الظن ان غيرها كثير فى الطريق .

وأول هذه الكتب "دع التاريخ يحكم" للمؤرخ السوفييتى "روى ميد فيديف" عضو مجلس السوفييت الأعلى الذى جرى انتخابه قبل اسابيع .

وهو فى مؤلفه هذا المشتمل على تسعمائة صفحة يحاول اعادة الحياة لأحداث الماضى فى ظل حكم ستالين الرهيب .

وفى رأيه ان عدد المعتقلين فى الاتحاد السوفييتى ابان فترة المحاكمات الكبرى عقب اغتيال "كيروف" (من ٣٦ وحتى ١٩٣٨) لا يقل عن خمسة ملايين مواطن سوفييتى .

ويرجع صاحب الكتاب نجاح ستالين فى فرض الاستبداد والارهاب الى الغاء لينين جماعات المعارضة داخل الحزب الشيوعى السوفييتى وخارجه ، وما تولد عن ذلك من قيام ديكتاتورية الحزب الواحد .

أما الكتاب الثانى "ستالين وجريمة كيروف" (٣٦٥ صفحة) فلا يعدو ان يكون محاولة من صاحبه الكاتب الانجليزى "روبرت كونكويست" لجمع شتات ما قيل وما كتب حول اغتيال "كيروف" أمين الحزب الشيوعى فى لينينجراد .

وكيف اتخذ ستالين من هذا الاغتيال ذريعة لشن حملات اعتقال ومحاكمات صورية انتهت الى اعدام الالاف .

ومن بين مصادر الكتاب ما جاء فى قصة "اطفال آرابات" للأديب السوفييتى "انا تولى ريباكوف" من روايات متصلة بتلك الجريمة ، معظمها من بنات الخيال .

والاكيد ان "كونكويست" لم يستطع ان يقيم الدليل فى كتابه على زعمه ان "ستالين" كان على علم مسبق بالجريمة التى كانت تدير ضد "كيروف" فى الخفاء .



ستالين

ومهما يكن من أمر الكتاب ، وقدر الأدلة المستند اليها من القوة أو الضعف ، فهو محكم البناء ، يسرد بأسلوب أخاذ كيف اخذت فكرة نبيلة فى التدهور شيئا فشيئا حتى تحول المجتمع القائم عليها اقرب الى جهنم وبئس المصير .

والكتاب الثالث "ستالين" رجل التناقض (٢٠٣ صفحات) من تاليف اكاديمى امريكى "كينيث نيل كاميرون" .

ومن عجب ان منهجه فى دراسة شخصية ستالين ، انما يدور وجودا وعدما حول محاولة تبرئته مما يصفون .

فهو فى نظره لا بالديكتاتور المجنون



بالسلطة ، ولا بالمتآمر الداهية .

انه على العكس من ذلك تماما ، رجل سوى ، عاش حياة نموذجية الى اقصى الحدود ففى شبابه كان يقرض الشعر الثورى مثله في ذلك مثل "شيلى" .

واثناء فترة حكمه نجح ، رغم المثقفين ، في الوصول بروسيا الى برّ الاشتراكية .

وخرج بها من الحرب ضد المانيا الهتلرية منتصرة نصرا مؤزرا .

وعن سياسة المصارحة السائدة الان في الاتحاد السوفييتى ، وما ينشر في ظلها عن جرائم ستالين يقول الاكاديمي الأمريكي ان تلك السياسة قد أدت الى عربدة نشر لكل ما هو هراء .

• لندن •

• هوفمان شيلوك •

لأول مرة منذ سنوات طوال ، ينتقل مركز الثقل المسرحى العالمى من برودواى بنيويورك الى حى "الوست اند" في لندن .

فها هو ذا " داستن هوفمان" النجم الأمريكى الحاصل على أوسكار احسن ممثل رئيسى مرتين : يقف على خشبة المسرح لا في نيويورك ، وانما فى لندن حيث يمثل دور المرابى اليهودى "شيلوك" فى مسرحية "تاجر البندقية" من اخراج "بيتر هول" .

والمسرحية حسب تصور ذلك المخرج لها ، تجنح الى الكوميديا مسلطة الأضواء على "بورقيا" التى ادت دورها "جيرالدين جيمس" بطلة المسلسل التليفزيونى "جوهرة التاج" وليس كما هو المعتاد على "شيلوك" وذلك رغم أن الذى يتقمص شخصيته نجم يهودى اعظم .. واى نجم .

ومما لوحظ على اداء "هوفمان" انه لا يعتمد على النجومية ، وانما على شىء اخر اكثر اهمية ، الا وهو الذكاء مع الثقة بالنفس وذلك رغم انها المرة الأولى التى يمثل فيها مسرحية لشكسبير وأين ؟ فى وطن الشاعر الكبير .

وفضلا عن "تاجر البندقية" يستمتع أهل لندن بمسرحية "منزل المجانين فى جُوا" للأديب "شيرمان" وهى عبارة عن مسرحيتين من فصل واحد تؤدى فى كلتيهما الدور الأول الممثلة الشهيرة "فانيسا ريدجريف" .

واذا ما انتقلنا الى المسرح الغنائى فسنجد انفسنا امام عمل فذ للموسيقار "لويد ويبر" اسماه "اوجه الحب" مستوحى من قصة للأديب الانجليزى "دافيد جارنيت" (١٩٥٥) .

والمسرحية تعلم المتفرج تفانين الحب ، ومن اجمل اغانيها "الحب يغير كل شىء" ، "الحياة تستمر والحب يتحرر" .

• طوكيو •

• نعم للساكى .. لا للشمبانيا •

قامت دار نشر جليمار بترجمة مجموعة منتقاة

من القصص القصيرة اليابانية تحت عنوان "انطولوجيا الاقصوصة اليابانية المعاصرة" فى ستمائة صفحة من القطع المتوسط . وقد انتقى الناشر مجموعة من الاقاصيص التى كتبها مشاهير الأدب اليابانى مثل يوكيو ميشيما وياسونارى كاوباتا (نوبل ١٩٦٨) وتانيز اكى وياسوش اينوه



يانسوشى اينوه



يوكيو ميشيما



وقد علقت مجلة لوبوان على هذا الكتاب انه جاء مخيبا للآمال . وان دار النشر التى قامت بهذا العمل قد اختارت مشاهير الادباء بصرف النظر عن قيمتهم الأدبية الحقيقية . كما أنها لم تختر أهم النماذج فى القصة اليابانية المعاصرة . واعترض الأديب والناقد جاك بييراميت على أسماء بعينها مثل هاكوشو ماسومن الذى توفى فى علم ١٩٦٢ . الا انه ابدى اعجابه باختيار ادباء مغمورين ، فى حدود ضيقة ، مثل كاتاى طاياما الذى له نفس مكانة جوستاف فلوبير فى الرواية الفرنسية .

ومن اجل محاولة التعريف بهؤلاء الادباء . راحت المجلة تذكر لقارئها اسماء يابانية غريبة وصعبة النطق واخذت تشبه بين اصحاب هذه الاسماء . وبين الادباء المعاصرين ، فشوسى توكودا هو نموذج مقارب لالبير كامى فى حياته وأدبه . وحتى طريقة موته . وهكذا .

وتقول المجلة انه منذ بداية القرن فان اليابان قد عرفت الكتاب الواقعيين . والمحاولات السريالية . والادباء الثوريين ، لاحظ ان هذه تسميات غربية للأدب ، وان الادباء اليابانيين قد حاولوا محاكاة الغرب فى ابداعاته .. فها هو فدميوكو هياشى يقدم روايته "زهرة الكريزانيم" على نفس نمط "مدام بوفارى" حول فتاة جيشا تظل تحلم بعودة حبيبها القديم ، وهى لا تنساه مهما تعرفت بحكم عملها على العديد من الرجال .

وتشير المجلة إلى ان الجيل الحديث من الادباء يحاول ان يضع الهمزة فوق حرف الألف . من اجل صناعة أدب يابانى الهوية .. له مفرداته الشرقية الخاصة به .. ويشق طريقه محتسيا الساكى . ومنتبذا روائح الشمبانيا .

الكـاتب .. والجريمـة

دور الأدبــاء ..

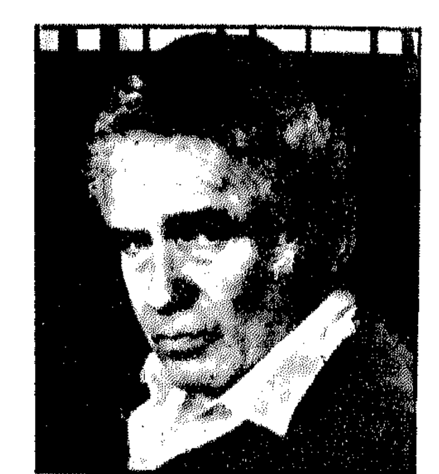
فــى مسلسل قتـل الأزواج

بقلم : محمود قاسم

ترى إلى أى حد مست جرائم قتل الازواج بوحشية قلوب الناس ، بل وعقول ووجدان رجالات الفكر والأدب فى مصر والعالم العربى ؟
فطوال أيام متوالية راحت الصحف تتلذذ بنشر التفاصيل الدقيقة لهذه الجرائم البشعة وكأن الصحف تعيد ارتكاب هذه الجرائم فوق صفحاتها . واصبحت الجرائم تتكرر فوق عشرات ، بل ومئات الالوف من الصفحات المطبوعة .. وراح الرجال يترقبون مايدور فى منازلهم بقلق شديد .

● ترى ماهى العلاقة بين هذه الجـرائم .. وبين الكلمـة المكتوبة ، الكلمة المدونة فى الصحف .. والكلمة الادبية التى يبتدعها الكاتب ؟.. فاذا كانت مجموعة من الزوجات المفترسات قد نهشن لحوم ازواجهن موتى ، واحياء فان رجال الصحافة والذين وجدوا فى هذه الحوادث لقمة سـائغة لمقـالاتهم الاستفزازية قد شاركوا فى قتل هؤلاء الازواج آلاف المرات يوميا لفترة طويلة حين ادخلوا تفاصيل هذه الجرائم الى البيوتات .. وراح الازواج يقرءون التفاصيل على زوجاتهن .. وبدأ الخوف أو التشفى أو اللامبالاة ، يتسرب الى القلوب .

وكنت اتمنى ان تقوم المؤسسات الرسمية بمنع نشر أى من تفاصيل هذه الجرائم .. لكن يبدو ان فى داخل كل منا جلاده .. يقرأ احداث الجرائم كأنه يشاهد فيلما من أفلام الفيديو المليئة بالعنف ، وكأن الامر كله لايعدو ان يكون تمثيلا فى تمثيل ، كأنه خارج عن جلودنا يمكن ان يحدث فى كل البيوت الا فى بيوتنا ، وانه مثلما





نورمان مايلر



ترومان كابوت



چيمس بولدوين

يطفىء المتفرج جهاز الفيديو او التليفزيون ، بعد مشاهدة فيلم عنيف فان المرء يطوى الجريدة بعد ان ينتهى من قراءتها ، ويمارس حياته العادية كأن شيئا من كل هذا العنف غير موجود بالمرة .

وقد مرت هذه الجرائم وسوف تمر العشرات من امثالها دون ان يكف الناس عن إسالة دماء جديدة داخل جدران بيوتهم .

لكن اين الكاتب من مثل هذه الجرائم ؟

الكاتب اولا ، بشر مثل كل البشر ، يتألم ويحمل على كاهله أعباءه الخاصة وقد يعانى فى بيته من ظروف قد تدفع بزوجته الى التخلص منه . مثلما حدث لكل الازواج الذين تمت تشفيتهم ، ومع ذلك لم ينفصل الكاتب ابدا عن المجتمع الذى يعيش فيه ، مهما حلم بالطوبوية ، فاذا كان الكاتب الانجليزى توماس مور قد تخيل ، فى مدينته الفاضلة ، ان المجرم يجب ان يذهب الى المستشفى للعلاج فان التاريخ قد عرف الكثير من الادباء الذين كرسوا حياتهم لتشريح الجرائم ودوافعها وتقديمها فى كتب .

● **مع سبق الاصرار .. والترصد**

فقد كرس الادباء على مدى التاريخ ، أقلامهم للدفاع عن بعض المظلومين ولنصرة الحق ، **مثلما فعل اميل زولا** حين دافع عن الضابط دريفوس فى القرن الماضى . اما اشهر قضايا قام ادباء بتعقبها فى كتب فهى تلك التى تناولها جرهام جرين فى كتابه « انى اتهم » وايضا ماقدمه كل من ترومان كابوت ونورمان مايلر وجيمس بولدوين عن جرائم تمت فى بلادهم . حيث راح كل منهم يخصص قلمه فى فترة من حياته ، لتعقب حالة اجرامية حقيقية وقدم هذه الحالة بعد سنوات من البحث فيما يسمى بالتحقيق الروائى .

واذا كان نجيب محفوظ قد سعى

للاستفادة من الخطوط العامة لوقائع حياة وموت سفاح الاسكندرية محمود امين سليمان فى روايته « اللص والكلاب » فان الكاتب قد اهتم بصياغة رواية تبعد كثيرا عن حياة سفاح الاسكندرية فقد راح محمود سليمان مع الزمن ، واصبحت شخصية سعيد مهران اكثر بقاء فى التاريخ .

وفى نفس العام الذى اثار فيه محمود امين سليمان الرأى العام فى مصر ، ١٩٥٩ شهدت مدينة كنساس سيتى الامريكية جريمة عادية ، قياسا الى مانقرأه الان من مسلسلات القتل البشعة ، حيث دخل شابان الى احد المنازل بهدف العبث ، وبدون سبب قاموا بربط وثاق كل سكان الدار وذبحوهم كالشياه . قرأ الكاتب الامريكى ترومان كابوت الذى مات فى سبتمبر ١٩٨٤ عن ستين عاما ، الخبر فى صفحات الحوادث مثلما يفعل الناس . وعرف ان الجريمة بلا دافع وبعد ثلاثة ايام من الجريمة وصل كابوت الى كنساس واختفى عن عالم الادب لمدة ست سنوات كاملة قام خلالها بدراسة هذه القضية ، فقابل كل من له علاقة بها ، وعلى رأسهم القاتلان والتقى بالقضاة والاهل وحضر جلسات المحاكمة ، وزار الزنزانات وعرف المجرمين عن قرب اثناء فترة الانتظار ، كما شهد عملية تنفيذ الاعدام فيهما ، ثم طلع على العالم بكتيب صغير يحمل عنوان « مع سبق الاصرار والترصد » حقق جماهيرية كبيرة ، ومالبث ان تحول الى فيلم شهير . تحدث كابوت ان اسباب هذه الجريمة ـ التى تبدو بلا دافع ـ عائلية ، وان الحرمان الذى عانى منه القاتلان هو الدافع السياسى لهذه الجريمة وقال ان عملية انتظار الاعدام فى حد ذاتها ، جريمة بشعة ، وانها العقاب الاول للمجرم الواعى ، لانه يموت فى كل لحظة .. وبالتالى فان التنفيذ له نفس بشاعة الجريمة نفسها .

● القاتل .. والتناسخ

اما الحادث الثانى فقد حدث فى ١٧ يناير ١٩٧٧ .. حين تم اعدام جارى جليمور رميا بالرصاص ، وكانت تلك اول عقوبة اعدام تتم فى الولايات المتحدة بعد تنفيذ الاعدام فى قاتلى كنساس سيتى ، وفى تلك السنوات كان نورمان مايلر يكاد ينتهى من روايته الضخمة « قصة مصرية » وقد صدمت عملية الاعدام الكاتب الذى قرر ان يكتب مقالا مالبث ان تحول الى كتابا ضخما « عندما قرأت مقالا حول جليمور الذى اعرفه شخصيا ، بدا مدانا ، واحسست اننى اعرفه عن عمق ومنذ سنوات »

كانت جريمة جليمور تتمثل فى

قيامه بقتل عشيقته وطفليها ، قام أولا بقتل الطفلين : قتلتهما لانني لم اود ان اقتل نيكول .. اما المرأة فقد تعرفت عليه بعد ان قضت احد عشر عاما فى مصحة نفسية ، تزوجت لاول مرة وهى فى الخامسة عشرة ثم تكرر زواجها وقد راح الكاتب يبحث عن ابعاد العلاقة بين جليمور ونيكول واستعان بمجموعة من الرسائل المتبادلة بين الرجل والمرأة الصغيرة مليئة بالوحشية والدم والمآسى ، فجليمور يعرف ان حالة نيكول النفسية دفعتها ان تعرف العديد من الرجال لذا فكر ان يخلصها من حياتها كأنه مخلص .

وكان المعروف ان جليمور ينتمى الى طائفة مسيحية تسمى نفسها بالمرمونية وهى طائفة امريكية انشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠ اباحت تعدد الزوجات وبعضهم لايؤمن بالزواج ، وقد آمن جليمور بظاهرة التناسخ وقد اكد مايلر على صحة هذه الظاهرة التى آمن بها المصريون القدامى فى ان الروح بعد ان يموت صاحبها ، تذهب لتتقمص جسدا جديدا .. هذا العالم اكثر خطورة من عالمنا ليست فيه قوى شر ، وكثيرا ماأشعر اننى هناك وأننى كلما مت أبعث ثانية ».

لقد راح نورمان مايلر يتقصى وقائع هذه الجريمة ووقائع اعدام جليمور وفى عام ١٩٧٩ طلع على العالم بكتابه « اغنية الجلاد » بعد ان التقى بثلاثمائة شخصية تعرف الكثير او القليل عن حياة جليمور وقرر ان يحكى وقائع تسعة اشهر من حياة المجرم وهى الفترة التى انتظر فيها الاعدام من ابريل ١٩٧٦ الى يناير ١٩٧٧ .

لم يكن جليمور بالرجل البرىء الذى يدفع بكاتب مشهور ان يدافع عنه ، فهو انسان داعر وسفاح اعتاد حياة السجون . ويرى مايلر ان كتابه ليس سوى قصة حب امريكية معاصرة . فاذا كان كابوت قد ارجع السلوك الاجرامى لقاتليه الى اسلوب التربية الذى تلقاه كل منهما . فان علاقة الحب الفاشلة التى ربطت بين جارى وحبيبته نيكول هى السبب ، « لم اعتد ان اكون نقيا فى علاقاتى فانا دائما ملىء بالاسفاف . الغش يملؤنى . والشر والحقد . لكن نيكول كانت فتاة رقيقة وفية ، وهذا ماصدمنى »

كان كتاب مايلر نموذجا لارتباط الكاتب بالجريمة الواقعة فى مجتمعه . ففى الجزء الاول من الكتاب اهتم بالتركيز على حياة جليمور وعلاقاته الانسانية المتشعبة اما فى الجزء الثانى فقد راح يسجل مادار بينه وبين الشخصيات الثلاثمائة التى التقاها وسألها عن جليمور : المحامين والصحفيين ، وكل من حاول الاستفادة من وقائع هذه الجريمة لتحقيق امجاده الخاصة وهذا يذكرنا بما حدث لصحافتنا وهى تتناول جرائم الشهر الماضى . فالصحفيون الذين يعملون فى صفحات الحوادث اشبه بالحانوتية

والمحامين فكلما انتعشت الجريمة فى المجتمع انتعشت احوالهم وتحسنت ، وكلما قلت الجرائم انتكست صفحات الحوادث فى الصحافة .. وقلت الملفات فى مكاتب المحامين .

● جرائم قتل .. زنجية

حول هذا المفهوم قامت وقائع كتاب « جرائم قتل فى اطلنطا » الذى نشره جيمس بولدوين قبل وفاته بعامين فى عام ١٩٨٥ ، والمجرم الذى تتبع الكاتب وقائعه الاجرامية زنجى مثله وينتمى الى الجنوب الامريكى ايضا مثله .. ويقول بولدوين : « ذهبت الى اطلنطا بناء على طلب احدى المجلات التى طلبت منى ان اكتب مقالا حول جريمة قتل ارتكبت بين عامى ١٩٧٩ و١٩٨١ حيث قتل ثمانية وعشرون طفلا اسود ، وكان علىّ ان اكتب دراسة عن البواعث النفسية التى دفعت القاتل لارتكاب هذه الجريمة .

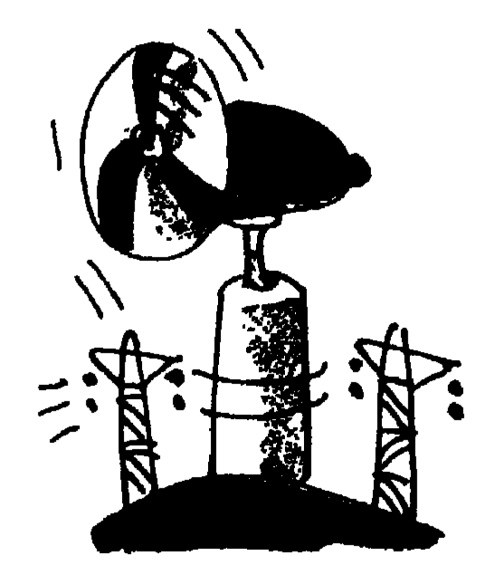
فالقاتل واين ويليامز شاب فى الثالثة والعشرين من العمر .. قبض عليه بتهمة قتل اثنين من المتشردين الزنوج . الا انه اثناء عقد المحاكمات يكشف انه قد قتل ثمانية وعشرين طفلا . ويهتم بولدوين بدراسة الدوافع النفسية التى دفعت هذا الشاب الصغير لقتل هذا العدد الكبير من الاطفال يقول الكاتب « لايود البيض ان يسمعوا الزنوج يتكلمون خاصة انهم لايرغبون فى سماعهم يتحدثون عن بؤسهم فعليهم ان يتصرفوا كأن هذه المشكلة غير موجودة ».

ويرى بولدوين ان البشر لايختلفون فى احاسيسهم سواء أكانوا من الزنوج او البيض او الجنس الأصفر ، كلهم لهم نفس المشاعر والافكار المتقاربة حول الحب والامل ، والخوف والنبل والعنف ورغم ان البشر يختلفون فى ألوان جلودهم فكلهم لهم نفس المشاعر بصورة او بأخرى ، ولذا فهو ينادى باتحاد كل الأجناس فى رابطة واحدة .

هذه هى نماذج هامة تعكس علاقة الكاتب بواقعه الاجتماعى الذى يعيش فيه . وخاصة تلك الجرائم الدامية التى تطلع علينا الصحف يوميا بتفاصيلها الدقيقة وقد انتقلت هذه الجرائم بشكلها البالغ الدموية الى بلادنا من الغرب ، بعد اجتياح الفكر البرجماتى الذى افسد علينا علاقاتنا الانسانية حتى فى داخل بعض بيوتاتنا .. واذا كانت بعض الصحف قد ارسلت المشاهير من أدبائها لتقصى حالات القتل العنيفة ليس من اجل التشهير بها ، بل بدافع تحليلها فاننا فى حاجة ماسة الى ان يقوم بعض من كتابنا بتقصى حالات اجرامية فى مجتمعنا للخروج بنتائج مماثلة لتلك التى قدمناها فى السطور السابقة .



مراوح طاقة الريــاح



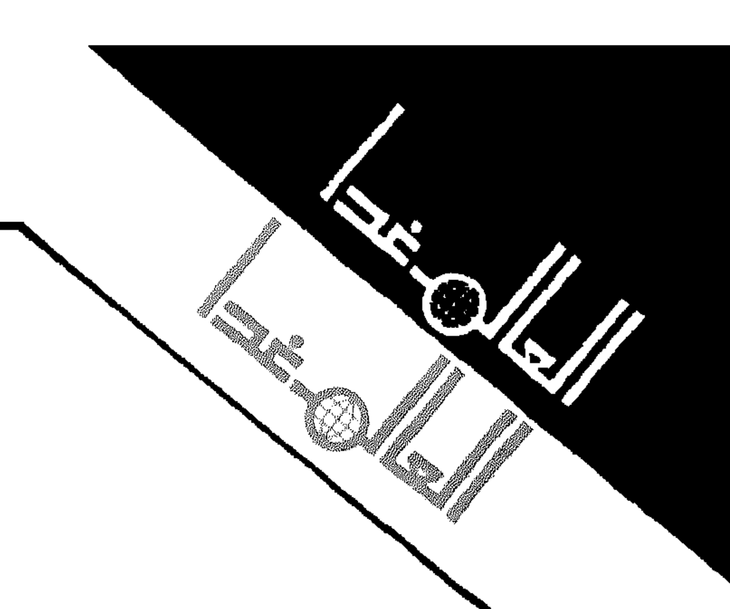
قررت وزارة الكهــرباء وهيئــة الطــاقة المتجددة البــدء فى تصنيع مراوح توليد الطاقة من الرياح بقدرة ١٠٠ كيــلو وات ، بالتعــاون مع الدانمــارك (تنتج ٥٠٪ من مراوح طاقة الرياح فىالعالم) وجدير بالذكر أن مصر كانت تنتج مراوح طــاقة الرياح قبــل ما يزيد على عشرين سنة ، وان كان السعر غير الواقعى لكهرباء الشبكة قد قضى على هــذه المحاولة المبكرة ، لتفضيل المواطنين الكهرباء الرخيصة على هذه المراوح، ذلك على الرغم من أن انتاج طــاقة الرياح أرخص من وســائل انتاج الطاقة التقليدية .

وقد تم فى اطار المحاولة الجديدة توقيــع اتفــاقية مع برنامج الامم المتحدة للتنمية يتم بمقتضاها تقديم ٤ر١ مليون دولار للمساهمة فى نقل تكنولوجيا التصنيع الى مصر ..

هــذا وسيتم تصنيع اول وحــدة بالتعاون مع الدانمارك على أن يتم تصنيع الوحدات الاخرى فى المصانع المصرية ، والمستهدف هو انتــاج ٢٠ الف وحدة تنتج ثلاثة الاف ميجاوات يجرى ربطها بشبكة الكهرباء .

وقد اكدت الدراسات التىتمت حول طــاقة الرياح (تم عمل خريطــة تفصيلية على مستوى مصر) امكانية اقامة مزارع ضخمة لطــاقة الرياح فى منطقــة رأس غارب على طول ساحل خليــج السويس ومنطقة شرق العوينات والساحل الشمالى .. حيث تتوافر الرياح بسرعات كبيــرة على مدار العام .

وسوف يقــوم مصنع الحــديد والصلب بتصنيع صــندوق تروس مصرى للمراوح ، وذلك بالاضــافة.



الى تصنيع أجهزة التحكم الالكتروني والبرج الحامل للمراوح ، كما سيجرى تصنيع الريش من الفيبر جلاس في ترسانة السويس البحرية والمتوقع أن تصل نسبة التصنيع المحلي في وحدات توليد طاقة الرياح الى ٨٠٪ حيث سيتم استيراد المولد الكهربي وبعض أجهزة التحكم ٠

ويمكن استخدام هذه الوحدات في تزويد المناطق النائية بالكهرباء ، وكذلك في استخراج المياه الجوفية ، وتستهدف الخطة انتاج ٥٪ من اجمالي الطاقة المولدة في مصر عام ٢٠٠٥ عن طريق هذه المراوح ٠

البريسترويكا والجراحة

رغم أن الليزر يساعد الجراحين بصورة فعالة منذ أمد بعيد في العديد من المجالات الصحية فان استخدامه كان مشكلة في مكافحة تصلب الشرايين ، الذي يؤدى الى اصابة ملايين الناس سنويا بجلطات القلب ونزيف المخ وغرغرينا الاطراف ٠٠ وذلك لانه كان يتعذر الوصول الى ليزر لا تزيد درجة حرارته على ٦٠ درجة مئوية ، يمكن الاستفادة من قدرته الشافية دون أن يشكل خطرا على الاوعية الدموية ٠

لكن الطبيب السوفييتي ايفان ماكسيموفيتش ، وهو دارس للتاثيرات الشافية لانواع الليزر ، في مختلف الانسجة ، قد تمكن بمساعدة الفيزيائيين ، من الاعتماد على ليزر ناتج من أبخرة النحاس ، لا يتلف شعاعه جدران الاوعية الدموية ، كما تمكن من اعداد الطريقة التي تتم بها العملية وأنشأ معملا للجراحة الليزرية تكللت فيه بالنجاح العمليات التي أجريت للعشرات من المصابين بتصلب الشرايين في أطرافهم ، ممن كانوا مهددين ببتر هذه الاطراف ٠

ومع الزمن كتبت الصحافة عن طريقة ماكسيموفيتش الجديدة وصور التلفاز المركزى ريبورتاجا عنها ، وبدأت الامال تداعب عشرات ومئات المرضى فأخذوا يحجون الى معمله ، وأعرب علماء البلدان الاخرى ، حين اطلعوا على جهود الرجل عن اعجابهم بجهوده ، ورغبتهم في التعاون معه ، ثم عن رغبتهم في شراء براءة استخدام ما اخترعه ٠

لكن على حين غرة وفي أغسطس ١٩٨٧ توفي مريض كانت حالته خطرة جدا ، بعد أن أجريت له العملية بنجاح ، من جراء مضاعفات كان يصعب التنبؤ بها ٠٠٠ وكانت المفاجأة أن ألقى قسم التشريح بمسئولية الوفاة على عاتق ماكسيموفيتش ، وبأمر من كبير الاطباء الغى معمل الرجل وسرح العاملون فيه ، وبدا وكأن الامر

طبيعيا ، وأن ما سبقه كان فورة حماس ..

لكن رياح البريسترويكا وجو العلنية قلب الاوضاع .. ففى نهاية نفس العام شكلت لجنة متخصصة من كبار الجراحين للنظر فى المسألة وكانت المفاجأة أن اكتشفت اللجنة أن ماكسيموفيتش كان يضطر لتكريس الجزء الاكبر من وقته لانشطة لاترتبط بالجراحة البتة ، وتدور حول خرق الحواجز البيروقراطية ، التى توضع فى طريقه ، والحصول على الاجهزة والمعدات والمواد الضرورية .. وانه كان يعمل فى جو موبوء بعدم الفهم وبمقاومة وعداء بعض زملائه ، وبعض المسئولين .. وكان حادث الوفاة ، الذى لا ذنب لطريقته الجديدة فيه ، كان ما ينتظره المحافظون البيروقراطيون الذين كانوا يعارضون طلبات ماكسيموفيتش بشأن توسيع معمله ويشهرون بطريقته الجديدة بكافة الاساليب .

المهم أن لجنة البريسترويكا توصلت الى أن الطبيب الشاب قد عثر على طريقة جديدة تماما فى العلاج وسمحت له باجراء عشر عمليات جراحية بحضور مجموعة من الاساتذة المتخصصين .

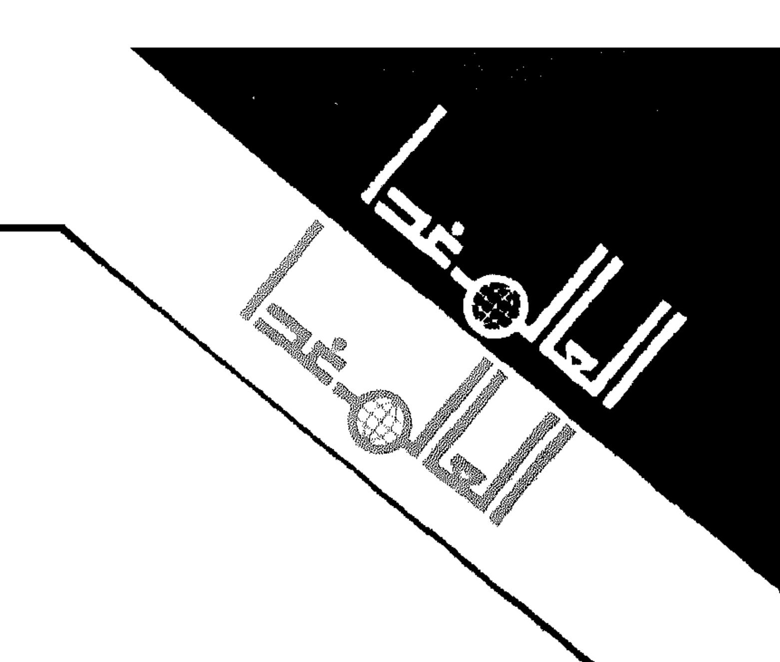
المتقدمون والعفاريت

تحت مسميات عديدة مثل انسان الغابة ، وانسان الثلج ، والانسان



الوحش وحتى الكائن الريليكتى الشبيه بالانسان (تعنى ريليكتى بقيا كائن حى منقرض) .. تحت كثير من مثل هذه المسميات تكد مجموعات كثيرة فى البلدان المتقدمة ، من الولايات المتحدة الى بريطانيا والصين والاتحاد السوفييتى ، فى البحث عما اصطلحنا على تسميته فى بلادنا بالعفاريت !!

ويرجع هذا البحث الى عام ١٩٢١ حين اكتشف المشاركون فى بعثة هوفارد - بيورى آثارا غريبة أشبه بآثار قدم الانسان وان كانت أكبر منها بكثير ، فوق ثلوج جبال افرست .. ومنذ ذلك الحين لم يقتصر البحث على المجموعات الهاوية الصغيرة ، ذلك أنه نظمت للبحث المؤتمرات العلمية شبه الرسمية كما حدث فى متحف دارفين فى موسكو



تبل عشرين سنة ، بل والمؤتمرات الاكاديمية كما حدث فى جامعة كولومبيا البريطانية عام ١٩٧٨ ، حيث ناقش الباحثون خلاصة جهد جامعات (!) العالم ، فى ٣١ ورقة بحث منفصلة ··

وتعتمد نظرية المشاركين فى مثل هذه الابحاث على أن الكائنات الريليكتية الشبيهة بالانسان هى نوع من الانسان النياندرتالى الذى بقى حتى يومنا الراهن والذى لم تطرأ عليه الا تغيرات ضئيلة خلال التطور البيولوجى ·· أو بالبساطة هى فرع جانبى أو متوار من تطور الانسان ·

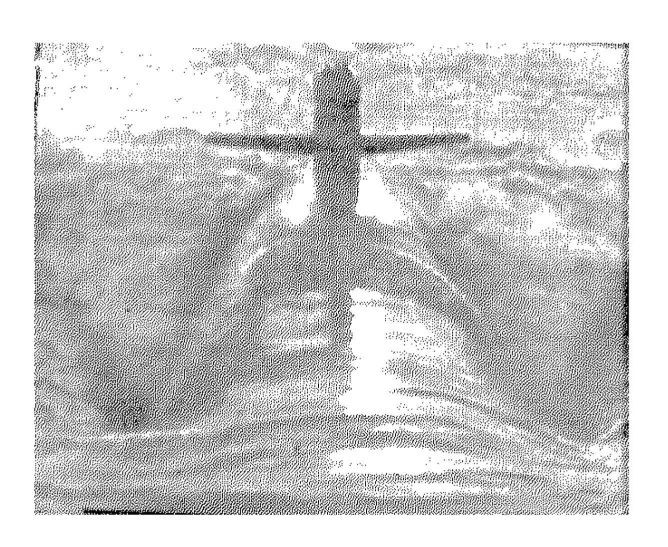
ورغم آلاف شهود العيان للانسان المتوحش ، الذين ابتدأ وجودهم الجغرافى من جبال الهيمالايا الى الجبال الممتدة على طول الشاطىء الامريكى والكندى المطل على المحيط الهادى ، وجنوب شرقى آسيا ، وأستراليا ، وجبال شينونسيا الصينية ، وجبال جورجيا السوفييتية ·· ورغم المؤتمرات العديدة وجماعات البحث الكثيرة ، ورغم الكتب التى ظهرت حول الموضوع مثل « الانسان الوحشى الافريقى » الذى نشره البلجيكى برنار ايفلمانس ١٩٨٠ ·· رغم كل ذلك لم يمسك أحد من هذا الانسان الا ببعض الآثار ·· كأن يقر المشاهدون بأن طوله يقترب من ٢ ـ ٣ أمتار ، والمتخصصون أن وزنه ٣٥٠ ـ ٣٦٠ كجم ، احتكاما الى آثار اقدامه التى تشبه آثار أقدام انسان « عملاق » ·· ذلك بالاضافة الى شريط التصوير الذى تمكن الباحثان الامريكيان من تسجيله لانثى هذا الانسان فى غابات كاليفورنيا الشمالية فى اكتوبر ١٩٦٧ ، والذى تعرض لفحص دقيق من علماء واخصائيين فى التصوير خلصوا منه الى أنه شريط غير مزيف ·

ويرجع ذلك من وجهة نظر المتخصصين الى الحيطة التى يتمتع بها هذا الكائن مما يجعله يقطن المناطق البعيدة عن العمران كالوديان الجبلية التى يندر أن يزورها الانسان ، وعدم خروجه من مخبئه الا فى ساعات الليل ·· ذلك اضافة الى سخرية قطاعات عريضة من الناس ، وغياب مركز علمى موحد يقود البحث عنه ·

وقد جرى حظر البحث عن هذا « الانسان » فى بعض البلدان مثل الصين لاسباب سياسية ، حيث انه اعتبر « ترويجا » لمعتقدات القرون الوسطى الاقطاعية ، لكن حركات الانفتاح التى تشهدها هذه البلدان عززت جهود الباحثين عنه ·

وعلى هذا النحو باتت اسطورة « الانسان المتوحش » فرضية تحولها الملامح الملموسة والمشاهدات الى شىء اكثر واقعية ·

حوادث نووية



مع تكرار غرق الغواصات النووية وسقوط الاقمار الصناعية التيتتحرك بالطاقة النووية زاد قلق واهتمام العالم بصدد حوادث فردية وقعت هنا أو هناك ·· لكن دراسة عن الحوادث البحرية أعدتها حركة السلام الاخضر ، بالاتفاق مع معهد الدراسات السياسية فى بريطانيا كشفت أن البحريتين الامريكية والسوفييتية فقدتا خمسين رأسا نوويا وثمانى مفاعلات ذرية غرقت كلها من أساطيل الدولتين واستقرت فى قاع المحيط ، وأن هناك الفى حادث ــ جرى توثيقها ــ منذ عام ١٩٤٥ ، منها ٣٤٥ حادثا وقعت للاسطول الملكى البريطانى وأن الاسطولين السوفييتى والفرنسى هى أكثر الاساطيل تعرضا للحوادث البحرية ··

وقد أزاحت الوثائق السرية التى أفرج عنها مؤخرا الستار عن ٢٠٠ حادث بحرى لم يعلن عنها وقت وقوعها بما فى ذلك حادث فقد قنبلة هيدروجينية من حاملة الطائرات الامريكية « تيكونديروجا » قرب الشواطىء اليابانية عام ١٩٦٥ ، وحادث تسرب الوقود النووى من الغواصة الامريكية « جاردفيش » عام ١٩٧٨ ·

وشملت الحوادث ٢١٢ سفينة نووية الى جانب مئات السفن الحاملة للاسلحة النووية ، ولكن السلطات فى البلدان الكبرى كانت تلجأ الى اخفاء هذه الحوادث عن الرأى العام العالمى والمحلى حتى لا تثير ضدها دعاة حماية البيئة ودعاة نزع السلاح النووى ·

الجدير بالذكر أن هناك العديد ، أيضا ، من الحوادث تعرضت لها الطائرات التى تحمل القنابل النووية، وأن استخدام المحركات النووية فى الاجهزة الفضائية والاقمار الصناعية فى تزايد مستمر ، وأن سيطرة محطات الادارة والتوجيه الارضية قد فقدت على عدد من هذه الاجهزة ، وسقطت أجزاء منها على مناطق مختلفة من كوكبنا ، وأن المصادفات السعيدة وحدها هى التى حمت سكان الكوكب من مخاطرها نتيجة سقوطها ، حتى تاريخه ، فى أماكن غير مأهولة، ولان الجزء الاعظم من أجزائها كان يحترق خلال اختراق الغلاف الجوى·

الابداع ومشاكل مصر الملحة

هل يمكن القضاء على البلهارسيا ؟

بقلم: محمد فتحى




د . راغب دويدار
وزير الصحة

شهور ومجلة الهلال تحوم حول قضية حيوية تحاول الإمساك بتلابيبها ، وطرحها طرحا لايقف عند حدود الجلاء والوضوح ، بل يتجاوزهما الى آفاق الفعل ..

ولعل آخر حلقات طرح هذه القضية مقال "الابداع البشرى" بقلم د . محمد عبد الرحمن الذى تصدر عدد مايو من "الهلال" ، ورغم مايحويه المقال من تفاصيل يمكن الاختلاف حولها ، فإن مايعنينا هنا هو الاتكاء عليه للوثب الى الهدف الأسمى ، وهو أن نعمل فى مصر (هنا والآن) على طرق باب الفعل الابداعى الجماعى القائم على المعرفة ، وهو المفهوم الذى فصلناه على مثال اليابان عند الإجابة عن السؤال حول سر تقدم المجتمعات البشرية .

فليأذن لى القارىء أن أبدأ بتقرير المقولة الأساسية كما جاءت فى مقال "الابداع البشرى" . كتب د . محمد عبد الرحمن "أن هناك إبداعا بشريا يتمثل فى إيجاد حل عبقرى لمشكلة أو مشاكل تواجه مجموعة أو شعبا ، كالحروب أو المجاعات أو الكوارث .. ويؤدى هذا الابداع الى التخلص نهائيا من المشكلة رغم أنه يبدو وكأنه شىء بسيط جدا"

وقد فصل الكاتب أمثلة لذلك الابداع مثل قضاء الصين على العصافير لانقاذ غلالها ، وكوبا على مشكلة الامية ، وجيش مصر على الساتر الترابى الممتد بطول القناة ، وأخيرا التجربة الابداعية العبقرية المتمثلة فى ظاهرة أطفال الحجارة فى فلسطين المحتلة ..

وحتى نثب من هذه المقولة الى كيفية العمل الجماعى الابداعى فى مصر يهمنى أن التفت ابتداء عما قد يشوب بعض الأمثلة التى ذكرها د . محمد عبدالرحمن من مثالب (مثل الضرر الذى وقع بتربة الصين الزراعية نتيجة الخلل فى التوازن البيئى بعد التخلص من العصافير) فليست هذه المثالب بيت القصيد هنا .. لكن من الضرورى المضى بعد ذلك الى تدقيق بعض المفاهيم توخيا لأن يكون انطلاقنا من قواعد صحيحة واضحة ..

● طبيعة الإلهام

وأول المفاهيم التى يجب تدقيقها هو

الإبداع ومشاكل مصـــر الملحـــة

مفهوم الالهام (الذى أرجع اليه الكاتب هذا النوع فى الابداع) لنخلصه من هالات الغموض ، فما يطلق عليه الهاما ليس سوى كدّ مخلص لذهن مهموم بمشكلة يحاول من خلاله حشد الخبرات البشرية السابقة ، وتطويرها وتوظيفها لمواجهة المشكلة المهموم بها . وسأكتفى بمثالين لايضاح ذلك .. الأول هو السبيل الذى اتبع فى هدم الساتر الترابى على القناة عام ١٩٧٣ ، إذ استفاد أحد الضباط المصريين ، المهمومين بكيفية إزالة هذا الساتر ، من تجربة خبرها قبل ذلك فى عملية تجريف الصخور بالمياه (ذات الضغط العالى) أثناء بناء السد العالى . ومن الهم والخبرة معا ، تولدت فكرة هذا الحل الابداعى

ولايضاح الأمر أكثر أعود الى موقف حدث فى فجر اختراع الطيرأن حيث كان المآخذ الذى يصيب هذا الاختراع الحضارى الفذ فى مقتل ، هو أن الطائرة سرعان ما تهوى وتتحطم بمن فيها ، عند أى خلل يصيب أيا من أجهزتها .. ويومها كان واحد من الرواد المبتكرين لأجهزة الطيران يمضى مهموما بهذه المشكلة ، فى طريقه لمشاهدة أحد استعراضات الاقلاع والتحليق والهبوط ، فيما يشبه ملعب كرة القدم (كان الطيران مازال مجرد استعراض وفرجة) ومع كل القلق الذى يحسه على الطيارين والهم الذى ينوء به ، طالعه وجه متفرج بعين واحدة (أعور) وللتو برقت فى ذهنه المهموم الفكرة "العبقرية" لماذا لاتكون كل الاجهزة الحساسة فى الطائرة مزدوجة ، كما هى الحال بالنسبة لعينى الانسان ، بحيث يدخل الجهاز البديل فى العمل حال فشل الجهاز الاساسى ..

وكانت هذه هى الفكرة التى فتحت الباب لتحول الطيران من مغامرة غير محمودة العواقب ، إلى ثورة حضارية حقيقية ، إذ جعلت منه عملية تتمتع بضمانات أمان لاتقل عما يتوفر لغيره من وسائل النقل ..

إن ما نطلق عليه الهاما ليس تجربة بعيدة عن الفهم وإنما هو تفاعل وتجل لخبرات مفهومة .. وهو تجل لابد أن تتوفر لتحققه بعض الشروط ، لكن لاباس قبل التطرق الى هذه الشروط من أن نكمل عملية تدقيق افكار "الابداع البشرى"

● أرقى أنواع العلم

ولعل نقطة التدقيق الثانية تتصل بما قيل من أن مثل هذه الابداعات العبقرية ليس مبنيا على نظرية علمية محددة وواضحة .. ولا أود أن أناقش مصطلح عبقرى فى وصف هذا الابداع (فقد بتنا نسىء استخدام المصطلح

كثيرا) وإن كان يهمنى التاكيد أولا على ان هذا إبداع عادى وطبيعى جدا ، لأناس لا تحكمهم عقد النقص ، مما يدفعهم الى التعلق باذيال تعبيرات كبيرة من قبيل "إنجاز تاريخى ، ومنعطف خطير ، و .." إنه ابداع عادى

لاناس اسوياء يؤمنون حقا بان الخالق القدير قد نفخ فيهم بعضا من روحه المبدعة .. وحتى إن كان هناك مجال لابداعات عبقرية حقا ، فإن المجال أوسع بما لايقاس امام الابداعات العادية والنابغة ، بل أن من الصعب الوصول الى الدرجة الأعلى من الابداع دون التمرس بهذه الدرجات الدنيا ..

والأهم الذى يجب التاكيد عليه فى هذا الصدد أن مثل هذا الابداع وإن لم تنتظمه نظرية واضحة بسيطة ، فهو ارقى انواع العلم جميعا .. فماذا يمكن أن يكون جماع أو خلاصة الخبرات البشرية فى تفاعلها وتناميها ، وتوظيفها فى حل مشاكل الناس وترقيتهم ، إن لم يكن علما ، مهما ضاقت المفاهيم الوضعية الضيقة عن تمثل ذلك ؟!

ويهمنى التاكيد هنا أيضا أنه ليست هناك ضرورة على أن يقتصر هذا الابداع على مواجهة مشاكل كالحروب والمجاعات والكوارث ، بل ان عوده لايشتد ، كما المحنا ، إلا من خلال مواجهة ابسط مشكلات المعاش اليومى ..

● الإبداع الاجتماعى

ولعل التدقيق الأخير الذى أود أن أسوقه يتعلق بتسمية هذا النوع من الابداع . فليس "الابداع البشرى" هو الاسم المناسب له لأن كل إبداع بما فى ذلك الابداع الفنى والابداع العلمى (اللذين ميزهما د . محمد عبدالرحمن عنه) هما إبداع بشرى أيضا وليست المسالة هنا مجرد خلاف شكلى ، ذلك أن التسمية الصحيحة ستضعنا مباشرة على عتبة الأفق الأسمى الذى نبغيه .

وربما كانت اقرب تسميات هذا الابداع الى الصحة هى "الابداع الاجتماعى" .. واود ان أمضى فى التدقيق الى حد أبعد ، لأبين ان ظروفا اجتماعية بعينها قد تعود الى نتاج عبقرى ، هو فردى من حيث اداة التنفيذ أو الأفراز (مثل نتاج تولستوى ودستويفسكى وتشيخوف فى ظروف روسيا القيصرية) ، وأن ظروفا اجتماعية او قل استعدادا اجتماعيا من نوع آخر هو الذى يقود الى ابداع اجتماعى جماعى (مثل التجربة الكوبية فى محو الامية) وهذا المفهوم بالذات هو الذى استخدم به اصطلاح "الإبداع الاجتماعى" هنا ..

ولعل الالتفات اخيرا الى طريقنا فى مصر الى "الابداع الاجتماعى" يتطلب ، بعد تدقيق المنطلقات ، تحديد

الشروط الواجب توافرها حتى تدور عجلة مثل هذا الابداع ..

ولعل أول هذه الشروط هو توفر درجة من السماح تفتح الباب أمام التعبير مما يجول بالخاطر (دون خوف حتى من التسفيه) ، والاستعداد الحقيقي للحوار ، والأهم من ذلك توفير الضمانات لاطراد الحوار ، فالعمل الحق على الاستفادة منه .

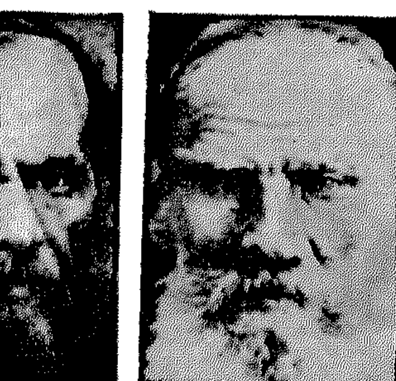
فلنتصور أن المهندس الذى فكر فى نقل عملية "تجريف البقايا فى السد العالى" الى جبهة القتال ، لازالة الساتر الترابي على القناة ، كان مجندا عاديا ، وكان أول من سمع فكرته ، وفق التسلسل الهرمى ، عريف بالاقدمية (لايفك الخط) ليواجه المجند الجديد برد فعل من قبيل لسه طالع من البيضة وداخل الجيش أول إمبارح وعاوز يعمل فيها أمير ؟! .

أو حتى كان أول من سمع فكرته ضابط كبير قد تمكن من وجدانه أن الأمر يحتاج الى وسائل جبارة وفى حاجة الى تفكير رتب كبيرة خبرت الحرب ، وتعلمت فى أكاديميات عسكرية اجنبية و ... و ...

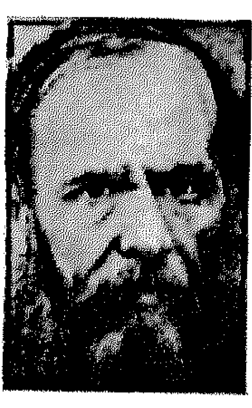
من هنا ضرورة جو السماح والاستعداد للسماع حتى بالنسبة لكلام ربما بدأ للوهلة الأولى غير معقول ، وربما كان غير محكم وغير ..

وبالمناسبة فإن ارقى ما توصل اليه العالم المتحضر فى مجال تنشيط الابداع هو تشجيع "البعض" على التعبير عما يجول بخواطرهم بصدد مشاكل تطرح عليهم لأول وهلة ، وعلى ان يقولوا أول ما يطرأ على اذهانهم ، دون تمحيص ، ودون خوف من ان يبدو كلاما فارغا .. على ان تجرى عمليات التمحيص بواسطة خبراء لهم تركيبة خاصة فيما بعد ..

بعد توفر درجة معقولة من السماح يأتى الاستعداد الحقيقى للحوار فقد اعتدنا فى حواراتنا للأسف الشديد ، أن ينشغل كل منا ، خلال حديث الأخر ، باعداد ما سيدافع به عن نفسه ، دون أدنى جهد للتفكير فى مدى وجاهة مايقال .. ولايمكن لحوار أن يضطرد على نحو مثمر دون استعداد لتقويم وجهات النظر الأخرى وتبنى ماهو منطقى منها دون حساسية وبعيدا عن رواسب القيم والاخلاقيات القبلية والحرفية ، التى تجعل كلا منا يضخم من "أناه" دون أن يرى الآخرين ، بالذات إذا كان سلم الترقى (الاوتوماتيكى غالبا) قد قفز به بعيدا بحيث يعتبر مجاله ـ دون حق ـ مملكته وملكيته .



تـولـسـتوى



دستوفسكى

الحوار قد ارست بابا ثابتا تحت عنوان "دائرة الحوار" فاملنا فيها ان تؤسس بابا يتصدر المجلة يدور عنوانه حول معنى "دائرة الفعل" تشجع فيه على التعبير عن حلول (قد تكون يسيرة جدا) لمشاكلنا ، ربما تكون قد غابت لهذا السبب أو ذاك عن الانظار . وإتاحة جو من السماحة والحوار المنطقى الذى يمكن أن يؤدى الى الفعل ..

تبقى الاستفادة من افكار الحوار وهنا لابد من المبادرة الى إشراك الجهـات التنفيـذيـة (وعلى اعلى مستوى) فى هذا الحوار وفى نقله الى حيز التنفيذ ، بل والتشجيع على تكوين ادوات تنفيذية غير تقليدية ، والتحلى فى ذلك كله بنفس طويل يجعل عملية الوصول بالحوار إلى التنفيذ هى المحك والفيصل ، بين أن نكون جميعـا متحاورين ومنفذين ـ جادين أو هازلين ونكرر لا بأس من أن يكون اهتمامنا بمشاكل صغيرة أو جزئية (كوارث أو حروب أو ...)

غير أن هذه المبادرات المتفرقة لايمكن أن تتحول إلى تيار فاعل له قيمته فى المجتمع إن لم تستقم منظومة القيم فى المجتمع بحيث تصبح القيمة للأنفع (اجتماعيا) ، الأمر الذى يؤدى الى حث هذه المبادرات وتناميها دوما ..

والمجلة بذلك تستنقذ الكلمة من أن تكون "مسألة" هامشية ، والمثقفين من أن يكونوا سبة فى جبين والعهم يثرثرون على هامشه ، دون فعل حقيقى فى تغييره . كما أنها ـ المجلة ـ تكون قد خطت خطوة عملية أيضا على طريق

تغيير منظومة القيم والقيمة فى مجتمعنا بدلا من الاكتفاء بالتباكى حولها ، ذلك أن صفحاتها المتصدرة هذه ستساهم فى تغيير منظومة القيم والقيمة ، وهى إن لم توازن سيل ما تحفل به "اغلفة" صحفنا مما يخل

بمنظومة القيم التى نحتاج اليها فعلا ؛ فإنها تعد خطوة ـ ستذكر لها ـ على الطريق الصحيح ، ويمكن أن تشكل قدوة لغيرها ، ناهيك عن انها ترد بعض الحق الى اصحابه (القيمة للأكثر نفعا للمجتمع ..)

● دائرة الفعل

وإن كانت الهلال تشجيعا منها على

وينبغى عدم الخوف من الخطأ فى هذا الصدد فالعلنية تجعل الخطأ فعلا

مردودا عليه ، كما ينبغي عدم الحرج من خطا قد يحدث فنحن نكتب وننشر عشرات السنين ، ولايمكن أن يكون كل ما كتبناه صحيحا ، وإلا ماكان حالنا على ماهو عليه الآن ..

● نموذج عملى

وحتى ندرك ما يمكن أن تنطوى عليه خطوة كهذه من فائدة لا باس من مثال عملى يدور حول علاج البلهارسيا فى مصر ..

فالمعروف أن ٤٠ ٪ من سكان مصر يصابون بالبلهارسيا (وفق تقديرات وزير الصحة) وهناك تقديرات اخرى تصل بهذه النسبة إلى ٦٥ ٪ ولن افيض فى مدى الأضرار التى يسببها هذا المرض للانسـان المصرى (تـاركا القـارىء لـلإعـلان التليفـزيـونى الشهير) ، لذا سأكتفى بالإشارة إلى ان التقديرات حول الخسارة السنوية ، التى يسببها هذا المرض لمصر ، تتراوح بين ٥٠٠ و١٥٠٠ مليون جنيه ..

وحتى وقت قريب لم يكن هناك ـ لاسباب كثيرة ـ علاج واقعى لهذا المرض .. ومما كان يعقد الأمر أن الذى يشفى من المرض سرعان ما كان يصاب به من جديد ، لوجود المرضى الذين ينتجون جراثيم ويبثونها المياه من جانب ، ولأن الفلاح المصرى لابد أن يخوض فى هذه المياه من جانب آخر (إذ أنها مياه الرى ومياه ...) .

وليأذن لىّ القارىء فى النكوص إلى المؤتمر العلمى الخامس لكلية الطب جامعة الاسكندرية ، الذى عقد فى مارس ١٩٨٤ .. كانت العادة قد جرت على أن تكون أبحاث المؤتمـرات السابقة شـاملة لكـل التخصصات الطبية ، لكنه نظرا لخطورة البلهارسيا قرر هذا المؤتمر أن تكون الموضوع الأوحد للأبحاث فى كل الفروع ..

وما يهمنى هنا إضافة إلى مغزى تخصيص المؤتمر كله للبلهارسيا ما خلص إليه المؤتمرون من أن علاجها لا يمكن أن ينجح إذا استمر علاجا فرديا ، وانه لابد من العلاج الجماعى ..

نعود إلى السياق العام فوفق ما يؤكده وزير الصحة فإن حبوب علاج البلهارسيا تشفى الجرعة الواحدة (٢ ـ ٤ اقراص) منها المريض فى التو واللحظة ، لكنه وفق كلام الوزير توزع الوزارة شهريا مليونى قرص فقط . فماذا يعنى ذلك ؟ .

١ ـ يعنى أننا نعالج نصف مليون من عشرين مليون مصاب على الأقل ..

٢ ـ إذا وضعنا بعين الاعتبار ان الباقين الذين لم يعالجوا ، يبقون مصدرا للتلوث ، وأن هناك نسبة من

غير المصابين ومن الذين عولجوا قبلا سوف تصاب مجددا بالمرض ، فإن ذلك يعنى فى الواقع اننا توقينا فقط تزايد عدد المصابين ، بينما يبقى الحجم الأساسى للمرض يدور حول ٢٠ مليون مريض ! وتبقى نفس الخسائر التى تصيب مصر من المرض ..

٣ - انه إذا غيرنا استراتيجية العلاج وجندنا كل الأجهزة المعنية (ومنها كليات الطب ، وطلبة الجامعات ، وأجهزة الإعلام ...) ليتناول كل المرضى العلاج فى وقت واحد فلن نحتاج الى اكثر من ٨٠ مليون قرص ، لا تزيد تكاليفها على ٤٠ مليون

جنيه (الخسارة السنوية من البلهارسيا ٥٠٠ - ١٥٠٠ مليون جنيه) ونكرر ان الشفاء سيكون لحظيا ، وان اى مشاكل يمكن أن تعترض خطوة استراتيجية من هذا النوع (مثل معالجة مياه الترع أو تهيئة الظروف لعدم التماس معها بعض الوقت) من السهل تذليلها إذا خلصت النيه وأحكم التخطيط ..

● اختبار بالغ الدلالة

وبالطبع فإن عملا من هذا النوع ليس نزهة يسيرة وإن شكل اختبارا بالغ الدلالة لمدى قدرتنا على الابداع الاجتماعى ، بالذات مع توفر ، أو سهولة توفر ، كل مقوماته لدينا .. ولأن مصر ستلقى عن كاهلها - بهذا العمل - بمعظم الأعباء الناتجة عن البلهارسيا ، حتى إذا ظل من افلتوا من العلاج ومن يصابون به مجددا (ويعالجون) فى حدود نصف مليون مواطن ولاننا سنكون قد وصلنا الى استراتيجية علاجية حقا ، بدلا من الايقاع الحالى الذى لا يمكن ان يؤول ، فى التحليل الأخير ، إلا إلى استراتيجية للحفاظ على خسائر مصر (بقاء ٢٠ مليون مريض) وإلى استراتيجية لترويج الدواء (مرة اخرى لنتمعن فى سلسلة الأمراض التى تسببها البلهارسيا وضرورة علاجها إضافة الى علاج البلهارسيا ذاتها) .

اعود مرة أخرى إلى موضوع المقال وهو "الإبداع الاجتماعى" وأقول إن "تراث البلهارسيا" يمكن أن يكبل عقول كثير من المتخصصين ، فلا يرون ضيرا من التعايش مع هذا المرض كما تعايشنا معه منذ قدماء المصريين ، بينما الظروف قد نضجت فعلا للإقدام على خطوة جديدة نحو العلاج الجماعى ، ولا ينقصنا مع صدق النية سوى الاستعداد الاجتماعى الذى تحدثنا عنه

وعلاج البلهارسيا ، أخيرا ليس سوى مثال من عشرات الأمثلة التى يمكن ان تشكل "ورشة الإبداع الاجتماعى" لشعبنا .. فهل نحن على استعداد لان نناقش ونفعل ، حتى لا نقف عند حلقة اجترار التفكير العاجز ، ونبقى سبة فى جبين الأمة والمفروض اننا عقلها ؟! .

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

ابن خلكان

١٢١١ - ١٢٨٢ م

صاحب كتاب من امتع كتب التراث العربي للقارىء الحديث في الشرق واحظاها باعجاب المستشرقين في الغرب ، واصدقها تصويرا لكافة جوانب الحياة الاسلامية في العصور الوسطى . وهو كتاب « وفيات الاعيان ».

استقى ابن خلكان فكرة مصنفه من كتاب ياقوت الحموى « معجم الادباء ». غير انه بدلا من أن يقتصر على الادباء والنحويين واللغويين ، تناول في كتابه كل من نال الشهرة والرفعة في كل مناحي الحياة ، مستثنيا الجيل الاول والثاني من مشاهير الدولة الاسلامية التي تناولتها موسوعات جمة قبله ، كموسوعة « اسد الغابة » لابن الاثير التي تعرضت لنحو ٧٥٠٠ من صحابة الرسول .

ويمتاز « وفيات الاعيان » بخلو اسلوبه من التكلف والصنعة البلاغية اللذين افسدا الكثير من كتب المؤلفين العرب بعده . كما يتميز بكثرة ماأورده من مقتطفات من مؤلفات مفقودة لم تصل الى ايدينا ، وبوفرة نوادره وتنوع المعلومات فيه ، وما يعكسه من دقة وتمحيص بالغين في البحث والتقصى ، وروح علمية نادرة .

والواقع أن كافة نقط القوة والضعف في كتاب ابن خلكان ، هي ذات نقط القوة والضعف في مؤلفات غيره من اعاظم المؤرخين وكتاب التراجم العرب . فهو مثلهم يرى أن مهمة المؤرخ وكاتب السيرة تقف عند حد تقديم

المادة ، وتسجيل اقوال المعاصرين وشهود الحدث ، دون اهتمام كبير بما قد تنطوى عليه هذه الاقوال والشهادات من تناقض ، تاركا القارىء يستنتج ما يشاء من استنتاجات · وهو يبذل كل ما فى وسعه من اجل الحصول على معلومات يمكن الاعتماد اليها ، وشرح اسناده بدقة ، مع ضمير حى وامانة بالغة لايزالان الى اليوم يبعثان الدهشة لدى المؤرخين وكتاب التراجم غير اننا متى ما قارنا « وفيات الاعيان » بتراجم بلوتارك مثلا ، وضح لنا على الفور عجز ابن خلكان عن رسم صور حية للشخصيات التى يتحدث عنها ، وتوفير المفاتيح لها · فهو ان تحدث عن جعفر البرمكى ، لم يقل شيئا لا ينطبق على كثيرين غيره من رجال البلاط · وان تكلم عن ابن حزم لم نجد فى كلامه اية اشارة الى تحوله من سياسى ومدبر دولة ، الى كاتب اديب ، الى عالم بالكلام ومؤرخ للاديان ·

فهو اذن ـ كسائر المؤرخين المسلمين باستثناء ابن خلدون ـ عاجز عن ادراك مفهوم التطور ، واحتمالات التحول السيال ، والانتقال المرن الطبيعى ، فى شخصية من يتناوله بالدراسة · ولذا فالغالب ان تاتى صور الشخصيات فى كتابه ساكنة جامدة ثابتة ، كما ان الغالب ان هو تحدث عن تغيير ما ، انْ ينصرف حديثه الى التغيير فى المناصب التى تقلدها موضوع الترجمة ، او فى مكان اقامته ، او فى جاهه وماله ، دون التغيير فى خلقه وطباعه ، واتجاهاته وميوله ، ودون انتقال شخصيته من طور الى طور ·



الحلاج

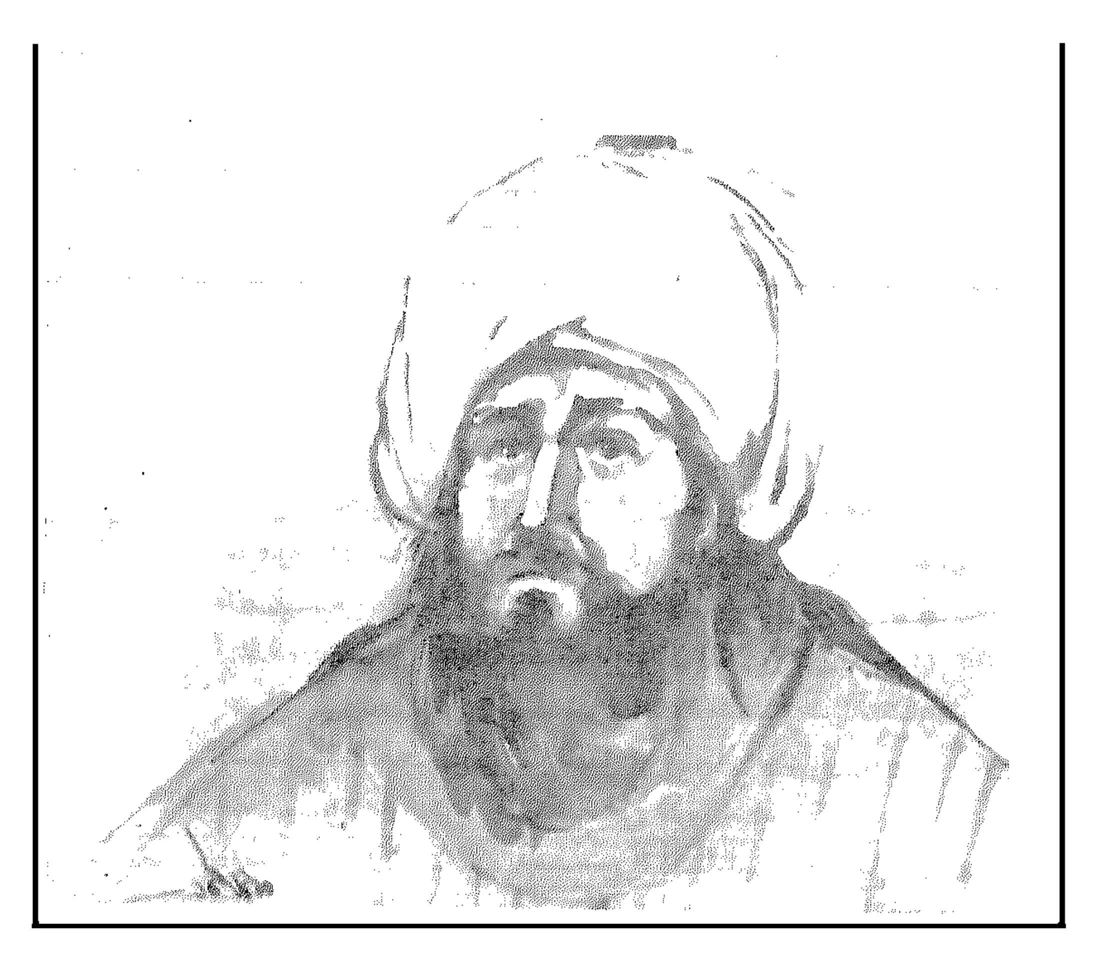
أعدم عام ٩٢١ م

اوج الحركة الصوفية المبكرة في الاسلام . وهو الذى ارعبت شهرته ونفوذه حكومة بغداد الواهنة ، فاوحت الى جماعة من الفقهاء بمحاكمته وادانته بحجة بعض العبارات التى تفوه بها او وردت فى شعره وصلب عام ٩٢١ م .

كانت الصوفية قد تحولت في القرن الثالث الهجرى من الزهد والتقشف الى نظرية معقدة تميل الى المبالغة فى الاستخفاف بالشعائر والشرع ، ميل فقهاء السنة الى المبالغة فى الاحتفال بها . فقد رات شيوخ الصوفية فى ظاهر الشرع وفى الشعائر مجرد مرحلة اولية ، او مجرد سلم يفضى من مقام الى مقام الى حال ، وذهب بعضهم - وعلى راسهم الحلاج - الى أن من بلغ الغاية استغنى عن الوسيلة ، وجاز له « اسقاط الوسائط » . فهم اذن فى حل من اداء الشعائر التى هى مجرد رموز ، بل ان اداءها قد يؤدى - فى بعض الاحيان - الى خلق عقبات فى سبيل خلاص النفس .

ثم ان الحلاج وصحبه مضوا الى ما هو ابعد من ذلك . فقالوا بان اولياءهم اعلى شانا من النبيين . فصلة الاولياء بربهم صلة مباشرة ، وقد يتحدون به ويفنون فيه ، بينما لا يتصل به الانبياء الا من خلال وسيط : « خضنا بحرا وقف الانبياء بساحله ! » . وقالوا انهم هم انفسهم اقرب الى المولى من اتقى اتقياء فقهاء السنة ، وادرى بالدين منهم . فدين هؤلاء فى نظرهم دين المبصرات ، اما دينهم هم فدين البصائر . وهم يحلنون تفوق « المعرفة » والحكمة الالهية على « علم » العلماء . ذلك انه لا علم كالتفكر ، والرجل متى رسخ فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة : « اخذتم علمكم ميتا عن ميت ، واخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . يقول امثالنا : حدثنى قلبى عن ربى ، وانتم تقولون : حدثنى فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ، عن فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ! » .

ولم يكن من الغريب ازاء الجراة المتعاظمة من جانب الحلاج ومريديه ، وازاء الشعبية المتزايدة لتعاليمه لدى العامة ، وازاء تركيزه على الفرد على حساب الاحتياجات العامة للامة ، ان يطلق الفقهاء وعلماء الدين صيحة تحذير واستنكار مدوية ، وأن يتهموا الحلاج بأن فكرته عن الحلول والفناء فى الذات الالهية ووحدة الوجود تهدد قلب الاسلام ذاته . فهو يعلن امتزاج الروح الالهية والنفس البشرية معا ، مبينا فى نشوته انه والحق الخالق شىء واحد :



انا من أهوى ومن أهـوى انا نحن روحـــان سـكنا بدنا
فاذا ابصــرتنى ابصـرته واذا ابصــرته ابصرتنـا

وهو ما يعني الوصل بين جانبى الهوة اللانهـائية الفاصلة بين الله والانسان فى مفهوم فقهاء الاسلام ٠

وقد سهل على هؤلاء تدبير محاكمة الحلاج والتوصل الى اعدامه ، ما تردد عن انه كان فى حقيقة أمره مسيحيا يخفى عن الناس مسيحيته ، وما هو ثابت من ان جده كان مجوسيا فارسيا من عبدة النار ٠ وكان صلبه ايذانا بانقضاء المرحلة الاولى من تطور الصوفية ، وبدء مرحلة ثانية أهم معالمها ذلك الذعر الذى اصاب معظم شيوخ الصوفية على أثر المحاكمات والصلب وثورة الفقهاء وغضب السلطة ، والذى تمخض عن السعى الى كبح حركتهم، والتزام الحذر الشديد فى تعاليمهم وشعائرهم ، واظهار التوقيــر لظاهر الشريعة ، والعودة الى النمط المقبول من السلوك ، والتظاهر باستنكار مـا انكره فقهاء السنة على الحلاج وغيره من الغلاة من اقوال ظاهرها الكفر ٠

ومع كل الاتهامات التى كيلت ولاتزال تكال للحلاج ومدرسته ، فـلا مفر من الاعتراف بان هذه المدرسة خدمت الاسلام خدمة جليلة بان فضحت دينا للفقهاء بلا باطن ، وجدلا فارغا حول الدقائق دون بعد روحى ، وسلوكا مهذبا فى الطرقات والاسواق دون ضمير حى ٠ كمـــا افادت الاسلام بأن اوضحت ان ظاهر الحقيقة بلا باطن نفاق ، وتداركت بجهودها نقصـا طرأ على دين الاسلام لا نقصا لصيقا به ، تسبب فيه انشغال المذاهب الفقهية كلية بالسلوك الظاهرى للفرد ٠ فالحلاج اذن كان من اهم اعلام الاسلام الذين أعادوا للتجربة الدينية الخاصة اعتبارها ، معلين من قدر الجوهرى بعد أن كاد الشكلى يطغى ، بعد ان كاد التقليدى أن يودى بالدين ٠

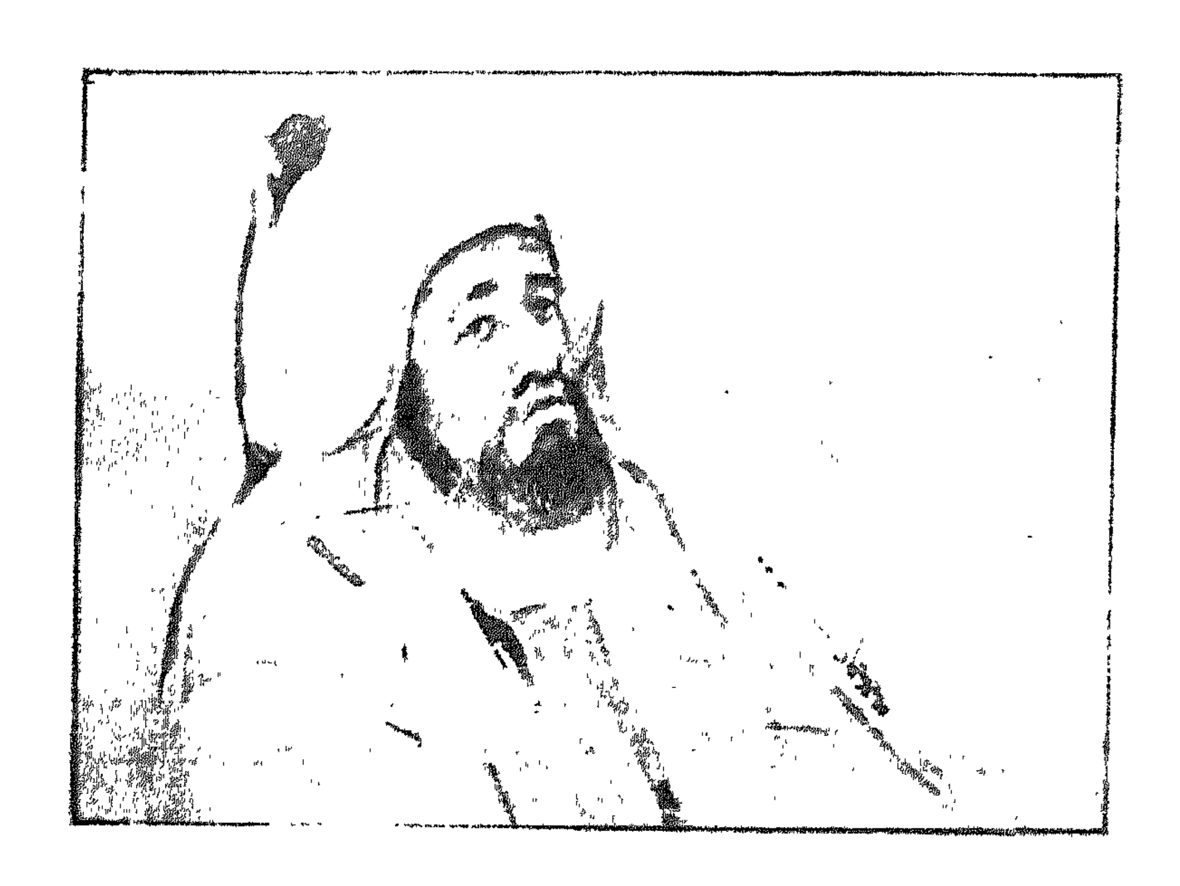
الظاهر بيبرس

توفى عام ١٢٧٧م

من اعظم قادة الاسلام فى الحرب ، وقاهر المغول فى موقعة ((عين جالوت)) ، ومقوض دعائم دولة الصليبيين فى الشام . عدت الاجيال التالية عهده احد العصور الذهبية فى الاسلام. وسرعان مانسجت حول شخصيته وانتصاراته الباهرة مجموعة من الحكايات الخيالية ، تمتزج فيها الحقيقة باساطير ماخوذة عن القصص الشعبية المصرية عريقة القدم . ولا تزال سيرة الظاهر بيبرس ، وقد تناولتها بالزيادة والاسهاب اجيال من القصاص ، تؤلف الى يومنا هذا مصدر تسلية للعامة وبعض الخاصة فى مصر ، الى جانب سيرة عنترة ، وسيرة بنى هلال ، وحكايات الف ليلة وليلة .

كانت جحافل المغول تجتاح فى زمنه بلدان المشرق العربى قطرا بعد قطر ، وتقترب طلائعها من حدود مصر . وقد توجه بيبرس فى معية السلطان قطز الى فلسطين لصدهم ، وكان للاول الفضل الاكبر فى ايقاع هزيمة نكراء بهم فى عين جالوت عام ١٢٥٩ ، كانت اول هزيمة يخبرونها ، وسرعان ما تحول مدهم بعدها الى جزر . وقد كان لانتصار بيبرس وقطز هذا فضل عظيم فى تجنب مصر الى الابد ويلات الغزو المغولى الذى عطل مسيرة التطور الحضارى الهادىء فى اقطار الشرق العربى ، بحيث باتت القاهرة منذ ذلك الحين عاصمة دار الاسلام دون منازع .

واذ كان المغول قد افلحوا قبل موقعة « عين جالوت » بسنوات قلائل فى تقويض الدولة العباسية فى بغداد ، والقضاء على معظم سلالة العباسيين ، فقد اقام بيبرس فى القاهرة خليفة من احد نسل العباسيين الذين تمكنوا من الفرار ، واقسم يمين الولاء لهذا الخليفة الصورى ، سعيا منه الى اسباغ الشرعية على حكمه ، والى احباط اية محاولة قد يقوم بها مدع من الايوبيين لاسترجاع الملك . والواقع ان خلفاء هذا الخليفة العباسى فى القاهرة لم يزيدوا ابدا على ان يكونوا ادوات طيعة فى ايدى سلاطين المماليك بعد بيبرس



واهتم الظاهر بيبرس بعد خلافته لقطز ، بتطهير الشـــام من مواقع الصليبيين ، مظهرا في حربه اياهم بســـالة غير مالوفة ، بالاضـــافة الى الاساليب الديلوماسية الماكرة بعيدة النظر · وقد وفق الى انتزاع حصن الاكراد من ايديهم ، وهو من أعظم حصون الصليبيين مناعة ، ثم انتزاع مدينة صفد من أيدى فرسان الداوية Templers. كذلك استولى على عدد من حصون ومدن طائفة الحشاشين بالشام ، وعلى قلعة الكرك التى كـانت لاتزال فى يد اخر امراء الايوبيين · ثم اتجه الى أقصى شمال الشام لتاديب ملوك اسيا الصغرى من الارمن بشنه غزوات متلاحقة على أراضيهم ، ومنه الى اقصى جنوب مصر لضم بلاد النوبة اليها · واذ علم بنيـة الفرنجة فى اوروبا شن حملة صليبية جديدة ضد المسلمين فى الشام ، لجا بيبرس الى ابرام معاهدة مع الامبراطور البيزنطى ميخائيل بليولوجوس المعادى للفرنجة الاوروبيين ، مستاصلا بابرامها خطر وصول الحملة المعتزمة · وهو ما اتاح له ان يصرف جل السنوات الاخيرة من حكمه فى ادخال اصـلاحات جذرية هامة فى ادارة وحكومة اقطار دولته ، خاصة مصر ، والعناية بتشييد المبانى الضخمة والمساجد الرائعة ، وبناء ضريح فخم لنفسه جلب مواد بنائه من مدينة يافا بعد انتزاعها من يد الصليبيين عام ١٢٦٨ ·

• رسالة من اليمن الديمقراطية •

• احب ان اعلمكم انى قد اطلعت على مجلات عديدة منها يومية ومنها اسبوعية ومنها شهرية ، وكنت اربط شرايينها لتنبض فى شرايين قلبي وما ان يتدفق حتي يبدأ يبطيء شيئا فشيئا .

ذات يوم وانا ابحث عن إجابة لسؤال اشاروا أنها فى "الهلال" .

كم حزنت وندمت على عمرى الذى راح دون ان انظر الى خضرة هذه الشجرة واتذوق ثمارها اللذيذة التى تنضج من عقولكم الخصبة ، عندما ذقت ثمرة من ثمارها اندفع الدم الى قلبى وعقلى ... وانعشنى من غفلة الموت ، وما اجمل ان يرى الانسان نور الحياة بعد أن كان يتخبط فى الظلام .

لا أعرف كيف اشكركم ، فكلمة شكر لا تكفى ، لا أعرف كيف أمدحكم فمكانتكم اعظم مما يمدح ، فاسمحوا لى أن اقول :

ان كل حرف يكتب وكل كلمة تطبع ، وكل جملة تكتمل تشكل لدى مجموعة غير عادية من المعرفة والإدراك .

اشكر كل من يساهم فى بناء هذه الدار وتزيين هذه العروس واشكر كل حرف يبعث الثقة بانفسنا ـ كل كلمة عالية فى افق المستقبل .

ابنتكم ـ اختكم :

افراح نعمة الله غابرى

بلوك ٨ ـ منزل رقم ٢٢ حى فضل الله ـ دريمى ـ جمهورية اليمن الديمقراطية

تعليق الهلال :

• نشكر لك ايتها الابنة والأخت العزيزة هذه الكلمة الطيبة عن "الهلال" الذى ارشدتك اليه المصادفة ، مع انه يصدر منذ حوالى مائة عام ، وقد قرىء "الهلال" فى اليمن بشطريه الجنوبى والشمالى منذ اواخر القرن التاسع عشر ، ومن حسن الحظ أنه وصل اخيرا الى الجيل الجديد الناهض من شبيبة اليمن ، جنوبا وشمالا .. ونرجو المعذرة اذا كان ثمة خطا فى اسم مدينتكم "دريمى" فهكذا هى مكتوبة فى رسالتكم ، واذا كان الاسم صحيحا كما هو هنا فالحمد لله .. ونكرر لك الشكر ..

• هجران •

لا تعبثى باصابعك او تغمزى .. لن اسمعك

لا تنثرى أطراف شعـ ـرك حجة او ادمعك

فلطالما أوقدت شعـ ـرى للضحى كى يمتعك
نفسى وأحلام السنيـ ـن تسربت فى أضلعك

محمد عبدالباسط زيدان
الدراسات العليا بدار العلوم

• سميراميس •

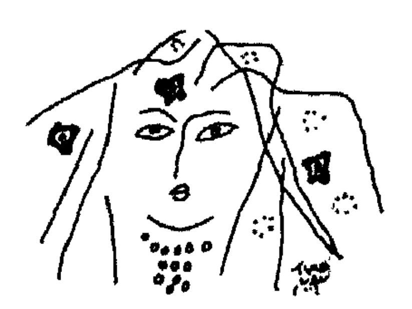
● اسم سميراميس يرتفع على فنادق ومؤسسات فى مصر باعتباره اسما مصريا قديما ، وقد انتشر أيضا فى البلاد العربية ، ولكننى لا أعرف ، هل كانت سميراميس من عصر بناة الأهرام أو من عصر آخر ؟!

بيومى شعراوى الغزالى
الزقازيق

● تعليق الهلال :

ـ سميراميس ليست ملكة من التاريخ المصرى القديم ، ولكنها كانت ملكة بابل وآشور فى قديم الزمان ، أى فى العراق لا فى مصر ، وإلى هذه الملكة تنسب "البساتين المعلقة" احدى عجائب الدنيا السبع القديمة ..

• سؤال شعرى •



هل تملكين ـ فتنتى ـ أن تصبرى
لو مد بؤسى عمره فى أشهرى ؟!
لو تعلمين الدرب وعر المعبر
هل تبسمين إن أساء الدهر لى ؟!
وإن تهاوى الحلم تحت المعول

جاد وهيب ميخائيل
أسوان ـ كسر الحجر

• التنوير والعلمانية •

● فى عدد يوليو الماضى نشر "الهلال" مقالا للاستاذ الدكتور مراد وهبة عنوانه : "التنوير بين العرب والغرب" ، وفيه تناول عرضا

لظاهرة التنوير والعلمانية من خلال الطرح الغربى لنشأتهما ، ثم عرج على الفكر الفلسفى عند ابن رشد ومفهوم التأويل ، ومفهوم العلمانية وموقف الطهطاوى والاستاذ الامام محمد عبده والشيخ على عبد الرازق .

ربط الدكتور مراد وهبة بين التنوير والعلمانية ، وكأنه لا تنوير بلا علمانية اى فصل الدين عن الدولة متأثرا بالرؤية الغربية فى هذا المجال ، متناسيا أكبر دفعة حضارية شهدها العالم فى العصور الوسطى ممثلة فى الاسلام وحضارته العربية دون ان ينفصل الدين عن الدولة ، فالاسلام لم يكن دينا فحسب ، بل كان دينا ودولة ، وقد حوى الى جانب المبادىء الدينية والاخلاقية ، مبادىء سياسية وقانونية تنظم سائر العلاقات التى تنشأ فى المجتمع سواء كانت متصلة بالدولة أو الأسرة أم بالعلاقات الاقتصادية والمعاملات المالية والعقوبات أما المسيحية ـ وعلى قاعدة اساس منها نشأت العلمانية ـ فلم تتعرض للمبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية واقتصرت على نشر المبادىء الروحية والخلقية ، ويرجع ذلك الى البيئة التى نشأ فيها الدين المسيحى والظروف التى احاطت بالمجتمعات التى انتشر فيها .

وأما ما اثاره الدكتور مراد وهبة عن قضية الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة فقد استقر فى الفقه السياسى الاسلامى ان الخلافة عقد حقيقى ، مبناه الاختيار من الأمة ووسيلة البيعة الصحيحة القائمة على الرضا وهو ما يدخل فى اطار فكرة العقد الاجتماعى والاسلام كنظام سياسى قد التزم المرونة الكاملة فى اختيار نظم الحكم .

ومع الدور الطليعى والتنويرى لرفاعة الطهطاوى ومحمد عبده فى فكرنا العربى الحديث والمعاصر ، يستحيل عليهما قبول فكرة فصل الدين عن الدولة لمناقضتها لطبيعة الاسلام ويستحيل على احد ان ينكر عليهما دورهما فى التجديد والتحديث فى اللغة والفكر والثقافة والشريعة بما يتواءم مع مستجدات العصر

وليس صحيحا ان جماعة الاخوان المسلمين قد أنشئت بقرار من جماعة كبار العلماء ، فالاخوان كجماعة نشأت فى مدينة الاسماعيلية سنة ١٩٢٨ بعيدا عن جماعة كبار العلماء وبعيدا عن الأزهر ايضا ، وكتاب المرحوم الاستاذ سيد قطب يعد محاولة فلسفية وفكرية لتصور المجتمع الاسلامى ودولته ونقدا للمجتمع الغربى من رؤية اسلامية بعد زيارته للولايات المتحدة الامريكية فى بعثة دراسية واطلاعه على أزمة الضمير الغربى المعاصر .

ان حركة التاريخ المصرى الحديث والمعاصر تؤكد التغيير والتنوير والتقدم واستشراف آفاق المستقبل ، والقول بانه ليس ثمة تنوير انما يعنى استبعاد حركة الرواد .

وحتى الأزهر الشريف أكبر جامعة اسلامية استجاب لحركة التنوير قبل ثورة يوليو فكان انشاء كليات الجامعة فى الثلاثينات : الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، ثم بعثات الأزهر الى فرنسا وانجلترا والمانيا .

ان حركة التنوير فى مصر لم تنفصل عن الاسلام واستمدت من روحه ، واحتفظت لنفسها بذاتية خاصة تتفاعل مع كل التيارات الثقافية والفكرية شرقا وغربا دون ان تفقد هويتها .

عمرو عبدالمنعم حمودة

• الصاحب والزمن •



ياصاحبى وأنت خير الاصدقاء
ران الدجى وكشرت دنيا البلاء
وانت كالدنيا بخيل بالرجاء
إن رابنى دهرى فانت والدهر سواء
كلاكما يحمل لى النقمة والبرحاء

عبدالله فهيم زيدان
الاسكندرية

• الأتراك وأسماؤهم •

● الأتراك الذين يحملون الجنسية البلغارية ينزحون من بلغاريا إلى تركيا للاحتفاظ بأسمائهم التركية ، وهم فى ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، لأن تركيا قد محت الأسماء التركية القديمة منذ عهد اتاتورك الذى أعلن إلغاء الخلافة الاسلامية وأقام العلمانية ، وفرض الاذان والصلاة باللغة التركية وأباح زواج المسلمة من غير المسلم ، وغير ذلك مما يجعل تركيا بلدا غير اسلامى الا بالاسم والماضى القديم أيام كانت مقرا للدولة العثمانية ! ..

محمد عبدالوهاب فخرى جاكى
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ تركيا لم تلغ الأسماء التركية القديمة فى عهد أتاتورك بل منعت الأسماء العربية التى كانت هى غالبية الأسماء الاسلامية هناك ، فانقلب اسم الزعيم مصطفى كمال إلى "كمال أتاتورك" .. وليس اسم "كمال" هنا عربيا ، ولكن معناه "القلعة" باللغة التركية الحديثة . وهكذا أصبح اسمه تركيا خالصا بعد حذف "مصطفى" .. وهذا ما جرى فى ذلك الوقت على بقية الأسماء .. كما انهم منعوا كتابة اللغة التركية بالحروف العربية ، وكتبوها بالحروف اللاتينية ، فانقطعت الصلة بين التراث التركى والجيل التركى الحالى والأجيال القادمة ، فضلا عن انقطاعهم عن العرب والاسلام ! ..

● الشمعة ●

هيفاء تُسفر فى خضمٍ محاقٍ
وتُنير قصدا للسبيل ، برعشة
ونرى الفراشة حولها .. بصبابة
تُخْفِى الثياب بعمق جسم ذائب
وتعيش كالطيف المودع عمره
ليست تُبالى حَتفها ومصيرها
لهب المجوس يشوقها ،
فيسوقها :

فتبدَّد الظلماتِ .. بالاشراق
ضوئية ، فى النفس والآفاق
تنقاد نحو مصارع العشاق
من لوعة تنساب فى الآماق
فى لحظة .. من بعد وشك فراق
بعد التفانى فى لظى الأشواق
"مشتاقة تسعى الى مشتاق"

ثروت محمد يوسف

● أقصوصة : ● عود ثقاب ●

● يحيد المشرط عن طريقه . يذبح شريانا . ترتعش أصابعه .. تنزلق النظارة .. يميل .. تقترب .. تجفف عرقه .. ينبهه طبيب التخدير ..

ـ سأتوقف .. الاستمرار يقتله .

تتجعد ملامحه .. يجول بعينيه فى وجوه مساعديه .. يستشعر العاصفة .. يتماسك .

ـ التوقف يعنى فشل العملية .. امنحنى بعض الوقت .

يتنفس ملء رئتيه .. يستنفر خبرة الأعوام السابقة .. يئد قلقا يتنامى داخله .. يتعثر .. تطفو اشباح عمليات الشهور الأخيرة .. تتراقص جاحظة العينين .. ساقطة اللسان .. ينحرف المشرط مرة اخرى .. ينبثق الدم .. تدنو منه .. تهمس ...

ـ القلب لا ينبض .

يقذف بالمشرط ممتقع الوجه .. يلوى شفتيه امتعاضا ..

ـ اشتغل مع كسالى .. قلت من قبل .. لابد ان نعمل بروح الفريق .. لستُ إلها .

ينزع القفاز الطبى .. تحاول مساعدته .. يزجرها غاضبا .

●● يتجه الى مكتبه .. يحتوى المقعد جسدا ضامرا .. لم يعد يشغل منه سوى مساحة محدودة .. يلتقط سيجارا .. يحاول اشعال عود ثقاب .. ينكسر .. يعيد المحاولة .. يخطىء .. ينفلت ساقطا .. يحرك اصابعه امام عينيه .. يتبين ارتجافتها . تدخل يزين وجهها ابتسامة رقيقة ...

ـ اليوم تجنيت عليهم .. ليس الخطا خطاهم

ـ خطا من . ؟

تشمل الرجفة باقى جسده ...

ـ الحالة جاءت متاخرة .. لم يكن ذنب أحد

ـ اجريت مثلها عشرات المرات .

ـ لا تغفل دور القدر

يلوح بكفه ...

ـ انظرى .. بدأت تتمرد .

ـ دعك من اليوم . برنامج الغد متخم .. احددت ما ستفعله ؟

تعبر عيناه زجاج النافذة .. تشرد نظراته .. يتمتم ...

ـ الانسحاب ..

ـ ماذا تعنى

يتجاهلها .. يدفن راسه بين يديه المرتعدتين .

انتهت ....

د . جابر عبدالعزيز
٤٦ طريق الحرية ـ الاسكندرية

● الشعر العربى وترجمته ●

● من هو الشاعر العربي الذى ترجم الاوربيون اكبر عدد من قصائده

حتى الآن .. لقد راهنت أحد أصدقائي على أنه صلاح عبدالصبور ، أما صديقي فيؤكد أنه عبدالرحمن الشرقاوى .. فما رأيكم ؟!
فضل الله أبو سيد عمر
قنـا

● تعليق الهلال :

ـ لا هذا ولا ذاك ، ولكنه الشاعر العربى القديم همام بن غالب الشهير بالفرزدق ، فقد ترجم أحد الأدباء الفرنسيين مائتين وستين (٢٦٠) قصيدة طويلة من شعره سنة ١٨٧٥ ، أى منذ حوالى مائة وخمسة عشر عاما وترجم أدباء ألمان وانجليز قصائد أخرى للفرزدق ، كما ترجموا لغيره من شعراء العرب قديما وحديثا ! .. وليست ترجمة الشعر العربى بشىء جديد ..

أنت والهلال

● مع الأصدقاء ●

● سعيد عبدالله سعيد ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية :
ـ نشكر لكم حسن ظنكم بنا ، أما قصتكم التى أرسلتموها وتقولون إنها "المحاولة الأولى" لكم فى هذا الفن ، فإنها تدل على استعدادكم لهذا الفن ، ولكن المحاولة الأولى شىء ، والمحاولات الناضجة شىء آخر .. نرجو لكم حظا حسنا ..

● ابو بكر محمد محمد حسانين ـ مدرس الانجليزية بمدرسة "أبو تشت"

ـ قصيدتكم من بحر الطويل ، ولكن لا يوجد فيها مع الأسف الا بيت واحد صحيح الوزن هو البيت الأخير الذى تقول فيه : "فولى بوجه أو أهلى بغيره .. سيرجع يوما صاحب القدر باكيا" .. والشطر الثانى منه لا يكون صحيحا الا بتسكين حرف الدال فى كلمة "القدر" .. والشطرة الأولى من البيت الاول موزونة ايضا وهى قولك : "تضوع زهور النور بين لداتها" .. وهناك أربع شطرات أخرى متفرقة صحيحة الوزن .. هذا إذا وقفنا من قصيدتك عند البيت العاشر فقط ! ..
● السادة مصطفى ابو الحسن محمد مصطفى .. وعبدالقادر محمود صالح .. وانتصار أحمد غنيم .. ينقصكم معرفة الأوزان ، ونرجو لكم حظا حسنا .

● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ أوسيم ـ الجيزة :

ـ تقول فى قصيدتك : "لا ارتجى ياقوم مجدا او نشب .. لكننى مفتون جدا بالأدب" .. ولا يصح ـ حتى للضرورة ـ عدم تنوين كلمة "مفتون" واذا لم تنون انكسرت الشطرة الثانية .. ولا يصح كذلك ان تحذف الياء من الفعل "أدرى" فى قولك : "إن شئت أن افضى فلن أدر السبب" .. فالفعل هنا لا يمكن حذف حرف العلة منه مهما كانت الضرورة ، ولكنك طبعا تستطيع عدم فتح الياء فى كلمة "أفضى" فمثل هذا كثير فى الشعر .. وفى هذه القصيدة أو هذا "الرجز" إن شئت الدقة ، كلمات أخرى مثل قولك : "ولم أجد خلا يشاطرنى الأسى" فانك تضع سكونا على حرف الراء فى كلمة "يشاطرنى" وهذا لا يجوز ، ولا يصح تسكين اخر كلمة فى المصراع الأول من قولك : "وما قرضت الشعر كيما يقترن" وكذلك فى الشطر الأول من البيت الاخير .. وبقية الرجز لا بأس بها .

● صلاح شفيع :

ـ لا نعرف عنوانك .. قصتك التى عنوانها "فى قلبى حذاء" عن زنجى يخلو بامرأة بيضاء ، قصة ساذجة جدا ، وقد ادهشتنا سذاجتها ! ..

● جمال محمود الشورة ـ كفر الزيات :

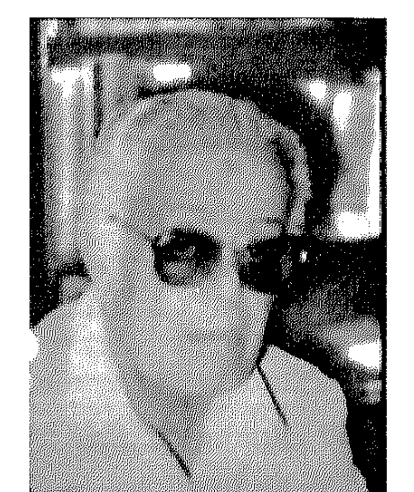
ـ إنك تتصور أن الصحف تضطهدك لأنها لا تنشر كل ما ترسله اليها من كلماتك ، وهذا غير صحيح ، فالصحف تتلقى اكداسا من الرسائل ولا تستطيع أن تنشر كل ما يصل اليها ، وأنت لا تحب أن نقول لك : استمر فى القراءة ، واصقل مواهبك ، وهنا هو نص عبارتك : "صرنا نحن المفكرين والأدباء الشبان فى حالة من الضياع ، لا مرشد لنا ولا مناصر "ولا المتبنى" .. والمفكر الشاب يحاول أن "ينفث عن" بعض همومه فيكون الرد اما التجاهل أو الرد التقليدى : استمر فى القراءة ، "وثقل" موهبتك ، وتعاملوننا كاننا "مراهقين افكار" .. متى "تمدوا" أيديكم ؟ .. وفى عبارتك هذه مجموعة أغلاط نحوية ولغوية وضعناها لك بين الأقواس لتعرفها وتصلحها ، مع أن هذين سطران فقط من رسالتك الطويلة ، فهل كثير عليك وانت مازلت تخطىء هكذا ، أن تستمع الى نصيحة من يقول لك : حاول أن تتعلم قبل ان تكتب ، وحاول أن تصقل موهبتك ، أو على حد قولك انت "ثقل موهبتك" ؟! .. ولابد ان تعرف ان "صقل" بالصاد لا بالثاء .. ! ..

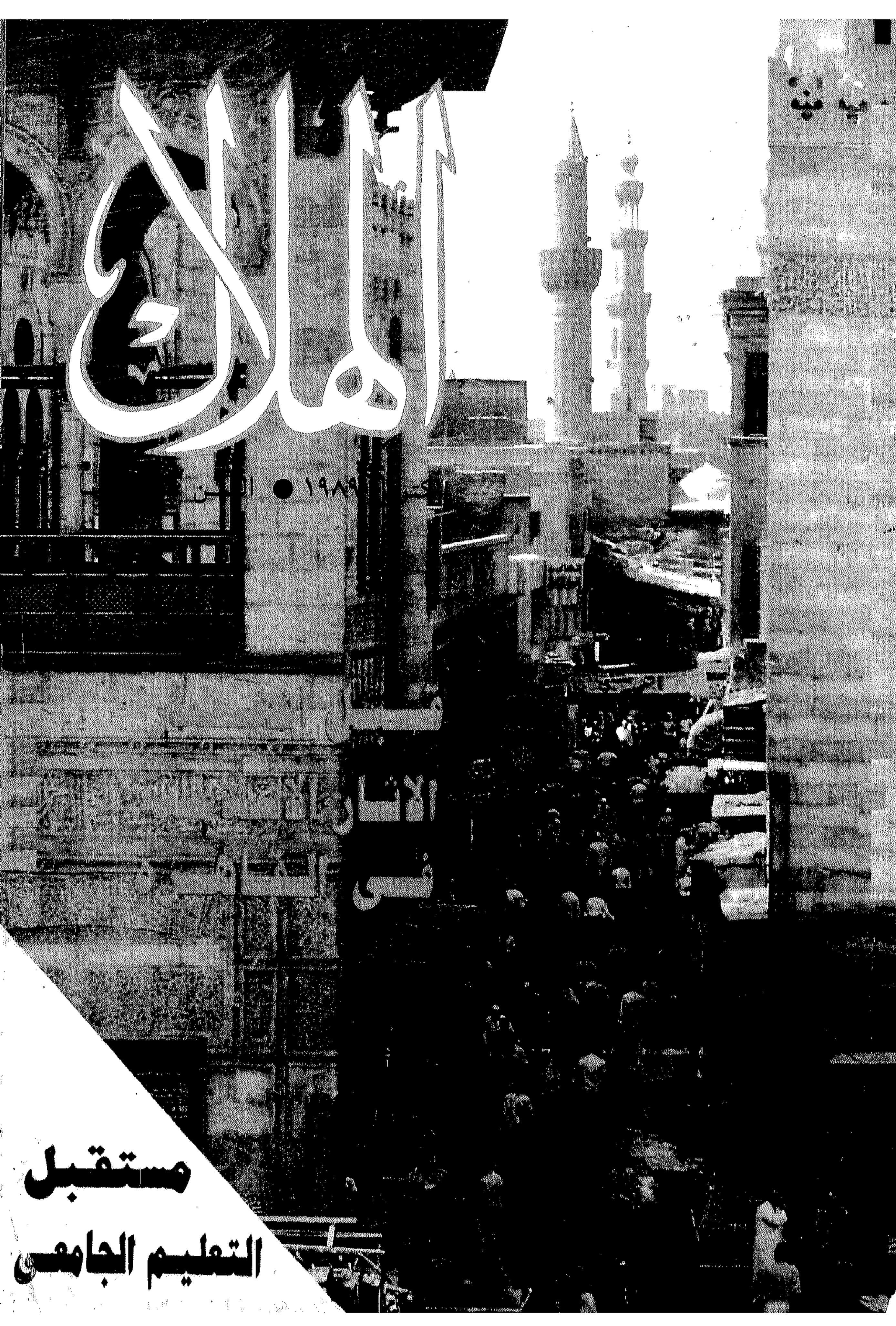
● ونشكر أصدقاءنا : صافيناز محمود مصطفى بكلية طب المنيا ، وعبدالناصر عبدالرحيم احمد بالسويس ، ومحمود عبدالمجيد بنجع حمادى ، ومحمد عباس بالاسكندرية وهشام الطهطاوى بآداب عين شمس ، وعاصم فريد البرقوقى بالاسكندرية ، ومحمد أمين عيسوى بالاسماعيلية ، ونور محمد موسى بمصر الجديدة .

برقية استغاثة للسيد «اكس» الذى «ربما» يعنيه الأمر !

وصلت باريس بعد غيبة ثلاث سنوات ، قمت بجولة سريعة فى مكتبات الحى اللاتينى ، ذعرت وذهلت ، تصفحت ملحق الثقافة والفنون فى جريدة الموند ، تفاقم الذعر والفزع ، اكتشفت اننا نعيش فى قاع بئر مظلمة عميقة ، لم يصلنا منذ عشر سنوات على الاقل اى كتا يعالج قضايا العصر او يثير الجدل او يصوغ العقل والروح ، معرض الكتاب السنوى عندنا خرافة ، تسعة أعشار معروضاته كتب تراث متزمت والآخر كتب مدرسية أجنبية ، لم نشهد خلال نفس الحقبة اى فيلم او مسرحية او عمل موسيقى او غنائى عالمى ولم نحظ بأى نصيب من السيل المتدفق هنا كل يوم "مسارحنا" مفتعلة او مبتذلة ، ودور السينما عندنا منحطة وحتى الأوبرا الجديدة طبقية ، وقدمت اوبرا عايدة ذات يوم لاصحاب الملايين الاجانب وغنت "فيروز" لتجار العملة والمصدرين والمستوردين والانفتاحيين وكان مهرجان المسرح التجريبى نموذجا للفوضى ولنفاية مسارح العالم ، الحال كان افضل فى عصر الخديو ، وكان مجيدا فى حقبتى الثورة ، لا حاجة لتكرار الشعار ان لا ديمقراطية او تنمية بغير ثقافة ، نناشدكم اغيثونا قبل الغرق التام فى دياجير الظلام !

محمد عوده




الهلال
١٩٨٩
مستقبل
التعليم الجامعي


قمم عربية
عبد الرحمن بدوي
بريشة : الفنان محمد ابوطالب



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية



السنة السابعة والتسعون • أكتوبر ١٩٨٩ • ربيع أول ١٤١٠ هـ

□ يمثل الدكتور عبد الرحمن بدوى ظاهرة من أندر الظواهر فى حياتنا الفكرية المعاصرة .. وهو بإنتاجه يمثل دار نشر كاملة .. وتكاد كتبه تكون دائرة معارف فى الثقافة الفلسفية العامة أو الفلسفة الاسلامية بوجه خاص كما تمثل فى حياة الدكتور عبد الرحمن بدوى رسالة حية يوجهها إلى أبناء جيله .. من أجل إقامة حضارة عربية وجودية .. جديدة ..

من أبرز العلماء الذين ساهموا فى الحياة الثقافية والادبية الواسعة فى مصر .. وهو صاحب مدرسة فى التفكير الانسانى .. ومنهج فى تحقيق التراث واسلوب مميز فى التعريب والترجمة .

عرفه القارىء مؤلفاً ، مترجماً ، باحثاً ، اديباً ، وخبيراً باللغات ، حيث اتقن عشر لغات واضاف خمسة آلاف مصطلح فلسفى الى العربية واصبح مع فيلسوف باكستان "محمد اقبال" مرجعاً لفلسفة الشرق ..

والدكتور عبد الرحمن بدوى فيلسوف عربى أمد المكتبة العربية بذخيرة من الكتب المؤلفة والمترجمة بلغ عددها ١٠٠ كتاب تمثل ثلاثة اتجاهات :

- المبتكرات : وهى التى تمثل فكره وشعوره .
- دراسات اوربية واسلامية : وتمثل خلاصة الفكر الأوربى
- الترجمات لروائع الادب العربى : التى تصدر بعنوان "الروائع المائة"

اقرأ مقال :
الفيلسوف .. المؤسسة ص ٤٠

فكر وثقافة

ص



الغلاف :
تصوير : شوقى مصطفى

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

ندوة الهلال

فنون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U·N




سوريا : ٤٠ ليرة . لبنان : ٣٠٠ ليرة . الاردن ٤٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٥٠٠ فلس . السعودية : ٥ ريالات . جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحه : ٦ ريالات . دبى : ٦ دراهم . لوس انجلوس : ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦٠ دراهم . مسقط : ٦٠٠ بيسه . تونس : ١٤٠٠ مليم . المغرب : ١٥ درهما . غزه والضفة ٧٥ سنتا . داكار : ٦٠٠ فرنك . لندن : ١٢٥ بنسا . ايطاليا : ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك : ٤٠٠ سنت . الجمهورية العربية اليمنية : ٨ ريالات . كندا : ٥ دولارات .



القلـــم والكلمـــة ..

فـــى رحلـــة الشتـــاء والصيـــف

مسابقة القصة القصيرة التى حدثناك عنها فى العدد الماضى من « الهلال » .. اخذت طلائعها تتوارد علينا فى شكل اسئلة واستفسارات وطرائف شتى ، ودعابات ..

بعضهم يسأل : هل هذه المسابقة للجنسين ؟ .. نعم .. هى للجنسين ، وهل يتصور احد انها للجنس الخشن وحده ؟ ! ..

وآخر يسأل : هل المسابقة للشبان وحدهم ، أم لكل كاتب مهما يكن التاريخ المكتوب فى شهادة ميلاده ؟ ! .. والجواب : إنها للشباب إلى سن الثلاثين ، لأن «المفروض» أن الموهوبين الكبار قد استطاعوا اجتياز الحواجز ، ونحن إنما نبحث عن الشبان الناضجين الذين مازالوا واقفين أمام الحواجز ينتظرون إشارة المرور !

وهناك من يسأل : هل يمكن التقدم بقصص مترجمة ؟ .. والجواب : لايمكن ، لأن القصص المطلوبة هى قصص المبدعين باللغة العربية فقط ، وليست قصص المبدعين فى جميع اللغات مثلما تفعل لجنة جائزة نوبل ! ..

وماذا إذا اشترك فى مسابقتنا مستشرق شاب يعرف اللغة العربية وتنطبق عليه الشروط ؟ ! ..

ـ طبعا نقبل قصصه فى المسابقة ونعرضها على لجنة التحكيم ، ونعطيه جائزة اذا كانت قصصه تستحقها .. فهل من مستشرق موهوب يتقدم الى مسابقتنا ويغتنم جائزتنا ؟ ! ..

وبعض الظرفاء يقول : إن الجائزة الأولى للمسابقة ثلاثمائة جنية فقط ، فهلا جعلتموها ثلاثة آلاف جنيه لتكون اكبر من جائزة الدولة التشجيعية ؟! .. والجواب : نحن غير يائسين من جعل جائزتنا كذلك فى القرن الواحد والعشرين إن شاء الله ! .. والقرن

الواحد والعشرون قادم بعد عشر سنوات لا أكثر ، فصبر جميل ، والله المستعان ! ..

أخيرا يقول أحد الأصدقاء : ماذا يحدث إذا تأخرت قصص أحد المتسابقين فى البريد ووصلت إليكم بعد الموعد المحدد ؟ ! .. والجواب : سننظر فى خاتم بريد البلد الذى صدرت منه الرسالة إذا كان واضحا .. وعلى المتسابق أن يقاضى هيئة البريد إذا أبطأت سلحفاتها أكثر من اللازم ! ..

وأخيرا : هل الكوبون لكل قصة أم لجميع القصص التى يرسلها الكاتب ؟ .. والجواب : الكوبون لكل قصة على حدة ، لأن كل قصة تأخذ رقما مسلسلا يكتب على الكوبون ، ولا يمكن إعطاء رقم واحد لمجموعة من القصص ..

عزيزى القارىء :

فى الذكرى المئوية لميلاد طه حسين ننشر مقالا طريفا لم تقرأه من قبل بالعربية لأن طه حسين كتبه بالفرنسية لمؤتمر ثقافى عقدته منظمة اليونسكو فى مدينة البندقية سنة ١٩٥٢ .

وفى مقاله هذا يتناول طه حسين موضوعا طريفا هو «حرفة الأديب» فى المجتمع المعاصر ، وهل يستطيع أن يعيش من أدبه فقط ، أم لابد له من مزاولة حرفة ثانية يرتزق منها ؟ !

إن هذا المقال عن «الحرفة الثانية» للأديب يعد من أطرف وأعمق ما كتب طه حسين .. والمدهش أن طريقة طه حسين فى الكتابة بالعربية هى تقريبا طريقته فى الكتابة بالفرنسية ، وتحمل مقالته التى تطالعها فى هذا العدد مترجمة من الفرنسية الى العربية ، نفس ملامحه الأسلوبية والفكرية التى تحملها كتاباته العربية ! ..

عزيزى القارىء

فى العدد الماضى من «الهلال» ودعنا صيف ١٩٨٩ الحار الرطب ، مقبلين بعد الخريف على الشتاء ، راجعين بعد ذلك إلى الربيع فالصيف .. فى دورتنا الدائبة مع القلم والكلمة ، بين شجون الخريف والربيع ، ورحلة الشتاء والصيف ! ..

«المحرر»

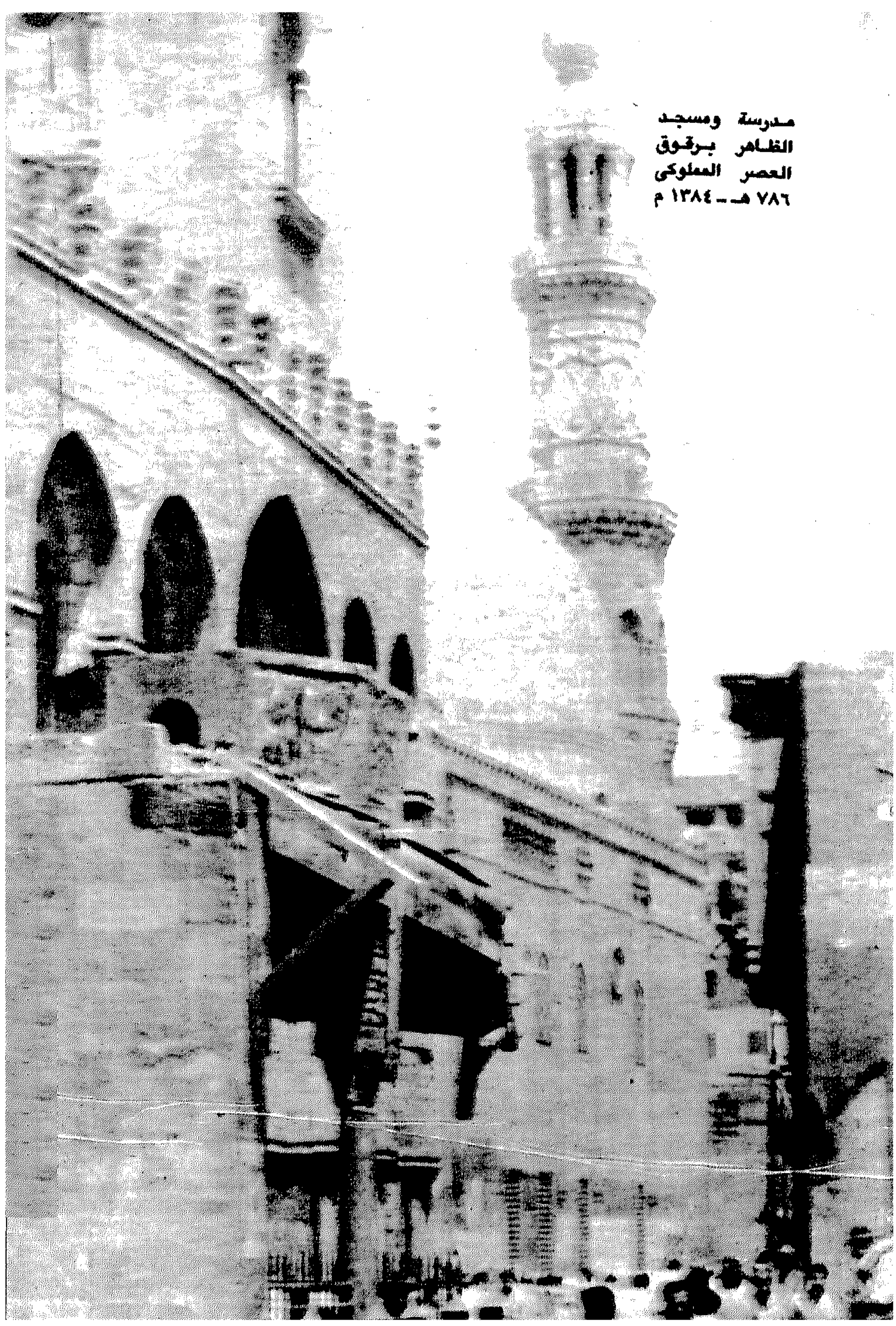


عدسة : شوقي مصطفى

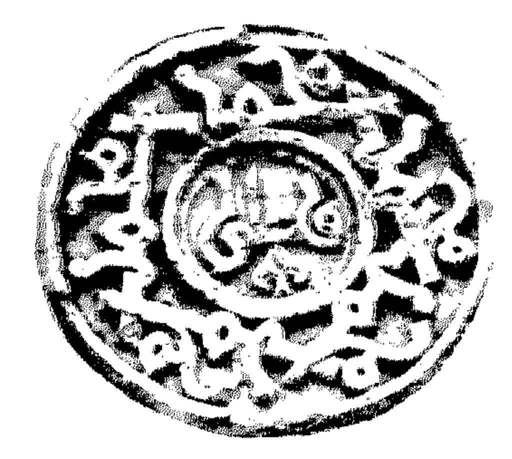
هل فات الوقت ، على إنقاذ ما تبقى من الآثار الإسلامية في القاهرة ..؟! وهل تضيع في الهواء ـ مثل غيرها ـ صيحة الدكتور محمود الشريف محافظ القاهرة ، والتي أعلن فيها مشروعه بتفريغ شارع المعز لدين الله الفاطمي ، وإزالة التعديات الفظة التي لحقت به ، وترميم آثاره ، ونقل ورشه ، ومنع مرور السيارات والشاحنات !.

وهل جاءت هذه الصيحة بعد فوات الأوان ، أم مازالت هناك فرصة لإنقاذ ما تبقى من ذاكرتنا التاريخية ؟

● فما أكثر النداءات والصيحات والدراسات ، التي تطالب بإنقاذ آثارنا ، وتضيع هذه الصيحات وسط مشاغل الحياة المختلفة ، تنشط أحيانا وتعود من جديد كرجع الصدى ، بدأت لجنة الحفاظ على الآثار العربية منذ ما يزيد على قرن من الزمان ، وبالتحديد عام ١٨٨١ ، قبل الاحتلال البريطاني لمصر ،



مدرسة ومسجد
الظاهر برقوق
العصر المملوكي
٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م



ومن يومها لم تنقطع المحاولات ولا الجهود من أجل الحفاظ على الآثار ، وتم تسجيلها وصدرت دراسات جادة كتبها عرب وأجانب ، ولكن يبدو أن طاقة الانقاذ أضعف من أن تقاوم الزمن ، وما حملته الأيام من إهمال وفوضى كان أخطر على الآثار فى العقود الأخيرة من قرون عديدة مضت ، واستمرت محاولات الإنقاذ أضعف من عناصر الانهيار ، والاستجابة أضعف من التحدى ، فى هذا الزمن الصعب الذى لم يعد يكفى فيه الوسائل العادية ، فالحياة تجديف ضد التيار ، وما أتعس من يتخاذل .

وبعد دورة تاريخية ، تعود الآثار الإسلامية دون الخالة الأولى التى بدأت منها ، فأصبحت لأول مرة تواجه خطر الانهيار ، هذا مع قيام هيئة الآثار التى من مهمتها الحفاظ على الآثار وترميمها ، وتقوم كلية للآثار وقاعدة أكاديمية واسعة للبحث عن كل جديد ، وتخرج كلية الآثار كل عام المؤهلين لوضع الخطط والبرامج الحفاظ عليها ، كما تقوم جمعيات أهلية لذات الغرض ، ولكن ظهر أخيراً أن كل هذا لا يكفى ، وينقصه الروح التى تسرى وتدفعه إلى الهدف ، مع ابتكار وسائل جديدة .

● الهدف الممكن

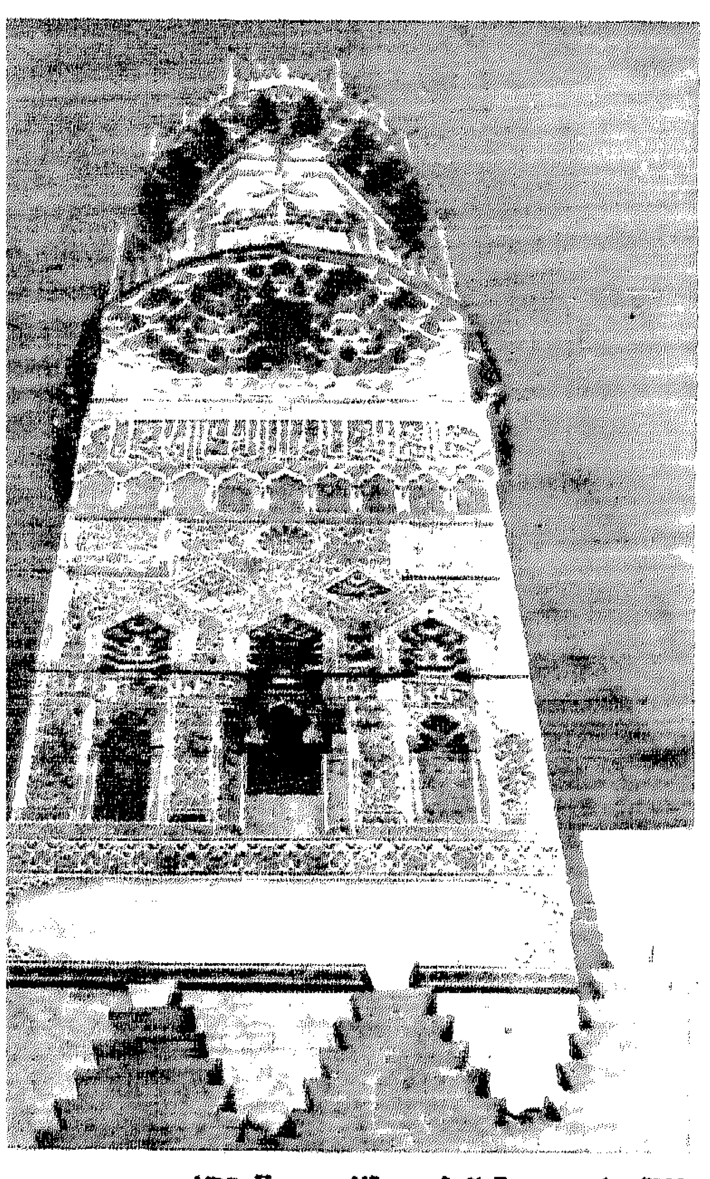
وجاء محافظ القاهرة فى ظل هذا الوضع ، وحدد هدفاً ممكنا ، يمثل بداية ناجحة فى طريق طويل ، ففى معظم الدول الأوروبية هناك شوارع أثرية تجذب السياح وطلاب المعرفة ، واختار أكثر مناطق القاهرة العتيقة غنى بالآثار والعمارة الإسلامية ، وأعلن المشروع هذه المرة رجل "عمل" بحكم مسئولياته ، فى صيغة تختلف عمّا سبق ونادى به الكتاب والمفكرون ، من أمثال على باشا مبارك وعبد الله عنان وحسن عبد الوهاب وعبد الرحمن زكى ونجيب محفوظ وأحمد بهاء الدين ويحيى حقى وغيرهم .

والحفاظ على الآثار هو الحفاظ على ذاكرة مصر التاريخية ، والحفاظ على روح مصر الخاصة ، وهو الذخيرة الضرورية لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل ، والبداية الحيوية التى يمكن أن تعيد القاهرة بهاءها ، ويعيد إليها بعض الحس الفنى المفقود ، وسط زحام التكدس والفوضى ، كما يخلق نجاح هذا المشروع لدى المواطنين آلية القيام بدلاً من منطق اليأس والقعود ، ويؤكد أن الشعلة تبقى حية تحت الرماد ، إن اختفت بعض الوقت ، تعود وتتألق من جديد ! فلقد أشاعت روح مصر العالم يوما فى تاريخها القديم ، وعادت وظهرت لمحات من الفن والإبداع فى مصر الإسلامية ، وبقى الكثير الذى يمكن أن تقرأه هذه الآثار التاريخية .

● فن ظهر فى مصر

وكتابة "الخطط" فن ظهر وتألق على ضفاف النيل، فن اختصت به مصر الإسلامية، وهو فن يبدأ من وصف الأثر وينتهى ببعث الحياة فيه، بعد أن يحققى ويحتو على كل أثر وحجر، ويقودك كاتب الخطط برشاقة من الحجر إلى البشر، ولعل مشروع إحياء الشارع الأعظم ماهو إلا التطبيق العملى لهذا الفن، يقدم ما أبدعته العقول فى الماضى، وما أنتجه وجدانهم الفنى، وما شيدوه من مبان تحدد ملامح حضارتهم.

وهكذا كانت الخطط والآثار عند المقريزى، وهكذا كانت الخطط التوفيقية.. فما بشرنا به محافظ القاهرة، هو تحويل الشارع من باب الفتوح إلى باب النصر، إلى منطقة أثرية لها حرمتها، ويواجه التعديات التى تحاصره، ويزيل الأكشاك والحوانيت التى تغطى أهم الآثار الإسلامية، مع خطة طموحة لترميم وإعادة الحياة لهذه الآثار، بعد أن طال عليها الإهمال، وارتفعت المياه الجوفية، وتحولت إلى ورش لإصلاح السيارات والجراجات أو قيام المشروعات التجارية التى لا تدرك أهمية وقيمة هذه الآثار، فهذه المنطقة بعد أن هاجر منها القلب، وانتقل قصر "الحاكم" إلى قلعة الجبل، تحولت بالتدريج إلى مخازن وتجارة الجملة، أو متاجر محلية أو ورش، وفقدت عزها القديم وأصبحت خليطا تطغى فيه المصالح على دورها التاريخى والثقافى،



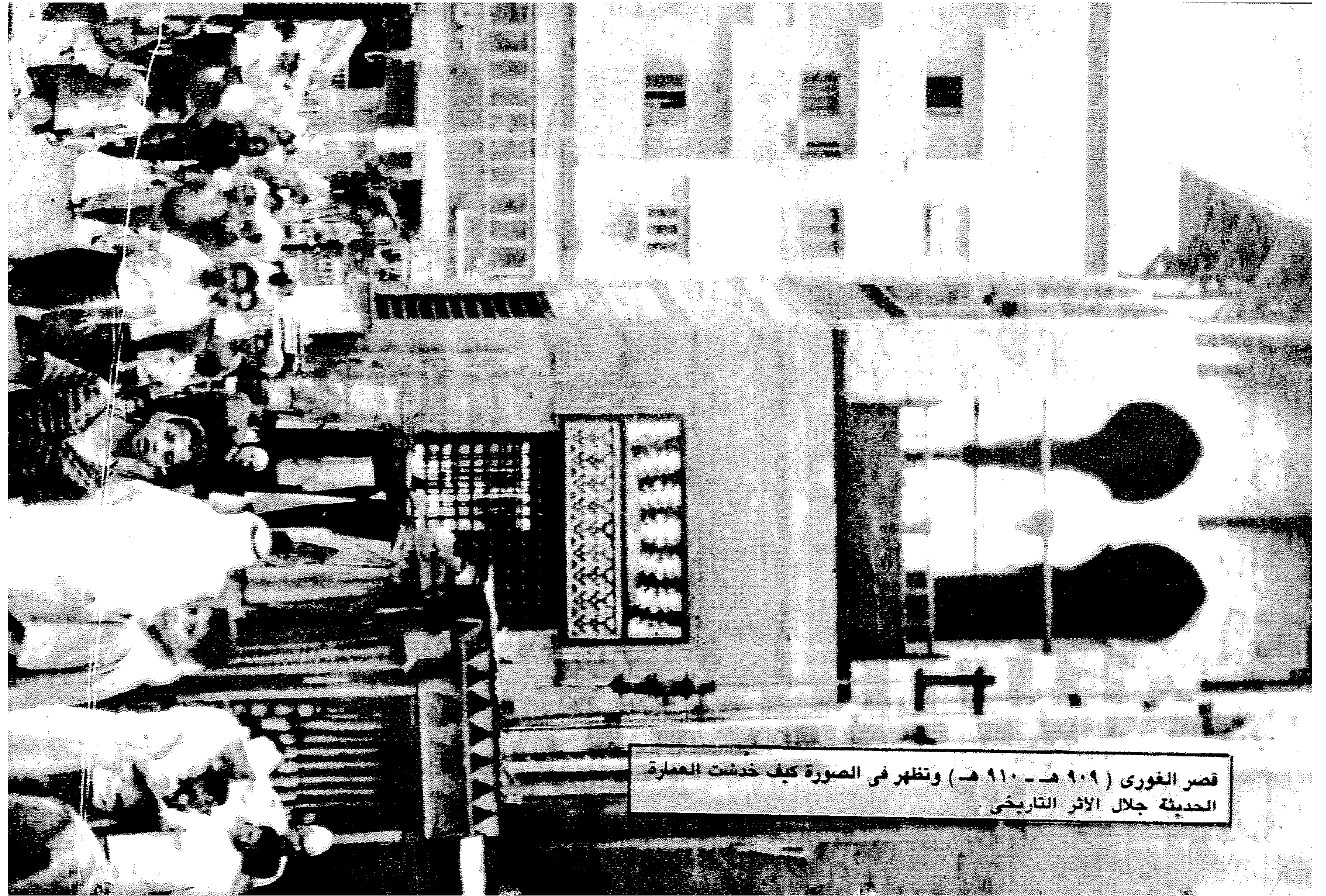
مئذنة جامع مدرسة المنصور قلاوون سنة ٧٦٦ هـ يقول عن المئذنة عرس الدين القاهرى "ليس لها نظير فى الدنيا"

تقوم فيها دور متداعية فوق خرائب قصور الخلفاء، ويبقى التاريخ منقوشا على حوائط مبانيها، ومكتوبا على نواصى أزقتها ودروب حواريها، وحان الوقت ليسترد هذا الشارع عزه القديم..

وهذا الشارع وما يحيط به من حارات، من أغنى مناطق العالم بالآثار، ففيه نقطة

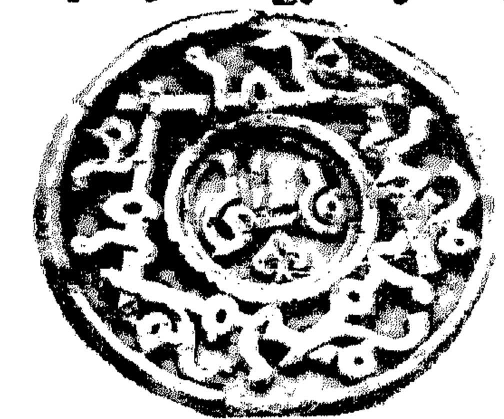


مسجد المؤيد لدين الله
(٨١٨ هـ ـ ١٤١٥ م)
قال عنه السلطان سليم
عند وصوله للقاهرة
"هذه عمارة الملوك"



قصر الغورى (٩٠٩ هـ - ٩١٠ هـ) وتظهر فى الصورة كيف خدشت العمارة الحديثة جلال الاثر التاريخى .

دعوا آثار شارع المعز لدين الله تتكلم !!



بدء القاهرة المعزية ، وكان يوما سرة القاهرة وقصبتها ، ومبانيه المتجاورة تضم كل مراحل تاريخ مصر الإسلامية ، وكأنها الطبقات الجيولوجية ، الفاطميون والايوبيون والمماليك والعثمانيون .

وتحكي مبانيه التاريخية لحظات المجد وأيام الانحسار .

● المتحف المسكون

ولم تعد المعرفة التاريخية هذه الأيام تقتصر على المدرسة ، ولا الكتاب ، بل أصدق من كل ذلك ما تركه الأجداد من آثار .

بوابة المتولى او باب زويلة ، والتى تداخلت فى مشهد مهيب مع مسجد المؤيد واسوار القاهرة

ويدهش من يتجول فى عواصم العالم ، من الحفاوة الهائلة بكل آثار الماضى ، مهما قل شأنها ، وعندما لا يجدونها ، يصطنعونها إصطناعاً ، فعندما زرت مدينة كاردف فى ويلز ببريطانيا ، شاهدت مدينة كاملة من القرن التاسع عشر ، بنيت حديثا على ساحة كبيرة ، فيها كل ملامح تلك الايام ، طراز مبانيها وأسواقها ، وملابس أهلها ، وحتى المواصلات والمتاجر ، يعمل فى المدينة الحداد والخباز بذات الأدوات القديمة ، تزورها وكأنك إنتقلت إلى قطعة من التاريخ الحى ، يقضى فيها الزائر يوماً كاملاً ، يلمس ويشم ويتذوق عبير الماضى ، ويعرف كيف خرج الحاضر من الماضى ..

ولسنا فى حاجة مثلهم لكى نقيم مجرد "ماكيت" لعمارة الماضى ، فمازال لدينا عدد كبير من المبانى التاريخية ، إذا رممت سيخرج إلى النور متحف مسكون ، عندما ينجح مشروع محافظ القاهرة ، عندما يتمتع زائر شارع المعز ، بقراءة جديدة للتاريخ ، وعندها ستتكلم آثار الشارع الأعظم ، ويعيش زائره قراءة جديدة للتاريخ ، يثير خياله ويوحى إليه ، ويؤثر فيه ، ويرفع من حسه الفنى والتاريخى ، ويولد إنسان جديد قادر على فهم العصر والتعامل معه ، ويخرجه من أسوار الحاضر ويمدوده إلى آفاق المستقبل .

ومشروع ترميم الآثار الذى تعتزم المحافظة القيام به ، مشروع إقتصادى ، علاوة على فائدته الثقافية ، عندما يتحول شارع المعز إلى نقطة جذب هامة للسياحة من كل انحاء العالم ، ويستطيع المشروع أن يجذب مؤسسات دولية للمشاركة فى عمليات الترميم ، مثل مؤسسة آغاخان واليونسكو ، بوصف هذا التراث تراثا إنسانيا ، وقد سبق وساهمت اليونسكو بالفعل فى إنقاذ آثار النوبة ومعبد أبو سمبل ، كما تساهم اليونسكو فى مشروع إنقاذ مدينة فاس المغربية .

● البشــرى

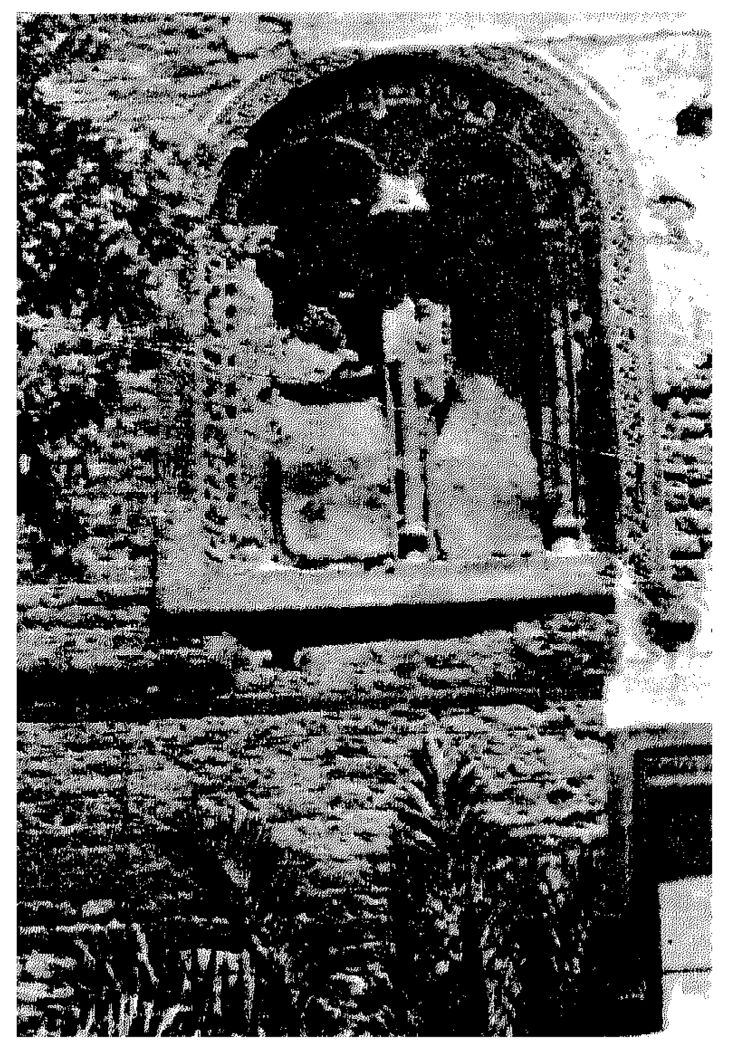
وحان الوقت لنتجول فى هذا الشارع ، لكى ندرك قيمة "البشرى" التى زفها إلينا محافظ القاهرة ، محتذين فى جولتنا بمن الخطط القديم ..

فى القاهرة أكبر عدد من الآثار الإسلامية القائمة فى مكان واحد وفى شارع المعز وما يحيط به أغلى هذه الآثار ، فهذه المنطقة التى انشأها جوهر الصقلى وجعل حولها سورا ، يحدها بابا الفتوح وزويلة .

وقدم لنا جاك بيرك المستشرق الفرنسى دراسة قيمة حول شارع المعز ، وكيف أن تعرجه يعتبر عملاً معماريا يهدف إلى حماية رواده من اشعة الشمس الحارقة طوال فصول العام .

وعرف هذا الشارع طوال تاريخه باسم الشارع الأعظم ، وتغير اسمه عام ١٩٣٧ وأطلق عليه اسمه الجديد ، ولم يكتسب الشارع الأعظم أهميته باعتباره الشارع الرئيسى فى القاهرة فقط ، بل لأنه إتصل بباقى أجزاء العاصمة من القطائع والعسكر والفسطاط ، فامتد خارج باب زويلة جنوبا حتى جامع السيدة نفيسة ، وامتد شمالا خارج باب الفتوح وإتصل بحى الحسينية ، وترك لنا المقريزى وصفاً

خريطة الآثار فى القاهرة التى أصدرتها مصلحة المساحة ويظهر شارع المعز غنيا بالآثار التاريخية . باب زويلة وجامع السلطان المؤيد ، وجامع الفكهانى ومدرسة وبيت السلطان الغورى والمدرسة الأشرفية ، وسبيل وكتاب الشيخ المطهر ، وسبيل وكتاب خسرو ، ومدرسة ومارستان وقبة السلطان قلاوون ، ومدرسة ومسجد برقوق ، وحمام اينال ، ومدرسة الظاهر بيبرس وقصر الأمير بشتاك وجامع الأقمر ومسجد وسبيل السلحدار ومسجد الحاكم بأمر الله ، وباب الفتوح كما تزدحم الحارات المحيطة بالآثار



مانبقي من مارستان قلاوون

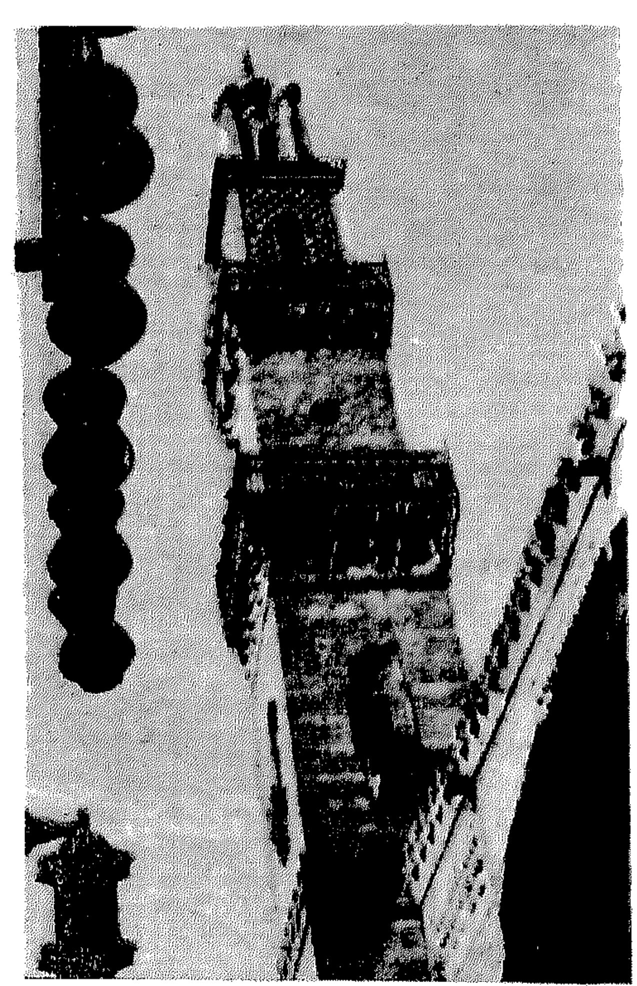
شيقا لهذا الشارع ، أكد فيه أنه قصبة القاهرة ، وأنه عامر بالمتاجر والأسواق حتى بلغ عدد حوانيته من الحسينية حتى السيدة نفيسة ١٢ الف متجر ، ووصف قصوره ومساجده وحماماته واسبلته وتكاياه وصفا كاملاً ..

يصل طول الشارع من باب الفتوح حتى باب زويلة حوالى ١٥٠٠ متر ، ويسهل قطعة سيراً على الأقدام ، ويتمتع هذا الشارع تاريخيا بمكانة خاصة ، وكانت له تقاليد مرعية ، منها عدم مرور حمل تبن أو حمل حطب ، ولا يسوق به أحد فرساً ، ولا يمر به سقاء إلا وراويته مغطاة ، وكان على أصحاب الحوانيت أن يعلق كل منهم على حانوته قنديلاً موقداً طوال الليل ، وأن يعد كل منهم زيراً مملوءاً بالمياه لمقاومة الحريق ..

وكان هناك أشخاص معينون به للكنس والرش ورفع ما يرمى من المخلفات ، كما عين له خفراء يطوفون بالحوانيت والدور لحراستها ..

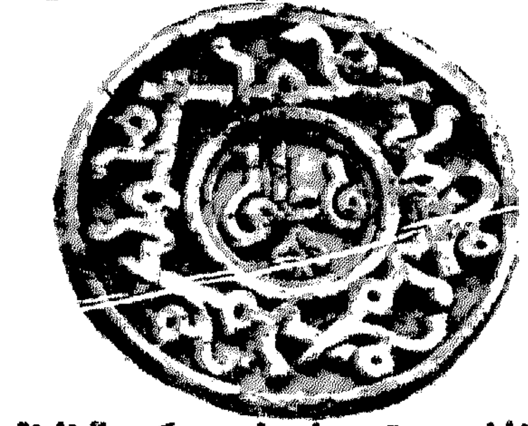
أى أن المشروع الجديد ، ليس أكثر من أحياء بعض التقاليد القديمة ..

تزخر المسافة القصيرة بين البابين زويلة والفتوح بما يزيد خمسة عشر اثرا ، إضافة إلى أضعاف هذا العدد فى الحارات والأزقة المتفرعة منه ، أسواق ومساجد وحمامات وخانات وأسبلة وأسوار وبوابات ومدارس ، وكان طوال العصر



مئذنة مسجد الغورى

دعوا آثار شارع المعز لدين الله تتكلم !!



الفاطمى مقصوراً على سكن الخليفة ورجاله .

وليس هذا غريبا فتاريخ القاهرة وحدها يعادل مجموع تاريخ عدد غير قليل من عواصم غرب أوربا . وهنا كل حجر مشبع بعبق التاريخ . وكل شبر يحمل بصمات الإنسان . ويتعايش . يتناغم أو يتنافر القديم والجديد . الأصيل والدخيل .

والجولة فى هذا الشارع هى جولة فى الزمان والمكان معاً . فالمبانى ليست مجرد أحجار مرصوصة . بل وظائف محددة تبحث عن من ينطقها .

وكان قصر السلطان هو المركز وقلب مدينة القاهرة ؛ يحيط به قصور الأمراء والقادة . وفى الدائرة الأوسع التجار والعامة وصغار الأهالى وعند هوامش المدينة يوجد المزارع ومن يفلحها .

● شارع الأعظم

ولنتوقف قليلاً عند بعض المحطات والمبانى التاريخية فى هذا الشارع . ونستحضر أحداثه . وفنونه وشخوصه وبعض أيام عزه ومجده .

الداخل إلى الشارع من الجنوب يدخل على مشهد جليل ومهيب ..

عندما يظهر باب زويلة والساحة ومسجد المؤيد لدين الله فى لوحة تشكيلية بديعة . جذبت لها على الدوام ريشة الفنان التشكيلى . وسجلها العديد من الرسامين العالميين . يقف فيها باب زويلة شامخا بجناحيه المحصنين . ترتفع فوقهما مآذن رشيقة أقيمت فى عصر لاحق . يحمل المكان رحيق الماضى وعظمته . فعندما تدخل من الباب فكأنك تنزلق إلى عصر آخر . وتشعر أنك لست أمام مجرد مدينة جليلة بل أمام آثار مدينة فريدة . تطور فيها فن العمارة قرنا وراء قرن . وسجل حضارتها يظهر على الحجر والخشب والآجر . تتداخل فى اللوحة ملامح وجوه البشر مع العمارة . وتبقى أبواب القاهرة القديمة أروع آثار الفاطميين . وداخل باب زويلة ممر له قنطرة ورواقد يربط بين الأبراج المعدة لمواجهة العدو . ولن نقف طويلا عند تفاصيل عمارة تلك المبانى الأثرية . التى تجدها فى الكتب والدراسات . ونكتفى باسترجاع بعض الظلال والألوان وصور التاريخ الحية . حتى نتبين مدى الحاجة لمشروع الدكتور محمود الشريف . عندما يتيح لهذه الآثار فرصة أن تنطق وتعبر وتتنفس ..

مسيرة هذا الشارع تحمل العديد من الصور الدرامية . ويحكى باب زويلة العديد من فصول التاريخ حول العصر الفاطمى بما فيه من سحر وخفاء . وعصر المماليك بعنفوان جنوده ومجالس علمائه . ووقائع أيامه المجيدة .

فنتوقف عند اسم الباب . الذى يطلق عليه العامة اسم "بوابة المتولى" . ويحكى الإسم أحد فصول التاريخ

الدامية ، تكاد تسمع عند الباب صليل السيوف وترى غبار المتحاربين ، فتعود هذه التسمية إلى إحدى المعارك الكبرى وبداية الغزو العثمانى لمصر ، تحولت خلالها القاهرة من مركز وقلب العالم الإسلامى إلى ولاية تابعة ، عندما إتجهت جحافل العثمانيين إلى مصر تقصد آخر سلاطين المماليك السلطان الغورى ، والذى مات شهيداً فى ساحة الوغى فى معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ، وتولى قيادة فلول الجيش المهزوم طومان باى الذى استمر يحارب وهو يتقهقر إلى القاهرة ، تتبعه الجيوش العثمانية ، ولم يحصل بعد على البيعة ، وعرف بمتولى الأمر ، وقبض عليه العثمانيون وشنقوه كأى مجرم عادى على باب زويلة فى ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ ، ويحكى ابن إياس عن مدى جزع الأهالى وصياحهم .. "المتولى شنق على باب زويله" ، واحتل المتولى مكانة خاصة فى وجدان الناس ويكفيه أنه قاتل بشجاعة إلى آخر لحظة ، وتقبل مصيره بشجاعة بالغة ، وقرن الأهالى المتولى بالباب ، لا يمر أحد منه إلا وقرأ له الفاتحة وطلب له الرحمة .

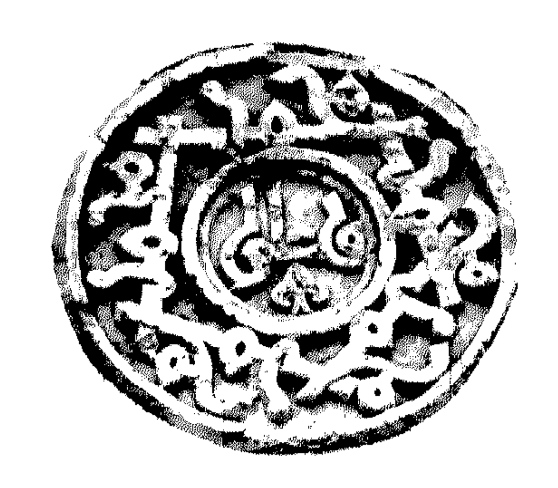
مازلنا أمام الباب ، والصور تتلاحق ، وكما شهد الباب هزيمة المماليك شهد إنتصاراتهم ، عندما علق عليه سلطان المماليك قطز رءوس رسل هولاكو ، الذين حملوا رسالته التى يطلب فيها الاستسلام ، وكانت كلماتها .. "سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب ، فأى أرض تأويكم ، وأى طريق ينجيكم ، وأى بلاد تحميكم ، فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص" ..

وما كان من السلطان إلا أن علق رءوسهم ، ودعا إلى الجهاد ، وعندما رأى التردد عند البعض ، صاح فيهم قائلا .. "ياأمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، أما أنا فمتوجه إليهم فمن إختار الجهاد بصحبتى ، ومن لم يختر ذلك ، يرجع إلى بيته ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب أولئك المتقاعدين" ..

وحلت على يدى السلطان أول هزيمة كبرى للمغول ، ولولا معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ هـ ، لقضوا على عالم الإسلام .

● قصر الخليفة

نمر سريعاً فى الطريق المتعرج الحافل بلمحات من جمال الماضى ، نشق طريقنا وسط الزحام بصعوبة ، ويصر قائد شاحنة ضخمة أن يشق طريقه وسط كل هذا الزحام ، ولا يرفع يده عن بوق سيارته ، ولا يقدر إلى أى حد يخدش حرمة المكان ، التعديات تخفى الآثار ، ويختلط عطر الماضى بروائح بقايا المأكولات ، وتتشبث الصناعات التقليدية القديمة بآخر معاقلها ، وهذا الشارع يكاد يكون الوحيد الذى مازال فيه محل لصناعة الطرابيش . تغطى الأكشاك التى تعرض ملابس النساء على واجهات المبانى الأثرية ، ويرتفع منسوب الطريق عن المبانى الأثرية حتى أصبح الدور الأرضى للمبانى الفاطمية



تحت منسوب الشارع بما لا يقل عن ثلاثة أمتار ، مما جعل كل أثر مهدداً بالمياه الجوفية ..

نترك الغورية ونعبر شارع الأزهر حتى نصل إلى جامع ومستشفى المنصور قلاوون ، وأول ما يطالعك مئذنة الجامع ، وهى تحفة فنية تشبه الدانتيل المنقوش من الجص ، ونحن نقف فى الجزء الذى كان عاصمة ومركزا للدولة الفاطمية ، يحافظ على سحره وجماله الخاص ، رغم ما شوه هذا الجمال من مبان تختلف عن عراقة الماضى ، وفى هذه البقعة المحدودة ترى آثارا عثمانية ومملوكية وفاطمية . مهددة بالفناء تحت ضغط عوامل الطبيعة والأغراض التجارية ..

مازالت هذه المنطقة تحمل اسم "بين القصرين" ، فكانت تضم يوما قصرى الخليفة الشرقى والغربى على جانبى الطريق ، وما بينهما ميدان فسيح يتسع لما يزيد على عشرة آلاف فارس ، يستعرضهم الخليفة أيام الاحتفالات .

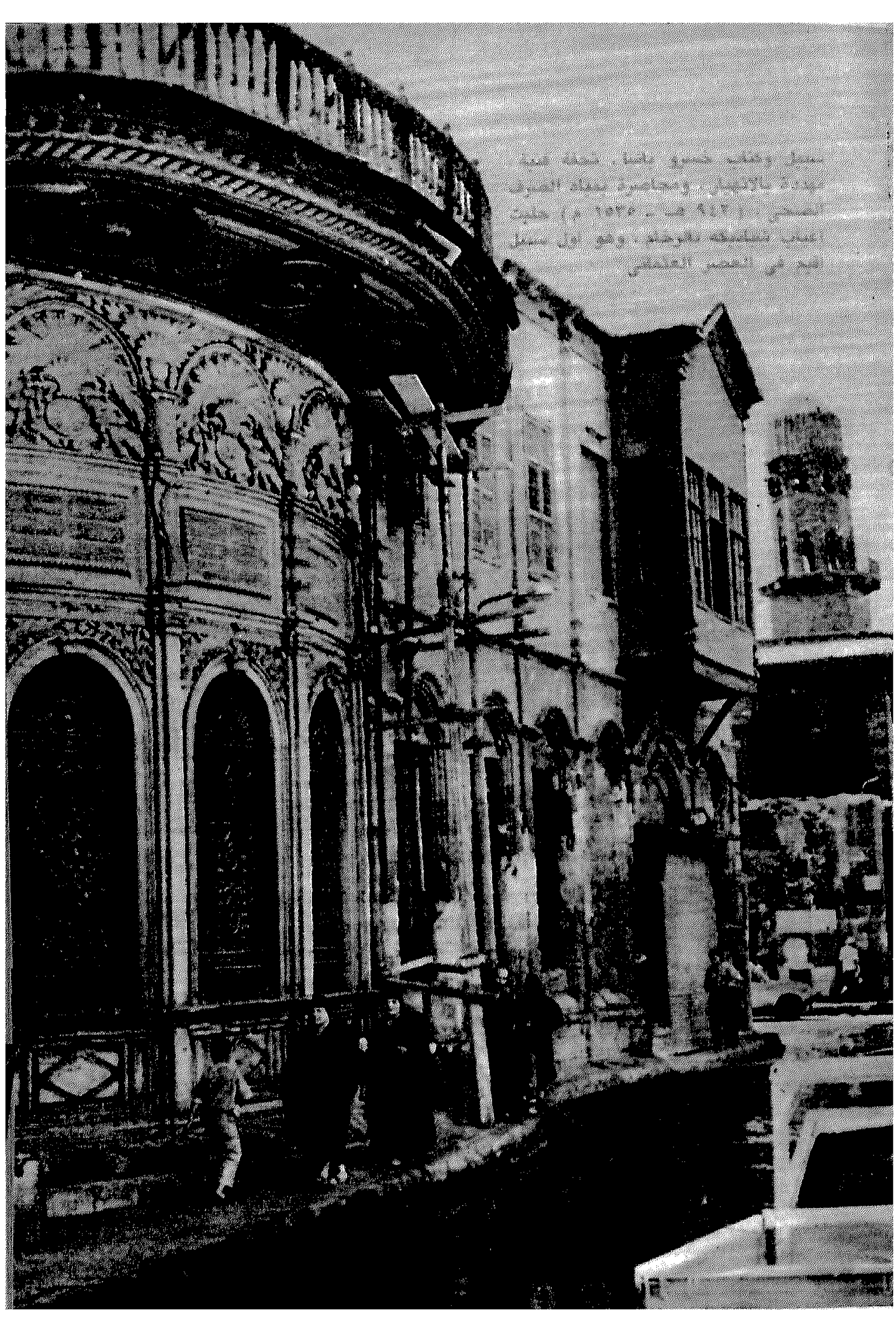
أمامك سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا ، المتوسط للشارع ، وهو من أجمل الأسبلة ، أقامه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م ، وكسيت واجهاته بالرخام الملون المنقوش ، وكسيت جدرانه بالفسيفساء ، وبه صورة الكعبة وما حولها ..

أما القصران فقد اندثرا ، وكانا من عجائب الدنيا عمارة وفنا ، تجلت فيهما حضارة الدولة الفاطمية ، وزالت هذه القصور وأقيمت محلها المساجد والمدارس والأسواق ، وترك لنا كتاب الخطط والرحالة فيضا من الصور لهذه البقعة ، وسجلوا بدقة ما كان عليه حالها .

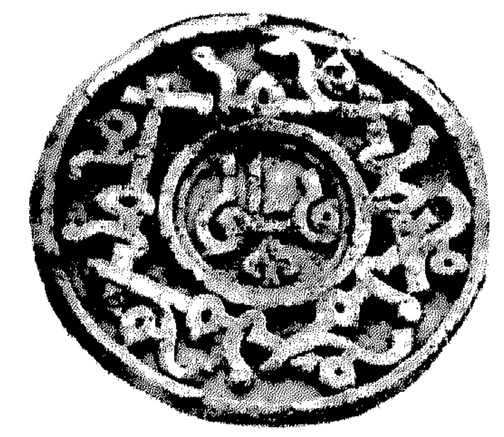
كان باب القصر الشرقى من الذهب الخالص ، والذى كان قائما محل محراب ومدرسة الظاهر بيبرس ، وقد اخترق شارع بيت القاضى هذه المدرسة ، وكان موقع هذا المحراب يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا ، كما سجل على باشا مبارك فى خططه ، وأقيم مارستان المنصور قلاوون فى مواجهته مدرسة الظاهر بيبرس .

ويذكر المقريزى .. أن القصر الشرقى كان كبير المساحة ، وله تسعة أبواب ، باب الذهب وباب الريح وباب الزمرد وباب العيد ، وهو الباب الذى يخرج منه الخليفة لصلاة العيد ، وباب قصر الشوك ، وقد أطلق عليه "القصور الزاهرة" أما القصر الغربى فكان على يسار المتجه إلى باب الفتوح ، ورغم أن الحاكم بأمر الله أمر بهدمه ، فإنه لم يهدم وسكنته ست الملك أخت الحاكم ، وهو الذى كان قائما محل كارستان المنصورى .

وتحكى كتب التاريخ .. انه عقب صلاة العشاء ، يضرب الطبل والبوق ، والآلات الموسيقية الأخرى .. "بطريقة مستحسنة ونغمات مستحبة" ، ويظل عزف الموسيقى



سبيل وكتاب محمد علي باشا، شيده على روح ابنه إسماعيل، ويجاور نهاية شارع المعز (١٢٤٤ هـ - ١٨٢٨ م) حليت النوافذ الشبابيك بالبرونز، وهو أول سبيل بني على الطراز العثماني



حتى يخرج من القصر من يصيح قائلا .. "أمير المؤمنين يرد عليكم السلام ، ويأمر بوقف الموسيقى وغلق الأبواب" فترمى السلسلة ما بين القصرين .

ووصف لنا شاهد عيان القصر أيام حكم المستنصر بالله ، وهو ناصر خسرو (١٠٤٧م - ١٠٥٠م) يقول .. "يقع قصر السلطان فى وسط القاهرة ، وهو طلق من جميع الجهات ، لا يتصل به أى بناء ، ويتكون القصر من اثنى عشر بناء ، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا ، وهذا الباب على سرداب يؤدى إلى قصر آخر خارج المدينة .. ولهذا السرداب الذى يصل ما بين القصرين سقف محكم ، وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة ، قدت من صخر واحد .. وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها ، والقصران ، أولهما قصر اللؤلؤة وثانيهما قصر الجوهرة .. ومطبخ السلطان خارج القصر ، ويعمل فيه خمسون غلاماً ، كما يصل المطبخ بالقصر سرداب تحت الأرض ،.. وجرت العادة فى مصر ، أن يحمل إلى دار الشراب السلطانية كل يوم ، أربعة عشر جملاً محملاً بالثلج ، وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب يومى من هذا الثلج" ..

ويتناثر وصف قصر الخليفة فى العديد من الكتب ..

ونتساءل أحقا ما ذكره المقريزى .. من أنه .. "قبل خروج الخليفة فى الموكب ، يروض الرائض فرسين أو ثلاثة ، على كل منهما السرج الذى يستعمله الخليفة ، ويركب أحد الأستاذين بغله ، وهو ممسك بالمظلة ، ويسيران فى براح الاسطبل ساعات ، والأبواق تنفخ ، والطبول تدق ، حتى تتعود الأفراس الحركة والأصوات فلا تجفل ولا تنفر ، والفرس والبغلة اللتان تتهيأن ليركبهما الخليفة وحامل المظلة فى الموكب .

ويقال : إنه ما رئيت دابة فزعت أو بالت ، لغاية نزول الخليفة وصاحب المظلة عنهما" !

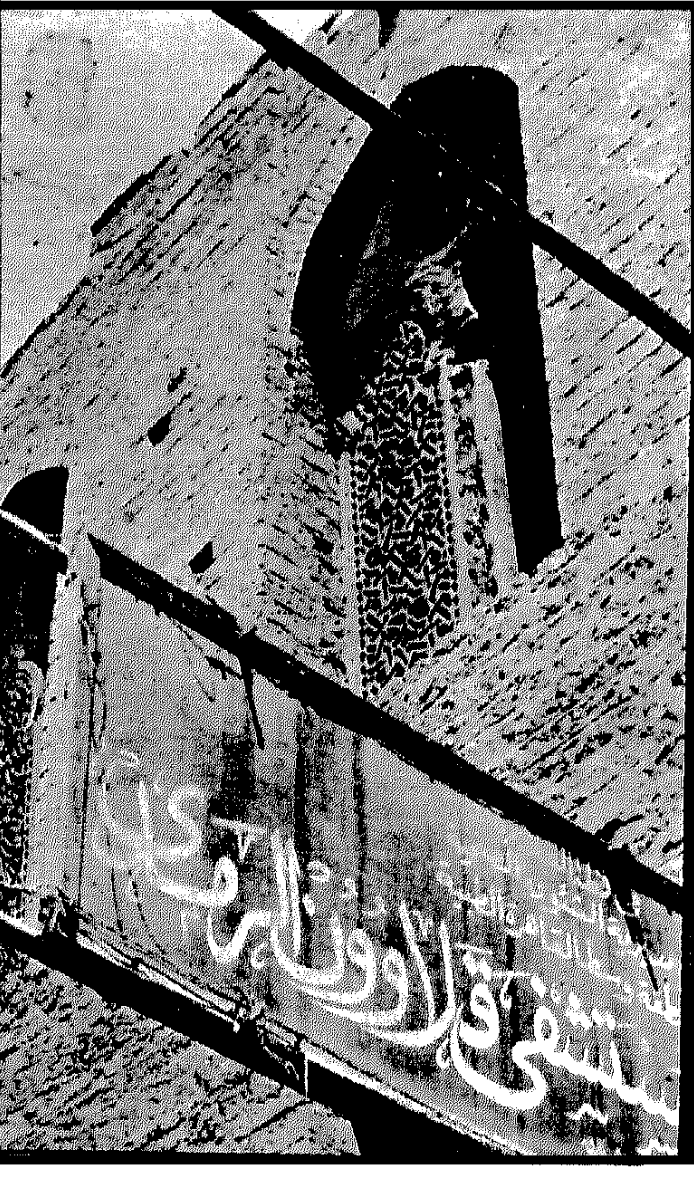
وتروى هذه البقعة ، قصة قيام وانهيار الدولة الفاطمية ، والتى كان قيامها إيذانا بأن تصبح القاهرة ، مركز وقلب العالم الإسلامى ، بعد أن كانت ولاية تابعة ، صحيح كان بعض ولاتها الأوائل ولاة لأفريقيا (بلاد المغرب) ، وصحيح أنه ظهرت نزعات إستقلالية ، وقامت الدولتان الطولونية والإخشيدية اللتان لا تكاد تربطهما بالخلافة الإسلامية سوى روابط سياسية أو إدارية واهية ، إلا أنهم استمروا تحت لواء الخلافة فى دمشق أو بغداد ، وأصبحت القاهرة أيامهم عاصمة تضم شمال أفريقيا غربا والشام شرقا واليمن جنوباً، وكان العصر الفاطمى أحفل عصور مصر الإسلامية بالمواقف الشائقة ، وأجدرها بالدرس والاهتمام ، ونشرت الخلافة حولها فيضا من العظمة ،

وترك لنا المقريزى والقلقشندى كثيرا من التفاصيل الدقيقة لهذه المرحلة التاريخية .

وخلالها ازدهرت القاهرة ، وسطعت الميادين بالوقود والشموع ، وتزينت الأسواق والقياسر بمختلف أنواع الزينة ، وأنفقت الأموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والسماع (المقريزى)

وبدأت القاهرة مدينة سلطانية متواضعة لا تتجاوز مساحتها ميلاً فى ميل ، ولم يمض جيل واحد إلا واتسعت واتصلت وأصبحت من أكبر وأعظم مدن الإسلام ، وأصبحت الحياة الاجتماعية تتقلب بين ألوان البذخ والترف ، وأظهر الشعب مرحه المأثور ، وأظهر روح الدعابة والفكاهة التى يملكها ، فقد مس الحكام الجدد الطبيعة المرحة والولع بالحياة اللذين يتمتع بهما الأهالى ، وكانت مواكب الخلافة وحفلاتها ومآدبها وما يحيطها من الإجلال مواقف مشهودة ، وكانت الأعياد والمواسم مثار البهجة والمرح ، واحتفلت الدولة الفاطمية بكل الاحتفالات المصرية القديمة مثل عيد فتح الخليج (وفاء النيل) ، ويوم النيروز ..

وكان موكب عيد الفطر من أعظم هذه الاحتفالات ، ففى ليلة العيد ينظم بالايوان الكبير سماط ضخم يبلغ نحو ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع ، وتنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى مما أعد فى دار الخلافة ، وبعد صلاة الفجر تفتح أبواب القصر للأهالى ويشاركهم الخليفة طعامهم ، ويروى المسبحى .. "وفى يوم العيد ركب العزيز بالله للصلاة .. وبين يديه الفيلة عليها الرجاله بالسلاح



الخيط الرفيع بين الماضى والحاضر ، اقيم إلى جوار المارستان القديم مستشفى قلاوون للعيون .

والزرافة ، وخرج بالمظلة المثقلة بالجوهر" ، وعند عودة الخليفة كانت هناك وليمة أكبر من الأولى يحضرها نحو خمسمائة مدعو .

أما ليلة فتح الخليج أو وفاء النيل ، فيركب الخليفة إلى الخليج فى موكب فخم ، ويصل إلى سرادق تبلغ مساحته نحو ألف ألف ذراع ، تنصب داخله قاعة الخلافة ، وتصطف السفن الرسمية فى النيل ، وتصطف الجنود على الشاطئين ،



وتقام المآدب وتنظم الملاهى ومجالس الأنس والغناء ..

إن كل هذه العصور التاريخية ، تتوارد فى هذا المكان ، وهذه بعض نغماته .

● المارستان

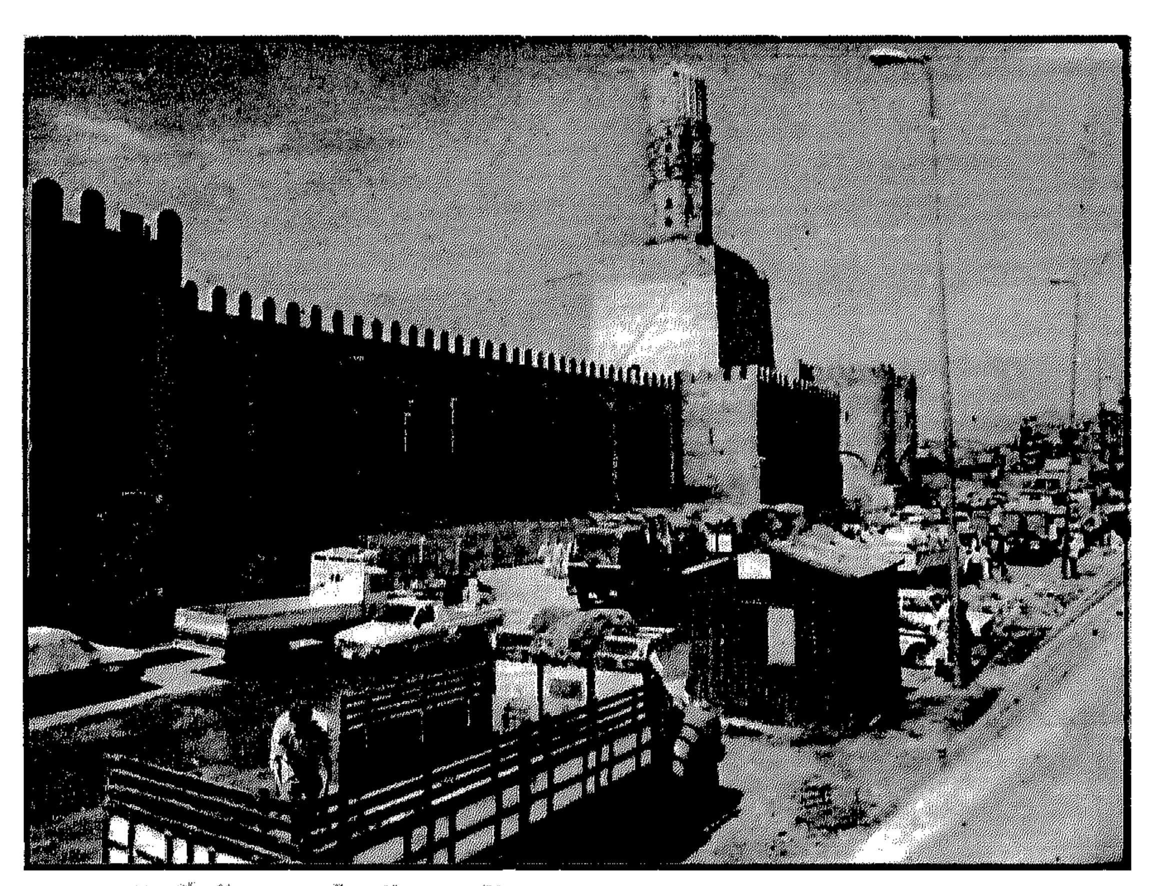
مستشفى قلاوون للعيون ، قائم حالياً محل المارستان ، إنه الصلة الخفية بين الماضى والحاضر ، ففى ذات المكان أقام المنصور قلاوون ، المارستان الذى أصبح أحد معالم القاهرة العتيقة ، يقف المبنى القديم ببهائه إلى جانب المستشفى الجديد .

ووصف القلقشندى فى صبح الأعشى المارستان ، فقد حكم السلطان قلاوون أربعا وأربعين سنة على ثلاث فترات ، وتكاد تكون أطول فترة يحكم فيها مصر حاكم واحد ، وترك وراءه العديد من المنشآت العامة التى تقاوم الزمن بعناد .

وأدهش هذا المارستان جومار أحد علماء الحملة الفرنسية ، وكتب يقول "من الخطأ الشائع الظن أن القاهرة محرومة من المنشآت الخيرية ، فقد وجد بالقاهرة منذ خمسة أو ستة قرون ، العديد من المارستانات المخصصة لإيواء العجزة والمرضى ، لقد وجدت "التكايا" التى تستقبل المسافرين الفقراء ، ويجدون فيه الضيافة المجانية ، وشيدت الأسبلة العامة ، وأوقف سلاطين وأغنياء بعض ثرواتهم لكى يساهم ريعها فى صيانة الأبنية العامة وتغطية نفقاتها السنوية" .

ويضيف .. "قام مارستان الناصر قلاوون لاستقبال المرضى والمختلين عقليا ، وخصص لكل نوع من الأمراض قاعة خاصة يشرف عليها حكيم ، يقبل المرضى سواء الأغنياء منهم أو الفقراء ، والمرضى المصابون بالأرق ينقلون إلى قاعة منفصلة ويستمعون إلى الموسيقى ، كما يتولى رواة محترفون تسليتهم بحكاياتهم ، ويعرضون فصولا ضاحكة لإدخال البهجة إلى نفوسهم . وهناك مدرسة ملحقة بالمارستان ، يدرس فيها الطب والشريعة ..

ويضيف فى مقاله الذى نشر فى كتاب وصف مصر .. "وهناك مؤسسة خيرية أخرى أقيمت لكى تؤوى وتطعم النساء اللاتى ليس لهن مأوى" .. ويضيف .. "لقد كانت لدينا معلومات خاطئة فى أوربا عن مؤسسات الإحسان فى الشرق ، وعن إهمال تلك الأعمال الخيرية ، ووجدنا فى مصر مؤسسات للعميان سابقة على تلك المؤسسات القائمة فى فرنسا ، التى تصورنا أننا أول من أقامها ، لقد أعطانا الشرق المثال الأول" ..



مسجد الحاكم بامر الله وسور القاهرة .. لقد رمم البهرة مسجد الحاكم !!

وقبلـه كتب أبو الصلت امية (٤٨٩ هـ ـ ١٠٩٥ م) يقول .. "يوجد رجل ملازم للمارستان يستدعي للمرضى كما يستدعى الأطباء ، ويدخل على المريض ويحكي له حكايات مضحكة وخرافات مسلية ، ويخرج للمرضى بوجوه مضحكة ، وكان لطيفاً في إضحاكه وخبيراً ، وعليه قديراً ، فإذا انشرح صدر المريض وعادت إليه قوته ، تركه وانصرف ، فإن احتاج لمعاودة المريض عاده إلى ان يبرا" ..

واستلفت المارستان عيسى البلوى يقول .. "ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به سوى المارستان وحده لكفيها ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالاً واتساعاً لم يعهد مثله بقطر من الأقطار احسن بناء ، ولا أبدع إنشاء ، ولا أكمل انتهاء في الحسن والجمال" ..

ومازال البناء قائما يستصرخ من ينقذه ويعيد له دوره كمثال حي للعمل الاجتماعي الذى عرفناه في العصور الوسطي وكاد يغيب في العصر الحديث .

ولا يمكن بعد جولة كهذه إلا ان تلاحقك الأفكار وتتوارد عليك الخواطر ..

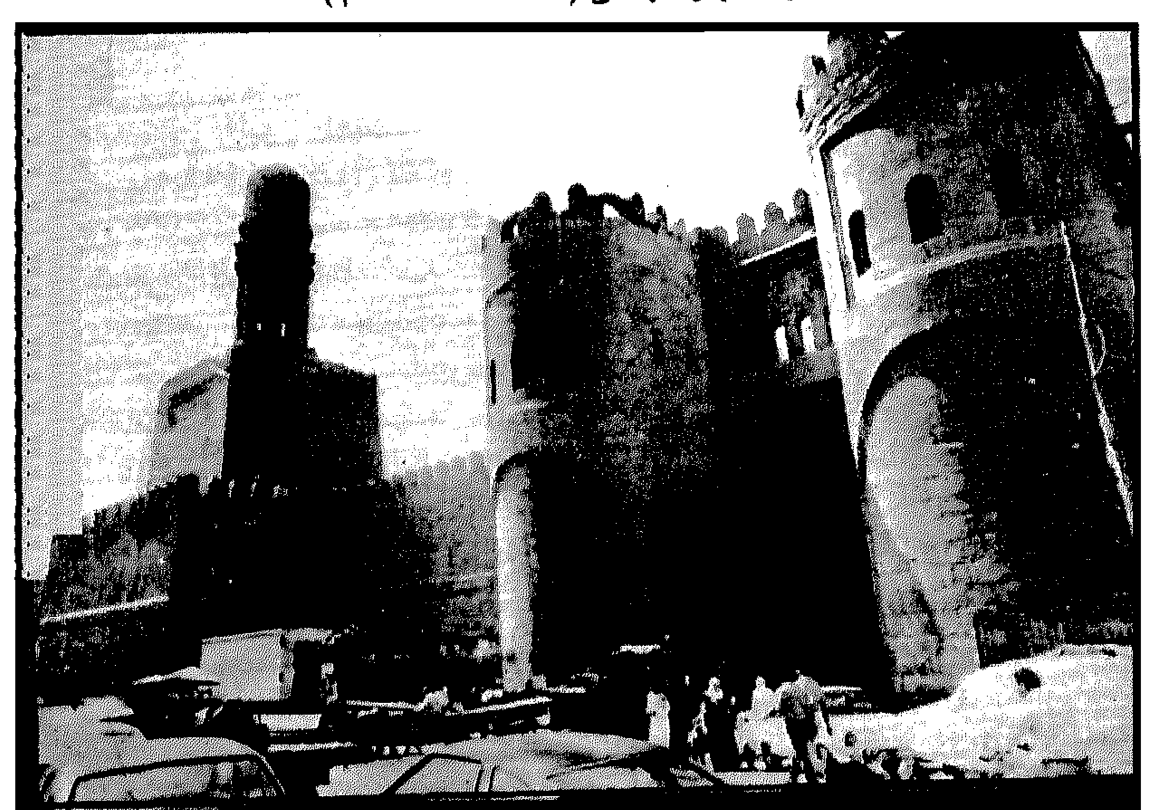
لقد أحب أهالي القاهرة عاصمتهم ، وقام الكتاب بدورهم في التنبيه والتحذير من مغبة إهمال الآثار ، والفت العديد من الكتب عن أحوالها وعمارتها



القديمة ، واستوحى التشكيليون والروائيون من آثارها أعمالاً كثيرة ، وتركت القاهرة القديمة بصماتها على أهلها ، ويغضب بعضهم وهم يرون تراث الماضى يتعرض للزراية والإهمال ، وتمتلىء قلوبهم بالحماس ، ويبدون استعدادهم للقيام بأى جهد لانقاذ آثار مدينتهم ، مثل السيدة الفاضلة ليلى على إبراهيم ، التى تقوم بكل ما تستطيع من أجل الحفاظ على الآثار ، فهى من الذين يهيم ذوقهم بعطر الماضى ، ولكن ماذا بمقدورها أن تفعل بعد أن سدت أمامها كل السبل ؟. ولم يعد أمامها سوى إعداد الدراسات وكتابة المذكرات ، ومقابلة كل من يغنيه الأمر ..

كما ظهر فى هذه الأحياء القديمة "ابن البلد" بفروسيته وشهامته ، وولعه بماضيه ، وهو الذى كان على الدوام وقود

باب الفتوح ومسجد الحاكم بأمر الله ،
جدده بدر الجمالى (٤٨٠ هـ ـ ١٠٨٧ م)



الثورات وحروب التحرير ، وما أيسر أن يساند حملة المحافظ الجديد ، بشرط أن يجد البديل المعقول .

● التعاون بدل المواجهة

ويحتاج هذا المشروع الكبير الذى يستحق منا كل دعم ومساندة ، يحتاج إلى التعاون بدل المواجهة ، فمثلا هناك دور تقوم به وزارة الأوقاف التى تملك ٥٦٩ أثرا إسلاميا ، على حسب ما جاء فى سجل الآثار عام ١٩٣٦ ، وهى التى تضع يدها على أوقاف تلك المبانى التاريخية ، ورغم ذلك لا تقوم بعمليات الصيانة والترميم المطلوبة ، ولا يوجد سبب مفهوم فى عدم ترميم المساجد الأثرية وإعادة الحياة إليها ، فهذا واجب يسبق إقامة مساجد جديدة ، وبدلاً من تأجير بعض هذه الآثار ، بل وحتى تأجير بعض المساجد خلال الموالد والاحتفالات !.

وعلى هيئة الآثار القيـام بالـدور الرئيسى ، فأين مشروعات الترميم التى بدأتها ، وأين حصيلة صندوق حماية الآثار ، والذى صدر بشأنه قانون أيام تولى الأستاذ عبـد المنعم الصاوى مسئولية وزارة الثقافة ، والذى تبلغ حصيلته السنوية حوالى خمسين مليونا من الجنيهات ، ولماذا لا يبدأ خطة متكاملة ، على أسس هندسية وعلمية لترميم آثار شارع المعز ، ولتكن البداية وضع اسم كل صاحب أثر وتاريخه فى لوحة بارزة ، كما هو معمول به فى كل بلاد العالم .

وتتوج كل هذه الجهود محـافظة القاهرة ، وتنسق بين الأطراف المختلفة ، ويسهل هذا المشروع أن الشارع المكتظ قد أصبح طارداً للسكان ، وأن تعد المحافظة أماكن مناسبة لتجار الجملة ، وتنمى الصناعات اليدوية التقليدية ، وتضع الحلول الهندسية لارتفاع منسوب المياه الجوفية ومياه الصرف الصحى .

وأن يتوافق أخيراً النظام القانونى مع فكرة الحفاظ على الآثار ، فالقانون القائم لا يفرق بين المبانى الأثرية وغير الأثرية ، ولم يسعف القانون أحدا ويتمكن من وقف هدم حائط قائم بين متجرين فى مدرسة السلطان الغورى ، ورفضت المحاكم القضية عند تطبيقها لقانون الإسكان !!

وتبقى تعبئة قطاعات واسعة من الرأى العام لهذا المشروع ، فلا يمكن تحقيق هدف مهما كان ساميا ، إلا إذا تبناه الرأى العام ، وقامت هياكل تنظيمية ، تطالب وتدرس وتضغط وتضع البرامج من أجل تحقيقه .

ومن ميزات هذا المشروع الحيوى ، أنه سيكشف أولئك الذين يعرقلون كل مشروع بذرائع مختلفة ، حتى إذا كان يخفف بعض العبء الواقع على كاهل سكان القاهرة .

إن إتمام هذا المشروع ، سيجعل الشارع الأعظم ينطق بعد طول صمت ، وهى بشرى منعشة ، ولعل تلك الجولة التى قمنا بها ، تزيد الإحساس بأهمية المشروع ، وتبعث الحياة فى هذه المبانى التاريخية ، وحتى نصل إلى سر التاريخ الحى ، ونرى الألوان ونستنشق روائح الماضى .

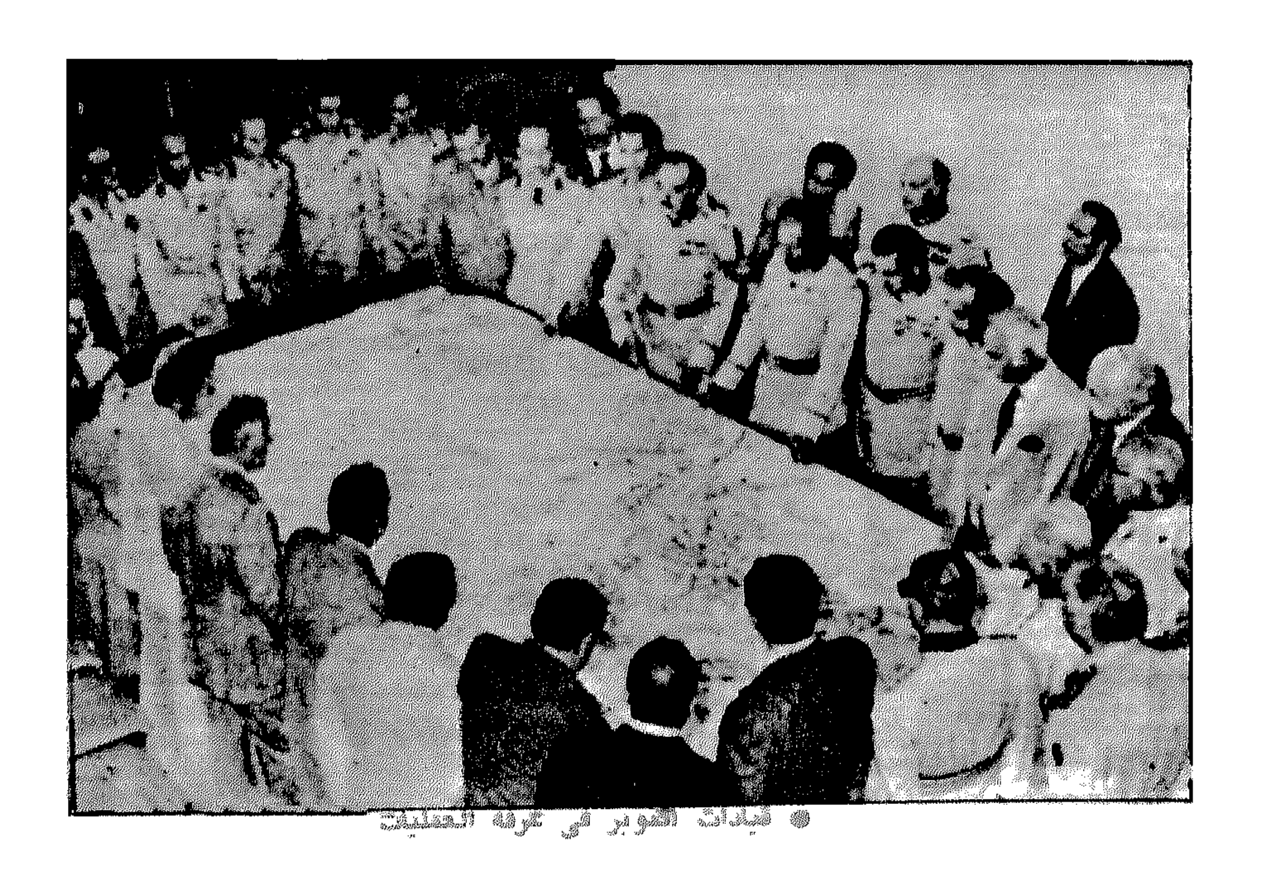
ولن يفعل ذلك سوى من عشق القاهرة القديمة وآمن برسالتها . ■

على هامش

حرب أكتوبر

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لاشك أن الأداء العربى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان افضل منه فى المواجهات العربية - الاسرائيلية السابقة خاصة ان التعاون بين الدول العربية خلال هذه الجولة بلغ درجة لم يسبق لها مثيل. فبينما الجيشان المصرى والسورى ينفذان مهامهما وصلت المساعدة العسكرية من العراق والأردن، والمغرب والمملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا، كما كانت بجبهة قناة السويس كتيبة من السودان وأخرى من الكويت ولواء مشاة جزائرى تحت التدريب وكتيبة مدفعية ميدان جزائرية. كما قدمت كل من السعودية والعراق والامارات والجزائر والكويت وليبيا الدعم المالى لمصر وسوريا. أما الاتحاد السوفيتى فإنه تمشيا مع سياسته الدولية العامة زود القوات المسلحة المصرية بصفقات ضخمة من الأسلحة فى أكتوبر ١٩٧١ ومايو ١٩٧٢ ومارس ١٩٧٣ كانت تحتوى على نوعيات جديدة من الأسلحة والمعدات التى تلقتها مصر للمرة الأولى، كما قدم كميات كبيرة من الأسلحة الى سوريا سواء قبل المعركة أو خلالها، ولم ينقطع الجسر الجوى الى مصر وسوريا أثناء حرب أكتوبر، هذا برغم قيام الرئيس السادات فى عام ١٩٧٢ بطرد الخبراء السوفييت من مصر دون أن يؤدى هذا الى فتور العلاقات المصرية السوفيتية.



● قيادات أكتوبر فى غرفة العمليات

● ولاشك أن قرار مصر وسوريا الخاص بتسخين الموقف كان قرارا جريئا بعد أن أوضحت حربا ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ التفوق العسكرى الاسرائيلى على القوات المسلحة العربية . ويبدو أن الرئيسين السادات والأسد قررا فى أواخر عام ١٩٧٢ القيام بعمل عسكرى مؤثر ضد إسرائيل فى خريف ١٩٧٣ ، وأن لم يكن كل من السادات ووزير حربيته أحمد اسماعيل على ، على يقين من أن مصر قد وصلت ـ أو يمكن أن تصل ـ فى القريب إلى التساوى مع إسرائيل تكتيكيا أو فنيا ومن ثم اتخاذهما كل الاحتياطات الممكنة لتلافى شبح مواجهة هزيمة جديدة .

ولاشك أن الاداء المصرى فى بداية الحرب كان انجازا عسكريا رائعا : فقد عبرت القوات المصرية قناة السويس فى فترة وجيزة ثم قامت بتحطيم خط برليف الحصين الذى أقامته اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة واسترجعت بعض أراضى شبه جزيرة سيناء . وكان التخطيط والتنفيذ اللذان قام بهما الجيش المصرى والكفاءة التقنية التى تميز بها اداؤه دليلا على النجاح الباهر الذى حققته عملية حربية منظمة ، وتوقع الكثيرون أن يواصل الجيش المصرى تقدمه الى المضايق ثم إلى حدود مصر الدولية وممن ذهبوا الى إمكان تحقيق ذلك الفريق محمد فوزى الذى يذهب الى أن عبد الناصر كان قبل وفاته قد أصدر قرارا يقضى بضرورة بدء القتال لتحرير سيناء كاملة على الا يتأخر موعد المعركة عن ربيع عام ١٩٧١ .
إلا أن السادات كان يؤمن بالحل السلمى ولهذا شن الحرب لكى يزود العمل السياسى بقوة دفع جديدة لاستئناف المفاوضات الهادفة الى

التوصل الى تسوية شاملة ويضيف الفريق محمد فوزى إلى ذلك أن السوريين لم يوافقوا على الاشتراك في العمليات المنسقة بين الجبهتين طالما كان هدف المصريين مجرد الوصول الى المضايق ـ إذ انهم رأوا أن اقتصار المصريين على العبور والتوقف عن التحرك شرقا من شأنه أن يلقى على الجبهة السورية ثقل الجهد الاسرائيلى الرئيسى ، ويخلص فوزى الى أن السادات خدع السوريين حين عدل من جانبه الخطة التى تم الاتفاق عليها مسبقا بحيث اقتصرت على "تحريك" الموقف لا تحرير سيناء بحيث تعبر القوات المصرية قناة السويس وتحتل ١٠ ـ ١٢ كيلومترا ثم تقتصر على الدفاع .

● قيود على التحرك العسكرى

والواقع أن السادات قد أعد خطة المعركة على أساس تحريك حالة اللاسلم واللاحرب وتأمين القوات المصرية من خطورة الطيران الاسرائيلى المشهود له بالكفاءة بالاعتماد على جدار الصواريخ الذى اقيم غرب القناة فى أواخر عهد عبد الناصر . ويؤكد محمد حسنين هيكل ـ الذى كان قريبا من الرئيس السادات خلال هذه الفترة ـ أن الوفاق بين الشرق والغرب قد فرض قيودا على أى تحرك عسكرى وأنه مالم يتم شىء قبل فوات الأوان فستظل حالة اللاسلم واللاحرب قائمة الى مالا نهاية نتيجة لاطمئنان إسرائيل الى تفوق قوتها العسكرية وعدم استعدادها للتخلى عن الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ ، ولهذا فإنه يذهب الى أن الهدف من حرب ١٩٧٣ هو إغراء الدولتين العظميين ومجلس الأمن بالتدخل والضغط فى سبيل التوصل الى تسوية سياسية مناسبة . والحق أن السادات قد أدرك قبل الحرب أن الدولتين العظميين قد توصلتا الى اتفاق حول كل المواضيع ، بما فى ذلك الشرق الأوسط ، مما حتم ضرورة التحرك فى اقرب وقت . إلا أن هيكل يعترض على توقف الجيش


جمال عبد الناصر

انور السادات


المشير احمد إسماعيل





● حسنى مبارك ، قائد الطيران فى اكتوبر



مبارك والسادات فى مسرح العمليات بعد الحرب فى سيناء

المصرى بعد العبور معللا ذلك بشبح الهزائم السابقة ، ومن ثم أسفه لضياع الفرصة فيما بين ٨ ، ١٠ اكتوبر - إذ انه يذهب الى انه لو أمكن الوصول الى المضايق واحتلالها لكان بالامكان استرجاع كل سيناء والتوصل الى نتائج سياسية لاحصر لها ولو انه يبرر هذا التوقف بالضغط الذى تعرضت له سوريا .

وهكذا نكون قد استعرضنا ناحية كانت مثارا للجدل فيما يتعلق بحرب أكتوبر ، وهو الجدل الذى لايزال دائرا حتى الآن والذى لن يحسم إلا بإماطة اللثام عن المشاورات والتوجيهات التى سبقت الحرب وتلت نشوبها . أما الناحية الأخرى التى اختلفت حولها الآراء ثم احتدمت ، وبخاصة خلال الاتهامات المتبادلة بين الرئيس السادات والفريق سعد الدين الشاذلى بعد وقف اطلاق النار فهى تتعلق بثغرة الدفرسوار التى هلل لها الاسرائيليون وذهبوا الى أنها كانت كفيلة بإنهاء الحرب لصالحهم وأن يكن السادات قد وصفها بأنها عملية تلفزيونية . ولاشك أن الرئيس السادات يتحمل مسئولية هذه الثغرة حين أصدر أوامره بنقل الاحتياطى الاستراتيجى من الدبابات المتمركزة غرب القناة الى الشرق

مبررا قراره برغبته فى رفع الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان ، ويؤكد الفريق فوزى أن هذا القرار جاء متأخرا لأن الموقف العسكرى الحقيقى على جبهة الجولان كان لايحتاج الى جهد اضافى من الجبهة المصرية ، خاصة وأن أسرائيل بدأت تحول جهدها الرئيسى الى الجبهة المصرية بعد أن أستقر الموقف فى الجبهة السورية وتوقفت فيه المجهودات الرئيسية للقوات المصرية التى أمّنت وعززت مواقعها الدفاعية شرق القناة وهو يعزو قرار السادات الى رغبته فى تغطية موقفه السياسى لدى سوريا وباقى الدول العربية فى حالة اعتراض سوريا فى المستقبل على عدم التزامه بالخطة العسكرية المشتركة بينهما .

وكان السادات قد قرر يوم تنفيذه للعملية (١٤ أكتوبر) أن يلقى خطابا سياسيا فى مجلس الشعب يعرض فيه شروطه الخاصة بالسلام ويتحدث فيه من مركز قوة . وعارض رئيس الأركان - الفريق سعد الدين الشاذلى - تحريك الدبابات الى الشرق خشية مواجهة التفوق الجوى الأسرائيلى ، فى الوقت الذى أستقر فيه الموقف على الجبهة السورية بعد وصول العناصر المتقدمة من فرقتين عراقيتين واشتراكهما فى القتال ودفع فيه الأردنيون لواءين مدرعين الى الجبهة السورية . وعلى أى حال فقد جرت معركة دبابات ضخمة الى الشرق من قناة السويس



حافظ الأسد

الفريق محمد فوزى

وهى المعركة التى يصفها حاييم هرتزوج ، رئيس اسرائيل الحالى وأحد كبار المعلقين العسكريين ، بأنها إحدى أكبر معارك الدبابات التى شهدها التاريخ ، باستثناء معركة كورسك فى الاتحاد السوفييتى خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد أشتركت فى القتال الذى بدأ يوم ١٤ أكتوبر ٢,٠٠٠ دبابة على طول الجبهة بأسرها ، وخسرت فيها مصر مائتين وخمسين دبابة مما جعل الفريق فوزى يطلق عليها "معارك اليوم الأسود" . وبعد يومين نجح الاسرائيليون فى إتمام عملية اختراق الدفاعات المصرية عند الدفرسوار . وبينما السادات يلقى خطابه فى مجلس الشعب كانت رئيسة الوزراء الاسرائيلية - جولدامائير - تنتظر مايقوله ، لكى تعلن بعد فراغه من قراءته أن القوات الاسرائيلية قد وضعت اقدامها على أرض افريقيا !

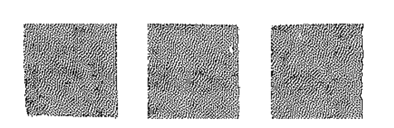
● توازن القوى فى صالح مصر

● وبعد التأكد من حجم الثغرة

اقترح الفريق الشاذلى نقل قسم من القوات المتمركزة شرق القناة الى الغرب بهدف احتواء الجيب الاسرائيلى ثم طرد الاسرائيليين من المواقع التى احتلوها وبدءوا منها تدمير قواعد الصواريخ التى قامت بحماية القوات المصرية التى عبرت القناة إلا أن أحمد اسماعيل على لم يوافق على اقتراح الشاذلى حرصا منه على عدم إضعاف الروح المعنوية لدى قواته . ويذهب الفريق محمد فوزى الى أنه كان لدى السادات عدد من الدبابات يفوق مالدى إسرائيل فى الجيب الذى أقيم غرب القناة وأنه نظرا لقرب القوات المصرية من قواعدها الجوية فى الدلتا فإن توازن القوى كان فى مصر خاصة وأن قدرة اللواءات المدرعة الاسرائيلية كانت قد هبطت الى أعداد محدودة جدا من الدبابات فى كل لواء مدرع مما أوجد الفرصة للقضاء على الجيب الاسرائيلى وطريق امداده وأن السادات رفض التصديق على الخطة "شامل" الخاصة بتصفية الجيب الاسرائيلى .

وعلى أى حال فإذا كان المصريون قد كسبوا الجولة الأولى من المعركة فإن الأسرائيليين يدعون انه كان بامكانهم إحراز النصر فى نهايتها بعد أن وسعوا الثغرة التى أحدثوها وعزلوا الجيش المصرى الثالث ووصلوا الى مداخل مدينة السويس . وقد تدخلت الدولتان العظميان وأنهتا الحرب على أساس "لاغالب ولا مغلوب" ، ثم بدأت مفاوضات فصل القوات التى لعب فيها هنرى كيسنجر دورا هاما أدى الى إعلاء مكانة الولايات المتحدة فى مصر وغيرها من البلدان العربية ـ وكانت خطته تهدف الى القضاء على النفوذ السوفييتى فى المنطقة . وأخيرا تم توقيع معاهدة السلام فى "كامب ديفد" بعد أن استقال وزير الخارجية المصرى محمد إسماعيل كامل احتجاجا على بعض شروطها بحيث لم يوقعها بنفسه ، ثم الف كتابه "السلام الضائع" الذى سجل فيه ملحوظاته على المفاوضات ودمغ فيه الرئيس السادات بالتساهل كما لم يرض عن المعاهدة كثير من العرب الذين هاجموها باعتبارها صلحا منفردا اخرج مصر من مجال الصراع العربى ـ الاسرائيلى ثم عزوا اليها كثيرا من التطورات التى شهدتها المنطقة دون اعتبار للأسباب الموضوعية التى كانت من ورائها .

ولايزال الصلح بين مصر وإسرائيل مثارا للنقد ولو أن مصر ذاتها عادت الى الصف العربى الذى افتقدها عقدا من الزمن وأحس بمضى الوقت بأنه لاغنى عنها فى الحرب أو فى السلم .



الجامعة : تاريخ ومستقبل

بقلم : د. شكري محمد عياد

ترجع فكرة "الجامعة المصرية" إلى أوائل هذا القرن ، اى الفترة التى تراجع فيها العمل السياسى المباشر بعد هزيمة العرابيين ، وفشلت سياسة الحزب الوطنى فى جذب تركيا ثم فرنسا إلى مناصرة القضية الوطنية . أصبح الإعداد البطىء الصبور لجولة جديدة من الصراع هو الطريق المفتوح أمام المواطنين : طريق عبد الله النديم ومحمد عبده وعلى مبارك . وكانت الوجهة العامة لهذه الحركة هى تحديث التعليم الوطنى ـ الكتاتيب ثم الأزهر الشريف ـ باقتباس بعض النظم والأفكار الغربية لتطوير النظام القديم بدلاً من محاصرته تمهيداً للقضاء على دوره الاجتماعى كما اراد دنلوب مستشار المعارف الانجليزى .

ولايصح أن نغض النظر عن الجهود التى بذلت على أيدى بعض الوطنيين من داخل الإدارة الاستعمارية نفسها ـ وعلى رأسها إنشاء دار العلوم ثم مدرسة القضاء الشرعى ـ ويكفى أن نذكر من خريجي هذه المدرسة الأخيرة رجالاً ثلاثة كان لكل منهم أثر واضح في تجديد الثقافة العربية انطلاقاً من مراجعة التراث ، وهم أحمد أمين وعبدالوهاب عزام وأمين الخولى . غير أن الاصلاحات الرسمية البطيئة المتعثرة لم تقنع بعض المتحمسين ومن هنا نشأت فكرة الجامعة الأهلية .

نبتت بذرة الجامعة المصرية ـ إذن ـ فى تربة الحركة الوطنية التى بلغت ذروتها فى ثورة ١٩١٩ ، وشاركت فيها جميع طوائف الشعب ، وخلعت هذه النشأة على الجامعة صفات صاحبتها لمدة عقدين أو ثلاثة ، ولم تمح تماماً على مدى تاريخها الذى أقترب من ثلاثة أرباع القرن ، وأشتمل على تغييرات مهمة حين انتقلت إدارة الجامعة إلى الدولة سنة ١٩٢٥ ، ثم بعد قيام ثورة يوليه ١٩٥٢ . أولى هذه الصفات هى غلبة المنحى النظرى على الجامعة ، فكرة ونظاما وممارسة لقد بقيت







على مبارك — د . طه حسين





الشيخ محمد عبده — عبد الله النديم

معظم الكليات العملية خارج إطار الجامعة حتى أواسط الثلاثينات ، إذ كان ينظر إليها على انها معاهد مهنية بعيدة عن الفكرة الأصلية للجامعة وهى انها مؤسسة لتخريج العلماء ، وتتمة الفكرة أن العلم يقصد لذاته لا لتحقيق أى منفعة عملية . (ولم يكن ارتباط هذه الفكرة بالمفهوم العربى الإسلامى باقل من ارتباطها بالمفهوم اليونانى للاكاديمية او مفهوم النهضة الأوروبية للجامعة) . وبلغ من إخلاص الجامعة المصرية لهذا المفهوم أن صناعة التعليم نفسها لم تكن داخلة فى اهتمامها ، فبقيت معاهد التربية أيضا ـ حتى أوائل الأربعينات ـ خارج إطار الجامعة ، وبقيت الجامعة حتى ذلك الحين منعزلة ـ أو تكاد ـ عن سياسة التعليم العام . **ولعل بداية هذا الاهتمام ترجع إلى كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة فى مصر" وإن كانت قد أخذت طوال الاربعينات وحتى أوائل الخمسينات شكل خصومة حادة بين الجامعيين و"البيداجوجيين" .**

إن هذا الميل النظرى لم يكن شرا كله ، بل لعلنا نذهب إلى حد القول بأن ضعفه التدريجى كان علامة اكيدة على تراجع دور الجامعة كمؤسسة . ولكننى اترك هذه القضية إلى حين ، لان غرضى الآن هو تتبع العلاقة بين الجامعة ـ ثم التعليم العالى بوجه عام ـ وبين النظام الاجتماعى أى معرفة الوظيفة الاجتماعية لهذا التعليم ، وهى المدخل الضرورى لمناقشة خصائصه والبحث فى مشكلاته . ولن نستطيع فهم الصفة النظرية للتعليم الجامعى ، أو غيرها من الصفات ، إلا بعد هذا المدخل . فالوظيفة الاجتماعية صفة تسبق فى منهجية البحث سائر الصفات ، وإن بدت بعض هذه الصفات أشد وضوحاً ، كما تبدو النتيجة ـ أو الأثر الظاهر ـ أشد وضوحاً من السبب .

● بداية الجامعة الأهلية

يحدثنا المازنى فى بعض ذكريات شبابه انه حين تهيأ لاختيار نوع التعليم

العالى الذى يناسبه كان امامه ثلاث "مدارس" مدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة المعلمين . وكانت "الحقوق" مقصد أبناء الطبقة العالية الذين تفتنهم ابهة النيابة والقضاء ويحلمون بأن يصلوا إلى كرسى الوزارة . فلم يبق أمامه إلا أن يختار إما "الطب" وإما "المعلمين" . ولم تتحمل اعصابه منظر المشرحة فهرب إلى "المعلمين" . وقد بدأت الجامعة الاهلية بدروس فى الآداب والثقافة الاسلامية شارك فيها رجال من أمثال "حفنى ناصف" و"أحمد زكى باشا" ، (الذى كان يلقب بشيخ العروبة) ودُعى إليها من أعلام المستشرقين "نيلنو" و"سنتلانا" . وكانت هذه الجامعة ربيبة الحركة الوطنية ، حرية أن ترتفع فوق الفوارق الطبقية ، ويكفى أن نذكر من أوائل خريجيها "طه حسين" و"زكى مبارك" الذين قدما إليها من التعليم الأزهرى ، ومن بيئة شعبية أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى . فلما اصبحت الجامعة مؤسسة حكومية ضمت "مدرسة الحقوق" ، التى أصبحت تسمى "كلية الحقوق" إلى كلية الاداب ، وأنشأت كلية ثالثة تناظر كلية الآداب وهى كلية العلوم ، واصبحت "الطب" كلية رابعة ، دون سائر المعاهد العليا ، إما لمكانة "الطب" فى الثقافة العربية الاسلامية ، وإما للرغبة فى ربطها علميا بجامعة لندن .

وبينما كانت الحركة الوطنية تتجمد تحت قيادة طبقة اعيان الريف والفئات العليا من الطبقة المتوسطة ، كانت الجامعة ـ التى أخذت تتجمد ايضاً كمؤسسة علمية ـ قد أصبحت حلما بعيد المنال بالنسبة لأبناء الفقراء . كانت المصروفات الدراسية ، مضافا إليها أثمان الكتب ، فوق ما تطيقه ميزانية الموظف الصغير أو التاجر الصغير أو المزارع الصغير "لامجال هنا للحديث عن العمال والفلاحين" . ولكن الطموح المصرى التقليدى نحو تحقيق فرص أفضل للأبناء كان يدفع كثيراً من الآباء إلى ركوب المركب الصعب ، ودفع ابنائهم فى سلم التعليم الجامعى ، حتى حين يفشلون فى الحصول على المجانية أو نصف المجانية (اقرأ "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ .)

لذلك كانت مجانية التعليم الجامعى ، التى تقررت فى أول عهد الثورة علامة على تغيير أجتماعى هائل . كانت تشير إلى أن حكم الصفوة من اعيان الريف والفئات العليا من الموظفين والتجار والرأسمالية الصناعية الناشئة التى لم تعد تحكم البلاد ، بل اصبح الحكم لعامة الشعب ، ولكن هل كان الامر كذلك فى الواقع ؟ نحن نعلم أن طبقة جديدة بدأت تتكون ، ولاشك أن نواتها كانت من ضباط الجيش الذين قاموا بالثورة أو ناصروها وخرج الكثيرون منهم من صفوف القوات المسلحة ليتولوا مناصب رئيسية فى الإدارة المدنية والمؤسسات الاقتصادية ، وقد التفت حول هذه النواة فئات مختلفة من الطامحين إلى شىء من السلطة أو شىء من الكسب المادى مستغلين حرص حكومة الثورة على تدعيم سلطانها الذى شعرت أنه مهدد من جهتين : من جهة الصفوة القديمة التى جردت من قوتها السياسية والاقتصادية ، ولكنها لم تكن لتستسلم

لهذه الهزيمة بسهولة ، ومن جهة الفئات الآخرى التى كانت تستعد للانقضاض على النظام القديم لولا أن سبقتها حركة الجيش .

● موضوعية كاملة

إننا لا نكتب بحثاً سياسياً ، ولكننا نسجل هذه الملاحظات العامة "ونرجو الا يساء فهمها ، فنحن ملتزمون بالموضوعية الكاملة ، لا نتهم أحداً ولا نحامى عن احد" قصداً إلى فهم الوضع الحاضر للجامعة فى مجتمعنا . لقد كانت الجامعة فى النظام القديم وثيقة الاتصال بالصفوة الحاكمة ، فكيف أصبحت بعد الثورة ؟ إن مجانية التعليم الجامعى ، التى تلقتها الطبقات الشعبية بفرح على أنها لا تعنى رفع مستوى ابنائها فكرياً وماديا فقط ، بل اشتراكهم فى السلطة أيضاً ، قد حققت الأمل الأول ولو جزئياً ، ولكنها لم تكن كافية وحدها لتحقيق الأمل الثانى ، فقد مضت الصفوة الجديدة تنظم صفوفها ، ولاسيما بعد الانفتاح ، دون أن تعير اهتماما كبيراً للجامعة . ورأينا وظيفة الجامعة تهبط من التفكيـر والتنظير للمجتمع إلى إمداد الصفوة الحاكمة

زكى مبارك



ملك حفنى ناصف



بالمتخصصين . من طبقة اساتذة الجامعة الذين لم يعودوا قادة بل خبراء ، يؤخذ برأيهم أحيانا ولا يؤخذ به احيانا أخرى ، وقد يلزمون بتطبيق سياسة تناقض مبادئهم ، إلى الخريجين العاديين الذى يوظفون فى مختلف وظائف الحكومة والقطاع العام .

لم يعد أحد راضيا عن هذه الأوضاع فى الوقت الحاضر . لقد دل تردى الحالة الاقتصادية على أن اساتذة الجامعة لم يستطيعوا أن يصنعوا شيئاً من موقعهم كخبراء ، إما لأن نصائحهم لم يؤخذ بها ، وإما لأن تفكيرهم ظل منحصراً فى حدود تخصصهم ، فلم يلتفتوا إلى الدوافع الإنسانية التى تحرك الجماهير ، صانعة الاقتصاد ، وإما لاسباب أخرى غير هذين . ومن جهة أخرى أصبح الخريجون الجدد عبئاً على إدارات الحكومة والقطاع العام ، التى تشكو أصلاً من تضخم العمالة ، ونوقشت قضية التزام الحكومة بتعيين جميع الخريجين ، ولاسيما بعد أن صار من الامور العادية أن يجلس الخريج فى بيته أربع سنوات أو خمساً قبل أن يأتى عليه الدور فى التعيين . وقد ضاعف من هذه المشكلة أن الكليات واظبت سنين طوالا على قبول اعداد تفوق طاقتها ـ كما تفوق حاجة المجتمع ـ من حاملى الثانوية العامة "إرضاء للجماهير التى كانت محرومة من التعليم الجامعى" وكان لذلك أثر واضح فى تدنى مستوى الخريجين .

● فكرتان متعارضتان

وثمة نتائج أخرى للوضع السابق ، غير البطالة السافرة والمقنعة وأهمها أن الفئات التى تكون "الصفوة" الجديدة لم تعد ترضى لابنائها هذا النوع من

التعليم ، ولذلك اتجهت إلى الجامعة الأمريكية بمصروفاتها الباهظة "كما اتجهت من قبل إلى مدارس اللغات" ، وطرحت فكرة إنشاء جامعة أهلية ، ومع أن الأفكار لم تتبلور بعد عن نوع هذه الجامعة فقد يلاحظ أن هناك فكرتين متعارضتين : إحداهما أن تستوعب هذه الجامعة الطلاب الذين لا تؤهلهم درجاتهم للالتحاق بالجامعات الحكومية (وهنا نلاحظ تأثير النظرة التقليدية إلى الشهادة الجامعية كرمز اجتماعي) ، والأخرى أن تضم هذه الجامعة عدداً من الكليات أو المعاهد التكنولوجية (والدافع هنا هو الرغبة فى أن تكون الدراسة العالية اقرب إلى الشكل الذى يتطلبه سوق العمل) . ولا أظن أن فكرة هذه الجامعة يمكن أن تصبح واقعاً قبل الاتفاق على أحد الفرضين ، ونأمل أن ينتصر الفرض الثانى .

والأمر المؤكد على كل حال أن الجامعة ستظل مؤسسة من أهم مؤسسات الدولة ، وإن كان من الضرورى أن تتحدد وظيفتها فى المجتمع بحسب طبيعة هذا المجتمع وأهدافه . وإذا كنا بعد تجارب السنين الطويلة الماضية قد عقدنا العزم على أن يكون مجتمعنا ديمقراطيا يوفر لجميع أبنائه على السواء فرص الحياة الكريمة عن طريق العمل والإنتاج ، كل بحسب طاقته واستعداده للعطاء ، فستبقى الجامعة مسئولية كبيرة من مسئوليات الدولة ، لا كمؤسسة لتخريج المهنيين الأكفاء فحسب ، بل كمركز للتقدم العلمى الذى يرفع قيمة الإنتاج ، ومركز للإشعاع الفكرى الذى يرفع وعى المنتجين .

والأمر المؤكد أيضاً أن التعليم الجامعي سيظل مجانيا ، أى أنه سيظل مفتوحاً أمام كل قادر على النجاح فيه ، حتى يتحقق الغرض منه ، ولكنه لن يكون مجرد رد لاعتبار الطبقات الشعبية ، وهذا معناه أن نترك القشور ونهتم بالجوهر أن نعيد النظر فى كيفية قبول الطلاب ، وماذا يتعلمون ، وكيف يتعلمون .

● وظيفة الجامعة

وأنا افترض أن هذا كله سوف يتم ، بل سوف يتم سريعاً ، لأنه إن لم يتم سريعاً فلن يكون لوجودنا نفسه معنى ولا مبرر . ولذلك اعود إلى وظيفة الجامعة فى مجتمع ديمقراطى يرعى كرامة الإنسان ، مفترضا أنها قد نجحت فى أن تكيف نفسها لأهداف هذا المجتمع ، فأقول أن ثمة مشكلة سوف تظهر عندنا كما ظهرت فى مجتمعات مماثلة . أعنى أن تفرخ الجامعة طبقة جديدة .

كيف يمكن أن يحدث ذلك ، بعد أن فتحت الجامعة للطبقات الشعبية ؟

أقول أن الطبقة لا تنشأ فقط من تغير نظام الإنتاج وعلاقات الملكية ، بل يمكن لأى فئة داخل المجتمع أن تكون طبقة إذا اتحدت مصالحها واصبح لها وضع متميز بالنسبة لسائر الفئات . لقد أصبح العسكريون فى دول أمريكا اللاتينية طبقة ، وأصبح الحزبيون فى أوربا الشرقية طبقة ولا يتم هذا التحول دائماً بانتقال إحدى الفئات إلى مركز السلطة ، أى بتحولها إلى "صفوة" حاكمة ، بل يمكن أن يحدث لأى مجموعة مترابطة ، مهما يكن دورها فى نظام الحكم . ففى

بلدان العالم الثالث مثلا يمكننا أن نتحدث عن "طبقة المثقفين" لأنهم يتميزون عن الصفوة الحاكمة من جهة ، وعن الطبقات الشعبية من جهة أخرى ، مهما يكن وضعهم ، كأفراد ، من الناحية الاقتصادية .

ولا يبعد أن يصبح "الجامعيون" طبقة بهذا المعنى ، أى أن تصبح لهم اهتماماتهم الخاصة التى تتميز عن الاهتمامات المشتركة للأمة ، وقد تتناقض معها ، بل قد تصبح لهم تركيبتهم الذهنية التى لا يفهمها غيرهم ، وبذلك يصبح تقدمهم فى نواحى اختصاصاتهم مقصوراً عليهم ، لايشعر به غيرهم ، ولا يساهمون فيه ، وإن جاز ان يتمتعوا بثمراته . وفى هذا إفقار للطرفين . ولعلنا نلاحظ هذا بالنسبة إلى الأدب والفن ، فهناك اتجاه لدى بعض فئات الأدباء والفنانين إلى الانغلاق على انفسهم ، بحيث أصبح الأدب والفن الذى ينتجونه غير مفهوم لأى انسان لا ينتمى إلى دائرتهم . ونحن نعى هذا جيداً بالنسبة إلى الأدب والفن ، لأننا نفترض ضمنا أنهما يخاطبان الجميع ، ولكننا قد لا ننتبه إلى أن فئات العلماء هى أكثر انقطاعاً عن الجمهور ، كما أن الجمهور أقل وعياً بأعمالها . وقد نسلم بضرورة ذلك ، ونظن أنه نتيجة طبيعية للتخصص ، وانفجار المعلومات ، بحيث لم يعد فى إمكان المتخصص أن يتابع أهم ما يجرى فى ميدانه إلا بالكد والمثابرة ، فما بالك بسائر ميادين العلم ، ومابالك بغير المشتغلين بالعلم اصلاً ؟

ونلاحظ بوجه علم ان المتخصصين فى حقل ما قد لا يشاركون غيرهم فى سائر الحقول فى الكثير من اهتماماتهم ، ولكنهم جميعاً يشتركون فى الشعور بأن الجمهور غير واع بعملهم ، وهذا الشعور قد يكون تقدمة لتحولهم إلى طبقة ، بل لشىء اشد خطراً ، وهو ان ينفصلوا عن مجتمعاتهم ويصبحوا اقوى ارتباطا بنظرائهم فى المجتمعات الأخرى الأكثر تقدماً .

فهل هذه الظاهرة ارهاص بوحدة عالمية ؟ وهل يمكننا ان نسعد بهذه الوحدة إذا كان ثمنها انقسام العالم ، ككل ، إلى طبقة من مجتمع لها العلم والنفوذ والقوة الاقتصادية ، وطبقة جاهلة "ولم يعد الجهل مقصوراً على الأمية !"

لاتملك إلا قوة عملها الفطرية ، تضعها فى خدمة الطبقة الأولى ؟ اى صورة للعالم عندئذ !

إن المشكلة تعنينا اكثر من غيرنا ، لأننا نحن شعوب العالم الثالث ، سنعانى أكثر من غيرنا اذا حدث هذا الإنقسام ، أو بالأحرى ، إذا تم ، وأصبح سمة مميزة لعالم المستقبل !

ولايمكننا أن نلوم العلماء والفنانين وحدهم ، ولايمكننا ان نلوم الشعوب ، أو حكومات تلك الشعوب وحدها .

فى رواية لتورجنيف يتمثل حال المجتمع الروسى فى عصره "الثلث الاخير من القرن التاسع عشر" على هذه الصورة .

المثقف واقف امام الموجيك "الفلاح" يقول له : أعطنى القوة !

والفلاح يقول للمثقف : اعطنى العلم !

ومالم يعط كلاهما صاحبه ما يطلب فلن يكون لبلادنا مستقبل !

الفيلسوف ... المؤسسة

عبد الرحمن بدوى

بقلم: محمود أمين العالم

عبد الرحمن بدوى ظاهرة فريدة فى ثقافتنا العربية المعاصرة .. إنه ليس مجرد فيلسوف له رؤيته ذات الاتساق والشمول ، التى نتفق او نختلف معها ، وانما هو كذلك صاحب اضخم اضافة اضافها مثقف عربى الى مكتبتنا العربية فى مجال الفلسفة بوجه عام والفلسفة العربية الاسلامية بوجه خاص .

ففى ايقاع مطرد يكاد يكون رتيبا ، يصدر عبد الرحمن بدوى منذ عام ١٩٢٩ وحتى اليوم ، كتابا او كتابين او ثلاثة كتب كل عام ، بغير توقف ، ونتمنى له المزيد والمديد من الأعوام والطاقات ليواصل هذا العطاء الخصب ومايصدره عبد الرحمن بدوى على كثرته وضخامته هو فى معظمه من المراجع الاساسية التى تسد ثغرات كبيرة فى مكتبتنا الثقافية وفى معرفتنا بحقيقة تراثنا القديم ، انه يكتب فى الفلسفة اليونانية القديمة ، فيعالج موضوعاتها ويقدم فلاسفتها ، وهو يؤرخ للفلسفة المسيحية الوسيطة ، وهو يجمع ويحقق ويترجم مختلف النصوص الخاصة بالتراث العربى الاسلامى فى ذاته ، او فيما بينه وبين التراث اليونانى من وشائج وتأثيرات ، وهو يقوم بالعديد من الدراسات والترجمات للشوامخ فى الفكر الأوربى الحديث والمعاصر ، وخاصة فى الفلسفة الالمانية والفلسفة الوجودية ، وهو يؤلف فى المنطق ومناهج العلوم ، فضلا عن ابداعه الخاص الفلسفى



د . عبد الرحمن بدوى



لطفى السيد   سلامة موسى

والشعرى والادبى عامة ، الى جانب مؤلفاته باللغة الفرنسية حول الفلسفة الاسلامية ، والعديد من مقالاته - بلغات اوربية وشرقية مختلفة يتقنها جميعا - حول موضوعات جزئية فى الفلسفة الاسلامية والفكر العربى . ولهذا فعبد الرحمن بدوى له مايقرب من مائة وثلاثين كتابا بين مترجمات ودراسات وتحقيقات ومؤلفات ابداعية ، على مستوى رفيع من الجدية والعمق والتخصص مما يجعله فى الحقيقة مؤسسة فلسفية علمية قائمة بذاتها .

وبرغم تنوع هذا العطاء الفكرى ، فاننا نستشعر وراءه دائما فلسفته الخاصة ، التى يعتبرها هو اضافة ابداعية للفلسفة الوجودية .

وقد يكون من واجبنا ان نتساءل فى البداية هل يعد عبد الرحمن بدوى فيلسوفا حقا ، ام هو مجرد مفكر عالم باحث فى الفلسفة ؟ فهناك فى حياتنا الثقافية العديد ممن يمكن ان نطلق عليهم لقب المفكر او الباحث فى الفلسفة او مؤرخ الفلسفة ، اما الفيلسوف بالمعنى الاصطلاحى ، فقلة من مثقفينا التى يمكن ان نطلق عليها هذا اللقب بكثير من التحفظ، والفارق بين المفكر والفيلسوف هو الفارق بين الاعمال الفكرى فى بعض القضايا او التخصصات النظرية او العلمية او السياسية او الاجتماعية او الادبية والفنية . وبين بناء نسق فكرى شامل يقدم اجابات نظرية متسقة حول القضايا الجوهرية فى الكون او المجتمع او الخبرة الانسانية الحية او الخبرة الانسانية المعرفية .

حقا ، إن وراء فكر كل مفكر ، بل وراء فكر كل انسان ، تكمن رؤية شاملة اى تكمن فلسفة ما ، وان لم يكن هناك وعى بها وان لم تتخذ شكلا نظريا متسقا ، على ان الفيلسوف هو الذى يستطيع ان يبلور رؤيته او خبرته الحية والمعرفية ، بلورة نظرية كنسق فكرى شامل متكامل ، فعلى سبيل المثال

الفيلسوف - المؤسسة

نستطيع القول بان لطفى السيد ومحمود عبده وامين الريحانى وسلامة موسى وعلال الفاسى وطه حسين ، من المفكرين المجتهدين فى المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والادبية ، على حين ان الأرسوزى وزكى نجيب محمود ومهدى عامل هم من الفلاسفة . فللأول نظريته الحيوية التى يفسر بها العديد من الظواهر اللغوية والقومية ، وللثانى نظريته الوضعية المنطقية التى يحلل بها العديد من الظواهر الفكرية والاجتماعية ، وللثالث نظريته العلمية المادية التى يحلل ويفسر ويقيم بها حركة التحرر الوطنى العربية فضلا عن ظواهر فكرية واجتماعية اخرى . ومن هذه الزاوية يعتبر عبد الرحمن بدوى من الفلاسفة ، لتوجهه الوجودى الذى يسعى به الى اقامة رؤيا شاملة متسقة للخبرة الانسانية الحية .

● امتداد للوجودية

وعبد الرحمن بدوى لم يبدع الفلسفة الوجودية ابداعا بل هو امتداد لها فى فكرنا العربى المعاصر .

الحق ان الوجودية لاتزال هى الفلسفة التى يتبناها عبد الرحمن بدوى حتى اليوم ، ومازال يؤكد فيما يصدره من مؤلفاته ودراساته التزامه الفكرى بهذه الفلسفة .

والحق كذلك ، ان عبد الرحمن بدوى عندما كتب « فلسفة المدن » و« الزمان الوجودى » كان متأثرا تأثرا ثقافيا عميقا بالفلسفة الوجودية الالمانية المثالية ، وخاصة عند هيدجر ، ولكن هذا التأثر لم يكن منبت الصلة بواقع خبرته الحية والسياسية فى المجتمع المصرى انذاك ، ففى هذه المرحلة من حياته ، التى كتب فيها « فلسفة الموت » وحصل بها على درجة الماجستير فى الفلسفة عام ١٩٤١ ، كان عضوا فى حزب مصر الفتاة ، بين عامى ١٩٣٨ و١٩٤٠ . وكان زعيم هذا الحزب احمد حسين قد اصدر كتابه « ايمانى » على غرار كتاب هتلر « كفاحى » وكانت القمصان الخضر التى يتزيا بها اعضاء الحزب تقليدا للقمصان البنية للحزب النازى الالمانى وللقمصان السوداء للحزب الفاشى الايطالى . وكانت فلسفة القوة والاستعلاء متمثلة فى شعار « مصر فوق الجميع » ، و« المجد لمصر » متماثلة مع شعارات الحزب النازى ، لقد كان حزب مصر الفتاة فى الحقيقة يسير على الخطى والمفاهيم والقيم الفلسفية المثالية واللاعقلانية للحزب النازى فضلا عن تلاقيهما بشكل سطحى ومختلف الدلالة ـ فى العداء لانجلترا التى كانت جيوشها تحتل مصر انذاك . وكان نيتشه ـ الذى الف عبد الرحمن بدوى عنه اول كتاب له عام ١٩٣٩ ـ من المصادر الملهمة للحزب النازى ، كما كان هيدجر من اعمدته الفكرية . وكان حزب مصر

الفتاة برغم ترسمه خطى الحزب النازى ، يعبر - فى الحقيقة عن توجه وطنى شوفينى مغامر ذى طبيعة بورجوازية صغيرة ، وكان للاحتلال البريطانى وارتفاع موجة العداء له ، فضلا عن الفساد الاجتماعى والسياسى الذى كان مستشريا من عوامل ابراز هذا الحزب وانتشاره الجماهيرى . على ان هذا الحزب رغم طابعه الوطنى الشوفينية ونتيجة لفلسفته المثالية اللاعقلانية كان معاديا للحركة الوطنية الديمقراطية التى كانت متمثلة انذاك فى حزب الوفد وفى البدايات الأولى للحركات اليسارية الجديدة .

فى هذه المرحلة التى كتب فيها عبد الرحمن بدوى رسالته عن مشكلة الموت كان عضوا فى مصر الفتاة يتحرك فى اطار فلسفتها واهدافها ويصدر كتابا عن نيتشه عام ١٩٣٩ واخر عن اشبنجلر عام ١٩٤١ وثالثا عن شوبنهور عام ١٩٤٢ ، لم تكن اذن رسالته عن فلسفة الموت ، ولم يكن تأثره بالفلسفة الوجودية الألمانية المثالية ، منبتة عن حياته وممارساته ومعتقداته السياسية ومعتقدات شريحة من شرائح المجتمع المصرى . وفى عام ١٩٤٤ وهو العام الذى حصل فيه على درجة الدكتوراه على رسالته فى الزمان الوجودى ، نجده عضوا فى اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد ، الذى كان فى الحقيقة امتزاجا بين بعض قيادات وعناصر حزب مصر الفتاة والحزب الوطنى القديم كذلك . ويظل عبد الرحمن بدوى عضوا فى هذه اللجنة الوطنية العليا للحزب الوطنى الجديد حتى عام ١٩٥٢ . وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كان هناك تقارب كبير بينها وبين عناصر الحزب الوطنى الجديد . ولعل هذا مايفسر اختيار عبد الرحمن بدوى عضوا فى لجنة الدستور التى شكلت فى عام ١٩٥٣ لوضع مسودة دستور جديد لمصر ، واختياره بعد ذلك مستشارا ثقافيا ومديرا للبعثة التعليمية فى برن بسويسرا بين عامى ٥٦ - ١٩٥٨ .

● تعبير عن خبرة فكرية

خلاصة ماأردت ان اقوله هو ان فلسفة عبد الرحمن بدوى الوجودية منذ اواخر الثلاثينات لم تكن مجرد صدى لثقافته الفلسفية وتأثره بالفلسفة الألمانية المثالية بل كانت كذلك تعبيرا عن خبرة فكرية وسياسية خية غير منبتة عن بعض الظواهر فى المجتمع المصرى انذاك . وفى تقديرى - وقد اكون مخطئا - ان هزيمة النازية والفاشية عام ١٩٤٥ واحتدام الصراع الوطنى والاجتماعى فى مصر ، وخاصة عام ١٩٤٦ الذى تشكلت فيه اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، ووضعت برنامجا شاملا للتحرر الوطنى والاستقلال

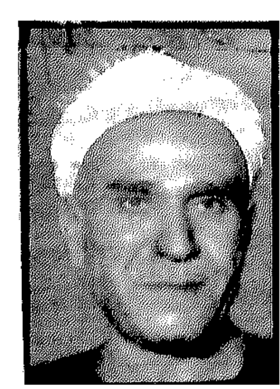
الفيلسوف - المؤسسة

الاقتصادى ، ثم قيام ثورة يوليو ٥٢ ، ويروز مشروعها التحررى التقدمى القومى ، الى غير ذلك من العناصر والعوامل ، قد اسهمت فى خلخلة الركائز الفكرية والموضوعية والاجتماعية لامكان تنمية المشروع الفلسفى الوجودى الذى بشر به عبد الرحمن بدوى فى رسالتين " مشكلة الموت » و« الزمان الوجودى » ولهذا لم يكن غريبا انه فى الخمسينات والستينات عندما اصبح للوجودية رواج فكرى وادبى كبير فى مصر ، وفى العالم العربى ، كان عبد الرحمن بدوى فارس الوجودية ورائدها ـ بعيدا عن هذا ـ الرواج العام . ذلك ان المفاهيم الوجودية التى راجت كمفهومى الحرية والالتزام ، اخذت دلالات خاصة تتفق والملابسات والاحتياجات والمعارك الوطنية والاجتماعية المحلية التى كانت سائد حينذاك وفى مقدمتها الصدام مع الاستعمار والصهيونية والاقطاع والرجعية العربية فضلا عن التطلع الى الاشتراكية .

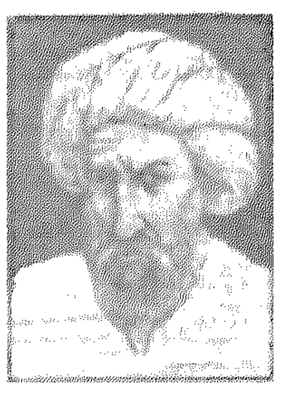
وهكذا توقف المشروع الوجودى لعبد الرحمن بدوى ، لا لتوقف قدراته الابداعية الفلسفية ، وانما لتغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية والموضوعية عامة من حوله . فلم يعد هناك مجال لتنمية هذا الفكر المثالى الذاتى الفردى المحض ، الذى يقوم على الانفصال المطلق بين الذوات الانسانية وعلى مفهوم مجرد للاختيار وللامكان وللحرية وللزمان ، وللعدم ، خال من اى دلالة اجتماعية او تاريخية فضلا عن استناده الى فهم غير صحيح لنتائج العلم الحديث والى افتقاده للعقلانية والموضوعية وانكاره للعلاقات العلية بين الاشياء والظواهر ، وتعاليه على الروابط والقوانين الاجتماعية . لم يعد هناك مجال لهذا الفكر فى عالم جديد اخذت تتطلع فيه الجماعة البشرية عامة ، بمختلف انتماءاتها القومية والثقافية الى الترابط والتضامن والعقلانية والديمقراطية من اجل ازالة كل ظواهر التخلف والاستعمار والاستعباد والتبعية وتطويع العلم وتطويره لخدمة التقدم والازدهار الاجتماعى والثقافى وتوطيد السلام العالمى .

لهذا ـ كما سبق ان ذكرت ـ كان من الطبيعى ان يتوقف عبد الرحمن بدوى عن لستكمال مشروعه الوجودى وان لم

مصطفى عبد الرازق



ابن خلدون



يتوقف عن التمسك بالوجودية كفلسفة له . بل اكاد اقول لقد توقف المشروع الوجودى فى الفكر الفلسفى المعاصر فى العالم عامة ، وان بقيت له تجليات مختلفة فى بعض الظواهر الفكرية والادبية كبعض التيارات المسماة بالحداثة . وكان من الطبيعى ان يكرس عبد الرحمن بدوى طاقاته الابداعية فى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات التى يقدم بها للثقافة العربية اجل الخدمات وخاصة فيما يتعلق بالتراث العربى الاسلامى فى الفلسفة .

وقد تكون لنا على جهوده فى هذا المجال ملاحظات تقنية وموضوعية حول بعض جوانب من تحقيقاته وترجماته فضلا عن منهجه العام فى التأريخ والتفسير الا ان المجال لايسمح بهذا . وحسبنا ان نكتفى بالاشارة السريعة الى ملاحظتين عامتين عابرتين .

الملاحظة الأولى : تتعلق بمدى مابين فلسفته الوجودية ودراساته التراثية من علاقات . والحق ، ان عددا كبيرا من دراساته التراثية يتعلق بالجانب الصوفى والاشراقى بوجه خاص تأكيدا للجذور التاريخية فى تراثنا للفلسفة الوجودية . الا اننا مع هذا ، نلاحظ احيانا تناقضا بين فلسفته الوجودية ، وبين تفسيره لبعض الظواهر فى الفلسفة العربية الاسلامية . ففلسفته ـ كما سبق ان عرضنا ـ فى تفسيرها للخبرة الانسانية تقوم على الفردية والذاتية



زكى نجيب محمود

امين الريحانى

والحرية التى تبلغ حد الاطلاق ، والتى ترفض الانضواء تحت اى مفهوم كلى كروح كلية او مجتمع كلى الى غير ذلك . ولكننا نراه فى تفسيره للفلسفة الاسلامية بشكل عام ، يذهب الى انها ثمرة الطبيعة الجوهرية لروح الحضارة الاسلامية وما تمليه هذه الروح الحضارية من ضرورة تاريخية وهو تفسير بالحتمية التاريخية الحضارية المجردة ، التى تلغى كل فردية وكل ذاتية وكل حرية فى الاختيار والفكر والابداع ! ويبدو هذا على نحو بالغ التناقض ـ فى الوقت نفسه ـ عندما يتعرض للقصة المشهورة فى تاريخ الفلسفة الاسلامية حول كتاب « اثولوجيا » المنسوب خطأ الى ارسطو ، وهو فى الحقيقة بعض فقرات من تاسوعات افلوطين ، وعبد الرحمن بدوى يرفض اعتبار نسبة هذا الكتاب الى ارسطو خطأ ، ذلك لانه يرفض مبدأ الخطأ والصواب فى الاسناد التاريخى ويفسر الأمر بأنه كانت هناك ضرورة تاريخية هى التى عملت عملها ، وقامت بهذه النسبة الى

الفيلسوف - المؤسسة

ارسطو . بل ان العرب ـ على حد قول عبد الرحمن بدوى ـ لو عرفوا حقيقة هذا الكتاب او شكوا فى نسبته الى ارسطوا فلن يكون هذا بحائل لهم دون استمرارهم فى نسبته الى ارسطو . لأن الشعوب والافراد لايهمها ان تعرف ارسطو كما كان فى واقع التاريخ بقدر ما مايعنيها ان تدركه كما تريد لها حاستها التاريخية المنبثقة من روح الحضارة التى تنتسب هى اليها .

راجع كتاب أرسطو عند العرب صفحة ٧ الطبعة الثانية ١٩٧٨ - الكويت .

● تغليب روح الحضارة

ان عبد الرحمن بدوى يغلب هنا روح الحضارة ـ هذا المفهوم المجرد المستمد من اشبنجلر ـ على الفردية والذاتية بل يغرقهما فى رؤية تاريخية كلية تجريدية الا انه سرعان ماينتهى الى رأى اخر فى كتابه عن المثل العقلية الافلاطونية ص ١٤ . فى تعليقه على موقف الفارابى من كتاب اثولوجيا فالفارابى يستشعر تناقضا فى الكتاب . فيفسر ذلك بفروض ثلاثة : اما ان يكون ارسطو قد ناقض نفسه ، واما ان يكون بعض الاراء لارسطو وبعضها الاخر ليس له ، واما ان يكون لها معان وتأويلات تتفق فى الباطن وان اختلفت فى الظاهر ، والفارابى يرجع الفرض الثالث فى محاولته للتوفيق بين رأيى ارسطو وافلاطون . ويعلق عبد الرحمن بدوى على ذلك قائلا :

« لو كان الفارابى تعمق الفرض الثانى وهو ان يكون بعض الكتب منحولا لارسطو غير صحيح النسبة اليه ، اذ لكان قد ادى خدمة تاريخية كبرى ، كان سيكون لها اخطر الاثر فى تطور الفكر العربى من بعده » ، بل يعتبر أن محاولة الفارابي التوفيق بين افلاطون وارسطو اخفاقا شنيعا (صفحة ١٥) . اذن فليس ثمة ضرورة تاريخية وروح حضارية فرضت نسبة الكتاب الى ارسطو كما قال فى كتابه « ارسطو عند العرب » على انه يعود مرة ثالثة فى كتابه الافلاطونية المحدثة عند العرب فيعالج قضية كتاب اثولوجيا والخطأ فى نسبته الى ارسطو فيقول بانها « غلطة سعيدة » .

ولكن لعل هذا التفسير للموقف من كتاب « اثولوجيا » بالحتمية الحضارية رغم اختلافه مع هذا التفسير بعد ذلك كما رأينا ، ورغم تناقض هذا التفسير الذى يتسم بالطبيعة الثابتة المطلقة مع مفاهيمه الوجودية . اقول لعل هذا التفسير ان يكون نابعا بوجه خاص . من تقييم عبد الرحمن بدوى للفلسفة الاسلامية بوجه عام ، وهذه هى الملاحظة الثانية . فعبد الرحمن بدوى الذى بذل ويبذل كل هذه الجهود الفائقة فى تجميع وتحقيق ودراسة ونشر كل ما يتعلق بالفلسفة الاسلامية

من مصـــادر وتـأثيــرات ودلالات واتجاهات لايرى في هذه الفلسفة الاسلامية قيمة فلسفية حقيقية . ومن حقه بالطبع ان يصل الى مايراه من نتائج مادام يؤسس ذلك على مايقوم به من تحقيقات ودراسات لنصوص هذه الفلسفة . ولكنه في الحقيقة ينتهي الى هذا الرأى استنادا الى حكم علوى مجرد عام هو ان الروح الاسلامية « منافية بطبيعتها للفلسفة » . لماذا يـادكتور بـدوى ؟ « لان المذهب الفلسفي تعبير عن الذات في موقفها ازاء الطبيعـة الخارجيـة والذوات الاخـرى . على حين ان الروح الاسلامية تنكر الذاتية اشد الانكار وانكار الذاتية يتنافى مع ايجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة . ولهذا فان الروح الاسلامية لم تنتج فلسفة ، بل لم تستطع كذلك ان تفهم روح الفلسفة اليونانية وأن تنفذ الى لبابها » . راجع : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ١٩ سنة ١٩٦٥ . وتأسيسا على هذا كذلك ينتهي عبد الرحمن بدوى في مبحث اخر عن ابن خلدون الى ان ابن خلدون ليس صاحب فلسفة سياسية او حضارية ، وليس صاحب نظريات عامة في الدولة والنظم السياسية والنماذج العامة للمجتمع الانساني ، وانما هو صاحب منهج تطبيقي وصاحب رؤية وصفية وهو رجل سياسة عملية لاتعنيه النظريات العامة بل تهمه الاحداث الفعلية الجارية فحسب .

وليس هنا مجال مناقشة هذه الاحكام لبيان ما في التراث العربي الاسلامي ، من ابنية نظرية فلسفية مختلفة وابراز مايمثله ابن خلدون من فكر نظرى مدرك لبعض القوانين الاساسية للمجتمع والتاريـخ في عصره . الى جانب خبراته السياسية العملية . ولكن الملاحظ ـ منهجيا ـ ان عبد الرحمن بدوى يتحرك في كثير من احكامه بمنهج قياسي استدلالي شكلي يكـاد يقوم على مبـدأ تحصيل الحاصل !

فهو يبدأ بمقدمة كبرى تحتاج هي نفسها للاثبات ليأخذ في الاستدلال منها ـ على نحو شكلي خالص ـ على نتائج متضمنة فيها اصلا ، او نتائج يثب اليها دون دليل كاف . فالروح الاسلامية تنكر الذاتية وانكار الذاتية هو نفي للقدرة على التفلسف واذن فالروح الفلسفية خالية من المذاهب الفلسفية ! ولعلنا لاحظنا هذا المنهج القياسي الشكلي نفسه في عرضه لمذهبه الوجودى نفسه . مثل هذه الصيغة « اذا كانت الشخصية تقتضي الحـريـة » ، والمـوت يقتضـي الشخصية ، فان المـوت يقتضي الحرية . وما اكثر مثيلات هذه الصيغة في عرضه لمذهبه الفلسفي .

على ان هذه الملاحظات العامة العابرة التي نبديها حول بعض جوانب اعماله الابداعية والبحثية لاتقلل بحال من القيمة الكبيرة للجهد الخارق الجبار المتفاني الذي يبذله عبد الرحمن بدوى في اغناء مكتبتنا الفلسفية العربية عامة ، وفي المساهمة في استكمال

الفيلسوف ـ المؤسسة

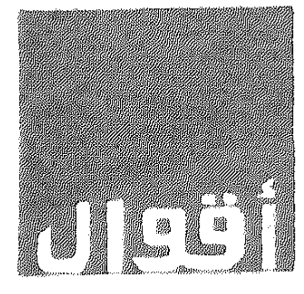
الصورة الحقيقية لتراثنا العربى الاسلامى فى الفلسفة بتحقيق ودراسة وترجمة ونشر اهم واخطر نصوصه والدراسات الخاصة به المتناثرة فى مختلف لغات العالم وفى مختلف مكتباته . ولهذا فانه من المؤسف حقا اننا لانكاد نجد اهتماما او احتفالا بهذه القيمة العلمية الكبيرة التى يمثلها عبد الرحمن بدوى . ولانجد اسمه فى قائمة المرشحين فى سوق الجوائز الكبرى التى يعج بها اليوم عالمنا العربى !

ولعل هذا هو مادفع عبد الرحمن بدوى عندما اصدر عام ١٩٨٤ موسوعته الفلسفية من جزءين كبيرين ، ان يحرص على ان يقوم بنفسه بتقديم نفسه وفلسفته فى هذه الموسوعة وان يتجاهل فيها جميع المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين حتى من كانت لهم جهود ومحاولات ذات صبغة نظرية فلسفية ، اللهم الا الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى هو فى الحقيقة مؤرخ وباحث جليل فى الفلسفة الاسلامية وانسان على مرتبة خلقية رفيعة . وهو ـ فى الحق ـ صاحب رؤية خاصة فى تأسيس الفلسفة الاسلامية على اصول الفقه ولكنه لايعد فيلسوفا وما اظن ان عبد الرحمن بدوى ذكره فى موسوعته الا تقديرا لشخصه واعترافا بفضله العلمى عليه اثناء دراسته فى كلية الاداب .

فلنختلف مع عبد الرحمن بدوى كما نشاء ، ولكن لاخلاف حول مايمثله من قيمة علمية كبيرة نادرة فى حياتنا الثقافية المعاصرة ، اتمنى ان يتنادى الباحثون فى التراث العربى الاسلامى فى الجامعات العربية ، وان تتنادى جمعيات الفلسفة في الأردن ومصر وتونس والمغرب وان تشارك المنظمة العربية للثقافة ، ومحافظة دمياط ـ فعبد الرحمن بدوى من مواليد شرباص احدى قراها ـ ان يتنادوا جميعا لعقد اسبوع فلسفى على شرف عبد الرحمن بدوى اعترافا بفضله العلمى ، يخصص لقضية من القضايا كمنهج تحقيق التراث ، او للمنجزات الفلسفية الابداعية والدراسية لعبد الرحمن بدوى او للوضع الراهن للدراسات الفلسفية فى الوطن العربى او غير ذلك من الموضوعات الفكرية والفلسفية .

هذا اقل ما يجب ان نعبر به عن تقديرنا العميق لعبد الرحمن بدوى ، هذا الفيلسوف ـ المؤسسة ـ

● فى العدد القادم :
يستكمل الكاتب الكبير الاستاذ محمود امين العالم هذا البحث الهام عن الدكتور عبد الرحمن بدوى وفلسفته .







سليم الحص

● "اريد ان يكون المسلمون والمسيحيون فى وطنهم الواحد سواسية ، بلا تفريق ، ولا تمييز ، لاظالم فيهم ولا مظلوم ، لاقاهر فيهم ولا مقهور . فى ظل نظام يقوم على تكافؤ الفرص بين الجميع فى دولة المؤسسات والتنمية" .

سليم الحص - رئيس وزراء لبنان

● "آن الأوان للشرق والغرب ان يتفقا على قواعد تحكم السلوك"

روبرت ماكنمارا



روبرت ماكنمارا

● "إن اى صيغة لحل المسالة اللبنانية ، لاتخرج من اللبنانيين انفسهم ، ستكون قليلة الحظ فى التطبيق . إذا إفترضنا امكانية كسر الحاجز القائم" .

المفكر اللبنانى منح الصلح

● "ليس من الحقيقة فى شىء ان المراة كائن غير كامل بدون الرجل" .

تونى موريسون

الاديبة الفائزة بجائزة بوليتزر

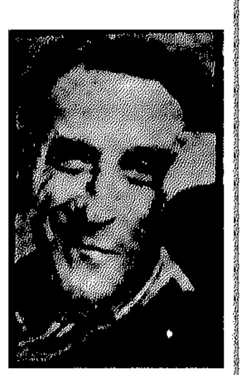
● "الإنتلجنسيا العربية رافضة لاداء وظيفتها ، لانها فى حالة اضراب عن التفكير"

جورج طرابيشى

● مهما بدا تاريخ مصر متقطعا ، فإنه يغلي فكرة استمرارية مرنة ومتواصلة"

المفكر الفرنسى جان لاكوتير

جان لاكوتير



● "الاختلاف فى الآراء لايشكل عقبة امام وحدة البلاد"

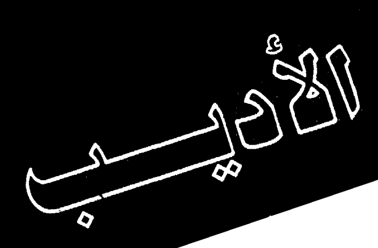
جورباتشوف

● "الامور تتطور على وجه مفاجىء غير متوقع"

ادوارد باجراموف

عضو معهد الدراسات بالاتحاد السوفييتى

الأديب وحرفته الثانية



في الذكرى المئوية لميلاد الأديب والمفكر الكبير الدكتور طه حسين ، ينشر «الهلال» هذا المقال مترجما إلى العربية لأول مرة ، وكان الدكتور طه حسين قد أملاه بالفرنسية لالقائه في مؤتمر ثقافي لليونسكو سنة ١٩٥٢ لدراسة الأوضاع التي تحيط بحياة الأدباء والفنانين وحريتهم ، في المجتمع المعاصر الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ويقدمه عبدالرشيد الصادق محمود .

بقلم : د. طه حسين



● منذ خمسة عشر عاما تقريبا كان مصير الأدب يشغل فريقا من الكتاب ، أو لنقل من المثقفين الذين أتوا من القارات الخمس ، وذلك أن معهد التعاون الفكرى كان قد دعا إلى عقد «نقاش» تحت رئاسة الكاتب العظيم بول فاليرى سنة ١٩٣٧ وكان موضوع هذا النقاش هو على وجه التحديد : «مصير الآداب فى المستقبل القريب» ..

ويجدر بنا قبل أن ندرس دور «الحرفة الثانية» كما يقال (١) وقبل أن نحلل وضع الكاتب فى المجتمع المعاصر ، أن نفحص النتائج التى توصل إليها هؤلاء الرجال ، لا يحدوهم فى ذلك إلا النيات الحسنة والنزاهة الفائقة ووضوح الفكر ومضاؤه . لقد كانت النغمة السائدة فى تلك المناقشات والأحاديث التى دامت عدة أيام تفيض بالتشاؤم ؛ لأن الأدب فيما لوحظ عندئذ كان يتهدده خطر داهم . فهناك من ناحية قراء أكثر أو أقل مما ينبغى لأن كثيرا من الناس يعرفون اليوم القراءة والكتابة وإن قل بينهم من يهتم حقا بالمنتجات الأدبية الجديرة بالتقدير ؛ وهو ما يعنى أن الثقافة الحقيقية يتزايد حظها من الاهمال يوما بعد يوم . ومن ناحية أخرى أدت المكتشفات الهائلة المتلاحقة فى مجال التكنولوجيا الحديثة والتقدم الخاطف السرعة الذى تحرزه العلوم التطبيقية والاختراعات المذهلة التى يسفر عنها هذا العصر المعادى للانسان إلى صرف معاصرينا عن القراءة . ولم يعد الكتاب هو وسيلة الترفيه الوحيدة التى تتسم بالذكاء أو تجلب المتعة . فقد حدث أولا ما شهدته الصحافة من توسع يفوق الخيال ؛ ثم جاء المذياع والسينما – وبوسعنا اليوم أن نضيف إلى ذلك التليفزيون بما يحققه من توسع متزايد فى البلاد الانجلوسكسونية . كل هذه الوسائل الترفيهية صارت تستأثر باهتمام الناس إذ تشجع فيهم الميل الطبيعى إلى الكسل بينما يظل التعرف على مؤلف مطبوع – ولاسيما إذا كان على درجة من الجودة – أمرا شاقا يتطلب الجهد . فالقراءة الجادة تقتضى الاجتهاد والتفكر ؛ والمؤلف الجيد لا يتطلب من قارئه الوقت فحسب وإنما يتطلب منه أيضا تعاونا وثيقا وصادقا .

● **الكاتب وضميره !**

يضاف إلى كل ذلك أن الكاتب إذا أراد

الأديب وحرفته الثانية



لأدبه أن يكون فى متناول عدد ضخم من القراء يتزايد رغم كل العقبات ، لابد له أن يتوخى التبسيط ، وهو أفدح الأخطار التى يمكن أن تتهدد صدقه . فهو مضطر عندئذ إلى أن يعدل عن الحصافة فى تخير الألفاظ والعبارات التى تفرض نفسها بالضرورة على كل كاتب يحترم نفسه ويحرص كل الحرص على متطلبات الفن الصارمة . فإذا رأى الكاتب على عكس ذلك أن يلتزم التزاما مطلقا بأن يمعن التفكير ويحسن التعبير لكى ينشىء عملا قيما ، وإذا أبى على نفسه أى تهاون مع دواعى السهولة أو الابتذال ، فإنه محتاج عندئذ الى كثير من الوقت للتدبر فى فحوى كتابه وصياغته . ويترتب على ذلك أن التأليف الادبى يتطلب منه جهدا جسيما ؛ وهو إذن يواجه خطر التقدم بعمل جاء ثمرة لجهد طويل إلى قراء لا يفهمونه أو لا يبالون به بل وقد يلقونه بالعداء . فهم لابد أن ينفد صبرهم بإزاء ما فى فكره الأصيل من تعقيد وما فى عبارته من دقة وبطء مقصود وبذلك ينشأ نزاع حقيقى بين الكاتب وضميره وهو يزمع بث رسالته أو الافصاح عما يجول بخاطره لاغير . ثم يلى ذلك صراع آخر بين المؤلف وجمهوره إذ يريد أولهما لعمله أن يقرأ بينما يرفض الطرف الثانى أن يعيره الانتباه الذى يطلبه . وبعد كل ذلك تأتى معركة ثالثة بين الكاتب ووسيطه إلى الجمهور وهو فى هذه الحالة ناشر الكتب أو تاجرها ، فالكاتب فى هذه المرحلة يريد أن يصل إلى القراء لا لتعريفهم بعمله وإطلاعهم على افكاره فحسب ، ولكن ليكفل لنفسه أيضا سبل العيش وحياة لائقة على اقل تقدير .

كيف يمكن التوفيق بين واجبات الكاتب الاخلاقية واحتياجاته الحيوية ؟ كيف يتاح للأديب أن ينشىء عملا حرا صادقا دون أن يضار فى موارد عيشه ؟ وبعبارة موجزة . كيف نهتدى إلى الصلة بين شئون الفكر ومقتضيات المادة ؟

ينبغى أن نلاحظ أولا أن رعاية الأدب نظام أو بالأحرى تقليد يصعب تحديده أو تقصيه عبر التاريخ . فهو يظهر فى بعض الفترات وفى بعض البلدان ثم يختفى لفترة غير محددة وإن كنا لا نستطيع أبدا أن نقطع بزواله . ولقد ذكر فى هذا الصدد بلاط اغسطس وبلاط بغداد وبلاط فرساى ؛ ولكن وجدت مراكز أخرى من هذا النوع فى شتى المناطق والازمنة . ويكفى أن نتذكر العواصم التى تألقت فى ربوع

الأرض في نفس الوقت أو الواحدة تلو الأخرى . فدمشق والقاهرة ومدريد ولندن وموسكو على سبيل المثال لا الحصر كثيرا ما شهدت ملوكا وأمراء وأشرافا يحيطون أنفسهم بشعراء وكتاب وفنانين ويجرون عليهم أرزاقا لم تكن سخية في جميع الأحوال . غير أننا نلاحظ إلى جانب هذه الحماية الرسمية التي كثيرا ما قامت على حب المظهر والتباهي تطورا رائعا في الأدب والفنون لا فضل للرعاية الادبية فيه . فقد استطاع بعض عظماء الرجال أن يستغنوا عن هذا الدعم المادي والمعنوي . وإنه لمن الاجحاف أن يقال إن جميع الروائع التي تحظى بإعجاب الانسانية لم تر النور إلا بفضل أريحية رعاة الفن الأذكياء وبعد نظرهم . فلقد تكون رعاية الفنون نتاجا جميلا للحضارة المنظمة ؛ ولكن لا يخفى انها قد تكون ايضا ثمرة مريرة لتنافس بين الأقوياء في هذا العالم . ومما يدعو إلى الانزعاج أنها تقترن في جميع الاحوال تقريبا بالطغيان أو الاستبداد أو الدكتاتورية . ولذلك كثيرا ما اضطر الكتاب والفنانون إلى أن يدفعوا ثمنا باهظا لقاء تلك المعونة التي كانت عبئا عليهم . وهنا قد يقول قائل : وأي بأس في ذلك ماداموا قد تمكنوا رغم كل شيء من إنتاج أعمال بديعة ! فلقد ألف فيرجيل «الانابيدة » وكتب راسين مآسيه ... ولكن أحرى بنا ان نتساءل عما إذا لم يكن هؤلاء الكتاب الذين لم يلحق بفنهم فيما يبدو أي ضرر من حيث الشكل قد تعرضوا لمحن رهيبة في أعماق ضمائرهم . فليس من السهل على نفس الأديب - وهو الذي ربما كان لا يحرص على شيء حرصه على تقديره لذاته - أن يرضخ دائما لرغبات ملك مهما كان عظيما أو لنزوات طاغية مهما كان رقيق الحاشية أو لرغبة نبيل حتى لو كان أوسع الناس أفقا . وثمة إذن صفقة تنطوي على الغش : فراعي الأدب يعطي من الذهب أو الفضة ما ينفقه الأديب كلما تلقاه ، أما الأديب فيمنح فنه أو فكره وهما اللذان لا ينفقان بأي حال من الأحوال . ولذلك خلد بعض الأسماء التي ما كانت لتستحق الخلود على الاطلاق . وعبثا يعترض معترض فيقول إن نظام الرعاية قد عزز التعبير الفني والادبي طيلة قرون وإن ديدرو ما كان لينجز «الموسوعة » لولا مدام بومبادور . فبوسعنا دائما أن نتساءل : وأي الانجازات مهما عظمت كان يمكن أن تستعصي على من توصلوا - رغم القسر أو بسببه - إلى أن يقولوا ما أرادوا وأن يعبروا فيجيدوا عن أخص أفكارهم ؟ ومعنى ذلك أن نهاية الرعاية الادبية - إذا صح أنها زالت وهو ما لا أراه - لن تكون خسارة جسيمة . بل لقد يبدو لي أن زوال هذا النظام يعد تقدما كبيرا نحو تحقيق كرامة الانسان وتحقيق مزيد من الشرف والرفعة للفن والفكر . يضاف إلى ذلك أن كتابا وفنانين ممن لم يحظوا برضى السلطة ولا بالنعم التي يجود بها أصحاب المراتب العليا قد استطاعوا أن يحيوا حياة كريمة بل ومريحة وأن يكتبوا بحرية دون معونة من دولة أو حكومة أو ثري من الأثرياء . فكيف توصلوا إلى ذلك ؟ الجواب هو أنهم حاولوا أن يكسبوا قوتهم إما ببيع كتبهم أو باتخاذ مهنة ما لم تتعارض ونشاطهم الفكري فأتاحت لهم أن يمارسوا الأدب والحياة في آن واحد .

● الحرفة الثانية

ونسارع فنقول إن اصطناع حرفة ثانية

الأديب وحرفته الثانية

ليس بدوره ظاهرة جديدة . إذ يكفى أن نلقى نظرة سريعة على التاريخ فى أى بلد نختاره وأيا ما كانت الفترة التى نخصها بالاهتمام ، ليتبين لنا أن الكتاب والفنانين على السواء قد مارسوا فى أغلب الأوقات حرفة ثانية أو كانت لهم حرفة يشتغلون بها إذا شئنا الدقة . وذلك اننى أرفض أن أدرج الألهام والالتزام الذى يدفع المرء إلى الكتابة والتفكير فى عداد الحرف . ولا ينبغى أن نتلاعب بالالفاظ جريا على العادة التى تلقى اليوم رواجا شديدا بين أهل السفسطة والبلاغة الخلابة فى هذا العصر . إذ لا يجوز أن نخلط بين الحرفة والرسالة ، بين المهنة والدعوة ، بين المهام والواجب ، بين المنصب والمطلب الداخلى ، بين التكليف والموهبة ، بين الوظيفة والالزام الصادر عن القلب أو العقل . فالكاتب الجدير بهذا الاسم لا يكتب أبدا لكسب المال أو بلوغ الثروة أو اقتناء الممتلكات . وصحيح أنه ليس لديه من سبب قوى يدعوه إلى رفض هذه الاشياء إذا اتيحت له ، ولكنها ليست هى غايته بأى حال من الأحوال . وهو إذا آمن بأن الأدب او الفن ذو طبيعة روحية خالصة وبأن الأديب ينبغى أن يكون قديسا بمعنى من المعانى او زاهدا على اقل تقدير خليق بأن يأبى أن تقدر قيمة أعماله السامية بأى مقابل مادى كائنا ماكان .

ويخيل إلى إذن أن مسألة «الحرفة الثانية» ، لم تطرح على الوجه الصحيح . وذلك أن الأمر لا يتعلق بحرفة أخرى وإنما يتعلق بحرفة بلا زيادة أو نقصان. ومعنى ذلك أن تصاغ القضية على النحو التالى : هل يمكن للكاتب والفنان أن يتخذا حرفة (لأن المشكلة لا ينبغى أن تطرح الآن إلا بلغة الامكان لا بلغة الحقوق والواجبات !) أم انهما إذا فعلا ذلك يعرضان الأدب والفن للخطر ؟ فإذا درسنا بعناية عددا كبيرا من الكتاب فى مختلف العصور ، ادركنا بسرعة أنهم جميعا تقريبا إن لم نقل جميعا بلا استثناء كانت لهم حرفة من الحرف . وأن هذه الحرفة كثيرا ما كانت بلا صلة بالأدب والفن . ومن المؤكد أنهم لم يروا فى ذلك ما يضع من أقدارهم على أى نحو ؛ كما لم يروا فيه ما يدعو إلى الزهو .

وبناء على ذلك أفلا ينبغى أن نقلب القضية راسا على عقب فنسأل : هل يمكن للكاتب أن يقنع بأن يكون كاتبا لا غير ؟ وهل يحق للفنان أن يكون رجلا قصارى جهده نحت الرخام أو وضع الألوان على اللوحات ؟ السنا هنا فى الواقع بإزاء ظاهرة خاصة بالقرن العشرين حيث يوجد بالفعل أدباء بالمعنى الدقيق للكلمة يتفرغون للكتابة ويطالبون لذلك بأن يخصص لهم مكان راجح فى المدينة وأن يلقوا من المجتمع معاملة متميزة ؟ فإذا طرحت المشكلة على هذا النحو صارت مختلفة تماما . إذ لا يتبين فحسب أن الحرفة الثانية المزعومة ليست شرا ولا ضرورة مؤسفة ، وإنما يتبين أيضا أنها خير وبركة من السماء ! فذلك على وجه التحديد ما يسمح للكاتب أو الفنان بأن يحتفظ بحريته كاملة وبأن يصون استقلاله الفكرى . بل ويبدو أن أسوأ ما يقع للكاتب

هو الا يجد ما يعتمد عليه فى كسب قوته سوى عمله الأدبى ؛ وذلك أن الفن بطبيعته لا يقبل التساهل ومحال أن يرتضى غاية غير ذاته . وإذا طلبنا إلى الفكر أن يضحى وسيلة لأطعام من يتدبره ويعبر عنه كنا بذلك ننكره . صحيح أنه يحدث فى بعض الحالات أن ينتشر ـ لحسن الحظ ـ كتاب جيد بين القراء فى كل مكان وينعقد الاجماع على تقديره ؛ وقد يجلب لمؤلفه بناء على ذلك بعض الرضا المادى بل وكثيرا من المال إذا راج بيعه وترجم إلى عدد من اللغات .

● هموم الكاتب المادية

ولا يسعنا إلا أن نسعد ونغتبط إذا اتيح لكاتب مجيد أن يحظى بالاهتمام الذى يستحقه ووجد دون مشقة قراء مثقفين جديرين به . وليس من الخير إذن أن يكتب المؤلف ليبيع عمله كالسلعة ويتقاضى اجرا عما بذل من جهد . ولكن من الخير كل الخير ان يتاح لهذا الكاتب احيانا أن تباع كتبه وأن يكسب بعض المال بفضل ما كتب . وإذا حدث وتوقف بيع مؤلفاته أو سار ببطء نتيجة لسوء الحظ أو لظروف غير مواتية أو لقصور الدعاية أو غير ذلك من الأسباب ، فليس عليه من ذلك بأس ! لقد فكر وعبر عن نفسه وأعطى خير ما لديه . وهو لا يستطيع فى قرارة نفسه وضميره أن يأسف لشيء سوى أن الناس لم ينتفعوا بعمله كما ينبغى .

ويبدو بناء على ذلك أننا نواجه ثلاثة احتمالات محددة . فالكاتب (وأنا أعنى أيضا الفنان والفيلسوف) إما أن يكون ثريا ؛ أو ان يكون صاحب حرفة ؛ أو الا يكون له سوى قلمه . وواضح أن من الأمتع للأديب أن تخلو حياته من الهموم المادية حتى يفرغ لالهامه ، وإن كان قد لوحظ كثيرا أن بعض شواغل الحياة العملية تحفز النشاط العقلى ولا تعرقله . ولكن من الحقارة أن نرجو للأديب أن يتعرض لمثل هذه المشكلات أو أن نعمل على استمرارها إذا وقعت له ! فإذا كان وضع الكاتب ميسورا منذ البداية كانت لديه كل الفرص لكى ينتج عملا جديرا بالاهتمام . وإذا لم يفعل ذلك كان الذنب ذنبه دون سواه ؛ وقد بدد عامدا كل ما أتيح له من مزايا . أما الكاتب الذى يتحاشى هموم الحياة الجارية بالاعتماد على غيره . فأرجح الظن انه لن يأتى بعمل نابه ، فهو مقيد وهو قد تنازل بذلك عن استقلاله للدولة أو لمن يرعاه . ولكن الكاتب الذى يكفل لنفسه حياة كريمة لائقة بممارسة حرفة أيا ما كانت ـ وتلك هى اكثر الحالات شيوعا ـ يستطيع وينبغى له أن ينتج عملا ذا شأن فى مجال الفكر . ولدينا على ذلك أمثلة عديدة . فقد كانت هذه الظاهرة شائعة فى القرون الماضية ؛ وهى تكاد تكون القاعدة فى الوقت الحاضر .

فإذا تفكرنا قليلا ، بدا لنا أن هذه الحرفة الثانية التى هى فى واقع الأمر «الحرفة الأساسية » إن لم تكن هى المهمة الأولى تنطوى على مزايا جمة ومؤكدة . فهى أولا مصدر مفيد يزود رجل الفكر بسبل التسلية التى لاغنى له عنها . فالمثقف مهما بلغ ولعله بالأدب والفنان مهما كان شغفه بالأشكال والصور والموسيقار مهما تاه فى بحار النغم لابد أن يشعر بحاجة إلى أن ينأى من وقت إلى اخر عن عمله حتى يستقر وينضج ، وإلى أن يقيم بينه وبين العمل تلك المسافة اللازمة للحكم على ما بدأ ولتحديد الخطوة

الأديب وحرفته الثانية

التالية . وكلنا نعلم أننا بعد فترة من الراحة تطول أو تقصر وترك النفس على سجيتها بطريقة أو بأخرى يسهل علينا أن نستأنف العمل الذى نحن بصدده . وذلك على وجه التحديد ما يفعله الرسام حين ينهض وينظر إلى لوحته من مسافة معينة كما لو كان يريد تقدير تأثيرها . وقد تكون الحرفة الثانية إذن مصدرا يزود الفكر بالتجارب الخصبة المتجددة . وهى فضلا عن ذلك تتيح للأديب عقد صلات مباشرة مع الحياة التى هى فى نهاية المطاف المقصد الأساسى بل والموضوع الدائم لأفكاره ولمسعاه الروحى . أما «البرج العاجى» الشهير فقد يصلح أحيانا لفترة الشيخوخة ، وهيهات ! فليس بوسع الكاتب أن يستهل حياته الفكرية باعتزال العالم والناس . وربما استطعنا فيما بعد وقد حل بنا السأم والضيق بالدنيا أن نستسلم برهة خلابة عابرة لاغراء الوحدة المادية والمعنوية . ولكن ينبغى أن نتذكر فى هذا الصدد أن الانسان قد يستشعر الوحدة وهو بين الناس . يضاف إلى ذلك أننى لا اعتقد – كما اعتقد بسكال – أن كل الشرور التى تنزل بالانسان ترجع إلى انه لا يستطيع البقاء فى غرفته . ولا يحق لأحد أن يذهب إلى هذا الرأى إلا إذا خبر الحياة وعاشر الناس لفترة طويلة . وليس بمقدور الكاتب أن يستقى مادته من ذاته ، وليس بوسعه أن يستغنى عن الغير . فإذا أصر على أن بوسعه أن يفعل ذلك كان هذا دليلا على غروره أو ادعائه .

وقد تتجلى أصالة الفكر أو تميز الشخصية عن طريق العمل سواء أكان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا بل وحتى لو كان عاطفيا . وذلك أن الانسان إذا كان لديه فى قرارة نفسه رسالة يريد أن ينقلها إلى الغير ، فإن طريقته فى إعلانها ليست بذات أهمية كبيرة ؛ ولعل هناك طرقا متعددة لبلوغ هذه الغاية . ونحن مخلوقات متعددة الجوانب . فقد يعتقد شخص أنه لا يستطيع أن يعبر عن نفسه إلا بنظم الشعر ثم يتبين أنه إدارى ممتاز ؛ وقد يكرس آخر كل جهده للعمل بالمبضع ثم يكتشف أنه يستطيع استخدام القلم بحذق !

والمزية الأساسية للحرفة الثانية هى أنها تتيح للكاتب حرية مطلقة ، والحرية هى بلا أدنى شك الشرط الرئيسى الذى لابد منه للكاتب حتى لايتلف مواهبه .

ولكن ينبغى الآن أن نتحدث عن مضار الحرفة الثانية . فهى ككل ما هو بشرى ومن ثم ناقص مزيج من الفضائل والعيوب والمحاسن والمساوىء والمزايا والمضار . وقد رأينا فيما تقدم أنها قد تصرف الكاتب أو الفنان عن رسالته الحقيقية لفترة من حياته تقصر أو تطول . فهى قد تعرضه على سبيل المثال لأشكال شتى من سوء التقدير وخيبة الأمل . فالأديب الذى لا يستطيع فكاكا من أعباء وظيفة عامة والنحات الذى تثقل كاهله مسئوليات إدارية لاحصر لها والمفكر الذى ينصرف بكل طاقته إلى بعض الأحداث السياسية – كلهم عرضة لأن يخونوا مثله الأعلى ، لأن يمنح خير ما فى نفسه لشىء لا طائل من ورائه أو على الأقل لعمل أقل شرفا ودواما من تلك الآثار الخالدة التى

يشيدها بعقله في هدوء مكتبه او يبنيها بفؤاده في ظل الطمانينة المثمرة التي تسود مرسمه .

ولكن قد يرد علي هذا النقد بحجج عدة اولها ان نعيد ما قلناه آنفاه ، وهو انه ما من شيء يمكن أن يمنع الكاتب الحقيقى او الفنان الاصيل من قول ما يريد . وقد نشير ثانيا إلى ما فى النفس البشرية من ازدواج . فمن الشعراء من يستطيع أن يمتهن صناعة أخرى دون أن يضحى بفنه . والضرورة لا تخضع لقانون ، ويستطيع الأديب إذن أن ينزل بوصفه إنسانا على حكم الضرورة دون أن يخنق مافي نفسه من نفحة إلهية .

فليس شرا كما رأينا لتونا ان يمارس الأديب حرفة من الحرف ؛ بل العكس هو الصحيح . أما أن تستغرقه هذه الحرفة ، فذلك هو الشر الذى ينبغى تلافيه . وهنا تثور مشكلة الاختيار ، وهى مشكلة عسيرة . فالتمييز أمر دقيق وذاتي . وليس فى هذا المجال معايير نحتكم إليها . فما هو مناسب لكاتب قد لا يفى بالغرض فى حالة رجل يشتغل بالموسيقى . ولا شك أن هناك مهنا موائمة للانتاج الأدبى ووظائف تضر به . ولو أننا وجهنا السؤال إلى عشرة كتاب لتلقينا عشر إجابات مختلفة . أحدهم يشيد بالعمل اليدوى وآخر يحبذ إحدى المهن الحرة وثالث يفضل الوظائف العامة . واكاد اقطع بأن أفضل مهنة للكاتب هى أبعدها عن ميوله الشخصية ، لولا أن التجربة قد جابهتنى بشواهد عديدة على بطلان هذا الرأى ! فمثل هذه المهنة تمتاز على الاقل بأنها تترك للمثقف الذى يمارسها من خلو البال مالا تتركه وظيفة أخرى يبدو أنه خير من يضطلع بها . فإذا عمل بناء أو أميرا للبحر كان اقدر على الاحتفاظ بكامل قدراته العقلية عندما يجلس إلى مكتبه . أما الكاتب الذى يختار حرفة شديدة القرب من الأدب مثل الصحافة والسينما والاذاعة ، فإنه يتعرض لخطر الانزلاق دون ان يدرى من إحداهما إلى الاخرى ؛ وقد ينجم عن ذلك شيء من الخلط بين الحرفة والفن ـ إذا جازت هذه العبارة .

وقد لاحظت منذ قليل ان الحرفة الثانية تواجه البحث بمشكلة يساء طرحها . وذلك اولا لانها هى الحرفة الاولى والوحيدة فى معظم الحالات ؛ وثانيا لان الصعوبة التى تواجه الكاتب فى هذا الصدد لا تتعلق باتخاذ مهنة ، وإنما تتعلق باختيار المهنة المناسبة . ويحق لى الآن ان اخلص إلى نتيجة نهائية وإن كانت غير قاطعة ، وهى ان هذه الحرفة الثانية التى كثر الحديث بشأنها لاينبغى أن تستوعب عقل الكتاب وقلبه . ولا ينبغى للاستوديو أو قاعة المحاضرات أو المرسم أو مكتب التحرير أو المتجر أن يستغرق وقته كله . وقد رأينا مع ذلك أن الأديب الذى ليس له من عمل فى الحياة سوى الكتابة قد لايخط فى كثير من الحالات سطرا واحدا . ويترتب على ذلك ان الأشتغال بإحدى الحرف قد يكون بمعنى من المعانى الشرط الذى لاغنى عنه للإنتاج . ويبدو لى أننا ننفذ بذلك إلى لب الموضوع .

مصـــــــــر
والحرب العالمية الثانية

بقلم: د. عاصم الدسوقي

تعتبر فترة الحرب العالمية الثانية من الفترات المهمة فى تاريخ مصر الحديث ، ورغم قصرها الزمنى فقد كانت غنية بالاحداث فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وهى احداث تركت بصمات واضحة على بنية المجتمع المصرى برزت آثارها ومؤثراتها فى الوقت المناسب غداة انتهاء الحرب فى شكل المظاهرات المعادية للوجود البريطانى ، والمطالبة بوضع حلول للمشكلة الاجتماعية التى كانت قد توارت قليلا خلال الحرب بسبب الانتعاش الاقتصادى النسبى والمرتبط استثنائيا بالحرب وظروفها . ويمكن القول باطمئنان ان هذه الفترة تعتبر المقدمة المباشرة لحوادث الاربعينيات المعروفة فى ادبيات تاريخ مصر بعد عام ١٩٤٥ من حيث الصدام المباشر مع السلطات .

● وكانت الحكومات المصرية المتعاقبة منذ قيام الحرب قد توصلت الى صيغة للحياد السياسى تجاه أطراف الحرب رغم نفوذ بريطانيا أحد اطرافها فيما عرف بسياسة "تجنيب مصر ويلات الحرب" . ومع هذا فلم ينفذ هذا المبدأ بدرجة واحدة ، اذ كان له اكثر من مفهوم ، فقد حوله على ماهر (حتى ١٢ يونية ١٩٤٠) الى نوع من الحياد " الايجابى » كانت مظاهره التندر بقوة بريطانيا والتبشير بانهزامها امام المحور ، والتعاطف مع العناصر المضادة لبريطانيا الامر الذى اوغر صدر الخارجية البريطانية حيث طالبت باخراجه من الحكومة . اما وزارة حسن صبرى (يونية ـ نوفمبر ١٩٤٠) فقد فسرته بأنه



توصلات الحكومات المصرية المتعاقبة منذ قيام الحرب الى صيغة للحياد السياسى

تعاون مع بريطانيا ينحصر فى تقديم المساعدات التى تطلبها من مصر ولكن بتحفظ يبقى سلطة القصر ويحفظ هيبته امام الانجليز ، وكذلك الحال بالنسبة لحكومة حسين سرى (نوفمبر ١٩٤٠ ـ فبراير ١٩٤٢) . على ان هذه السياسة التى قامت على الموازنة والوفاق بين القصر والانجليز لم ترض الانجليز فى النهاية ، لانها لم تكن تمكنهم من استخدام مصر قاعدة حربية ومركزا للتموين كما كانت تريد ، ومن هنا كان فرض حكومة النحاس فى ٤ فبراير المشهور ١٩٤٢ حيث فسرت حكومة الوفد مبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب الى انحياز للانجليز من حيث الاستجابة لمطالب ورغبات السفارة البريطانية .

ونظرا لأن إعلان الحرب صاحبه فى مصر إعلان الاحكام العرفية ووضع الرقابة على سائر المطبوعات منذ أول سبتمبر ١٩٣٩ فقد كمنت التناقضات الاجتماعية الى حين وتأجل انفجارها بسبب الانتعاش الاقتصادى الذى شمل كلا من اصحاب المصانع وبالتالى العمال وذلك نتيجة تأثر حركة الواردات بسبب

ظروف الحرب وزيادة الانتاج لتلبية حاجة السوق المحلية ، وفى كل الاحوال كان هذا الانتعاش غير طبيعى لأن ظروف الحرب أوجدته ، وظروف الحرب دائما ظروف استثنائية لا يعول عليها ، فما أن أشرفت الحرب على الانتهاء واستغنت السلطات الانجليزية عن عمال المعسكرات ، وعادت حركة التجارة الى طبيعتها ، حتى تخلخل الانتعاش واهتزت مكوناته فتحركت الازمة وطالب العمال بايجاد فرص عمل جديدة وعادت كل القوى الى وضعيتها الطبيعية ومواقفها السابقة على الحرب .

التطلع للسلطة

غير ان ظروف الحرب الاستثنائية هذه أسهمت اسهاما ملحوظا فى قوة أصحاب رءوس الاموال التجارية والصناعية والزراعية على السواء ، وزيادة وعيهم الطبقى بمصالحهم وتحديد خصومهم خاصة وقد ازيلت من طريقهم عقبة الامتيازات الاجنبية التى الغيت فى عام ١٩٣٧ (اتفاقية مونتريه) ، وزاد تمسكهم بالسلطات التشريعية والتنفيذية . فلقد زادت رءوس الاموال المستثمرة فى الشركات الصناعية والتجارية من ٨٦ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ١٠٦ ملايين جنيه عام ١٩٤٥ ، وفى الشركات الصناعية وحدها من ١٥ مليون جنيه الى ٢٣ مليون جنيه . ومعنى هذا أن الرأسمالية المصرية قد زادت قوة من الناحية الاقتصادية فزاد تطلعها الى السلطة السياسية احكاما لحلقة السيطرة على مقدرات المجتمع وضمانا لمصالحها . ويذكر صليب سامى وزير التموين فى حكومة حسين سرى ان احمد عبود صاحب شركة السكر بالحوامدية أراد احراج الحكومة واسقاطها عن طريق احداث ازمة فى تموين السكر فابلغ الوزارة قبل موعد تسليم المقرر الشهرى من انتاج السكر بليلة واحدة بأنه ليس لديه من السكر ما يفى بالطلب وأنه سوف يمتنع عن التسليم اضطرارا ، فما كان من الوزارة الا ان اعدت أمرا بالاستيلاء على مصانع الشركة ومخازنها ، وأبلغ الدكتور جرانه محامى الشركة بهذا الأمر فتراجعت الشركة واعلنت عن استعدادها لتسليم المقرر الشهرى من سكر التموين .

ولقد زاد من ثراء أصحاب الاموال صفقات الحرب التجارية والتوسع فى الانتاج للقوات العسكرية الاجنبية والارتفاع المتزايد فى الاسعار . وحفاظا على المصالح المكتسبة من جراء الحرب وقفت الرأسمالية المصرية بقوة ضد محاولات الانتقاص من مكاسبها او الحد منها سواء كان ذلك بصورة مباشرة كالحد من ارباحها المتزايدة او غير المباشرة بمحاولة النهوض بالعمال عن طريق رفع اجورهم . ويكفى القول فى هذا الخصوص موقفها الواضح من الاجراءات التشريعية التى اقدمت عليها حكومات فترة الحرب والمتعلقة بالوضع الاقتصادى مثل الموقف من ضريبة الارباح الاستثنائية ، ومشروع عقد العمل الفردى ، ومشروع قانون نقابات العمال ،



ولجان التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال ، بل رأيها فى انشاء وزارة الشئون الاجتماعية التى انشئت عام ١٩٤٠ ، فكانت تتخوف من ان توجه الوزارة اهتماما بالارتقاء بشئون العامل والفلاح ، وكانت ترى ان يوجه الاهتمام اساسا نحو زيادة الانتاج مع اتقانه وتجويده ، وهذا يكون "بإقامة تعاون بين العمال واصحاب العمل على اساس المصلحة المشتركة" وتحاشى الاندفاع فى تقرير تشريعات من شأنها إعاقة قيام المشـروعـات الجـديـدة وتثبيط همم أصحابها . كما كانت ترى الا تفرض على اصحاب المصانع ـ بدعوى حماية الصحة ـ نفقات انشاءات لا تتناسب مع المستوى الاجتماعى العام ، أو تفرض قوانين أو اجراءات وشروطا لا تتفق مع وسائل وامكانات اصحـاب المصانـع المالية !! لأن هذا كله من شأنه إعاقة سير الإنتاج والحيلولة دون تحسين مستوى معيشة العمال تـدريجيا (تـأمل !!) والواجب أن تتجنب الوزارة وضع مبادىء صلبة فى المسائل التى يمكن تسويتها بالاتفاق بين الطرفين مثل ساعات العمل العادية والاضافية والأجور والاجازات (تـأمـل ايضـا !!) (راجـع مصـر الصناعية ، يناير ١٩٤٠) .

● معارضة مشروع قانون العمل

ولقـد عارض الاتحـاد المصـرى للصناعات الذى يمثل اصحاب رءوس الاموال الصناعية مشروع قانون ضريبة الارباح الاستثنائية لأنها لا تتفق مع ظروف البلاد الاقتصادية والقانونية ، وان فرضها كفيل بتهديد النتائج التى وصل اليها الاتحاد فى النهوض بالصناعة لاحداث التوازن فى الاقتصاد القومى الذى يقوم على الزراعة فقط . (مصر الصناعية ، يناير ١٩٤١) . كما عارض الاتحاد ايضا مشروع قانون عقد العمل الفردى بعد ان أقره مجلس النواب لأن المشروع ـ من وجهة نظره ـ يفرض على صاحب العمل اعباء يجب ان يتحمل العمال والحكومة نصيبهم منها وان المشروع بمساواته بين عمال اليومية والعمال الدائمين يجعل من عقد العمل عقوبة تفرض على اصحاب الاعمال ، ويجعل ـ وهذا هو المهم فى تقديرنا ـ التشريع الاجتماعى يقوم على اساس الطفرة وليس التدرج وان "الطفـرة والافراط فى شئون الاصلاح الاجتماعى هما من عوامل اختلال التوازن والنظام" (مصر الصناعية ، مايو ١٩٤١) .

وعندما صدر القرار رقم ٢٣٩ لسنة ١٩٤٢ (فى حكومة الوفد) الخاص بانشاء لجان للتوفيق بين العمال واصحاب الاعمال ، استاء اتحاد الصناعات كثيرا ورأى ان زيادة اجور العمال من شأنها اغراؤهم على تقليل عملهم ليكون لديهم متسع من الوقت لاطالة الجلوس على المقاهى (مصر الصنـاعية ، مـارس ١٩٤٢) .

وللاتحاد موقف مشهور من مشروع قانون نقابات العمال (سبتمبر ١٩٤٢) اذ قال عنه انه استلهم من قوانين غاية فى التطرف ووضعت فى بلاد تختلف عن مصر من حيث الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وبدلا من ان يعزو الاتحاد انخفاض الانتاج الى ظروف انتهاء الحرب والتخفيف من ازماتها بعد انتصار الحلفاء الحاسم على قوى المحور ، نراه يعزو هذا الى قوانين العمل والسياسة الاجتماعية التى تتجه إلى تحسين حال العمال ماديا معلنا ان اصحاب المصانع لا يستطيعون تجديد الآلات ووسائل الانتاج بسبب نظام الضرائب ، ومعلنا ايضا تخوف اصحاب رءوس الاموال من استثمار اموالهم فى المشروعات الصناعية فى ظل نظام وظروف لا تشجع على الاستمرار أو الاقدام . (راجع تقرير الاتحاد عن نشاطه لعام ١٩٤٤ ، مصر الصناعية ، ابريل - يونية ١٩٤٥)

ومن الملاحظ ان مواقف الاتحاد امتدت الى نواح اخرى تتعلق بالمحافظة على الثروة وتنميتها فيما يمكن تسميته "تامين رأس المال" .. فقد سبق ان اقنع بعض الوزارات بالاستيلاء على بعض السلع ، ثم برفع الاستيلاء اكثر من مرة لمعاونة السوق السوداء على اداء مهمتها . كما قضى على مشروع انشاء "المناطق الصناعية" بحجة أن حشد العمال فى مكان أو أمكنة بعينها قد يغريهم باشعال ثورة تجتاح الأمن والنظام ، ووقف فى وجه تعميم المجانية التى من شأنها خلق جيل يقظ يرفض سياساته . (مصر الصناعية آخر ساعة المصورة ، ١٩٤٤/٤/٢٣)

وبصفة عامة كان الرأسماليون ودعاتهم شديدى الامتعاض من أية محاولة ترمى الى افهام الفلاح أو العامل حقوقه وواجباته سواء كانت تلك المحاولة تنطوى على نزعة اشتراكية أم اصلاحية اعتقادا منهم بان مثل تلك الدعوات قد تملأ نفوس الفلاحين والعمال بالسخط على النظام الرأسمالى فتدفعهم الى الثورة عليه . (عبد المجيد نافع ، السلام الاجتماعى ص ١٠ - ١١)

ولم يكن كبار ملاك الاراضى الزراعية اقل حرصا على مصالحهم من اصحاب رءوس الاموال حتى فى المسائل الوطنية العامة . فقد عارضوا فى فرض ضريبة دفاع اضافية على الاطيان . ويتلخص الموضوع فى أن الحكومة عرضت على مجلس الشيوخ مشروع قانون اقره مجلس النواب طلبت فيه فرض ضريبة إضافية للدفاع قدرها ١٪ من مجموع الضرائب ، وقد وافقت اللجنة المالية لمجلس الشيوخ على هذه الضريبة فيما يتعلق بالأعيان المنقولة على حين رفضت اغلبية اللجنة فرضها على الاطيان . ولما ناقش المجلس تقرير اللجنة ووقف وزير المالية وناشد الشيوخ الا يعارضوا هذه الضريبة للصالح العام ، حدثت ضجة شديدة واعلن البعض انه لم يدفعها .. مع ان قيمة هذه

الضريبة لا تزيد على قرش ونصف على الفدان وتهبط الى نصف قرش بالنسبة للأرض المنخفضة الضريبة أصلا .. فمالك فدان من اجود الاراضى لن تزيد ضريبته على مائة وخمسين قرشا فى السنة ، ومالك خمسمائة فدان لن تزيد ضريبته على ستة جنيهات ونصف فى السنة (مجلس الشيوخ ١٩٤٥/٥/٨) .

ورغم الانتعاش الاقتصادى الملحوظ بسبب ظروف الحرب الاستثنائية فإن المجتمع المصرى فى مجموعه زاد فقرا ، فالدخل القومى بالنسبة للفرد الواحد كان فى هبوط مستمر ، فمن ٩٫٦ جنيه فى العام خلال الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٣٩ اصبح ٦٫٤ جنيه فى العام خلال الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٤٥ وذلك على اساس الاسعار الثابتة ، اضف الى هذا سوء التوزيع الشديد لهذا الدخل مع ماهو معروف من تركيز الملكية الزراعية وتركز رءوس الاموال فى نسبة قليلة من الافراد .



فسرت حكومة الوفد (١٩٤٢) مبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب

ولو نظرنا الى توزيع الدخل القومى لوجدنا ان ٦١٪ من هذا الدخل يذهب الى كبار الملاك وكبار الرأسماليين . فقد قدر الدخل القومى عام ١٩٤٥ بمبلغ ٥٠٢ مليون جنيه ذهبا منه ما يزيد على ٣٠٨ ملايين جنيه على شكل ايجارات وارباح وفوائد ، على حين ان متوسط أجر العامل الزراعى فى العام لم يزد على اربعة عشر جنيها ، ولو روعى ارتفاع تكاليف المعيشة لكان الاجر الحقيقى لا يتجاوز ثلاثة جنيهات فى العام ، كما ان متوسط الاجر السنوى لعمال المدن وفق احصائيات عام ١٩٤٢ لا يزيد على ٣٥ جنيها اى ثمانية جنيهات اجر حقيقى فى العام الواحد . **على ان هذه الارقام لم تكن وحدها تكفى للدلالة على مقدار ما كانت تعانيه**

الطبقات الفقيرة ، فقد قدرت مصلحة الاحصاء فى عام ١٩٤٢ أن ما يلزم لعامل وزوجته واربعة اولاد لا يجب ان يقل عن ٤٣٩ قرشا فى الشهر طعاما وكساء وذلك وفق الاسعار الرسمية لا اسعار السوق السوداء التى كانت منتشرة فى هذا الوقت ، ومع هذا فقد كان متوسط الاجر الشهرى للعامل فى عام ١٩٤٢ لا يتجاوز ٢٩٣ قرشا فى الشهر ، اى ان اغلبية الطبقة العاملة فى المدن كانت تعيش دون الحد الادنى للكفاف بمقدار النصف تقريبا . هذا فى الوقت الذى ارتفعت فيه الارباح الموزعة فى الشركات المساهمة فى مصر من سبعة ملايين ونصف مليون جنيه فى ١٩٤٢ الى قرابة عشرين مليونا فى عام ١٩٤٦ ، كما ارتفعت ايجارات الاراضى الزراعية من ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه عام ١٩٤٥ .

وعلى حين كان العمال والفلاحون يرزحون تحت ضغط اصحاب رءوس الاموال وملاك الاراضى الزراعية ويواجهون - رغم الانتعاش الاستثنائى - شبح البطالة عند نهايات الحرب ، كان الشباب المتعلم يواجه البطالة فعلا وضيق فرص العمل فى الحكومة أو فى الشركات بحيث كانت الغالبية منهم وخاصة الجامعيين تقبل الاعمال الصغيرة والتافهة . وقد بلغ من ثقل الأزمة أن مجلة "الاثنين والدنيا" اسهاما منها فى ايجاد حلول رأت أن تقوم بعملية تعريف اولئك المتعلمين باصحاب الاعمال من حيث الخبرات والكفاءات فاعلنت انها تنشر اعلانات مجانية لهم متضمنة بيانات عن الاسم والشهادة والسن (مجلة الاثنين ١٩٤٠/٨/١٢) .

ولقد ادى وجود هذه الازمة مع رخاء الراسمالية وانتعاشها كما سبقت الاشارة الى شعور الشباب المتعلم بمدى الظلم الاجتماعى الواقع فاصبحوا اكثر استعدادا لقبول الافكار اليسارية التى بدات فى الانتشار العلنى استفادة من ظروف الوفاق السوفييتى مع الحلفاء ضد المحور واعتراف مصر بالاتحاد السوفييتى واقامة علاقات معه فى سبتمبر ١٩٤٢ وان لم يوضع موضع التنفيذ الا فى صيف ١٩٤٣ ، ولابتعد البعض الآخر عن تأييد الاحزاب السياسية ، واجتذبت البعض الآخر التشكيلات السرية التى كانت قد بدات تعمل فى الخفاء بالكفاح المسلح وهو التيار الذى نما بعد الحرب بشكل واضح وانتهى الى القيام بالثورة فى يوليو ١٩٥٢ .

التأويل

بين الغزالى وابن رشد

بقلم : د. محمد عمارة

●● كان "التاويل" ـ الذى هو : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ـ .. كان ولايزال ، فى فكر الاسلام وحضارته ، سبيلا من سبل النظر العقلى ، والاستنارة الفكرية ، وتحقيق الاتساق بين ظواهر النصوص وحقائق المضامين التى تشير إليها هذه النصوص .. بل وسبيلا لجعل النصوص المتناهية صالحة للعطاء فيما يستجد من الوقائع التى لا تعرف الحصر ولا الانتهاء ! ..

ولذلك .. كان الأخذ "بالتاويل" ـ المضبوط بضوابطه الشرعية واللغوية ـ معيارا من معايير التفلسف والاستنارة الفكرية فى حضارة الاسلام ●●

وعلى الرغم من اختلاف المواقع الفكرية ، بل والمعارك الخصبة التى عرفها تراثنا بين الفيلسوف الفقيه القاضى المتكلم أبو الوليد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) وبين حجة الاسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) إلا ان الرجلين قد جسدا ، فى اتفاقهما على ضرورة "التأويل" ، قسمة انحياز جمهرة العلماء وأغلبية تيارات الفكر فى حضارتنا الاسلامية إلى هذا السبيل الكافل إخاء "العقل" و"النقل" ، وتميز عقلانيتنا الاسلامية عن عقلانية اليونان ـ المنكرة للنقل والوحى ـ وعن المنهج النصوصى ـ الرافض لأدوات العقل فى البحث والنظر والاستدلال ـ ...

ومن هنا تأتى أهمية النص الذى قدمه ابن رشد عن "التأويل" فى كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ... والنص الذى قدمه الغزالى عن "التأويل" فى كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) .. وهما ـ على



صغر حجمهما ـ من كتب "المنهج" الهامة فى تراثنا الفكرى ...

● أبو الوليد بن رشد :
(التأويل)

« ... ومعنى التأويل : هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز ، من تسمية الشىء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التى عُدِّدَتْ فى تعريف أصناف الكلام المجازى .

واذا كان الفقيه يفعل هذا فى كثير من الاحكام الشرعية ، فكم بالحرى أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان ؟ فإن الفقيه انما عنده قياس ظنى ، والعارف عنده قياس يقينى .

ونحن نقطع قطعا بان كل ما ادى اليه البرهان ، وخالفه ظاهر الشرع ، أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التاويل العربى ، وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ، ولا يرتاب بها مؤمن ، وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه ، وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول .

بل نقول : إنه ما من منطوق به فى الشرع ، مخالف بظاهره لما ادى إليه البرهان ، إلا اذا اعتبر وتصفحت سائر اجزائه ، وُجد فى الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل ، او يقارب أن يشهد ، ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتاويل ، واختلفوا فى المؤول منها من غير المؤول ، فالاشعريون ، مثلا ، يتاولون آية الاستواء ، وحديث النزول ، والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره »



● ابو حامد الغزالي :

(التاويل ومراتب الوجود)

« .. الكفر : هو تكذيب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في شيء مما جاء به ، والايمان : تصديقه في جميع ما جاء به ... وكل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى ، وفي الاستواء على العرش ، والأشعري يكفره زاعما أنه مشبه ، وكذب الرسول في أنه (ليس كمثله شيء) . والأشعري يكفر المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى ، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له . والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات يكثر القدماء ، وتكذيب للرسول في التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه ، فينكشف لك غلو هذه الفرق وإسرافها في تكفير بعضها بعضا .

وحقيقة التصديق : الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن وجوده ، إلا ان للوجود خمس مراتب ، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب ، فإن الوجود : ذاتي ، وحسي ، وخيالي ، وعقلي ، وشبهي . فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول ، عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق .

فلنشرح هذه الأصناف الخمسة ، ولنذكر مثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي :

فهو الوجود الحقيقي ، الثابت خارج الحس والعقل ، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة ، فيسمى أخذه إدراكا ، وهذا كوجود السموات والأرض والحيوان والنبات وهو ظاهرة ، بل هو المعروف الذي لا يعرف الأكثرون للوجود معنى سواه ... وهو لا يحتاج إلى مثال ، وهو الذي يجرى على الظاهر ، ولا يتأول .

واما الوجود الحسي :

فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين ، فيكون موجودا في الحس ، ويختص به الحاس ، ولا يشاركه غيره ، وذلك كما يشاهده النائم ، بل كما يشاهده المريض المتيقظ ، اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه ، بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة ، وينتهي اليهم الوحي و الالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم ، وذلك لشدة صفاء باطنهم ، كما قال تعالى : « فتمثل لها بشرا سويا » ، وكما أنه ، عليه الصلاة والسلام ، رأى جبريل ، عليه السلام ، كثيرا ، ولكن ما رآه في صورته إلا مرتين ، وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها ، وكما يرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في المنام ، وقد قال :

« من رآني في النوم فقد رآني حقا ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » . ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم ، بل هي على سبيل وجود صورته في حس النائم فقط . وسبب ذلك وسره طويل ، وقد شرحناه في بعض الكتب ، فإن كنت لا تصدق به فصدق عينك ، فإنك تأخذ قبسا من نار كأنه نقطة ، ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار ، وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار ، والدائرة والخط مشاهدان ، وهما موجودان في حسك ، لا في الخارج عن حسك ، لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال ، وانما تصير خطا في أوقات متعاقبة ، فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة .

... (ومن أمثلة الوجود الحسي) ... قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : "يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار" . فإن من قام عنده البرهان على أن الموت عَرَض ، أو عدم عرض ، وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ، ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ، ويكون ذلك موجودا في حسهم ، لا في الخارج ، ويكون سببا لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك ، إذ المذبوح ميئوس منه . ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح .

ومثل قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : "عُرضت عليّ الجنة في عرض هذا الحائط" . فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل ، وأن الصغير لا يسع الكبير ، حمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل إلى الحائط ، لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ، ولا يمتنع أن يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما تشاهد السماء في مرآة صغيرة ، ويكون ذلك ايضا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة ، إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل .

● واما الوجود الخيالي :

فهو صور هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك ، فإنك تقدر أن تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج ...

ومثاله ، قوله صلى الله عليه وسلم : "كأني انظر الى يونس بن متى عليه عباتان قطوانيتان ، يلبي وتجيبه الجبال ، والله تعالى يقول له : لبيك يايونس"

والظاهر أن هذا انباء عن تمثيل الصورة في خياله ، اذ كان وجود هذه الحالة سابقا على وجود رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد انعدم ذلك ، فلم يكن موجودا في الحال . ولا يبعد أن يقال أيضا : تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصورة ، ولكن قوله كأني انظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر ، والغرض : التفهيم بالمثال ، لاعين هذه الصورة .

وعلى الجملة ، فكل ما يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة ، وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل .

واما الوجود العقلي :

فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة

التأويل

ومعنى ، فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته فى خيال أو حس أو خارج ، كاليد مثلا ، فان لها صورة محسوسة ، ومتخيلة ، ولها معنى هو حقيقتها ، وهى القدرة على البطش ، والقدرة على البطش هى اليد العقلية ، وللقلم صورة ، ولكن حقيقته : ما تنقش به العلوم ، وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية .

... ومثله ، قوله صلى الله عليه وسلم : "آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا" فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة ، وهو التفاوت الحسى والخيالى ، ثم قد يتعجب فيقول : ان الجنة فى السماء ـ كما دلت عليه ظواهر الأخبار ـ فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا ، والسماء أيضا من الدنيا ؟ وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول : المراد به تفاوت معنوى عقلى ، لا حسى ولا خيالى ، كما يقال مثلا : هذه الجوهرة أضعاف الفرس ، أى فى روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا" . فقد أثبت لله تعالى يدا . ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هى جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله تعالى يدا روحانية عقلية ، أعنى أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها ، دون صورتها . ان روح اليد ومعناها بما به يبطش ويفعل ويعطى ويمنع ...

وأما الوجود الشبهى :

فهو أن ألا يكون نفس الشىء موجودا ، لا بصورته ولا بحقيقته ، لا فى الخارج ولا فى الحس ولا فى الخيال ولا فى العقل ، ولكن يكون الموجود شيئا اخر يشبهه فى خاصة من خواصه وصفة من صفاته ...

ومثاله : الغضب والشوق والفرح والصبر، وغير ذلك مما ورد فى حق الله تعالى ، فان الغضب مثلا حقيقته : انه غليان دم القلب لارادة التشفى ، وهذا لا ينفك عن نقصان وألم ، فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب ، كارادة العقاب ، والارادة لا تناسب الغضب فى حقيقة ذاته ولكن فى صفة من الصفات تقارنها وأثر من الاثار يصدر عنها ، وهو الايلام .

فهذه مراتب وجود الأشياء ... وهذه درجات التأويلات :...

... واعلم ان كل من نزل قولا من اقوال صاحب الشرعة على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين ، وانما التكذيب : ان ينفى جميع هذه المعانى ، ويزعم ان ما قاله لا معنى له ، وانما هو كذب محض ، وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا . وذلك هو الكفر المحض والزندقة . ولا يلزم كفر المتاولين ماداموا يلازمون قانون التاويل ...

وكيف يلزم الكفر بالتاويل ، وما من

فريق من أهل الاسلام الا وهو مضطر اليه ؟ فابعد الناس عن التاويل أحمد ابن حنبل ، رحمة الله عليه ، وأبعد التاويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة ، وهو الوجود العقلى والوجود الشبهى والحنبلى مضطر اليه وقائل به ، فقد سمعت الثقاة من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون : إن أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، صرح بتاويل ثلاثة أحاديث فقط ، احدها قوله صلى الله عليه وسلم : "الحجر الأسود يمين الله في الارض" . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم : "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن" والثالث قوله صلى الله عليه وسلم : "إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن" .

فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره ، فيقول : اليمين تقبل فى العادة تقربا الى صاحبها ، والحجر الأسود يقبل أيضا تقربا الى الله تعالى ، فهو مثل اليمين ، لا فى ذاته ولا فى صفات ذاته ، ولكن فى عارض من عوارضه ، فسمى لذلك يمينا . وهذا الوجود وهو الذى سميناه الوجود الشبهى ، وهو ابعد وجوه التاويل ، فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التاويل ؟!

وكذلك لما استحال عنده وجود الأصبعين لله تعالى حسا ، إذ من فتش عن صدره لم يجد فيه أصبعين ، فتاوله على روح الأصبعين ، وهى الأصبع العقلية الروحانية ، اعنى أن روح الأصبع ما به يتيسر تقليب الأشياء ، وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان ، وبهما يقلب الله تعالى القلوب ، فكنى بالأصبعين عنهما .

وانما اقتصر احمد بن حنبل على تاويل هذه الأحاديث الثلاثة لأنه لم تظهر عنده الاستحالة الا فى هذا القدر ، لأنه لم يكن ممعنا فى النظر العقلى ، ولو امعن لظهر له ذلك فى غيره مما لم يتاوله ..."

"... إن الألفاظ الواردة في التشبيه محتملة للتاويل على عادة العرب فى الاستعارة ... وان ادلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة ويد الجارحة وعين الجارحة وامكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه ، فوجد التاويل بادلة المعقول ..."
أ . هـ .

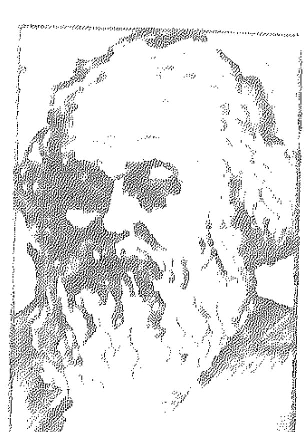
تلك هى نصوص ابن رشد .. والغزالى ، فى التأويل ومراتب الوجود ، التى مثلت وتمثل جماع قانون التأويل ، الذى سلكه المتكلمون للجمع بين المتشابه والمحكم ، والنقل والعقل فى نصوص القرآن والسنة ـ وهى شاهدة على دور البلاغة فى هذا الانجاز الكلامى العملاق .. فلو وقفت مباحث الباحثين بهذا الميدان عند ظواهر النصوص ، ولو لم يستخدم علماء هذا الفن قواعد البلاغة العربية لضاقت السبل أمام علماء الكلام .. بل ولما كان للاسلام فلسفته المتميزة التى تجسدت فى علم الكلام ! ..
إن مراتب الوجود ، هذه التى تعددت بفضل التأويل ، ذلك الذى قام على قواعد البلاغة العربية ، هو الذى وسع من آفاق النظر الاسلامى فى هذه المعضلات الفكرية ، فرفع الحرج عن العقل المسلم كى لا يصاب بضيق الأفق والتحجر اللذين أصابا الذين "تعبدوا بظواهر النصوص" ؟! ..

ديكتاتورية البروليتاريا .. الكاثوليكية !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

((السيناريو)) السياسى الذى تشهده بولندا حاليا ، وخاصة منذ الانتخابات الاخيرة فيها في الربيع الماضي من هذا العام ، هو واحد من أغرب السيناريوهات فى التاريخ السياسى عامة ، ويفوق كل ما يمكن ان يتفتق عنه خيال كاتب ساخر ، او حتى مخرج مولع بالمفاجآت المدهشة مثل هتشكوك (مع الاعتذار للصديق والناقد السينمائى الكبير مصطفى درويش ، عن استعارة لغة السينما) ولا تزال جعبة التطور الذى يجرى فى تلك الدولة مليئة بالمفاجآت المثيرة ، قد يكون بعضها قابلا للتوقع وقد لا يكون ..

بادي ذى بدء : ولكى لا يلتبس الامر على القارىء لمجرد قراءة عنوان هذا المقال ، اقول اننا نحن الكتاب السياسيين ، قد درجنا على استخدام عبارة « ديكتاتورية البروليتاريا » بالمعنى اللينينى لهذا التعبير ، الذى كان يعني عند لينين ، والاحزاب الشيوعية التى تأسست على مبادئه ، ديكتاتورية الحزب الشيوعى ، باعتباره طليعة البروليتاريا ، أو الطبقة العاملة التى يحكم باسمها ، والمفروض أنه لحسابها . ولكن الحقيقة هى أن عبارة « ديكتاتورية البروليتاريا » يعود استخدامها الى كارل ماركس ذاته ، وكان يعنى بها حكم الطبقة العاملة ، وكان فى رأيه أن الطبقة العاملة سوف



ـ كارل ماركس



ياروزلسكي

تحكم المجتمع ، وتفرض عليه ارادتها في التحول الاشتراكي في اطار من الشكل الديموقراطي الجمهوري ، الذي تمارس من خلاله البرجوازية أيضا ديكتاتوريتها طيلة مرحلة الراسمالية ، بحكم ما تحت أيديها من وسائل الدعاية والنشر ومختلف الاجهزة السياسية والاعلامية ، فضلا عن ملكيتها لوسائل الانتاج ٠

فماذا حدث في بولندا ؟

بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد ان « حررها » الجيش الاحمر السوفييتي من الاحتلال النازي ، قام فيها حكم الجبهة الشعبية ، في نظام يختلف من حيث الشكل فقط مع النظام السوفييتي، وكانوا يطلقون عليه اسم الديموقراطية الشعبية ، كان الحزب الشيوعي قد اندمج مع بعض الاحزاب الاشتراكية الصغرى وأصبح يعرف باسم حزب العمال الموحد ، وأشرك معه في حكم الجبهة بعض الاحزاب الصغيرة الاخرى بقي منها حتى الان حزب المزارعين ، والحزب الديموقراطي ، وكان المفهوم أن قيادة هذه الجبهة هي للحزب الشيوعي تحت اسمه الجديد ، وأنه يمارس من خلالها ديكتاتورية البروليتاريا ، بالمفهوم اللينيني، وكذلك كان الوضع في سائر « الديموقراطيات الشعبية » في شرق اوربا ، التيشكلت مع الاتحاد السوفييتي ما يعرف باسم المعسكر الأشتراكي ٠

والان ، وبعد أكثر من أربعين عاما على قيام هذا النظام ، يتنازل الحزب الشيوعي عن حكم بولندا ، كما يتنازل ملك عن العرش حتى رئيس الجمهورية الجنرال ياروزلسكي ، يتنازل عن زعامته لهذا الحزب بعد توليه منصبه الجديد ، وتحكم البلاد « جبهة » جديدة تقودها نقابة تضامن العمالية المستقلة، التي كان نشاطها محظورا الى عهد قريب ، ويرأس الوزارة أحد رجال هذه المنظمة ، وهو رئيس تحرير صحيفتها « تاديوش مازوفتسكي » ، الذي تخلى بدوره من قديم عن عضوية الحزب الشيوعي ، وانضم الى تلك النقابة ٠ ويشكل رئيسالوزراء الجديد مؤخرا حكومة تضم اثني عشر وزيرا من نقابة تضامن ، واربعة من أعضاء الحزب الشيوعي ، وأربعة من حزب المزارعين ، وثلاثة من الحزب الديموقراطي بحيث تبقى اغلبية مجلس الوزراء لنقابة تضامن ٠ وكان مفتاح هذا التغير هو الانتخابات التي جرت في مارس الماضي ، وهي التي وصفت بانها أول انتخابات ديمقراطية حقيقية في تلك البلاد ، واكتسحت أصوات الناخبين فيها نقابة تضامن ، واستولت تقريباً على كل مقاعد مجلس الشيوخ ، ومعظم أو كل مقاعد نسبة الخمسة والثلاثين في المائة التيتركت مفتوحة للمنافسة في مجلس النواب ٠

● الحزب والنقابة

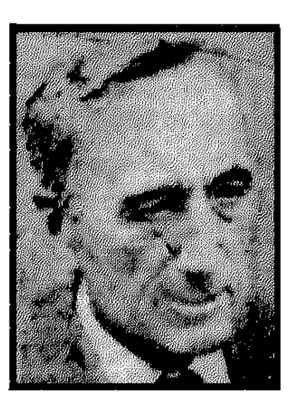
لقد درجت الاحزاب الشيوعية على احتقار النقابات العمالية والحركة

النقابية بصفة عامة ، وكان لينين يصف الروح النقابية ، بأنها « البرجوازية في صفوف البروليتاريا » ! لان زعماء النقابات العمالية في الدول الرأسمالية كانوا مشغولين في رأيه بتحقيق مكاسب آنية محدودة للطبقات العاملة، مثل زيادة الاجور أو التأمين ضد البطالة ·· الخ ، وأنهم في واقع الامر انما يخدمون الرأسمالية وليست البروليتاريا بهذه السياسة ، حيث يعملون موضوعيا على تحسين المجتمع الرأسمالي بحيث لا يحتاج العمال الى الثورة عليه ، واعادة بناء أوضاع أسس اشتراكية · وأن التمثيل السياسي الحقيقي للعمال هو في حزبهم الشيوعي الذي يستهدف بناء الاشتراكية · وكان جزء من هذا الاحتقار يشمل حزب العمال البريطاني على سبيل المثال ، الذي تشكل من نقابات عمالية في الاساس ،وقام على أسس نقابية وليست ايديولوجية ، واذا كان هذا الحزب قد قام بالفعل بتحسين صورة الرأسمالية البريطانية وحكم لحسابها فترات طويلة تداول فيها الحكم مع حزبي المحافظين والاحرار، فان التاريخ لا يستطيع أن يسقط من حسابه ــ أنه في بعض فترات حكمه ــ قد فرض تغييرات «اشتراكية» واسعة ، من نوع تأميم عدد من الشركات والصناعات الكبرى ·

أما عن النقابات في المجتمع « الاشتراكي » ، أي المجتمع الذي يحكمه الحزب الشيوعي ، فان الفكر اللينيني يجعل من النقابات مجرد أدوات لتنفيذ سياسة الطليعة الحاكمة أي الحزب ذاته ، وينبغي أن يكون على رأس تلك النقابات عمال شيوعيون يستخدمون النقابة في بث تعاليم الحزب، الى جانب بعض وجوه النشاط الثانوية مثل الرياضة وحضانة اطفال العاملات ·· الخ أما التفكير في الاضراب مثلا من أجل رفع أجور العمال فيرقى الى مرتبة الخيانة العظمى لدولة البروليتاريا !

لذلك كان تشكيل نقابة تضامن العمالية المستقلة في أوائل الثمانينات، وقيادتها سلسلة من الاضرابات في حوض « لينين » لبناء السفن في ميناء جدانسك البولندي ، تحديا على جميع المستويات ليس لسلطة الحزب الشيوعي وحدها ، بل لكرامته السياسية وسمعته وأيديولوجيته على حد سواء · وقد قوبل هذا التحدي بفرض الاحكام العرفية فترة طويلة ، واعتقال المئات من النشطين في نقابة تضامن ، واعتبارها تنظيما غير مشروع حتى اضطر الحزب الشيوعي أخيرا ، الى التسليم بالواقع ، والغاء الاحكام العرفية ، واعتبار تضامن تنظيما مشروعا والتفاوض معها على مائدة مستديرة واجراء انتخابات نيابية جديدة ·· ثم أخيرا الموافقة على تسليمها مقاليد الحكم بتعيين أحد اعضائها رئيسا للوزراء كما تقدم ·


ـ جوربتشوف


ـ مازوفسكي

● هل سقطت دولة البروليتاريا ؟

بالرغم من جميع التمنيات التى تعبر عنها الدوائر السياسية واجهزة الاعلام فى الغرب ، بل بالرغم من تصريحات قادة تضامن انفسهم بمن فيهم فاونسا رئيس نقابة تضامن بانه يسعى الى اقامة نظام رأسمالى حر فى بولندا(١) فان الحقيقة المباشرة هى أن الذين اسقطوا حكم الحزب الشيوعى فى بولندا لم يكونوا من الرأسماليين ولكن من العمال ٠٠ من طبقة البروليتاريا ذاتها ٠٠ بل يمكن القول بانه طبقا لما ورد فى أول المقال ، فقد انتقل الحكم من الحزب الذى يعتبر نفسه طليعة للبروليتاريا بحكم أيديولوجيته ، رغم ان تكوينه الطبقى ليس عماليا بالمرة اوليس عماليا خالصا على الاقل بل يضم كوادر من المثقفين والعسكريين أساسا ٠٠٠ انتقل هذا الحكم الى العمال انفسهم من خلال نقابتهم المستقلة تضامن ٠٠ أى أن ديكتاتورية البروليتاريا طبقا لمفهوم ماركس ذاته قد قامت بشكل مباشر على أنقاض « الطليعة الايديولوجية » المشكلة من الحزب الشيوعى ، بعد فشل هذه الطليعة أو عجزها أو حتى خيانتها لمصالح البروليتاريا ٠

ولا يغير من الامر شيء أن نقابة تضامن على رأسها رجال يؤمنون بالديانة الكاثوليكية وليست الماركسية اللينينية ، ويرفعون فى اجتماعاتهم صورة الصليب أو « العذراء السوداء» بدلا من صورة لينين ، ويحتفلون بانتصارهم السياسى واسناد رئاسة الوزراء الى احدهم فى كنيسة بدلا من مقر الحزب الشيوعى ٠٠ كل ما فى الامر أن مسلكهم هذا ينفى قول ماركس فى البيان الشيوعى واصفا تدنى أحوال العمال فى أوائل العصر الصناعى فى غرب أوربا : « ان العامل لا وطن له ولا دين ولا أسرة ٠٠ » فالعمال الانلديهم أوطان يعتزون بها، وديانة يحرصون عليها ، وأسر يعولونها ويدبرون معيشتها ، وذلك مما دفع عمال بولندا الى اسقاط طليعتهم الشيوعية وتولى الامور بايديهم من خلال نقابتهم المستقلة ٠

● لماذا ؟ والى اين ؟

لقد كانت الضائقة الاقتصادية وتدهور مستوى معيشة العمال وراء ثورتهم على حكم الحزب الشيوعى واضراباتهم المتواصلة واخيرا التغير السياسى الحاسم فى مقاليد الحكم فى بولندا ، ولهذه الازمة الاقتصادية اسبابها المتعددة :

★ فهناك أولا الاعباء العسكرية بحكم انتماء بولندا الى حلف وارسو ، ذلك الحلف الذى يحمل اسم العاصمة البولندية ويتخذها مقرا له ، ويضم بلدان المعسكر الاشتراكى فى أوربا وعلى رأسها الاتحادالسوفييتى ،وخلال الحقبة الماضية كان لبولندا نصيبها فى أعباء سباق التسلح الرهيب مابين المعسكرين الكبيرين فى العالم ، وحين بدأ جورباتشوف أخيرا سياسته الجديدة من أجل التهادن الدولى وانهاء سباق التسلح ، كان اقتصاد المنظومة الاشتراكية كلها ـ بما فيها الاتحاد السوفييتى ـ يترنح تحت أعباء هذا السباق ، وخاصة بعد تدهور أسعار النفط التى كانت هى المصدر الرئيسى للاتحاد السوفييتى من العملات الحرة٠

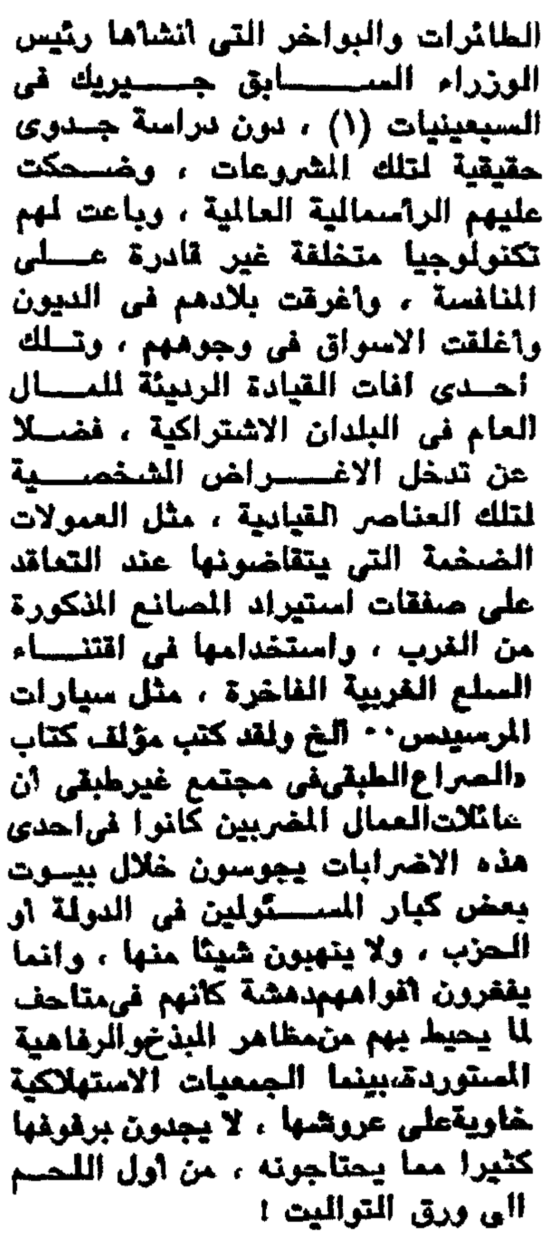
★ المشروعات الطموحة التى حاول بها بعض حكام بولندا منافسة الغرب فى انتاجه الصناعى ، مثل مصانع

نظرة على أحداث بولندا



- لينين

- لينج فالسيا



الطائرات والبواخر التى أنشأها رئيس الوزراء السـابق جـيريك فى السبعينيات (١) ، دون دراسة جـدوى حقيقية لتلك المشروعات ، وضـحكت عليهم الرأسمالية العالمية ، وباعت لهم تكنولوجيا متخلفة غير قادرة عـلى المنافسة ، وأغرقت بلادهم فى الديون وأغلقت الاسواق فى وجوههم ، وتـلك أحـدى افات القيادة الرديئة للمـال العام فى البلدان الاشتراكية ، فضـلا عن تدخل الاغـراض الشخصـية لتلك العناصر القيادية ، مثل العمولات الضخمة التي يتقاضونها عند التعاقد على صفقات استيراد المصانع المذكورة من الغرب ، واستخدامها فى اقتنـاء السلع الغربية الفاخرة ، مثل سيارات المرسيدس٠٠ الخ ولقد كتب مؤلف كتاب والصراع الطبقى فى مجتمع غيرطبقى أن عائلات العمال المضربين كانوا فى احدى هذه الاضرابات يجوسون خلال بيـوت بعض كبار المسـئولين فى الدولة أو الحزب ، ولا ينهبون شيئا منها ، وانما يفغرون أفواههم دهشة كأنهم فى متاحف لما يحيط بهم من مظاهر البذخ والرفاهية المستوردة ، بينما الجمعيات الاستهلاكية خاوية على عروشها ، لا يجدون برفوفها كثيرا مما يحتاجونه ، من أول اللحـم الى ورق التواليت !

لقد ثارت البروليتاريا البولنـدية الحقيقية على الطبقة الجـديدة التى استأثرت بالحـكم لانفسـها ، دون مبالاة بجماهير شعبها ، أو الطبقة التى تحكم باسمها ، حيث أن انتماءها الايديولوجى كان يجعل ولاءها لنفسها أولا ، ثم للقوة الكبرى التى تسـتظل بظلها وهى الاتحاد السوفييتي فى هذه الحالة وأهدافه الاستراتيجية ، حـتى وصـلت النـار الى تلك الـدولة الكـبرى ذاتهـا بعـد الحـرب الافغانية الفاشلة التى أنهـكت اقتصادها وسمعتها الدولية وترابـط قومياتها المتعـددة على حد سواء ، فبدأ جورباتشوف سياسته الاصلاحية تحـت اسم البيروسـترويكا ، والجلاسنوست ، وكان من طبيعـة الامور أن يبدأ التغيير على النحـو الذى حدث فى بولندا فى ظـل تلك السياسة ، واحجام السـوفيت عن تكرار ما حدث فى الماضى من قمـع التمرد العمالى فى مدينة بوزنـان البولندية بالدبابات السوفيتية ٠ بل أن حكام بولندا الجدد يجدون فى أنفسهم الشجاعة لمطالبة الاتحاد السـوفيتى بدفع تعويضات عن الاضـرار التى الحقها ببلادهم خلال الحرب العـالمية الثانية !

أما الى أين تتجه بولندا فى ظـل ديكتاتورية البيروليتاريا الكاثوليكية بها

(١) انظر عدد مارس ١٩٨٣ مـن الهلال : مقال الدولية الخامسة ٠

فان زعماء تضامن وعلى راسـها فاونسا ، يتطلعون الى الغرب لانقاذ بلادهم من الضائقة الاقتصادية بمزيد من القروض ، ويطلب حاليا فاونسا مبلغ عشرة مليارات دولار على الاقل حتى تستطيع حكومته اصلاح حال الاقتصاد المنهار وهم على استعداد لفعل اى شيء من اجل الغاية ، فيما عدا مطالبة عمالهم بمزيد من شد الاحزمة على البطون ، هم على استعداد لبيع بعض شركات قطاعهم العام على سبيل المثال لمن يشتريها ، سواء من بقايا الراسمالية البولندية ، أو من استجد من اثرياء الطبقة الجديدة من اعضاء الحزب الشيوعى ، الذين يصفهم رئيس الوزراء «التضامنى» حاليا الشيوعى السابق ، بانهم شيوعيون فى الظاهر فقط ، وانهم مثل الفجل الاحمر : طبقة حمراء رقيقة على السطح والقلب ابيض كاللبن الحليب ، وان كان هؤلاء قلبهم اسود فى حقيقة الامر بل ان الحكومة البولندية على استعداد لبيع بعض

— البابا يوحنا بولس الثانى



صوره من احداث بولندا الاخيرة

قطاعها العام للرأسمالية الدولية ، لو كان ذلك سوف يحل ازمة اقتصادهم ، ويدفع دماء جديدة فى شرايينه الجافة ويطمعون — فى ظل الكاثوليكية التى استردت اعتبارها ، وحل الصليب محل صورة لنين فى محافلهم فى أن يساعدهم البابا البولندى الاصلى يوحنا بولس الثانى ، بابا الفاتيكان، على اقناع الغرب بمساعدتهم على النحو الذى يطلبون ، المهم الخروج من المأزق الاقتصادى المستحكم وبعدها يكون ما يكون !

فهل يقدم الغرب على مساعدتهم ؟ أم يخشى أن يفتح على نفسه فتحة لا يستطيع سدها وخاصة من دول العالم الثالث الذى تعانى دوله بدورها من مشكلة الديون الخارجية مثل بولندا وافدح ؟ أم ينتظر مزيدا من التنازلات السياسية ، مثل حل حلف وارسو ، واعادة توحيد المانيا بسقوط النظام الشيوعى بدوره فيها .. الخ ؟ ذلك ما سوف تكشف عنه الايام القادمة



العالم فى القرن الحادى والعشرين

الأوزون .. وبركان الخطر !

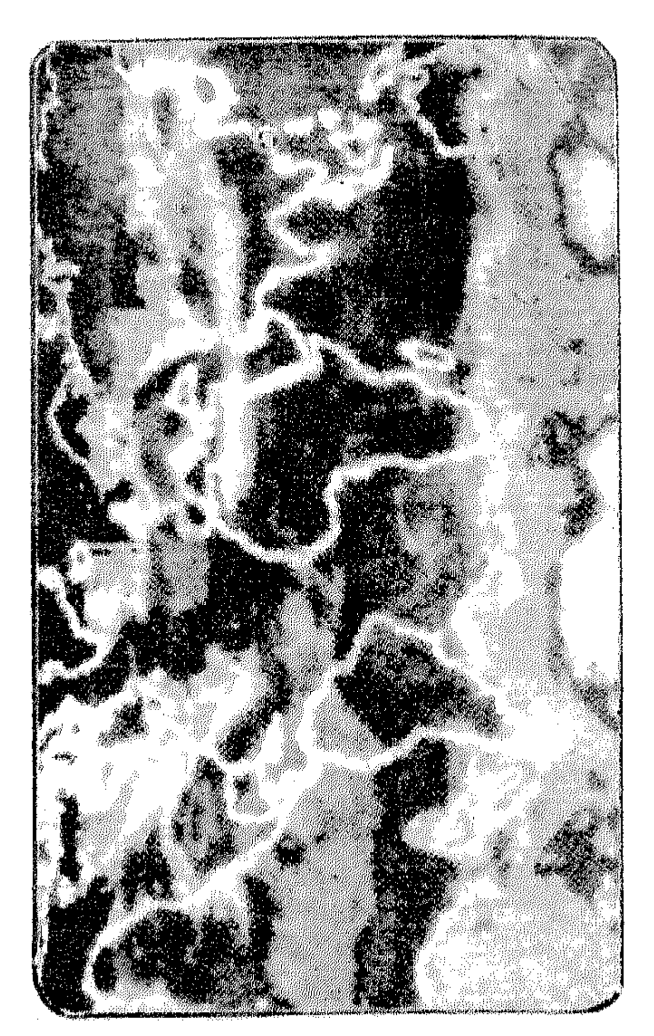
بقلم: د. عصام الدين جلال

الاوزون هو شكل من اشكال جزئيات الاوكسجين والتى تتكون فى الجو العادى من ذرتين . أمـا الاوزون فيتكون من ثلاث ذرات متشابكة وهو لا يمثل اكثر من واحد فى المليون من جملة محتويات الجو من الاوكسجين .

والاوزون له خواص حيوية هامة لان قدرته على امتصاص الاشعة فوق البنفسجية من الاشعة القادمة من الشمس عالية . وهذه الاشعة لها ايضا قدرة عالية على تدمير الانسجة الحية بما ذلك الاجزاء الوراثية فى الخلية الحية فى الانسان والحيوان والنبات .

● اخطر الاخطار التى تهددنا من نقص طبقة الاوزون هو تحول الاشعة القادمة من الشمس الى وحش رهيب يهدد كل شىء على وجه الكرة الارضية ، علاوة على أن تلك الاشعة القوية الحارقة نفسها تصبح مصدرا لرفع نسبة الاصابة بالسرطان وخاصة سرطان الجلد وايضا تؤدى الى ارتفاع نسبة عتمة عدسة العين (الكتاركت) كما انها بتاثيرها على نواة الخلية تؤدى الى اضرار خطيرة اخرى ، منها اضعاف الجهاز المناعى للجسم فضلا عن اثارها الضارة على البيئة الحيوية المحيطة والخادمة للانسان .

وقد لاحظ بعض العلماء البريطانيين ان هناك تناقصا ملحوظا فى نسبة الاوزون فى الاجواء العليا فوق القطب الجنوبى وصلت الى انخفاض قدروه بـ ٤٠٪ بين ١٩٧٧ و ١٩٨٨ . بما هي بثقب الاوزون فوق المنطقة القطبية الجنوبية .



● بحوث هامة

ولان كتلة الهواء فوق هذه المنطقة كتلة معـــزولة عن تيارات الرياح التى تجدد جو الكرة الارضية ٠٠وهى تدور حول المنطقة القطبية فان قياس التغيرات فيها يعطى قياسا اكثر دقة من المنــاطق الاخـرى وزاد من خطورة الكشف ان الثقب المشار اليه يبدو انه اخذ فى الزيادة والامتداد خارج ابعاد المنطقة القطبية ٠

والاوزون فوق المنطقة القطبيـــة الجنوبية ليس ثابتا فى الطبيعة على مدار العام ولكنه يتناقص فى شـتاء المنطقة الجنوبية من اغسطس حتى اكتوبر ثم يأخذ فى التصــاعد بعـد ذلك ٠

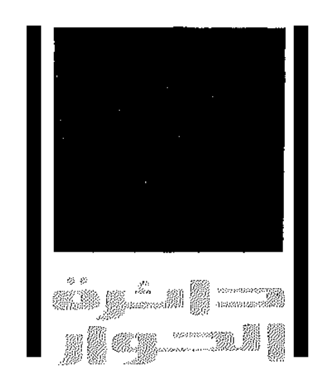
وقد ادى ذلك الى تكثيف الجهود الدولية لمحاولة قياس هذه التغيرات واستخدمت الفـرق العلمية العــالمية مقاييس ارضـية وجـوية واقمــارا صناعية ومناطيد لقياس الكثافة وعمق طبقة الاوزون ٠

وفى عام ١٩٨٧ تعاونت اربع من الدول المتقدمة و ١٩ منظمة واكثر من ١٥٠ عالما فى القيام بدراسة عالمية متصـلة اسـتخدمت معـامل جـوية طائرة على طائرات خاصة قــادرة على الطيران بارتفاعات شاهقة ٠٠ وتهدف هذه الدراسة الى تاكيد صدق احدى النظريتين المطروحتين اولاهما : أن التنــاقص راجــع الى تحطيم جزئيات الاوزون بسبب ملوثات جوية تتصاعد الى الطبقة العليــا من سطح الارض والثـابت ان التغيير يرجـع الى السبب فى تغيير غير معتاد فى تحركات الكتل الهوائية بمــا يصعد بالاوزون الى طبقات الفوق جوية ٠

● اخطار تهدد الاوزون

والتخـوف من اثـار التلوث على طبقة الاوزون لازم التقدم التكنولوجى فمنذ ابتدات الدول الكبـرى تخـطط لانتــاج طــائرة تجـارية اسرع من الصوت وتطير فى طبقات الجو العليا اثير تخوف ان بخار الماء واكاسيد الازوت النــاتج عن احتراق وقودها يمـكن ان يضر بالاوزون فى هــذه الطبقات ٠

ثم عاد الخوف من زيادة استخدام وتحلل المركبات الازوتية مثل الاسمدة الصناعية واشارت ابحاث العلمــاء الامريكيين لخطورة مركبات الكلوفلور كاربون ٠ وهذه المركبات مستخدمة منــذ اكثــر من نصف قرن كغــاز تبريد فى الثلاجات واجهزة التكييـف بشكل واسع وعالمى كما انها واسعة الاستخدام فى الرشاشات بالغــاز المضغوط فى الاغراض المنزلية مثــل مسـتحضرات التجميـل ومبيــدات الحشرات ومستحضرات النظــافة ،



وكذلك فى طفايات الحرائق وغيرها . وهى مستخدمة بكثافة فى الصناعة خاصة صناعة رقائق الالكترونيات.

ومن بين أسباب استخدامها انها مركباتثابتة بطيئة التحلل وغير قابلة للتفاعل مع المركبات الاخرى ، اى انها مركبات خاملة وهى نفس الصفات التى تؤدى الان الى الانزعاج الشديد لان ثباتها يعنى انها ستبقى فى طبقات الجو العليا لسنين كما أنها قادرة على الارتفاع ما بين ٢٥ الى ٥٠ كيلو مترا وبالتالى تقل حماية الاوزون ضد الاشعة فوق البنفسجية ومن ثم تحلل هذه الاشعة البنفسجية الى جزئيات فعالةومتفاعلة مثل الكلور والفلور والتى تحطم جزئيات الاوزون وتزيل الغطاء الاوزونى من هذه الطبقات .

أخطار تهدد الانسان

ولشدة فاعلية الكلور فى هذا المجال ووجود مصادر اخرى له واستعداد المركبات المذكورة للبقاء لعشرات السنين فان التاثير المتراكم من استمرار استخدامها يمكن أن يعرض صحة الانسان والبيئة الى مخاطر متزايدة ومستمرة حتى اذا قل استخدامها .

والاشكالية أن وقف استخدامها يحتاج لاستثمارات كبيرة لادخال تعديلات هامة على صناعة التجميل . والمستحضرات المنزلية والتبريد والتكييف والالكترونيات مما خلق مقاومة من هذه الصناعات لاتخاذ اجراء فورى ، ولكن مع تصاعد المخاطر وزيادة الادلة على تصاعد المشكلة تدخلت الدول الصناعية نفسها فى شكل اتفاق دولى يرمى الى الوقف التام لاستخدامها مع بداية القرن القادم وحصر المخاطر الاخرى لعلاجها .

وتبقى مشكلة الدول النامية التى لا تملك الاستثمارات اللازمة لادخال تعديلات جذرية على صناعاتها يمكن ان توقف دولاب التنمية وتصاعد مديونياتها وتقلص قدراتها التنافسية ورغم أن الدول الصناعية وعدت بالنظر فى مساعدة تلك الدول فان السوابق فى مجال التنافس الصناعى يجب أن تبقى فى تشاور وتعاون وحوار دائم على المستوى العالمى لتوزيع اعباء علاج هذه المشكلة العالمية بأسلوب تضامن حضارى جديد .

والحقيقة ان اسلوب التضامن الحضارى الجديد اصبح ضرورة لمعالجة كثير من المشاكل البيئية المعاصرة مثل حرق الغابات وزيادة حرق الوقود وارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون في الجو مما يتاتى عنه ارتفاع حرارة الجو وذوبانثلوج المناطق القطبية الى استنزاف الموارد المحدودة من الطاقة التقليدية والمعادن النادرة الخ .

ومن ثم فان عالم الغد لا يمكن ان يعيش بقانون الغاب الذى ساد العلاقات فى عالم الامس ، بل ان الصالح العام للبشرية كلها يقتضى انيواكب التطور العلمى والتكنولوجى التطور والتحضر السياسى والقانونى والاقتصادى والا نفجر المستقبل فى وجه المتقدمين والمتخلفين .



صفوة المستقبل

حافظ أحمد أمين

نعيش الآن عصر انتقال عنيف . وفى عصور الانتقال تحدث التغييرات السريعة فى كل نشاط . ولانلمس استقرارا فى أى أمر .

انظر مثلا كيف استمر توفيق الحكيم أو عبد الوهاب لأكثر من نصف قرن يؤلفان للمسرح أو للموسيقى ، وكيف يتوقف الكتاب والموسيقيون الآن عن العمل بعد بضع سنوات من بدء النجاح .

وأنظر ـ مثلا ـ إلى تجربة انفصالك عن صديق أو قريب لبضع سنوات ، ثم عودة الاتصال بينكما ، تلاحظ فجوة شديدة بين الحالين . لكثرة ما حدث لكما من تغيرات .

وانظر الى مقدار أوجه التشابه بين أبيك وجدك ، ومقدار الاختلاف بينك وبين ابنك .

أنظر حولك الى اى شىء ، ستشاهد فيه عنف التطور وسرعته ، إذا ما قارنته بما كان يحدث أثناء العصور المستقرة .

ومن بين مظاهر الاستقرار فى الماضى . اتحاد العناصر الثلاثة للصفوة : النفوذ والمال والثقافة ، فاذا كانت الحياة مستقرة ، رأينا أصحاب النفوذ يتمتعون أيضا بالعلم والثراء ، وأصحاب المال هم أنفسهم أصحاب الجاه والثقافة ، والمثقفون يعيشون فى رغد ومنزلة عالية . وهذا ما كنا نراه ـ مثلا ـ عندما كان طه حسين وزيرا للمعارف ، وأم كلثوم تتمتع بالثراء والنفوذ ، وسعد زغلول من أصحاب الثقافة الواسعة .

فى عصور الانتقال . يتحول الاتحاد بين عناصر الصفوة الى انفصال واضح ، فنرى أكثر أثرياء المجتمع لاعلاقة لهم بفكر راق او فن رفيع ، ونرى اغلب المديرين والرؤساء لايتمتعون بحياة رغدة أو ثقافة واسعة ، ونرى معظم المثقفين يعيشون حياة بائسة محبطة .

كانت الصفوة فى الحضارات القديمة ، تضم أصحاب الأراضى الزراعية الذين يقيمون نظم هذه الحضارة ويقودونها ، ويدعون الى قيمها وعقائدها ، وكانت الصفوة فى الحضارة الصناعية هم أصحاب رءوس الأموال أو القائمين عليها ، الذين يتفوقون فى مهاراتها ، ويشجعون نظمها ومبادئها . فلما بدأت هذه الحضارات فى الأفول ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ وبدأت حضارة ما بعد الصناعة ـ حضارة المعلومات والخدمات ـ أصيب أكثر المثقفين والمديرين ، والمثقفين القدماء ، الذين لم يستطيعوا التأقلم مع متطلبات الحضارة الجديدة ، بمشاعر عنيفة من الارهاق والاحباط والمرارة ، وبالاحساس بضآلة الشأن ، فحاولوا اسقاط فشلهم هذا على الرؤساء أو الوزراء دون ان يدركوا ان معظم الأخيرين هم ايضا من الصفوة القديمة غير المتأقلمة ، المصابة مثلهم بالحيرة والقلق



والاضطراب وبالتالى بأمراض القلب او الضغط او النفس .

لقد امتلأت ملايين الصفحات بالشكوى والتذمر ، وامتلأت المعارض والمسارح بكافة الأعمال الفنية الغاضبة ، ورأينا السخط يسود المجالس والمؤتمرات ، بل وحتى الأثرياء امتلأت منتدياتهم بالاحاديث اليائسة .

ومع هذا الغضب والتذمر والاحباط بدأت فى الظهور صفوة جديدة ، استطاعت أن تلفظ ماتقادم من نظم الحضارات القديمة وأن تدرك قيم الحضارة الجديدة ومبادئها ، وأن تتمتع بمهاراتها واخلاقياتها ، وان تتأقلم مع نظمها وتكتسب عاداتها .

ولعل من أهم عقائد الحضارة الجديدة الايمان بان الانسان لن يستطيع البقاء الا اذا تخلص من التعصبات القديمة ، وتعايش مع غيره فى سلام ووئام .

من أهم أسباب التعصبات التى تكونت طوال تاريخ الانسان ، كثرة ماتعرض له من ندرة فى الانتاجين الزراعي والصناعى ، ومن الظروف الصعبة التى فرضت ـ فى اكثر العصور ـ قسوة الحكام على المحكومين ، والرجال على النساء ، والمعلمين على التلاميذ ، فقد اتصفت حياة الانسان ـ فى معظم الازمنة والأمكنة ـ بالعسر والمشقة ، حتى أصبح من الصعب عليه أن يتصور انه يستطيع ان ينال بعض الخير الا على حساب غيره ، وكأن الحياة مائدة من موائد الميسر ، أو ملعب من ملاعب الرياضة : اذا فاز أحد اللاعبين بشىء ، فلابد ان يخسر غيره قدرا مماثلا ، وهو امر ينطبق على تبادل السلع الزراعية والصناعية ، ولكنه لاينطبق على تبادل المعلومات والخدمات ، لهذا فان صفوة المستقبل هى القادرة على التخلص من التعصبات ، وعلى الايمان بان الانسان ـ فى الحضارة الجديدة ـ سيعطي دون ان يفقد شيئا مما عنده ، ويأخذ دون ان يفقد غيره شيئا .

ولعل من أهم مواصفات صفوة المستقبل ايضا ، ايمانها بأن ثروة الانسان لم تعد مرتبطة بملكية الأراضى أو العمارات أو الآلات ، وإنما أصبح للثراء فى ايامنا طرق اخرى مستقلة تماما عن الملكية ، لذلك نلاحظ أن المؤسسات التى تشرف على الثروات العينية فى عصرنا قد فقدت كثيرا من أهميتها ونفوذها .

وانتقال الثراء من الملكية الى الأنشطة الذهنية والابداعية ادى الى ان تتغير مواصفات الصفوة تغييرا جذريا ، يظهر جليا عندما نقارن بين شكل الصفوة الذى نشاهده فى افلام الثلاثينيات والأربعينيات ، وشكلها الحالى ، الذى نلمسه فى أصحاب المشروعات الجديدة ، الزراعية والصناعية والخدمية ، التى تستخدم التكنولوجيا الحديثة .

كذلك من مواصفات الصفوة فى الحضارة الجديدة ، عدم السعى وراء التخصص الشديد ، فالتخصص الشديد ـ الذى كان أمرا محمودا فى الحضارة الصناعية ، أصبح الآن أمرا يصيب المثقفين بالتشاؤم وضيق الأفق ..

فالمتخصص ـ عند التنبؤ بالمستقبل ـ يمد الخط البيانى الذى يربط بين ظواهر الماضى وظواهر الحاضر فى تخصصه مدا مستقيما ، وهذا يصيبه بالاحباط والتشاؤم ، اذ كيف سيكون ـ مثلا ـ أمر التلوث او الانفجار السكانى او فساد البيئة او نقص الموارد أو غير ذلك لو مددنا الخطوط البيانية لمعرفة شكل المستقبل فيها ؟

كذلك يصيب التخصص الشديد صاحبه بضيق الأفق ، ففى ايامنا لايقدر على اكتساب

النظرة السليمة للأمور الا اصحاب النظرات الواسعة الشاملة . ذلك أن زمن التغيرات العتيقة يحتاج الى من يلاحظ العلاقات الوثيقة بين المجالات المختلفة ، والى من يدرك كيف تتغير اتجاهات الخطوط البيانية لنشاط معين تحت تأثير الأنشطة الأخرى التى ليست فى مجال ذلك النشاط ، فعندما نقول ـ مثلا ـ ان التلميذ لم يعد ـ فى الحضارة الجديدة ـ رأسا يشحنه المدرس بمناهج نمطية صارمة ، فإن هذا يعنى ان العامل لم يعد ترسا فى خط الانتاج بالمصنع ، وأن المواطن لم يعد رقما فى جداول الانتخاب ، وأن الناس أصبحوا يرفضون أن يصبوا فى قوالب متماثلة ... الخ .

لهذا فان النجاح وراء اى اصلاح لايكون بتشكيل لجان من المتخصصين ، وانما يكون الاصلاح الناجح عن طريق دعوة الصفوة من ذوى النظرات الواسعة ، الذين يرون ان الوسيلة الناجحة لاصلاح الاقتصاد ـ مثلا ـ هى نفسها الوسيلة الناجحة لاصلاح الادارة ، واصلاح التعليم ، واصلاح الثقافة ... الخ .

ومن أهم مواصفات الصفوة الجديدة ، قدرتها على ادارة الأعمال بشكل ديمقراطى ، بعيد كل البعد عن الأنماط القديمة من البيروقراطية والدكتاتورية ، فاذا كانت الحضارة الصناعية هى حضارة التنظيمات الهرمية الصارمة ، فان الحضارة الجديدة هى حضارة التنظيمات الشبكية المرنة ، التى جاءت لتحل مشكلات الحضارة الصناعية ، فقد زادت تطلعات الناس ـ خلال النصف الأول من القرن العشرين ـ لتأكيد كل شخص لفرديته ، وقد أدت هذه التطلعات الى اكتشاف تكنولوجيات ترفع من درجة إبداع الانسان وتحرره ، وتزيد من درجة التعاون والمشاركة ، وفى نفس الوقت من درجة تميزه واختلافه عن الآخرين .

جاءت الحضارة الجديدة لتفرض تعدد الأشكال فى الانتاجين المادى والفنى ، فزاد عدد المنتجين وتنوع انتاجهم ، وزاد عدد المستهلكين وتنوعت حاجاتهم ، هنا كان لابد من تغيير التنظيمات الهرمية ، ومن الصفوة المتربعة على قمم الأهرامات ، الى تنظيمات اخرى اكثر مرونة وديمقراطية ، والى صفوة تعرف معانى التعاون والمشاركة ، والى نظم تقوم على مساندة العاملين بعضهم لبعض ، وكأنهم يعزفون سيمفونية أو يؤدون ادوارا فى مسرحية ، وهى نظم تختلف تماما عن النوع البيروقراطى القديم ، الذى يقوم على صعود الصفوة على اكتاف الآخرين .

صفوة المستقبل اذن ، سيختلف شكلها تماما عن أشكال الصفوات القديمة ، فاذا كانت الحضارة الجديدة هى حضارة التعاون العالمى لحل مشكلات عالمية ، ولبناء مجتمع انسانى ذى مصير واحد ، فلابد ان تكون صفوة المستقبل قد تخلصت تماما من تعصبات عدوانية او تنافس انانى .

واذا كانت الحضارة الجديدة سترفع من شأن الحكمة والتفكير الواسع المبدع ، فان المتخصص ضيق الأفق لايمكن ان يكون من بين صفوتها .

واذا كانت الحضارة الجديدة هى حضارة المشاركة والديمقراطية الحقة ، فلن يكون من بين صفوتها المتعجرفون والمتسلقون والبيروقراطيون .

ونحن لايزعجنا مانراه الآن حولنا من انحرافات وتسيب ، ولامبالاة بالصالح العام ، ومن تفكك فى العناصر الثلاثة للصفوة ، فهذه كلها من مظاهر عصور الانتقال ، وما أن يبدأ استقرار العالم فى ظل حضارته الجديدة ، حتى تتحد عناصر الصفوة الجديدة . وهى لاشك أفضل من صفوات الماضى ، الزراعية منها والصناعية



مرة أخرى

لندع التاريخ يتكلم

بقلم : د . فؤاد مرسى

●● تصورت وأنا أحمل لمجلة « الهلال » النص الكامل لحديثي مع صحيفة « النهار » البيروتية انى أقدم لها وثيقة صارت لها قيمة تاريخية .. كما تصورت أيضا ان اعادة نشر ذلك النص كما هو سوف يجنبنى سوء الظن اذا ماقمت بتجزئته وتخيرت ما ينشر منه ومالا ينشر .

غير أنه كان للأستاذ مصطفى نبيل رأى آخر .. ولذلك أختطف من النص ما رآه مناسبا .. ومن ثم جاءت نهاية مقالى غير واضحة وغير مفهومة ، ولم يبرز ما أردت ابرازه من المخطط الذى نسبته للدوائر الامبريالية فى ذلك الوقت ●●

ولهذا اكتب من جديد فى محاولة لتلخيص الحديث الذى نشرته صحيفة « النهار » بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٧١ .

اولا : ان موقف التعاون مع الرئيس السادات انما ينبع من نقطة ميدئية هى أنه يقف على رأس نظام وطنى اثبت حتى ذلك الوقت موقفه الوطنى المعادى للاستعمار ، ومع الاعتراف بفادحة الضربة .. التى وجهت لهذا النظام باقصاء اليسار الناصرى من الحكم .. فان النظام ظل فى مجموعه وطنيا بوثائقه الأساسية ومؤسساته الدستورية والسياسية وسياسته المعلنة .

ثانيا : ان حقيقة العلاقات بين اليسار الناصرى واليسار الماركسى كانت تنطوى على تناقض ومأساة .. ولقد ظلت هذه العلاقات تشوبها روح عدم الثقة المتبادلة حتى اللحظات الأخيرة من يوم ١٣ مايو ١٩٧١ على النحو الذى رويته فى مقالى السابق .

ثالثا : ان القضية المحورية التى كان

ينبغي توجيه كل الجهود نحوها هي القضية الوطنية والنضال ضد الاستعمار وبالتحديد الوصول الى حل للصراع العربى الاسرائيلى .

ومن ثم فان كل القضايا الاخرى تعتبر ثانوية ولا نعالجها الا من زاوية خدمتها للقضية الوطنية .. والنضال ضد الصهيونية والامبريالية .. ولذلك كان ينبغى التاكيد على معانى الوحدة الوطنية والديمقراطية

استنادا الى هذه الحقائق طرحت مخطط الامبريالية لاسقاط النظام الوطنى وتصفية ثورة يوليو .

١ ـ ان قوى اليمين فى مصر لاتتمتع فقط بمراكز مهمة فى الدولة والاقتصاد .. بل تتمتع ايضا بقوة التقاليد التى لم تقاوم وبقوة الذكاء والمكتسب من الخبرة بالحكم .. ولذا فان قوى كثيرة مضادة للثورة تحركت فى اعقاب اقدام السادات على اقصاء اليسار الناصرى وبادرت الى محاولة ركوب هذه الموجة وتوجيهها بحيث يتحول مركز السادات الى تصفية الثورة بكل مكتسباتها الوطنية والتقدمية .

ولقد ضربت هذه القوى المضادة للثورة على نغمة الوحدة الوطنية .. كما تتسلل الى صفوف الجماهير .. كما حاولت ان تحطم علاقات الصداقة الشريفة بيننا وبين الاتحاد السوفييتى ، والعجيب فى هذه القوى انها وهى المعروفة بعدائها لقضية الوحدة العربية قد ارتدت فجاة ثياب الدفاع عن هذه الوحدة .

٢ ـ ان الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة تسعى بكل ماتملك لاسقاط النظام الوطنى .. كان ذلك مخططها أيام عبدالناصر ، ومازال المخطط مستمرا فى ظل السادات .

وفى سبيل الوصول الى هدفها فان الامبريالية الامريكية تسعى لتهيئة المناخ الملائم للوصول الى ما ترضى اليه .

واخص بالذكر هنا ثلاثة امور :

الاول : استمالة أجزاء مهمة من القوى الوطنية وخاصة من الراسمالية الوطنية .. وتستخدم فى مسعاها اسلحة عدة لاغراء هذه القوى واجتذابها قبل شعار الحل السلمى وشعار التنمية والرواج والاستثمارات التى سوف تتدفق على البلاد وافضلية الطريق الراسمالى للتطور وكفاءة المشروع الخاص .

الثانى : شق صفوف القوى الوطنية وبذر الشقاق بين فئاتها وتعميق هوة اى خلاف يطرأ بين هذه القوى .

الثالث : ضرب علاقات النظام بالدول الصديقة وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى .

ولاشك ان هذا المخطط يستفيد من اى تناقضات موضوعية داخل البلاد .. كما انه يستغل رغبة بعض القوى الوطنية فى تحقيق السلام والتصدى لمهام التنمية والتعمير

وانهيت الحديث بالتاكيد على ان كل محاولات الامبريالية الامريكية ، ومن ورائها قوى الثورة المضادة فى الداخل .. انما ترمى الى طمس معالم القضية الوطنية أو طرحها الى الوراء وتقديم مشاكل اخرى تحتل المكانة الاولى قبلها .. وان مهمة كل القوى الوطنية هى ان تكون على اكبر قدر من اليقظة لفضح ومقاومة مخططات الأعداء والقوى المضادة .. وان اعز مانملك فى هذا الصدد هو التمسك بوحدة القوى الوطنية والحرص على عدم المساس بها أو الانزلاق الى صراعات جانبية لايستفيد منها الا العدو .

لقد قيل هذا الكلام فى مايو ١٩٧١ واعتقد ان ماحدث فى بلادنا بعد ذلك قد أكد هذه المخاوف والتوقعات الى حد رهيب .

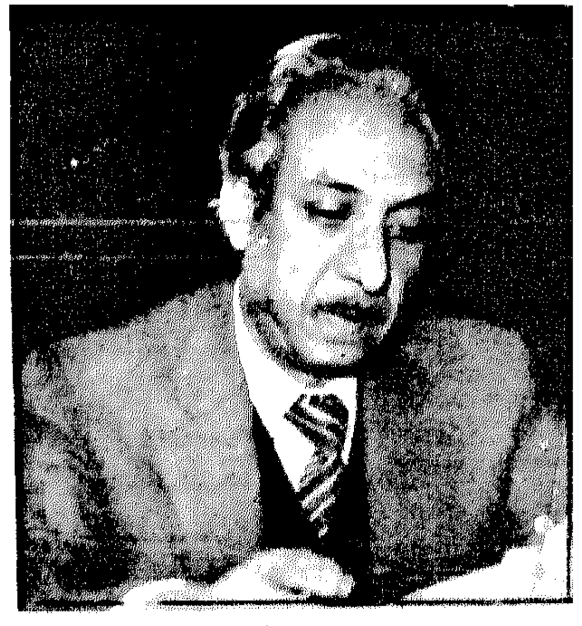
سوانح وبوارح

شكل الشعر وضمير الشاعر

بقلم: كمال النجمي

● لا يخفى علينا ما يحمله بعض الناس في عصرنا من ضغينة على الأدب العربي القديم شعرا ونثرا، وما استتبعه شعره ونثره من "النقد القديم" وقد رأينا هؤلاء الناس بين الخمسينات والستينات يحاولون تهديم الأدب العربي كله، وبخاصة الشعر، لأنهم توهموا أن الشعر العربي الموزون المقفى، يتعلق باتجاه سياسي واجتماعي وديني يعادي التقدم ويعضد التخلف، ثم توهموا أن التفعيلات تفتح الباب لتحرير الشعر العربي، ومن ثم تحرير الإنسان العربي..

كان ذلك خطأ فكريا لا مثيل له في عالم الاخطاء الفكرية المعاصرة، وقد أوشك هذا الخطأ الفادح أن يئد الطريقة العربية الفذة في نظم الشعر، تلك الطريقة القومية الخاصة بالشعر العربي المستمدة من البناء الخاص للغة العربية، رمزاً لعبقرية هذه اللغة وتفردها بين جميع اللغات.



صلاح عبدالصبور

إن الطريقة العربية في الشعر تستطيع أن تخدم في عصرنا فنون الشعر الجديدة كما خدمت فنونه القديمة، وليس بمنصف من يزعم أنها استنفدت اغراضها، ولا من ينكر عبقريتها الخاصة وعبقرية الأمة التي صنعتها..

يطرحون أحيانا هذا السؤال : ماذا بقى من النقد الأدبى العربى القديم ؟! ..

والسؤال الجدير بالطرح هو : ماذا يبقى غدا من النقد الذى نطالعه اليوم ؟! ..

إن النقد القديم متعلق بأدبه القديم ، وأهله القدماء ، وقد ذهبوا وخلت منهم الدنيا ، ثم عمرت بمن نراهم الآن من المشتغلين بالأدب ، فهل يبقى الأدب الحديث إلا ريثما يكتبه كاتبه ، ويقرؤه قارئه ، وينقده ناقده ؟!..



نازك الملائكة

وقد كان لنقاد الخمسينات والستينات سيطرة ديكتاتورية على الأدب والشعر، فرسموا للشعراء الجدد ـ شعراء التفعيلة ـ خطوطا لا يتعدونها ، فإن تعداها أحدهم ـ تمرداً أو جهلاً بالتعليمات ـ حرموه من بركتهم ، واختلقوا له عيوبا ليست فيه ، واثخنوه طعنا .. حتى هابهم الشعراء والأدباء وصاروا ذيولا لهم ، وتحوّل الانتاج الأدبى والشعرى إلى ذيل للحركة النقدية !..

وعفا الله عما سلف من أخطاء هؤلاء النقاد فى عقدى الخمسين والستين من هذا القرن ، فقد خاطبناهم حينذاك فى هذه الأخطاء فلم يلتفتوا لخطابنا ، اعتزازا أو اغترارا بما فى أيديهم من كلمات عن الشعر والأدب !..

ونقول اليوم لهم صادقين .. أعزز علينا بأن نرى نظريات الشعر والأدب والفن قد أصابها التفنيد !.. ولكن لابد مما ليس منه بد ، ولا مفر من الخضوع لحكم الزمن ، ولا مناص من معاودة النظر فى تلك القضايا التى كانت من المسلمات ..

● النقد القديم

إن نقاد الشعر والأدب يمكنهم الآن الاستفادة من النقد العربى القديم ، بأن يستوعبوا طرائقه ، ويتأملوا نظرياته

وجمالياته ، ويقلدوا إخلاص أهله ومثابرتهم وصبرهم ونزاهتهم ، ويقفوا بتواضع وود حيال ما تركه القدماء لنا من شعر ونثر وفن وفكر ينبض بالذكاء ، عسى - إن فعلوا ذلك - أن ينهض النقد وينهض معه الشعر والأدب على دعائم جديدة ضاربة بجذورها فى الأرض العربية العريقة ..

فى الخمسينات والستينات قام فى مصر وبعض البلاد العربية مذهب "الواقعية الاشتراكية" فى الأدب ، واجتذب أصحاب هذا المذهب بعض الأدباء والشعراء ، وكان هدفهم طيبا حقا ، فقد كانوا دعاة للعدالة الاجتماعية والتحرر من الاستعمار والتخلف ، وكانت غاية مذهبهم فى الأدب الانتقال من المضمون القديم إلى مضمونهم الجديد الذى يخدم العدالة والتحرر والتقدم ..

ونظروا فوجدوا أن ما يسمى بالمضمون القديم فى الشعر العربى ، مصوغ كله فى شكله الموزون المقفى الذى أعطته الدهور طابع القدم .. فليتحطم هذا الشكل إذن ، وليأت شكل جديد ، لأن المضمون الجديد لا يصاغ فى شكل قديم !..

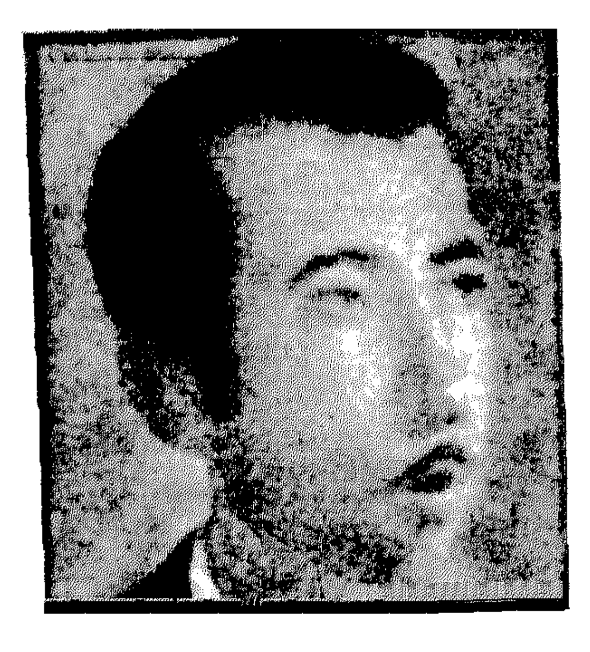
كان ذلك فى الحقيقة حلا حسابيا لمسألة الشعر العربى المعاصر ، بل كان حلا ميكانيكيا استسهله النقاد والشعراء الجدد ، فنظموا شعر "الواقعية الاشتراكية" مثل : "وشربت شايا فى الطريق .. ورتقت نعلى" .. وكان هذا الشعر الواقعى يفتقر - قبل كل شىء - إلى أن يكون واقعيا ، كما يفتقر إلى أن يكون شعرا من أى مذهب فى أية لغة !.

وتحول الشعر سريعا إلى تلال من التفعيلات الميتة ، وأرغم النقاد الواقعيون تلاميذهم الشعراء الجدد على "تطوير" شعرهم تطويرا شكليا مفتعلا يكشف افتقار انتاجهم الشعرى إلى الصدق أولا وآخرا .. دعك من المقومات الأساسية الأخرى للشعر الجدير بأن يسمى شعرا ..

وتفاقمت فى هذا الشعر الجديد لغة "الكليشيهات" وأصابته أمراض الصياغة التقريرية التى كان النقاد "الواقعيون" يعتبرونها من أمراض الشعر الموزون المقفى خاصة ..

وكان النقاد الواقعيون يقولون إن شعراء الأوزان والقوافى إنما ينظمون تقليدا لشعراء العربية الأقدمين ، فإذا بتلاميذ النقاد الواقعيين ينظمون التفاعيل تقليدا لاثنين أو ثلاثة من رواد الشعر التفعيلى فى مصر والعراق .. وسرعان

بدر شاكر السياب



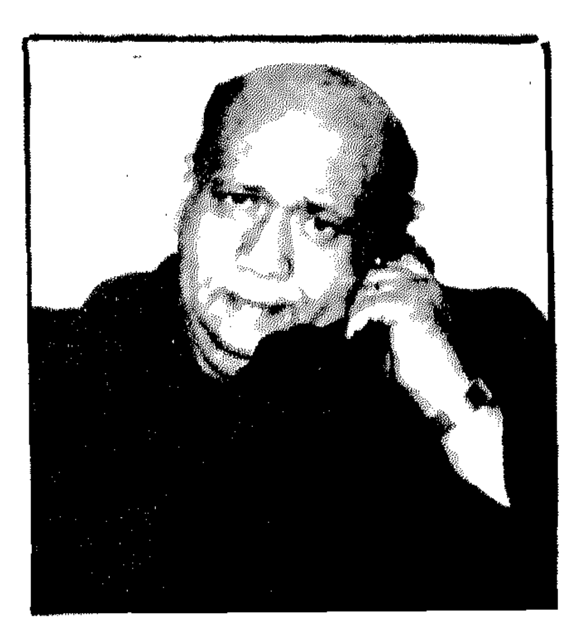
ماصار جميع شعارير التفعيلة يكتبون بلغة واحدة ويرددون تعبيرات لا تختلف من شعرور إلى شعرور ..

● الخطأ الأساسي

● ماهو الخطأ الأساسي لأولئك النقاد الواقعيين الذين قادوا موجة "التفعيلة" في الخمسينات والستينات ؟!..

ملخص الاجابة عن هذا السؤال أنه قد غاب عنهم أن أوزان الشعر العربي ليست ميراث طبقة عربية واحدة ، بل هي ميراث الأمة العربية كلها .. فعلى امتداد ألفي سنة تقريبا خدمت هذه الأوزان كل من نظم الشعر العربي ، من شحاذي بغداد القدماء ، إلى خلفائها الأقوياء والضعفاء !.. وقبلهم خدمت الأوزان بني أمية كما خدمت بني هاشم ، وخدمت في صدر الإسلام كما خدمت في الجاهلية الأولى ، وشهدت قدماء الأعراب وهم يجمعون الغذاء جمعا ، كالإنسان الأول في الغابة ، كما شهدت العرب وقد أترفوا ولبسوا الحرير والذهب في الشام

صلاح جاهين



والأندلس وضفاف النيل ..

وهكذا من عصر جامعي الغذاء إلى عصر العبودية فالجاهلية فالإسلام فالخلافة في دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة ، لم تستطع طبقة بعينها أن تجعل من الأوزان سلاحا في يدها ضد الطبقات الأخرى ، بل لقد صارت الأوزان سلاحا حتى في أيدي الشعراء الشعبيين الذين نظموا فيما بعد باللهجات العامية ، وآخرهم بيرم التونسي وفؤاد حداد ثم صلاح جاهين في رباعياته ..

وتلك ميزة عظمى للشعر العربي ، انفرد بها من دون اشعار الأمم كلها .. فليت شعري كيف تكون ميزته العظمى مطعنا فيه ؟!.. وكيف صح في أذهان الواقعيين أن الرجعية العربية كامنة منذ القدم في أوزان الشعر العربي ؟!..

لقد طرحنا عليهم هذا السؤال في حينه ، ولم نتلق منهم جوابا ، ولكن الجواب الصحيح عنه أصبح الآن واضحا تمام الوضوح ، فقد أشرقت الشمس ، وبرح الخفاء ، وتغيرت نظرات النقاد .. وظالم لنفسه من يتصور نفسه ناقداً لجميع العصور !..

وإني لاتذكر الشاعر التفعيلي المشهور صلاح عبد الصبور ـ رحمه الله ـ فإن هذا الشاعر الذي امتاز بثقافة واسعة وفكر حر ، كان أحد الشعراء الجدد الذين أدركوا خطأ التوجيهات النظرية التي أساءت إلى الشعر العربي في الخمسينات والستينات ..

وقد كتبت عند وفاته منذ سنوات كلمة بينت فيها أنه أوشك أن يتحول إلى طليعة تيار مستقل من الشعراء الجدد ، ووضحت معالم استقلاله ، وساعده على ذلك أن

وجدانه كان يمور منذ بداية أمره بشعور جياش لا يمكن احتباسه بين ضفتي الوعى النظرى الحديدى المباشر الذى أمعن أولئك النقاد فى التبشير به ومحاولة فرضه بالهجوم الفكرى المستميت ..

● الشعر والأفكار الاجتماعية

كان عبد الصبور يدرك فى أخريات حياته ـ رحمه الله ـ أن شكل الشعر ـ عموديا كان أو تفعيليا ـ لا يمكن أن يرتبط فى عصرنا بالأفكار الاجتماعية أو السياسية ارتباطا مباشرا لافكاك منه .. ومن سخرية الأقدار أن بعض شعراء التفعيلة ـ وهم تلاميذ النقاد الواقعيين ـ قد صاروا من أبرز دعاة التخلف الاجتماعى والسياسى والفكرى ، وحسبك منهم ذلك الشعرور الذى يسمى نفسه أدونيس ، وآخرون على شاكلته فى جميع البلاد العربية .. ترتفع صيحاتهم التفعيلية بالأفكار والنظريات والدعوات الوجودية والشعوبية والطائفية والعنصرية ، ولا يجتمع أكثرهم إلا على ضغن يملأ أفئدتهم للأمة العربية وأدبها وشعرها ونثرها ، وكل ما يتعلق بها فى الماضى والحاضر والمستقبل !..

فليس شكل الشعر هو الشعر نفسه ، ولا هو وجدان الشاعر ولا ضميره ، ولا اتجاه الشاعر ولا تفكيره ، وقد برهنت الحياة نفسها على صحة هذا الرأى !

● قضية لا تنتهى

● ما العمل إذن ؟!..

لا عمل فى دنيا الشعر الآن ، إلا ما يشبه العمل فى دنيا الناس الواسعة ، من المشرق إلى المغرب .. فلا مناص من التعايش بين أشكال الشعر العربى : القصيدة ، والتفعيلة ، والنثر الشعرى .. أو القصيدة النثرية كما يسمونها ..

ولا يعنى التعايش فى هذا المجال تصالحا فنيا أبديا ، ولا خلطا للأفكار والتوجهات ، مع أن التصالح والخلط هما الآن من سمات الدنيا التى اختلطت وتصالحت فيها الألوان والأشكال !..

ونظن أنه برغم بقايا دعوة النقاد الواقعيين المتشبثين بذكريات جدانوف وسوسلوف وأمثالهما ، قد تم التعايش فعلا بين أشكال الشعر العربى الذى نطالعه فى هذه الأيام .. وكان هذا التعايش من المحرمات فى الماضى ، وكان الذى يدعو إليه محسوبا فى المغضوب عليهم ، والضالين !..

ومع ذلك لم تنته القضية ، ولا تنتهى .. فثمة مراحل تاريخية قادمة سوف يجد خلالها الشعراء حلولا مناسبة لمسائل الشكل والمضمون ، فى سلسلة طويلة من التطورات لا نعرف نحن الآن عنها شيئا لأنها من عمل الأجيال القادمة التى لا يمكن أن يتحكم فيها نقاد زماننا لحسن الحظ !..

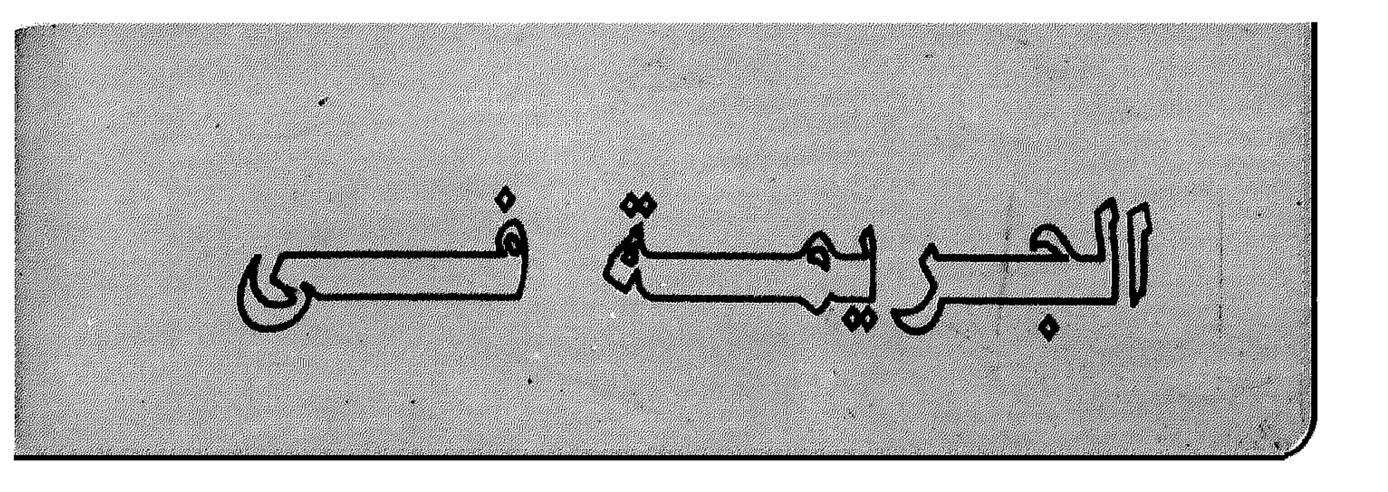
وأختم مقالاتى الأربع فى الأوزان والتفعيلة بتحية أزجيها إلى جميع شعراء الأوزان والتفعيلات من امرىء القيس إلى شوقى إلى بدر شاكر السياب .. وإلى جميع الشاعرات ، من الخنساء إلى فدوى طوقان ونازك الملائكة .. ولا أحصى أسماء الشعراء والشاعرات !..



شعر: سالم حقى

ملْ بنا صوب شاطىء الذكريات
يارفيق الشباب .. والأمل النضْر
مل بنا صوبه .. لعلّ بقايا
تملأ النفس نشوة وربيعا
أو عذارى الشباب مازلن يخطرن
ساحرات مازلن لم تأخذ
سافرات .. يُلقين فى البحر بضّا
فإذا المارد المزمجر .. عَبْدٌ
مل بنا يارفيق .. عَلَّ دبيبا
فنعيش الذى مضى وتولّى
ويجيش الشباب فينا جديدا
إيهِ ياشاطىء الجيب .. مضى العمر
ذكريات الشباب والحب والشعر
أتُرانا .. نُشيمُ فيك صبانا
وَتُرَى .. تذكر الفتى شاعر الأمس
من تغنَّى .. بحورك السابحات
جاءك اليوم فى خريف الليالى
يُرْجِعُ الأمس !! ياله من غرير !
دعه .. فى غيه النبيل ! قريرا
لم يزل شاعرا يعيش على الوهم
وترفق .. ياشاطىء الذكريات

حيث كان الهوى وأُنس الحياة
وأحلى الأنغام والأغنيات
من لحون لرما تزل هائمات !!
فى خريف جهم الرؤى والسمات
كما كنَّ فى الزمان المُواتى !
الأيام شيئًا من ساحر القسمات !!
لوّحة أناملُ الجمرات
فى إسار الكواعب السابحات !
من حُمياه .. يوقظ النبضات
من زمان عذب الرحيق فُرات
اخضرَ الغصن .. عاطر النسمات !
فجئنا نلوذ بالذكريات
وفيض الرغلب والامنيات
أم ترانا نؤوب بالحسرات ؟!
غرير الأشواق والصبوات ؟
والعذارى الأبكار .. فى الأمسيات ؟
ناصع الشيب .. واهن الخطوات !
رغم كر الأيام والسنوات !!
لا تبعثرْ أحلامه الرائعات
وفوق النهى .. ومِلء الحياة !!
لاتكنْ مثل سائر الكائنات !

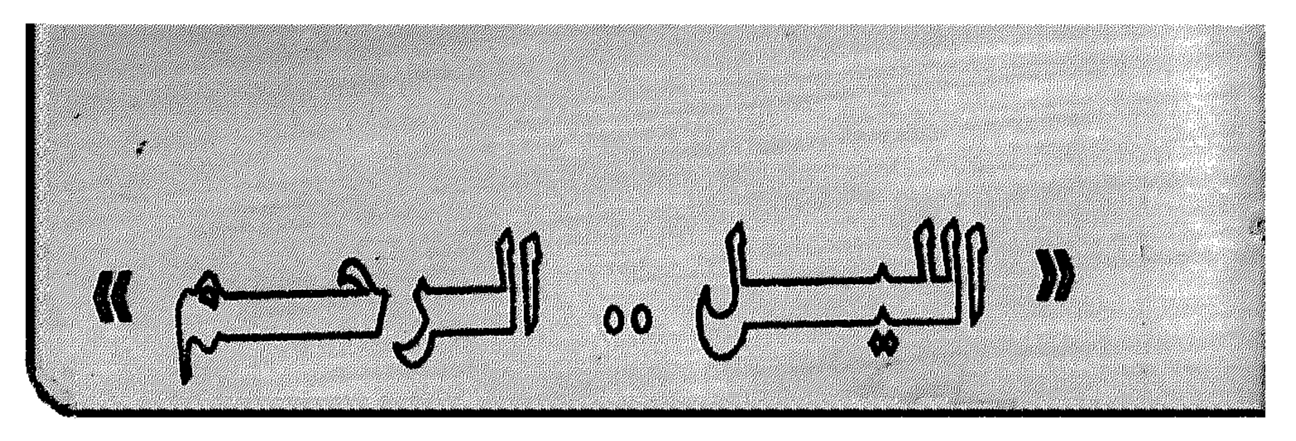


بقلم : عبد المنعم الجداوى

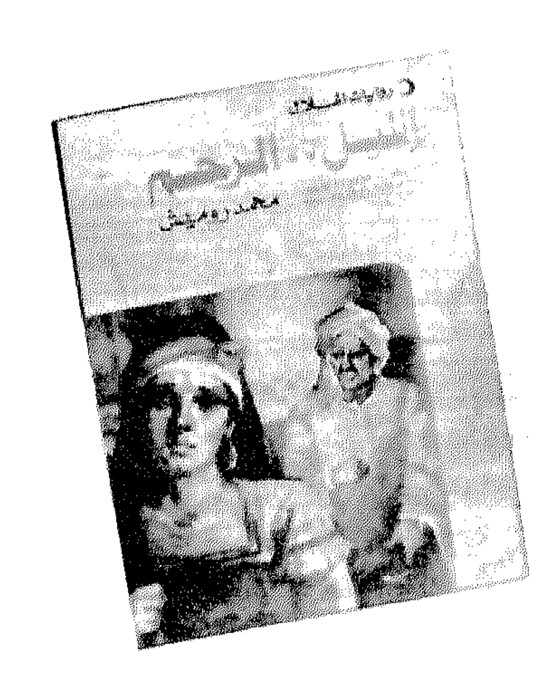
"الليل .. الرحم" لمحمد روميش . مجموعة لوحات انتزعها من قلب الريف الذى لا أشك أنه عاش فيه . وامتزج مع أحداثه . ونفذت وقائعه الى اعماقه . وامتلأت بها عروقه بدلا من الدماء .. فراح يرسمها كما هى . تنبض حرارة . وتتحرك حية كسمكة عفية . اخرجها من الماء لتوها .. لكن عيبها القاتل . هو ان كل لحظة تمضى عليها تميتها . ولا تحييها . واذا ماتت . وهى لابد ميتة . فسوف تفسد .

ذلك لأن "محمد روميش" أخذ السمكة من نهرها كما هى دون معالجة .. ولو انه عالجها معالجة سليمة ؛ لظلت طازجة ، حية تتحرك الى أبد الأبدين .. نقلها كأنه جاء بمرآة كبيرة ، ووضعها أمام قريته فانعكست عليها .. بكل ما فيها حتى رائحة روث البهائم ، وروعة الحليب المنبثق من ضروع البقر ، وخفقات قلوب الفلاحات ، وشبقهن ، والممارسات الحلال والحرام لكل اللذات . هنا أو هناك .. والمرآة لا تكفى . ولا تبقى الصورة فيها ولا تعيش . إلا بمقدار النظرة اليها .. وهذا هو الفرق بين المنظر الطبيعى الذى تسجله الكاميرا ، والذى ترسمه ريشة فنان . يضفى من روحه ما يظل ينفخ الروح فى المنظر الى أن تبلى اللوحة .. والأديب (روميش) فنان انفعل بالقرية ، وهى قرية معينة . وجدت فى منطقة معينة .. هى كالمناطق التى كانت تهيمن عليها الوسية ، والتفاتيش فى زمن معين لا اعتقد أنه سوف يتكرر ، وهو صاحب فضل فى ذلك لا ينكر .. لكن الذى كنا نأمله . لكى تكون مهمته كاملة النجاح ، والعمل الفنى متكاملا .. لا يصدع إعجابك به كلمة ، لو أن الكاتب فعل كذا وكذا .. كنا نأمل ان تكون اللوحات كلها بالريشة ، وليس بالكاميرا .. حتى يضمن لها البقاء ، وتصل الى وجدان القراء . لا لكى تغادره بعد القراءة . بل لتستقر فيه ، وذلك لا يكون الا باضفاء فن الكلمة الدقيقة الأمينة على هذه اللوحات التى برع فى تصويرها .. لكن بالكاميرا فقط !

وحتى نكون صادقين معه ، ومع القراء .. فإننى استأذنهم ، واستأذنه فى



• الجرائم عند روميش صامتة لا تنطق ولا تستغل ..
• الاغتصاب الجريمة الأزلية بين الأغنياء والفقراء ..
• رجل الليل الصعيدى لماذا هرب ليلة زواجه ..؟



نقل بعض السطور من اللوحة التى حملت المجموعة اسمها ، وهو يفتتحها بمشهد رجل عجوز يحرث الأرض بمحراث تجره بقرتان فيقول :

على الكتف اليمنى تستقر قلقة فرقلة تلسع ـ عند اللزوم ـ الجلد الأسود الغطيس ، وهنا يبذل العجوز مجهودا منتبها ؛ ليحفظ توازن العمق والاستقامة للمحـراث ، وليشرخ ظهـر الحيـوان بالسوط ، وقبل ان يفلت منه واحد من خيوط العملية ، يرتفع صوته مخاطبا واحدة من البقرتين يميزها بشدة ودودة من اذنها .

ـ .. إرجعى ..

وترجع البقرة بعد ان تنفض راسها نفضتين : علهما تململ أو مشروع تمرد مضى عليه ستة آلاف سنة ولم يتحقق ـ على أنهما النفضتين ـ لا تخلوان من عتاب دينى صامت مستسلم قدرى حزين .

وهو هنا يرمز ، ويغمز ، ويلمز ، ولكن بشكل يذهب بنبل القصر الذى يهدف اليه ..

وهذا الرجل صاحب المحراث يدعى (عم الوهيدى) ، وهو يحاول مع ابنه

الجريمة فى "الليل .. الرحم"

(عبد الشاطر) ان يجور على ساحل (ابو دراع) من رجال الليل سابقا .. لكنه آثر السلامة فى أخريات حياته ، وابن (عم الوهيدى) الثانى (فتح الله) وهو بطل اللوحة لا يروقه ذلك من أبيه ، ولا من أخيه ، ويقبل (ابو دراع) ، والمحراث بدأ يعمل فى جزء غير قليل من ارضه .. ويصيح من يدعى (حامد) وهو يعمل مع (الوهيدى) ينبهه :

- حوش ياعم عبده !

قبل أن يصل أبو دراع الى (عم الوهيدى) كان سوط الفرقلة قد لف حول رقبته ، وقبل ان يقذف السيد ابو دراع السكينة الطويلة أم حدين ، والتى يربطها دائما على اللحم لصق فخذه ، كان (عبد الشاطر) قد احاطه بذراعيه من الخلف . كانت فاس قد هوت على رأسه ، وانبثقت نافورة رفيقة دم أحمر . التفت عيون (فتح الله) و"حامد" مذهولين كل يسأل الآخر مرتعبا . فك (عبد الشاطر) ذراعيه . سقط السيد ابو دراع . ابن الليل التائب .

أجال (أبو دراع) فيمن حوله من الرجال عينين مغبشتين . رآهم . لا بسبب انعكاسهم على إنسانى عينيه ، علها صورة قديمة تخيلها ، وانبعثت من داخل مخه كما انبعثت على طرف لسانه أو من مراكز النطق من مخه جملة أعدها قبلا :

- معلهش .. جزاة اللى يعيش نعجة بين الديابة ..

هل مات (أبو دراع) ..؟ ذلك ما لا يدركه القارىء .. الا أن (فتح الله) يلتقى برجال الليل ، ولا تعرف اذا كانوا يترحمون عليه أم ماذا ..؟ و(فتح الله) يتخفى عند الخفير الحكومى (السنجاوى) ويعشق ابنته هانم .. ويصر على ان يتزوج بها . لكن خالته التى حلت مكان أمه تنهاه عن ذلك ، وتقول له ان (السنجاوى) ليس خفيرا للعمدة ، وإنما هو قواد له .. يسحب له النساء ، ولكن (فتح الله) يقع فى حيرة ، وبين الحين والحين يتذكر أنه قتل (أبو دراع) أو لم يقتله . من الصعب ان يدرك هو أو ندرك معه ماذا يريد (روميش) ، وفى النهاية يطبق الطاعون أو الكوليرا على القرية ، وتموت (هانم) بين يديه ، ويدفنها فى المقابر التى ضمت قبلها أخاه (عبد الشاطر) ، ورجال ، ونساء القرية .. ثم ينضم (فتح الله) الى رجال الليل .. وتنتهى لوحة "الليل .. الرحم" .. تلك اللوحة التى سجل فيها كل حركة وسكنة فى القرية .. حتى خروج النسوة ليلا لقضاء حاجاتهن على الفلول خارج القرية ، وبشكل منفر .. ولو أنه أغفل الكثير ما خسر الا قليلا ، ولكسب الكثير ..!

وهو حينما وضع الجريمة التى ذهب ضحيتها رجل ليل سابق .. كان فى وسعه ان يكتب الكثير ، وأن يعكس دوامات أخبار هذه الجريمة فى مجتمع القرية . لكنه لم يفعل ، وتركها عامدا متعمدا ، وقد كانت بين يديه خامة طيبة . لو استغلها بشكل جيد . لأمتع القارىء بجولة فى عقول ، وقلوب الآخرين .. الا أنه كان تركيزه فى كل لوحاته على الجريمة المقترنة بالفضيحة .. جريمة الغنى الذى يفترس الفقيرات ، ولا تكاد تخلو لوحة من لوحاته من العمدة أو ابن العمدة الذى

يفتك بفقيرة جميلة تعمل فى الخدمة .. وهو فى لوحة "الليل .. الرحم" يجعل "رشاد" ابن العمدة يفترس (هانم) ابنة "السنجاوى" الخفير الذى كاد (فتح الله) أن يتزوجها ، وتقوم بالضبط ، واعلان الفضيحة زوجة العمدة ، وهى تظن ان الفاعل هو زوجها لا ابنها .. ورغم هذه الفضيحة المدوية فى القرية الصغيرة . فإن (فتح الله) يذهب الى (هانم) وهى مريضة ، ويقوم بخدمتها ، ويغير لها ملابسها ، وتموت على صدره .. ولا أعتقد ، ولا أظن أن (روميش) يعتقد ان ذلك من أخلاق القرية . الا اذا كانت قرية سحقت الى الحد الذى فقد فيه أفرادها التمييز بين العار والشرف .. ومع ذلك تظل فى (فتح الله) بقية من حمية ينضم بها الى رجال الليل !

وفى اللوحة التى اسمها (كل شىء حقيقة) يسخر عشرات السطور فى تصوير (نجية) ، وهى تقوم بحلب الجاموسة ، وكيف ان عملية الحلب ، واحتضان الوعاء بين فخذيها ، وحشره فى صدرها أهاج شبقها الى الرجل ، وهى التى اختفى زوجها منذ سنوات ، وترك لها ابنة منه .. ويدفعها ذلك الشبق المتوهج الى ان تنادى (حسان) الصعيدى الهارب من أعماق الصعيد على إثر جريمة ارتكبها .. بعضهم يقول إنه قتل أمه لانها تزوجت بعد موت والده ، وبعضهم يقول إنه قتل زوجته لانها كانت تخونه .. وتطلب منه ان يمسك لها رأس الجاموسة ، ويمسك لها الصعيدى الفحل راس الجاموسة ، ولكن يقف الأمر بهما عند هذا الحد . يقول فى هذا المشهد : "استجاب (حسان) لطلب (نجية) - امسك برأس الجاموسة البلجة حتى تنتهى (نجية) من حلبها .. الاشمئناط المرتسم على وجهه .. كان مناسبة لان تسأله عن عدد الذين قتلهم فى الصعيد .. (حسان) فوضها ان تختار العدد الذى يروقها .. فهو لا يفرق بين أن تقتل مرة واحدة ، وان تقتل الف مرة .. (حسان) الواقف امام راس الجاموسة .. على حدقتى عينيه ضوء اللمبة العافورى الباهت الذى يشغل وسط الزريبة .. اركان الزريبة الثمانية مطموسة تحت ظلام لا يصله الضوء .. ظلال البهائم تقع مختلطة على أجسامها .. الصبى مازال يربط البهائم . اعواد قش فى أعشاش العصافير تتدلى من سقف الزريبة .. أنفه يلتقط الروائح الفواحة يحاول أن يميز بين كل رائحة على حدة .. صوت شخب اللبن فى الطاجن تتعوده أذناه .. همهمت (نجية) وهى مصرة على أن تعرف العدد الحقيقى لقتلاه .."

وبعد ذلك لا شىء .. يهرب (روميش) مع (نجية) يغوص فى الذى تتخيله من ماضى (حسان) مع رجال الليل ، والبندقية على كتفه ، وبعد صفحات تتفق واياه على الزواج ولكن المأذون يحتج بانها لا تحمل ورقة طلاق من (صالح) المختفى ولا شهادة وفاته ، وبعد ان تستعد هى وهو للزواج يؤجلانه الى الليلة القادمة .. فيذهبان إلى مأذون قرية أخرى ، ويعقد لهما العقد ، وتعود هى ، وهو ، وصديقه (لطفى) مغنى القرية ، وبعد ان يعودا بها الى المنزل ، وتكحل عينيها ، وتدعك خديها بالتفتة الحمراء .. يذهب هو ليستعد عند (لطفى) بكراسى المعسل ، والحشيش ، وقمحة الأفيون .. هكذا كتب (روميش) .. ويغادر بيت

الجريمة فى "الليل .. الرحمَ"

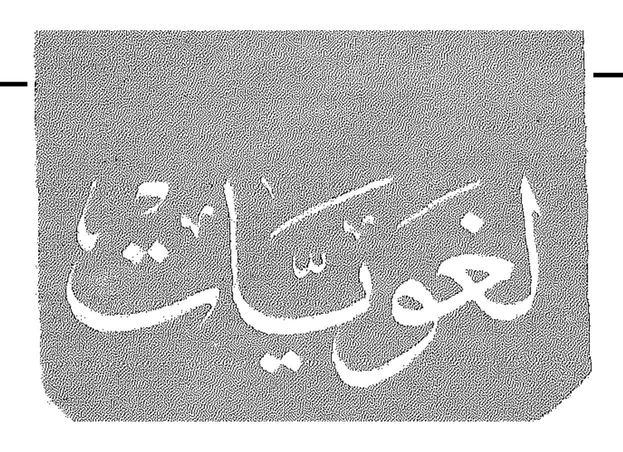
(لطفى) آخر الليل .. لكن لا ليذهب الى زوجته نجية التى تنتظره .. ولكن لكى يهرب من القرية تحت جنح الظلام ، وتنتهى اللوحة .. وعلامة تعجب كبيرة .. تمسك بتلابيب القارىء ..! فهل كان (حسان) عنينا خشى ان تكشف (نجية) ضعفه فآثر الهرب .. ولكن كيف يعرف القارىء .. هل يضرب الرمل ..؟ أم يقرأ الفنجال ..؟

وتجىء اللوحة الأخيرة التى يسميها (طرح المجد) ، وفيها يصور بدقة شديدة الشيخ (توفيق لطيف) ، وهو حفيد الأباطرة الذين يحكمون القرية بعد ان قضت عليهم الثورة ، ويصف السرايا الخربة ، التى أصبحت مأوى للبوم ، والغربان ، والحشرات ، واختار هو منها قاعة لتكون (عش الزوجية) مع (جاموسة) من بنات الفلاحين الذين كانوا لا يستطيعون النظر الى وجوه أسيادهم ، وهو يعمل مقيم شعائر لمسجد القرية . حتى يجد لقمة العيش ، ولكنه دائم الحنين الى جده الأكبر . لاسيما بعد واقعة يصفها (روميش) فى عدة صفحات . وقعت بينه وبين زوجته الجاموسة اذ "قالت له بزفرة : استرم . الأيام ـ تقصد الليالى ـ كثيرة الآتية"

أزعجته ان تشفق عليه ، وتشمت فيه ، وهزه أن يعجز ، وحملها مسئولية عجزه . لانها كالجاموسة لا تعرف كيف تستدعى رجولته .. وحاول ثم فشل .. فحاول فأقصته عنها ، وجن جنونه ، وصمم على أن يحرق القرية كلها .. ويتصور انه نجح فى ذلك ، لكنه يقف يناجى جده الأكبر فى صفحات كاملة .. يشكو اليه من الفلاحين البهائم الذين هزموه ، وقضوا على رجولته .

وهذه الجاموسة تدعى (نظيرة) ، ولعل قصة الفشل الرجولى الذى أصاب زوجها قد وصلت إلى مسمع أهل القرية .. مما شجع الجميع على مغازلتها ، وتنتهى أخيرا الى (شحاتة) مقاول الأنفار الذى تحاول ان تقترض منه ثمن كيلة ذرة .. وحينما يعطيها القرض .. "يمد يده ، نظيرة تستعد لنزال بدنى لا تخشاه ، انتهت لحظة الأزل الربيعية ، اللحظة التى أحست فيها (نظيرة) بعزلتها مع (شحاتة) .."

و(توفيق) شخصية لا تليق بالقرى .. اعتقد ان (روميش) اخترعها لكى يشفى غليله من أبناء المفتشين ، والنظار ، وأصحاب الشفالك الذين عذبوا أهله فى القرية ، واذا كانت الثورة قد جردتهم من أملاكهم فهو يريد أيضا ان يجردهم من رجولتهم .. جزاء وفاقا على عربدتهم الجنسية مع الفلاحات ، وهؤلاء الأثرياء فى الماضى لم يكن فيهم ، ولا فى أحفادهم من يميل الى الدين .. ولهذا من الصعب جدا ان يحترف حفيدهم الصلاة بالناس . حتى لو كان فى قرية .. ويبقى على (روميش) بعد ذلك ان يستغنى تماما عن الإغراق فى العامية فهى ليست الدليل على الواقعية كما يتخيل البعض .. لاسيما وهو قادر فى براعة جيدة على استعمال الفصحى باقتدار كما جاء فى مناجاة (توفيق) لجده الأكبر ..



● يستعمل بعض الأدباء كلمة «الممرور» بمعنى الرجل الذى يشعر بالمرارة والحقد ، كأنما صار فمه مرا مريضا .. وهذا عكس المعنى الصحيح ، فإن الممرور هو الرجل ذو المرة - بكسر الميم وفتح الراء وشدها - وهى القوة وشدة العقل .. والرجل المرير هو ذو المرة ، أى ذو القوة ، وقد يوصف بأنه ممرور إذا هاجت مرته ، أى قوته ، كأنما استطار غضبا ، ولهذا يصفون المجنون بانه «ممرور» .. ولايصح أن يقال مثلا : هذا دواء طعمه مرير ، وإنما يقال : طعمه مر - بضم الميم - لان المرير هو الشديد القوى ، ومن هنا قول أبى الطيب المتنبى :

سهرتَ بَعْدَ رحيلى وَحْشة لكمُ
ثم استمرَّ مريرى وارعوى الوسَن

● «استصلاح» الأراضى الصحراوية القاحلة ، عمل شاق جدا ، أما «استفساد» الأراضى الخصبة المزروعة وبناء العمارات فوقها ، فعمل هين لين .. والاستفساد فى اللغة عكس الاستصلاح ، كقول بعض أصحاب الخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو ! ..

● كلمة «طظ» التى يقولها الناس على سبيل التهكم أو الاستخفاف ، منسوبة إلى كلمة فى اللغة التركية معناها «الملح» أو مايشبهه .. أما الأصل العربى لكلمة «طظ» فهو «طنز» - بفتح الطاء وسكون النون - والطنز هو التهكم والاستهزاء .

● كان تاجر «الروبابيكا» يسمى عند العرب « السَّقَطِىّ » لأنه يشترى ويبيع «سقط المتاع» وهو المتاع القديم القليل الثمن ، وبين الفقهاء والأدباء القدماء من يحملون لقب «السقطى» لأنهم كانوا - أو كان أباؤهم - من تجار «السقط» .. أى الروبابيكا ، كما يقال الآن ! ..

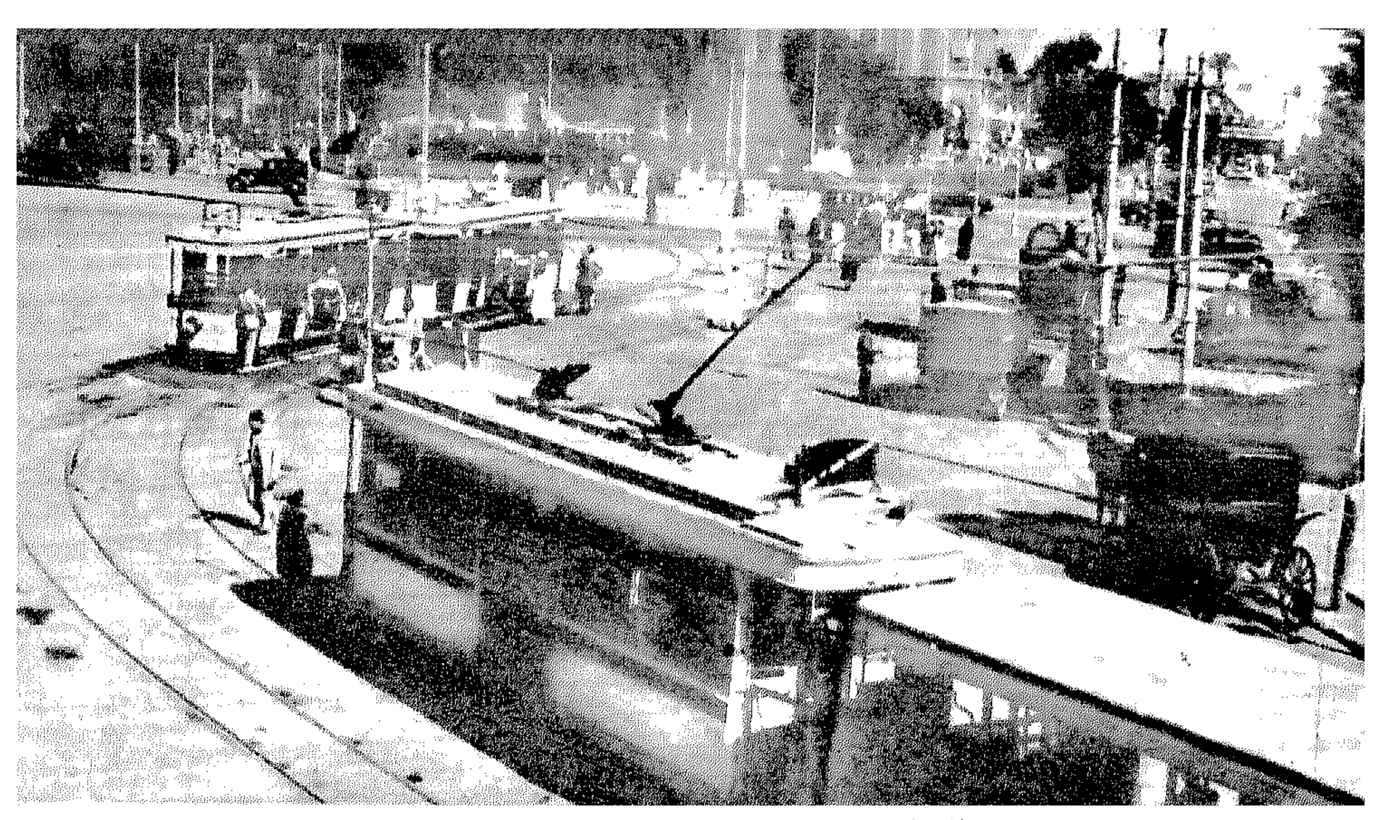
● السماء المدججة ، هى السماء المتغيمة المحجوبة بالغيوم الكثيفة .. ومن هنا قيل : رجل مدجج بالسلاح ، كأنما اختفى وراء سلاحه الكثيف ، اختفاء السماء وراء الغيوم !



مصر
فى رواية إنجليزيـــة

بقلم: د. أمين العيوطى

تتميز الرواية الانجليزية الحديثة بانها خرجت عن نطاق الحياة الانجليزية فاكتسبت بهذا صبغة عالمية ، بدلا من الطابع المحلى الذى غلب عليها حتى مطلع هذا القرن . ولعل هذا يرجع الى عدة اسباب ، من بينها ان عالمنا الراهن عالم متشابك لاتستطيع الجماعات أن تعيش فيه منعزلة ، وهو عالم يفرض نفسه بتياراته السياسية والعقائدية المختلفة على ادراكنا وهناك ايضا التيارات الانسانية الفكرية مثل "الحركة الانسانية المتحررة" التى تعمق الاحساس بالبشر كبشر بغض النظر عن أجناسهم ودياناتهم ومذاهبهم السياسية . ثم هناك النزعة الجمالية بين كتاب عصرنا هذا . التى تحاول أن تنقل الى القارىء اللون المحلى لأقطار العالم المختلفة .



هكذا كانت القاهرة اثناء احداث رواية "أود الا اموت"

وليس معنى هذا أن هذه نزعة جديدة فى الأدب ، فأدب الرحلات زاخر بمثل هذه المادة . لكنها دخلت الى مجال الفن والابداع فى الرواية فى العصر الحديث . ففى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الرواية الانجليزية تنحصر فى محاولة استكشاف الذات وتعرض المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية السائدة آنذاك . أما فى القرن العشرين فقد راحت تتخذ لنفسها خلفية أوسع فى محاولة لاستكشاف الآخرين .

ورواية "المنفى الأخير" لجيمس أولدريدج التى صدرت عن دار هاميش هاميلتون للنشر فى ١٩٦١ ليست الوحيدة فى هذا المضمار التى تتخذ من مصر منظرا لأحداثها . ولا هى الأولى التى تعالج فكرة وتتخذ من مصر مسرحا لاحداثها . فلقد سبق أولدريدج الى هذا كثيرون أمثال نيوبى وانرايت وداريل وروبرت ليدل وديزموند ستيوارت . كما أن أولدريدج قد كتب هذه الرواية كمتتالية لروايته التى تسبقها وهى "أود الا يموت" .

وتدور أحداث رواية "أود الا يموت" أثناء الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية . فى هذه الرواية يصور الكاتب أثر الحرب على نفسيات بعض الأفراد ، وتنتهى الرواية بأن يعصى بطلها "سكوت" أمرا بمهاجمة

مصطفى

فى رواية انجليزية

طرف من جيش رومل بفرقة صغيرة ليحول الانظار عن الهدف من الهجوم الرئيسى على جانب آخر من الجيش الألمانى . واذ يرى سكوت فى هذا عدم انسانية لاتبرر مقتل رجاله الذى يعلم أنه أمر محتم ، فإنه يرفض تنفيذ الأمر ، فيحاكم عسكريا وتثبت ادانته ، ويعيش بعد هذا معذب الضمير ، بالرغم من اقتناعه بأن ما فعله هو الصواب ، ويوصد هذا فى وجهه أبواب العمل فى الشركات الانجليزية والأمريكية ، فيجد ملاذه الأخير فى مصر حيث يعمل بمسح الصحراء الشرقية ورسم خرائط لها ، ويعيش معظم حياته فى الصحراء ، منفيا نفيا إختياريا ، بعيدا عن الناس والجرائد التى طاردته حتى جعلت من مجرد تفكيره فى العودة الى بلاده أمرا مستحيلا .

وتواصل رواية "المنفى الأخير" قصة سكوت . لكن الكاتب يحدد لنفسه فى هذه الرواية هدفا أوسع بكثير من مجرد مصير فرد أو أفراد فهو هنا مهتم بتصوير مصير شعب بأسره ، شعب يريد أن يحتل مكانه تحت الشمس . فالقصة كما يقول أولدريدج : "قصة شعب على وشك أن يتمخض عن حادثة معينة" .

لكن الرواية أكثر من مجرد عرض تاريخى للفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ فى حياة مصر . هذه مجرد الخلفية التاريخية التى تجرى عليها الأحداث . فليس هذا هو المستوى الوحيد الذى يدرك عليه الكاتب مغزى روايته ويبنى عليه أحداثها . فالواقع أن ما يضفى العمق على الاتساع فى هذه الرواية هو ادراك الكاتب الانسانى العميق لمشكلة اخلاقية هى مشكلة الخطأ والصواب ففى بساطة وواقعية يتميز بها أسلوب أولدريدج ، ولكن فى قوة ، يطرح هذه المشكلة فى كلماته : "أكتشف ، أن أستطعت ، ما الذى يجعل الرجال مذنبين أو أبرياء ؟ وفى رأى من هم هذا و ذاك ؟ ومن كان الملوم ؟ ولماذا كان كذلك ؟ "

وهكذا يرتفع أولدريدج على مجرد سرد تاريخى ، أو متخيل ، للأحداث . فهو يجمع فى نفسه كل الصفات التى يمكن أن تجعل من الكاتب مؤرخا : عدم التحيز ، والانفصال عن المادة التاريخية ، التصوير الصادق للحياة المصرية على اختلاف مستوياتها . لكنه بالاضافة الى هذا يطبق الفكر على المادة التاريخية الاجتماعية لكى يصل منها الى الحقائق التى ترتبط بالمشكلة الاخلاقية التى أشرنا اليها .

وينعكس هذا الاهتمام التاريخى الانسانى على الرواية كعمل فنى فلو استطعنا أن نتصور دائرتين متداخلتين لكان هذا هو شكل الرواية : الدائرة الأوسع تصور الناحية

التاريخية والاحداث التى تعاقبت على مصر بين الثورة عام ١٩٥٢ وبين أزمة السويس عام ١٩٥٦ . والدائرة الثانية يتجلى فيها اهتمام الكاتب بالمشكلة الاخلاقية الفلسفية وليس معنى هذا أن الصورة التى يرسمها الكاتب صورة جامدة ، أو أن الصلة بين الدائرتين صلة آلية . فعلى العكس تماما نرى أن حياة الأفراد وقيمهم الاخلاقية وشخصياتهم تتأثر تأثرا مباشرا بالأحداث التاريخية ، والشخصيات تستمد كيانها من تلك الأحداث لأنهم هم أنفسهم يمثلون التيارات المتضادة التى أدت الى أزمة السويس ؟! .

● تنسيق الأحداث

والواقع أننا لو حاولنا أن نجد كلمة واحدة تصف هذه الرواية فلن نجد أصدق من كلمة "ملحمة" فالرواية لها خصائص الملحمة فى الموضوع واتساع البيئة المنظرية وطريقة تنسيق الاحداث . فالاهتمام الأساسى بها لاينصب على مصائر الأفراد وانما على مصير مجموعة ضخمة جدا من البشر ، مصير شعب بأسره يكافح كفاحا وطنيا بطوليا ليحقق استقلاله وذاته وليحقق لنفسه حياة أفضل ، بل أن تصوير أولدريدج لهذا الحشد الضخم من الشخصيات من جنسيات مختلفة يساعد على تجنب تركيز الاهتمام فى شخص واحد بعينه - باستثناء سكوت الذى يمثل الجانب الاخلاقى فى الموضوع - حتى أن القارىء يتبلور فى نفسه احساس بشىء واحد ، احساس بالكتل البشرية . ويتجلى هذا فى تصويره لمعركة بورسعيد . ففى غمرة انفعالنا بالكتل المتطاحنة لاتهمنا مصائر الافراد بقدر ما يهمنا ما يتمخض عنه الموقف المشتعل ذاته .

والدائرة الخارجية شاسعة الأبعاد فليس هناك شبر واحد فى أرض مصر لم يثر فينا أولدريدج الاحساس به . ويساعد هذا على تجسيم الاحساس بضخامة العمل الفنى الملحمى الذى يصوره فالمنظر الذى يقيمه فى هذا العالم المتطاحن يمتد من سيناء الى السلوم ، ومن البحر المتوسط شمالا الى حدود مصر جنوبا . وكل شبر من أرض الصحراء مشحون بالتوتر الناتج عن الموقف التاريخى . فهو يربط اهتمامنا بالصحراء الغربية حيث يتوقع المصريون الهجوم على مصر منها ، بصحراء سيناء حيث يقع الهجوم فعلا وهو هنا يمزج الواقعية بالرمزية . فهو يستغل حقيقة أن الحرب العالمية الثانية خلفت وراءها حقول الغام منبثة فى الصحراء ، ويعطينا الاحساس بأن أى لغم من الممكن أن ينفجر فى أية لحظة ، أو بمعنى آخر الاحساس بالخطر الكامن فى الأرض .

والواقع أن القارىء يتبلور فى ضميره احساس بعاملين مهمين . عامل الزمن وعامل المسافة - فاحساسه بضخامة المنظر الذى يرسمه الكاتب ، والشعور بالتوتر الذى

مطار

فى روايــة انجليزيـة

يربطه بهذا المنظر . يتضاءل أمامهما الاحساس بالمناظر المتفرقة لنادى الجزيرة والزمالك وشبرا وغيرها من الأحياء . فكما يتضـاءل احساس القارىء بالأفـراد أمام احسـاسـه بالكتل ، يتضاءل كذلك احساسـه بالمناظر المتفرقة أمام احسـاسـه بالمساحات الشاسعة .

● عنصر التشويق

وكذلك الحال فى تصوير الاحداث فهى لاتتركز حول شخص واحد ، لكنها تنتقل بسرعة من شخص لآخر ، وقد ساعد أولدريدج على هذا تصوير الاحداث فى عدة فصول قصيرة متلاحقة . والأحداث تتحرك فى الرواية الى الأمام والخلف باستمرار .

فالكاتب يقف عند حدث معين يتركز حول أحدى الشخصيات ، ثم يحول الاهتمام الى شخصية أخرى أو مجموعة من الشخصيات ويساعد هذا على خلق عنصر التشويق فى الرواية بقدر ما يساعد على خلق توتر فنى يعيشه القارىء محاولا أن يسبق الأحداث ليرى ما يمكن أن تتمخض عنه . وطيلة الوقت تبدأ هذه الأحداث الصغيـرة والمتفرقـة بطيئـة ، ثم تستجمع سرعتها وقوتها شيئا فشيئا ، حتى تتوالى فى سرعة فائقة والقارىء متوتر مشدود الى الأحداث . مع ازدياد السرعة تسرع نبضات القلب حتى يصل بنا الكاتب الى قمة هذه الاحداث : القتال فى بورسعيد .

وبعد انتهاء الحرب تأخذ السرعة فى الهبوط تدريجيا . ويسترد القارىء انفاسه وهو يتابع آثار الحرب على مجموعة من الناس ـ المجموعة التى تمثل المشكلة الخلفية فى الرواية . وهدف الكاتب من ذلك أمران : أن يحاول الاجابة عن السؤال الخلفى الذى اثارته الأحداث ، وأن يهبط بالقارىء فى يسر من القمة التى رفعه اليها .

فحياة الشخصيات ، كما قلنا ، تستمد كيانها من الأحداث التاريخية ، والدائرة الصغرى قائمة وسط الدائرة الأوسع . وهناك فى الواقع قوتان متعارضتان فى الرواية وأن كانتا تكملان احداهما الأخرى : قوة طاردة تدفع القارىء من المركز الى المحيط الأوسع الى ان تصل الى أوجها فى تصوير الحرب ، وقوة دافعة تدفع القارىء فى يسر ، بعد أن تستنفد القوة الأولى نفسها ، نحو المركز الذى تدور حوله حياة الشخصيات . والمركز هنا هو المشكلة الاخلاقية : مشكلة الخطأ والصواب .

قسام حسون فى سعيه وراء جنسية تضمن له سلامة العيش يذهب الى حد الخيانة فيخبر بيتمان عن مطـار الجديدة الذى كان يعمل فيه مع

صديقه على ظريف الطيار المصرى ، الأمر الذى يفضى الى ضرب مطار الجديدة بالقنابل أثناء الغارات الجوية على القاهرة ومصرع على ظريف ، ويعيش سام مؤرق الضمير لأنه تسبب بخيانته فى موت صديقه . فهل كان سام على حق أو على خطأ فى هذه الخيانة ؟ وحكيم مدير المخابرات المصرية . يسعى الى صيانة الوطن من العناصر المتآمرة ، ويذهب الى حد اعتقال كل من تحوم حولهم الشبهات ويلقى بهم فى السجن . فهل كان حكيم على حق أو على خطأ فى هذا ؟ وتشيريشن الانجليزى الذى يصر على أن الواجب نحو الوطن هو الذى يحدد تصرفات الأشخاص ـ هل كان على حق أو على خطأ فى مؤامرته مع لوسى بيكرنج وغيرها ضد مصر ؟ هل كان ادراكه لمعنى الواجب ادراكا سليما أم ادراكا خاطئا ؟

وسكوت هو محور هذا السؤال بل اننا نستطيع ان نقول إنه هو نفسه هذا السؤال . فهو يعيش قلق الضمير فى الصحراء محاولا ان يدفن احساسه بالذنب ، بانه خان وطنه لانه رفض ان يزج برجاله فى موقف ميئوس منه . ورغم اقتناعه بأن ما فعله هو الصواب ، فإن إحساسه بالذنب بقى معه وهو يعيش فى الصحراء بعيدا عن الأعين والألسن . ولعل هذا هو ما يجعل منه شخصية متميزة فقدت الاحساس بالانسجام فى هذا العالم ـ انسانا لايشغله إلا سؤال واحد : هل كانت السياسة والحرب على حق أم كان هو على حق ؟ ولذلك نراه يعيش على ذكريات الحروب المريرة والجروح الدامية التى خلفتها فى نفسه ، يؤلمه انه أضطر الى قتل زميله فى الحرب لكى يخلصه من آلام حروقه ، وتؤرقه ذكرى عطية الجندى المصرى الذى قتل خطأ فى حرب الصحراء بنيران بنادق الفرقة الأفريقية ، فهل كان استخدام العنف والقسوة على حق أم على خطأ ؟ هل العسكريون مثلا أبرياء من ذنوب الحروب لأنهم ينفذون تعليمات الساسة ؟ أم أن المسئولية تقع على عاتق الساسة ، وأين يكمن حل المشكلة ؟ هل يكمن فى احساس الفرد بوطنه ووطنيته وقوميته ؟ هل يكمن فى أن يكون لكل منا جنسية يتمسك بها ويدافع عنها باسم الواجب المقدس ؟ هل أولئك الذين يضلون فى سعيهم وراء جنسية على حق فى أن يخونوا البلد الذى آواهم والاصدقاء الذين تربطهم بهم علاقات انسانية ؟ هل الدين على حق فى تقبله الحروب والعنف والبؤس والفقر على أنها جزء من هذا الوجود ؟ وأخيرا : هل هناك أمل للانسانية فى الحياة والحروب والشكوك والمخاوف تحيط بنا من كل جانب وتجعل من حياتنا جحيما ؟

وان كان سكوت يمثل السؤال فى هذه الرواية ، فإن كوارتر مين يمثل الجواب انهما يكملان احدهما الآخر بناحيتيهما العاطفية والفكرية .

مصطفى
فى رواية انجليزية

كوارترمين يرى أن مشكلة الخطأ والصواب لايمكن أن تحل فى عبارات الجنسية والعنصر والدين . فلا الجنس ولا الدين ولا اللون ولا السياسة هى التى يجب أن تحدد العلاقات البشرية ، وأنما القيم الانسانية العاطفية النبيلة التى يلمسها فى المصريين هى التى يجب أن تحددها . فالعلاقات البشرية فى رأيه يجب أن تسمو فوق السياسة والجنس والدين . وفى هذا الضوء يمكننا تفسير العلاقة التى بين سكوت وسام وعلى ظريف . هذا هو الأمل الوحيد فى حياة بعيدة من الشك والخوف والمؤامرات والعنف والبؤس .

من ذلك يتضح أن الشخصيات فى رواية أولدريدج ترمز الى أبعد من مجرد كيانها . فهو يقول فى مقدمة روايته أن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية التى يصورها ليست حقيقة واقعة بالرغم من أن مثل تلك المحاولات قد وقعت فعلا . وهذا يلقى ضوءا على أسلوب الكاتب ، اذ نتبين أن محاول الاغتيال ليست واقعا وانما هى رمز يجسم تيارات مختلفة واتجاهات متباينة . والاحداث التاريخية حقيقة واقعة ، لكن الكاتب لايصورها كمؤرخ وانما يصور فيها كل التيارات السياسية المختلفة ، وهى ترتطم بعضها بالبعض فتخلق للانسان شكا دائما ومخاوف دائمة ، وتثير العنف الذى لاينبغى أن يسود المجتمع البشرى . وسكوت وكوارترمن وحكيم وسام وهيلين شخصيات حية تتحرك وتحس وتفكر وتعمل لكنها مع ذلك لاتمثل مجرد كيانها وانما ترمز الى نفس هذه التيارات والاتجاهات .

والرواية فوق ذلك وحدة فنية متماسكة . فالكاتب لايفرض على روايته المعنى الذى نخرج به منها . المعنى يتبلور كنتيجة حتمية لتطور الأحداث . الكاتب لايوقف سيرها لكى يقول رأيه فيما يجرى ، ولكن هذا يتخذ شكل الموقف والحوار والحدث وهو لايفتعل الصدفة لكى يؤكد هذا المعنى . فبين الدائرتين فى الرواية تبدو تلك الرابطة الوثيقة : المنظر الخلفى يبرز الشخصيات فى انسجامها او فى تعارضها ، والأحداث تفرض نفسها على ادراك الشخصيات وعلى القارىء ايضا ـ لكى تخرج جميعها بتلك النتيجة التى وصلنا اليها . ومما يؤكد عدم تدخل الكاتب فى سير الأحداث هو ذلك الصدق الذى يتميز به فى سرده للتاريخ فى غير ما تعصب أو تحيز ، وانما فى فهم انسانى عميق يلمس كل البشر فى عصرنا المضطرب .

الفريد فرج روائيا

بقلم : د. رشيد العناني ـ لندن

« لألف ليلة وليلة » تاريخ عريق في استفزاز خيال الادباء شرقاوغربا والايحاء لهم بارتياد مفازات جديدة وبحار مجهولة في سبيل أستكشاف النفس البشرية وما يربطها بالعالم المحيط بها . ومن ابرز كتاب مصر المعاصرين الذين التفتوا الى التراث العربي عامة و« الف ليلة » على التخصيص الكاتب المسرحي المعروف الفريد فرج . فهو قد وجد في تلك الحكايات الشعبية منجما لاينفد يستخرج منه مادة خاما عارية عن صروف الزمان ومعالم المكان ، فيشكلها كيف شاء ويصبها صبا فنيا يحمله ما شاء من ايحاءات ومعان تتعلق بنفس الانسان ومجتمعه . وهذا الثوب الاسطوري يتيح له ان يضفي صبغة لا زمانية على عمله كما يمكنه في النقد السياسي بمنجاة من فهم الرقباء وغضب الحكام . ولعل مسرحيتيه المستوحتين من « الف ليلة »، وهما « حلاق بغداد » و « على جناح التبريزي وتابعه قفة » ، من خير ما كتب للمسرح العربي في الاعوام الثلاثين الماضية .

● وموضوع هذه المقالة هو جوهرة جديدة استخرجها الاستاذ فرج من منجمه العامر بالكنوز ، ونعني بها روايته المنشورة قبل عامين « أيام ولياليى السندياد » والتى كان يجب أن تسمى « أيام السندباد ولياليه » طبقا لقواعد العربية ، وهو ما لا يغيب عن علم كاتبنا الكبير .

وقبل أن يكذب القارىء عينيه ، نؤكد له أن بصره بخير ، وأننا حقا قد كتبنا « روايته » حيث كان يتوقع أن يقرأ « مسرحيته » ، فالاستاذ فرج قد قرر هنا الايكون دون سندباده جسارة واستخفافا بالصعاب والاخطار فكما يركب بطله البحار غير هياب ، يهجر هو بر المسرح الاليف الامن ، ويلقى بنفسه في عباب

الفريد فرج روائيا

المرواية الزاخر ، المحافل بالمهالك — فهل يا ترى يعود سالما غانما مثل السندباد ؟

الحق أننا نسمى الكتاب رواية تجاوزا ، واننا لا ندرى ان كان الكاتب قد قصد به ابتداء أن يكون كذلك ، وان كان ناشروه يسمونه « روائية » ، والله وحده العالم ما يقصدون بهذا على أى حال نستطيع أن نقرر بغير عناء كبير أن الكتاب يخلو من الحبكة ومن تطور الشخصية (واذا قلنا ذلك فقد قلنا انه ليس رواية) ، فما زالت مغامرات السندباد على ما هى عليه فى « الف ليلة » ، حكايات كل منها مكتمل ذاتيا بلا رابط عضوى ولا تسلسل منطقى حتمى تتتابع فى عفوية ولا يضيرها أن توضع فى ترتيب غير الذى وردت عليه ٠ ومازالت شخصية السندباد كما هى فى الاصل ، شخصية مسطحة تخلو من الصراع الباطنى ، ولا يمكن القول بأن الاحساس بالملل والرغبة فى الاستطلاع والمغامرة هى ضرب من الصراع ، وخاصة أن الكتاب لا يعمد الى تصوير ذلك تصويرا محسوسا ، وانما يقرره مرة تلو الاخرى قبل كل شروع للسندباد فى مغامرة جديدة كما أن شخصية السندباد لا تنمو أمام أعيننا ولا نرى رحلاته الخارقة تؤدى الى كشف خطير لجانب كان مجهولا من شخصيته بحيث ينعطف بحياته انعطافا ما كان ليقع بدونه ٠

صحيح أنه يتعلم الشىء الكثير عن طبائع البشر وعلاقات المجتمع وجلده الشخصى ؟ بل وقدرته على ازهاق الروح فى سبيل بقاء الذات ، الا أن هذا كله يبقى خارج نسيج الحدث ، لا يؤثر فى مجراه ، ولا يصل بين حلقاته التى تبقى مفككة ، شأنها فى أصلها الشعبى العريق ٠

نخلص من هذا الى أن حظ الاستاذ فرج فى مغامرته الروائية لم يكن فى وفرة حظ السندباد فى مغامراته البحرية ، وأنه من الاوفق له ولرواد مسرحه المشغوفين أن يعود الى البر مقسما — غير حانث — ألا يركب البحر مرة أخرى ٠ الا أنه يبقى أن نسأل ما الذى تضيفه معالجة الاستاذ فرج لحكاية السندباد الاصلية ،فهى حقا لا تتحول الى رواية ، ولكن تحولات أخرى تصيبها وتتركها حكاية أكثر مغزى ، وأبعد ايحاء بينما تحافظ على طابعها القصصى البسيط الذى لا ينى يبسط سحره الآسر على أخيلة الكبار والصغار عبر قرون الزمان٠ أول ما نلاحظ هو أنه يكسو هيكل الحكاية الاصلية بلحم كثير من الوقائع والتفاصيل ، فحيث اقتصر القصاص الشعبى على سرد الخارق المعجب ، يحاول الكاتب العصرى أن يزودنا بالمألوف الاعتيادى ، فيرينا السندباد زوجا وأبا وصديقا وحبيبا، وليس فقط رحالة مغامرا يطير مع الرخ ويمتطى الحيتان ويقتل الغيلان٠ وفى سبيل ذلك لا يتردد الاستاذ فرج فى أعمال مقصه فى الحكايات الاصلية حذفا واضافة ، وتطعيما



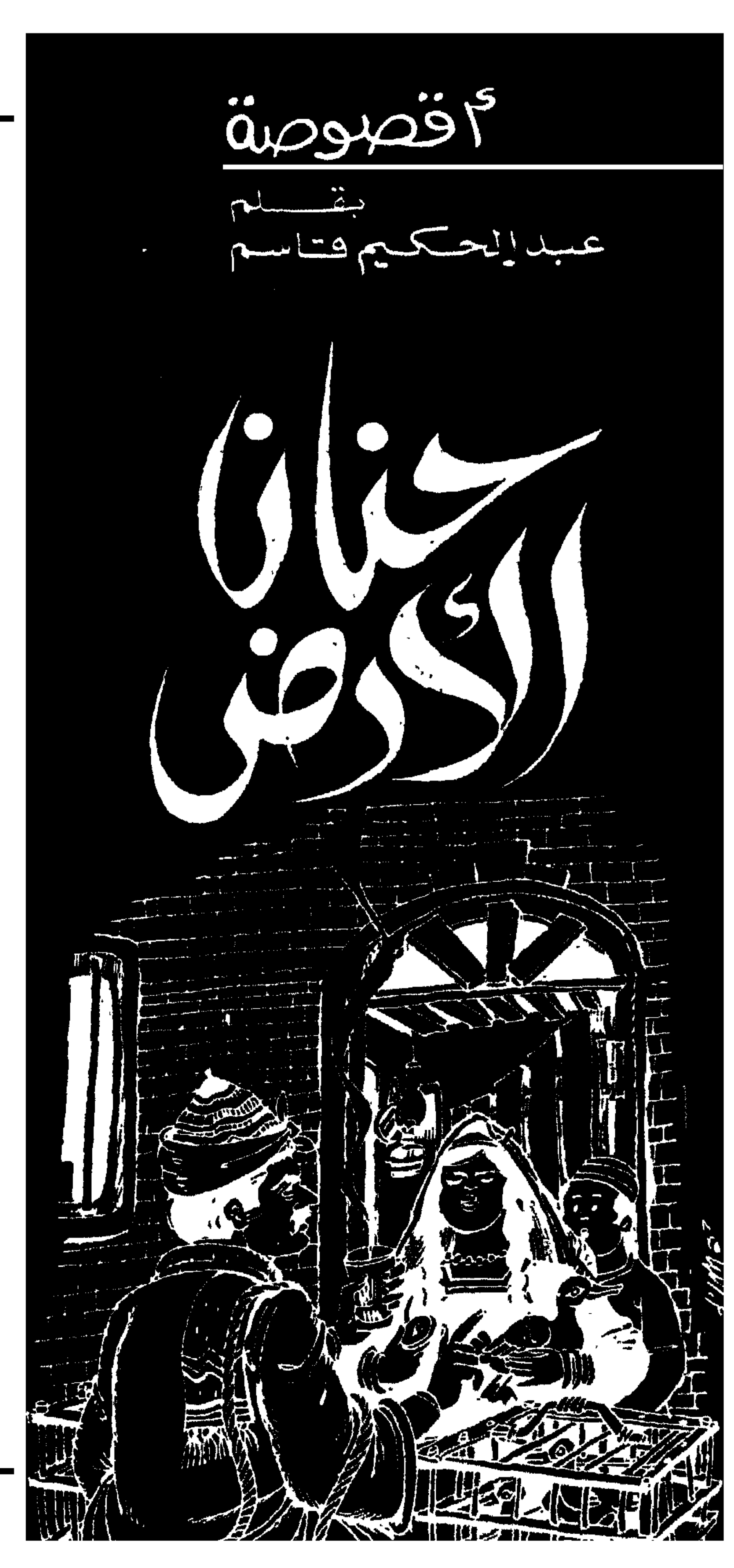
الفريد فرج

واستعارة تصل فى أبعد مداها الى شـــاعر الانجليـــز كـــولريدج وقصيدته الشهيرة « الملاح العجوز » بطائرها المنكود الذى يجلب الهلاك على البحارة سافكى دمه فى غيـــر حق . كذلك يحاول الاستاذ فرج أن يقرأ فى حكاية السندباد درســـا اجتماعيا الفناه تمام الالفـــة فى مسرحياته ، اسمع الى سندباده يلوم ذاته وتجار بغداد الاثرياء قائـــلا : « نحن نتاجر فى الجواهر والمعادن الثمينة ، والبدو يموتون من الجفاف، فهل يثير عجبنا أن تلعننا السماء .. وتتلبسنا شياطين القـــلق ؟ » ان سندباد « الف ليلة » يسلى فقط ، أما سندباد الفريد فرج فهو يعلم ويعظ اذ يسلى .

الا أنه لعل اكثر ما يميز السندباد الحديث فما يحركه هو شىء أبعـــد

القلق الوجودى الذى يوفره للحركة ما يقوله السندباد القديم فى تبرير رحلة جديدة هو « اشتاقت نفسى الى السفر والفرجة ، وتشوقت الى المتجر والمكسب والفوائد » ، أما السندباد الحديث فما يحركه هو شىء أبعـــد غورا فى ذلك وأدق على الفهم ، هو ضيق بالذات وبالكون الفاسد ، وهو رحلة تكفير عن الخطيئة وبحث عن الخلاص . فالكاتب الحديث يجعـــل لسندباده حبيبة وفية ، ولكنه يفرط فيها فى رعونة ، لكى يقضى حيـــاته تائها نادما ، يبحث عنها . وهو يجدها فى النهاية ويتزوجها وينجب منهـــا ولـــــــدا ، وبذلك تتم دورة الذنب والتكفير والغفران ، وكان يجب أن ينتهى الكتاب عند هذا الحد ، ولكن الاستاذ فرج لسبب غير واضح فنيا يجعله يخرج فى رحلة أخرى الى بلاد الصين لا تضيف شيئا جديدا . ولعل الكاتب قد صنع هذا تحت تأثير سيرة بطل الاساطير الاغريقية «أوديسيوس» الذى يجوب البحار عشرين عاما فى طريق عودته من حرب طروادة مجابها أخطارا ومهالك تشبه ما يصـــادفه السندباد ، ولكنه يبقى دائما يحدوه الامل أن يعود سالما الى زوجه وابنه .

لا شك أن الاستاذ فرج قد قصـــد الى « تحديث » حكايات الســـندباد ونفـــخ روح عصرى فى عظـــامها العتيقة ، الا أن عنـــاصر التحديث تبقى طافية على سطح العمل ، غيـــر نافذة الى أعماقه ، ولا سارية مع تياره .



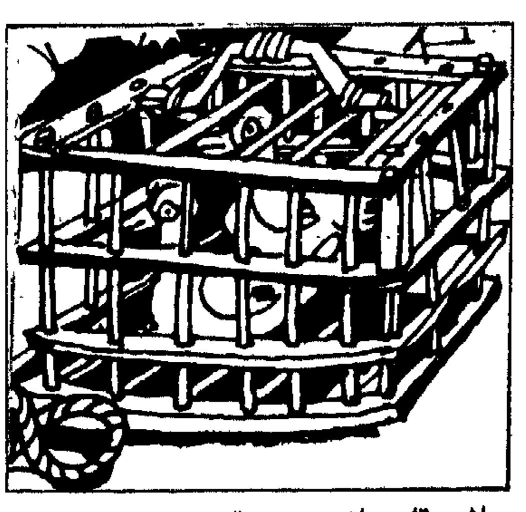
تلك هي جملة ترثرة العجوز عمتي مع بائع جواب .. رأته من مجلسها قدام بابها يمشي يحمل قفصين مربوطين بمر الرباط عبر كتفه فيحملهما واحد على صدره والاخر على ظهره ، والقفصان مليئان ببطات يصل صايهم كبطانة لنداء الرجل على بضاعته . والرجل حزين يتبدى ذلك في خطوط ظهره ، ويرن في شدوه بحسن بطاته .

زعقت عمتي عليه وجاء به الزعيق . قعد قدامها وبينهما القفصان يخرج منها بطات شاهدا على جمال رأيه في البط العجيب . رأتها بطه فانتقت خمس فرائد ثم بدات المساومة على الصفقة . ثم عنفت المساومة حتى اوشك الرجل ان يغضب ويمشي واوشكت هي ان تغضب وتترك له بطاته لكن الفصال ظاهره الغضب وباطنه التراضي فسالت ومال حتى مستقرا على الثمن المعلوم ودفعت له والبط صار بطها والمال صار حلاله . وبعد

ما استفرغت المساومة الشديدة شوقهما للكلام

نظر البائع الى عمتي فرأى في عينيها حنانا له ، وعمتي وجدت في عيني الرجل ان طراوة نسمة العصرية امام بابها تريحه ، فعزمت عليه بالشاي . قال : « نعم .. ياسلام ياستي .. طيب .. نشرب عندك الشاي .! » على ايقاع الرشفات المتباعدة ، وطعمها السكرى سأل الرجل عمتي : « يا خالة .. لماذا لا تبتنين دارا جديدة ؟ يا خالة .. دار حسنة !! » قالت له وقد شردت من الكلام الى الكلام الاخر ، وتذكرت ، واكتسى وجهها بسحب من الهم : « اه يا ولدى .. كم اشتقت لدار جديدة .. ! لكنا اشترينا سبعة قراريط ، فوضعنا المال في الارض يا خسارة .. وافكر ان ارجع ، افسخ العقد واسترد مالى ، وابتنى به دارا جديدة .. ! اه يا ولدى .. كم اشتاق لذلك ..! » لكن بائع البط فزع وصرخ ، ونهنه ، وتحدرت الدموع من عينيه بكى حدقة قال عبر شهقاته : « يا خاله .. لا تلغى عقدا اشتريت به ارضا .. لا ترجعي في كلمتك .. ضمى اليك الارض قيراطا بعد قيراطا ..اه يا خاله .. اه من حنان الارض .. انها اكثر حنانا من الام والاب .. يا سلام .. افرحي باتساع ارضك شبرا بعد شبر .. انك بذلك تفسحين نصيبك من الدنيا .. وتنالين رحمة رب السموات .. ! » .

شدهت عمتي منشدة حرقة الرجل حتى ما تبللها الا الدموع .قالت له : « اه يا ولدى ..ثم ماذا ؟! » قال لها وخطان من الدموع على خديه : « اسمعى خبرى يا خاله .. بالحق اقوله ..والله شهيد .. انا ورثنا من ابينا انا واخى ارضا ودارا ، ثم تراضيت انا وهو ، قصرا للشر على ان اترك له نصيبى في الارض والدار مقابل مال .. اه .. ثم انى لم اشتر ارضا بمالى لكنى بنيت دارا جديدة فسيحة الحجرات ، دار



بلا حقل ولا بهيمة . فاستيقظت من السكرة على دار مغلقة على وحدتي.. اه ..واطوف ببطاتي وفراريجي ثم ارجع الى بيت تصر فيه الجنادب واسمع صريرها في صمته الاسيف . اغلق على بابي ، وانا افكر في الارض .. هي كانت اكثر حنانا على من امى وابى .. اه !.. »
العمة رأته يمضى عنها بقفصيه . تأملت خطوط ظهره .. حزينة .. وتأملت اثر حديثه في قلبها ، فوجدته حزينا .. نعم .. هكذا يثيب الله بالموعظة الحسنة بقدر ما اكرم الواحد ضيفه .
وهكذا هي جملة ثرثرة عمتي مع بائع جواب

سينما بلا جذور في الريف

بقلم : مصطفى درويش



"الارض" احسن الافلام الخمسة الفاضحة للاقطاع

حقا لا أعرف كيف تذكرت رحلة قمت بها منذ حوالى عشرة أعوام بدأت فى مدن وقرى ونجوع شمال الدلتا حتى اوصلتنى الى نهاية النيل عند مشارف دمياط .

ولا اعرف لماذا تذكرت تلك الرحلة بالذات وانا اقرأ رسالة تدور حول "شخصية الفلاح فى الفيلم الروائى المصرى" كتبها الباحث "أمجد منصور سلام"، وبفضلها حصل على درجة الماجستير فى الفنون "سينما"

إذا بشاشة ذاكرتي تعود إلى تلك الرحلة حيّة بأحجامها وألوانها وكل ما التقطته عيناي . والتي ركبت مخاطرها مع المخرج الفرنسي "جان ماري ستراوب" وزوجته وملهمته "دانييل ويليه" والمصور "البير الزراكي" ، مستصحبا الثلاثة وهم يبدعون "من السماء الى المقاومة" (١٩٧٩) فيلمهم عن مصر وتاريخها على امتداد قرن ونصف من عمر زمن بدأ بالغزو الفرنسي لها ايام بونابرت وانتهى بالعدوان الفرنسي ، او في قول اصح العدوان الثلاثي ايام عبد الناصر قبل ثلاثين عاما أو يزيد (١٩٥٦) .

● جنات عدن

وهاأنذا أعود فابصر قبل دمياط بقليل سدا عاليا من طين يقف حاميا لمياه نيل عذب فرات سائغ شرابه من الفقدان والذوبان في بحر ملح اجاج .

وانبهر به وقد تحول بسحر ساحر الى طريق اشبه بالبستان ، يزدان على الجانبين بثمار اشجار تجرى من تحتها الانهار .

واقف بين احضان هذا الفردوس المفقود حالما حائرا .

ثم اتساءل مفكرا مستنكرا كيف لم اسمع بهذا النعيم المقيم الا من اغراب .

كيف لم يتح لى احد من صانعى الافلام عندنا فرصة ان المحها ولو اطيافا على أية شاشة صغيرة كانت ام كبيرة .

كل ذلك مر بمخيلتي مجسما وانا اغوص متأملا كاظما الغيظ فيما جاء برسالة "امجد سلام" ضمن بيانات واحصائيات حول الافلام التي تحمل اصحابها عناء السفر بعيدا عن القاهرة ابتغاء تصوير مشاهدها في الريف .

● السقوط .. لماذا ؟

فلقد اكتشفت بفضل تلك الرسالة ان عدد الافلام التي تعرض للحياة في الريف آخذ في التضاؤل على مر الايام .

فمثلا من بين خمسة عشر فيلما روائيا قامت السينما المصرية بانتاجها خلال الاعوام الخمسة الاولى الصامتة من حياتها (١٩٣٢/٢٧) ، كان حظ الاعمال السينمائية منها التي جرى تصويرها في الريف اربعة افلام "ليلى" ، "سعاد الغجرية" ، "زينب" و"تحت ضوء القمر" ، وهو حظ كبير ما في ذلك شك .

غير انه ما ان تعلمت السينما المصرية الكلام حتى هبط عدد تلك الافلام الريفية .

فاذا بها لا تزيد على ثلاثة افلام من بين مائة وخمسين فيلما جرى انتاجها من بدء النطق (١٩٣٢) حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) .

ويزداد هبوط تلك الافلام بشكل ملحوظ خلال الفترة الواقعة فيما بين التاريخ الأخير وبين ثورة الضباط الأحرار (١٩٥٢/٧/٢٣) ، حتى اننا اذا ما بحثنا عن الريف داخل الركام الهائل من الافلام التي وصل عددها الى اربعمائة فيلم ، لما وجدناه بعد جهد جهيد الا في أربعة افلام لا تزيد .

لعل اهمها "ابن النيل" لصاحبه "يوسف شاهين" (١٩٥١) . و"زينب" بالالوان للمخرج "محمد كريم" (١٩٥٢) .

● نهضة .. فنكسة

اما في عهد الثورة ، فقد زادت نسبة افلام الريف الى مجموع الافلام التي جرى انتاجها خلال الاعوام العشرة الأولى

سينما بلا جذور في الريف

من عمرها وعددها ٥٢٨ فيلما .. زادت قليلا بحيث ارتفعت الى سبعة افلام يدخل فى عدادها "صراع فى الوادى" (١٩٥٤) لصاحبه "يوسف شاهين" وهو فيلم له فضل السبق فى الكشف عن مخازى الاقطاع ابان العهد الملكى البائد .

و"دعاء الكروان" و"حسن ونعيمة" (١٩٥٩) وكلاهما للمخرج "هنرى بركات" .

هذا ويناقش اولهما مفهوم الشرف حسبما تمليه تقاليد البيئة فى الارياف .

اما الفيلم الثانى فمستلهم من مأثور الابداعات الشعبية .

و "لصراع الابطال" رائعة "توفيق صالح" مكانة فريدة عند صاحب الرسالة تميزها عن اهم افلام الاعوام الأولى للثورة ، وذلك لسببين :

اولهما تعمقها شخصية الفلاح ورسمها بمراعاة واقع حياتها كما هى مستبدا بها الفقر والجهل والمرض .

وثانيهما تقديمها البطل على وجه غير مألوف فى السينما المصرية اذ صورته مناضلا ضد هؤلاء الاعداء الثلاثة الآخذين بخناق الكادحين فى الأرض .

● العام والخاص

ومما يلفت النظر على هدى رسالة "سلام" ان حقبة ما بعد انشاء القطاع العام السينمائى (١٩٦٣) - هى الحقبة الوحيدة التى انتعشت فيها سينما الريف بحيث ارتفع عدد أفلامها الى اربعة عشر من بين اربعمائة فيلم .

عزت العلايلى .. ومحمود المليجى .. نموت من اجل "الارض"



وهنا قد يكون من المفيد ان نذكر ـ ان نفعت الذكرى ـ ان القطاع الخاص لم يكن له من بين تلك الافلام الاربعة عشر سوى فيلم واحد يتيم "أدهم الشرقاوى" .

وفى رأى صاحب الرسالة ان احسن افلام القطاع العام هى "الحرام" (١٩٦٥) للمخرج "بركات" و"الزوجة الثانية" (١٩٦٧) لصاحبه "صلاح ابو سيف" و"الأرض" (١٩٧١) لصاحبه "يوسف شاهين" .

الاول لانه عرض ولأول مرة فى تاريخ السينما المصرية شريحة عمال التراحيل .

والثانى لانه انتقد تحكم عمد القرى فى اقدار الفلاحين .

والاخير لانه مجد الرباط الذى يصل الفلاح بالأرض .

● عودة القديم

فاذا ما تغيرت الاحوال بفعل زلزال الهزيمة بحيث اصبح للانفتاحيين يد عليا وكلمة مسموعة .

ورأت الدولة التخلى عن دورها فى دعم قطاع عام السينما .

اذا ما حدث هذا ، وجدنا صناعة السينما تعود سيرتها الأولى ، فترتد الى صناعة افلام منبتة الصلة بالواقع ، وتهمل الريف اهمالا يكاد يكون تاما ، حتى انه لم ينتج من الافلام التى عرضت للريف عرضا هينا لينا الا احد عشر فيلما على امتداد سبعة عشر عاما .

واذا ما قارنا هذا العدد الجد قليل بالكم الهائل من الافلام التى ارتفع عددها مع نهاية عام ١٩٨٧ الى ما يقرب من سبعمائة وخمسين فيلما .

لتبين لنا على وجه لا يقبل الجدال ان افلام الريف فى حالة انحسار .

والأخطر من ذلك انه ولئن كانت احداثها فى كلها او بعضها تجرى فى الريف . الا انه يغلب على تلك الاحداث الزيف والافتعال .

فضلا عن انها جميعا ، وبلا استثناء ، آثرت الابتعاد عن تناول المشاكل التى تواجه فلّاحِى الأرض والتحديات التى تضطرب بها حياتهم بياض الايام وسواد الليالى .

● عمر ضائع

هذا هو حال الريف مع السينما فى مصر على امتداد عمرها الذى جاوز الستين عاما .

وهو حال لا يبعث على الاطمئنان والرضا .

إذ كيف نطمئن ونرضى وسينما الريف لم تحظ من مجموع الافلام التى انتجتها السينما المصرية ابان عمرها المديد وعددها جاوز الفين وثلاثمائة فيلم ، لم تحظ الا بثلاثة واربعين فيلما اى بنسبة لا تتجاوز اثنين فى المائة وبمتوسط اقل من فيلم لكل عام

هذا فضلا عن ان هذه الافلام القليلة قد جرى انتاجها جميعا وخلال خمسة وعشرين عاما ، مما يعنى انه قد مضى من عمر السينما حوالى خمسة وثلاثين عاما دون انتاج فيلم واحد يعرض للريف من قريب او بعيد .

وفوق هذا ، كيف نطمئن ونرضى اذا كانت جميعا افلاما معاقة ، وذلك فيما عدا خمسة افلام لا غير هى التى مارست الشغب والضوضاء بمحاولة القيام بفضح الاقطاع بوصفه العدو الرئيسى المتسبب فى تخلف الريف ، وانهيار مستوى الفلاح .



رأى فى الثقافة

الذوق فى الكتب

أكاد أموت غيظا مما وصل إليه حال الكتاب فى مصر.

وهذه الهواية التى تجعل الحياة ممكنة تتحول بمجرد التعامل مع هذه "الأشياء" التى يصدرها لنا أغلب الناشرين المصريين، بدعوى أنها كتب، تتحول إلى مصدر للنكد، والقهر، والغيظ الشديد.

أولا : تدفع فى "الكتاب" الشيء الفلانى، وبمجرد إمساكه تصاب بتلوث فى يديك، أعتقد أنه من الممكن أن يصيبك بتلوث "ذوقى" وعقلى أيضا، فالحبر يلطخ يديك، والتصحيح يلطخ ذوقك.

ثانيا : تفتح الكتاب لتعرف شيئا عن السيد "المؤلف" وأعماله الأخرى، هل هو شاب، أم شيخ، حى أم ميت، فلا تجد، وكأنه من المفروض أن يعرف القارىء كل المؤلفين حتى ولو كانوا ينشرون كتبا للمرة الأولى.

ثالثا : ما أن تمضى فى القراءة حتى تصاب "بتلبك قرائى" من كثرة الأخطاء المطبعية، والنحوية، والإملائية، وتضارب أشكال الحروف، والعناوين، والخطوط، ثم تفاجأ بانقطاع السياق، لأن الصفحة الخامسة قفزت بعد الصفحة الثلاثين، والسادسة بيضاء كاللبن، والسابعة تبدأ من تحت، ثم، وما أن "تقلب" الصفحة التالية حتى تنفلت الأخريات من بين يديك.

طبعا، لا أتكلم هنا عن جودة الورق، أو حتى جودة الطباعة، فأجدادنا فى هذا البلد كانوا يطبعون على ورق أصفر، وبحروف الجمع اليدوى، لكنهم كانوا حقا أصحاب ذوق، يخرجون لنا كتبا تجعل القراءة متعة، بعكس أحفادهم الذين يحولون القراءة إلى نكد.

إنه ليس مجرد غش تجارى، بل هو تخلف كامل العناصر.

سبحان القادر الخلاق.

عبده جبير



أى فى الثقافة

حرية الابداع فى ندوة لفؤاد زكريا



د. فؤاد زكريا

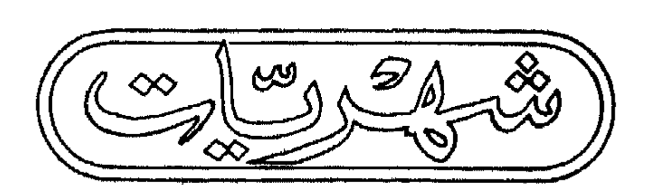
اقامت لجنة نادى الادب بنقابة الصحفيين ندوة للمفكر الكبير الدكتور فؤاد زكريا عرض فيها لقضية "حرية الإبداع" فى مصر وأكد على أن النشاط الإبداعى العام يعانى من ثلاث مشكلات تقف أمامه وعلينا أن نتكاتف جميعا من أجل إزالتها من طريقه حتى ينمو ويزدهر ويتحقق .

هذه المشكلات يمكن صياغتها على هيئة محرمات ، سياسية ، ودينية ، وجنسية .

قال الدكتور زكريا بخصوص المحرمات السياسية بأن الوضع العام يشى بأن هناك حرية فى هذا المجال ، لكنه أشار إلى انها حرية القول ، والمطلوب الآن التقدم إلى حرية الفعل .

وبخصوص التحريمات الدينية قال الدكتور زكريا بأن الساحة مفتوحة أمام التيارات الرجعية التى أعطت لنفسها حق أن تكون الحكم والمنفذ للحكم ، وحتى دون قبول دفاع المحكوم عليه ، وأشار إلى جماعات المتطرفة التى كفرت المبدعين (وعلى رأسهم نجيب محفوظ) واعتدت على المسارح وما تمارسه من اعتداءات على الجماعات الفنية ببعض الجامعات ، بالإضافة إلى ما ينشرونه من كتب تدعو إلى الجاهلية ، وتهاجم أصحاب الفكر المستنير ، كما أشار فى هذا الصدد إلى ضرورة أن تكون المساحة المخصصة للفكر المستنير من أجهزة الإعلام المصرية ، على الأقل متساوية مع المساحة المخصصة لأصحاب الفكر الرجعى .

اما بالنسبة للمحرمات الجنسية فقد اكد على مظاهرها التى يعيشها المجتمع تؤكد على حقيقة انها أضحت الشغل الاكبر للشباب ، وأن انتشار الأفكار الداعية إلى عودة المرأة للبيت لا تتعامل معها باعتبارها إنسانا كاملا ، بل باعتبارها عورة يجب إخفاؤها ، كما أكد الدكتور زكريا على أن هذه العقبات الثلاث بلا شك تؤثر على عطاء المبدعين من جميع التخصصات ، وأنه بدون إزالتها لا يمكن التنبؤ بما يحمله المستقبل للإبداع والمبدعين .



رأى فى الثقافة

واقع العالم العربى فى ندوة بأسبانيا

"العالم العربى : ظاهر الأزمة وإعادة البناء" هو عنوان الندوة الدولية التى نظمتها جامعة مدريد المركزية واستمرت طوال خمسة أيام ما بين ١٤ إلى ١٨ اغسطس الماضى بمشاركة أساتذة متخصصين فى قضايا العالم العربى من الأسبان والفرنسيين والإيطاليين والبلجيك ، بالإضافة إلى مشاركين من مصر والكويت وفلسطين .

أشرف على إدارة الندوة المستعرب المعروف بدرو مارتينيث مونتابيث الاستاذ بقسم الدراسات العربية والإسلامية ، والمستعربة كارمن رويث برابو التى قدمت المحاضرة الأولى تحت عنوان "كارمن رويث برابو" . تلتها محاضرة للراهب لوثيانو روبيو عن "المخطوطات العربية فى دير الأوسكوريال" ومحاضرة عن "الأشكال الشعبية للفن فى الثقافة العربية" للدكتور احمد على مرسى مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، كما عرض الدكتور بشارة خضر « مدير مركز دراسات وابحاث العالم العربى (جامعة لوفان ـ بلچيكا) لموضوع "العالم العربى على مشارف عام



بطاقة بريدية أعدها خصيصا للندوة الشاعر الرسام رفائيل البيرتى

د . كارمن رويث . د . بدرومونتابيث





رأى فى الثقافة

٢٠٠٠ » أعقبه الدكتور محمد الرميحى رئيس تحرير مجلة العربى بمحاضرة عن "التحديات الأساسية أمام المجتمع العربى مظاهر أزمة وإعادة البناء" اما المحاضرة الأخيرة فكانت للمستعرب الأسبانى الكبير فيديريكو كورينتس (مؤلف القاموسين الوحيدين ـ اسبانى /عربى ـ عربى / أسبانى) وجاءت تحت عنوان "عوامل الوحدة والإقتران فى اللغة العربية" .

وقد دارت مناقشات حية وساخنة حول آراء المحاضرين وتابعتها وسائل الإعلام الأسبانية بشكل احتفالى ، وتكلفت الندوة ثمانية ملايين دولار .

● مدريد ـ خالد سالم

لا يادكتور القياس فاسد !

تصادف ان تصفحت إحدى المجلات الاسبوعية .

وأكثر ما ادهشنى مقال للدكتور عبد العظيم رمضان تحت عنوان "الأمية السياسية فى المركز القومى للسينما"

وفى الحق فانا لم انتبه الى المقال الا لأنه عن السينما .

وحسب علمى ـ وما أوتيت من العلم



د. عصمت عبد المجيد



د. بطرس غالى

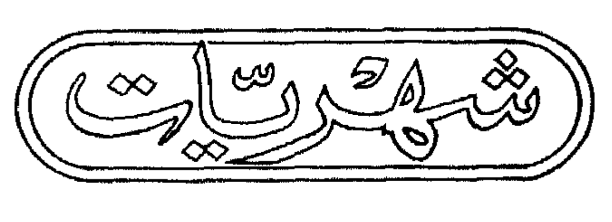
الا قليلا ـ فان الفن السابع ليس من اهتمامات الدكتور الفاضل .

وتساءلت لعله اهتم به من زاوية التاريخ .

لعله يعيب على المركز القومى للسينما عدم قيامه بتسجيل أهم الاحداث السياسية التى امتحن بها الوطن على امتداد ثلاثين عاما .

أو لعله يأخذ على المركز المذكور تقصيره فى الحفاظ على ما سجل سينمائيا لأهم الأحداث فى ظل عهد الملكية والاستعمار ، لاسيما فيلم رائد السينما المصرية "محمود بيومى" ذلك الفيلم الفريد الذى نجح فى تخليد عودة الزعيم "سعد باشا زغلول" من المنفى واستقبال الجماهير له بشكل منقطع النظير .

وعلى كل ، فقد اثارت هذه التساؤلات حب استطلاعى .



رأى فى الثقافة

وكان ان اندفعت مشغوفا الى قراءة مقال الكاتب (الكبير) .

ولكن سرعان ما خاب املى عندما وجدتنى امام حديث غاضب منبت الصلة عن السينما .

وعندما تبين لى أن صاحبه ليس غاضبا لما ظننته سببا لمحاسبة المركز . وإنما لسبب آخر هو أن شاشة ذاكرة المركز قد انمحت منها حرب اكتوبر ومعركة العبور ومفاوضات الكيلو ١٠١ واتفاقيات فض الاشتباك وما اعقب ذلك من انجازات كثيرة انتهت بتحرير كامل الأرض المصرية وانتهاء الخصومة المصرية الاسرائيلية .

والأدلة عند الكاتب الكبير على فقدان المركز ذاكرة تلك الانجازات هى :

أولا قيام رئيسه باحالة المخرجة "منى جمال الدين" الى النيابة الادارية للتحقيق معها فيما هو منسوب اليها من انها سافرت الى اسرائيل حيث اشتركت فى مهرجان اورشليم السينمائى بفيلم من انتاج المركز دون اذن لها بذلك .

هذا إلى إدلائها بأحاديث الى اذاعة اسرائيل .

ثانيا اجتماع اللجنة النقابية بالمركز ـ قبل انتهاء التحقيق ـ واتخاذها قرارا بالاجماع بشطب عضويتها من النقابة .

فضلا عن قيام التسجيليين بالمركز ـ على مختلف تخصصاتهم الفنية ـ بإصدار قرار بعدم التعاون معها .

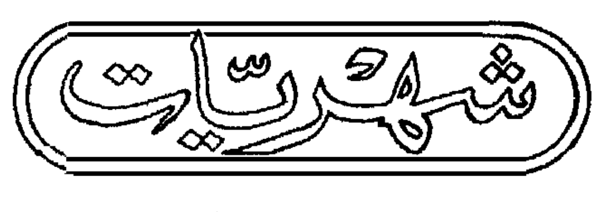
واخيرا تجميد النشاط الفنى الذى كانت تمارسه بالمركز ، وذلك الى حين استكمال عناصر المخالفات الموجهة اليها بمعرفة جهات التحقيق .

ولن أناقش تفصيلا الاتهامات الموجهة الى المخرجة المذنبة ، فذلك شىء يطول .

كما لن اناقش حقها فى السفر الى اسرائيل سائحة تستمع بما حققته الصهيونية على أرض الميعاد من انجازات بينها ولاشك تشريد سكان البلاد الاصليين بهدم القرى وحبس المياه (روح الحياة) ، والقاء القبض على الصغار والكبار واستباحة دماء عرب فلسطين ، وازهاق ارواحهم بغير حساب .

لن اناقش هذا الحق ، وذلك لأنه ليس لى ان اناقشه ، بعد أن اصبح من حق كل مواطن السفر برا وبحرا وجوا الى اسرائيل من قطاع غزة جنوبا الى هضبة الجولان شمالا ، ومن النهر الى البحر مرورا بالقدس الشرقية والغربية او "أورشليم الموحدة" عاصمة أرض اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل .

وانما اكتفى بمناقشة قول صاحب الحديث ان ما قامت به المخرجة المذنبة هو ما يقوم به رجال الدولة



رأى فى الثقافة

والحكم فى مصر .

فوفقا لرأى الكاتب الكبير عضو مجلس الشورى ، ليس ثمة فارق بين زيارة المخرجة محل الاتهام وبين زيارة قام بها الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للعلاقات الخارجية الى اسرائيل قبل شهرين ، وبالتحديد فى الحادى عشر من يولية لعام ١٩٨٩ .

واخرى قام بها الدكتور عصمت عبد المجيد وزير الخارجية الى اسرائيل قبل عامين أو يزيد .

واذا كان الوزيران لم يعاقبا ، فلماذا يوجه الاتهام الى مواطنة ضعيفة عن فعلة مماثلة لما فعله المسئولان الكبيران ؛ الا وهى زيارة اسرائيل ؟

وأعتقد أن هذا القياس بين زيارة المخرجة المذنبة وبين زيارتى الوزيرين ، انما هو نوع من القياس الفاسد .

فالوزيران لم يذهبا الى اسرائيل خلسة وبالغش والخداع لمجلس الوزراء .

وانما ذهبا اليها بعلم هذا المجلس ، وبعد موافقة رئاستهما صانعة القرار .

والاكيد انهما لم يبتغيا من الزيارة المتعة والبحث عن الذات .

وإنما كانا مكلفين بمهمة شاقة هى التفاوض مع ممثلى دولة شرسة تجنح فى سياستها الى التوسع والعدوان ، وداخل حدود مرسومة لهما عنها لا يحيدان .

والأكيد .. الأكيد أنهما ما أن عادا الى أرض الوطن ؛ حتى بادرا الى اعلام الجهات العليا بنتائج تلك المفاوضات إن ايجابا أو سلبا .

اين هذا كله من موظفة صغيرة تتوجه دون علم الجهة الرئاسية التابعة لها الى اسرائيل حيث تشترك بفيلم لا تملكه فى مهرجان سينمائى بأورشليم ؟

وبعد ، فلعلى لست مغاليا اذا ما خلصت الى القول بأن الكاتب الكبير قد خانه التوفيق عندما قاس زيارتين رسميتين تمتا فى العلن تحقيقا للصالح العام ، على زيارة تمت فى الظلام ، لا لشىء سوى ابتغاء تحقيق مكسب شخصى عاجل .

وأغلب الظن انها تمت بالمخالفة للتعليمات ، وبالاهدار للقوانين المنظمة لعلاقة الموظف بجهة العمل .

ولست اشك ان الكاتب الكبير بمساواته المشروع بالممنوع ، قد غبن الوزيرين بأن حرمهما زورا وظلما وبهتانا من فضيلة الامتياز بالالتزام .

● ربيع شنقا



مكتبة الهلال

الكتاب :
المناورات الخفية
تأليف
راجى عنايت
الناشر :
دار الشروق - ٢٧٨ ص . ٥ ج م .

فى البيت ، فى العمل فى الطريق ، فى الحب والزواج ومع الأبناء ، نعيش جميعا ونمارس هذه المناورات الخفية التى يعرض لها هذا الكتاب .

فأنت حين "تتطلع حولك فى محيط الأسرة أو العمل ، أو غير ذلك من مجالات الاحتكاك الاجتماعى ستجد العديد من للتصرفات غير المبررة أو المنطقية ، التى تصدر عن أشخاص يفترض فيهم النضج والقدرة على الالتزام بالسلوك السليم ، وإن كنت على قدر أكبر من الأمانة مع النفس ستكتشف أن بعض

المناورات الخفية

تصرفاتك أنت ، فى مواقف معينة ومع أشخاص معينين ، تبدو لك غريبة ، وكأنها صادرة من شخص آخر .

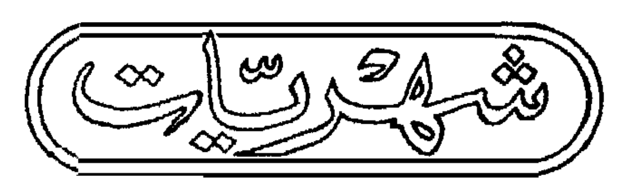
ستكتشف - كما يقول مؤلف الكتاب - أن كل تعامل بين البشر ، يكون له معناه الخفى المستور ، الذى يتناقض مع معناه الظاهر للجميع ، وأن البشر يقيمون القدر الأعظم من علاقاتهم ، على أساس مجموعة من السيناريوهات السرية ، أو التعاقدات الضمنية غير المعلنة ، وأنت حين تقرأ هذا الكتاب ستتعرف مدى الخطورة التى تقود إليها هذه المناورات ، والطرق التى تقود إلى علاقات بشرية أمينة صريحة .

الكتاب :
اصيلة .. اصيلة
تأليف :
شاكر نورى
الناشر :
دار الحوار - باريس
٨٢ ص . ٢٠ ف ف .

يبدو أن الصحفى العراقى "شاكر نورى" قد وقع فى حب هذه المدينة المغربية الفاتنة من أول نظرة .

فلا أحد يكتب كتابا كاملا بهذه الطريقة إلا إذا كان عاشقا ولهانا غارقا حتى أذنيه فى هذا الحب المجنون .

فهذا ليس كتابا عن تاريخ المدينة ، ولا عن تحولاتها الاجتماعية ، بل هو قول شعرى يتغزل فى



مكتبة الهلال



جنباتها ، فى عينيها وشفتيها ، فى قوامها المياس وخدها الأسيل ، فى روحها الساحرة وطلعتها البهية .

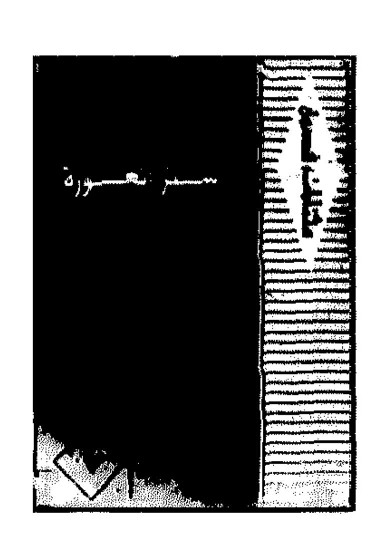
هاهو إذن "عاشق ينتظر . أصوات الديسكو تتعالى . توقظ النائمين القريبين من هذا المنبع الصوتى ، المساء بخموله الآتى يدعو إلى الرقص .. الصوت يتضخم ، لكن البحر يمتصه كما تمتص قطعة إسفنج قطرات ماء مبعثرة على طاولة ..

ويضيف العاشق : هاهو ذا الأسبانى العجوز ينفجر "بقهقهة مدوية متضرعا إلى البحر . هاهى أصيلة تتراقص عبر البحر من خلال نافذة مطعمه الصغيرة ، ها هو يبحث عن الاستقرار بين المدن منذ قرون . يتساءل فى نفسه ماذا تريد من أصيلة ؟..

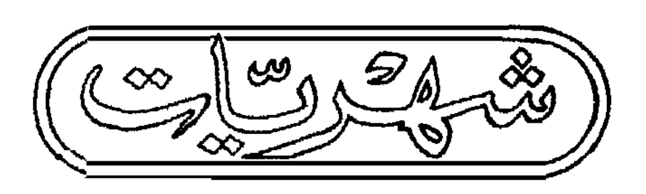
بالفعل هذا هو السؤال الذى تطرحه عليك هذه المدينة الجميلة ، فى جميع فصولها ، فى شتائها وفى خريفها وربيعها وفى صيفها الذى يتحول إلى مهرجان فنى كل عام .

ألم نقل أنه ليس كتابا عن مدينة ؟ بل عن فاتنة ساحرة .

الكتاب :
ستر العورة
تأليف :
سعيد الكفراوى
الناشر :
مختارات فصول - القاهرة
١٥٢ ص ، ٥٠ ق . م



بعد مجموعته الأولى "مدينة الموت الجميل هاهو الكاتب الشاب سعيد الكفراوى يخرج علينا بمجموعته الثانية التى تضم ثمانى قصص قصيرة كتبها فى فترات متلاحقة طوال عدة سنوات مضت وفيها نجد سردا متلاحقا حتى لكأنك تقرأ عملا واحدا بعناوين متعددة ، لكنه يتتالى فى حلقات دائرية ، نجد عوالمه خلالها تحاول استبطان الأسطورة التى صاغها بعقله هو ، حتى لتحتار هل هناك أسطورة بهذا الشكل ، أم أن المؤلف أراد أن يسرقك من وعيك ليدخلك إلى البيوت حيث تجد هذه العوالم منسوجة



مكتبة الهلال

من رؤيا الطفولة ، ورؤيا الحلم المستمد من عناصر الواقع المعاش من الريف المصرى الذى يقدمه هنا بأحزانه وأفراحه ، بألوانه المتداخلة وأشكاله المتماوجة ، حتى أنك بعد القراءة تعود لتسأل : هل يمكن أن يكون هناك عالم بهذه الطريقة ؟.

الكفراوى واحد من الكتاب المصريين الجادين الذين يحاولون تجريب الأشكال الفنية المتعددة ليثروا بها حياتنا الأدبية وهو كاتب واعد يبشر بالكثير .

● ● ●

الكتاب :
دم اسود
تاليف :
تشيكايا اوتامس
ترجمة :
شربل داغر
الناشر :
جمعية المحيط الثقافية
(المغرب)

دم اسود

مختارات شعرية

"تشيكايا أوتامس" شاعر أفريقى من الكونغو يكتب بالفرنسية وكان أحد المؤسسين والمشاركين الأساسيين لموسم أصيلة الثقافى بالمغرب ، توفى فى العام الماضى ، وخلدته جمعية المحيط الثقافية بإطلاق اسمه على جائزة شعرية تمنح لشاعر أفريقى مرة كل عام .

يضم هذا الكتاب مختارات من أشعاره قام بترجمتها الشاعر اللبنانى والكاتب شربل داغر الذى ارتبط مع أوتامس بصداقة متينة جعلته قريبا من حياته ومن شعره الأمر الذى مكنه من أن يكون الأفضل للقيام بهذه المهمة التى أطلعتنا على نتاج شاعر موهوب وقد لم يعرفه أبناء العربية من قبل إلا عبر أخبار متناثرة هنا وهناك .

من أجوائه الشعريه :

أعمى بعينين مفترقتين
جالس على السور
يقلب دفتر الماء
ويصغى
أهى الرياح تملى رسائلها
أم أن الشبابيك أرخت فراشات الضوء ؟

مسابقة الهلال للقصة القصيرة

■ فن الابداع فى بلادنا بخير ..
هذا هو الانطباع الذى أحسته أسرة الهلال منذ أول سبتمبر الماضى . فقد توافد على المجلة الكثير من الشباب حاملين إبداعهم الجديد يريدون الالتقاء مباشرة بإدارة المجلة لتقديم قصصهم القصيرة الجديدة من أجل الاشتراك فى مسابقة الهلال للقصة القصيرة ..

■ لايزال هناك متسع من الوقت للاشتراك فى المسابقة حتى ١٥ نوفمبر ١٩٨٩

■ أمام الفائزين : ٣٠٠ جنيه للفائز الأول ، ٢٠٠ جنيه للفائز الثانى ، ١٠٠ جنيه للفائز الثالث . بالاضافة الى جوائز عديدة للفائزين من الرابع حتى العاشر .

■ تتشكل لجنة التحكيم من السادة : الدكتور شكرى عياد رئيساً ، الدكتور أمين العيوطى والأديب سليمان فياض .

■ ارسل قصتك القصيرة على الآلة الكاتبة من نسختين . ويمكنك الاشتراك بأكثر من قصة . ارفق كوبون المسابقة بكل اقصوصة .

الكوبون

اسم المتسابق : ....

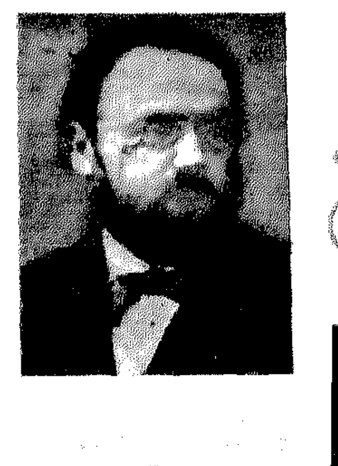
العنــــــوان : ....

اســم القصــة : ....

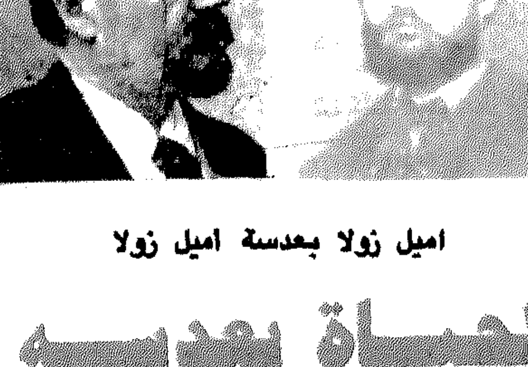
رقــم مسلسل : ....

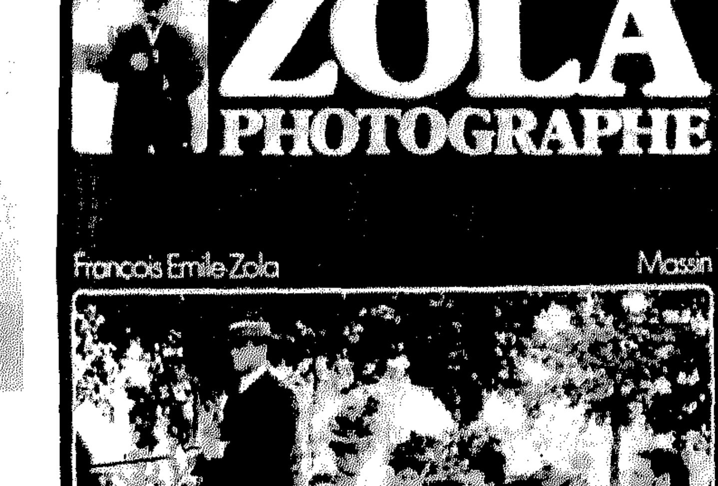
(خاص باللجنة)





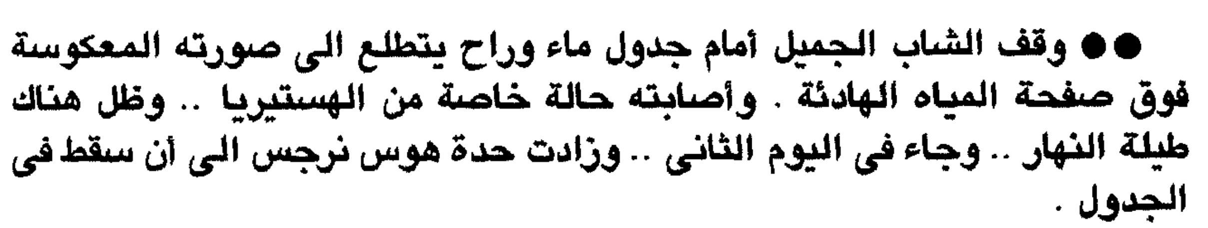






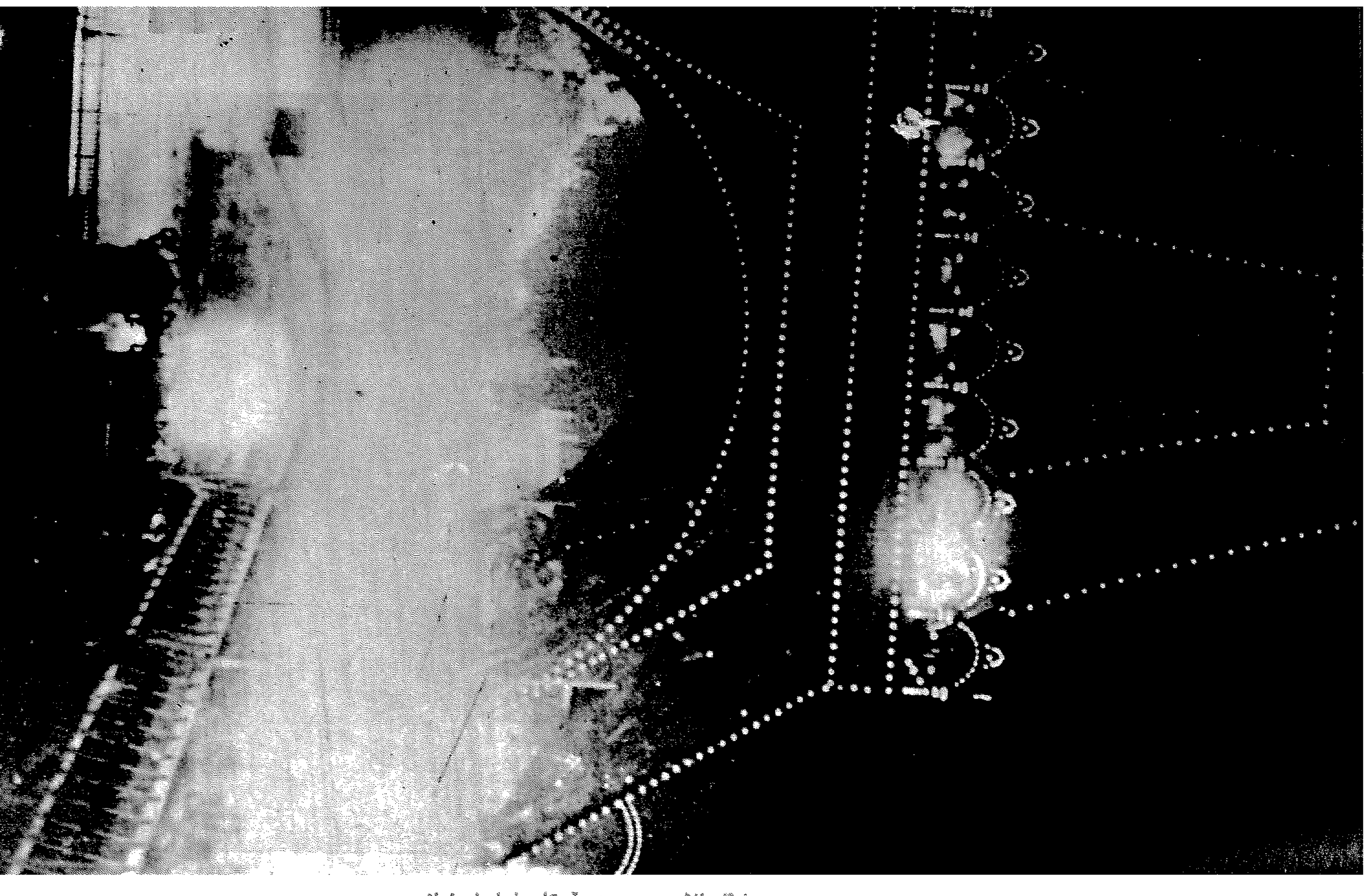
اميل زولا بعدسة اميل زولا

الحياة بعدسه الروائى إميل زولا



●● وقف الشاب الجميل أمام جدول ماء وراح يتطلع الى صورته المعكوسة فوق صفحة المياه الهادئة . وأصابته حالة خاصة من الهستيريا .. وظل هناك طيلة النهار .. وجاء فى اليوم الثانى .. وزادت حدة هوس نرجس الى أن سقط فى الجدول .

وعندما اكتشف الانسان المرآة كرر حكاية نرجس .. لكنه لم يغرق بداخلها .. بل احس بالمتعة أن يرى ملامحه الشخصية وجها لوجه وهى تتحرك كما يشاء .. كان قد تعلم الا يغرق مثل الشاب الجميل نرجس .. لكنه لم يفقد ابدا إعجابه بنفسه وبذاته .



برج ايفل الشهير .. بعدسة كاميرا اميل زولا

● وعندما اخترع الانسان الكاميرا .. كان الفنان هو اول من استعملها .. فراح يقف امامها تارة وخلفها تارة اخرى .. واذا كانت الكاميرا قد ساعدت على تجسيد فن الكلمة بعد اختراع الصور المتحركة والسينما بصفة خاصة ، فإن للتصوير بالكاميرا سحرا خاصا يجذب الانسان بصفة عامة والكاتب بشكل خاص .

وقد عرف تاريخ الادب ـ خلال المائة عام الأخيرة ـ أدباء عشقوا القلم والكاميرا بنفس الدرجة . ولكن الكثير من الصور التى التقطها بعضهم قد ضاعت مع الزمن . بينما بقيت كتاباتهم اكثر خلودا من صورهم . وكان فيكتور هيجو هو اول الأدباء الذين استعملوا الكاميرا فى منتصف القرن الماضى . وفى نفس السنوات برع فى التصوير كل من نرفال ورامبو . الا أن ماكسيم دوكا قد احترف هذه المهنة بشكل جعل صوره اكثر شهرة من رواياته .

وقد جاء دوكا الى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر من اجل تصوير النوبة والاثار المصرية .. ثم سافر الى سوريا وفلسطين . وقد التقى فى القاهرة بالكاتب المعروف جوستاف فلوبير فالتقط له العديد من الصور حول وقائع رحلته وهى الصور الموجودة فى الكتاب الذى نشره فلوبير عن رحلته الى مصر .

ومن اشهر الكتاب الذين عملوا بالتصوير

الخريف فى باريس ـ عام ١٩٠٠ .. بعدسة زولا




إميل زولا بعدسته

لويس كارول صاحب رواية "أليس في بلاد العجائب" وقد احترف التصوير بنفس درجة احترافه للأدب . وعشق تصوير الأطفال بصفة خاصة وقد ضاعت اغلب الصور التى التقطها في بيوت الهواة .

وهناك مجموعة من الكتاب المعاصرين الذين عشقوا الكاميرا بشكل خاص مثل لوى اراجون ودومنيك فرنانديز وميشيل ترونييه الذى التقط العديد من الالبومات عن رحلاته حول العالم وايضا الناقد رولان بارت الذى عمل مصورا خاصا . في احدى الفترات لمجلة كاييه دوسينما وكذلك الفيلسوف ميشيل فوكو .. أما المرأة الوحيدة التى قيل إنها مارست التصوير - كما جاء على لسان مجلة الاكسبريس فى أول سبتمبر ١٩٧٩ - فهى الناقدة الأمريكية سوزان سونتاج .

● الصورة والرواية

وفي قائمة الكتاب المصورين يبقى أميل زولا دائما في قمة هذه الأسماء ليس لأن أكبر مجموعة من الصور التى التقطها قد قاومت عامل الفناء مع الزمن . ولكن لأنها كشفت عن حس انسانى عال .. يتعلق بحب الكاتب للمكان والأشخاص والحياة بصفة عامة .

ومثلما جاء فى الكتاب الضخم حول "أميل زولا مصورا" فإن دافع الكاتب الى استخدام الكاميرا بهذه الصورة المكثفة هو انه كان يرغب فى جمع مواد منظورة من أجل رواياته التى سيكتبها ايمانا ان الصورة الموضوعية تسمح له ان يغرق في التامل المباشر .

ورغم أن زولا قد بدأ هوايته كمصور فى عام ١٨٨٨ ، أى وهو يكتب روايته "الوحش الآدمى" فإنه لم يستخدم الصور فى كتابة رواياته إلا فى عام ١٨٩٥ ، ولمدة سبع سنوات الى أن مات فى عام ١٩٠٢ .

وما أن تعلم زولا فن التصوير حتى راح يصادق أشهر رجال التصوير فى عصره خاصة عبقرى الصورة فى القرن التاسع عشر .. وأرتبط الكاتب ايضا بالرسامين مثل مانيه وسيزان حيث قام بمصادقة كل منهما للأخر .. وفى عام ١٨٩١ اصبح زولا رئيسا لجمعية رجال الأدب . وكان "نضار" يجيىء لتصوير جلسات هذه الجمعية .

وقد اصابت زولا حالة من جنون التصوير لدرجه أنه اشترى في وقت واحد عشر آلات تصوير من أجل ارضاء هوايته التي احترفها . واقام فى بيته معملا خاصا للتحميض والطبع فى فترة لم تكن هذه العمليات قد تطورت بعد . وكان يعشق تصوير نفسه بشكل لافت للنظر . وقد التقط

زولا لنفسه كل الصور المنشورة فى هذا العدد . وهى كما سنلاحظ اغلبها حول وقائع حياته اليومية . ومنها الكثير من الصور البورتريه فى أوضاع مختلفة ومتباينة .

وقد كان زولا يتتبع طريقة بالغة الطرافة فى التقاط البورتريه لنفسه . حيث يثبت الكاميرا فى الهواء أمام قطعة من القماش الملون . ويدرس مكان وجهه . ثم يخطط مكانه بالضبط من خلال طباشير ابيض . ويجعل الكاميرا تعمل ويجلس كى تلتقط الصورة ذاتية .

● عطر ومعنى

أهتم اميل زولا فى صوره بانعكاسات الضوء حول الأشياء . وكان يرى أن الضوء هو الذى يرسم اللون فى الصورة قبل اختراع الصور الملونة بعشرات السنين .

صور عائلية خاصة .. صورها زولا .. لنفسه





كما استطاع أن يختار زوايا بالغة الحساسية والفنية للصور التى التقطها لبرج ايفل واهتم بتصوير الأشياء افقيا ورأسيا لأن لكل زاوية روحا خاصا بالصورة .

وكان زولا يكره استخدام الرتوش فى الصور التى يلتقطها . فهو يرى الرتوش عملية تزييف للواقع . وخاصة فى البورتريهات . كما كان يرفض استخدام الأضافات التى يميل اليها المحترفون من المصورين المعاصرين له .. أو المعاصرين لزماننا نحن .

وقد ابدى العديد من الأدباء اعجابهم الخاص بالصور التى التقطها زولا مثل إعجابهم بادبه . فقال بول فاليرى أن هذه الصور قد جعلتنا نكف عن الوصف وان نهتم بالتسجيل أما الرسام المعروف "ديجا" فيقول : "لقد ظلت ذاكرتى حية دوما للصور التي التقطها اميل زولا . وعندما اريد رؤية الأشياء مثارة اقوم بمشاهدة هذه الصور . ثم اعيد رؤيتها كى اكتشف الواقع . بخطوطه . واشكاله والوانه . وعطوره ومعانيه . أنها محاولة لتثبيت الواقع . وكثيرا ما أدهش من هذه الشمس التى تشع على سطح هذه الصورة .

ولم يكن الكاتب مشغولا فقط بالتقاط الصور وطبعها . بل اقام لها معرضا ضخما فى عام ١٩٠٠ بمدينة باريس . وكان اغلبها من مقاس ٣٠ × ٤٠ سم . وقد قام بتقسيم الصور حسب الموضوعات التى تربطها وقد حاول أن تكون صوره المعروضة فى هذا المعرض بمثابة رؤية بانورامية لكل



أحد احياء باريس بعدسة زولا

مشاهداته في القرن التاسع عشر . وذلك بمناسبة بداية القرن العشرين .

أما أشهر معرض أقيم لمجموعة زولا فهو ذلك الذى اقيم فى عام ١٩٨٢ بتولوز ويقول اوتو أهان فى مجلة الاكسبريس - ٢٩ يناير ١٩٨٢ - أن زولا قد شغف كمصور بكل ما احاطه من مظاهر الحياة فجعل الاشياء الجامدة تنطق . وجسد الحياة المتدفقة فى صوره مثلما فعل فى صورته عن حدائق التليو حيث الأطفال يلعبون . وأمهات تنظر الى أحد الافلام التعبيرية الألمانية .





المطروقات النحاسية عند محمد رزق

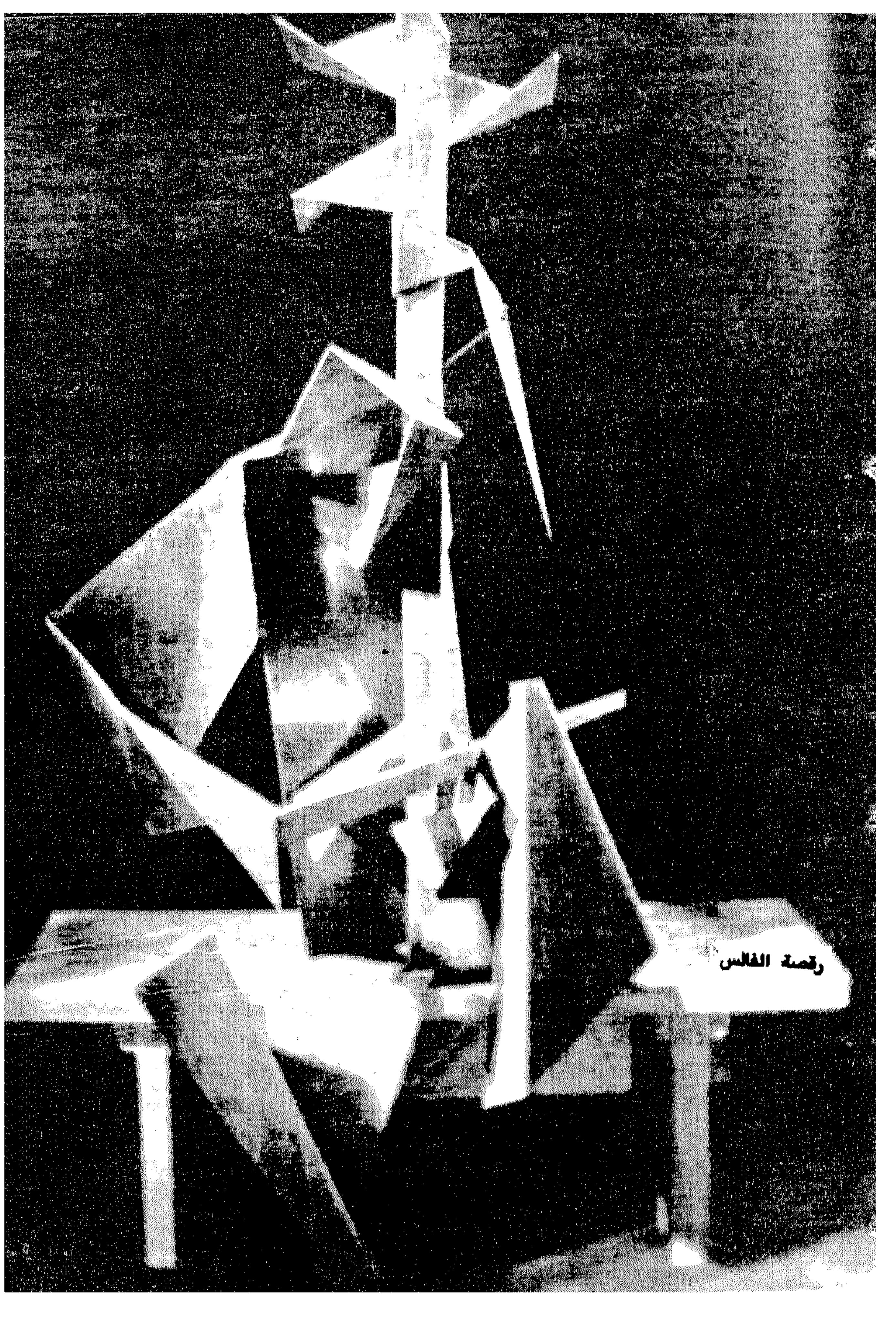
بقلم: محمود بقشيش

هناك حكاية تروى ، لست أذكر أين قرأتها ، غير أني أرويها لما بها من حكمة . يقال إن أميرا أو حاكما - لعله صيني - طلب من فنان شهير أن يطلعه على إبداع منه غير مسبوق ، فأجاب الرسام بثقة تشبه ثقة السيد «فوج» بطل قصة «جول فيرن» «رحلة حول العالم في ثمانين يوما» - قال : إذا أردت ذلك الجديد .. فموعدنا معه العام القادم ، في نفس اليوم ، ونفس الساعة ! .. والتزم الأمير بشرط الفنان ، وجاءه في الموعد المحدد ، وسأله عن «الرسم» ، فما كان من الفنان إلا أن أحضر ورقة بيضاء وريشة ، غمسها في الحبر الصيني ، وبثلاث لمسات رسم طائرا ! ..

كاد الأمير أن يُعِدّ ذلك إهانة له ، لولا أن الفنان قام بفتح خزانة كبيرة ، بها آلاف من الرسوم الملونة وغير الملونة ، وقال للأمير : تلك هي التجارب التي قمت بها خلال العام الماضي ، وهذه هي النتيجة ! .. وشرح له مراحل تطورها . اطلعه أولا على لوحة لطائر ، ينطبق عليها تعبير «الجبرتي» ودهشته عندما التقى برسوم الفنان «ريجو» - أحد فناني الحملة الفرنسية - قال : «وهو يصور الادميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز في الفراغ مجسم يكاد ينطق» .. وفي كل مرحلة جديدة كان يتجه الرسام الى الاقلال من التفاصيل ، مكتفيا بما يراه جوهريا ، إلى أن بلغ اعلى درجات الايجاز والبلاغة ، فصار بمقدوره أن يرسم طائرا بثلاث لمسات فقط .

● دراسات دقيقة

تذكرت هذه الحكاية أثناء تأملي مجموعة ضخمة من الصور الملونة ، لابداع المثال «محمد رزق» .. المقيم



رقصة الفالس



حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية .. إن مراحله الفنية تكاد أن تكون تطبيقا حرفيا لتلك الحكاية . ومثلما فعل الفنان الصينى فى بداية تجاربه ، عندما اقترب اقترابا تسجيليا من الواقع ، نفذ «محمد رزق» مجموعة من الدراسات الدقيقة ، تفاوتت فى اقترابها من الأصل الواقعى .. من أعماله التى وصل بها الى إعلى درجات الدراسة «الأكاديمية» .. مستنسخة من إبريق «مروان بن محمد» ، الموجود حاليا بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ، وهو ابريق بديع الشكل ، يميل رجال الآثار الى نسبة صناعته الى الفن الفارسى .. **والتزم «محمد رزق» بنفس تقنية فنان ذلك العصر .. فى طريقة الطرق واللحام ، وكبره ، عن الأصل ، سبعا وعشرين مرة .. وعلى الرغم من أن احد الدوافع لهذه الدراسة كان استعراض المهارة ، والتميز** ، فإن معاودة الدراسة المدرسية لأثر من الآثار الماضية ، أو معاودة الاتصال بالحوار معه ، أمر لاغنى عنه . إن «الجديد» لا يأتى من فراغ ، وليس قفزا فى فراغ . ولو تأملنا ـ على سبيل المثال ـ مطروقتين من مطروقاته النحاسية ، يربطهما اسم واحد هو : «الصمود» ، ويفصلها زمن يقترب من العشرين عاما ، لظننا ، للوهلة الأولى ، انهما لفنانين مختلفين ، غير أن شهادة الانتماء إلى فنان واحد ، تتضح شيئا فشيئا ، أثناء التحليل . انجز العمل الأول أو «الصمود» الاول فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، و «الصمود» الثانى انجز عام ١٩٨٥ بعد التحولات الكبرى فى بنية وتطلعات المجتمع المصرى . **فى الوجه الأول** اقتراب من الملامح الخارجية الواقعية ، دون الالتزام بحرفيتهما .

أما **الوجه الثانى** فقد تخفف من التفصيلات الواقعية ، وانحاز الى البناء المعمارى ، دون أن يقطع الطريق على نفسه مع التعبيـر الرمـزى . وجه «الستينات» وجه فلاح مصرى ، يرتكز على رقبة عملاقة ، غنية بالتضاريس ، تغرى المشاهد باستخراج تداعيـات قصصية ورمزية . والوجه يبدو فى هيئته شامخا . شجاعا . وهو «البطل» الذى كنا فى أشد الحاجة إليه فى ذلك الوقت . البطل القادر على مواجهة حالة «الهزيمة» ، والداعى الى الاحتشاد والثقة بالمستقبل رغم كل شىء . أما وجه «الثمانينات» فهو وجه بلا وطن ، وجه إنسان الكرة الأرضية سبيكة من النحاس ، متعددة الملامس ، صريحة المسطحات غير أنه يفاجىء هذا الرسوخ المعمارى بزلزال ، يفصل المقطع الأعلى من الفم عن المقطع الأسفل ، ويمزق جزءا من الوجه بحدة (وكان يريد لهذا التمزق أن يمتد ، غير أن مساعده صاح : قلبى لا يطاوعنى .. لا أستطيع مواصلة التشويه !) إن تلك المسبوكة تترك فى النفس توترا لا يستطيع المشاهد المرهف الانفلات منه ، وتترك أثرا يصعب نسيانه ، وإيحاء قويا بأن «صمود» الثمانينات صمود ممزق . مشكوك فى أمره على النقيض من «صمود» الستينات ،

القائم على مواجهة الخسارة ، التى كان يظن أنها عارضة .

● الطابع الدرامى .. والطــــابع الغــنائى

يتبادل الطابع «الدرامى» والطابع الغنائى ، التطريبى .. المواقع ، فى مجمل انتاج «محمد رزق» . وربما كان هذا الأمر طبيعيا بالنسبة لمعظم الفنانين يحتشدون ، أحيانا ، من أجل عمل «درامى» ، ويلوذون أحيانا أخرى ، بواحة التطريب والغناء .. أملا فى عودة موفورة الصحة الى الجانب الآخر ! .. يمثل وجه الانسان عند «رزق» الوسيط الدرامى ، ويمثل «الحصان» و «الطائر» و «جذع المرأة» ركائز الطرب ! .. ومن أبرز غنائياته مطروقات «عناق الخيول» و «لعب الخيول» و «صراع الديكة» ، وكما ينتقل من «الدراما» الى التطريب ، وبالعكس ، ينتقل من استخدام الخطوط الحادة ، والمسطحات الحاسمة ، الى الخطوط اللينة المقوسة ، ففى تلك المطروقات المشار اليها ، تسود الخطوط اللينة ، أما فى مطروقاته ذات الطابع الدرامى فإن الخطوط المستقيمة . الحادة . تسود . وإذا كان تبادل المواقع بين تلك المقابلات ظل حتى الآن ، فإن تطور موقفه من الكتلة ، والتفاصيل التعبيرية يبدو أو يكاد يبدو مستقيما ، فبعد أن كانت الكتلة لديه كتلة مستديرة ، يحيط بها الفراغ من كل جانب كما فى كتلة «الحصان» المجسم الذى أنجزه عام ١٩٨٠ ، وبغض النظر عن المشكلات الفنية المعقدة التى نجح فى علاجها ، فإن العمل يقترب من تفصيلات «الحصان» الواقعى ، فى حين أن «رأس الحصان» الذى أنجزه عام ١٩٨٥ قد تخلص تماما من شكل الكتلة المستديرة الى نوع آخر من «الكتلة» يقوم «الفراغ» بالاسهام فى تكوينها ، باكمال ما توحى به الكتلة من اتجاه ، وإشارة واضطره التركيز فى جوهر فن النحت ، باعتباره حوارا بين «الكتلة والفراغ» ، أن يتجاوز تشويش التفاصيل الوصفية ، واكتفى بتلصيق شرائح النحاس ، كما ظهر الانسان مشكلا من الأنابيب والكرات المعدنية ، وتشارك مفردة «الطائر» نفس إيقاع تطور المفردات الأخرى . غير أن خط التطور هذا والذى قلت عنه بأنه يكاد يكون مستقيما ، لايخلو من بعض الاستعدادات .. للحن جميل مضى ، وربما لضرورات تتجاوز حدود حرية الفنان .

من أهم لوحات الطيور ، ثلاثية الحرية ، تتسق شكلا ومضمونا ، يجمع فى ثلاثيته طابع القص دون أن تستدرجه لغة الأدب ، والتلخيص الذى لا يقطع الصلة بين الشكل وأصوله الواقعية ، والأناقة التى لا تتورط فى التزيينية . تشكل ثنائية «الحمامة والقضبان» محور اللوحات الثلاث . فى اللوحة الأولى يظهر إيحاء بشكل حمامة ، مندفعا فى مواجهة القضبان ، وتبدو آثار القضبان الكابحة فى جسد الطائر ، وفى اللوحة الثانية تظهر نتيجة تحدى الطائر للقضبان فى هيئة جسد ممزق . وترسم حدود الاشكال المقطوعة نسخة سالبة للقضبان ، أما اللوحة الثالثة فتمثل مسطحا مصقولا كالمرآة ، ليس به سوى خطوط القضبان الحادة ، ووجه المشاهد بالطبع ، ويصل بثلاثيته الى نتيجة مؤلمة : هى الا أمل فى سلام .. وربما أراد أن يجيب علينا بمجمل إنتاجه .

بقوله : بل انتقال دائم بين الحزن والسعادة !



ولغــة الشعب

بقلم : د. علـى الــراعى

الاسماعيلية عام ١٩٣٢ ...

قلت لصديقى التلميذ محمد السيد غلاب : هل سمعت النبأ ؟ قال : اى نبأ ؟ قلت : مات احمد شوقى ! لم يصدق محمد ، وكنت انا مازلت اتردد بين التصديق والتكذيب . قال صديقى : والله لو كان مات لحزن عليه كل الناطقين بالضاد ! لم تكن مرت شهور على وفاة حافظ ابراهيم وكانوا قد قرروا علينا فى مدرسة الاسماعيلية الابتدائية قصيدة شوقى المعروفة فى رثاء شاعر النيل :

قد كنت أوثر ان تقول رثائى ..

يامنصف الموتى من الأحياء !

حـزنا حـزنا شـديدا على وفـاة الشاعرين . وحزنت أنا أكثر على وفاة شوقى . كانت اغانيه التى كتبها لعبد الوهاب تتردد فى سمعى وانا بعد حدث صغير فاعجب بها وارددها واتأثر بمعانيها وألفاظها . اغنيات مثل "بلبل حيران" و"فى الليل لما خلى" و"اللى يحب الجمال" والأغنية الأخيرة آية فى الكتابة الغنائية الراقية ، وآية أيضا فى التلحين . فيها حاول عبد الوهاب أن يحدث ارتباطا وتداخلا بين أصوات البطانة وصوته هو المغرد عند عبارة : "تيجى تصيده يصيدك" ـ نوع من "البوليفونى" ان انطبق التعبير على



من فرع غصنك ع الورد
وراح يمين وراح شمال
شفنا عرايس جنونك
وشايل على جناحه قانون

شوقى وبيرم .. ولغة الشعب

هذه المحاولة . كان شوقى قد قرر ان يكتب لعبد الوهاب بعض اغانيه بالدارجة . ولكن اية دارجة هذه التى نجدها فى بلبل حيران :

من فرع غصنه ع الورد مال
وراح يميـن وجـه شمـال
قال له يا سوسن ياتمر حنه
يا ورد أحسن من ورد جنة
مين بالفرح لوِّنك مين ؟
ومن الشفق كوِّنك مين ؟
يا ريحة الحبايب ياخد الملاح
لشوكة جمالك وضعت السلاح


احمد شوقى



وأى سمو هذا الذى نجده فى "فى الليل لما خلى" :

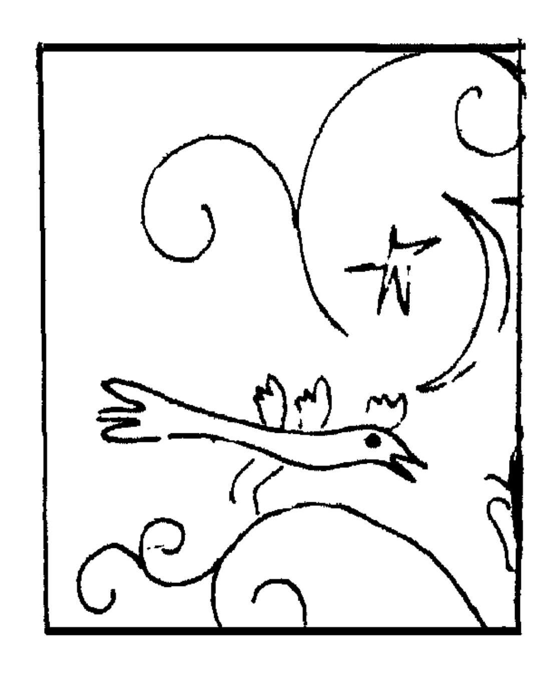
الفجر شأشأ وفاض على سواد الخميلة
لمح كلمح البياض من العيون الكحيلة
والليل سرح فى الرياض ادهم بغرة جميلة

وأى خيال راق وتعبير شعبى ساحر هذا الذى نجده فى : "اللى يحب الجمال" :

الحب طير فى الخمايل



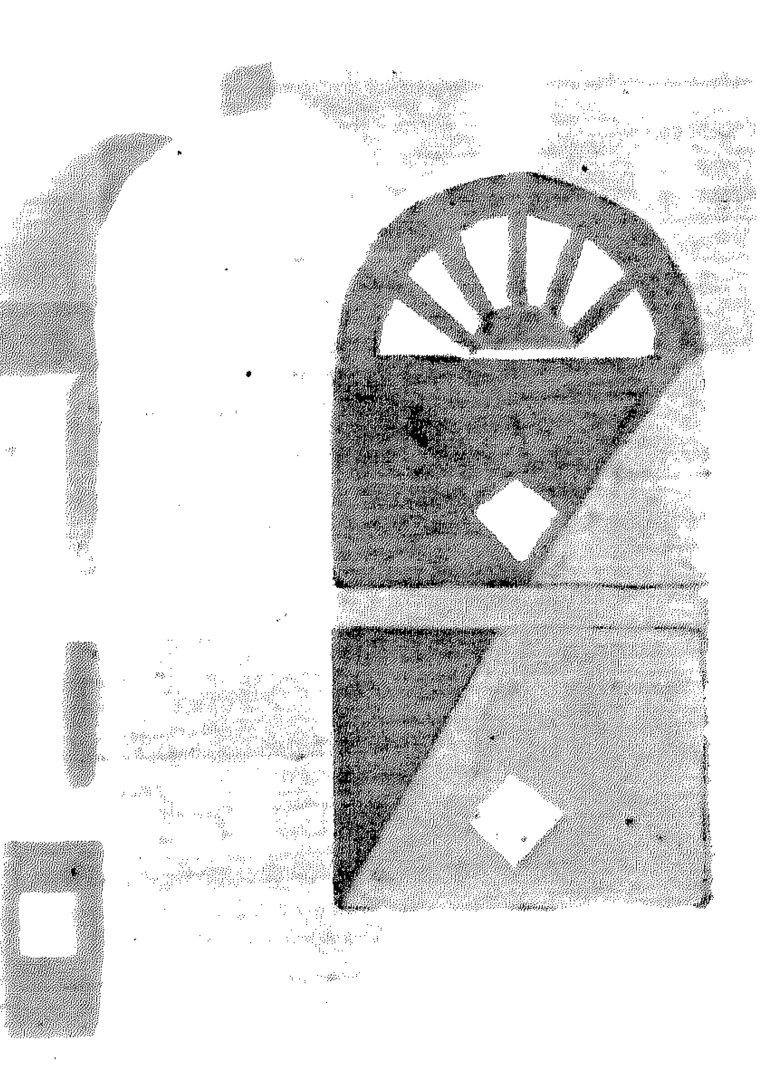
بيرم التونسى



شفنا غرايب جنونه
حاكم بأمره وشايل
على جناحه قانونه
تيجى تصيده يصيدك
ومن سلم من حباله
وكل خالى مسيره
يعذب الحب باله
ياللى مادقت الغرام
من العيون السلامة
اراف بروحك حرام
دى عين تقيم القيامة
الاسم عين وتلاقى قدح وحمرة وساقى
وسحبة الرمش فيها من بابل السحر باقى

كتب شوقى هذه الاغنيات باللغة الدارجة ، وفى عزمه ان يقاوم بها زجل بيرم العظيم . وكان قد روى عن امير الشعراء قوله : "والله ما أخاف على اللغة العربية الا من زجل بيرم ". غير ان زجل بيرم بقى تعبيرا فنيا صلدا عن لغة الشعب وروحه ، وبقيت الى جواره محاولات شوقى السامقة لرفع لغة الشعب الى مقام الشعر الرفيع .

رحم الله الشاعرين الكبيرين !





قصة قصيرة

بقلم : محمد السيد سالم

بريشة الفنانة سميحة حسنين



الانتظار !



تطايرت معالم البيوت، تكورت أعواد النخيل ، اختلطت ملامح الخلق بعد ان بهتت الرؤية فى عينى الحاج (غريب) الذابلتين من ايام الشمس ، وقيالة الشمس التى كانت تشوى بصهدها كل انحاء الكفر من اول الساقية القبلية حتى اخر حوش النخيل ٠٠ لم يكن الحاج غريب يعرف سر تلك البنايات التى ارتفعت كزرع شيطانى على قلب الكفر، ظل شهورا لا يدرى ما يدور فى بطن الكفر حتى قادته قدماه ذات ليلة الى (السهراية) المهجورة غرب الكفر ، فوجد (ابو الحمد) يضرب كفا بكف وهو يلتوى فى غضب ويهذى ويمزق الخلاء بصراخه :

ـ لقد ضاع الكفر ، ضاع والله يا حاج غريب ، ولم يعد ينقص الا ان نقرأ على روحه الفاتحة ، واهلا بك يا زمن طوابير العيش ، والتسكع فى الطرقات ، والرقص على ضجيج الاغانى ، والموت خنقا تحت الزحام ،٠٠الا يكفى يارب ما اصابنا من لعنة السهر طول الليل

الانتظار!

قصة قصيرة

والنوم حتى الظهر من اجل دعارة الفيديو التى هتكت الحياء ، وبورت الارض وخربت الصحة !

ينغرز كلام ابو الحمد فى وجه الحاج المتعض وهو يحكى عن سقوط غيط (عمران) تحت وطأة الاموال الوافدةمن بلاد الله الواسعة ، وأنواءالخراب المستعجل الذى اقتلع جذوره ، وطمره حيا تحت تلال الرمال واكداس الطوب والاسمنت .. ، يلصص الحاج غريب ، يهرش فى عينيه ، يمضى فى تخبط نحو بيته علىتراب الغيطانالمبقورة الاحشاء وهو يغمغم ويدمدم ، يمسه التعب ، يرتمى لاهثا عند اطلال الساقية القبلية التى اصبحت مجرد اشلاء خشبية منخورة تتاثر بقاعبترها الراكد ، يتراخى على صدر الظلمة ، يتنفس كطفل يحتضر ، يحس بالهواء حوله باردا برودة القبر ، يمشى ، يكاد يتعثر فى افواه الحفر واكوام القمامة التى ملأت ساحة النخيل التى عاشت اعمارا تلم مخاليق الكفر وهى تستقبل طراوة العصارى فى مواسم القيظ ، وتفوش لسعات الدفء حين كانت مخالب الصقيع تنهش الابدان ، وتثقب العظام .

يندس العجوز فى عتمة الخلاء وحيدا باثقال سنواته الثمانين تتسال الى انفه نفس الروائح الفجة ، الرطبة التى يعرفها منذ تفتحت عيناه ، ودغدغت جسده لسعات شمس الكفر وهى تتقلب نارا على امتداد الساحات الخضراء ، وفوق الوجوه والظهور والدواب واشواله العيش المرير .

يهبط باقدامه الثقيلة نحو الكفر ، يصطدم بكلب (عباس الحلاق) العجوز وهو يتمدد وسط الطريق ، بينما كان يقبع على حائط مهدم غراب اسود ، وعلى صدى عواء الكلب المزق ينشر الغراب جناحيه ، ينفض جسمه ويخفق جاءحة من جناحيه بذلك نفسه للهواء يقوده الى جوف الظلمات المتراكمة

يتشبث الحاج بذاكرته الواهنة وهى تمضى للوراء ، يغوص بخياله المشفق فى ركام سنوات عمره وهى تتمطى وتتمايل فوق الدروب والحقول والساحات ، وتتزلق كنورج يعلو ويهبط ويئن فوق اشواك الحر، وسراديب الصقيع ، وسيول القلق والاعياء لا يتذكر انه تحدث يوما عن شىء غير الكيماوى والرى ووابور الطحين واحوال الدودة واصناف البذور ، وحكايات لصوص الجبل حين كانوا يتسللون الى الكفر عند غياب القمر لنقب الحيطان ، وجر الماشية ، وخطف العيال واطلاق النيران .

يتأوه العجوز ، يمد ساقيه امام البيت ، يسحب نظاره الكسيحة الى شواهد الاعمدة الخرسانية السوداء وهى تنغرز فى صدر الخلاء ، فى جوف عواصف التراب الصاعد ، الذى يصبغ الوجوه والنخيل والبيوت ، ويحيل الكفر الى مهاوى تطفح بالقطران ، يتمدد خياله ، يرتطم بأيام الغد وهى تزحف نحوه كاعصار ، ينظر

للسماء ، يتنهد فى الم، يتخيل القمر دائرة سوداء بعد ان تمزقت خيوطه على قمم البنايات العالية ، وانتثرت فى زحام الاضواء المتدفقة فى طيش ، الغرباء يهجمون من داخل الازقة الضيقة الجديدة فى صخب وتصادم واحتكاك ، البيوت تتشابه ، النوافذ تلتصق ، الاحذية ترتطم احذية ملطخة ، احذية مرتقة ، احذية تبرق وكلها تنخر فى صدر الكفر ثقوبا عميقة .

ينطرح الحاج امام داره كطبقة باردة تلتصق بقاع وعاء علاه الصدا ، كومة من العظام المتكسرة والزيت الجاف .

يبزغ الصباح ، يتامل الحاج غريب فى حسرة حركة الغرباء حوله ، البعض يقبلون ، اخرون يلتفتون ويهمسون ، كلهم يصوبون نظرات استهجان على بيته القديم ، وجسده الضامر وعصاه المشققة ، وتمدده المسترخى على قارعة الطريق ، ومع الوقت لم يعد احد يلقى نحوه بالسلام ، ويساله عن الصحة والاحوال ، يسند راسه الثقيل على الحائط ، يتنفس ضيقا ، يغمض عينيه ، يطارد فى عمر كوابيس تقتحمه كثقب راسه ، تلقى اشعة الشمس وهجا على وجه مغبر شوهت الانفعالات ملامحه ، يخترق سمعه صوت سيارة يقبل نحوه يلتفت حوله ، ينتصب امامه حذاء يلمع ، وصوت رفيع ينقر اذنيه فى حدة :

– اهلا يا جدو

يفتح العجوز عينيه الضيقتين ،يطلق انفاسا محتبسة ، يقهقه ، يكشف عن فم هجرته الاسنان منذ سنوات بعيدة ، يتامل وجه حفيده وهو يتالق بضحكات الفرح يتسلل الى داخله شعور مريح ، مفعم بالبهجة ، يتمتم فى سره (جدو) وكانه يجربها على لسانه ، يخاطبه الحفيد وهو يسحب العصا المشققة .

– لم تجلس هكذا فى الشارع يا جدو ، اليس ذلك عيبا ؟ ترتفع ضحكات الحاج لتقلقل صدره بفرح مشروع :

– انتى ياكبدى اقيم هنا وحدى ، لهذا افعل دائما ما اشاء .



ورغم ان صلاة القرابة لم تعد لها معنى فى هذا الزمن الغريب الاغبر ، فانه احس بنشوة عارمة وهو يسحب حفيده الى داخل البيت، بينما راح ولده الكبير صاحب الحذاء اللامع والكبرياء المنتفخ (يركن)

الانتظار! قصة قصيرة

عربته عند ظل شجيرات قريبة ، يمضي الصغير نحو الداخل في سعادة، ضحكاته العابثة تنبعث كبرق من الفرح في اركان البيت المظلم الخاوي ، يستقر فوق سجادة تسلخت خيوطها بفعل مخالب الزمن ، يده العروقة تتعلق بالهواء، تحاول الامساك بتلابيب الحفيد الصغير وهو يقفز ويركض ، يسقط فجاه صوت الولد الكبير فوق راسه .

– اعتقد انه لابد من البيع يا ابي الحاج

– ما تبقى من العمر لا يمكن بيعه ، لا احد يشتريه يا ولدي .

– لم تعد هناك فائدة من هذا اللغو ،ان الوقت قد حان لبيع البيت والغيط بعد ان اقترب الزحف العمراني الى هذا الحد .

– من قال لك يا ولدي ان ما يقترب هو زحف عمراني ، انه الخراب يا سعادة البك من شرق الكفر الى غربه .

– ابي ، بربك ان لم تسترح الان وبعد ان بلغت الثمانين فمتى ؟ ارجوك لا تضيع الوقت الذي حان .

يضحك الحاج ، يهتز جسده النحيل وهو يحدق في وجه ولده المتورد الاملس :

– (ها . ها . ها .. اي وقت تقصد يا ولدي البك ؟ .. انني لا اعرف من الوقت الاحين تفتح القنوات ويروى الماء غيطي ، الا عندما تسقط اوراق الشجر لتظهر من جديد نابتة لامعة ... الوقت عندي يا استاذ ليس معقدا كما ترى ،انه لا يزيد عن نثر البذور والانتظار حتى يطل الاخضرار ، انه تضخم بطون التلد وتضعوتتكاثر ان دورات كبيرة بطيئة من الحرث والحر والرى والبرد والحصاد ، شيء بلا حدود دائما ياتي ، لكنه ابدا لا يتكرر)

– من الغريب ان الاقبال على شراء الاراضي في الكفر صار كاسحا ، وانت مازلت تضيع وقتك في اللهو بالكلام ، انك لو ظللت على هذا الحال فلن تجد عند غيطك في النهاية الا قمامة السكان الجدد .

يومئ الحاج في اسى ، يرن في خاطره ضجيج الغرباء وصخبهم وهم يشققون الابواب الخشبية العتيقة ، ويقتلعون اعواد النخيل،



ويسحقون النبت الاخضر
راقبهم ذات يوم وهو
يدفع المحراث ، كانوا
يندفعون فى جنون بين
العربات التى تئن تحت
اثقال اسياخ الحديد
واكوام الرمال واكياس
الاسمنت ، يومها حين
شعر بالبقرة تتوانى ،
بسبب هدير الاصوات ،
صرخ فيها بكل قواه ،
يحثها فى حزم على جر
المحراث ، وعاد يطلق
الضحكات الساخرة
الداوية .

يرتعش وجه البله ،
يهمس فى غضب مكبوت :

- يبدو يا ابى انه
لست هنا .

يضم العجوز حفيده
حين يقترب منه ، يربت
على ظهره يمسح بيده
الخشنة خصلات شعره
وهو يغمغم بصوت
كالهمس :

- لصوص الماشية
الذين كانوا زمان يأتون
من بطن الجبل وهم
يحتمون بالظلام عند
غياب القمر لنقب الحوائط
واطلاق النيران ، وسرقة
الماشية ، وخطف الاطفال
عادوا ، عادوا وفى
وضح النهار ليسرقوا
الكفر بكل ناسه وارضه
وماشيته .

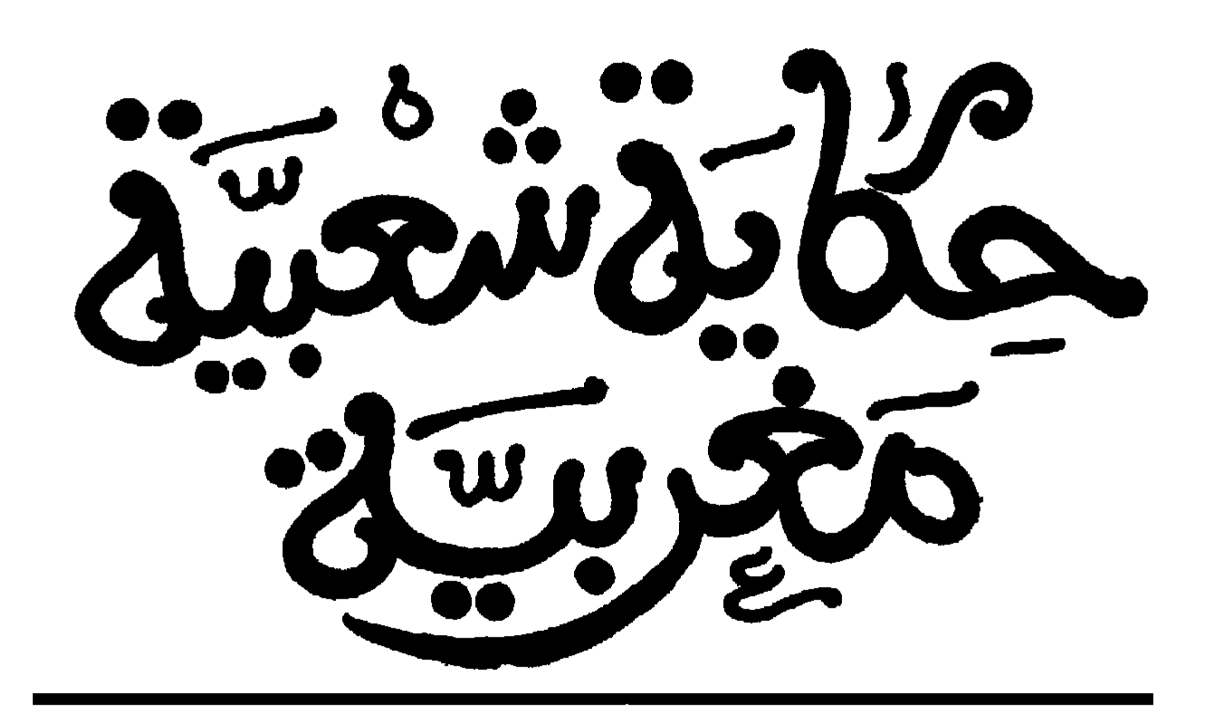
يسكت الحاج ، ولكنه
فجاة يقوم فى غضب ،
يسحب حفيده الصغير
نحو الخارج بخطواته
العاجزة المتثاقلة ، وعند
غيطه المحروث يجلس
عند اقدام الصغير ،يدس
اصبعا بدت عليه اثار
جرح قديم فى ثنايا
الارض المشقوقة ،الرطبة،
يسحب فى رقة زهرة
نابتة تتدلى منها جذور
رفيعة ملتوية ، يحتويها
بحنو فى راحة يده ،
يهمس فى اذن حفيده
الذى تلون وجهه
بالدهشة .

- سبعون عاما ،
سبعون عاما يا ولدى
وانا أقوم بنفس العمل
هنا ، حقا لا اعرف ماذا
ستكون البذرة ، لكننى
اعرف ماذا اكون انا
بالنسبة للبذرة ..

يشقق الصمت صوت
هدير سيارة ، يتبعه
نباح كلب ، يندفع
الحفيد نحو الخلاء فى
عدو مضطرب ، يرتفع
الهدير ، تعلو على البعد
موجة كثيفة من الغبار،
سرعان ما تتقلص حتى
تصير مجرد نقطة
تضطرب فى الخلاء ،
السكون يخيم من جديد
حول الحاج وهو يجر
قدميه نحو البيت ،يتطلع
للافق ، يلمع امامه خلف
ضباب البصر ضوء ،
يعقبه ضوء ، وحين
تتراكم الاضواء يبدو له
الكفر جثة عارية تتمدد
على طول الازقة وبحيرات
المياه الاسنة ، وتحت
احذية الزحام المتلاطم ،
الالم يتدفق رملا حارقا
فى عظامه ، يسرع الى
داخل بيته ، يستقر فى
الم على فراشه يلمح
تحت عينيه جحافل من
ابقار وحشية تندفع
نحوه ، تلك سمعه ،
يدور فى الفضاء حول
نفسه ، مستعينا بكل ما
تبقى من قوة فى جناحيه
المتهالكتين ، يحس بنفسه
نسرا يندفع فوق الزحام
الخانق ، والاعمدة
الخرسانية ، وصراخ
الغرباء ، يمد عنقه
كنصل سيف ، يقترب فى
طيرانه المرتجف من بيته
الخاوى ، يحدق نحو
الارض يصرخ فى البقاع

- بالله ، كيف اقتربوا
من بيتى الى هذا الحد ؟

يحاول الهبوط ،يفاجا
بفوهات بنادق لصوص
الجبل تصوب اليه ،وفى
لحظة تندفع نحوه
الطلقات الداوية ،
يحس بها
تخترقه ، وتخترقه ..
يتهاوى وهو يشعر
باجنحته تتكسر بسبب
اصابات كثيرة ، حارقة،
يظل يهوى حتى يرتطم
بحقل محروث .



عندما يريد الله

د. الطاهر أحمد مكى

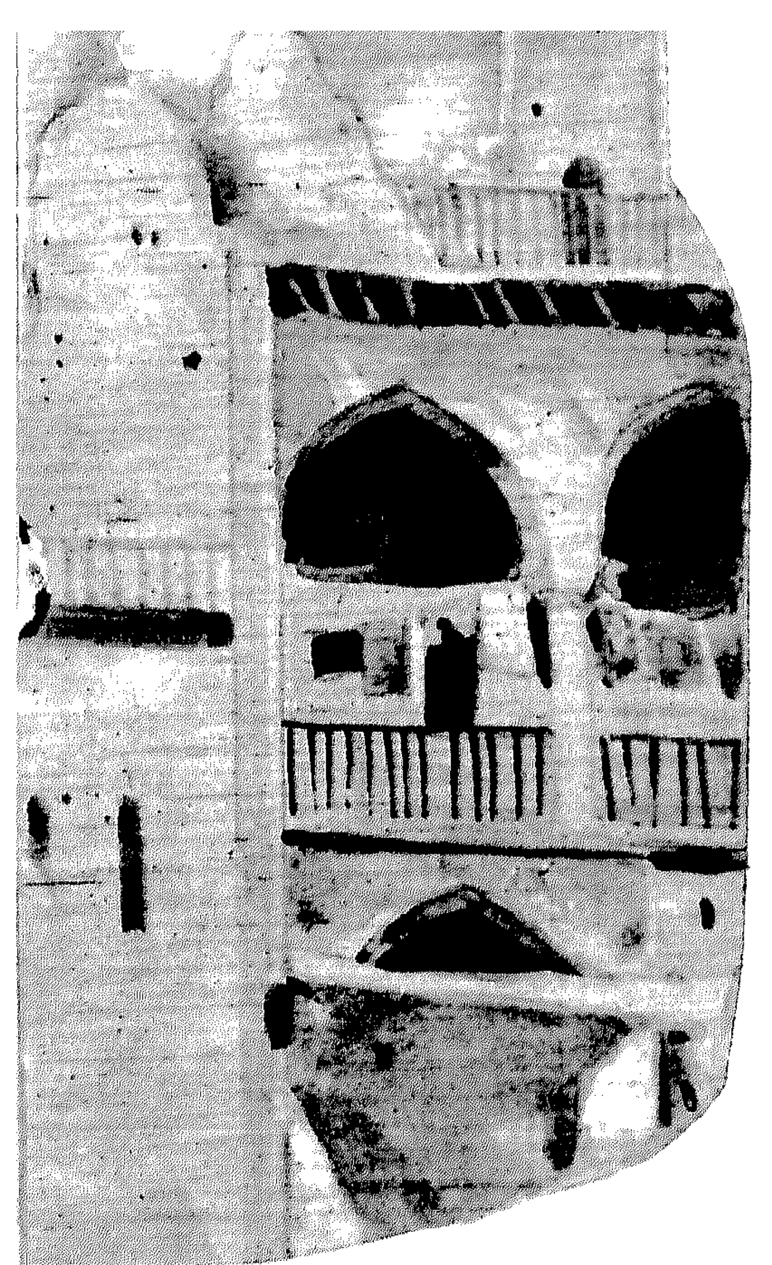
كل ما هو طيب يجيء من عند الله ، سبحانه الاعلى ، القوى القادر . مالك الدنيا والاخرة ، الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد .

وهو الذى قدر ارزاق الفانين من عباده ، وكتب مصائرهم منذ الازل .

وحدث لسى العربى بولحية، خادم الله ، ماسوف اقصه عليكم .

كان بولحية كاتبا متواضعا عند احد الموثقين ، يخطيء ككل ابناء حواء ، ولكنه يخاف الله ، ويسير على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وزوجته رحمة غسالة ماهرة ، تعمل عند امرأة شركسية ، اشتهرت بجمالها، وبيانها موضع الرعاية الملكية ، والحظوة السلطانية فهى تتحكم داخل القصر الملكى كما تشاء ، وتفعل ما تريد .

كانت وظيفة رحمة ان تعنى بتنظيف اثاث بيت سيدتها القوية ، ورعاية مفروشاته ، عنايتها بعينيها ، ولكن



ذلك لا يمنع انها كسول بالطبيعة ، غارقة في الأحــلام والاوهام اكثر الوقت ، تستجيب لها اكثر مما يجب ·

ويمر الزمن ، وتهرب الساعات ، واحدة وراء أخرى ، على حين تعيش رحمة في عالمها الخيالي العجيب ، المليء بالأساطير والرؤى ، تلك التي حكتها لها جدتها ذات يوم ، عندما كانت طفلة صغيرة ·

وسرحت بها الاحلام :

ان الله كريم ، بل هو اكرم الاكرمين جميعا ، فلو دلق سخاءه فوق سيدى العربي ، واصاب هذا مالا وفيرا ، فسوف يشترى لى صديريا رائعا ، يلــف جسمي الجميل ، فيعجب بى سيدى ، وازهو به بين اقرانى ، واكون الوحيــدة التى البســه بين اترابى ، بينما يمضين جميعا فى ثياب مهلهلة ، شبه عاريات !

وغــرقت فى متاهة من الرغبات والامال والاحــلام ، وبينما المـاء يجرى ، والفراشات تسبح ، والطيور تغرد ، تظل ذراعا رحمة الغســالة كسولتين ، تلفهما رخاوة ندية ، فلا تحركهما الا فى عناء شديد ·

وكان زوجها الطيب يؤنبها دائما على كسلها واحلامها الكاذبة ، ويرى ـ والحق معه ! ـ انها من وســاوس الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، اخزاه الله ، وتنبأ لها بمصيبة تهشم راسها ، وتزلزل كيانها ، وتهبط عليها فجــاة ، فى وقت قريب او بعيد ، ولكنه قادم على كل حال ، فتطحن اوهامها ، وتبقى عاجزة عن عمل اى شىء ·

وذات يوم ، ورحمة ابعد ما تكون عن مكانها الذى يجب ان تكون فيه ، تركت خيالها ـ كالعادة ـ يتوه بين ما هو ممكن وما هو مستحيل ، وفى هذه اللحظة هبطت عليها جوائح الزمن التي بشر بها زوجها ، جاءت بأسرع مما توقعت ، في شخص معزة هزيلة ، التقطت منديلا حريريا من مناديل سيدتها والتهمته ، وادركتها وهى تستعد لالتهام ملابس اخرى ، وفى احسن الحالات تاخذها وتخـرج بها الى شاطىء النهر ·

واخذت رحمة المكروبة تصيح :

يا امي العزيزة ، اين انت ؟ اى سياط دامية تنتظر ظهرى ، واى عقاب قاس سوف توقعه بى سيدتي ، وكيف القى زوجي ، سيدى بولحية ، الرجل الطيب الحيى ، وسوف يفقد عمله



موظفا ، وهيبته رجلا ، بسبب كسلي واهمالي وتهاوني ؟! .

ان الناس جميعا ، من يعرف ومن لا يعــرف ، لن يتوقفــوا عن لومه بسبب خفتي وطيشي ، وعن اتهامه بانه يلطف معي ، ويعاملني بالحسنى، ويدللني كثيرا ، مع ان في استطاعته ان يقسو علي لاتعلم ، وان يحاسبني بشدة فلا اهمل ، وان يضربني من حين لآخــر ليوقظني من الأحــلام والأوهام التي اعيشها .

ولم تجد وسيلة تخــرج بها من محنتها ! .

وبما أن فى الجرأة العاجلة العلاج عادة من المصاعب الكبيرة والأزمات الطاحنة قررت أن تذهب الى الخطر بدل أن تظل مكتوفة اليدين تنتظره كى يجىء اليها ، فمضت تبحث عن زوجها ، وتلقى بين يديه ، مرة واحدة بالمصيبة الكبيرة التى أوقعها سوء الحظ فيها ، ثم تنتظر العقاب الذى يسبقه أو يوافقه أو يعقبه سيل من الشــتائم والسباب ، مع مزيد من اللكمات والضربات .

كم كانت المفاجاة مذهــلة عندما وجدت الزوجة الحــزينة زوجها ، وقصت عليه حكايتها ، فاذا به يداعب لحيته برقة ، ويذوب شره فى فيض من البشر والبهجة ، ويصيح بها :

ـ يا رحمة الله ! ،انظرى يا ابنة الشياطين ، ان بركته سوف تهبــط علينا ، وتستقر معنا ولن تفارقنا .

وأسبلت رحمة عينيها ، وأرخت نظراتها ، وراحت تسائل نفسها : هل ركبت سيدى بعض الأرواح ؟ ، وقبل أن تسترسل فى حيرتها صاح بهــا :

ـ اذهبى الآن فورا ، الى القصر سريعا ، فى مثل لمح البرق ، وقولى لسيدتك ان هذا المنديل الثمين قــد ضاع ، وبما أن الشبهة سوف تنحصر فيك فأكدى لها أننى ساحر ماهر ، أعــرف الكثير ، وقادر على تسخير الجان والعفاريت ، واذا استشارونى فسوف أستطيع بالتأكيد ان ألهم على المكان الذى استقر فيه المنديل .

وأطاعت الغسالة ، وجىء بالكاتب زوجهــا كما هو متوقع ، وتقدم الى السلطان ، وبين يديه أخبره :

ـ أيها الملك القوى ، ان المنديل المختفى يوجد فى بطن معزة حمراء ، فيها نقاط بيضاء ، وقرنها الأيسر مكسور ! .

وابتسم الوزراء وهم يســتمعون الى هذا التأكيد الغريب ، واختلفوا بين مصدق ومكذب ، وازاء اصرار الكاتب ، وحديثه فى لهجة الواثق المطمئن المقتنع ، فتشــوا عن المعزة التى تحمل الأوصاف المذكورة وجاءوا بها اليه ، ووقف بولحية ازاءها ، ووشوش بعدة جمل غامضــة ، غير مفهومة ، وأصدر أمرا بذبح المعزة ، وكــانت المفاجاة : وجدوا الشىء الضائع فى بطنها ! .

وهكــذا شاء القدر والمصــادفة والظــروف ان يصبح بولحية اكثر الفقهاء علما فى المملكة ، وان تتاكد مكانته في القصر الملكى ، وان يصبح من خاصة السلطان ، وصاحب نفوذ وسطوة وحظوة ، وان يــــكسف كل بقية رجال البلاط.

حكاية شعبية مغربية

الحمد لله الذى دلق كل خيره على العبد الضعيف ! .

لم يعد الحاج العــربى منذ هذه اللحظة يعرف بغير لقبه الرسمى : منجــم القصر . وتدرب على مهنته جيدا ، حتى أصبح يستطيع بحيلته وفطنته ومهارته أن يتغلب على أية عقبة تقابله ، أو صعوبة تعترضه ، وأصبح الناس يلتمسون مشورته ، ويستمعون الى رأيه ، ويعملون بما يشير به ، وحتى الوزراء أنفسهم أصبحوا يجلونه ويوقرونه ، ويقدمون له فروض الاحترام والاجلال ؛ وبدا أفق حياته وغده عريضا ولســعا ، نقيا صافيا ، وأصــبح طريقه الى المجــد والثروة مفروشــا بالورود والرياحين .

ولكن .. وآى من لكن هذه !

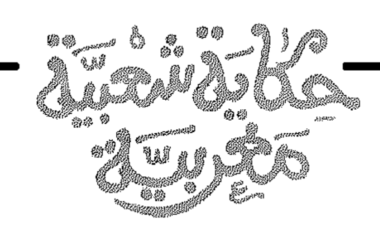
ان كل شىء فان وزائل فى هــذا العالم الخبيث ، وللورد شوك على أية حــال .

وبينما سيدى العربى فى قمة الرضا والسعادة وقعت مصيبة لا حيلة له فى دفعها ، ولا مهرب من مواجهتها ، وأوشكت أن تأتى على نفوذه وحظوته فى بلاط الســـلطان ، وربما ذهبت برأسه مستشارا ومنجما .

فى ذلك اليوم ، المشئوم بين كل أيامه ، سرقوا الخزانة الملكية ، ولم يستطيعوا أن يعرفوا لها ســارقا أو يتعــرفوا على مكانها ، ولم تجــد حمــاسة الوزراء ، ولا نباهة كبار الموظفين فى ذلك شــيئا ، وعندما يئســوا من العثور عليها أشركوا السلطان عاهلهم وسيدهم فى الأمر ، ولكن جهوده كلها فى الـــكشف عن الغموض الذى يلف الحادثة ذهبت عبثــا ، وبدا واضحا عجــز كل الوسائل البشرية المعتادة فى الوصول الى الحقيقة ، ولم يبق من حــل الا اللجوء الى منجــم البلاط القدير ، وسوف يستخدم بالطبع كل امكاناته ، ويسخر كل قدراته وعلمه ليرد للسلطان ثروته ، ويحول دون ضياع خزانته .

وهكذا أوعزوا للسلطان باستشارته وجدها الحاسدون والحــاقدون





والاشرار والسفلة فرصة مناسبة ليتخلصوا منه ، وكانوا يعتقدون أن بولحية ليس الا دجالا وغشاشا وكذابا ، ويشاركهم وزراء الدولة السبعة هذا الاعتقاد ، وعندما أوعزوا الى السلطان بهذه النصيحة كانوا يأملون أن يتخلصوا إلى الابد من هذا المحظوظ الجديد ، الحائز على ثقة السلطان كاملة ، وأن يجعلوا روحه تخرج من بين اللحم والترائب ، وأن يفارق القصر مهزوما لا شيء معه غير الجلباب الذى يرتديه ، وفى الوقت نفسه يبقون مع الخزانة ، لانهم هم ، ولا أحد غيرهم ، الذين تآمروا على سرقتها .

وقعت النصيحه من السلطان موقعا حسنا ، فأمر باستدعاء مستشاره ، واثنى على علمه وقدرته وكفاءته ووعده بأحسن الثواب اذا كشف الغطاء عن أسرار هذا الموضوع الغامض ، وتوصل الى سارق الخزانة ومكانها ، وهدده بأقصى المعقوبات ان فشل فى مهمته هذه .

يا للحاج العربى وسوء حظه ! .

لعن الله اليوم الذى جاءت امه به الى هذا العالم ! .

لقد أغناه الله ، واهبط عليه الثروة ما بين غمضة عين وانتباهتها وبالمثل ، فى نفس اللحظة ، والمسافة والزمن ، سوف يسترد منه حتى الحياة نفسها ! .

كيف يستطيع أن يواجه هذا الأمر ، وأن يجتاز هذه المحنة ، وأن يتغلب على أعداء السوء ؟ .

أخذ الرجل الشقى التعس يرتعش ، وأسنانه تصطك ، ولفته برودة قاتلة للحظات ، نفذت حتى عظامه ، ثم غرق فى موجة عرق غزير ، وراح يوشوش نفسه فى صوت خفيض :

– آه يا عربى ، كم أنت شقى وتعس ، لم يعد أمامك من طريق للنجاة ، ولا مهرب من الموت !

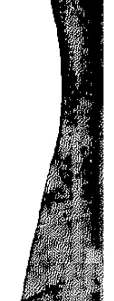
هل ظننت فى زهوك وغيك أن هذه السعادة سوف تدوم لك طويلا ؟ .

ثم توجه الى السلطان مجيبا وراجيا :

– مولاى القدير ، وسلطانى العظيم : القضية التى كلفتنى بها بالغة الأهمية ، تحتاج فى الحق ، فى الحق ، الى سبعة أيام كاملة لحلها ، سبعة أيام تماما ، لا اقل ولا انقص ، فضلا عن سبعة خرفان سمان تأمر لى بها ، وسوف أذبح فى كل يوم منها خروفا فى صحتك .

وافق الملك على اقتراح بولحية ، وانسحب الجميع ، غير ان الوزراء الذين حضروا المجلس ، وسمعوا الاقتراح ، اصابهم شىء غير قليل من القلق والهلع والاضطراب ، وفاض بهم الخوف ، واخذوا يتهامسون فيما بينهم :

– لا شك أن بولحية توصل الى معرفة من ارتكب السرقة ، ويؤكد هذا انه طلب سبعة أيام ليتوصل الى الحل ، وسبعة خرفان سمان يذبح فى كل يوم منها خروفا ، السنا نحن الذين ارتكبنا السرقة سبعة ؟ . من الأوفق اذن أن نراقب فى هذا الأجل المحدد هذا الكاتب ـ أخزاه الله . وعلى كل واحد منا أن يتجسس عليه



حكاية شعبية مغربية

ليلة ، وأن يراقب بيت حليف الشيطان هذا ·

ووافق الوزراء بالاجماع على هذا الاقتراح !

ولم يكد الليل يمد جناحه ، ويغرق المدينة فى الظلام ، حتى ذهب اكثر الوزراء شبابا الى ما وراء باب العربى يتسمع ما يجرى هناك ،

ووصل فى اللحظة التى أمسك فيها العربى بأحد الخرفان ، بينما يقول لزوجته :

– انها ملكى ، ولا يستطيع احد أن ينتزعها منى ·· وهذا اولهم !

وسمع الوزير المتلصص هذا الكلام بين بين ، ولكن جملة « وذلك اولهم » وصلته واضحة قوية ، فأسرع هاربا ومرعوبا ، وعاد الى رفاقه فوصلهم فى لمح البصر ، حيث كانوا جميعا مجتمعين فى انتظار رأيه · وعندما وصل صاح فيهم :

– لقد ضعنا جميعا ، لم أكد اصل الى بابه المغلق ، باب ذلك الشيطان او اى شىء كان حتى سمعته يقول لزوجته : هذا هو الاول ·

وفى الليلة التالية ذهب الوزير الثانى يتجسس فى الساعة نفسها ، وما أن بلغ الباب حتى سمع بولحية يصيح من الداخل :

– وهذا هو الثانى ، والله العظيم يجب أن اكل كبده مشويا !

وهرب الوزير المرعوب فى لمح البصر ، لم تحمله قدماه ، ولم يشك لحظة واحدة فى أن بولحية يتحدث عنه ، ولم يرد بخاطره أبدا ان حديثه الى زوجته انما كان عن الخروف ، وبدأ يقنع زملاءه بما يجب عليهم أن يفعلوه لينقذوا انفسهم ، بأن يكتشفوا داخل الكاتب وأن يجسوا نبضه لمعرفة ما اذا كان يمكن أن يصلوا معه الى اتفاق ! ·

وهكذا رتبوا نزهة ريفية ، تجمعهم به كلهم ، وبعد وجبة طعام لذيذة ودسمة اقتحموا الموضوع مباشرة



قائلين :

ـ يا حـاج عربى ، ايها الفقيه العارف الموقر ، نحن فقراء الى الله، وخدمه المطيعون ، وعباده الساهرون، ونشعر نحوكم باعجاب كبير ، ونكن لكم وقارا عظيما ، لا يقل مع الزمن ولا يبهت ، ومنك نرجو أيها الفقيه العارف الواصل شيئا من الرحمة . ملأ الله بيتك بالمال والبنين ، لماذا لا تقل لنا :

هـل نحن مسـلمون او غير مسلمين ؟

وأسرع الكاتب يهمهم :

ـ لا اله الا الله محمد رسـول الله !

ـ وبمـا اننا مسلمون ، وقلوبنا مسرورة بما تناولنا من شهى الطعام الذى تقاسمناه ، احلف لنا انك ان تخسرنا .. اقسم بانك لن تظهـر اسماءنا ، وسوف نعطيك الخزانة المسروقة .

لم يظهـر بولحية اية اشـارة تنبىء على انه فوجىء بالامر ، وظل واثقا من نفسـه تماما ، متظاهرا بالشفقة ، ووعد بالصمت ، وأن كل شىء يجب أن يعود الى مكانه كان لم يحدث شىء .

وفى اليوم الذى انتهى فيه الاجل الذى حدده السلطان ، اعلن بولحية انه بفضل السـحر ، وقدرته على تسخير الجن ، استطاع ان يسترد الخزانة ، وانهم سوف يجدونها فى مكانها ، غير ان علمه وجهده وقف عند هذا الحد فلم يستطع ان يتوصل الى اكتشاف اسماء اللصوص الذين سرقوها .

واظهر الملك ابتهاجـه باسترداد خزانته ، ولكن سحابة شك ألمت به ، وبشىء من التفكير والتأمل بدا له ان شيئا غامضا فى العمق ، وان هناك سرا خفيا وراء المظاهر ، ولذلك قرر أن يضع قدرة منجمه ومستشـاره موضع الاختبـار من جديد ، حتى لا يستطيع ان يخدعه أو يغشه .

وحانت لحظة الامتحان .

أمر السلطان بأن يوضع تحت عرشه ثلاثة أوان ، وان يملأ الاول عسلا ، والثانى سمنا ، والثالث قطرانا ، ودعا كل رجال البلاط ، وامر باحضار بولحية ليتنبأ بما فى هـذه الاوانى الثـلاثة .

واحس الرجل المسكين بان رأسه يتراقص بين كتفيه ، وبدأ يتشهد سرا قبل ان يأخذ طريقه الى الدار الاخرة واغمض عينيه لحظة ، وفكر : ان قضية المنديل والخزانة كانت فطيرا وحلوى بالنسبة الى هذا المأزق ، واشار الى الاوانى الثلاثة موضـع التجربة والاختبار ، وراح يـردد هامسـا :

ـ الاول حلو ، والثانى ابيض ، والثالث أسـود .

ونزل السلطان من على عرشـه مسرعا ، وعانق بولحية ، وقبل رأسه واعلن على مرأى من الجميع ان الحاج العربى بولحية هو أشـهر المنجمين ، وشيخ الفلكيين ، واعظم السحرة الذين عرفهم هذا القرن !

ثم غمره بالالقاب والهـدايا والامـوال !

الأمريكانية

وثقافة الفشار .. والهمبورجر

بقلم : محمود قاسم

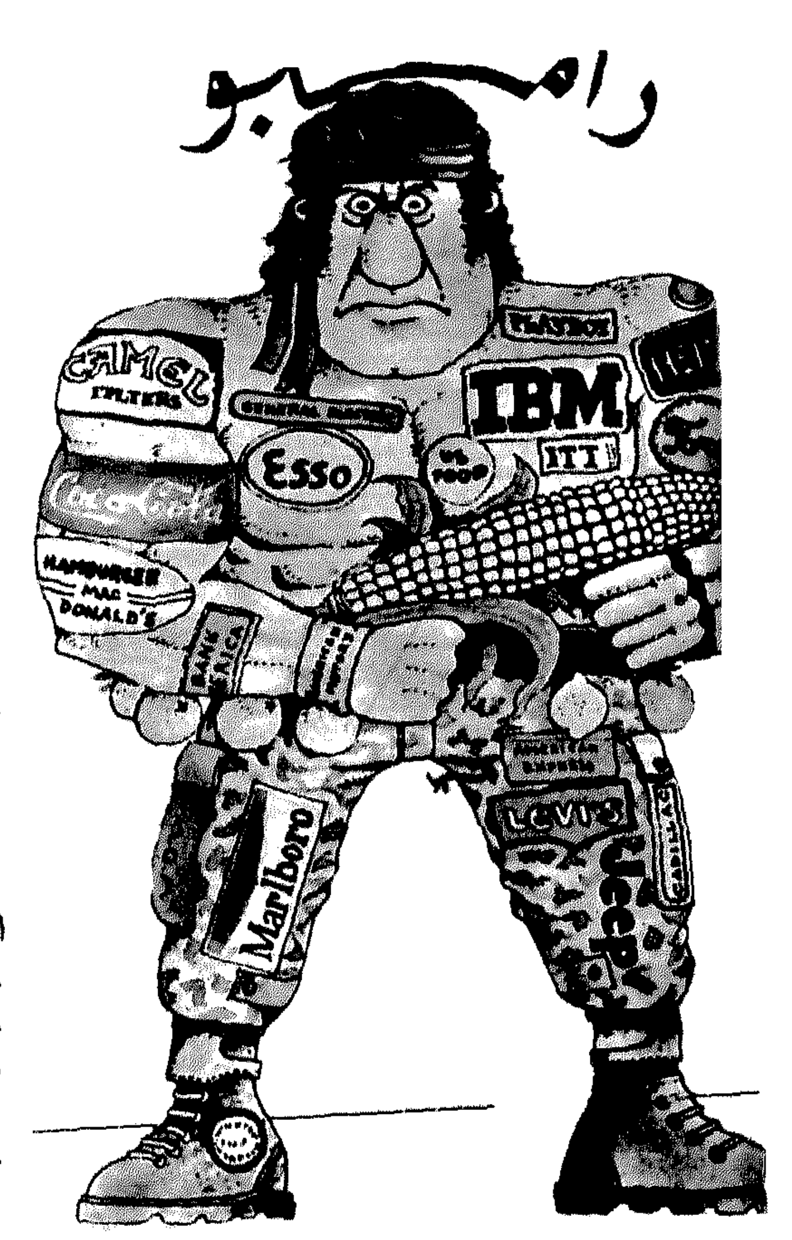
اسند الرئيس الامريكي ، السابق ريجان ، راسه وهو يشاهد فيلما على شريط فيديو ثم ردد : ((الآن أعرف ماذا يجب ان افعل)) . وبعد عدة اشهر راحت طائراته تقوم بمناورات استفزازية فوق خليج سرت . وتقذف مدينتي طرابلس وبنغازي . ويومها طلعت الصحف بعناوينها الرئيسية : ((رامبو يحقق عملية جديدة فى ليبيا)) .

لم يكن الامر غريبا فى ذلك الحين على هذه العناوين .. فقد كان فيلم ((رامبو)) يعرض بنجاح ساحق فوق شاشات السينما بالمدن العربية .. وأيضا فى نوادى الفيديو .. اى أن ثقافة رامبو كانت اسبق من القذائف الامريكية ..

قبل سنوات من هذا الحادث . حطت سفينة سوفييتية ، عن طريق الخطأ ، عند أحد الشواطيء الامريكية . ونزل منها بعض الجنود الذين ضلوا طريقهم . وبعد قليل دخل جندى منهم الى بيت امريكي بسيط .. وعندما فتح الثلاجة .. لم يصدق عينيه وهو يشاهد ما بها .. وصاح : كوكا . كولا .. كوكاكولا .

لا يمكن لاحد أن ينكر ، مهما كان مؤيدا أو معارضا ، ان الولايات المتحدة الامريكية أغنى وأقوى دولة فى العالم خاصة فى القرن العشرين . ولا تنحصر هذه القوة فى جانب دون اخر . لكن هذه القوة لا يمكن ان تصل الى العالم الا من خلال طراز خاص من الثقافة راح الامريكيون يصدرونه فى جميع أنحاء العالم .. عبر وسائل اعلام منتشرة .

هذه الثقافة معروفة تحت اسم ثقافة الفيشار .. والهمبورجر .. هى ثقافة لا تغنى من جوع ولا تشبع عطشانا .. لكنها يمكن أن تملأ جوف البطون دون ان تحتوى أى قيمة غذائية مفيدة للجسم



رامبو .. بريشة الفنان الجزائرى قاسى

٠٠ وقد سعت الولايات المتحدة الى صنع ثقافتها الخاصة بها وحاولت أن تعطيها هويتها المحددة، ثم قامت بتصديرها الى جميع انحاء العالم فى مختلف الفنون التى بدأت تصطبغ بالفعل بالسمات الامريكية ٠ وشكلت تهديدا ـ خاصة فى السنوات الاخيرة ـ على الثقافات الوطنية للعديد من دول العالم وخاصة العالم المتحضر، ليس اقتصاديا ٠ ولكن أيضا فكريا ٠ وقد بدأت هذه الدول تحس بالخطر من هذا الغزو الداهم ، فأخذت تنبه اليه وتحذر منه ومن تغلغله وسط ثقافاتها الاصيلة ٠

ولعلنا نذكر أنه عندما دخلت زجاجة الكوكاكولا ، الى الصين الشعبية، بعد سنوات من الثورة الثقافية ، هلل الامريكيون بشدة ٠ فقد تسرب الى الصين بعد ذلك كل من شارلى شابلن ووالت ديزنى ٠٠ وفيما بعد المنتجات الامريكية ٠

وعلى سبيل المثال ٠ فان الولايات المتحدة تنتج ٦ ٪ من الافلام الروائية العالمية ٠ الا أن هذه الافلام تدر نسبة ٥٠ ٪ من رصيد الافلام السينمائية فى العالم ٠ والافلام الامريكية التى تعرض فى فرنسا تمثل ٥٠٪ ٠ وفى السوق الايطالى وهولندا وشمال أوربا تمثل ٣٥٪ اما فى المانيا فتمثل ٦٠٪ وفى انجلترا ٨٠٪ ٠ بينما تمثل الافلام الاوربية التى تعرض فى الولايات المتحدة نسبة ٤٪ ولا يتقبل الامريكيون نوعية الافلام القادمة من أوروبا بسهولة مثلما لا يتقبل الثقافة الاوربية عامة ٠٠ والسبب بالغ البساطة ٠٠ فالثقافة الاوربية ثقافة فكر ٠٠ والامريكيون معتادون على ثقافة الفيشار ٠٠ على افلام رامبو وانديانا جونز ٠٠ لذا فان النسبة الضحلة من الافلام الاوروبية غالبا ما تكون مصنوعة على الطراز الامريكانى ٠٠

● العدوى .. الامريكية

اما فى التليفزيون ، فان الولايات المتحدة تبث للعالم نسبة ٧٥ ٪ من برامجه ٠ وهذه البرامج تنحشر فى كل تلفازات العالم ٠ وعندما يبث تليفزيون ثلاثة أرباع برامجه ببرامج أمريكية، فهذا يعنى أنه تليفزيون أمريكى مهما كانت هويته الوطنية ٠٠ وتلعب المسلسلات الامريكية دورها فى ملء المساحات الزمنية لهذه التلفازات وهى من نوع دالاس

الأمريكانية

ودايتيستي ونوتس لاندنج ٠ مليئـــة بالابهار ٠ لكنها خالية تمـاما من أى فكر ٠٠ والغريب ان تلفازات العـــالم تخصص لمثل هذه البرامج والمسلسلات الامريكية ساعات الذروة بالنسبة للبث الى جماهير المشاهدين ٠

وفى مجال الغناء والكاسيت ،تساهم الشركات الامريكية بنسبة ٥٠ ٪ مـن السوق العالمى ٠ ولذا فان على العديد من المطربين الذين ينشدون الانتشـار اما الذهاب الى الولايات المتحـدة أو الغناء باللغة الامريكية مثلما فعل ايف مونتان وشيلا وفريق أبا ٠٠ ويجـب أن يبتعد المطرب الاوربى ، اذا غـنى للامريكيين ، عن الاغانى الحالمة ليقفز على انغام البوب والمطارق العـــالية الصدى ٠ والاضواء الباهرة ٠

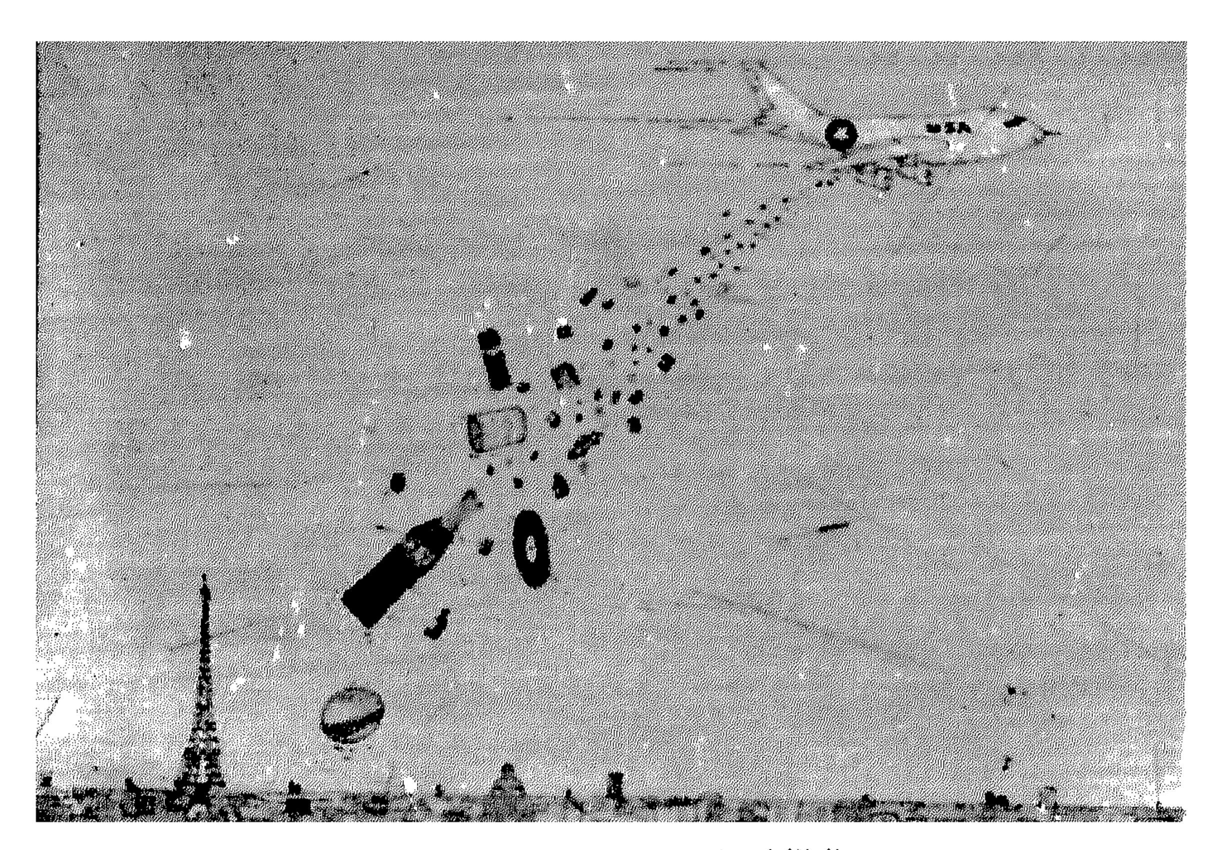
أما فى مجال الاعلام والدعـــاية، فان الناشر الامريكى هو الاكثر أهمية فى كل انحاء العالم ٠ ووكالات الانباء الامريكية تكاد تحتكر انباء العالم التى تبثها الى كل وكالات الدنيا ٠٠

تعبر هذه الارقام عن واقع موجود، لكن الكثيرين لم ينتبهوا اليه ٠ ففى بيوت كثيرة من بيوتنا تصــــــبح شخصيات والت ديزنى رمزا لافكارنا ٠ وقد تبعتها شخصيات أخرى امريكانية مثل رامبو وسوبرمان واى ٠ تى ٠ وتقول مجلة لوبوان ـ ٢٢ يوليــــو ١٩٨٥ ـ ان الفيلسوف الامريـــــكى أمرسون تساءل فى عام ١٨٦٠ : «هل يمكن أن نستخلص العدوى الاوربية من أمخـــاخ مواطنينا ؟ » وبعـــد مائـة وعشرين عاما ها هى العدو الامريكية تغزو عقولنا الاوربية » ٠

وفى كتابه « فرنســـا المستعمرة » تحدث جاك تيبو عن حـــالة الاستعمار التى تعانى منهـــا بلاده فى السنوات الاخيرة فيما أســـماه بالامبرياليـــة الثقـــافية الامريكية ٠ أو الامبرياليـة التى وجدت جذورها فى كل العالم من خلال الثقافة الامريكية ٠ هذه الثقـــافة هى ميراث الطلائع ، وزنوج افريقيـا والهنود ٠ وتقاليد الشماليين واليهود واللاتينيين والعبيد الـــذين جاء بهم المهاجرون القدامى الى العالم الجديد ٠

● كوكا ٠٠ من دم الخنازير

فالشخصيات السينمائية الامريكيـة قد أعدت لاثبات تفوق الامريكيين رغما عن المتفرج العالمى الذى ليس عليـــه سوى الجلوس فى صالة مظلمة وقـــد علته الدهشة والانبهار لهذا التقـــدم التقنى ٠ ومن خلال صندوق صـــغير يسمى التلفاز يمكن لاسرة صـــغيرة تسكن كوخا قديما مليئا بالاثـــــاث الفقير ، وبينما يلتقط افرادها العشـاء الذى لا يسد البطون ، ان تشـــاهد مسلسلا امريكيا يغص بالســـيارات الفارهة والناطحـــات العـــالية ٠ والديكورات الفخمة ٠ ويروح كل من سوبرمان والرجل الاخضر وبك روجرز ينقلون أفراد هذه الاسرة الى عـــوالم لا يمكن لشخص أن يحلم بها ٠٠ فالمرء دائما يحلم بما يمكن ان يحققه ٠٠



الطائرات لاترمى كتاكيت .. للفنان قاسى

وكثيرا ما تقطف الولايات المتحدة ثمار هذه الثقافة ، ثقافة الفيشار ، فعلماء العالم يودون الهجرة اليها كي يمكنهم الاستفادة من خبراتها . وتشهد الجامعات الامريكية تكدسا كبيرا من قبل المهاجرين القادمين اليها خاصة من القارة اللاتينية . ويدرس في الولايات المتحدة سنويا اكثر من ٦ الاف طالب في مجال الطب قادمين من تايوان والفلبين . كما ان هناك ٨ الاف دارس في مجال الهندسة . وتقول مجلةلوبوان في العدد السابق الاشارة اليه ، ان هذا قد شجع عددا كبيرا من الاسرائيليين على الرحيل الى الولايات المتحدة . وان اسرائيل اصبحت مصيدة لاصطياد العقول العالمية لاستثمارها في شتى الميادين .

وتتمثل ثقافة الفيشار في الحكايات الدرامية التي تملأ الروايات الامريكية، التي سرعان ما تجد طريقها الى الشاشة ، وهي حكايات تعتمد على الاثارة والابهار ولهاث الانفاس لذا رفض الامريكيون كافة اشكال التجريب التي عرفتها أوروبا خلال النصف قرن الماضي . وقد سعى العديد من الادباء الاوربيين ان يقدموا أدبا على الطريقة الامريكانية . ونجحوا في التقرب الى عقلية القارىء الامريكي مثلما فعل جونتر جراس والبرتو مورافيا وايطالو كالفينو . وانتوني بيرجيس .

وتقول مجلة (في . اس . دى) الفرنسية أن الدول الاسلامية كانت أول من رفض حضارة الكوكاكولا . حدث ذلك في الثلاثينات . حين اعتاد الصهاينة صناعة شراب الكوكا من دماء الخنازير . في تلك السنوات دخلت هذه الزجاجة أغلب بلاد العالم وأصبحت رمزا امريكيا . لدرجة إنه قد بيع من هذه الزجاجات أثناء سنوات

الأمريكانية

الحرب العالمية الثانية قرابة خمسة مليارات زجاجة ..

● أمريكا .. واليابان

أما مجلة « تايم » الامريكية ، فقد خصصت عددا عن « المهاجرين » قالت فيه ان البلاد قد سعت دائما الى جذب العناصر البارزة في مختلف انحاء العالم · وانها تقوم بتلميع هذه الوجوه ، وصبغها بالصبغة الامريكية ، وسرعان ما ينسى أصحابها ملامحهم القديمة · وقد حدث هذا لكل الاجناس على السواء دون تفضيل لجنسية على اخرى ·· وقد وصل الى الولايات المتحدة بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٨٤ اكبر عدد من المهاجرين جاءوا من كوبا وفيتنام ولاوس · وقد شهدت الهجرة حالات ارتفاع وانخفاض · ففى عام ١٩٠٧ وصل الى البلاد تسعة ملايين نسمة · أما أقل معدل للهجرة فقد كان أثناء الحرب العالمية الثانية ·

ويهمنا هنا أن نتحدث عن حالات الهجرة الثقافية الى الولايات المتحدة· فأسباب الهجرة عديدة ، كما تقول المجلة ، منها الديموقراطية المنشودة أو البحث عن حياة اكثر ثراء · والابتعاد عن مواطن الظلم · والبحث عن الشهرة والمجد ··

ففى مجال السينما هاجر الى امريكا كل من شارلى شابلن وانجريد برجمان وجريتا جاربو وكارى جرانت، وفالنتينو وهتشكوك · ومخرجين من طراز ميلوشو فورمان وايليا كازان · وتقول المجلة ان هذه الاسماء ما كان لها ان تحقق كل هذه النجومية لو لم تذهب الى الولايات المتحدة ·

وقد أثير سؤال هام هو : هل غزت الولايات المتحدة العالم ثقافيا بما تتمتع به من ثراء مادى وانجازات علمية فقط ؟· وهل يمكن لدولة مثل اليابان ان تحقق مثل هذه الانجازات فى المستقبل ؟ ·

السؤال ، حتى الان ، يجد ردا مناسبا فيما يتعلق بالولايات المتحدة· فاليابانيون غارقون فى انجازاتهم العلمية · نسوا تماما أن يقدموا للعالم ثقافة تخصهم· بل انهم يتركون الامريكيين يصنعون لهم ثقافاتهم · فالولايات المتحدة هى التى مولت أهم الافلام اليابانية في السنوات الاخيرة· كما انها هى التى قدمت للعالم ترجمات لاشهر أدباء اليابان مثل يوكيو ميشيما وياسونارى كاوباتا · ولذا يتوقع العالمون ببواطن الامور أن تظل الولايات المتحدة سيدة على ثقافة الفيشار والهمبورجر لسنوات طويلة قادمة ·· رغم المحاولات المحلية والعالمية لمقاومتها وصناعة ثقافات محلية ذات طابع خاص ·· لكن للاحتكار الثقافى سطوة خاصة ·

من الجدير بالذكر أن ثقافة الفيشار هذه ليست هى الثقافة الوحيدة فى الولايات المتحدة · فهناك ثقافات أخرى جادة · يعمل اصحابها فى جدة · ومثابرة·· لكن الغريب أن أصحابها اقل شهرة من ثقافة الهمبورجر ··



العالم في سطور

سان فرانسيسكو

● الجينز . وإيقاع العصر

نشرت مجلة ستوريا الفرنسية موضوعا بالغ الطرافة عن صناعة وتاريخ الجينز .. أهم واشهر الازياء المعاصرة فى العالم ..

والموضوع عبارة عن ايجاز لكتاب سينشره فيليب سيجى اخصائى الازياء الذى يقول ان الجينز قد ولد فى مدينة سان فرانسيسكو فى عام ١٨٥٣ . وهو نفس العام الذى وصل فيه الى المدينة ٣٢ ألف مهاجر من بينهم شتراوس ليفى الذى رأى أن انسب الازياء لهؤلاء المهاجرين الباحثين عن



جيمس دين .. فى "العملاق"

الذهب والمغامرات هى تلك المصنوعة من اقمشة الخيام .. فراح يصنع الكثير من هذه الملابس التى لاقت اقبالا منقطع النظير .. لدرجة ان ليفى قد باع من هذه الملابس ما يعادل المليونى جنيه عام ١٨٨٠ .

وقد زاد اقبال الناس على ملابس الجينز لدرجة أصبح بها ابرز علامات العصر .. وخاصة القرن العشرين ـ فقد جاء الجينز ليواكب عقلية الغرب من ناحية . والمجتمع الصناعى من ناحية أخرى . فلم يعد زى المغامرات الذى يكتسب رونقه فى اتساخه من العمل . بل اصبح زيا مفضلا يرتديه الناس اثناء الاجازات والرحلات .

وانعكس تفكير القرن العشرين فى هؤلاء الناس الذين راحوا يؤمنون به .. ويرتدونه .. ففى سنوات الازمة الاقتصادية . كان هو الانسب لأنه الارخص . وفى سنوات الحرب ارتفعت اسعاره بشكل جنونى نتيجة لارتفاع أسعار القطن .. وعندما انتهت الحرب راحت الفتيات الشقراوات الجميلات يتبخترن به فى الشوارع فأحس الناس بمدى ما يتمتع به مرتدوه من جاذبية .

وقد أصبح الجينز حالة من الجنون لدى الشباب حينما راحوا يتابعون بساطة الممثل الوسيم البسيط جيمس دين فى فيلم "العملاق" .. وساد الجينز على كافة الملابس الاخرى . لدرجة انه كان يباع منه ١٥٠ مليون قطعة سنويا فى الولايات المتحدة اثناء سنوات الستينات . فى هذه السنوات ـ شارك أصحاب الجينز فى تشكيل عقلية العالم .. مثل الهيبيين وشباب مايو ٦٨ . والنساء المؤمنات بحركة النسوية

اسلام اباد

زهرة الاسلام

ابنة الشرق هو الاسم الذى اختارته "بنازير بوتو" عنوانا لكتابها ، أو بمعنى أصح لسيرة أول امرأة تنتخب رئيسة للوزراء فى دولة دينها الرسمى الإسلام .

والكتاب الذى يقع فى ثلاثمائة وثلاث وثلاثين صفحة يبدأ بالحدث الفاجع فى حياتها ، ذلك الحدث الذى جعل منها شخصية سياسية مرموقة ؛ الا وهو قيام "ضياء الحق" بتنفيذ حكم الاعدام الذى اصدره فى حق والدها "ذو الفقار على بوتو" (١٩٧٩)

فسبب إعدام والدها انتقلت زعامة حزب الشعب اليها بالاشتراك مع والدتها .

كما انتقلت هى من بيت الأكابر الى غيابات سجون الدكتاتور تمكث فيها زهاء خمسة أعوام .

حقا كانت اوقاتا عصيبة .

فحجرات السجن الضيقة كانت بلا مراوح



بنازير بوتو

ترطب الهواء

والنوافذ الصغيرة كانت لا تتناسب مع حرّ صيف باكستان الذى لا يرحم .

والاسوأ من ذلك كله هو انه كان فى امكان الحكومة ان تزهق روحها حينما تشاء .

وعن محنتها ذكرت فى كتابها كيف وصلت الوحشية بسجانيها الى حد ترك السم الزعاف امام عينيها فى حجرتها بالسجن ، لعله يغريها على التخلص من حياتها بالانتحار .

وبعد الإفراج عنها ، سمح لها بمغادرة باكستان إلى لندن للعلاج من مرض خطير أصاب اذنيها .

وما ان استقر بها الحال فى العاصمة البريطانية ، حتى عملت بالتعاون مع الصحفى المخلص "بشير رياز" على اصدار مجلة معارضة تكشف جرائم ديكتاتورية ضياء الحق .

وعندما قام الديكتاتور بالغاء الاحكام العرفية سارعت "بنازير" بالعودة الى باكستان حيث استقبلتها جماهير "لاهور" استقبالا فاق كل التوقعات ، حتى أن موكبها اضطر الى ان يقطع فى عشر ساعات مسافة الثمانية أميال الممتدة من المطار الى نُصب الاستقلال .

وعلى كل فما ان استردت زعماتها للحزب ورسخت اقدامها فى أرض الوطن ، حتى بدأت تخطب فى اجتماعات حاشدة تصدر بيانات تشجب ديكتاتورية ضياء الحق ، تلتقى بالصحفيين الزائرين لتشرح لهم الاوضاع المتردية فى البلاد .

وفوق كل هذا انتظرت مترقبة ما قد تفعله الاقدار .

ولم يطل بها الانتظار ، فما أن انتهت من تأليف الكتاب ، حتى قتل "ضياء الحق" فى حادث انفجار طائرته ، هو وجميع من معه من كبار ضباطه المقربين ، تاركا الطريق الى السلطة مفتوحة امام ابنة الشرق زهرة باكستان .

لندن

● سقوط مملكة النساء لماذا ؟

احدثت الباحثة "روزالند مايلز" بكتابها "التاريخ النسائى للعالم" ضجة كبرى .

ولا غرابة فى هذا ، فهى فى ذلك الكتاب انما تتحدى الرجال بتسخيف الفكرة التى تزعم ان جنسهم هو الذى صنع التاريخ ، كسب المعارك ، ابتدع الفلسفة والاختراع .

"فاسباتيا" من ميليتوس "سيدة اثينا الاولى" كانت المدرسة الرئيسية لافلاطون ، ولولاها لما اصبح ذلك الفيلسوف الذى ما يزال يؤثر على الفكر حتى يومنا هذا .

و"اريستوكليا" هى التى لقنت "فيثاغورس" الدروس حتى جعلت منه عالما مرموقا .

و"هيباتيا" لمع اسمها فى اسكندرية القرن الرابع الميلادى ، وذلك بفضل اختراعاتها التى قفزت بعلم الفلك خطوات واسعة الى الامام .

و"ارتيمسيا" هى التى قادت الاسطول فى معركة ضد الاثينيين المهرة ، انتهت بهزيمتهم قريبا من سلاميس .

ولقد كان للنساء على امتداد خمسة وعشرين الف سنة أو يزيد نوع من القدسية بوصفهن حافظات لكل اسرار الحياة .

ومن هنا اتخاذ العلامات المقدسة شكل الفرج واحتكار النساء لمعظم مناصب الكهانة .

واستحواذهن للسلطتين الروحية والاقتصادية على امتداد العالم من سهول روسيا شمالا حتى آسيا وافريقيا واستراليا جنوبا .

وفى رأى صاحبة الكتاب المثير ان التحول الدرامى الذى طرأ على مركز المرأة بحيث انتهى بها الى كائن ضعيف مسلوب الحقوق ؛ هذا التحول بدأ عندما اكتشف الرجل دور الحيوان المنوى .

وفهم أنه هو الآخر له دور حيوى فى عملية الإنجاب !!

نيويورك

● إمرأة مبتذلة !

ما أن اختفت الأديبة الامريكية "ليليان هيلمان" عام ١٩٨٤ بالموت عن عمر ناهز الثمانين ، حتى بدأ اسمها فى اللمعان من جديد بفضل ما نشر عن سيرتها من كتب آخرها "ليليان هيلمان : اسطورتها وميراثها" بقلم "كارل روليسون" و"ذكريات عن ليليان هيلمان" بقلم "بيتر فييلمان" ذلك الأديب الذى التقت به وهى فى الخامسة والثلاثين ، وهو فى العاشرة من سنيه ، ثم صاحبته عشيقا بعد ذلك بثمانية عشر عاما .

وليس من شك انها كانت اشهر كاتبة مسرح فى العالم بل جاء وقت انفردت فيه بالاضواء تسلط عليها وحدها دون سائر الأديبات مهما كان حظهن من موهبة الابداع .

ولدت "هيلمان" فى "نيواورليانز" من اسرة متيسرة الحال .

كانت امرأة فاجرة ، سوقية ، ضعيفة ، سكيرة ، سليطة اللسان





ليليان هيلمان

وفوق كل هذا كانت قبيحة ، ليس فى وجهها مسحة جمال .

ومع ذلك كانت كاتبة موهوبة ، خفيفة الظل ، شجاعة لا تهاب الوقوف بجانب الحق والتصدى لقوى الظلام .

عملت مراسلة حربية بجبهة القتال فى روسيا السوفييتية حيث التقت بستالين ، فاعجبت به ، وظلت على اعجابها هذا حتى جاءها الموت .

ويقال ضمن ما يقال انها لم تؤلف الجزء الثالث من سيرتها "الزمن الوغد" الا تحسبا منها للحملة المتصاعدة ضدها بسبب عدم تراجعها عن موقفها القائم على تأييد الاستالينية .

ولعل صمودها أمام زحف طاعون الماكرثية وتهديده لحرية التعبير فى الولايات المتحدة اثناء النصف الأول من عقد الخمسينات ؛ لعل هذا الصمود وقولتها الساخرة المصاحبة له "لا استطيع ، ولن اقض ضميرى كى يتناسب مع ازياء هذه السنة" هو اكثر لحظات حياتها روعة وصفاء .

فى ايامها الاخيرة ـ وقبل ان تودع الحياة ـ فقدت نعمة البصر اصبحت لا تعانى ، كما فى ايام الشباب ، من قلة المال .

الجزائر

● رتبة عسكرية .. لقرية عربية

"شرف القبيلة"

هو عنوان الرواية التى تقرأ الآن على أوسع انتشار فى فرنسا والجزائر . من تأليف الروائى رشيد ميمونى ، والتى استطاع من خلالها ان يحقق مكانة ادبية دفعت فردريك فيتو ان يؤكد ان الأدب الجزائرى الحديث قد وجد ماركيزه .. وذلك فى مجلة لونوفيل وبسرفاتور .


رشيد ميمونى

وميمونى كاتب متعدد الانشطة . فهو مؤرخ . وشاعر ، وكاتب مقالات ، تتسم كتاباته بالسخرية الشديدة من العالم وبالمرارة والصفاء ـ نشر روايته الأولى "النهر المتحول" عام ١٩٨٢ ثم جاءت روايته الثانية "طومبيزا" عام ١٩٨٤ . وهى اعمال جعلت الكاتب يواجه العديد من المشاكل مع السلطات الجزائرية .

وتدور أحداث رواية "شرف القبيلة" فى احدى القرى الجزائرية النائمة فى احضان الجبال العالية . القرية اسمها زيتونة وتضم مجموعة من النماذج البشرية التى اختار ميمونى ان يركز عليها مثل حداد القرية ، وبقالها . والعبيط الذى يعرف اشياء كثيرة . هؤلاء الاشخاص وغيرهم يصبحون شواهد على بعض سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر . فقد

تنبه الفرنسيون الى أهمية القرية اثناء سنوات الحرب . ولذا منحوها رتبة عسكرية .

والرواية مليئة بالشخصيات والاحداث ، حتى لتكاد ان تكون الف ليلة معاصرة .. مما دفع بالناقد فيتو ان يقارنها برواية ماركيز "مائة عام من العزلة"

والجدير بالذكر ان هذه الرواية قد نبهت ، من جديد ، إلى أهمية الأدب العربى المكتوب باللغة الفرنسية . فبعد "ليلة القدر" لابن جلون .. هاهى "شرف القبيلة" تدخل فى سباق الجوائز الأدبية لهذا العام ، ولعلها تفوز باحدى الجوائز الهامة التى ستعلن فى الاسبوع الثالث من شهر نوفمبر القادم .

لوزان

سيمون : الكاتب الذى اعتزل مهنته

رجل عادى فى مظهره الخارجى .. لكنه يشتعل نشاطا فى داخله . هذا هو الوصف الذى اطلقه الكاتب الفرنسى الراحل چورج سيمنون على بطل رواياته المفضل المفتش ميجريه .. إنه نفس



جورج سيمنون

الوصف الذى اطلقته الصحافة ايضا على سيمنون ..

چورج سيمنون هو حصيلة هائلة من الابداعات والمذكرات والترجمات وايضا فى عدد الرحلات التى طاف بها هو وزوجاته حول العالم .. وعدد الكلمات التى طبعها بآلته الكاتبة ..

وعرف عن سيمنون انه اكثر الروائيين سرعة فى الكتابة .. تفوق فى ذلك على مواطنيه بلزاك وهيجو . وكان يستطيع كتابة رواية واحدة ضخمة فى ثلاثة ايام لا اكثر حيث يواصل الجلوس فى مكتبه طيلة ساعات النهار دون ان يترك القلم من يده الا فى فترة الغداء ..

جاءت شهرة سيمنون من خلال صورة المفتش ميجريه .. وهو شخصية روائيه ظهرت فى كل الروايات التى كتبها إبتداء من عام ١٩٢٩ .

واختار المؤلف ان يكون المفتش ميجريه اقرب فى شكله وسماته اليه شخصيا فالغليون لايفارق شفتيه ، وهو يرتدى ، دوما معطفا ابيض اللون ويضع على راسه قبعة تخفى ملامح وجهه كى لاتكشف بسهولة عن انفعالاته . وميجريه لا يتمتع باى ذكاء عرف به مفتش تحر آخر هو شرلوك هولمز كما انه رجل تجاوز الخمسين ويكره استخدام المسدس الذى يحمله .

الطريف ان سيمنون قد اعتزل الكتابة الابداعية فى عام ١٩٧٢ وفى ذلك العام اتجه الى مصلحة الاحوال المدنية بمدينة لوزان التى يقيم بها . وطلب تغيير وظيفته من روائى الى بلا وظيفة .

وبعد هذا القرار لم يمسك سيمنون قلما يكتب به كلمة إبداعية واحدة واختار ان يدون مذكراته الخاصة من خلال مجموعة كبيرة من شرائط التسجيل وعندما نشرت هذه المذكرات فى ٢٠ مجلدا بلغت صفحاتها الـ ٢٥٠٠ صفحة واجمع النقاد انها اجمل ما كتب سيمنون فى حياته .



تقديم
عاطف مصطفى

أزمة المسرح

والهروب إلى الأمام

تستضيف ندوة « الهلال » الكاتب الكبير سعد الله ونوس ، أحد ألمع المسرحيين العرب ، الذين زاروا القاهرة بدعوة من المهرجان الثاني للمسرح التجريبي ، لمناقشة قضايا المسرح في مصر والوطن العربي . رأس الندوة الكاتب الكبير د . علي الراعي وشارك فيها د . أمين العيوطي استاذ الأدب الأنجليزي ، ومن أسرة التحرير عادل عبد الصمد . وطرحت الندوة مشكلات المسرح العربي ، والتحدي الذي يواجهه مما يقدمه التليفزيون والفيديو وخاصة بعد بدء البث المباشر عبر الأقمار الصناعية . وتحدث المشتركون في الندوة بقدر كبير من المصارحة والصدق .

رحب الدكتور علي الراعي بالكاتب سعد الله ونوس قائلا : نلتقي اليوم والمسرح في البلاد العربية يمر بظروف صعبة ، والوضع لم يتغير كثيرا منذ كتب سعد الله ونوس في مقدمة " مغامرة في رأس المملوك



د. على الراعى ، وسعد الله ونوس ، ود. امين العيوطى

جابر" انه لاتزال هناك فجوة بين المسرح كفن وجمهور المسرح القائم او المحتمل ، وأن هذه الفجوة لم تسد حتى الآن ، ويبقى المسرح منفصلا عن الناس ولم يشق لنفسه طريقا فى الحياة الاجتماعية ، ولا فى وجدان الناس .

وربما يكون الوضع قد تغير شيئا ما منذ كتبت هذه الكلمات اللمّاحة فكثير من البلاد العربية اصبحت تعرف نشاطا مسرحيا من نوع آخر .

وفى مصر بالذات لنا سنوات طويلة وهناك نشاط سنوى مستمر على مدار العام لفن المسرح ، سواء كان فنا جادا تموله عقول جادة من الدولة او من بعض الأفراد او المسرح التجارى أو المسرح الهازل أو المسرح السياحى الى آخر هذه المسميات .

وهناك نشاط مسرحى ، ولا أقول حركة مسرحية ، وهذا فى رأيى ـ وهذه النقطة مطروحة للمناقشة ـ قد كان له تأثيره ، حيث أن المسرح حفر بالفعل لنفسه مجرى فى الحياة الاجتماعية للناس .. فقبل ثلاثين أو أربعين سنة لم يكن أحد يقول انا ذاهب للمسرح ، وإنما يقول : أنا ذاهب للسينما .

وكلمة مسرحية شقت لنفسها طريقا فى الكلام العادى للناس ، واصبح الناس يذهبون الى المسرح ، سواء المسرح الجاد أو الهازل !

هذا فى رأيى مكسب ، وإن كان

محفوفا بالمخاطر ، وأقصد بالمكسب أن المسرح وصل الى الناس بطريقة أو بأخرى ، ولم يعد من الممكن في رأيي أيضا أن يلغي فن المسرح بجرة قلم ، أو يتدهور حتى نصل الى نقطة الصفر ثم نعود لنحفر الأرض من جديد .

المسرح وصل الى الناس ، والناس يقبلون على المسرح الجاد الذى يعطيهم مايريدون ، دون النظر الى مصدر هذا المسرح ، واستهزاء بقول : إن الجمهور يريد المسرح الهازل .. وحيثما يعرض على الناس في مصر مسرحية جادة يحدث لها إقبال وتشجيع حار .

وفي فترة السبعينات حيث كانت أضواء المسرح مطفأة تقريبا ، جاءت فرقة عراقية بقيادة يوسف العانى وقدمت مسرحية "البك والسائق" وأثارت ضجة كبيرة ، وهذا يدل على أن هناك خلايا لاتزال تعمل برغم محاولة إماتتها ، وحيثما تقدم الى هذه الخلايا إنتاجات جادة تنشط بشكل يدعو الى التفاؤل والدهشة فى نفس الوقت .

على سبيل المثال قدمت مسرحية "أهلا يابكوات" فى الموسم الحالى على خشبة المسرح القومى ، وهى مسرحية جادة ، احتشد لها الناس ، ونجحت نجاحا جماهيريا كبيرا .

إذن ، كما قلت إن هناك بعض الخلايا لاتزال حية فى جسم المسرح فى مصر . وأعتقد أن هذا من الممكن تعميمه على باقى البلاد العربية ، أى أن فكرة المسرح قد وصلت الى الناس بالفعل .



● سعد الله ونوس ●

● ولد فى محافظة طرطوس بسوريا عام ١٩٤١ .
● بعد دراسته الجامعية انطلق إلى باريس ليعايش حياتها النابضة بالفن والفكر ، وعاد بعد عامين ونصف إلى دمشق ليتقدم بشكل سريع ولتثير مسرحياته اهتمام النقاد .
● فازت مسرحيته "حفلة سمر من اجل حزيران" بالجائزة الأولى فى مسابقة وزارة الثقافة السورية ، واستطاع بهذه المسرحية أن يفرض وجوده .
● يعتبره النقاد من ابرز المؤلفين المسرحيين فى سوريا ، ويضعه الجمهور فى ارفع مرتبة وصل إليها مؤلف مسرحى سورى .
● يمكن تقسيم إنتاجه المسرحى الى مرحلتين : الاولى بدات عام ١٩٦١ والثانية وهى مرحلة النضوج الفنى والفكرى الكامل ، وبدات بمسرحية "الفيل ياملك الزمان" عام ١٩٦٩ والتى مثلتها فرقة الشرقية المسرحية .
● من اشهر اعماله "ماساة بائع الدبس الفقير" "حفلة سمر من اجل حزيران" "الفيل ياملك الزمان" "مغامرة راس المملوك جابر" "الملك هو الملك" التى عرضت اخيرا فى مصر .

وقال د . علي الراعي موجها كلامه الى سعد الله ونوس .. وما كنت تأسف له في كلمتك عن مسرحية "مغامرة في رأس المملوك جابر" ينبغي أن تكون قد خفت حدتها ، لأن المسرح في مصر قد وصل الى ذلك بالفعل ..

ايضا هناك ظاهرة أصبحت واضحة بشكل جلي في الأونة الأخيرة ، وهي نمو الدراما التليفزيونية الجادة ، خاصة تلك التي نجحت نجاحا كبيرا في إيصال أفكار ومعطيات فكرية وسياسية واجتماعية للناس وفي مقدمتها أعمال أسامة أنور عكاشة (ليالي الحلمية) التي يخاطب فيها الوجدان سياسيا واجتماعيا ، وهي ظاهرة مفرحة ، وإن كانت قد وضعت المسرح الجاد في مازق ، لأن هذه المسلسلات أصبحت تقدم ما كان يقدمه المسرح الجاد في الستينات بوسائل اكثر تشويقا ، وبمقدرة على الوصول ، وبجماهير تعد بالملايين ، وبقروش قليلة ، واصبحت تستقبلها يوميا في بيتك محاطا بأسرتك ، وأصبحت عاملا موحدا بين الناس ، يفتحون جهاز التليفزيون في ساعة محددة يوميا لمشاهدة "ليالي الحلمية" .

إن هذه كلها عوامل طيبة في صالح المسرح ، ونلحظ أنها قدمت من خلال التليفزيون الذى نبتعد عنه جميعا نحن المثقفين .

والوضع فيما يخص المسرح وجهاز التليفزيون ، ينبغي أن يكون وضع الانسان المدقق الذى يريد أن يستولى على جهاز التليفزيون ، لحساب القيم الجادة والفكر الجاد في المسرح ، وهذه نقطة أولية في إشكالية المسرح والجمهور .

● أسباب الهبوط

□ د . أمين العيوطى : انا لا اتفق مع سعد الله ونوس في الجملة التي ذكرها عنه د . علي الراعي : أن المسرح لم يشق له طريقا بعد في قلوب الناس .. لأنه كيف يمكن أن نفسر ظاهرة الستينات في المسرح المصرى .. ظاهرة الاستمرارية والنشاط المكثف في مسارح القاهرة والاسكندرية والجمهور الكبير الذى يؤم هذه المسارح وتلك الندوات التي كانت تعقد بشكل دائم في المسارح ويؤمها جمهور غفير ..

إنني أجد أن كلمة سعد الله ونوس لاتنطبق على الستينات بقدر ما تنطبق على السبعينات رغم أوجه النشاط المسرحي التي عددها د . علي الراعي إننا نعاني بالاضافة الى هبوط المسرح بشكله الهازل الذى يصل الى درجة الاسفاف في كثير من الأحيان حاليا ، ندرة الأعمال المسرحية التي تعرض على مسارح الدولة ، أيضا نعاني من هروب الممثلين وعدم أشتراكهم في الأعمال المسرحية ، لانشغالهم بأدوار درامية في السينما والتليفزيون ، وبالرغم من البداية الطيبة التي شهدتها الستينات فإن الظاهرة المسرحية انحسرت بشكل كبير كما أختلفت نوعية الجمهور واختلاف ثقافته وضحالتها !

□ سعد الله ونوس : عفوا للدكتور أمين العيوطى .. فانا لم أقل أن

المسرح لم يشق طريقه الى قلوب الناس ، والجملة التى أوردها د . على الراعي كانت عبارة فى سياق مقدمة مسرحية "مغامرة فى رأس المملوك جابر" وكان المقصود من هذه العبارة هو محاولة البحث عن فعالية مسرحية ، وبالتالى كانت فى إطار البحث عن المسرح الذى يلائمنا ، ولم تكن العبارة تعنى أنها محاولة لتقويم وضع المسرح فى الوطن العربى آنذاك .

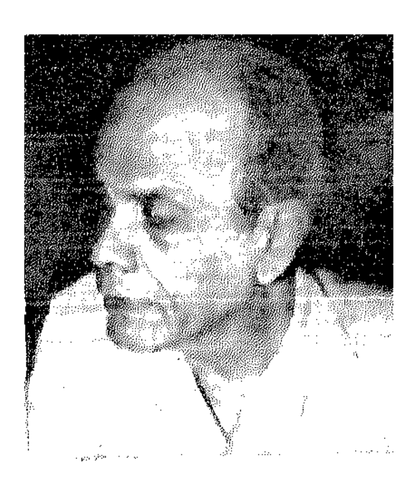
أعود الى تلك المقدمة التى بدأها د . الراعي .. ولقد أعطانا من خلالها صورة وصفية عن الوضع المسرحي فى الوطن العربى وتبدو للوهلة الأولى مليئة بالتفاؤل .. فهناك مسرح مستمر ، وهناك مسرحيات تقدم وجمهور يؤم هذه المسارح ، وبالتالى فإن المسرح بشكل أو باخر قد دخل النسيج الاجتماعى والحياتى للناس فى الوطن العربى ..

والمشكلة تبدأ من هنا ! ..

ماهو هذا المسرح الذى استطاع أن ينفذ الى نسيج الحياة الاجتماعية فى مصر أو فى سوريا ، أو فى سواهما من البلاد العربية ؟!

فى اعتقادى أن هذا المسرح بعيد جدا عن المسرح الذى يعالج شرط الانسان فى ظرف تاريخى أو ظرف اجتماعى معين ، والذى يسعف هذا الانسان على مواجهة هذا الظرف ، سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية الجمالية .

ولايطمئننا وجود مسارح تعمل على مدار العلم ، مادام ما تقدمه بعيد عن المسرح الذى نريده ، وهذا لايخفف من أزمة المسرح الذى نتوخاه ، أننا إذن



د. على الراعى

بصدد البحث فى أزمة المسرح الذى نريده ..

ومن الطبيعى أن أية محاولة لمواجهة الوضع بصورة وصفية ، ستفضى بنا الى مزج المسرح بالتليفزيون ، والتليفزيون هو إشكالية فى البلاد العربية ، وإشكالية بالنسبة للمسرح ، وصحيح أن التليفزيونات العربية تبث على مدى ساعات طويلة يوميا ، دراما ومسلسلات وأعمالا شبيهة بالدراما ولكنها بعيدة جدا عن المسرح فى مفهومنا ، وبعيدة جدا عن أن تكون بديلا عن المسرح الذى يعكس الواقع ، ويقدم صورة فكرية عميقة عن هذا الواقع من ناحية البنية السياسية أو الاجتماعية واعتقد أن علينا أن نتجاوز هذه الصورة الوصفية ، وأن نقرر بان مايقدم على مسارحنا الآن ، هو نقيض المسرح الذى نريده ، ولأنه نقيض المسرح الذى نريده ، فإننا نقول إن المسرح يعانى من أزمة ، وعلينا الأقرار أيضا بأن مايقدمه التليفزيون إلا باستثناءات قليلة أشار اليها د . على الراعى فإن هناك آلاف الساعات التى

● د . على الراعى : المسرح وصل إلى حضن الجماهير وهى لن تتخلى عنه طالما ساعدها على هذا .

تغرق المواطن بالتفاهات او تغيب وعيه وتفسد ذوقه وتحوله الى مواطن يكاد يكون غريبا عن نفسه وعن واقعه ..

وعلى ذلك فإن مايقدمه التليفزيون شيء آخر غير المسرح الذى نريده وبالتالى فإن هذا يعمق أزمة مسرحنا ويعوق مسيرته .

أيضا أشار د . على الراعى إلى ما اصاب المسرح فى السبعينات بما يشبه الانقطاع بسبب التحولات السياسية وقد تم ذلك ليس فى مصر وحدها ولكن فى معظم البلاد العربية ، وعلينا أن نتوقف امام هذا الانقطاع ، وأن نجد الرابطة العميقة التى تربط بين وضع سياسى معين ، وبين ازدهار مسرح جاد قادر على أن يؤثر فى مجتمعه تأثيرا إيجابيا ، فانحسار المسرح فى هذه الفترة لايمكن ان يكون مصادفة .

إذن فجزء من إشكاليتنا هو تغيير الوضع السياسى ، بحيث وضع المسرح الذى نريده او نتوخاه فى ازمة .

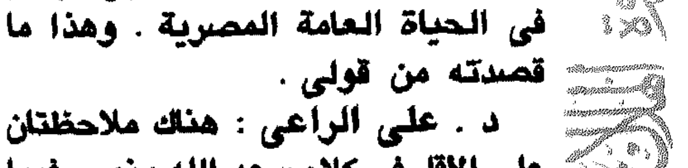
إن النمو الذى كنا نتوقع ان يتواصل بعد ازدهار المسرح فى الستينات واوائل السبعينات - والذى جئنا نحن لنحاول مواصلته والمضى به الى الامام انكسر وتوقف ، واصبح مثل هذا المسرح الجاد ، يتظاهر مرة فى العام ، ومرة فى هذه العاصمة ، ومرة فى عاصمة اخرى ، ولكنه ماعاد موجودا كتيار مستمر متواصل .. فى حين نجد ان المسرح النقيض هو الذى اصبح مستمرا ومتواصلا ومتجددا أيضا ، بحيث انه سيظل وراء أزمة المسرح الجاد .

إذن فالصورة الوصفية قد تخفى الأزمة ، وفى رأيى أن هذه الأزمة قائمة مادمنا نبحث عن مشكلة المسرح الجاد وعن مستقبله ، وكما اشرت فإن هذه الأزمة تتبلور وتتمظهر فى ازدهار ما اسميه بالمسرح النقيض ، وبازدهار وتوسع طغيان الأداة التليفزيونية على الحياة العامة للناس !

د . على الراعى : عفوا أستاذ سعد الله .. إننى اود التوقف عند معنى كلمة وصفية التى وردت اكثر من مرة فى كلامك .. فماذا تقصد بالذات بالصورة الوصفية ؟

سعد الله ونوس : اقصد إذا عممنا تعريف المسرح ، وإذا قلنا مثلا إن كل العروض التى تقدم على المسارح هى مسرح ، فإن كل امرىء يركب طائرة ويأتى الى القاهرة وينظر الى مسارحها وعدد المسرحيات التى تقدم عليها دون النظر فى نوع هذه المسارح وماذا تقدم ، وبالتالى فسوف يقول من





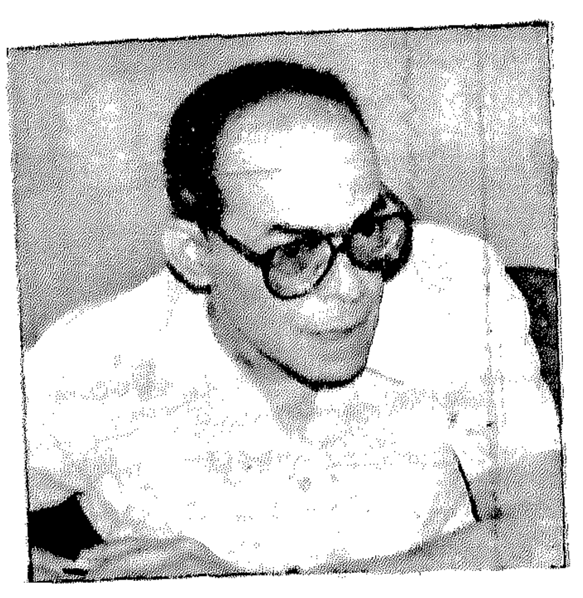
الناحية الوصفية .. هناك مسرح مزدهر فى الحياة العامة المصرية . وهذا ما قصدته من قولى .

د . على الراعى : هناك ملاحظتان على الأقل فى كلام سعد الله ونوس فيما يخص أزمة المسرح ، وازمة المسرح موجودة ولكن ليس بالشكل الذى كان موجودا قبل أزدهار المسرح فى الستينات .

لقد أشرت قبل ذلك الى أن المسرح كان فى صعود وهبوط باستمرار يصل الى نشاط العشرينات فى القاهرة ، وبداية الثلاثينات ، ثم يهبط الى الصفر ، وتغتاله السينما الى أن يطفو على السطح من جديد ، بفضل العوامل السياسية والاجتماعية التى مثلتها ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ومنذ أن حدث هذا فى ١٩٥٢ حتى الآن تغير الموقف تغيرا جذريا ، وكما ذكرت وصل المسرح الى الناس كفن وكفكرة وكممارسة ، من الممكن أن تعصف به السبعينات ، ولكن ما أن تتغير الظروف ، ولو بعض التغير ، حتى يعود المسرح الجاد الى الانبثاق ، وفى القاهرة الآن أكثر من مسرحية جادة مثل مسرحية (وجهة نظر) لمؤلفها لينين الرملى .

نقطة أخرى اضيفها وهى أن المسرح الهازل أو التجارى ، مسرح الترقيص قد كان موجودا دائما منذ قيام المسرح حتى الآن ، وهذه الظاهرة ليست جديدة ولكن هنا حدثت مبالغة فيها بفعل عوامل خارجة مثل توافر النفط وتكدس الأموال فى جيوب بعض الناس ، أو ظهور طبقات جديدة كما أشار د . أمين العيوطى تعنى بالفرفشة



د. امين العيوطى

المسرحية وليس بالمسرح ، ولكن إذا وسعنا الصور لتشمل النشاط المسرحى عامة ، نقول بانه يوجد نشاط مسرحى وليس حركة مسرحية قوية ، الى الحد المطلوب ، وانا أميل الى الاعتقاد بان الدراما التليفزيونية ليست نقيضا للمسرح الحى ، واقصد الأنواع الجيدة ، فهى روافد لحركة المسرح ، بمعنى أنها يمكن أن تثير فى الناس اهتماما قويا بفن المسرح خاصة إذا ضمت خيرة الممثلين والموضوعات المنتقاة والمعالجة فنيا بشكل جيد .

وإذا اعتبرنا المسرح هو المسرح الحى الذى يقدم على خشبة المسرح ، فاننا نحرم انفسنا من معونات كبيرة جدا ونقف ضد التيار ، بمعنى ضرورة الافادة من الاجهزة الجماهيرية الكبرى ، التى تساعد على البث ، وتساعد على تنوير الناس ، وتحفزهم ، وتعرفهم بفن المسرح ، كفن مثلما كانت تفعله السينما الأمريكية فى الأربعينات والخمسينات (شاهد الفيلم واقرأ الكتاب)

فمن الممكن أن يقدم التليفزيون

● د . أمين العيوطي : نعاني من ندرة الأعمال المسرحية الجادة وهروب الممثلين إلى السينما والتليفزيون .

المسلسل الجيد وهذا يشجع على الذهاب الى المسرح ولاباس من ذلك .

ولكن الباس على الذين يمسكون باجهزة التليفزيون ، فهم لايحرصون على نهضة فكر ولا نهضة فن ، إن القلق يحيط بهم ـ وانا مستمتع بهذه الظاهرة ـ من ظاهرة البث التليفزيوني المباشر عبر الاقمار الصناعية إنها اصبحت هما مقيما عند هؤلاء الناس ، لأن هذا البث سيصل الى البلاد المحاطة بالأسوار ، وثبت تكنولوجيا انه لايمكن التشويش عليها ، وهذا القادم آت لامحالة ولسنا فى وضع يسمح لنا أن نقول لا هذا مسرح حى ، وهذا مسرح تليفزيون .

والمسرح الحي ينبغي مساعدته بكل الوسائل ، كما يجب أن نستمد من الروافد الأخرى التى تقويه ليبقى قائما .

□ سعد الله ونوس معنى هذا أن نستفيد من التليفزيون ، وفى اعتقادى ان هذا الجهاز مختلف عن وسائل الاعلام الاخرى ، فهو مرتبط عضويا بالنظام ، ويقدم عبره فكره وخطة حياته واستهلاكه ، وبالتالى لايمكن ان نتعامل مع التليفزيون كاداة محايدة .

مع التليفزيون ضاق جدا هامش المبادرة الشخصية ، واصبح لايمكن الافلات منه ، فهو كالفخ ، هو موجود فى البيت ، فلايمكن ان تفلت منه وبالتالى فإن المسالة أصبحت اكثر تعقيدا من السينما ومن الصحيفة او من وسائل الاعلام الأخرى ، وبما ان هذا الجهاز وفى المدى المنظور على الاقل ، سيظل يسيطر عليه من ليس له مصلحة لا بالارتقاء بفكر المتفرج ، ولا بالارتقاء بذائقته ، فإني لا اعتقد انه سيقدم عونا للمسرح الجاد الذى نريده .

لكن هناك جوانب كثيرة في هذا الجهاز ، هي بالدرجة الاولى عون للمسرح الآخر ، المسرح الذى يقوم على التخدير والهزل ، وتغييب وعى الناس ، واولئك الذين يستفيدون من المسرح اكثر كثيرا من المسرحيين الجادين ، لانهم يشكلون نمط تذوق لدى المتفرج ، ويشكلون لديه قابليات جمالية معينة ، ماعادت تتفاعل أو تتجاوب إلا مع شكل من اشكال المسرح ، هو بالضبط الشكل الذى سيفضى بالمسرحية للموت !.

□ د . أمين العيوطي : مرة أخرى يفرض علينا المقارنة فيما يقدمه التليفزيون ، وكلنا يذكر مسرح التليفزيون فى الستينات وما كان يقدمه فى البيوت من نوعيات راقية من الدراما ..

المؤسف ان مانراه اليوم باستثناء ماقدمه اسامة أنور عكاشة دراما هابطة ، وفيما يتعلق بالمسرح المنقول ، نجد أن التليفزيون يسهم إسهاما إيجابيا فى الهبوط بالذوق

العام !

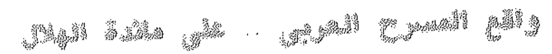
فاختيار التليفزيون للمسرحيات التى تقدم يأتى من بين المسرحيات التهريجية والترقيصية كما قال د . على الراعى والتى ينطبق عليها قول الراحل توفيق الحكيم حينما اشـ الى بعض الممثلين على انهم مهرجون وليسوا ممثلين ، ولم نر الآن فى التليفزيون المصرى مسرحية هادفة ، وإنما مسرح تهريجى مائة فى المائة ، لايضيف جديدا الى المشاهدين ، وإنما يهبط بالذوق العام بشكل دائم !

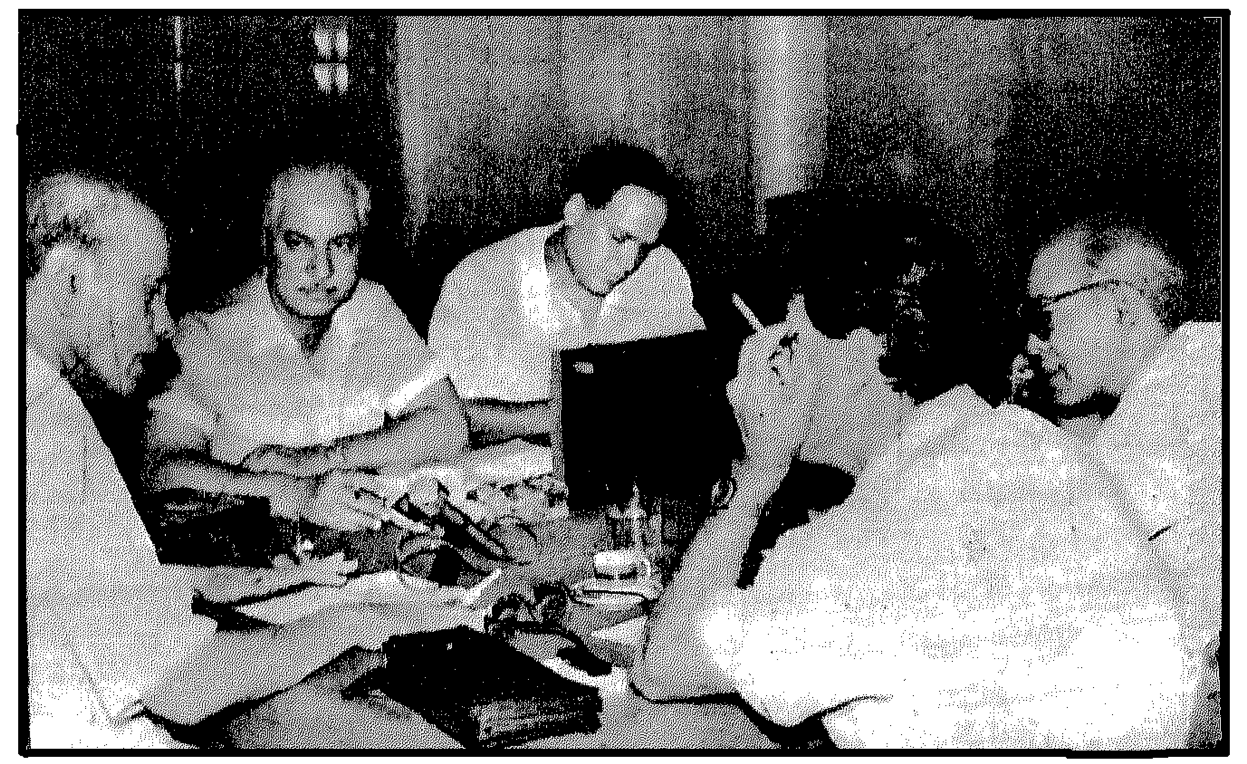
□ د . على الراعى : مازلت مختلفا حول الدور الذى يلعبه التليفزيون فى حياتنا المسرحية ، والذى أريد قوله بانه بالامكان تشكيل قوة ضاغطة لتقديم الأعمال الجادة مثلما حدث فى مسلسل "ليالى الحلمية" علما باننى مسلم تماما بان بعض الأيدى التى تمسك بجهاز التليفزيون غير امينة على الثقافة والفكر الجاد ، ولكن هذه الأيدى لاتعيش فى فراغ خاصة حينما تشكل قوة ضاغطة ضدها ، فإنها تستسلم لتعطى الجيد شيئا فشيئا ، وانا متاكد ان اسامة انور عكاشة لو لم ينجح هذا النجاح لتم الفتك به !

ينطبق ذلك على المسرح الجاد . فاهلا يابكوات فيها نقد شديد لدرجة أن الجماعات الدينية وجهت تهديدات الى الممثلين ، حيث تضمنت المسرحية شجبا للفكر الغيبى والفكر السلفى بطريقة واضحة ، ومع هذا فإن هناك محجبات تذهبن للمسرح لمشاهدة هذا العرض الجاد ...

ولقد أعجبنى د . فؤاد زكريا فى إحدى ندواته وهو يقول : ينبغى الا يدير المثقفون ظهورهم الى التليفزيون ، بل عليهم السعى للاستيلاء عليه ما امكن ذلك ! .

□ سعد الله ونوس : ساتوقف عند


واقع المسرح العربى .. على مائدة الهلال



كلمة ما امكن ، واتمنى لو ان بوسعي ان ننفذ الى هذا الجهاز .. ولكن اقول شيئا يوضح عقلية القائمين على التليفزيون في سوريا مثلا ، نجد العديد من البرامج والمسلسلات التي تقدم يوميا ، ولايمر يوم إلا ونشاهد فقرات من مسرحيات "مدرسة المشاغبين" و "العيال كبرت" "شاهد ماشافش حاجة" وبرغم الالتماسات ومحاولات الضغط من قبل المثقفين لتقديم مسرحية من المسرحيات التي صورها التليفزيون السوري طوال السنوات الماضية للمسرح القومي ، ولم نستطع ان نغريه لتقديم واحدة من هذه المسرحيات ، فهو من جانب يشكل ضائقة معينة ، ومن جانب آخر يمنع وبحزم وبإصرار الجمهور من التعرف على اجواء فكرية اخرى ، او على انماط جمالية مختلفة من هذه الانماط ، وبالتالي فهو ليس أداة محايدة ، فانا لا ادير ظهري للتليفزيون تعففا ، ولكن لأنه ليس لي مكان في هذا الجهاز .

□ د . علي الراعي : ربما اختلف الوضع في سوريا عنه في مصر . حيث ان المسئولين عن جهاز التليفزيون في مصر اكثر ذكاء . لانهم بين الحين والحين يسمحون بعرض المسرحيات الجادة . من التي كانت تقدم في الستينات مثل مسرحية « القضية » للطفي الخولي . و« سكة السلامة » لسعد الدين وهبة ، او احدى مسرحيات نعمان عاشور . فضلا عما يقدم من برامج اخرى كالفن التشكيلي والبرامج الثقافية ، وهذه البرامج لاباس بها من اجل تثقيف الناس او عدم تجهيلهم وهذا اذا كان قائما في مصر ، فمعناه اننا محتاجون في الشقيقة « سوريا » وبشيء من الضغط يمكن ان يفهم التليفزيون رسالته .

□ سعد الله ونوس : اود ان ننتقل للحديث عن المسرح خاصة ونحن نجد نوعا من الحصار والاختناق على مستوى العمل المسرحي الجاد ، وعلى مستوى مشروعنا الذي بدأناه في سوريا وفي الوطن العربي تقريبا .

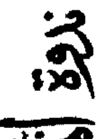
هناك اعمال مسرحية هنا وهناك لم تستطع ان تشكل التيار المسرحي الذي نريده ، بل اكثر من ذلك اصبح تشكيل مثل هذا التيار الان ، اكثر صعوبة مما كان عليه الأمر في الستينات ، واوائل السبعينات ، ومن العوائق الموجودة الان الجو السياسي والظروف التي تحدثنا عنها فيما يخص التليفزيون وهذا الازدهار الذي يلقاه المسرح التجاري وتغلغله في حياتنا . هنا اقول ماذا نفعل ؟

● اعتقد ان علينا الا نبحث عن المصالحات الصغيرة . وعن الهوامش الضيقة التي تتيح لنا تمرير شيء من هنا وفكرة من هناك .

● علينا ان نبذل جهودا حقيقية لتمييز المسرح عما هو سائد سواء في التليفزيون او في المسارح التجارية . وعلينا ان نعمل على مستويين .

- الارتقاء بجمالياتنا ، بحيث تتقاطع فعليا مع الجماليات المبتذلة التي يعممها التليفزيون والمسرح التجاري ، حتى لو ادى ذلك الى بعض النخبوية في البداية وعلينا في الوقت نفسه ان نبحث عما يتيح لنا ان نعيد للمسرح الهامه القديم ، وهو ان يكون هذا الاحتفال الشعبي الذي يغير الناس ويتغير بالناس ، او نجري نوعا من التفاعل المستمر بينه وبين جمهورنا وانا اذ اقترح هذا المخرج الذي قد يبدو دون كيشوتيا ، فلانى اكتشف ان السائد اقوى بكثير من المحاولات الفردية الصغيرة ، وهي غالبا ماتبدأ كتجربة ، تجد هذه التجربة مثلا تبدأ مسرحا شعبيا ، لكنه خلال فترة قصيرة يتدهور الى نوع من الشعبوية ، طلبا للنجاح وانسياقا مع ما هو سائد .

ان مشكلتنا في المسرح ليست فريدة من



نوعها ، انما تتم بالضبط بمزيد من النخبوية على المستوى الجمالي ، ومحاولة ايجاد المسرح الشعبي القادر على التأثير مثل العودة بالمسرح الى منابعه الاصيلة .

وفي رايي ان التليفزيون لن يستطيع اطلاقا ان يحل محل حاجة الناس الى الارتقاء والى التمسرح . والى العيش ضمن جماعة عبر عمل يعكس حياته وهمومه .

● جوهر المسرح

□ د . علي الراعي هنك نقطة اخرى خاصة بعلاقة التليفزيون بالمسرح ، وهي ايجابية المسرح في التليفزيون ويمكن ان تحل مشكلة هامة جدا ، وهي مشكلة تقديم الزاد المسرحي العادي ، على ان يلتفت فنان المسرح الحي الى التجويد والتعميق والاصالة .

واذا قلنا ان مسلسلات التليفزيون الجادة تقوم بتقديم الزاد الضروري غير الضار والنافع في اماكن كثيرة . فقد حررنا فنان المسرح الحي من هذه الاشكالية . الثعالبية انه مضطر ليقدم مايشبه الحياة بمساطر النظريات ، بحيث ان هذا خروج عن سعد الله اذن هو اضير ، وبالتالي فان العمل ردىء .

ومااقدم على الخشبة بصرف النظر عن موافقتك او عدم موافقتك كان معظم ما كنت تريد قوله بشكل ظريف وجميل جدا .

ان هذا العرض المسرحي الجيد استطاع ان يقف صامدا امام عروض مليئة بـ « الهشك البشك » ، وهو عمل مليء بالرقص والاغاني ، وكل مايطمح اليه المتفرج العادي فضلا عن انه اوصل الى معظم المشاهدين ما كان يريد ان يقوله المؤلف .

هل لو كنا قد اقتصرنا على الشكل المكتوب به المسرحية لحققت ذلك ، ان مااقدم مستمد من نص سعد الله ونوس ، بتفاصيلها وينصرف الى تعميق فنه وتبسيطه بحيث نقدم مسرحا يقوم على الجوهر ، جوهر المسرح ولانقدم صورة فوتوغرافية لما يجري في المسرح . وهو ماكان يتم في بعض الاحيان . خصوصا في بداية الستينات في مصر في مسرحيات لاداعي لذكرها . هذا من جهة . ومن جهة اخرى ينبغي ان نقرر فائدة ان نعطيك « رغيف » المسرح ونقول لك اشبع وتعال لتاكل ما هو احسن . والذي اراه ان هناك علاقة بين الانتشار المسرحي عبر التليفزيون والتعميق عبر خشبة المسرح .

واضرب مثلا بمسرحية سعد الله ونوس « الملك هو الملك » ، فقد اثار عرضها ضجة واثارت حزازات وخلافات بين النقاد . فهناك من قال بأن سعد الله قد ابيح دمه ، وان الرسالة التي كان يزمع تقديمها من خلال المسرحية قد تميعت وهزلت حتى اصبحت غير قائمة ، وذلك لمجرد ان المسرحية قدمت بشكل جديد يؤكد الجانب الاحتفائي ، ويحيل المسرحية كما سميتها في المصور « الى فرح سياسي شعبي » ، وهذا كان مكسبا كبيرا جدا ، لم يلتفت اليه اصحاب النظريات الذين يقيسون الاعمال الفنية

وعلينا ان ننظر لما كتبه فاروق عبد القادر وفؤاد دوارة . وينبغي ان ننظر بنظرة موسعة عميقة ورحبة الصدر ، الى حقيقة مايجري ، خاصة وان البث التليفزيوني المباشر قادم الينا . فماذا سيفعلون ؟

□ سعد الله ونوس : بهذا المعنى نحن متفقون تماما .. ولنقل ان التليفزيون يحرضنا على المزيد من البحث في عملنا المسرحي لكي نميز هذا العمل عن الرثاثة والتفاهة السائدة ، وانا اتفق مع د . علي الراعي تماما لان هذا البث يتوقف عليه مستقبلنا لمسرح جاد . لكن بهذا الصدد ، ربما حان الوقت لكي نواجه مسالة بدات تصبح خطيرة على الساحة المسرحية .

وانا أوكد على كلمة بحث وليس على

مجرد لملمة بعض اشكال وتلزيقها فى عرض ما او عمل ما .. ولكى اوضح كلامى على ان اقول بامانة ان ماحدث فى « الملك هو الملك » تم بموافقتى ، والأمانة تجعلنى اقول ان مخرج هذه المسرحية قد اسس بتقاليد مسرحية فى بلادنا حين سافر الى دمشق على حسابه الخاص وعرض لى تصوره والرؤية التى يريد ان يقدم بها العمل ووافقت .

واتفق مع د . على الراعى . بان فرحتنا حينما تكمل فى بحث جاد وعميق عن اشكال مسرحية ، هذا البحث يجب الا يكون مثلما تفعل مديريات جمع التراث او جمع الفولكلور فاحيانا قد يكون الفولكلور (لايوجد هناك فلولكلور برىء) مستخدم .. وعندما تستخدم الزار ، فانت تستخدم مايعنيه الزار فكريا ، اذن المسالة ليست ان نزين العروض ببعض اشكال فرحتنا ، وانما ان نجد علاقة عضوية وبنيوية بين الشكل المستخدم وبين قول المسرح الذى استخدم هذا الشكل من اجله ، وفى هذا الطريق ، اعتقد انه على المسرحيين ان تتضافر جهودهم ، وان يحاولوا الابداع . وهذا مايمكن ان ينقذهم من المازق الذى يعيشونه الآن .

□ **الهلال** : ماهى رؤية الكاتب المسرحى سعد الله ونوس لما يقدمه المسرح فى مصر ، وكيف يمكن ان يتم التواصل بين المسرحيين العرب ؟

□ **سعد الله ونوس** : حاليا من الصعب ان احكم على المسرح المصرى ، اننى اعرف جيدا مسرح الستينات واوائل السبعينات فى مصر ، فهذه الحركة النشطة تابعتها قراءة واحيانا رؤية ونقاشا مع كتابها ومخرجيها ، وكانت تشكل التيار الفعلى او العمود الفقرى فى الحركة المسرحية العربية ، لقد كنا نقوم بتجاربنا اخذين فى الاعتبار ان هذه هى التجربة الاساسية وهى العمود الفقرى ، الذى ينظم الحركة المسرحية العربية ، وننقدها احيانا ونختلف معها احيانا ، وننقد شكلا فى الاداء او فى الاخراج . ولكننا كنا نعرف انها الاساس فى حياتنا المسرحية ، وخاصة ان هناك جيلا من الشباب بدأ يكتب ، وان هناك جيلا من المخرجين بدأ يقدم مسرحا .

وفى المهرجانات المسرحية الاخيرة ، رايت بعض العروض المسرحية من بينها مسرحية « عجبى » ورايت تجربة تقديم « التربيع والتدوير » فى قرطاج ورايت مسرحية « الملك هو الملك » ، وسمعت عن محاولات كثيرة عبر متابعات صحفية ، ان هناك طفرة من المحاولات الشابة للبحث عن قول جديد وشكل جديد ، وانهم بداوا يتوسعون فى العرض المسرحى فينقلونه من المسارح الى اماكن اخرى والى القرى وقد يكون هذا مبشرا وايذانا بأن فترة الركود والتقهقر قد بدات تنتهى .

ومن الغريب ان فترة الركود هذه ترافق معها شىء ايجابى ممتاز ، هو ان الصلة بين المسرحيين العرب قد توثقت وتعمقت اكثر بكثير مما كان عليه الحال فى الستينات واوائل السبعينات .. والمسرحيون العرب يتبادلون التجارب ويعرف كل منهم مايفعله الاخر ، ويتواصلون وربما ساعدت المهرجانات فى ذلك جزئيا .

● **شكل جديد**

□ **د . أمين العيوطى** : اشار سعد الله ونوس الى البحث عن بعض الاشكال مثل الزار والسبوع ، ولكن هذا البحث لا يمكن ان يكون اشمل ، بحيث نبحث عن شكل جديد يلائمنا نحن كعرب لنا تراث لم يستغل .. لقد اخذنا من الغرب ، ولم نطور اشكالا مسرحية كانت قائمة ، وموجودة بالفعل فى حياتنا الشعبية ، فهل تقصد فقط تطعيم الاشكال المسرحية باشكال تراثية ام نوسع هذا المفهوم ، بحيث يشمل البحث



عن مسرح له هوية عربية ؟

● دعوة مضللة

□ سعد الله ونوس : هناك نقطتان اساسيتان :

الأولى : مسالة البحث عن شكل مسرحي عربي ، وفي رايي انها دعوة الى حد ما مضللة ، واخشى ان تكون عاملا معوقا اكثر مما هي عامل مساعد للحركة المسرحية .

ليس المطلوب الان البحث عن شكل مسرحي عربي ، وانما البحث عن تجارب في الابداع متعددة وغنية تتيح للفنان الكثير من الحرية ، ونعتقد ان غياب التقاليد المسرحية وغياب التراث العربي له جانب سلبي لكن له في الوقت نفسه جانب ايجابي بمعنى انه اتاح لنا ان نبدع ، ولم نكن مقيدين او ملزمين ببنية واحدة .

ان مشكلة معظم المسرحيين المجددين انهم كانوا يريدون المسرح العربي في تعريف واحد او في قالب واحد ، فبعضهم قدم صيغة الحكواتي ، فعرف المسرح على انه المسرح الذي يستخدم الحكواتي ، اما انا فقد قدمت المسرح الذي يشارك جمهوره .

الثانية : هي استخدام بعض موتيفات او اجزاء من التراث الشعبي ، اننا لانكتسب هوية باستخدام الفولكلور او بعض الظواهر الشكلية ، نحن نكتسب الهوية بقول المسرح وبمضمونه وبالكيفية الابداعية التي نصوغ فيها هذا القول ، سواء على مستوى الكتابة او مستوى العرض ، ولذلك الححت على فكرة البحث عندما نريد ان نفيد من تراثنا واشكال الفرجة في بلادنا وعلينا ان نكون حذرين ، وان نعي ان هذه الاشكال ليست بريئة وليست محايدة اذن يجب ان يكون الشكل متطابقا فعلا مع المضمون مع قول العمل المسرحي بحيث يتكامل ذلك ويتاكد ويزيده تاثيرا وفعالية .

□ د . امين العيوطي : رغم قول سعد الله ونوس فهذا لاينفي وجود اشكال مسرحية متعددة في العالم لها هوية وطابع ونميزها عن المسرح الغربي ، والمسرح الغربي نفسه كان يضم الكثير من الاشكال ، ولم يحدث على الاطلاق أن جمد المسرح على شكل واحد حتى في التجارب العربية . انا متفق على انه لايمكن ان نقول ان شكلا واحدا يجب ان نتبعه ولا اعني على الاطلاق ان تحدث عملية تجميد للابداع عند الفنان .

□ د . علي الراعي : فيما يخص البحث عن صيغة عربية للمسرح ، فهذا مطلب مشروع ، ومحاولة الافادة من الاشكال المسرحية التراثية سواء كانت مسرحية بالفعل مثل خيال الظل او ماقبل المسرح مثل سائر الاشكال ولا اظن ان في هذا ضررا بل على العكس ، الاستفادة من الاشكال المسرحية هذه وجعلها تخدم المضمون الذي يريد الكاتب المسرحي ان يقوله . تقربها كثيرا من وجدان الناس .

في القاهرة الان محاولات لاستخدام مسرح المحبظين ومسرح الارتجال وهذه المسرحيات يقدمها الشباب وتستقطب كثيرا من المشاهدين ، وهذا الشكل التراثي ليس سيدا ، وانما هو مستخدم لخدمة المضمون الذي يريد ان يقوله هؤلاء الناس ، وهو مضمون تقدمي .

□ الهلال : كنا نود ان نتحدث عن مستقبل المسرح .

□ د . علي الراعي : ان مستقبل المسرح بشكل عام كفن ، اذا قصرنا الكلام على المسرح الحي الذي يقدم على الخشبة يوميا ، فهذا المسرح قائم وسيقوم ما لم نسمح له بان يموت .

ونستفيد من امكانية انه المسرح الوحيد الذي يلقى الانسان فيه الانسان في عصر يزداد قولبة وميكنة وابتعادا ، في عصر

يقدم الظواهر الاجتماعية الى مكالمات تليفونية والخطابات تتحول الى مكالمات عبر القمر الصناعي . فهذه هي النقطة التي ينبغي اليها اسناد المسرح الحي في الدفاع عن نفسه انه يدعو الى التواصل الحي ، وانه مسرح حي من لحم ودم حار ، وان الانسان يلاقي فيه الانسان في وقت عز فيه اللقاء .

□ سعد الله ونوس : اتفق تماما مع ما قاله د . علي الراعي ، واضيف نقطة اخرى ، وهي ان المهرجانات لن تنقذ المسرح ، ان لم تعجل بانقراضه !

وقلبي مليان وساقدم مثلما بدأ د . علي الراعي صورة وصفية لمهرجان القاهرة التجريبي .

لنفرض ان هناك فنانا لديه عمل مسرحي ويدعى الى كل المهرجانات التي تقام في الوطن العربي ، فهو في اول سبتمبر ، سيكون في القاهرة ، للمشاركة في المهرجان التجريبي الثالث ، وفي نوفمبر سيكون في قرطاج يشارك في مهرجانها المسرحي وفي يناير سيكون في الكويت او قطر لكي يشارك في مهرجان دول مجلس التعاون الخليجي ، وسيكون في مارس في بغداد ليشارك في مهرجان الابداع المسرحي ثم الى المغرب ، ثم مهرجان دمشق المسرحي ، ان لم يات قبل ذلك للمشاركة في مهرجان القاهرة التجريبي الذي سيكون في ١ سبتمبر ١٩٩٠ .

وبهذا المعنى لن يكون لدى هذا الفنان الوقت للابداع .

وهذه المهرجانات في النهاية تحولت الى جزء من البرنامج الاعلامي لهذه الانظمة والمسرح هو ذريعة في هذه المهرجانات وليس موضوعا جوهريا ، او اهتماما اساسيا لدى منظمي هذه المهرجانات والدليل على ذلك ان دولة ما تنفق مثلا ١٠ ملايين ليرة سورية او ٢ مليون جنيه على مهرجان لكنك في الوقت نفسه ، لاتجد ٥٠ الف جنيه لكي تصلح مسرحا ، بل يترك هذا المسرح خرابة ، في حين تاتي بالضيوف والممثلين وتضعهم في افخر الفنادق السياحية ، وحين يذهبون لمشاهدة العروض ، يدخلون اماكن هي فعلا كالخرائب . دورات مياه واضاءة سيئة .

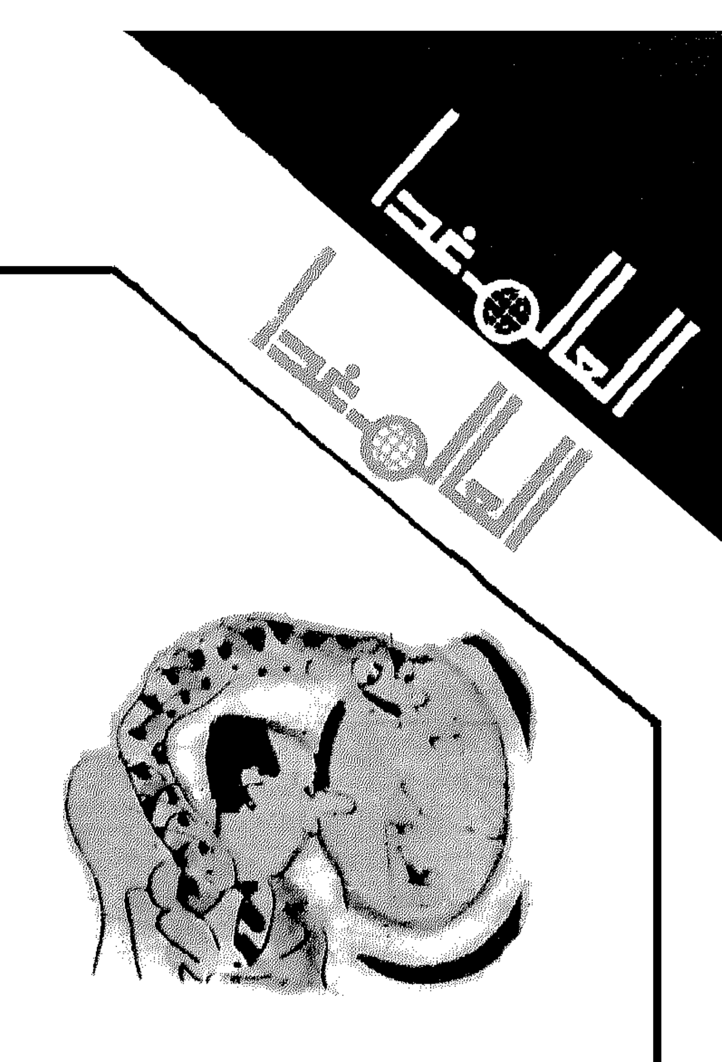
وهؤلاء الذين ينفقون الملايين تجدهم يتلكاون عندما يتعلق الامر بحق الفنان او محاولة تحسين شروط عمله ، فتبرز اللوائح والقوانين ولايعطى هذا الفنان الا النذر اليسير .

لقد دعيت لبلاد عربية كثيرة ، وانفق عليّ الالاف في حين لم استطع ان احصل على حقوقي كمؤلف في هذه البلدان !

ولااستطيع ان افهم كيف لايمكن ان يتنادى المسرحيون العرب ، وتتضافر جهودهم لايقاف هذه المهزلة ، وليتم مهرجان او اثنان دوريا في كل البلاد العربية . وليتم ضغط على تحويل جزء من هذه النفقات لصالح تحسين شروط العمل المسرحي ، خاصة ان نفس الاعمال التي تدور في كل المهرجانات بين مهرجان واخر هي نفسها باستثناء عرض او عرضين جديدين .

د . علي الراعي : اظن اننا غطينا الموضوع بشكل شبه كامل ، والكلام عن المسرح اذا بدأ فانه لاينتهي ولكن في الواقع فان الزمن يجعلنا نوقف هذا النشاط الحي المتدفق ، الذي تبادلنا فيه جميعا اراء فاعلة ومثيرة وباعثة على التفكر .

ويسعدني ان الاحظ ان سعد الله ونوس الذي بدأ حذرا وشبه متشائم من وضع المسرح في وطننا العربي قد وجد الان مبررا لشيء من التطلع للأمل ، والواقع ان الصورة ليست سالبة ولاسيئة ان الشعار الذي ارفعه هو ان المسرح الان وصل الى حضن الجماهير وهي لن تتخلى عنه طالما اننا نساعدها على هذا ، وطالما لن نتخلى عن الجماهير ، فهي بالتالي لن تتخلى ابدا عن الفن الجاد حيثما وجدته .



• عجائب فى موسكو

انكب أحد مختبرات مركز الابداع العلمى والتقنى للشباب فى موسكو على دراسة الظواهر الشاذة والقدرات الغريبة للبشر · وينحصر عمل المختبر حاليا فى جمع وتصنيف الوقائع ، والتعرف على من يتمتعون بمثل هذه القدرات ، ومساعدتهم على اطلاق طاقاتهم ··

وقد جمع المركز عددا من أصحاب القدرات العجيبة فعلا ، فقد عرض أحد الموسكوفيين فيه « غازا مغناطيسيا ! » فشاهد المعنيون سحابة من الدخان تنطلق من قطعة قطن مشتعلة ، دون أن تتبدد فى الهواء ، بل تتكثف لتغدو كرة صغيرة تدور حول المغناطيس الذى وضع فى المكان ، كما أثبت اخر قدرته على تغيير الصفات الفيزيائية للماء بتقريب يديه من الوعاء الذى يحويه (سجلت الاجهزة تغييرا فى نسبة حامضيته) وبين ثالث قدرته على تفرق الغيوم بتحريك يديه ··لتختفى بعد ذلك أشعة الشمس التى نفذت من الثغرة عبر الغيوم ويعاود المطر الهطول ·· وقد سجلت هذه التجارب العجيبة على شرائط فيديو ، ومن المشكوك فيه أن يصل العلماء الى تفسير فورى لها ، وان أمكن تكرارها لاتاحة الفرصة لدراستها ··

وعلى صعيد اخر شكلت لجنة لتقصى قضية الاطباق الطائرة أو « الاجسام » المجهولة الهوية ، رأسها الدكتور فلاديمير عجاجه ، وانتخب الملاح الكونى بافل بوبوفيتش نائبا له ·

هذا كما سجلت فى موسكو أخيرا وكالة اعلامية جديدة على غرار وكالة جينس الغربية ، التى تنشر موسوعة الارقام القياسية بكل ما هو غريب من مجالات ·· وسوف تفترق موسوعة الغرائب السوفييتية عن زميلتها الغربية من حيث تطرق معلوماتها الى تفاصيل لا يسجلها أحد ، مثل المعلومات عن الاطباق الطائرة والقدرات الخارقة و ···

وقد أعلنت الوكالة السوفييتية قبل فترة عن مسابقة للارقام القياسية ، كما عقدت اتفاقية للتعاون مع جينس ، وأبدت استعدادها للتعاون مع جميع المؤسسات والشخصيات ، الامر الذى يجعل السوفييت يتوقعون أن تصدر حافلة بالعجائب التى كانت بعيدة عن مطبوعاتهم ·

• أب رغم أنفه

الرأى العام الامريكى مشغول هذه الايام بحكاية غريبة !

بدأت الحكاية حين فشل الزوجان جونيور ديفيز ومارى سو فى الانجاب بصورة طبيعية ، وتبين بعد الفحوص عدم قدرة قناتى فالوب ـ اللتان تحملان البويضات الى الرحم ـ على القيام بوظيفتهما ‥ هكذا قرر الزوجان تجربة الانجاب وفق تقنية التخصيب فى الانابيب ، وهى تقنية ليست ميسرة لان نسبة النجاح فى المحاولة لا تتعدى ١٥ ـ ٢٠٪ بينما تتكلف ـ المحاولة ـ ما يزيد على خمسة الاف دولار ·

فشلت عملية الاخصاب عن هذا الطريق مرات قبل أن تنجح فى نهاية المطاف ، وقرر الزوجان الاستفادة من تقنيات الاحتفاظ بالبويضات المخصبة مجمدة الى أن تلوح أنسب الظروف للحمل والولادة ·

وبينما ينتظر جنين المستقبل الوقت المناسب تدهورت العلاقات بين الزوجين وقررا الانفصال · وهنا بدأت المشكلة فالزوجة ترغب ـ رغم الانفصال فى حضانة الجنين وفك اساره بالحمل وللولادة ، وترى أن هذه هى فرصتها الوحيدة ، نظرا لظروفها الصحية وتقدمها فى العمر ، ناهيك عن التكاليف الباهظة ‥ لكن الزوج لا يريد أن يصبح أبا بعد الطلاق وبالتالى لا يوافق على استخدام مطلقته للاجنة المجمدة ·

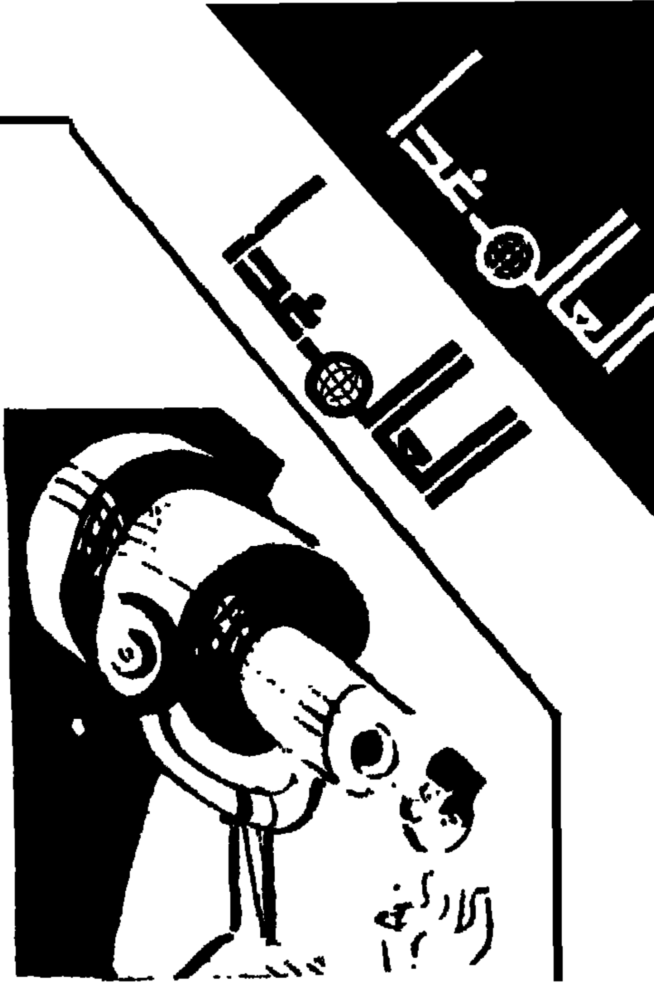
وصل الامر بالطبع الى ساحة القضاء · ونظرا لعدم وجود سابقة قضائية ، ولان مثل هذه الاجنة لتمثل موضوعا قانونيا ، كان ولابد أن تتسع دائرة الجدل حتى شغل الرأى العام الامريكى ، مع الاشكاليات العويصة التى ينطوى عليها ‥

وناهيك عن مأساة ولادة طفل لاسرة محطمة ، ومسألة الكيد بين « الزوجين سابقا » ، وتحميل الأب نفقة طفل لا يريده ، فان المشكلة الاعوص هى كيفية النظر الى البويضات المخصبة ‥ هل ينظر اليها كمجرد خلايا لا تمثل حياة بشرية ؟ أم ننظر اليها بصفتها أطفال لم يولدوا بعد ، ولا ينبغى ازهاق أرواحهم ؟ ·

والقضية المطروحة ليست قضية فردية فهناك فى المراكز الامريكية المختصة نحو ٤٠٠٠ بويضة مخصبة ومجمدة تنتظر الوقت المناسب لبدء رحلة الحياة ·

• فويجر والحضارات الغريبة

بدأ مسبار الفضاء الاوتوماتيكى « فويجر ـ ٢ » رحلة الخروج من مجموعتنا الشمسية بعد جولته الفذة التى استمرت ١٢ سنة واكتشافاته الفريدة فيما يخص الكواكب الاربعة الكبيرة المشترى وزحل وأورانوس ونبتون ، اذ غيرت الصور التى التقطها ـ المسبار ـ عن قرب لهذه الكواكب واقمارها ، وما يحيط بها ،



عن تغير كثيـر من التصورات التى كانت قد صيغت من الارض ، على البعد ، فيما يخص هذه الكواكب ٠

ورغم أن الوقود النووى البـاقى فى محركات المسبار يكفى لاستمرار تحليقه ٢٥ سنة أخرى فالمتوقع أن يتواصل طيرانه الى ما لا نهاية ، بفعل الجذب والطرد بينه وبين الاجرام السماوية التى يمر بها ٠٠

ومن هنا يعلق المتفائلون ـ بصدد وجود حضارات أخرى فى كوننا ـ يعلقون على فويجر الامال ، فى حمل رسالة من ســكان الارض الى اى من هــذه الحضارات : وتتضمن الرسالة بجوار تحية الرئيس الامريكى (كارتر) تحية من السكرتير العام للامم المتحدة (كورت فالدهــايم) بلغات شعوب الارض المختلفة ٠٠ « نيابة عن أهل الكوكب » تفيد أن سكان الارض ينطلقون خارج المجموعة الشــمسية لاهداف سلمية وعلميــة ولا يبغون الا السلام والصداقة ٠٠ وذلك بالاضافة الى تسجيلات صوتية لمعالم الحضارة الارضية ، من صراخ الولــيد ، الى اصــوات انطلاق الصواريخ ، والتسجيلات الموسيقية التى تنتمى الى عصــور مختلفة ، يصاحبها مذكرة تفســيرية : « ان هذه مجموعة من أصواتنا وصورنا وموسيقانا وعلومنا ٠٠ بل من أفكارنا ومشاعرنا ، على امل اللقاء مــع حضارات كونية أخرى » ٠

● الختان والايدز

تشير الدراسات التى اجريت على مرضى الايدز فى افريقيـا الى زيادة احتمال اصابة الرجال ، الذين لم تجر لهم عمليـة الختان ، ثمـانية اضعاف مقارنة بمن أجريت لهمعملية الختان ٠٠ وقد يكون ذلك هو سبب الفروق الواضحة فى نمط الاصـابة بالمرض ، بين افريقيــــا وامريـكا الشمالية ٠

فعلى عكس شيوع الاصــابة بين الرجال الشاذين جنسـيا فى أمريكا (٧٥٪ من عدد المصابين) لوحظ أن عدد الرجال والنساء الذين يصابون بالمرض متقارب للغاية فى افريقيا ، وأن العدوى تنتقل من خلال العلاقات بين الجنسين ٠

وتوقع العلماء منــذ فترة وجود عامل مجهول وراء التفاوت فى نمط الاصابة ٠٠ وأخيرا توصل الباحثون

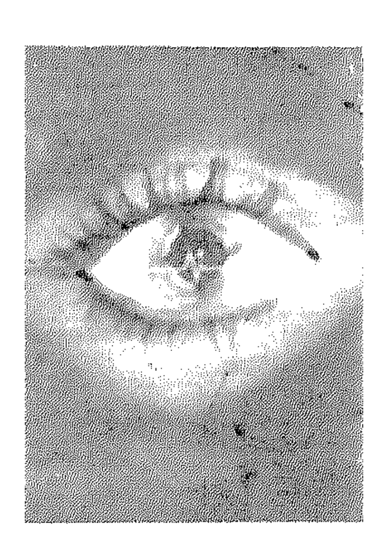
فى جامعتى أوتاوا (كندا) ونيروبى (كينيا) الى وجود علاقة قوية بين عدم الختان والاصابة بفيروس الايدز H . I . V فى ٣٧ قطـــرا ·· وبينت الدراسات أن عدم الختان يزيد من احتمال الاصابة بالفيروس ٥ ــ ٨ مرات ، بينما لا تزيد قروح الاجهزة التنـاسلية من احتمال الاصـــابة الا ٤ ــ ٥ مرات ، رغم ما هو معروف من كون القروح أحد العوامل التى تساعد بشدة على الاصابة بالفيروس · هذا كمـــا اشارت الدراسات الى زيادة الاصابة بالعدوى الى حد كبير عنـد اصابة الجهـــاز التناسلى بالقروح فى حالة عدم الختان ·

ويحتمل أن يكون سبب مسـاعدة الختان فى الوقاية من الايدز قيـام القلفة بتوفير بيئة رطبة دافئة تساعد على بقاء الفيروس حيـــا لفترات طويلة ، والمعـروف أنه سريعا مـا يموت فى الوسط الجاف · هذا كما أن الختان يتسبب فى تغطية مقـدم الذكر بغشـــاء صلب قد يكون هـو السبب لانه يقى من الخدوش الدقيقة التى يتسلل منها الفيروس الى الدم·

وجدير بالذكر أن الباحثين اثبتوا من قبل وجود ارتباط بين الختـــان وبين بعض الامــراض الجنســـية الاخرى ·

● بصمات العين

تعتبـــر عيون الانســـان اسطع انعكاس خارجى لمورثاته (جيناته)، لهذا يعتقد جراح العيون السوفييتى



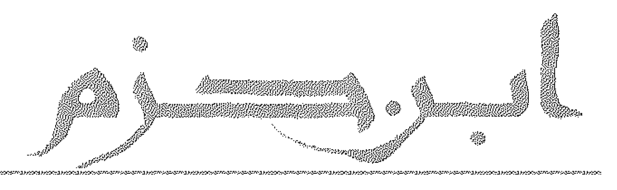
مولداشف أنها يمكن أن تساعد على تحـديد الكثيـر من « خصائصه » ، بدءا من التعــرف على الانتمـــاء العرقى للشـخص المعنى وانتهـــاء بالاستعداد الوراثى للاصابة بهـــذا المرض او ذاك ، مرورا بطبــــاعه وقدراته الذهنية ومميزاته النفسية ·

لهذا اجتهد مولداشف فى تحـديد ١٨ صفة جـــديدة للعين كان علم التشريح التقليدى يغفلها عادة ·· ويقترح الجراح ترجمة هذه الصفات الى معادلات (نماذج) رياضية يمكن التعامل معهـــا وتحليلهـــا بواسطة الكمبيوتر ، الامر الـذى سيبين أن لعين كل فرد بصـــمة فريدة مثــل بصمات الاصابع ·

ويؤكد مولداشف أن دراسةالصفات الخارجية للعين ، من هـذا السبيل ستؤدى الى طـــرق جديدة تمـــاما لتشـــخيص مختلف الامراض ، بل والصفات المميزة ، ناهيك عن أنهـا ستساعد الشرطة على اكتشـــاف المجرمين ، اى أنها ستكون عـونا جديدا للاطبـاء ·· والعلمـــاء ·· والانثروبولوجيين ·· والمؤرخين ·· والامنيين فى أداء عملهم ·

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين



٩٩٤ - ١٠٦٤ م

اهم كاتب فى الادب النثرى العربى فى القرن الحادى عشر الميلادى، ومن ابرز أعلام الادب فى الاندلس .. كان ابوه وزيرا للحاجب المنصور ، وكان هو نفسه وزيرا للخليفة الاموى عبد الرحمن الخامس ، وقد بدا حياته الادبية شاعرا ، ثم تحول الى النثر فكتب فى الحب ، والتاريخ ، والدين المقارن ، والفقه ، مخلفا فى كل ميدان من الاثار مالايزال يعتبر من اروع كتب التراث العربى ، خاصة ((طوق الحمامة))، و ((كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل)) وكتاب ((المحلى)) .

فاما شعره ، ومعظمه فى الغزل ، فقد اثر تاثيرا عميقا فى اناشيد التروبادور البروفنساليين واغانى الجرمان الغرامية Minne singers وقد أورد الكثير من قصائده فى كتابه النثرى « طوق الحمامة » الذى هو من أحب كتب التراث العربى الى الغربيين ، لا يكاد يفوقه شعبية عندهم غير « الف ليلة وليلة » · وقد ترسم ابن حزم فى كتابه هذا الذى يحلل فيه عاطفة الحب ، خطى ابن داود فى كتابه «الزهرة» وان فاقه فوقا عظيما· فان كان ابن داود قد اورد عددا من الملاحظات السيكلوجية عن الحب والمحبين ، فان تحليله للهوى ضحل غير عميق وغير مرتب · اما ابن حزم فيعالج الموضوع بطريقة منظمة ،اذ يبدأ بذكر اسباب نشوء العاطفة ، ثم يستطرد الى ذكر صفاتها الحميدة والذميمة ، فتحليل السلوك العاشق ، ثم الآفات التى تطرأ على العاطفة وتكبات الحب ، ثم



يعرج على فضيلة ضبط الشهوات ووصف الافعال غير المشروعة المتعلقة بالهوى ، مدعما كل حديث بشعر من نظمه ، وبنوادر وتجارب شخصية تساعد على توضيح المراد • ويتميز الكتاب بالتحليل النفسي الدقيق ، الى جانب الخفة والظرف الخلاب والعبارة الرشيقة ، ثم الجدة في العرض حتى ان تطرق الى اشياء مالوفة ومعروفة قبل زمانه بقرون عديدة •

ومن الغريب حقا ان يكون صاحب هذا الكتاب في العشق ، هو نفسه ذلك الفقيه الذي ينتسب الى مذهب من اشد المذاهب الفقهية الاسلامية تشددا (وهو المذهب الظاهري) ، والذي كرس معظم نشاطه الادبي التالي للهجوم هجوما مريرا على مناوئيه من الفقهاء • وقد كان من بين ما الفه في الشطر الثاني من حياته ، كتاب لم يسبق الى مثله في الادب العالمي في موضوع الدين المقارن ، الا وهو « كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل » ، الذي عرض فيه لمختلف الفرق الاسلامية ، وللديانتين اليهودية والنصرانية وغيرهما • قد سهل على ابن حزم اعداد دراسته الدقيقة هذه للديانات الاخرى ما ف عن العرب الفاتحين من حلم وتسامح تركا مجتمعاتكبيرة

فى وسطهم من اليهود والنصارى والزرادشتيين بل وحتى اشباه الوثنيين ، ممن حظيت معتقداتهم باهتمام العلماء المسلمين فى وقت مبكر ، وادت الى ادب جدلى واسع النطاق • غير ان كتاب ابن حزم فى الموضوع هو اول مؤلف نقدى منظم عن ديانات البشر ومختلف طوائفها ومذاهبها • فان كان يعيبه بعض الحدة واتسام الهدف والاسلوب بالجدلية التى تخرج احيانا عن الموضوعية ، فقد الهم الكتاب مؤلفات بعده فى الموضوع نفسه ، اشهرها كتاب « الملل والنحل » للشهر ستانى (١٠٨٦ ـ ١١٥٣ م) وهو كتاب اعمق وافضل واكثر انصافا للديانات والفرق من كتاب ابن حزم •

وقد كان ابن حزم فى اول امره شافعيا ، ثم انقلب الى مذهب الظاهرية الذى اسسه فى بغداد داود بن على المتوفى عام ٨٨٤ م ، والذى لم يحظ بالنجاح والقبول فى العالم الاسلامى • وقد الف ابن حزم فى فقه هذا المذهب كتابه الشهير « المحلى » ، وهو كتاب يتمتع بشعبية ملحوظة فى زمننا هذا خاصة بين افراد الجماعات الاسلامية المتطرفة من المثقفين • والمعروف ان ابن حزم (وسائر فقهاء المذهب الظاهرى) تنكروا للاجتهاد باكثر مما تنكر له الحنابلة انفسهم ، ولم ياخذوا بغير المعنى الحرفى الظاهر لنص القرآن والحديث ، متخذين موقفا عدائيا بالغ الضراوة ضد الباطنية، وضد الصوفية وتقديس الاولياء ، وضد تعنت الاشاعرة ، وضد تاويل الباطنية للقرآن والحديث •

الحجاج

٦٦١ - ٧١٤ م

من اعظم رجال الادارة فى التاريخ كله ، وصاحب الفضل الاكبر فى حماية الدولة الاموية من الفتن الهائلة التى هددتها من كل جانب ، ومؤسس مدينة « واسط » « بين الكوفة والبصرة » التى احتفظت، بفضل موقعها الاستراتيجى بمكانتها البارزة بين مدن العراق ، كما انه اول من عنى باعجام القرآن ، واخترع النقط لحروف اللغة العربية . ومع ذلك فلا يكاد العرب من القدماء او المحدثين يذكرون له غير قسوته وشدته على اعداء الامويين •

● بدا حياته السياسية والحربية بالقضاء على فتنة عبد الله بن الزبير الذى كان يسيطر على الحجاز كله ، ويتخذ من مكة مقرا لحكومته، ظانا انه ما من قائد سيجرؤ على الاعتداء على حرمتها وقدسيها • فكان أن ظل الحجاج يرميها بالمنجنيق حتى انفض الناس عن ابن الزبير وقتل هو



نفسه عام ٦٩٢ م وكافأ الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاج بأن عينه اميرا على الحجاز بالاضافة الى اليمن واليمامة ، فاستطاع فى خلال سنتين ان يقر فى هذه الاصقاع الامن والنظام بعد سنوات طويلة من الفتنة والاضطراب السياسى • وبعد ذلك ولاه عبد الملك اخطر عمل فى الدولة ، بان عينه واليا على العراق ، فاستهل عمله فيه بخطبة القاها فى الكوفة هى من بين اشهر الخطب فى تاريخ الاسلام •

وكانت مهمة الحجاج فى العراق عسيرة كل العسر • فقد غلظت قلوب العراقيين بفعل الحروب المتطاولة فى سبيل الخلافة • وفى الكوفة كان الهياج الناشىء عن الاضطرابات التى ثارت فى أيام المختار الثقفى لا يزال يحدث الذعر فى المدينة • وكان الخوارج لا يزالون معسكرين خارج أبواب البصرة ، فى حين ظهرت بينهم فرقة جديدة ، هى الازارقة التى كانت تكفر كل من يخالفها وتهدر دمه ودم زوجته واولاده ، والتى كان يتزعمها قطرى بن الفجاءة • وقد تعقبت جيوش الحجاج الثوار الى قلب كرمان فى فارس ، وقتلت قطريا عام ٦٩٦ م • ثم ظهر زعيم خارجى اخر هو شبيب الشيبانى ظل عامين يتهدد العراق من الموصل ويتحدى جيوش الحجاج، حتى افلحت تلك الجيوش فى القضاء على اتباعه وغرق شبيب فى نهر دجيل •

ثم أرسل الحجاج بعد قضائه على ثوار مقاطعة كرمان جيشاً قويا مجهزا أحسن تجهيز لاخضاع بلاد سجستان المجاورة وانتزاعها من يد الاتراك • وعين عبد الرحمن بن الاشعث قائدا على هذا الجيش • غير ان ابن الاشعث خانه وصالح الاتراك وعاد بجيشه لقتال الحجاج • واذ هزمه الحجاج فى البصرة ، اتجه ابن الاشعث الى الكوفة ، ولم تخمد فتنته حتى اوفد الخليفة عبد الملك جيشا دحره فى دير الجماجم ، فانتحر عام ٧٠٤ •

وكان نجاح الحجاج فى حسم الامور واخماد الفتن فى العراق ،سببا فى حرص عبد الملك قبيل وفاته عام ٧٠٥ على ان يوصى ابنه الوليد

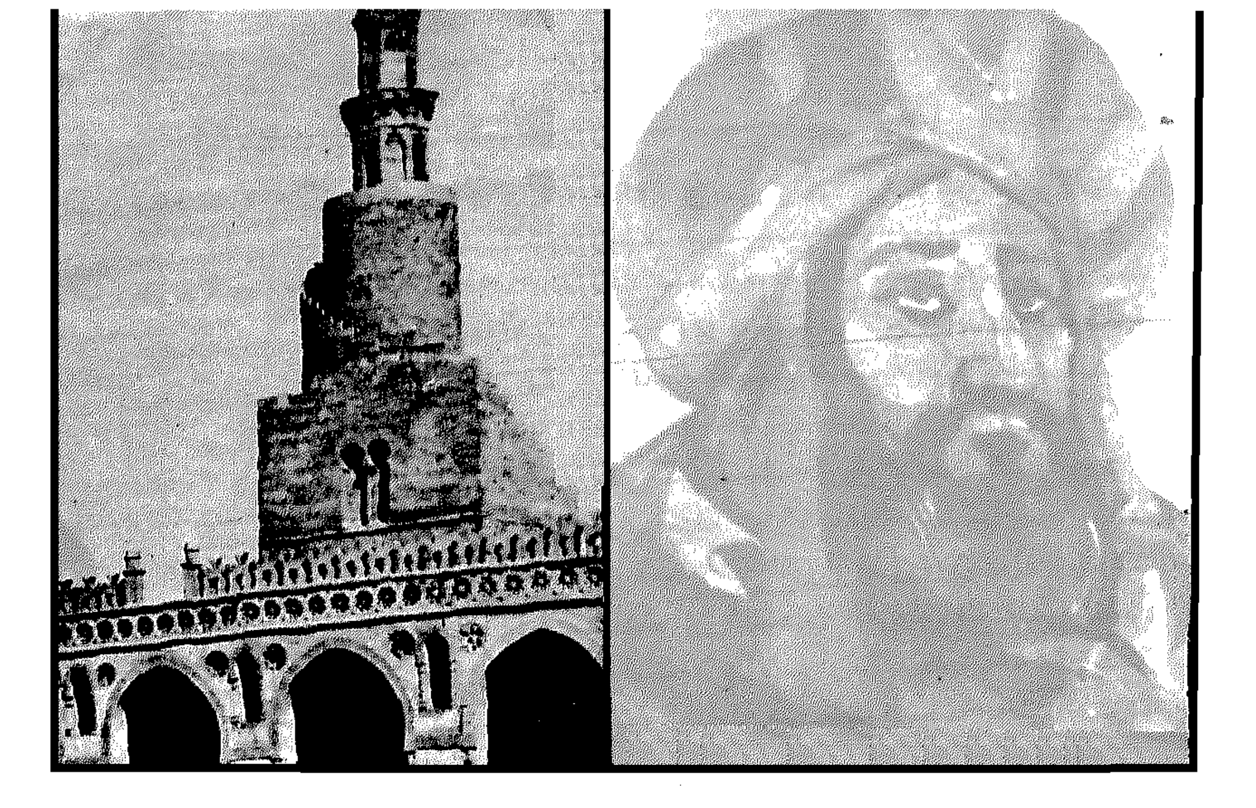
بالاعتماد اعتمادا كليا عليه ، وايلائه ثقته التامة • والواقع ان الحجاج قطف في عهد الوليد ثمار العمل الشاق الذى قام به فى عهد سلفه • ذلك ان الخليفة الجديد كان يشعر بقوة بان دولة الامويين مدينة الدح الدين لجهود هذا الرجل الذى حفظ على الامبراطورية وحدتها ، فلم يزل يعلى مكانته طوال مدة خلافته • وقد صار بمقدور الحجاج بعد القضاء على فتنة ابن الاشعث ان يفرغ همته للعمل الصادق من اجل انعاش البلاد التى انهكتها عشرون سنة من الحروب والفتن المتواصلة • وكان ان بدأ هذا الانعاش باصلاح القنوات التى تحمل مياه دجلة والفرات الى اطراف البلاد، وتعهدها بالعناية الدائمة ، وباصلاح السدود التى تصون الاراضى الزراعية وخصوبتها من عادية الصحراء • كما قاوم الحجاج بشدة الهجرات الريفية الى المدن الكبيرة ، واقام التجارة على قواعد من الطمانينة والثقة، واصلح نظم النقد والموازين والمكاييل والمقاييس ، ونشر فى البلاد من الامن والنظام والاحساس بالاستقرار ما لم تعرف مثله من قبل •

أحمد بن طولون

٨٣٥ - ٨٨٣م

اول من استقل بمصر عن الخلافة • واذا كان استقلاله يحتم عليه الحرص على رضا الرعية ، وتجنب الاصطدام بعقيدتها ، لاعتماده اعتمادا كليا على افرادها فى تزويد خزانة الدولة بالمال،وجيشها بالرجال فقد شهدت مصر فى عهده وعهد خلفائه وفى ظل الاسر المستقلة التى حكمتها بعد اسرة الطولونيين ، ما لم يشهده اى قطر اسلامى آخر من كثرة تولى النصارى واليهود فيها ارفع المناصب الحكومية كما شهدت تحسنا ملحوظا فى احوال المعيشة ، وازدهارا فائقا فىاقتصادها، وهو ازدهار يدين بالكثير لسياسة ابن طولون المالية الرشيدة ، وازالته للكثير من المظالم ، ووضعه حدا لنهب الثروات من جانبالمستثمرين الغرباء •

كذلك فقد ادى استقلال مصر عن الخلافة الذى بدأ بعهد ابن طولون الى عزلة المصريين نسبيا عن مختلف التيارات الدينية والتطورات السياسية التى شهدها سائر العالم الاسلامى ، والى ان تصبح لثقافة مصر ، حتى بعد ان اضحى المسلمون غالبية سكانها ، ذاتية خاصة بها ،



مميزة لها ، وان يسير تاريخها على نمط يختلف اختلافا بينا عن نمط تاريخ العراق مثلا او تاريخ المغرب ، وان يجرى تطورها على نسق لا تشترك معها فيه دولة اسلامية اخرى ٠

تمكن ابن طولون باستقلاله من آن يحتفظ لمصر بثروتها بعد ان

كانت هذه الثروة نهبا للخليفة في بغداد ولعماله وولاته ٠ وقد بذل وسعه فى سبيل ان يضمن تنمية مطردة لهذه الثروة التى كان عمادها الزراعة وصناعة النسيج ٠ وقد يسر له ما تحقق لمصر فى عهده من رخاء ، ان يضاهى الخليفة في بغداد في ابهة بلاطه وفخامته ٠ وقد انشا على طراز سامراء فى العراق ، مدينة جديدة اختطها شمالى شرق العاصمة المصرية القديمة الفسطاط ، ونقل الى هذه العاصمة الجديدة التى اسماها بالقطائع حضارة آلعراق وفنونها بعناصرها الفارسية والهلينية ٠

وتمكن ابن طولون من تأسيس جيش مستقل لمصر ، اخذه باقسى نظام رغبة منه فى شد عناصره المتباينة ، بعضها الى بعض ، برباط محكم ٠ وبهذا الجيش النظامى القوى استطاع ابن طولون ان يضم سوريا الى ملكه ، واستطاع ابنه خمارويه ان يضم الموصل ايضا الى سلطانه ٠

وقد اضطلع ابن طولون خلال مدة حكمه لمصر باقامة منشات عمرانية فخمة فيها ،لم يسلم منهابعد تدمير العباسيين لمدينة القطائع عام ٩٠٥م غير الجامع الذى شيده خلال الاعوام من ٨٧٦ الى ٨٧٩ ، والذى لا يزال يكشف لنا عن مدى ما حققه النشاط الفنى فى عهده من رقى وازدهار ٠ وتعتبر مئذنة ذلك الجامع نسيج وحدها فى فن العمارة الاسلامية وينم شكلها اللولبى المالوف فى العراق عن تاثير المعمار الفارسى القديم ٠ ورغم ان ابن طولون شيد جامعه هذا على طراز جامع سامراء الكبير ، ورغم أن سعة الاول لا تعدو نصف سعة الثانى ، فانه بصحنه ودعائمه ، واعمدته الصغيرة فى الزوايا ، ونوافذه ذات الاقواس المدببة ، وزخارفه البارزة ، ومحرابه ، لا يزال شاهدا على عبقرية صاحبه وعظمة دولته ، ومن ابهى ثمار الحضارة الاسلامية فى مصر ٠

● العقاد وثورة ٢٣ يوليو ●

● فى سيرة الاستاذ عباس العقاد صفحة مطوية لم تنشر بعد على وجهها الصحيح ، سطر فيها موقفه من ثورة ٢٣ يوليو وشاء بعض كتابنا ان يعرضها من وجه واحد ، ودون أن يتعرض لكافة الوثائق المتاحة من كتابات العقاد ومواقفه من الثورة .

قبل قيام الثورة وفى الوقت الذى كان فساد فاروق قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، كتب العقاد فى هلال فبراير سنة ١٩٥٠ مقالا بمناسبة عيد ميلاد فاروق بعنوان «الملك يبلغ الثلاثين » مدح فيه فاروق وقرن بين مولده وميلاد الامة المصرية ، ومما اورده فى مقاله ان اصحاب العروش هم اقدر الناس على استخلاص العظات من كثب واستطلاع الاسرار بغير حجاب ! ! ثم يذكر العقاد أن يد «الفاروق » فى النهضة الشاملة هى اليد البيضاء التى تذكرها بلاده وتذكرها البلاد العربية جمعاء ، ويختتم العقاد مقاله بأن مولد الفاروق واعوامه تقترن بيمن الطالع وحسن المسعى وبشائر المستقبل المجيد . وفى هلال مايو سنة ١٩٥١ كتب مقاله : «سنة الديمقراطية فى زواج الملك فاروق » بمناسبة زواجه من ناريمان فقال إن فاروقا يرعى سنة الديمقراطية ويجدد سنة الاسلام فى اقترانه بواحدة من بنات رعيته ، ولاشك أن العقاد كان يعلم الظروف التى أحاطت بزواج فاروق بناريمان وكيف كان زواجه منها أشبه بحوادث خطف النساء التى تروى عن الملوك والامراء فى العصور الوسطى حيث كانت مخطوبة للدكتور محمد زكى هاشم وحدد اليوم الذى يعقد فيه الزواج ، فكيف تسنى للعقاد إذن ان يعرض موقف الملك على أنه رعاية لسنة الديمقراطية والاسلام فى زواجه ؟ !

وعندما قامت ثورة يوليو استقبلها العقاد بقصيدة هى «عيد النيروز » بارك فيها حركة الجيش ، وكتب فى هلال ديسمبر سنة ١٩٥٢ عن «الجيش وقائده » يوضح فيه بجلاء موقفه من الحركة محددا دورها فى وجوب حراسة الجيش لحركة الاصلاح ويطالب بعدم تدخل الجيش فى السياسة ، ويشيد بنزاهة وطهارة ونقاء اللواء محمد نجيب قائد حركة الجيش ، ويتناول مباذل فاروق ومساوئه ، وأنه وصل بالبلاد الى الثورة قبل حرب فلسطين ، ويصمه بالاجرام .

وعند قيام النظام الجمهورى كتب العقاد محبذا قيامه ومبرزا مبرراته والأسباب التى دعت الى إلغاء النظام الملكى ، ويصدر عبدالناصر كتابه «فلسفة الثورة » فيتناوله العقاد بالدراسة شرحا وتحليلا ويخلع على حركة الجيش وصف «الثورة » وينفى عنها صفة التمرد العسكرى .

ثم بدأ الصدام الصامت بين ثورة يوليو والعقاد بعد أزمة مارس سنة ١٩٥٤ فلاذ العقاد بالصمت ولم نقرأ له رايا فيما دار من أحداث الوطن فى منعطف خطير من تاريخ ثورة يوليو . وظل العقاد يهاجم عبدالناصر وثورته فى

ندواته ومجالسه الخاصة فالعقاد أيد ثورة يوليو لأنه كان يتوقع منها أنها حركة فى اتجاه التاريخ وتأكيد قيم الحرية الفردية ، وقد عارضها وانتقدها عندما تأكد لديه بوادر الانحراف .

وكرمته الثورة الناصرية بمنحة جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ فلم يصفق لعبدالناصر او نظامه ولم يذكر اسمه وانما القى فى حفل تسليم الجائزة فى عيد العلم حديثا فياضا عن جمهورية السياسة وجمهورية الفكر ، وتقدير الدولة للعلماء والادباء العاملين ، وابرز مفهوم الديمقراطية فى الثقافة والادب ، ولم يشر من قريب او بعيد لعبدالناصر الذى سلمه الجائزة التقديرية .

ان موضوع علاقة العقاد بثورة يوليو يستحق الدراسة والبحث ، فإنه لم يستوف حقه من الدارسين والباحثين فى السيرة العقادية على ضوء الوثائق والحقائق الثابتة .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● القرار ـ السفر ●

الدروب صحارى وقلبى صبارة
والعيون الخناجر تمرق عبر الفؤاد
فتذبح أشجاره
فيسيل بحورا من الألم المر تغرق فيها المنى
....
الدروب صحارى ، وقلبى جبال تخاصم وديانها
وتحط الطيور على ، تُطرِّز بالأغنيات جبالى
ـ اهاجر منى ، وأمرق عبر العصور السحيقة نحو الجمود الأخير
المحطات تسرع نحو الوصول
....
الزمان افول
الليالى تصارع نجما رمته النسيمات للظلمة القاتلة
والدماء ثكالى تنوح وتكتب فى صفحة القلب موعد ـ رحلتى المقبلة .

سوف اتركنى للسفر
تحتوينى المحطات
تكتب فى صفحة القلب اسم الزمان
وتنقش رسم المكان ، وموعد رحلتى المقبلة
......
سوف اتركنى للسفر.

كريمة ثابت ـ أسيوط

• ملحوظتان •

● يستخدم بعض الكتاب كلمة «العتيد » : بمعنى العتيق القديم وهذا خطأ شائع فإن المعنى اللغوى السليم لها هو «الحاضر المهيأ » وفى المعجم الوسيط :

أعتد الشىء : هيأه وأعده ، وفى التنزيل العزيز « وأعتدت لهن مُتَّكأً » .

وقد جاءت الكلمة بمعنى العتيق فى مقدمة تحقيق السيدة نجوى صالح عن «متحف الجزيرة » .

فى «هلال » أغسطس ١٩٨٩م وذلك فى قولها : «كل مافى القصر العتيد له رائحة الزمن »

● يكتفى الأستاذ حسين أحمد أمين فى ترجمته للشخصيات التى اختارها فى سلسلة «المائة الأعظم فى التاريخ الاسلامى » والذى ينشره «الهلال » تباعا بذكر اسم الشهرة لمن يترجم له ، ولما كان فى نية «دار الهلال » إصدار هذه المجموعة ضمن سلسلة « كتاب الهلال » وحتى تكون الفائدة أعم فإننى آمل أن يذكر الأستاذ الكاتب اسم من يترجم له كاملا فلا يكتفى مثلا بذكر «عبدالرحمن الداخل » فقط بل يجب أن يكتب الاسم تاما وهو «عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان » وهكذا يفعل مع بقية الشخصيات ونرجو تلافى هذا النقص عند طبع الكتاب بالنسبة لجميع من كتب عنهم .

أحمد قاسم أحمد
قنا ـ ش على بن أبى طالب

• «بواب » الشعر الحديث •

● لقد فتحت لى الهلال أبوابها ، وكنت أعمل رئيسا لجمهورية الشعر العربية بباب «أنت والهلال » فقد انتخبتنى العصافير وأعطت أصواتها الزقزوقية كلها لى بنسبة ٩٩ر٩٩ ٪ ونجحت فى كل الترشيحات ، وكان وراء ذلك تقديركم وتشجيعكم لى

ورغم المظاهرات التى حدثت أثناء فترة انتخابى الشعرية ، إلا أن الطير لم يتوقف عن سجعه ، والنجوم لم تتوقف عن ارتداء قمصانها الشجرية حتى هدأت المظاهرات بانخفاض أسعار الشعر ، وعودة الحرية لألسن الشعراء ..

هل تسمحون بعودتى الى «الهلال » والتى انقطعت فيها عن ممارسة أعمالى الشعرية ، ولا أريد رئاسة ولا يحزنون ، أريد أن أعمل بوابا لباب «أنت والهلال » أو حتى أقفز الى الصفحات الداخلية للمجلة ، فقد أحزننى أن المجلة أصدرت فى عدد الربيع الماضى منتديا شعريا ولم تجعلنى ضمن هذا

المنتدى الشعرى رغم أنى أحد عاشقيها الكبار ، وأنتظر موعدها الشهرى لكى أستحم فى مطرها الابداعى ، وأنشر قصائدى على حبالها الموصولة بحبال السماء ..

عبدالله السمطى ـ المطرية ـ القاهرة

● **تعليق الهلال :**

ـ نرحب بك دائما .. ونرجو أن تكون قصائدك مناسبة للنشر .. وها أنت ذا فى قصيدتك التى بعثتها مع خطابك هذا تقول للمرأة التى تتغزل فيها : «أيتها المرأة المستحمة بين صحارى دمى .. فلة طلعت من كهيعص .. وشغاف الفؤاد » .. فما معنى هذا الفلة التى طلعت من السورة القرآنية التى أولها «كهيعص » ؟! .. هلا ابتعدت عن هذا النوع من الاستعارات التى راحت فى الزمن الأخير على أيدى شعارير من أمثال أدونيس ؟ !

● لأنى امتلكتك ●

لانى امتلكتك
اراني مللتك
فما عدت حبا جديدا على
وما عدت حلما يطوف بعينى
ويشرق كالشمس فى مقلتى
غدوت رمادا ... وقد كنت نارا
فكيف انطفأت على ضفتى
مللتك عذرا لانى مللت
فلا أنا قيس ولا أنت ليلى
لأن كلامك عندى معاد
مللت حديثك ياشهر زاد
لانك حب وشوق معاد
مللت حصارك ... مللت انتظارك
مللت قيودك ... مللت وجودك
اخذت القرار .. اريد الفرار
فهل تسمحين بفك الحصار

عبدالعزيز جويدة

أنت والهلال

● قصة قصيرة :

● عشق الأيام ●

● هبطت من القطار ، محتضنا نسمات الهواء ، المشتاق اليها ، لكى تجدد خلاياى .. وحنين عارم : لهذا السياج ، والخضرة المفروشة ، على مدى الأفق ، والوجوه الراضية ... المبتسمة .. المستبشرة .

ـ لا توسخ جلبابك .

دائما ، ماكررتها أمى ـ كل صباح ـ لتبعدنى عن الشقاوة واللعب ، ولكنى أجرى وسط الحقول ، مناديا سعدون ، وصفية أولاد عمى .. نقف أمام الترعة ، نقفز دافعين بعضنا البعض .. ضاحكين .. سابحين على ظهورنا .. ونصعد لنلحق بجمع القطن ، ونرقب أولاد جيراننا الاكبر سنا ، وهم يقومون بالجمع .

نلعب السيجا .. نضحك ونضحك .

سنون وتباعد الرفاق ، تزوجت صفية ، وسافر سعدون إلى حلوان ، وتغربت راحلا إلى الكويت . فى لهفة ، أمشى لكوخنا الصغير ، عابرا الكوبرى الخشبى ، الواصل بين المركز وقريتنا الوادعة ..

وقفت للحظات أتأمل مياه الترعة الضحلة ، وهى تسرى فى مجراها ، بهدوء ودعة .

أكملت المسير ، سالكا الممشى الترابى .. أبحث عن الوجوه المألوفة فى أعماقى ، وسمرتها المحببة .. لكن .. ولكن ثمة شيئا ما أحسست به .. الملامح تغيرت .. مسحة من الغموض ، والشجن ترتسم على العيون .

أحرك رأسى يمنة ويسرة ، لعلنى أجد المفقود ، المعشش فى الوجدان .

الطريق طال .. عيناى تبعد إلى المدى . الخضرة تضاءلت ، وبرزت مبان كالحة .

أدنو من كوخنا الصغير ، الذى كان .

وأحبس الدمع .

وائل وجدى
الدقى ـ الجيزة

● الشاعر والمعلمة ●

● تلقيت ببالغ السعادة توجيهكم ، وقد حاولت ـ قصارى جهدى ـ تنفيذ نصائحكم لى ، ومازلت أحاول وسأظل أحاول إن شاء الله ، ولا يعنى هذا ـ والله العظيم ـ أنى لا أريد توجيهكم فى هذه المرة ، فأنتم توجهون بلفظ لين وكلمة رقيقة .. ولكن غاية أملى أن تنشروا قصيدتى ثم توجهونى وأتعشم الا تخيبوا أملى .

لقد عكفت كثيرا على القصائد التى نشرتموها فى «أنت والهلال» من خلال مجلدات مجلة الهلال الموجودة فى مكتبة قصر ثقافة المنصورة وسأظل إن شاء الله عاكفا ، عليها .. هذا علاوة على بعض القراءات فى دواوين شعر أقتنيها فى بيتى .. منها الشعر القديم والشعر الحديث وبعض الاصدارات الأدبية .

والآن اسمحوا لى أن أكتب قصيدتى ... وها هى ذى :

ياسيدتى ومعلمتى
لقنت القلب اصول العشق وعلمت
قررت دروس الشوق على قلبى
وحذفت فصول البعد والغيت
اخفيت دروبا عن تلميذك يا قدرى
وحجبت دروس الهجر من العلم
حتى لا أعرف أى سبيل للهجر
حقا .. أوليس من الظلم
أن تدرى انت ولا أدرى

عبدالعزيز الشراكى
قسم اللغة العربية - تربية المنصورة

● تعليق الهلال :

- إنك يابنى نموذج لطالب العلم الذى لا تأخذه العزة «بالجهل» إذا سمع نصيحة ممن هو أكبر منه سنا وتجربة .. نحييك ونرجو لك مستقبلا حسنا فى عالم الشعر ..

● صوت جبران فى لبنان ●

● «مات أهلى وأهلكم ايها اللبنانيون .. فماذا نستطيع أن نفعل لمن لم يمت منهم ؟ نداء .. تردد صداه جبال لبنان ، فكيف يكون رجع الصدى فى دار العروبة من المحيط الى الخليج ؟ ! إنه صوت جبران يردده من مثواه فى وادى قاديشا على مشارف بيروت .. أطلقه منذ أكثر من نصف قرن وكأنه يستشف مأساة بلده جرح العروبة النازف

وعجبا أى عجب لما يردده جبران خليل جبران منذ تلك الزمن وكأنما يبكى غربته وعجزه عن مد اليد لأهله ووطنه .. أمس واليوم وغدا .. طوكنت جائعا

بين أهلى الجائعين ، مضطهدا بين قومى المضطهدين ، لكانت الأيام أخف وطأة على صدرى ، والليالى أقل سوادا أمام عينى ، لأن من يشارك أهله بالأسى والشدة ، يشعر بتلك التعزية العلوية التى يولدها الاستشهاد ، بل يفتخر بنفسه لأنه يموت بريئا مع الأبرياء .. »

«ليت شعرى ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه ، لو كنت سنبلة من القمح فى تربة بلادى لكنت لطفل جائع يلتقطنى ويزيل بحياتى يد الموت عن نفسه .. لو كنت ثمرة يانعة فى بساتين بلادى ، لكانت المرأة الجائعة تتناولنى طعاما ، ولكن واحر قلباه ، لست سنبلة من القمح فى سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة فى أودية لبنان ، وهذه هى نكبتى ، هذه هى المأساة الموجعة التى تعقد لسانى ـ وتكبل يدى ، ثم توقفنى بلا عزم ولا إرادة ولا عمل »

«يقولون لى وما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم .. نعم ولكن نكبة بلادى نكبة خرساء . نكبة بلادى جريمة حبلت بها رءوس الأفاعى والثعابين .. نكبة بلادى مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد »

لقد كان جبران بحق مجددا فى الأدب العربى ، وكان فى حياته القصيرة (١٨٨٣ ـ ١٩٣١) كاتبا شاعرا مصورا مفكرا تبوأ عمادة الأدب المهجرى كما رأس الرابطة القلمية التى ضمت خيرة الأدباء المهجريين فى العالم الجديد .

وعروبة لبنان ووحدة لبنان وسلام لبنان أمل العرب جميعا .. غنى له جبران فرددت الأجيال ألحانه أذ يقول والأمل يمحق الظلام فى استشرافه للغد .

واخال رفات جبران يصرخ من فوق جبل لبنان من ضريح كتب عليه «أواه أيتها الوحدة ، إنك السعادة الوحيدة ! »

«مات اهلى وأهلكم فى لبنان ايها العرب .. فماذا تستطيعون ان تفعلوا لمن لم يمت منهم بعد ؟ »

زغلول توفيق
بنى سويف

● مع أصدقائنا ●

● **زغلول توفيق ـ بنى سويف :**

ـ لا بأس بقصيدتكم عن المرأة التى قتلت زوجها بساطور ، ولكن كلامك يبدو كأنه دفاع عنها .. أما بناء القصيدة فيشوبه بعض التجاوزات العروضية التى نرجو أن تتحاشاها فى قصائدك التالية .

● هشام المغربي - الاسكندرية :

- لماذا تشكو من كثرة كتابات ابراهيم سعدة وأنيس منصور ومحسن محمد وغيرهم ، وهل تظن أنهم يسدون عليك منافذ الكتابة والنشر ؟! .. وهل إذا تركوا الكتابة تتقدم أنت وتملأ فراغهم ؟! .. يابني مهلا .. مهلا .. ولا توهم نفسك أن تنحية الكبار يفتح الطريق أمام الصغار ، والاطاحة بالمحنكين الناضجين يهيىء أسباب السطوة لمن يفتقرون الى الحنكة ونضج التجارب الطويلة ! .

● محمد أحمد محمد - كلية التربية بسوهاج :

- نرحب بما تكتبه وننشره إذا كان في المستوى المطلوب

● علي محمد علي اغا - سوهاج :

- نحن لم نطلب منك تطليق مواهبك الشعرية ، ولكنا أبدينا لك الرأى فيما أرسلته الينا من شعر ، فهو غير ناضج وينقصه الكثير .. أما أدعياء الأدب الذين يكتبون باسم بعض أدباء سوهاج فنحن نعرف أمرهم جيدا . وأما قصيدتك الجديدة «في طريق الدموع» فلا بأس بها ولكن تشوبها هنات عروضية ولغوية واملائية .. ونرجو لك حظا حسنا ..

● السيد ابراهيم عطية - كفر صقر :

- تقول إن الجملة العربية فعلية بعكس الجملة الانجليزية فهي اسمية ، وهذا صحيح في الكلام العربي القديم ، أما الجملة الصحفية العربية الحديثة فهي اسمية في غالب الأحيان ، كجملة الصحف الافرنجية .. وهذا هو السبب في ترجمة كلمة اللورد كارنجتون عن جروميكو ، بوضع «جروميكو» في أول الكلام كما ورد في باب «أقوال معاصرة» بهلال اغسطس الماضي .. وهذه القاعدة مطردة في بقية الكلمات الصحفية أو في الكثير منها ..

● جمال محمود الشورة - كفر الزيات :

- نحن حاولنا التحاور معك ابتغاء إرشادك ونصحك وإضاءة الطريق الطويل أمامك ، ولكنك تعتبر نفسك مفكرا وكاتبا وترى أن الصحف تضطهدك لأنها لا تنشر انتاجك .. فماذا نفعل لك وأنت لا تملك يابني أداة الكتابة الرئيسية وهي معرفة اللغة العربية التي تكتب بها ؟ ! .. هل تريد أن نغشك ونقول لك : نعم .. أنت كاتب ومفكر ، فندفع بك في طريق محفوف بالمكاره ، أم الأفضل ان نصارحك عسى أن تستكمل ما ينقصك وتثابر وتجاهد حتى تصبح كاتبا ومفكرا حقا وفعلا ، لا بمجرد الوهم أو الادعاء ؟ !

● ونشكر لأصدقائنا السادة : عبدالرحيم الماسخ .. محمود عبدالمجيد أحمد .. حمدى محمد عبدالموجود .. آمال زكي مليجي البقرى .. رفعت عبدالوهاب محمد الموصفي .. عاصم فريد البرقوقي .. فرج علي .. أسامة حامد الفرماوى .. مصطفى محمود السيد .. صبرى قنديل .. أحمد محمد عثمان .. محمد أحمد محمد ..

الصداقة

من النعم على الانسان في حياته ان يكون له صديق وفى ، او اصدقاء أوفياء يخلصون له في مسيرته بدنياه ، اصدقاء يأتمنهم على اسراره ، واذا طلب اليهم نصيحة اسدوها اليه ، وكذلك اذا طلب مشورة ادوها على خير وجه ، ومهما كان الانسان حصيفا في رأيه بعيد النظر في شئونه فلا يستغنى عمن يستشيرهم من خلصائه في بعض امره ، وحرى أن يكونوا من الاخلاص له بحيث يسدون له النصيحة السديدة غير مدخرين رأيا سليما ولا رشدا قويما ٠

والصديق الوفى لا من يخلص لك النصح عند الحاجة فحسب ، بل ايضا من يسعفك في الشدة ويساعدك في العسرة ومن تجده دائما بجوارك يأخذ بيدك وينجدك ان لزمتك النجدة غير مقصر في اداء حق لك ، بل انه ليجد فيما يؤديه من حق متاعا لا يفوقه متاع ٠ وكما يحفظ لك حضورك يحفظ غيبتك ، بل اذا غبت عن مجلسه كان اشد لك حفظا وصيانة ، فهو دائما امين عليك وفى لك في الضراء وفاءه في السراء ٠

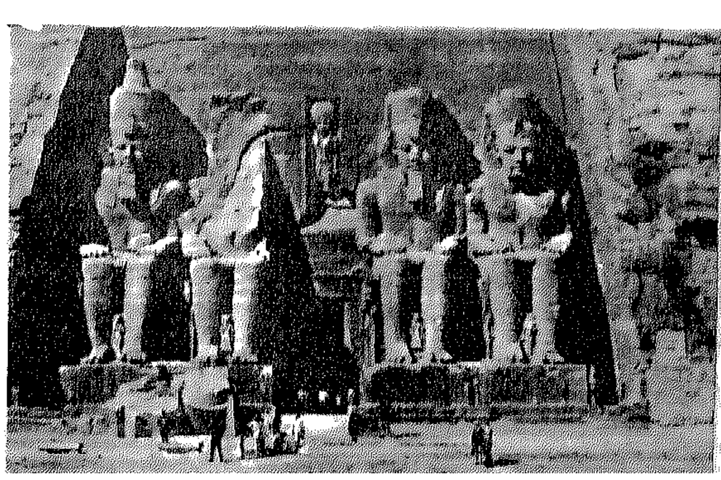
وينبغي أن يحافظ الصديق على مشاعر صديقه ، فيلقاه دائما باشا في وجهه ويعامله بمنتهى الرفق ، ولا يدخل معه في مراء أو جدال يفسد صداقتهما ، بل يجادله ويحاوره في المسائل بكثير من الرقة واللطف ٠

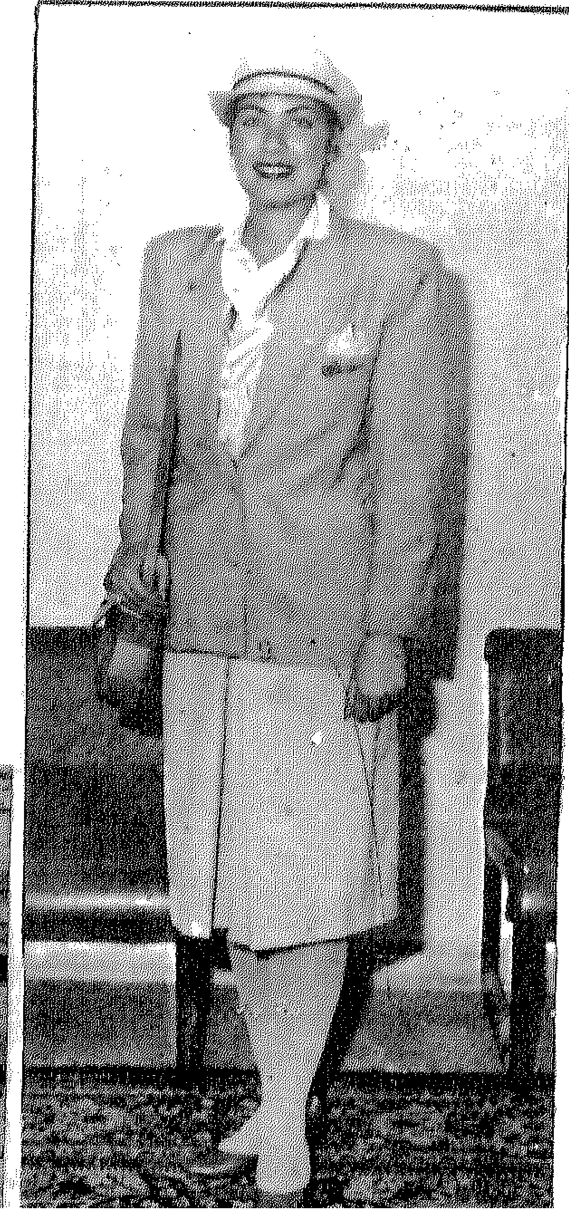
ولا تحاول ان يعترف لك صديق بفضل مرارا وتكرارا ولا ان يكافئك على ما تقدم اليه من افضال ، لان الصداقة الصحيحة تقوم على الايثار ، وتقبل من الصديق دائما ميسور الود دون اى مشقة او ارهاق ٠ ولابد اخيرا من التروى والتثبت في اختيار الصديق والاصدقاء خشية الزلل والوقوع فيمن لا يستحقون صداقتك ، وكم من اناس غرهم خداع بعض من حولهم بريائهم وكثرة ملقهم وكلماتهم المعسولة ـ وخاصة اذا كانوا يتولون منصبا خطيرا ـ فاتخذوهم اصدقاء لهم ، حتى اذا دارت بهم الايام قلبوا لهم ظهر المجن واتضح انهم لم يكونوا يكنون لهم ودا بل بغضا وموجدة ٠

د٠ شوقي ضيف



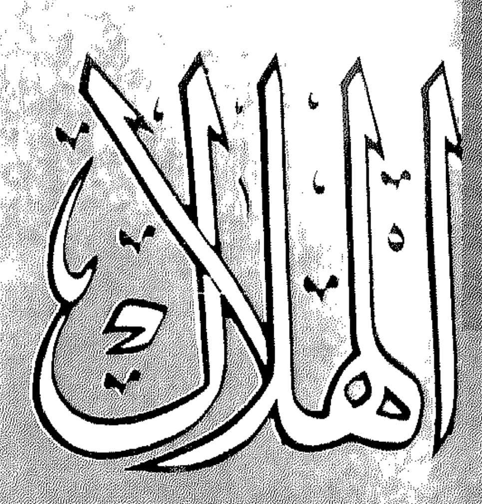

EGYPTAIR
مصر للطيران






صخر PC

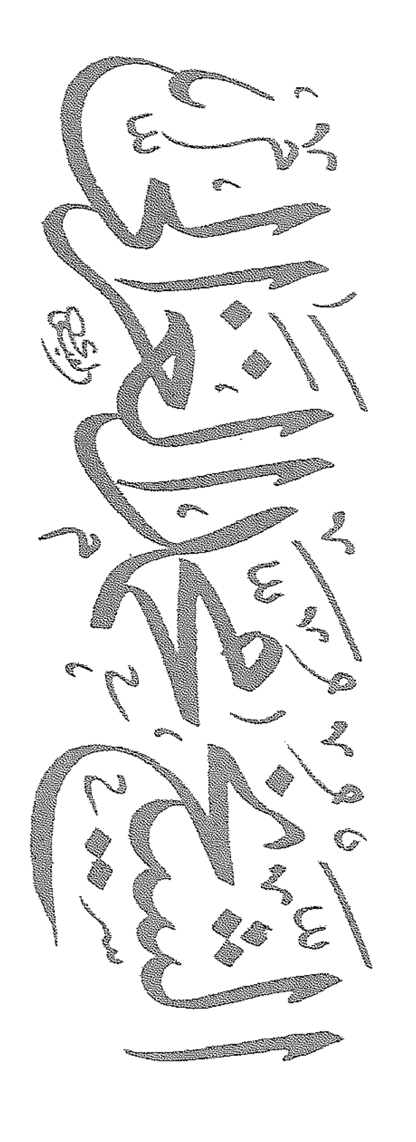

عربي



نوفمبر ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشا



المحافل والمعابد اليهودية





● بريشة : الفنان محمد أبوطالب

قمم عربية

شيخ جليل ، جاء من قرية تكلا العنب - إيتاى البارود مثل الشيخ محمد عبده وعلى باشا مبارك وقطع رحلة شاقة ، ولم يغب عن هدفه لحظة واحدة رفع شان دينه وامته .
تلقى العلم بكلية اصول الدين في الأزهر وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٤١ .

الدين عنده ليس طقوسا وانسحابا من الحياة إنما حركة دائبة في رحاب الله من اجل رفعة الانسان ، قاوم طوال تاريخه الخرافة والتطرف ، ودعا إلى الدين الصحيح ، ودفع عن طيب خاطر ثمن مواقفه ، فقضى في معتقل الطور قرابة العام سنة ١٩٤٩ م .

تدرج في مناصب الوعظ والارشاد والدعوة ، بوزارة الاوقاف حتى أصبح وكيلا لوزارة الاوقاف لشئون الدعوة الاسلامية .

ذهب إلى السعودية استاذا بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، كما عمل استاذا في جامعات السعودية ثم قطر ثم الجزائر ثم مشرفا على إنشاء جامعة الامير عبدالقادر الجزائرى في قسنطينه .

قدم للمكتبة الاسلامية مايزيد على خمسين كتابا تمثل مشروعا فكريا متكاملا يواجه ابرز التحديات التى تواجه نهضة الاسلام في عصرنا الراهن .

حمل لواء الاصالة والتجديد معا ، وهو يملك عقلانية الفقيه ، وروحانية الداعية ، وذوق الأديب الفنان .

اقرا مقال الشيخ محمد الغزالى ص ٤٦

السنة السابعة والتسعون • نوفمبر ١٩٨٩ • ربيع الثاني ١٤١٠ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

فكر وثقافة

فى هذا العدد

الغلاف تصميم الفنان : محمد ابوطالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

قيم عربية

جولة المعارض

قصة وشعر

فنون

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدي (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤١١
رقم التلكس : 92703 HILAL U.N



لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبي ٧ دراهم ، ابو ظبي ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت .



١٣ نوفمبر .. عيد الجهاد

يحمل شهر نوفمبر من كل عام ذكرى يوم لاينساه المصريون ، هو يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، فهو اليوم الذى بدأت به الحركة الوطنية فى مصر ضد الاستعمار البريطانى بعد ترقب طويل .

فى ١٣ نوفمبر منذ واحد وسبعين عاما ذهب سعد زغلول مع زميليه على شعراوى وعبد العزيز فهمى ـ نيابة عن الأمة إلى « قصر الدوبارة » الشهير ، لمقابلة معتمد الحماية البريطانية الجنرال ونجت ، ومفاتحته فى رفع الحماية العسكرية عن مصر وإعلان استقلالها

كانت الامبراطورية البريطانية حينذاك قد خرجت منتصرة على الألمان والعثمانيين فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وصار لها الأمر والنهى فى العالم كله ، ولكن ذلك لم يثبط عزيمة سعد ورفاقه ، لأنهم كانوا يمثلون ضمير الشعب المصرى ويطالبون بحقوقه فى الحرية والاستقلال .

وقال لهم ونجت فى سخرية واستعلاء :

ـ لقد كانت مصر عبدا للعثمانيين ، فكيف تأنف من العبودية للبريطانيين ؟

لم يكن الزعماء الثلاثة ـ ومن ورائهم الشعب ـ يفاضلون بين عبوديتين ، وإنما كانوا يطلبون الانعتاق من السيد البريطانى بعد أن افلتوا من قبضة السيد العثمانى .

وبقية هذه القصة التاريخية نعرفها جميعا .

اندلعت ثورة ٩ مارس ١٩١٩ ثم طويت صحائف الاحتلال صفحة بعد صفحة حتى ذهبت كأن لم تكن عندما قبض جنودنا على « الخيراء

البريطانيين » فى قاعدة قناة السويس عقب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ .

ان يوم ١٣ نوفمبر تتجلى اهميته فى كونه اليوم الذى يربط ثلاث ثورات وطنية متعاقبة ، لا تنفصل احداها عن الأخرى :

ثورة عرابى ، وثورة سعد ، وثورة عبد الناصر .

اما ثورة عرابى فقد أيقظت الاحساس بالقومية المصرية ضد التمييز العنصرى التركى والجركسى وضد الامتيـازات الأوروبية ، او « الامتيازات الأجنبية » التى جلبها علينا العهد العثمانى .

ولولا ثورة عرابى التى انضجت القومية المصرية لما نضجت الظروف لثورة ١٩١٩ التى صقلت مصر وجعلت من الشعب المصرى كتلة قومية متماسكة تنبض بالوطنية والحيوية والفدائية .

ولولا ثورة ١٩١٩ التى بعثت الحياة فى الأهداف الوطنية ، لما ولدت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فإن الاحلام الوطنية التى حركت عبد الناصر ورفاقه إنما هى من غرس ثورة ١٩١٩ ، ولم تكن مبادئهم إلا مبادىء الجماهير التى خرجت فى ثورة ١٩١٩ تهتف : الاستقلال التام او الموت الزؤام ! ..

واقام « ترزية التاريخ » حاجزا مصطنعا بين ثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢ مع ان هذه وريثة تلك ، ووليدة لها .. والدور الذى اداه عبد الناصر بالقوات المسلحة إنما كان استكمالا لدور سعد الذى اداه بجماهير « الجلابيب الزرقاء » وجميع طبقات الشعب الأخرى .

وكما واجه سعد قول ونجت : « كنتم عبيدا للعثمانيين فكيف لاتكونون عبيدا للبريطانيين » .. فإن عبد الناصر قد واجه سياسات « ملء الفراغ » باستعمار عالمى جديد واستعمار استيطانى ، بعد رحيل الاستعمار القديم ..

ومرحى ليوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، ومجدا لذكراه الباقية على الزمان ، فإنه من أبهى ايام مصر .. وهو « عيد الجهاد » .. كما سماه المصريون بحق .. وسيبقى « عيد الجهاد » رمزا لتواصل جهادهم ورباطهم من جيل إلى جيل ! ..

« المحرر »



هذه هي بيروت [illegible] التي [illegible] القصف والحرب



مظاهر التوتر فى كل انحاء بيروت

بيروت

الأزمة

والبحث عن حل !

بقلم : مصطفى نبيل

مازالت بيروت "وردة المدائن" تنبض بالحياة ، رغم القتال والقتلى ، رغم القصف والخطف والقنص والدموع الغزيرة والجراح العميقة . ورغم أنها العاصمة العربية الوحيدة ، التى وقعت فى الأسر الإسرائيلى ! .

فمع هذا كله ما أن توقفت المدافع . وفتح مطار بيروت الدولى حتى ظهرت من جديد جذوة الحياة وشعاع الأمل . واندفع أهلها إلى الشوارع يقبلون على العمل لعودة الحياة إلى مرافقها . وعاد إليها كل من غادرها لكى يستأنف نشاطه !

وكالعادة وقفت بيروت تترقب :
كيف يتحول السلام من مجرد وقف إطلاق النار إلى إطلاق طاقات الأهالى التى سئمت الاقتتال ؟ تترقب أن تتحرك الأغلبية الصامتة التى دفعت غالياً ثمن تلك الحرب القذرة وكيف تضع حداً لها ، بعد أن وعت الدرس جيداً ، فمعركة السلام ووحدة الأهالى ، أشق كثيرا من تحريك زناد مدفع أو إطلاق صاروخ على الآمنين !

فهل حان الوقت لإطلالة متأنية ، بعيدة عن جو التحريض والدعاية السوداء والتلوث الفكرى الذى عادة ما يسود خلال الاقتتال ؟ وهل يمكن الإمساك بالأسباب الكثيرة المتداخلة لحرب كان الكل فيها خاسراً طوال خمسة عشر عاماً ؟ وهل تصبح الحرب من خلال الكلمة الصادقة الأمينة ماضياً بعيداً ؟

لقد كانت ذخيرتى فى الإجابة عن تلك الأسئلة عدة زيارات إلى بيروت قبل الحرب وبعدها ، وتقليب أوراق الأزمة ما كتب عنها وما سمعته من رموزها ..

فعندما كانت بيروت محطة دائمة فى أسفارنا إلى بلدان المشرق العربى ، يجد زائرها ذخيرة من الكتب الجديدة وآخر الأعمال الفنية ، يوم كانت ملتقى السياسيين من كل الاتجاهات ، تمثل مكانا للاسترخاء والتأمل ، ولم يعد جائزا التوقف عن زيارتها أيام محنتها، وقد بقيت على الدوام نقطة رصد هامة للتيارات والاتجاهات العربية والعالمية ، فى توافقها وتضادها معاً .

وكانت آخر زياراتى لها فى الخريف الماضى ، وكان الترقب والتوتر هما إحساس من يتجول فى شوارعها ، السكان الذين تعودوا على الحديث بصوت عال يتهامسون ، وتعكس حركة مرور السيارات مزاج سكانها ، تلاحظ فى حركة السير التزاحم والتسابق والعصبية ، وكأن سائق السيارة يقود مدرعة ، ولا يراعى قواعد المرور ، وكثيراً ما تفاجأ بسيارة مسرعة عكس السير !

وتشاهد معنى غياب السلطة مجسداً ..

وترى الأزمة فى كل شىء من حولك ، إعلانات الصحف التى دأبت على نشر صور المفقودين ، صور أطفال وفتيات ، وإعلانات أخرى عن نوع متقدم من الزجاج الذى لا يخترقه الرصاص ، وسيارات مصفحة بأسعار خيالية ، علاوة على ذكر الضحايا مع كل يوم ..

ولسان كل ماحولك يتساءل : متى تعود الحياة إلى طبيعتها ؟

هذا ما آل إليه حال بيروت التى عاشت فى الوجدان العربى ، متنفساً لكل صاحب رأى ، وملجأ لكل باحث عن مرفأ آمن ، وقدمت نموذجاً للتعايش بين الأفكار والطوائف ، وفتحت ذراعيها لدعاة الوحدة العربية ، وعجزت عن الدفاع عن وحدتها هى !

وتحولت المدينة الآمنة إلى بيروت الضحايا والقتل على الهوية ، ولم نلحظ قبل عام ١٩٧٥ الانقسام القائم تحت السطح ، وأعطى كتاب بيروت ومثقفوها صورة خادعة عنها تنتقل بلا حواجز بين شرقها وغربها ، الجميع أصدقاء يتدفقون

بالحيوية والرؤية المستنيرة ، يتحاورون بالكلمات بروح رياضية عالية ، من القضايا الفلسفية وحتى الخلافات السياسية ، لا تمييز بين كاتب وآخر على أساس من مذهبه ، وهكذا كل العواصم العربية ، كثيراً ما تكون خادعة ، وجاء الاقتتال ليكشف المستور وما وراء القشرة اللامعة .

وظهر أن التعايش لم يكن سوى نزاع مستمر وتراكم خفى للمنازعات ، انفجر بشكل مروع ، وأصبح البيروتى ، إما جريحاً أو معاقاً أو مهجراً فى وطنه ، هائماً على وجهه فى بقاع الأرض المترامية .

فى كل مرة أزورها خلال حرب ، ألمس النقيضين ، قوة التدمير الهائلة ، والرغبة العازمة فى الحياة والعمران ، ورفض الاقتتال ، والسعى الصادق إلى الحب والسلام ، وراوغتنى بيروت ، **وكنت أوقن بعد كل زيارة بأن حب الحياة بين أهلها أقوى من قوى التدمير المفروضة عليها** . إن لدى أهلها طاقة بلا حدود ، وقدرة على المقاومة والتحدى ، يسخر البيروتى من الأزمات ، وتبرز صفات الشخصية اللبنانية ، وعلى رأسها الجرأة والمبادرة والاستهانة بالصعاب ، عندما يقصف مبنى سريعاً ما يرممه صاحبه ، بإيمان عميق بأن عاصمته لن تظل طويلاً بلد حاملى السلاح من الزعران ..

● سكين التقسيم

حقاً .. هناك مدن محظوظة ، وأخرى بلا حظ .. فقد عانت بيروت طويلاً ، وكانت العاصمة العربية الوحيدة التى تقع فى الأسر الإسرائيلى ، وجاءت المارينز والقوات الدولية ، وقاومت ببسالة ، وإذا كانت نجحت فى صد جحافل الغزاة من الخارج ، فقد عجزت أمام جحافل التعصب والطائفية فى الداخل ، وأصبحت مقسمة مثل برلين التى أصبحت مدينتين ، ورفح التى يخضع أحد أجزائها للاحتلال الإسرائيلى ، ومثل القدس الشرقية والغربية ..

ووصلها سكين الطائفية الحاد ، وقسمها إلى شرقية وغربية ، ورسم حدودها الجديدة وشوه وجهها ومس قلبها ، وعمقت الطائفية والعصبية الجرح فى القلب ، وشقها خط التقسيم من المرفأ حتى ساحة الشهداء فطريق الشام ، وطريق صيدا القديم وانتهاء بخط الحدث وكفر شيما والشويفات .

ولم تعد قادراً على أن تتخطى الشارع من الشياح إلى عين الرمانة ، أو من ساحة البرج إلى باب إدريس ، وطويت تلك الأيام التى كانت فيها ساحة البرج هى ساحة الشهداء ، عندما نفذ جمال باشا سنة ١٩١٦ حكم الإعدام فى الزعامات البيروتية المسلم منها والمسيحى ، وأصبحت ساحة للقنص . وأصبح مابين البسطة والأشرفية أبعد مما بينهما وأى عاصمة فى العالم !

وقبل الحرب كنا نتنقل بين أحياء بيروت ونلتقى بالأصدقاء ، ولا يخطر ببالنا أن كل حى خصص بطريقة صارمة لسكن طائفة من الطوائف .

وأصل هذا التقسيم ، خط وهمى يمر بطريق الشام ، كان يسير فيه ترام بيروت



الرجال والاطفال يموتون .. وترتسم الاحزان على وجوه النساء وملابسهن

الذى يمر على فرن الشباك ، الناصرة ، ساحة البرج ، باب إدريس ، حتى يصل إلى رأس بيروت .

وعرف أن كل من يسكن على يمين هذا الخط من المسيحيين ، وكل من يسكن على شماله من المسلمين ، وعلى أساسه قامت بيروت الشرقية وبيروت الغربية ، وجاءت رئاسة فؤاد شهاب ، وقننت هذه الحالة ، وقسمت بيروت إلى منطقتين انتخابيتين ، بعد أن كانت لها لائحة انتخابية واحدة يشترك فيها المسلم والمسيحى ، وأصبحت كل من المنطقتين مستقلة عن الأخرى ، دائرة بيروت الأولى هى الأشرفية ، ودائرة بيروت الثانية هى بيروت الغربية ، ودائرة ثالثة مشتركة تضم منطقة المرفأ وحى الزيتونة ووضعت بذور التقسيم ، ويسكن المنطقة الغربية تقليدياً السنة والأرثوذكس والشيعة ، أما



متحف سرسق وتظهر فيه العمارة العربية القديمة

الشرقية فيسكنها الموارنة والأرثوذكس والأرمن !

● المسألة اللبنانية !

وبيروت التي طالما تباهت على العالم بأنها أول من صنع الحرف ـ اداة المعرفة ـ وجاءت هذه الحرب فكشفت أن العالم انتفع بالمعرفة وبقى لبنان بعيداً عنها !

وكانت بيروت نموذجاً للتعايش بين الطوائف ، فكيف انقلب فيها الحال واندلع فيها الحريق ؟

والسؤال الملح .. لماذا كل هذا الخراب والدمار ؟! وكيف يستمر القتال طوال خمسة عشر عاماً ؟!

هذا .. والعالم من حولنا يتغير ، موازين القوى الإقليمية والعالمية تتبدل ، ويستمر لبنان يدفع من دمه في حرب كل أطرافها خاسر !

والإجابات كثيراً ما تأتى غير كافية وغير مقنعة ، وهى أسئلة بالغة الأهمية ، وهى لاتعنى لبنان وحده ، فما شهدته لبنان دليل واضح على الخلل العميق فى الحياة العربية ، وبرز أعلى مراحل هذا الخلل على المسرح اللبنانى ، وظهر العجز الفاضح عن التوائم مع العصر ، والتوظيف الفاسد لأحداث التاريخ وصراعات الماضى ، والكل يدفع غالياً ثمن استمرار هذه الحال ، ويدفع العرب حصاد عدم إيمان بعض دوائرهم بالمساواة العميقة بين البشر مهما اختلفت أصولهم أو عقائدهم أو ثقافاتهم ، كما يدفع العرب غالياً ثمن المنافسات والمنازعات الإقليمية ، والتى عندما تبدأ لا تعرف متى تتوقف ، وتتفجر أثناءها الأحقاد وتدمر الأخضر واليابس ، فما يدور على أرض لبنان هو فى أحد أبعاده صور مما تبقى من صور الماضى أيام حروب داحس والغبراء ، يدفع ثمنها المواطن اللبنانى .. تماما كما يدفع العالم العربى غالياً غياب المعادلة الصحيحة ، بين الشعارات والمبادىء والأهداف ، وبين إمكانية تنفيذها فى ظل موازين القوى المحلية أو العالمية ، ولم يعد يكفى أن يكون الشعار صحيحاً ، ولا أن يكون الهدف قد تحدد بدقة ، بل المطلوب منهج دقيق وتوقيت سليم من أجل وضع الهدف موضع التنفيذ .

فلم يكن الوقت مناسباً لحسم صراعات محلية ، تحسم بطبيعتها عن طريق الحوار ، ولا تحسم أبداً عن طريق السلاح ، هذا فى ظل عالم لا يرحم ، ولا يتورع أطرافه عن استخدام كل الثغرات والفرص المتاحة ، وأن يستغل إلى آخر الحدود نقاط الضعف بين الصفوف ، فمن ثقوب النظام اللبنانى ، يتسلل النفوذ الغريب الذى لا يقبل قوة المنطقة وتضامن أهلها .

وهيمنت على الحياة السياسية فى لبنان عقدتان ، هما عقدتا الخوف والغبن ، خوف القوى المسيطرة من فقدان امتيازاتها ، والغبن الذى تعانى منه بعض الطوائف والمناطق .

ففى لبنان سبع عشرة طائفة معترف بها رسمياً ولها مؤسساتها ، مما يعنى أن هناك عشر طوائف لا مجال لأبنائها للوصول إلى مراكز الحكم ، وإذا أصابت عقدة الخوف هذه ، طائفة أو أقلية ، فسرعان ما تنتقل إلى الطوائف الأخرى ، وظهور أقلية مضطهدة أو متهورة ، معناه أن الجميع يعانى القهر ، وفى كثير من أنحاء العالم العربى يعانى من الأضطهاد والقهر الأغلبية والأقلية معاً ، وعليهم أن يمسكوا بمصدر القهر فكرياً أو اجتماعياً أو سياسياً ، ويتغلبوا عليه معاً .

● البحر والصحراء

ويرى البعض عند محاولة الإجابة على ما طرح من تساؤلات حول المسألة اللبنانية ، أن مايجرى فى لبنان يعود إلى الانقسام الفكرى الحاد الذى صاحب قيام لبنان الحديث ، ونشأت فيه مع الزمن ثنائية حادة ، منظومتان ومؤسستان فكريتان متباينتان ، ازدادت بينهما الحواجز والسدود ، أحدهما يشد لبنان

إلى العرب والآخر يدفعه إلى الغرب فيما وراء البحر .

وكثيراً مايرتدى هذا الانقسام رداء طائفياً وعشائرياً ، ويتكىء على الموقع الجغرافى ومايميز لبنان سواء من أنه نهاية الصحراء أو بداية البحر والخارج .. « **فلبنان القائم بين الصحراء والبحر ، ميزه عن جيرانه ، وشعبه مميز بتركيبه الروحى والاجتماعى ، وتاريخه غير تاريخ دول الجوار ..** » ويضيف جواد بولس .. « العرب الذين كانوا يعيشون فى السهول والصحارى كانوا يجهلون الجبل ونادراً ما أخضعوه لنفوذهم ، وأقام الجبل مانعاً فى وجه البداوة وأحياناً فى وجة العروبة .. !!

« وتعريب لبنان .. جاء من حركة المد البدوى غمرت الصحارى والهضاب ، واصطدمت بسفح المرتفعات الجبلية دون أن تستطيع اكتساحها ، وبقيت المرتفعات منيعة ومنتصبة فوق الصحارى .. وتحول ساكن الجبل إلى قروى فلاح أو راع ، وفى الوقت ذاته إلى محارب جبلى ، يحارب حتى الموت ليحمى أرضه وحرياته ، كخليفة ووارث لفينيقيا البحرية » .. وجعل جوار الجبل للبحر من لبنان ، بلداً مفتوحاً للبضائع والأفكار ، مولعا بالحياة الفكرية والفنية ، وأصبح لبنان لديهم "الوطن النهائى ، وهى تامة وراسخة الكيان ، وترفض الاندماج فى الأمة العربية الوهمية » ..

أما الرؤية الثانية فترى فى لبنان صلة الوصل بين الساحل والداخل العربى ، والساحل بما فيه بيروت التى كانت مرابط أهل الشام التى تصد غارات المعتدين ، وهى عربية الوجه والتراث ، تتفاعل مع قضايا منطقتها ، تتأثر بها وتؤثر فيها .

وحين وصل المد الإسلامى إلى لبنان ، سكن من لبنان السهول والسواحل ، واعتصمت الاقليات بالجبل ، ومنهم الدروز ، وعندما اقبل الموارنة مهاجرين من شمال سوريا لجأوا بدورهم إلى الجبل ، وعاش الدروز والموارنة فى الجبل ، وعندما بدأت أوروبا تتسلل إلى الدولة العثمانية ، ادعى الانجليز لأنفسهم حق حماية الدروز وادعى الفرنسيون حق حماية الموارنة ، وقامت ثنائية البحر والصحراء ، **وتورطت حديثاً قوى وزعامات مارونية تسعى للنجاة بلبنان من العالم العربى وحتى لو تحالف مع الشيطان .**

والمسالة فى مضمونها هى بين العروبة والقطرية ، وهى مسالة مطروحة فى غيرها من الاقطار العربية ، وهى مسالة يحسمها الحوار وليس الاقتتال .

ولا جدال أن الصراع الدموى فى لبنان مدخله صراع طائفى عشائرى ، وهذه الفسيفساء الطائفية هى التى مكنت اطرافا خارجية إقليمية ودولية من التدخل والعمل فى لبنان .

فالسنة يرون أنهم أحفاد المرابطين على الساحل ، والشيعة دخلوا البلاد بعد الفتح العربى واستوطنوا وسكنوا الساحل والجبل وانتشروا فى كروان والشوف والمتن ووادى اليتم والبقاع ، ثم انحصروا فى جبل عامل والبقاع والساحل ، وهم يشكلون ربع سكان لبنان ، تعانى قراهم من الإهمال والظروف المعيشية القاسية ،



المسجد العمرى فى بيروت القديمة

وضاقت الحياة بالعديد منهم وهاجروا ليس إلى استراليا والأمريكتين بل إلى أفريقيا ، ومن لم يتمكن من الهجرة إلى الخارج هاجر إلى بيروت .

وقد بدأ التحريض على أساس دينى ضد الدين الآخر ، وسرعان ما انتقل من الآخر إلى أبناء الدين الواحد ، وسرعان مايتعصب ضد البعيد وينتقل تعصبه ضد القريب أيضاً ، وفى البداية كانوا جميعا مسلمين فأصبحوا سنة وشيعة ودروزا ، وكانوا جميعاً مسيحيين فأصبحوا موارنة وأرثوذكساً وكاثوليكاً وانتقل التلوث إلى كل الأنحاء وكل الأطراف .

ووصل هذا الصراع إلى التاريخ ، وتحولت لبنان لتصبح مارونية عند الموارنة ، وشيعية عند الشيعة ، وسنية عند السنة ، ودرزية عن الدروز ، وحتى آخر طائفة صغيرة فى لبنان ، وأصبح لكل طائفة رؤيتها الخاصة للتاريخ ..

وأصبح لكل طائفة جدول اولوياتها ، وفكرتها التى تدور حولها .

وضاعت فى ظل هذا الصراع



رغم الحرب ، جلس عم امين امام حانوته ينتظر الزبائن والسواح

الحقيقة التاريخية .

ولكن ماذا تقول حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ ؟

كانت لبنان مسرحاً للعديد من المواجهات التاريخية الكبرى ، التى خلفت وراءها عصبيات واحقاداً ، اختلط التعرف عليها وعلاجها فى كثير من الأحيان بشبهة الاعتراف بها ، وبقيت تتراكم تحت السطح ، وكانت مشاكل لبنان انعكاساً لصراعات أحتدمت فى العالم العربى ، فلبنان يقع فى نقطة اتصال بين عرب أفريقيا وعرب آسيا ، ولعب الاقتصاد اللبنانى دائماً دور الوسيط بين الداخل العربى ـ الجزيرة العربية ودول الخليج وحتى ايران ـ وبين الغرب .

كانت بيروت عام ١٨٦٣ مرفأ دمشق بل مرفأ سوريا الداخلية كلها ، وزاد من اهميتها طريق دمشق بيروت ، الذى أقيم فى ذات العام ، ثم خط السكة الحديد الذى أقيم بين المدينتين ، فكانت بحق بوابة دمشق التى تقع على أطراف الصحراء .

وكانت بيروت عام ١٨٨٨ جزءا من ولاية سوريا العثمانية ، وتحولت لتكون ولاية مستقلة (متصرفية) مرتبطة بالدولة العثمانية ، وكان يتبعها سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق نابلس .

وقام أيامها فى بيروت تيار فكرى يستوعب الثقافتين الغربية والعربية ، وكان أحد روافد الفكر القومى العربى ، وظهر فيها تيار سياسى مدنى ليبرالى وقام هذا التيار فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بصياغة مشاريع الدولة القومية فى إطار يتخطى بيروت وجبل لبنان .

وسقط كل ذلك سقوطاً مدوياً بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

● ثنائية التعليم

وقام نظام تعليم يؤكد الانقسام الطائفى ..

فلم يشهد لبنان تعليماً عاماً لكل اللبنانيين ، ولكنه ارتبط منذ البداية بالطوائف ، وأصبح لكل طائفة مدارسها ، وساهمت البعثات الأجنبية فى ترسيخ هذا التقسيم .

وأحدثت مناهج التعليم فى المدارس الأجنبية تأثيرها ، وأقام الأمريكيون مدرستين ونقلوا مطبعتهم العربية من مالطة إلى بيروت سنة ١٨٣٤ م ، وأقام اليسوعيون مدرستهم سنة ١٨٣١ ، وأقاموا المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ ، وبعد المدارس قامت الجامعات ، فأقيمت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٨٦٦ وأطلق عليها المدرسة السورية الأنجيلية ، ثم اقام اليسوعيون جامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٥ ، وعرف خريجو الجامعة اليسوعية بولعهم بالثقافة الفرنسية وميلهم لكل ماهو فرنسى .

واستمر الحال على هذا النحو حتى منتصف القرن العشرين ، فأقيمت الجامعة اللبنانية عام ١٩٥٣ ، واقيمت الجامعة العربية التى أنشأتها مصر عام ١٩٦٠ .

وهكذا كرس نظام التعليم الأزدواجية والانقسام الطائفى !

● الأحزاب السياسية

وحتى معظم الأحزاب السياسية قامت على أساس طائفى عشائرى ، ولم تقم على أساس برامج ومبادىء ، فكانت مجرد تكتل شخصى بين جماعات من الأفراد يتم عن طريق الوراثة ، وعجز أى من هذه الأحزاب عن أن يكون له أغلبية بين أفراد الشعب ، منذ قيام الدستور سنة ١٩٢٦ ، وأصبحت قاعدة الحزب التقدمى الاشتراكى هى الطائفة الدرزية ، ودعاة القومية السورية هم فى أكثريتهم روم أرثوذكس .. وهكذا .

وتظهر عشائرية هذه الأحزاب بعد اختفاء الجيل الأول من الحرس القديم ، كمال جنبلاط ، وبيار الجميل ، وكميل شمعون ، ورشيد كرامى ، فوجدنا وليد جنبلاط يحتل مكان أبيه زعيماً للحزب التقدمى الاشتراكى ، رغم ما عرف عنه من انصرافه عن الاهتمامات السياسية ، واقنعته والدته وعمته على حمل الشعلة

بعد أبيه ، وورث بشير الجميل ومن بعده أمين الجميل زعامة حزب الكتائب من الأب بيار الجميل ، واحتل دانى شمعون مكان أبيه كميل شمعون ، رغم أنه مهندس ورجل أعمال عرف عنه عزوفه عن الحياة السياسية ، وتولى المحامى عمر كرامى مكان شقيقه رشيد كرامى فى قيادة سنة طرابلس .

وأصبحت الأحزاب التعبير السياسى الحديث عن القوى السياسية ، ليست أكثر من لباس جديد للعشائرية والطائفية ..

● تصفية الحسابات

وكان من الطبيعى أن يثير النظام فى لبنان شهية ، أطراف إقليمية وعربية لاستغلال ثغراته وانقساماته ، بل وجذبت الأطراف الداخلية أطرافا خارجية لتستقوى بها فى صراعاتها الداخلية ، وكلما مال ميزان الصراع لغير صالح أحد الأطراف ، يسارع إلى طلب العون من طرف خارجى ، وقدر لبنان قيام إسرائيل على حدوده الجنوبية ، مما جعل للوضع اللبنانى الداخلى تأثيره الواسع على الصراع العربى الإسرائيلى .

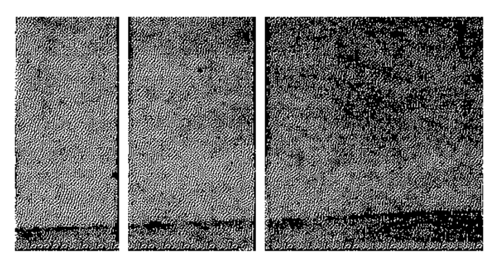
وكان لبنان منذ الاستقلال يعيش أزمة كامنة ، وكل ما كان مطلوباً لكى ينفجر الوضع هو محرك خارجى ، وكانت إسرائيل هى هذا المفجر .

ودفع لبنان ثمناً فادحاً لاختلال الميزان الداخلى ، وقام على أرضه العديد من المنافسات العربية ، واتخذته الدول العربية مسرحاً لصراعاتها ومنافسات حكامها ، وسعى كل نظلم عربى إلى تصفية حسلباته مع خصومه على أرضها ، وكان آخر هذه الصراعات ما جرى بين سوريا والعراق ، وهو خلاف قائم بين جناحى حزب واحد ، وليس خلافاً بين دولتين جارتين او شعبين شقيقين ، وتفجر هذا الخلاف فى صور شتى .

وأخطأ العالم العربى فى حق لبنان ، الذى لم يقدم له المساعدة حين ناء بحمل القضية الفلسطينية ، وماكان هذا ممكناً ولا عادلاً ولا معقولاً .

ومنذ دخلت سوريا لبنان قبل خمسة عشر عاماً ، لم تحاول تبنى مشروع لبنانى ، يقوم على تجميع طوائفها ، والتآليف بين قادتها وزعمائها وطوائفها ، فامن خاصرة سوريا يتحقق مع كل لبنان وليس مع أحد أطرافه ، ولا يتحقق بتحالفات ومصالح متغيرة ، مع هذا الفريق ضد ذاك ، وتكمن مصلحة سوريا فى ترتيب وضع ملائم للوحدة بين أبناء الشعب اللبنانى لكى تكون سنداً لها فى مواجهة إسرائيل .

واخيراً هناك شوط كبير يجب قطعه ، لكى يتحول وقف القتال إلى سلام حقيقى ، بعضه تقع فيه المسئولية على العرب وبعضه على اللبنانيين انفسهم ولكى يكون السلام بديلاً عن الثار ، والعمل على وضع حد لآلام الشعب اللبنانى بديلاً عن وضع العصا فى العجلات امام كل فرص الحل ، وأن يكون عودة التضامن بين أبناء الوطن الواحد اهم من ان يحقق احد الأطراف نصراً خادعاً على الطرف الآخر ، فالرحمة قبل العدل ، والحوار بدلاً من القتال ، والنقد الذاتى بدلاً من نقد الآخرين ، ومستقبل الأجيال الجديدة بدلاً عن اللحظة الراهنة .



القفز على الأشواك

الأصالة والمعاصرة في الجامعة

بقلم: د. شكري محمد عياد

بينما تتحول جامعاتنا الى مدارس عالية مكتظة بالطلبة الذين يتخرجون مهنيين غير اكفاء ، يشتد الضغط عليها من الخارج لتقوم بمهام جسيمة ، لم تستطع ان تقوم بها فى الزمن السابق ، حين كانت الجامعة جامعة (فى دور الطفولة نعم ، ولكنها طفولة واعدة) يجد فيها الاساتذة فراغا للبحث ، ويعرف الطلاب طريق المكتبة او المعمل ، ويستطيعون على الاقل ان يتناقشوا وان يتحركوا بين اروقتها بحرية !

كان المطلب الذى اريد من الجامعة ان تحققه ، حين انشئت فى اواخر العقد الأول من هذا القرن (١٩٠٨) ، هو ان تكون تربة صالحة لنمو العقل المصرى ، ومعنى ذلك ان تتمتع كمؤسسة بنوع من الاستقلال يكفل لها اكبر قدر من الحرية ، وان تكون قاعدة التعليم فيها هى « العلم للعلم » حتى تشعل فى نفوس خريجيها جذوة البحث عن الحقيقة ، وحب الحقيقة .

لم يكن تحقيق هذا الهدف المثالى سهلا فى يوم من الأيام ، ومع ذلك فقد كانت هناك بعض الانتصارات ، يكفى ان نذكر ان اسم على مشرفة ، استاذ الطبيعيات ، لايزال يذكر بين العلماء الذين مهدت ابحاثهم لاكتشاف الطاقة النووية . ولكن مجتمعنا استمر فى

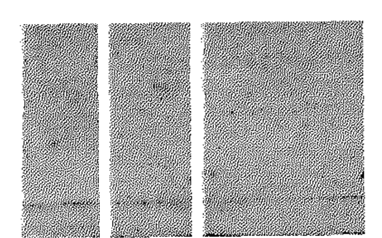




احمد حسن الزيات   سلامة موسى

تطوره بتأثير عوامل داخلية واخرى خارجية . فلم يعد البحث عن الحقيقة يقنع الكثيرين ، بل اصبحوا يقدمون عليه ـ ان لم ينسوه تماما ـ واحدا من هذين الهدفين . اكتشاف الذات ، أو الالتحام الفعلى والكامل بالعالم المعاصر . وهو ما تعبر عنه الكلمتان السائرتان ، « الاصالة والمعاصرة » وقد جمع بينهما حرف العطف ، ولكن هذا الجمع اللغوى قلما تمثل واقعا فى الفكر أو التطبيق فالحقيقة هى أن ثمة استقطابا نحو احد الطرفين وهذا الاستقطاب واضح اشد الوضوح فى الجامعة .

صحيح ان اكتشاف الذات من ناحية ، والالتحام بالعالم المعاصر ، من ناحية اخرى ، لم يكونا غائبين عن فكرة الجامعة منذ البدء ولكن الهدفين كانا يبدوان منسجمين ، ومن ثم لم يكن بينهما استقطاب . كان اكتشاف الذات يعنى اكتشاف ماهى المصرية (لم تكن تسمية الجامعة الأولى بالجامعة المصرية مجرد نسبة الى المكان) ، وكان « العالم المعاصر » يعنى اوربا ، واوربا تقع فى شمال البحر الابيض المتوسط ، كما تقع مصر فى جنوبه ، فليس بين اكتشاف الذات والالتحام ، بالعالم المعاصر الا مقدار المساحة بين الشاطئين ولكن الهوة اتسعت فجأة : من أول الأمر كانت لأوربا صورتان ، صورة لاتينية وصورة انجلو سكسونية ، وكان للمصرية اكثر من صورة ، صورة فرعونية فى الاثار والمعابد والامجاد الغابرة ، وصورة قبطية فى العقيدة والعادات والتشبث العنيد بالارض والتراث ، وصورة اسلامية شعبية مستمدة من السير والامثال وشخصية ابن البلد بالطاقية واللاسة او المصرى افندى بالطربوش والسبحة ، كل من دعا الى المصرية انتخب ماشاء من الحاضر أو التاريخ وصنع منهما صورة مجردة لتوافق هواه ، شيئا فشيئا بدأت صورة العالم المعاصر تتباعد حتى عبرت الاطلسى ، اما المصرية فقد اخذت تبهت حتى ظهرت فى مكانها ، بما يشبه السحر ، صورة عربية لم تلبث ان تحولت الى عربية اسلامية ولم تكن فى الحقيقة اكثر وضوحا من سابقاتها ، ولكنها كانت تشعل الحماسة بانتمائها، الى تاريخ اقرب ، وتبعث الاطمئنان بذوبانها فى كيان اكبر ، وتنتشى ـ على المستوى الأدبى ـ برائحة البترول ، وتفور ـ على



المستوى الأعلى - غضبا على الشيطان الأكبر .

● بين القديم والحديث

هكذا تم التباعد بين قطبى « الأصالة والمعاصرة » حتى كادت تتمزق بينهما واو العطف ، واصبحنا نشهد فى الجامعة - اعنى كل جامعات العالم العربى وان اختلفت النسب - تيارين متعارضين : تيارا ينبش فى القديم مكتفيا به، غاية ماعنده من الاجتهاد ان يقيس مسألة على مسألة ، او يرجح رأيا على رأى ، وتيارا يلهث وراء كل جديد يأتى من الغرب ولاسيما ذلك الذى يأتى من وراء الاطلسى ، والعجيب فى امر هذين التيارين انهما لايتحاوران او يتصارعان على المستوى العقلى ، وان تصارعا احيانا على مستوى التهيج الطلابى (اذا لم يروعهما بطش السلطان) . فالتياران - على مستوى المنظرين او الدعاة او المروجين - متساويان ومتشابهان فى صفة « الارتزاق » ! وقع فى يدى مرة كتاب فى « علم النفس الاسلامى » زعم صاحبه انه يقيم علم نفس جديدا على القرآن والسنة ! وسمعت بعد ذلك ان هناك رسالة قدمت فى « علم الاحصاء الاسلامى » على الاساس نفسه . (أليس الله قد قال فى كتابه العزيز « لقد احصاهم وعدهم عدا » و« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . وكم اثلج صدرى ، فى اثناء هذه الصور القبيحة للجهل والنفاق ، انى شاهدت على التليفزيون السعودى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية يعيب مثل هذه المحاولات السخيفة ، لانها تأخذ المتعلم بعيدا عن معنى العلم الصحيح ، فالقوم ليسوا اغرارا ولاجهالا ، هم يعرفون ان منهج العلم غير منهج الدين ، وان كان كلاهما طريقا الى الحقيقة ، الا ان فيهم حياء وادبا يمنعانهم ان يصدوا اولئك الذين يتظاهرون بالحماسة للدين .

ان كان مكر البلهاء يزين لهم ان يطلقوا لحاهم ، ويبيعوا دينهم بدنياهم ، ويذهبوا الى تلك الجامعات لا ليفيدوا شبابها علما نافعا ، بل ليغنوا للقوم الغناء الذى يطربهم (كما يتوهمون) ، فترتفع ارصدتهم فى البنوك ، فثمة ماكرون أذكياء ولكنهم يتبالهون ، يفتشون عن مشروع بحثى ترعاه دولة اجنبية تدفع لهم مكافآتهم بالدولار ، وتدعوهم الى المؤتمرات واساتذة زائرون فى الجامعات وتنشر اسماؤهم فى الافاق .. هؤلاء يعلمون علم اليقين انهم يشاركون فى ابحاث تخدم اغراضا اجنبية ، ولاتخدم وطنهم ولا « الحقيقة العلمية » ولكنهم يتبالهون لانهم ينتفعون .

اما « العبقرى » فهو من يلعب على الحبلين ، ويأكل على المائدتين .

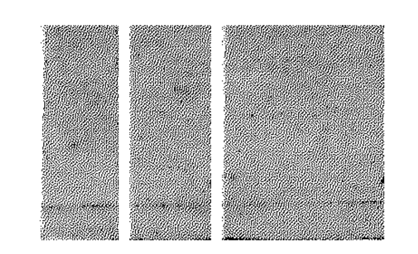
● الحضور العالمى

هذه هى الصورة الحقيقية « للاصالة والمعاصرة » كما تنعكس من مجتمعاتنا على جامعاتنا ، وهى صورة لم تعد بشاعتها تخفى على احد وواضح انها لن تتغير من تلقاء نفسها ، فالعوامل الخارجية التى شجعتها لاتزال قائمة ، واذن فالطريق الوحيد لتغييرها هو طريق الجهد الذاتى ، واذا كانت هذه الحقيقة تبدو لنا بديهية فيما يتعلق بمطلب اكتشاف الذات (اذ كيف يمكن اكتشاف الذات الا بسعى دءوب ، ومخلص من الذات نفسها ، فانه يبدو عسيرا جدا ، بل يوشك أن يكون مستحيلا ، فيما يتعلق بالفرض الثانى) أعنى الحضور العالمى او الوجود فى العالم المعاصر ، هذا العالم الذى يتوحد


د . احمد زكى


اسماعيل مظهر

بسرعة مقتربا ، أكثر فاكثر من النمطية التى تطمس الفروق الذاتية بين الافراد والمجتمعات ومن هنا يشعر الكثيرون فى قرارة انفسهم بان الجمع بين المطلبين غير ممكن فى الواقع ، وان ربط المعاصرة بالاصالة أو الاصالة بالمعاصرة ، لا يحل اشكالا بل قد يكون وسيلة للتمويه او الرياء او خداع النفس ، ستبقى الدعوة الى الاصالة قرينة للمحافظة او الرجعية ، والدعوة الى المعاصرة او العالمية مرادفة للتبعية الثقافية ما لم يتوحد مفهوم الاصالة ومفهوم المعاصرة توحدا حقيقيا ، واعنى بذلك أن تكون الاصالة جزءا لازما للمعاصرة ، والمعاصرة جزءا لازما للاصالة ، لامجرد اضافة او تكملة أو تحلية او حتى شرط ، وهذا يقتضى اولا الا نأخذ الجمع بينهما على انه بديهية غير قابلة للنقاش ، كوجود الله مثلا ، فحتى وجود الله يناقش بالعقل فى علم التوحيد ، يجب ان تكون لدينا الشجاعة لقبول احتمال ان حضارتنا قد استنفدت اغراضها ، ولم تعد صالحة لهذا العصر ، ويجب فى الوقت نفسه ، الا نسلم بفكرة « التقدم » على اطلاقها او كضرورة حتمية لابديل لها الا الفناء ، حقا ان الفرق شاسع بين ساكن الكهوف وساكن القرية او المدينة القديمة ، وبين ساكن القرية وساكن المدينة العصرية ، وأن هذا الفرق راجع الى التقدم المستمر فى اكتشاف قوانين



القفـز على الأشـواك

الطبيعة واستغلالها لجعل حياة الانسان اكثر راحة وامنا ، ولكن هل يستطيع العلم نفسه الجزم باطراد ذلك فى المستقبل ، او الزعم بأن القوانين الطبيعية التى اكتشفها العلم هى كل ما تنطوى عليه الطبيعة من اسرار ، او أن العقل الانسانى ليس امامه الا طريق واحد لاكتشاف الحقيقة ؟ بعبارة اخرى : هل هناك حد فاصل وثابت بين ما هو ضرورى وما هو ممكن ، بين الشروط اللازمة للفكر الانسانى وامكانية الابداع ، وهل يدعونا كل ذلك الى مراجعة فكرة « التقدم » ؟

قد تبدو هذه الاسئلة مزعجة للفريقين : فريق المتعبدين للتراث وفريق المتحمسين للعلم الحديث ، وقد تنطوى على شىء من الخطورة لانها يمكن ان تغرى الكثيرين بالغاء المعايير كلها ، او بقبول اى معيار يصادف هوى فى نفوسهم ، على اعتبار ان الطرق كلها ممكنة ، ولكنها اسئلة ضرورية لتحرير الفكر من الجمود ، وكذلك من التقليد الاعمى لكل جديد ، واذا كانت غير مطروحة فى الوقت الحاضر فلانها من شغل الفلاسفة ، واين هم ؟ ليس فى عالمنا العربى فيلسوف واحد . واذا كان كل واحد منا يرتجل لنفسه فلسفته الخاصة ، بدون تمحيص ولاتعمق ، لان الانسان لايمكن ان يعيش بدون فلسفة ، فان فى استطاعتنا ان نستعيض عن الفلسفة ، مؤقتا ، بالتاريخ ، وأعنى تاريخ الحضارات وتاريخ كل علم من العلوم لمن يريد التخصص فى ذلك العلم ، فهذا النوع من التاريخ يمنحنا سعة فى الافق ، ويدعونا الى طرح الاسئلة وتصوّر الاحتمالات وينمى لدينا القدرة على النقد ، وتقدير قيمة التراث بدون مغالاة ولاتعالٍ اجوف .

فانا اقصد بتاريخ الحضارات جميع الحضارات العالمية ، وبتاريخ العلم منجزاته لدى جميع الامم ، وفى جميع العصور ، لا اقصد مثلا ان نلزم طالب الطب بدراسة تاريخ الطب عند العرب ، محاولين ان نغذى فيه نعرة قومية لاصلة لها بالمهنة التى نعده لها ، ولكننى اقصد ان يعرف كيف تصور الانسان فى الحضارات المختلفة ، طبيعة المرض واسبابه من تاثير القوى الشريرة الخفية ، الى الطفيليات والمكروبات ونقص المناعة ، الى علاقة الجهاز العصبى ، بهذا كله ـ ان يعرف ذلك بصورة اكثر تفصيلا ودقة من هذا الوصف العامي، ليكون تعامله مع المرض تعاملا علميا وان اتسم بسعة الافق ، بعد ذلك فقط يمكنه ان يقرأ نصوصا للاطباء العرب ويقدر قيمتها ، على ان هذا يسلمنا الى قضية اخرى ، ساعود اليها بعد قليل .

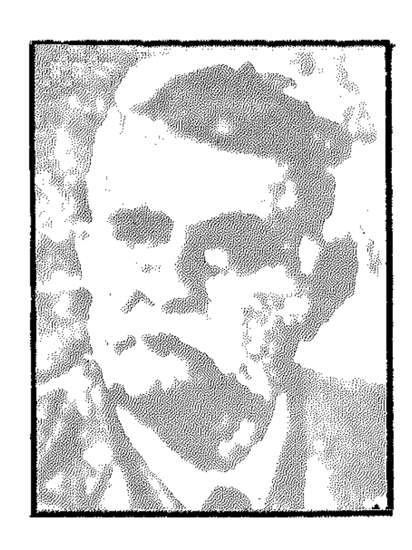
لا اقصد كذلك ان ندرس للطلاب الحضارة العربية ، او الحضارة العربية الاسلامية، دون ذكر للحضارات الاخرى ، الا حين نريد نعتها بالمادية والكافرة والملحدة ، فاننا بذلك لن

نحميه من تأثير هذه الحضارات ، التى تواجهه كل يوم فى صور جذابة ليست كلها مادية ، ولاعلاقة لها بالكفر والالحاد ، ولكننا قد ننجح فقط فى جعله عاجزا عن فهم تلك الحضارات الاخرى ، عاجزا ـ من ثمة ـ عن نقدها او الاستفادة الصحيحة منها .

هذا كله لايمكن ان تقوم به غير الجامعة ، فهى القادرة وحدها على تأسيس موقف صحيح من قضية الاصالة والمعاصرة ، بما تنطوى عليه من ازمات فكرية وعملية وبما تثيره لدى الشباب على الخصوص من حيرة وبلبلة . الجامعة قادرة على ذلك بمن فيها من اساتذة وباحثين ، وبالطابع المنظم لما يلقى فيها من دروس ، وبالاعداد الهائلة من الطلاب الذين يلتحقون بها كل عام ، ولكنها فى الواقع لاتقوم بشىء من هذا الواجب ، بل اخشى انها لاتشعر به ، وان مايسمع فيها عن الاصالة والمعاصرة ، قد لايكون اكثر من صدى للصيحات الغوغائية ، التى تنطلق فى الخارج .

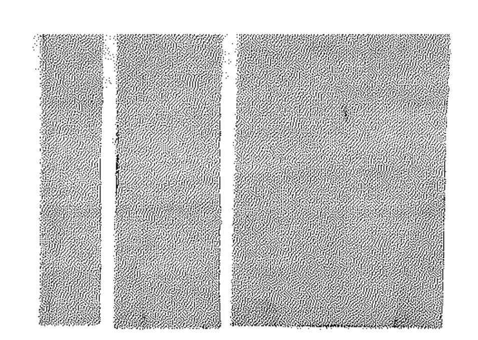
● الجامعة وفكر العالم المعاصر

الجامعة ايضا هى التى تستطيع اكثر من غيرها ان تصلنا بفكر العالم المعاصر واتجاهات التطور فيه ، واهم مايعنيه ذلك ان تصلنا بالعلم المعاصر ، فنحن مازلنا ميالين الى تصور « الفكر » على انه قريب من الفلسفة بمعناها التقليدى ، أى التأمل فى الانسان والكون ، واذا انصب على مجريات الامور ووقائع الحياة اليومية فهو لايتجاوز الظواهر الاجتماعية والتيارات



شبل شميل

السياسية ، ولكن المفكر فى العالم المعاصر لايمكنه ان يستغنى عن النظر فى « العلم » بمعناه الدقيق اى العلم الطبيعى والرياضى ، بل إن اى انسان يريد ان يعيش فى هذا العالم عيشة الفاهم الواعى لايمكنه ان يستغنى عن قدر من الثقافة العلمية ، ولكن الذى يتأمل حال الثقافة العلمية عندنا فى الوقت الحاضر لابد ان يشعر بالأسى . ليس فى مصر كلها مجلة علمية واحدة تخاطب القارىء العادى (لاعرف شيئا عن المجلات العلمية المتخصصة) « المجلة العلمية » تقدم مرة كل اسبوعين على القناة الثانية ، فى اذاعة البرنامج العام برنامج واحد جيد قد لايشعر به الكثيرون ـ يقدم شيئا من الثقافة العلمية من خلال حوار مع شخصية علمية كبيرة ، ليس بين صحفنا اليومية صفحة واحدة ـ ولو اسبوعية ـ تخصص للثقافة العلمية (بعضها يكتفى بتقديم اخبار قصيرة ، مصحوبة بالصور ـ لاحدث المبتكرات فى عالم الصناعة او فى عالم الطيران) ، وليس هناك مثل اشد اثارة للقلق ، بل الفزع ـ من مجلة



القفز على الأشواك

« الشباب وعلوم المستقبل » التى تضاءل اهتمامها بالعلم شيئا فشيئا الى ان انعدم ، واصبح اسمها « الشباب » فقط وكأنها تسجل شهادة على شبابنا ان اهتمامه اصبح منحصرا فى الكرة والملاهى ، ولم يعد يبالى بعلوم الماضى او المستقبل .

ومما يضاعف ألمنا أن مصر قد عرفت منذ اوائل هذا القرن ، وحتى منتصفه تقريبا ، مجلة شهرية لم تكن عنايتها بالعلم اقل من عنايتها بالادب ، وهى مجلة « المقتطف » وان الزيات ، وهو الاديب الذى لاعلاقة له بالعلوم الطبيعية ، كان يخصص فى « الرسالة » بابا اسبوعيا للعلم ، وان طائفة من ابرز الكتاب غلبت عليهم الثقافة العلمية ، وقربوا هذه الثقافة الى القارىء العام ، واذكر منهم شبلى شميل ، وفؤاد صروف ، وسلامة موسى ، واسماعيل مظهر ، واحمد زكى .

نعم ، فى مصر الان كليات علمية اكثر ، وفيها اكاديمية للعلوم ، ومجلس للبحث العلمى ، ولعل فيها علماء اكثر ، ولكن الصفوة العلمية فى مجتمع لايعرف معنى العلم ولايقدره ، لايمكنها ان تبقى ، وان بقيت فلن تعطى ، وان بقيت واعطت الشىء القليل ، وسط ظروف معاكسة ، فلن تترك بعدها جيلا جديدا قادرا على العطاء .

كان العلماء قديما يعيشون فى كنف رعاة اقوياء ، اما اليوم فيجب ان يحتضنهم الشعب كله ، ولذلك يجب ان تكون الطرق مفتوحة بين العلماء واكثرية القراء ، وهنا يجب ان اشير الى قضية « لغة العلم » التى ألمحت اليها قبل قليل ، فطالب الطب الذى نريده ان يقرأ شيئا من نصوص الاطباء العرب ليتسع افقه ويكتسب شيئا من المرونة العقلية اللازمة لكل مشتغل بالعلم ، بل لكل طبيب ممارس (فضلا عن شعوره بالاعتزاز لان وراءه تاريخا عظيما حافلا بالمنجزات المهمة) لن يفهم مايقرؤه اذا كانت دراسته للطب بالانجليزية اصلا ، ومثله طالب الهندسة والعلوم . والطبيب او المهندس لايمكنه ان يشرح لمساعده مايجب عمله اذا كلمه بالانجليزية او الفرنسية وكل هؤلاء لايمكنهم ان يبينوا للجمهور فائدة مشروع ما الا اذا كلموه باللغة التى يفهمها .

ان قضية تقريب العلوم قضية بديهية لاتستحق ان نفردها بالبحث والمدافعون عن بقاء تدريس العلوم باللغات الاجنبية ليست لهم حجة الا عالمية العلم ، وهى حجة مضحكة فلم يتفق الانجليز والفرنسيون والالمان - بل ولا اليابانيون ! على لغة واحدة يؤلفون بها الكتب العلمية ويكتبون الابحاث العلمية ، وهم بلا شك اكثر منا تقدما فى العلم ، اذن فالمسألة ببساطة هى ان لدينا « صفوة » علمية - قسمامنها على الارجح - تفضل ان تبقى ملتصقة بالاجانب ، ولو كان مكانها فى الذيل . وهذا ضرب من التبعية ان رضوه فلن ترضاه الامة !



● "أين القراء" لاتوجد قراءة ! يعانى الجمهور فى حياتنا من الضغط الواقع عليه ، كما تقابل شخصا "محصورا" وتحدثه فى السياسة .

نجيب محفوظ




نجيب محفوظ

● "القاهرة مخالفة كبرى"

المهندس حسن فتحى

● "الارض تورث كاللغة"


الشاعر محمود درويش

● "التليفزيون نسيان يأكل اطفالنا والمستقبل"

المفكر العربى شاكر مصطفى


مهندس حسن فتحى

● "تحقيق السلام فى السودان سينقذ مصر من ازمة مياهها"

رينيه ديمون العالم الزراعى الفرنسى

● "اهم ما يشغلنى هو عودة السلام الى الحبشة والقرن الافريقى"

هرمان كوهن
مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية

● "الاردن هى فلسطين وعاصمة فلسطين عمان"

اريل شارون
وزير التجارة الاسرائيلى

● "الحكم فى نهاية المطاف هو ان تعمل مايجب ان يُعمل"

كارلوس كارديناس
رئيس جمهورية المكسيك

● "كلما عرفت نفسك ، صبرت على ماتراه فى الآخرين"

جوان اريكسون
الباحثة النفسية الامريكية



بقلم: د. سهير القلماوى

● ذلك ان الاستعمار البرتغالى ، ثم الانجليزى والفرنسى خاصة كان شديد الوطأة طويل الأمد فى افريقيا .. لقد بدأ استعمار افريقيا اوائل القرن الثامن عشر ووصل الى الذروة فى منتصف القرن التاسع عشر ، والى سنة ١٩١٤ .. لم يكن فى كل افريقيا بلد مستقل الا الحبشة وليبيريا .. ولكن الوضع فى شمال افريقيا فى الاقطار العربية المسلمة يختلف من حيث نوع الانتماء الى الخلافة المركزية فى تركيا .. وكذلك الوضع فى الجنوب حيث استوطن البيض وازاحوا اهل البلاد الى مرتبة العبيد والعمل فى اقل المهن شأنا .

هذا الشعور بالغربة فى اللغة نجد شاعراً مثل « مالك حداد » يحس وطأته عندما يرى انه يكتب شعراً بالفرنسية لايتجاوب معه من أهل وطنه الا الذين دمغهم الاستعمار الفرنسى بلغته .

يقول مالك حداد :

لا تلمنى يا شاعراً ياصديقى .

اذا لم يطربك صداحى ..

كنت أنادى أمى فى طفولتى « يا أمه »

وأسميها الآن فى شعرى Ma MERE

يا إلهى ما اشد وطأة الظلام فى عينى هذه الليلة ..

اماه يا « امة » هل يمكن أن يكون اسمك « Ma Mere »

فى الكتابة النثرية نجد حدة هذا الشعور تخف نوعا ما فنجد مؤلفا مثل « كاتب يسن » يقول « اقاتل الاستعمار بأية .. لغة ، كما اقاتلهم باى سلاح ، لا يهم اين صنع السلاح » .

لذلك نجد الاحساس بالغربة فى اللغة يذوب أمام موضوع مهاجمة الاستعمار .. ولذلك ايضا نجد أكثر المؤلفين الافارقة الذين يكتبون نثرا والرواية بالذات يضغطون على موضوع الاستعمار : قسوته وبشاعته

تغنى الشعراء والأدباء بعامة كثيرا بالشعور بالحنين الى الأرض والاهل والى الماضى ومراتع الصبا ، وغير ذلك من الذكريات .. ولكن الحنين الى اللغة الام اى أن يحس الشاعر أو الأديب بان مايؤلفه يجد صدى عند أهله وعشيرته وبنى وطنه هذا الشعور بالغربة والحنين ازاء اللغة لا نجده واضحا الا عند الشعراء الافارقة بعامة .





ليوبولد سيدار سنجور



كاتب ياسين



البيركامى

وآلام « الدونية » عند الافريقى وخاصة فى البلاد التى يستشرى فيها جبروت المستعمر .

ويختلف أسلوب الاستعمار الذى دخل أصلا فى حملات تبشير بين انجلترا وفرنسا .. فالبلاد التى خضعت للاستعمار الانجليزى كان التركيز فيها على الاقتصاد واستغلال الثروة الطبيعية التى تزخر بها القارة ، مثل مناجم الذهب فى يوهانزبرج .. اما الاستعمار الفرنسى وان لم يغفل الاستغلال الاقتصادى ، فقد ركز على نشر اللغة الفرنسية الى جانب نشر المسيحية .

ويحس الافريقى هذه الأزمة وتلك الغربة فى ظروف معينة بشكل اشد مثلا عند عودة الافريقى من بعثة دراسية فيرى أنه لم يعد مربوطا الى اصوله بحبال متينة كما كان قبل ان يسافر الى فرنسا او الى انجلترا .. ويبدأ التأليف بلغة المستعمر التى يجد فيها مجالا للتعبير عن وجدانه وافكاره بخاصة .. وهو لا يستطيع ان يعالج

غربة اللغة

مثل هذا الاحساس بلغته الاصلية التى هى فى الأغلب لهجة من اللهجات تصل الى الثمانيمائة لهجة فى افريقية تنتمى فى آخر الامر الى اربع اسرات لغوية ليس من بينها ماهو منتشر بحيث يتيح للمبدع جمهورا يشاركه احاسيسه ويستمتع بتعبيره عن وجدان الجماعة او عن احاسيسها وافكارها .

والافريقى عادة يركز على حاضره وقلما يعبر بالأدب عن تطلعاته الى المستقبل لأن هذا التطلع يحتاج الى قاموس ، وقاموس هذه الافكار والمعانى فقير جدا فى لغته او لهجته فوق ان قراءه ومتلقى أدبه قلة لاتشجع على الاستمرار فى التأليف باللغة المحلية او اللهجة .

فاذا اضفنا الى ذلك تفشى الأمية فالى سنة ١٩٦٨ لم يزد عدد من يعرف القراءة والكتابة على ١٨٪ حسب احصائية اليونسكو ، ولعل اكثر من مُحيت أميتهم يدخلون فى نطاق البلاد المسلحة وخاصة شمال افريقيا .. والخطير ان الأفارقة محتاجون الى تعلم الحرف والصناعات ، وهذا يحتاج الى تعليم ومدارس وترجمة ومراجع ، ولكن المستعمرين لايعنيهم من هذا شيء تقريبا والافارقة يحسون انهم مستغلون استغلالاً أليما فهم يحاربون للمستعمر حروبا لاناقة لهم فيها ولا جمل .. حتى مناجم الذهب يُستغلون فيها ابشع استغلال .. والذهب بالنسبة إليهم لايقيهم برداً ولا حرا ولا يطعمهم من جوع .

اما تجارة العبيد التى بدأت ببيع اسرى الحرب لأوروبا ، وأوروبا باعت لامريكا ، وهكذا فقد اصابت وجدان الافريقى فى الصميم يرحلون على مراكب فى البحر وهم مربوطون بسلاسل من حديد .. من مات منهم يلقى به فى البحر دون اى شعور إنسانى .

● التعصب لافريقيا

وبدأت صحوة افريقية تنادى بالافرقة وبالتعصب للافريقية . قاد صورة منها فى شكل تعصب للزنجية الشاعر السنغالى « سنجور ».. وبدأ بعض الروائيين الفرنسيين امثال « كامو » يكتبون عن الجزائر من رؤيتهم لمستعمرة متحالفين مع بقايا الاقطاعيين الفرنسيين الذين استمروا فترة حتى بعد الاستقلال .. كذلك الى بعض الكتاب والروائيين خاصة ليزوروا القارة ويجدون موضوعات طريفة وجديدة مثيرة لمؤلفاتهم الروائية

خاصة فى غابات الوحوش على الطبيعة فى مجاهل افريقيا كجبال « كاليمانجارو » قرب خط الاستواء .. ولكن علو الجبل يلطف المناخ كثيرا للمغامرين الأوروبيين لصيد الوحوش والاحتكاك ببيئات موحية بالغريب والطريف .

أما مأساة جنوب افريقيا فمازالت الى اليوم أثرا قويا سافرا لاستيطان البيض ، وتكوين دولة غريبة عن الافارقة حيث تجد السكان الأصليين عبيداً او مواطنين من الدرجة الثانية او حتى الثالثة والتفرقة العنصرية تمارس بسفور فاضح ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين .

وتمتد جهود الافارقة مع المتعاطفين معهم الى اصدار مجلات « الحضور الافريقى » Presance Africaine التى تصدر فى باريس منذ سنة ١٩٥٦ ، ثم المؤتمرات وحلقات الدرس الدولية : مثل مؤتمر استكهولم الذى عقد سنة ١٩٦٧ وفيه عمد الافارقة المشاركون الى ابراز جذورهم الافريقية .. فلم يجدوا اصدق من التعبير عنها الا فى الاجزاء التى خص فيها الروائيون الافارقة طفولتهم بالوصف ، وصف العلاقة الاسرية ، وخاصة العلاقة بالاجداد ، وأقاصيص الجدة ، ومرح الطفولة ودفء الصلة بين الاعمام والأخوال وتبرز أمكنة اللقاءات مثل محطة القطار ، وكانت أهم معلم فيها يلتقى الشباب وتعقد اتفاقات الزواج الخ .

ولعل وصف بعضهم لقراءته مجلات الأطفال التى كانت تحضرها امه من البيت الذى تقوم فيه بمهمة الغسالة والشغالة من امتع مايقرأ وأدق مايعبر عن الجدع الوجدانى العاطفى للطفل الافريقى الذى منعه الاستعمار حق التمتع بالطفولة للاحساس بغربة اللغة امام لغة كتب الأطفال .

ان مشكلة اللغة والاحساس بالغربة فى التعبير عند الادباء عندما يضطرون الى استعمال لغة المستعمر تتفاقم بدلا من ان تخف فالمطابع قليلة والعاملون أقل .. والتعليم لايضع المشكلة موضعها اللائق بخطورتها .

ومازال الطريق وعراً وطويلا امام ايجاد لغة افريقية تجد قراء كافين يغرون المؤلف حتى السواحيلية والامهرية ، وهما اكثر لغات افريقيا انتشارا ، مازالتا قليلتى العدد الى حد لايغرى باستعمالها على نطاق واسع .

انها مشكلة خطيرة وسيئة من سيئات الاستعمار التى مازالت ضخمة الحجم .. ولكن من يدرى مستقبل اللغات كلها وهل سيكون هناك حل آخر غير الارتقاء باللغات المحلية .. من يدرى .

عاشق الملكة والمغنية

المطربة ق

الكثيرون من محبى صوت اسمهان مازالوا يقولون : لو عاشت لملأ صوتها الدنيا وشغل الناس ، ومع انى اقول مثلهم باسف بالغ : ليتها عاشت .. لكنى اقول : لو عاشت اسمهان ـ رحمها الله ـ لما عاش صوتها ، لانها خلقت للمغامرات الكبرى لا لاحتراف الغناء ! ..



اسمهان ..

فى اواخر سنة ١٩٤٢ كنت مع صديقين من صغار الطلاب تمر بشارع المساحة بالدقى ، فتوقفنا عند مدخله فى ميدان عبد المنعم ـ لا أدرى اسمه الآن ـ وتعلقت انظارنا على امرأة أنيقة رشيقة غضة الشباب ، تخرج من قصر فى ذلك الميدان ..

هتف أحدنا :

ـ هذه اسمهان ! ..

رد الآخر :

ـ غير معقول ! .. أسمهان تركت مصر منذ سنوات ! ..

وتحركنا فى سرعة الى باب حديقة القصر ، نسأل البواب بسذاجة عن هذه السيدة ! ..

اتسعت عينا البواب دهشة وغضبا ، ورمانا بنظرة تهديد ، ومد سبابته نحونا منذرا :

ـ إمش انت وهو من هنا .. إمش ! ..

اخافنا البواب النوبى الضخم فمشينا ، ولكنا توقفنا عند عمارة قريبة من ذلك القصر ، وتقدمنا إلى بوابها نسأله بأدب جم واحتشام :

ـ ياعم .. من صاحب هذا القصر المجاور لعمارتكم ؟! ..

رد الرجل بسرعة وسماحة رد عليم ببواطن الأمور :

ـ هذا قصر حسنين باشا ..

ـ حسنين باشا من .. ياعم ؟!

ـ عجيب يا أخى انت وهو .. حسنين باشا رئيس الديوان ! ..

ـ الديوان الملكى .. يا عم ؟! ..

غضب بواب العمارة من جهلنا ، وتغير وجهه ، حتى ظننا أنه سيطردنا بغير اجابة عن سؤالنا كما فعل زميله بواب القصر ، ولكنه فاء إلى سماحته وقال بهدوء :

ـ نعم .. الديوان الملكى ! ..

انصرفنا يسأل بعضنا بعضا :

ـ إذا كانت تلك أسمهان ، فمتى جاءت الى

رئيس الديوان

بقلم : كمال النجمى

مصر ، ولماذا ؟ .. وما شانها بقصر حسنين باشا رئيس الديوان ؟! ..

ولبثنا مختلفين حول هذه الأمور ، حتى نشرت بعض المجلات حديثا لاسمهان ، وزفت الى القراء بشرى عودتها الى عالم الفن بعد ذلك الانقطاع الطويل ! ..

كان جيلنا كله معجبا بأسمهان منذ شاهدناها فى فيلم « انتصار الشباب » مع اخيها فريد الأطرش سنة ١٩٤٠ ولما تركت مصر الى فلسطين وسوريا ولبنان ، صرنا نتعجب من أمرها ونتساءل :

ـ كيف يكون لها هذا الصوت الرائع ثم تحتجب وتنقطع عن الغناء ؟! ..

وظللنا بين الاعجاب بصوتها والتعجب من أمرها ، حتى طلعت علينا الصحف بنبأ عودتها ، ثم فاجأتنا بقصتها "البوليسية" المثيرة مع "زوجها" احمد سالم الذى أطلق عليها الرصاص ، فلم يصبها وأصاب نفسه ! ..

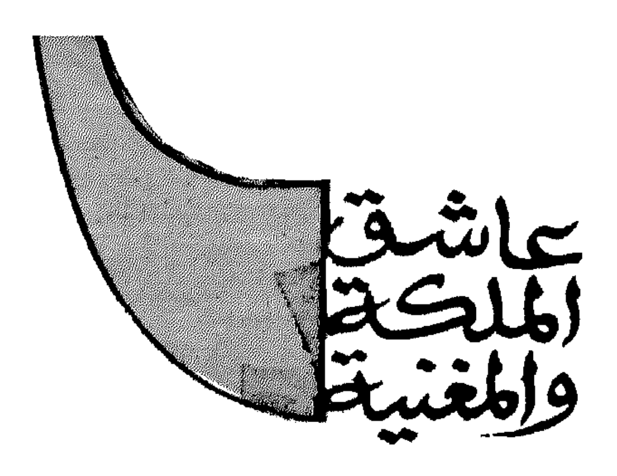
نشرت الصحف هذه القصة فى اوائل يوليو سنة ١٩٤٤ بتوسع لفت الانظار وأطلق علامات الاستفهام .. فالحرب العالمية الثانية محتدمة نارا ودما فى جبهتيها الغربية والشرقية ، لكن الرصاص الذى أطلقه أحمد سالم على اسمهان غطى على دوى القنابل التى تطلقها مدافع الجيوش فى ميادين الحرب ! .. و"المانشيت" الذى نشرت به "الأهرام" معركة اسمهان واحمد سالم ، اكبر من المانشيت الذى تنشر به معارك المارشال جوكوف لتحرير بيلوروسيا وبولندا ، معارك الجنرال أيزنهاور الزاحف الى باريس فى تلك الأيام التى كانت الأقدار ترسم فيها مصير الحرب كلها ! ..

كنا نجهل تماما ماوراء الستار فى حياة اسمهان المطربة ذات الصوت الملائكى ، ولانتصورها الا شعرا وخيالا وطيوفا ساحرة .. وحتى حادث اطلاق الرصاص عليها وما اثاره من غبار حولها لم يغير تصوراتنا الشعرية المحفوفة بالخيال ! ..

ولما غرقت فى "ترعة الساحل" بعد أيام قلائل من إطلاق الرصاص عليها بكاها عشرات الألوف من أبناء جيلنا ومن الأجيال الأكثر نضجا كذلك ، وبعضهم شرع فى الانتحار وتم انقاذهم ، وآخرون انتحروا ولم ينقذهم أحد ! ..

وفى تاريخ الغناء العربى كله ، لم يكتب الشعراء والادباء عن مطربة اكثر مما كتبوا عن اسمهان ، وشغلت مأساة حياتها وموتها كثيرين اخرين لم تكن لديهم موهبة التعبير عن احساسهم بشعر او نثر .

وقد عشنا زمنا بعد رحيلها نترنم بقصيدة



الشاعر اللبناني بشارة عبدالله الخورى التى منها هذا البيت :

اضاع جبريل من قيثاره وترا
في ليلة ضل فيها نجمه الهادى

كانت اسمهان فى رأى الشاعر بشارة الخورى ، وترا من قيثارة ملائكية ضاع فى ليلة حالكة السواد حجبت السحب الكثيفة فيها ضوء النجوم !

اما الشاعر على أحمد باكثير ، فخلع رداء التحفظ وبكى اسمهان بقصيدة من عيون شعره ، قال منها :

غرقت .. كيف يغرق النور والحسن « م »
وفن الخلود فى شبر ماء ؟!
ماتقولون ؟ .. هل تجدون او تلهون
ام هل يجد صرف القضاء ؟!
لو حواها البحر العريض لضاق ..
البحر ذرعا عن روحها الشماء
او حوتها الصحراء لانتفضت ظلا
وماء فى جنة خضراء

وقلنا نحن من قصيدة :

اسمهان .. اى طير تعس
غال اهاتك لما نعبا ؟!
طرق السمع فغشاه اسى
وأتى النفس فشبت لهبا
اين صوت كان ان غنى لنا
وثب القلب اليه وصبا
ذو انين وحنين ان سرى
مس دمعا جامدا فانسكبا

لقد لفت صوت اسمهان اسماع جيلنا والجيل الذى سبقنا ، واعجبتنا جميعا شخصيتها المشعة بالجاذبية الفائقة ، فلا عجب ان يتحزّن لها شعراء كبشارة الخورى وباكثير .

كانت اسمهان صوتا دقيق الملامح ، فريد النبرات ، مطربا اشد الاطراب ، من اعلى جوابه الى ادنى قراره ، وفى هذا الصوت البديع امتزج صوت المراة وصوت الكمان وصوت القانون وصوت الناى وصوت الحمامة المطوقة ، فى تركيب عجيب فاتن يكاد يجعل منه صوتا غير بشرى !

واكتملت له صفات القوة والوضوح وشدة الأسر ، فاذا استعرضنا الاصطلاح الاوربى ، فهو صوت من قسم « السوبرانو » فى الاصوات النسائية ، غنى بمقاماته ومساحته ، ولم يكن جميلا خافتا كبعض الأصوات الجميلة ، بل كان جميلا عاليا متوهجا كعين الشمس .

ولكن اسمهان ـ رحمها الله ـ لو عاشت لفقدت صوتها وعاشت على ذكراه تتحسر بعد فوات الأوان ، فقد كان مذهبها فى الحياة يؤدى الى هذه النتيجة الفاجعة !

لقد بدأت اسمهان تفقد صوتها فى السنوات الثلاث الاخيرة من حياتها ، وهى السنوات التى عرفت فيها محمد التابعى الصحفى الكبير ، وأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ، ومراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية ـ وعددا آخر من الوجهاء والأكابر .

● ولما دخلت اسمهان فى خدمة الاستخبارات البريطانية منذ سنة ١٩٤١ كان ذلك ايذانا بخروجها من عالم الغناء ولو بعد حين !

ولكن هذا اخر القصة الذى عليه يسدل الستار فلنعد الى بداية هذا الفصل الاخير كما رواه الصحفى الكبير محمد التابعى فى كتابه « اسمهان تروى قصتها » .. ثم فى كتابه : « أسرار الساسة والسياسة » .

كان التابعى استاذا من اساتيذ الصحافة المصرية ، اسلوبه فى الكتابة لايدانيه اسلوب صحفى اخر فى سلاسته ولباقته وطلاوته ، حتى عده بعض النقاد من الاساليب الادبية الجديدة التى ادخلتها الصحافة فى عالم الادب .

وفى كتابه الرائع عن « اسمهان » يروى قصتها معه ، وقصته معها ، بحذافيرها ، ويطلعك على خفاياها ، بألطف بيان ، واعف لفظ ، وابرع اشارة ، بلا كلمة مباشرة او تلميح جارح ، حتى تظن حين تفرغ من قراءة هذا الكتاب انك رايت كل شىء ، وانت لم تر شيئا ، او لم تر الا القليل ، ولكنك على اية حال استمتعت وامتلأت دهشة وسرورا .

وفى كتابه « اسرار الساسة والسياسة » يكمل التابعى فى سياق الاحداث قصته وقصة احمد حسنين باشا مع اسمهان .

● راى التابعى اسمهان لأول مرة فى بداية الثلاثينيات وهى تغنى فى كاباريه او صالة الراقصة مارى منصور ، وكان الأثر الذى تركته فى نفسه هو انها – على حد تعبيره – « شىء صغير نحيل مسكين يبعث الرحمة فى الصدور » !

وفى سنة ١٩٣٣ جاء من سوريا احد اقربائها وتزوجها ونقلها الى السويداء او الى دمشق او بيروت .

وبعد ست سنوات انفصلت اسمهان عن زوجها وعادت الى القاهرة تجرب حظها من جديد ، **ولم تطرق باب كاباريه مارى منصور ، بل تلقفها الموسيقار عبد الوهاب ولحن لها ماغنته معه فى قطعة من مسرحية « مجنون ليلى » ظهرت فى احد الافلامه ومازالت هذه القطعة الرائعة متداولة فى الاذاعات مسموعة من الجماهير ، كانها خرجت امس من حنجرة اسمهان ، وكان اسمهان مازالت فى ربيع الحياة .**

وعن طريق عبد الوهاب عرف التابعى اسمهان ، وعقد عبد الوهاب بينهما التعارف ثم



اسمهان وزوجها الاول حسن الاطرش فى القناطر الخيرية ، ويقف فريد وفؤاد الاطرش

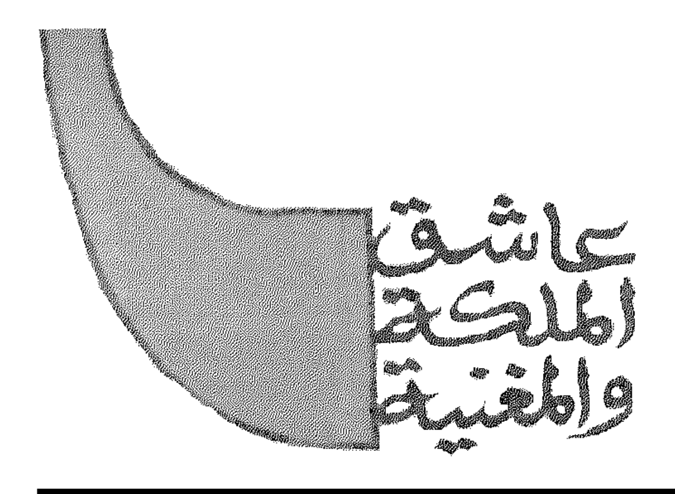
تركهما وشأنهما ومضى يتفرج ويتسلى بما يقع بينهما من شئون وشجون !

والتابعى هو الوحيد الذى كتب قصته مع أسمهان بين جميع من عرفوها ، من نجوم المجتمع المصرى ، فى الثلاثينات والاربعينات ، وليس فيما كتب مغالاة ولاخيال ولااعجاب بالنفس ، فقد كانت تجاربه كثيرة ، اكسبته كثرتها تواضعا ، وكياسة فى النظر الى اشد الأمور اثارة ، فقد عرف الخبىء وراء كل بريق فى عينى امرأة جميلة .

ولو ذهبنا معه الى كل مكان شهد فصلا من قصته مع اسمهان لمشينا حتى اعيينا ، فقصته طويلة ذات فصول وهى فى الحقيقة اكبر القصص فى حياة اسمهان ، واظن ظنا – غير مستيقن – انها من اكبر القصص فى حياة التابعى على ضخامة ما اضطلع به من بطولات قصص الحب فى عصر الرومانسية الباهر .

وانما نريد هنا ان نلم بقصتين متداخلتين فى حياة اسمهان .. قصتها مع حسنين باشا رئيس الديوان وقصتها مع وكلاء الجاسوسية البريطانية والفرنسية والألمانية خلال الحرب العالمية الثانية .

● يحدد التابعى بدقة يوم عرف حسنين باشا



اسمهان .. ففى ٨ فبراير ١٩٤٠ التقيا فى حفلة اقامها التابعى بمنزله فى الزمالك ، وكان كثير الحفلات ، ولم يذكر مناسبة الحفلة . الا انها ـ على اية حال ـ كانت مفتاح التعارف بين المطربة الجميلة ورئيس الديوان .

ولم تمض على الحفلة ايام قلائل حتى دعا حسنين باشا صديقه التابعى مع اسمهان الى الغداء ، ثم الى حفلة ساهرة فى داره ، ثم توالت الحفلات والسهرات عند التابعى او عند اصدقائه او عند حسنين باشا ، فتعددت فرص اللقاء بينه وبين اسمهان .

ولم يكن لاسمهان فى تلك الايام عمل يدر دخلا كبيرا ولكنها ـ مع ذلك ـ كانت تقيم فى فندق ميناهاوس وهو اغلى الفنادق ايامئذ .

يقول التابعى : « دعتنى مرة لتناول الشاى معها بفندق ميناهاوس ، وبينما نحن جالسون نتحدث دخل علينا حسنين باشا وقالت هى بعد انصرافه انها لم تدعه لتناول الشاى وأنه جاء على غير موعد ، وقد تكون صادقة فى قولها هذا يومئذ » .

يتساءل التابعى : هل احبت اسمهان أحمد حسنين وهل احبها حسنين ؟

اما اسمهان فكانت لاتحب احدا ، هكذا يؤكد التابعى فى مواضع كثيرة من كتابه ، ولكنها تأنس الى هذا اوذلك ، من الرجال انسا مؤقتا ، ومع ذلك لم تستطع الا ان تتريث قليلا عند احمد حسنين ، لماذا ؟ يقول التابعى : لان أحمد حسنين «كان رجلا ولا كل الرجال .. كان يفتن ويسحر ويبهر ويسترقف النظر فى اية حفلة مهما اشتد فيها الزحام ! شكله .. مظهره .. اناقته .. رجولته .. اسمه المدوى .. تاريخه الملىء .. منصبه الخطير .. مغامراته المشهورة .. حديثه الساحر ، خبرته العميقة بالنساء فلا عجب ان بهرت به اسمهان ، ولأول مرة احست بما يشبه الحب » .

ولكن هل احبها حسنين باشا ؟

يجيب التابعى : « نعم .. احبها وفى غير تحفظ الا ما كان يفرضه عليه منصبه الكبير الخطير .. وكان حبه لاسمهان امرا معروفا فى المحيط الرفيع الذى يتحرك فيه » .

وكان حسنين باشا متزوجا من السيدة لطيفة بنت الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد ، فكان بهذا الصهر يعد من أقرباء الأسرة المالكة ، وكان صديقا خاصا للملكة نازلى والدة الملك فاروق منذ عام ١٩٣٧ ، ثم طلق زوجته بناء على طلبها بعد ان ذاع وشاع مابينه وبين الملكة نازلى ، ولم يطب له ان يكون مجرد صديق للملكة ، وعزم ان يتزوجها ، فبدأ يبتعد عنها لتزداد ولعا به ، وطال ابتعاده عنها فذهبت اليه ، ودار بينهما الحوار التالى كما يرويه التابعى :

قالت نازلى لحسنين :

ـ انا اعطيك انذارا نهائيا ، اما ان تعاملنى كامرأة او سأقطع كل علاقة بيننا واصبح حرة افعل ما اشاء .

واجاب حسنين وهو يتظاهر بالبكاء انه لايستطيع ان يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ثم اسرع يقول :

ـ وغير معقول ان اتزوج الملكة .

وهنا صاحت الملكة نازلى :

طظ فى لقب الملكة !

واشتد الجدال بينهما حتى قالت له نازلى ساخطة ثائرة :

ـ يعنى عايزنى اعمل ايه ؟ .. زوجة .. لا ! رفيقة لا .. عاوزنى ابقى ايه ؟!

ثم قالت :

ـ سأذهب الى فاروق واقول له انى سأتزوجك !

قال حسنين ::

ـ اذهبى .. ولكنه سيرفض !

وذهبت الملكة نازلى الى ابنها الملك فاروق وعرضت عليه الأمر ، فتفكر مليا ، ثم قال لأمه ، بهدوء وسكينة :

ـ رافقيه احسن !

قالت لابنها :

ـ انه يرفض ان يكون عشيق الملكة !

قال الملك :

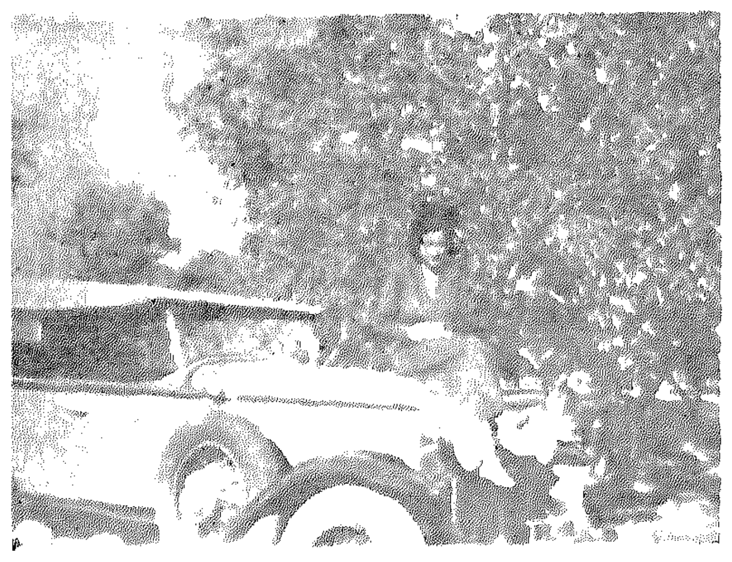
ـ سأصدر اليه امرا ملكيا بذلك !

ولعل فاروقا ـ كما يقول التابعى ـ كان يسخر من امه ! ولعله ـ كما يبدو الان ـ كان جادا كل الجد !

وهربت نازلى سنة ١٩٤٢ الى فلسطين واقامت بفندق الملك داود فى القدس ، تراقص الضباط البريطانيين ، فاضطر فاروق الى مصالحتها والموافقة على زواجها من حسنين ، ولكنه اشترط ان يكون عقد الزواج عرفيا ، يقول التابعى : « وهكذا كان .. تزوج احمد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الأزهرى بالملكة نازلى ارملة الملك احمد فؤاد ، ووالدة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر ، وكان احد شهود العقد المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا . وكان حسنين يثق كل الثقة بحذره وكتمانه ، ومثله الملك فاروق ، اما الشاهد الاخر فلعله كان مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية اولعله كان احد خدم فاروق المقربين » !.

● ماذا كانت اسمهان تصنع عندما تم زفاف حسنين ونازلى زوجين سعيدين فى « سراى الدقى » التى ورثتها نازلى عن والدها المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا .

ان حسنين باشا لم يتخل عن اسمهان ولكنها هى تخلت عنه وسافرت الى فلسطين فى مهمة كلفتها بها الاستخبارات البريطانية يقول التابعى : « ان بريطانيا لجأت الى المطربة اسمهان لتستعين بها على دخول سوريا ولبنان وطرد قوات حكومة فيشى الفرنسية التى كانت

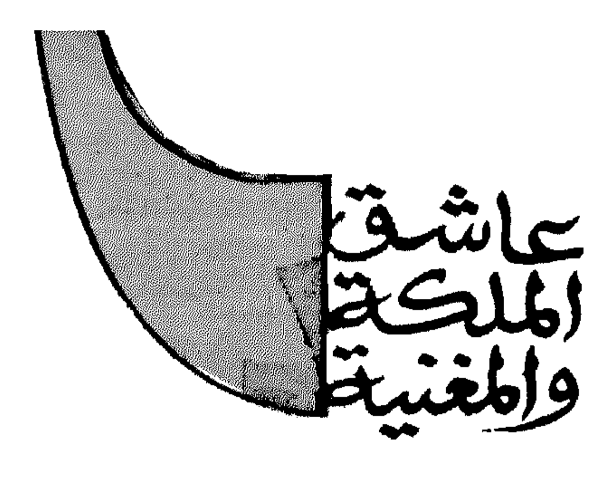


اسمهان فوق سيارتها الخاصة بدمشــق (منتهى المصرية فى اختيار الزى والسيارة)

قد اسلمت زمامها للالمان ، وكانت بريطانيا قد نجحت قبل ذلك بشهر واحد فى القضاء على ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ونشطت الى تثبيت اقدامها فى الشرق الأوسط والقضاء على كل نفوذ لالمانيا فيه » .

وكان الاتفاق بين بريطانيا واسمهان سهلا سريعا .. التقى المستر نابيير نائب مدير الدعاية فى السفارة البريطانية . بالمطربة اسمهان فى حديقة سطح فندق الكونتيننتال وقال لها انه يريد ان يحدثها فى امر فيه نفع لها ولبريطانيا ، فاذا وافقت فما عليها ان تسافر الى القدس وتنتظر قليلا بفندق الملك دواد ، وبعد ذلك تسافر الى عمان ثم الى سوريا ومعها اربعون الف جنيه ، تساوى اربعة ملايين الان ، لتوزعها على رؤساء قبائل البادية وشيوخ الدروز فى السويداء .

وادت اسمهان مهمتها على خير وجه ، ودخلت القوات البريطانية سوريا ولبنان وطردت ممثلى حكومة فيشى من هناك ، وعادت اسمهان من جديد زوجه لابن عمها حسن الاطرش ، ولكنها اقامت بمفردها فى القدس لاتبرحها الا الى تل ابيب او حيفا او يافا ،



واصبح بذخها واسرافها مثار الاحاديث .

ثم بدأ الانجليز يقبضون عنها ايديهم بعد انتهاء مهمتها ، وهنا هبط عليها احد وكلاء المخابرات الالمانية يعرض عليها ان تعمل لحساب الألمان ، واعدت كل شيء للسفر وركبت القطار من حلب قاصدة الحدود التركية ، ولكنه لم يكد يقترب من الحدود التركية حتى توقف ودخل ضابط بريطانى وطلب اليها ان تغادر القطار ، وكانت احدى السيارات الحربية فى انتظارها . وعادت بها الى حلب .

وهكذا عرف الانجليز ان جاسوستهم الحسناء قد ادارت ظهرها اليهم وتوجهت للألمان !

يقول التابعى : « ولكن السلطات الفرنسية فى سوريا لم تلبث ان مدت يدها الى اسمهان الا ان فرنسا « الحرة » كانت فقيرة ولم يكن بوسعها ان تمنح عميلتها اكثر من ثلاثمائة جنيه فى الشهر ، فضاقت الدنيا باسمهان ولم تعرف كيف تعيش بهذه الثلاثمائة بعد ان كانت تعيش بثلاثة الاف .

وكان ينزل بفندق الملك داود بالقدس احد كبار موظفى وزارة الخارجية المصرية فى تلك الايام . فاعجبته اسمهان كل الاعجاب ، واقسم لها لئن عاد الى مصر ليسعين فى عودتها بكل الوسائل !

وعاد الموظف الكبير وتحدث الى صديقه حسين سعيد خال الملكة فريدة ـ واطنب له فى وصف اسمهان وصوتها وسحرها وفتنتها ، حتى شغل صديقه بها ، وحرضه على السفر اليها واستقدامها .

كان حسين سعيد يومئذ مديرا لستوديو مصر وشركة مصر للتمثيل والسينما التى انشأها طلعت حرب ، فسافر الى القدس وجاء باسمهان ، بعد ان وقع بدوره اسير فتنتها وسحرها » على حد تعبير التابعى .

وهكذا عادت اسمهان الى القاهرة فى اواخر سنة ١٩٤٣ .. عادت الى احمد حسنين باشا رئيس الديوان .

وكانت حين رأيناها تخرج من قصره ـ كما تقدم فى اول الكلام ـ لم تزل فى بداية عهدها الجديد بالقاهرة ، وفى بداية عهدها الجديد كذلك مع احمد حسنين باشا الذى كان قد اصبح زوجا للملكة نازلى منذ سنتين وكانت نازلى يومئذ فى الثانية والخمسين من عمرها ، وكانت اسمهان فى الحادية والثلاثين .

● ارتفع الستار عن الفصل الأخير ، واسمهان على خشبة المسرح ، جاسوسة سابقة لثلاث دول . زوجة سابقة مطلقة اربع مرات . مرة من زوجها الأول المطرب فايد محمد فايد .. ومرتين من زوجها الثانى حسن الاطرش ، ومرة من زوجها الثالث احمد بدرخان .. ثم هى الان زوجة شرعية لزوج رابع هو الوجيه احمد سالم الذى كان صديقا لعدد كبير من الممثلات والراقصات .. وكان حين تزوج اسمهان فى القدس يصحب الراقصة تحية كاريوكا وهى فى جولة فنية هناك .

ومع كثرة صديقات احمد سالم كان غيورا على اية امرأة تنتسب الى اسمه ، بالزواج او بالصداقة .

فلما علم ان اسمهان قد عادت الى حسنين باشا كأنها لم تكن فارقته بضعة عشر شهرا ، ثار الدم فى عروقه ، واندفع يراقبها ، فرآها تدخل قصر الباشا وتخرج منه ، ورفع سماعة التيلفون وطلب حسنين باشا .

ـ من حقى ان اسألك يارفعة الباشا ماذا كانت زوجتى تفعل عندك ؟!

ورد حسنين باشا :

ـ عيب ياأحمد دا انت زى ابنى ، ومراتك



اسمهان وحسن الأطرش ، حب من طرف واحد

زى بنتى ، وانا كنت فاكر انها قالت لك ، وانك عارف بزيارتها لى !

واستمر احمد سالم يراقب اسمهان ويقف لها متخفيا على مقربة من قصر الباشا حتى ايقن انهما على رباط وثيق ، فانتظرها فى بيتهما وعاتبها واشتد بينهما العتاب فاطلق عليها رصاصة هربت منها الى بيت الجيران .

ولما جاء اليه رجل البوليس السياسى المشهور حينذاك الاميرالاى امام ابراهيم ليقبض عليه تلقاه احمد سالم برصاصة اعقبها برصاصة اخرى استقرت فى صدر احمد سالم نفسه !

كانت حادثة سياسية مائة فى المائة ، لامجرد مشاجرة زوجية ولهذا انتدبت الحكومة لها اشهر ضباط القسم السياسى فى وزارة الداخلية .

وخرجت الصحف بالمانشتات العريضة تروى قصة المعركة ، كأنها من معارك الحرب العالمية الدائرة فى تلك الايام .

وكانت اسمهان تعمل فى فيلمها « غرام انتقام » فاستأذنت من مخرجه يوسف وهبى فى اجازة قصيرة تقضيها فى رأس البر للاستجمام .

وكان اسم الفيلم يلخص فى سخرية عجيبة قصص « امال او اميلى الاطرش » ، الشهيرة باسمهان مع ازواجها الاربعة ، بل كان يلخص حياتها كلها مع جميع الرجال ، من زبائن صالة مارى منصور فى بداية الطريق ، الى العلية والكبراء ورجال الدولة المصرية والبريطانية والفرنسية وكل من عرفوها وهى نجمة ساطعة !

وابتلعتها مياه الترعة الصغيرة فى طريق رأس البر ! غرقت فيها السيارة التى تقلها ونجا سائقها من الغرق .

وثارت التساؤلات والأقوال من جديد .. كيف غرقت هى وحدها وكيف نجا السائق وحده ؟!

انتهت قصة اسمهان فى مياه ترعة الساحل ، ولكن اسمهان كانت قد انتهت قبل ان تفتح لها ترعة الساحل ذراعيها وتأخذها الى اعماقها القاتلة !

ولو عاشت اسمهان ـ رحمها الله ـ سنوات قلائل اخرى فى هذا الصخب الماحق ، لقتلت صوتها بالشراب والدخان وسهر الليالى .

وما كان شىء ليبقى من اسمهان بعد ذهاب صوتها !



• أحمد حسنين : ابن الشيخ ودوره في مؤامرات القصور ! !

نحن هنا أمام شخصية لعبت دورا هاما فى السياسة المصرية فى الفترة الممتدة مابين عامى ١٩٤٠ و١٩٤٦ حين كان رئيسا للديوان الملكى ، فلقد كان احمد حسنين خلال هذه الفترة يقيم الوزارات ، ويسقطها ويتبوأ مركزا قويا فى القصر الملكى جعله يحرك الأحداث من وراء ستار دون أن يبدو عليه انه يعرف الكثير مما كان يجرى على الساحة ، بل انه كان يؤكد لمعارفه أنه لا يفهم شيئا فى السياسة ! ورغم ذلك فانه كان يضع خططه بدقة واحكام وينفذها بمهارة وحذر وصبر ومما ساعده على ذلك أنه كان دارسا فاهما ولبقا ومهذبا ، فإلى جانب المامه العملى بشتى التيارات والاتجاهات فانه جمع بين الثقافة الغربية وبين الاحتكاك الكافى بالحياة المصرية .

وهو ابن شيخ أزهرى درس بجامعة أكسفورد العريقة بانجلترا ثم تولى منصب مفتش بوزارة الداخلية خلال الحرب العالمية الأولى ثم شغل منصب سكرتير بسفارة مصر فى واشنطن ثم أصبح أمينا ثانيا للملك فؤاد ثم رائدا (للأمير) فاروق ، خلال اقامته فى انجلترا قبل أن يتولى الحكم ، ثم أمينا أولا للملك ثم رئيسا للديوان الملكى ، وكان قد درس بتمعن كتاب « الأمير » لنكولو مكيافيللى وهو

الكتاب الذى يوضح كيفية تدبير المؤامرات للوصول الى الهدف على أساس أن « الغاية تبرر الوسيلة » ، كما انه كان مغامرا ، ففى وقت ما كان بطل مصر فى لعبة الشيش وحاول أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة بمفرده من أوربا الى مصر ، وقد سقطت به الطائرة مرتين ونجا من موت محقق قبل أن يعود الى البلاد ، ثم قام برحلة استكشافية ، فى الصحراء الغربية وفى رحلة أخرى اكتشف واحة الكفرة مما أضفى عليه شهرة كبيرة قبل أن ينتقل للعمل بسفارة مصر فى واشنطن .

وفى لندن واتته فرصة العمر حين

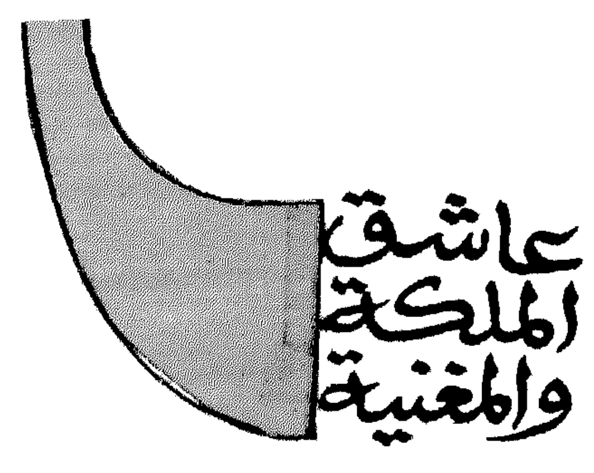


أصبح رائدا للأمير فاروق ، فلما كان الملك فؤاد يعانى من مرضه الأخير الذى أدى الى وفاته بعد وقت قصير ، كان من المتوقع أن يتولى ابنه العرش فى أى لحظة ، فقد قرر حسنين أن يحرز ثقة الملك الشاب بمجاراة نزواته ومغامراته ، فى الوقت الذى كان فيه عزيز على المصرى يسعى فى لندن الى اعداد ولى العهد للاضطلاع بمسئولياته المستقبلية عن طريق الزامه بالانضباط والدراسة ، لهذا اصطدم الرجلان وعاد عزيز الى مصر تاركا حسنين ينفرد بالأمير الشاب ويسيطر عليه بارضاء نزواته ، ومن ثم تحميل حسنين مسئولية فساد فاروق بالصورة التى أدت فيما بعد الى سوء سمعته وإفساده الحياة السياسية فى مصر . فلقد سيطر على الأمير الشاب سيطرة قوية أضاف اليها فى المستقبل القريب سيطرة أخرى على الملكة الأم (نازلى) ، وبالتالى فإنه مالبث أن أصبح أقوى شخصية فى القصر الملكى صانع الأحداث فى ذلك الوقت .

فلقد انتهزت الملكة نازلى فرصة وفاة زوجها الذى لم تحبه قط وتولى ابنها



نازلى ، امرأة اطلقت لشهواتها العنان



القاصر العرش لتطلق لشهواتها العنان ، وكان الملك فؤاد يفرض عليها رقابة صارمة ، ويحيطها بالجواسيس ، ولم يكن يتورع فى بعض المناسبات عن الاسراف فى ضربها ، ولما كانت قد تقدم بها العمر فانها سعت الى تعويض ما فاتها ، وانتهز حسنين تقربها منه ، وبخاصة خلال رحلة ابنها إلى اوربا بعد توليه العرش ، لكى يستحوذ على لبها بلباقته وعزوفه عن تلبية رغباتها مما جعلها تتعلق به ـ ومن ثم سيطرته عليها وعلى ابنها معا .

● نازلى والمثل العليا !

وفى بداية حكم فاروق سعى حسنين وعلى ماهر إلى أن يحرزا للملك الشاب قدرا كبيرا من الشعبية ومن ثم الدعايات المكثفة التى أحاطت بشخصه من حيث ورعــه وتقــواه وبطــولتــه ووطنيتــه وديمقراطيته . ولو أن تهتك نازلى وهوان كبار الساسة وتذللهم قد جعل المثل العليا تتهاوى لدى فاروق منذ بداية حكمه وان كانت سيطرة حسنين عليه جعلته حريصا على الاحتفاظ بالشعبية القوية ، التى أحاطت به فى بداية حكمه ، وبينما فاروق يبدأ تجاربه فى الحكم وفى السياسة كان حسنين يسعى بدهاء الى أن يكون الرجل الأول فى الدولة بعد الملك ، فما أن تولى رئاسة الديوان الملكى فى اغسطس ١٩٤٠ حتى أدرك انه أصبح أقوى رجل فى القصر وربما فى مصر وأنه يلعب دورا خطيرا فى السياسة المصرية خاصة وأنه خبر حياة القصور ودسائسها واستولى على لعب أهم شخصيتين فى هذه القصور ، وهو فى هذا يشبه كثيرا من شخصيات القصور القريبة من السلطان منذ قديم الزمن ، ومنهم ريشيليو فى فرنسا وجعفر البرمكى فى بغداد وتوماس مور وولزى فى لندن فى الوقت الذى كانت فيه نازلى تلعب الدور الذى سبق أن لعبته كاترين دى مدسيس فى فرنسا وغيرها من أمهــات الملوك الشبــان فى مختلف العصور .

وقد تولى حسنين رئاسة الديوان الملكى فى فترة هامة من تاريخ مصر والعالم ، فقد اشتد حينئذ الصراع العسكرى بين ألمانيا وحلفائها وبين انجلترا التى وقفت وحدها تواجه خطر النازية والفاشية بعد سقوط فـرنسا واحتلال هتلر لأوربا الغربية ودخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا ، وقد تعرضت مصر لهجمات الايطاليين الذين عزز هتلر قواتهم فى الصحراء الغربية بفيلق افريقيا الذى كان يقوده ارفين روميل .. وكان الانجليز منذ عام ١٩٤٠ يودون أن يتولى النحاس باشـا ـ زعيم الوفـد حزب الأغلبية ـ الحكم أو تتولاه وزارة يرضى عنها ، وتباطأ حسنين فى تنفيذ رغبة الانجليز معللا تباطأه فيما بعد بأنه كان يود أن يقوى الوفد ليجعله قادرا ، على استخلاص حقوق البلاد من الانجليز ، وأيا ما كان الأمير فانه عمل على تعيين وزارات بها أعضاء يرضى عنهم الانجليز ، وازاء اصرار الانجليز على أن يتولى النحاس الحكم لكى يعمل على تطبيق نصوص معاهدة ١٩٣٦ التى تخدم

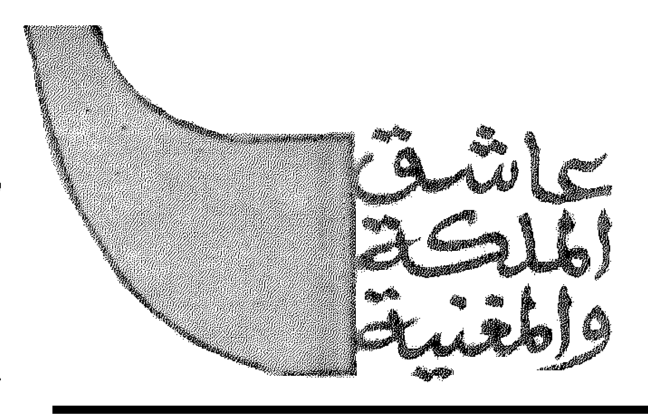


الفتى فاروق يصل الى لندن ليتلقى العلم وفى استقباله احمد حسنين ، معلمه وعشيق امه ..

● من هو المسئول عن إفساد الملك فــاروق ، نــازلــى أم أحــمــد حسنين ؟ ! .

جهودهم الحربية (١) .

حاولت السراى اقناعه بقبول تأليف وزارة ائتلافية ، بل لقد رضى فاروق قبل حادثة فبراير ١٩٤٢ بوزارة وفدية خالصة ، الا أن حسنين كان يرفض ذلك ويواصل مماطلاته ، لهذا يحمله الصحفى محمد التابعى الذى كان وثيق الصلة به وسجل ذكرياته فى كتابه « من اسرار السياسة والساسة » مسئولية حادثة ٤ فبراير خاصة وأن حسنين رفض أن يسلم بالهزيمة أمام النحاس أو أمام السفير البريطانى سير مايلز لامبسون لورد كليرن فيما بعد ، « فقد كان من خلقه عدم اليأس ، وعدم التسليم بالهزيمة » ، وبينما حسنين يسوف ويماطل لم تكن الدوائر الانجليزية تستطيع الانتظار الى مالا نهاية خاصة أن الألمان وصلوا الى مشارف الاسكندرية لهذا تقدموا بانذار الى الملك فاروق الذى خير بين تكليف النحاس بتشكيل الوزارة أو التنازل عن العرش ، وكان لهم ما أرادوا بعد أن حاصروا القصر الملكى بالدبابات ، فجاء النحاس الى الحكم على أسنة الرماح واعتبر حسنين ماجرى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ هزيمة شخصية له فقرر الانتقام من النحاس ومن السفير البريطانى ، وكانت الخطوة الأولى فى تنفيذ خطته هى الايقاع بين النحاس وبين كل من ساعده الأيمن مكرم عبيد : الشخصية الثانية فى حزب الوفد وأمين عثمان واسطة الاتصال بين



الوفد والانجليز ، ونجح حسنين فى تحقيق الشق الأول من هدفه مما أدى الى طرد مكرم عبيد من الوفد ولم يكتف حسنين بذلك بل شجع مكرم على اصدار « الكتاب الأسود » الذى هاجم النحاس وزوجته التى انتهزت ظروف الحرب فى اثراء نفسها وأقاربها بوسائل غير مشروعة ، وندد بالفساد الذى أخذ ينخر فى حزب الأغلبية بل لقد ساعد حسنين على توزيع « الكتاب الأسود » رغم الرقابة والأحكام العرفية ، فقد وزعته سيارات الجيش بعد أن وفرت السراى الورق اللازم لطبعه فى وقت كان فيه التموين يخضع للقيود التى فرضتها الحرب .

● مصرع أحمد حسنين

واستغل فاروق فرصة التنديد بالنحاس وبالوفد لاقالة الوزارة ، ولكن السفير البريطانى حال دون ذلك لكى لا يؤدى مثل هذا الاجراء الى التأثير فى المجهود الحربى البريطانى ، وبعد تحول مجرى الحرب لصالح الحلفاء استغل فاروق الفرصة لاقالة النحاس فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، وثنى على هذا فيما بعد بالعمل على مقتل أمين عثمان صديق الانجليز ، ورغم أن حسنين كان يتوق الى تولى رئاسة الوزارة بعد إقالة النحاس فقد آثر الا يواجه مثل هذا الموقف غير الدستورى ، ويتلقى الصدمة الأولى مؤجلا تحقيق هدفه الى وقت لاحق ، وعقدت نازلى الأمور حين طلبت من ابنها أن يأمر رئيس ديوانه بأن يتزوجها ، وقيل أن فاروق وافق بشرط أن يكون الزواج عرفيا ، كما قيل أن فكرة قتل أحدهما جالت بخاطره فى ذلك الوقت ، وفى ٩ فبراير ١٩٤٦ لقى أحمد حسنين مصرعه فوق كوبرى قصرالنيل بعد اصطدام سيارته بسيارة عسكرية بريطانية ، وأنقذ مقتل حسنين فاروق من اغتياله أو اغتيال أمه ، وان تكن وفاة حسنين فى هذا الظرف مثارا للتساؤل ، وكان فاروق فى أواخر حياة أحمد حسنين يتعمد اهماله ، وعدم استشارته ، بل كان يتعمد الاستهزاء به أمام خدمه ، ويقال انه ذهب الى مسكن حسنين بحجة العزاء وأخذ ينبش فى أوراقه الخاصة وانتزع ورقة تدل الملابسات على أنها وثيقة زواج نازلى التى مالبثت أن بارحت مصر الى اوربا بعد أن فقدت عشيقها (أو زوجها) وتولاها الغضب على ابنها .

وبعد اختفاء حسنين عن المسرح انطلق كل من فاروق ووالدته لارضاء نزواته ـ فأخذ الملك يغشى اندية القمار حيث كان يمضى سهراته حتى مطلع الفجر ، كما أصبح يزور الراقصات فى دورهن وتمادى فى السرقة واختلاس أموال الدولة وأخذ يهرب أمواله الى الخارج ويعتدى على الأعراض وينتهك الحرمات مما أساء الى سمعته وعجل بسقوطه ، أما والدته فانها انتقلت من عشيق الى عشيق ، بل وزوجت احدى بناتها من أحد عشاقها رغم اختلافه فى الدين عن زوجته أخت الملك وكانت فضيحة هزت دعائم العرش ومرغت سمعة البيت المالك فى الرغام ، وآخر لوثة من لوثات نازلى انها اعتنقت الديانة

الكاثوليكية وتزوجت فى خريف العمر أحد الأمريكان ! .

ولقد جرى التساؤل أخيرا من المسئول عن انحراف فاروق : احمد حسنين أم نازلى ؟ ورغم ان هذين الشخصين ، لعبا دورا هاما فى هذا الافساد فان ظروف تنشئة فاروق هى الاخرى مسئولة عن فساده ، فقد كان الملك فؤاد صارما مع ابنه ووكل امر الاشراف عليه فى طفولته الى مربية انجليزية قاسية عزلته عن اقرانه بحيث لم يجد أمامه صحبة سوى الخدم ، كما أن كونه الأبن الوحيد لوالده والوريث الوحيد للعرش قد جعله موضعا للاهتمام من جانب رجال القصر الذين درجوا على أن يقدموا له وهو طفل وهو شاب امارات الخنوع والتذلل مما جعله يكفر بالناس ويتعمد اذلالهم ، يضاف الى هذا أنه أحيط فى بداية حكمه بنصحاء دربوه على أن يحكم وأن يملك ملفتين نظره الى الثغرات الموجودة فى دستور ١٩٢٣ وهى الثغرات التى أغرته بالحكم المطلق .. ومن المعروف ـ كما قيل ـ أن السلطة مفسدة وأن السلطة المطلقة لا حد لافسادها ، ومصداقا لما نقول نلفت النظر الى اسلوب تربية الأمراء وأولياء العهد فى بريطانيا منذ نعومة أظفارهم ، فهم يتلقنون مزايا الديمقراطية ويتسلحون بكل أنواع المعارف والمهارات التى تؤهلهم للنجاح بعد أن يضطلعوا بمسئولياتهم ، ويتدربون على طاعة القوانين ومجاراة التقاليد



احمد حسنين : رجل البلاط الغامض

والصحافة والبرلمان لهم بالمرصاد اذا ما خرجوا عن الجادة .

وأخيرا يمكننا أن نوزع مسئولية انحراف فاروق على كل من تملقوه وأرضوا نزواته ولم يحسنوا له النصح حرصا منهم على قضاء مصالحهم بعدم اغضابه يستوى فى هذا أحمد حسنين ونازلى وكبار ساسة البلاد الذين خلعوا عليه من الصفات ما يضعه فى مصاف الأنبياء والمرسلين ! .

---

(١) درجت الوزارات المصرية التى تولت الحكم بعد نشوب الحرب العالمية الثانية على اتباع سياسة عرفت باسم «تجنيب مصر ويلات الحرب» وهى سياسة اقرب ما تكون الى الحياد .، وذلك رغم ان معاهدة ١٩٣٦ نصت على ان تبادر مصر الى مساعدة انجلترا اذا ما دخلت حربا . وقد اتهم على ماهر صاحب هذه السياسة بان له ميولا محورية هو والملك فاروق .

الفقيه المجدّد

الشيخ محمد الغزالى

بقلم : د. محمد عمارة

تهيبت ـ وأنا الذى كتبت العديد من الكتب والدراسات عن العديد من أعلام الاسلام ـ أن أكتب هذه الدراسة الموجزة عن داعية الاسلام وعالمه وخادمه الشيخ محمد الغزالى ! ..

وسر هذا التهيب ، هو نفورى من الكتابة عن الأحياء ، فى زمن عزت فيه الموضوعية فى الكتابة عن الأحياء ؟ ! .. وأيضا محبتى للرجل ، ومن خشيتى أن أكتب من موقع « المحب » ، فأنظر « بعين الرضا » إلى القضايا التى أقدمها إلى القراء ! ..

لكننى غالبت هذا التهيب ، بعد أن اطمأنت نفسى إلى انتفاء المحذورات التى خشيتها وأخشاها على « الموضوعية » فيما أنا بسبيلى إليه .

● فالرجل ليس من أهل السلطان ، الذين يتقرب إليهم بالمجاملات .. وإذا كنت لم أجامل أهل السلطان ، المالكين لسيف المعز وذهبه ، فكيف أتهيب المجاملة لمن لايملك شيئا من هذه المغريات والمرهبات ؟ ! ..

● ثم .. ما الذى يمنع أن أكتب عن الرجل من موقع « المودة ـ الصادقة » و « المحبة ـ البصيرة » .. وهو الموقع الوحيد الطبيعى واللائق بعلاقة مثلى بمثله ؟ ! ..

● وأخيرا .. فلو تحرجت وتحرج أمثالى من الكتابة عن مثل الشيخ الغزالى ، لانفرد بهذه الساحة منافقون كثيرون يسودون الصفحات الكثيرة التى تشد العقل المسلم إلى القاع بما تزيفه عن أعلامنا الأحياء ! .. وأهل السعى والسطحية الذين لايعرفون « مغزى حياة » الأعلام ؟ ! ..

إذن .. فلأتوكل على الله ، لأكتب هذه الصفحات ! ..

لقد تخرج الشيخ محمد الغزالى ـ الذى ولد سنة ١٩١٧ م ـ تخرج فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى سنة ١٩٤١ م . فهو منى بمنزلة الاستاذ من التلميذ ، فلقد دخلت الأزهر ، ملتحقا

بالسنة الأولى بمعهد دسوق الابتدائى فى سنة ١٩٤٥م .. وكان الشيخ الغزالى يومئذ شيخا وأستاذا وداعية وكاتبا فى صحافة جماعة الأخوان المسلمين .

ومنذ سنة ١٩٤٧ بدأ الشيخ الغزالى إصدار سلسلة الكتب ، التى بلغت الآن خمسين كتابا ، والتى كونت معالم « المشروع الفكرى » الذى تقدم به إلى الناس .. وكان كتابه (الاسلام والأوضاع الاقتصادية) هو الأول فى هذا المشروع الفكرى ، الذى أتخذ فيه كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) رقم : الخمسين ! ..

ومع ذلك كله ، فأنا لم أبدأ التعرف المنظم على فكر الشيخ الغزالى ، والمتابعة المنهجية لمشروعه الفكرى إلا منذ سنوات قريبة جدا !! .. أما عهدى بلقائه ، وتعرفى على مجلسه وحضوره فإنه لم يبلغ بعد السنوات الثلاث ؟ ! ..

١ ـ المشروع الفكرى :

ولقد أدركت ـ وأنا الذى سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الاسلامى ـ وكتبت عنهم الكتب والدراسات أدركت أننى حيال الشيخ الغزالى ، لست بإزاء مجرد داعية متميز ، أو عالم من جيل الاساتذة العظام ، أو مؤلف غزير الانتاج ، أو مفكر متعدد الاهتمامات ، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الاسلام لتتجدد به حياة المسلمين . أدركت أننى بازاء جميع ذلك ، وأكثر منه .. وأهم .. فالرجل صاحب رسالة ، جعل من حياته ـ ومن ثمراتها : فكره وقلمه ـ مشروعا فكريا متكاملا هو عطاء مواهبه الفذة ، الذى قدمه فى ميدان تجديد الاسلام وإنهاض المسلمين .



الفقيه الشيخ محمد الغزالى

● فهو ، فى مواجهة الاستبداد المالى والمظالم الاجتماعية ، التى شلت قدرات الأمة وعطلت ملكاتها المادية والمعنوية ، خاض أولى معاركه وأرسى فى صرح مشروعه الفكرى عددا من اللبنات ، التى تمثلت فى كتبه : الاسلام والأوضاع الاقتصادية) و (الاسلام والمناهج الاشتراكية) و (الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين) و (الاسلام فى وجه الزحف الأحمر) ..

● وهو ، فى مواجهة الاستبداد السياسى ، الذى حرم الأمة من ثمرات الشورى الاسلامية ، فأعجزها عن مواجهة تبعات رسالتها ، ومجابهة تحديات أعدائها ، نراه يقدم فى معالم مشروعه الفكرى كتبه :

(الاسلام والاستبداد السياسى) و (حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وإعلان الأمم المتحدة) وغيرهما من الكتب ، والدراسات التى ضمتها كتب أخرى .



● وهو فى مواجهة تحديات الحضارة الغربية ، التى حاولت وتحاول طمس التميز الحضارى للاسلام ، ونسخ هوية أمته ، ومسخ الروح الاسلامية المتميزة فى علوم حضارتنا ونظمها ، قدم العديد من الأعمال الفكرية ، التى مثلت كتائب فى معاركنا الفكرية ضد التغريب والاستلاب الحضارى .. فكتابه (من هنا نعلم) مواجهة مع محاولات « علمنة الاسلام » ، وكتابه (حقيقة القومية العربية) مواجهة للمفاهيم الغربية فى القومية ، تلك التى استعارها فريق منا ، فكانت عدوانا على عالمية الاسلام ، وانتقاصا من وحدة الأمة .. أما كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) فإنه نزال مع المستشرق المجرى جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١ م) الذى أراد فى كتابه (العقيدة والشريعة) تقديم الاسلام كاستعارات ملفقة من عقائد الآخرين وشرائعهم ! ..

وكذلك تأتى فى هذا المقام إسهامات كتب الشيخ الغزالى (الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا) و (مستقبل الاسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه) ، وغيرها من الكتب والدراسات ..

● وهو فى مواجهة « الذات الاسلامية » التى تشوهت بالتخلف الموروث وبالاستلاب التغريبى ، قدم العديد من الكتب والدراسات التى سعت لتجديد « الذات الاسلامية » بالغذاء الاسلامى الصالح والصحيح .. تجديد العقل وتصفية رؤيته وتجديد القلب وترقيق مشاعره ، واقامة علاقة التكامل - التى امتاز بها الاسلام - بينهما .. ولقد كان هذا الميدان هو أغنى ميادين المشروع الفكرى للشيخ الغزالى بالكتب والدراسات .. فهو ميدان القوة الاسلامية الضاربة ، التى يتوقف على صلاحها ، إحراز النصر الاسلامى على كل الجبهات ، وفى مواجهة كل التحديات ..

فمن : (خلق المسلم) إلى (عقيدة المسلم) و (التعصب والتسامح) .. و (جدد حياتك) و (فى موكب الدعوة) و (فقه السيرة) و (ليس من الاسلام) و (هذا ديننا) و (من معالم الحق) و (كيف نفهم الاسلام) و (نظرات فى القرآن) و (مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة) و (معركة المصحف) و (كفاح دين) و (الاسلام والطاقات المعطلة) و (الجانب العاطفى من الاسلام .. و (سر تأخر العرب والمسلمين) .. وغيرها .. كثير من الكتب والدراسات التى استهدفت تزكية الذات والنفس الاسلامية بالاسلام ..

● وفى مواجهة الجمود ، والحرفية النصوصية ، و « الظاهرية البدوية » ! ؟ . التى تغض من شأن ملكة العقل ، فتفل عزم المسلمين فى مواجهة التحديات المعاصرة ، وتكرس التخلف الموروث .. فى مواجهة هذا الجناح من أجنحة التحدى الحضارى الذى يواجه الأمة الاسلامية ، قدم المشروع الفكرى للشيخ الغزالى العديد من الاسهامات ، فصولا فى كتب - كما فى (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) - وكتبا أفردها لهذه المهمة ، يأتى فى مقدمتها أحدث كتبه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) ، والذى أثار ، ولايزال يثير

معركة فكرية خصبة فى صفوف الاسلاميين ، على امتداد وطن الاسلام ! ..

فهو إذن « مشروع فكرى » ، يستجيب به صاحبه - استجابة إيجابية وفاعلة للتحديات التى تواجه محاولات الأمة للنهوض والتقدم والانعتاق . وليس مجرد إسهام فكرى ، تتناثر كتبه دون رؤية شاملة ، وموقف واع ، وتخطيط وتدبير واحكام .. وفى هذا « المشروع الفكرى الذى بلغت كتبه حتى الآن خمسين كتابا تتكامل المعالم والسمات التى ضربنا لبعضها النماذج والأمثال ! ..

لقد واجه الرجل بمشروعه الفكرى هذا ، وأيضا بممارسته الحياتية ، التى أرادها زرعا ورعاية لهذه البذور فى عقول الأمة وقلوبها .. واجه بذلك التحديات العاتية التى تواجه الاسلام والمسلمين فى عصرنا الراهن - ووفق عبارته : « فأن تحديات الدعوة الاسلامية تجىء - قبل أى زحف خارجى - من داخل ارض الاسلام .. على أن التحدى الأعظم للاسلام كله هو فى يقظة كل القوى المعادية له ، وتبييتها النية على اغتياله ! .. لقد صحت اليهودية والنصرانية والشيوعية والوثنية ، وتملكتها رغبة مجنونة للقضاء على هذا الدين وانتهاز مايسود بلاده .. من غفلة وفرقة لتوجيه الضربة الأخيرة ! .. »

وفى مواجهة هذه التحديات العاتية لم يكن « الداعية » الشيخ محمد الغزالى مجرد « واعظ » كما يحسب الناس أن الوعظ هو مهمة « الدعاة » ! .. ففى رأيه « أن الوعظ هو أخف الواجبات التى يتطلبها الاسلام فى عصرنا ؟ ! .. فالجهد الأول - المطلوب - هو : تحريك قافلة الاسلام ، التى توقفت ، فى وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر ؟ !! .. وسوف تتلاشى هذه التحديات كلها يوم يعتنق المسلمون الاسلام ، ويدخلون فيه أفواجا ، حكاما وشعوبا !! .. »

وفى هذا السبيل كان العطاء الذى قدمه الشيخ الغزالى فى « مشروعه الفكرى » الكبير ..

إن « المدرسة الفكرية » فى اية حضارة من الحضارات هى عنوان على إطار مرن ، يضم العديد من العلماء والمفكرين والأعلام ، الذين تجمعهم « أصول » يتفقون فيها ، ومنطلقات ينطلقون منها ، وغايات يرومون تحقيقها ، وذلك دون أن يكونوا « متماثلين » .. فهم « يتشابهون » فى المناهج ، و « يتمايزون » فى ترتيب اولويات القضايا والمهام ، وفى درجات التركيز على بعض ميادين الاصلاح والدراسة ، وفى المزاج .. والأسلوب ومستوى الخطاب .. ونوع الجمهور .. الخ .. الخ .. الخ ..

ذلك هو معنى « المدرسة الفكرية » ، فى أية حضارة من الحضارات ..

وإذا نحن شئنا الاجتهاد فى تحديد الموقع الفكرى لشيخنا الجليل محمد الغزالى ، فإننا لن نجد فى هذا التحديد صعوبة ولا عسرا .. لا لأن الرجل لايفتأ يعلن انه واحد من مدرسة الأمام الشهيد ، الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) - فليس ذلك بالأمر الكافى والشافى فى التحديد الدقيق لموقعه الفكرى .. ففى مدرسة حسن البنا - إذا أردنا بها جماعة الأخوان المسلمين ، أكثر من موقع فكرى متميز .. بل لقد غدت جامعة لفصائل فكرية بينها ماهو أكثر من « التمايز » فى المواقع



الفكرية ؟ ! .. وخاصة بعد غيبة هذا الأمام الشهيد ..

أما السبب الحقيقى فى يسر تحديد الموقع الفكرى ، والمدرسة الفكرية للشيخ الغزالى .. فهو الاستقراء الواعى لمضمون مشروعه الفكرى ، وممارساته الحياتية .. وأيضا كتاباته ، هو ذاته ، التى يسرت لنا هذا التحديد ..

● لقد عرف الفكر الاسلامى : « مدرسة الرأى » .. تلك التى نظر فقهاؤها إلى الظروف والملابسات التى أحاطت بـ « الأثر » ـ أى « النص » و « الحديث » منه بوجه خاص ـ ففسروا الحديث على ضوء هذه الملابسات ، وفى إطار الآيات القرآنية المحكمة .. « وجعلوا الآية القرآنية المحكمة حاكمة على الحديث ، ومحددة لمعناه » .

فلم تكن « مدرسة الرأى » كما يحسب البعض ـ بعيدة عن « الاثر » وانما كان هذا هو منهجها فى التعامل معه عند الاجتهاد لاستنباط الأحكام .

● أما « مدرسة الأثر » ، فهى وإن لم تتنكر لـ « الرأى » جملة ـ كما يحسب البعض ـ إلا أن الذى ميزها عن « مدرسة الرأى » هو موقفها الذى « كاد أن يكون إمضاء لظاهر النص ، مع بعد عن الحرفية .. وإن كان هذا البعد عن الحرفية يتلاشى فى بعض القضايا » .

● وإلى جانب هاتين المدرستين ـ اللتين انفسحت بينهما المسافة ومن بعدهما ـ نشأت مدرسة ثالثة انتهجت نهج « الموازنة والترجيح بين مدرستى الأثر والرأى » وكان تبلور هذه المدرسة الجديدة فى القرن السابع الهجرى ، على يد شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) وتلامذته القدامى وخاصة ابن القيم (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ـ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م) .. وهذه المدرسة ـ « مدرسة الموازنة والترجيح بين الاثر والرأى » ـ هى التى « استوعبت الآثار المروية ، وأدركت وجوه الحكمة والمصالح التى تتغياها الشريعة ، أى أنها افادت من الرأى والأثر معا ، وان كان انتصارها للأثر أظهر ، ودفاعها عنه أذكى وأقدر » » ..

● أما المدرسة الرابعة ـ فى مدارس الأصالة الفكرية فى شريعتنا وتشريعنا ـ فهى تلك التى تبلورت فى تاريخنا الحديث ، بمجرى محاولات أمتنا للنهوض الحديث ومن أعلامها وأئمتها وعلمائها : الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ويتبعهم الشيخ محمود شلتوت ومحمد عبد الله دراز ومحمد البهى ومحمد المدنى وقبلهم الشيخ محمد الخضرى ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة وغيرهم من مجددى ومجتهدى عصرنا الحديث .

وهذه المدرسة الرابعة ، وان اعتمدت الأثر والرأى معا ، وسلكت سبيل الموازنة والترجيح بينهما ، إلا أنها تميزت عن مدرسة ابن تيمية ، « بترويجها للعقل وتقديم دليله واعتبارها العقل أصلا للنقل .. وهى تقدم الكتاب على السنة ، وتجعل ايماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد .. وهى ترفض مبدأ النسخ وتنكر إنكارا حاسما أن يكون فى القرآن نص انتهى أمده . وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به ، ولكنه غير ملزم ،



الشيخ الغزالى .. فى لقاء يجمع الـزعيميـن عبد الـنـاصـر ونهـرو

ومن ثم فهى تنكر التقليد المذهبى ، وتحترم علم الأئمة . وتعمل على أن يسود الاسلام العالم بعقائده وقيمه الاساسية ، ولا تلقى بالا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة » ..

● وغير هذه المدارس الأربع ـ ذات الطابع الأصيل ، والاجتهاد والابداع المتميزين ـ فى تاريخنا التشريعى ـ هناك مدرسة الأختيار الشخصى والتنسيق .. بين وجهات النظر المختلفة ، وكان ظهورها فى القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجـرين ، محـاولـة للخروج بـالفكر الاسلامى من جمود وموات (مؤلفى) « الفتون » المذهبية ! .. ومن أعلام هذه المدرسة الصنعانى (١١٦٩ ـ ١٢٢٥ هـ ـ ١٧٥٦ ـ ١٨١٠م) صاحب كتاب « سبل السلام » .. والشوكانى (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م) صاحب كتاب « نيل الأوطار » .. ومن سار على هذا الدرب ، مثل الشيخ سيد سابق ، فى كتابه « فقه السنة » .. وصديق خان (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧ هـ ١٨٣٢ ـ ١٨٨٩ م) فى مؤلفاته والألبانى ، فى رسائله .

تلك هى أبرز المدارس الفكرية فى فكرنا الشرعى والتشريعى كما أبرزها وحددها شيخنا الجليل محمد الغزالى ،

واذا كان الرجل لايفتأ يعلن ، مفاخرا ومباهيا ، بأنه من مدرسة حسن البنا .. واذا كان حسن البنا هو تلميذ رشيد رضا ، الذى تتلمذ على محمد عبده .. واذا كانت (رسالة التوحيد) و (الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) ـ وهما من أكثر آثار محمد عبده الفكرية تعبيرا عن خصوصية مدرسته ـ كانا مادة درس وتدريس لأسر وشباب وتنظيمات جماعة الأخوان المسلمين على عهد مرشدها الأول حسن البنا .. اذا كان الأمر كذلك فلن نعدو الصدق والموضوعية إذا قلنا أن الشيخ الغزالى هو واحد من أعلام هذه المدرسة الفكرية .. مدرسة الجامعة الاسلامية .. مدرسة الاحياء والتجديد الحديثة لفكر الاسلام لتتجدد به حياة المسلمين .

واذا كنا قد سبق وقلنا : إن « المدرسة الفكرية » هى تعبير عن إطار مرن ، فاننا يجب ان نستحضر هذا المعنى ونحن نقول إن شيخنا الغزالى هو واحد من علماء هذه المدرسة ، وأن موقعه الفكرى هو فى الاطار الذى يجمع أعلام وهذا التيار .

فالرجل يكاد أن يحتضن كل تراث الاسلام ، وأن يستدعى من ثمرات ابداع المدارس الفكرية المختلفة كل اللبنات الصالحة للعطاء فى مواجهة ما نواجه من تحديات ..

ثم هو لايرى فى تعدد المدارس الفكرية وتنوعها ، بعد عصر الأئمة الأوائل ، أمرا قادحا فى أداء هؤلاء الأئمة العظام : مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ



الحساسية والكراهية للأشخاص .. وان وجود هنات فى رأى هذا أو سيرة ذاك لاتهدم عبقريته أو تخدش تفوقه إن كان صاحب عبقرية وتفوق » ..

على أننا نظلم الشيخ الغزالى اذا لم ننبه على تميزه فى الفصيل الذى كان حسن البنا أمامه فى مدرسة الجامعة الاسلامية فلقد كان متميزا منذ بدأ مشروعه الفكرى سنة ١٩٤٧ م ـ بكتابه الأول (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) .. ثم ان الرجل ـ مد الله فى عمره ـ قد امتدت به التجربة وامتد به الجهاد بعد استشهاد حسن البنا أكثر من أربعين عامًا .. فواجه مالم يواجه هذا الفصيل فى النصف الأول من هذا القرن العشرين .. ومن ثم فلقد ابدع الجديد الذى أضافه الى رؤية هذا الفصيل .

واذا شئنا نموذجا واحدا يشهد على صدق هذا الذى نقول ، فاننا نشير الى أن الشيخ حسن البنا قد سبق وصاغ لهذا الفصيل « المفكر ـ المجاهد » ماعرف بـ « التعاليم العشرون » وهى التى دار أغلبها حول « فهم عقائد الاسلام » فجاء الشيخ الغزالى « ليضيف » اليها فى تواضع العالم الوفى لاستاذه ـ ماسماه « المقررات العشر » والتى تمثل البعد الاجتماعي والسياسى والدولى لهذه العقائد التي صاغها البنا فى « التعاليم العشرون » .. فكتب يقول تحت عنوان : مقررات عشر : اعطيت نفسى الحق فى اضافتها الى التعاليم العشرين لمجدد القرن الرابع عشر الأمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه ، ولا أدرى أصبت فى هذه الاضافة أم أخطأت ؟ .. وحسبى أن الحق قصدت .. وهذه هى الاضافات التى أرى المجتمع الاسلامى محتاجا اليها :

٧١٢ ـ ٧٩٥م) وأبى حنيفة النعمان (٨٠ ـ ١٥٠ هـ ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) ومحمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ ٧٦٧ ـ ٨٢٠ م) وأحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م) ومن هم على شاكلتهم من أئمة ذلك الجيل .. ذلك « لأن الائمة الأوائل ـ خصوصا الأربعة الكبار ـ كانوا روادا فى تأسيس الفقه الاسلامى ، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير، ولعل من يجيء بعده يكون أقدر على التنظيم والمراجعة ، والموازنة والاختيار .. » فتعدد هذه المدارس ، وتنوعها ، هو جزء من النمو الطبيعى لهذا البناء الفكرى ، وضع أصحابه فى الاعتبار أمورا جدت ، وعلوما ومعارف لم تكن على عهد الأئمة المؤسسين . فليس الأمر امر نقص وهدم والغاء .. وانما هو أمر تطور وتقدم ونماء ! ..

ثم .. ان النهر العظيم ـ نهر الأصول الاسلامية كتابا وسنة ـ وهى المنابع الجوهرية والنقية . ولها وحدها القدسية من دون إبداعات البشر أجمعين ـ إن هذا النهر ، يظل دائما وأبدا داعيا كل المجتهدين والمجددين الى الاغتراف منه مباشرة ، بدلا من الشرب من « السواقى » التى تغترف منه هى الأخرى !! « فالاسلام هو صائغ أولئك الرجال كلهم ، وهم لم يصوغوه ! وإن مصادر الاسلام معصومة ، لأنها من عند الله ، ولكن التفكير فيها والاستنباط منها غير معصوم لأنه من عند الناس .. وان الانتفاع بكل فقيه ذكى يدعم مسيرتنا العلمية ، ولا يضرها أبدا ، ويجب أن تنتفى

١ ـ النساء شقائق الرجال وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وللنساء في حدود الآداب الاسلامية حق المشاركة فى بناء المجتمع وحمايته .

٢ ـ الأسرة أساس الكيان الخلقى والاجتماعى للأمة ، والمحضن الطبيعى للأجيال الناشئة ، وعلى الآباء والأمهات واجبات مشتركة لتهيئة الجو الصالح بينهما .. والرجل هو رب الأسرة ، ومسئوليته محدودة بما شرع الله لأفرادها جميعا

٣ ـ للانسان حقوق مادية وأدبية تناسب تكريم الله له ، ومنزلته الرفيعة على ظهر الأرض ، وقد شرح الاسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها .

٤ ـ الحكام ـ ملوكا كانوا أم رؤساء ـ أجراء لدى شعوبهم ، يرعون مصالحها الدينية والدنيوية ، ووجودهم مستمد من هذه الرعاية المفروضة ومن رضا السواد الأعظم بها ، وليس لاحد ان يفرض نفسه على الأمة كرها ، أو يسوس أمورها استبدادا .

٥ ـ الشورى أساس الحكم ، ولكل شعب ان يختار أسلوب تحقيقها ، وأشرف الأساليب ما تمحض لله ، وابتعد عن الرياء والمكاثرة والغش وحب الدنيا .

٦ ـ الملكية الخاصة مصونة بشروطها وحقوقها التى قررها الاسلام ، والأمة جسد واحد لايهمل منه عضو ، ولا تزدرى فيه طائفة ، والأخوة العامة هى القانون الذى ينتظم الجماعة كلها فردا فردا ، وتخضع له شئوتها المادية والأدبية ..

٧ ـ أسرة الدول الاسلامية مسئولة عن الدعوة الاسلامية ، وذود المفتريات عنها ، ودفع الأذى عن اتباعها حيث كانوا ، وعليها أن تبذل الجهود لإحياء الخلافة فى الشكل اللائق بمكانتها الدينية .

٨ ـ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء ، وانما تنشب الحروب إذا وقع عدوان أو حدثت فتنة او ظلمت فئات من الناس .

٩ ـ علاقة المسلمين بالاسرة الدولية تحكمها مواثيق الأخاء الانسانى المجرد والمسلمون دعاة لدينهم بالحجة والأقناع فحسب ، ولايضمرون شرا لعباد الله .

١٠ ـ يسهم المسلمون مع الأمم الأخرى ـ على اختلاف دينها ومذاهبها ـ فى كل مايرقى ماديا ومعنويا بالجنس البشرى ، وذلك من منطلق الفطرة الاسلامية والقيم التى توارثوها عن كبير الأنبياء ، محمد عليه الصلاة والسلام » ..

تلك هى « المقررات العشر » التى مثلت نموذجا ـ مجرد نموذج ـ لابداع وتجديد وتطوير فكر الشيخ الغزالى ، عندما واجه الظروف الجديدة والواقع الجديد .. فأضاف هذه الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والانسانية ـ فى الأسرة والأمة « ونظام الحكم ، والعلاقة بغير المسلمين ، وفى العلاقات الدولية ـ أضاف هذه الأبعاد الى « التعاليم العشرون » التى صاغها الأمام الشهيد حسن البنا .

انها اضافات يمكن ان يفرد لشرح ابعادها كتاب كامل ، يمثل كل « مقرر » من « مقرراتها » فصلا من فصول هذا الكتاب ..

وهى ـ كما اسلفنا ـ نموذج من نماذج كثيرة جدا ـ على الابداع والتجديد المتميز لشيخنا الغزالى .

* * *

ـ فى العدد القادم ، الحلقة الثانية من الدراسة : الشيخ محمد الغزالى .. أولى معاركه الفكرية : ضد الظلم الاجتماعى) ـ ..

كتاب هام يتحدث عنه العالم ..

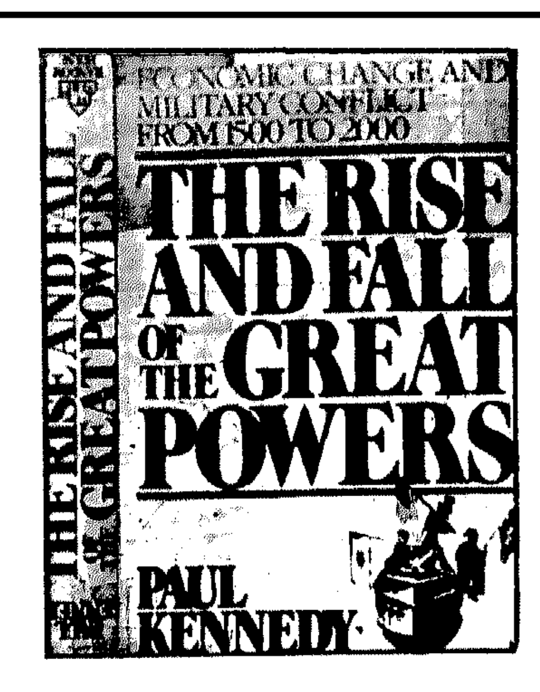
مستقبل القوى فى العالم



تبدد الحلم الأمريكى

بقلم: د. السيد أمين شلبى

لم يكن المؤرخ الامريكي بول كنيدى وعمله الضخم « قيام وانهيار القوى العظمى » الهلال اعداد : اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٨ .. هو الوحيد الذى تعرض لاوضاع القوة الامريكية والمتغيرات الداخلية والدولية التي المت بها في الحقب الماضية وبشكل رآه يهدد بتراجع مكانتها كالقوة الدولية الاولى فى النظام الدولى وبروز قوى جديدة تزاحمها هذه المكانة ، فبول كنيدى لم يكن الا ممثلا لحركة ثقافية نشأت فى الولايات المتحدة مع أوائل الثمانينات اصبحت تعرف « بمدرسة الاضمحلال » The School of decline وكان من رموز هذه المدرسة مانكور أولسون وكتابه الذى نشر عام ١٩٨٢ تحت عنوان : صعود وهبوط الدول ، والذى ركز فيه بوجه خاص على العوامل الاقتصادية التى تساهم في تراجع القوة الامريكية ، وأيضا دافيدسيللو فى كتابه Beyond American Hegemony والذى ركز فيه على العوامل الخارجية التي تؤدى الى هذا التراجع ، أما رمز هذه المدرسة الثالث فكان والترميد في كتابه Mortal Spendor والذى رصد فيه العوامل الداخلية والخارجية التى تصور أنها تتهدد المكانة التقليدية الامريكية ، ونستطيع أن نضم الى هذه المدرسة صوتا أوربيا هو عالم الاجتماع الفرنسى Micheal Crosier فى كتابه : The Trouble with America (الهلال عدد ابريل ١٩٨٩) والذى سجل فيه من خلال متابعاته الميدانية على مدى حقب تمتد من الاربعينات مظاهر التراجع الامريكي فى الميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية بما ينبىء عن « تبدد الحلم الامريكى » .



أما رسالة هذه المدرسة فهى تستند الى ثلاثة افتراضات رئيسية :

- ان الولايات المتحدة تتراجع على المستوى الاقتصادى مقارنة بقوى مثل اليابان وأوربا الغربية ، والدول الصناعية الجديدة ، وفى هذا تركز هذه المدرسة على الأداء الاقتصادى وعلى العناصر العلمية والتكنولجية والتعليمية المرتبطة بهذا الأداء .
- إن القوة الاقتصادية هى العامل المركزى فى قوة أى أمة ومن ثم فإن هبوطا فى القوة الاقتصادية سوف يؤثر فى الابعاد الأخرى لقوة هذه الأمة .
- أن الانحدار النسبى فى القوة الاقتصادية الأمريكية إنما يرجع فى الدرجة الأولى الى انفاقها الكثير جدا على الأغراض العسكرية والذى هو بالتالى نتيجة لمحاولتها الاحتفاظ بارتباطات خارجية لم تعد تقوى عليها .

وفى هذا ـ وفيما ترى هذه المدرسة ـ فإن الولايات المتحدة تكرر نفس التجربة وتواجه نفس المشكلات التى واجهتها قوى امبريالية سابقة مثل المملكة المتحدة ، وفرنسا ، وأسبانيا .

وقد كان من الطبيعى أن تثير هذه المدرسة بمثل هذه النبوءة الخطيرة نقاشا واسعا داخل الحياة السياسية والفكرية الأمريكية بل وفى أوربا الغربية ، وكما حركت هذه المدرسة نقاشا على المستوى السياسى والاعلامى السريع ، فقد خضعت كذلك للتحليل النقدى الاكاديمى والذى حاول تفنيد حجج وافتراضات هذه المدرسة وتقديم صورة أكثر تفاؤلا حول المستقبل الأمريكى .

● غياب البديل

كان أول من تعرض لنقد هذه المدرسة على المستوى الاكاديمى هو الدكتور زبجينو برجنسكى ـ مستشار الامن القومى الأمريكى السابق والاستاذ الحالى بجامعة كولومبيا ـ والذى بدأ بقرار أنه سيكون من العمى التاريخى تجاهل علامات التحذير التى

كتاب هام يتحدث عنه العالم ..

تقدمها الخبرة التاريخية ، فمما يثير القلق مثلا أن نتذكر أن الفترة الأولى من اضمحلال الامبراطوريات الرومانية والفرنسية والعثمانية ، قد اتسمت بالتضخم الاقتصادى والعجز فى الميزانية ، والاهتمام بالذهب والتوسع الخارجى المكلف ، والتفكك الداخلى ، ومبدأ القوة وسيادة النزعة المادية .

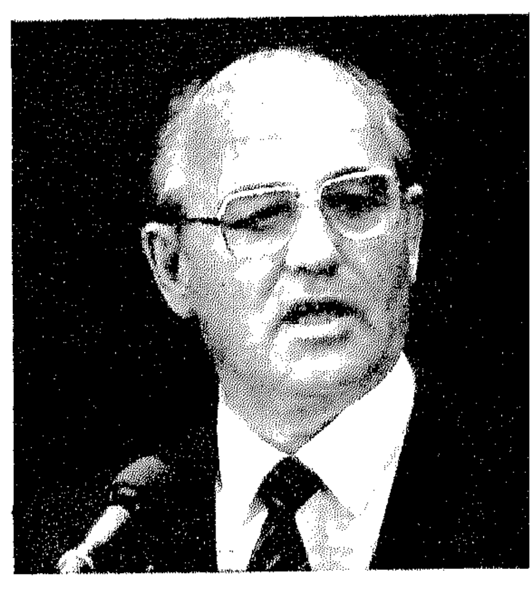
غير أن برجنسكى يرى اختلافات بين هذه الظروف وبين الوضع الأمريكى اليوم ، وتبدو هذه الاختلافات فى أنه فى كل حالات اضمحلال الامبراطوريات فإن التآكل الاقتصادى ، والذى حدث فى الأغلب من خلال الحروب ، قد أدى الى إضمحلال سكانى بشكل كبير وتلاه انهيار فى النخبة السياسية الحاكمة الأمر الذى لايتحقق فى التجربة الأمريكية المعاصرة فحتى فى التوسع الضخم فى الانفاق العسكرى الأمريكى فإنه لم يرتفع فوق ٧٪ من مجموع الناتج القومى الكلى . ورغم أن الحرب فى فيتنام قد أدت الى انخفاض فى معنويات المجتمع بشكل كبير فإنها لم تسبب خسائر على نطاق

واسع ، والواقع أن الحقب الماضية قد شهدت صبا لدم جديد وغنى وخلاق فى القيادة الاجتماعية والسياسية بأجيال المهاجرين الجدد من اسيا وأمريكا اللاتينية بعد أن كانت تسيطر عليها فى الماضى الصفوة التقليدية وخاصة من المجتمع اليهودى ، وهذا الدم الجديد هو الذى مكن من أستمرار ديناميكية الاحياء والتجديد الاجتماعى .

ويضيف برجنسكى الى هذا الاختلاف اختلافين آخرين يراهما أكثر أهمية : فالانحدار النسبى للتفوق الاقتصادى الأمريكى العالمى إنما يحدث لا على الرغم من أمريكا وإنما بسببها ، فقد حدث هذا نتيجة لسياسات متعمدة ومستمرة ـ الدعم الامريكى لأوربا الغربية واليابان عبر عدة حقب منذ نهاية الحرب الثانية .

ورغم هذا الاختلاف فإن برجنسكى ينبه الى أنه لايغير حقيقة وقوع هذا التراجع النسبى ، وأن ماهو مهم هو حقيقة هذا التراجع لا أسبابه أو دوافعه ، ومع هذا فهو يعود الى التذكير باعتبارات لايجب تجاهلها ، فالتغير فى مركز أمريكا الاقتصادى العالمى ليس نتيجة لسياسة تتبعها قوة منافسة أو معادية تهدف الى أن تحل محل الولايات المتحدة فى مرتبة التفوق العالمى ، ولكنه نتيجة ما يعتبره سياسة تعاونية كانت الولايات المتحدة هى التى بادرت بها الأمر الذى يخلق

نسيجا مختلفا من العلاقات الدولية .
من أهم معالم هذا النسيج أنه فى الماضى كان تراجع قوة ما عن مكانة السيطرة يعود الى بروز قوة جديدة ومؤهلة لأن تحل محلها ، اما هذه المرة فإن الاختلاف الاساسى الذى يراه برجنسكى هو غياب البديل والمنافس الذى يمكن ان يشكل قوة تحل محل الولايات المتحدة فى وضعها الدولى . فأوربا الغربية لن تكون فى المستقبل القريب مركزا موحدا للقوة السياسية قادرا على أن يحل محل أمريكا فى دورها العالمى ، كما أن تطلعات اليابان فى القوة السياسية والعسكرية تطلعات متواضعة . وهكذا فإن القوتين الرئيسيتين المستفيدتين من إعادة توزيع القوة الاقتصادية العالمية لاتمثلان منافسا سياسيا فى الاولوية العالمية . أما الاتحاد السوفييتى فهو لايمثل فى تحليل برجنسكى إلا منافسا ذا بعد واحد One Dimensional ، هو البعد العسكرى ، هذا فضلا عن أن الثمن الذى دفعه الاتحاد السوفييتى فى بلوغ قوته العسكرية هو أنه قد أصبح فى وضع غير تنافسى على المستوى السياسى والايدلوجى والاقتصادى ، وهو الاعتبار الذى يقف وراء جهود وسياسات جورباتشوف فى إعادة البناء الداخلى وسياساته ومبادراته الخارجية .



جورباتشوف

● إضمحلال أم تجديد ؟

وكانت الشخصية الثانية التى تعرضت بالنقد لافكار بول كنيدى ومدرسته هو البروفسور صامويل هنتيجتون مدير مركز العلاقات الدولية بجامعة هارفارد ، الذى شرع يناقش حجج هذه المدرسة وخاصة ما تستشهد به من عجز فى الميزانية الأمريكية ـ وصل فى العام المالى ١٩٨٨ ما قيمته ١٥٥ بليون دولار ـ باعتباره أهم المتغيرات المؤثرة فى مركز الولايات المتحدة العالمى وتركيز هذه المدرسة ـ عن حق ـ على أن التدفق الكبير فى الأموال الاجنبية قد ذهب الى الاستهلاك لا على الاستثمار ، وأن الولايات المتحدة تعيش سعيدة فى حالة من الرفاهية

لاتتفق مع امكانياتها وتسيطر عليها سيكلوجية "كل وأشرب وأمرح" كل هذا يعيد الى الاذهان نماذج أسبانيا فى نهاية القرن ١٦ ، وفرنسا ١٧٨٠ ، وبريطانيا عام ١٩٢٠ ويصدق هنتيجتون على كل هذه الظواهر ولكنه يختلف فى أن العجز الذى تعانى منه الولايات المتحدة ليس نتيجة ضعف الاقتصاد الأمريكى وانما نتيجة السياسات الاقتصادية لادارة ريجان ، وكما ظهر هذا العجز بشكل سريع نتيجة مجموعة سياسات فإنه يمكن عكسه أيضا وبشكل سريع بسياسات أخرى . بل أنه يعتبر أن مثل هذا التحول قد بدأ فعلا ، جزئيا بفعل تغيير إدارة ريجان لسياستها ، وجزئيا بسبب سياسات تبنتها حكومات أخرى ، ومن ناحية أخرى بسبب عمل الاقتصاد الدولى الذى يولد بشكل طبيعى اتجاهات توازنية . هذا فضلا عن توقع أن تتبع الادارة التالية لادارة ريجان سياسات تهدف بشكل جاد الى خفض هذا العجز .

كما يناقش حجة انخفاض نصيب الولايات المتحدة فى الانتاج العالمى ـ والذى كان عام ١٩٤٥ يمثل ٤٠ ـ ٤٥٪ من هذا الانتاج ، وبلغ عام ١٩٨٤ ما قيمته ٢٥,٢٪ ـ ويتابع تطور هذا الانتاج عبر الحقب الخمس الماضية ويقارنه بتطور نصيب قوى أخرى مثل اليابان وأوروبا الغربية من الانتاج العالمى ، ويخلص الى القول أنه بمعايير تطور الاقتصاد الدولى فى مجموعه ، فإن الناتج القومى الأمريكى كما يمثله اليوم مازال متماسكا وصحيا .

أما الحجة الثالثة لانصار "مدرسة الإضمحلال" والخاصة بانخفاض نسب المدخرات الأمريكية ـ والتى انخفضت خلال السبعينات والثمانينات ما بين ١٤,٨ ـ ١٩,٨٪ مقابل ٢٧,١٪ ـ ٣٢,٩٪ اليابان ـ فإن هنتيجتون يصدق أيضا على أعتبار أن نقص الادخار والاستثمار هى مظاهر ضعف هيكلية تتطلب تصحيحا اذا ما أريد الاحتفاظ بالنمو الاقتصادى ، ولكنه يخطىء هذه المدرسة فى محاولتها تفسير ذلك بضعف الاداء الاقتصادى الأمريكى ، كما يخطئها فى قولها أن المبالغة فى الانفاق لأغراض عسكرية تغطى على الاستثمار من أجل التنمية الاقتصادية الأمر الذى يؤدى الى الركود الاقتصادى وهو يستخدم فى رفضه هذا المنطق ما يردده بول كنيدى ومدرسته من أن عبء السياسات الأمبريالية يصبح ضخما حين يبلغ ١٠٪ أو أكثر من أنتاج المجتمع ، فنصيب الدفاع من الانتاج القومى الأمريكى يقع ما بين ٧ ـ ٦٪ وهكذا فإن منطق كنيدى وزملائه ينطبق

بشكل أكثر على الاتحاد السوفييتى الذى ينفق ١٨ - ١٧٪ من مجموع انتاجه القومى هذا فضلا عن أنه وبشكل عام فإنه ليس هناك دليل مقارن يوحى فإن الانفاق العسكرى هو بالضرورة عبء على التقدم الاقتصادى ، بل أن بعض المحللين يجادلون بأن الانفاق الدفاعى يشجع على النمو الاقتصادى . ويخلص هنتيجتون الى اعتبار أنه اذا ما تداعت الولايات المتحدة اقتصاديا فلن يكون ذلك بسبب وجود جنودها فى مناطق مختلفة من العالم وإنما لأن رجالها ونساءها وأطفالها ينغمسون بشكل مبالغ فيه فى ملذات الحياة ، فالروح الاستهلاكية وليست العسكرية هى التهديد للقوة الأمريكية .

● بريستوريكا امريكية !

وبعد تحليله لحجج أنصار "مدرسة الاضمحلال" يناقش سؤاله المقابل الذى طرحه عما اذا كانت الولايات المتحدة تمر بمرحلة انحدار أم تجديد . ويبدأ بما يقرره أنصار هذه المدرسة من أن التوسع الخارجي وليس الركود الداخلى هو السبب الرئيسى لانحدار الأمم . ويعتبر أن هذا المنطق يناقض تقليدا فى الفكر السياسى وجد منذ أيام افلاطون وأرسطو والذى يركز على القدرة الداخلية لمجتمع ما اذا ما أراد تجديد نفسه . ووفقا للصياغة الجديدة لوجهة النظر هذه فإن المجتمع ينحدر عندما يجعل الركود البيروقراطى ، والاحتكار ، والطبقات المغلقة ، والجمود الاجتماعى ، والترهل التنظيمى وتصلب شرايين الامة ، حين يجعل كل هذا ، من التجديد والتكيف أمرا صعبا أو مستحيلا . وعلى النقيض من هذا فإن المجتمعات الناجحة هى تلك التى تجد وسائل لدعم ديناميكية شبابها ، ويشجع المنافسة والحركة والمرونة والفردية والانفتاح ، وجميعها صفات تمنع مجتمعا ما من ان يقع فى شرك شبكة من الصفقات التواطئية حيث يستفيد كل فرد على حساب الآخرين ، من هذا المنظور يستخلص هنتيجتون أن الولايات المتحدة - من بين القوى الكبرى - هى أقل أحتمالا لأن تنحدر ذلك أنها تتميز بانفتاح اقتصادها ، وبالحركة ، وبتدفق الهجرة اليها .

ولايقتصر تحليل هنتيجتون للعناصر التى تضمن تجديد المجتمع الأمريكى على العوامل الداخلية فقط ، فثمة عناصر دولية للقوة ، فإن كل ، الاختيار النهائى للقوة العظمى هو قدرتها على تجديد قوتها ، فإن العوامل الداخلية السابقة إنما تكتمل بثلاثة

عناصر أساسية تميز المركز الأمريكى فى الشئون الدولية .

أول هذه العناصر الدولية أنه على نقيض القوى العظمى الأخرى فإن القوة الأمريكية متعددة الابعاد ، فإذا كان مركز الاتحاد السوفييتى الدولى ينبع أساسا من قدراته العسكرية ، واليابان من أدائها الانتاجي ومواردها المالية ، ودولة مثل السعودية من مواردها البترولية ، فإن هذه القوة التى تعتمد على عنصر واحد تصبح معرضة بشكل كبير لهبوط هذا العنصر من القوة التى تتمتع به ، وعلى نقيض من هذا فإن الولايات المتحدة تقف بشكل غير عادى فى وضع مرتفع فى جميع المصادر الرئيسية للقوة : حجم السكان وتعليمهم ، الموارد الطبيعية ، النمو الاقتصادى ، التماسك الاجتماعى ، الاستقرار السياسى ، الانجاز التكنولوجى ، القوة العسكرية ، الجاذبية الايدلوجية والتحالفات الدبلوماسية وهى نتيجة لهذا قادرة على أن تتحمل أى تراجع فى أحد هذه العناصر فى الوقت الذى تحتفظ فيه بتفوقها الكلى المستمد من مصادر أخرى . ومن هذا يستخلص هنتيجتون أنه فى الوقت الراهن ليس هناك دولة تستطيع أن توجه تحديا شاملا متعدد الابعاد للولايات المتحدة ربما باستثناء واحد .

● اوربا الموحدة

أما العامل الدولى الثانى فى رأى هنتيجتون الذى تتميز به الولايات المتحدة فهو ينبع من مركزها الهيكلى فى السياسة العالمية والذى يضعها فى موضع القيادة والمشاركة فى المشكلات والمنازعات الدولية وعلى ماقد يبدو ـ يجعل وجودها مطلوبا فى عدد من المناطق .

ويناقش هنتيجتون الاحتمال الأكثر شيوعا وهو أن تحل اليابان محل الولايات المتحدة فى المكانة العالمية فى القرن المقبل ، فيستبعد هذا الاحتمال فعنده أن اليابان لاتمتلك الحجم أو المصادر الطبيعية أو القوة العسكرية أو الانتماءات الدبلوماسية أو ماهو أكثر أهمية الجاذبية الايدلوجية لكى تصبح قوة أعظم .

أما التحدى الحقيقى والممكن الذى قد تواجهه الولايات المتحدة فهو يأتى فى نظر هنتيجتون من أوربا الموحدة ، فالمجموعة الأوربية اذا ما أصبحت متماسكة سياسيا سيكون لديها السكان ، والموارد ، والقدرة الاقتصادية ، والتكنولوجيا ، والامكانية العسكرية الفعلية لكى تصبح القوة



الأولى فى القرن الواحد والعشرين .
فإذا كانت اليابان ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى قد تخصصوا على التوالى فى الاستثمار ، والاستهلاك ، والسلاح ، فإن أوربا توازن الثلاثة ، وهكذا ينتهى هنتيجتون الى أنه إن لم يكن القرن القادم هو القرن الأمريكى فإن الأكثر احتمالا أن يكون القرن الأوربى .

رؤية أوربية لعناصر القوة والضعف :

ومثلما أنضم الى "مدرسة الاضمحلال" فى تحليلها وتوقعها للوضع الأمريكى أحد المفكرين الفرنسيين ، كذلك كان من بين من تعرضوا لأفكار هذه المدرسة بالنقد أكاديمى فرنسى هو ديومنيك مواسى نائب مدير معهد العلاقات الدولية بباريس الذى يعتبر أن بداية الشعور بالاضمحلال الامريكى ليس شيئا جديدا ، فالحرب الفيتنامية قد دمرت الاحساس الأمريكى العميق ، بالتفوق ، كذلك وصول الاتحاد السوفييتى الى مرحلة التعادل فى القوى الاستراتيجية ، والازمة البترولية عام ١٩٧٣ ، وأزمة الرهائن عام ١٩٨٠ . وقد جاء انتصار ريجان لكى يعكس القومية الأمريكية المحيطة ، غير أن مواسى يعتبر أن مايميز الاحساس والنقاش حول الاضمحلال الأمريكى اليوم هو ملامحه المحددة جدا ، فبينما كانت مظاهر الاضمحلال الأمريكى فى السبعينات نتيجة لحماقات سياسية ، فأنها تعود فى نهاية الثمانينات الى حقائق اقتصادية قوية لايمكن الهروب منها .

ويقول مواسى أنه من أجل تقييم عناصر قوة وضعف الولايات المتحدة فى المستقبل بشكل متوازن فإنه من الضرورى تحليل طبيعة الاضمحلال الأمريكى والتعرف بدقة عما اذا كان نزعة عابرة أم انه يمثل واقعاً لايمكن الرجوع عنه أو تحويله .

ويعبر مواسى أنه اذا قارنا الوضع الأمريكى اليوم بوضعه فى أعقاب الحرب الثانية مباشرة ، فإن الاضمحلال النسبى للقوة الأمريكية هو أمر لايمكن انكاره وخاصة فى حالة الاقتصاد الأمريكى ، إلا أن مواسى ، شأنه شأن زميليه الأمريكيين برجنسكى وهنتيجتون يرد هذا الوضع الى نجاح السياسة الأمريكية بعد الحرب فى نشر النمو الاقتصادى بين حلفائها الذين سيصبحون منافسيها الاقتصاديين فى المستقبل ، اليابان وأوربا الغربية ، إلا أنه على المدى الطويل ، فإن انتشار النمو الاقتصادى هو بالتأكيد أقل مدعاة لعدم استقرار بالنسبة للولايات المتحدة عنه بالنسبة

للاتحاد السوفييتى ، فالعالم المتعدد الاقطاب اقتصاديا الذى اتاحه انتشار النمو الاقتصادى سيكون حافزا للولايات المتحدة عن المنافسة والعمل بشكل شاق لكى تظل قدرتها التنافسية فى عالم اقتصاد مفتوح . ويضيف مواسى الى هذا أنه اذا نظرنا الى المستقبل فإن الولايات المتحدة - شأنها شأن اليابان - مهيأة تماما لمواجهة الثورة التكنولوجية الثالثة ، وعلى هذا يستخلص مواسى أنه من الضرورى التمييز بين الانحدار النسبى relative decline للقوة الأمريكية والذى يماثل مرحلة الحالة الطبيعية والناجمة عن الجهود الأمريكية فى الحقل الاقتصادى ، وبين حالة الانحدار المطلق Abso lute decline والذى يعنى أن قوة ما قد تجاوزت شبابها ، وهو الوضع الذى لايراه منطبقا على أمريكا اليوم .

غير أن مواسى لايكتفى بنفى حالة الاضمحلال المطلق عن الولايات المتحدة نتيجة لاوضاعها الداخلية ، وانما يدعم رأيه بتصور لتطور النظام الدولى وقواه الرئيسية فى المستقبل . فإذا كان الاتحاد السوفييتى هو المنافس الرئيسى للولايات المتحدة على الزعامة العالمية . فإن مواسى يرى أنه على كل الجبهات فإن مشكلات الاتحاد السوفييتى اليوم هى أكثر خطورة وتعقيدا من مشكلات الولايات المتحدة ، وهذا الوضع هو الذى يجعل مصير الاتحاد السوفييتى واهمية ونتائج وامكانية استمرار نظام جورباتشوف وليس الولايات المتحدة هو السؤال المركزى اليوم فيما يتعلق بتطورات النظام الدولى .

ويخلص مواسى الى أنه حتى لو نجح جورباتشوف فى الحد من أزمات المجتمع السوفييتى فإنه من غير المحتمل أن يلحق الاتحاد السوفييتى بالولايات المتحدة حتى بعد أن يصبح مركزها عاديا فى العالم وافتقادها لحالة التفوق المطلق التى كانت تتمتع به .

أما فيما يتعلق "بالمرشحين" الآخرين لكى يخلفوا الولايات المتحدة فى الزعامة العالمية ، فإن مواسى يعتبر أن أوربا الغربية هى حقا قوة تجارية واقتصادية ولكن ليس لديها التماسك السياسى الكافى أو القوة العسكرية الكافية لكى تبرز كقوة فاعلة على المسرح الدولى فى المستقبل القريب . وتواجه الصين نفس المعضلة التى يواجهها الاتحاد

السوفييتى فى مواءمة الاصلاح مع المبادىء الشيوعية وأن كانت يمكن أن تشكل منافسا ممكنا فقط فى المستقبل البعيد ، كذلك فإن المحيط الباسفيكى لن يمثل بالنسبة للقرن ٢١ ماكان عليه البحر المتوسط فى القرن ١٦ حيث كان مركز العالم ، فالمحيط الباسفيكى يفتقر الى التماسك ، والوحدة الثقافية والقوة العسكرية .

أما اليابان فإنها وهى تعيد تحديد دبلوماسيتها فإنها تواجه معضلة حاسمة وهى معضلة الهوية فهى وأن كانت لتبنيها النظم الديمقراطية ونجاحها الاقتصادى قد رحب بها فى نادى الدول والديمقراطيات الغربية ، فإن الغرب لاينظر اليها كجزء متكامل منه ، ويرى أن دور اليابان الطبيعى والسياسى والامنى يقع فى اسيا ، الا أن مشاعر الشك والقلق مازالت تحيط بوضع اليابان فى قارتها . هذه المعضلة فى رأى مواسى هى التى تحد من قدرة اليابان على أن تصبح قوة سياسية كبرى .

غير أنه اذا كان مواسى قد استبعد ظهور قوة كبرى فى المستقبل القريب يمكن أن تحل محل الولايات المتحدة ، فإنه يتوقع أن وضع الولايات المتحدة سيكون فى عالم الغد وضعا عاديا ، وسوف تكون أقل قدرة عن الماضى فى الاعتماد على تفوقها الطبيعى ، بل أن الاستمرار والاحتفاظ بهذا الوضع سوف يتطلب عددا من المتطلبات من أهمها نوعية جديدة من الرئاسة والقيادة الكفء - يعتقد أن الولايات المتحدة قد افتقدتها منذ ايزنهاور - ودبلوماسية خبيرة بوقائع العالم والقوى الحقيقية الفاعلة وبشكل لاتكرر أخطاء فيتنام وايران ، وكذلك سياسة خارجية تبدى حساسية أكثر للاحداث الخارجية مما تعطيه لاعتبارات سياستها الداخلية كما هو الحال فى علاقتها مع اسرائيل وجنوب افريقيا . وينتهى مواسى إلى أن الولايات المتحدة وهى تدخل مرحلة جديدة فى تاريخها كقوة "عادية" فإن توصل الأمريكيين الى توافق فى الرأى Consensus سيكون أكثر أهمية من أى وقت مضى ، فسيكون عليهم أن يتفقوا حول أى مجتمع يريدونه فى الداخل ، وأى دور على بلادهم أن تلعبه فى العالم ، والثمن الذى سيدفعونه .



منطق التوتر .. مقابل منطق أرسطو

بقلم: محمود أمين العالم

كان موضع هذا الجزء من المقال - الذى ننشره فى هذا العدد - والخاص بفلسفة عبدالرحمن بدوى ، فى منتصف المقال الأصلى - الذى نشرناه العدد الماضى - ولكن لطول المقال قمنا بنشر الجزء الثانى فى هذا العدد ..

على القارىء أن يقرأ الجزئين معا ، تحقيقا للفائدة المرجوة من حياة وفلسفة عبد الرحمن بدوى .

« الهلال »

الوجودية باختصار شديد هي مذهب فلسفي حديث يمكن ان نؤرخ لبداياته بالقرن التاسع عشر ، رغم ما يمكن أن نتبينه من جذور له فى الفكر الفلسفي القديم . ويمكن ان نعتبر كيركجور الفيلسوف الدنماركى المتوفي عام ١٨٥٥ رائده في العصر الحديث وإن أخذ ينمو ويتكامل بعد ذلك فى فكر هيدرجر وابنيانو ويسبرز ومارسيل وسارتر وغيرهم . والوجودية تعارض الأبنية الفلسفية التى تقوم على التجريدات العقلية . وترى أن نقطة البداية الفلسفية ليست هى الفكر وإنما هى الخبرة الإنسانية الحية . ولهذا فالوجود لايبدأ ولايتم اثباته بالفكر كما يقول ديكارت : أنا افكر إذن فأنا موجود . وإنما بممارسة الوجود نفسه ومعاناته .



عبدالرحمن بدوى



سارتر



كانت

ومن هنا جاء القول الوجودى المشهور : الوجود سابق على الماهية ، والمقصود بالوجود فى الوجودية هو الوجود الانسانى الحى ، فى مواجهة الوجود الموضوعى المادى الذى لا يعد عند هذه الفلسفة إلا مجرد أدوات للوجود الإنسانى .

والوجود الإنسانى الحى فى الوجودية ، ليس هو الوجود الإنسانى العام المجرد ، بل هو الوجود المتمثل فى الذات الفردية . وابرز ما تتسم به هذه الذات الفردية - بحسب الوجودية - هو الحرية ، فالانسان محكوم عليه بالحرية كما يقول سارتر . والذات حرة امام إمكانيات متعددة لابد من الاختيار بينها لتحقق وجودها . ومن حرية الاختيار هذه ومن ضرورته فى الوقت نفسه ، ينبع القلق وتنبع المعاناة والمخاطرة ، بل يبرز العدم داخل نسيج الوجود نتيجة لاختيار إمكانية ونبذ إمكانيات آخرى .

ومن الفردية والحرية والاختيار والإمكانية والقلق والمعاناة والمخاطرة والعدم إلى غير ذلك من المقولات ، تصوغ الوجودية فلسفتها المعبرة عن انحاء مختلفة من الخبرة الانسانية الحية ، متسلحة فى صياغتها لهذه الفلسفة بمنهج وجدانى استبطانى يختلف كل الاختلاف عن المنهج العقلانى الذى تتخذه الفلسفات النظرية الأخرى لصياغة مذاهبها . وفى الفلسفة الوجودية - كما هو معروف - تياران : تيار دينى يمثله كيركجور وجبريل مارسيل وتيار لادينى يمثله هيدجر وسارتر . ولكنهما لا يختلفان - جوهريا - من حيث الموضوع العام للفلسفة الوجودية ، أو من حيث المنهج الوجدانى الاستبطانى العام .

والحقيقة أن وجودية عبدالرحمن بدوى ليست فى صورتها المذهبية العامة أو التفصيلية إلا تهميشا على مذاهب هؤلاء الفلاسفة الوجوديين وخاصة مذهب هيدجر وإن كانت هناك بعض الاجتهادات والإضافات الخاصة المتمثلة فى محاولته إقامة لوحة متسقة من المقولات الوجودية أو فى إبراز وتطوير مفهوم الزمن ومفهوم الفعل ، أو فى محاولته اكتشاف جذور للوجودية فى الفكر العربى الاسلامى



القديم ، وخاصة فى التيارات الصوفية والاشراقية .

● فلسفته الوجودية

وتتجسد فلسفة عبدالرحمن بدوى الوجودية فى رسالته الجامعية الأولى "وهى بالفرنسية" وعنوانها "مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية" التى حصل بها على درجة الماجستير فى الفلسفة من كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول "القاهرة اليوم" ,عام ١٩٤١ ، وفى رسالته الجامعية الثانية وعنوانها "الزمان الوجودى" التى حصل بها على درجة الدكتوراه من نفس الكلية والجامعة عام ١٩٤٣ .

فى رسالته الأولى حول الموت يبدأ بالتمييز بين الموت كإشكال والموت كمشكلة . هو اشكال من حيث إنه يحتوى على تناقضات وإمكانيات وأنحاء عديدة ، فهو نهاية للحياة ، وهو نهاية لتحقق إمكانيات ، هذا من ناحية عامة ، ولكنه فى الوقت نفسه إمكانية معلّقة ، أى إمكانية لابد أن تقع ولكن لاسبيل إلى تحديد زمان وقوعها بشكل حاسم . وهو حدث يقع لكل الناس ، ولكنه كذلك حدث له خصوصيته فى حياة كل منا . فنحن جميعا سنموت ، ولكن الموت هو حدث شخصى لكل منا ، بهذه الأنحاء المختلفة يتمثل الموت كإشكال وجودى . على أن الموت يصبح مشكلة عندما يشعر المرء شعوراً قوياً حميما بهذا الاشكال . ولكن لا يتحقق إلا لمن هم على مرتبة عالية من الشعور بالشخصية ومرتبة عالية من التحضر ، ومن هنا يخلص عبدالرحمن بدوى إلى أن الشعور بالموت والتفكير فيه يعبر عن نهاية مرحلة حضارية وميلاد حضارة جديدة . وهو هنا يبدو متأثراً بشكل واضح بفلسفة الحضـارة عنـد أشبنجلـر . ويـرى عبدالرحمن بدوى بعد ذلك أن إضعاف الشخصية يفضى إلى تشويه حقيقة الموت . ويرى أن هذا الإضعاف هو ثمرة حالتين هما : إفناء الشخصية فى روح كلية ، أو إفناؤها فى الناس ، وفى المجتمع لأن ذلك يفقد الموت طابعه الفـردى الشخصى الذاتى . ويـرى عبدالرحمن بدوى أن القول بالشخصية يفضى إلى القول بالحرية ، فلا شخصية بغير حرية ، ولا حرية بغير شخصية ، والحرية هى الاختيار ، وهى الإمكانية المفتوحة . وإذا كانت الشخصية تقتضى الحرية ، والموت يقتضى الشخصية ، فإن الموت يقتضى الحرية ومن هنا كانت صيحة نيتشه "مت فى الوقت المناسب" أى أختر الوقت المناسب لكى تموت إنها دعوة إلى الموت الإرادى أى حرية الموت .

ومن هذه المقدمات يأخذ عبدالرحمن بدوى فى الانتقال إلى سلسلة من الاستدلالات . فلما كان الموت يعنى الحرية ، فهو بالتالى يعنى الإمكانية ، ولما كانت الحرية كإمكانية تعنى إمكانية فعل الخير وإمكانية فعل الشر ، ارتبطت

الحريه بالضرورة بالخطيئة ، ومن هنا كذلك ارتبطت الخطيئة بالموت ، هذا الارتباط الذى تجسد فى أرقى درجاته ـ كما يقول ـ فى المسيحية . ومن هذا التسلسل الاستدلالى ينتهى إلى تحديد العناصر الثلاثة الضرورية فى مشكلة الموت وفى جانبها الذاتى وهى الشخصية والحرية والخطيئة . على أن هناك جانبا موضوعيا فى مشكلة الموت . فالوجود يقتضى بطبيعته التناهى أى الموت ، وبهذا يكون الموت ـ موضوعيا ـ عنصرا مكونا للوجود ، وجزءا من الحياة وليس مضادا لها . بل هو حالة من حالات الحياة تبدأ ببدايتها وتستمر معها حتى نهايتها .

وهناك فى فلسفة عبدالرحمن بدوى نوعان من الوجود ، الوجود الماهوى أو الإمكانى وهو الوجود الجوهرى ذاته الزاخر بالإمكانيات غير المتحققة بعد ، والوجود الواقعى أو ما يسميه عبدالرحمن بدوى بإسم "الآنية" وهو الوجود الذى انتقل إليه الوجود الماهوى بتحقق بعض إمكانياته . وهو وجود بين الاشياء أو وجود فى العالم . وهو بهذا يعد سقوطاً ، ليس بالمعنى الأخلاقى ، وانما بمعنى الحضور بين الاشياء ، وهو حضور يعبر عن تحقيق أمكانية وعدم تحقيق امكانيات أخرى ، وهو مايشير إلى نقص جوهرى فى هذا الوجود ، وهو نقص مستمر ، اى توافر إمكانيات غير متحققة باستمرار ، ومن بين هذه الإمكانيات ، إمكانية الموت الذى يعد إمكانية مطلقة من إمكانيات الوجود نفسه ، مما يجعل من الموت ـ كما سبق ان اشرنا ـ عنصرا جوهريا فى الوجود ، وبالتالى أساسا لمذهب فلسفى شامل يسعى للإجابة على العديد من القضايا والمشاكل النفسية والأخلاقية والمعرفية والدينية . وعبدالرحمن بدوى يقر بأن هذا المذهب الفلسفى الذى يستلهم أهم عناصره ودلالاته العامة من هيدجر ويسبرز ، لم يقم بناؤه بعد ، ولكنه يتطلع إلى من يحمل مسئولية إقامته ، ليكون تعبيرا عن نهاية الحضارة الاوروبية الراهنة ، وبزوغ حضارة جديدة .

● تحليل انتقال الوجود

وعبدالرحمن بدوى لا يعكف على إقامة هذا المذهب المؤسس على مشكلة الموت ، بل نراه ينتقل فى رسالته الثانية إلى مشكلة آخرى هى مشكلة الزمان ، الوجودى ، وإن وجدنا جذورها فى رسالته الأولى عن مشكلة الموت .

ذلك انه فى تحليله لانتقال الوجود الماهوى الإمكانى إلى الآنية المتحققة فى رسالته الأولى عن الموت ، يشير إلى الزمانية كصفة لعملية الانتقال هذه ، إذ هى تتضمن صفة الحضور بالتحقيق بين الأشياء ، وصفة الماضى بالنسبة للامكانيات التى تحققت ، وصفة المستقبل


كيركجور


جبريل مارسيل



بالنسبة للإمكانيات التى لم تتحقق بعد . وهذا يدل ـ كما يقول ـ على أن الزمانية طابع جوهرى للوجود .

ورسالته فى "الزمان الوجودى" هى تأكيد وتطوير فى الحقيقة للمفاهيم الأساسية لرسالته الأولى وإن أصبح الزمان لا الموت هو محورها .

فالوجود الحقيقى عنده هو وجود الذات الفردية . أما الوجود الموضوعى خارج الذات فهو مجرد أدوات للذات . أما وجود الذات فهو وجود واع بذاته ، على علاقة حميمة متوترة مع ذاته . والذات تحقق ذاتها بممارسة الفعل ، وهذا ينقلها من حدود الإمكان إلى الواقع ، وفى هذا سقوط لها ـ كما سبق أن أشار فى مشكلة الموت ـ وهو سقوط ضرورى ، تحقق به الذات إمكانياتها .

وجوهر هذه الذات أنها مريدة وليست مفكرة ـ كما يزعم ديكارت ـ إن فعل الإرادة لا الفكر هو جوهر الذات . وهذا الفعل مرادف للحرية ، ولهذا فإن الذات والإرادة والحرية معان متشابكة . والحرية ـ كما رأينا فى "مشكلة الموت" تقتضى الاختيار ، والاختيار يقع بين ممكنات .

وبهذا الاختيار تتحول الذات من حال الحرية إلى حال الضرورة ، أى تصبح الإمكانية وجودا فى العالم . وهكذا يصبح للذات وجودان :

وجود كذات مريدة حرة ، مفعمة بالإمكانيات التى لم تتحقق ، وذات قد حققت بعض إمكانياتها . الوجود الاول هو الوجود الماهوى ـ كما سبق أن ذكرنا ـ ويتميز بالحرية المطلقة ، والوجود الثانى هو الوجود بين الاشياء فى العالم ، أو الوجود على هيئة الآنية . ويتناسب **الشرف فى مرتبة الوجود ـ كما يقول عبدالرحمن بدوى ـ تناسبا عكسيا مع الاتصال بالغير أو بالاشياء .**

على أن انتقال الذات من حالة الإمكانية إلى حالة التحقق انما يتم فى الزمان ولهذا فالزمان حالة جوهرية للوجود المتحقق .

على أن الوجود بهذا المعنى ليس وجودا فى الزمان ، وإلا اتخذ الزمان شكل المكان ، أى أصبح إطاراً خارجيا للوجود ، إنما هو وجود زمانى أى أن الزمان يدخل فى ماهية الوجود نفسه . ويعتبر عبدالرحمن بدوى هذا الرأى الذى انتهى إليه ثورة لاتقل خطرا عن الثورة الكوبيرنيقية فى علم الفلك التى كانت ثورة معرفية "ابستمولوجية" ، على حين أن ثورته هذه هى ثورة فى علم الوجود .

ولهذا يأخذ فى نقد المذاهب الفلسفية والعلمية السابقة الخاصة بالزمان ، كمذهب كل من أرسطو وكانط وبرجسون فى الفلسفة ، ومذهب كل من نيوتن وانيشتاين فى الفيزياء ، وينتهى من هذا النقد إلى نتائج عامة نجملها فيما يلى : إن الزمان نوعان ، زمان فيزيائى وزمان ذاتى وهو مايسميه بالزمان الوجودى . وأن الزمان عامل جوهرى فى نسيج الوجود

ذاته ، ويقصد به هنا الوجود الذاتى . وهو يقسم هذا الوجود كما سبق أن ذكرنا إلى وجود ماهوى وآنية ، ويعتبر الحرية صفة أولى لوجود الذات ، إستنادا إلى مفهوم الإمكانية ، وأن التوتر هو الفكرة الاساسية التى ينبغى أن تسود كل نظرة وجودية أو أخلاقية ، وينتهى من كل هذا إلى أن العقل النظرى ليس هو الملكة الوحيدة التى يستطيع بها المرء أن يدرك حقيقة الوجود "الحى" فالفكر المجرد ينزع النفس ويعزلها عن تيار الوجود الحى ـ كما يقول ـ ولا سبيل للاتصال الحميم بهذا الوجود فى توتره إلا بملكة أخرى هى ملكة الوجدان .

وكما أن للعقل مقولاته ، فللوجدان كذلك مقولاته التى تتميز بالطابع الديالكتيكى المتوتر الجامع لما فى الوجود من إمكانيات متضادة متناقضة متقابلة فى نسيجه الحى . ولهذا يضع عبدالرحمن بدوى لوحة للمقولات الوجدانية الوجودية فى مقابل المقولات العقلية المجردة عند الفلاسفة السابقين وخاصة أرسطو وكانط . وهو يقسمها قسمين ، قسم خاص بالعاطفة وقسم خاص بالإدارة ويقسم كلا من عناصر القسمين إلى أقسام ثلاثة يتركب كل منها من المتقابلين ووحدة متوترة بين هذين المتقابلين . وهذه هى لوحة المقولات :

عاطفة

أصـــل :	تألم	حـــب	قلق
مقابـل :	سرور	كراهية	طمانينة
حدة متوترة :	تألم سار	حب كاره	قلق مطمئن

ارادة

أصـــل .	خطـر	طفرة	تعالٍ
مقـابـل :	امـان	مواصلة	تهابطً
حدة متوترة :	خطر آمن	طفرة متصلة	تعال متهابط

● الطابع الأصلى للوجود

ونكتفى بتفسير العلاقة بين ثلاثية واحدة عاطفية ، واخرى ارادة . فبالنسبة للثلاثية العاطفية الأولى يقول عبدالرحمن بدوى إن التألم يعنى أن شيئا يعوق ويحد من وجود الذات ومن رغبتها فى تحقيق ذاتها فى العالم . وهنا تتألم . وكلما ازداد الانسان رقيا ـ أى حصولا على امكانيات عديدة ـ زاد ألما ، على عكس الانسان المتخلف المحدود الامكانيات الذى يكون المه أقل . ولما كان تحقيق الامكانيات هو الطابع الأصلى للوجود فأن التألم هو إذن الطابع الأصيل للوجود الذاتى . أما



السرور فينجم عن الفعل وتحقيق الامكانية الذى هو تحقيق للذاتية ، ولكن هناك ما يجمع بين التألم والسرور ، مثل التضحية . فالتضحية تكون درجة عليا من التألم مرتبطة بدرجة عليا من السرور ، والاستشهاد أعلى درجات التضحية ، وفيه يتلقى الشهيد شهادته وجبينه - كما يقول عبدالرحمن بدوى - يعلوه "الأسف الباسم" .

وفى المقولات الارادية الأولى نجد الخطر والامان والخطر الآمن . والخطر يعبر عن مواجهة الارادة للعديد من الامكانيات ، دون أن تكون متيقنة بما ينبغى أن تحققه منها ، ولهذا ففعل المخاطرة هو أول افعال الارادة لأنه القفز - كما يقول عبدالرحمن بدوى - إلى تحقيق الوجود بواحدة من هذه الامكانيات المتعددة . وفعل المخاطرة فعل غير عقلانى ، يتم فى زمانية محددة هى "الآن" ، والآن حضور زمانى محدد ولكننا بتحقيق المخاطرة فيه نشعر بالسرمدية . ولهذا فأكثر المخاطرات التى تتحقق بها تحولات حاسمة فى مصائر الأمم .

على أن هذا الشعور بالسرمدية هو الذى يفجر الشعور بالأمان المقابل للخطر . ولما كان من المستحيل أن يكون هناك خطر خالص مطلق أو أمان خالص مطلق ، كان هناك دائما هذا التلاقى المتوتر بين الخطر والأمان فى الخطر الآمن الذى تحقق به الذات بعض إمكانياتها ، ولكن كيف يتم الانتقال بين مخاطرة وأخرى . ليس بالتواصل والاتصال ، وإنما بالطفرة . فالوجود عند عبدالرحمن بدوى يتكون من ذوات منفصلة مغلقة تماما . ولهذا فالذات تنتقل من حالة الامكان الى حالة التحقق أى الاتصال بالغير وبالواقع ، عن طريق الطفرة ، لأنه ليس بينها وبين الأغيار والواقع اتصال . ولكى يفسر عبدالرحمن بدوى الطفرة يقول بفكرتين أساسيتين هما : **اللامعقول واللاعلية** . فالعدم الذى قال به من قبل فى نسيج الوجود ، يناظره من الناحية الفكرية اللامعقول . أما اللاعلية أو اللاسببية ، فقد أيدها وأثبتها العلم الحديث وخاصة - فى نظرية الكم الفيزيائية التى دحضت - بحسب التفسير الخاص - لعبد الرحمن بدوى - القول بالحتمية والعقلية فى بنية العلاقات بين الاشياء .

وإلى جانب اللامعقول واللاعلية يعرض عبدالرحمن بدوى للطبيعة الزمانية للمقولات العاطفية والارادية على سواء فالثالوث الأول فى المقولات العاطفية يكشف عن الماضى ، والثانى عن المستقبل والثالث عن الحاضر ، والثالوث الأول فى المقولات الإرادية يصف الحاضر والثانى يصف الماضى والثالث يصف المستقبل . وهكذا يؤكد أن الزمان يدخل فى نسيج مقولات الوجود .

هذه هى خلاصة مجتزأة لمقولات عبدالرحمن بدوى الوجودية بكلماته هو فى أغلب الأحيان المستمدة من موسوعته الفلسفية . وهذه المقولات - كما يقول -

تشكل اساسا لمنطق جديد هو منطق التوتر والفعل الخلاق فى مقابل المنطق الارسططالى الشكلى . وهو منطق التوتر لانه يدخل الزمان فى صميم مسائله ويعبر عن حقيقة الوجود الذى يزخر بالتناقض والتمزق والجمع بين الاضداد والذى يشكل العدم عنصرا جوهريا من عناصر تكوينه . وبهذه الخلاصة تتحدد وكذلك العناصر الجوهرية لفلسفة الزمان الوجودى ، التى تتمثل اساسا فى القول بأن الزمان متغلغل فى نسيج الوجود وأنه لاوجود خارج الزمان ، وأن الزمان نفسه زمان وجودى ذو طابع عاطفى إرادى .

وينتهى عبدالرحمن بدوى من تلخيصه للزمان الوجودى بأنها "الخطوط العامة" لمذهب فى الوجود جديد ، سنجعل مهمتنا فى الحياة تفصيل أجزائه" .

على أن عبدالرحمن بدوى لم يعكف ـ كما سبق ان ذكرنا ـ على إقامة مذهب فلسفى على أساس "مشكلة الموت" ، ولم يكرس كذلك مهمته فى الحياة لتفصيل أجزاء هذا "المذهب الوجودى الجديد" ، وإنما اتجه بكلمته إلى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات فى مجال الفلسفة بشكل عام ، والفلسفة العربية الاسلامية بشكل خاص .

حقا ، إننا نستطيع أن نتبين فلسفته الوجودية فى اختياره الخاص فيما يترجم أو فى عنايته بالجانب الصوفى والإشراقى والافلاطونى فى تراثنا الفلسفى القديم ، وفى الكثير من تعقيباته وتعليقاته وآرائه حول بعض جوانب هذا التراث . ولكننا لا نستطيع القول بأنه راح يبنى ويفصل وينمى مذهبه الفلسفى الذى بشر به كضرورة تاريخية فى رسالتيه عن "مشكلة الموت" وعن "الزمان الوجودى" .

فهل توقفت طاقته الإبداعية الفلسفية بعد الإنتهاء من رسالتيه ؟

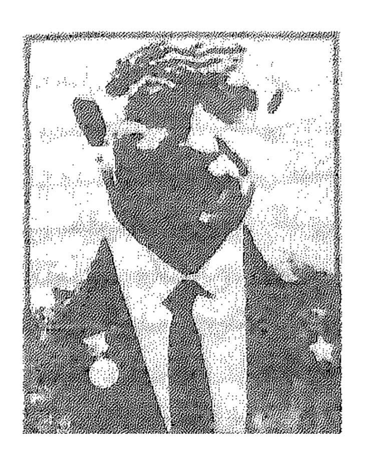
ام كانت فلسفته الوجودية مجرد ثمرة ثقافية خالصة لقراءاته فى الفلسفة الالمانية ، وكانت منبتة الصلة بحياته وبواقعه السياسى والاجتماعى ـ كما يقول بعض الناقدين لفلسفته ـ ولهذا سرعان ما انتهت بانتهائه من رسالتيه ، وكانما كانت هاتان الرسالتان تأريخا أكاديميا متحمسا حيا لهذه الفلسفة ، اكثر من أن يكون تبنياً حقيقياً لها ؟ ! .



جوربانشوف



فيلى برانت



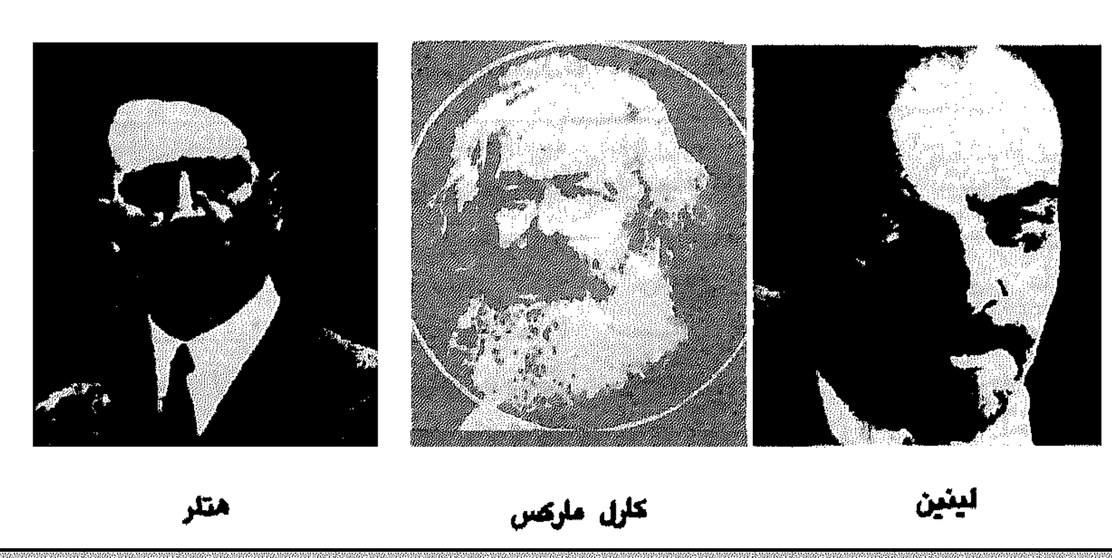
خروشوف

البريسترويكا "

بقلم: عبد الرحمن شاكر

قال لى محدثى ، وهو ديلوماسى من ألمانيا الديمقراطية ، أى الشرقية ، (أمسك عن ذكر اسمه أو وظيفته حتى لا أسبب له مشاكل مع حكومته) .. قال : لقد أصبحنا نعتبر الشيوعية حلما بعيد المنال ، وكذلك الوحدة الألمانية .. وقال أيضا : ذلك لأننا كنا نربط بين الهدفين ، ونرى ان الوحدة بين دولتى ألمانيا يمكن أن تتحقق فقط حينما نصل إلى الشيوعية ! أما الوحدة حاليا فمن الذى يريدها ؟ ان الشرق والغرب كليهما يخشاها ، وشبح "الرايخ الألمانى" الذى أشعل الحربين العالميتين خلال هذا القرن لم يفارق مخيلة المعسكرين بعد !

● وحينما سألته عن عشرات الألوف من شباب ألمانيا الشرقية ، الذين يفرون بكل الوسائل إلى ألمانيا الغربية قال : إن هؤلاء ضحايا الدعاية الغربية ، وخاصة التليفزيون الذى يعرض الكثير من السلع الاستهلاكية التى تتفنن ألمانيا الغربية فى انتاجها وتثير مخيلة الشباب .. ولكن معظمهم سوف يصدمون حينما يواجهون البطالة وأزمة الاسكان هناك ، بالنسبة لهم على الأقل .. وحول هذه



لينين　　كارل ماركس　　هتلر

والـــوحـــدة الألمـانيـــة

النقطة اختلفت الآراء والتعليقات والأنباء الصحفية ، فمن قائل : إن المانيا الغربية تعانى من فجوة فى الشباب من العمال بحيث ترحب بهؤلاء النازحين اليها .. ومن قائل إن العمال فى المانيا الغربية قد أظهروا الاستياء إزاء مجيء هؤلاء المنافسين الجدد من شرق المانيا ، بحيث يزحمون عليهم سوق العمل المحدودة ..

والتى يعانى بعضهم البطالة بالفعل لسبب ضيقها .. أما الموقف الرسمى للحكومة فى المانيا الغربية ، فهى إذ ترحب بالنازحين اليها من شرق المانيا باعتبار أن ذلك هجرة من المانيا إلى المانيا .. أى تعبيرا عن الوحدة بين شطرى الوطن ، فإنها تطلب ، أو تنصح "مواطنيها" فى شرق المانيا بأن يبقوا حيث هم ، ويحاولوا إدخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية فى موطنهم بدلا من النزوح !

وأعود الى صدر كلام الدبلوماسى الألمانى الشرقى عن التخلى حاليا عن حلم الوصول إلى الشيوعية ، فأقول ان ما يعنيه بذلك ليس هو وصول الحزب الشيوعى إلى الحكم . فهذا الحزب جالس ومتربع على دست الحكم فى المانيا الشرقية أربعة وعشرين قيراطا ـ كما يقال ـ منذ أربعين عاما ! ولكن ما يعنيه بالوصول الى الشيوعية ، هو الوصول الى درجة الوفرة الكاملة فى الانتاج ، بحيث لايكون هناك محتاج ولا معوز ، ليس ذلك فحسب ، بل لايكون هناك أيضا ، تفاوت فى الدخول ، حتى مابين العمل الذهنى والعمل اليدوى ، لأن الانتاج سوف يتيح للجميع الحصول على كل ما يحتاجون ، وما يرغبون ، فلا

يصبح للتفاوت معنى ولا مدلول .. وذلك - كما هو واضح - حلم بعيد المنال !

وإذا كانت ألمانيا الشرقية ، وهى أكثر أجزاء المعسكر الشرقى تقدما وازدهارا من الناحية الاقتصادية ، باعتراف الجميع ، أصدقائها وأعدائها على السواء ، فى كلا المعسكرين .. تتخلى على هذا النحو عن حلم الوصول الى الشيوعية ، فان هذا الحلم قد تخلت عنه كل الأحزاب الشيوعية الحاكمة ، وخاصة فى الاتحاد السوفييتى ، وذلك فى عهد جورباتشوف الذى استبدل به حلما جديدا . وهو محاولة اللحاق بالثورة التكنولوجية التى تحققت فى الغرب الرأسمالى بما فيه المانيا الغربية ، فضلا عن سائر غرب أوربا وأمريكا الشمالية واليابان ، ومن أجل هذه الغاية الجديدة ، ادخل جورباتشوف اصلاحاته ذات الدوى العالمى ، تحت اسم البريسترويكا أو إعادة البناء بما فى ذلك السماح بقسط كبير من المساهمة فى النشاط الاقتصادى للقطاع الخاص ، على نحو ما فعل لنين فى العشرينات باسم السياسة الاقتصادية الجديدة لتنشيط الاقتصاد الذى تداعى بعد حروب التدخل ، التى فرض فيها ما يسمى بشيوعية الحرب ، وجزء من سياسة جورباتشوف أيضا هو ما أطلق عليه اسم "الجلاسنوست" أى المكاشفة والمصارحة ، التى تسمح بحرية النقد والتعبير ، بما فى ذلك التعبير عما يطالب كثير من المتحمسين لها فى الاتحاد السوفييتى ، من الوصول بالتغيير السياسى الى حد إقرار تعدد الأحزاب وإنهاء استئثار الحزب الشيوعى بالسلطة

وجزء من هذه السياسة أيضا هو محاولة الوصول الى تفاهم مع الغرب على وقف سباق التسلح ما بين المعسكرين الكبيرين ، من أجل انهاء خطر الحرب النووية من ناحية ، ومن ناحية أخرى توفير الموارد التى يستنزفها سباق التسلح من أجل التنمية الاقتصادية ، وزيادة احتمالات التعاون ما بين دول المعسكرين عن طريق المشروعات المشتركة بحيث يكسب الاتحاد السوفييتى استثمارات جديدة وتكنولوجيا أكثر تقدما ، ويكسب الغرب الرأسمالى سوقا جديدة هائلة لمنتجاته المتطورة ، وغير بعيد أن أرسل جورباتشوف رسالة إلى مؤتمر الدول الصناعية السبع الكبرى المنعقد أخيرا فى باريس يعرض فيها اشراك بلاده فى خططهم الاقتصادية ، وأرسل مندوبا الى الولايات المتحدة الامريكية يستطلع فيها آراء ساستها واقتصادييها فى الطريقة المثلى لاقالة الاقتصاد السوفييتى من عثرته ! مما جعل الرئيس الامريكى جورج بوش يتغنى بدخول الدولتين العظميين فى التعاون فيما بينهما ، تخطيا لعصر المنافسة والحرب الباردة ، ووصولا الى التفاهم المشترك حول المشكلات العالمية ، وفى مقدمتها مشكلات الأخطار التى تهدد البيئة ، فضلا عن المسببات السياسية للتوتر العالمى .

● ماقصرت عنه البريسترويكا :

غير أنه - رغم التغيرات الواسعة التى

شملتها "البريسترويكا" فى السياسة السوفييتية ، فإن موقفها من المسألة الألمانية ظل جامدا ، وفى كتاب جورباتشوف عن "البريسترويكا" ، يدافع عن استمرار وجود دولتين ألمانيتين منفصلتين . ومفهوم طبعا انه يصدر فى ذلك عن الأوضاع الاستراتيجية لكلا المعسكرين التى لايستطيع وحده المجازفة بتغييرها ، وإلا تصدى له العسكريون السوفييت على الأقل.!

ولكن المسألة لها وجه آخر سياسى ، فإذا كان التخلى عن حلم الشيوعية ، يحل محله بشكل منطقى التوجه نحو الاشتراكية الديمقراطية على نحو ما فعلت المجر أخيرا ، وبتحويل الحزب الشيوعى المجرى الى حزب اشتراكى ديمقراطى ، فالبريسترويكا لم تقصر فحسب فى توضيح ذلك من الناحية النظرية ، وإن كانت تقترب منه عمليا ، وإنما تجاهلت أيضا دعوة قديمة دعا اليها خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، وهى وحدة الحركة الاشتراكية العمالية ، باعادة توحيد جناحيها الرئيسيين ، وهما مجموعة الأحزاب الشيوعية ، والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب .

وذلك بعد أن أقر خروشوف فى ذلك المؤتمر ، بأنه قد أصبح فى الامكان الوصول الى الاشتراكية بالوسائل البرلمانية فى بعض البلدان ، وخاصة ذات التقاليد الديمقراطية العريقة ، ولم يستطع خروشوف الوصول الى نتيجة تذكر فى تحقيق هذه الدعوة ، وذلك لقصور فى وجوه عدة من سياسته الاصلاحية ، ولقوة شوكة المتشددين "الستالينيين" فى حزبه فى ذلك الحين ، وقد نجحوا بالفعل فى الاطاحة به بعد ثمانى سنوات من تزعمه للحزب البلشفى . وليس قبل مجىء سلفه ، ويستخرج منه تلك الدعوة الهامة الى وحدة الحركة الاشتراكية العالمية ، فهى أكثر ما تكون اتساقا مع سياسته فى البريسترويكا . واذا كان جورباتشوف يدعو على استحياء رفاقه فى شرق المانيا اتباع سياسة اصلاحية كالتى يتبعها هو فى بلاده ، فإن هذا الحديث يبدو وكأنه لامعنى له ، إذ لم يتطرق إلى احتمالات توحيد ألمانيا بشطريها بتوحيد الاشتراكيين على جانبيها .

● العلاقة بين الوحدتين :

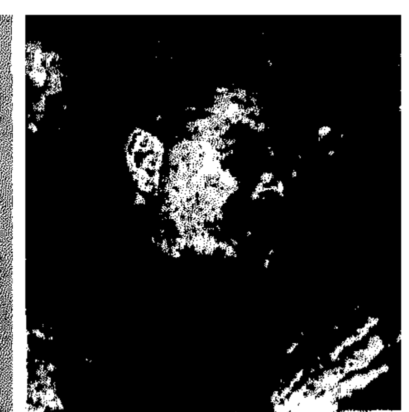
لقد كان أسوأ قرار اتخذته حكومة هونيكر الألمانية الشرقية فى الأيام الأخيرة التى شهدت تدفق المهاجرين من شرق ألمانيا إلى غربها ، هو رفض مجىء وفد يمثل الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، الألمانى الغربى الذى يتزعمه فيلى برانت الى برلين للتباحث مع حكومتها والحزب الشيوعى الحاكم فيها حول هذه المشكلة ، بدعوى أن ذلك تدخل فى الشئون الداخلية لجمهورية ألمانيا الديمقراطية ! رغم ان أجهزة الاعلام فى هذه الدولة الأخيرة كانت تعتز بالعلاقات الودية التى توطدت بين الحزبين فى الحقبة الماضية الأخيرة !

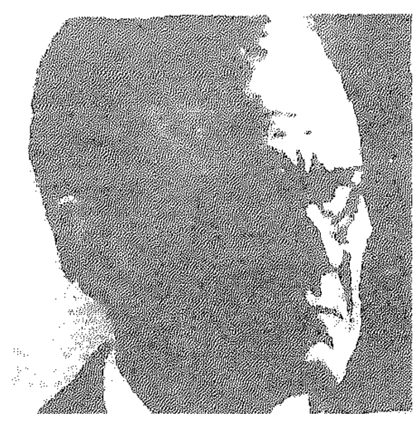
ولا مفر لى فى هذا الصدد من أن أشير الى رأى قديم سبق أن كتبته عام ١٩٦١ ، خلاصته أن نجاح الدعوة الى وحدة الأحزاب الشيوعية مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية على أساس

الاشتراكية الديمقراطية ، يمكن اذا تحقق أن تتم بمقتضاه الوحدة ما بين الحزب الشيوعى الحاكم فى شرق ألمانيا ، والحزب الاشتراكى الديمقراطى فى غربها ، وهو الحزب الذى يتداول الحكم فى ألمانيا الغربية مع الحزب الديمقراطى المسيحى . وقلت ان هذه الوحدة بين الحزبين لو تمت على اساس الاشتراكية الديمقراطية ، فمن المرجح جدا أن تكفل للاشتراكيين الأغلبية الدائمة فى سائر المانيا . وقلت إن مايحسبه السوفييت أو الشيوعيون عموما تضييعا لجزء من المعسكر الاشتراكى وهو ألمانيا الشرقية ، بالموافقة على توحيدها مع غرب ألمانيا بطريقة ديمقراطية ، يمكن أن يتحول إلى كسب ألمانيا كلها إلى الاشتراكية من خلال تلك الأغلبية المستقرة للاشتراكيين فى كلا الشطرين من ألمانيا ، ولاننسى فى هذا الصدد أن ألمانيا هى وطن كارل ماركس وفريدريك انجلز الفيلسوفين اللذين أوجدا الاشتراكية العلمية ، ولم يكن لنين وخلفاؤه الا تلامذة فى مدرستهما .

وإذا كان لنين قد أوقع الانشقاق فى الحركة الاشتراكية العالمية لرفضه اتجاه الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى غرب أوربا ، الى السياسة الاصلاحية ، فقد كانت تلك السياسة هى الاوفق مع أوضاع بلادهم ، التى استقرت فيها الديمقراطية من قديم ، وأتاح الازدهار الرأسمالى فيها ، مع جهود ونقابات العمال ، والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية رفع مستوى العمال فيها بحيث لم يعودوا يحتاجون الى الثورة ، على العكس من الأوضاع الروسية ، التى كانت كلها تدعو الى الثورة سواء الاستبداد القيصرى ، أو التدنى الاقتصادى للشعوب الخاضعة للامبراطورية الروسية والاستغلال المكثف الذى كانت تعانيه تلك الشعوب .

اختلاف ظروف كل بلد عن الآخر هو الذى جعل الحزب الاشتراكى فى روسيا ثوريا على طريقة لنين ، ويحمل اسم الحزب الشيوعى ، بينما معظم بلدان غرب اوربا لم يكن عمالها ولا أحزابها الاشتراكية الديمقراطية بحاجة الى هذه الثورة ، أما ألمانيا فقد ترددت بعد الحرب العالمية الأولى ما بين الاصلاح والثورة . وقامت فيها حكومة اشتراكية ديمقراطية بعد سقوط القيصرية فيها عام ١٩١٩ ، وهى التى كانت تعرف باسم جمهورية فيمار ، وحاول الشيوعيون الذين تأثروا بسياسة لنين ، بزعامة كارل ليبنخت ، وروزالوكسمبرج تحويلها الى جمهورية سوفييتية ، ولكنهما قتلا فى الطريق العام وفشلت تلك المحاولة الثورية التى فقدت مقوماتها الموضوعية ، وانتهت الأمور فى ألمانيا الى ظهور هتلر ، الذى أطلق على حزبه اسم "الحزب الاشتراكى الوطنى" ! ، وواضح أنه فى تلك التسمية كان يحاول تملق التراث الاشتراكى للشعب الألمانى ، رغم أن سياسته العنصرية الموالية للامبريالية كانت أبعد ما تكون عن روح الاشتراكية ، وإن كان قد استعار من الحزب الشيوعى السوفييتى فكرة الاستبداد باسم الاهداف الاجتماعية



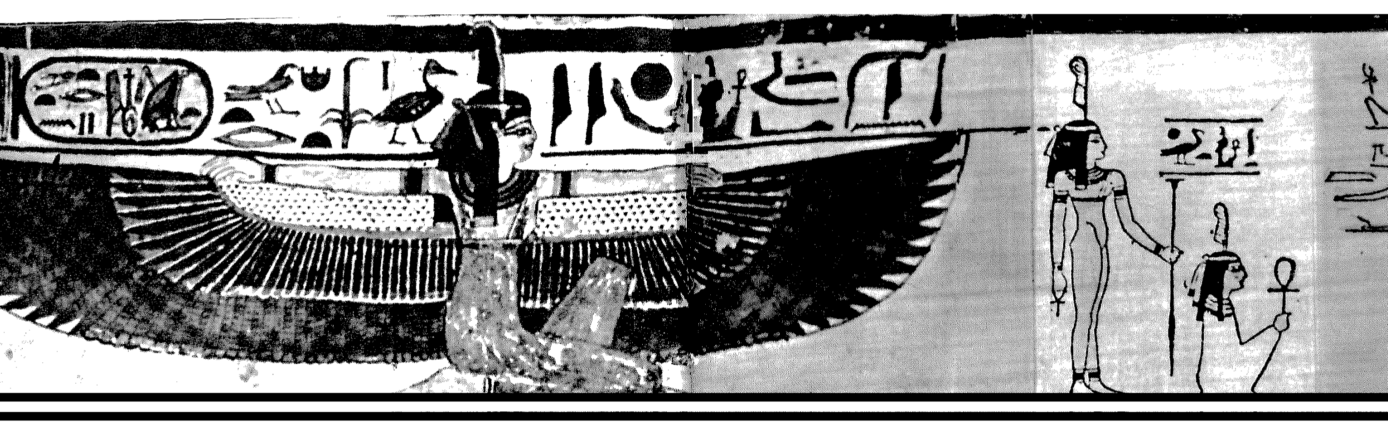



جورج بوش

وفكرة التنظيم الحديدى للحزب . وراح يردد كلمات لنين فى الزراية على الديمقراطية !

تلك صفحات من التاريخ أن ان تطوى ، وعلى الاشتراكيين فى شطرى ألمانيا ، أن يعيدوا ترتيب مواقعهم فى ظل الظروف الجديدة ، وسوف يكتشفون أن عناصر التقارب بين الفريقين ، أكثر بكثير من عناصر التباعد ، فمن الغريب أن يدور الحديث فى غرب أوربا عن الوحدة الأوربية ، ويدور الحديث على لسان جورباتشوف عن "البيت الأوربى المشترك" ـ أى الذى يضم شرق أوربا وغربها معا ـ ولايتحدث أحد من الفريقين عن وحدة "القاعة الألمانية" فى هذا البيت ! إلا إذا كان المعسكران بالفعل يخشيان هذه الوحدة كما تقدم فى أول المقال ، ويخشيان أن تتبع الوحدة ما بين شطرى ألمانيا ، الدعوة من جديد إلى سياسة "الأنشلوسى" ، أى وحدة المتكلمين بالألمانية جميعا ، بما فى ذلك النمسا ، وأجزاء من تشيكوسلوفاكيا والمجر ، وبولندا ، التى انتزعت جزءا من شرق ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية بموجب معاهدة بوتسدام ، وهو المعروف باسم منطقة "الاودر ـ نيس" ، وإن كانت حكومة بولندا الحالية التى تتزعمها نقابة تضامن لاتبدى مبالاة بذلك ، بل تدافع عن الوحدة بين دولتى ألمانيا ! ولعلها تعتبر أن حصولها على مساعدات اقتصادية من ألمانيا الغربية أهم من الاحتفاظ بالأودر ـ نيس ، بل إن كل جزء من بولندا يلحق بألمانيا سوف يكون أفضل حاليا مما هو عليه الآن من واقع التدهور الاقتصادى الشنيع ! وغير بعيد ايضا أن يكون ذلك هو التفسير المعقول لمبادرة المجر ، التى اتعظ حزبها برأس الذئب ـ أو الحزب الطائر فى بولندا ، وقرر التحول الى الاشتراكية الديمقراطية على طريقة : بيدى لابيد نقابة تضامن ! أقول مبادرة المجر الى تسهيل عبور الألوف من سكان ألمانيا الشرقية ، الى غربها وتبعتها فى ذلك بولندا وتشيكوسلوفاكيا .

قد يكون المعسكران غير راغبين فى اعادة وحدة ألمانيا ، فما بال الألمان ، وأنصاف الألمان فى شرق أوربا ؟!



ماعت ربة الصدق والحق والعدالة تفرد جناحيها رمزا للامان فى حراسة قبر الملكة نفرتارى

القضاء..

فى البرديات المصرية القديمة

بقلم : د. سيد كريم

المصريون القدماء اول من ابتكر نظام القضاء والمحاكم
المراة قاضية فى مصر الفرعونية

● ان عظمة مصر تتجلى فى تاريخ حضارتها ، قوام مدنيتها التى استمرت سبعة الاف عام ، عاشتها امة عظيمة موحدة ثابتة منظمة تخطو دائما نحو التطور والارتقاء .

● فالمصرى القديم شق طريق الحضارة . وعلى هذا الطريق وضع اول تجاربه الانسانية . وفى مسيرته الطويلة مهد مسالك الطريق وحدد معالمه . وفيه سارت بعده عدة شعوب مقتفية اثره واخذت منه الكثير من معالم الحضارة التى يعيشها العالم الآن .

فى مقدمة تلك التجارب الانسانية تجارب الضمير السياسى التى ارست نظم حياة المجتمع بمختلف ابعاده . بانجابياته وسلبياته بموجات من امجاده وجذر مراحل اضمحلاله .

المصريون القدماء كانوا اول من وضع نظام القضاء والمحاكم فى تاريخ البشرية . ذلك النظام الذى ارتبط بعقيدة التوحيد وتشاريع السماء .

ان لايمانهم واعتقادهم بان تلك التشاريع وما ارتبط بها من تعاليم واحكام وردت فى كتاب توحيد اوزوريس هى من عند الاله فلم يحاولوا تحريفها او تغييرها او تعديلها لقدسيتها ، مما كان له الاثر الواضح فى الحفاظ على كيان المجتمع وحرمة القضاء ومتانته .

لذا فقد عرفت مصر نظام القضاء والمحاكم على اختلاف مستوياتها مع قيام الاسرة الاولى التى وحدت القطرين **بتوحيد العقيدة** . وقام الحكم على نظام المؤسسات المدنية التى يسيطر عليها الملك والمؤسسات الدينية والثقافية التى يشرف عليها المعبد - وفى مقدمتها السلطة القضائية - حتى يكون القضاء ومقدساته مستقلا عن السلطة المدنية .

كان القضاة يتخرجون فى المعاهد الدينية بالمعابد حيث يتلقون علوم المعرفة المقدسة والعقيدة ويسخرون انفسهم لخدمة الاله والعدالة ولايسمح لهم بممارسة مهنة القضاء الا بعد حصولهم على اعلى الدرجات العلمية والدينية حتى



يصبحوا من « علماء المعبد المبجلين » قبل السماح لهم بالجلوس على المنصة المقدسة امام ميزان الحق والعدالة . ولضمان نزاهة القضاء ورسالته المقدسة عن الادارات المدنية والمالية بانواعها كان القضاة يتقاضون معاشهم بسخاء من خزائن المعبد حتى لايكون لاية هيئة اخرى سلطة او سلطان عليهم ضمانا لاستقلال القضاء ورسالته المقدسة .

كان الملك الذى يلقب « بنصف اله » تاكيدا لسلطانه يعتبر مسئولا امام الاله فى تنفيذ احكام المحاكم كما تحرم عليه العقيدة فى تغيير الاحكام التى يصدرها القاضى او ان يتدخل فى شئون القضاء ، وقد وصلت الينا كثير من البرديات من الدولتين القديمة والحديثة تبين حدود سيطرة الملوك على احكام القضاء من اروعها بردية « رخمى رع » وزير ورئيس حكماء الملك تحتمس الثالث ردا على قرارات اعتمدها الملك لتغيير بعض احكام المحكمة بناء على التماسات خاصة رفعت للملك . تنص البردية التى ارسلها القاضى للملك .

« ليس للملك الحق فى إلغاء قانون بامر . فكلمة الملك يجب الا تعلو كلمة الاله » فاعتذر الملك تحتمس للمحكمة رسميا وطلب من المحكمة ان تعفو عنه بدلا من أن تعفو عن المتهمين .

كما وجدت بردية مماثلة رفعت للملك سنفرو (الدولة القديمة) بناء على ثلاثة التماسات رفعت للملك . فاصدر قرارا بشأنها ثم اعتذر بخطاب رسمي عن تدخله فى اختصاص الاله الذى يمثله القاضى الذى اصدر الاحكام .

ان نظام المحاكم واجراءات المحاكمة فى مختلف عصور التاريخ المصرى لم تختلف كثيرا فى عصر عنها فى عصر آخر . ففى الدولة القديمة ــ بعد توحيد القطرين ــ كان هناك محكمتان رئيسيتان ــ محكمة الشمال ذات الدوائر الستة ومحكمة الجنوب ذات الثلاثين عضوا . كان قاضى القضاة (سبختى) يمثل الكاهن الاكبر حامى مقدسات المعبد فى كل من معبدى « اون » فى الشمال وطيبة فى الجنوب ، يرأس المحكمة العليا ومحكمة الدوائر ، وكان مقره بهو « خا » العظيم وهو المكان الذى تحفظ به السجلات الخاصة بوثائق الملكية وعقود التمليك الخاصة بالعقارات والاراضى الزراعية وملفات الوصايا وسجلات الحدود ووثائق العقود الخاصة بالزواج والتحقيقات الشخصية وكافة المستندات الرسمية لكى يرجع اليها عندما تتطلب احدى القضايا ذلك . اما المحكمة العليا فيطلق عليها اسم « بيت العدل الكبير » .

وفى الدولة الحديثة تعددت المحاكم الفرعية والنوعية التى تخصص كل منها لكل نوع من القضايا المدنية والجنائية والشرعية والاملاك العقارية والزراعية والضرائب والاحوال الشخصية . وكان قاضى القضاة يرسل مندوبا يمثل المحكمة العليا ليشترك مع هيئة المحكمة النوعية المتخصصة او المحاكم الفرعية .

وكان تاليف الهيئة القضائية فى المحكمة العليا (التاو) يختلف تبعا لنوع القضية كما يدعى له اعضاء من خارج هيئة القضاء كما هو متبع فى نظام هيئة المحلفين .

لم يكن نظام المحاماة معروفا في القضاء المصرى فكان القضاة يستمعون الى دعوى المدعى عليه وعند اصدار الحكم فى صالح احد المتخاصمين كان الطرف المحكوم عليه يطالب خصمه بقيمة اتعاب المحكمة ولم يكن هناك رسوم يدفعها المتقاضون مقدما عند رفع الدعوى . وكان المتقاضون يتولون الدفاع عن انفسهم وعن وجهة نظرهم ونقض التهم الموجهة اليهم امام المحكمة ، ويرى القضاة ان تلك الطريقة هى اقصر الطرق لمعرفة الحقيقة التى يعمل المحامون وشهود الزور على تضليلها .

ولم يظهر نظام المحاماة والوكلاء عن المدعين الا فى اوائل العصر الرومانى وكان يطلق على المحامى اسم الظهير او النصير .

كانت الاحكام تتبع نصوصا قانونية راسخة ومرتبة فى اربعين ملفا تكون على الدوام أمام القاضى عندما يجلس على منصة الحكم ولم يكن صدور الاحكام مبنيا على مطلق بل يرجع فيها القاضى الى الشرائع السماوية المبينة فى ملفات النصوص ـ التى وضعها الاله والتى تأمر بالعدل وانصاف البشر .

يصف المؤرخ ديودوريس علاقة الاحكام بالملفات المقدسة بقوله انه تبين من منظر لإحدى محاكم العدل فى الدولة القديمة وجود اربعة اخونة وضع على كل منها عشرة ملفات يختص كل خوان بنصوص مجموعة معينة من الاحكام ولاينطق القاضى بالحكم الا بعد الرجوع اليها حتى يتأكد ان حكمه لايجانبه الحق والعدل الذى امر به الاله وتضمنته النصوص .

كان للمحكمة رجال موثوق بهم يقومون

تمثال القاضى حمد جربك من الدولة القديمة يحمل صندوق تشاريع وأحكام الكتاب المقدس الذى يحلف عليه اليمين هو والمتقاضون قبل بدء المحاكمة

القضاء..

بالعمل كمفتشين لتفقد شئون الشعب وتصرفات الحكام . وكان اولئك يتجولون فى الاقاليم لسماع الشكاوى العامة والاطمئنان على نشر العدالة والحق وخاصة فى العلاقة بين الحكام ورجال الحكومة والمواطنين وتمكين الناس من رفع قضاياهم ووصول شكواهم الى المحكمة .

كما عرف المصريون نظام الجمعيات المهنية التعاونية ويطلق عليها اسم « السارو والكنبتيو » التى يشرف على ادارتها الكتبة البارعون فى ادارة الجمعيات والملمون بمبادىء الشرائع والقوانين الادارية ويقومون بحل مشاكل العمال قبل تحويلها الى المحاكم .

يحمل هؤلاء الكتبة الذين يديرون شئون العمال فى الجمعيات شهادة من المعبد الذى يتخرجون منه تثبت معرفتهم **بالقانون الالهى** الذى وضع للانصاف بين الناس فى مختلف شئونهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والادبية . ويقومون بحل المشاكل والقضايا الداخلية بالتصالح والتراضى بدلا من انتقالها الى مختلف الهيئات القضائية ومحاكمها واطلق المصريون القدماء على تلك الاجراءات اسم « **محكمة العائلة** »

نظرا للمركز السامى للقضاء فى الدولة كان بعض الملوك فى كلا الدولتين القديمة والحديثة يرسلون احد ابنائهم للدراسة بالمعابد للحصول على أعلى الدرجات العلمية فى المعرفة المقدسة والحكمة الالهية التى تؤهلهم للجلوس على كرسى القضاء من بينهم احد ابناء الملك سنفرو الذى اتم علومه هو نفسه بمعبد أون ، كذلك احد ابناء الملك اوناس وكثير غيرهم من ملوك الفراعنة والذين تقلد بعضهم أعلى مناصب القضاء .

تشير برديات القضاء بالدولة القديمة إلى وصول المرأة الى مراكز القضاء السامية فقد تقلدت الكاهنة « نفرايحى » رآسة محكمة ابيدوس للشئون الاجتماعية . كما ورد ذكر اشتراك المرأة فى اكثر من قضية ضمن هيئة المحلفين فى الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

مما يؤكد استقلال القضاء وهيبته عن السلطات المدنية فى مصر القديمة ـ ان قضايا القصر الملكى كانت تخضع للمحاكم العامة ولم تكن هناك حصانة لرجال القصر أو أمراء البيت المالك او كبار رجال الدولة وقد ورد ذلك فى اكثر من نص من نصوص القضاء . وكانوا فى كثير من الحالات يقدمون لساحة المحكمة كاى مواطن عادى . كما لم يسمح للمحكمة او اى من رجالها الانتقال الى مكان اقامة المتهم او المشكو فى حقه .

تضم برديات القضاء فى مختلف العصور الفرعونية الكثير من نماذج قضايا القصور منها على سبيل المثال المؤامرة التى دبرتها احدى نساء القصر فى عهد الملك رمسيس الثالث بالاشتراك مع بعض الامراء ورجال الحاشية والتى اصدر فيها كبير القضاة بالمحكمة العليا الحكم بالاعدام على بعض افراد العائلة المالكة والتى طلب فيها القاضى من المتهمين من رجال العرش ان يقوموا بتنفيذ الحكم بمعرفتهم وبايديهم اى

بالانتحار حفاظا على كرامة العرش .

هناك كثير من القضايا التى اقامها المواطنون ضد الملوك والحكام وانصفت به المحاكم المواطن الضعيف ضد الحاكم القوى ومن أروع تلك الامثلة قضية « الفلاح الفصيح.» الذى يصف فيها رجال الحكم والادارة بالظلم والتسيب وخيانة الامانة .

● **قوانين العقوبات والشرائع الالهية .**

يصف المؤرخ « كليمندس » مانص عليه القانون الجنائى المصري القديم من عقوبات واحكام والتى وردت فى الملفات المقدسة والتى لايقل عددها فى ملف واحد عن مائة وخمسين حكما من بينها :

عقوبة الاعدام : تطبق فى مقدمتها على شاهد الزور ومن يقتل النفس بغير حق ومن يقتل المواليد او الاجنة بعد ان ينفخ فيها الاله الروح ، من يقتل وهو يحمل سوط فرعون كما تطبق عقوبة الاعدام حتى الفناء على الابن العاق الذى يقتل اباه او امه ، والفناء يقصد به ان يعدم حرقا على الاعشاب حتى لايتبقى من جسده شيء يدخل المقبرة .

عقوبة قطع اليد : لمن يسرق مالا ليس له فيه حق . لمن يسرق مال اليتيم المؤتمن عليه . لمن يطفف فى الكيل والميزان . لمن يغش فى المعاملة او يزور المستندات . لمن تمتد يده للرشوة او المال الحرام . لمن يعتدى على حرمة القبور ويحاول سرقتها كما تصادر اموال السارق والمختلس لتعويض المجنى عليهم .

عقوبة الزنا : الجلد مائة مرة مع جدع انف الزانى والزانية .

عقوبة الاغتصاب : قطع عضو تناسل المعتدى .

الخيانةالوطنية : نقل المعلومات او الاسرار للعدو كانت عقوبتها قطع اللسان لما تنص العقوبات على كل ماحرمه الاله فى كتاب العقيدة (كتاب الموتى) ونصوص الشريعة بكتب تحوت اوكتب المعرفة المقدسة . كذلك العقوبات والاحكام الواردة فى اسئلة القضاة بمحكمة الآخرة .

استمر نظام المحاكم والاحكام بغير تغيير جوهرى ظاهر من بدء العمل به فى الدولة القديمة حتى نهاية عصر الاسرات اى مالايقل عن خمسة الاف سنة (تقويم مانيتون) عندما انكمشت



خاتم الاحكام ويحمل صورة طائر الايبسيى رمز الحكمة وريشة ماعت رمز العدالة والحق



سلطة القضاء فى العصر الآغريقى الرومانى عندما تدخلت السلطات المدنية فى شئون السلطة الدينية التى تسيطر على القضاء وتحمى استقلاله وحرمته وقدسيته ، وذلك عندما اعطى الحاكم الرومانى لنفسه سلطة او وظيفة قاضى الاستئناف ـ وكان يلى الحاكم فى منصب القضاء ثلاثة موظفين من الرومان ، كان هؤلاء الثلاثة يتحولون فى البلاد اثناء زيارتهم للاقاليم يعملون كقضاة لاستئناف الأحكام ونقضها تبعا لاهوائهم .

كما قام الرومان لأول مرة فى تاريخ القضاء المصرى نظام المحاكم المختلطة التى يشترك فيها قضاة من الاغريق والرومان مع القضاة المصريين لنظر القضايا التى تخص الاجانب ـ كما ابعدوا رجال الدين عن منصة القضاء حتى يمكنهم ان يختاروا القضاة من العملاء الموالين لهم .

● الثورة على العدالة .. ومذبحة القضاة

كان للعقيدة الفضل فى ارساء دعائم القضاء فى مصر القديمة ، تلك العقيدة التى وضعت اسس قوانين حياة المجتمع وتشاريع احكام قضائه التى نسبتها الى رسالات السماء . فاستمد منها القضاء كيانه وقدسيته وسلطانه . وكان للقضاء واستقراره دوره الفعال فى بناء حضارة المجتمع وازدهارها عبر الاف السنين .

لم تكن هناك فرصة للنفوذ الى سلطة القضاء والاعتداء على حرمته الا بالاعتداء على العقيدة نفسها ورفع حصانتها عنه . وهو ما امكن تحقيقه عند قيام الثورة الشيوعية الاولى فى التاريخ ـ فى مصر الفرعونية عام ٢٢٨٠ ق . م فى اعقاب الاسرة السادسة ـ اطلق عليها الفراعنة اسم « ثورة الرعاع » ووصفتها كتب التاريخ « بعصر الاضمحلال » لقد وضعت تلك الثورة مبادىء الشيوعية التى تبنتها ونادت بها ثورات العالم الحديث . فى مقدمة الشعارات التى نادت بها الثورة تحرير الناس من قيود العقائد والاديان وعبادة اله السماء .

تشير احدى برديات منشورات الثورة الى الثورة على الاديان بقولها « الاله مات فى السماء وانتهى وجوده بعد ان خلق الارض فليس له او لتعاليمه سلطان على البشر . فالتعاليم والقوانين يصدرها الحاكم الحى الذى يعيش فى الارض وليس الحاكم الذى لا وجود له فى السماء او فى الارض ».

بدأت الثورة كما ورد وصفها فى برديات كثير من الحكماء والكهنة بمنع العبادة وتخريب المعابد واغلاق المحاكم واعتقال القضاة .

ويصف الكاهن الحكيم « ستب حتب » الثورة على القضاة بقوله كره الحكام القوانين ـ اصبح كل لسان يحكم . وكل لسان يتكلم . تحولت الكلمات الى السنة من نار فى قلب الانسان نار تحرق كل شىء .. تحرق الحق والعدالة .

صاح سادة الرعاع لتسقط العدالة ولامكان لماعت .

خرج المجرمون واللصوص ليجلسوا على منصة القضاء المقدسة وفتحت ابواب السجون ليدخلها القضاة الابرياء .

من كانوا يجلسون على الارض فى ظلمات السجون

جلسوا على المنصات العالية

ومن كان يجلس عاليا فى النور انتقل الى ظلام السجون .

ذبحوا العدالة قربانا لشياطين الشر فاشتعلت نيران الظلم لتلتهم كل شىء .

ويصف احد مؤرخى الثورة اضطهاد رجال الثورة للقضاة لاعتماد الثورة على الرعاع من اهل الثقة لا على المثقفين من اهل الخبرة والمعرفة ـ وفى مقدمتهم القضاة لانهم ينتمون الى طبقة المثقفين واهل المعرفة المقدسة المبجلين الذين عرفوا بقوة ايمانهم وكانت لهم مكانة مقدسة فى نظر الشعب ، لذا فقد وضعتهم الثورة فى قائمة الطبقات المميزة التى حللت دماؤهم وثرواتهم وحرموا من حقوقهم المدنية .

لقد استمرت معركة القضاء مايقرب من ٧٥ سنة تبادلت منصة القضاء ثلاثة اجيال من القضاة تعرضت المحاكم خلالها الى مختلف التجارب والاجتهادات . حتى عاد للقضاء مكانته وهيبته القديمة واحكامه وتشاريعه السماوية بعد ثورة التحرير . التى قادها امنحعت الاول فى الاسرة الثانية عشرة وجعل شعارها الايمان والعلم وعادت المحاكم فى تشاريعها ونظمها الاولى .



المصرى القديم اول من شق طريق الحضارة .. وعلى هذا الطريق

● القاضى وميزان العدالة فى برديات الحكمة وكتب الموتى

لقد حوت برديات الحكمة المقدسة التى تسجل اقوال الحكماء ونصوص كتب الموتى العديد من الحكم والنصائح والتعاليم المرتبطة بمسئولية القاضى الذى يمثل الاله الاعظم امام ميزان العدل فوق منصة القضاء المقدسة ومنها ماكانت تزين به قاعات المحاكم ودور العبادة منها على سبيل المثال بردية الحكيم « آنى » صاحب بردية كتاب الموتى ومحكمة العالم الآخر المشهورة ويقول فيها :

● **أيها القاضى .. ان تصعدك مقدس انك تمثل الاله فى الارض الذى حلفت اليمين بين يديه لتحكم بين الناس ما امرك الاله به . انك تحاسب الناس على**

القضاء..

اعمالهم فى الدنيا وهو سيحاسبك على اعمالك فى الآخرة. لاتنطق بغير الحق .. وزن نطقك بعقلك لا بقلبك قبل ان ينطق به لسانك. انك الميزان الذى تزن به اعمال الناس لتحاسبهم على اعمالهم. وهو الميزان الذى سيزن به الرب احكامك ليحاسبك عليها لسانك هو الميزان. وقلبك هو الثقل وشفتاك هما كفتاه.

لاتنطق بالحكم قبل ان تتأكد من سلامة الميزان ولاتنس ان عين الرب لاتغفل عن مراقبتك لاتنس ان تحلف اليمين. قبل ان تطلب ممن تحاكمه ان يحلف اليمين.

آنى ١٨٠٠ ق . م

● ايها القاضى اياك ان تكون احكامك مبنية على راى مطلق. بل ارجع فيها الى الشرائع المرسومة التى تأمر بالعدل وانصاف الناس التى وضعها الاله فالاله يأمر بالعدل والاحسان والانصاف ولايرضى بالظلم والانحراف عن الحق ولتبنى رايك فى البت فى الامور بالاسانيد والبراهين العادلة التى يبهج بها ضميرك.

رحمى رع

● ايها القاضى لاتجلس امام الميزان لتحكم بين الناس .. الا وكنت سليم القلب .. مطمئن النفس صحيح الجسد .. مستريح الضمير.

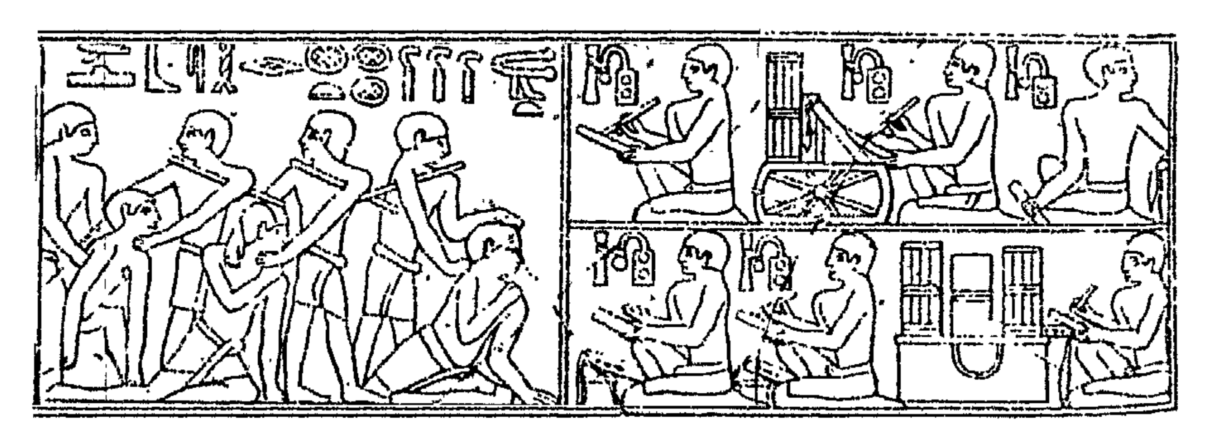
سنب حوتب ٢١٠٠ ق . م

● ايها القاضى .. انظر الى من تعرفه اكثر من نظرك إلى من لاتعرفه واستمع الى من لاتعرفه اكثر ممن تعرفه لاترد سائلا قبل استماعك الى شكواه كاملة استمع الى صوت المظلوم ولاتترك صوت غضبك يصم اذنيك عن سماع صوته. لاتنس ان همس المظلوم عند الاله اعلى صوتا.

ايبيور ٢٢٨٠ ق . م

● ايها القاضى : اياك ان تنطق بالحكم وانت مدفوع بكيد أو غيظ ومايقربك من دوافع الظلم. لاتستمع الى صوت غضبك حتى لاتسقط ريشة ماعت من يدك ليحل محلها سوط فرعون

محكمة الضرائب فى الدولة الحديثة ١٨٥٠ ق . م المتهمون فى ساحة المحكمة امام القضاة وكتبة تسجيل الاحكام



فالاله يامرك ان تتخلى عن مكانك لمن هو اقدر منك لتنفيذ تعاليمه حتى تترك الحكم للاله فتكسب رضاه ولايختل الميزان فى يدك .

الحكيم كاجمنى ١٢٠٠ ق . م

● ايها القاضى . رحب بالاستماع الى من يتقدم بمظلمته . شجعه ليفضى إليك بما عنده ودعه ليفصح لك عما فى قلبه ان يشك فى وجهه واظهار العطف عليه يحملانه على قول الصدق والاعتراف بالحق ولو كان فى غير مصلحته ان من سمو الاخلاق وحسن التربية الاصغاء له فى حلم وسماحة وعطف ان الميل الى احد المتخاصمين رجس عند الاله .

برديات عنخ اى ١٨٥٠ ق . م

● ايها القاضى .. اذا جلست امام الميزان فالتزم بالحق المطلق بين الناس جميعا لافرق بين غنى وفقير . ومالك ومملوك لاتمالىء الاغنياء على حساب الفقراء ولا تمالىء الاقوياء على حساب الضعفاء لان الناس اذا ما اختصموا سواسية .

برديات طيبة ١٧٥٠ ق . م

● ايها القاضى : اذا جلست على منصة الحق ضع ميزان العدل امامك والق ظلال الظلم خلف ظهرك .

لاتمد يدك لتغير حركة كفتى الميزان بغير حق .. فعين ماعت تراقبك فمثقال الظلم الذى سيضعه بغير حق فى كفة الميزان سيحملها تحوت ليضعها فى ميزانك فى محكمة الاخرة .

سنب حوتب

كما وضعت برديات الحكمة المقدسة ليهتدى بها القاضى الذى يمثل الاله فى احكام الحياة فقد اشتملت نصوص العقيدة واحكامها وحكمها على الكثير من النصائح التى يختص بالشهادة منها

● لاتقل سمعت ولم تسمع باذنيك ولاتقل رايت ولم تر بعينيك ، ولاتقل علمت ولم تعلم بمعرفتك حتى لايكبل الزور شهادتك عند وضع قلبك فى الميزان .

فالميزان الذى ورد ذكره وصوره كتاب التوحيد المصرى القديم وهو يتصدر محكمة الاخرة اتخذه المصريون القدماء رمزا للقضاء وشعارا للمحاكم ودور العدل ... نقلته الحضارات الاغريقية والرومانية والاسيوية من مصر عبر السنين حتى اصبح رمزا للعدالة والمحاكم فى العالم اجمع الى يومنا هذا .

ميزان محكمة الاخرة : يوضع قلب المرء فى احدى كفتيه وريشة ماعت فى الكفة الاخرى



ستون عاما رائدا للقصة

بقلم: محمد روميش

رحلة كفاح طويلة قضاها الاديب الكبير يحيى حقى ، تمثلت فى ثلاثين كتابا بخلاف المترجمات ، اشرف على اعداد ومراجعة عدد كبير منها الاستاذ فؤاد دوارة .

وليحيى حقى فضل على عظيم ، فقد عشت ، والحياة غضة ، مع قنديله ، اتشرب صياغته ، وانتقاءه للكلمات ، وسبكها ، وتصاريف الاقدار ، يصنعها لبطله ، وتصوير حركة الجموع ، جموع ميدان السيدة زينب العتيد .

وبهذه القصة ، قنديل ام هاشم ، اشتبك مباشرة مع مشاكل (النظرية) و (التطبيق) فهذا (الغرب) الذى جاءنا غازيا بجيوش نابليون ، وقاومه علماء ازهرنا الشريف ، وفى نفس الوقت ، أثار (الغرب) اعجابهم بمكتشفاته العلمية ، ومنذ محمد على ، فى أول القرن التاسع عشر ، ابتداء من رفاعه الطهطاوى حتى توفيق الحكيم ولعله حتى اليوم ، والجدل قائم « ماذا نأخذ من هذا الغرب ، وماذا ندع ، وأخيرا ، قويت الصيحة التى تنادى بأن ندير ظهرنا اليه ، ونلتفت الى بعض تراثنا ، ورغم ان يحيى حقى يرى فى احاديثه المباشرة ان نلتفت الى التراث ، فانه فى عمله الفنى « قنديل أم هاشم » يقول لنا ، ماذا نأخذ ، وماذا ندع ... هو ابن مخلص من ابناء المدرسة الحديثة فى القصة المصرية القصيرة ، التى افرزها المجتمع المصرى بعد ثورة ١٩ ، وفى القصة القصيرة ، حاول ـ على مهل ـ وبروح فنانى عصر النهضة ، خلال اكثر من نصف قرن ، أن يطلعنا على صورة لوجه الانسان ، وروحه ، ويكتشف ـ ونحن معه ـ عمق وتشعب حياة الانسان النفسية وتشابكها ، وفى هذا المجال من الابداع ، قدم مجموعات قصصية « قنديل ام هاشم » « دماء وطين » أم العواجز «عنتر وجولييت » « الفراش الشاغر » « سارق الكحل » ..لم يقف عند القصة القصيرة روحه الحرة الطليقة ، وحبه للناس ، الناس المساكين ، الغلبانين ، كما يقول هو ، قاده الى اكتشاف ، فن جديد « اللوحة



يحيى حقى





لقطة من فيلم قنديل ام هاشم قصة يحيى حقى

القصصية » وخلال هذا الفن الجديد ، عمق معرفتنا بالنفس البشرية ، وقدم « ناس فى الظل » ـ « عطر الاحباب» ولوحات حية فى رواية « صح النوم » ... فى قصة « البوسطجى » كان رائدا لشكل جديد من اشكال الكتابة القصصية ، اذ كان اول من استعمل طريقة « الفلاش باك » فبعد بداية القصة من حدث معين ، يعود القاص الى ما وراء هذا الحدث ويسترجع ماقات فيكسر بذلك طريقة السرد الاستطرادى الممل .

● رؤية مبكرة ●

... وبرواية « صح النوم » ١٩٥٤، وفى الوقت الذى صمت فيه اغلب المبدعين ، يحاولون استكناه توجهات ثورة ١٩٥٢ ، قدم يحيى حقى رؤية مبكرة ، وفضلا عن اللوحات الانسانية، التى قدمها لشخوص الرواية ، فانه قد حذر من انطلاق اجهزة الامن ، تكسر حصانة الفرد ، وحصانة المسكن ، ففى غياب الراوى ، يقتحم مسكنه ، وتحمل أوراقه الخاصة الى « الاستاذ »

... « عاشق اللغة » صفة تأخذ طريقها ، لتنتسب الى يحيى حقى ، دون مشاحه ، فهو مجاهد من مجاهدى اللغة العربية الفصيحة ، ويرى ان قواعد اللغة العربية للمساعدة على الفهم ، ولان اللغة افصاح ومن واقع حرصه الشديد على أن تؤدى اللغة وظيفتها ، وان تتطور دائما ، ينبثق سماحه باستعمال كلمة عامية تحمل شحنة نفسية وأدائية ، لا تحملها كلمة عربية فصيحة .

... له تجربة ، تجربة حياة ، وتجربة شكل أدبى ، ولعله يأسى أحيانا الا يلتفت اليها، كتب مقطوعات، فيما عرف بعد ذلك بقصيدة الشعر المنثور ، وقصيدته المنثورة ، اثنتان وثلاثون مقطوعة ، ولم اكن ادرى ، ان مقطوعة ناقصة ، لتكتمل مسبحة،ثلاثة

وثلاثون حبة ، وان الحبة الغـائبة ، هى فتاته النحيلة السمراء ، التى هجت منه وراحت ، لتتبدى فى قنديل ام هاشم تتمسح قضبان مقصورة الست ثم نراها فى رواية « صبح النوم » روحا قلقـلة متوفزة ، حاملة لجسدها العـــذاب الابدى ، وكانها التناقض الحى بين الفن وملالة الحياة .

● عناية بعناصر الفن ●

.. صاحب تجربة رائدة ، فى النقـــد الادبى الاجتماعى « انظر نقده لعـودة الروح واهل الكهف سنة ١٩٣٤ ، ثـم عاد فاولى اهتمامه بعناصر الفن وحده وجوانب الجمال من لغة واداء وتكنيك، وفى كتاباته يســتعمل اصــطلاح « المشكلات الروحية » محل « المشكلات الاجتماعية » انظر « خطوات فى النقد» و « انشودة البساطة » و « هـــذا الشعر » وقد اصل لفن القصة المصرية الحديثة فى ادبنا ، بــكتابه الرائد « فجر القصة المصرية » .. صــاحب مدرسة افراد ، حين تولى رئاســـة تحرير مجلة « المجلة » كانت مغلقة على الدراسات شبه الاكاديمية ، ومـــع محافظته على شعارها « سجل الثقافة الرفيعة » فتح صفحـــاتها للابداعات الجديدة ، وساهم فى التمكين لجيــل جديد من الكتاب ، عرف فى تاريخ النقد الادبى بجيل الستينيات .

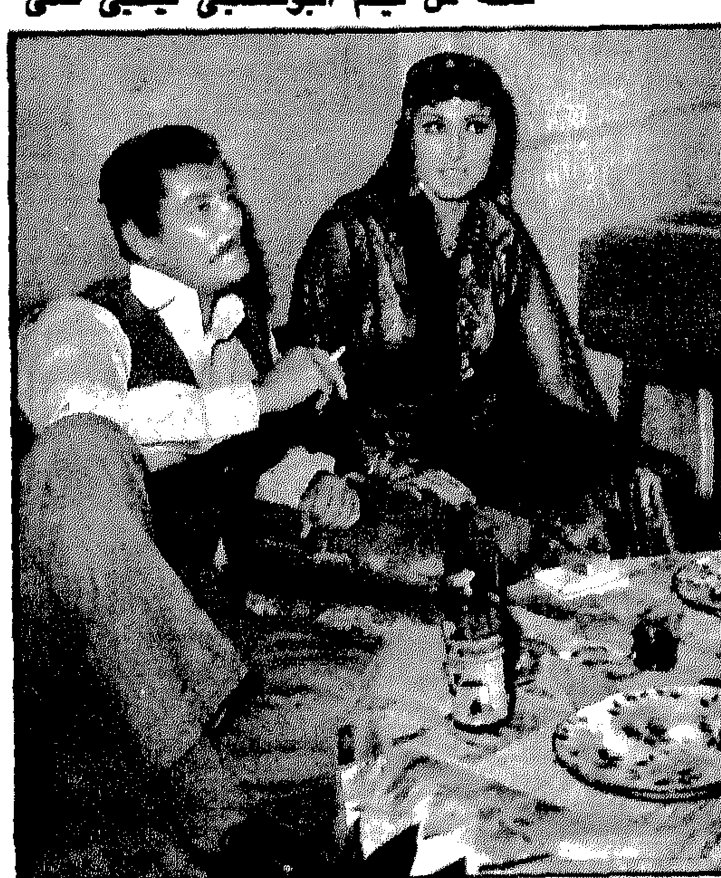
.. اذا صعدنا بما عرف باصطلاح الفن الشعبى من غناء ورقص وموسيقى وسيرة ودراسات ، فالبذرة هنـا عند يحيى حقى ، اذ بمصوغة الدولة ، فى عهد الثورة اكتشف بجهوده مع نفـــر من الفنانين اعدهم ، هذا الفن الخصب الجميل « يراجع كتابة يا ليل يا عين » .

.. اختار سنتين من حياته قضاها معاون ادارة فى منفلوط ، وكتبهمـــا سيره ذاتية « كتابة خليهـا على الله » تقف مع « يوميات نائب فى الارياف » لتوفيق الحكيم ، « الايام » لطه حسين

... قال عن نفسه فى « اشـــجان عضو منتسب » .

« عالجت معظم فنون القول من قصة قصيرة ورواية ونقد ودراسة أدبيـــة وسيرة ذاتية ومقال أدبى ، وترجمـت عددا من القصص والمسرحيات ، ولكن تظل القصة القصيرة هى هواى الاول .

لقطة من فيلم البوسطجي ليحيى حقى





شعرية البنفسج

بقلم: د. صلاح فضل

للشاعر حسن طلب ديوان مثير حديث بعنوان « سيرة البنفسج » ، وقد آثرت ان ابدا به مقاربة نقدية لبعض نماذج مجموعة « إضاءة » وهم جماعة من شعراء الحداثة المصـرية عرفوا طريقهم للنشر فى السبعينيات فاخترقوا جدار اللامبالاة الرسمية والتمزق القومي بتجربة فريدة ، لا تعتمد على صياغة ايديولوجية مسبقة ، ولا ترتكز على تنظير نقدى لاحق ، بل ترتجل خطواتها فى كثير من الجراة والجسارة ، محققة درجة عالية من الانجاز المتميز فى جماليات القصيدة العربية بطريقة عفوية اصيلة ، وإن تباعدت بينهم بعد ذلك المصائر والسبل ، ولعل هذا التخالف الفردى الذى يجعل كلا منهم عالما مستقلا بذاته لا يجمعه مع الآخرين سوى إرادة الخروج على التيار الشعرى السائد بشقيه المجدد والمحافظ هو السبب فى ضعف تاثيرهم على الجيل اللاحق بهم فى الثمانينيات ، بحيث لم يعد من الممكن ان نتحدث عن مدرسة شعرية بالمفهوم المنهجي الصحيح ، وإنما هى طرائق فى معاناة الشعر ومعاينته فى العصر العربى الحديث ، يجمعها حس مشترك بالتمايز ورغبة ملحة فى تجديد « الموقف » الشعرى .

وعندما نتأمل هذا الديوان الصغير الأنيق الذى يحقق فيه الشاعر قدرا كبيرا من الاتساق عبر وحدة الدال مع تعدد المدلول ، أى باتخاذ البنفسج منطلقا متماسكا فى قصائد الديوان كرمز لغوى وكونى لجملة من التجارب الشخصية والقومية الحميمة يتكىء عليها فى تجميع خيوطه وتكثيف صوره وتكوين عناصر شعريته ، فإن هذا يسمح لنا بأن نحاول اكتشاف ملامح

هذه الشعرية الخاصة .

● اختزال

ولعل أبرز هذه الملامح يتمثل فى نزوع واضح للاختزال على مستويات عديدة ، ومعايشة حميمة للصيغ التراثية القارة فى الوجدان العربى ، مما يضعنا أمام مفارقة أولى فى التجديد عبر القديم من ناحية واستحضار أوضح فواعله وإعادة تركيبها لتقديم التجربة الصامتة من ناحية أخرى ولنتتبع بعض مظاهر هذا الاختزال فى أولى قصائد الديوان حيث يقول : ـ

عن عنبى ردى خيلك
انى سوف بأكثرك أرد أقلّك
وبهتانك .. منهلك
ويلى منك
ومنى ويلك

أحببتك حبا :

لوقد تحتك كان أقلّكِ
أو لوقد فوقك كان أظلك
أو لو قد حولك
من لى بك .. بى من لك ؟

فالشاعر يختزل أفعال الكينونة « لو قد ـ كان ـ تحتك » أو « لو قد ـ كان ـ فوقك » أو « لوقد ـ كان ـ حولك » كما يختزل جواب الشرط الأخير ، فتدخل « قد » على الظرف مما يكسر نمط التعبير اللغوى المألوف ، لكنه لايخل بالدلالة ، إذ يقوم تكرار فعل الكينونة فى جواب الشرط بالافهام وجبر الكسر ، ويلغى الثرثرة التى لاطائل من ورائها ، يعود باللغة الى حالتها الاشارية الأولى ، فى إيجازها دون إلغازها ، فى إفهامها دون تمددها المادى الكثيف الى قدر من شعريتها فى الايماء واختزال التركيب الى أدنى حدوده ، وهذا هو نهج الصياغة القديمة على وجه التحديد إن هذا الشرط المبتسر كان جديرا بالشاعر القديم أن يقترفه فى كده المتواصل للنحت اللغوى المحكم ، لكنه يبدو كما لو كان مساحة غفلا فى هندسة التراكيب يكتشفها ليستثمرها الشاعر المحدث .

لكن هذا المظهر الأول للاختزال فى التركيب يكشف من ناحية أخرى عن ولع شديد بمعايشة الصيغ التراثية واستحضارها من مجالاتها الدينية والشعرية فرد الخيل عن الكروم ذات عطر صوفى ، والأكثر والأقل من عبارات الفلسفة ، والعنان والمنهل كلمات من شعرية التراث ، والويل عبارة قرآنية مهما تقلبت أعطافها ، وهى ذات تاريخ طويل فى صيغ الشعر القديم أيضا : « ويلى عليك وويلى منك



الشاعر حسن طلب

يارجل » أما المقطع التالى فكل كلماته تتنفس من خلايا التراث الحميم ، فالحب الذى يقل كالمركب أو يظل كالسحاب أو يلف الكون .. ليس موسوما بخاصية العصرية ، ولاينتمى بالضرورة ليومنا الأخير ، لايحمل سمة هذه اللحظة التاريخية التى نعيشها ، إنه حب « لازمانى » « ولا مكانى.» يخرج من لغة الأمس ويظل مقتصرا فى حياته عليها ، إن تراثية الصيغة لاتجدل فى نسيج محدث لتصنع مفارقة كاشفة عن موقف جديد ، كما كان يفعل أمل دنقل مثلا فى صلواته الشهيرة ، ثم إن هذا التخالف فى ترتيب الكلمات فى البيت الأخير لايفضى لشىء ، إنه مجرد دليل على مهارة الصائغ واتقان ماكان يسمى فى النقد القديم بالسبك اللغوى ، لكنه يظل تفتيتا لجزئيات اللغة واعادة لرصفها ، تكوينا لأشكال فسيفسائية جديدة قديمة ، هل سمى قصيدته « فسيفساء » إدراكا لذلك ؟

هذه فى تقديرى المشكلة الرئيسية فى شعرية حسن طلب ، قدرة فائقة على النظم ، واتقان عظيم لتوافقات الايقاع الخارجى ، وامتلاك مدهش لناصية اللغة ، لكن الوعى بتغير المجتمع والعصر ، الحس العميق بالوضع الانسانى الجديد لا تسعفه الوسائل التقنية الجمالية التى استهلكها القدماء فى الاختزال والتقليب ، بل تصمت عنه صيغهم الأثيرة ، مالم توضع فى حالة تَحدٍّ واضح للبنية القديمة ، فتظل الدلالة مجرد تنويع على اللحن المأثور .. دون أن تقدر على استراق السمع لمنظومة الحياة الصاخبة الحديثة ، لأنها لم تتخذ أجهزة قادرة على ذلك فى التكوين الرمزى والتصويرى النابتين من التكوين اللغوى الأولى ، إن خمر

الشعر الجديدة لايمكن أن تصب فى دنان قديمة على عكس ماهو شائع ، بل لابد من هندسة جديدة لهذه الدنان تفيد من معطيات التقدم فى علوم الطبيعة والضوء والمادة والكيمياء لتفرز اشعاعها الذى لم يسبق من قبل ..

● تسمية البنفسج

يعيد الشاعر تسمية الأشياء والحالات كى يجعلنا نتعرف عليها من جديد ، يخلع عنها ما ألفناه من أوصاف كى يكسوها مرة أخرى فتتجلى أمامنا ، فهو خالق دوال تعيد تكوين مدلولات ، ومن حقه حينئذ أن يصنع ماشاء بدون شرط ، لكنه فى نهاية الأمر يحدث فعله فينا ، يتم عمله علينا ، يهبنا نعمة هذه التسمية ، فان لم يقدر لم يتحقق الشعر ولم تثمر الشعرية .

والبنفسج عند حسن طلب دال جديد ، ليس تلك الزهرة الشجية الباكية الحزينة فحسب ، ولا علاقة له بالحالة الرومانسية الأسيانة الخجول عند الشعراء السابقين ، إنه إكتشافه يكتب سيرتــه فى ديوان ، لكن المشكلة أنه يكاد يطلقه على كل شىء ، فتفقد التسمية فعاليتها المخصصة ، وتأثيرها الحقيقى ، فمنذ أطل علينا هذا الدال فى الديوان فى قصيدة « بنفسجة من مرسى مطروح » وهو مجرد وردة مثل كل الورود ، لكنها ذات طبيعة نورانية متراوحة ، ليس لها وجود حسى مائز ، ولا دلالة رمزية خاصة ، وعندما تصبح البنفسجية صفة تنعت بها القصيدة تمعن فى محاكاة المتصوفة الأقدمين ، إذ يحدث عنها الشاعر بقوله :

أسلمنى الطيف الى الحرف ..
فلذت بالاء الياء
كانت تتبرج فى مستويات الضوء الحى
وتاخذ زينتها من أبهة الماء

ومن ثم تقع فى فراغ عوالمهم وحرفية لغتهم .. إذ تبهرها ملاحة الكلمات وهى تتناسخ وينسلخ بعضها من بعض ..

ماكل حبيب أمسك بعد استرسال ..
سالَ ..
وتساءلت لمن أشكو فى حلى أو ترحالى .. حالى ..

حتى يفضى الحال بالشاعر الى لون من الحلول الكونى يصبح البنفسج رمزا لمزيجه من الألوان :

القمح العشب الروح المرج الزيتون الماء ..
وى لكأن الكون ـ اللون تبرج ..
فاتحد الأزرق بالأحمر .. ثم توهج ..
صار بنفسج

وعلينا أن نضرب صفحا عن مناقشة ما أطلق عليه بنفسجة الجحيم وملأ به السطور المحيطة ببضعة أبيات عمودية بشكل بصرى مرهق من توافقات مكانية لكلمات غير متسقة ليعبر فيما يبدو عن انعدام التلاؤم والجمال .. فهذه مجرد حيلة أو تعويذة لاتنتمى بجدية لعالم الشعر الحقيقى .. إنها تعقيدات النظم وألاعيب الرصف التى عزف عن مجاراتها الشاعر منذ أن اتخذ سمت الحداثة .. ورجوع حسن طلب اليها انتكاس لامبرر له ولا غناء فيه ، فحتى لو اعتبرنا ذلك لونا من العبث لما كانت له دلالة على عبثية حياتنا كما يعانيها كبار المبدعين الجادين ، وتسميتها بنفسجة إمعان فى هذا التفريغ الدلالى ، وتضخيم المشار اليه فيها حتى ليصبح هو الجحيم ذاته ، إنما هو من قبيل الصراخ المبحوح لفجيعة غير منظورة ، ولايعدو هذا الشكل فى نهاية الأمر أن يكون مجرد تقليد أجوف لتقليد ميت فقد ناره ، وحرارته بانتهاء عصره منذ أصبح الجحيم هو الآخرون فى فلسفة الوجود الحى وحس الفنان المعاصر ، لقد جفت فى يده بنفسجته وتناثرت أشلاؤها بددًا .. فإذا تتبعنا ماصنعه الشاعر بهذا الدال بعد ذلك وجدنا أنه يصر على إطلاقه على كل شىء .. فمرثيته مثلا للشاعر فوزى العنتيل يسميها بنفسجة الغياب ، فلا يزيد شيئا عن كلمة مرثية إلا اطلاق تسمية لافتة ومفرغة ، وقصيدة « بنفسجة الى لميس » تعنى غزلية ، فهى تكرار لكلمة قصيدة .. أما البنفسجة التى كتبها للوطن .. وقد أرخها الشاعر فى أكتوبر ١٩٨١ أى عقب حادث المنصة فى أغلب الظن فهى محيرة حقا ، لأنها تصر على اتخاذ السمت القرانى ، لكنها تحفل بلون خاص من التناقض الداخلى الحميم ، إذ تستنفد طاقتها الشعرية فى كلمات مكبوتة متفجرة ـ كأن الشاعر يطلق بها رصاصاته :

وطن : وطن مستطاع ونهر مطيع ..
بلدة : بلدة عدة .. وقطيع جميع ..
وردة : وردة فردة وأريج أجيج ..
وماء فرات وماء خليج .. وكون مزيج ..
وردة : آه ما أنت من وردة ..
بلدة ، هجدة ..
سجدة مدة وهجود وجود
وناس مصلون .. ناس حجيج ..
وحزن بهيج ..

وليغفر لى الشاعر الاخلال المقصود بترتيب الأبيات كتابة على الصفحة .. إذ أننى لا أقصد من ذلك ارجاعها وهذا الأسلوب فى النظم الى طريقة الكتابة الشعرية فى العصر المملوكى المتدهور .. ولا الاشارة الى قوة استثمار الطاقة الايحائية للقافية الداخلية والخارجية ، وإنما أرمى من وراء اعادة توزيع الكلمات الى اثارة الشعور الواضح لدى القارىء بالطابع الاسمى المفرط لهذه التراكيب ، فهى تخلو تماما من وجود الأفعال ، ومن ثم

فهى معادل لغوى مكثف لحالة الاستلاب الشامل التى يريد الشاعر أن يغرقنا فيها ، ولانستطيع، ونحن نردد أبياتها أن نمنع أنفسنا من ترداد الموتيفة الأصلية « بلدة آمنة ورب غفور » لاحظ ختام القصيدة « رعدة رعدتان : الأمان الأمان » لتدرك أن ما انتهى اليه الفلاسفة المحدثون من التمييز بين نوعين من الوجود ، يعتمد أحدهما على التملك والآخر على التحقق والكينونة طبقا لمصطلح « إريك فروم » يمكن أن يشرح لنا البعد الدلالى لهذا التكوين اللغوى المسرف فى اسميته ، الخالى تماما من أى أثر للممارسة المتوازنة للفعل فى الحياة ، فهو يعزف عن الاشارة للواقع التاريخى بهزاته المثيرة المباشرة ، لكنه لايملك فى نيته اللغوية الا أن يعتبر تعبيرا مستلبا عن حالة التشيؤ التى قرت فى وجدان الشاعر وحفزته الى الاستنجاد فى المستوى اللغوى بالصيغ القديمة واستثارة شكل التثنية الصرفى فى « سورة الرحمن » مما يعمق الحس الغيبى فى مواجهة الأحداث ويطمس امكانية الخروج من هذه الدائرة ، وأخيرا فان تسمية الوئام بالبنفسج فى القصيدة التالية « فى عروبة البنفسج » لاتقدمنا كثيرا فى الاكتشاف الشعرى الناضج لطرائق هذا الوئام ، ولا تزيد عما كانت تفعله قصيدة الهجاء فى الديوان القديم ، فعندما يقول الشاعر :

فى زمان التبرج ، والسكوت الذليل ..
يستطيع البنفسج ان يكون البديل ..
يستطيع البنفسج أن يستهل ..
ويصنع خبز الوفاق
يستطيع ـ اذا شاء ـ أن يستدل
ويجمع كل الملايين فى غمضة ومضة ..
فالبنفسج ضد الشقاق ..

ولانستطيع أن نتجرع هذا القدر من العقلانية فى تركيب شعرى ينمو الى اعادة صوغ رؤيتنا للكون ويجدد معرفتنا به إلا اذا تصورنا أن الشاعر قد قرر أن يطلق على الديمقراطية مثلا اسمه الجديد : البنفسج ، كى لاتصبح شعرية البنفسج هى شعرية التعمية .

● حوار الأشكال

لكن سعينا الى تثبيت المسميات خائب مثل سعى العشاق فى سيرة البنفسج ، لأنه لايلبث أن يأخذ صيغة ميتافيزيقية معلنة كالموت ، وصريحة كالباطل ، لايلبث هذا البنفسج أن يتشكل فى وجهين ، يصل أحدهما فى استطالته وشموله ، واحاطته بكل شىء

أن يكون مقابلا خداعا للحقائق الدينية أو الذات الإلهية ، فهو ذو بعد كونى انطولوجى فى مرحلته الأولى ، وله طابع معرفى ابستمولوجى فى الثانية ، ويتمتع بأساس أكسيولوجى فى الثالثة ، وله سمة كوزمولوجية فى الرابعة ، وقوة ترنسندنتالية فى الخامسة ، وصفات فينومينولوجية فى السادسة وأيديولوجية فى السابعة حتى ليصبح كما يقول :

ولا يا بلائى
ستكشف أن البنفسج عنوان وعى
وإعلان رأى
وتاسيس منهج
....
أيها القارىء المنتمى
اقترب من دمى
وتجدد وجدد
فان البنفسج شك
يقين محك
وإن البنفسج نار منار
ونور شرار
ومبتدأ وختام ومسك ؟

اما الوجه الثانى فهو انقلاب على هذه الحركة ، إلحاد بها ، كتابة ضدها ، اكتشاف لزيف هذا المطلق ، وتعرية للوجه الآخر القبيح فيه ، انه الخطوة الثانية لجدلية الكون والوجود ، وعندئذ نشتبك مع مستوى آخر من حوار الأضداد يتجلى فى الشكل الشعرى إذ تبدأ القصيدة فى التمازج والتراوح بين ثلاثة أطر ، أولها الاطار الحر الكلاسيكى المعروف :

القلب معتم وأنت لاتضىء
والليل ليل توام ..
وكل شىء ذاهب ..
وانت لاتجىء ..

وثانيها الاطار المدور الذى يعد تطويرا وتنمية طويلة النفس لهذا الشكل الأول « **زملونى زملونى ياخاصتى الاقربين ، واخشعوا مليا مليا فى حضرة البنفسج اللعين ، ثم اتركونى كى اواجه الأنة بالأنة ، حتى إن اننت فاكتمل عليكم انينى وانضبطت اناتى ، فدعونى كى أرمز للألم بقلبى وللحزن بسحنتى وللخراب بذاتى** » .

وثالثها : الاطار العمودى الذى يتراجع اليه النظم فى اللحظات التقريرية الخالية من التساؤل المفعمة بمرارة الخيبة واليقين السلبى الموحش :

طبيبك لايبشر بالشفاء ..
فداؤك يستحيل على الدواء ..
رآك وقد تعلق من أمام ..
بك الدنس المقيم ومن وراء ..
يعز عليك أن يبقى طهورا ..
رداؤك ، ويك قبح من رداء ..

وعندئذ يقوم هذا الحوار الجمالى بين الأطر الشعرية الثلاثة بالافصاح من جدلية موقف الشاعر المتراوح بين الايمان المطلق فى الحركة الأولى والرفض المطلق اليائس فى الثانية ، مما لابد أن يفضى به فى مسيرته الشعرية الى الحالة الثالثة الماثلة فى التجريب الكونى والشعرى والخبرة العميقة الفنية بالحياة واللغة .

في الذكرى المئوية لعميد الأدب العربي :

طه حسين مربيا

بقلم : د . سعيد اسماعيل على

في اكتوبر عام ١٩٧٣ ، سجل التاريخ "عبور" قواتنا المسلحة ..

وفي نفس التوقيت ، سجل التاريخ "رحيل" مفكرنا العظيم .. إنها لصدفة من تلك الصدف التي لايملك الانسان إلا ان يقول معها : "رب صدفة خير من الف ميعاد" !!

فلم يكن "العبور" عبورا لحاجز مائي + حاجز ترابي "قناة السويس + خط بارليف" ، وانما كان عبورا من اليأس الى الامل .. عبورا من الانكسار الى الانتصار ..

فكان المشيئة الالهية .. وقد طمأنت مفكرنا العظيم الى "عودة الروح" الى الأمة التي نذر نفسه لانهاضها ، ارادت ان ينتقل اليها ليتضم إلى زمرة "الخالدين" .

و إذ يطل علينا اكتوبر ١٩٨٩ ، يصبح من الجحود الا يكون هناك حديث عن طه حسين ، لا لأنه فقط شهر "الرحيل" ، بل لأن المائة عام التي انقضت منذ ميلاده توشك ان تمضي وتزيد دون ان ينال الرجل ما يستحقه من الحديث ، على الاقل ، من الزاوية التي صال فيها وجال اكثر من اى مفكر آخر ، وبحث وتعمق اكثر من اى "فنى" آخر !!



فقضية "التعليم" اذ تكون في حقيقة الأمر هي قضية "بناء الانسان" فتصبح فريضة "عين" بالنسبة لكل مفكر، إذا فهمنا "الفكر" بأنه "عصب" بناء الانسان، وفهمنا أن ماهو مفروض منه "أي الفكر" أن يكون "كلي" التناول "شامل" الرؤية.

ولقد رأينا لهذا، الجمهرة الكبرى من شوامخ المفكرين تجعل التعليم قضية أساسية، بدءا من سقراط وأفلاطون وارسطو ومرورا بالغزالي وابن سينا وابن خلدون وانتهاء بروسو ولوك ورسل، وهكذا فهم نفس المسألة مفكرونا الكبار في عصرنا الحديث ابتداء من رفاعة الطهطاوي وعلى مبارك ومرورا بمحمد عبده وقاسم امين، وانتهاء بلطفي السيد وطه حسين.

لكنك اذا حللت كتابات مفكرينا المعاصرين منذ منتصف القرن الحالي، فلن تجد نفس الاهتمام، بل قد لا تجده بأية صورة من الصور، ربما لتسلط فكرة لاتمثل إلا جزءا من الحقيقة على أذهان المعاصرين، عندما ينظرون الى التعليم وكأنه عملية "تدريس" ومن ثم فهي تتصل بعملية فنية ضيقة تحتاج الى الحرفيين ولا ترقى أن تكون المسائل الكبرى الراقية التي تستحق الاهتمام من قبل "كبار المفكرين"!!

ومن ناحية أخرى، فقد أدى هذا بالتكنوقراط "الفنيين" أن ينفردوا بالقضية ليحولوها بالفعل الى عمليات متعددة، مهما اتخذت من تفكير وبحوث ودراسات، فإنما كي تصب جميعا في مصب واحد هو محاولة الاجابة عن سؤال أساسي ووحيد وهو: كيف ندرس؟ وبالتالي فقد غاب التعليم عن أن يكون قوة دافعة في معركة النهوض القومي للأمة، وعن أن يكون طاقة فعالة تعبر بالإنسان المصري الأفق.

ومن هنا يحتل طه حسين موقعه المتميز في حركة تطور الفكر التربوي في عالمنا

طه حسين مربياً

العربى ، فلقد تناولها تناول المفكر المهموم بقضية بناء الأمة ، فنظر اليها على انها قضية "مركزية" ترتبط بها قضايا اخرى كثيرة من قضايا الثقافة مثل اللغة القومية ، ومنهج التفكير السائد وما ينبغى أن يكون ، والهوية الحضارية للأمة ، وعلاقاتها الثقافية بغيرها من الثقافات والحضارات الأخرى .

على أن هذا التناول الكلى الفكرى الشامل ، لم يحل بين طه حسين وبين أن يتناول التعليم كذلك من حيث هو "احداث" و "وقائع" تحتاج الى تفاصيل والى الامساك بجزئيات لايكون الحديث عنها مقصودا لذاته بقدر دلالته على "الأصول" الكلية ، والاطر العامة .

ولقد درج كثيرون ممن تناولوا موقف طه حسين من المسألة التعليمية ، أن يقفوا عند حد تناوله لها من المنظور الحضارى الكلى ، حيث اصبح هناك "كم" لاباس به من البحوث والدراسات فى هذا الشأن حتى لقد حظى بثلاث رسائل ماجستير مرة واحدة فى عدد من كليات التربية فى مصر كان لنا حظ الاشراف على إحداها .

● رؤية كلية لمفكر كبير

من اجل هذا ، كانت عنايتنا فى المقال الحالى ، بدراسة موقف طه حسين من عدد من "الأحداث" و "الوقائع" التعليمية ، لا نكوصا منا الى النظر "الجزئى" الى المسألة التعليمية ، وإنما حرص منا على إكمال الصورة التى رسمها الباحثون عن طه حسين كمفكر تربوى ، مع وعى بأنها تصدر عن مبادىء ورؤية كلية لمفكر كبير .

وتناول الموقف التربوى لطه حسين ، يمكن أن يعتمد على مصادر ثلاثة :

● المصدر الأول هو ذلك العمل الفكرى الكبير الذى يعد بالفعل علامة على الطريق ، الا وهو "مستقبل الثقافة فى مصر" فمهما كان الراى لنا فى المنطلقات الاساسية لهذا العمل الكبير ، فإن احدا لايستطيع أن يجادل فى أنه يحمل مشروعا ثقافيا متكاملا ، ندر أن نرى له مثيلا فى تاريخنا الثقافى لامن قبل ولا من بعد .

● المصدر الثانى ، هو هذا الكم الضخم من المقالات التى كتبها طه حسين فى عديد من الصحف والمجلات عبر حياته الثقافية الطويلة ، وهذه المقالات منها ما تناول المسائل الفكرية المتصلة بالتعليم ، ومنها ، وهو الأكثر فيما نظن ، كان يتابع به ما يوضح موقفه من الحركة الفعلية لواقع التعليم المصرى منذ العشرينات حتى الخمسينات .

● المصدر الثالث : هو الحياة العملية لطه حسين فى قطاع التعليم ، فقد عاش معظم حياته أستاذا جامعيا يعيش هموم الجامعة وحركتها الواقعية ، وتقلد ايضا بعض مناصبها وكيلا وعميدا لكلية الاداب . كذلك فقد اشتغل بوزارة المعارف مستشارا ووزيرا فاتيحت له فرصة اتخاذ القرار مما له اثره الكبير على واقع التعليم المصرى .

ولانزعم فى مقالنا الحالى اننا اعتمدنا على هذه المصادر مجتمعة ، فلذلك مقامه فى غير هذا المكان ، وإنما كان اعتمادنا الاساسى على المصدر الثانى ، مما يقتضى من الجهد ومن الوقت ما قد تنوء به الطاقة الفردية فى وقت قصير ، ولكن الله قد قيض لنا من كفانا جزءا غير يسير من الجهد المطلوب ، بذلك العمل الجليل الذى قام به الباحث الدءوب "محمد سيد كيلانى" ، حيث جمع فى كتب اربعة : "حديث المساء" و "غرابيل" و "شارع قولة" و "تجديد" كما ضخما من مقالات طه حسين التى كتبها فى قضايا ومسائل شتى ، كان منها بطبيعة الحال "التعليم" وأن كان من


رفاعة الطهطاوى   على مبارك

الضرورى أن ننبه القارىء الى انها جميعا نشرت بصحيفة كوكب الشرق ، وفى فترة محددة تقع بين شهر مارس ١٩٣٣ وشهر سبتمبر من نفس العام . أن هذا التنويه مهم لانه يضع القارىء أمام صورة المسرح السياسى العام المواكب لهذه المقالات ، الا وهو وزارة اسماعيل صدقى فى اواخر عهدها ، مع ما ارتبط بهذه الفترة من صور قهر واستبداد جعلتها من الفترات حالكة السواد فى التاريخ المصرى الحديث كذلك ، فإن "كوكب الشرق" باعتبارها صحيفة وفدية تكمل صورة الاطار العام ، فقد شهدت بداية ارتباط طه حسين بحزب الوفد ، بعد أن كانت جريدة "السياسة" لسان حال حزب الاحرار الدستوريين ، هى مكانه الأثير كقناة يعبر من خلالها عن افكاره سواء بالنسبة للتعليم أم بالنسبة لغيره من المجالات الأخرى .

ولعلنا نستطيع بعد ذلك ان نشير الى بعض القضايا التى ناقشها طه حسين لنرى كيف أنه ، إذ يواكب الاحداث ، لم تتحول عيناه عن "المبادىء" الاساسية :

● استقلال الجامعة

ولايعنى القائلون بهذا المبدا الاساسى باى حال من الأحوال استقلال الجامعة عن المجتمع لتنعزل فى برج عاجى لا شأن لها بمشكلات الناس وحياتهم الآنية والمستقبلية ، وإنما يعنى بها عادة ان تكون للجامعة إرادتها الحرة فى اختيار برامجها وفى تعيين اعضاء هيئة التدريس بها وفى كل شان من شئونها ، دون تدخل من السلطة السياسية القائمة ، فالجامعة ، اذ تمثل قمة الهرم التعليمى ، ويناط بها أن تخرج للمجتمع قياداته الفكرية والعملية ، لابد لها أن تملك من حرية الحركة والقدرة الذاتية على اتخاذ القرار ما يشيع فى مناخ الجامعة قيم الاعتماد على الذات والحرص على الكرامة الشخصية وحرية الفكر فى الاجتهاد والبحث .

ولسنا فى حاجة الى القول بأن طه حسين زعيم لاجدال فى زعامته لليبرالية الفكرية والحرية الاكاديمية ، مما جعله حريصا أشد مايكون الحرص على كل ما يمس استقلال الجامعة وعدوان السلطة السياسية عليها لتحقيق اغراض حزبية ضيقة مما نكبت به مصر فترة غير قصيرة من حياتها الحديثة وخاصة على ايدى احزاب الأقلية . وكيف لايكون طه حسين حريصا الحرص كله وهو نفسه من زعماء "الضحايا" ، إذا صح هذا التعبير ، فقد عزل من موقعه بكلية الآداب فى هذا العهد "الصدقى" لانه لم يرضخ للجبروت السياسى القائم .

ومن المألوف فى تاريخنا التعليمى ، أن العدوان على الجامعة كان يخفى دائما تحت ستار علمى وقانونى ، كذبا وتدليسا ، وان شئت الدقة ، فقل جبنا من القائمين بالعدوان ، اذ لاتواتيهم الجراة على أن يسموا الامور بأسمائها .

ويعبر طه حسين عن وعيه بالحقيقة بهذا الخصوص فيؤكد ان مسالة الجامعة فى مصر فى ذلك العهد ـ بل وفى كثير من العهود التالية ـ مسألة سياسية قبل أن

تكون علمية ، وهي لاتقوم على النظر الى العلم من حيث هو ، وإنما تقوم على النظر الى المنفعة السياسية للذين يشرفون على الأمور ، ومادامت المسألة سياسية ، فالأمر فيها واضح جلي ، لا لبس فيه ولا غموض ، فنحن نعلم أنه قد كان هناك مذهبان في السياسة يتنازعان السلطان في مصر : احدهما مذهب الذين يحكمون الشعب للشعب ـ وما كان اندرهم ـ وآخر ، مذهب الذين يحكمون الشعب لانفسهم قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفق كل شيء ـ وما كان اكثرهم ـ ولما كان الأمر قد صار بكل اسف الى هذا الصنف الثاني ، كان لابد ان يصرفوا أمور الجامعة بما يلائم اهواءهم ومذهبهم ، لا بما يلائم مصلحة الجامعة واهلها .

ومثل هؤلاء ينظرون الى استقلال الجامعة على انه خطر جسيم يهدد سلطانهم ويقص من اجنحتهم ويقلم من اظافرهم ، ونتيجة لهذا لابد ان يبذلوا قصارى جهدهم لتفريغ الاستقلال من مضمونه الحقيقي لتظل لهم الهيمنة وتكون لهم اليد الطولى في شانها فيسيرونها الى حيث يريدون ، لا الى حيث يريد الجامعيون انفسهم .

والحجة التي استندت اليها الوزارة الصدقية ، ان الجامعات الأوروبية ، اذا استمتعت بحظ عظيم من الاستقلال ، لا تستمتع به جامعاتنا ، فذلك لأن هذه الجامعات غنية ، لاتنفق عليها الحكومات ، ولا تستمد أموالها من ميزانية الدول ، ومن ثم لاينبغي للحكومات ان تبسط يدها عليها .

لكن طه حسين يسارع الى تفنيد هذه الحجة ، حيث يؤكد ان الزعم السابق غير صحيح إلا في بلاد الانجليز ، أما الجامعات الفرنسية ، فقد كانت تعتمد على أموال الدولة ـ الى جانب التبرعات الخاصة ـ ومع ذلك فقد حرص القوم هناك على استقلالها استنادا الى السنن والتقاليد ، والى فهم الحكومات هناك بحاجة العلم الصحيح الى الاستقلال ولسمو الجامعات فوق الاهواء والشهوات الحزبية .

ونضيف الى ماذهب اليه طه حسين ، اذا لم نرد ان نذهب بعيدا ، أن الجامعات الاسلامية الكبرى في عصور الازدهار الحضاري كالأزهر والزيتونة والقيروان والمستنصرية ، كانت تتمتع باستقلال واضح في شئونها المختلفة .

ويضيف طه حسين دليلا اخر يثبت به فساد الحجة "الحكومية" انه فات على القوم ان "القضاء" ينفق عليه من الخزانة العامة ، ومع ذلك فلم يتخذ هذا مبررا ـ بل يستحيل ـ لكي تظهر دعوى بضرورة هيمنة الحكومة عليه ، واستقر في الأعراف ان القضاء لابد ان يكون مستقلا .

لكن طه حسين لا يغفل عن حقيقة ان الجامعة باعتبارها معهدا من معاهد الدولة ، لابد أن يشرف عليه البرلمان ، والوزراء هم اداة البرلمان في الاشراف على اعمال الدولة ومصالحها ، فقد جعل وزير المعارف رئيسا اعلى للجامعة يتكلم باسمها في مجلس الوزراء ، ويتكلم باسمها في مجلسي البرلمان "الشيوخ والنواب" وقد



قاسم امين



لطفي السيد

خطر للجامعة في يوم من الأيام في ايام العز" ان تتخذ للوزير مكتبا في دارها حتى لاتذهب أعمال الجامعة الى ديوان الوزارة ، فالفكرة اذن كما نرى وكما يرى الدكتور طه حسين كانت فكرة عملية ، تقوم على حقيقة واقعة ، وهي ان وزارة المعارف اعجز من ان تفهم المسائل الجامعية واضيق عقلا من ان تصرفها ، فكان يجب أن تقطع الصلة بينها وبين الوزارة ، وان تكون الصلة بين الجامعة وشخص الوزير .

هذه الفكرة اذا كانت فكرة يسيرة سهلة لاغبار عليها ولا عسر فيها ، ولكنها لم تكد تنتقل من الجامعة حتى عجز غير الجامعيين عن فهمها ، فالفوا معناها واحتفظوا بالفاظها ، وتمثل هذا في تعديل في قانون الجامعة جعل راى مجلس الجامعة استشاريا في نقل الجامعيين ، مع ان هذا المجلس كان يتكون من عشرين عضوا ، منهم وكيلان من وكلاء الوزارات ، وخمسة تعينهم الحكومة ، واربعة من عمداء الكليات واربعة من وكلائهم ، واربعة من اساتذة الكليات ذوى الكراسي ، ويسخر طه حسين من هذا التعديل : "هذا المجلس كله لايمكن أن يؤتمن على مصالح الجامعة ، فلابد من إشراف الوزير عليه هذا المجلس كله لايمكن ان يامن من محاباة الجامعيين ، فلابد من إشراف الوزير عليه هذا المجلس كله قاصر محتاج الى الوصاية ، فلابد من إشراف الوزير عليه" .

وقد كانت الكثرة العظيمة في مجلس الجامعة حسب القانون الذى صدر من قبل هذا العهد تتالف من الجامعيين ، فقد كان لكل كلية فيه ثلاث : هم العميد وعضوان ينتخبهما مجلس الكلية انتخابا حرا لايتقيد بشرط ، فكان عدد الجامعيين في المجلس اثنى عشر عضوا ، يضاف اليهم المدير وهو جامعي ، او ينبغي ان يكون جامعيا على اية حال ، فكان للجامعة ثلثا اعضاء المجلس ، وكان هذا المجلس يقضى في أمور الجامعة كلها ، لا راد لقضائه في كثير من الاشياء ، وللوزير حق الاعتراض في بعضها ، ولم يكن للوزير على كل حال ان ينفرد بالقضاء في امر من امور الجامعة .

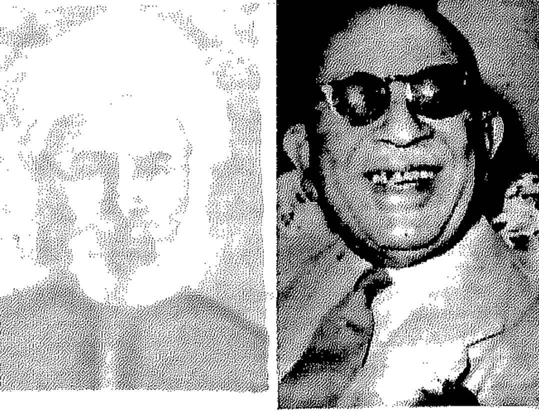
اما في عهد وزارة إسماعيل صدقي حيث كان حلمي عيسى هو وزير المعارف ، فلم يتغير عدد الجامعيين في المجلس ظاهرا ، ولكنه في حقيقة الامر قد اصابه تغيير خطير ، فقد اصبح وكيل العميد عضوا في المجلس بحكم منصبه ، وقد اخذ الوزير لنفسه حق تعيين الوكيل ، فاصبح خاضعا للوزير خضوعا مباشرا ، واصبح عضوا في المجلس بالتعيين ، لا بالانتخاب ، واصبح العضو الآخر الذى يمثل الكلية مع العميد والوكيل في المجلس ، يشترط فيه ان يكون استاذا ذا كرسي ، وان يؤخذ في المجلس حسب الاقدمية ، فهو ايضا عضو معين . ومعنى هذا ان اساتذة الجامعة قد حرموا حق الانتخاب لمجلس الجامعة ، او ضيق عليهم فيه .

فالفكرة السياسية التى اشرفت على تعديل قانون الجامعة ، وهي ان الانتخاب سلاح خطر ، يجب الا يوضع في ايدى المصريين إلا بحساب ، وفي ظل مراقبة شديدة ، لان المصريين . سواء منهم العلماء وعامة الشعب اطفال لم يبلغوا سن الرشد بعد ، فيجب ان تقوم الحكومة منهم مقام الموصى !!

ولم يقف الأمر عند تاليف المجلس بالقياس الى الجامعيين ، بل تجاوزه الى اختصاص هذا المجلس وتصرفه في امور الجامعة ، وكان هنا موضع الخطر السياسى المنكر الذى يفقد الجامعة كل قيمة علمية .

ذلك ان هذا المجلس كان يؤلف مجلسين ، احدهما جامعي مقيد ، والآخر حكومي مطلق . فاما الاول فهو المجلس الذى اشرنا اليه آنفا ، وهو يقضى في الأمور التعليمية الخاصة كبرامج الدرس

طه حسين مربيا




اسماعيل صدقى   الشيخ محمد عبده

ونظم الامتحان . وقضاؤه خاضع لسلطان الوزير ، فإذا جد الجد ، وكانت المسائل التى تحتاج فيها الجامعة الى الحرية والاستقلال . جاء المجلس الثانى ، وهو يتالف من موظفين ، سبعة تختارهم الحكومة ، يضاف اليهم مدير الجامعة الذى تعينه الحكومة ، ويضاف اليهم عمداء الكليات الذين يعينهم الوزير ، والذين يؤجرون على قيامهم بعمل العميد ، فأما وكلاء الكليات الذين يعينهم الوزير ولكنهم لايؤجرون على وكالتهم ، وأما الأعضاء الأخرون الذين يصلون إلى المجلس بحكم كراسيهم ، فاولئك وهؤلاء يقصون عن المجلس حين يعرض للمسائل ذات الخطر ، وعلى هذا النحو كانت الحكومة تضمن ان تسير الأمور فى هذا المجلس على ماتشتهى أرايت أن السلطة الحقيقية فى الجامعة قد جعلت الى هذا المجلس الحكومى ؟ فالحكومة هى التى تقضى وحدها فى ميزانية الجامعة والحكومة هى التى تختار الاستاذ أو تنقله أو ترقيه أو تؤدبه ، فالاستاذ خاضع فى حياته الجامعية كلها لسلطان الحكومة ، لاشىء يضمن له الحرية العلمية ، لاشىء يعصمه من بأس الحكومة ، وبطشها ، فإذا استطاع مع هذا أن يكون حرا فى الراى فى البحث العلمى فويل له من سلطة الحكومة وتاديب الحكومة :

● التعليم الأزهرى

وكانت سنوات التكوين الأولى فى تعليم طه حسين فى معاهد الأزهر ، ومع ذلك فقد نال الأزهر منه صور نقد قاسية ، ربما لان عقليته المجددة وروحه الثائرة قد لمسا أكثر من غيرهما مقدار ما كان عليه الازهر من جمود . ومقدار خطر هذا الجمود على نهضة الامة وتخلفها ، فمثل هذه الأمة التى ترتبط بالفكر الدينى ارتباطا وثيقا يصبح لمثل هذه المؤسسة اقوى الآثار واخطرها ، إن خيرا فخير وأن شرا فشر .

وقد فسر طه حسين هذا وأرجعه الى أمرين اثنين اساسيين :

الأول : أن الأزهر مصدر من مصادر الحياة العقلية فى الشرق الاسلامى . وهو اقدم هذه المصادر ، وكان اقواها واجلها خطرا الى عهد بعيد ، وسيظل مصدرا قويا جدا من مصادر الثقافة فى هذا الشرق .

الثانى : أن الطلاب الذين كانوا يقصدون اليه ويدرسون فيه ، كانوا لا يحصون بالمئات وإنما يحصون بالآلاف ، فهو من الناحية الأولى قوى اشد القوى لاتصاله بحياة المسلمين الدينية وتاثيره فى هذه الحياة واضطرار المسلمين الى ان يحيطوه ويرعوه ويحرصوا على أن يظل قويا عزيزا ماداموا حريصين على أن يظل كما يحبون له قويا عزيزا . وهو من الناحية الثانية بعيد الأثر فى حياة الأفراد والجماعات ، لأن الطلاب الذين يقصدون اليه ويطلبون الاتصال به يخرجون من طبقات الأمم الاسلامية كلها مهما تختلف وتتباين ثم يعودون الى بيئاتهم وقد اتموا الدرس او كادوا يتمونه فيؤثرون فى هذه البيئات تاثيرا يلائم مادرسوا وما تعلموا .

وعلى الرغم من هذا ، يلاحظ طه حسين اننا فى مصر لانعنى العناية الكافية بدراسة حاضر الازهر ومستقبله ، فى الوقت الذى يلاحظ فيه ان الامر خلاف ذلك بالنسبة للاجانب ، والعناية المشار اليها هنا هى عناية الدرس والبحث والتحليل والمتابعة وهنا يشير مفكرنا الكبير الى فصول طوال كتبت عن مصر باللغة الفرنسية لمجلة فرنسية من مجلات المستشرقين الكبرى هى مجلة الدراسات الاسلامية التى يصدرها المستشرق لويس ماسينيون . كذلك اكد طه حسين انه لايكاد يصدر كتاب فى اوربا وامريكا عن حياتنا الادبية والدينية إلا وفيه المام طويل او حتى قصير بموقف الأزهر من هذه الحياة ، مشاركا فيها تارة ومقاوما لها تارة اخرى ، وبما ينتظر ان يسلك الازهر من طريق فى المستقبل القريب ليصل بين حياته القديمة وبين الحياة الجديدة فى مصر خاصة وفى الشرق الاسلامى بوجه عام .

وينبهنا طه حسين الى حقيقة هامة يغفلها بعض الباحثين ، وهى ان المصلحين فى مصر قد حاولوا ان يدعوا الازهر متخلفا وينهضوا بإنشاء المعاهد التى تلائم حاجات الناس ومصالحهم وتخضع فى سهولة ويسر للتطور الذى يخضعون له فانشئت دار العلوم فى القرن الماضى "١٨٧٢" ، وانشئت مدرسة القضاء الشرعى فى اول هذا القرن "١٩٠٧" ولكن ظروف الحياة المصرية واضطراب السياسة المصرية فى تلك الفترة ابت الا ان ترد الى الأزهر شيئا من القوة والنشاط وتمكنه من ان يدافع عن نفسه ومن ان يحاول النهوض بما يجب ان ينهض به من اعباء الحياة فى هذا العصر الحديث .

ولو ان الدولة نظرت الى الازهر والازهريين منذ اول هذه النهضة كما نظرت الى غير الازهريين من ابناء مصر لاخذ الاصلاح الازهرى طريقة مستقيمة منتجة لاعوج فيها ولا التواء ، ولكن الدولة كانت تخاف من المحافظين فى الازهر فلم تكن تمس الازهر بالاصلاح إلا على اسراف فى الرفق والاحتياط . وكان للازهر من الدولة وضع خاص قبل الحياة الدستورية يجعل سلطان الدولة عليه يسيرا ضئيلا ، فلم تستطع الحكومة ان تواجه اصلاح الازهر بما كان ينبغى من الحزم والنشاط .

لكن هذا النقد الرقيق الهادىء ، والذى لايتجه فى الحقيقة الى الازهر نفسه بقدر ما يتجه الى الدولة ، ينقلب فى مناسبة اخرى الى سخرية حادة ونقد لاذع الى مسئولى الازهر وعلى راسهم شيخه "المراغى" فى ذلك الوقت ، فقد قارن طه حسين بين زيارتين قام بهما الملك فؤاد لكل من الجامعة المصرية والازهر ، فإذا بالمنظمين لايتيحون الفرصة للجامعيين ان يعبروا بفكرهم عن موقفهم امام الملك ، بينما يتاح هذا للازهريين ، فضلا عما بذل من مظاهر اهتمام لزيارة الازهر مما لم يحدث لزيارة الجامعة ، وتفسير مفكرنا هو:

- كان شيخ الازهر اثيرا عند اولى الأمر ، ومدير الجامعة لم يكن مرغوبا فيه .

- تورط رجال الأزهر فى تاييد حكومة اسماعيل صدقى ، اما رجال الجامعة فقد ابوا ان يكونوا اداة لهذا الطاغية .

- رجال الازهر يريدون او يرضون أن يكونوا دعاة الى الرجوع ، وكان رجال الجامعة يريدون ان يكونوا رسل الرقى .

- رجال الازهر يجدون فى بسط سلطان الحكومة فى ذلك الوقت على الشعب . وكان رجال الجامعة لايفكرون فى حكومة ما ، وانما يريدون تحرير العقل و "تحرير العقل خطر" ، لانه وسيلة الحرية والديمقراطية ، واذن فيجب ان يخفت صوت الجامعة ، ويجب ان يرتفع صوت الازهر" .

وترتفع نغمة النقد لشيخ الازهر بسبب الزيارة الملكية من زاوية اخرى ، فقد أراد



عدد من الأزهريين أن ينتهزوا فرصة الزيارة ليقابلوا الملك ينقلون اليه بعض امورهم ، ولما كان مثل هؤلاء ليسوا من المجموعة التى اتفق عليها ، نقلت الانباء فى ذلك الوقت أن الشيخ انبا ادارة الأمن العلم بان هؤلاء العلماء يريدون ان يكدروا صفو الزيارة الملكية ، فما كان من رجالها إلا ان قاموا بالهجوم عليهم ليلا فى منازلهم والقبض عليهم حيث السؤال والجواب والتحقيق ، ثم اطلاق سراحهم فى الصباح بعد ان اخذت عليهم العهود والمواثيق .

ويتساءل مفكرنا باستنكار شديد : " احدث هذا كله حقا"؟ وكان مصدره شيخ الاسلام ؟ وإذن فماذا ترك الشيخ لغيره من السعاة والوشاة ، والذين يتربصون الدوائر بالناس ، ويدبرون لهم الكيد بالليل والنهار ؟ احدى اثنتين : اما أن يكون هذا قد حدث من الشيخ ، فلابد من سؤاله عنه ، ولخذه به ، فإن شيوخ الاسلام لم ينصبوا ليروعوا الآمنين ويزعجوا المطمئنين ، ويقولوا فى الناس بغير الحق ، وانما ينبغى أن يكونوا رسل امن وسلام ، ودعاة هدوء وطمأنينة ، وحراسا على الصدق والجد والاخلاص ، وان لم يكن هذا قد حدث ، فيجب ان يبين للناس ليعلم المسلمون أن الأزهر برىء من ان يكون وكرا من أوكار الكيد ، ومكمنا من مكامن الساعين والواشين "

لكن طه حسين قد غلا فى نقده بالنسبة لمسألة أخرى ، فقد سعى الازهر فى تلك الفترة الى أن ينشىء لطلابه قسما سمى بالتخصص ، يتخصص فيه الازهريون فى فن التعليم ، حتى يمكنهم من ممارسة مهنة التعليم . ومن الملاحظ أن طه حسين كان دائم السخرية اذا كان موضوع المناقشة هو (فن التعليم) حيث كان يعتبره (ترفا) لاضرورة منه .

لقد كان طبيعيا مادام الازهر يدير معاهد تعليمية ، أن يهيىء لها معلمين يحسنون فن التعليم ، فضلا عن مساعدة وزارة المعارف في مدها بمدرسى اللغة العربية والدين .

● التبشير

اذا كانت الجراة التى اتسمت بها مناقشات طه حسين لبعض المسائل ذات الصبغة الدينية قد اتاحت الفرصة لآخرين كي يحيطوا موقفه الدينى بظلال من الشك ، فإن المطلع على كتاباته التى عبر من خلالها عن موقفه ازاء تصرفات كثير من المبشرين الذين جاءوا الى مصر في اوائل الثلاثينات يلمس بكل وضوح كيف أن الرجل شن حملة شعواء على مثل هذه التصرفات التى شكلت تهديدا حقيقيا لما يمكن تسميته (بالأمن الدينى) فى البلاد ، بل ان بعض الاخوة الاقباط ، قد عبروا عن استيائهم الشديد من تصرفات المبشرين خاصة وانهم ، فى الوقت الذى سعوا فيه لتحويل عدد من ابناء المسلمين عن ديانتهم الى المسيحية ، اتجهوا كذلك لتحويل مذهب عدد من ابناء الاقباط المصريين الأرثوذكس الى مذاهب اخرى وفقا لما كانت عليه كل فئة منهم ، مما رجح ان الغرض الأصلى لمثل هؤلاء المبشرين ليس دينيا حقيقيا وانما هو يرتبط بأهداف استعمارية ، وأن تزيت بزى دينى .

بل أن طه حسين اخذ يندد بموقف الحكومة السلبى من بعض الاحداث التى تتصل بهذا الموضوع فى نفس الفترة مطالبا اياها بالحزم والحسم ذلك ان هؤلاء المبشرين مضوا فيما قصدوا اليه ، والحوا فيما عمدوا اليه من فساد ، وقصرت الحكومة أو عجزت عن النهوض بواجبها فلم تحم دين المصريين ولا كرامتهم ولا

عزتهم القومية حتى انتهى الشر الى غايته ويلغ عدوان هؤلاء الناس اقصاه ، فإذا الصبيان يُتصّرون جهرة ، ويصرفون عن دينهم في وضح النهار ، واذا احكام القضاء تعطل وتعجز الحكومة عن انفاذها ، واذا اوامر الحكومة تهمل وتعجز الحكومة عن اخذ هؤلاء الناس باحترامها ، واذا ضروب الكيد للمصريين تكثر وتنتشر حتى تتناول كل شيء .

وسخر طه حسين من الاجانب الذين يثيرون الغبار حول المصريين لانهم يثورون على مثل هؤلاء الذين اتخذوا من دين المصريين موضوعا لفتنتهم ، فيدعون ان في مصر بغضا لهم وكان المطلوب من المصريين الا يحسوا شيئا من الكرامة والا ينكروا العدوان ويوهمون العالم اجمع بان المصريين لا يدعون لكل حريته في العقيدة ، وكان معنى الحرية عند هؤلاء ان يفتنونا عن ديننا ومذهبنا دون ان نحرك ساكنا ومعنى هذا كله أن المصريين يجب ان ينكروا انفسهم وينزلوا عن حقهم في الحياة الحرة ويرضوا بما قسم الله لهم من الذلة والخضوع .. لاينبغي لهم أن يشكوا او يتبرموا إن طغى الاجانب على مرافقهم ، واستأثروا من دونهم بالخير في بلادهم ، لأن ذلك بغض للأجانب وكيد لهم ، ولاينبغي أن يسخطوا ولا أن يستعدوا الوزارة على المبشرين اذا اعتدى هؤلاء المبشرون على الأطفال في الدين والاخلاق والاعراض ، لأن ذلك اغراء بالفتنة وتحريض عليها "

واثنى طه حسين على ما قام به الشيخ المراغي شيخ الأزهر ازاء هذه القضية حيث ارتفع بها عن ان تكون طائفية يختص بها فريق دون فريق وجعلها قضية مصرية خالصة تنهض بها مصر في وجه الاجنبي الذي يغزوها في ارضها ويعتدى على مرافقها وعقائدها

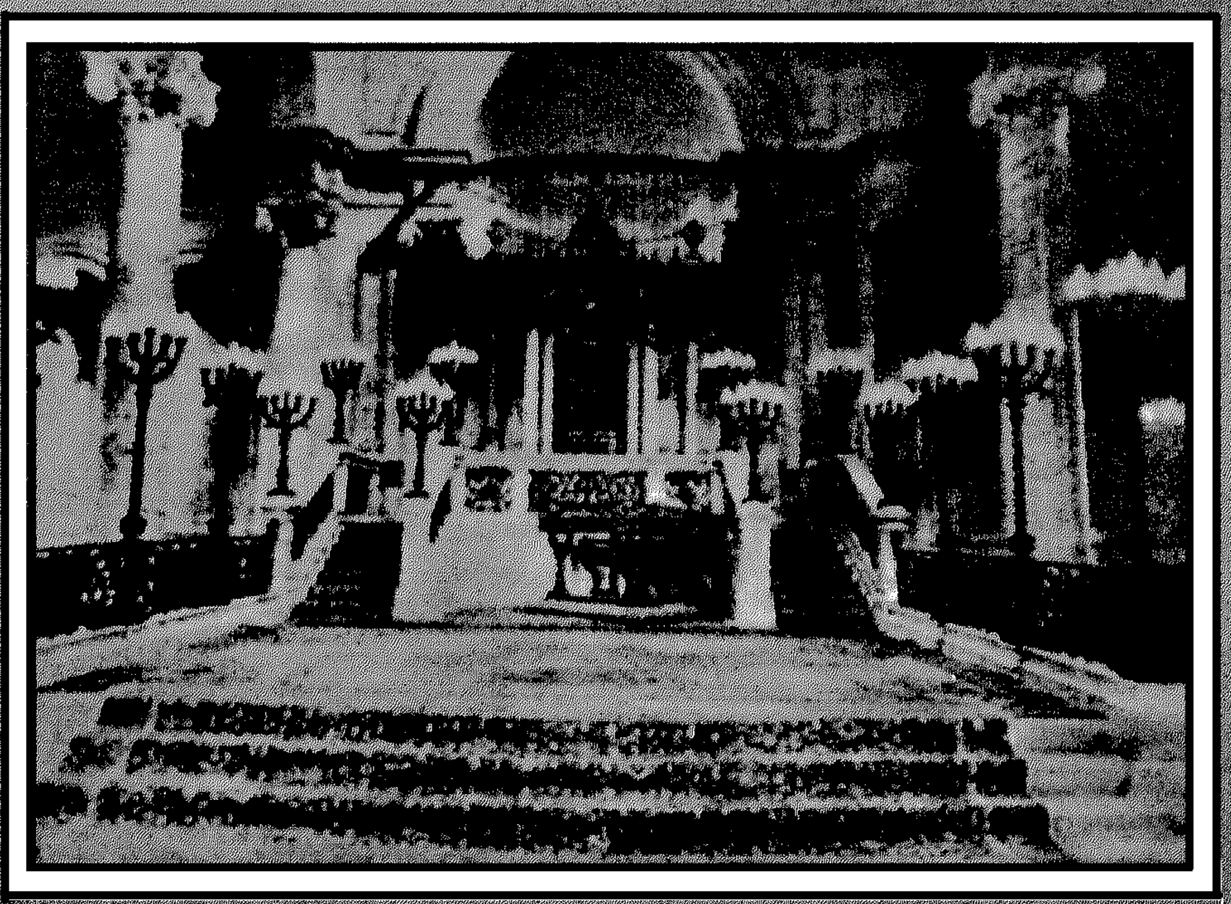
وهكذا تجيء نظرة طه حسين (العلمية) و (الفكرية) . فلم ينظر إلى مسألة اخراج بعض مدارس المبشرين لعدد من ابناء المسلمين عن ديانتهم على انها مسألة اعتداء على الاسلام وحده ، وانما هي مسألة اعتداء على الحرية الانسانية ، مسألة اعتداء على الحضارة ، فاذا كان التبشير مباحا أو مستحسنا في البيئات الهمجية التي لم تأخذ بحظ من رقي ولم تنل نصيبا من الثقافة "كان من القبيح الممقوت أن يتخذ التبشير وسيلة الى محاربة حضارة قائمة لها مجدها ولها حظها الرفيع من الرقي ولها اثرها البعيد في تهذيب النفس" .

ونند طه حسين بموقف الحكومة البريطانية من المسألة حيث كان – كالعادة – أصطيادا في الماء العكر ، واخذوا يخرجون المسألة عن وضعها الطبيعي الذي هو سعي شعب اعتدى على عقيدته ويريد دفع هذا الاعتداء عن ابنائه ، وقال وزير خارجية بريطانيا في مجلس النواب أن قد اذن للمندوب السامي بأن يتحدث الى الحكومة المصرية في مراقبة التبشير والمبشرين ومعنى ذلك انه قد اقام انجلترا مقام الكفيل بحقوق الاجانب المدافع عنها ، وابى على الحكومة المصرية ان تراقب المبشرين !!

ومن هنا فقد أكد طه حسين على الحكومة المصرية "أن تشرع ما تحتاج اليه من القوانين لمراقبة هؤلاء المبشرين وان تتفاوض في هذه القوانين مع الدول التي تستمتع بالامتيازات مفاوضة مباشرة ، لا وساطة فيها للانجليز" ، وبالطبع كان هذا قبل الغاء الامتيازات الاجنبية .

وبعد ...

إن مفكرا عملاقا مثل طه حسين يستحيل ان يغطي مقال ، فكره التربوى ، فمساحته واسعة ، والجدل حوله كثير ، مما يترك الساحة واسعة لمزيد من الكتابات على مر الأيام ..

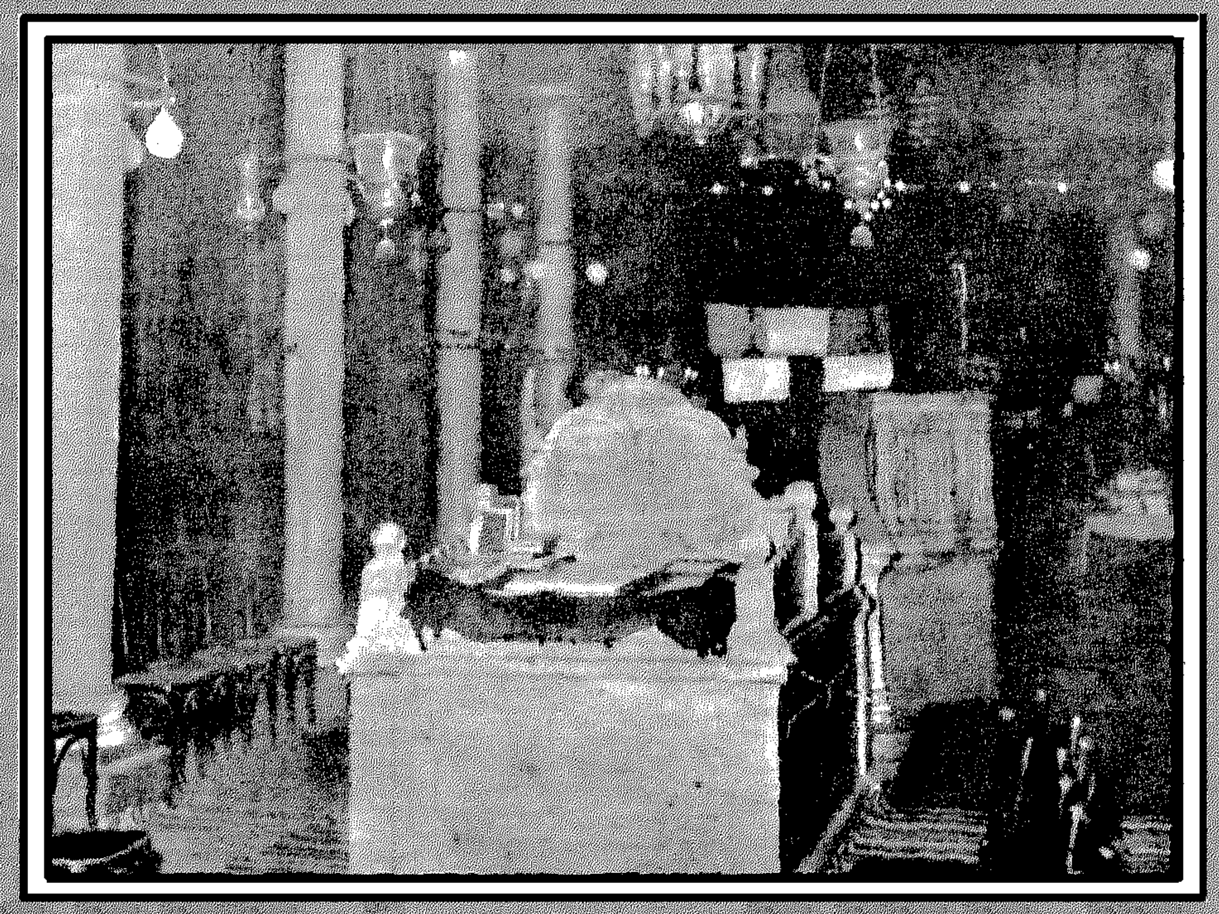


مدخل محفل الياهو حنابي - الإسكندرية

المحافل والمعابد

بقلم : عرفه عبده على

مازال الوجود الاجتماعي ليهود مصر بحاجة الى المعالجة التاريخية الدقيقة والشاملة ، للوقوف على كثير من الحقائق التي تكشف جوانب وسمات هذه الطائفة . واذا كانت مصر قد عرفت الاقلية اليهودية طوال تاريخها القديم والحديث ، فان التناول الموضوعي لتاريخ تلك الأقلية ، يدحض مزاعم المؤرخين الاسرائيليين ، الذين يكتبون تاريخهم بغير معزل عن الأهداف السياسية !



معبد بن عزرا من الداخل

اليهودية فى مصر

وهناك اتفاق بين الباحثين فى تاريخ اليهود الحديث ، بأن اليهود قد عاشوا في مصر ـ قبل العدوان الثلاثى على مصر ـ عصرا ذهبيا ، تمتعوا فيه بكافة حقوق المواطنين ، كما وجدوا كل مساعدة لانشاء مؤسساتهم الدينية الخاصة ، الى جانب مؤسساتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. ومن الأهمية أن نعرض فى إلمامة سريعة ، للتقسيم الطائفى لليهود :



« موسى قطاوى » ١٨٤٨ - ١٩٢٤
من اقطاب عائلة قطاوى ورئيس الطائفة الاسرائيلية بالقاهرة لمدة ٤٠ عاما .

● انقسم اليهود الى طائفتين الربانيون (الحاخاميون) والقراءون ، وكان الربانيون ينقسمون الى يهود سفارديم (الشرقيين) ويهود اشكنازيم (الغربيين) ، وانقسم الربانيون ايضا الى طائفتين إحداهما فى القاهرة والاخرى فى الاسكندرية ، وكان لكل منهما حاخام اكبر ومجلس عام منتخب ، الا انهما قد اتحدتا عام ١٩٤٧ .

وكان القراءون اقلية صغيرة ، تخصصت بصناعة وتجارة الذهب ، وقد عاش معظمهم فى حارة اليهود ، قريبا من حى الصاغة بالقاهرة . وعلى الرغم من وجود حارة لليهود فى القاهرة فإن هذا لا يعنى انهم عاشوا فى "جيتو" مثلما عاشوا فى أوربا .

وقد كان للطائفة اليهودية بمصر ، مجلسها العام (الحاخامخانة الكبرى) يختص بالأحوال الشخصية لليهود كالزواج والطلاق والميراث ، وفقا لتقاليد وطقوس الديانة اليهودية ، طبقا للنظام الملى الذى انشىء فى العهد العثمانى . وقد استفادت الطائفة مما اقره الدستور المصرى ١٩٢٣ ، فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق الدينية والسياسية دون تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين ، وكما كانت لهم حرية الراى والتعبير من خلال صحفهم المتعددة ، كانت لهم حرية ممارسة شعائر وتعاليم ديانتهم ، خاصة وقد لقوا كل المساندة من الحكومة المصرية ، بمنحهم الاراضى مجانا وتيسيرات البناء ، مما ساعد على انتشار المحافل والمعابد اليهودية فى القاهرة والاسكندرية وبعض مدن الدلتا .

وقد بلغ عدد المعابد اليهودية - حتى منتصف القرن العشرين - ٢٩ معبدا فى القاهرة وحدها ، ٢٠ معبدا وكنيسة فى الاسكندرية .

وبعد هذه المقدمة أو المدخل ، نعرض سريعا لبعض محافل ومعابد الطائفة اليهودية فى مصر :

- ففى القاهرة تاسس اول محفل يهودى بمصر ، باسم "محفل ابن ميمون" Maimonide او محفل "راب موشى" Rab Moshe ، الذى افتتح فى ١٦ يناير ١٨٨٧ ، ومقره ١٥ درب محمود بحارة اليهود . وقد قام بتاسيسه عدد من اليهود الاشكنازيم من المهاجرين الروس والرومانيين والبولنديين .. وبه سرداب يؤدى الى ما يسمى "قاعة دراسات ابن ميمون" !

وقد قام هذا المحفل بمساهمة فعالة فى تعليم اليهود ، فانشا اول مدرسة يهودية فى مصر عام ١٨٩٢ باسم "مدرسة ابن ميمون" فى درب البرابرة ، كما كان له دوره الفعال فى مساعدة وايواء اليهود المهاجرين ، ويجدر بالذكر أن د . حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية قد اختير رئيسا شرفيا للمحفل عام ١٩٤٤

- محفل "بنى بريت" الذى اسسته

طائفة الربانيين السفارديم ، وافتتح فى ١١ ابريل ١٩١١ ، واول من تولى رئاسته - ايلى باروخ - والانضمام لهذا المحفل يخضع لاختبارات دقيقة ووفق شروط مشددة ، على راسها الايمان الكامل بالمبادىء الصهيونية ! فكان من اخطر المحافل اليهودية نظرا لطبيعة تكوينه واهدافه الصهيونية .

- معبد "الاسماعيلية - شعارها شاميم" ومقره ١٧ ش عدلى بوسط القاهرة ، ويعد بتصميمه ونقوشه من اجمل واروع المعابد اليهودية فى مصر ، وقد شيدته عائلة "موصيرى" عام ١٩٠٣ وقد قام بتجديده عام ١٩٨١ المليونير الصهيونى "نسيم جاعون" واتحاد السفارديم العالمى ، وهو من اهم مزارات السائحين الاسرائيليين حاليا ، حيث يؤدون فيه شعائرهم الدينية ، ويجدر بالذكر ان مكتبة هذا المحفل «Shaat Hashamyim» بما تضمه من مخطوطات اثرية وكتب نادرة ، كان معظمها نواة لمكتبة المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ، والبعض الاخر تم تهريبه الى اسرائيل ، كما حدث بالنسبة لوثائق "الجنيزا" والتى تم الاستيلاء على الالاف منها ، من جدران معبد "بن عزرا" ومقابر اليهود بالبساتين ثم تهريبها بعد ذلك !

- معبد "بن عزرا - Ben Ezra" بحى مصر القديمة ، ويعد من اهم واقدم المعابد اليهودية بالقاهرة ، وقد قامت بعثة اسرائيلية برئاسة "مارك كوهين Mark Cohen" ببحث ودراسة وثائق الجنيزا والمخطوطات النادرة التى يضمها المعبد ، تحت اشراف المركز الاكاديمى الاسرائيلى .

- كنيس "نيفيه شالوم - Neveh Shalom" الذى شيد عام ١٨٩٠ ، ومقره فى ٩ ش المدارس بالسكاكينى ، وكان يسمى "الكنيسة الكبيرة" فمساحته اكبر من مساحة معبد الاسماعيلية ، وتحيط به حديقة غناء كبيرة ، واعمدته من المرمر



نسيم موصيرى
عميد عائلة موصيرى

والرخام الثمين ، وقد شيد على الطراز المعمارى "الفيسنيسى" .

- كنيس نسيم الاشكنازى ، الذى شيد عام ١٨٩٤ ، ومقره فى ٤ ش الكوة ، بالقرب من ميدان الظاهر بالقاهرة .

- كنيس "اسهليم أو حانان" ومقره فى ٣ ش غمرة ، وقد شيده ابراهيم يوسف حانان عميد عائلة "حانان" .

- كنيس الطائفة الاسرائيلية الاشكيناز ، الذى افتتح فى ١٩ مايو ١٩١٢ ، ومقره بشارع المنسى بحى الظاهر .

- كنيس عائلة موصيرى ، تاسس فى ١٩٠٥ ، ومقره ١٦ ش الصقالبة .

- كنيس الرابى "مئير بعل هانز" فى ش الصقالبة رقم ٢٠ .

- معبد "راب اسماعيل" او معبد الاسبان ، ومقره فى ١٣ ش الصقالبة ايضا .

- معبد "باحاد اسحاق - Pahad Ishak" وشيده عام ١٩٣٢ ، زكى كرايم ،

السورى الأصل ومقره ٩ ش ابن خلدون بالسكاكيني .

- معبد "الأستاذ" او كنيس المصريين ، وكان مقره في ٢ درب المصريين بحارة اليهود ، ويزعم الباحثون الاسرائيليون بان هذا المعبد - وطوال اكثر من ٩٠٠ عام - كان شاهدا على تواصل الوجود اليهودى بمصر ، غير انه قد بيع وهدم عام ١٩٧٥ !

- معبد التركية ، ويقع في ١٣ درب الكتب بحارة اليهود .

- المعبد البرتغالى : La synag ogue portugaise ، ومقره في ٥ عطفة الفضة بحارة اليهود .

- كنيس "راب سمحام Rab Semham" ويعد اقدم معبد لليهود القرائين بمصر ، حيث شيد في منتصف القرن الماضى ، في عطفة اليهود القرائين بحارة اليهود .

- معبد "فيتالى مادجار - Vitali Madjar" ومقره ٣ ش المسلة بمصر الجديدة .

- معبد "مئير انايبم - M'eir' Enaim" ومقره ٥٥ ش ١٣ بضاحية المعادى ، وقد عاش فيه المحامى اليهودى "يوسف سلامة" مع قرينته حتى وفاته في سبتمبر ١٩٨١ .

- معبد "تلمود توراه - Talmud Torah" ومقره بعطفة الفضة بحارة اليهود .

- معبد "راب زيمرا - Rab Zimra" في ٦ حوش الصوف من حارة اليهود .

- معبد "حاييم كابوتسى Rabbi Haim Capoussi" في ٣ درب النصير .



هيكل محفل الباهو حنانى - الاسكندرية

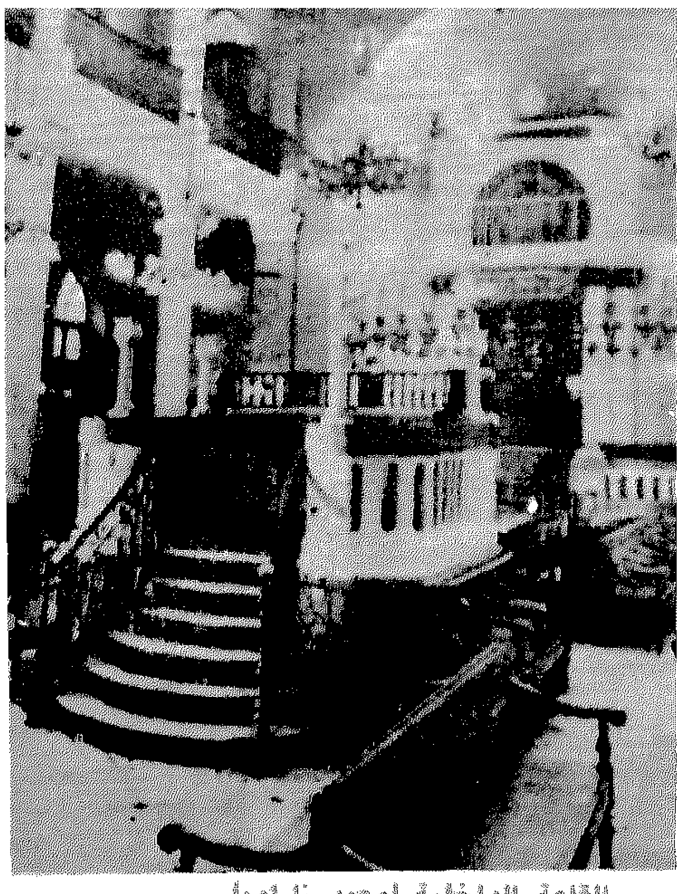
- كنيس "رابى شيمون باريوحاى - بحوش موصيرى ، هذا الى جانب بعض المعابد التي شيدت فى احواش عائلات "جـريـن" ، "مـزراحى" ، "قطـاوى" وغيرها .

معابد الاسكندرية :

- محفل "الياهو حنابى - Eliahou Hannabi" من اقدم معابد المدينة ، وقد ورد فى رحلة فولتيرا Voltera ان هذا المعبد قد شيد فى موقعه عام ١٣٥٤ . وكان نابليون بونابرت قد قصفه بالقنابل - إبان الحملة الفرنسية على مصر - بدعوى اقامة حاجز رماية لمدافعه بين حصن كوم الدكة والبحر . ولكن فى عام ١٨٥٠ وبتوجيه ومساهمة محمد على اعيد بناؤه مرة اخرى ، وفى عام ١٨٥٦ اضافت الطائفة الإسرائيلية بالاسكندرية قاعتين ومقاصير للسيدات . وفى عام ١٩٢٨ تاسس به قسم لمـوسيقـى الصلـوات تحـت ادارة البرتوحمصى ، وقد امتد نشاط الجوقة الموسيقية الى الاحتفاء بالاعياد اليهودية ومناسبات الزواج . ولم يقتصر نشاط قسم الموسيقى على التاليف فحسب ، بل قام بعمل دراسات مختلفة عن الفولكلـور اليهـودى الاسبـانى ، ودراســات عن الموسيقى الكلاسيكية ليهود مصر .

- معبد "زارادبل - Zaradel" الذى انشاته عائلة زارادبل عام ١٣٩١ ، حتى آل للسقوط عام ١٨٨٠ فاعيد بناؤه مرة اخرى ، ومقره بشارع عمرام بحى اليهود - سوق السمك القديم - ويضم المعبد مبنى رئاسة الطائفة بالاسكندرية ، كما يحتفظ بمخطـوطتين نادرتين للتـوراة بالخط الاشورى .

- معبد "عزوز - Azauz" الذى تاسس منذ قرون بعيدة ، ولم يعرف تاريخ انشائه



القاعة الداخلية لمعبد زارادبل .. بسوق السمك القديم . الإسكندرية

على وجه التحديد ، وقد تم تجديد بنائه عام ١٨٥٣ .

- معبد "منشه - Menasce" وقد تاسس عام ١٨٨٢ .

- معبد "جرين - Green" فى محرم بك ، وشيدته عائلة جرين عام ١٩٠١ .

- معبد "يعقوب ساسون - Jacob Sasson" تـاسس عـام ١٩١٠ بحى جليمونوبلو .

- معبد "كاسترو - Castro" انشاه موشى كاسترو عام ١٩٢٠ بحى محرم بك .

- معبد "شعار تيفيلا - Chaare' Tefila" الذى شيدته عائلتا "انزاروث" ، "شاربيه" عام ١٩٢٢ بحى كامب شيزار .

- معبد "الياهـوحزان - Eliahou Hazan" تـاسس عـام ١٩٣٧ بحى سبورتنج .

- معبد "نزاح اسرائيل - Nezah Israel" الاشكنازى ، تاسس علم ١٩٢٠ .

هذا الى جانب بعض المعابد التى هدمت واندثرت مثل : معبد جعار ، معبد المغاربة ، معبد صاف بن بودات ، معبد جيميئوت حساديم ، معبد حلب ، معبد تيبول ، معبد سلامة ، معبد كورفيوث ..

وقد انتشر عدد من المعابد اليهودية فى بعض المدن المصرية التى كان يقطن فيها ابناء الطائفة : ففى مدينة طنطا يوجد محفل "اوهيل موشى" وكنيس المغاربة وكنيس "بخور موتون" ١٩٠٨ وكنيس "لونابوتون" ١٩٢٤ .

وفى المنصورة يوجد محفل "ملجن دافيد" الذى تاسس فى بداية هذا القرن ومعبد "حسون" الذى اسسه ابراهيم حبيب حسون عام ١٨٩٨ ، ومعبد "كوهين" الذى شيده مخلوف كوهين وزوجته سيمحا علم ١٩١٣ .

وفى مدينة المحلة : معبد "الاستاذ" الذى تاسس منذ قرون طويلة ، فى حى خوخة اليهود ، وينسب الى الحبر فضيل ابن ابى اوى بن حننئيل الامشاطى .

وفى بور سعيد : محفل "اسرائيل" وتاسس فى نهاية القرن الماضى ، ثم معبد "سوكات شالوم" وكنيس "بينان" .

إلى جانب معبد "سيروس" بدمنهور ، ومعبد "هارون جبعاى" بالزقازيق ، ومعبد "كليمان باردو" بميت غمر .

● المحافل والمعابد الكبيرة والمعابد الصغيرة التى ذكرتها مازالت قائمة فيما عدا - معبد المصريين او الأستاذ - الذى هدم سنة ١٩٧٥ كما اشرت ، والدليل على انها مازالت قائمة : تحديد مواقعها

ادجار سوارس
عميد عائلة سوارس

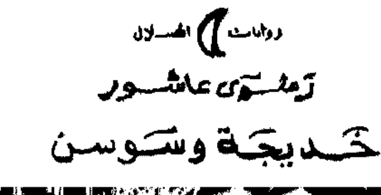
وعناوينها بدقة ، وبعض المعابد الصغيرة قد لا يدل الشكل الخارجى على انه مكان مخصص للعبادة اليهودية - خاصة مجموعة حارة اليهود - حيث تبدو فى شكل بيت يكاد يكون مهجورا لا يميزه سوى "نجمة داود" المحفورة على الباب الخشبى ، وقد لا يحوى سوى قاعة واحدة ذات مقصورة للصلاة ، ولكن يطلق عليه طبقا للمصادر اليهودية نفسها : معبدا او كنيسا ..

وقد قامت محافل ومعابد القاهرة والاسكندرية ، بنشاط ضخم فى مساعدة وايواء اليهود اللاجئين من أوربا وفلسطين وسوريا ، كما كان لها دور فعال فى تعليم اليهود بانشاء بعض المدارس وتمويلها ، وانشات ايضا صناديق لمساعدة الفقراء والعاطلين وتسليف المهاجرين ، وعيادات طبية لعلاج ابناء الطائفة مجانا . كما شاركت بدور بارز فى النشاط الصهيونى بمصر ، وفى الدعوة لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين !

● هامش : تم ثبت اسماء وتواريخ انشاء المحافل والمعابد من المصادر اليهودية بعدما تبين لى وجود اخطاء عديدة فى بعض المصادر العربية على ندرتها .



هذه المرأة لى



روايات الهلال
رضوى عاشور
خديجة وسوسن





"صُبحي وعُبلة"

ثنائي شاعري في « وجهة نظر »

بقلم: صافي ناز كاظم

● تواضعت أحلامي جدا بالنسبة للمسرح ، وصار أقصى ما اتمناه الا يجهز عليّ ملل اذا ما اضطررت وذهبت لمشاهدة عرض مسرحي .

ينتابني الخوف دائما والتوجس وانا جالسة في مقعدي انظر الى المسافة الزمنية التي عليّ ان اقطعها من بداية العرض الى نهايته ، ويبدو لي الوقت فاغرا فاهه كالوحش وانا بين فكيه الخطرين مهددة ، لذلك حين يظهر الممثلون في مشهد التصفيق الختامي وأجد

اننى لم يصرعنى الضجر احمد الله على السلامة وعندما يسالنى سائل : ما رايك فى العرض اجد ان اجابتى الفورية " لم ازهق !" شهادة براءة نادرة للمؤلف والمخرج والممثلين ، وهذا ماخرجت به اولا من عرض مسرحية "وجهة نظر" على مسرح نيو اوبرا اخراج وبطولة الفنان " المفكر " محمد صبحى فوق اننى " لم ازهق " .. فانا كذلك استمتعت بأداء محمد صبحى وعبلة كامل استمتاعا شعريا ثقافيا ارتبط بهما ، بمعنى اننى كنت اتوق الى المشاهد التى تضمهما معا او احدهما بمفرده حيث كانت هى المشاهد المتوهجة المتقدة بالحيوية والجاذبة لإنتباهى ، خاصة مشهد محاولة سنية (عبلة كامل) قراءة الورقة التى تدين الادارة ، ومشهد رقصة عرفة الشواف (محمد صبحى) ومشاهدهما الرقيقة سويا ـ سنية وعرفة ـ للتواصل العاطفى العذب . لقد تجمعت فى هذه المشاهد الانسانية ذبذبات الالم مع الشجن مع الضحك وتكاملت فى عمق مدهش وبدت كمقاطع مطربة لقصيد طفولى صادق وراءه طاقة كوميدية ـ لدى صبحى وعبلة ـ متفردة باسلوبها ، ناعمة ومناسبة بعيدة عما تعودناه وشاع بين الكوميديين من سوقية وزعيق وفظاظة وغلاظة .

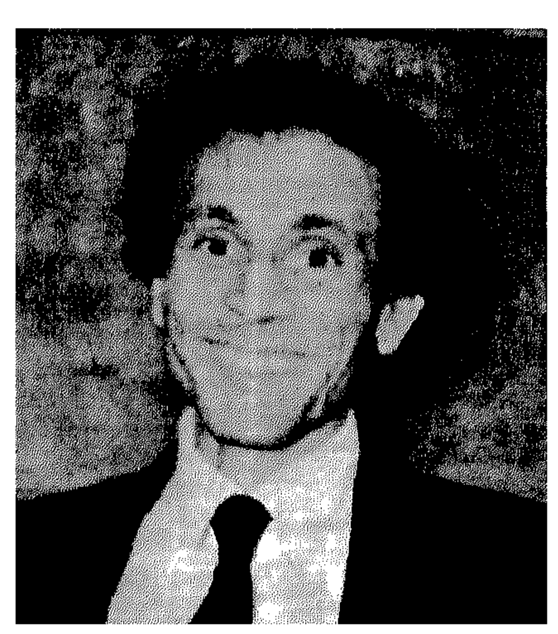
* * *

الرسالة الجوهرية للعرض تريد أن تقول : " انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " وهى كما نرى حكمة قديمة يعرفها الجميع ، فالاعمى هو أعمى البصيرة لا أعمى البصر ، فما الحافز لطرحها من جديد ؟ انهم مجموعة من مكفوفى البصر ـ قد يكونون شعبا بأكمله ـ اربعة رجال وثلاث انسات ينضم اليهم عرفة الشواف (محمد صبحى) فى مؤسسة مفترض انهـا تعتنى بشئونهم ـ قد تكون نظام حكم فى العالم الثالث ـ على راسها مدير فاسد وتحت يده موظف مكير هو اليد المنفذة لكافة الاعمال القذرة التى يمليها الفساد ومعهما مشرفة خاضعة لهما لكنها طيبة القلب تتعاطف مع الضحايا وان ظلت سلبية مكتوفة الايدى . الادارة الفاسدة تجمع المعونات المحلية والدولية باسم المكفوفين لكنها لا توصل الدعم الى مستحقيه ، وهكذا يصبح المكفوفون وسيلة تكسب لتلك الادارة وهى تحرص عليهم لتواصل استغلالهم ، والمكفوفون يدركون انهم مستغلون لكنهم بين يائس وبين مستسلم ملتصقون بأرض الانين والتذمر لا يرتفعون الى مستوى فعل مؤثر يكسر حصار الفساد . وحين ينضم عرفة الشواف الى المجموعة تكون مهمته ان يُعرّف المكفوفين بان عجزهم الحقيقى ليس فى فقدانهم البصر ولكنه يبدأ حين لا يكون لديهم " وجهة نظر " اى رأى ناتج عن رؤية ووعى وبصيرة . ويقود عرفه الشواف

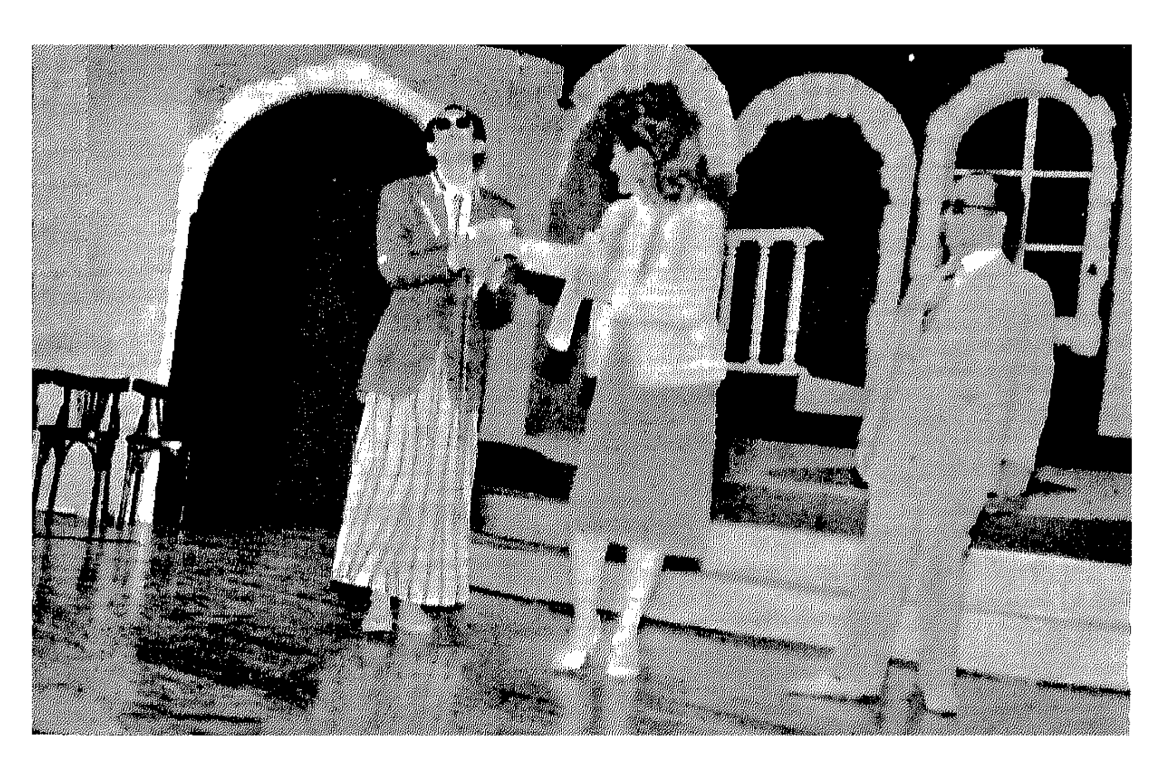
صبحي وعبلة

المكفوفين ليكونوا وحدة للمطالبة بحقوقهم وانتزاعها بالمواجهة احيانا وبالحيلة ، وينجحون في تحقيق أمل الآنسة سنية (عبلة كامل) التي كانت ترجو بإلحاح ان تجرى لها عملية تعيد لها البصر ، وتتم العملية وتستطيع سنية ان ترى بعينها لكنها تبدو لوهلة كأنها قد تم احتواؤها من قبل مجموعة الادارة الفاسدة لتصبح عميلة ناطقة بلسان تلك الادارة معبرة عن وجهة نظرها . وقبل ان يخيب فيها تماما أمل زملائها المكفوفين وعلى رأسهم حبيبها عرفة الشواف ، يعاودها نقاؤها وتدين انحرافها وتسير خلف حبيبها عرفة الشواف ليقود ببصيرته ـ رغم عينيه المكفوفتين ـ عينيها المبصرتين ليواصلا مع الجميع الرحلة الجهادية المستمرة ضد الفساد .

وتنتهى هكذا الخطوط الرئيسية لعرض "وجهة نظر" الذى استطاع محمد صبحى ـ من خلال البساطة والتقشف ـ ان ينأى به عن الزعيق والضجيج والفجاجة وكل هذا كان محتملا نتيجة للمباشرة فى الفكرة والخطابة فى اسلوب النص ـ ونجد ان محمد صبحى وعبلة كامل عنصران رئيسيان فى توليد الشفافية والشاعرية عبر تيار اصيل من خفة الظل التلقائية والفكاهة الحادة الراقية مع توافق الحركة الرشيقة والايماءات الذكية ، وانا لا اخفى حقيقة ان ما دفعنى لمشاهدة "وجهة نظر" ، رغم محاذير النص الذى توقعت ان يلمز المتدينين ، اطمئنانى الى الظرف الذى يتميز به الحضور المسرحى لعبلة كامل ـ وكنت


محمد صبحى


عبلة كامل



وجهة نظر ـ السخرية بالحركة والتلفظ واللياقة البدنية

قد رأيتها فى عدة عروض مسرحية سابقة اهمها عرض داير مايدور لفرقة الورشة وشد انتباهى نبضها الكوميدى الجديد الذى يجعلها تختلف تماما عن حشد الممثلات الكوميديات اللاتى عرفناهن فى سجل تاريخ المسرح والسينما والتليفزيون فى بلادنا وحب استطلاعى لرؤية محمد صبحى على المسرح بعد ان لمست ابداعه الشخصى الذى اضفاه على مسلسل سنبل التليفزيونى . الذكاء الثاقب والاناقة النظيفة فى أسلوب السخرية بالحركة والتلفظ واللياقة البدنية العالية ، هى سمات محمد صبحى ومنطلقات ابداعه التى انقذت العرض من السقوط فى الميلودرامية التى تصيب المشاهد بالغثيان ، او التردى فى جعل العاهة مادة للتفكه . وقد كنت اتمنى الا يسقط محمد صبحى فى الفخ الذى نصبه له مؤلف النص واعنى اضطهاد نموذج الملتزم إسلاميا ـ الذى اداه شعبان حسين ـ وتقديمه بشكل مغرض فى التركيبة المستهلكة التى تصر على تشويهه لكى لايعدو عن كونه الافاق الذى ينتهج الكذب والزيف والبخل

وهى يدعى البر والتقوى والاحسان . والله ، ان محمد صبحى كان فى غنى عن اقحام هذا الهوى المسموم ولو انه تجاوز هذا الدس وحذفه لكان فى ذلك فائدة اكبر للسياق العام للعرض الذى كان لابد ان يركز الضرب فى اتجاه كتلة الادارة الفاسدة التى ينوء تحت وطأتها الجميع .



من أعماق التاريخ

● حـــديقـــة ومسجـــد ومدينة وجوائز اغاخان ●

عاد الى مصر بعد اكثر من تسعة قرون من يرى ان له الحق فى امامة وخلافة المسلمين الاسماعيلية ، ووقف يتحدث بلسان انجليزى لا يعلى عليه ، فى ساحة امام قلعة الجبل والقاهرة الفاطمية تحت قدميه ، وقدم للفائزين جوائز العمارة الاسلامية التى تسعى للتجديد والتاصيل بهدف حماية اثارنا وعمارتنا الاسلامية !

ولم يكن هذا الرجل سوى كريم اغاخان ، زعيم الطائفة الاسماعيلية الذى جاء الى القاهرة وخلفه قصة تاريخية مثيرة ، تقول صفحاتها انه عندما تولى الافضل بن بدر الجمالى الوزارة فى القاهرة فى مرحلة افول العصر الفاطمى ، انتزع الحق الشرعى من نزار بن المستنصر لدين الله ، وولى ابن اخته المستعلى امامة الاسماعيلية سنة ٤٨٧ هـ ، وهو الاخ الاصغر لنزار ، وثار نزار صاحب الحق الشرعى ، وفشلت ثورته وقبض عليه ودفع حياته ثمنا ثورته ، وخرج الى التيه الاسماعيلية النزارية ، ومازالت بقاياهم تعيش فى الشام والهند حتى اليوم .

● فاز المعمارى المصرى د . صلاح لمعى مصطفى بالجائزة الاولى من جوائز مؤسسة اغاخان الثقافية عن مشروع ترميم الجامع العمرى الكبير بصيدا . والذى تعرض لدمار هائل نتيجة للغارات الاسرائيلية المكثفة من البحر اثناء الاجتياح الاسرائيلى عام ١٩٨٢ .

والمسجد نموذج أصيل للتاريـخ المعمارى المركب على الساحل اللبنانى ولذلك رفض أهالى صيدا بناء مسجد جديد وآثروا إعادة بناء المسجد على نفس النمط المعمارى القديم .

كما فاز المهندس المعمارى المصرى عبدالواحد الوكيل مع اخرين عن مشروع مسجد الكورنيش بجدة بالمملكة العربية السعودية وهو طراز معمارى جمع بين العناصر الشكلية بصورة تخاطب الحاضر وتعكس الماضى المشرف ..

ايضا فازت مدينة أصيلة المغربية بجائزة ضمن جوائز اغاخان للعمارة الاسلامية واصيلة احدى المدن التى تعد

الكبرى ويمثل جسرا ثقافيا بين العالم العربى وفرنسا .

● ان يفوز معمارى بجائزة عن بيت جميل أو جامع رائع أو مدرسة متميزة البناء فهذا مألوف ، ولكن ان يرشح معمارى بجائزة عن تصميم لحديقة فهذا هو الجديد فى الأمر .

فقد رشح المعمارى المصرى « حليم عبدالحليم » بجائزة من جوائز الاغاخان عن تصميمه لحديقة الحوض المرصود ، وهى حديقة لمجمع للاطفال يضم مكتبه ومسرحا وقاعة عرض ومتحفا ومشغلا وتقع الحديقة فى منطقة السيدة زينب اكثر مناطق القاهرة ازدحاما ..

وقد عبرت هذه الحديقة عن افكار المعمارى المصرى من حيث الشكل التراثى والعصرية التى اضافها التصميم على جوانبها ..



السيدة سوزان مبارك تسلم شهادة تقدير للفريق اول يوسف صبرى ابو طالب



نموذج عربى معمارى لمدينة اصيلة المغربية

نموذجا للنجاح الفذ فى مجال إعادة البناء والتطوير والتجميل فى العالم الاسلامى والعالم الثالث .

وفازت مدرسة سيد العلوى الابتدائية بتونس كنموذج له قيمته الكبيرة للبلدان النامية ..

وفاز مشروع إسكان بنك بنجلاديش ..

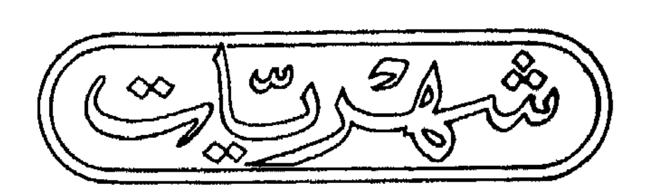
كما فاز معهد العالم العربى « بباريس » بفرنسا حيث يعتبر هذا المعهد احد مشروعات باريس المهيبة

■ صحافة

● صحف ومجلات وتساؤلات حول القانون ●

أثيرت فى الآونة الاخيرة قضية اهتم بها كل من له علاقة بالصحف والمجلات ، سواء كان كاتبا او فنيا او قارئا ، هذه القضية هى ان قانون الصحافة الذى عن طريقه تحصل اية مطبوعة على ترخيص صدورها ، هو قانون ليس بحجم النشاط المكبوت الذى تحتوى عليه نفوس الصحفيين المصريين وطموحاتهم .

فليس من المعقول ، ومع تزايد حجم

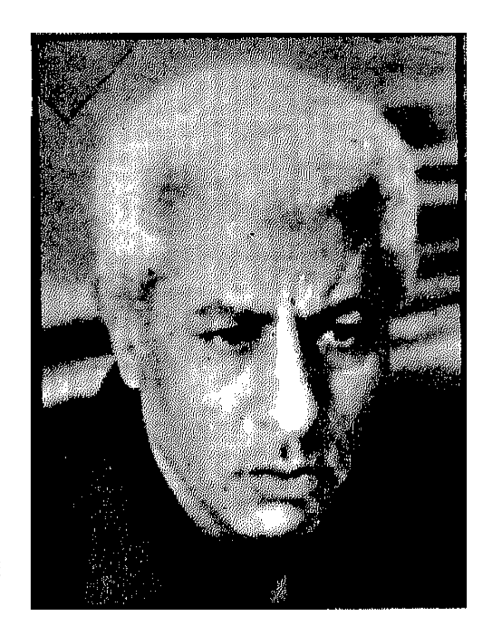


القراء الهائل ، وتزايد دور مصر الثقافى ، ان يظل القانون هكذا ، محلك سر ، لا يواكب التطور او الظروف ، الامر الذى دعا نقيب الصحفيين مكرم محمد احمد الى الدعوة لاقامة مؤتمر عام للصحفيين المصريين لمناقشته بحيث يصبح فاعلا فى حماية حيوية الساحة الصحفية .

وحيوية الساحة الصحفية لايقوم بها اناس من الكواكب الأخرى ، انما ضمن هؤلاء العاملين فى حقل الصحافة المصرية ، من ابناء مصر ، الذين اثبتوا فى كل مكان صحفى التحقوا به فى الخارج انهم قادرون على العطاء ، بل والتجديد والابداع .

ان المجلس الاعلى للصحافة لايعطى اذنا للمجلات التى نتحدث عنها بالصدور عن القاهرة ، فتضطر هذه الصحف الى استخراج "رخصة" لها من لندن او باريس او قبرص ، ثم تتقدم الى السيد وزير الاعلام طالبة الاذن لها بطباعة اعدادها فى القاهرة ، فيتفضل مشكورا باصدار هذا الاذن ..

وهكذا اصبحت القاهرة هى جهة الصدور الحقيقية لعدد من الصحف والمجلات تحمل تراخيص غير مصرية .. اى أن قانون الصحافة يطبق ولا يطبق فى وقت معا ، مما يدل على ان التجربة العملية والواقعية تقتضى اعادة النظر فى هذا القانون ليستطيع احتواء هذا الواقع ، بدلا من ان يقف فى طريقه ويرغمه على الالتفاف حوله ..

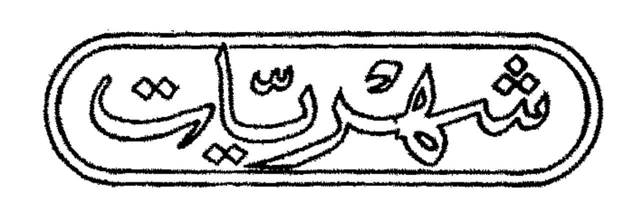

مكرم محمد احمد
نقيب الصحفيين

ان قانون الصحافة ـ كما هو معروف ـ يحتاج الى تعديلات وتصميمات كثيرة من الممكن ان تبدأ بتعديل المادة او المواد المتعلقة بالصحف التى اشرنا اليها بدون ذكر الاسماء ..

■ مسرح

● جلسة سرية : الجائزة الاولى فى المسرح التجريبى ●

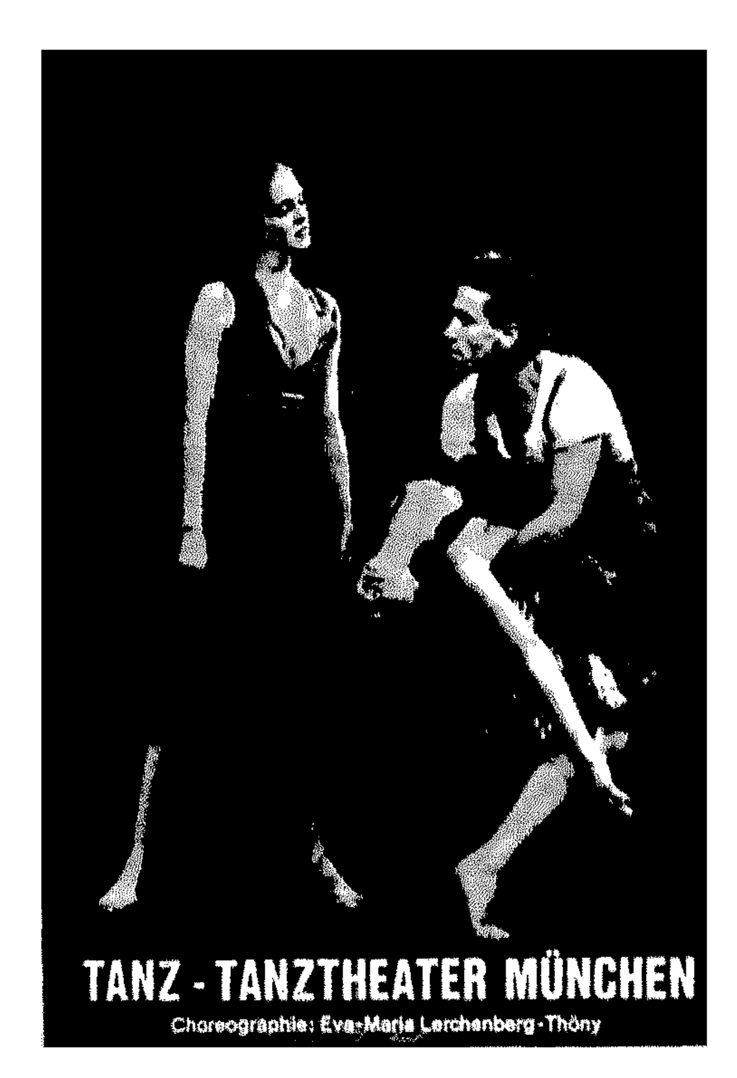
فى اطار مهرجان القاهرة الثانى للمسرح التجريبى قدمت فرقة (تانز ـ تانز تياتر ميونيخ) الالمانية الغربية على خشبة مسرح العرائس بالقاهرة عرض «جلسة سرية» المأخوذ عن مسرحية جان بول سارتر الشهيرة بنفس الاسم ..



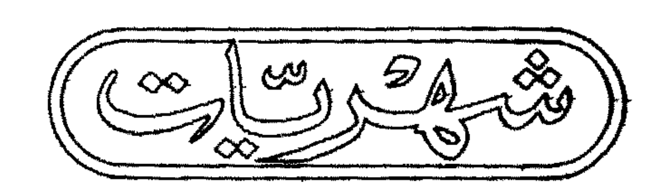
ويرفع الستار على ثلاثة اشخاص هم : جارسان ، واستيل ، واينيز الثلاثة آثمون يدورون فى حلقة جهنمية قذرة (فجارسان) جبان رغم تظاهره الدائم بالبطولة يعشق امراة سحاقية (اينيز) التى تعشق بدورها غانية وقاتلة اطفال (استيل) بينما تعشق (استيل) (جارسان) الجبان .. فنحن اذن فى إلجحيم الذى يتجسد فى حالة الوعى الدائم واليقظة الدائمة ، وتذكر الماضى .. هذه الحالة تقض مضاجع الثلاثة الى مالانهاية حيث لا امل هناك فى القرار .. اذ يعلن (جارسان) :

وحدى انا ، ولا احد فينا يستطيع ان ينقذ نفسه او تنقذ نفسها ـ فنحن مرتبطون ببعضنا الاخر بطريقة لاسبيل الى الخلاص منها

وقد صيغ النص الادبى فى قالب حركي واسلوب صياغة اللغة الكوريوجرافية من حركة وايقاع واشارات والموسيقى اى المؤثرات المسرحية ، وحاولت المخرجة ومصممة الرقصات (ايفا ماريا ليرشنبرج ـ ثينى) ان تعبر وتفسر فلسفة هذه المسرحية بالجسد فقط ، وان تحل اللغة الجسدية مع الموسيقى والاضاءة محل النص ، حيث يظهر فقط ، وان تحل اللغة الجسدية مع الموسيقى والاضاءة محل النص للتعبير عن الانفعال الانسانى وكوسيلة للتواصل منذ وقت مبكر فى عشرينات هذا القرن وروداه (ميخائيل توكين ، وايزادورا دنكان ، وتشارل ويمان ، ورودلف فون لابان ، ومارتا جراهام



ودياجليف) وقد حاول (لابان) ان يقيم مبادىء الحركة المسرحية على اسس التحليل النفسى والرياضى والفلسفى ، وكان منهجه منهجا ثقافيا وعقليا فى مواجهة المنهج الانفعالى والعاطفى عند الاخرين ، ويرى ان للجسد الانسانى امكانيات اخرى غير ما استطاع الرافضون ان يكشفوا عنه فى انفسهم ، وان هناك النظرة الكلية الشاملة للجسد



التى تعلمنا الشىء الكثير عنه .. سواء كان هذا الجسد مدربا او غير مدرب ، واكتشف هؤلاء الرواد علاقة الموسيقى بالرقصات، وان على مصمم الرقصات ان يخلق ايقاعاته الخاصة - حتى لو استخدم الموسيقى فى العرض وتركيز المصممة على الحركات الارضية السريعة والعنيفة التى تبدو فى محاولات الفرار من الحجرة ولا امل ولا مفر .. فالحجرة مغلقة .. فيرقصون تعبيرا عن اليأس ، وتحاول استيل اغراء جارسان لكنه لا يستطيع الا ان يتجاهلها امام عيون اينيز التى ترقبهما ، ويرتبطون فى رقصة ثلاثية لا يلتحمون فيها ابدا ولا يتفرقون ايضا .. فهم يلتحمون لكى ينفصلوا ، وتحاول اينيز الاستحواذ على استيل وتفشل ، وتحاول ان تبعد جارسان عن استيل .. وتشتعل الحرب بينهم ، ويستخدمون المقاعد الحديدية الصلبة كآلات حربية .. يزعقون على الارض ، ويتبادلون الكر والفر حتى يصيبهم اليأس ..

فلا شىء يهم عندما يموت الانسان ، وينفتح الباب .. فلا يخرجون .. فهم فى الجحيم .. وقد ظللتهم حالة القنوط واليأس من الخلاص .. وتتصاعد حالة القنوط الى ظلمة مأساوية ليس فيها بصيص نور واستحالة التواصل .. وافتقاد الشجاعة لمواجهة الذات .. هذه المعانى تتجسد من خلال حركة الجسد البشرى فى فراغ المسرح . فتتشكل جملها عبر الزمن .. ويتتابع الايقاع من خلال تتابع المفردات وتكرارها او امتدادها .. وهذه الجمل تعطى بمشاركة الموسيقى والملابس دلالات بعينها - فالمعانى - تحملها هنا انساق إشارية مختلفة لتكون جملا حركية معقدة ، وتكون فى الفراغ اشكالا لانهاية لعددها .. وتتكرر هذه التكوينات والاشكال عدة مرات بنفس المفردات فى سلاسة ورتابة متعمدة .. وفى حركات نابعة من الداخل تعبر عما يحس به الراقص على المسرح فى اطار الموقف الدرامى .

كتب موسيقى هذا العرض (بيترلودفيج) الذى استخدم الوتريات الحادة (الفيولينا) ، والوتريات الغليظة (الفيولا والكونترباص) بالاضافة الى البيانو فى تنويعات موسيقية تناسب النص الفلسفى المأخوذ عنه العرض .

وان كان لنا ملاحظات سريعة على العرض فهى :

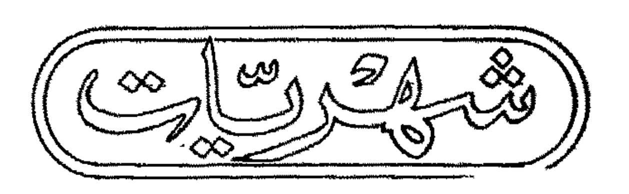
● المبالغة فى توظيف رقص الباليه .

● الاسراف فى اقحام التقاطعات الجسدية ..

● تكرار الايماءات الجنسية الصارخة .

وقد يرد البعض ان ذلك ضرورى للتأكيد على طبائع الشخصيات الغريزية .. ويكفى المخرجة المصممة انها اضافت قيمة كبيرة لامتلاك التعبير الحركى لامكانيات ضخمة فى تصوير الاحداث والشخصيات عن طريق تمكنها من لغة التشكيل والتعبير بالجسد .

عبدالغنى داوود



مكتبة الهلال

الكتاب : المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة

تأليف : نخبة من الكتاب

الناشر : الامانة العامة ـ جامعة الدول العربية



يضم هذا الكتاب البحوث والمناقشات التى تلتها وقدمت خلال الندوة الدولية حول المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة ، والتى نظمتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية فى واشنطن العاصمة الامريكية فى ابريل عام ١٩٨٥ .

شارك فى هذه الندوة اكثر من خمسين من الشخصيات العالمية والعربية منهم نجوم عالمية مثل جيسى جاكسون ، وفينسيا ردجريف ، وجاك بيراك ، ودين براون ، وبرونو كرايسكى ، وغيرهم .

كما شارك فيها ثلاث عشرة منظمة حكومية وغير حكومية من المهتمين بموضوع المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة .

وضمن مانشر فى هذا الكتاب الذى نقل من الانجليزية الى العربية وصدر فى كتاب خلال اربعة اعوام ، مجموعة كبيرة من الصور التى تعرض لحال الفلسطينيين وهم يجبرون مرة على ترك بيوتهم او تهدم وتنسف ، لتشيد مكانها المستعمرات الاستيطانية الصهيونية .

بالاضافة الى ذلك هناك خرائط تفصيلية تبين المستوطنات ومواقعها سواء فى قطاع غزة او الضفة الغربية ، او فى الجولان ، او القدس .

ويمكن القول اجمالا ان هذه الندوة وما نتج عنها من ابحاث ومناقشات هدفت الى ابراز الحقائق المتعلقة بهذه القضية الخطيرة من خلال تبادل حر وصريح للافكار والاراء القيمة بين شخصيات مرموقة بارزة فى مجال الشئون الدولية عملت الندوة على جمعهم معا .

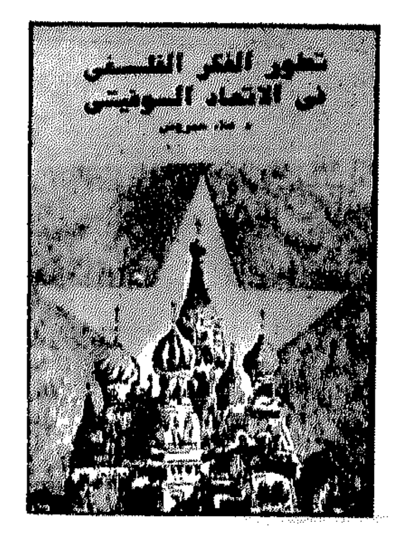
الكتاب . تطور الفكر الفلسفى فى الاتحاد السوفييتى

تأليف : د . علاء حمروش

الناشر : المؤلف







يكاد يكون هذا الكتاب واحدا من اندر الكتب العربية التى ارخت للفلسفة فى الاتحاد السوفييتى ، وان كانت كتب كثيرة قد ترجمت من قبل فى الموضوع ، وكما يقول مقدم الكتاب الدكتور صلاح قنصوة بان هذا الكتاب يأتى على موعد مع الاجتهادات التى تسعى الى اعادة النظر فيما يسمى بالمركزية الاوربية والرغبة فى نزع اسارها والخلاص من غوايتها .

فقد رسخت هذه النزعة الغربية المركزية اعتقادا ، دون استحقاق ، بان تاريخ الفلسفة هو تاريخ المشكلات التى اتخذت اوربا لها مسرحا حيث تعرض عليه وتقدم لها الحلول .

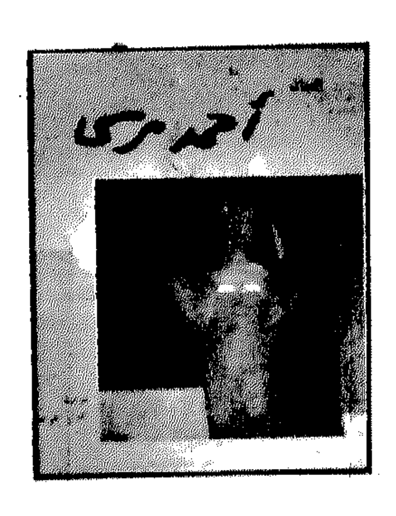
ويقول المؤلف انه فى دراسته هذه حول الفكر الفلسفي في الاتحاد السوفييتي يتناول المرحلة اللينينية فى تطور الماركسية . والفكر الفلسفى السوفييتى من العشرينيات الى الخمسينيات ، والفكر الفلسفى فى الاتحاد السوفييتى من الستينيات الى الثمانينيات فى مجال تاريخ الفلسفة - ثم البيروسترويكا والفلسفة

ويؤكد ان الفكر فى الاتحاد السوفييتى هو جزء من الفكر الفلسفى العالمى وجهد السبيل لحل متحد لعدد من المسائل الفلسفية المهمة المرتبطة بالتطور الاجتماعى الذى كان تعبيرا عن مشكلات ومواقف تختلف عما يطرحه فلاسفة الغرب حول قضايا الفلسفة

مكتبة الهلال

●●

الكتاب : الفنان احمد مرسى .. صور واشعار
تقديم : ادوار الخراط
الناشر : احمد مرسى



"احمد مرسى" فنان جمع طوال سنوات طويلة من عمره بين نشاطات عديدة ، فقد كتب الشعر منذ كان فى العشرين من عمره له ديوان اغانى المحاريب نشره فى الاربعينات ، وكان ولايزال



واحدا من اهم المصورين المصريين شارك فى العديد من المعارض الجماعية ، واقام العديد من المعارض الخاصة ، فى مصر والبلاد العربية واوربا وامريكا ، وهو الان يعيش فى الولايات المتحدة ، وقد اقام أخيرا معرضا ضم عددا من اللوحات الضخمة التى - للاسف الشديد - لم تلق رد الفعل اللائق بها .

وهذا الكتاب يضم عددا من لوحاته الاخيرة ، بالاضافة الى مختارات من اشعاره التى كتبها فى الفترة ما بين عام ١٩٤٩ و ١٩٦٩ .

يقول ادوار الخراط فى مقدمته لهذا الكتاب : احمد مرسى فنان طهرانى ، واعنى بهذا ان له اسلوبا نقيا ، خالصا من شوائب كثيرة قد نجد عطارتها اليوم فى كثير من الاعمال ، وهذا الاسلوب نحن اليوم احوج ماتكون اليه ، حتى نمضى على الطريق فى انجازات المدرسة الفنية التى يسعنا ان نسميها "المدرسة المصرية" بمختلف تياراتها ومذاهبها .

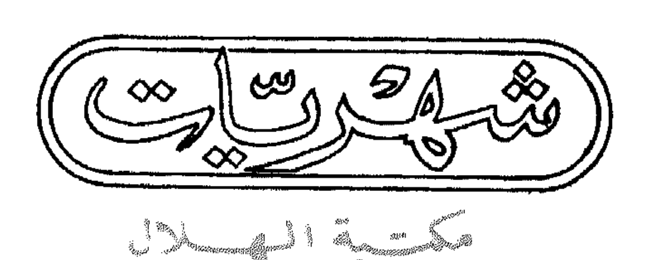
كان احمد مرسى كما يؤكد الخراط من اوائل الذين كتبوا الشعر الحر او شعر التفعيلة بايقاعات جديدة ، كان يرسم ويعرض لوحاته مع فنانين من قامة عبدالهادى الجزار ، وحامد ندا ، ومحمود موسى ، وفى الوقت نفسه يكتب بغزارة وتدفق مقولات شعرية وقصائد تكاد تند عن الحصر ، يقترح فيها طرقا غير مسبوق اليها ، لو جمع شعره لتكونت منه كتب كثيرة وكبيرة ، لكنه ، فى السبعينات توقف عن كتابة الشعر فجأة ، لكن ينابيع الشعر عنده مازالت ثرية غنية .

كتاب تحت الطبع

● "لبنان : انهيار .. ام انتحار"
● المؤلف : الكاتب الصحفى محمود أحمد .
● الناشر : مركز "الاهرام" للترجمة والنشر

هذا كتاب متميز اقل ما يوصف به انه "غير عادى" ، ليس لانه يبحث ويدقق ويحلل ، وانما لانه يعرض تجربة حية فريدة لواحدة من اهم الازمات العربية المعاصرة : ازمة لبنان .

ولانه عن لبنان ، فانه



يأتي في وقته تماما ، كأنه إجابة حاضرة على التساؤلات المفعمة بالدهشة والالم التي تدور في اذهان الكثيرين منا ازاء هذا الذي جرى - ولايزال يجرى - في لبنان منذ خمسة عشر عاما . وقد عاش المؤلف - الزميل الصحفي محمود احمد - عشرا من هذه السنوات في لبنان ، متابعا الاحداث يوما بيوم ، بل ولحظة بلحظة ، ولهذا ، فانه يمكن القول ان تجربة كهذه فقط كان يمكن ان تثمر على هذا النحو ، فتقدم لنا ذلك الكتاب الذي لاشك انه سيمثل اضافة الى المكتبة العربية التي تفتقر الى هذا النوع من الكتب القائم على التجارب الشخصية الحية والمستمدة من حرارة التجربة وصدقها .

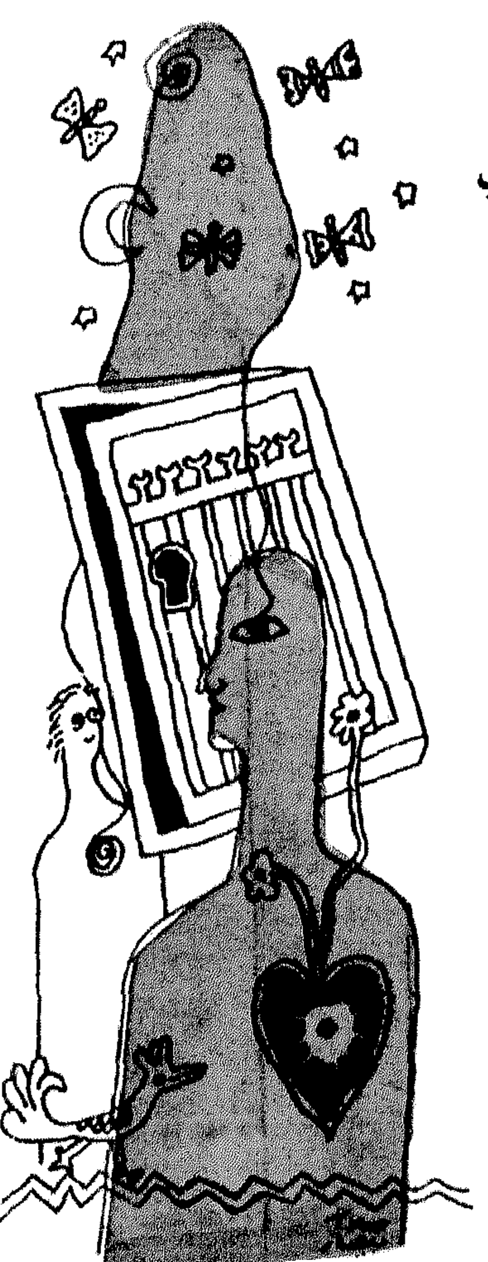
ويختزل المؤلف تجربة السنوات العشر التي عاشها في خمسة فصول ، يكاد يكون كل منها قائما بذاته ، بل يكاد يصلح لان يكون كتابا مستقلا ، مما يساعد القارىء على العودة الى عناصر ازمة لبنان الدامية مع الغوص الى جذور هذه الازمة دون تعقيد .. وايضا دون اخلال .

فالفصل الاول - التمهيدي - مدخل ضروري لفهم لبنان الذي قصده المؤلف للعمل مراسلا صحفيا في اواسط السبعينات ، وكيف بدا له جميلا خلابا ثم لم يلبث ان التهب كالاتون قاذفا كل العنف الكامن والذي اهمل علاجه اهمالا قاتلا . ثم يأتي الفصل الثاني لينقلنا مباشرة إلى واحد من أهم عناصر ازمة لبنان وهو عنصر "الطائفية" المدمر الذي قوض وحدة لبنان وفرق شعبه واطاح بصيغة التعايش الفريدة فيه ، وفي الفصل الثالث ، يعرض الكتاب لظاهرة الميليشيات والسلاح التي لولاها - كما يقول المؤلف - لما وصل العنف في لبنان الى هذا المدى الذي وضع البلد على حافة الهاوية ، ويتحدث الفصل الرابع عن مشكلة الوجود الفلسطيني في لبنان ، طارحا هذا التساؤل الذي يبدو كاللغز : ايهما جنى على الاخر .. هل جنت المقاومة على لبنان ام كان هو الجاني عليها ؟ اما الفصل الخامس والاخير ، فيضع امامنا ، بكل الوضوح الممكن ، كيف تضخم حجم الازمة اللبنانية اضعافا نتيجة للشد والجذب السوري الاسرائيلي على ارضه بعد ان اصبح - وهو البلد الصغير الهش الكيان - ساحة للصراع بين هذين البلدين اللذين كتب على لبنان ، جغرافيا وتاريخيا ، ان يكون محصورا بينهما .

ولايصلح هذا العرض السريع لتقديم كتاب بهذه القيمة ، وفي التوقيت الذي يصدر فيه ، وانما ينبغي ان نشير الى انه رغم جهامة الموضوع ومأساوياته ، فان المؤلف استطاع بالعرض البسيط والشائق ان يضاعف الفائدة التي يحققها الكتاب لقارئه .. وهي فائدة جزيلة ، ومؤكدة .

خيط الذاكرة

شعر: السيد ابراهيم عطيه



كل مساء ..
اتقدم فى استحياء
من باب يرهق ذاكرتى ..
فارى طيفا .. نورا مرسوما
اياما من عمر لايفنى
وانا .. اذ يوصد هذا الباب ..
المح انوارا تخفت
الوان فراشات تصمت ..
تصمت فى قلبى كل اغانى الحب
وتهاجر كل فراشات الصمت
لتشكل رسما ابديا
فى زمن ابهى
انصت ..!
اذ طفل ياتى
يخبرنى عن زمن ياتى
يطمس كل معانى الحب ..
عن ايد تدنو
تقطف احلام البلدة
وانا .. إذ تدنو هذى الايدى
يتشكل حزن فى قلبى
ازعم ان الشمس تدور
ـ عن خطا ـ دورتها الأولى
ارجع ..!
أسحب خيطا من ذاكرتى
ارسمه شمسا فى قلبى
اهمس ..!
ياطفلى .. خذ هذا الخيط
وارسم حلمك ماشئت
وسياتى دورك ..!!

معهد الصيدلة الأمريكي يحتفـل بكتاب طب الأعشاب "للكندي"

إعداد : عادل عبدالصمد

في المعهد الامريكي لتاريخ الصيدلة الان ضجة كبرى واحتفال يصل الى حد المهرجان دون ان يدعى اليه اصحاب الفرح فقد اصدر العالم الامريكي (جلين سون ديكر) احد اساطير ذلك المعهد كتابا ترجمه عن (ابي يوسف يعقوب الكندي) العالم العربي الذي وضع كتابه (الاقرابازين) في التداوي بالاعشاب الطبية منذ مئات السنين ولسنا ندري اذا كان جهلنا هو الذي حال بيننا وبين حضور هذا الحفل ؟ ام ان صلف الامريكان وتعاليهم هو الذي منعهم من دعوة العلماء الصيادلة العرب .؟



THE
MEDICAL FORMULARY
OR *AQRĀBĀDHĪN*
OF AL-KINDĪ

TRANSLATED WITH A STUDY OF
ITS MATERIA MEDICA BY
MARTIN LEVEY

THE UNIVERSITY OF WISCONSIN PRESS
MADISON, MILWAUKEE AND LONDON

● الخرشوف لمعالجة القروح

● الصفراء للصداع

● شوك الجمل او الاشارب لمنع الاسهال

كـتـاب طـب الأعشاب "للكندى"

كتاب (الاقرابازين) وضعه العالم والفيلسوف (يعقوب الكندى) منـذ الف عام تقريبا « ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م » وجمع فيه ما يقرب من ألف وصـفة علاجية · حدد فيها أسماء الاعشاب الطبية ، ومقاديرها ، وطريقة خلطـها كيميائيا واستخلاص المراد منها لالف داء أو مرض يتعرض له الآدمى - من أمراض العيون الى أمراض المعدة الى أمراض القلب ·· الى الصرع ·· ثم الاسنان · وكل الفم داخليا وخارجيا · وفى الكتاب لم يتوقف (الكندى) عند تجاربه فقط ·· بل أضاف تجـارب الآخرين فى طب الاعشاب ، ووضـع مع كل وصفة الداء الذى تعالجه اسم الصيدلى الذى تداوى بها دون عدوان عليه ·· كما تقضى الامانة العلمية ، وقد اثبت اسم (صالح اليهودى) ، و (أبو نصر الدملى) ، وابن (الحفاف الاكبر) ، و(محمد الصـيدلانى) بجوار أسماء الاعشاب ، والمقادير ، والامراض التى تعالجها ، وأعطى كل ذى حق حقه ·

وقد بذل المترجم ، وفريق معهمن الذين كرسوا انفسهم لهذه المهمـة · جهودا مضنية فى مراجعة أسـماء النباتات ، والتحقق منها ·· فكثيـرا ما تختلف اسماء هـذه النباتات ·· بتغيير المكان ، والزمان ، وقـد نجـد للنبات الواحد اسما فى بلاد العـرب غيره فى الهند ، وقد يتحور الاسم مع مرور الايام الى اسم اخر ، وهكـذا كانت صعوبة الترجمة التى تتطلبـها الامانة العلمية ، ودقة صناعة الادوية سواء فى أسماء النباتات أو كميات المقادير ، والاوزان أو المكاييل ·· فعلم جميعا أنها تختلف من شعب الى شعب ·· وقد كلف ذلك فريق العلماء العودة الى أسماء هذه النباتات فى اللغـات القديمة كالهيروغليفيـة المصرية ، والقادية والسومرية ، والتركيـة ، والفارسية ، والسنسكريتية ،والعبرية، والسورية ، والارامية ، والعربيـة ، وقد استغرق هذا وقتا طويلا لكـن صدور العلماء كـانت ترغب فى أن تجىء الاسماء صحيحة غير محرفة ،

وقد قام المترجم ومن معه بتحقيـق ٣١٨ اسما من الاسماء التى جاءت فى هذا الكتاب ومع كل اسم نبات نبـذة عنه ، والادوية التى يدخل فى تركيبها · والا كانت العاقبة أسوأ مما يتصـور اى انسان ··

مما جعل الكتاب اشبه بموسوعة صغيرة ·· لهذه النباتات ، وامام كل اسـم طريقة نطقه بالعربية ، والمقابل باللغـة اللاتينية ·· وهو جهد يستحق اكثر من الاعجاب ، و « الاقرابازين » كواحـد من كتب العلاج بالاعشاب او الطـب الشعبى ليس مجهولا من العربية ·· الا ان غزارة الكتب التى الفها (الكندى) فى العلوم الاخرى · جعلتنا لا نـلقى اليه الاهتمـام الذى يسـتحقه ولم نهتم فى الشرق بالكتب التى تتحدث عن النباتات الطبية ، والطب الشعبى · الا حينما نقلها المستشرقون ، ونشروها فى القرنين الاخيرين حينئذ فقط ·· تذكرنا أننا أصحاب هذه الكتب وأهلها، وأحق بها ·· !

والاستاذ الدكتور « على عبدالفتاح » عميد طـب عين شـمس يـرى فى « الاقرابازين » لابى يوسف يعقـوب الكندى أن هـذا الكتـاب بالذات لم تغفل عنه ذاكرة الطب العربى ·· بـل اخذ عنه الكثير ، وله عظيم الاثـر ·

● « الحلبة » لتقوية الأعصاب وتنشيط غدد الرجولة ..

لتناوله ، وتحديد اسماء مئات النباتات الطبيـــة ، ومقاديرها ، وخلطهـا ، وفصـــلها ، وتجفيفها أو سـحقها ، واستعمالها ظاهريا أو باطنيا ، ولسنا فى حاجة الى ان نقول ان هذه الاعشاب هى المصدر الاول والاخـــير لمنتجات مصانع الادوية فى العالم ، وان عقاقير الطب القديم والحديث مصدرها هـذه الاعشاب التى تم اختيارها بالتجـــربة خلال قرون متوالية ، ووصلتنا هـــذه الاسماء والوصفات بعد نجاحها المتواتر فى العلاج · على أيدى العباقرة مـــن أمثال « الكندى » و « الانطاكى » ، و « محمد الصـيدلانى » ، و « ابن الحفاف الاكبر » ·

● العناقيد الوردية · لعلاج السرطان

وليس ادل عـلى ذلـك من مـــادة « الايجونوكسين » التى تعالج القلب ، وقد استخرجت من زهر نبـــــات « الكشاتبين » عام ١٨٦٩ ـ وبعد ٦١ عاما تم استخلاص مادة « الديجوكسين » منها عام ١٩٣٠ ـ « اقراص لانوكسين »

كذلك مـــادة « الكولتسبش » التى تعالج « النقرس » بنجاح ·· فقـــد استخرجت مـــن نبـات « اللحـــاح الخريفى » ، والغريب ان هذه المادة هى التى إضاءت للباحثين الطـــريق لاستكشاف تركيب « الكرموسومات » ، « والصبغيات » داخل نواة الخليـــة الحية ·

● ست الحسن

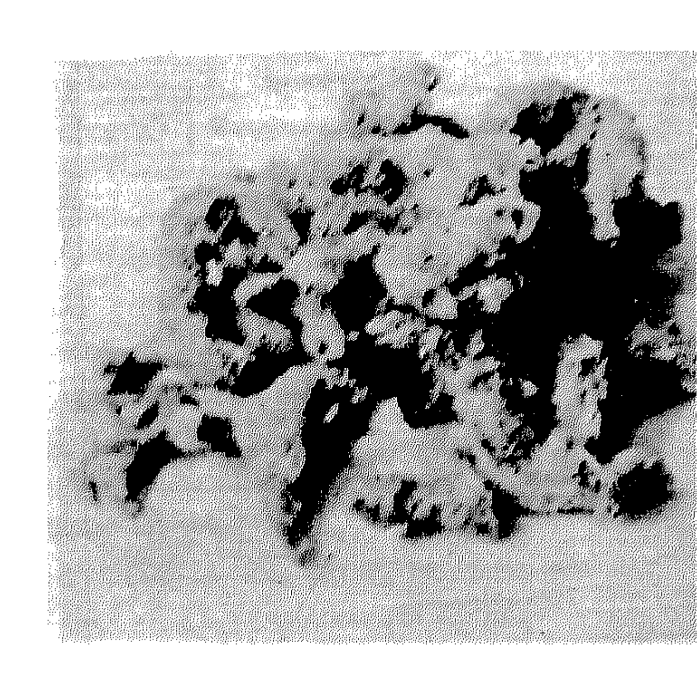
ونبـــات « ســت الحســـن » أو « الخشخاش » « بلادونا » ، وهو الذى الذى استخدم فى الوصول الى مـــادة (الاتروبين) الذى يوسع حدقة العين ، ونبات « ست الحسن » اكتسب اسـمه لاستخدامه فى مواد التجميل · حيـث يجعل الخدود محمرة ، ويمنع خـروج العرق ، وافراز رائحته بالاضافة الى انه يزيد من جمال العينين ·

أما مادة (الافدرين) التى تعـــالج الربو ، وتعمل عملها فى توسيع الشعب الهوائية ، وقد استعمله الصـــينيون القدامى من اقدم العصور فى عـلاج الربو ، وهى مستخرجة من نبـــات « الافدرا » ، وهى زهرة معروفة فى عالم الزراعة الشعبية ·

ويعتبر « البابونج » من المســهلات الممتازة للامعـاء والـدواء النـــاجع للالتهابات ، وتحقيق التوازن الهرمونى فى الجسم الانسانى ، ونبات « الخلة » استخدم فى مصر منذ العصور الاولى لتوسيع « الحالب » ، واسقاط الحصوات الحالبية ، والكلوية ، كما استنبط منه الاطباء العرب ، المصريون خاصـــة علاجا للبهـــاق ، وبعض الامـــراض الجلدية ، ووضع منه « الدكتور حســن عبد العال » أستاذ الامراض الجلدية ، والتناسلية بالجامعات المصرية مـــادة رسالة الدكتـوراه الخاصة به مـــع تجاربه على هذه المادة ، وابحـــاثه التى اجراها على مرضاه ، وتحدث عن « الخلة » فى كثير من المؤتمرات الطبية فى الخارج التى انعقـــدت لابحـــاث الامراض الجلدية ··

كتاب طب الأعشاب "للكندى"

● الخلنجات لألام العظام وعرق النسا



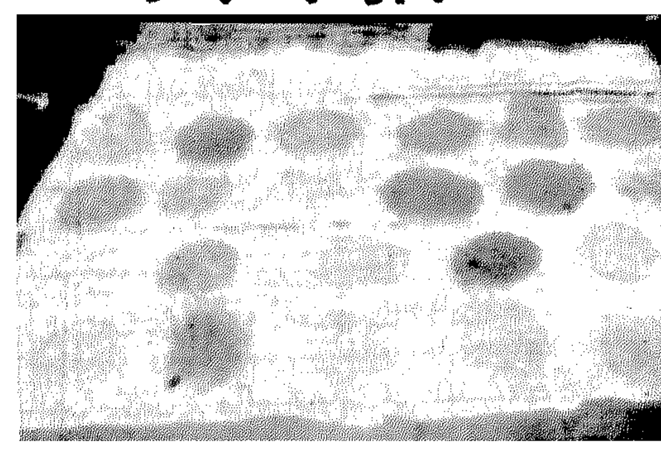


● الاهليلج لألام البواسير والربو

● التوتيا للالتهابات الجلدية .



● الدارصينى لطرد الغازات من المعدة





● العرقسوس لعلاج قرحـة المعـدة

● مجموعة من الاعشـاب المجففة والتى تدخل فى علاج كثير من الامراض

● العرقسوس

أما « العرقسوس » ، وهو يحتوى على مـادة « انتى كورتزينية » ، التى تعالج قـرحة المعـدة بشكل سليم ، ومنخفض التكاليف ، وكذلك «الحلبـة» النبات المصرى المعـروف اذا خلط بالشيح كان من أقوى علاجات القولون العصبى ، وهناك نحو خمسة الاف نبات طبى لم يستخدم منها الا بضع مئات ، ومازالت المعامل تنتظـر خلاصـة اكتشافات الباحثين المخلصين ..

وقد أصـبح بعد توافر وسـائل « التكنـولوجيا » ، والتحليـل « الكروفوجرافى » ، والقياس الطبقى، والرنين المغناطيسى . من الممكن تحديد أنواع المواد الكيميائية، وكمياتها التى تحتشد بها النباتات الطبية المجهولة . التىلم تتناولها وسائل البحثلاستخراج كنوزها الطبية التى تعمل على عـلاج الامراض ، وتخفيف حدة الام الانسان أو القضاء عليها ..

● علاج البرد والرطوبة

والعـالم « الكنـدى » ذكر فى (الاقرابازين) العديد من الامراض ، ووصف العلاج لها ، ويضيف الدكتور

كتاب طب الأعشاب "للكندى"

(على عبد الفتاح) انه يستعمل « الحلتيت » الطيب ، وبذر الكرفس ، والحلبة الشامية ، وحب الحرمل ، وصمغ الذاب ، ولباب حب القرع ، ويصب على كل هذا عسلا منزوع الرغوة ،ويستعمل بعدها كمزيج لعلاج البرد والرطوبة ·

ومعجون « ارسانبيات الهند » ويقال له « أنوس وان » ، وهو دواء للابتهاج يدخل السرور على من يشربه، ويذهب الحزن عن من يتعاطاه ، ويقوى النفس ، والقلب ، والمعدة ، ويجعل العرق طيب الرائحة ، ويفيد الكبد وهو يؤخذ قبل الطعام أو بعده ويتكون منالمجموعات الاتية : الورد الاحمر ، والقرنفل ، والسنبل ، والاسادون والدان ، والقرفة ، والزعفران ، والسياسة والعاقلة، والهال ، والحوه، وتدق هذه الاعشاب ، وتنخل بالحرير على أوزان محددة ، وتخلط جيدا ثم يضاف لها املبح · مع ـ فانيد سجزى ـ ويغلى كل هذا برفق حتى تختلط ، وتذاب ، ويؤخذ على الريق··

واذا جئنا بالدادى ، والخولنجات، وعجناهما بعسل منزوع الرغوة مع السمن البقرى ، وصنعنا من الجميع عجينة · فان ذلك يفيد فى شفاء البواسير ، وتسكين الامها بالدهان فقط · كما أن نخاع الثور ، ودهن الاوز ، وصفار البيض ، وشمع النحل، والرصاص الابيض ، والورد المقطر ··
اذا عجن كل ذلك ، وعملت منه لبخة على قطعة من القماش الناعم ، ووضعت على الشرج افادت فى علاج البواسير ·

كذلك هناك ضماد للكبد ، والطحال يتكون من البابونج ، وحربخوش ، وخاشا بطيخ ، وخل يوضع من الخارج على الطحال ·

ولعلاج « الحكة » (الهرش) يستخدم الكبريت الاصفر بعد أن يدق جيدا ، يوضع فى زيت زيتون دافىء ثم يوضع على أماكن الحكة ويستعمل حتى يصير فى قوام المعسل الابيض· فى علاج الجرب أيضا · أما الخراريج فلها مخلوط يتكون من الصبار والمر والصمغ ··

عودة للنزلات الشعبية ، وهى اكثر الامراض شيوعا فى أيام الشتاء ، ويصنع من أجلها هذا العلاج المكون من العنب ، والصنبور ، وجذور العرقسوس ، وتخلط جيدا ، وتصفى ثم تمزج بالعسل الابيض ، وتأخذ صباحا، ومساء، وتستخدممستخرجات العرقسوس ، والسكريات فى النزلات الشعبية ، وحساسية الصدر لانها تساعد على استخراج البلغم ·

● أسال مجرب

وقد حاولت ان اتحقق من بعض هذه الاعشاب ، وكيفية العلاج بها· كما حدد ذلك كتاب (الاقرابازين) من أحد اخصائى الاعشاب فى مصر (عبد الرحمن محمد حراز) فقال لى ان اكتشاف الاعشاب الطبية ، ومعرفة خواصها ، وفوائدها نقلة كبرى فى عالم الطب ، والاطباء القدامى هم أول

● « الخلة » للبهاق ، والأمراض الجلدية وبذرها لطرد حصوة الكلى

من اكتشفوا فوائد « الخلة » واستعملوها بعد غلي بذورها فى طرد الحصوة من الكلى ، وتوسيع الشريان التاجى . والان تدخل هذه البذور فى مركبات « اللبنامين » ، ونبات « الافى ماجس » لمرض البهاق الصدفية .

و « بذور الحرمل » تداوى الصراع والاضطراب النفسى ، والصداع النصفى ، و « ورق الحناء » فوائده لا تعد ، فهو يفيد فى قروح ، والتهابات فروة الرأس ، وبصيلات الشعر ، وقرح المصران، والمعدة، والدوسنطاريا أما « الشعير » فيصنع منه شراب مقو ومدر للبول ، والصمغ ، والعنب ، وبذور السفرجل ويصبح ملطفا للسعال ومريحا للصدر، ومخففا لازمات البرد. أما النعناع ، والزعتر ، والكسبرة ، والكمون ، واليانسون ، والشمر ، اذا خلطوا ووضعوا فى ماء حتى يتم غليهم ويصفوا . ثم يتحولوا الى شراب يفيد فى التخمة والمغص ، وطرد الرياح ، وكذلك الكراوية ، وجوز الهند ، والترمس ، وقشور الرمان ، ولب القرع العسلى ، والشونيز يفيد فى طرد الديدان .

● الكتان للسعال ونزلات الصدر.

● الحلبة لفتح الشهية ، وتقوية الاعصاب ، وتهدئة الجسم من لهيب الحرارة ، وقد اكتشف أخيرا انها تحتوى على هرمونات منشطة للغدد وللجنس .

● الخيار الجبلى البرى يسمى « فاقوس الحمار » ، وكان يستعمل قديما للخراريج والاورام ، وقد اكتشف حديثا انه مفيد جدا فى علاج السرطانات .

● وقد ذكرت الدوائر العلمية اخيرا ان علماء روسيا اكتشفوا علاجا لامراض القلب مستخرجا من نبات اسمه (كورجليكون) ، وهو أحد انواع نبات «زهرة الوادى» ونبات «اننحلاح» المعروف فى قرى صعيد مصر يفيد فى الالام الروماتيزمية ، والاعصاب ، والمفاصل ، وعرق النسا

.. أما نبات « الكاموميل » ، وهو زهور نوارات «البابونج» فتساعد على الهضم وتنشيط الدورة الدموية لاحتوائها على حامض (الانتميسك) ، وعلى حامض «الجليك» الذى يفيد المعدة ، ويسبب الشعور بالدفء ويطرد الغازات ، ويستعمل كمدات لمعالجة الرضوض ، والتواء المفاصل والنقرس .

● ونبات (الدارصينى) وهو من فصيلة القرفة يطرد الغازات من المعدة والامعاء وينشط الامعاء ويساعد على الهضم ، وتنشيط العصارة الهضمية .

● ونبات « الشمر » أو « بذور الرازيانج » الى جانب انه عطرى يفيد فى السعال والربو ، وينقى المثانة ، ويفتت حصوات الكلى .

وبقى أن نقول ان « الكندى » فى كتابه « الاقرابازين » الذى ترجمه الدكتور (جلين سون ديكر) الاستاذ بمعهد تاريخ الصيدلة الامريكى . قد ذكر كل هذه الاعشاب ، وآثارها ، والمقادير التى تخلط بها ، وطريقة استعمالها . لكى تؤدى وظيفتها فى شفاء الامراض أو الاصابات التى تصيب الانسان وقد كنا نأمل أن تدعى الهيئات العلمية العربية الى هذا الحفل فقد استطاع الكثير من أبناء مصر ، والبلاد العربية الاستفادة بكتاب « الكندى » ، وطب النباتات الشعبية ، وجعل بعضهم رسالته فى الدكتوراه التى حصل عليها من مادة هذا الكتاب، وسوف تظل كنوز الطب العشبى ، تكشف عن نفسها لكل باحث ، وعالم يعكف على التفتيش فى طياتها ، وتجهد نفسه فى التجارب ، والابحاث ..

أسير مكتبى
أعرف بهجة تنوق لحظات الفراغ كلَّ مساء
أعود مكدودا ، أتحلل من أربطتى فى صيحات
التلاميذ المغادرين المدرسة
أعبر الحديقة
أسمع ، وأنا أتجول ، وداعات الأعشاش للشمس التى تغيب
ضوضاء هائلة مشوشة
وأنا مسرور كطفل ينزهونه فى عربة
أشاهد .. أعجب .. وأحس فى سعادة بذلك الشعور الساذج لمن يتجول

★ ★ ★

إننى حقا أحب باريس محبة سقيمة
وبداخلى احزان ضفاف نهر السين
وأمام البحر الممتد
وامام القمم المغطاة بالجليد
احلم بضاحية ملأى بالطفولة والألعاب
بربوة ملساء حيث ربة الشعر تجهد نفسها
فى استكناه النغمات الدقيقة فى السماء المكتئبة
وبأطراف نهر بياقر ، والحقول المنسية
حيث يمكن مدّ حبل الى الجذوع والفروع
لتعلق عليها الملابس فتجف
وفى احد الأركان من جزيرة جرينيل نصيد السمك

★ ★ ★

أيتها الاحياء الريفية والمنعزلة : اننى افضّلك
بليالى صيفك المعبقة بأريج الحدائق
واحب حفلاتك الراقصة فى الهواء الطلق
حيث ـ فجأة ـ تنطلق الضحكات بملء الفم
ورقصة البولكا ، وفتح الجرار والدوارق
والكاسات « نخب الصحة » تتلاقى فوق الموائد الخشبية
ثم .. بين الضحكات والكلمات
والرياح المضمحلّة بين العَذَبات القاتمة
يأتى الصرير المنغم للأراجيح الثقيلة ..

للشاعر الفرنسى : فرنسوا كوبييه ترجمة : محمد محمد السنباطى



رسـم الفنان : حلمى التونى

٤ أقصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم

صباح عيد!!



بسم الله الرحمن الرحيم ولا اله الا الله ، والحمد لله ، الاسلام شرعته العلن ، وطقوسه الحفلة والجهر بالقراءة والتكبير والتأمين وراء الامام بأعلى الاصوات . خلوا الاذان يجلجل من على كل المآذن ، والخطب من على كل المنابر ، تقتحم كل عزلة ، تقض مضاجع النائمين ، تفتض كل انفراد ، حيث الشيطان رفيق المنفردين ، والوساوس حليفة الاجساد المدبوسة فى الغرف ، المبلولة بالعرق اخرجوا ، اغتسلوا . واتخذوا احسن جلابيبكم ، وتعمموا ، واقصدوا موائل الجمع ، ومواطن الاجتماع ، حيث تقام الفرائض والفرح بها حيث تؤدى جماعة .

وفى المواسم اطبخ لحما يا سيدى ..! عكر دسوت الطبيخ بالمرق ، المزين بعيون الدسم ..! وسع على عيالك ، وعلى جارك الفقير ، واستقبل ضيفك ، وانفق من مالك الحلال . اشتر فاكهة وحلوى وتمرا ، وفرقه فى الناس ، واعط عن سعة يد . وهو اذا يبذر الثقل طوح يديه يمينا وشمالا من مرقده . رمقته زوجته دهشة ، ثم خفضت عينيها حذرة ، لكن الرجل تنبه لها ، عرف موقفها وعينيها عليه ، حدجها ببصره ، وهتف بها ان :

ـ يا امرأة ..!

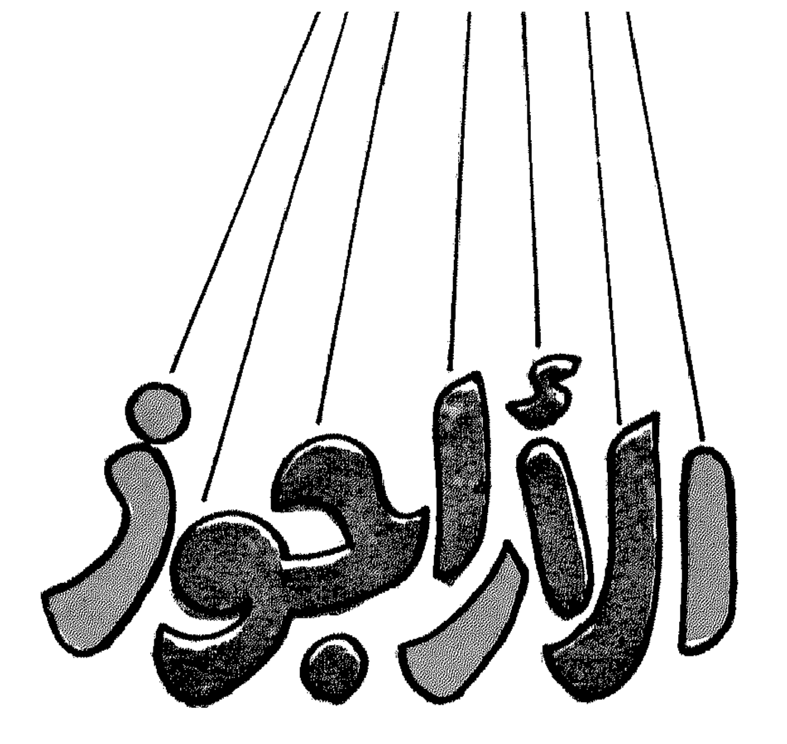
وقفت عما فى يدها ، سمعته منصتة ، مطيعة مجاوبة ، وهو قال لها :

ـ يا امرأة .. غطنى!

وهى تدثره باللحف ثرثر معها عن رمضان ، اليوم اخر الصيام ،وبعد نحن فى شوال ، شهر العيد ، الغرة منه عيد الفطر ، كل سنة وانت طيبة شريت كل شىء لك يجعل لعيد وعلى العيال سعيدا ، خلقانا وطعاما ، وعمرت جيوبهم بالضايبع ..! الا يجمل بك ان تحمدى الله على احسانه ؟ سالها واجابته قائلة له:

ـ ستر الله عليك كما انت سترنا وعزنا ..!

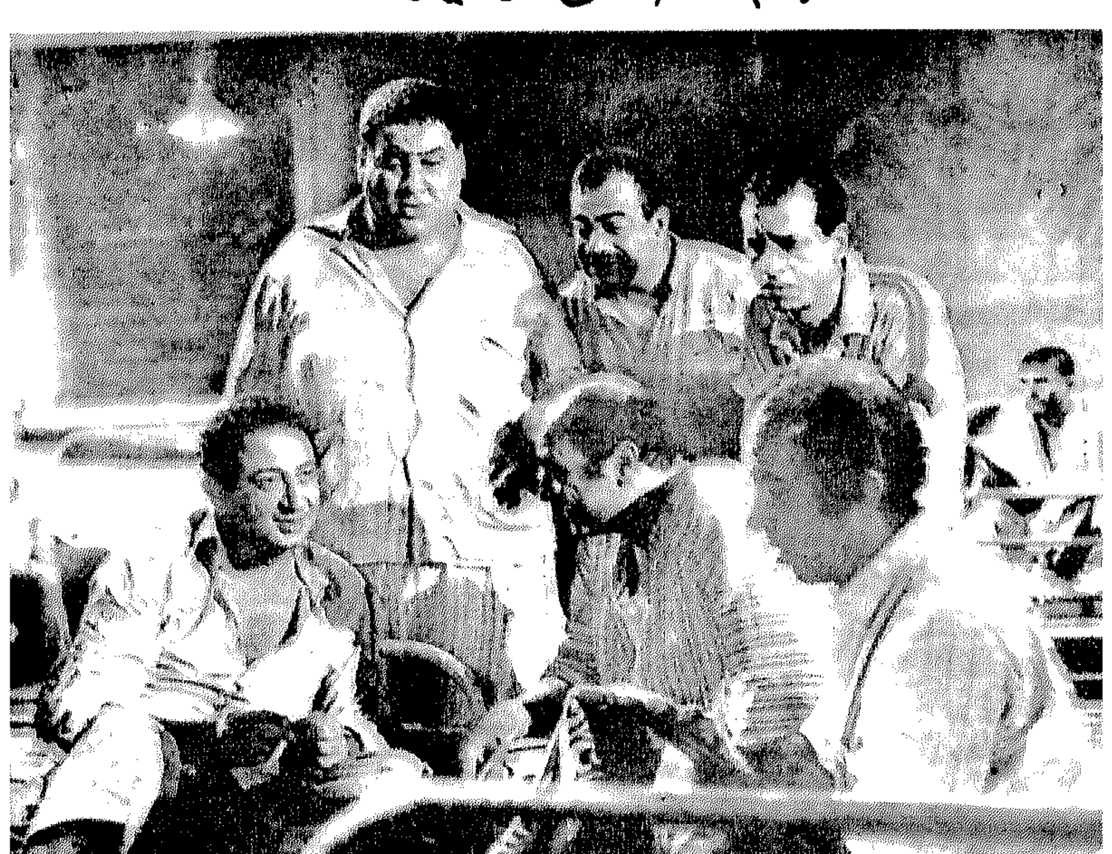
قال لهـا :
ـ احكمى الغطاء على يا امراتى ، فان العيد غـدا ٠٠ !
واول علامة لقدم علمتها قدمه على الندى المختوم باحكام ينام تحته التراب على الطريق لمسجد الجامع ٠
يمشى مختـالا فى جلبابه الكشميرى ،تحته قفاطين الشـاهى والصدارى ، متحـزما بحزام الحـرير وعلى اكتافه العباءة من الجوخ وينصبع جبينـه تحت العمامة البيضاء ،وعيناه منكسرتان بالتقـوى ، وشفتاه مشـغولتان بالتسابيح ترنمها سقوط حبات المسبحة واحـدة على الاخرى ، فوقعـة على ايقاع عصاه يضرب بها الارض ضربا رفيقا٠ يقترب منه رجل عليـه جلباب نظيف ، وتقيـة مقسواة ، وتحتها جبين مقطب ، والعصا تخبـط الارض خبطات غضاب ٠ بعد ان تبادلا صـباح الخير ، وكل عـام وانت طيب ، قال الرجـل ذو التقية للشيخ المعمم :
ـ انى بكرت بالسروح الى الحقول فوجدت الترعة جافة كقعر الـكف ٠٠ !
رد عليه ذو العمـامة :
ـ آتسرح مبـكرا الى الحقول يوم العيد ؟
قال له ذو التقية :
ـ نمت مشـغولا بالزروع العطاش ٠٠ !
غضب المعمم وقال له:
ـ ايشغلك عن العيد عطش الزرع ، وصبح الاحتفال٠٠ فانى تؤفكون
قال له الرجـل ذو التقية :
ـ صدق الله العظيم ٠٠ اى نعم ٠٠ !
ثم جلسا متجـاورين على الحصير ، فى رواء المسجد ، بين صفوف من مئات المصلين ، يكبرون معهم ويحمدون ، لكن فى كل قلب ما يشغله ٠
الشيخ ذو العمـامة مجذوب للترتيل العالى، يتمايل مغمض العينين ، يعجبه صوته ، وصوت الجمع بطاقة تبـدى غناءه ، لكن ضربا من الانشغال وراء الانشاد واهمال القد على المقاطع، ونسيان وراء شـرود البال ، وحول العيون ٠ يهز راسه صخبا وغضبا، يزمجر بالكلمـات حتى يوقظ الهمم ويسحب العزم فى جذبات الرحمن ، فى الغناء العظيـم ، حتى صعد الخطيب المنبر ٠
انصرفا المعمم وذو التقية ، اولهما يشغله انه ما حصل موعظـة نافعة من خطبة العيد ، يا اسفا لانشغال الناس بالزرع العطشان واخذه معهم فى ذلك ، وهـذا عطش الزرع يشـغل ذا التقية ، يمضـيان لا يتبادلان حـديثه حتى زارا المقبـرة واتيا يسلمان على النـاس بالعيد ، وانتهيـا الى الشيخ المعمم ٠
امر هذا الشيخ بان تحمل له صينية حافلة بالكعك والبسـكويت والغـريبة والنقـل من افضـال اللـه على العبد فى عيـده ٠ وقف منتصبا تياهـا فى ثيابه يلوح بيديه ، يقول للناس :
ـ اقبلوا على طعامكم يا ضيوفى فى يوم عيدنا
والنـاس يقبلون متـرددين فى الاكل ، وزاهدين فى حـديثه ، فانهم مشغولون عن العيد بجفاف الترعة ٠
حتى اذا صاح واحد يجرى فى الطريق يصل صياحه لهم من شبابيك المضيفة : ـ
ـ الماء ملات الترعة!
وافرغت الكلمـة المضيفـة من الزوار ، وبعد زياط المضـيف وضيوفه بقى صـمته وبقايا الاكل على الصينية جلس على المصطبـة يعاشر السكون ٠ حتى اذا اطلت امـراته من باب المضيفة ٠ خلـع عمامته وناولهـا لامراته ثم خلع العباءه والجلباب وقال وصوته محتبس :
ـ اهكذا يكون الامـر فى صباح عيد ٠٠ ؟



و « أيام الغضب »

خطوة إلى الأمام

بقلم : مصطفى درويش

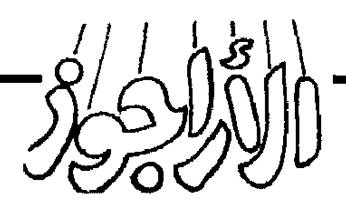


نور الشريف مع المجانين



إلهام شاهين .. مغتصبة فى ايام الغضب

عمر الشريف مع ميرفت امين فى الاراجوز ..



لعلي لست بعيدا عن الصواب إذا ما خلصت الى القول بان موهبة الأخراج من أكثر المواهب الفنية ندرة .

ومن هنا قلة الأعمال السينمائية التى كتب لها البقاء بوصفها غذاء للروح من بين الآلاف المؤلفة من الأفلام التى جرى انتاجها على امتداد عمر الفن السابع ، وهو عمر مديد يكاد يقارب المائة عام .

ومرة أخرى ، لعلى لست بعيدا عن الصواب إذا ماذهبت من فرط حماسى لفيلمين ابدعهما «هانى لاشين» و «منير راضى» إلى حد القول بأنهما مخرجان يتحليان بموهبة تؤهلهما للإسهام بدور كبير فى النهوض بصناعة الأفلام .

والفيلمان هما «الأراجوز» و «ايام الغضب» .

وأول مايلاحظ على أراجوز «لاشين» هو وقوع اختيار صاحبه على «عمر الشريف» وذلك لاداء دور محرك الأراجوز ابن الشعب .

وليس من شك أنه اختيار جرىء وموفق فى آن واحد .

فلقد أعتدنا «عمر الشريف» فى أدوار يمثل فيها شخصيات محترمة طابعها المميز حسن القوام والهندام ، عهدناه ضابط شرطة فى «بداية ونهاية» ، شريفا عربيا فى «لورانس» ، طبيبا ضائعا فى «الدكتور جيفاجو» ، وجيها متواجها فى « الرولزس رويس الأصفر » ، عاشقا احدى ملكات الليل فى «فتاة مرحة» ، سائرا ثائرا فى «شى» وهكذا .. وهكذا .

أما أن نراه يطل علينا من الشاشة البيضاء لابسا طوال الفيلم جلبابا مخططا ، محركا للأراجوز وسط ساحات القرى ، بعيدا فى بطون الريف .

فهذا مالا يمكن أن يخطر على البال مهما شطح الخيال .

وفى الحق ، فانا لا أعرف كيف اقتنع «عمر الشريف» نجم النجوم العرب باداء هذا الدور الذى اراه مدهشا .

كل ما أعرفه أنه قد نجح فى تقمص شخصية محرك الأراجوز ابن الريف .

فكان أن حمل الفيلم على كتفيه ، بفضل فهمه للدور وتمثله لكل صغيرة وكبيرة فيه ، حتى استطاع أن يصعد به إلى مستوى فنى قل أن يصل اليه عمل سينمائى من أعمال ايامنا هذه ، تلك الأعمال الرديئة التى يغلب عليها الاستسهال والابتذال .

وغنى عن القول أن الفضل فى ذلك ، انما يرجع الى مخرج الفيلم .

فلولاه لما اقتنع «عمر» بان يخلع أردية العز والأبهة ، مستبدلا بها رداء الفقر والبهدلة ، رداء محرك أراجوز من عامة الناس الغلابة المعذبين .



المخرج منير راضى



المخرج هانى لاشين

ولما استمتعنا به فى مشهد طويل بعض الشىء ، يغنى لأول مرة بصوت عذب واحدة من أجمل أغانى الفيلم « الارا أراجوز .

وفضلا عن «عمر» ودوره الذى يعتبر أعجوبة بين جميع الأدوار التى اداها ابان ثلاثة عقود من عمر الزمان ، فان فيلم الأراجوز فى مجمله يعتبر هو الآخر أعجوبة بين الأفلام المصرية .

فهو فيلم موسيقى ممتع تقطر كل لقطة من لقطاته حبا لمصر الغلابة ، أولئك الذين حاربوا وضحوا من أجل الأرض والعرض ، حتى نجحوا فى الخروج بالوطن المثخن بالجراح منتصرا ، ليجدوه ، وقد اصبح فى غمضة عين نهبا لخساس الناس .

وهو مزيج غريب من الشعر والحوار فى أرقى صور البساطة والسلاسة ، قوامه سيناريو للدكتور عصام الشماع محكم البناء مستلهم من الأساطير الشعبية .

وهو متعة للحواس بفضل شعشعة الألوان وتناغم الاشياء فى تشكيل مهندسة الديكور «رشوى حامد» .

ورفاهة كاميرا مدير التصوير «محسن احمد» تلتقط بعينها اليقظة كل مايتحرك امامها لتتمثله ، فتخرجه آيات تسر الناظرين .

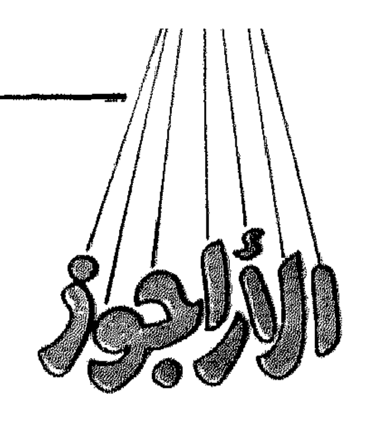
والحان «عمار الشريعى» لاغنيتى «الأرا .. أراجوز» و «أراجوز المدارس» ، وكلتيهما من أحلى الأغانى لحنا وكلاما من ابداع الشاعر «سيد حجاب» .

والآن يبقى أن أقف قليلا عند باقى نجوم الفيلم لاقول أن «ميرفت أمين» و «سلوى خطاب» قد تالقتا ، الأولى فى دور فلاحة حرة رافعة الراس فى كبرياء ، والأخرى فى دور بندرية بنت أكابر مصاصى دماء .

ولأشهد بان كلا من «هشام سليم» و «عبدالعظيم عبدالحق» و «احمد خليل» قد اجادوا جميعا الأدوار المسندة اليهم ، على وجه اعاد الينا الثقة فيما عندهم من ملكات هبة السماء .

● ايام الغضب

فإذا ما انتقلنا بالحديث الى الفيلم الثانى «أيام الغضب» ، فسنجد انفسنا



امام عمل فنى وصلت فيه حرفة السينما الى ذروة عالية من البراعة والاتقان .

ومما يثير الدهشة انه أول فيلم روائى طويل لمبدعه المخرج الشاب «منير راضى» .

ولو كنا على غير علم بأسرار السينما وكنا لانعرف أنه لم يسبق له الوقوف وراء الكاميرا ، لانصرف بنا الظن إلى أن «ايام الغضب» قد ابدعه مخرج ذو ماض جليل بفضل سجل من روائع الأفلام طويل .

ايام الغضب .. ماساة رجل عاقل بين الياس والرجاء



وفى الحق ، فلا غرابة فى هذا الظن ، فالفيلم محكم البناء ، يقوم على سيناريو متقن يترتب لاحقه على سابقه بحيث تنساب أحداثه في يسر وانسجام .

وأول مايلفت النظر فيه أنه فيلم يروع بفنه ذى المستوى الرفيع .

وروعته هذه انما ترجع إلى عدة اسباب ، لعل اهمها موهبة مخرجه التى نراها متجلية فى اختيار موفق لايخيب للذين ساهموا معه فى الابداع .

فالدكتور مصطفى ناجى هو مؤلف الموسيقى التصويرية التى أدت دورها ببراعة لامزيد عليها .

وآية ذلك انها جاءت مقتصرة ، خفيفة الصوت بلا ضجيج ، عرفت كيف تعبر عن محنة بطل الفيلم التى اسبغت لونها القاتم على مجمل أيام الغضب .

واستطيع أن اقول واثقا انها من الأمثلة النادرة عندنا التى تثبت فيها الموسيقى التصويرية أنها عنصر جوهرى فى الفيلم لاغناء عنه باى حال من الأحوال .

ولا يفوتنى هنا أن اقف قليلا عند سحر تصوير «ماهر راضى» ودقة توليف «أحمد متولى» واغنية سيد حجاب التى انشدتها جوقة المجانين فى واحد من ارق مشاهد الفيلم واكثرها بهجة وفرحا .

اقف عندها لاذكر ان ايام الغضب قد ارتفع بفضلها إلى مستوى من الخصب والامتياز والجمال يصعب أن تصل اليه افلام هذه الأيام .

كما نلحظ موهبة «منير» المتفجرة فى اختياره للممثلين الكبير منهم والصغير

على حد سواء ، وتحريكه لهم على وجه بلغ به كل الغايات .

فمثلا «نور الشريف» الذى لانراه مقنعا فى كثير من الأفلام ، نراه فى «أيام الغضب» نجما فى قمة الأداء والعطاء .

وكذلك الحال بالنسبة لكل من الهام شاهين فى دور الفلاحة المغتصبة على الدوام و «يسرا» فى دور الاخصائية الاجتماعية المنقذة للمعذبين فى مستشفى المجانين و «سعيد عبدالغنى» فى دور الممرض السادى المتحكم فى مصير هؤلاء المعذبين .

يبقى أخيرا أن أقف قليلا عند بعض الأدوار الثانوية وبالتحديد عند أولا « امل ابراهيم » وأدائها المذهل لدور زوجة ذلك الممرض البغيض والمسئولة عن عنبر النساء المختلات عقلا .

وثانيا «نجاح الموجى» لتمثيله الموزون لشخصية عاقل مدعى الجنون .

وثالثا «علاء ولى الدين» لتقمصه شخصية شاب بدين مجنون من أعالى الصعيد .

انه ، والحق يقال ، كشف مفاجىء لموهبة مخبوءة ، ارجو لها توالى اللمعان .

والآن بعد ذلك كله إلى قصة «أيام الغضب» انها تدور حول فكرة عودة الغائب من سفر فى بلد عربى نفطى ، ليجد نفسه ، وقد سلب أعز مايملك ، تلك الفكرة التى نراها سائدة فى أغلب ما الف كاتب السيناريو «بشير الديك» والغائب فى «أيام الغضب» هو «ابراهيم محمود القمحاوى» «نور الشريف» العائد إلى القاهرة بعد خمسة أعوام قضاها بعيدا فى الخليج من أجل ادخار المال اللازم لشراء شقة يعيش فيها مع ابنة عمه التى عقد قرانه عليها قبل سفره بقليل .

أنه يطل على المدينة البدينة من نافذة الطائرة قبل هبوطها ويقول سعيدا «مصر حلوة قوى من فوق» .

غير أنه ما ان يلتقى بزوجته على باب الشقة الفاخرة المشتراة «بتحويشة العمر» حتى يفاجأ بها حاملا من رجل آخر تزوجته بعد أن استصدرت حكما غيابيا بالطلاق منه ، وهو فى بلاد الغربة يشقى .

وطبعا يثور لشرفه المهان ، فيحاول قتل ذلك الزوج الدخيل الذى اختلس زوجته وشقته بسكين حاد .

فاذا ماحيل بينه وبين ذلك ارسل مقبوضا عليه الى قسم الشرطة ، ومنه إلى النيابة العامة التى قامت بتحويله إلى مستشفى المجاذيب حيث يبدأ حياة بائسة معلقة بين اليأس والرجاء حتى يدركه الجنون .

ولم أعرض شيئا من تفاصيل مأساته داخل مستشفى المجانين ، وانما عرضت خلاصتها فى كثير من الايجاز .

ولو قد عرضت تفصيلها لتنقلت من شىء فاجع الى شىء فاجع .

ومهما يكن من امره فى تلك المستشفى فمأساته تتشابك مع مآسى نزلائها من المجانين .

وبفضل هذا التشابك المتعدد والخيوط وبفضل حبكة الفيلم التى تميل إلى التلقائية ، بفضل ذلك كله أخرج لنا «منير راضى» فيلما فيه المتاع كل المتاع .

مهرجان الاسكندرية السينمائى

ولماذا هاجمه البعض !!

بقلم : أحمد الحضرى

مدير المهرجان

بعد ان قامت الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما بتنظيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى لأول مرة عام ١٩٧٦ بفضل حماس رئيسها وقتئذ الفنان الراحل كمال الملاخ واقدامه على اقتحام هذا المجال ، مع من وقف الى جانبه من اعضاء الجمعية ، ومن دعمه من الجهات المسئولة فى الدولة سواء فى وزارات الثقافة والاعلام والسياحة والطيران والشئون الاجتماعية ومجلس الشباب ومحافظتى القاهرة والجيزة ـ جاءت الخطوة الثانية عندما فكر كمال الملاخ ومن معه فى تنظيم مهرجان سينمائى خاص بمدينة الاسكندرية بدءا من عام ١٩٧٩ ، يهتم أولا بالتعريف بالسينما المصرية وافلامها الجديدة ، ثم انتقل الى الاهتمام بعد ذلك بالانتاج السينمائى لدول البحر الأبيض المتوسط ، الى جانب اى انشطة سينمائية اخرى .

ومازال المهرجانان مستمرين إلى الآن . وان كانت قيادة مهرجان القاهرة قد انتقلت الى ايد اخرى فى ظروف غريبة بدءا من عام ١٩٨٥ . وتوالى الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما تنظيم مهرجان الاسكندرية بالتعاون مع الهيئة الاقليمية لتنشيط السياحة بالاسكندرية وتحت رعاية وزير الثقافة .

وقد اصبح مهرجان الاسكندرية السينمائى فى وضعه الحالى يتضمن قسما رئيسيا من نشاطه للانتاج الجديد من دول البحر الأبيض المتوسط ، الى جانب قسم جديد اخر يضم افلام المخرجين الجدد (العمل الأول أو الثانى) من جميع دول العالم ، الى جانب الاقسام الفرعية الأخرى التى يمكن ان تختص بالتعريف بأفلام دولة معينة أو افلام مخرج متميز معين .. وهكذا تم انعقاد دورة مهرجان الاسكندرية السينمائى .

وتتسابق الأفلام المصرية فقط ، التى تشترك فى هذا المهرجان ، للحصول على جوائز اعلانية يقدمها اتحاد الاذاعة





أحد الأفلام المشاركة فى المهرجان
شباب على كف عفريت

والتليفزيون ، تبلغ حاليا فى مجموعها مبلغ ثلاثين ألفا من الجنيهات ، أى أن الفائز بنصيب منها يصبح له حق الاعلان على شاشة التليفزيون عن فيلمه الفائز بما يساوى قيمة جائزته فى الوقت الذى يختاره . ولا مسابقة بين الافلام غير المصرية انما ينتهى الأمر بأن تحصل كل منها على شهادة اشتراك مكتوبة على ورق البردى .

● الوضع الخاص لمهرجان الاسكندرية

هناك وضع خاص لمهرجان الاسكندرية ، قد لا يلتفت اليه البعض ، يجعله يختلف عن مهرجان القاهرة من زاوية معينة فى تنظيمه . اذ لا يحتاج الامر خلال مهرجان القاهرة الى استضافة اى عدد من نجوم السينما المصرية ولا الفنانين والفنيين الذين اسهموا فى تنفيذ الأفلام المصرية المشتركة فى المهرجان للاقامة معا فى احد الفنادق ، فهم جميعا مقيمون اصلا فى مساكنهم الخاصة فى القاهرة وضواحيها ، وينطبق الحال نفسه على النقاد والصحفيين الذين تلزمهم مشاهدة أفلام المهرجان ومتابعة احداثه واخباره أولا بأول لكى تتواصل الحملة الاعلامية عنه فى صحافة مصر وسائر الدول العربية وبعض الدول الأجنبية أيضا . ويصل عدد النقاد والصحفيين والمصورين الذين يهتمون بتغطية أى مهرجان سينمائى عندنا الى عدد هائل لا يمكن تصوره ، ولكن الأمر هين بالنسبة لاى مهرجان فى القاهرة ، فيقتصر الأمر عندئذ على ضرورة استضافة من يستقبله المهرجان من ضيوف من خارج مصر فقط ، ويتناسب عدد هؤلاء مع عدد الأفلام غير المصرية المشتركة فى المهرجان .

أما بالنسبة الى مهرجان الاسكندرية

مهرجان الاسكندرية السينمائى

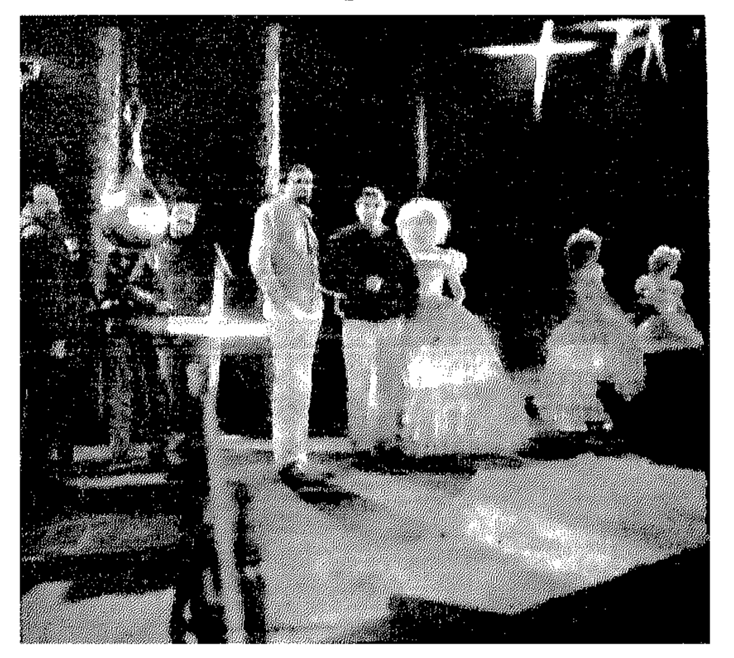
السينمائى فان الأمر يختلف تماما ، اذ يقع على عاتق الجهة التى تنظم المهرجان ، لكى تكتمل الصورة ويشترك السينمائيون المصريون والنجوم وممثلو الصحافة فى الاسهام فى انشطة المهرجان من عروض وندوات وحفلات تكريم واستقبال وتحكيم وتغطية اعلامية للصحافة والاذاعة والتليفزيون ، فى الداخل والخارج ، ان تستضيف عددا مناسبا من كل هذه التخصصات فى فندق مناسب .

والمشكلة المرتبطة بهذا الوضع بالنسبة لمدينة الاسكندرية انه لا يوجد فندق مناسب فى وسط المدينة ، يمكنه أن يستوعب العدد المطلوب من ضيوف المهرجان فى مكان واحد ، حتى لا تحدث اية تفرقة فى المعاملة ، وحتى يكون الجميع قريبين من دور العرض السينمائى الرئيسية التى تعرض افلام المهرجان ، المصرية منها والأجنبية .

وكنا فى بعض الدورات السابقة لمهرجان الاسكندرية السينمائى نوزع من يلزمنا تدبير اقامة لهم على عدة فنادق . كان منظمو المهرجان والاداريون يقيمون فى فندق بوسط المدينة ، حتى يمكنهم متابعة ما يدور فى دور السينما الرئيسية التى تعرض أفلام المهرجان ، وهذا هو النشاط الرئيسى فى اى مهرجان سينمائى بلاشك . وهذه العروض موجهة اساسا الى جمهور الاسكندرية وتتم حيث توجد دور عرض الدرجة الاولى وحيث الف الاسكندريون أن يشاهدوا الافلام الجديدة ، وحيث يمكن أن تتسع مقاعد هذه الدور لاستيعاب من يقبل على مشاهدة افلام المهرجان . وكان النقاد والصحفيون وبعض السينمائيين المصريين يقيمون فى فندق اخر يبعد قليلا عن وسط المدينة ، حيث كنا ندبر سيارات تقلهم الى دور العرض فى المواعيد المناسبة لمتابعة افلام المهرجان ، ولكى يكتمل جانب الندوات والمؤتمرات الصحفية . اما نجوم السينما المصرية وضيوف المهرجان من غير المصريين فكانوا يقيمون فى أحد الفنادق الفخمة ، والتى لا تتوفر الا فى منطقة المنتزه او ما يقرب منها وكان هذا يعنى أن من يرغب منهم فى مشاهدة فيلمه او أى فيلم آخر ان يستغرق وقتا فى انتقاله من تلك الفندق الى حيث تتم العروض السينمائية ، يقرب من الساعة فى الذهاب ومثلها فى الاياب فى كل مرة .

ومن خلال تعاقب الدورات حاولنا تفادى الشكوى من التفرقة فى مستوى فنادق


لقطة من الفيلم التشيكى ابتسامة الشيطان



الاقامة بأن يقيم جميع المشتركين فى هذه المناسبة من ضيوف ونجوم وسينمائيين وصحفيين ومنظمين فى فندق واحد فخم يمكنه ان يستوعب هذا العدد الكبير ، ولا يتأتى هذا الا فى اقصى اطراف الاسكندرية ، وكان علينا ان نحضر معا من القاهرة الات عرض سينمائى لكى تنظم عروضا سينمائية لعدد من أفلام المهرجان داخل احدى قاعات نفس الفندق ، حتى نوفر ما يستغرقه الانتقال من الفندق الى وسط المدينة ، حيث توجد العروض الرئيسية لافلام المهرجان ، من وقت يضيع بلا طائل .

● شكوى غير منطقية !

من الواضح لمن يفحص هذا الوضع أنه لا يمكننا اطلاقا ان ننظم عروضا كاملة لكل افلام المهرجان داخل الفندق البعيد . فعدد الافلام المشتركة فى مهرجان هذا العام كان ٥٦ فيلما بينما كان عدد العروض المتاحة فى الفندق يزيد عن العشرين عرضا بعدد قليل ، ويعود هذا الى ارتباط مكان القاعة الصالحة للعرض السينمائى بالفندق بأنشطة اخرى لا يمكن الغاؤها أو التحكم فيها .

ما الحل اذن ؟ أصبح من الواضح انه على من يريد أن يتابع الافلام السينمائية ، وهو بيت القصيد فى اى مهرجان سينمائى بلاشك ، ان ينتقل الى وسط المدينة لينتقى مايشاء من أفلام لمشاهدتها عندما لا تكون هناك عروض يرغب فى متابعتها فى الفندق .

وهنا برزت الشكوى الرئيسية ، وهى أن أغلب الموجودين من صحفيين وسينمائيين فى الفندق الفخم البعيد كانوا لا يريدون ان يغادروه ، وانما يريدون مشاهدة كل الافلام الـ ٥ داخل جدرانه وكل منهم يطلب منا عرض ما يختاره هو من افلام فى الوقت الذى يريحه هو ، بدلا من الانتقال من ان الى اخر الى دور السينما بوسط المدينة ، بالسيارات التى كنا نعدها لهذا العرض .

هذه هى الشكوى الرئيسية من وجة نظرى ، والتى لابد من تلافيها فى المرات القادمة ان شاء الله ، أما ما ظهر فى كتابات بعض الصحفيين عن المهرجان من انتقادات اخرى ، وصل بعضهم الى ان اسماها "فضائح" فهى أمور بسيطة لا يستحق أغلبها ، من وجة نظرى ايضا ، أى تعليق أو رد .

● ما قدمه المهرجان السادس

اسمحوا لى أن أكرر هنا أن ما يقدمه اى مهرجان سينمائى من افلام هو بيت القصيد من وراء اقامته ، وهو ما تم عرضه هذا العام فى دور سينما مترو وأمير وريالتو ورويال فى وسط المدينة لجمهور الاسكندرية وضيوفها . وهذه الأفلام هى ما يمكن الحكم منها على جدوى مهرجان هذا العام ، وليس من صغائر الأمور التى كانت تدور داخل أروقة الفندق الفخم البعيد ، ومما كان يحلو لبعض الصحفيين ان يكتفوا بترديدها وتهويلها ، واعتبار هذا البعض ان التمسك بالاقامة فى الفندق وحضور حفله الختامى الساهر هى بيت القصيد ، الذى يجب عليهم الدفاع عنه بكل ما يمكنهم من كتابة ، والهجوم كل الهجوم على من يمنعهم من ذلك .

وصل عدد الافلام التى عرضت فعلا

الى ٥٦ فيلما من ١٥ دولة مختلفة ، وذلك بعد استبعاد عدد قليل من الأفلام التى وصلتنا من الخارج ، لعدم ملاءمتها للعرض أمام متفرجينا . وجاءت الأفلام الأجنبية وعددها ٣٧ فيلما من الدول التالية مرتبة حسب مدى اسهام كل منها : الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين وفرنسا والاتحاد السوفييتى وانجلترا وتشيكوسلوفاكيا والسويد والجزائر والعراق واسبانيا واليونان والدنمارك واليابان والهند . أما مصر فكان نصيبها ١٩ فيلما جديدا لم يتم عرضها من قبل ، وهو وضع لم يسبق له مثيل .

ومن الدول التى عرضت افلام لها لأول مرة فى الاسكندرية فى هذه المناسبة الأرجنتين والسويد والدنمارك واليابان . هذا وقد تم عرض الـ ٥٦ فيلما فى ١٢٣ عرضا سينمائيا فى وسط المدينة ، الى جانب ما تم من عروض فى فندق شيراتون المنتزه .

فكم من الصحفيين تعرض لهذا العدد من الأفلام بالنقد والتقييم ، أو بالمقارنة بأفلام مهرجان العام الماضى مثلا من حيث الكم والكيف ؟

● التحكيم والجوائز

نالت اربعة افلام مصرية بالتساوى جائزة اعلانية قدرها ٧٥٠٠ جنيه لكل منها وكذا تمثال عروس البحر ، والأفلام الأربعة هى "الأراجوز" و"أيام الغضب" و"امرأة واحدة لا تكفى" و"اللعب مع الشياطين" .

أما جوائز المهن السينمائية فكانت من نصيب :

- هانى لاشين أحسن اخراج عن "الأراجوز" .
- عبدالحى أديب أحسن سيناريو عن "امرأة واحدة لا تكفى" .
- أحمد زكى أحسن ممثل عن "امرأة واحدة لا تكفى" .
- الهام شاهين أحسن ممثلة عن "أيام الغضب" .
- هشام سليم أحسن ممثل مساعد فى "الأراجوز" .
- أمل ابراهيم أحسن ممثلة مساعدة فى "أيام الغضب" .
- ماهر راضى أحسن تصوير عن "أيام الغضب" .
- عادل منير أحسن مونتاج عن "شباب على كف عفريت" .
- صلاح مرعى أحسن ديكور عن "أيام الغضب" .

إلى جانب جوائز اخرى للممثل عمر الشريف والممثلة شريهان والممثل سعيد عبدالغنى والمخرج أحمد فؤاد والمخرجة ايناس الدغيدى ومدير التصوير محسن أحمد .

اما جائزة كمال الملاخ للعمل الأول فنالها بالتساوى المخرج منير راضى والمخرج محسن محيى الدين .

فهل فى هذه الجوائز ما جانب الصواب حتى يطلق عليها بعض الصحفيين "كارثة المهرجان" ؟! اطلاقا ، انما هى نفس الروح التى سادت بعضهم من تلذذ فى الاساءة والتجريح للتسلية وقتل الوقت ماداموا لا يتوجهون لمشاهدة الأفلام !



ـ قال بعض الأدباء قديما ان زبدة اللغة العربية فى ديوان أبى عبادة البحترى ، وان الاستفادة من لغته تجىء بعد الاستفادة من لغة القرآن والحديث .. فإلى القارىء هذه الفوائد اللغوية من ديوان البحترى :

● يقول الفصحاء : « المشيئة » .. ويخففها العامة فيقولون : « المشية » بتشديد الياء وحذف الهمزة .. والعامة في هذه الكلمة فصحاء أيضا .. قال البحترى :

ولو شاء إذ تَرْكُ المشيَّةِ سؤددٌ

لأشوته يوم الهندوان نبالها

● « الجلنف » عند العامة هو الشخص الجلف الذى يعامل الناس بخشونة .. وكلمة « الجلنف » تخفيف لكلمة « الجلنفع » وتؤدى معناها .. قال البحترى :

سيحمل همى عن قريب وهمتي ..

قرا كُلِّ ذَيَّالٍ جُلال جَلَنَفَع

والجلنفع من الابل هو الغليظ الشديد الواسع الجوف ، أما الذيال فهو الثور الوحشى ، أما الجلال ـ بضم الجيم ـ فهى الناقة الضخمة .. وهذه الأوصاف كلها تنطبق على الشخص الجلف ، أو الجلنف ، الذى هو الجلنفع ، فيما نظن ظننا قريبا من اليقين !

● بعض المتأدبين الضعاف لايعرفون معنى كلمة « الفسل ».. ويظنون أنها كلمة خاصة بالنبات أو الأشجار ـ مثلا ـ ولكن الكلمة تستعمل صفة للشخص العاجز الضعيف الذى لامروءة له .. قال البحترى يصف هذا الشخص :

والفَسْلُ يسلبه عزيمتَهُ ..

أدنى وجودٍ كفايةٍ تَسَعُهُ !

● كان اسم « مغاورى » شائعا فى مصـر ، ومازال متداولا فى التمثيليات والمسرحيات الهزلية على سبيل التفكه والسخرية ، ولكن للمغاورى معنى عظيما ، فهو نسبة الى « المغاور » وهو المجاهد الذى كان فى عهد أسلافنا يغير على الأعداء .. قال البحترى :

مع الليث وابن الليث أضحى مُغَاوِراً

حماةَ الضواحى ثم أمسى مقاتلا

وهكذا ننسى أصول بعض الكلمات العظيمة ، ونهزأ بها فى آخر الزمان !..



رحلة منتصف

الرفيعي

حين وضع الاستاذ سعيد نفسه فى سيارة الأجرة الصغيرة ظن ان متاعبه انتهت فى ذلك اليوم ، فهو - إن شاء الله - بعد ساعتين على الاكثر سيكون بين زوجته واولاده ، بعد غيبة عشرة أشهر فى رحلة رزق خارج حدود الوطن .

إنه لم يكن يظن ان متاعبه الحقيقية قد بدات منذ ركوبه السيارة ، ليس بسبب حوادث الطريق التى تؤدى الى اصابات بسيطة او خطيرة ، والتى يحتمل وقوعها ، او التى لا غرابة فى وقوعها ، ولكن بسبب خوفه من ان يحدث له هو شخصيا فى داخل السيارة حادث مؤسف يقضى على اماله كلها التى حشد لها نفسه فترة طويلة من عمره .

بعد ان انتهت اجراءات الجمرك فى المطار بحلوها ومرها ، او بمرها فقط ، حسب راى الاستاذ سعيد ، وحسب راى كل قادم من الخارج فى اغلب الأحوال ، اتجه صاحبنا إلى سيارة تقوده الى موقف سيارات الاقاليم . كان الوقت بعد



الليل

منتصف الليل ، والسيارات فى هذا الوقت قليلة لو نادرة فى ذلك الموقف . كان فى نيته اذا لم يجد سيارة ، بالنفر ، تحمله الى بلده ان يظل فى السيارة التى نقلته من المطار حتى تصل به الى الشارع الذى به بيته هناك فى اعماق الريف ، ولكنه حين وصل إلى الموقف سمع من ينادى ..

بقلم : محمد محمد القاضى
ريشة : الفنانة سميحة حسنين

قصة قصيرة

نفر لمنوف ، واحد منوف .
واستجاب للنداء ، وحمد الله ان الظروف لم تضطره لركوب سيارة التاكسى وحده مع السائق الذى كان يحتمل ان يكون من أولاد الحرام .

وجد الأستاذ سعيد نفسه فى داخل السيارة بين اربعة أشخاص فى ملابس الفلاحين ، بالاضافة الى السائق ، لايعرفهم ولايعرفونه ، وقد راوا بعيونهم الحقائب الضخمة المنتفخة التى انزلت من التاكسى ووضعت فى سيارة الاقاليم بين كلمات : « حاسب ، من فضلك ، اصلها تقيلة شوية ، اصل فيها صينى ... الخ » .

من هنا بدأت مخاوف الأستاذ سعيد المدرس بالتربية والتعليم ، فما كان له ان يركب مع ناس ليس بينه وبينهم « معرفة » فى وقت كهذا ، ولكن لابد مما ليس منه بد .

ركب الاستاذ سعيد الى جوار السائق وعن يمينه أحد الرجال الأربعة الأشداء الضخام ، مفتولى العضلات ، أصحاب الشوارب الكثيفة ، غير المنتظمة ، الحق ان الرجال الأربعة لم يكونوا كذلك بالضبط ولكن الاستاذ سعيد رآهم كذلك ، كان فيهم من هو صغير الحجم ، وكان فيهم من ينم لونه عن فقر فى التغذية ، وكان فيهم من ليس له شارب على الاطلاق ، ولكن الاستاذ سعيد رآهم بعينه الخائفة وقلبه المضطرب .

واشد ما ضايق صاحبنا انه اضطر الى الركوب فى ذلك المكان الذى يكون فيه « ظهره مكشوفا للعدو » فحسبه ان يمد واحد من الثلاثة الذين يجلسون فى الكنبة الخلفية يديه الغليظتين الجافتين ليقبض بهما على عنقه ، وينتهى الأمر ، ويصبح ماجلبه من مال وهدايا لقمة سائغة لهم . كان بين حين وآخر تحدثه نفسه ان يتلفت الى الخلف ليطمئن الى ان احدهم لايفكر فى القيام بهذا العمل ، ولكن اذا تأتى له ان ينظر الى الخلف ، فسوف يتمكن من رؤية الذى عن يمينه ، والذى عن شماله ، فكيف يستطيع ان يرى الذى يقع خلفه مباشرة . ان الخطورة اتية من قبل هذا « الوحش » ولاشك ، انه يقدر على ان يمد يديه على عنقه ، دون ان يضطر الى الميل يمينا او يسارا .

« حتى لو فكر احد الثلاثة فى ذلك فكم من الوقت يحتاج الى مد يديه للقبض على عنقه « يدوبك ثوانى » اه لو امكن ان يجلس مواجها لهؤلاء الجالسين فى الخلف ، ولكن كيف ؟ » .

هكذا حدث نفسه ، وهكذا كان قلقا فى جلسته ، لايكاد يستقر حتى يبدأ فى الحركة من جديد ، مما جعل الرجل الذى بجانبه يبادره بالسؤال :

ـ حضرتك مش مستريح فى القعدة ولّا ايه ؟

ـ لا ، ابدا .

معلهش ، هانت .

« ياترى ايه اللى هانت دى ؟ هم نووا خلاص » .

★ ★ ★

على صوت موتور السيارة ، وفى فترة سكون اعترت ركاب السيارة ، استعاد الاستاذ سعيد شريط رحلة « الرزق » هذه ، او « لقمة العيش » كما تسمى فى الغالب استعادها بسرعة وبصورة اختلطت فيها الأمور وانعدمت الحواجز زمانا ومكانا .

انه يذكر انه اجهد نفسه كثيرا فى العام الماضى حتى يحصل على تقدير ممتاز من الناظر والمفتش ، واجهد نفسه كثيرا فى ارضائهما « خارج حدود العمل » . وكان « يضطر » بسبب ذلك الى اغماض

العين عن اخطاء الناظر حتى عاب عليه زملاؤه هذا السلوك ، واعتبروه منافقا ، و« وبلدولا » وجاسوسا للادارة ، ولكن الاستاذ سعيد ، سد اذنيه واعتصم بالصبر ، فالغاية تبرر الوسيلة ، ولم يكن يعجز عن تبرير سلوكه هذا بغير ذلك المبدأ العام « الغاية تبرر الوسيلة » لان بند « التعاون » مع ادارة المدرسة يتسع لكل انواع السلوك « الملائمة » لهذا المعنى :

ـ انا رجل متعاون .

ـ لما الناظر يشخط لازم اعذره ، علشان عنده سكر

ـ لو كلفني الناظر بخدمة ولّا حاجة ، معلهش أهو زى اخويا الكبير .

ـ صحيح انا واخد بالى من ابن الناظر لكن برضه الواد شاطر » .

كان الاستاذ سعيد يرد بهذه الكلمات على الغمزات واللمزات والهمسات التى كان زملاؤه يرشقونه بها بين حين واخر ، او قل يرد بها على نفسه .

وينتقل الشريط بسرعة الى المحلات التى اشترى منها الهدايا فى البلد القادم منه ، كيف كان ينتقى منها السلع المختلفة لزوجته ولاولاده . وكيف كان يتخيل فرحهم بها ، خاصة زوجته التى تريد ان « تكايد » الجيران الذين سبقوهم الى هذا « الهنا » .

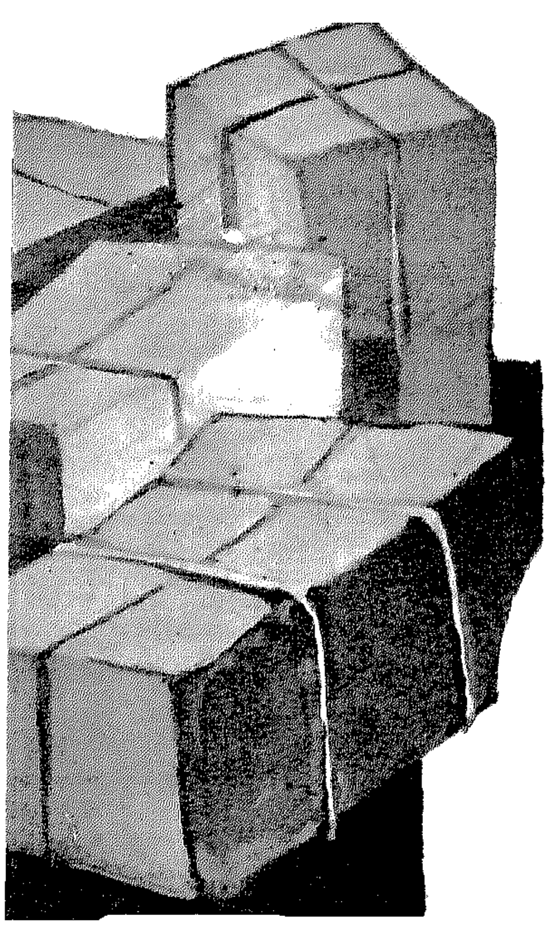
والحقيقة ان الذى يقلقه ليس ضياع تلك الهدايا التى حملها فهى قليلة بالقياس الى ما اشتراه ليبيعه قطعة قطعة ، فى السر ، ومن بيت الى بيت ، كما يفعل الكثيرون من زملائه ، الحقائب كانت منتفخة بالاشياء التى اشتراها ليبيعها ، انه اشترى من كل الاحجام بكميات كبيرة . وبعد ان ملا الحقائب وضع الاشياء الصغيرة الثمينة فى جيوبه ، « تعب » كثيرا فى الجمارك ودفع « فلوس ياما » ، ولكن هذا كله يهون بالمقارنة الى الربح المنتظر .

وفى اثناء مشاهدته وحده لهذا الشريط الذكرياتى سمع صوت نحنحة مندفعة من خلفه ، فاعتدل الاستاذ سعيد فى مقعده فجاة ، واصبح فى حالة تاهب قصوى . حواسه كلها اجتمعت فى اذنيه .

« انا عارف ايه اللى جابنى بالليل دلوقت ، يعنى ماكانش طالع نهار ، ولازم اقول الشنطة فيها صينى ، وياترى الشنطة اللى فيها القماش انحطت فى العربية ولّا ولا ؟ » .

وكاد ان يسال السائق لولا ان صاحب النحنحة القادمة من الخلف ساله بصوت خيل اليه انه خشن وفيه غلظة .

ـ امّال الافندى بدستور جاى منين ؟



ـ من الصعيد ، الصعيد الجوانى ، اصل انا باشتغل هناك مدرس ، وجاى اعيد مع الأولاد ، كل سنة وانتم طيبين .

ثم قال لنفسه :

« ايه التخريف ده ، هو اللى جاى من الصعيد بيجيب صينى معاه ؟

ـ الحمد الله على السلامة .

ـ الله يسلمكم (خاطب بالجميع مع انه كان يتحدث الى واحد فقط)

ود لو استمر الحديث حتى يكتشف خبايا الرجل والذين حوله ، لكن الحديث توقف عند هذا الحد فاشتد خوفه ، الصمت من لزوم الترصد .

واستمرت المخاوف

قصة قصيرة



تغدو وتروح في جوانب الاستاذ سعيد ، لا يعوقها عائق من عقل او تفكير . لم تكن في داخله اشارات مرور تنظم حركة المخاوف التي تناوشه .

توقفت المخاوف فجاة ، لا لتنتهي ويحل محلها الأمن والطمانينة ، ولكن ليحل محلها نوع من الشلل الذي يصيب الانسان فلا يدرى أحي هو ام ميت ، اهو يفكر ام هو لايفكر ، اهو يشعر ام هو لايشعر ، اهو خائف أم هو غير خائف . اعترته هذه الحالة عندما قلل السائق من سرعة السيارة ، ثم اوقفها ونزل :

جالك الموت ياتارك الصلاة ، اشهد الا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » .



« هلنت ياسيدنا الافندى (قالها جاره مرة اخرى)

لم ينتبه الاستاذ سعيد الى ماقاله جاره ، لانه كان متخشبا في مكانه ، ولم يكن يرى الا مخاوفه ، التي تتجسد في انتهاء حياته على ايدى « رفاق » السيارة واقتسام « تركته » الهائلة من الاقمشة ، والصيني والدولارات ، الدولارات ، التي وضعها في قرار مكين من جيوبه الداخلية ولكن من السهل العثور عليها بعد الانتهاء منه .

كانت عينه تقع احيانا على الاشجار الضخمة الموجودة على جانبي الطريق فيخيل اليه انها من اعدائه ، وانها قائمة على هذا النحو لتخيفه ، وربما كانت تخفي وراءها من يحتمل ان يطعنه بسكين .

ثم عاد السائق بعد قليل ، مما جعل الاستاذ سعيد ، في دوامة ، هواجسه ، يخمن سبب غيابه .

قال السائق :

لامؤاخذة اخرتكم شوية ، يلاّ بينا نتوكل على الله .

همس الاستاذ في داخله :

« يخرب بيتك سيبت ركبي يا ابن .. » .

لم يلاحظ الاستاذ سعيد ان رفاقه في السيارة يدخنون الا بعد ان مضى من المشوار اكثر من نصفه ، ومع انهم « عزموا عليه » بالسجاير واعتذر في ادب شديد بانه لايدخن . عندما انتبه إلى انهم يدخنون تذكر انه اشترى من المطار « خرطوشة سجاير لوكس من بتاع بره » فاسرع الى « هاند باجه » واخرج علبة واخذ يوزع السجائر على « الجيران » في إلحاح شديد .

قال أحدهم :

ـ مشي حضرتك قلت انك مابتشربش .

ـ صحيح ، بس بلجيبها ساعات زى ماتقول تفاريح كده .

(كاد ان « يطب » ويقول انه اشتراها من المطار لولا انه تذكر انه قال انه قادم من الصعيد) .

اشعل كل من الرجال سيجارته ، واشعل هو لنفسه سيجارة ، مشاركة لهم ، واجتلابا لطمانينة هي في حركة مستمرة بين ذهاب واياب .

ـ وحضرتك بتشتغل في الصعيد فين ؟

ـ « صحيح فين » .

ـ في الصعيد الجواني .. الجواني خالص .



ـ بيقولوا هناك يقتلوا النفر زى الفرخة ، لا له دية ولاحاجة .

« ليــه سيرة القتــل دلوقت ، هم نلويين على ايه ؟ » .

ـ والله هم نفس جبارين بصحيح ، بس جدعلن ، جدعلن قوى ، الواحد منهم لو كل معاك لقمة او شرب معــاك سيجــارة لايمكن يخونك .

اكد الاستاذ هذه الجملة بصوته ، وكررها اكثر من مرة ، وكانه يذكر الرجال بانه اعطاهم سجاير ، مما يحرم عليهم ان يمسوه باذى ، يجب عليهم الا يقلوا « جدعنة » عن ابناء الصعيد .

عاد الرجال إلى الحديث عن القتـل فى الصعيد متناولين التفاصيل الدقيقة فى كل واقعة يتناولونها ، اصيب الاستاذ بهلع حقيقى لما سمع ، واحس كان كلماتهم تخنقه ، وأن روحه تصعد جزءا جزءا ، حتى لم يعد فيها مايصعد ، مع ذلك اصابته دهشة انه لايزال يسمع ويبصر ، اى انه لايزال يعيش ، اى انه لم يبق منه الا ما يشعره بالهلع فحسب .

ـ جينا الباجور ، فاضل جروان وبعدين سرس ومنوف .

قال الاستاذ سعيد :

ـ الحمد لله . يارب هون » .

قالها وهو يدفع برجله الى الامام كانه يستحث السيارة ان تسرع اكثر ، ما كان يدرى حينئذ انه ، بهذه الحركة من رجله ، قد فقد السيطرة على اطرافه .

اخيرا وصلت السيارة الى بلده وهو بين الشك واليقين وفـوجىء ، حقا فوجىء الاستاذ سعيد بان الرجال الأربعة ، والسائق معهم اقسموا بان يبلغوه بيته ، أو مأمنه .

وحدث فعلا .

وفى غمرة الذهول الذى اصــاب الاســتاذ سعيــد « عزم » على الرجال بدخول البيت فاعتذروا شاكرين ، ولم يجد وسيلة للتعبير عما يشعر به من امتنان غامض فى تلك اللحظة الا بان يمنح كل واحد منهم علبة كـاملـة من السجـايـر « اللوكس بتاع برة » .



اللباد.. وكرة الذهبية

منذ اسابيع قليلة فاز رسام الاطفال الكبير « محيى الدين اللّباد » بالكرة الذهبية ، فى بينالى يوغسلافيا لرسوم الاطفال .. ولقد حدث ، منذ سنوات ، ان اجريت معه حوارا .. لكن حالت بعض الظروف دون نشره ، رغم اهميته ، وفائدته للقارىء ... ثم جاءت « الكرة الذهبية » لتسعدنا ، وتدفعنا هذه السعادة الطارئة الى تحيته ، وتحيته هى ان ننصت الى كلماته فى مجال اعطاه ولا يزال يعطيه افضل ما عنده ..

وهذا نص الحوار .

اصبح مصطلح « الازمة » مصاحبا لكل حديث لذا ما كدنا نتناول موضوع رسوم الاطفال ومجلات الاطفال فى عالمنا العربى مع الفنان « محيى الدين اللّباد » حتى ظهر المصطلح متربعا على مجمل الحوار . كان السؤال الأول الذى وجهته اليه حول مجلة الاطفال التجريبية المسماة « ياسين وياسمين » وقام باخراجها ، والاشتراك فى رسومها ، وطبع منها عدد واحد ، ووقفت عند حدود البحث المعملى .. وعندما ابديت الشك فى جدوى ما حدث .. خالفنى الرأى وقال : لدى وجهة نظر مخالفة . انا لاتشغلنى فكرة « التأثير » ، و« الاتصال » بالأجيال الحالية ! .. ليس هذا اختيارا ، ولكنه نتيجة حتمية لملابسات الواقع الثقافى والتربوى .. حيث الانتشار المروع لكل قيم المجتمع الاستهلاكى الهابطة ، وتأثيرها الفادح فى بناء الطفل ، ففى كل مجال لابد ان تلتقى بالوجه القبيح لتلك القيم ، فى نظام التعليم . الخدمات العامة . ظروف الاسرة . المجلات الرديئة . الخ .. فليس بغريب اذن أن يرى فنانو الاطفال انهم صاروا هامشيين ، غير

مؤثرين فنانو .. ولم يبق امامهم غير هامش واحد هو هامش المهنة نفسها ، وافراد المهنة !

إن مجلة « ياسين وياسمين » ، والتى صدرت بالتعاون بين المركز القومى لثقافة الطفل والورشة التجريبية العربية لكتب الاطفال بالقاهرة ، مجلة تجريبيـة .. استهدفت التحريض لعمل مجلات اطفال ذات مستوى جيد ، لأعمار من سن الرابعة حتى السابعة .

تساءلت مندهشا .. ألم يكن من الاسهل تقديم نماذج غير مطبوعة ، وغير



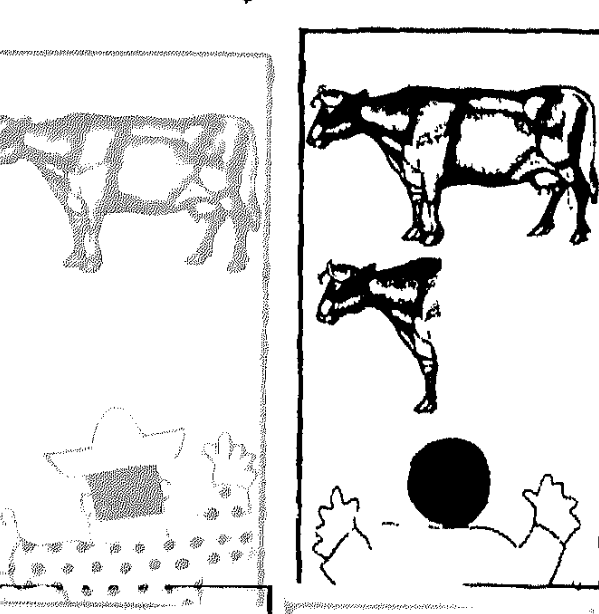
مكلفة .. بدلا من انفاق بضعة آلاف على نسخة يتيمة .. فأجاب بأن هذا يفرق كثيرا عند المسئولين . إن الرسميين موظفون غير متخصصين غالبا ، ومن هنا فإن اقناعهم لايتم عن طريق المكاتبات ولكن عن طريق نماذج واضحـة محددة ، بالاضافة الى ماهو اهم من ذلك .. وهو اكتشاف الامكانات الفنية .

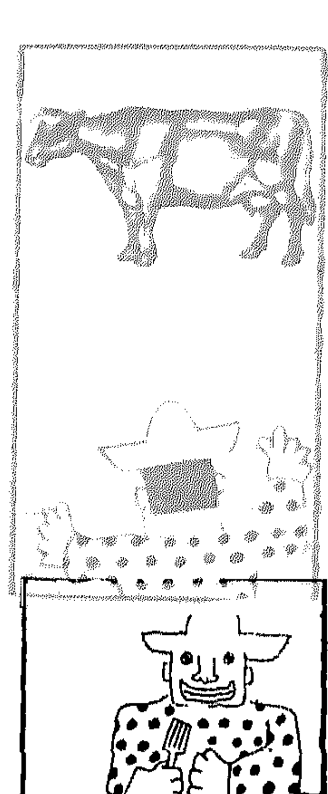
قلت : وماذا وجدتها . قال : قليلة ، بل تكاد تكون نادرة ، ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى ايضا . دعك من مجلاتنا . تصور مثلا ان اكثر مجلات الاطفال انتشاراً فى العالم العربى مجلة رديئة اسمها « ماجد » ٦٤ صفحة بالالوان وبخمسة عشر قرشا [لست ادرى ثمنها الآن] اى اقل من تكلفة نقلها ، وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع فإنها خالية من التجريب الخلاق ، وتنتمى الى ركام المجلات المنتشرة والتى تعبر عن غياب العقل اساسا .

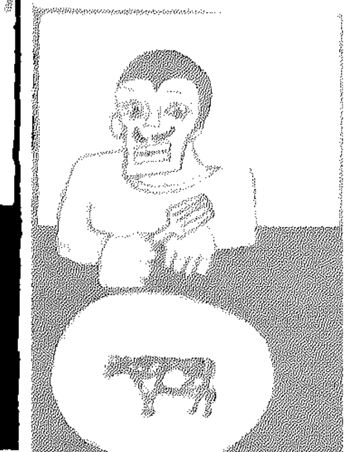
قلت : الا تظهر اعداد متزايدة من رسامى الاطفال العرب الذين يحصل بعضهم ، كما حدث معك ، على جوائز دولية ؟

قال : إن موضوع الجوائز لا قيمة له

رسم لكتاب علمى مبسط للاطفال عن الغذاء العالمى









عندى ، فهى مشروطة باعتبارات قد يدخل المستوى الفنى فيها ، الا انه ليس العنصر الحاسم .. يحدث كثيرا فى المسابقات الدولية ، وبشكل عام فان احكامهم النقدية تختلف عن احكامنا ، فقد تجذبهم غرابة الأعمال بالنسبة لما اعتادوه من نماذج الرسامين الأوربيين ، لهذا لا اعير موضوع الجوائز اى اعتبار .

قلت : هل ترى ان قدرَ الفنان الجاد فى العالم العربى .. الانتظار الدائم لقرار من صناع القرار ام ان الامر ، فى معظمه ، بيده ؟

قال : الواقع ان كل الطرق : للحل وضد الحل .. موجودة ، ومختلطة ! .. لقد لمست خلال تجربتى الطويلة فى هذه « المهنة » .. انه قد حدث تطور بها اكثر من وهم التأثير فى الطفل . لقد اسسنا ـ على سبيل المثال ـ فى بيروت دار الفتى العربى ، وكان للانجازات التقنية لتلك الدار تأثير كبير على عديد من مجلات الاطفال فى عديد من الدول العربية ، وفى المهنة العربية بشكل عام ، ولقد كانت سببا فى اقبال العديد من الفنانين المتميزين ، للمشاركة فى كتب الاطفال .

قلت : ان « المهنة » ـ على حد تعبيرك ـ قد ضمت عديدا من غير المتخصصين .

قال : لا أعترف بالتخصص ! .. أن هذا التصور قد نشأ من الاعتقاد الخاطىء بان هناك نوعا واحدا من الرسم للأطفال .. اى « الكرتون » . ان قناعتى هى ان الرسم للأطفال يجب ان يكون متنوعا ، ومهمة المدير الفنى ان يختار الاسلوب الفنى المناسب للنص ، وبالمناسبة فان وظيفة المدير الفنى لم تطرح بحجمها الحقيقى حتى الآن . إن الطفل ليس بالتفاهة ، والهشاشة التى تجعلنا نتصور ان نسجنه فى قالب . إن الطفل يستطيع استيعاب تنوع الرسوم والاساليب والموضوعات . انه حر فى التلقى والارسال ، لهذا فأنا ضد برمجة الطفل ، و وضعه فى الحضانة التى تضمن بقاءه صالحا من وجهة نظر المسئولين ، ومسخا من وجهة نظر الحقيقة ، اى باختصار مواطن بلا احلام فى التغيير ، أو مراجعة الواقع .. ومن هنا فلا أعمال مرسومة او مكتوبة تلمس الطفل من الداخل بما فيها جنونه ! ..

إن الدعوة الى التخصص فى رسوم الاطفال لا استسيغها . أن يتخصص الناشر فهذا مفهوم ، أما أن يتخصص رسام الاطفال فلا أفهمه أو أقبله !

إن الدعوة الى الرسوم النمطية هى دعوة تنحاز لها ، وتتبناها ، اصلا ، دور النشر التجارية ، اما بالنسبة لى فانا لا احب للفنان ان يغير جلده . هناك من الرسامين من يتصور انه لكى يكون رساما للأطفال فعليه ان يستعيد منهم الطفولة ! .. هذا الرسام يخون نفسه مرتين : الأولى هى تجاهل طفولته الشخصية ، والثانية اصطناع اسلوب يتسق مع المواصفات التجارية ، التى تناسب الاطفال المبرمجين ! ..

وفى رأيى أن اى فنان متمكن يستطيع ان يرسم بأسلوبه للاطفال .. على ان

يختار من النصوص مايتناسب مع أسلوبه الفني .

وقدم لى الفنان « اللّباد » رسوما للفنان اليمنى « فؤاد الفتيح » بنفس الاسلوب الفنى المعروف به ، كما شاهدت رسوما للفنانة القطرية « شلبية » التى قدمت رسوما لكتاب للاطفال بنفس اسلوبها وبنفس الخامة التى تفضلها وهى « الباتيك » ، ورسوما اخرى للفنانة الفلسطينية « ليلى الشوا » بنفس اسلوبها الفنى .. وهكذا ..

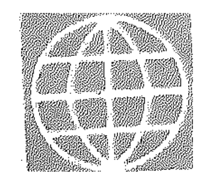
قلت مداعبا : ان الرسوم التى رأيناها فى ورشتك الفنية لاتصلح للاطفال المبرمجين !

قال : لابد من احترام جنون الطفل ! .. ان الطفل المبرمج يفضل رسم الموضوعات المدرسية ، المرضى عنها .. اى الموضوعات التى تعوق نمو التعبير عنده ، وتعطل الحاسة النقدية ، ويصبح الطريق الوحيد المتاح له هو ان يكون رسام « بروباجندا » ، لقد تورطنا فى ذلك ونحن صغار ، لكن بعد ان كبرنا اكتشفنا النتائج السيئة ، ليس فقط علينا ، بل على اطفالنا الذين يتلقفون قيم المجتمع الاستهلاكى .

إننا نعيش فى مجتمع التبعية ، والانبهار بكل ما هو قادم من الغرب . اننا لاننكر بالطبع ارتفاع مستوى التقنية الاوربية ، لكن علينا ايضا ان نعترف بما هو اهل للاعتراف .. اعنى التصوير والجرافيك العربى الاسلامى ، والذى قدم للأجيال الحديثة بصورة مشوهة .. أى تقديم اللوحات بمعزل عن مخطوطها خوفا من اتهامها بالتوضيحية ، بعد ان صارت الرسوم التوضيحية فكرة ينظر اليها باستخفاف ، ووضعها فى المرتبة الدنيا من بين الرسوم الملونة الأخرى .. « فالواسطى » مرتبط فى أذهاننا بلوحاته الملونة ، ولقد شاهدت فى المكتبة الوطنية فى « باريس » تلك الرسوم الملونة ضمن مخطوطات كتاب . ولقد شاهدت المخطوط لكتاب الحيوان للجاحظ فى مكتبة الفاتيكان ، ويضم الكتاب اكثر من اربعين حيوانا وطائرا ، ويقدم هذا الكتاب للرسام العربى حلولا جديدة بدلا من حلول « والت ديزنى وتومان جيل » . لو عدنا الى منابعنا لاكتشفنا الكنوز . ولست أدعو الى عودة ناقلة بل متأملة ودارسة . اذكر .. عندما سافرت الى اوربا لأول مرة ، وشاهدت فى المانيا الأشجار الجافة السوداء فى تقاطعها مع المسطحات الثلجية أصابتنى الدهشة ، فقد كنا نظن ان رسوم الاشجار على هذا النحو الذى ذكرته مجرد ابتكارات اسلوبية ، وليست نقلا عن الطبيعة . تصور .. مثلا .. فن الخط لايدرس فى الكليات الفنية ، والاجيال الجديدة لاتعرف شيئا عن العود ، والتقاسيم ، وغير ذلك من فنون المكان الذى ننتمى اليه .. لهذا فانا اقوم الآن بعمل مشروع لاعادة نشر عدد من المخطوطات المصورة العربية .







العالم في سطور

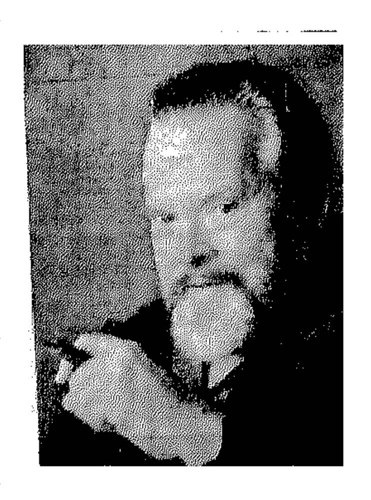
هوليوود

● حقيقي ام زائف

جاءت الشهرة « اورسون ويلز » بفضل دراما اذاعية وفيلم واحد .

فمن المعروف أن سمعته سبقته الى هوليوود عندما اخرج للاذاعة قصة من القصص الخيالي « حرب العوالم » للأديب الانجليزى " هـ . ج . ويلز " فاذا بالمستمعين في « نيوجيرسي » يصيبهم ذعر شديد ، لا لسبب سوى ان الواقع قد اختلط عليهم بالخيال ، فصدقوا ان الأرض مهددة بغزاة قادمين من كوكب المريخ .

هذا عن الدراما الاذاعية ، اما الفيلم فهو



اورسون ويلز

« المواطن كين » (١٩٤١) الذى تعرض فيه « ويلز » لحياة وازمنة ملك الصحافة في الولايات المتحدة « ويليم راندولف هيرست » فاثار غضبه حتى انه حاول من خلال نفوذه الكبير ان يحول بين الفيلم والعرض العام .

وعن شهرة « ويلز » هذه ، وكيف غذاها بكل مافي جعبته من حيل تصل الى حد الاحتيال يدور الكتاب الذى ألفه « فرانك برادى » المحاضر في السينما بجامعة سانت جون في نيويورك واعطاه عنوان « المواطن ويلز » (٦٥٥ صفحة) .

وهذا لايعني ان مؤلف ذلك الكتاب ليس معجبا بالساحر « ويلز » .

لا .. إنه من أشدّ المعجبين به باعتباره مبتكرا لذلك النوع من الأفلام الذى اسماه نقاد فرنسا « الفيلم الاسود » .

وباعتباره كذلك رائدا ادخل على السينما تكنيكيات كان لها تأثير ملحوظ على عشرات الأفلام بل انه يصل في اعجابه به الى حد القول بان الروائي المكسيكي " كارلوس فوينتس » قد اعترف بان بناء قصته " موت ارتيميو كروز » مأخوذ عن " المواطن كين » .

ولكنه على عكس القائمين على شئون اوسكار ، شديد الحذر في استعمال كلمة "عبقرى" ومن هنا حرصه على الا يصف « ويلز » بها .

ومن بين العبارات التى قالها « ويلز » وهو في معرض الحديث عن نفسه ، وجاءت في الكتاب لتلقي ضوءا على شخصيته الغريبة ، العبارة الآتية « اكتشفت وانا في السادسة ، انه يكاد يكون كل شيء في عالمنا هذا زائفا » .

ويالها من عبارة !!

●●●

نيويورك

● عبقرية فريدة

لعل اسمه اكثر اسماء المخترعين ذيوعا ولا غرابة فى هذا ، اذا كان قد خلف وراءه ، عندما مات عن عمر ناهز الخامسة والثمانين ، تركة من براءات الاختراعات وصل عددها الى الف وتسعة وثلاثين ، وهو رقم مذهل أهّله بجدارة للفوز بلقب اعظم مخترعى امريكا ، واغزرهم انتاجا .

فمن هو هذا المخترع رب كل هذه الكفاءات والاوصاف ؟

انه "توماس ا .. اديسون" الذى يرتبط اسمه باختراع الخيالة والكهرباء والحاكى والبرق الآلى ، وغير ذلك من اختراعات غيرت وجه العالم . ولقد فكر المشرفون على جامعة "جونز هوبكنز» الامريكية فى جمع أهم الوثائق التى تركها « اديسون » عند وفاته ، وعددها يتراوح بين ثلاثة واربعة ملايين صفحة بما فى ذلك ربع مليون اسكتش بخط يده لما تفتق عنه ذهنه من اختراعات .

واذ تبين انه يلزم لذلك الجمع عشرون مجلدا ، ومبلغ طائل للصرف منه على حشد من المحررين والباحثين تحت اشراف الاستاذ "ريز جينكنز» من جامعة "رتجرز» فقد ساهمت وكالتان حكوميتان فى تمويل المشروع ، فضلا عن ثلاثة واربعين مؤسسة خاصة ، وشخصين من عامة الناس ، ونقابة عمال .

واخيرا . وبعد حوالى خمسة عشر عاما من العمل الدءوب .. خرج الى النور المجلد الأول من اوراق "توماس . أ . اديسون » تحت عنوان "صنع مخترع فبراير ١٨٤٧ ـ يونيه ١٨٧٣ » وعندما تكتمل المجلدات ، فانها ستجىء شاملة لصفحات من القطع الكبير يتراوح عددها بين خمسة عشر وستة عشر الف صفحة ، تكلف شاريها الفا وثلاثمائة دولار على الأقل ، تزن خمسة وسبعين رطلا ، وتتطلب رفا يبلغ طوله أربعين بوصة .

وغنى عن الذكر ان هذا الكنز ليس للرجل العادى ، وانما هو للباحثين ، ولكل من يجد نفسه مهتما بما يسمى بالنشاط الابداعى .

واشنطن

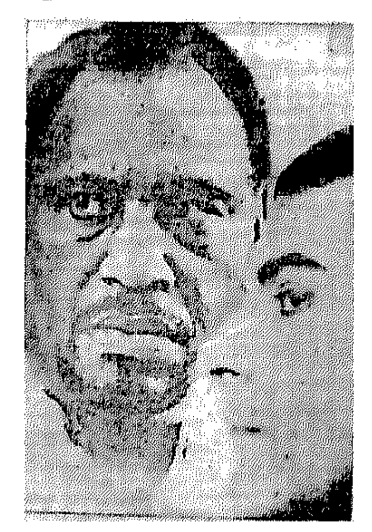
● مأساة امريكا

كان له صوت من تلك الأصوات التى لاتنسى .. عميق ، مواس للقلب الحزين ، مشتعل بنار موقدة لايلين ولو لم يفعل شيئا مثيرا للجدل والانتباه سوى الاكتفاء باغنيته الشهيرة « النهر العجوز » يطرب بها العالم .

هذا الى جانب بنيته القوية التى اهلته ـ وهو شاب جامعى ـ ان يكون واحدا من ابطال فريق كرة البيسبول بجامعة « رتجرز » .. فضلا عن شخصيته التى كانت تشع سحرا .

لو اقتصر نشاطه طوال حياته على ماتقدم ، فلربما انتهى فى ايامه الأخيرة

بول روبسون يوجه عطيل



صاحب ملايين فى دنيا الاستعراض ، او مرشحا للرئاسة ، معبودا من الجماهير ..

ولكن « بول روبسون » المغنى والممثل الاشهر لم ينس ابدا ان اباه كان عبدا وعندما اتضح له ان السود مازالوا مواطنين من الدرجة الثانية ارتأى ان من الواجب عليه الا يصمت ، وان يعبر عن احتجاجه بالنشاط سياسيا ، وبالغناء وعندما ادان غاضبا الحرب الباردة والتمييز العنصرى ، لم يغفروا له ، واذاقوه على تمرده هذا الوانا من العذاب .

ومن هنا ذلك الاضطهاد الذى لايرحم ، والمطاردة له فى رزقه ، حتى لم يبق منه لحظة استسلامه للموت عام ١٩٧٦ سوى حطام عقل وجسد .

لقد كان بحق احد ضحايا الماكرثية ، وهوى مدير المباحث « ادجار هوفر » الجامح فى التشفى منه والانتقام .

وتلك النهاية الحزينة لبطل اسود ملأ الدنيا من حوله بالسعادة واسباب المحبة هى جوهر مأساة امريكا كما قال بحق استاذ التاريخ « مارتين بومى دوبرمان » فى كتابه الرائع « بول روبسون » (٨٠٥ صفحات) الذى بدأ فى تاليفه استجابة لطلب ابن الفنان الراحل اثر لقاء تم بينهما قبل ثمانية اعوام .

ولعل اجمل شهادة فى حق « بول روبسون » . هى تلك التى جاءت على لسان الممثلة الانجليزية « بيجى اشكروفت » فى حديث لها مع صاحب الكتاب بعد خمسين عاما من وقوفها امامه تؤدى دور « ديدمونة » فى مسرحية « عطيل » ووقوعها فى حبه خارج خشبة المسرح .

فلقد قالت متعجبة .

« كيف لايقع انسان فى وضع كهذا ، فى حب مثل هذا الرجل » ؟

باريس

● الوحدة .. وذكريات الطفولة

لن يكف النقاد والصحفيون عن تسمية الابداعات الجديدة بأسماء غريبة .. مثلما لن يكف الكثير من المبدعين على ابهار قرائهم ونقادهم بالاشكال الجديدة من الابداع .. ومنذ بداية القرن العشرين والعالم فى لهاث غريب بحثا عن اسماء لتلك الاشكال والابداعات الفنية الجديدة .



ناتالى ساروت

أحدث هذه الاسماء هو مايمكن قوله بالرواية الحوارية .. وقد اطلق هذا الاسم الناقد الفرنسى جان بيرار على رواية « انت لاتحب نفسك » للكاتبة المعروفة ناتالى ساروت - ١٩٨٩ - التى نشرت فى شهر سبتمبر الماضى فى باريس .

ويبدو ان بيرار قد اراد ان يسخر من السيدة ساروت التى راحت مع كل رواية جديدة تقدم اشكالا مثيرة للغرابة .. فروايتها الجديدة خالية تماما من الشخصيات وبالتالى من

الحوارات المتبادلة بين طرفين . ويبدو الحوار الوحيد فى الرواية بين الكاتبة ونفسها لقد اختارت ساروت ان تسافر الى مدينة البندقية وتقيم فى الدور الأرضى باحد المبانى المطلة على القناة .. وراحت تغرق تارة فى المياه ، واخرى فى اغوارها التى لاتنتهى .. وظلت ترصد خمسين عاما من عمرها من خلال ايقاع الكلمات المتصاعدة والهابطة ، حيث اختلطت الطفولة بالصبا بالشباب .. لا توجد حواجز حقيقية فيما بين هذه المراحل .

وتقول ساروت انها كتبت هذه الرواية بعد ان فتحت نافذة خاصة على جدار أصم لايمكن لعينيها ان ترى شيئا سواه .

فيينيا

● خمسون عاما على رحيل فرويد

احتفلت الأوساط العلمية والثقافية ، فى النمسا وفى انحاء متفرقة من العالم ، بالذكرى الخمسين لوفاة زيجموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث الذى رحل عن العالم فى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ .

وحول حياة فرويد وعطائه صدرت سيرته الذاتية فى مجلد ضخم تحت عنوان « الحكمة الفرودية » من اعداد الباحث بول روازن اعتبره النقاد اهم ما ظهر عن حياة فرويد طوال الخمسين عاما الماضية .

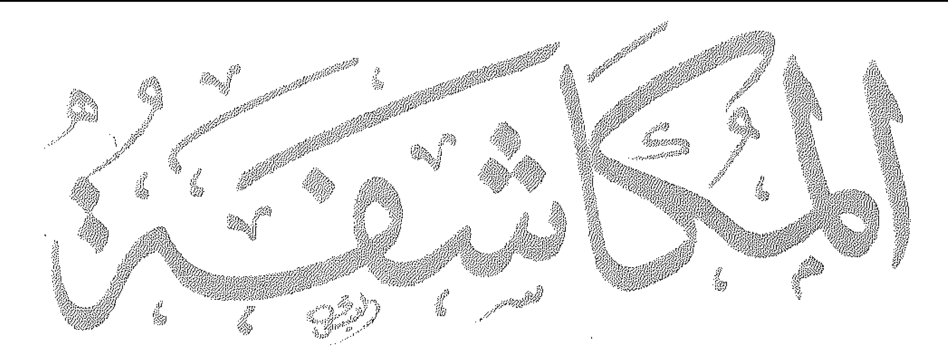
ولد زيجموند فرويد فى السادس من مايو ١٨٥٦ فى مدينة فريبرج النمساوية فى اسرة متواضعة ومنذ نعومة اظافره وهو مشغوف بالتحليل النفسى الذى كرس له حياته باكملها « سرعان ما انضجت عطشى للمعرفة . ولكن ما كان يثيرنى هو اشكال العلاقات الانسانية التى رحت ارجعها الى الفروض العلمية » .

ففى الفترة بين عامى ١٨٤٧ و ١٨٩٠ خصص فرويد كل اوقاته من أجل تاكيد نظرياته التى وصل اليها فوضع مسمياته الخاصة عن الأمراض العصبية والنفسية وراح يغوص فى التاريخ والآداب من اجل تاكيد هذه النظريات .. وأكد أن التحليل النفسى هو محاولة تقنية لمعالجة بعض الأمراض العقلية . وان هذه العملية تستغرق الكثير من الوقت .



زيجموند فرويد

ويقول روازن ان اكتشافات فرويد قد وضعت اليقين مكان الشك ، وان فرويد هو أهم الرجال الذين وضعوا بصماتهم على البشر فى كل القرن العشرين . لدرجة أن الباحث النفسى روبير كاسل قد راح يتساءل فى مجلة لوبوان ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩ ـ عن شكل الحياة فى القرن العشرين فى حالة عدم وجود شخص مثل فرويد ..



والادب فى الاتحاد السوفييتى

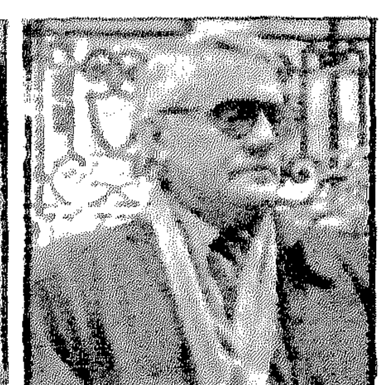
إعداد: عمرو كمال حمودة

الشاعر الكسندر كوشينى ، الذى يتبوأ مكانة هامة وسط الشعراء السوفييت المحدثين يقول : "نحن اليوم فى الاتحاد السوفييتى ، نقرأ الصحف والمجلات والكتب مثل المراهق الذى يقرأ خطابات حبيبته فى رعشة وتوتر"

وهذا هو بالفعل الاحساس الذى يلمسه الباحث لما فعلته وتفعله "البيروسترويكا" ، "والجلاسنوست" اى اعادة البناء والعلانية فى الحياة الادبية هناك . فالجميع يتسابقون لصرف مدخراتهم على اشتراكات المجلات وتبادل الاعداد ، والتدافع حول اكشاك الصحف فى الشوارع والميادين .. بحثا عن هذه الصحيفة او تلك المجلة او ذلك الكتاب .

● وكل مايتعلق بالادب الذى كان محرما او ممنوعا او منفيا او مهربا .. عاد ليصبح منشورا امام كل الناس بعد سنوات طوال من الرقابة والمنع ..لان المطلوب طرح الواقع بكل مشكلاته وتداعياته وتأثيراته والتعامل معه وجها لوجه من اجل تغيره نحو الافضل والارقى ، عن طريق اطلاق قوى الخلق والابداع والتطوير وتنمية المواهب المختلفة لافراد الشعب .

والادب والفن هما المعادل الروحى لحياة البشر .. والاديب والفنان يتمتعان بحساسية فائقة تبرز كل ما هو قبيح وتافه ورتيب وغير انسانى فى حياتنا اليومية .. فالرواية الطويلة او القصة القصيرة او المسرحية .. تعبر عن "التاريخ الصغير"

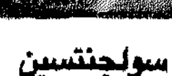




فلاديمير ماكسيموف



زينوفيف ـ يعيش فى فرنسا



سولجنتسين

اى التاريخ الذى يصنعه "الانسان العادى" كل يوم ، ولذلك قال كورولنكو "ان وطنى هو الادب الروسى" .

لقد وجد الناس ذواتهم ، واكتشف المجتمع السوفييتى حقيقة التجاوزات والاخطاء القادحة التى ارتكبت فى الحقبة الستالينية ، وفترة حكم بريجنيف "ضد الفرد" و "ضد الحريات" و "ضد كرامة وآدمية وكينونة الانسان" .. وذلك من خلال قراءة رواية الحياة والقدر لفاسيلى جروسمان او رواية "موهبة عديم القيمة" ليـورى دومبـروفسكـى" او روايــة "اقاصيص الكوليما" لفارلام شالاموف .. وكذلك اشعار انا اخماتوفا التى حفظها افراد الشعب عن ظهر قلب ، دون ان تسمح السلطات بطبعها وتداولها .. كل ذلك اجج مشاعر الحماس ويطهر القلوب والعقول من الخوف او التجهم الذى سيطر على حياتهم لفترة طويلة .

ولا تقف المسألة عند حدود ازالة الرقابة عن الممنوع .. فذلك جانب واحد من جوانب العملية التى تحدث لتأخذ الثقافة دورها فى تطوير المجتمع ودفع المثقفين نحو الابداع . واول هذه الجوانب "بعد الكاتب" و "علاقته بالتنوير" و "اليانا ممارسة هذا الدور" .. وبمعنى اكثر تحديدا ، ما هى علاقة الكتاب والادباء فى عصر البيروسترويكا بدور النشر ؟ فهل سيتمكن الادباء من الحصول على ورق الطباعة والتمويل لنشر ما يحلو لهم دون تدخل من الدولة ؟ والى أى حد سيستمر دور الرقابة ؟ وهل سيسمح مثلا بانشاء "تعاونيات للنشر" يتملكها الادباء والكتاب ؟ ومن سيضع معايير الانتاج الادبى ومعايير النشر ؟

والى الان تكاد تكون الصورة غير واضحة .. والسلطات السوفييتة من جانبها ابلغت العاملين فى المجال الثقافى "ان يتحملوا مسئولية عملهم بـانفسهم وليتصـرفـوا من وحى ضمائرهم .. وعن وعى" .

ورغم ذلك فإن "الحرية والعلانية والرغبة فى اعادة بناء كل شىء" دفعت بالحيوية فى كل اتجاه .. وتفجرت ينابيع



فكرية واراء متعددة على الساحة الادبية ، تراوحت ببين التقليدية والمحافظة واليمينية المفرطة الى الرؤى المستنيرة التقدمية .

فلم يكن سهلا السماح باعادة طبع روايات الروائى "سولجنستين" بالروسية وطرح مؤلفاته فى السوق .. وكانت بداية التحدى من جانب جريدة "رابوتشيه سلوفو" اى صوت العمال فى مدينة كيف التى نشرت بيان سولجنستين الشهير الذى اصدره عام ١٩٧٢ بعنوان "استحالة العيش مع الاكاذيب" .

ثم نظّمت عدة دور سينمائية وبعض المكتبات امسيات ثقافية حول الكاتب بمناسبة عيد ميلاده السبعين . وفى احدى هذه الامسيات وقف الكاتب الكبير اناتولى سترليانى خطيبا ليقول : "**ان السلطات لدينا ارتكبت اخطاء فظيعة فى المجال الاقتصادى والسياسة الداخلية وعلى صعيد الدبلوماسية** .. ولكن الخطيئة فى مجال الاداب والفنون افظع .. فكيف يمكن طرد اديب مثل سولجنستين من بلدنا .. ولماذا تسعفنا ببشاعة مع الروائى بولجاكوفا ، لمجرد انهم كتبوا عن الحقيقة ومعاناتنا اليومية وكبت ملكة الابداع عند البشر" . وعندما اعلن الصحفى سيرجى زالجين رئيس تحرير مجلة نوفى مير "العالم الجديد" عن موافقة سولجينتسين على السماح بتشر روايته مسلسلة فى نوفى مير ، تحركت البيروقراطية بشدة ومنعت نشر الخبر فى الطبعة الثانية وتم سحب الغلاف وتغييره .. الى ان سمح بعد عامين وبعد تدخلات كبيرة من المفكر ميدفذيف الذى يتولى مسئولية الشئون الايديولوجية والثقافية فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى ، للافراج عن مؤلفات سولجينتسين ، وطرحها للقراء .

● حماس النقاد

والجانب الاخر من جوانب "العلنية والمصارحة" هو الحركة النقدية ، وتسهم فيه بشكل مباشر الصحف والمجلات الادبية سواء الشهرية او الاسبوعية ، وذلك عن طريق الحماس الكبير من النقاد فى تناول الاعمال الادبية الممنوعة بالنشر والتعليق والتوسع فى ابراز الظروف الموضوعية والذاتية التى واكبت ظهور هذه الأعمال .

ومن ضمن انشطة الحركة النقدية اقامة دوائر للحوار فى كل مجلة ادبية تتناول الفترات التاريخية للثورة الروسية وانعكاساتها على الحياة الادبية والفكرية .. كذلك تبنى الدعوة الملحة للافراج عن كافة الوثائق والسجلات والمذكرات والاوراق الخاصة بالسياسيين والمفكرين والادباء .. والمحبوسة فى ارشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى وتمثل الباحثة "مارتيا تشودا كوفا" ابرز العاملين فى هذا المضمار حيث اكتشفت مادة تاريخية

ضخمة فى دار لينين للكتب عن الحياة الادبية فى المجتمع السوفييتى ابان العشرينات والثلاثينات ، لم يكشف عنها النقاب بعد .

واحد الجوانب الهامة لعملية البيروسترويكا .. انها كشفت عن الاتجاهات الحقيقية الكامنة فى الحياة الفكرية اليوم فى الاتحاد السوفييتى .

ومن ضمن هذه الاتجاهات .. الاتجاه الاصولى الذى ينادى بضرورة البحث عن تراث المجتمع الروسى واستعادته واعادة انتاجه فى الوقت الراهن ! وتشمل هذه الدعوة البحث عن كل ماهو كلاسيكى بل وصل الامر بالكاتب "سيلونين" الى تمجيد ملاك الاراضى وانصافهم على حساب العبيد والفلاحين فى عهد القياصرة المستبدين !

والعجيب ان المجتمع ابدى تعطشا فلتقيا للقراءة عن الحلطليةومعرفة ماذا كان يحدث لدرجة ان توزيع مجلة "نوفى مير" زاد زيادة ملحوظة عندما اعلنت عن اعادة نشر كتاب "تاريخ الدولة" لكرامازين الذى عمل مستشارا للقيصر الكسندر الاول .. وقد اشتهر كرامازين برجعيته الشديدة وعدائه للتغيير والتجديد . وفى هذا السياق يعاد الان طبع مؤلف اخر عن تاريخ روسيا لسيرجى سولوفيف وكان يعمل استاذا بجامعة موسكو فى النصف الثانى من القرن الـ ١٩ .. بالاضافة لاعادة طبع ونشر أعمال المؤرخ فاسيلى كليوفيتسفيسكى الذى شغل لسنوات طوال كرسى الدراسات التاريخية بالكلية اللاهوتية بموسكو .

● العودة الى القيم ●

واتجاه آخر من أبرز ممثليه فالنتين راسبوتين المقيم فى منطقة سيبريا .. وينادى بضرورة استغلال البيروسترويكا فى اعادة بناء المجتمع السوفييتى على أسس إصلاحية اجتماعية ، ومنها العودة للقيم الروحية المسيحية كبديل أيديولوجى .. وطرح شعار القومية الروسية بدلا عن الأممية .

وعند قراءة أعمال فالنتين راسبوتين نجد توافر النبرة المسيحية الروحانية ، كذلك مناداته للعودة « الى الأرض » وابعاد « يد الانسان » عن تغيير الطبيعة والتخفف من الاتجاه نحو ميكنة كل شىء فى الحياة .

كما ينادى راسبوتين بضرورة بحث علاقة الاشتراكية باليقين الدينى .. ومن أبرز مقولاته « أن الذرة أدت الى تفتيت الكلمة وتفتيت الروح » .

ومن أنصار راسبوتين الكتاب كروبين وبيلوف صاحب رواية « كل شىء أمامنا » وبصفة عامة نلمح فى كتابات أنصار هذا الاتجاه نبرة حزينة عالية تتدفق عبر صفحات رواياتهم وأعمالهم .

وهناك اتجاه آخر يطلق عليه الاتجاه الليبرالى ويمثله المؤرخ اليهودى ناثان ايدلمان والكاتب أندريا بيتوف صاحب رواية « بيت بوشكين » والتى سمح



بنشرها فى أواخر عام ١٩٨٨ ورؤية ايدلمان فى أن الثورة والتقدم يحدثان فى روسيا بصفة دائمة من أعلى .. بدءا من بطرس الأكبر مرورا بالقيصر المتحرر الكسندر الثانى ، ثم الثورة البلشفية .. وهو يطالب بالاستقرار ومراعاة الظروف التى يعيشها المجتمع السوفييتى حاليا .. وضرورة تحديثه على النمط الغربى .. والبحث عن مخرج من المخاوف الناجمة عن مخاطر البيئة .. وهو يرى أن المجتمع فى حالة ارتباك لان المبادرة ليست فى يده ، إنما كل شىء يحدث ويأتى من أعلى !

هذا من زاوية الفكر .. أما من ناحية الأسلوب ، فلدينا أولا المبدعين باستخدام الطريقة التقليدية لكتابة الرواية ومنهم أناتولى ريباكوف صاحب الرواية الشهيرة « أطفال الأربات » وأيضا الروائى دودينتزيف وروايته « الانسان لايحيا بالخبز فقط » عن عصر خروشوف كذلك الكاتب بريستافكين صاحب رواية « السحابة الذهبية الصغيرة فوق القوقاز » ولدينا اتجاه آخر فى الكتابة يطلق عليه "اتجاه مابعد الواقعية" ويتسم بالجدة واختيار الموضوعات التى تتعدى الواقع ، وهو أدب يتصدى للمستقبل ويتحمل الفانتازيا ، وبه الكثير من الخيال والابتكار والتشويق ، ويدفع الانسان للتفكير فى غده والتخطيط له .. ومن أشهر وأبرز زعماء هذا الاتجاه .. الأديبة لودميلا بتروشفسكايا ، وأيضا تاتيانا تولستوى ابنة الأديب الشهير الكسيس تولستوى ، وهناك الأديب فلاديمير ماكانين .

ونأتى لقضية جوهرية .. وهى تطبيق مبدأ « الواقعية الاشتراكية ».. هل فقد صلاحيته فى ظل البيروسترويكا أم لا ؟

ففى سنة ١٩٣٤ عندما عقد مؤتمر الكتاب السوفييت وتراسه الأديب مكسيم جوركى .. تم تقرير هذا المبدأ على أساس صياغة الأدب فى ضوء النمط الذى اختاره الشعب السوفييتى للعلاقات الانتاجية فى المجتمع .. ونتيجة لذلك يصبح الشكل الأدبى رهنا بالمضمون .. فهل يمكن الآن طرح هذا المبدأ ؟ أن رأى القيادة السوفييتية ترك الباب مفتوحا بحرية أمام الأدباء والفنانين دون فرض أى مبدأ على كتاباتهم .. فمن يريد الاستمرار على نهج الواقعية الاشتراكية فليستمر .. ومن يريد النكوص فعليه تبعية ذلك وهى بذلك تترك التناقضات التى افصح عنها تطبيق الاشتراكية كنهج فى حياة الشعب .. لتفعل فعلها فى اطار عملية اعادة البناء والمصارحة .. وهما بالتاكيد عوامل اضافية لافراز "الواقعية الاشتراكية" .

ويلعب اتحاد الكتاب السوفييت الذى يضم حوالى ١٠٠٠٠ كاتب واديب وشاعر دورا هاما فى الحياة الادبية فى ظل البيروسترويكا ، ويتراسه الاديب كاربوف

وهو شخصية معتدلة ويتعاون مع الاديب والمفكر لوكيانوف مساعد الزعيم السوفييتى جورباتشوف للشئون الثقافية .. ومن ضمن اراء كاربوف تعزيز البيروسترويكا ولكن دون افراط قد يؤدى للفوضى .. مع اهمية تحجيم الاتجاهات الادبية الضارة والتى لها علاقة بالتيار الذى ينادى بالتغيير الواسع على النمط الاوربى الغربى .

ونقف هنا عند منعطف هام .. وهو دور الادباء اليهود من التطورات المصاحبة لعملية البيروسترويكا .. واللافت للنظر انهم يشكلون حركة منظمة وقوية تتسم بالاستمرار والوجود على الساحة الادبية .. واهم عناصرها الاديب سفيافسكى ، وهو نشط جداً ، وكان قد طبع مجموعة اسماها "اقاصيص من الفانتازيا" تحت اسم يهودى مستعار وهو ابراهام ترتز ، وذلك عام ١٩٦٥ فى باريس ، وسرعان ما اكتشف جهاز ال ك . ج . بى ذلك .

ولقد اصدر اندريه سفيافسكى آخيرا مؤلف بعنوان "الحضارة السوفييتية" احتفت به الدوائر الغربية الثقافية بشدة .. يتناول فيه الثورة الروسية الاشتراكية ، ويجد لها جذورا « مسيحانية » ، ويكشف من خلاله رؤيته - عن ان فلاديمير لينين مفجّر الثورة - شخصية مستبدة طاغية وان قلبه مثقل بالشرور ، وينادى فى مؤلفه بالملكية الفردية الخاصة واهميتها فى أن يخرج الفرد السوفييتى من عبوديته الراهنة (على حسب قوله) .. وينظر للمجتمع السوفييتى وكأنه على هيئة هرم من مكعبات ضخمة تمثل البيروقراطية وتسلط الحزب وعقيدة لينين ، ولابد من هدم ذلك اذا اردنا اعادة البناء !

● دور ثقافى هام

ومن خلال الاستعراض الذى قدمناه .. فان البيروسترويكا قد اطلقت كل الاتجاهات الكامنة فى المجال الادبى والثقافى .. والدليل على ذلك الكم الهائل من المؤلفات الشعرية والنثرية والافلام والمسرحيات التى سمح بنشرها وعرضها ، لان المجتمع السوفييتى وجد نفسه فى ازمة روحية ومعنوية عنيفة قد تضر بالمستوى المادى الذى وصل اليه بعد سبعين عاما من الاشتراكية وأشباع الحاجات الضرورية لافراده . بالاضافة لقضية هامة .. وهى اعادة الثقة للفرد واحساسه بالكرامة وباهميته رغم اهمية المجموع .. وربما كانت رواية « المخلص روسلان » للاديب جيورجى فلاديموف تعتبر خير تعبير عن ذلك ، والتى يعتبرها ايضا الكثير من النقاد . واحدة من الروائع الادبية فى القرن العشرين .. وهى قصة كلب حراسة امين .. مخلص .. يتم طرده من الخدمة من معسكر للاعتقال .. وتبرز الرواية مدى الفجيعة والتدنى فى التعامل مع البشر فما بالك بالحيوانات . وتفصح الرواية عن مدى انعدام ثقة الفرد فى السلطة وخوفه من أن يترك مصيره معلقا بيديها .

الشاعرة سعاد الصباح

صاحبة الاعصار وفتافيت امراة

حينما قرات ديوانها الأول (امنية) ، ادركت أن هذه الشاعرة (الصاعدة) عندها ما تقوله ، او مالابد لها من أن تقوله .. وتوقعت لها - إذا استمرت في السير على الدرب برسوخ ومضاء - ان يكون لها شان كبير ..

فقد وجدتها في ديوان (أمنية) مستكملة الأداة - ممسكة بزمام الصور ، وان كانت أقرب الى ترديد المعاني التي يطرقها سائر الشعراء ، بنغمة هادئة وانفعال رزين .. فهي حين تقول عن (أم الشهيد) حينما سألتها عنه ، وأجابت :

لما دعا للثار داعي الحمى
وهبته لله رب العباد
فراح ملهوفا على حقه
مؤرق النوم ، عنيد الوساد

ففي البيت الأول ، نجد أم الشهيد تتحدث عنها بلسان الشاعرة ، وليس بلسان لهفتها هي واضطرام مشاعرها ، كما أن اضافة (رب العباد) لاسم الجلالة ، جاء لاستكمال البيت والقافية ، وليس لضرورة فنية موحية ..

ثم تمضي في قصيدتها تلك ، لتكرار المعاني المألوفة ، حين تقول عن الشهيد أنه :

يطهر الأرض من المعتدى
ويفتدى بالروح حق البلاد

فمن المعروف أن تطهير الأرض لا يكون الا من المعتدى ..
وافتداء الوطن ، يكون بالروح ..
ولانلبث أن نرى هذا الشهيد ، وقد :

هب مع الأبطال في جمعهم
يهتف بالعودة في كل واد



وخر في الساحة مستشهدا
يردد الصيحة بين الوهاد
لا تتركوا السيف على غمده
فتارك السيف عدو الرشاد

ورغم روعة المشهد ، فان الشاعرة قد صورته (من الخارج) ، بعبارات مكرورة مطروقة .. ورغم ذلك ، فقد لمحنا خلل الرماد وميض نار ، يتبدى في قصيدتها : (عندما رحل ناصر) وصدق انفعالها وحرارته ، حين تقول عنه انه :

كان أسطورة مجد ما روتها شهرزاد ..
سوف يبقى في حنايانا الى يوم المعاد
انه استشهد كي يصبح للجرح ضماد

وقبل ان اترك ديوان (أمنية) ، للديوان الأعظم : (فتافيت امراة) ، أرى لزاما عليّ ان ألفت .. القارىء الكريم ، الى قصيدة (حق الحياة) بالديوان الأول ، التي جاءت ارهاصة لروح الشاعرة الثائرة ، حينما تطلق العنان لمشاعرها المهتاجة ، فتصيح في وجه الرجل الذي يريد أن يخضع المراة لكبريائه :

لقد انتهى عصر الحريم
وجاء عصر الكبرياء
وجلا لنا حق الحياة
فكلنا فيه سواء

و(آهة) الشاعرة التي تقول فيها بعد ذلك :

لئن رايت ابتسامي
فالنار تحت الرماد ...

تؤكد اشتعال هذه النار ، التي سيأتيك خبرها بعد حين ، بعد أن نعرض هذه الصورة الواقعية ، التي استطاعت فيها الشاعرة أن تصف لنا بصدق وعمق ، مشاعر (غاسلة الثياب) ، تماما كما استطاع (تولستوى) من قبل ، ان يصف

لنا أحوال البائسين فى أعماله الخالدة ، فى الوقت الذى كان هو ، يرفل فى حلل النعيم ..

فسعاد الصباح فى منبتها الكريم ، لم تعمد الى وصف الهلال مثلا ، كما وصفه الشاعر (الأمير) ابن المعتز ، بقوله :

أنظر إليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

وإنما عمدت الى الحديث عن احدى العاملات البائسات .. تقول :

جاءت تطالعني بشكواها
والحزن يصرخ فى محياها
والماء يقطر فى أناملها
وتكاد منه تذوب كفاها
غسالة ، والفجر شاهدها
والماء والصابون .. خدناها
ومع الأذن تهب كادحة
تشكو إلى الرحمن بلواها

فالشاعرة هنا ، لم تتعال عن (خادمتها) ، بل أمعنت فى مشاهدتها ، وتتبع مراحل كدها وشقائها ، وتحدثت عنها حديث المرأة ، عن امرأة مثلها :

وقفت تقص على قصتها
وبكفها الصابون والماء
قالت : عيالى ستة ، ولهم
فى العيش حاجات وأعباء
وأبوهم أزرى الهزال به
ومشى بصلب عروقه الداء
أشقى .. لأدفع عنهمو قدرا
لاشئت قسوته ولا شاءوا

ومن منطلق القصيدة الأخيرة ، ندخل عالم سعاد الصباح الرحيب ، بعد أن استوت نضجا ونبوغا ، فى ديوانها الأخير (فتافيت امرأة) الذى انتقلت فيه من الخاص الى العام ، وارتقت نبرتها ، وتكثفت مشاعرها ، وصفت لغتها من أى فضول أو نقصان ، فتحدثنا بلسان الشاعرة التى تترجم المشاعر الجماعية ، وتتحدث بلسان وطنها العربى الكبير ، فى الزمن الردىء الذى يتعرض فيه لشتى المحن والأهواء من الخارج والداخل ..

ويتعين بادئ ذى بدء - أن نتعرف الى شخصيتها الفذة فى هذا الديوان ، الذى تعتز فيه بأنها (كويتية) .. فتحدث صديقها (القارئ) بقولها :

لا يغرنك هدوءى
فلقد يولد الاعصار من تحت قناعي ..
انني مثل البحيرات صفاء
وانا النار بعصفى
واندلاعي ....

إلى أن تقول :

انني بنت الكويت
كلما مر ببالى ، عرب اليوم .. بكيت
كلما فكرت فى حال قريش
بعد أن مات رسول الله
خانتني دموعي .. فبكيت

★ ★ ★

كلما شاهدت عصفورا بروما
أو بباريس ... يغنى
دون أن يشعر بالخوف ... بكيت
كلما شاهدت طفلا عربيا
يشرب البغضاء من ثدى الاذاعات ...
بكيت
كلما شاهدت جيشا عربيا
يطلق النار على الشعب .. بكيت
.. كلما استجوبني بوليس قطر عربي
عن تفاصيل جوازى
عدت من حيث ... اتيت

أرأيت ، أى طفرة تلك التى قفزت اليها شاعرتنا المبدعة ، مما يجعلها بحق تقف فى صف مع شواعرنا الكبار : فدوى طوقان ، نازك الملائكة ، جليلة رضا ، عاتكة الخزرجي ... وكامتداد طبيعى لعائشة تيمور ووردة اليازجى وملك حفنى ناصف ، وغيرهن ..

.. لاشك فى أن القارئ الكريم قد لاحظ معى أن شاعرتنا قد احتلت بديوانها الأخير ، المتواضع العنوان : (فتافيت امرأة) ، مكانة أدبية عالية ، فقد برأ شعرها القوى المعبر عن الخطابية والمباشرة ، كما خلص من الغموض والمعميات التى تحفل بها بعض قصائد شعر الحداثة ، وهى - مثل صلاح عبدالصبور - وأمل دنقل - تصوغ لغة قصائدها بسلاسة ويسر ، وان تدفقت بصدق وعمق .

ثروت محمد يوسف

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن طفيل

١١٠٥ - ١١٨٥ م

فيلسوف وطبيب وفلكي وشاعر اندلسي ، لم يصلنا من مؤلفاته غير اثاره الفلسفية ، ومنها رواية « حي بن يقظان » التي اثرت الفكر والادب العالميين والتي صور فيها تطور العقل لدى انسان يعيش بمفرده في جزيرة ، من قواه الفطرية السليمة ، الى اسمى مستوى فلسفي ورؤية الهية . وقد ترجمت هذه الرواية الى لغات اوروبية عديدة ، واهتم غير المسلمين بتاليف الدراسات عنها على نحو لم يولوه لاى كتاب فلسفي عربي آخر ، واشاد بها الفيلسوف لايبنيتز اعظم اشادة ، كما كان لها اثر عميق في رواية مشابهة من روائع الادب العالمي ، وهي « روبنسون كروزو » التي الفها دانييل ديفو عام ١٧١٩ ..

كان الموحدون قد تمكنوا في منتصف القرن الثاني عشر من الاطاحة بدولة المرابطين . وقد شهد عهدهم ازدهارا عظيما جديدا في الفلسفة والادب الاندلسيين ، حمل لواءه ابن باجة ، فتلميذه ابن طفيل ، فتلميذ ابن طفيل ابن رشد . وكان ابن طفيل مقربا من سلطان الموحدين وطبيبا له ، وهو الذى قدم اليه عددا كبيرا من العلماء من مختلف الاقطار ، من بينهم ابن رشد الذى حض ابن طفيل السلطان علي اكرامه والاعلاء من قدره .

فاما « حي بن يقظان » فاقدم قصة فلسفية في الادب العربي . وكان ابن سينا قد وضع رسالة رمزية صوفية تحمل نفس العنوان ، فاستعار ابن طفيل بطلها لقصته الخيالية حول مراتب المعرفة وطرقها . وقد تخيل ابن طفيل ان « حيا » هذا ولد يتيما في جزيرة استوائية خالية من الناس ،

في التاريخ الإسلامي

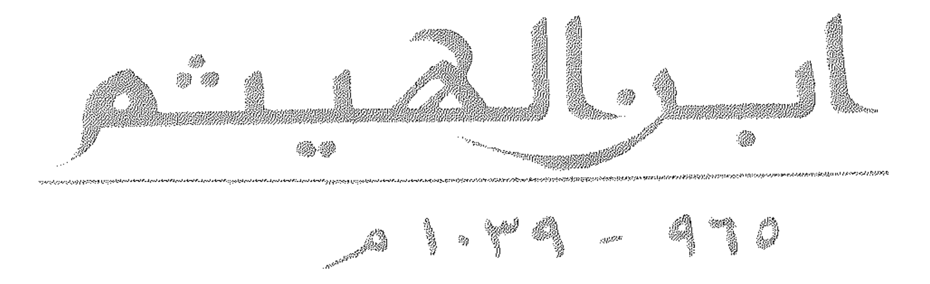


وتكلفت عنزة بإرضاعه ورعايته . واذ تموت العنزة يكتشف حى لاول مرة لغز الموت ، وتحوم فى ذهنه اسئلة حول الوجود والعدم ، والروح والجسد . حتى اذا ما بلغ الخمسين يكون حى بن يقظان قد توصل الى نظرية شـاملة عن الله والطبيعة ، وذلك عن طريق العقل وحده . فهو اذن يرمز الى العقل البشرى الذى بوسعه ان يرتقى بالمعرفة حتى يدرك : واجب الوجود (وهو الله) ، وروحانية النفس وخلودهـــا ، وان سعادتها هى فى تامل واجب الوجود .

وهنا تدخل القصة شخصية ثانية هى اسال ، الوزير لملك احدى الجزر المجاورة ، الذى يرمز الى من آتاه شرع عن طريق نبى ، وتعمق فى فهم هذا الشرع حتى ادرك باطنه على حقيقته . والتقاء حى باسال يرمز الى التقـاء الفلسفة (المعقول) بالشرع (المنقول) ، اى ان باطن الشرع وحقيقته متفقان تماما مع الفلسفة ، ويمكن للعقل المجرد ان يتوصل اليهما وحده .

ويتجه حي بن يقظان وصديقه الى جزيرة الملك • غير ان الملك يبدو عاجزا عن ان يسمو بنفسه الى المستوى الرفيع الذى وصل اليه الاولان • فهو يرمز الى من اتاهم وحى عن طريق نبى ، فاخذوه على ظـاهره ، ولم يستطيعوا ان يصلوا الى ادراك باطنه • واذ يدرك حي وآسال ان دين الملك بدائى لا يليق بهما ، يتركـانه وشعبه مشغولين بالقشور (اى الاعمـال الظاهرة) ، ويعودان الى الجزيرة المهجورة ليفرغا بقية عمرهما للتـأمل والرياضة الروحية •

فالرواية اذن تبين مراتب ثلاثا للمعرفة : المعرفة العقلية ، والمعـرفة الباطنية ، والمعرفة الظاهرية ، ومراتب ثلاثا للبشر : الفيلسوف ، والصوفى ، والعامة • وما حدود الشرع وظاهره الا وسيلة لا مفر منها لهداية العامة التى تشكل غالبية الخلق ، والتى ليس بوسعها ان ترقى الى مستوى الفيلسوف والصوفى •



من أعظم علماء الطبيعة والرياضة عند العرب ، ويكاد اثره فى علم الطبيعة النظرية يعدل اثر اسحق نيوتون فى علم الميكانيكا .

تمكن فى شبابه من استيعاب كافة مؤلفات الاغريق والعلماء العرب فى ميادين الرياضة والطبيعة . ثم مضى قدما لحل مسائل اخرى لم يحلوها وقد بقى لنا اكثر من خمسين . من كتبه ومؤلفاته ورسائله ، اشهرها « كتاب المناظر » فى البصريات ذلك المصنف العظيم الذى خلد ذكر صاحبه والذى ترجمه فردريك ريسنر الى اللاتينية ونشره فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٥٧٢ بعنوان « كنز البصريات » (Opticae-Thesaurus) .

ومن بين ماتضمنه هذا الكتاب من موضوعات كثيرة ، معارضته لنظريات الفيثاغوريين وأرسطو واقليدس وانبادقليس وبطلميوس القائلة بأن العين ترسل أشعة متى اصطدمت بجسم من الأجسام اتاح لها ذلك رؤية هذا الجسم ، أو بأن الابصار هو نتيجة لارسال شعاعى مزدوج ، احدهما ينبعث من العين المبصرة ، والاخر من الجسم المرئى ، فجاء ابن الهيثم بنظريته القائلة بأن الضوء ينتقل من المبصرات الى العين .

وقد اجرى ابن الهيثم تجارب عديدة ، واشتغل على المراية الكروية والقطعية المكافئة ، وتمكن بعد دراسته لانكسار الضوء عند تخلله لجسم شفاف ان يقيس ارتفاع الغلاف الجوى للأرض . بل انه كان قاب قوسين او ادنى من اكتشاف مبدأ العدسات المكبرة . فقد درس مميزات العدسات التى اشار علماء اغريق وروما الى قوتها المحرقة وقدرتها على تكبير الصور ، بيد ان الراجح ان بحثه توقف دون اكتشاف قدرة تلك العدسات على خدمة ضعاف البصر ، وان استعانة هؤلاء بالنظارات لم تبدأ الا خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر .

كذلك اكتشف ابن الهيثم قانونا اصبح فيما بعد اساسا لاختراع آلة التصوير ، وهو اننا اذا جعلنا فى غرفة مظلمة فتحة فى مواجهة ضوء ، فان الضوء يدخل من الفتحة الى بقعة مقابلة لها على جدار الغرفة او على ارضها . ويبقى كل ماحول هذه البقعة مظلما (وهو ما اثبت به ان امتداد الضوء يكون على خطوط مستقيمة) .

كما ناقش مايعرف حتى اليوم بمسألة ابن الهيثم التى اوجد فيها حلا لمعادلة من الدرجة الرابعة ، وهى اذا افترضنا نقطتين (ا) و (ب) ثابتين على سطح دائرة مركزها (و) ونصف قطرها (ر) فلكى نحدد على هذه الدائرة (التى تبدو فى افضل شكل فى مرآة) النقطة (م) التى تقع عليها شعاع الضوء المنبعث من (ا) يجب ان ينعكس هذا الشعاع الضوئى بحيث يمر بالنقطة (ب) وقد حل ابن الهيثم هذه المسألة بواسطة قطع زائد متساو يمر فى دائرة فى حين تمكن ليوناردو دافينشى بعدة قرون من حلها بطرق ميكانيكية .

وتناول ابن الهيثم فى القسم التالى من كتابه انكسار الضوء (أو انعطافه على حد تعبيره) فلاحظ ان العلاقة بين زاوية الاسقاط وزاوية الانكسار ليست ثابتة وان خط الاسقاط وخط الانكسار والخط المتعامد على السطح الممانع تكون على نفس



المستوى . وقد تولى تطوير هذه النظريات فيما بعد . واضافة الكثير من الملاحظات عن سرعة الضوء العلامة كمال الدين الفارسي شارح « كتاب المناظر » .

كذلك كان ابن الهيثم صاحب فكرة بناء سد عال جنوبي مدينة اسوان في مصر ، يخزن المياه في سنوات الفيضان الوفير ويدخرها لسنوات الجفاف . واذا كانت مصر وقتها تعاني جفافا دام اربع سنوات من نقص مياه النيل ، فقد استدعاه الحاكم بأمر الله من البصرة موطنه ، واستقبله بنفسه خارج القاهرة ودعاه الى تنفيذ بناء السد . غير ان ابن الهيثم تبين في اسوان عجز الامكانات العملية المتاحة عن اخراج حساباته النظرية الى حيز التطبيق وماتتطلبه مجرد المحاولة من مصاريف باهظة فاضطر الى الاستخفاء فرارا من غضب الحاكم ، ولم يظهر حتى قتل هذا الاخير .

عبد الرحمن الجامي

١٤١٤ - ١٤٩٢ م

اخر فحول شعراء الصوفية ومن اعظم علماء الفرس ، وصفه السلطان بابر في مذكراته بانه « لم يكن له نظير في زمانه في العلوم العملية والنظرية » . غير ان مشايخ الطريقة النقشبندية الصوفية افلحوا في ضمه الى طريقتهم . فانصرف عن العلوم الى الرياضة الصوفية . واخذ نفسه بالمجاهدات الشاقة . واعتزل الناس واستوحش منهم ، وساح في البلاد للاجتماع بكبار الصوفية . وكان اسف العلماء على تصوفه بمقدار فرح الصوفية به . قال محمد الجاجرمي : ان خراسان اخرجت بعد خمسمائة سنة رجلا كاملا هو الجامي . فقطع الصوفية عليه الطريق واضاعوه » .

وقد بلغ في حياته من المكانة بين العامة والخاصة مايندر ان يبلغه العلماء والشعراء . فقد اجمع الناس على تعظيمه والتبرك به وراسله الملوك والامراء من امثال السلطان محمد الفاتح والسلطان بايزيد الثاني ، من اجل ان يزورهم فابى ، فقد حكى انه في شبابه اراده جماعة من اخوانه طلاب العلم على ان يذهب معهم الى احد أمراء السلطان شاه رخ ليحصلوا على وظيفة . فطال وقوفهم على الباب ثم قابلوا الامير . فلما خرجوا قال الجامي : « لا أعود الى مثل هذا ابدا » . فلم ير بعدها على باب احد من ارباب المناصب .



وكما تميز بعلو نفسه تميز بالذكاء الخارق وحب المزاح والفكاهة ، شكا اليه احد معاصريه من الشعراء ويدعي ساغرى من ان الشعراء تسرق افكاره ومعانيه ، فاجاب : « صدقت . فما رأيت فى شعرك بيتا واحدا فيه فكرة او معنى » .

كتب فى موضوعات شتى نظما ونثرا . فمن مؤلفاته النثرية تفاسيره للقرآن والحديث ، وكتاب « نفحات الانس » فى تراجم الصوفية و« شواهد النبوة » وشرح نصوص الحكم لابن عربى ، وشرح تائية ابن الفارض ، وشرح مقدمة المثنوى لجلال الدين الرومي . الى اخره ، غير انه اشتهر بالاخص بآثاره الشعرية التى هى ضربان :

الأول : الديوان : وهو مجموعة من الاشعار الغنائية نظمها فى شبابه ورتبها فى شيخوخته فى ثلاثة اقسام : فاتحة الشباب ، وواسطة العقد ، وخاتمة الحياة .

والثاني : سبع منظومات قصصية مطولة هى : سلسلة الذهب ، وسلامان وابسال وتحفة الاحرار فى التصوف ، وسبحة الأبرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى والمجنون ، وخسرونامه سكندرى التى تحوى مناقشات بين الاسكندر الاكبر وعدد من الفلاسفة واشهر هذه المنظومات القصصية جميعا هى « يوسف وزليخا » التى تعرض لحياة يوسف بن يعقوب عرضا صوفيا بديعا ، ويشترك الجامى مع جلال الدين الرومى فى القدرة على تناول موضوعات مشهورة لدى جمهور الناس ، وسبق للعديد من الناثرين والشعراء الكتابة فيها ، فيشيعان فيها حياة جديدة بفضل تناولهما اياها من زواية غير مألوفة ، وبفضل اشراق اسلوبهما ورشاقته .

وبعد وفاة الجامي بنحو سبع سنوات استولى الصفويون على الحكم فى ايران ، وفرضوا الشيعية مذهبا رسميا للدولة . واذ لم يكن الجامى شيعيا اماميا ، فقد

ناهضت الدولة الجديدة اثاره وحاربت ذكراه ، بل ونبش رجال السلطة قبره لاحراق جثته . غير ان ابنه كان قد اسرع بنقل الجثة الى مكان مجهول تحسبا لهذا الانتهاك لحرمة قبر والده ، فاكتفت السلطة بحرق ماوجدته فى القبر من اخشاب .

عبد الرءوف فطرة

١٨٩٩ - بعد عام ١٩٣٧ م

من اعظم من ظهر من المفكرين المسلمين منذ جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ولد فى بخارى وعمل مدرسا قبل ان يتفرغ كلية لتاليف الكتب ، وتحرير المقالات للمجلات والصحف ، ونظم الشعر ولنشاطه فى حركة « الجديديين » فى بخارى التى كانت تستهدف اصلاح نظم التعليم. وقد اضحى عبد الرءوف بعد الثورة البلشفية الزعيم الايديولوجى لحزب سياسى دينى هو حزب « شباب بخارى » ، وعين قبل ان يتجاوز العشرين وزيرا للمعارف فى جمهورية بخارى الشعبية . فوزيرا لخارجيتها ثم انصرف بعد ذلك الى التدريس فى جامعة سمرقند ، حتى امر ستالين باعتقاله عام ١٩٣٧ وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر . ولم يسمع عنه بعد ذلك قط ..

وتتصل كتابات فطرة كلها باسباب التدهور الروحى والدنيوى لأمة المسلمين واقتراح سبل اصلاح احوالهم ، فهو فى كتبه « المناظرة » و« العائلة » و« السائحة » و« النجاة » و« البيانات » يذهب الى ان العقيدة الاسلامية قد اصابها على يد علمائها البلى والتحجر ، واثقلها الجمود والخزعبلات وخرافات العامة . ولا سبيل الى الخلاص الا بالعودة الى ديناميكية الديانة التى عرفها الاسلام فى زمن الرسول والا بتحرير المسلمين من العبودية الفكرية والتقليد .

وهو مع كل هذا ينكر ان يكون الاسلام فى حاجة الى اقتباس اى شىء من الغرب ، ولاحتى منهج ديكارت ، او الى التطلع الى الغرب كمثل اعلى يجدر بالمسلمين محاكاته . فكل ما اسهم فى الاعلاء من شأن الغرب مقتبس من حضارة الاسلام . غير ان هذه الحقيقة لاينبغى ان تخفى عن المسلمين الضرورة الملحة



لتغيير آسس مجتمعهم الراهنة ، فالانسان عنده قادر على التحكم فى كل ماحوله ، فى اخضاع قوى الطبيعة لسلطانه ، وفى تكييف مصيره هو . فان اراد المسلمون مواءمة الاسلام لاحتياجات العصر الذى يعيشون فيه ، فعليهم ان يعيدوا النظر فى كافة العلاقات الاجتماعية السائدة عندهم ، بل وقلبها راسا على عقب ، قلبا يسمح بتوزيع للثروات اكثر عدلا ، ويضمن تحرير الفكر ، وهو ماليس مخالفا لروح الاسلام او تعاليمه ، فعنده ان احد اسباب تدهور حال الامة هو ان الاسلام قد بات يشكل ايديولوجيا الطبقات الثرية ، كذلك فانه من المهم للغاية اصلاح العلاقات العائلية . بل واعادة تأسيسها على اسس جديدة كل الجدة لاصلة لها بالماضى . واهم هذه الاسس هو الاعلاء من شأن المرأة وتحسين وضعها ، والقضاء على كافة المفاهيم والاحكام والانظمة الخاصة بالعلاقات الانسانية التى هى من مخلفات قرون طويلة اتسم خلالها الفكر الاسلامى بالجمود والتعفن ، وتحرير المرأة والعائلة والعلاقات الانسانية هو أول خطوة فى سبيل تحرير المجتمع ، وتأسيس الدولة الحديثة ، وتحرر الشعوب الاسلامية من الاستعمار والاستغلال الاجنبيين اللذين جاءا نتيجة لتدهور حال امة الاسلام ، غير ان السعى فى سبيل تحرير المجتمع لابد ان يمضى جنبا الى جنب ، وفى ان واحد ، مع جهد الفرد من اجل تحرير ذاته لابعده والجهاد فريضة على كل مسلم ، وسيسهم جهاد الفرد فى سبيل اعادة بناء قواه الروحية فى تعزيز جهاده فى سبيل نصره الدين الحق .

• الأتوبيس الجامح •

● انتظرت العدد ٤٨٨ من روايات الهلال (الأتوبيس الجامح) وفى الصفحة الثانية قرأت (هذه هى الترجمة الكاملة لرواية BUS Ride INTO The Hills تأليف John Stenbeck..........) .

أحيطكم علما بأنه لايوجد أسم هذه الرواية ضمن الأعمال الكاملة للمؤلف .. أما اسم الرواية التى قرأتها منذ فترة طويلة فهو (The Wayward Bus) لاحظ اختلاف الأسمين للرواية فترجمة الأسم الأخير إلى اللغة العربية صحيح كل الصحة (الأتوبيس الجامح) ترى من اى لغة جاء الأستاذ عبدالحميد فهمى الجمال بترجمة هذه الرواية .

النسخة الموجودة لدى كاملة وغير مختصرة وقد صدرت عن دار Corgi Books عام ١٩٥٢ اما الطبعة الأولى للرواية فصدرت عن (Heinemann Edition) عام ١٩٤٧ فتوالت طبعاتها دور نشر أخرى فكل هذه الطبعات صدرت من(London Nw 10) وحقوق الطبع محفوظة لدى المؤلف . أما بخصوص النص المترجم فقد لاحظت فى بعض فصول الرواية أن المترجم يضيف كلمة هنا ويحذف كلمة هناك وكذا بعض الأخطاء المطبعية .

أن بعض مفردات النص المترجم كما هى من القاموس دون أى تفاعل أدبى أو لغوى . أن ترجمة الأشياء الصغيرة والتى قد يراها المترجم لاتحمل أى معنى ، لها فى سياق الرواية معان عديدة لدى القارىء العادى ..

وقد وقع المترجم فى أخطاء بسيطة (وقد وضعتها بين الأقواس) وهى على سبيل المثال :ـ

1 — She could Hear The (murmuring) Tolk out In The Lunchroom .

واستطاعت أن تسمع الكلام (المدوى) فى الخارج المنبعث فى صالة الطعام (من الفصل السادس) ومعنى الكلمة ـ همهمة ، يهمس ، غمغم .

2 - Alice Chicoy Stood (Inside) The Screen Door And Watched The Bus Pull Away .

وقفت اليس شيكوى (خلف) الباب ذى الشاشات وشاهدت الأتوبيس لدى تحركه بعيدا .

(من الفصل الحادى عشر)

الكلمة بسيطة المعنى ولا تتطلب شرحا لها .

3 - Alice Drew A Great Breath And Released It In A (Luxurious) Sigh .

فسحبت اليس نفسا طويلا ثم أطلقته فى تأوه (شهوانى) .

(من الفصل الحادى عشر)

٤- Would Flash THrough His Body, And If It DId Not Kill Him, It Would Numb Out All Feeling .

وميضا يسرى فى أرجاء جسده مما يؤدى إلى قتله أو تخدير جميع احساساته .

(من الفصل التاسع عشر)

الترجمة هنا غير صحيحة

ولكن ترجمة الرواية بوجه عام جيدة وجديرة بالاقتناء والقراءة

خوكم سعيد عبدالله سعيد
صندوق بريد رقم ٧٢٠١ المنصورة ١٠٧
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
عــــدن

● تعليق الهلال :

ـ نشكر لكم هذه الملاحظات الدالة على جديتكم ومثابرتكم ، وهذه الهنات فى ترجمة الرواية قليلة جدا كما ترون ، ولماذا لاتكتبون إلينا مقالات أو ترجمات من قلمكم فى اى موضوع شئتم مادمتم مهتمين إلى هذا الحد بهذا المجال .. إننا نرحب بكم وبما تكتبون ونكرر شكرنا لكم على هذه الرسائل التى ترسلونها الينا بالتلكس من فرط اهتمامكم بها .

حياكم الله ..

● المرأة ذات العينين الخضراوين ●

● أحمد راسم شاعر وناقد تشكيلى مصرى ، ولد عام ١٨٩٥ وتوفى عام ١٩٥٨ ، كان يكتب بالفرنسية وصدر ديوانه الأول بباريس عام ١٩٢٦ ، والقصيدة التى نقدمها فيما يلى تمثل قراءة

شعرية لأحمد راسم للوحة الفنان محمود سعيد بعنوان « المرأة ذات العينين الخضراوين » ..
صورة ذراعيها تثب فيّ كغزاله
في الحلم .. شددت إلى ذهب أذنيها
تنسمت أزهار فستانها
وأصابعي تحرس عذوبة أفنانها
اشعر أن دفء ثغرها ، سوف يشفيني
نظرتها تصلني مثل نسمة رقيقة
تستخلص من الأزهار أريجها المتموج
نهدان ممتلئان مثل أوزتين .. يندفعان
خانتني الشجاعة على مواجهتها ، فانزلقت نظرتي بمكابدة طفولية .
كانت السماء أقل عذوبة من نضرة عينيها
كان قدها رقيقا مثل ساق زهرة .
طريا مثل سعفات نخيل داعبها النسيم
وبدأ أن اعواد القصب تسخر من حياتي

كتبها بالفرنسية شعرا : أحمد راسم
وترجمها للعربية نثرا : بشير السباعي

أنت والهلال

• الشاعر على العزبى •

● لما كانت قارئا مخضرما من قراء الهلال الذين يتزودون من مقالاتها وبحوثها القيمة بزاد من الثقافة والمعرفة لاينضب معينه . فهل تأذن لي ياسيدي أن أصحح أسما ورد في مقال الدكتور محمد رجب البيومي في (خواطر عن طاهر الطناحي) .

في « الهلال » لشهر سبتمبر الماضي ، وهو أسم الشاعر على العزبى حيث ورد خطأ « على الغربى » مرتين وهو خطأ مطبعي ولاشك ، فالصواب بالعين المهملة والزاي ..

ولست هنا بصدد الحديث عن هذا الشاعر الكبير الذي نشأ من تلاميذه جيل من الأدباء والشعراء في عصره كما جاء في المقال ، أو خرجوا من عباءته كما كان يحلو للمرحوم الشاعر طاهر أبو فاشا أن يقول .. ؟ ! ورجائي أن يسجل اسم الرجل صحيحا إحياء لذكراه ..

المهندي الزراعي على على العزبى
نجل الشاعر على العزبى
ووكيل وزارة الأصلاح الزراعي سابقا

● كلمات عن طاهر الطناحي ●

● فيما يلى ملاحظات على مقالة الدكتور محمد رجب البيومى فى عدد سبتمبر الماضى من الهلال عن الصحفى الأديب المرحوم طاهر الطناحي مدير تحرير الهلال الاسبق .

١ ـ لم يحدد الدكتور محمد رجب البيومى تاريخ ميلاد المرحوم الطناحى ونشأته واكتفى بالقول إنه نشأ فى مدرسة الشاعر على العزبى بدمياط ، ولكنا من خلال كتابات الطناحى نستطيع أن نعرف أنه ولد فى العقد الأول من القرن العشرين ، وقد كتب مرة يقول : « أتمنى أن أعيش إلى سنة ٢٠٠٠ وأنا وقتئذ شاب فى التسعين » .. وكانت كلمته هذه سنة ١٩٥٩ فكأنه كان وقتها فى التاسعة والأربعين من عمره ، ومولده سنة ١٩١٠ أو ١٩٠٩ تقريبا .

٢ ـ قال الدكتور رجب ان الطناحى ترك مدرسة دار العلوم قبل حصوله على شهادتها ، ولكن الدكتور أحمد أمين أثبت فى كتاب « علمتنى الحياة » أن الطناحى تخرج فى دار العلوم .. فهل كان ذلك سهوا ؟ ! ..

٣ ـ انكر الدكتور رجب قصص الحب الشائعة عن الأديبة مى وقال ان الطناحى حدثه بأنها غير صحيحة وأن قلبها لم يفتح إلا لجبران خليل جبران ، واذا كان هذا صحيحا ، فكيف نشر الطناحي خطابات الادباء الذين أحبوها وخطاباتها إليهم فى « الهلال » ثم فى كتابه « أطياف من حياة مى » .. وعرفنا منها أن ميا أحبت العقاد وجبران ؟ » .

٤ ـ قال الدكتور البيومى إن الطناحى يحتال على اصطياد بعض الرسائل العاطفية بوسائل ماكرة فقد بعث للمازنى بعدة خطابات ممهورة باسم حسناء عاشقة ونشر الطناحى هذه الرسائل بمجلة الهلال الخ ..

نعم .. نشر الطناحى هذه الرسائل ولكن ما غاب عن استاذنا البيومى أن باعث هذه الرسائل لم يكن الطناحى وانما كان صديقا له يدعى عبد الحميد رضا هو الذى قام بهذا العمل بايحاء الطناحى ، وكان هذا مقلبا طريفا ومفيدا للأدب وقد رواه الطناحى فى الهلال تحت عنوان : غرام الأدباء .. كيف أحب المازنى ؟ .. هلال اكتوبر ١٩٤٩ .

حسن أبو شنب
طنطا

● انتفاضة فلسطين ●

امنع رصاصك لايفيد القتل	**ماذا جنى هذا الصغير الطفل ؟**
إن انتفاضته لأجل بلاده	**وهى الحقيقة ليس فيها هزل**

أنت والهلال

الطفل ثار يريد حق بلاده — لاتعجبوا فهو الجسور الشبل
قد هب يطلب حقه فقتلته — شلت يداك فهل يفيد القتل ؟
وطردت سيدهم ودست متاعهم — أخزاك ربك واعتراك الذل
واليوم تسجنهم وتحرقهم ولا — تبقى لهم شيئا . فأين العدل ؟
ياظالما أنت العدو إلى متى — يمتد ظلمك بينهم والغل
السلم افضل والتعايش مبدأ — تحيا به الأقوام . وهو الحل

عبد الحميد عبد السلام شمخ
شبرا خيت

● السياسة السعرية وانتاج القمح ●

ظلت المساحات المنزرعة بمحصول القمح على علاقة عكسية بالمساحات المنزرعة بمحصول القطن طوال فترتى الخمسينات والستينات ، فكلما زادت المساحات المنزرعة بالمحصول الأول انخفضت المساحات المنزرعة بالمحصول الآخر .. ومنذ منتصف السبعينات ، بدأت المساحات المزروعة بمحصولى القمح والقطن بالانخفاض التدريجي .. وتوالى هذا الانخفاض بشكل محسوس خلال فترة الثمانينات . حيث اختفت العلاقة التنافسية بين محصولى القطن والقمح ، أو بين الدورات الزراعية الخاصة بهذين المحصولين ، وظهرت علاقة تنافسية جديدة ، تمثلت فى التنافس على الأرض الزراعية بين المحاصيل التقليدية ، والتى ضمت القطن والقمح معا ، وغيرها من المحاصيل الحديثة .

وقد ضمت المحاصيل التقليدية ، إلى جانب القطن والقمح ، محاصيل الحبوب والبقول ، فى حين شملت المحاصيل الحديثة الخضر والفاكهة . وقد كانت نتيجة العلاقة التنافسية بين المحاصيل التقليدية والحديثة دائما فى صالح المجموعة الأخيرة من المحاصيل . حيث انخفضت المساحات المزروعة بالقطن ، والقمح وغيره من محاصيل الحبوب ، بالأضافة الى المساحات المزروعة ، بمحاصيل البقول ، فى حين تزايدت المساحات المنزرعة بالخضر والفاكهة بأنواعها المختلفة .

وبالرغم من القيود الادارية المختلفة والمتعددة التى تفرضها الدولة على أنماط استغلال الأراضى الزراعية ، وذلك فى محاولة منها للحفاظ على المساحات المنزرعة بالمحاصيل التقليدية لما تمثله هذه المحاصيل من أهمية استراتيجية للاقتصاد القومى إلا أن المساحات المنزرعة بالخضر والفاكهة مازالت تتزايد على حساب المساحات المنزرعة بتلك المحاصيل التقليدية ـ وهو مايشير الى وجود عامل هام يؤثر فى اتجاه تلك العلاقة التنافسية فى غير صالح المحاصيل التقليدية وهو هيكل

الاثمان النسبية للمنتجات الزراعية .

من هنا كان الأهتمام بالسياسة السعرية الزراعية ، باعتبارها أحد العوامل الهامة التى تؤثر على نمط استغلال الأراضى الزراعية فى الاتجاه المطلوب . وهى ما يتطلب بدوره وضع تصور كامل عن النمط الأمثل . لاستغلال الأراضى الزراعية المتاحة .

فقد أصبح محصول القمح من المحاصيل الهامة فى ظل الظروف العالمية الراهنة ، نظرا لما يصاحب الحصول عليه من صعوبات عديدة متفاقمة من خلال التبادل التجارى الدولى .. فبعد أن كانت معظم الآراء الاقتصادية فى الماضى تنادى بضرورة عدم التوسع فى انتاج القمح ، حتى لا نضيع على أنفسنا فرصة استغلال الأراضى الزراعية فى محاصيل أخرى نستطيع انتاجها بكفاءة أعلى فى حين تعتمد على السوق العالمى فى الحصول على احتياجاتنا من القمح ، وهو مايتوافق مع اعتبارات الكفاءة للنظام الاقتصادى ، أصبحت معظم الآراء الآن تتجه الى ضرورة زيادة الانتاج من محصول القمح حتى ان لم يحقق ذلك اعتبارات الكفاءة الاقتصادية ، نظرا لما يمثله هذا المحصول من أهمية استراتيجية ، ونظرا لما يصاحب زيادة انتاج القمح وتخفيف الأعتماد على السوق الخارجية فى الحصول على احتياجاتنا منه من حرية أكبر فى التبادل الدولى والقدرة على الحصول على أفضل الشروط له .

كل ما سبق يتطلب تعديل هيكل الأثمان النسبية للمنتجات الزراعية فى صالح المحاصيل التقليدية . حيث يؤدى إلى زيادة الانتاج منها ، بتعديل نمط استغلال الأراضى الزراعية فى صالحها ، وفى نفس الوقت ترشيد الاستهلاك من تلك المحاصيل . حيث ظل هيكل الاثمان النسبية للمنتجات الزراعية فى غير صالح المحاصيل التقليدية ، بحجة أن زيادة أثمان تلك المنتجات سوف يشكل عبئا جديدا على أصحاب الدخول المحدودة .

وقد أدت هذه الحجة الى الاسراف فى استخدام تلك المحاصيل الهامة ، بما أدى إلى الكثير من الفقد والضياع لموارد المجتمع ومن ثم تحمل أصحاب الدخول المحدودة لعبء كبير يتمثل فى ضياع الموارد الاقتصادية التى كان يمكن استخدامها لرفع مستوى معيشتهم وزيادة دخولهم .

سامى السيد فتحى
مدرس اقتصاد ـ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

● متحف الجزيرة ●

● بالاشارة الى الموضوع الخاص بمتحف الجزيرة والمنشور بالهلال عدد أغسطس ١٩٨٩

نرجو الاحاطة بأنه قد جاء بالموضوع المنشور بعض الاخطاء المتعلقة بمقتنيات المتحف وميزانيته ونلخصها فى نقاط :

أولا : فيما يتعلق بعدد القطع الفنية التى يضمها المتحف جاء أنها مائة الف قطعة فنية فى حين أن العدد الحقيقى هو حوالى ٤٥٠٠ قطعة .

ثانيا : ذكر أن عدد التحف الزجاجية التى يرجع تاريخها الى العصر الاغريقى يربو عددها على خمسة آلاف قطعة ، بينما العدد الحقيقى هو ٢٦٥ قطعة فنية فقط .

ثالثا : فيما يتعلق بشهادة ميلاد لكل قطعة ذكر أن الدولة قد استقدمت منذ سنوات خبيرة أجنبية لها خبرة فى متحف اللوفر لتقوم بعمل هام ودقيق هو الناتج لكل قطعة فنية .

فى حين أن الواقع يثبت أن المركز القومى للفنون التشكيلية فى اطار خطته . لتطوير المتاحف كان سباقا للقيام بهذا العمل من خلال خطة لتوصيف وتوثيق المقتنيات الفنية والتى يقوم بها عدد من كبار أساتذة الفنون ومجموعة من مرممى الاثار وأن استقدام الخبيرة الفرنسية كان للمساهمة بخبرتها فى هذا المجال .

رابعا : أما فيما يتعلق بميزانية نظافة المتحف فقد ذكر أنها حوالى ٧٠ جنيها لشراء أدوات نظافة وهى تصرف كسلفة مستديمة ، فى حين أن هذا الرقم مخالف تماما للواقع فهو يصرف ليس كسلفة مستديمة فقط ولكن كسلفة يتم استعاضتها فور النفاد ومن الممكن استعاضتها عدة مرات خلال عام مالى واحد كلما دعت الضرورة .

خامسا : بالنسبة للصورة المنشورة فى صفحة رقم ١٨ وموصوفة بأنها لوحة مشغولة بالحرير هى فى الأصل لوحة من الجوبلان الفرنسى .

اخيرا : فيما يتعلق بمبلغ الثمانية ملايين جنيه والتى رصدها السيد الدكتور رئيس الوزراء لتطوير المتاحف فان هذه المبالغ لم تذهب الى طريق لا يوصل الى متحف كما جاء ، ولكن هذا المبلغ قد أعتمد بالفعل لتطوير متحف محمد محمود خليل والجزيرة ويتم الانفاق على تطوير هذين المتحفين بالفعل وذلك تحت اشراف المكتب الاستشارى للمركز والذى يقوم بعمل كافة التصميمات الخاصة بتطوير المتاحف والتى يتم تنفيذها من خلال شركة النصر العامة للمقاولات (حسن علام) والتى تقوم بتقديم المستخلصات الخاصة بانتهاء كل مرحلة والتى يتم الصرف على أساسها من هذا المبلغ وبالتالى فإنه أوجه الانفاق معلومة تماما وليس كما جاء ذكره فى المقال . وننتهز هذه الفرصة لتصحيح المعلومات ..

أحمد نوار
رئيس الأدارة المركزية والمشرف العام

● مع الاصدقاء ●

● يوسف عبد العزيز على حسان ـ كلية الآداب بقنا ـ قسم اللغة الانجليزية

ـ نشكر لك بحثك عن اصل قصيدة « غيرى على السلوان قادر » المنسوبة لابن الفارض ، وقد قمتم بترجيح رأى معروف على رأى آخر معروف كذلك ، ونحن نؤيدك فى أن هذه القصيدة أشبه بشعر البهاء زهير منها بشعر ابن الفارض ، ونرجح جدا انها للبهاء .

● دكتور مجدى ابو المعاطى ـ المنصورة :

ـ الروايات لاتحتاج الى مسابقة مثل القصة القصيرة ، ولماذا يأخى تشعر باليأس والكآبة والحزن والهزيمة الشخصية ؟ !" .. انك متى خرجت من عزلتك زالت عنك كل هذه المشاعر التى تنوء بها .. ونحن نرحب بنشر كل رواية مصرية أو مترجمة فى « روايات الهلال » إذا كانت فى المستوى المطلوب ، ولا نشترط كتابة الأصل على الآلة الكاتبة كما تتوهم ! .

● مندور ابوحليم ـ الزرقاء ـ عوجان ـ الأردن :

ـ نرحب بك ، ونرجو أن نتلقى أشعارك التى تتحدث عنها .

● د . محمد عوض حاج أمان ـ استاذ الأدب الانجليزى بجامعة أم درمان الأهلية ـ السودان :

ـ نشكر لكم كلماتكم الطيبة عن مصر .. أما القصيدة الشعرية التى ارسلتها الينا فهى فى الحقيقة قصيدة نثرية لأنها خالية من الوزن إلا فى شذرات نادرة ، ولايتسع المجال ـ مع الأسف ـ لنشر الشعر المنثور ، فنحن لانكاد نجد مجالا حتى للشعر ذى الأوزان ! .

● ونعتذر ونشكر اصدقاءنا الاساتذة : مبارك السيد القويضى .. امانى ملاك .. هشام محمد عبد الوهاب .. د . أحمد ربيع .. صلاح سالم رزق .. عبد الرحيم الماسخ .. عزت يحيى .. اشرف محمد خليل .. محمد سيد عبد العزيز .. حسين عبد العليم .. محمد عباس على .. عدنان أسعد .. عبد المقصود السعيد عبد المقصود .. ابراهيم سمير سعده .. ايمن نجاح طاهر .. السيد عصر .. السيد ابراهيم عطية .. عاصم فريد البرقوقى .. محمد السعيد مصطفى الشيخ .. عبد الصبور الصادق .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. رفعت عبد الوهاب المرصفى .. محمود عبد المجيد أحمد .. عبد العال عبد الصمد الشال .. أبو الهياتم المجدلى .. لطفى سميان عبد الرحيم .

الكلمة الأخيرة

قل هو الله أحد ..

حديث الكافة فى مصر ، وشغلهم الشاغل ، قد انحصرا فى وسائل الكسب ، والكسب السريع إن أمكن . فما من أحد قد عاد يطيق الصبر أو التدرج أو يؤمن بجدواهما .. الكادحون يلهثون وراء القرش ، وصاحب القرش يريده قرشين .. وقد أنمحت الفوارق فى هذا الشأن بين الطبقات : فكما يجلس الآن رب الدار وخادمه يتابعان معا مسلسلا تليفزيونيا غثا واحدا ، استغرقت فكر الأغنياء والفقراء على سواء سبل تحصيل المال . فالجميع فقراء بالمعنى اللغوى لكلمة الفقر ، وهو الحاجة . والجميع مرهق يلهث ، ساخط يتأفف .

قد كان ثمة فى مجتمع صباى تجار ، غير أن الناس كانوا وقتها فريقين : تجارا وغير تجار . وقد أضحت الكافة الآن تجارا ، لافارق بين بائع الشاورمة وبين أستاذ الجامعة أو المدرس أو الصحافى أو الطبيب أو من شئت . الكل قد بات القرش إلهه ، والثراء غايته . وربما كان بائع الشاورمة أعفهم يدا ، وأقلهم طمعا .

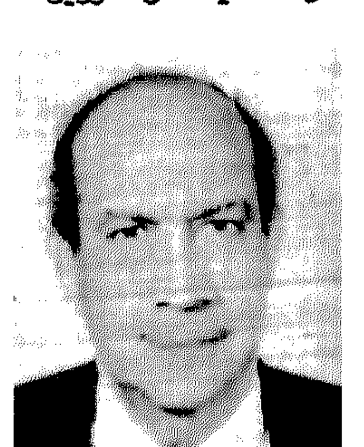
قد انتهكت أعراض الجميع إذن . ومن الظلم أن نصم المومس وحدها بأنها بائعة العرض . فما فعلت غير ما يقترفه الكل الآن فى حق أنفسهم ، ولنفس الدافع ، وربما بصورة أدنأ . فإن نظرنا الى من اعتزل دنيانا وتدروش ، فإنما ننظر الى الوجه الآخر من نفس العملة : أناس عجزوا عن المدافعة والمزاحمة ، وكانوا أضعف من أن يطأوا غيرهم تحت أقدامهم ، فاختاروا إدانة المجتمع بأسره على أساس من الدين ، حتى لايفقدوا احترامهم لأنفسهم .

فكيف يمكن فى مثل هذا المناخ أن تنتعش حياة ثقافية ، أو يكون هناك فكر أو فن ، اللهم إلا أن كان فكرا تجاريا ، وفنا تجاريا ؟ فإن كان أساتذة الجامعات قد أضحوا يتاجرون بالعلم ، وملائكة الرحمة بالرحمة ، فما يحول بين الأديب أو الصحافى أو الفنان وبين أن يبيع قلمه أو فنه لمن بيده سلطة إغراق الأموال أو التعيين فى المناصب ؟

ما عاد ثمة من يعمل بنصيحة سفيان الثورى لأحد العلماء : "إن دعاك الأمراء لتقرأ عليهم (قل هو الله أحد) ، فلا تمض ولا تقرأها !" . وقد قصد سفيان بالأمراء أمثال الخليفة أو الوزير .

فاتسع المعنى الآن ليشمل أصحاب شركات توظيف الأموال وأمثالهم ، يقرأ عليهم مثقفونا مالا يمكن أن يرقى إلى (قل هو الله أحد) .

حسين أحمد أمين




EGYPTAIR
مصر للطيران

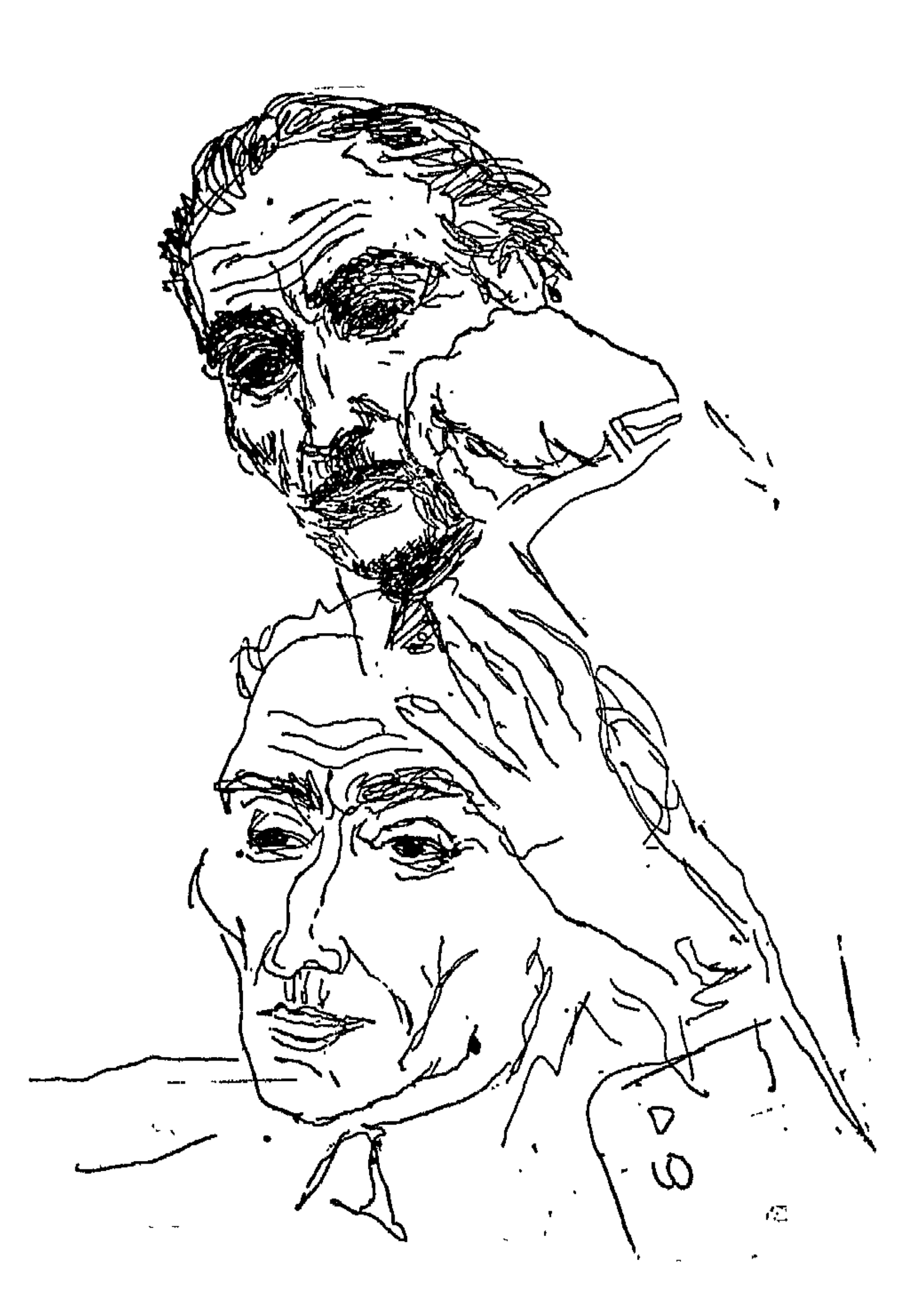


٨٥
٨٦ ٨٤
٨٧ ٨٣
٨٨ ٨٢
٨٩ ٨١
٨٠

الثمانينات

عمالقة .. وأحداث هامة

قمم عربية



بريشة الفنان العراقي السيد جواد سليم

الشاعر العراقي

محمد مهدي الجواهري

تقدم « قمم عربية » شاعر العراق الكبير محمد مهدى الجواهرى الذى يغرد فى غير سربه ، حيث يعيش بعيدا عن بلده العراق ، بعد ان تقدمت به السن !..

ولد فى النجف التى كانت حينذاك المركز الادبى الأول فى العراق عام ١٩٠٣ ، كانت هناك ثلاثة بيوتات شهيرة ، هى المسيطرة فى ذلك الوقت علميا وادبيا فى قرية النجف : « بيت آل كاشف الغطاء ـ بيت الجواهرى ـ بيت بحر العلوم » .

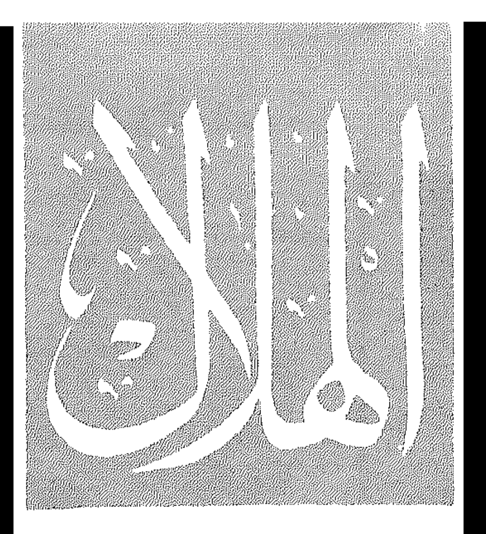
كان ذلك من روافد التكوين العلمى والادبى للجواهرى حيث نشا فى اسرة تعشق الأدب والشعر بخاصة وكان الصبى فى بيئة النجف يقرا امهات الكتب العربية وكل كتب التراث الادبى والثقافى العربى الى جانب كتب الشريعة والدين .

تلقى ابو فرات العلوم الدينية واللغوية والفلسفية على ايدى شيوخ الأدب والفقه والمنطق فى النجف مسقط راسه .

ونبغ الجواهرى نبوغا مبكرا ، الا ان موهبته الشعرية كانت اسبق من اى دراسة نظرية ، وكان اول دواوينه « حلبة الأدب » عام ١٩٢٣ وهو مجموعة من المعارضات لمشاهير شعراء عصره كاحمد شوقى ، وايليا ابوماضى ـ ولبعض السابقين مثل لسان الدين بن الخطيب ، وابن التعاويذى .

وشعر الجواهرى قوى متين النسيج فى إطناب ووضوح وتتقاسم موضوعاته المناسبات السياسية والتجارب الشخصية وتبدو فى كثير منها الثورة على التقاليد من ناحية وعلى الاوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة من ناحية اخرى .

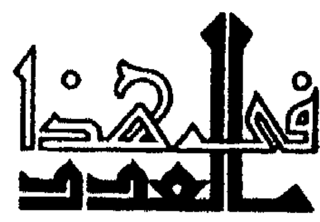
إقـــرا ص ١١٨



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السابعة والتسعون • ديسمبر ١٩٨٩ • جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

حصاد الثمانينات





الغلاف تصميم الفنان :
محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U·N



لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، ابو ظبى ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت .

عزيزى القارئ

تذكار وتحية

أخيرا بلغنا نهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين ، ولم تبق على نهاية هذا القرن الحاسم فى تاريخ البشرية إلا عشر سنوات فقط ، يبدأ بعدها القرن الواحد والعشرون ..

ولا أحد يدرى ماذا تجلب هذه العشر الأواخر إلى الجنس البشرى وإلى الكرة الأرضية ذاتها ومصيرها بحذافيره ، سهولا وجبالا ، وماء وهواء ، فإن سنوات العقد الماضى صنعت الأعاجيب فى الأرض والهواء والماء والفضاء ، وبلغ الإنسان لأول مرة بسفنه الفضائية ابعد كواكب المجموعة الشمسية ، ثم دفع هذه السفن لتخترق أجواز الفضاء الأعلى إلى عوالم علمها عند ربى !..

إننا نخرج من باب الثمانينات لندخل فى باب التسعينات ، ووراءنا اضخم حصاد عرفته الدنيا فى أى عقد من عقود القرن العشرين ، فحتى عقد الأربعينات الملتهب الذى شهد الحرب العالمية الثانية الرهيبة ، ثم شهد بداية الحرب الباردة الطويلة الأمد العميقة النتائج ، يتضاءل حصاده من الخير والشر إلى جانب حصاد الثمانينات فى مصر والبلاد العربية والعالم الثالث وعالم الدول الصناعية الكبيرة .

عـزيـزى القـارىء

هذا العدد من "الهلال" تحية وداع وتذكار للعقد الذى اصبحت ساعاته الأخيرة الباقية تعد على الأصابع .. وسيكون العدد القادم إن شاء الله تحية استقبال للعقد الذى يجىء إلينا من وراء الغيب ولا ندرى ما يخبئه لنا ولا نستطيع إلا ان نقول له : أيها القادم الجديد .. كن صديقا لكل الناس ، وارزق قلوب اليائسين املا ، واملأ عيون المؤرقين نوما هانئا سعيدا ..

لقد حفلت الثمانينات بحشد من الحوادث الجسام ، ظهرت وجوه واختفت وجوه .. برزت أسماء وتوارت أسماء .. قفزت قضايا جديدة فى الادب والفن والمسرح والسينما والموسيقى والغناء والصحافة والسياسة .. اختلفت علاقات الدول او اتفقت ، وصعدت الديمقراطية وحقوق الإنسان مرة وهبطت مرات فى بلد هنا وبلد هناك ، ووفدت إلينا قضايا خطيرة الشان مثل تهتك طبقة الأوزون وتلوث البيئة ونقص الموارد وتصحر الارض الزراعية وجفاف الانهار وارتفاع درجة الحرارة .

إلى عقد الثمانينات

وكانت الثمانينات عقد انهيار النظم الاشتراكية فى أوربا الشرقية ، وتقدم أوربا الغربية نحو الوحدة الشاملة ، وصعود اليابان الاقتصادى على حساب الولايات المتحدة الأمريكية ، وازدياد دول الجنوب فقرا وديونا ، وإزدياد دول الشمال غنى وتكبيلا للدول الفقيرة بالديون !..

وفى الثمانينات انبعثت من رقدة الموت قضايا ميتة فصارت حية تسعى من جديد ، مثل قضايا العروبة وصلتها بالدين ، ومثل الهوية الحضارية ومعناها ومداها ، ومثل الحجاب والنقاب وخروج المرأة إلى العمل !.. لقد تسللت هذه القضايا إلى المنابر فكثرت فيها الثرثرة بلا طائل ، واضيفت إليها قضايا تم حسمها فعادت من جديد إلى جدول القضايا التى تحتاج إلى اعادة نظر ، واوشكت الأمور فى هذه القضايا وتلك ان تصاب بردة فكرية وحضارية تتمسح فى مختلف المقدسات والشعارات ..

عزيزى القارىء

هذه ليست إلا رءوس مواضيع لما تطالعه فى هذا العدد من "الهلال" الذى جمعنا فيه بطريقة انتقائية - غير إحصائية ولا شاملة - حصاد الثمانينات فى كثير من الشئون والشجون . ولو اتسع المجال لاتسعت دائرة الانتقاء والاختيار .

عزيزى القارىء

لعلك ستقوم معنا بسياحة فى عقد الثمانينات فتتذكر امورا ربما تكون قد نسيتها ، وتتنبه إلى أشياء لعلها لم تستوقف نظرك من قبل ، وتتريث عند اشياء عبرت بها مرة او مرتين ولم تنعم التفكير فيها ..

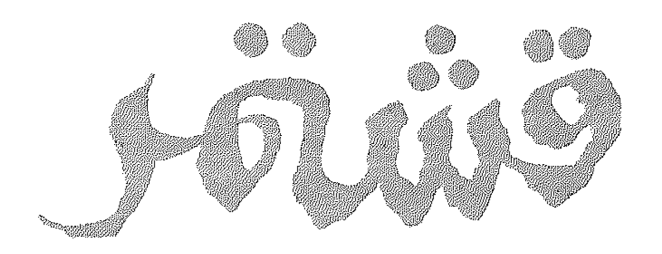
وهكذا يصبح هذا العدد التذكارى من "الهلال" عن الثمانينات ، رفيقا لذاكرتك فى التفاتها إلى ما مضى من تلك السنوات العشر المثيرة .. وهى التفاتة لا تستهدف الذكرى وحدها ، بل تستهدف كذلك انعاش الأمل فى المستقبل الذى وشك ان يبدأ مع عقد التسعينات وهو يطرق الأبواب !..

وإلى اللقاء فى العدد القادم ، نستقبل معاً اول لمحة من شمس التسعينات !..

« المحــرر »



نجيب محفوظ والزمن الضائع فى



آخر روايات الكاتب .!

بقلم : د. رشيد العنانى

من أبرز الأحداث الثقافية خلال الثمانينات هو فوز الكاتب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى العام الماضى ، والتى هزت بقوة الحياة الثقافية والفكرية الراكدة فى العالم العربى .

وفى هذا المقال يقدم د . رشيد العنانى رؤية جديدة لآخر روايات محفوظ .

من تفاعل الزمان والمكان والعام والخاص تنشأ الحياة الانسانية ، ولسنا نقصد هنا النشأة بمعناها البيولوجى وإنما بمعناها الوجدانى . فبهذا التفاعل قد يسعد الناس أو يشقون ، قد يغنون أو يفقرون ، قد يمتد بهم العمر أو يعاجلهم الفناء . هذه هى التركيبة الكيماوية التى منها يتخلق أبطال نجيب محفوظ وبها تتحدد مواقعهم فى المجتمع . على أن الإرادة البشرية والفعل الناجم عنها إنما هى جزء من هذه التركيبة ، هى عنصر يتفاعل مع سائر العناصر ويقاوم طغيانها على فرديته . ولكن الغالب فى عالم محفوظ أن ينسحق الفرد ويندثر نضاله مهما كان بطوليا فى بوتقة التفاعل الأبدى بين الزمان والمكان ، ذلك التفاعل الذى قد تنجو منه الجماعات ولكن لا يفلت فرد قط من قوته الصاهرة المُفْنية . وغاية امل



حسنى مبارك يكرم نجيب محفوظ

الانسان الواحد أن يسهم بوجوده وجهده الموقوتين فى بقاء الجماعة وازدهارها .

فى رؤيا نجيب محفوظ إذن أن التفاعل الدائم بين الزمان والمكان هو أحد قوانين الوجود المعادية للانسان من حيث هو كائن فرد مرهون الوجود بأجل موقوت ، ولأننا نرى هذا التفاعل ينزل بأبطاله مالا يحصى من فنون التعاسة والمرض والآمال المحطمة والأواصر المنفسخة ، فإن أمد لهم فى اليسر والنعيم فلا يكون هذا إلا إلى حين ، ثم لا يلبث أن يرزأهم بنكبة من نكباته . وهم بعد هذا وذاك وعلى تفاوت المصائر والحظوظ سائرون بخطى لاراد لتقدمها الحثيث نحو شيخوخة آفلة وضعف مكين وعدم لايرين . وانشغال نجيب محفوظ بهذا التفاعل الزمانى ـ المكانى وظواهره فى حياة الفرد انشغال قديم ويعد بحق فكرة من أفكاره التسلطية قل أن يخلو عمل من أعماله من عارض من عوارضها وهناك من أعماله ما تسيطر عليه



هذه الفكرة سيطرة مطلقة مثل «الثلاثية» و «ملحمة الحرافيش» و «حضرة المحترم».

● تأملات محفوظية

«قشتمر» ـ التى تستقى عنوانها من اسم مقهى كان يجتمع فيه شخوص الرواية ـ هى آخر حلقة فى سلسلة التأملات المحفوظية فى الظاهرة الزمان ـ مكانية . هى صرخة وجدان شائخ أخذه الجزع من تحول المكان وانصرام الزمان واقتراب الفناء المحتوم . هى رحلة «بروستية» فى الذاكرة بحثا عن الزمن الضائع . ذلك أن الذاكرة ـ طالما أنها تعمل ـ هى وحدها القادرة على خداع الزمن وقهر حركته المطردة ، فالانسان فى الحياة ينهزم من تحالف الزمان والمكان ، ولكنه فى الذاكرة ينفرد بالزمان فيقهره ويعيش بين صور فتوّته وسعادته بينما حاضره الزماني ـ المكاني يجثم عليه بواقع الشيخوخة والبؤس .

يفتتح محفوظ الرواية بفقرة لعلها فى شعريتها العذبة وقوة إيحائها من أبدع ما استهل به رواياته قاطبة :

«العباسية فى شبابها المنطوى . واحة فى قلب صحراء مترامية . فى شرقيها تقوم السرايات كالقلاع وفى غربيها تتجاور البيوت الصغيرة مزهوة بجدتها وحدائقها الخلفية . تكتنفها من أكثر من ناحية حقول الخضر والنخيل والحناء وغابات التين الشوكى ـ يشملها هدوء عذب وسكينة بالغة لولا أزيز الترام الأبيض بين الحين والحين فى مسيرته الدائبة ما بين مصر الجديدة والعتبة الخضراء . ويهب عليها هواء الصحراء الجاف فيستعير من الحقول أطيابها مثيرا فى الصدور حبها المكنون . ولكن عند الأصيل يطوف بشوارعها عازف الرباب المتسول بجلباب على اللحم ، حافيا جاحظ العينين ، يشدو بصوت أجش لا يخلو من تأثير نافذ :

أمنت لك يادهر ورجعت خنتنى »

فى الجملة الأولى من الرواية تكمن الرواية كلها ، فليس نحو المائة والخمسين صفحة التى تلى إلا تفصيلا لتلك الجملة . «العباسية» هى «المكان» والعباسية كان لها شباب ولكن هذا الشباب طواه «الزمان» . والرواية ليست إلّا فعل مقاومة للزمان من قبل الخاصة البشرية الوحيدة القادرة على التصدى له ، إلا وهى «الذاكرة» ، وهى هنا ذاكرة الراوى الذى هو أيضا ـ كله أو بعضه ـ الروائى . والعباسية ـ ذلك الحى القاهرى الذى شهد فترة من صبا محفوظ ومراهقته ـ ليست مكانا صرفا وإنما هو مكان آهل بأفراد البشر ، « وشبابها المنطوى » هو أيضا بالضرورة شبابهم المنطوى . ومن هنا مغزى الاستدراك فى أواخر الفقرة «ولكن عند الأصيل ... » فهذه الـ «لكن» كامنة فى الفقرة منذ أول جملة فكون الشباب قد انطوى يعنى ضمنا أن كل ما يتبع من وصف للعباسية وكأنها قطعة من عالم سرمدى لا يعرف جماله الذبول ولا هدوؤه الاضطراب ، إنما هو العوبة من الاعيب الاسترجاع . وكأن عازف الرباب المتسول

الحافى شبه العارى بصوته الأجش المناقض «للهدوء العذب والسكينة السابغة» وبحكمته السافرة الملخصة لعلاقة الانسان بالزمان هو بذرة التحول والفناء الكامنة فى ذلك الفردوس الموقوت .

«قشتمر» هى إذا قصة أربعة من أهل العباسية جمعت بينهم الصداقة منذ عهد المدرسة الأولية وهى صداقة علت على اختلاف الطبائع والطبقات فاثنان منهم - «اسماعيل قدرى» و «صادق صفوان» ينتميان إلى الطبقة الوسطى المتدنية ، بينما ينتمى الآخران «حمادة الحلوانى» و «طاهر عبيد» إلى الطبقة الارستقراطية . كما أن فيهم المتدين والمتشكك والراسمالى واليسارى والهوائى الذى لايثبت على حال ، إلا أن دواعى الفرقة بالامكان هذه لاتفت فى عضد صداقتهم فيبقون متكاتفين متوادين على مر الزمن ومما يأتى به من أحداث عامة وخاصة . ويمتد الحدث الروائى عبر مسافة زمنية طويلة حافلة تبدأ عام ١٩١٥ وتستمر إلى الوقت الراهن . ومن المفيد أن نلاحظ أن الشخصيات الأربع تتمتع بأهمية روائية متكافئة فليس للرواية شخصية محورية ، وأخر ثانوية ، وإنما يتوزع أنتباه الكاتب بينها بالتساوى ، فيتيح لنا أن نتابع تطور كل منها من إلعاب الصبا الى تفتح المدارك الجنسية إلى نمو الوعى الدينى وتشكل الانتماءات السياسية . ثم نراهم كلا فى معترك الحياة العملية ما بين ناجح ومخفق ، متدين ومنفلت ، متزوج وأعزب ، منهمك فى السياسة والمجتمع ولاه بحياته الذاتية عن السياسة والمجتمع وكل شىء .



ابنتا نجيب محفوظ .. تتسلمان اهم جائزة منحت للعرب

● إبراز عنصر الصيرورة

ولما كان تفاعل العام والخاص أساسيا عند محفوظ لبلورة المأساة الفردية فإنه يكشف لنا عن وقائع حياة شخوصه الأربعة من خلال وقائع تاريخ مصر المعاصرة منذ ثورة ١٩١٩ وحتى اليوم . ويركز محفوظ على إبراز عنصر الصيرورة الدائمة فى حركة الزمن على المستويين العام والخاص ومن هنا خروجه على ما هو مألوف شكليا فى تقسيم الرواية الى فصول فنراه يدفع بنثره من موقف إلى موقف ومن شخص الى شخص ومن حقبة



إلى حقبة دون أى لون من القطع أو التبويب . وهو بذلك يسعى دون شك إلى أن يؤقلم الشكل الروائى مع الحركة الانسيابية للزمن ، وإلى أن يعكس فعل الاسترجاع فى الذاكرة البشرية حيث يتبدى الزمن وحدة واحدة لا انقطاع ولا تقسيم فيها . ولا شك أيضا فى أن ثمة مغزى سياسيا ووطنيا فى اختيار نجيب محفوظ لشخوصه من بين طبقات متفاوتة وطبائع متباينة وتأليفه بينهم بصداقة متينة تصمد لأحداث الزمانين الخاص والعام . وكأنه يرمز بهم للوحدة الوطنية المصرية المتجاوزة بديمومة المكان وصيرورة الزمان عوامل الفرقة والتفرط . وهذه الرمزية السياسية لا تقتصر على شخوص الرواية وإنما تتواجد أيضا فى «مكان » الحدث الروائى . بمعنى أن «العباسية » ذلك الحى القاهرى الذى جمع فى حدوده الجغرافية بين سرايات الارستقراطيين وبيوت الطبقة الوسطى فى غير تنافر ولاتضاد هو أيضا رمز لمصر كلها التى فيها متسع للجميع والقادرة على لمّ الأشتات دون عناء . ويتأكد المعنى الرمزى للعباسية حين نرى محفوظ يبرز التطور الديموغرافى الذى يطرأ على الحى مع مرور الزمن وتبدل الأحوال السياسية والاجتماعية . فبينما كانت قصور الأثرياء فى البدء تقوم شرقى الحى وبيوت الأواسط غربيه فى تجاور دون اختلاط ، فمع تقدم الزمن تتسلل البيوت الصغيرة بين القصور ثم تأتى ثورة ١٩٥٢ فتهدم القصور وتقام محلها العمائر التى يقطنها أواسط الناس . ولا نملك إلا أن نلاحظ أن الوحدة الرمزية هنا تقتصر على الطبقتين العليا والوسطى ولا محل فيها للعمال وصغار الحرفيين والفلاحين ، فهؤلاء لم يكونوا من قاطنى العباسية فى ذلك الزمان وهم على هذا لا يمثلون جزءا من عالم محفوظ الروائى التقليدى .

يبقى أن نقول إن «قشتمر » لا تضيف جديدا إلى عالم محفوظ ففيها الكثير من روايته السابقة عليها بسنوات «الباقى من الزمن ساعة » ، وشخوصها جميعا مستعارة من رواياته السابقة بلا تغيير يذكر وكذلك أحداثها العامة والخاصة . وليس من جديد أيضا فى رؤياها للانسان من حيث علاقته بالمجتمع ولا فى قراءة الكاتب لتاريخ بلده السياسى فى هذا القرن . فقيمتها ليست فى شىء من هذا كله وإنما فى دفقة الحنين المبهم التى دفعت محفوظ إلى كتابتها ، فى قبضته المستميتة على الزمن فى الذاكرة ، فى استعدائه الملتاع للمكان على الزمان حيث تصبح « ديمومة المكان » متمثلة فى مقهى قشتمر هى الملاذ الوحيد للصحاب الاربعة من «صيرورة الزمان » الساعية بهم فى دأب مخيف نحو حتمية الفناء .

ولعل هذا منحى جديد فى فلسفة كاتبنا العظيم فعلاقته بالزمان قديمة مشهورة باعتباره عدو الانسان الأكبر وقاهره الذى لا يرحم ولكن الأمر الجديد هنا هو ذلك التأكيد التصالحى على العزاء المتاح فى التوالد البشرى فى ظل الديمومة المكانية .

محمود شاكر
منجم الأصالة العربية


محمود شاكر

شهدت حقبة الثمانينات من هذا القرن اعترافا متتابع الخطوات ، بمكانة الاديب العربى الكبير محمود محمد شاكر ، بدءا من منحه جائزة الدولة التقديرية فى الأدب عن عام ١٩٨١ ثم اختياره لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٣ ، وحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب عام ١٩٨٤ ، واخيرا منحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى الذى سلمه اياه الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال المولد النبوى الشريف فى عام ١٩٨٩ ، وبصفته مفكرا اسلاميا بارزا .

وقد تالق اسم الاستاذ محمود محمد شاكر فى سماء الأدب العربى باعتباره اديبا شابا فى فترة الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن وخاصة بعد صدور كتابه "المتنبى" الذى نشرته مجلة المقتطف فى عدد خاص منها فى عام ١٩٣٦ ، فضلا عن عشرات المقالات والقصائد الشعرية فى مختلف الصحف والمجلات الى بداية الخمسينيات من هذا القرن حيث توقف فترة عن الكتابة لينصرف الى تحقيق العديد من امهات كتب التراث العربى والاسلامى حتى استفزته بعض الظواهر الأدبية فى بلادنا فامتشق قلمه فى مجلة الرسالة من جديد فى عام ١٩٦٤ وانشأ سلسلة من المقالات فى الرد على ما كتبه الدكتور لويس عوض فى الاهرام عن رسالة الغفران للمعرى ، وهى المقالات التى جمعها بعد ذلك الاستاذ شاكر فى واحد من اهم كتبه وعنوانه اباطيل وأسمار .

وفى العام قبل الماضى نشر كتاب "الهلال" للاستاذ محمود شاكر "رسالة فى الطريق الى ثقافتنا" ، التى أنشأها لتكون مقدمة للطبعة الثالثة من كتابه عن المتنبى ، وكان لها بدورها دوى هائل فى الاوساط الأدبية والثقافية ولكن الكتابة والتحقيق والمعارك الأدبية لم تكن هى كل جهود الاستاذ محمود شاكر فى خدمة الثقافة العربية ففى فترة كمونه فى داره بمصر الجديدة معتزلا الكتابة عاكفا على نشر كتب التراث كان بيته قد شرع فى التحول الى جامعة يقصدها الدارسون من مختلف ارجاء الوطن العربى للتتلمذ على يديه ولا تزال كذلك الى اليوم حتى استحق وصف المرحوم الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل له بأنه كنز الثقافة العربية والمنجم الباقى لأصالتها العريقة .



من الرابع الأول .. في سوق الجوائز الادبية ؟

بقلم : محمود قاسم

فى صباح يوم الرابع عشر من اكتوبر عام ١٩٨٨ ، كان يمكن للمرء ان يقرأ بسهولة ، شيئا مميزاً فى وجوه الناس . هذا الشىء هو مزيج من الفرحة والثقة بالنفس والدهشة والانبهار ، وغريزة المعرفة .. فقد فاز كاتب من مصر بأكبر جائزة ادبية فى العالم . كان يمكن للمرء ان يشاهد رب اسرة ، وقد اصطحب اولاده الى اقرب مكتبة وراح يشترى لهم بعضا من مؤلفات نجيب محفوظ . يحكى لهم عن الرجل . وعن رواياته ، والافلام الماخوذة عنها . واصبح محفوظ شخصية شعبية عند الناس ، وكانه بزغ فجاة من الاعماق . فرغم انه موجود بيننا منذ عشرات السنين . الا أن مجرد منحه جائزة نوبل سلط عليه كل هذه الاضواء .. كانه ولد بالامس .

لقد أحدثت جائزة نوبل الممنوحة للادب العربى انقلابا هاما فى مفاهيم الناس ، ومشاعرهم ، وتنبهوا أن هناك معادن نفيسة عليهم اكتشافها . وان مجرد منح كاتب جائزة ادبية كبيرة لهو اشبه باكتشاف منجم موجود امام الناس .. لكنهم ابدا لم يروا محتوياته بنفس اللمعان ..

يمكن القول ان الثمانينات الادبية هى ثمانينات الجوائز . ليس فقط فى مصر ، بل فى انحاء متفرقة من العالم . فأهم تظاهرة ثقافية فى هذه السنوات هى منح الكتاب الجوائز الادبية . وعلى سبيل المثال ، ففى فرنسا وحدها ما يزيد على الـ ٣٥٠ جائزة ادبية سنويا ، اى بمعدل جائزة كل يوم لأحد الكتاب . وهذه الجوائز تمنح من قبل أكاديميات ، ومؤسسات صحفية ، واعلامية . واغلب هذه الجوائز عبارة عن وريقات تكريم ، أما فى اسبانيا فان الكاتب الذى يحصل على جائزة سرفانتس يحصل على مايقرب من نصف مليون دولار ..

وفى العالم عدد لا يحصى من الجوائز الادبية . وبمراجعة الدليل السنوى الذى صدر فى فرنسا عام ١٩٨٩ ، فان عدد

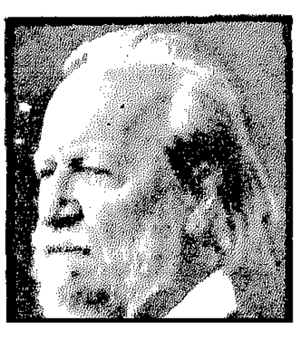
نوبل الثمانينات



شيزلاف ميلوش


الياس كانيتى


ماركيز


ويليام جولدنج

الجوائز الادبية الممنوحة فى بلاد كبرى كثيراً ما يفوق عدد الكتب الهامة التى تصدر فى إحدى البلدان .

ولأن الرابحين من سوق الجوائز الادبية كثيرون . فان عدد هذه الجوائز يزداد يوما وراء يوم ، وتنظم لاغلب الجوائز حملات إعلامية مقصودة . فالناشرون فى فرنسا ، مثلا ، يكسبون الكثير من وراء فوز كتبهم بجوائز ادبية ، لذا يسعى الكثير من الناشرين الى تعضيد المؤسسات الثقافية كى تستمر فى البقاء . ويكاد المرء يشعر أن النشاط الوحيد والاساسى لهذه الاكاديميات هو منح الجوائز ..

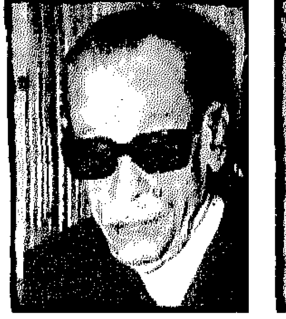
ولعبة الجوائز الادبية بالغة القسوة حتى بالنسبة للكاتب الذى يحصل عليها . فلأن قانون هذه الجوائز يقتضى الا يمنح الكاتب جائزة ما سوى مرة واحدة فى حياته . فان الرهان دائما على الكتّاب الجدد . وينزوى الكاتب الذى سبق له الفوز ، فى دائرة الظل . فهو لم يعد ورقة رهان فى سوق الجوائز . وسوف نرى هذا


كلود سيمون

وول سوينكا



يوسف برودسكى


نجيب محفوظ



كاميلو ثيلا

واضحا من خلال قائمة الكتاب الذين فازوا بجوائز الثمانينات .

● الشهرة .. بديلا عن الجائزة

وأغلب الجوائز الادبية تمنح لكتاب وليس للكاتب . لذا ، فمهما فعل الكاتب الفائز ، في حياته بعد ذلك ، فان القارىء سيظل ينظر الى كتابه الفائز على انه أحسن أعماله ، حتى لو صنع افضل منه عشرات المرات .

وقد اخترنا ان نلقى نظرات على جوائز الثمانينات من خلال ثلاث مؤسسات هامة ، الاولى هى أكاديمية ستوكهولم بالسويد ، ثم اكاديمية جونكور فى فرنسا ، والمجلس الاعلى للثقافة فى مصر .

واكاديمية ستوكهولم تمنح جائزة الفريد نوبل لأى كاتب عالمى كتقدير له على أعماله ، مع اختيار احد كتبه القديمة بشكل محدد . وفى سنوات الثمانينات منحت الجائزة لكتاب مغمورين على المستوى العالمى . حتى وان كانوا يتمتعون بشهرة فى بلادهم . فبالنظر الى الادباء العشر الذين فازوا بالجائزة فى العقد التاسع ، فسوف نجد أنهم لم يقرأوا جيدا فى اى من لغات العالم ، الا بعد حصولهم على الجائزة عدا كاتب واحد فقط هو ماركيز . وكثيرا ما تردد سؤال : "من يكون ؟" عندما راح مسئول الاعلام بالاكاديمية يعلن اسم الكاتب الفائز . مثل شيزلاف ميلوش (بولندا عام ١٩٨٠) ، والياس كانيتى (بلغاريا ١٩٨١) ، يارسولاف سيفيرت (تشيكوسلوفاكيا ١٩٨٤) ، كلودسيمون (فرنسا ١٩٨٥) ، يوسف برودسكى (الولايات المتحدة ١٩٨٧) ، وأيضا نجيب محفوظ (١٩٨٨) ، ثم كاميلو ثيلا (اسبانيا ١٩٨٩) .

وقد كان لاكاديمية ستوكهولم منظور خاص فى السنوات العشرين الماضية بأن تمنح الجائزة لكاتب اقل شهرة ، باعتبار أن الشهرة وحدها اكبر جائزة للكاتب . ولذلك لم تبخل على كتاب من المشاهير أن منحتهم شرف الترشيح . لكنها لم تمنحهم قط قيمة الجائزة . بينما اعطت الجائزة لكتاب . رأت انهم موهوبون ، وان عليهم ان ينالوا حظا من الشهرة والتكريم على المستوى العالمى .

وفى العقد التاسع ، منحت الجائزة لكتاب تجاوزوا السبعين : (ميلوش ، كانيتى ، جولدنج ، سيفيرت ، سيمون ، محفوظ ، وثيلا) ومنحت ثلاث مرات لكتّاب أصغر سنا مثل ماركيز وبرودسكى وسوينكا . ومنحت لثلاثة كتاب منشقين اختاروا الغرب اسلوبا للحياة والانتماء ، ويعيشون خارج بلادهم منذ سنوات مثل


لوسيان بودار


ايف نافار

ميلوش ، وبرودسكى وكانيتى اما المنشق الوحيد الذى عاش فى بلاده الى ان مات عقب فوزه بالجائزة فهو سيفيرت .

● الفائز .. يذهب الى الظل

الامر يختلف كثيرا بالنسبة لأكاديمية جونكور ، فهى تمنح جوائزها لكتاب نشر خلال نفس السنة بصرف النظرعن قيمة المؤلف أو عمره . وذلك بالاقتراع العلنى ، وتمنح هذه الجائزة لادباء فرنسيين ، كما انها تمنح فى مجال الابداع الروائى اساسا . واغلب الروائيين الذين حصلوا عليها كانوا غير معروفين ، حتى للقارىء الفرنسى ، قبل حصولهم على الجائزة ، فجاءت الجائزة كى تسلط الاضواء عليهم لفترة قصيرة للغاية . ثم عادوا الى الظل مرة اخرى بشكل يدعو الى التساؤل ..

واغلب هؤلاء المجهولين من الشباب ، نسبيا ، مثل إيف نافار (١٩٨٠) ، دومنيك فرنانديز (١٩٨٢) ، فردريك ترستيان (١٩٨٣) ، يان كيفليك (١٩٨٥) ، ميشيل هوست (١٩٨٦) ، اريك اورسنا (١٩٨٨) . وكذلك بن جلون الذى كان معروفا بقدر لا باس به للقارىء الفرنسى قبل حصوله على الجائزة .

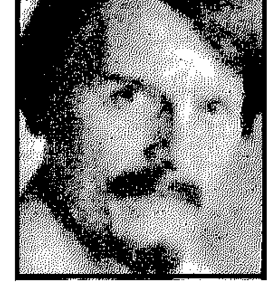
ومنحت الجائزة مرتين فقط للشيوخ . الاولى عام ١٩٨١ للكاتب الوجودى لوسيان بودار حول رواية كتبها تكريما لامه الصينية . وفى عام ١٩٨٤ نالت مرجريت دوراسى نفس الجائزة عن رواية "العاشق" حول تجربتها مع امها

جونكور الثمانينات

إريك اورسنا



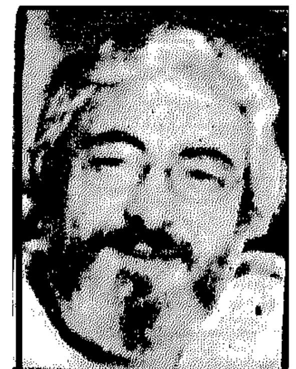
ميشيل هوست



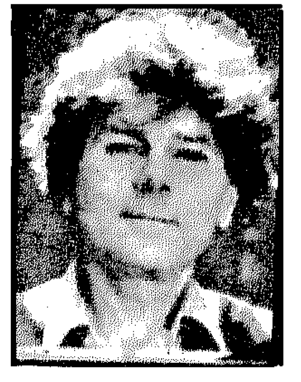
الطاهر بن جلون



فردريك ترستيان



دومنيك فرنانديز



مرجريت دوراس

يان كيفيلك





وعشيقها الصينى فى شبابها المبكر .. ورغم اتصالات الثقافات الاوربية ببعضها . ورغم أهمية هذه الجائزة ، فإن أياً من الروايات التى فازت بهذه الجوائز لم تترجم خارج اللغة الفرنسية عدا روايتي بن جلون ، ودوراس ، بينما قدمت السينما رواية "أعراس البربر" ليان كيفليك فى معالجة أقل أهمية من الرواية . والآن ، ونحن على مشارف العقد الأخير من القرن ، فاننا نؤكد ان لعبة جونكور مع الادباء ، والناشرين لم تتغير منذ أن منحت لاول مرة قبل تسعين عاما . وان اغلب المؤلفين الذين حصلوا عليها قد ذهبوا ادراج الريح . مما دفع كاتبا مثل رومان جارى فى ان يخدع الاكاديمية ، حصل على جونكور عام ١٩٥٦ ، فقام بتأليف رواية جديدة تحت عنوان "الحياة امامه" تحت اسم مستعار ، ودفع بها الى الناشر . ونالت الجائزة . وكان الكاتب الوحيد الذى نالها مرتين . باسمين مختلفين .

تقديرية الثمانينات


يوسف جوهر


سعد مكاوى



محمود البدوي



يوسف عز الدين عيسى

سعد الدين وهبه

● التشجيعية .. افضل

لكن ، ترى ماذا يحدث فى مصر ؟

الجهة المشرفة على الجوائز فى مصر هى المجلس الاعلى للثقافة . حيث يمنح المجلس مجموعة كبيرة من الجوائز فى مجالات متعددة ، وليس من بينها الابداع وحده . وفى جائزة الدولة التقديرية (للادب) كنموذج منح المجلس جائزته لشخصيات عامة لم تكتب يوماً كلمة ابداعية واحدة . مما اثار الكثير من الجدل حول الجائزة وأهميتها . بينما كل الجوائز المحترمة فى العالم تمنح للمبدعين وحدهم .

وتمنح الجائزة التقديرية لمجمل اعمال الكاتب ومكانته . وغالبا ما تتقدم الهيئات والجامعات بترشيح احدى الشخصيات للجائزة . وحتى الآن فان الكثير من الابداعيين المميزين لم يحصلوا عليها .. أما أهم المبدعين الذين حصلوا عليها فهناك سعد مكاوى ، ويوسف جوهر ،

وسعد وهبة وثروت اباظة ومحمود البدوى وآخرون .

اما جائزة الدولة التشجيعية فهى اقرب الى جونكور ، فى شكلها العام ، حيث تمنح لعمل ابداعى نشر فى سنوات قريبة . كأن يكون (الكتاب منشورا خلال ثلاث سنوات من تاريخ تقديم المؤلف ، بعد اعلام رسمى من قبل المجلس .. والكاتب الذى لا يتقدم بعمله مدموغا غالبا يمنع شرف نيل الجائزة .

تشجيعية الثمانينات




جمال الغيطاني



يحيى الطاهر عبدالله



محمد مستجاب




احمد الشيخ

محمد المنسى قنديل

وفى العقد التاسع اثير الكثير من الاقاويل حول الجوائز التشجيعية الممنوحة ـ فى الابداع القصصى ، فقد اشيع ان الجائزة قد ذهبت ، فى بعض الاحيان الى الشلليين . او الاقل موهبة . وراح البعض يعلن عدم اعترافه بها . وقد تم اقتسام الجائزة اكثر من مرة بين كاتبين .

وبشكل عام ، فان مصر هى احدى الدول القليلة التى تمنح جائزة كبرى لابداع القصص القصيرة . وقد نال الجائزة فى الثمانينات ادباء مثل جمال الغيطانى عن رواية "الرفاعي" بالاشتراك مع يحيى الرخاوى "المشى على الصراط" عام ١٩٨٠ . ونالها عبدالعال الحمامصى مع يحيى الطاهر عبدالله عام ١٩٨٢ عن مجموعتين قصصيتين هما : "هذا الصوت وآخرون" و"حكايات للأمير" . ونالها محمد مستجاب عام ١٩٨٥ عن رواية "التاريخ السرى لنعمان عبدالحافظ" ونالها ، كمفاجأة ، كل من محمود حنفى عن رواية "حقيبة خاوية" عام ١٩٨٣ . ثم عبدالمنعم السلاب عام ١٩٨٨ عن رواية "حكاية المواطن والضابط" . كما نالها كل من نبيل عبدالحميد وفتحى سلامة . ومحمد كمال ، محمد ومحمد المنسى قنديل واحمد الشيخ .

هذا هو بعض من حصاد الجوائز الادبية البارزة خلال الثمانينات ، ولعل ذلك يعطى مؤشرا لما سيكون عليه سوق الجوائز الادبية فى السنوات القادمة . فالمتوقع ان تتضخم تلك الظواهر التى عرفناها فى السنوات السابقة .. وسيكون هذا مؤشرا لازدهار الادب فى المستقبل .



المسرح بخير الآن

والمستقبل بيد المسرحيين !

بقلم : د. على الراعى

اهم ما فى حقبة الثمانينات من ظواهر ايجابية يتمثل فى الحقيقة التالية : وهى ان الارض المسرحية مازالت خصبة وقادرة على العطاء، بل انها – بحكم النشاط المتصل منذ اوائل الخمسينات قد زادت خصوبة ، واتسعت امامها الافاق بفضل عوامل محدده اولها انالمسرح – كفن وممارسة معا – قد وصل الى الجماهير ، وان هذه الجماهير راغبة فيه وقادرة على حمايته .

والدليل على هذا ، انه ما ان انقضت العتمه الحالية التى بسطتها سنوات منتصف الستينات وحقبة السبعينات باكملها ، حتى اخذت الارض المسرحية تهتز وتنتعش ويظهر النبت الاخضر ، ويرتفع فيها الزرع ، وتبدو ثماره وليس هذا مجرد تفاؤل – كما يظن البعض – ولا اصرار على حلم قد انقضى ، بل الحقائق الثابتة تسنده بما لايدع مجالا للشك .

● وسط ركام مسرح الضحك على الجماهير ، ما ان يظهر كاتب مسرحى واع ويقدم انتاجه ، حتى تلتف حوله الجماهير بصورة واسعة ومؤثرة حقا . لنأخذ مسرحيات مثل : « منين اجيب ناس » ، « والملك هو الملك » ، « و اهلا يابكوات » ، و « وجهة نظر » . كلها مسرحيات جادة وطريفة معا ، وكلها تيسر لها اقبال كبير وحظيت بانتباه المتفرجين والنقاد معا . ماذا نسمى هذا ؟ وهل يمكن انكار انه مؤشرات واضحه علما بان نبتة المسرح لا تزال حية وقادرة على النمو ؟

الوضع المسرحى مهيأ الان للازدهار فلكى يزدهر اى مسرح ، ينبغى ان يقوم الكاتب الذكى الواسع الحيلة وان توجد القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية التى تمس صميم وجدان الجماهير ، ثم ان يتخلق الجمهور الذكى الواعى ، ويتحلق حول الانتاج المسرحى ويمده بروح من عنده . وهذه العوامل الثلاثة كلها موجودة الان .



البهلوان .. المسرح بخير ..

● مساوىء يمكن التغلب عليها !

ان كان ثم اضطراب فى حقل مسرح الدولة، فمرجعه ـ فى الاساس ـ الى سوء التوجيه ، وسوء اختيار القادة ، وضآلة حظ بعضهم من الثقافة وحسن التوجيه . وهذه كلها مساوىء يمكن التغلب عليها . وقد امكن التغلب على بعضها ـ بالفعل ـ فى حالة المسرحيات الناجحة سالفة الذكر .

الى جانب هذا، هناك ظاهرة مفرحة جديرة بالاحتفاء ، وهى ان المسرح الخاص تحدث فيه الان عملية فرز تشبه ما يحدث لعملية فرز الزبد من اللبن . يطفو على سطح المسرح الخاص نتاج نسيم ، ومفذ وواعد بالخير يتمثل فى مسرحيات لينين الرملى بوجه عام وشركته الفنية الطيبة الاثر مع الفنان محمد صبحى . ويتمثل ايضا فى اوبريت « انقلاب » . ولو مضى هذا الفرز الطيب فى طريقه، فسيحدث انفصام قريب بين العقول



المفكرة والفنانين الجادين فى قطاع المسرح الخاص ، بحيث ينقسم هذا القطاع قسمين : قسم الفنانين الذين يؤمنون بأن الفن الجيد يمكن ايضا ان يكون قابلا للتسويق والربح ، وقسم الفارغين العقل من اهل المهنة الذين سيظلون يغرقون السوق بمسرحيات « الهلس » حتى ينفض عنهم الناس فجاة ، وتنقطع بهم الطريق •

ويساند الاتجاهات الجادة فى المسرح أيضا ظهور الدراما التليفزيونية • وهذه - كما أوضحت مرارا سوف تقوم الثمانينات وما بعدها بمهمة تعريف الناس بفكرة التمثيل الجاد المستند الى موضوعات تمس وجدانهم من قريب ، وتجعلهم يفهمون فكرة المسرح - من حيث انه شخصيات وحوار واخراج تتعاون معا على ايصال موضوع ما الى المتفرج فالدراما التليفزيونية - الجيد منها وحسب - هى فى الواقع رافد قوى للمسرح الحى ، وليس بديلا منه • والدليل على هذا ان مئات الالوف الذين شاهدوا حسين فهمى وعزت العلايلى وصلاح السعدنى وحسين الشربينى عبر السينما والتليفزيون لم يترددوا لحظة فى الذهاب الى قاعات المسرح الحى لمشاهدتهم فى « اللحم والدم » •

والواقع ان الدراما التليفزيونية يمكن ان تحرر المسرح الحى من عبء تقديم الفن الواقعى المباشر ، وتجعله يصرف جهوده فى تعميق مفهوم المسرح وابتكار اشكال جديدة للوصول للجماهير ، تكون اكثر قدرة على الوقوف فى وجه المنافسة العاتية التى يواجهها المسرح الحى من التليفزيون والسينما • وقد حدث مثل هذا التحرير فى حقل الفنون التشكيلية يوم ان ظهرت الكاميرا بانواعها المختلفة ، واصبحت قادرة على ان تنقل مظاهر الحياة جميعا نقلا متقنا قادرا ، فتحرر الفنان التشكيلى ، ومضى يجدد وسائل التعبير بطرق مختلفة تبعده عن خطر الانزلاق الى مشاكلة الواقع وحسب •

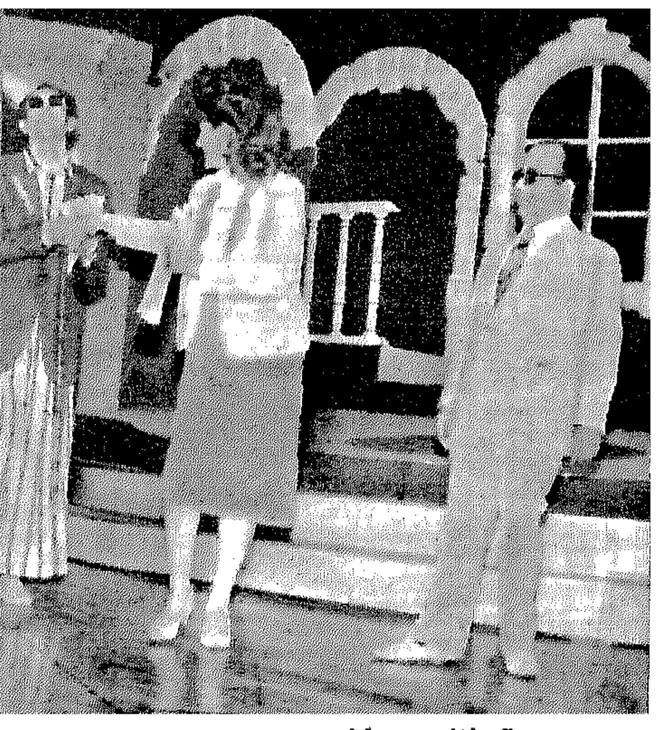
ومثل هذا التحرير مطلوب جدا فى حقل المسرح ، فقد اكتشف كتاب الواقعيةمن زمن بعيد محدوديةالتعبير الواقعى ، وضرورة اثرائه بعناصر اخرى مثل الرمز ، ومحتويات اللاوعى والاسطورة والكابوس • فعل هذا كتاب الواقعية المرموقون : ابسن وتشيخوف وشو ، وفعله استريندبرج، وفعله ايضا كتاب مسرح العبث ، الذين كانت ثورتهم - فنيا - ثورة على محدودية التعبير الواقعى ، والشىء ذاته حدث فى حقل الرواية على أيدى كتاب مثل ماركيز ونجيب محفوظ فى رواياته التى بدات باللص والكلاب

ومن الظواهر الايجابية الاخرى ان فكرة استمداد التراث،واعادة صياغة الاشكال التراثية ، مثل خيال الظل والاراجوز وتمثيل الشوارع باشكاله المختلفة ، قد اثبتت للزمن ، ولم يعد المتشددون ودعاة « نقاء الانواع » يجادلون كثيرا فى جدوى هذا الاستخدام للتراث • وبالفعل ظهرت مسرحيات كثيرة تستند الى التراث تتمثل - الى جوار مسرحيات سعدالله ونوس والفريد فرج ، ومحمد قاسم

ت.خطيب الصديقى وعز الدين المدنى ـ فى أعمال طائفة من شباب الفنانين حاولوا ـ بدرجات متفاوته من النجاح ـ استخدام فن الارتجال والمزار ، والمحيطين وخيال الظل ، والحدوته الشعبية فظهرت عروض مثل « كفر عسكر » و « المحنطين » بل امتد هذا الاستخدام الى المسرحيات المنقولة عن اصول اجنبية مثل عرض « داير مايدور » الذى ادخل بعض مقومات التراث المسرحى فى نص منقول عن الفريد جارى ، فى عرض قدمه الفنان الكثير التجريب حسن الجريتلى ٠

واستمرت فى الثمانينات المهرجانات واللقاءات المسرحية فى دمشق والقاهرة وبغداد والكويت وتونس والجزائر والمغرب ٠ ورغم كثرة عدد هذه المهرجانات كثرة قد تؤدى الى تبديد الطاقات ، فقد كان لها فائدة واحدة على الاقل ـ وهى فائدة ذات اهمية خاصة ـ الا وهى تعريف فنانى المسرح العربى الى بعضهم البعض ٠ لقد ولى ذلك الزمن الذى كان تعرف جمهور المسرح العربى الى ما يدور فى الحقل يتم عبر زيارات عابرة تقوم بها فرق دائمة او طارئة ، تندر زياراتها ولا يمتد لها موسم ٠ واصبحنا الان بازاء لقاءات مستمرة بين فنانى المسرح وجمهوره اينما وجد له جمهور فى انحاء الوطن العربى ٠

وقد ادى هذا التلاقى بدوره الى قيام « اتحاد فنانى المسرح العربى » ، الذى اخذ يدلى بدلوه فى ميدان انتاج مسرحيات عربية تتوجه الى هموم الوطن العربى باكمله ٠ وهو اتجاه سبق به فنانون افراد من امثال دريد لحام ومحمد الماغوط اللذين انتجا

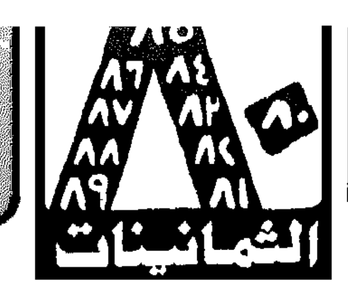


وجهة نظر .. اخر مسرحيات القطاع الخاص فى الثمانينات

مسرحيات نقدية غنائية ، ابرزها : « كاسك يا وطن » ، « والغربه » وغيرهما ٠ غير ان هذا الاتجاه الفردى قد اخذ الان يتاصل على شكل سياسة عامة ثابتة ٠ ورغم ما شاب اختيار الاتحاد من مسرحيات عابها سوء التاليف وسوء الاخراج معا ، فالمأمول ان يتم ترشيد الاختيار فى المستقبل ، بحيث تتخلق المسرحية العربية الشاملة التوجه وترقى تاليفا وتمثيلا واخراجا

● المسرح بخير

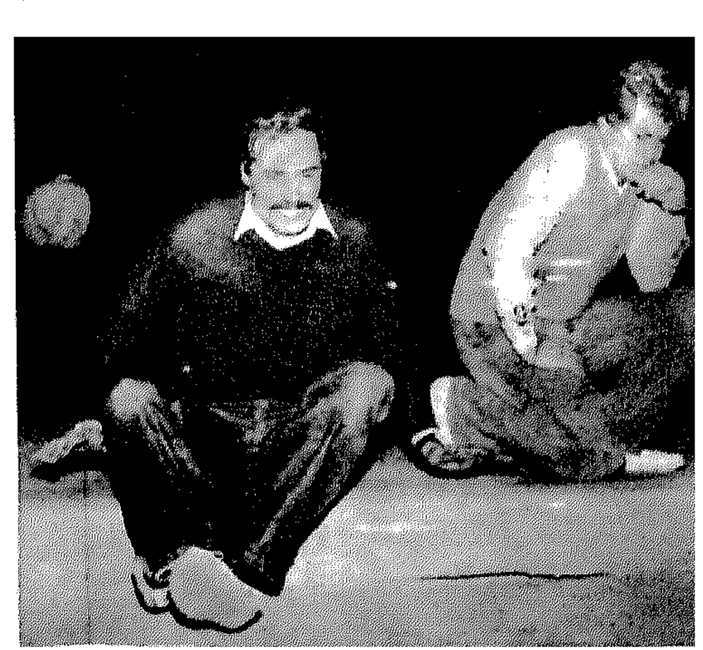
هل معنى هذا ان المسرح بخير ؟ الجواب : نعم هو بخير الان ، ويمكن ان يزداد هذا الخير لو التفتنا الى حقيقة الاوضاع التى تحيط بالمسرح فى الوقت الحاضر وفى المستقبل ٠ واول هذه الاوضاع ان مسرح اليوم يعيش فى عالم سريع التغير ٠ فلسم



يعد الامر يقتصر على منافسة من السينما والتليفزيون ، ثابتة القدر ويمكن حسابها مرة واحدة ، بل لقد دخلت حلبة المنافسة وسائل اخرى اقدر انتشارا وابعد اثرا ، تتمثل فى البث المباشر للتليفزيون العالمى ، الذى سوف يلقى فى الساحة الفنية باشكال من التعبير الفنى الراقى تتراوح بين الباليه والموسيقى والرقص الشعبى والمسرح الدرامى والاستعراضى والعروض الشعبية .

هذه سوف تصل الى المتفرج فى عقر داره ، وبصفة دائمة ، ولا مفر للمسرح الحى ان يحسب لها حسابا منذ الان ، وذلك بان يتلقى منها المؤثرات الايجابية ويدخلها فى صميم العرض المسرحى . اى يستعين بها على تطوير الاداء اسلوبا ومادة . ولا ينبغى لرجال المسرح الحى ان يخشوا هذا القادم

اهلا يا بكوات .. فى العتبة والاقاليم



الجديد فأنه لن يسلبهم الميزة الكبرى التى تبقى قاصرة على المسرح الحى ، الا وهى انه مسرح حى ، تجرى احداثه فى الدم واللحم ، ويقدمه فنانون بشخوصهم وليس بصورهم المسجلة . اى أن المسرح الحى سيظل الوسيلة الوحيدة التى يتفاعل بها انسان العالم المعاصر تفاعلا خلاقا مع احداث بيئته . أن هذا الانسان المعاصر ، محاصر من كل جهة بالفنون المنقولة ، والمعلبة ، تعرض عليه فلا يملك ازاءها الا الفرجة السلبية . لا تمنحه قط هذه الفنون فرصة المشاركة التى تتيحها مباريات الرياضة - الكرة على رأسها - وعلى هذا فسيظل المسرح الحى هو فرصة المتفرج الوحيدة لاثبات ذاته واعمال فاعليته . لن يصبح قط مجرد رقم فى سجل المشاهدين ، بل هو عامل فعال فى خلق وتحريك العملية الفنية ، يستطيع ان يغيرها ، يسمو بها او يهبط حسب ما توجهه انفعالاته .

غير ان هذه الميزة الفريدة لن تظل مع المسرح الحى ما لم يعمل دائما على ان يظل حيا . ان يتبنى قضايا الانسان . ان يضحك الانسان ويبكيه ، ان يوجهه وينقده ويتندر على نواقصه ويدعوه بالكلمة الفنية الطيبة الى التخلص من النواقص والتطلع الى ما هو اعمق واجدر بالبقاء .

بغير هذا فأن المسرح الحى لا يملك سحرا خاصا يضمن له البقاء . وشعار الخليقة الازلى : « تطور او مت » ينطبق عليه هو ايضا كما انطبق على الاشكال المنقرضة من الحيوان والنبات .



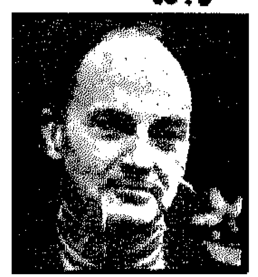

زكي نجيب محمود

● « معظم مانقوله ونكتبه يتناقض مع الحقيقة والواقع »
دكتور زكي نجيب محمود


مرجريت تاتشر

● « ما حدث في روسيا سنة ١٩١٧ لم يكن ثورة ، وانما انقلاب .. الثورة الحقيقية هو مايحدث الآن في روسيا واوروبا الشرقية ».
مارجريت تاتشر

● « المشكلة ان الولايات المتحدة كانت تحكم بطريقة رديئة وماتزال »
الصحفي الأمريكي دان جود جيم


ميشيل تورينيه

● « التجسس على الاصدقاء اسهل بكثير من التجسس على الاعداء »
الاديب جون لوكاريه

● « رامبو هو التمجيد للقوة ، التجميل الكامل للبربرية ! »
الأديب الفرنسي ميشيل تورنييه

● « لم اتزوج ، ولست نادمة » .
الراقصة السوفييتية مارسيا هايدى

● « القصص لن يغير من سياسة جنوب افريقيا ، وإنما قد يغير من ادراك الشعب »
اندريه برنيك
الاديب المنشق من جنوب افريقيا

● « البريستوريكا » ـ اعادة البناء ـ ليست منحة او من صنع فرد واحد ، بل حركة عامة اشترك فيها الجميع .
الأديب الداجستاني رسول حمزا توف

● « لا أطيق فكرة منح جوائز للعلماء »
تريجفي هافيلمو ـ عالم الاقتصاد
الحاصل على جائزة نوبل ١٩٨٩



مستقبل الأدب في بلاد العرب

بقلم: د. شكري محمد عياد

حين نحاول أن نجرد شيئا يشبه "الحساب الختامى" للأدب في الثمانينيات يقوم فى وجهنا سؤال : عن اى أدب نتحدث ؟ فقد علمنا طه حسين من قديم أن الأدب أديان : أدب إنشائى وأدب وصفى ، أدب يصور الحياة وأدب يصور الأدب . وقد لقب طه حسين "عميد الأدب العربى" ، وكانت له فى الأدبين كليهما مشاركة تسوغ هذا اللقب ، ولكن الناس فى حياة طه حسين قلما كانوا يفكرون فى طه حسين الروائى ، وإنما كان أكثر تفكيرهم فى طه حسين أستاذ الأدب ، أى مؤرخ الأدب وناقد الأدب ، وكانت هذه الصفة أوثق ارتباطاً بشخصيته العامة مفكراً وداعيا ومناضلاً شغل طوال عمره بقضايا التحرير والتنوير.

● كان طه حسين - إذن - عميد الأدب العربى لأنه كان أستاذاً يحاضر عن الأدب ويكتب عن الأدب ، لا لأنه كان روائياً يبدع فى الأدب . وكأن من طبائع الأمور أن تهيمن الصفة الأولى على الثانية . ولعلها حقاً من طبائع الأمور حين تتعلق بالألقاب والمنزلة الاجتماعية ، ولكن أهى كذلك حقاً حين تتعلق بالأدب نفسه ؟




د . طه حسين — بدر شاكر السياب

يمكن أن يعيش بدر شاكر السياب عيشة الكفاف محرراً صغيراً أو موظفاً صغيراً ، وأن يمرض فلا ترعاه في مرضه إلا مؤسسة "عالمية" مشبوهة ، وأن يموت فى مستشفى مجانى فى الكويت ، غير تارك لزوجته وأبنائه إلا بضعة دواوين ، سيتهبها بعض الناشرين ، بينما تكتب عنه الرسائل الجامعية ، وينال أصحابها الألقاب العلمية ، ويشغلون وظائف التدريس فى الجامعات ، ويكتبون الأبحاث المطولة فى الدوريات ، ويزينون بحضورهم الندوات والمؤتمرات ، يهزون رءوسهم بتؤدة ووقار ، وينطقون بالحكمة وفصل الخطاب .

● شروط ورغبات !

ولا تحسبن هذا الأمر خاصا بنا ، لأننا بلد متخلف . حاشا وكلا مثله حدث لرامبو ، وقريب منه حدث لجيمس جويس ، لولا أن تداركته . رحمة "راعية" ثرية . ولا نقل إن الزمن قد تغير ، وإن المبدعين أصبحوا أوفر حظا ، ولا تحاجنى باليوت أو سارتر ، عاشا مستورين وماتا مستورين ، فقد كانا من الحصافة بحيث جمعا النقد والفلسفة إلى الإبداع ، وكان فى مقدورهما أن يبدآ السلك الجامعى من أوله ، ولكنهما استطاعا أن يهبطا على قمته بالباراشوت .

أما فى وقتنا الحاضر فكثير من الروائيين والشعراء فى الولايات المتحدة الامريكية يطلبون القرب من الجامعة "بمادة" فى مناهج الدراسة اخترعت رأفة بحالهم واسمها "الكتابة الإبداعية" . فليس أمام الأدب الإبداعى - أو الإنشائى بأصطلاح طه حسين - إلا أحد طريقين : إما أن يتمحك فى الأدب الوصفى بشكل من الأشكال ، وإما أن يحشر نفسه فى بعض أجهزة الإعلام ، الصحافة أو الإذاعة أو التليفزيون ، وليس هذا بالأمر الهين ، فإن المشرفين على هذه الأجهزة ، صغاراً وكباراً ، لهم شروط ولهم رغبات ، بعضها مستمد من فوق ، أى من النظام ، وبعضها مستمد من تحت ، اى من الجمهور ، كما يتخيلونه ، او كما يريدونه .

فعن أى أدب من هذه الآداب تريدوننى أن أقدم كشف الحساب ؟

هل تميلون مع الدنيا إلى جانب الأدب الوصفى ، إلى جانب الأبحاث ، والدراسات ، والمقالات النقدية ، والمقالات التى تناقش مقالات نقدية ، أم تريدون أن نتناول الشعر والنثر اللذين كتبت عنهما هذه الأبحاث والدراسات الخ .، أم تريدون أن نترك هذا وذاك ، ونتفرغ للأدب الإعلامى ، أدب الصحافة



والإذاعة والتليفزيون ، ولو أن القسمين الأولين لا يعترفان به ، بل ينظران إليه بازدراء كما ينظر الأرستقراطى المعدم إلى محدث الغنى ؟

أولا : يجب أن نلاحظ أنى مهما فعلت فلن أخرج عن القسم الأول . أعنى أن ماسأكتبه سيكون داخلاً فى هذا القسم ، فإما أن يكون نقداً وإما ألا يكون شيئا على الاطلاق . وليس أمامى إلا أحد خيارين : أن أكتب نقدا أو أكتب نقداً للنقد ، فما دمت أكتب كلاماً عن الأدب ، ولا أستلهم الحياة مباشرة ، فأنا أكتب أدباً وصفيا ، ولا يمكننى الادعاء بأنى أكتب أدباً إنشائيا ، أو أدباً إبداعياً كما نقول باصطلاحنا المعاصر .

● سقوط الحاجز !

هأنذا أنزلق وأتورط فى خطأ يشبه الكفر . هاهم أولاء أصحاب من فريق الدارسين والنقاد يتغامزون علىّ : مالك ياشيخ وما لطه حسين وأدبه الوصفى والإنشائى ، وأين أنت من بارت ودريدا وهلا سمعت بسقوط الحاجز بين الإبداع والنقد كما سقط سور برلين ! وهل تحسبنا نحتفل بعيد طه حسين المئوى إلا لنأخذ بيده إلى صالوننا طراز ١٩٨٠ ، أو ـ منعا للمماحكات ـ طراز ١٩٧٠ ، ونحادثه ونلاحظه ونستدرجه ليتكلم لغتنا ويقول بقولنا ؟

ـ أنا فى الحقيقة مرتبك ، وقد بدأت بأولاً ومازال عندى ثانياً وثالثا . فماذا أصنع ؟ يبدو أن التراجع لم يعد ممكنا ، فالخطأ يستتبع الخطأ ، وإذن .

فأما ثانيا فإنى معدود من فريق الوصفيين أى النقاد والدارسين ، بدليل أنى جالس أكتب لك هذا المقال وكان ينبغى أن أكون مشغولاً بكتابة قصة أو نظم قصيدة . هذا مع أنى أعترف بعجزى عن متابعة معظم ما ينشر فى هذا الباب الذى هو "تخصصى" . فأنا فى حاجة إلى عمر فوق عمرى لأقرأ جميع ما ينشر من وسائل الماجستير والدكتوراه (الحمد لله على أن معظمها يبقى محصوراً فى طبعته المحدودة التى تكفى لحصول أصحابها على الدرجة) وجميع ما ينشر فى المجالات الأدبية الشهرية والفصلية من دراسات مبتدأة أو مترجمة أو مقتبسة . وإذا كان ضيق الوقت عذراً غير كاف فى نظرك ، فهل يشفع لى عندك أن ما أقرؤه من القسم الأول يصيبنى عادة بغثيان شديد ، وأن ما أقرؤه من القسم الثانى يجعلنى ـ عادة أيضاً ـ أشعر بالغباء الشديد ، وهذا شعور لا يستمرئه الإنسان . إلا إذا كان مصاباً بحالة مازوكية . كيف أكتب إذن عن شىء لا أقرؤه ، وإذا قرأته لا أستسيغه أو لا أفهمه ؟ هل أكون كعابر الطريق الذى تسأله عن مكان ما ـ لأنك تفترض منه العلم ـ فيصفه لك ، لتتبين بعد أن تكل قدماك ويتصبب عرقك انه أبعدك عن المكان المقصود أميالا كثيرة ، وكنت على بعد خطوات منه ؟

ولكن أين المهرب ؟إلى الكتابة الإبداعية من شعر وقصص وأنا ـ كغيرى من النقاد ـ أقرأ ما أصادفه أو يصادفنى منهما ولا يقع نظرى على الكثير الكثير ؟ فهل أستسلم لحكم المصادفات أم لحكم

الدعاية والشهرة ، وانت تعلم ان الكاتب النشيط ، الذى يثابر على نشر اخباره فى الصحف ، وأعماله عند دور النشر ، قد لا يكون هو الكاتب الأنضج فنا ، أو الأصدق تعبيراً عن زمنه ؟ وإذا كانت هذه المشكلة ماثلة أمامي. بالنسبة إلى الكتاب المصريين ، وأنا أعيش فى مصر ، فكيف تكون حالى مع سائر كتاب العربية ، فى سائر اقطار العربية ؟

من باب أولى ادب الإذاعة والتليفزيون ، وانا امرؤ قلما اسمع الإذاعة ، ونادراً ما أجلس امام التليفزيون . ثم إن جماليات الأدب الإذاعى والادب التليفزيونى شىء لم يبحثه نقاد الأدب ، والأولى ان تترك لغيرهم ـ نقاد السينما مثلا ـ فى الوقت الحاضر على الاقل .

إذن فأين المهرب ؟ أو أين المخرج ، إن انفنا من كلمة الهروب ؟ المخرج فى "ثالثا" .

و(ثالثا) هى ان هذه الفروع الثلاثة لما يسمى بالأدب ـ النقد والإبداع بشقيه المكتوب والمسموع أو المرأى ، متباعدة أشد التباعد فى ثقافتنا . والأولى بمن يريد أن يقدم حساباً ختامياً عن الأدب فى الثمانينات أن يسجل هذه الظاهرة ويبين آثارها السيئة على الأدب فى جميع صوره ، قبل أن يتحدث عن واحدة أو أكثر من هذه الصور ، فى الحدود الضيقة التى تفرضها علينا حالة النشر ، وضعف التواصل ، وبدائية الإعلام الأدبى فى الأقطار العربية فى الوقت الحاضر .

● موقف سلبى

وقد يبدو أن التباعد بين ما سميته "الأدب المكتوب" وما سميته "الأدب المسموع أو المرئى" (وهو تقسيم غير دقيق ولكنه دال) أمر لابد منه ، وأنه مصاحب لسيطرة أجهزة الاتصال الحديثة ، لا تنجو منه ثقافات العالم الحديث الأكثر رسوخا وغنى . فالشكوى من نوع "الأدب" الذى يقدمه "التليفزيون" على الخصوص عالية ايضا فى أوربا وأمريكا . ولكن مصيبتنا أفدح . وذلك بفضل الصحافة . فالصحافة ـ وأعنى بالتحديد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية الجامعة ، وهى التى تسمى أحيانا الصحف السيارة ـ تقف فى منزلة وسطى ، ومن ثم تقوم بوظيفة الوسيط ، بين الكتاب والمجلات الادبية والعلمية المتخصصة من ناحية وبين وسائل الإعلام الجماهيرية ، المسموعة والمرئية ، من ناحية أخرى هذا ما نلاحظه فى صحافة البلدان المتقدمة ، ونفتقده إلى درجة مخزية ، فى صحافتنا . وهكذا تسهم صحافتنا ، بموقفها السلبى من الثقافة الراقية ، فى تدنى المادة الثقافية التى تقدمها الإذاعة والتليفزيون على الخصوص ، بل وتشترك معهما فى التدنى . **اما الأدب فيبقى معزولاً عن الجماهير ومن ثم تتكون له فى بلادنا العربية ، المنكوبة بالطائفية ، "طائفية" اخرى من نوع عجيب ، "طائفية" الأدباء !**

قراء المجلات النقدية والأدبية المتخصصة هم كتابها ، إن لم يكن بالفعل فبالطموح والرغبة ، لا لعيب فى تلك

المجلات ، بل لأن المثقف فى بلادنا ـ وحين نقول المثقف نعنى عادة الثقافة الأدبية ـ يعيش تحت الحصار . وسواء أكان هو نفسه مسئولاً ـ ولو إلى حد ما ـ عن هذه الحالة أم كانت المسئولية كلها واقعة على غيره ، فانها تساهم مساهمة كبيرة فى تلوث البيئة الثقافية . ثم إن أثرها ينعكس على الأدب نفسه . **فالطائفية الأدبية هى المسئولة ، فى تقديرى عن رواج النزعات الشكلية بين الأدباء الشبان** . إن لغة "القصة الحديثة" هى أشبه باللغات السرية التى تتفاهم بها فئة من الناس تريد أن تخلق لنفسها عالما خاصاً منعزلاً عن عالم الناس . وكثيراً ما يكون هذا العالم الخاص بريئا ، ساذجاً ، ليس فيه أكثر من الانفلات من العالم المادى البشع ، عالم "الكبار العقلاء" ، ولكن "الطائفية الأدبية" ، فى أحيان أخرى ، توجه لخدمة "طائفية" أخرى ، زرقاء الناب ، تقطر سمها ، رويداً رويداً ، لتحول الشبان المتحمس للحداثة إلى خونة وجواسيس .

● الإبداع الحقيقى

والنزعات الشكلية عند بعض المبدعين تحظى بالعناية كلها من طائفة النقاد المتخصصين . إذن لا "تباعد" هنا بل تحالف وثيق . ولكنه تحالف يتم على حساب الإبداع الذى يجرى فى حضن المجتمع . فهذا الإبداع يتجاهل ، حتى حين يأتى من قبل أدباء استطاعوا أن يرسخوا أقدامهم ويدعموا شهرتهم فى أدوار سابقة . والإغراء قوى : إنه إغراء "العلمية" من ناحية ، و"العالمية" من ناحية أخرى . ما أحسن أن يكون لنا ، نحن النقاد والأدباء ، علمنا وتخصصنا ، بل وتكنولوجيتنا ، فى هذا العالم الذى لم يعد يؤمن إلا بالعلم والتكنولوجيا ! وإذا أصبح علمنا جزءاً من علم أكبر وأفخم ، اسمه السميولوجيا ، فخير وبركة ! وما أجمل أن نجلس ، نحن الحفاة العراة الجائعين ، على مائدة واحدة مع علية القوم ، ونحاول أن نحسن استخدام الشوكة والسكين ، وأن نشترك فى الحديث ولو بكلمة ، وألا ننظر باستغراب إلى ثيابنا المستعارة !

وليس من المعقول أن نعادى العلمية ـ حتى فى الأدب ـ أو العالمية ، ولا أن نقف فى وجه الحداثة . ولكننا نريد هذه الثلاثة كلها اكتساباً لا استعارة . نريدها ـ إن شئت مزيداً من التحديد ـ تعلماً وفهما ، لا تقليداً وترديداً ، ثم إضافة وابتكاراً ، لا استيراداً وتسويقاً ! لهذا نهمل كل "نقد" مستورد وكل "إبداع" مستورد ، ونسقطه من كشف حسابنا ، ولا نستبقى إلا الإبداع الحقيقى الذى ينطق بأمانة وبراعة عن معاناة عميقة ، والنقد الذى يواكب هذا الإبداع ويلاغيه فى محبة وحنو ، مستنداً إلى نظرية ، دون أن يكون مستعيداً لنظرية ، مستفيداً من تراثنا الإبداعى والنقدى ، مستنيراً ، حسب فهمه وذوقه ، بالتراث العالمى .

وأقول ـ إجمالاً ـ إن هذا الذى نستبقيه ليس بالشىء القليل ! وإنه يأتينا من أجزاء كثيرة من العالم العربى ، لا من مصر وحدها (**ذهب عصر الادعاء الكاذب ـ أو التهمة الظالمة ـ بأن مصر تحتكر كل شىء !**) رغم شكوانا من بطء الحركة ،

وضعف التواصل . ولو أردت "كشف حساب" بالعناوين والأسماء لطال وانتشر ، هذا مع أن النسيان والجهل قد يسقطان بعض هذه العناوين والأسماء ، فتظن مما تعمدنا إسقاطه ، وليس بذاك .

فالأولى أن نقتصر على وصف التيار الذى وجدناه جديراً بالتنويه ، دون أن نتعرض للعناوين والأسماء ، كما وصفنا التيار الذى وجدناه جديراً بالإسقاط دون ذكر للعناوين والأسماء كذلك . فنقول إن ذلك التيار يمثل ، بمزيد من الصفاء ، الحركة التى يجيش بها المجتمع العربى كله ، حركة اكتشاف الطريق ، التى هى فى الوقت نفسه اكتشاف الذات : هذه الحركة التى تتخذ تارة شكل الاتجاه القومى ، وتارة شكل الاتجاه الاشتراكى ، وتارة شكل الاتجاه الإسلامى ، ونقع فى كثير من الأخطاء والعثرات ، ويساء فهمها كثيراً من قبل انصارها وخصومها على السواء ، ولا يبعد أن تنصهر جميعاً فى تيار واحد متجانس ، يكون نبراسنا للمستقبل ، وإضافتنا إلى حضارة العالم .

أما التيار الأدبى فهو ذلك الذى يضع اليوم أسس "الرواية العربية" و "القصة العربية" بطابعهما المميز شكلا ومضمونا . وأقول إن هذه الرواية وهذه القصة توضع أسسهما اليوم ، مع أن لفن للقص عند العرب تاريخاً قديما ، لأن الذى يحدث اليوم فى القصة والرواية عندنا ليس إحياء لأشكال قديمة ، بل إعادة خلق من البذور القديمة . إن الهندسة الوراثية ، هذا العلم الحديث جدا ، تقرب إلى اذهاننا معنى إعادة الخلق من بذور قديمة . فالرواية العربية والقصة العربية ، كما بدأت كتابتهما فى هذا العقد أو قبله بقليل ، كائنان جديران ، لا يشبهان ماكنا نعرفه من قصص العرب القدماء ، أو قصص الأوربيين المحدثين .

وربما كان الشعر ابطا استجابة لهذا الاتجاه من القصة والرواية . لقد سلخ الشعر نفسه سلخاً عنيفا من التراث بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذا تاريخ قريب جدا . فالأخذ فى طريق مختلف ، يستنبت من التراث كائنات جديدة ، مشروع خطير . ولكننى اعلم ان الشعراء الذين لا يزالون يواصلون إبداعهم ، بعد ان تجاوزت موجة الشعر الجديد قمتها ، هم شعراء خرجوا من عباءة مدرسة ابولو ، اى انهم يشعرون باستمرارية التراث ، فهم جديرون أن يعبدوا التفكير فى قضية الشعر كله ، وظيفته وادواته ، وعيونهم على ثقافتنا ومجتمعنا ، وتاريخنا ومستقبلنا . وبجانب هؤلاء ، أرجو أن يسمح لى القارىء بأن انوه بشاعرين (ولو خرجت على ما شرطه على نفسي) وما ذلك إلا لأن النقد اغفلهما إغفالاً تاماً ، لأنهما بقيا بعيدين عن حركة الشعر الجديد . وفى ظنى أنهما قادران ، بما يملكه كلاهما من روح شعرية تتغلغل فى الماضى وتستشرف المستقبل ، أن يسهما إسهاماً جليلا فى نهضة الشعر المرتقبة . هذان الشاعران هما : كمال النجمى ومحمد التهامى . وقد عرفت كمال النجمى فى شبابه ، واعرف انه كان يرى أن التجديد فى الشعر ليس له طريق وحيد .



عقد حافل

للصحافة المصرية

بقلم : د. أحمد حسين الصاوى

ولا شك أن الصحافة تمثل وجها من أبرز وجوه الحياة المصرية التى امتد اليها نبض حركة التاريخ . وصحيح انه اعترضت طريق تطورها بعض السلبيات ، ولكن كانت هناك ردود فعل واضحة ازاء تلك السلبيات، وظهرت ارادة التغيير ـ أو على الاقل محاولته ـ لكل ما لا يتسق وفكرة التطور المنشود . ومن ثم فحصاد هذه السنوات العشر فى الحقل الصحفى ـ كما وكيفا ـ جدير بالرصد والتسجيل.

فى مستهل هذا العقد صدر قانون الصحافة (١٤٨ لسنة ١٩٨٠) الذى يعتبر فى حد ذاته تداعيا منطقيا لما شهده العقد الذى سبقه من تطورات ، وهو العقد الذى تولى فيه الرئيس الراحل أنور السادات الحكم . فقد كان من أهم ملامح التغيرات السياسية فى ذلك العقد أن نظام الحكم يسعى الى التطور نحو شىء من الديموقراطية، اعمالا للمبدأ السادس من مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ، الذى كان معطلا فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وتحقيقا لهذا الاتجاه اتخذت بعض الاجراءات مثل رفع الرقابة عن الصحف والغاء الحراسة . وكان طبيعيا أن تؤيد الصحافة المصرية هذا الاتجاه وتعكسه فى الوقت ذاته ، فانطلقت فى أوائل السبعينيات تضيف صفحة وضاءة الى تاريخها .

ومن خلال هذا التوجه تتابعت التطورات التى تتصل بأوضاع الصحافة اتصالا مباشرا أو قريبا . فقامت منابر ثلاثة فى ظل الاتحاد الاشتراكى ، ثم تحولت المنابر الى احزاب وصفى الاتحاد الاشتراكى المالك الرسمى ، للمؤسسات الصحفية العامة ، كما أصبح من حق كل حزب أن يصدر صحيفته الخاصة .

ولم يؤد ظهور صحف الاحزاب الى تأكيد فكرة « التعددية » المستهدفة من قيام الاحزاب بقدر ما أدى الى « ازدواجية » صارخة قطباها الصحف العامة (المؤممة) من ناحية والصحف

الحركة سمة الحياة والجمود قرين الفناء .. ولقد كانت اعوام الثمانينيات المنقضية من احفل فترات مصر المعاصرة بالاحداث ، وتميزت حركة التاريخ فيها بسرعة الايقاع وتلاحق التغيرات وامتدادها الى شتى جوانب الحياة .. ومما يشعر بالاطمئنان ويدعو الى التفاؤل ان الاتجاه العام للحركة كان تطويرا الى الافضل والاحسن .

لقد شهدت مصر قيادة جديدة اكثر ليبرالية ، وعادت مصر تحتل مكانها التقليدى فى العالم العربى بعد ان زالت الجفوة بينهما وبين شقيقاتها ، وتوطدت مكانة مصر اسلاميا وافريقيا وعالميا . وبدت بوادر صحوة اصلاحية فى المجالات التعليمية والطبية والاسكانية وغيرها ، واحست كثير من القيادات التنفيذية والمهنية بما تعانيه اجهزتها من سلبيات فاخذت تعمل على تلافيها .

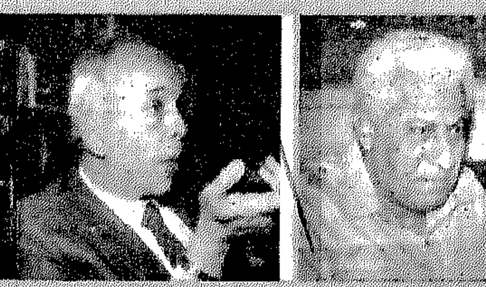
الحزبية الناشئة من ناحية اخرى .

● **ملكية للدولة**

وبالرغم من اختفاء الاتحاد الاشتراكى فقد ظلت الملكية الفعلية للصحف العامة فى قبضة الدولة ، وارتاح جهاز الحكم الى هذا الوضع وعمل على ترسيخه ، وباتت المشكلة الملحة هى البحث عن « واجهة » او « غطاء » تتستر وراءه تلك الملكية ، مع ان الدولة ــ طبقا للمفهوم الدستورى السليم ــ ليس لها ان تملك صحفا .

ومن هنا رات الحكومة ضرورة البحث عن صيغة تلتزم بها كل الاطراف وتخلق وضعا مستقرا لا يسهل تغييره ، فاتخذت عدة اجراءات فى أواخر عام ١٩٧٩ انتهت بتاليف « لجنة تنظيم الصحافة » لوضع قانون جديد يحقق الغرض المطلوب . وبالفعل تم صدور ذلك القانون الذى سلفت الاشارة اليه .

وهناك الكثير الذى يمكن أن يقال نقدا لهذا القانون الذى يحكم



مكرم محمد احمد — ابراهيم نافع

صحافتنا الان ، ولكن المجال لا يتسع الا لمجرد الاشارة الموجزة الى اهم سلبياته . واول ما يلاحظ على هذا القانون انه وسم بقانون « سلطة الصحافة » تاكيدا لما ردده المسئولون وامتد الى المشرعين الذين عهد اليهم بتعديل الدستور من ان الصحافة « سلطة من سلطات الدولة » او انها « السلطة الرابعة » . وهكذا قام ذلك القانون على أساس خاطىء ومفهوم مضلل وغير ذى مدلول . فالصحافة لا يمكن ان تكون سلطة الى جانب السلطات التى حددها الدستور، وهى: السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية ، لانها لكى تكون



سلطة يجبان تؤدى وظيفة من وظائف الدولة ، وأن يكون لها بحكم هـــذه الوظيفة أن تتخذ قرارات تتضمن الامر والنهي، ثم أن تكون أوامرهاونواهيها مكفولة النفاذ بسلطان الدولة القائم على القهر والالزام • فاين ذلــك من الصحافة التى هى مهنة يكفل الدستور حريتها حتى يحميها من بطش الحكومة؟ ولقد تردد تعبير « السلطة الرابعة » وشاع نتيجة لترجمـــة خاطئة عن الانجليزية ، ولعل ذلك أن يكــون موضوعا لحديث مستقل •

ويمكن القول باختصار أن قـانون الصحافة لم يجعل منها « سلطة من سلطات الدولة » وانما جعل منــها « صحافة سلطة » !

ويتضح من استقراء مواد هــذا القانون انها استهدفت فى المقام الاول احكام قبضة الدولة على الصحف،كما أن بعض هذه المواد تخالف الدستور مخالفة صريحة • وقد أسفر تطبيــق القانون عن مجموعة من المتناقضـات والمفارقات ، كما ظهر من السـلبيات ما كان من قبل خافيا • وكانت« ملكية الصحف » و « الحرية الصــحفية » و « ازدواجية الصحافة » من أبــرز المشــكلات التى تكمن وراء تلك المتناقضات والمفارقات والسلبيات،مما كان له رد فعل كبير على رجــال الصحافة حتى طالبوا مرارا باعـادة النظر فى ذلك القانون ، واعتبــره الكثيرون من«القوانين سيئة السمعة»•

لقد نص قانون الصحافة مثلا على أن المؤسسات الصحفية القوميــة والصحف القومية « مملوكةملكيةخاصة للدولة ويمارس حقوق الملكية عليــها مجلس الشورى » • وواضح انمجلس الشورى لا يستطيع أن يمثل « الملكية العامه » ، فهو مؤلف من أعضـــاء معينين تنتمى أغلبيتهم السـاحقة الى الحزب الحاكم • وعلى هذا تكــون اضافة ملكية المؤسسات الصحفية اليه أمرا ينطوى على مخالفة دستورية •

ونص القـــانون كذلك على أن « يخصص نصف صافى الاربـاح فى المؤسسة الصحفية القومية للعاملينبها والنصف الآخر لمشروعات التوســع والتجديد وغيرها من المشروعات »•• •• ولم يحدث من ذلك شيء حتى الآن!

● صلاحيات متشابكة

وأنشيء بنص القانون أيضا المجلس « الاعلى » للصحافة • وهو بحـكم تكوينه وأهدافه واختصاصاته المعلنة يمثل فى الحقيقة جهازا يهيمن بشـكل مباشر على الصـــحافة بمختلف أشكالها • ويلفتالنظر فى هذا الصدد ان اختصاصات المجلس التى فصـلها القانون خليط من الاختصاصـــات الرقابية والتشريعية والقضـــائية والتنفيذية التى استعيرت أو انتـزعت من هيئات وأجهزة اخرى كهيئــــة الاستعلامات ووزارة الداخلية ونقـابة الصحفيين والنيابة العامة ، بالاضافة الى بعض الاختصاصات التى هى من صميم مسئوليات المؤسسات الصحفية ذاتها • وهذه الصلاحيات الكثيـــرة المتشابكة جعلت من مجلس الصــحافة حكومة كاملة تمنح وتمنع وتوجــه وتشرع وتقــرر وتحـــاكم وتتحكم ولتاكيد الصلة بين هذا المجلس وبيـن « السلطة » فى أعلى مستوياتها نص القانون على أن رئيســـه هو رئيس مجلس الشورى •

وتميز العقـد المنقضى كذلك بارتفاع تكاليف اصدار الصحف ارتفاعا رهيبا

نتيجة لتضاعف اسعار الورق وازدياد نفقات العمالة وادخال المستحدثات الطباعية • وقد ادى ذلك الى وقوع المؤسسات الصحفية فى عدة ازمات مالية • واذا كانت ظروف بعض المؤسسات قد ساعدتها على اجتياز هذه الصعاب بما توافر لها من موارد تمويل عن طريق تدفق الاعلان والنشاط المطبعى التجارى ، فان المؤسسات الاخرى لم تستطع حتى الان ان تتغلب على متاعبها ، واضطرت - حتى لا تتوقف عن الاصدار - الى الالتجاء للقروض أو التماس الدعم الحكومى • واذا ضربنا مثلا بثمن ورق الصحف وحده ، وهو المادة الاساسية المستخدمة فى طباعة الصحف ، وجدنا انه تضاعف بين أول العقد ونهايته اكثر من خمسة امثال• فقد كان سعر الطن الواحد نحو ٣٦٠ جنيها واصبح الان يقرب من الفى جنيه ويلاحظ فى هذا الصدد ان الصحف اصبحت تمول نفسها من الورق تمويلا ذاتيا ، بعد ان تخلت الحكومة عن توزيعه بمعرفتها • وكان طبيعيا ان يزيد ثمن نسخة الجريدة ، فارتفع من ثلاثة قروش الى عشرين قرشا ، وان يزيد كذلك ثمن نسخة المجلة ، فارتفع من خمسة قروش الى اربعين قرشا •

واستطلاع ارقام توزيع الصحف فى خلال تلك الفترة الزمنية يقدم لنا كذلك مؤشرات ذات دلالة • فقد كان توزيع الجرائد والمجلات التى تصدرها المؤسسات الصحفية العامة يتجه فى بداية العقد الى الارتفاع التدريجى ثم يهتز ويضطرب بعد زيادة سعر البيع ويعود ثانية الى الارتفاع • اما بعد الزيادة الاخيرة فقد اتجهت الخطوط البيانيةنحو الهبوط المطرد حتىاستقرت عند مستويات اقل مما ينبغى • وتمثل الارقام التالية معدلات توزيع جريدتين ومجلتين اسبوعيتين (دون ذكر اسمائها) بين بداية العقد ونهايته :

جريدة (١) : العدد اليومى : ٥٥٠ الفا - ٤٠٠ الف •

العدد الاسبوعى : ٧٩٠ الفا - ٥٥٠ الفا

جريدة (٢) العدد اليومى : ٥٤٠ الفا - ٥٧٠ الفا •

العدد الاسبوعى : اكثر من مليون - ٨٥٠ الفا •

مجلة (١) : ٩٣ الفا - ٤٥ الفا •

مجلة (٢) : ٦٠ الفا - ٢٨ الفا •

وحاولت الصحف مواجهة هبوط التوزيع أو على الاقل وقف اضطراده بتحسين خدماتها للقارىء والارتفاع بمستوى تحريرها • ولجأت الجرائد اليومية الى اصدار طبعة مسائية مبكرة فى القاهرة ، وانتظمت هذه الطبعة خلال العقد واصبحت تمثل ما بين ٢٠ و ٢٥ ٪ من توزيع العاصمة •

ومدت « الاهرام » نطاق توزيعها الى خارج مصر ، فاصدرت طبعة دولية خاصة عام ١٩٨٤ للدول الاوربية، وما لبثت هذه الطبعة ان عبرت المحيط الى الولايات المتحدة وكندا ، كما وجدت لها فى الشهور الاخيرة منفذا الى سوق المغرب العربى • وتوزع هذه الطبعة ما لايقل عن ثلاثين الف نسخة•

● تطور تقنى ملحوظ

ويسجل للصحف المصرية العامة (القومية) خلال العقد المنتهى انها بالرغم مما تعرضت له من ظروف اقتصادية غير مواتية فقد اهتمت بالتطوير الفنى لمطابعها اهتماما كبيرا فاستعانت منذ اوائل الثمانينات باهم المستحدثات فى هذا الحقل ، حتىتواكب الركب العالمى المتقدم فى مجال اصدار الصحف • وابرز هذه المستحدثات



نظم الجمع التصويرى والطباعة المستوية (الاوفست) التى تمثل ـ دون ما دخول فى تفصيلات معقدة ـ ثورة كبيرة فى طباعة الصحف · واستلزم ذلك استخدام اشكال جديدة من حروف جمع المتن وحروف جمع العناوين على السواء ·وقد تم ذلك اما عن طريق التمويل الذاتى فى المؤسسات القادرة ، واما عن طريق المنح او القروض فى المؤسسات الاخرى ·

وفى بادىء الامر تعثرت مطابع الصحف فى استخدام هذه التقنيات الجديدة وشاب ممارساتها الكثير من السلبيات واوجه القصور ، غير انها ما لبثت ان تلافت نسبة كبيرة من تلك السلبيات ونجحت الى حد كبير فى توظيف المستحدثات الجديدة لتحسين مظهر كصفحات وتحقيق الوضوح لمختلف عناصرها التيبوغرافية · ومع ذلك فمازالت التيسيرات الطباعية التى تتيحها تلك المستحدثات تغرى بكثير من الممارسات التى يتسم بعضها بعدم التعبير أو النظر فى العواقب ، مثل استخدام الارضيات الشبكية (الظلية) أو الطبع بلونين متراكبين ·

● الاعلان

وشهد الاعلان الصحفى تطورا ملحوظا ، كما اتخذ عدة مظاهر غير مألوفة خلال السنوات العشر الماضية · فمن ناحية تحسن مظهر الاعلان كثيرا وبخاصة بعد ادخال المستحدثات الطباعية المتطورة · ومن ناحية أخرى ارتفعت اسعاره ارتفاعا كبيرا · وكان ذلك نتيجة لعدة عوامل فى مقدمتها ارتفاع تكلفة اصدار الصحف واقبال مختلف المؤسسات التجارية والاستثمارية وغيرها على شراء المساحات الاعلانية على صفحات الصحف · وقد أدى ذلك بدوره الى اغراء الصحف بالسعى وراء مصادر الاعلان المحلى والاجنبى ، واحتدت المنافسة بينها فى هذا السبيل حتى اوقعتها هذه المنافسة ـ مع بريق الدخل الكبير الذى يحققه الاعلان ـ فى عدة مزالق ، كما عرضتها لبعض المواقف المحرجة · وقد تطرقت الصحف احيانا فى الاستجابة الى طلبات بعض المعلنين من الافراد واصحاب الاعمال فنشرت لصالحهم اعلانات خرجت على المألوف واساءت الى أعراف مهنة الصحافة والى الذوق العام قبل أن تخالف أى نص أو قانون ، والامثلة على ذلك كثيرة · فنحن لا ننسى مثلا تلك الاعلانات ذات المحتوى المموج التى احتلت صفحات كاملة لشركات توظيف الاموال ، أو الاعلانات الشخصية غير المباشرة لبعض رجال الدين والاقتصاد ومن هذا الضرب كذلك نشرات النعى أو التعزية المستفزة التى كانت كل منها تحتل نصف صفحة أو اكثر ·

● الصحف الحزبية

ومن الضرورى ونحن نرصد حصاد العقد المنتهى فى الحقل الصحفى أن نقف وقفة قصيرة أمام تجربة الصحف الحزبية التى لا تصدر عن المؤسسات العامة ، أى الصحف غير « القومية »· ان تعبير الصحف الحزبية هنا لا يعنى فقط الصحف التى تنطق بالسنة احزاب المعارضة ـ وان كان يغلب عليها ذلك ـ ولكنه يشمل أيضا الصحف التى يصدرها الحزب الحاكم (حزب الاغلبية) · لقد بدأ صدور هذه الصحف منذ عقد السبعينيات ، وكان أول ما صدر منها صحيفة « مصر »







سعيد سنبل — محفوظ الانصارى

التي ظهرت في منتصف عام ١٩٧٧ لسانا لحزب مصر العربي الاشتراكي، والتي ما لبثت ان توقفت بعد اعلان تاسيس الحزب الوطني الديمقراطي. ثم تتابع اصدار صحف احزاب المعارضة الاحرار ١٩٧٧ ـ الاهالي ١٩٧٨ـ الشعب ١٩٧٩ ـ الوفد ١٩٨٤.

ولقد مرت هذه الصحف بظروف غير مواتية، فتعرضت للمصادرة والتعطيل، فضلا على التوقف الارادي احيانا . ولعل اقوى هذه الصحف هي «الوفد» التي تجرأت على التحول من اسبوعية الى يومية منذ اكثر من عامين . وتشير كل الدلائل الى ان « الوفد» هي صحيفة المعارضة الوحيدة التي استطاعت ان تتغلب على مصاعبها المالية وان تحقق اكتفاء ذاتيا . اما سائر الصحف المعارضة فان البون شاسع بينها وبين صحف المؤسسات العامة . ان الدولة ترعى صحف المؤسسات لانها تملكها ، كما ترعى ـ وبشتى الطرق ـ صحف الحزب الحاكم ولذا تستاثر هذه الصحف بكل المزايا والتيسيرات التي تستطيع الدولة توفيرها ، بينما لا تحصل صحف الاحزاب المعارضة الا على الفتات . وفي هذا الصدد تمثل اعلانات الحكومة والقطاع العام موردا ماليا بالغ الاهمية تتمتع بمعظمه صحف المؤسسات.

واذا كانت صحف الاحزاب المعارضة تعاني ـ لضعف امكاناتها ـ من عدة مشكلات مادية وتقنية ، فانها تحاول في صبر وبسالة أن تصمد لمتاعبها وان تتلمس لها الحلول . ويلاحظ ان الدولة تقدم لبعض هذه الصحف ـ من خلال احزابها ـ عونا ماديا ضئيلا ، وتمنحها بعض التيسيرات من خلال المجلس الاعلى للصحافة ، وكذلك تعيرها بعض العاملين في الصحف العامة ليدعموا اجهزتها التحريرية .

وقد ادت حدة الاستقطاب واتساع الفجوة بين الصحف العامة التي تدين بالولاء المطلق لجهاز الحكم من ناحية، والصحف الحزبية التي تعارضه من ناحية اخرى ، الى قيام حالة من التوتر بين الفريقين اتضحت مظاهرها فيما حفلت به صحفهما معظم سنوات العقد من مقالات نزالية عنيفة ، كانت كثيرا ما تهوى الى درك المهاترات . ولكن لم تلبث هذه الحالة أن خفت قرب نهاية العقد الى حد كبير ، واصبحت مواد الرأي في صحف كل من الجانبين في نطاق الحد المعقول .

● تطوير الصحف اليومية

وقبل ان يطوى العقد كتابه بشهرين تقريبا رصدت سجلاته عمليتي تطوير كبيرتين قامت بهما صحيفتا «الاخبار» و « الاهرام » ، اكبر الصحف اليومية المصرية . وقد امتدت تجربة «الاخبار» كذلك الى شقيقتها الاسبوعية « اخبار اليوم » . ويتلخص تطوير « الاخبار» الذي مهدت له دعائيا بصورة مكثفة في أن الصحيفة انقصت من اتساع صفحاتها بضعة سنتيمترات ، وان ابقت على طولها كما هو ، فبدا شكلها اكثر استطالة . وبررت الصحيفة هذا الاجراء بانه يجعلها « اكثر رشاقة .

واكثر راحة اثناء القراءة » ، وقالت كذلك ان الحجم الجديد سبقت اليه الصحف العالمية الكبرى ، وانه سيوفر نحو عشرة في المائة من كمية الورق المستخدم في اصدارها » • واكدت الصحيفة ان فائض حجم الورق الذى يوفره هذا الاجراء قد استغل لخدمة القارىء ، اذ انه مكن من اضافة صفحتين الى كل عدد •

وصحيح ان الحجم الجديد لكل من « الاخبار » و « اخبار اليوم » قد سبقت به عدة صحف عالمية ، ولكن ذلك كان لمقتضيات طباعية بحتة ترتبط بمقاييس لفات الورق الذى يصنع خصيصا لتلك الصحف والطنابير التى تركب عليها تلك اللفات فى عملية الطبع ، وغير ذلك من اعتبارات تقنية • ومع ان « الاخبار » نشرت بعض التعليقات السريعة التى ايد اصحابها هذه العملية التطويرية ، فالحق انها مازالت فى حاجة الى دراسة متانية تعتمد على التحليل التيبوغرافى الدقيق الذى يتناول مثلا اتساع اسطر الجمع الجديدة والبياض المتاح بين الاعمدة (راسيا) وبين الموضوعات (افقيا) وفى الهوامش ••• الخ ، وتعتمد كذلك على استبيان القراء بشكل علمى سليم ، وعلى دراسة اقتصادية احصائية ، حتى يمكن تقويم التجربة تقويما موضوعيا •

أما عملية تطوير « الاهرام » التى طبقت بعد عملية زميلتها بايام قليلة ، فقد تركزت على المضمون دون الشكل • وقدمت « الاهرام » لذلك - فى رد غير مباشر على « الاخبار » - بكلمة رددت فيها هذا المعنى ، واكدت ان حجم الصحيفة « تاريخى » اعتادت عليه اجيال من القراء ولا يجوز المساس به وقالت ان هذا « لم يكن يعنى ••• اغفال الشكل تماما •• » ، فقد كانت الفكرة هى ان تضيف الاهرام « الى الثوب الذى تقدم فيه المضمون اكبر قدر من اللمسات الفنية •• بحيث يحقق الجاذبية وييسر التناول » •

ويتلخص تطوير « الاهرام » ، الذى قدمت له بافتتاحية مطولة ، فى زيادة بعض الابواب التحريرية والتوسع فى بعضها الاخر ، بحيث يصل مجموع صفحات العدد الواحد الى ما يتراوح بين ٢٠ و ٢٤ صفحة تقدم للقارىء زادا صحفيا متنوعا ومادة شاملة ومتكاملة ، وتزيد كذلك صفحات الطبعة الدولية بمقدار صفحتين • ووعدت « الاهرام » بأن تكون الاحتياجات المحلية والعربية والدولية بما نشأت عنه من تغيرات ملموسة هى « النقاط الحاكمة » لما سوف تقدمه من خدمة صحفية بمقتضى هذا التطوير • وكانت اهم معالم ما حدث من تغيير تخصيص صفحة للتحقيقات الخارجية وصفحتين للرأى وصفحة للشئون العربية وصفحة كاملة للرياضة يوميا وصفحتين للمرأة اسبوعيا • اما من حيث الشكل فقد اتسم الاخراج الذى اختارته «الاهرام» لصفحاتها بأنه أوضح فكرة «التبويب» الجديد ، كما وظف عدة عناصر تيبوغرافية لم تستخدم من قبل كبعد أنواع حروف الجمع والعناوين ، وعدل بعض رءوس الابواب الثابتة • وهذا التطوير يحتاج بدوره الى التقويم الموضوعى الذى يتم عن طريق استبيان علمى مدروس •

● الصحفيون والقانون الجديد

هذا عن الصحافة ، فماذا عن الصحفيين انفسهم ؟ ان قانون الصحافة

لم يقدم لكثرتهم الغالبة شيئا ، بل انه حولهم الى «موظفين» يتبعون مؤسسات عامة تملكها الدولة ولها قياداتها العليا ذات الصلة الوثيقة بجهاز الحكم ، ثم اسلمهم الى المجلس « الاعلى » للصحافة يحدد اوضاعهم ويتحكم فى مصائرهم ٠

وفى اوائل العقد اصيب الصحفيون بضربة عنيفة بعد صدمة القانون الجديد، عندما مستهم قرارات سبتمبر ١٩٨١ ، فزج بعدد منهم فى المعتقلات بحركة غير متبصرة ٠ ولكن يمكن القول انهم كان لهم فى نقابتهم درع صلبة نافحت عن حقوقهم وحمت مصالحهم وحافظت على كيانهم وقدمت لهم الكثير من الخدمات ٠

ان النقابة ، بالرغم من انها تضم مختلف التيارات والاتجاهات، وبالرغم من تعرضها لضغط السلطات ، فالحق انها ظلت منذ قيامها تمثل للصحفيين دائما دار امن وامان ، تبذل غاية جهدها لتقيهم غدر الزمان ٠ لقد سعت النقابة ما وسعها السعى للتخفيف من بطش السلطة ببعض الصحفيين ولاصلاح ما فسد من العلاقات بين الطرفين ، كما طالب مجلس النقابة – فى الحاح – بتعديل قانون الصحافة الذى اتضحت منذ صدوره جوانب القصور فى احكامه ٠

وخلال هذا العقد ، الذى تعاقب فيه على مقعد النقيب ثلاثة نقباء ، لم تقصر النقابة فى القيام بواجبها قبل اعضائها بقدر ما سمحت به امكاناتها ، فرفعت معاشاتهم وعملت على زيادة مرتباتهم وحصلت لهم على عدة تسهيلات فيما يتصل بحصولهم على احتياجاتهم ، وانشات لهم عيادة طبية لعلاجهم هم واسرهم باسعار رمزية ، ونظمت لهم الدورات التعليمية والتدريبية، ثم وقفت موقفا مشرفا وشجاعا فى وجه بعض كبار المسئولين الذين حاولوا المساس بكرامة عدد من الصحفيين ٠

وعملت النقابة كذلك على ان تكون على علاقة طيبة بمختلف المنظمات الدولية الصحفية التى تشعبت بين اليمين واليسار ، حتى تكون فى مامن من مزالق الانحياز وما قد يجره من متاعب ٠

غير ان نقابة الصحفيين المصريين يكبلها عن الانطلاق والفاعلية الكاملة قيود ومعوقات ٠ فقضية استقلالها كانت ولاتزال مجال احتكاك بينها وبين السلطات ، اذ ان النقابة مازالت تعمل طبقا لقانون ١٩٧١ الذى قيد حركتها وجعلها فى كثير من امورها خاضعة لامر « الاتحاد الاشتراكى » او لما يقرره « وزير الثقافة والاعلام » ٠ وليس من المعقول ان يستمر هذا القانون مطبقا حتى الان بعد ان زال الاتحاد الاشتراكى وانقسمت وزارة الثقافة والاعلام الى وزارتين ٠ ومن ناحية اخرى فان قانون « سلطة » الصحافة وما تضمنه من احكام ، والمجلس الاعلى للصحافة وما يمارسه من صلاحيات ، يمثلان اكبر العوائق فى سبيل انطلاق نقابة الصحفيين الى تحقيق اسمى غاياتها بوصفها من اهم النقابات المهنية واكثرها فاعلية ٠ ولقد كان ذلك وراء تفكير النقابة مؤخرا فى عقد مؤتمر كبير فى اوائل العام الجديد لبحث مشكلات الاوضاع الحالية للصحافة والصحفيين ، وعلى راسها ما يتصل بقانون الصحافة الحالى ٠ ولعل ذلك ان يكون بداية السير فى الطريق الصحيح واستهلالا طيبا لعقد جديد ؛



شهريات

حصاد العام الثقافى ....

ماذا جرى عام ١٩٨٩ ؟

● ● تابعت «شهريات الهلال» طوال العام الماضى بقدر المستطاع ، النشاط الثقافى فى مصر ، وعرضت لأبرز ماجرى فيه حسب المساحة المتاحة ، وبمناسبة انتهاء العام نقوم بمراجعة شاملة لحصاد العام ، استكمالا لبناء هذا العدد من الهلال الذى يقدم مراجعة شاملة لحصاد الثمانينيات الثقافى والفكرى ..

١ - حوارات حول القضايا العامة

شهد العام المنصرم (١٩٨٩) نقاشات وحوارات متعددة حول عدد من القضايا العامة التى تتعلق بآفات الثقافة العربية فى مصر ، ولأن فوز أديبنا الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب جاء فى نهاية العام ، فإن أدبه وماتفرع عنه من مسائل نال الجانب الأكبر من هذه النقاشات ، إن يكن عبر الندوات الحية أو المذاعة ، أو عبر المنابر والصحف ، بل وحتى فى بطون الكتب ، وقد أثارت هذه النقاشات ، مرة أخرى ، قضية محلية الأدب وعالميته ، كما أثارت الكثير من القول حول سلوك الكاتب تجاه عمله ، وتجاه مجتمعه بالإضافة إلى عدد كبير من القضايا النوعية المتعلقة بالرواية ، وما إذا كانت ستحل ، فى المستقبل ، مكان الشعر ، باعتبارها المعبر الأكثر قدرة عن هموم المجتمع العربى .

بالإضافة إلى ذلك أثيرت عدة قضايا ، يمكن إجمالها تحت التنوير والنهضة ، التى بدت أحيانا ، وكأنها تثار للمرة الأولى ، مع أنها فى الواقع ، مثارة منذ بداية القرن ، وإن كان المقام يقتضى منا الإجمال ، فإن ما أثير من قضايا يمكن إجماله تحت عناوين تندرج فى إطار السلفية والتجديد ، والأصولية والتنوير ، سواء كان ذلك على مستوى الإبداع الثقافى ، أم الفكرى ، لكن الملاحظة التى أبداها البعض قالت بأن هذه الحوارات فى مجملها قد اتسمت أحيانا بهبوط المستوى ، أو لتقل بتكرار المقولات دون إضافة علاوة على إفتقادها للتقاليد البناءة ،

بمعنى محاولة استماع الآخر ، والرغبة فى تجاوز «التكفير» إلى الاستفادة المتبادلة

لكن الملاحظ أن هذه المناظرات لم توفر موضوعا واحدا دون أن تطرقه ، بدءا من قضايا التعليم وتأثيره على ثقافة المجتمع ، والآثار وضياعها أو استغلالها الأمثل ، والصحافة وتطويرها ، ثم هبوط الأغنية والرغبة فى تجاوز أزمتها ، ومجددا ، عروبة مصر ، وقضايا الإدمان .. الخ .

٢ ـ المسرح

لعل المسرح قد نال العام الماضى النصيب الأكبر من النقاشات ، ربما لسببين :

ـ الأول : بروز ظاهرة الرواج المسرحى .

ـ الثانى : مهرجان المسرح التجريبى ، ونشاط دار الأوبرا .

● فقد أصبح المسرح التجارى ، أو ما أسماه البعض المسرح السياحى ، مشروعا مربحا إلى حد مذهل ، وعلى سبيل المثال فإن أحد العروض المسرحية حقق خلال العام الماضى دخلا يوميا وصل إلى ٣٥ الف جنيه ، أى انه وخلال عام من العمل (٢٨٨ يوما) حقق هذا العرض عشرة ملايين و ٨٠ الف جنيه مصرى .

وقد أثرت هذه الحقيقة على الظرف العام للمسرح مما يمكن إجماله فى عدة نقاط :





نجيب محفوظ

د . فؤاد زكريا



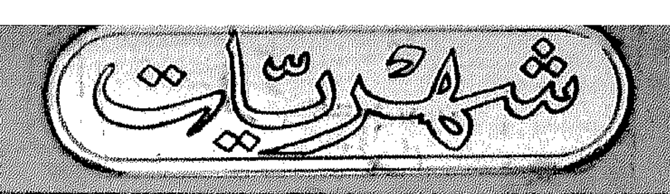
القطاع الخاص .. نصوص جادة .



د . لويس عوض



د . على الراعى



- تحول ، أو لنقل استمر ، المسرح الخاص السياحى إلى الخفة والابتذال (اللغوى والقيمى) حتى أصبح فى أغلبه ، « كاباريها » استعراضيا ذا طابع جنسى ، حتى يساير المشروع التجارى .

- غيرة «مسرح القطاع العام من هذا النجاح التجارى ، وشيوع مقولة : ضرورة الالتفات للشباك ، مما جعله فى عدة حالات منافسا لابتذال القطاع الخاص .

ومع ذلك فقد سجل العام الماضى حقيقة مبشرة :

- نجاح تجارى معقول لعدة عروض مسرحية جادة ، حققت فى نفس الوقت دخولا اقتربت بنسبة ٦٠ ٪ مما حققته أكثر المسرحيات شعبية ، وجاء بعض هذه العروض من قبل القطاع الخاص الذى تشكلت فرقة من أبناء المهنة الذين يتمتعون بدرجة عالية من الحرفية (انقلاب ، وجهة نظر .. إلخ) .

- نجاح جماهيرى لمسرحيات جادة من إنتاج القطاع العام حقق نسبة معقولة من الدخل ، وإن كان توزيع هذا الدخل هو القضية التى طالب البعض بالنظر إليها بعين الاعتبار مابين الادارة والفنانين الذين يهرب أغلبهم من العمل مع القطاع العام ، إلى القطاع الخاص جريا وراء الربح .

وبشكل عام يمكن القول أن « المسرح المصرى » .. أصبح مشروعا اقتصاديا ناجحا ، مما دفع برأس المال إلى الدخول للاستثمار به ، ولعل النتيجة الطبيعية لذلك جاءت على هيئة افتتاح عدد كبير من المسارح الجديدة ، التى لو تم استثمارها بشكل جاد لكانت النتيجة التى نرجو أن تتم فى صالح الثقافة ، وليس ضدها .

وعن مهرجان المسرح التجريبى ، فقد تقدم هذا العام ببانوراما أكثر اتساعا من حيث الفرق الأجنبية التى استضيفت ، وإن كانت المآخذ ، حول تنظيمه وإدارته ، مازالت فى غير صالحه ، كما كان التمثيل المصرى والعربى غير لائق ، وهذا التوجه إلى مزيد من الفرق الغربية ، وسيادة مفهوم التجريب الغربى على أغلب العروض ، هو مايفسر ، ابتعاد ناقد كبير له توجهاته العربية فى المسرح ، هو الدكتور على الراعى عن تصدر رعايته ، وتقدم الدكتور لويس عوض بما عرف عنه من ميول فكرية لتصدر هذه الرعاية ، وكان هذا منطقيا وطبيعيا .

أما عن الأوبرا نفسها فقد أثارت نفس القضية ، نعنى قضية الانفتاح نحو الثقافة الغربية ، ومعناه ، وضرره أو إفادته .

٣ - السينما

لم يصل وضع السينما إلى الرواج الذى حققه المسرح (إنظر مقال مصطفى درويش فى هذا العدد) وإن كان الملاحظ ان الأزمة الطاحنة التى عانتها السينما خلال أعوام ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، والتى وصلت إلى بطالة شبه كاملة لأغلب العاملين فيها ، قد بدأت تنفرج نسبيا ، بدءا من العام الماضى (٨٩) وما هو فى الأفق من مشاريع سينمائية بأن خطوات للأمام تبدو للعيان ، ومع ذلك فإن التخوفات مازالت قائمة ، من سوق الفيديو ، الذى بدأ كمنافس شرس للعروض السينمائية ومن جهة ماجرى

خلال المهرجانين السينمائيين الكبيرين فى العام الماضى ، فقد عكست قضية .. « اتحاد الفنانين » بظلالها على مهرجان القاهرة السينمائى ، الأمر الذى دفع إلى حالة من الانقسام والتفتت من جهة ، وبروز ظاهرة «مافيا السينما» من جهة ثانية ، مما أدى إلى غياب شبه كامل للمبدعين الحقيقيين عن هذا المهرجان .

ثم جاء مهرجان الإسكندرية السينمائى بما يؤكد على حقيقة ، أو لنقل ضرورة طرح الهدف من هذه المهرجانات : هل هو هدف سياحى وتجارى ، أم هدف ثقافى . على مائدة النقاش .

٤ ـ مهرجان الإسماعيلية

إن كان هناك شبه إجماع على شىء ، فإن الإجماع جاء هذا العام على أن مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية جاء هذا العام محققا لهدف أصيل هو : كيف يمكن أن يكون الفن وسيلة أساسية من وسائل التنمية الحضارية ، ومن حضروا أيام المهرجان فى الإسماعيلية ، وصلتهم تلك الرسالة التى تبدت فى حجم كبير لمشاركة الأهالى ، فيما جرى ، فراينا الناس ، والفرق الشعبية التى قدمت من أغلب البلاد العربية ، ومن بلدان أخرى عديدة ، يلتحمون ببعضهم البعض ، وانتهى المهرجان ، وقد صرف حتى أولاد المدارس على هذه الفنون واحتكوا بالفنانين ، فى قاعات العرض ، وفى الشوارع ، الأمر الذى يجعل هذا المهرجان مشروعا ناجحا إلى حد كبير .



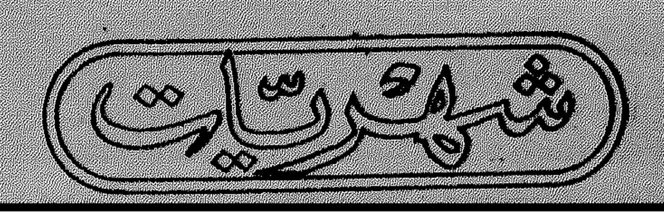
فاروق حسنى
الانفتاح
على الغرب .



شباب العالم فى الاسماعيلية



طه حسين ..
ومستقبل الثقافة



٥ ـ ندوات ومهرجانات اخرى

لاشك أن القاهرة ، وحتى فى أصعب الظروف ، كانت دائما المكان الأكثر حيوية من ناحية مايقام على أرضها من ندوات تمتد على مدى العام ، وفى كل المجالات تقريبا ، وإذا كان المقام يقتضى منا الايجاز ، فلابد من الاشارة إلى :

ـ مجموعة الندوات النشطة التى قامت بها منظمة التضامن الأفرو آسيوى (الفرع المصرى) التى أثارت نقاشات امتدت من العلاقة بين المثقفين والسلطة ، وحرية التعبير ، وحتى الأغنية العربية ومشاكلها ، وجاءت فى الأغلب الأعم ، على أكثر مايمكن الطموح إليه من الجدية وأثارت العديد من القضايا الحيوية .

ـ اجتماعات المجلس الرئاسى لاتحاد اسيا وأفريقيا ، الذى عقد لأول مرة فى القاهرة ، بعد أن تم انتخاب لطفى الخولى رئيسا لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا ، وقد ناقش الكتاب المجتمعون ، ومنهم : يفجينى سيدروف عميد معهد جوركى للآداب والفنون (موسكو) الأمين العام المساعد للاتحاد ، وكوزى هارا الكاتب اليابانى ، ومهشام ساهنى ، الكاتب الهندى ، والشاعر محمود درويش رئيس اتحاد كتاب فلسطين ، ومحلى عقلة عرسان رئيس إتحاد كتاب سوريا ، وعزيز نسين أشهر كتاب تركيا ، وبعد يومين من النقاش انتهوا إلى إصدار التوصيات التالية :

● الاتفاق على ميزانية مؤقتة لمجلة لوتس إلى حين الانتهاء من دراسة جدوى المجلة كيفا وكما وتكلفتها الاقتصادية .

● إصدار مجموعة من النشرات الدورية التى تغطى أخبار الاتحاد .

● الانفاق على ميزانية الاتحاد لعام ٨٩ ـ ٩٠ والبحث عن وسائل زيادتها .

● العمل على افتتاح المقر الدائم للاتحاد بالقاهرة فيما بين شهرى مارس ومايو القادمين ، كما تقرر عقد اجتماع الامانة العامة فى يناير القادم فى مدينة موسكو .

● طه حسين

ـ وفى التاسع من نوفمبر جاء أول مؤتمر علمى اقامته كلية آداب القاهرة بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد عميد الأدب العربى طه حسين ، وقد استضاف المؤتمر الذى اشرف على تنظيمه الدكتور جابر عصفور ثمانين مفكرا وناقدا ومبدعا من أنحاء العالم العربى ، وبعض البلدان الأخرى ورفع شعار : طه حسين .. مستقبل الثقافة المصرية .

وعلى مدى أربعة أيام دارت النقاشات ساخنة حول :

● فكر طه حسين
● إنجازاته الأدبية والنقدية
● الماضى . الحاضر . المستقبل
● العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية

● وإجمالا يمكن القول إن الأبحاث التى قدمت والمناقشات التى دارت حولها اعتمدت فى الأساس لا على كون طه حسين ماضيا انتهى ، ولكن بوصفه حاضرا فكريا نعيشه ، وبوصفه افقا إبداعيا ينبغى أن يعاد تأمله لاكتشاف طرق جديدة لآفاق مستقبل الثقافة

العربية ، أى أن هذه الابحاث تناولت هذا الفكر بوصفه نقطة ابتداء ، وليس نقطة إنتهاء .

٦ - الدوريات وغيرها

وعلى جبهة المجلات الثقافية الدورية وغير الدورية فإن ماحدث طوال العام يمكن إجماله فى التالى :

- انتشرت ظاهرة المطبوعات الإقليمية فى الجامعات والنوادى بشكل لافت للنظر ، وربما كان «مؤتمر ادباء الأقاليم» مغذيا لروح القائمين على هذه النشاطات بنوع من التاكيد على حاجتهم للتميز ، وجود منابر خاصة بهم ، الأمر النابع من إحساسهم بان « منابر العاصمة » لاتكفيهم ، أو لاتعبر عنهم ، أو لنقل ، تضيق بهم .

- لم تصدر المطبوعات التى ازدهرت فى سنوات سابقة ، والمسماة بمطبوعات الماستر ، جديدا ، وإن كانت قد صدرت مجلة متميزة ، هى امتداد لتلك الظاهرة احداثها مجموعة أصوات وحملت اسم «الكتابة السوداء» ، وهى إن استمرت نعتقد انها ستكون إضافة جادة لمجلاتنا الثقافية .

- ارتبك صدور بعض المجلات الصادرة عن هيئة الكتاب (إبداع - فصول) فتاخر هذا الصدور وتقدم حسب الظروف ، كما تراوحت فى العطاء من حيث حيويته واهميته ومستواه الأمر الذى جعلها موضوع تساؤل ماإذا كانت تقوم بدورها المنوط بها أم لا ، وفى هذا الإطار، لايجب أن نغفل مجلتين جديدتين اصدرتهما هيئة الكتاب واحدة لعلم النفس والاخرى للمسرح .

٧ - الكتب

تزايدت أعداد الكتب الصادرة فى مصر إجمالا العام الماضى ، وإن كان الكاتب المصرى لايزال يعانى من جودته الإنتاجية ، وإعداده التحريرى بشكل ملحوظ ، وإن كان الإبداع قد لحق به قليل من النشاط إلا أن الملاحظ :

- شيوع ظاهرة «كتب الساعة» الخفيفة ، سواء تلك التى تعرض لموضوعات خاصة بالنجوم والفضائح السياسية والاجتماعية ، أو تلك التى تتناول قضايا اجتماعية ساخنة ، كقضية توظيف الأموال ، أو سلمان رشدى ، أو جماعات التطرف والاغتيالات السياسية .

- لاتزال الكتب الدينية ذات الطابع السياسى هى الأكثر نشاطا وتوزيعا ، مما جعلها عملا مربحا اتجهت له الكثير من دور النشر الخاصة بالذات ، بالإضافة إلى ثبات رواج الكتب التراثية عند حدها المتعارف عليه

●●●

وفى النهاية لايسعنا إلا القول بأن هذه الجردة ارادت أن تقدم « صورة عامة » سبق لنا تفصيل بعضها فى أعداد الهلال السابقة طوال العام ، وكل عام وأنتم بخير .

عبده جبير



عقد الثمانينات في السياسة العربية

بقلم : جميل مطر*

لكل عقد من عقود العرب المعاصرة صفة تميزه عن غيره . والصفة قد تكون ـ او لاتكون ـ ايجابية ، وقد تتشابه عقود العرب فى اشياء او احداث رئيسية ، ولكنها ايضا تختلف فى توجهها العام . مثلا ، كل عقود العرب الحديثة منذ الاربعينات ونهاية بالثمانينات شهدت حروبا كبرى . فى الاربعينات كانت حرب فلسطين الأولى ، وفى الخمسينات حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وفى الستينات وقعت حرب ١٩٦٧ ، وفى السبعينات شن العرب حرب اكتوبر ، وفى الثمانينات وقعت حرب الخليج . وفى كل العقود منذ الاستقلال لم يخل العالم العربى من نزاعات ، لم يتصاعد اى منها الى حد يقترب من حروب اوروبا المدمرة فى النصف الاول من القرن ، ولكنها كانت كافية لعرقلة تقدم العرب وتكاملهم وتحقيق امنهم .

وكما تشابهت العقود فقد اختلفت فى نقاط رئيسية . ففى الاربعينات انشئت الجامعة العربية كأول واهم خطوة مؤسسية يخطوها النظام العربى نحو اثبات خصوصيته ووجوده . وفى الخمسينات ساد مد قومى كان له الفضل فى تحقيق واستكمال استقلال معظم الاقطار العربية وتحققت خلاله أول تجربة وحدوية عربية . وفى الستينات جرب بعض العرب الاشتراكية كنظام سياسى واقتصادى واجتماعى ونشب اول صراع سياسى حاد بين العرب . وفى السبعينات تحقق الانحسار القومى وتبعثرت ارادات الاقطار العربية وتصاعدت الصراعات بينها ، رغم انه العقد الاكثر ثراء فى تاريخ المنطقة منذ العصور الاسلامية الأولى

---

* مدير المركز العربى لبحوث التنمية والمستقبل

الثمانينات كانت عقدا مختلفا . فحيث تشابه مع العقود السابقة فى انه هو الآخر شهد حربا ضروسا ، أو حيث اختلف عن العقود السابقة فى التوجه العام ، فى الحالتين كان عقد اعادة تقييم العقود السابقة فى انجازاتها وسلبياتها . فى كل العقود السابقة على الثمانينات كانت هناك توجهات عامة جديدة ، قد تتناقض مع بعضها ، ولكن جديدة . ولذلك حق القول على النظام العربى انه شهد تقلبات فكرية وايديولوجية وسياسية واقتصادية واجتماعية مالم يشهده اى نظام اقليمى آخر . ففى اوروبا مثلا شهدت نفس العقود ـ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينات ـ منحنى صاعدا مستقرا نحو هدف محدد . التكامل القطاعى تطور الى تكامل جمركى فاقتصادى هو الآن يكاد يحقق ما يقترب بأوروبا الى الوحدة السياسية . وفى شرق آسيا وجنوبها الشرقى ، تطورت بعض اقطار المنطقة من حالات تخلف شديد الى حالة تقدم صناعى وتقنى واستقرار سياسى منقطع النظير . وفى المثالين الاوروبى والاسيوى لم تكن هناك تقلبات ولا انتكاسات ولا منحنيات تهبط بعد ان تبدأ الصعود . وعلى عكس هذين المثالين كانت عقود العرب صاعدة هابطة فى متواليات غير منتظمة وغير مبررة .

من هنا ، اعتقد ان الثمانينات شهدت محاولات اعادة تقييم المسارات . هذه المحاولات فى ذاتها تؤكد عدم استقرار منحنى التطور فى النظام العربى . فاعادة التقييم لا تعنى بالضرورة نهاية مرحلة



مجلس التعاون العربى امل من اجل نصر جديد



الجامعة العربية عود حميد لمصر



تقلب والشروع فى بداية مرحلة استقرار . وربما لاتعنى بالضرورة ايضا استمرار حالة التقلب . ولكن المؤكد انها تعنى ان العرب اكتشفوا ان المحصلة الكلية لعقود اربعةمحصلة سلبية ، وأن الامر يحتاج الى وقفة طولها عقد كامل يحاولون خلاله اتخاذ ما يعتبرونه اجراءات تصحيحية شملت تقريبا مختلف متغيرات النظام العربى .

وربما لايسمح المجال هنا لحصر مختلف اجراءات اعادة التقييم او تصحيح المسارات ، فالاجراءات متعددة وبارزة ومتنوعة . ولكنى اختار منها ما يساعد على تشخيص الحالة الراهنة للنظام العربى واحتمالات التطور فى المستقبل .

● العلاقات العربية الغربية

على صعيد العلاقات العربية الغربية بين الاقطار العربية ، تكاد تجمع تحليلات المنظرين السياسيين وآراء الممارسين على ان عقد الثمانينات يستحق صفة عقد التهدئة والوفاق فى النظام العربى . ولا أشذ عن هذا الاجماع . فقد بذلت خلال هذا العقد جهود جادة وحقيقية من اجل تسوية نزاعات عربية متعددة . نجح بعض الجهود ، وفشل بعضها . ولكنى اعتقد ان التهدئة طالما ظلت انجازا منفصلا عن اطار كلى يدعمها ، لن تتجاوز كونها إجراء محدودا هشا . واذا راجعنا قائمة التهدئات التى تحققت خلال هذا العقد ، فسوف نجد انها تتشابه فى عدد من النقائص . كلها لم يعالج اسس النزاعات ومصادره الرئيسية ، وكلها لم تضع ضمانات ضد انتكاسها ، وكلها خلت من تطلعات مستقبلية . بهذا المعنى تكون التهدئة انجازا وقتيا حققه النظام العربى . ربما ينجح فى تحويله الى انجاز دائم اذا اسرع فى استثماره والبناء فوقه وحوله . لايكفى ان نصحح بعثرة عقد السبعينات بتهدئة هشة أو غير مرتبطة بانجازات اخرى . ولكن المؤكد امامنا الآن ان عقد الثمانينات ينتهى ولم يحقق هذه النقلة الاساسية والضرورية .

كذلك شهدت الثمانينات محاولة اعادة تقييم المؤسسات العربية المشتركة وخصوصا جامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة . وفى رايى ان التجمعات الاقليمية التى نشات خلال هذا العقد كانت محاولة من محاولات تصحيح مسار هذه المؤسسات . ولكل تجمع تصوره التصحيحى الذى يعبر بشكل ما عن نتيجة التقييم ، فالتعاون الخليجى قام تعبيرا عن حكم بفشل الامن الجماعى العربى . والتعاون الرباعى قام تعبيرا عن حكم بفشل التكامل الاقتصادى العربى ، والمجلس المغاربى قام تعبيرا عن حكم بفشل الحوار العربى الاوروبى . ولكى نحكم نحن على هذه الاجراءات التصحيحية وسلامة اهدافها ومدى اتساقها مع المصلحة الكلية للنظام العربى ، يجب أن نقيس ما تحقق مع هدف التصحيح . ولا يخفى بالتاكيد ان مجلس التعاون الخليجى لم يحقق اضافة

هامة الى الامن الجماعى العربى ، ومجلس التعاون الرباعى لم يصحح مسار التكامل الاقتصادى العربى ، والمجلس المغاربى لم ينعش الحوار العربى الاوروبى . ربما حقق كل منها مصلحة اقليمية محدودة ، وهذا فى حد ذاته انجاز . ولكنه سوف يظل انجازا مؤقتا مالم يرتبط بحلول للمشاكل الرئيسية التى تسببت فى تعطيل التكامل الجماعى العربى وانكشاف الامن القومى العربى .

إن الجدل الناشب حاليا حول قيام التجمعات الاقليمية يكشف فى الحقيقة عن مزاج عقد الثمانينات . فالقائلون بأن التجمعات نشأت بسبب فشل الجامعة العربية وسقوط الفكر القومى الوحدوى يقارنون الثمانينات بعقد السبعينات . والقائلون بأن التجمعات خطوة منتكسة يقارنون الثمانينات بالاربعينات والخمسينات حين كانت الجامعة العربية سباقة بين مختلف المنظمات الدولية والاقليمية فى مجال التكامل الاقتصادى . عقد الثمانينات يكاد يفصح عما يدور فى نفوس القيادات العربية الحاكمة ، وهو عدم رضاء عما تحقق خلال عقود اربعة ، وتردد حول افضل الوسائل لتحقيق امرين فى وقت واحد ، تدعيم الارادة القطرية الضيقة والحاجة الى التعاون الاقليمى .

بالنسبة لبؤر التوتر الحادة ، لم يقدم عقد الثمانينات تسويات حاسمة . السودان تعقدت مشكلته مع بدايات تعدد المتدخلين من الخارج والمتصلبين من الداخل . ولبنان ـ بفضل الطائف ـ يدخل



اربعة وعشرين شهرا
من الحجارة النارية



زين العابدين .. يصافح بورقيبة
قبل ايام من إبعاده عن السلطة



عقد التسعينات متراوحا بدرجة متساوية بين تجديد صراعاته سلميا ، ومواصلتها دمويا . ولايبدو ما يشير الى نية الاطراف الخارجية فى انهاء تدخلاتها .

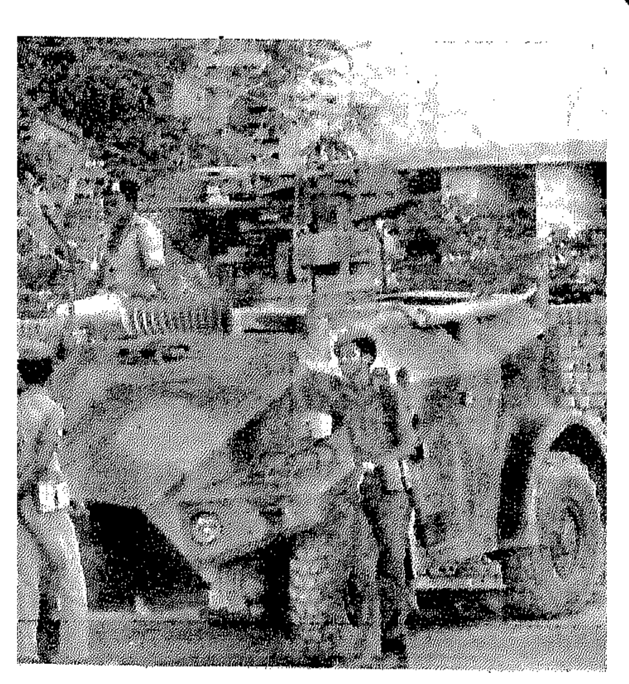
● الصراعات الاقليمية

وكما كان عقد الثمانينات عقد مراجعة واعادة تقييم ومحاولات تصحيح للعقود السابقة فى اطار العلاقات العربية ، كان ايضا عقد مراجعة واعادة تقييم ومحاولة تصحيح للعقود السابقة فى اطار العلاقات العربية مع دول الجوار . ففى هذا العقد تفجر صراع جديد كان مسرحه هذه المرة منطقة الخليج . وبدون الاغراق فى تفاصيل الصراع ومصادره وتطوره ، يكفى ابراز احدى علاماته المميزة وهى انه كان ايضا لتصحيح اجراء اتخذ فى عقد السبعينات حين عقدت العراق وايران اتفاقية الجزائر . وكغيره من اجراءات اعادة التقييم والتصحيح التى زخر بها عقد الثمانينات ، لم يسفر عن حسم واضح .

نفس التحليل ينطبق على تطورات الصراع العربى الاسرائيلى خلال هذا العقد . فمعظم السلوك المصرى خلال الثمانينات كل يعبر فى الحقيقة عن ارادة اعادة التقييم ورغبة فى التصحيح . وجزء من هذا السلوك تعلق مباشرة بتطورات الصراع مع اسرائيل . فى رأى البعض ان عقد الثمانينات ـ فى هذه النقطة ـ استطراد لعقد السبعينات . وان ما بدأته فى السبعينات كانت تستكمله فى الثمانينات . ولكن هذا الرأى لا تسنده إجراءات كثيرة اتخذتها مصر تجاه التطبيع والعلاقات مع اسرائيل والعلاقات مع الاقطار العربية وخصوصا مع منظمة التحرير الفلسطينية . ولذلك يبدو الرأى الآخر أكثر اقناعا . فالسلوك المصرى خلال الثمانينات كان اقرب الى محاولة تصحيح بعض السياسات فى حدود ما تسمح به توازنات القوة الدولية والاقليمية والداخلية ، كذلك كانت توجهات معظم الاقطار العربية الأخرى . فمنذ بداية الثمانينات دخل النظام العربى فى مجمله فى سلسلة من عمليات واجراءات اعادة تقييم مواقفه من اسرائيل خلال العقود الاربعة السابقة . وانتهى فى تقييمه باتخاذ قرار فاس الشهيرثم مواقف كثيرة مشتقة عن هذا القرار . **ولعل ابرز مثل على عمليات اعادة التقييم تلك التى قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية ابتداء من دورها فى فاس وانتهاء بالحملة الاعلامية والسياسية التى تشنها لاجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .**

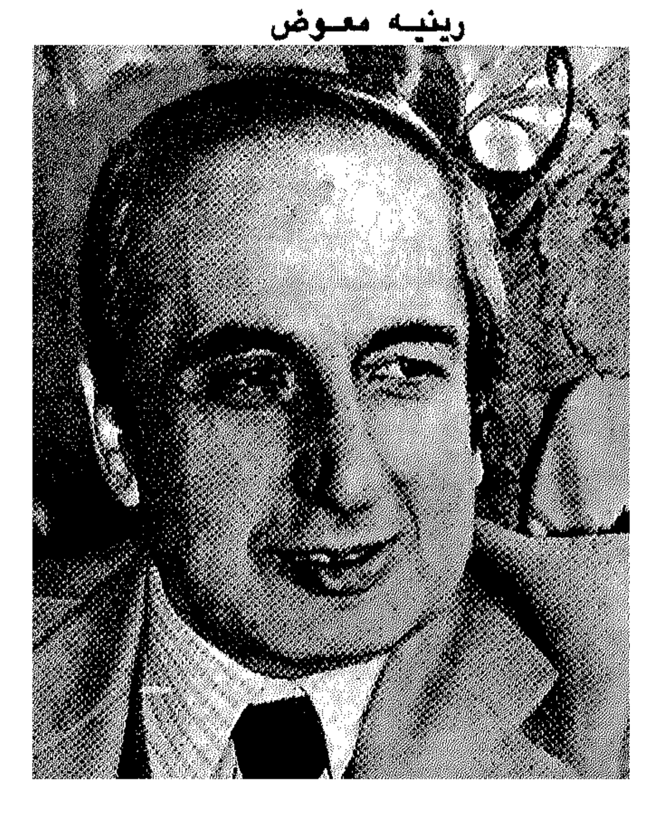
وهنا ايضا قد نجد اراء مختلفة . فمن قائل بان هذه الاجراءات ـ اجراءات اعادة التقييم أو أجراءات التصحيح ـ تجعل من عقد الثمانينات عقد السلوك الايجابى للنظام العربى . بهذا المعنى يصبح عقد تحول . ولكن هناك من يقول ايضا ان الاجراءات التى اتخذت فى هذا العقد يمكن تصويرها كعلامات بداية سقوط النظام العربى . الرأى الاول استند الى

ان الاعتدال سمة دولية لهذا العقد وانه يحافظ على بعض الحقوق العربية . والرأى الثانى يستند الى ان التنازل عن الحقوق يعني بدء التنازل عن مشروعات النظام العربى . وبين الرأيين رأى ثالث يعتقد ان عقد الثمانينات لم يحسم امرا من امور الصراع العربى الاسرائيلى ،وانه بالفعل كان عقده اعادة تقييم ، وليس عقد التغيير والتحول . وربما يدعم هذا الرأى واقع الانتفاضة الفلسطينية . **فالانتفاضة ثورة تصحيحية ، وبدورها فرضت اجراءات تصحيحية على اقطار عربية** اخرى ، ولكنها لم تنقل ـ على الاقل خلال عقد ثمانينات ـ الصراع من مرحلة الى مرحلة ، اى لم تحسمه كلية ، ولم تحسم مرحلة فيه . واسباب ذلك كثيرة ومعروفة ، اهمها طبعا التعتيم الاعلامى العربى على اخبارها وقطع روابط اى تفاعل شعبى عربى محتمل معها .



السودان أكثر من تغيير

رينيه معوض



● التطورات الداخلية

شهد عقد الثمانينات تطورات كثيرة على صعيد السياسات الداخلية للأقطار العربية ، من بين هذه التطورات تبرز ثلاث ظواهر مهمة . الأولى ظاهرة الزيادة الواضحة فى الاهتمام بالامن الداخلى والثانية ظاهرة التحول من القطاع العام ورأسمالية الدولة الى القطاع الخاص والثانية ظاهرة الديمقراطية . والظواهر الثلاث تؤكد ما يذهب اليه هذا المقال ـ من ان عقد الثمانينات كان عقد اعادة تقييم ومحاولات تصحيح . ففى نواحو

الامن الداخلى تدل الاجراءات المتخذة فى معظم - ان لم يكن كل - الدول العربية على ان الخطر الداخلى يسبق فى الاهتمام الخطر الخارجى . وتدل ايضا على ان الخطر الداخلى آت من التيارات الاسلامية وليس من التيارات اليسارية بتفرعاتها المتعددة . وتدل ثالثا على ان الفورة النفطية بدأت تفرز آثارها السلبية ، وخصوصا آثارها الاجتماعية والاقتصادية . هذه الدلائل وغيرها تعنى أنه حدث اعادة تقييم لمفاهيم الامن وابعاده ومصادره . ففى العقود السابقة كان الاهتمام الامنى مركزا على التيارات الاسلامية لتعاونها فى درء خطر اليساريين . وفى عقد الثمانينات حدثت اعادة تقييم واتخذت اجراءات تصحيحية ومع ذلك فقد انتهى العقد ولم يحسم الصراع الداخلى فى اى دولة عربية ضد التيارات الاسلامية . ولعل احد اسباب عدم الحسم يكمن فى ان التيار الاسلامى العام فى كل المنطقة العربية هو فى حقيقة الامر تعبير عن حركة اعادة تقييم . فكما ان القيادات الحاكمة عبرت بمختلف الاجراءات خلال عقد الثمانينات عن عدم رضاها عن تطور امور المنطقة واقطارها خلال العقود الاربعة الماضية ، كذلك يبدو ان قطاعات هامة من المتعلمين والشباب فى كثير من ارجاء الوطن العربى غير راضية هى الاخرى عن تواضع حصاد العقود الاربعة .

ثم هناك ظاهرة التحول من القطاع العام الى القطاع الخاص . ولاشك ان عقد الثمانينات سوف يبرز بين العقود المعاصرة باعتباره العقد الذى جرت خلاله عمليات مكثفة لاعادة تقييم المسارات الاقتصادية للاقطار العربية . والمشكلة الحقيقية التى تواجه القيادات الحاكمة فى كثير من الاقطار العربية انها غير مقنعة فى طرحها لضرورات تشجيع القطاع الخاص . والسبب فى ذلك ان تلك آمنت طويلا وكثيرا فى اهمية وضرورة القطاع العام ، وكثير منها اقام شرعيته على اساس هذا المبدأ . لو ان الانظمة الحاكمة الداعية للانفتاح الاقتصادى وبيع القطاع العام للقطاع الخاص كانت غير الانظمة الحاكمة التى وضعت العام موضع التقديس ، ربما حدث الاقناع ونشأت الثقة . ولكن والحال كما نعرف . سوف تظل القضية غير قابلة للحسم ، وهو بالتأكيد ما اسفرت عنه نتائج اعادة التقييم واجراءات التصحيح التى واكبت عقد الثمانينات فانتهى فى هذه القضية ايضا الى غير حسم .

وبنفس المنطق يمكن الحكم على ظاهرة الديمقراطية والتعددية السياسية . وهناك تفاوت لاشك فيه بين الاقطار التى تبنت الانتقال نحو التعددية ، ومع ذلك فهناك الكثير الذى يجمع بينها . ففى جميع الحالات خرجت احزاب التعدد من رحم السلطة المهيمنة ، وهى السلطة التى وجدت فى عقود او عقد سابق وكانت استبدادية ظالمة او استبدادية عادلة . وفى جميع الحالات برز نظام حزبى ضعيف وغير فعال ولم تحدث مشاركة

حقيقية فى صنع القرار . وفى جميع الحالات احتفظت السلطة السياسية وحزبها ورجالها وصحافتها بوضع الهيمنة . وفى جميع الحالات لم تفرج السلطة عن قاعدة عدم دورانها وعن قاعدة ان الطموح للسلطة عن اى طريق عمل انقلابى .

بالرغم من ذلك ، شهد عقد الثمانينات فى دولة عربية أو اكثر انفراجه ديمقراطية . وشهد فى عدد من الدول تمثيلية ديمقراطية . وفى الحالتين لايمكن الحكم بأن الانفراجة كانت كاملة أو تبشر بالاكتمال ، أو ان التمثيلية كانت مسلية أو محكمة الاخراج . المؤكد انه فى الحالتين وجدت رغبة فى اتخاذ اجراءات تبدو تصحيحية فى اطار اعادة تقييم ممارسات العقود السابقة . وهى اجراءات بدت ضرورية فى مواجهة عالم خارجى يزداد اقتناعه بحقوق الانسان وتدخله فى انتهاكاتها ، وضرورية احيانا للتخفيف من مسئولية السلطة عن تراكم الازمات ولكن دون التخفيف من هيمنتها وسطوتها .

عقد جديد من عقود العرب المعاصرة اوشك على الانتهاء . عقد حدث فيه الكثير من المراجعات واعادة التقييم واتخاذ إجراءات فى شكلها تبدو تصحيحية . ولكنه عقد لم تحسم فيه قضية عربية واحدة ، ولم يكتمل خلاله تطور او اتجاه اقتصادى او سياسى . عقد انتهى ولم يترك للعقد التالى مؤشرات مؤكدة او احتمالات واضحة .



عودة طابا .. اهلا وسهلا



باسم الشعب نعلنها
دولــة فلسطينــة



الأمن المصرى

والصراع العربى الاسرائيلى

بقلم: حسام سويلم
لواء ا.ح متقاعد

منذ أكثر من خمسة عشر عاما انطلق صوت الرئيس الراحل السادات من القاهرة داعيا الى ضرورة انهاء الحرب بين العرب واسرائيل مع اعتبار حرب اكتوبر آخر الحروب . ذلك أن العالم فى حاجة الى بناء نظام جديد اكثر تحضرا يفتح ذراعيه للنبوغ الفردى ليمكن إقامة صرح حضارة جديدة أكثر تعبيرا عن واقع منطقة الشرق الأوسط .. ومضت خمسة عشر عاما وأتت لحظة مواجهة الحقيقة بتقييم تلك الخبرة خلال تتابع وقائعها المختلفة عبر مسار الصراع العربى الإسرائيلى التى استغرقت فترة جيل كامل تسمح بذلك التقييم بهدوء وعقلانية . واذا كان العرب يسعون الى اقامة سلام شامل وعادل فى المنطقة يقوم على الحق والعدل ، فهل عبرت السياسة الإسرائيلية من خلال ممارستها طوال عقد الثمانينات عن اقتناع بهذا الحديث عن السلام ، وبناء إطار جديد للتعامل أساسه حسن الجوار؟

● جاء عقد الثمانينات وعلى رأس حكومة اسرائيل أكبر زعيم متشدد شهدته الدولة العبرية منذ انشائها ، وهو مناحم بيجن زعيم حزب حيروت ثم تكتل الليكود بعد ذلك ، ولم يكن مجىء بيجن الى الحكم فى يونيو ١٩٧٧ ومعه الجنرال الدموى شارون وزيرا للدفاع ، محض صدفة أو لتصحيح فشل حزب العمل لادارته لحرب يوم الغفران ١٩٧٣ : ولكن جاء تحسبا واستعدادا لمعركة السلام التى فرضتها مصر على اسرائيل عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والتى كانت تتطلب من وجهة نظر القائمين على المخطط الصهيونى بعيد المدى وضع أكثر قادة

اسرائيل تشددا وتطرفا فى موقع المسئولية لادارة معركة السلام وذلك حفاظا على الغايات والاهداف العليا لاسرائيل ، تلك الاهداف القائمة على تحقيق اسرائيل الكبرى من خلال مبدأى : التوسع وضم الاراضى ، ثم الاستيطان اليهودى .

واذا كانت التوجهات الأمنية فى مرحلة مابعد حرب اكتوبر وحتى أواخر السبعينات قد اتسمت باعادة بناء جيش اسرائيل ، حيث حدث نمو كمى لم يسبق له مثيل فى الجيش الأسرائيلى بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية التى تدفقت على اسرائيل أثناء وعقب انتهاء الحرب ، هذا الى جانب الاهتمام بقضية توفير عمق استراتيجى من خلال إنشاء مناطق منزوعة السلاح ومحدودة القوات فى المناطق العربية ، وتعزيز وسائل المخابرات والاستطلاع والانذار المبكر ، والعودة الى مبدا الدفاع الاقليمى من حيث تعزيز المستوطنات الحدودية وتكثيفها لخلق عمق استراتيجى صناعى لحين تعبئة الاحتياط . هذا بالاضافة لتوفير ضمانات دولية متعددة الاشكال أبرزها وجود قوات دولية او تابعة لطرف ثالث فى الأراضى العربية المجاورة لها ، مع عدم استبعاد شن الضربات الوقائية والمسبقة .

لهيب الحرب .. يؤدى إلى سنوات السلام





لذلك جاء عقد الثمانينات ليشهد عرضا واضحا لافكار بيجن وشارون ، والانتقال من الجانب الكمى لسباق التسلح الذى شهدته فترة حكم رابين فى السبعينات (حيث زاد حجم الدبابات ٥٠٪ والطائرات المتقدمة ٣٠٪ والمدفعيات ١٥٠٪ وناقلات الجند المدرعة ٨٠٠٪) الى الجانب النوعى حيث أدخلت تحسينات نوعية كثيرة بالاستفادة بالتكنولوجيا الأمريكية والاسرائيلية المتطورة .. وقد تمثل ذلك فى تطوير عائلة الصواريخ أرض / أرض أريحا ، فظهر أريحا ـ ٢ (٦٥٠ كم) واريحا ـ ٣ (١٤٥٠ كم) وتطوير الاسلحة والذخائر التى تتميز بدقة التوجيه والاصابة ، مع تحسين وسائل الحرب الالكترونية خاصة فى مجالى الاستطلاع والانذار واعمال الاعاقة والشوشرة ، هذا بالاضافة لتطوير أساليب القيادة والسيطرة الآلية ، وقد تحملت الصناعات الحربية الإسرائيلية قدرا كبيرا من مسئولية التطوير النوعى للقوات المسلحة الإسرائيلية ، كما زاد وتنوع انتاجها بما يزيد على حاجة الجيش الإسرائيلى ويسمح بالتصدير للخارج . ناهيك عن التطوير الذى أدخل على الأسلحة الفوق تقليدية ، والتى شملت ترسانة للأسلحة النووية تتكون من حوالى ٢٠٠ سلاح نووى مختلفة الأعيرة من بينها قنابل هيدروجينية ونيترونية طبقا لشهادة الخبير الأسرائيلى النووى مردخالى فانونو) تخدمها وسائل اطلاق متنوعة تشمل قاذفات وصواريخ أرض / أرض ومدفعيات ، هذا الى جانب امكانيات كبيرة فى مجال الحرب الكيمائية والبيولوجية .

● تحديد أسباب مبررة للحرب

واستنادا الى هذا التسلح الإسرائيلى التقليدى والفوق تقليدى ، فقد توسعت اسرائيل فى التحديات التى تواجهها بإدخال الاتحاد السوفييتى ضمن عدائياتها ، وتم الاعلان عن مجموعة من الاسباب المبررة للحرب Casus Belliوكان ذلك الاعلان تعبيرا عن وصول اسرائيل الى الحد السقفى فى التطور الكمى ، وعدم قدرتها على مجاراة العرب فى سباق التسلح الكمى وذلك بالنظر لمحدودية امكاناتها البشرية والاقتصادية . فأعلن شارون أن أسرائيل أوقفت النمو الكمى ، ولكنها ستواصل التقدم النوعى للحفاظ على الفجوة التكنولوجية بينها وبين العرب مع العمل على تعميقها . وكنتيجة للتهديد بانهيار التوازن الكمى مع غياب العمق الأستراتيجى لأسرائيل ، فإن ثقة اسرائيل بقدرتها على كبح هجوم عربى من منطلق دفاعى بحت أصبحت موضع شك . ومن ثم كان التوجه الأمنى لأسرائيل يلزمها بشن الضربات الوقائية والمسبقة فى حالة بروز أى من الأسباب المبررة للحرب .

● التعاون الاستراتيجى

رغم مواصلة حكومة بيجن السير فى نفس توجه الحكومات الأسرائيلية السابقة تجاه الولايات المتحدة ، فإن حكومته ومن بعدها حكومة شامير أولت اعتبارات أقل لرغبات واشنطن وفى بعض الأحيان مارست تحديات لحليفها الأكبر (قرار ضم الجولان ، وضرب المفاعل النووى العراقى وقضية تجسس بولارد) .. ويرجع ذلك الى اعتقاد زعماء الليكود أن



مناحم بيجين

أسرائيل هى الحليف لأمريكا الذى لا غنى عنه ، كذلك تمتع بيجن وشارون وشامير بقدرة أكبر على مقاومة الضغوط الامريكية . ساعد على ذلك تغلب اسرائيل على مشاكلها المادية والنفسية وقد استثمر بيجن توجه الرئيس الأمريكى السابق ريجان المعادى للسوفييت ، فاعتبر اسرائيل وكيلا معاديا للسوفييت . وكانت الثمرة توقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى بين البلدين بملاحقها المتعددة ، كذلك مشاركة اسرائيل فى مبادرة ريجان للدفاع الاستراتيجى (حرب النجوم) وكلاهما منح اسرائيل امكانيات دفاعية اضافية هائلة ، وقد أستفادت أسرائيل من توتر العلاقات الأمريكية ـ السوفيتية فى عهد ريجان ، وذلك بتعزيز نفوذها لدى واشنطن من منطلق تأمين المصالح الأمريكية فى المنطقة ضد الخطر السوفييتى ـ خاصة بعد التورط السوفييتى فى أفغانستان وقيام الثورة الخومينية التى أطاحت بالشاه الصديق للولايات المتحدة ، وفقد أمريكا لايران. ونشوب حرب الخليج التى هددت المصالح الأمريكية الحيوية فى هذه المنطقة .

● توسيع دائرة المجال الحيوى

وسع شارون من دائرة المصالح الأمنية لاسرائيل لتتجاوز دول المواجهة العربية ، بل العالم العربى كله . فنجده يعلن فى الكنيست فى ١٢ ديسمبر ١٩٨٢ أن دائرة المجال الحيوى لاسرائيل تشمل بجانب العالم العربى ، كلا من تركيا وايران وباكستان كما تمتد جنوبا لتشمل دول افريقيا الوسطى وأثيوبيا وحتى زيمبابوى . حيث لم تعرف مصالح اسرائيل الأمنية نطاقا عالميا كهذا من قبل . وكانت ترجمة ذلك فى صعيد الممارسات الإسرائيلية ، أن تكرر تهديد شارون بضرب المفاعل النووى الباكستانى فى كاهوتا ، وتعزيز نفوذ اسرائيل السياسى وتسهيلاتها العسكرية فى أثيوبيا ومدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وامداد نظام الخومينى بالسلاح والمعدات والخبرات والمعلومات فى حرية ضد العراق ، وما كشفت عنه فضيحة (ايران ـ كونترا) من دور خطير لعبته اسرائيل فى حرب الخليج . هذا الى جانب نقل الآلاف من اليهود الايرانيين والأفريقيين من أثيوبيا وزيمبابوى ودول اخرى فى أفريقيا



الى اسرائيل . تناهيك عن تعاونها الاستراتيجي في مختلف المجالات الامنية مع دولة جنوب افريقيا .

● اهداف الثمانينات

وحدد شارون في مطلع الثمانينات اهداف بناء القوة العسكرية الإسرائيلية في النص الآتي : تأمين قدرة اسرائيل على الاحتفاظ بتفوق كمي ونوعي وتكنولوجي قادر على مواجهة أي ائتلاف عسكري عربي ، وذلك بهدف منع الحرب بواسطة صمود رادع ضد أي تهديد لأمن وكيان اسرائيل . وفي حالة انهيار الردع ونشوب الحرب فإن القوة العسكرية الاسرائيلية يجب أن تكون قادرة على الحفاظ على سلامة وامن اسرائيل مهما يكن وضع بداية الحرب ، وذلك بضرب صميم القدرة العسكرية العربية ، ونقل المعركة دائما إلى داخل العمق العربي .

كما رسم الخطوط العامة لسياسة اسرائيل الأمنية في الثمانينات ، والتي تمثلت في الآتي :

● المحافظة على تفوق عسكري مبني على أساس توازن كمي ، وتفوق نوعي وتكنولوجي ، واحتكار نووي .

● منع تقويض الوضع السياسي والعسكري والاقليمي الراهن في الدول المجاورة .

● توسيع وتعزيز البنية الاساسية لاسرائيل في المجالات الاقتصادية والعلمية والديموجرافية ، بحيث يمكنها تحمل أعباء الأمن القومي .

● أجراء مفاوضات سياسية مع العرب من موقع راسخ أمنيا .

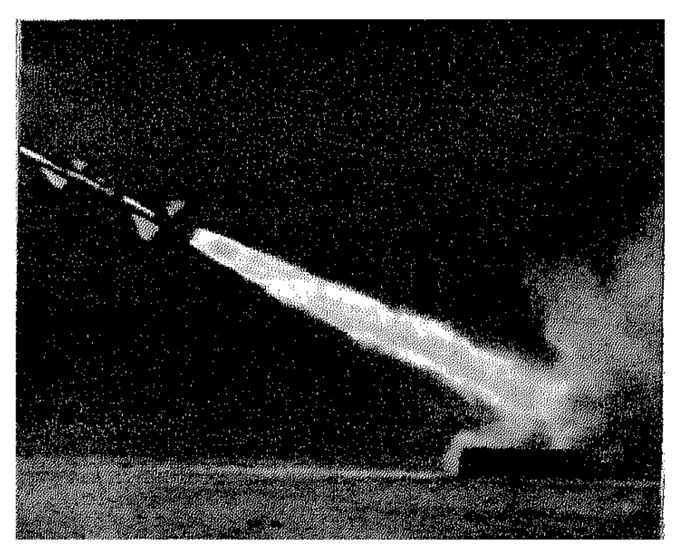
● بلورة اجماع وطني في إسرائيل حول الاحتياجات الامنية وقضايا الحرب والسلام ، مع تأمين نفس الاجماع مع منظمات اليهود في المهجر .

● توسيع وتعزيز مجالات التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة مع إشراكها في تحمل مسئولية الأمن الاسرائيلي مع تطوير علاقات أمنية بدول شرق أوسطية ، وأفريقية ، وفي مناطق أخرى من العالم .

ولقد تعززت قوة الردع الاسرائيلية خلال الثمانينات نتيجة امتلاك اسرائيل لأسلحة ردع تقليدية وفوق تقليدية بدأ الاعلان عن بعضها مثل المقاتلات ف ـ ١٥ وف ـ ١٦ وانتاج الدبابة بيركافا ـ ٣ ، والتلويح بالبعض الآخر مثل القوة النووية التي كشف عنها فانونو في التحقيق الذي نشرته الصانداي تايمز في ٥ يونيو ١٩٨٦ ، كذلك تجربتي اطلاق الصواريخ اريحا ٢ ، ٣ : الأول في يوليو ١٩٨٧ حيث سقط الصاروخ في البحر المتوسط جنوب جزيرة كبريت ، وقيل أنذاك أن مدى تطوير الصاروخ وصل الى ١٤٥٠ كم مما يهدد اهدافا في جنوب الاتحاد السوفييتي مما دفع السوفييت لتوجيه تحذير رسمي لاسرائيل من مغبة استمرارها في هذا البرنامج . بينما سقط الصاروخ الثاني في التجربة التي أجريت في ١٥ سبتمبر ١٩٨٩ شمال بنغازي في البحر المتوسط ايضا بـ ٤٠٠ كم ، وكان لهذه التجربة مغزاها بالنظر لبدء تطبيع العلاقات المصرية ـ الليبية .

وعلى صعيد تأكيد مصداقية الردع الاسرائيلي ، نجدها قامت في يونيو

١٩٨١ بضرب المفاعل النووى العراقى ، ثم شنت حربها فى لبنان فى صيف ١٩٨٢ ، بهدف القضاء على قواعد المقاومة الفلسطينية وانشاء "حزام امنى" فى الجنوب اللبنانى وتأمين احتياجاتها من المياه بتحويل مجارى انهار هذه المنطقة الى داخل اسرائيل .
وفى إطار الحرب اللبنانية قامت اسرائيل بتدمير شبكة الصواريخ أرض/ جو السورية فى البقاع اللبنانى ، وأسقطت ٨٢ طائرة سورية فيما لايزيد على ساعتين من الزمن وفى إطار استراتيجيتها المعلنة لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية فى انحاء العالم ، قامت اسرائيل بغارة جوية ضد مقر المنظمة فى تونس فى اكتوبر عام ١٩٨٥ دمر خلالها مقر قيادة المنظمة واعقب ذلك باغتيال «ابو اياد» الرجل الثانى فى المنظمة فى تونس ، واخيرا وفى إطار الممارسات الردعية تقوم قوات الجيش الاسرائيلى بممارسة كافة اعمال القمع الوحشية ضد الانتفاضة فى المناطق المحتلة ، والتى دخلت عامها الثانى .


حدد الاسرائيليون استراتيجيتهم لتامين قدرتهم على الاحتفاظ بتفوق كمى ونوعى فى السلاح ..

إلا أن مايقلق القيادات الاسرائيلية فيما يتعلق بعامل الردع وفاعليته ، انه رغم إدراك العرب لحقيقة قوة الردع الاسرائيلية ، فإنها لم تردعهم فى الواقع عن المبادرة بشن تحديات خطيرة للأمن الاسرائيلى ، ولم يمنع عامل الردع الاسرائيلى من استمرار سوريا فى تنفيذ سياستها الهادفة لتحقيق التوازن الاستراتيجى مع اسرائيل بالحصول على احدث المقاتلات والقاذفات والصواريخ السوفيتية ، واصرار سوريا على تبنى الحل العسكرى من أجل تحرير الجولان ، ناهيك عن استمرار اشتعال الانتفاضة الفلسطينية بتأييد عربى قوى ، والاعتراف بدولة فلسطين وبعرفات رئيسا لها .

ويتساءل الخبراء الاستراتيجيون فى اسرائيل عما يدفع العرب الى القبول بتلك المخاطر والتحديات فى وقت تأكدت فيه قوة الردع الاسرائيلية ببعدها التقليدى والفوق تقليدى ، بل وتأكدت مصداقيتها عندما مارستها اسرائيل بالفعل .

ولقد حاول الجنرال أهارون ياريف رئيس المخابرات الاسرائيلية الأسبق أن يجيب عن هذا التساؤل من وجهة نظره ، فقال : "إن السبب يرجع الى عدم توفر مصداقية كافية لدى العرب لاستخدام اسرائيل لكل ما لديها من قوة ردع وذلك لادراكهم إحدى سلبيات اسرائيل فى هذا المجال ، وهو التخبط الذى يحيط بعملية



صنع القرار السياسى فى اسرائيل بسبب التعددية الديمقراطية ، كذلك التخوف الاسرائيلى من رد الفعل العربى الذى رغم ادراكه حجم ماسيتكبده العرب من خسائر بسبب الضربة الأولى التى ستوجهها اسرائيل ، فإن العرب سيكونون قادرين على تحمل هذه الخسائر وتوجيه ضربة ثانية مؤلمة الى اسرائيل لاتستطيع تحملها وذلك بما يملكونه من صواريخ أرض / أرض تستطيع أن تصيب العمق الاسرائيلى بحجم من الخسائر يفقدها المزايا التى حققتها بضربتها الأولى هذا الى جانب أسباب أخرى ، منها تقرير العرب بأن البديل الآخر لعدم شنهم أعمال تعرضية ضد اسرائيل كان ولايزال دائما أسوأ من الحرب نفسها . وهو استمرار وضع الاحتلال الاسرائيلى الراهن ، كما أن العرب عندما اختاروا الحرب ، فإنهم تبنوا صورا من العمليات الحربية لايترتب عليها هزيمة ساخنة فيما لو ثبت خطأ حساباتهم ، مثل حروب الاستنزاف والحروب المحدودة فى أهدافها وأبعادها مثل حرب ١٩٧٣ . كذلك فقد أدرك العرب من الحرب الاسرائيلية فى لبنان حقيقة نقاط الضعف التى أصابت الجيش الاسرائيلى ، والتى انعكست فى عدم قدرة القوات الاسرائيلية على تنفيذ مهامها وأهدافها بسهولة وسرعة كما كان الأمر فى الحروب السابقة ، وذلك رغم تفوقها المطلق فى تلك الحرب ، كذلك ماثبت من عدم قدرة اسرائيل على التعامل مع الحروب الطويلة الأمد ، وحساسيتها الشديدة للخسائر البشرية ، وعدم قدرة قواتها على القتال فى المناطق ذات الكثافة السكانية العالية أو احتلالها ، وأخيرا ما تأكد لدى العرب من أن النصر العسكرى الأسرائيلى لايحقق بالضرورة مكاسب سياسية لذلك أثرت جميع هذه العوامل على قدرة الردع الأسرائيلى بالسلب .

ولم يكن النجاح فى تنفيذ اسرائيل لسياستها الأمنية فى الثمانينات هو السمة السائدة ، فقد واجهت عدة نكسات فى المجال الأمنى لم تكن تتوقعها أو تتحسب لها . وكانت البداية عندما أجبرت فى ابريل ١٩٨٢ على الانسحاب من سيناء كذلك فشلها فى انجاز اتفاق ١٧ مايو ١٩٨٥ الذى كانت تأمل أن توقع من خلاله على معاهدة سلام مع لبنان ، ثم اضطرارها بعد ذلك تحت وطأة الهجمات الفدائية اللبنانية والفلسطينية وما تكبدته هى والقوات الأمريكية من خسائر بشرية أن تنسحب نهائيا من لبنان فى عام ١٩٨٥ . وأخيرا تصاعد أعمال الكفاح المسلح والعصيان المدنى فى الأراضى المحتلة والتى بدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ ، تلك الانتفاضة الفلسطينية التى سدت ثغرة ظلت موجودة فى المواجهة العربية الاسرائيلية فى كل ملاحم الصراع المسلح السابقة ، حيث افتقرت الجبهة العربية الى عمل شعبى مساند للصراع المسلح داخل فلسطين المحتلة . وقد كان مثل هذه الثورة كافيا للتأثير على القدرات العسكرية الأسرائيلية فى كل ملحمة فيها .

ولقد واجهت المخابرات الاسرائيلية أيضا ـ المشهود لها عالميا بالكفاءة فى

كشف كل مايدور خلف الستار فى العالم العربى والتنبؤ بالأحداث بل وصنعها . أربع نكسات عكست فشلها فى التنبؤ بالاحداث التى وقعت فى المنطقة خلال عقد الثمانينات وهى كالآتى :

● فشلها فى التنبؤ بالهجوم المضاد الواسع الذى شنته القوات العراقية فى عام ١٩٨٧ ابتداء بعملية تحرير (الفاو) وانتهاءً بتحرير كل التراب العراقى من الايرانيين ، وقبول الايرانيين بقرار وقف اطلاق النار . الأمر الذى يعد تحولا جذريا فى الموقف الاستراتيجى فى الشرق الأوسط ، أثر الى حد بعيد فى الموقف الأمنى الاسرائيلى حاليا ومستقبلا ذلك أن أسرائيل كانت تراهن وتعمل بدأب من أجل استمرار حرب الخليج، وتغذيتها لسنوات طويلة .

● الفشل الثانى يتمثل فى عدم قدرة المخابرات الاسرائيلية على التنبؤ بتطوير العراق لصواريخه الأرض / أرض وهى أصلا صواريخ سكود ـ ب السوفيتية ، حيث نجح العراق فى زيادة مداها الى ٦٥٠ كم ثم الى ٩٠٠ كم ، وبذلك تمكن من ضرب العاصمة الايرانية وأهداف حيوية أخرى فى العمق الايرانى وذلك بكثافة عالية مما أسرع بالايرانيين الى القبول بقرار وقف اطلاق النار .

● أما الفشل الثالث فكان فى عدم قدرتهم على اكتشاف صفقة الصواريخ السعودية ـ الصينية أرض/أرض قبل عقدها وأثناءها ، وحتى بعد وصول هذه الصواريخ الى السعودية وتخزينها وإقامة منشآتها ، والتى كشفتها اقمار التجسس الصناعية الأمريكية . مما يعد ليس فشلا فقط للمخابرات الاسرائيلية ، بل ايضا للمخابرات الأمريكية .

● اما الفشل الرابع فكان فى التنبؤ بعمق الانتفاضة الفلسطينية وتقديرها لحقيقة تاثيرها على الأصعدة المختلفة خاصة الأمنية والسياسية .



اريل شارون

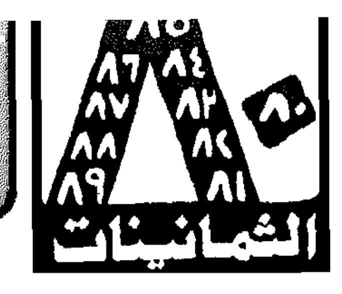
●السياسة الخارجية الاسرائيلية .

ان الأحداث التى أشرنا اليها لتؤكد ان حديث السلام هو آخر ما تود القيادات الاسرائيلية الاستماع اليه سواء من العرب أو الأمريكيين او غيرهم . فقد اعلنت اسرائيل بوضوح عن (١٠ لاءات) حددت معالم سياستها الخارجية خلال الثمانينات وما يليه ، كانت كالآتى :

١ ـ لا لانشاء كيان فلسطينى مستقل مجاور لاسرائيل ، مع رفض السيادة الفلسطينية أو التفاوض مع منظمة التحرير .

٢ ـ لا للمؤتمر الدولى ، أو التمثيل الفلسطينى فيه .

٣ ـ لا لانسحاب اسرائيل من كل الضفة وغزة والجولان أو العودة لحدود ١٩٦٧ ، ولكن يمكن تقديم بعد التنازلات فى إطار ترتيبات أمنية وضمانات دولية معينة .



٤ ـ لا لانسحاب اسرائيل من المستوطنات ، أو إزالتها ، أو التوقف عن بناء مستوطنات جديدة .

● لا لمبدأ الأرض مقابل السلام ، ولكن نعم للسلام فى مقابل السلام . بمعنى عدم تطبيق نمط معاهدة السلام مع مصر .

٦ ـ لا للتخلى عن جيش جنوب لبنان ، أو منطقة الحزام الأمنى المحتل فى جنوب لبنان .

٧ ـ لا للانسحاب سنتيمترا واحدا دون حل سياسى ينهى حالة الحرب ، ويطبع العلاقات العربية ـ الإسرائيلية ، أو اذا كان هناك (نشاط ارهابى) ضد اسرائيل .

٨ ـ لا لقبول تحالف استراتيجى عربى بين دول المواجهة العربية ، أو بناء جبهة شرقية .

٩ ـ لابديل عن التحالف الاستراتيجى بين اسرائيل والولايات المتحدة .

١٠ ـ لا لمبادرات أمريكية دون موافقة اسرائيل أو ضغوط أمريكية فيما يتعلق بالمساعدات الأمريكية .

اذا كانت استراتيجية اللاءات العشر هى سمة السياسة الخارجية التى تظهر لنا فى ممارستها خلال عقد الثمانينات فإن اسرائيل كانت ولاتزال تعمل فى العلن والخفاء من أجل تنفيذ (خطتها الكبرى) الرامية الى إقامة (اسرائيل الكبرى) وذلك على المدى البعيد ، تلك الخطة التى طالب جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية أخيرا اسرائيل بأن تكف عن العمل بها والتى تركز على ثلاث مخططات كالآتى :

١ ـ مخطط (بلقنة المنطقة) : والذى يستهدف تكديس وضع التجزئة الحالى للوطن العربى وتطويره ، بحيث يتم تفتيت الدول العربية على أسس عرقية وطائفية ومذهبية تمهيدا لقيام دويلات صغيرة مصطنعة ومتنافرة ، وتستغل اسرائيل فى تحقيق ذلك مشاكل الأقليات فى الوطن العربى ، وتوسيع صراعاتها لاضعاف الكيانات العربية القائمة حاليا كمرحلة أولى ، ثم يأتى بعد تفتيتها الحاقها تدريجيا بالكومنولث العبرى المستهدف إقامته كمرحلة ثانية . ذلك الكومنولث الذى تحدث عنه زعماء اسرائيل ابتداء من جابوتنكسى وحتى بيريز ، ولم يكن واقع تفتيت لبنان الحالى الى أكثر من سبعة كنتونات أو دويلات طائفية ، ومحاولات تقسيم السودان الى شمال مسلم وجنوب مسيحى زنجى بفعل الحرب الأهلية الدائرة حاليا ، وإثارة مشاكل الأقلية الكردية فى شمال الخليج العربى من وقت لآخر ، إلا ترجمة واضحة لتنفيذ هذا المخطط .

٢ ـ مخطط (شد الأطراف) ويرمى هذا المخطط الى جذب الدول العربية الأطراف فى الوطن العربى ومن ورائها دول القلب العربى الى صراعات جانبية مع دول أخرى غير عربية محيطة بالوطن العربى ، وذلك بهدف تخفيف الضغط على اسرائيل فى صراعها التاريخى والمصيرى مع الدول العربية من جهة وممارسة أكثر الضغوض على تلك الدول من جهة أخرى .

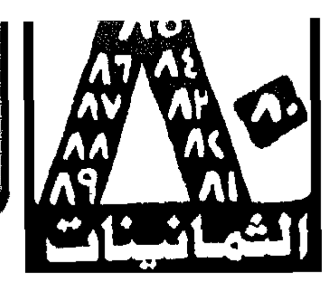
٣ ـ مخطط (تكثيف الاستيطان) : وهو أمر قائم ومستمر مابعد حرب ١٩٦٧ وحتى اليوم ، حيث يستهدف ذلك المخطط تكريس الاحتلال الاسرائيلى للمناطق

العربية وتهويدها بعد تفريغها من سكانها العرب . وقد بلغ حجم المستوطنات الاسرائيلية التى تم اقامتها فى المناطق المحتلة اكثر من ٢٠٠ مستوطنة تضم مايزيد على ٦٠,٠٠٠ مستوطن يهودى . هذا الى جانب امتلاك اسرائيل لأكثر من نصف الأراضى المحتلة نتيجة لأساليب ووسائل عديدة ، انتزاعها بالقوة بحجة استخدامها فى اغراض امنية وطرد اصحابها العرب ، ومصادرة ممتلكاتهم ثم اقامة المستوطنات عليها ، والتى أصبحت تشكل أحزمة حول المدن والقرى العربية وتطوق التجمعات البشرية العربية بهدف تقطيع تواصلها وتقييد حركة السكان العرب ، ودفعهم الى هجرة أراضيهم .

وإذا كانت اسرائيل تمايز عند معالجتها لمشاكلها الامنية بين أهدافها القصوى ، وهو ماتصطلح على تسميته (بالخطة الكبرى) والتى تسعى لتحقيقها طبقا لتصورها الزمنى وصولا الى (اسرائيل الكبرى) وبين معالجتها لمشاكل الأمن الجارى لتأمين دولة اسرائيل فى كيانها الحالى ، وهو ماعبرت عنه بـ (العشر لاءات) فإنها فى المقابل تسعى من خلال سياسة الردع التى تنتهجها اجبار خصومها ـ نحن العرب ـ عن الكف عن انجاز مراحل (خطتهم الكبرى) التى هى طبقا للتصور الاسرائيلى ، إستعادة فلسطين العربية كاملة ، ودفع العرب الى اتباع سياسات اقل طموحا فى مواجهتهم لها . ذلك أن تخلى العرب عن العمل (بالخطة الكبرى) من أجل استعادة فلسطين ، لفترة زمنية طويلة سوف يؤدى بهم الى إسقاطها تلقائيا من حساباتهم بصورة نهائية . وهو للأسف ماحدث بالفعل على صعيد الواقع والممارسة .

● العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية

إن مقتضى التعامل المباشر بين القاهرة وتل ابيب والذى بدأ بفك الاشتباك وظل فى تصاعد مستمر حتى معاهدة السلام ثم الانسحاب الاسرائيلى من سيناء وطابا أخيرا ، قد اتصف بقسط معين من الثقة أو على الأقل الرغبة فى إثبات حسن النية من الجانبين . وذلك رغم تعرض العلاقات بين البلدين للعديد من النكسات وسيادة حق التوتر بشكل دائم وذلك بسبب التعنت الاسرائيلى فى الاستجابة لمبادرات الحكومة المصرية لدفع عملية السلام سواء فيما يتعلق برفض شامير لعقد المؤتمر الدولى الذى سبق وأن وافق عليه بيريز فى لقاء قمة الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٨٦ أو النقاط العشر المصرية الخاصة بإجراء الانتخابات فى المناطق المحتلة استجابة لمبادرة شامير فى هذا الشأن أو بالنسبة لادانة مصر لممارسات القمع الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة . ولقد كان هناك حرص زائد من الجانب المصرى على تقليص الاتصالات مع اسرائيل الى ادنى حد ممكن فى وقت استعادت فيه مصر مكانتها الطبيعية كاملة على الساحة العربية بعد مؤتمر قمة الدار البيضاء فى مطلع عام ١٩٨٩ ناهيك عن استمرار تبادل الاتهامات والاحتجاجات والانتقادات بين الجانبين ويدعونا الموقف الى التساؤل حول حقيقة المبادىء التى تحكم العلاقات بين البلدين من وجهة



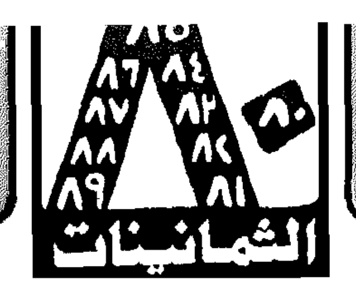
النظر الاسرائيلية وواقع الأمر ان هناك ثلاثة مبادىء حكمت الاستراتيجية الاسرائيلية فى تعاملها مع مصر :

المبدأ الاول : تخريب مصر من الداخل : وهو مبدأ ليس بجديد فى التعامل مع الخصوم فى نظرية العلاقات الدولية ، فأسرائيل تبحث عن جميع عناصر الضعف فى الجسد المصرى الداخلى وتضخم منها . والضعف فى الجسد المصرى مردة عنصران اساسيان : الأزمة الاقتصادية من جانب وازمة القيم السياسية من جانب آخر حيث تعيش مصر حالة من التأزم الاقتصادى بدأت مع حرب ١٩٦٧ وهو يسير فى خطوات متتابعة اما ازمة القيم السياسية فتعود الى ذلك التحول المفاجىء فى ترتيب عناصر الأمن القومى واسرائيل تتعامل مع هذين العنصرين بطرق غير مباشرة وبتخطيط واضح

المبدأ الثانى : عزل مصر عن المحيط العربى .

المبدأ الثالث : خلق الشلل فى وظيفة مصر الاقليمية : وكان هذا العنصر اكثر وضوحا وذلك بخلق روابط وثيقة ومتجانسة اساسها التحالف العدائى الضمنى مع ثلاث عواصم غير عربية هى طهران وانقرة واديس ابابا . وهوتحالف يسيطر عليه علاقات ثنائية قائمة بين تل ابيب وكل من هذه العواصم الثلاث ، كذلك تجانس فى المصالح الاسرائيلية والمصالح الامريكية بحيث تتماثل وتتوازن العلاقات الاسرائيلية مع العلاقات الامريكية مع دول الاطراف الثلاث وبحيث يتحقق فى النهاية انشاء محاور ثلاثة ضد المنطقة العربية وبصفة خاصة ضد الوظيفة الاقليمية لمصر . وتعتبر اسرائيل فى (المايسترو) الذى يحرك هذه المحاور الثلاثة ولكن باستقلال تام فى كل تطبيق عن الآخر مع المشاركة الثنائية للولايات المتحدة .

إلا أن مصر بما تملكه من مقومات حضارية وإدراك القيادة السياسية والشعب فى مصر لحقيقة الأهداف والمخططات الاسرائيلية ، قد افشلت الى حد بعيد وضع هذه المبادىء موضع التطبيق ، كما استعادت مصر كامل وضعيتها على الساحة العربية كذلك نجحت فى ان تفرض مكانتها على الساحة الافريقية والشرق اوسطية بفضل ديناميكية سياستها الخارجية خاصة مع اثيوبيا والتى كانت إسرائيل تعول عليها كثيرا فى الانطلاق منها لمحاصرة مصر سواء من حيث موارد مياه النيل او التوسع فى اتجاه القرن الافريقى او البحر الاحمر كما قامت مصر بتطبيع واسع لعلاقاتها مع تركيا خاصة مع الزيارة التى قام بها الرئيس مبارك لها فى عام ١٩٨٨ . أما فيما يتعلق بطهران فقد كان للتحرك الايجابى المصرى المساند للعراق فى حربه ضد ايران ثم قيام مجلس التعاون العربى بمشاركة مصرية عراقية اردنية - يمنية مما اجبر طهران على القبول بقرار مجلس الامن بوقف الحرب فى الخليج وفرض العزلة الاقليمية والدولية على ايران وليس على مصر كما كانت تستهدف اسرائيل .



قضية ستالين في الثمانينات

خلفاء ستالين
خسروا الحرب العالمية الثالثة !

بقلم: كمال النجمي

ينشر « الهلال » هذه المقالة الهامة ، مرحبا بفتح باب المناقشة في القضايا التي أثارتها ، ربما لأول مرة في الصحافة العربية وهي تطرح هذا السؤال التاريخي :

ـ هل يمكن الدفاع عن ستالين في هذه الساعات الاخيرة من الثمانينات التي تشهد انهيار الأنظمة الأشتراكية في الاتحاد السوفيتي وشرق أوربا ؟ ! .. إن ستالين متهم يجلس في القفص بلا دفاع حتى الآن ، فهل يمكن الدفاع عنه من وجهة نظر محايدة ، لا ماركسية ولا رأسمالية ، بينما تلاميذه وخلفاؤه يتهمونه بانه سبب هذه الأنهيارات التي تزلزل بلادهم الآن ؟ ! ..

نحن أبناء العالم الثالث لا نعد أنفسنا في الماركسيين ولا في الرأسماليين ، ، ولا نحسب أننا نتطفل على « العالم الأول » ولا على « العالم الثاني » إذا حاولنا أن نفهم مايجرى على أرض هذا أو ذاك في الآونة الراهنة ، فنحن وإياهم في زورق واحد يجرى في الفضاء ويدور حول الشمس ، وقد استطعنا ونحن قابعون في عالمنا الثالث أن نفهم كثيرا مما وقع أو يقع في العالم الأول ، أو « العالم الحر » وهو العالم الأغنى والأقدم ، ولكنا مازلنا نحاول أن نفهم مايحدث في العالم الثاني ، ذلك الجزء الغامض المتقشف من الكرة الأرضية ، الذي يسمونه « العالم الاشتراكي » !

منذ مائتي عام تقريبا ظهر « العالم

الحر » .. أما العالم الاشتراكى فلم يبدأ إلا منذ سبعين سنة ، فهو بمنزلة الابن أو الحفيد للعالم الحر .

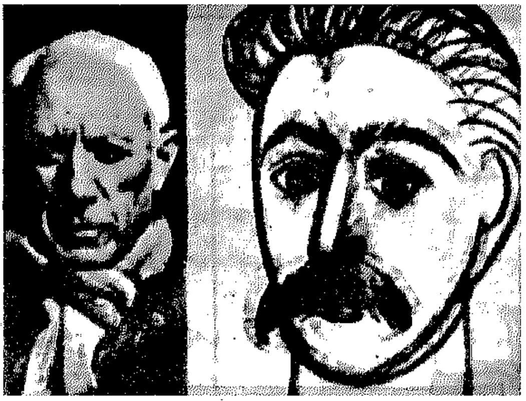
ويدهشنا نحن أبناء العالم الثالث المتفرجين على مايجرى بين الأب أو الجد ، وبين الابن أو الحفيد ، أننا نرى هذا الابن أو الحفيد ، ينزع ثياب شبابه ويرجع متلهفا متعجلا إلى ثياب جده أو ثياب أبيه ، باعتبار هذه الثياب القديمة هى « الموضة » وثيابه الجديدة هى الثياب التى أبلاها الزمان !

فماذا يجرى الآن فى بلاد أولئك الاشتراكيين أحفاد السادة الراسماليين الأحراريين ؟ !

نحاول أن نفهم .. ومن يدرى فقد يساعدهم فهمنا لامورهم فى اقالة عثرتهم ، كما يساعد قومنا الأقربين فيوقظهم من رقدة الكهف والرقيم التى نعموا بأحلامها السعيدة ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ؟

نحن بطبيعة الحال نحاول أن نفهم بوسائلنا المتواضعة ، فليس لنا إلا « الظاهر » مما نرى .. أما « الباطن » فلا نعلمه ! .. ويحز فى نفوسنا ـ وفى عقولنا أيضا ـ أن الأمور قد تعقدت فى العالم الثانى الاشتراكى حتى صار له ظاهر نراه ، وباطن يخفى علينا .. كأنما انقلب الاشتراكيون العلميون الى شيعة اسماعيلية أو اثنى عشرية يتأرجحون فى عقائدهم وأعمالهم بين الباطن والظاهر ، على سبيل « التقية » والتمويه على الأعادى !

لقد كان الزعماء الاشتراكيون يحدثوننا



ستالين كما رسمه بيكاسو
مما اغضب الشيوعيين الفرنسيين

عن « الرأسمالية المحتضرة » و « الاشتراكية المنتصرة » التى تحفر القبر للرأسمالية ، وكان هؤلاء الزعماء الاشتراكيون الواثقون بأنفسهم يقولون للرأسماليين فى العالم كله : سوف ندفنكم ! ..

وحتى الاشتراكى الفابى غير الماركسى ، الكاتب الأيرلندى الساخر برناردشو ، أدلى بدلوه فقال بين الجد والهزل :

ـ لن أسمح لنفسى بالموت قبل أن أشاهد انهيار الراسمالية !

وبدا لنا ـ نحن أبناء العالم الثالث ـ أن بناء الاشتراكية ـ وإن كنا لانراه بعيوننا ـ يجرى على قدم وساق ، منتقلا من نصر إلى نصر ، حتى إن بريجينيف أطلق على الاشتراكية فى عهده اسما براقا هو « الاشتراكية المتطورة » .. وأوشك بريجينيف أن يعلن للعالم ذات يوم أن منطقة موسكو أو مدينة موسكو على الأقل قد بلغت فى تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى عصر الشيوعية .. عصر الوفرة الزائدة والرخاء العميم وشعار « لكل حسب حاجته » . !



ثم أخذ كل شيء ينهار بعد رحيل بريجينيف بقليل ، فالاشتراكية « المتطورة » صارت في نظر خليفته جورباتشوف نظاما متخلفا عاجزا عن منافسة الرأسمالية ، بل عن مجرد الاستمرار في الحياة ! ..

وموسكو التي بلغت عصر الوفرة والرخاء ، ظهرت على شاشة التليفزيون بطوابيرها المتراصة الكثيفة أمام المجمعات الاستهلاكية ، تبحث عن الزيت والسكر والشاي واللحم ، كأنها « طوابير » الباحثين عن التموين الشحيح في عواصم عالمنا الثالث المسكين ! .

ماذا حدث ؟ ! ..

هل كانت الاشتراكية العلمية حركة طوبائية غير علمية لاسند لها من القوانين الاجتماعية والاقتصادية الواقعية الصحيحة ؟ !

هل كان البناء الاشتراكي مناهضا للمادية التاريخية والمادية الجدلية ، وهما أساس النظرية الاشتراكية ؟ ! هل كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى مجرد رد فعل للمظالم الفاحشة ، محكوم عليه بالفشل التاريخي مثل ثورة العبيد في العصر الروماني بقيادة سبارتاكوس ، أو ثورة القرامطة في العصر العباسي ؟ !

هل معنى ذلك أن الانسان عاجز بطبيعته وجوهر فطرته عن اقامة نظام كامل للعدالة الاجتماعية تتراجع فيه قوانين الغابة الوحشية المتمثلة في استغلال الانسان للانسان ، وهل معنى ذلك أن العدالة الأجتماعية المثلى ليست إلا حلما من أحلام الفلاسفة الطيبين لامكان له على الأرض ؟

● في جميع الأحوال .. في عهد خروشوف الذي انتهى سنة ١٩٦٤ وفي عهد بريجينيف الذي انتهى سنة ١٩٨٢ ثم في عهود أندروبوف وشيرنينكو وجورباتشوف ، كان اسم ستالين يقف في قفص الاتهام باعتباره الرجل الذي صنعت يداه هذا المأزق الذي يختنق فيه الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى والأحزاب الماركسية في أربعة أركان الدنيا ..

ونحن - أبناء العالم الثالث - لانعرف ستالين الا من أعماله وأقواله ! فماذا صنع هذا الرجل الذي أجمع خلفاؤه على إدانة « تقديس شخصيته » وتحميل هذه الشخصية المقدسة جميع الأوزار ؟ !

● علاقة تقطعت !

نحن لاناقة لنا ولا جمل في هذه القصة ، لكن المؤكد أن حياتنا بدأت تضطرب منذ اندلعت حملة خروشوف على ستالين فجاة سنة ١٩٥٦ .. لأن علاقة شعوبنا بالاتحاد السوفيتي أخذت تهتز وتتقلص حتى بلغت أخيرا - في نهاية عقد الثمانينات درجة التجمد ، وتقطعت علائق التضامن الأممي التي كانت ملاذا لنا ، وكيف تبقى هذه العلائق بين الاتحاد السوفيتي وبين العالم الثالث ، وقد تقطعت الاممية بين الشعوب السوفيتية ذاتها فوثبت هائجة يقاتل بعضها بعضا ؟

إن أعمال ستالين الثابتة في تاريخه هي : بناء الأشتراكية العلمية على أرض الواقع في سدس مساحة الكرة الأرضية لأول مرة في تاريخ البشرية .. ثم الانتصار الحاسم في الحرب العالمية الثانية وهي اشد الحروب هولا في التاريخ كله ، ثم تحويل الاشتراكية الى نظام عالمي ، او

« منظـومة اشتـراكية » .. كمـا كانـوا يقولون ..

وقد تسلم ستالين الحكم سنة ١٩٢٤ وروسيا السوفيتية مثخنة باعمق الجراح من جراء الحرب الأهلية والتدخل الأجنبى الاستعمارى ، فلم يطلب قروضـا من المرابين الأجانب ، بل عبأ موارد بلاده ، ونفذ خططا اقتصادية واجتماعية محددة ، وحشد الجماهير المتحمسة لانجاز هذه الخطط ، وبدأ تصنيع بلاده من تحت الصفر ، ونفذ مشروع لينين لكهربة روسيا بما يساوى ثلاثة أمثال حجم المشروع الذى قدره لينين ..

● خطط طموحة ●

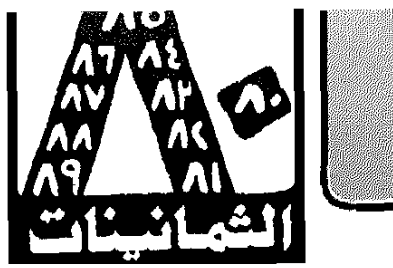
ولم تكن خطط السنوات الخمس التى بدأها سنة ١٩٢٨ نوعا من التنبؤ أو التخمين فى الاقتصاد ، بل كانت خططا واقعية ملزمة للحكومة والشعب والحزب .. ولم يخالف ستالين لينين فى فكرته عن التخطيط الاقتصادى ، فقد كان لينين يرى وجوب تحويل الجهاز الاقتصادى للدولة بأكمله الى جهاز واحد كبير ، أو كائن اقتصادى يعمل بحيث يتمكن ملايين العاملين من توجيـه أنفسهم بخطة واحدة » .

واثمرت هذه المشروعات ، فظهرت المدن والقرى الجديدة والمصانع العملاقة والمزارع الجماعية والحكومية ، والسكك الحديدية ، والقنوات المائية والمحطات الكهرمائية ، والصناعـات الهندسيـة ، والجامعات والمعاهد والمساكن والمنافذ التجارية .. وتم تسليح الجيش الأحمر بأحدث الأسلحة تأهبا للحرب التى كانت نذرها تلوح فى الأفق .. وأثبت الصدام المسلح الرهيب من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٥ أن الاتحاد السوفيتى ما كان ليصمد وينتصر لو لم ينجز مشروعات السنوات الخمس .

وخـلال انهماك ستـالين فى تلك المشروعات التى أدارها على غير مثال سابق فى التاريخ كله ، هاجمه أعداء هذا العمل الكبير أمثال تروتسكى وبوخارين وجمـاعات المخـربين وعملاء الـدول الاستعمـاريـة ، ودعـاة العـودة الى الرأسمالية والاقطاع ، وفئات اخرى كثيرة خطيرة .

وقد رأينا اللوبى اليهودى الصاعد فى موسكو يخلق أخيرا جوا من المأساة حول قصة محاكمة بوخارين وإعدامه قبل خمسين عاما ، كأنه قديس برىء صلبه ستالين .. وأظن أن تروتسكى ايضا سيجد فى أقرب وقت دورا على المسرح السوفيتى السياسى الجديد ، يؤلفـه ويخرجه له اللوبى اليهودى الجديد الذى وثب فى موسكو على المنصة اخيرا كما وثب عليها من قبل فى واشنطن ! ..

● وفى جو القتال الطبقى الذى لارحمة فيه أصابت أسلحة السلطة التى كان ستالين على رأسها .. عددا من الأبرياء ومن الثوريين المخلصين . وكان الشك وحده يكفى أحيانا لقتل غير المذنبين ، لأن السلطة السوفيتية فى تلك الظروف العصيبة لم تكن تستطيع أن ترفع رايات الديمقراطية وحقوق الانسان التى ترفرف الآن فوق راس شيفرنادزه فى رحلاته الدبلوماسية بين أمريكا واوربا .



● حقيقة مؤلمة

ولم يكن ستالين ينكر أن هذه الجرائم وقعت فى أتون ذلك الصراع .. وقد رد على رسالة بهذا الشأن للكاتب السوفيتى شولوخوف ـ صاحب رواية الدون الهادىء بجواب يعترف فيه بالحقيقة المؤلمة ويؤكد فى الوقت نفسه أن ضحايا جرائم السلطة كانوا هم أيضا يرتكبون جرائم ضد الدولة والحزب والشعب ..

تلك طريقته ووجهة نظره فى ادارة الصراع الطبقى الذى لايرحم ، ولم تكن لديه طريقة أخرى لخوض صراع كانت عاقبته الحياة أو الموت خلال السنوات الحاسمة التى أعقبت وفاة لينين وتكتل فيها أعداء اللينينية وأعداء مشروعات السنوات الخمس ، والمخربون وعملاء اقلام الاستخبارات النازية والبريطانية واليابانية وفصائل لاتحصى كانت تجوب البلاد السوفيتية من بحر البلطيق إلى المحيط الهادى ! ..

وفى رواية « الثلج الحار » للكاتب السوفيتى يورى بوتداريف فصل بديع عن الطريقة التى كان يفكر بها ستالين فيما وقع من جرائم خلال نضاله المحموم لانجاز مشروعات السنوات الخمس ، وتحطيم مؤامرات تروتسكى وبوخارين وزينوفييف وكامنييف وغيرهم ، والتخلص من بعض كبار ضباط الجيش المشكوك فى ولائهم .

فحين يستدعى ستالين ـ كما تقول الرواية ـ الجنرال بيسونوف ـ اسمه الحقيقى تروفانوف ولم تذكره الرواية ـ ليعهد اليه بقيادة أحد الجيوش الجديدة فى جبهة ستالينجراد سنة ١٩٤٢ يلمح ستالين بفطنته بعض الشكوك لدى الجنرال فيقول له :

ـ أنا فاهم يارفيق بيسونوف ! ان لشكوكك ـ على مايبدو .. علاقة بمصير بعض قادة الجيش الذين عاقبناهم .

قال بيسونوف :

ـ هذه وجهة نظر يارفيق ستالين ، فقد خدمت مع بعض قادة الجيش الذين وقعوا فيما بعد ضحايا للافتراء ..

وضع ستالين غليونه على المكتب وقال غير متأثر :

ـ أنا أعرف هذه الشكوك ! .. إن النضال شىء قاس ! .. إلا أن الكثيرين ممن شككنا فيهم آنذاك ، هم ذوو نفوس صغيرة منطوية على ما كانت تنطوى عليه نفس فلاسوف (قائد سوفيتى خائن استسلم للنازيين قرب موسكو وتعاون معهم) .. ولقد صححنا الاشتطاطات والاخطاء منذ زمن طويل .. وهاهو روكوسوفسكى وتولبوخين يحاربان بنجاح فى ستالينجراد .

● شك مستمر !

كان ستالين يعلم تلك الأمور ، ويتابع اصلاح ماوقع من خطأ وشطط فى بعضها ، ولكنه يبررها بالشك فيمن عوقبوا ويراهم من طينة الجنرال فلاسوف الخائن .

وقد ذكر ستالين الماريشال روكوسوفسكى والماريشال تولبوخين ، ولكل منهما مذكرات عن الحرب التى اشتركا فيها تحت راية ستالين بعد أن قضيا فى سجونه زمنا ثم عرف براءتهما فأفرج عنهما .. وجاءت شهادة هذين

القائدين فى حق ستالين ، تدحض ماحاول أن يرميه به خروشوف ومجموعته من اتهامات حول إدارته للحرب ..

كذلك فعل الماريشالات جوكوف وفاسيلفسكى وكونييف - وهم أشهر قادة الحرب - فرفضوا الانسياق وراء اقاويل خروشوف التى منها قوله إن ستالين غادر موسكو خلال معركتها الكبرى ، وانه كان يدير الحرب على مجسم للكرة الأرضية يضعه فى مكتبه بالكريملين !

لقد فندوا هذه المزاعم وغيرها بما كتبوه عن اجتماعاتهم واتصالاتهم بستالين خلال أربع سنوات بلا انقطاع .

أما الجنرال شتيمنكو الذى كان قائد العمليات فى الحرب فقال معلقا على قصة مجسم الكرة الأرضية : « يجب أن اذكر اننى لم أر ستالين يستخدم هذا المجسم عند النظر فى المسائل العملياتية خلال مئات الزيارات التى قمت بها إلى مكتبه .. فالحديث عن قيادته للعمليات على مجسم الكرة الأرضية لا أساس له مطلقا » .

وقد أشرف ستالين على تجهيز الجيش والطيران والاسطول البحرى تأهبا للحرب ، وجلب قبيل اندلاعها قوات هائلة إلى الحدود فى سرية تامة .. يقول الجنرال شتيمنكو : « كيف يمكن نسيان كل هذا ؟ ! .. كيف يمكن الا نأخذ بالحسبان كل هذا العمل الضخم الذى قام به الحزب والحكومة قبيل الحرب لاعداد البلاد والجيش لصد العدو ؟ ! » .

وخلال أربع سنوات من الحرب المروعة المدمرة قاد ستالين الانتصار على هتلر عند موسكو ، والانتصار الساحق فى معركة ستالينجراد ومعارك كورسك وكييف والقرم وبيلوروسيا والبلطيق وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبلغاريا ، والحملة الأخيرة على برلين ، ثم حملة تحطيم الجيش اليابانى فى الشرق الاقصى .

لقد دخل ستالين هذه الحرب الشعواء التى لم يسبق لاتساعها ووحشيتها وتعقيداتها مثيل فى التاريخ .. دخلها وهو أسود شعر الرأس ، وأنهاها منتصرا وقد شاب شعره كله وارتفع ضغط دمه ارتفاعا خطيرا ، وشاخ فى أربع سنوات كأنه عاش فوقها ثلاثين عاما ! ..

فالرجل لم يدخر عملا ولا فكرا ولا صحة فى سبيل القضية .. ولم تكد الحرب تخمد حتى نهض يعيد تعمير بلاده التى دمرتها الحرب تدميرا ، بلا قروض ولا مساعدات من أحد ..

● دمار هائل !

ولقد أحرق الهتلريون - كما تقول الوقائع الرسمية - أكثر من ألف وسبعمائة مدينة سوفيتية وأكثر من سبعين ألف قرية ، تاركين خمسة وعشرين مليون إنسان بلا مأوى ، وخربوا أكثر من واحد وثلاثين ألف مصنع كان يعمل فيها قبل الحرب أربعة ملايين عامل ، وهدموا خمسة وستين ألف كيلو متر من خطوط السكك الحديدية وأربعين ألف مستشفى وأربعة وثمانين ألف معهد علمى وثلاثة وأربعين ألف مكتبة ، وسرقوا وذبحوا عشرة ملايين رأس من الماشية ، إلى غير ذلك مما لايتصوره عقل من عمليات التدمير والتخريب ..

وفى ثلاث سنوات فقط بعد الحرب ، تم بقيادة ستالين اصلاح هذا التخريب الجهنمى ، واعادة بناء الصناعة والزراعة ، وكابد الشعب حرمانا قاسيا ، وعاش على ما حددته له البطاقات من طعام وشراب وملابس ، ولكن روح المبادرة الاشتراكية كانت تحفز المجتمع كله إلى العمل وصنع المعجزات .

ومات ستالين فى ٥ مارس ١٩٥٣ وقد ترك وراءه دولة موحدة استعاد لها كل اراضيها .. يخافها أعداؤها كما يخافون الموت ! ..

ويروى ديجلاس أحد خصوم ستالين اليوغوسلافيين انه شاهده فى زيارة له بمكتبه فى موسكو وقد وقف إلى خريطة كبيرة للاتحاد السوفيتى باللون الأحمر ، يشير إليها قائلا :

- لايمكن أن يرضى الاستعماريون ببقاء اللون الأحمر على امتداد هذه البقعة الكبيرة !

● شجاعة القائد !

لقد كانت لستالين طبيعة المقاتل البدوى المفعم بحماسة العقيدة وشجاعتها ، وكان له ، على حد تعبير تشرشل ، « عقل بارد عميق خال تماما من الأوهام » .. ولم يكن عقله البارد العميق يتعارض وطبيعته البدوية المشتعلة بحماسة العقيدة أو المبدأ .

ثم توقف قلبه عن النبض - على حد تعبير البيان الرسمى عن وفاته - وتسلم خلفاؤه الأمور وتعاقبوا على الحكم ! ..

لم يترك ستالين وراءه درهما ولا دانقا ، ولا ورث أولاده عنه شيئا البتة .. وقد رفض خلال الحرب ان يستعيد من الألمان ابنه الاسير لديهم نظير افراجه عن الماريشال باولوس قائد الجيش الألمانى المهزوم فى ستالينجراد ، وقال ستالين بهدوء وحسم :

- إن ابنى مجرد جندى فلا يصح أن أسترده مقابل ماريشال ! .

ومات ابنه فى الاسر .. قتله الهتلريون حقدا على أبيه ، ولم يقم له أبوه مأتما ولا نصب له سرادقا بجوار كنيسة من كنائس الكريملين !

أما خلفاء ستالين الذين كان قبل وفاته يقول لهم : « ماذا أصنع لكم أيها المساكين .. إن الاستعماريين سيأكلونكم » .. أما خلفاؤه هؤلاء فقد سارعوا الى السير فعلا فى الطريق التى انتظرهم الاستعماريون فى نهايتها وأكلوهم !

أن خروشوف الذى أضاع فطرته البروليتارية - كما كان يقول ستالين - عرف السبيل الى الاستجمام الملوكى على شواطىء البحر الاسود ، وعين زوج ابنته وهو صحفى مغمور - رئيسا لتحرير جريدة ازفستيا الناطقة بلسان الحكومة السوفيتية متخطيا به جميع الصحفيين السوفيت :

وجاء بريجينيف فانغمس فى الترف ، وانهمك فى هواية السيارات الأمريكية ، وعين زوج ابنته جنرالا ووزيرا وأطلق له عنان السرقة والرشوة .

لقد احتلت طبقة من المترفين الفاسدين مكان أعوان ستالين الذين لم يكونوا يملكون شيئا .. وتراجعت قيمة العمل وصار العمال أجراء للطبقة الحاكمة الجديدة ، ولم يكنْ حالهم كذلك فى عصر

الحماسة الثورية والتضحية بالذات فى الحرب الوطنية الكبرى التى كانوا يقتحمون معاركها المروعة وهم يهتفون فى نشوة التضحية :

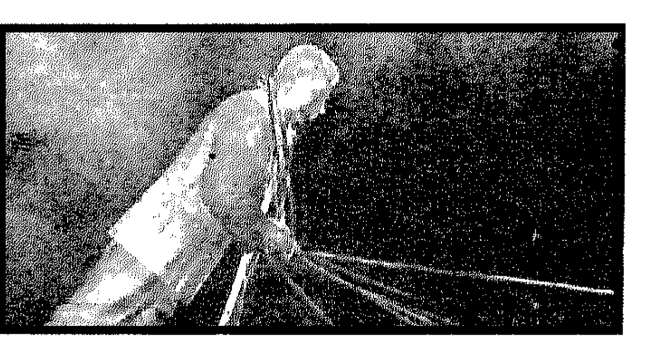
- من أجل الوطن .. من أجل ستالين !

● ولقد ترك ستالين الدنيا بعد أن جعل علاقات الانتاج فى بلاده متفقة تماما والقوى المنتجة .. وهذه هى النقطة الجوهرية فى الموقف الاقتصادي والأجتماعى والسياسى كله ، ولكن هذه العلاقات التى كانت صحيحة فى عهد ستالين اختلت فى عهود خلفائه ، وبخاصة فى عهد بريجينيف الذى يسميه جورباتشوف « عهد الركود » .. أى عهد العجز عن الانجاز والتقدم ، عهد التقهقر وتراكم الفساد .

وكان شعار ستالين هو : « الماركسية اللينينية أو الموت » . وهو الشعار الذى يرفعه كاسترو والصينيون الآن ، ومعناه أن العجز عن التطبيق العملى للنظرية هو الموت ، لأن هذا العجز يبرهن على أنها مجرد حلم طوبوى كأحلام سان سيمون وفورييه وأوين .. ومعناه أن ثورة اكتوبر ١٩١٧ فى جوهرها لاتختلف عن ثورة كوميون باريس التى قادها الفوضويون سنة ١٨٧١ .. ومعناه أيضا أن أفكار لينين الثورية خاطئة ، وأفكار خصومه برنشتاين وكاوتسكى وبيبل وغيرهم هى الافكار الصحيحة .

وماذا يجرى الآن فى الاتحاد السوفييتى وشرقى اوربا ؟

إن مايجرى هناك هو تطبيق افكار كاوتسكى وبرنشتاين وزعماء الدولة الثانية



عندما انهارت رموز المجد ..

والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التى انسلخت تماما عن الماركسية .

لقد عاش ستالين يتقدم ولايتوقف ، أما خلفاؤه فيتراجعون بلا نظام ، ويبحثون عن « حل وسط تاريخى » وعن لافتة اشتراكية وهمية تخفى انهيار البنيان الاشتراكى وعودة الرأسمالية .

وهم يتمسحون بالعالم الحر عسى أن يقبلهم أعضاء فى ناديه ، وينشطون فى تفجير المتناقضات القومية والطبقية والدينية فى مجتمعاتهم ، ويتخلون عن الأممية ، ويغلقون ابواب احزابهم ويسلمون مفاتيحها للرجعية .

لم يصمد خلفاء ستالين فى الحرب الباردة التى هى فى الحقيقة الحرب العالمية الثالثة ، وحاصرهم الامبرياليون بسباق التسلح والحرب الاقتصادية والدعائية والمؤامرات ، حتى استسلموا .

وزعماء روسيا الجدد يجردونها الآن من ثيابها ويلبسونها الثياب المستعارة من اوربا وأمريكا ، وليس فى ذهنهم قول لينين : « يالروسيا المسكينة ! انه يقال عنها انها ترتدى دائما الثياب البالية التى القتها اوربا » ! ..



الهبوط إلى أرض الواقع ..

بالبريسترويكا!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

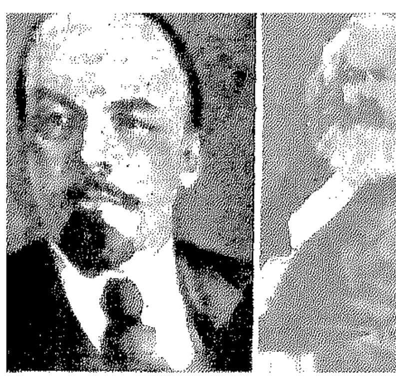
لاشك ان اهم احداث الثمانينات من هذا القرن ، التى توشك ان تنتهى بنهاية هذا الشهر هى ظهور جورباتشوف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى ، ورئيس الدولة السوفيتية حاليا بسياسته سواء على الساحة الدولية او داخل المعسكر الاشتراكى بدءا من الاتحاد السوفيتى الى سائر بلدانه فى اوروبا الشرقية وآسيا .

● وإذا كان ثمة محور اساسي لهذه البريسترويكا وتاثيرها ، فهو وقعها على الايديولوجية "الماركسية اللينينية" التى تاخذ بها الاحزاب الشيوعية فى العالم كله حاكمة وغير حاكمة وهبوطها بتلك الايديولوجية من سماء الاحلام التى كانت تحلق فيها الى ارض الواقع مثلما يهبط طيار بالبراشوت او المظلة الجوية من اجواء السماء الى الأرض الصلبة وذلك حين يعترف جورباتشوف فى سياسته الجديدة بان تحقيق الكفاءة الاقتصادية قد اصبح له الاولوية على هدف المساواة .

وابتداء فنحن لانصادر على حق الانسانية فى ان تحلم جموعها بمستقبل افضل ترسمه لها مخيلة بعض الافذاذ من افرادها ولكن الاستمرار فى مطاردة الحلم تتحرك احيانا الى كابوس مزعج من فرط مفارقته للواقع الممكن فى حياة هذه الجماعة الانسانية او تلك فتصبح المراجعة او اعادة النظر والتفكير امرا لازما لتبين الخطوات الصحيحة على الطريق .

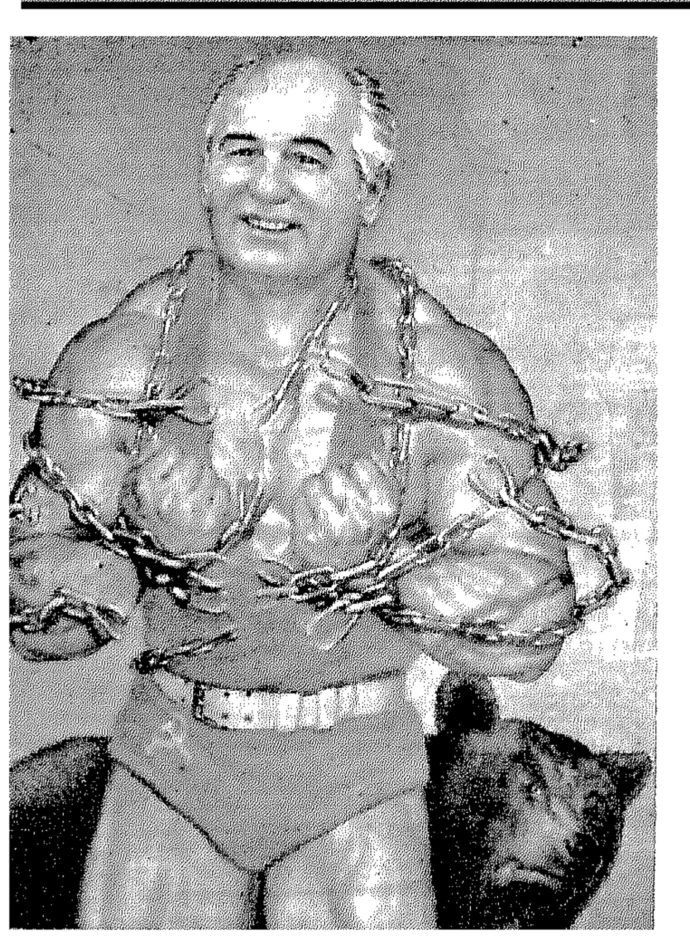
● من حيث بدا ماركس :

لم يكن كارل ماركس هو اول مفكر يحلم بالمساواة الاقتصادية بين افراد البشر بل كان هذا الحلم قديما قدم البشرية ذاتها اتخذ صورا متعددة مثل ثورات



كـارل ماركس — ليـنين

العبيد فى الماضى (سبارتاكوس مثلا ضد روما .. الخ) الى العصر الذى عاش فيه ماركس ذاته فى القرن التاسع عشر حيث كانت اوروبا تموج بمختلف المذاهب الاشتراكية والشيوعية الباحثة عن طريق لتحقيق هـذه المسـاواة فى الميـدان الاقتصادى وخاصة بعد الثورة الفرنسية التى كانت "المساواة والاخاء" هى تتمة شعارها فى الحرية وشرع الفيلسوف الالمانى الشاب كارل ماركس يكتب مقالات يهاجم فيهاالفكـرة الشيوعيـة ويصفها بالسخف ولكنه خلال كتابته ضدها وقع فى غرامها !! وراقت له فكرة المسـاواة الاقتصادية من حيث هى وان لم ترق له الحركات السياسية او الفكرية الداعية اليها وكان ان انشا مذهبا جديد اطلق عليه اسم "الاشتراكية العلمية" رفض فيه المذاهب الشيوعية الأخرى التى تدعو الى تدمير الآلات الحديثة باعتبارها سببا فى سوء احوال الطبقات العاملة وفقرها وتنادى بالعودة الى الماضى الذى كانت ثورة الحرف اليدوية ! وفى مذهبه هذا دعا كارل ماركس الى التسليم بالواقع الذى جعل فى الانقلاب الصناعى وظهور الراسمـاليـة الصناعية الحديثة تطورا محتوما فى تاريخ الجماعة الانسانية لاجدوى فى تحديه او



جورباتشوف .. حطمت قيودى

محاولة وقفه بله النكوص عن طريقه كما كان يطالب اصحاب تلك المذاهب التى سماها ماركس بالاشتراكية الخيالية او الطوباوية وذهب كارل ماركس الى ان اطراد النمو الراسمالى ووصوله الى غايته واقعى تطوره هو الذى سوف يخلق الشروط الضرورية لقيام النظام الاشتراكى ثم الشيوعى حيث يتم فى المرحلة الاولى تاميم الصناعات الكبرى وادوات الانتاج بحيث يتاح تحقيق شعار "من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله" وفى المرحلة التالية ـ بعد مزيد من التطور فى قوى الانتاج يجرى تطبيق شعار "من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته" وذلك هو النظام الشيوعى .



والمسالة كانت ببساطة عند كارل ماركس انه لكى تتحقق المساواة الاقتصادية بين الناس لابد ان يكون الانتاج وفيرا جدا ليكفى حاجة الجميع والصناعة الحديثة التى اوجدتها الراسمالية باستخدام العلم هى التى تستطيع تحقيق هذا الهدف الانسانى وقبل وصول هذا التطور الى غايته يصبح كل تفكير فى فرض المساواة ضربا من الخيال ! وحينما يسعى جورباتشوف الآن الى تعليم بلاده اساليب الراسمالية الغربية فهو انما يعود الى حيث بدأ ماركس قبل ان يشهد التاريخ جملة اعتراضية بينهما تحمل اسم لينين !

● الثوريون والانتهازيون

بعد مرحلة كارل ماركس فى القرن التاسع عشر جاء القرن العشرون فخلق واقعا جديدا أو واقعين مختلفين فى حقيقة الامر ذلك ان الراسمالية الصناعية تطورت فى عدد من البلاد الاوروبية وامريكا الشمالية بحيث اصبحت امبراطوريات صناعية كبرى تعتمد على الاسواق الخارجية ليس لتسويق منتجاتها فحسب بل ايضا للحصول على المواد الخام وتصدير فائض راس المال اليها واتاح هذا التطور لتلك البلدان مكاسب هائلة مكنتها من رفع مستوى معيشة عمالها وبالتالى الحد من سيطرة النزعات الثورية عليهم : بينما ظل العمال فى البلاد المتخلفة صناعيا مثل روسيا يعانون من سوء الحال مما ادى الى تعاظم ثوريتهم على اوضاع بلادهم وكانت النتيجة ان انقسمت الحركة الماركسية والاشتراكية عموما الى فريقين رئيسيين :

اولا : الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى بلاد الغرب المتقدمة صناعيا

ثانيا : الاحزاب الشيوعية التى دعا لينين الى تشكيلها من الماركسيين الثوريين ، تحت شعار "الانفصال عن الانتهازيين" : وهو الوصف الذى اطلقه على سائر الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التى لاتتبع سياسته فى الثورة على الراسمالية والتى تتمثل "انتهازيتها" فى انها كانت على استعداد لممالأة راسمالية بلادها من اجل مكاسب عاجلة لجماهيرها من العمال مثل رفع الاجور أو التامين ضد البطالة ... الخ

بدلا من تحريض هؤلاء العمال على الثورة عليها .

وبدلا من ان تكون البلدان الصناعية المتقدمة فى الغرب هى منطلق الثورة الاشتراكية العالمية كما كان يتوقع كارل ماركس . قرر لينين ان موطن الثورة هو اضعف الحلقات فى السلسلة الامبريالية بغض النظر عن مستوى التطور الصناعى فيها وكانت روسيا القيصرية فى نظره هى اضعف تلك الحلقات حيث لم تبلغ الراسمالية فيها مبلغ نظيراتها فى الغرب بحيث تستطيع ان ترشو عمالها . بل على العكس من ذلك كانت اوضاع العمال المتدنية تجعلهم طليعة لحلفاء لهم من الطبقات والشعوب المقهورة داخل الامبراطورية الروسية ، وهم الفلاحون الخاضعون لسيطرة الاقطاعيين من ملاك الاراضى والقوميات غير الروسية التى تضمها الامبراطورية وتعانى من القهر القومى والاستغلال الاقتصادى على السواء

اصبحت الايديولوجية الاشتراكية ايديولوجيتين : احداهما تتمسك اساسا بالديمقراطية ولاتبالى بالانتساب الى الماركسية والاخرى ايديولوجية الاحزاب الشيوعية وتحرص على تمييز ماركسيتها بانها لينينية تستطيع بالعنف الثورى

حرق مرحلة الراسمالية وصولا الى الاشتراكية فالشيوعية .



خروتشوف بريجنيف

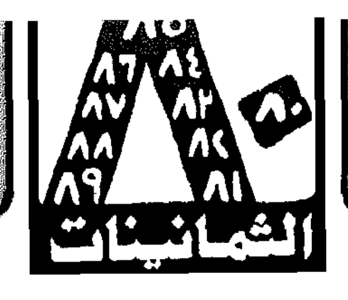
● بداية الثورة .. ونهايتها :

في ١٩١٧ استولى لينين على الحكم في روسيا بحزبه الشيوعي الذى كان جزءا من نظريته انه هو الذى يحتكر الحكم باسم ديكتاتورية البروليتاريا باعتباره طليعة لها اى للطبقة العاملة وجزء آخر انه نظر للتخلف الصناعي والاقتصادى لبلاده فلم يعد الامر مجرد تطبيق الاشتراكية على بناء صناعي جاهز سبق للراسمالية ان انشاته بل على حزبه ان يقوم هو بتلك المهمة نيابة عن الراسمالية تحت اسم بناء الاشتراكية وكانت تلك عملية باهظة التكلفة من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة ان الجزء الاساسي من عملية التصنيع كان ينبغي ان يتوجه نحوالصناعات العسكرية للدفاع عن "وطن الاشتراكية" الذى كان محاصرا من اعداء يتربصون به ويسعون الى تدميره . وكان جوزيف ستالين خليفة لينين هو "بطل" هذه المرحلة الشاقة من التصنيع السوفيتي الذى جعل حكمه موسوما بالطغيان والا ستبداد اكثر مما صاغه لينين عن ديكتاتورية البروليتاريا .

وبعد الحرب العالمية الثانية التي حاول فيها هتلر تدمير الاتحاد السوفيتي اصبح وطن الاشتراكية معسكرا دوليا يضم الدول الصغيرة في شرق اوروبا التي حررها الجيش الأحمر من النازية بما فيها القسم الشرقي والمانيا التي اصبحت جمهورية مستقلة وانضمت اليه الصين بعد نجاح ثورتها بقيادة الحزب الشيوعي عام ١٩٤٩ .

وبعد موت ستالين ، اكتشف خلفاؤه انهم قد وصلوا الى غاية يستحقون عندها التوقف عن كثير من ممارسات ستالين الارهابية وكشف خليفته خروشوف في زعامة الحزب كثيرا من تلك الممارسات وذلك في المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ وبالرغم من انه دعا الى سياسة التعايش السلمي واقر بان بعض البلدان يمكن ان تصل الى الاشتراكية عن طريق الديمقراطية البرلمانية ، ودعا الى اعادة توحيد الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الديمقراطية الا انه لم يستطيع ان يتبين ان تخلصه من اساليب ستالين يجر معه بالضرورة التخلص من فكرة ديكتاتورية البروليتاريا اى استئثار الحزب الشيوعي بالحكم وبدلا من ان يطرح فكرة الديمقراطية كاساس لحكم جديد للمعسكر الاشتراكي لجا إلى الاحلام القديمة ووعد الشعب السوفيتي بالتفوق اقتصاديا على الولايات المتحدة الامريكية في بداية الثمانينات بحيث يستطيع الاتحاد السوفيتي ان يتخطى حتى رحلة الاشتراكية وصولا الى الشيوعية !

وترتب على ذلك ان اشتدت الحرب الباردة بين معسكره الاشتراكي والمعسكر الغربي بدلاً من ان تهدأ وازدادت معها حمى سباق التسلح مما جعل الاقتصاد السوفيتي ليس عاجزا فحسب عن تحقيق حلم الوصول الى المجتمع الشيوعي بل عن مجرد اللحاق بالتطور التكنولوجي الذى



تحقق فى الغرب بالرغم من ان الاتحاد السوفيتى كان سباقا فى بعض المجالات مثل غزو الفضاء .

وبعد سقوط خروشوف عام ١٩٦٤ جاء عصر بريجنيف الذى كان هو اصغر رفاق ستالين فى المكتب السياسى للحزب ولكن الجيل كله كان قد اصبح عاجزا عن تبين حقيقة الاوضاع ومدى مفارقتها للأحلام الايديولوجية وزاد على ذلك توريط الاتحاد السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا مثلما سبق لخروشوف التدخل فى المجر حينما حاولت كلتا الدولتين التخلص من قبضة الايديولوجية بحثا عن سياسة اكثر مطابقة للواقع ولرغبات شعوبها واستحقت فترة بريجنيف وصف جورباتشوف لها بأنها فترة الركود بعد فترة التطور المتخبطة لخروشوف .

ولم يكن إلا بوصول جيل جديد الى الحكم ان بدأ التعرف على الواقع بنظرة موضوعية فهذا الجيل الذى منه جورباتشوف لايحمل عبء الثورة البلشفية على كتفيه فهو لم يولد الا بعدها لذلك لايملك الزهو بامجادها ولاغض الطرف عن اخطائها وقد اكتشف هذا الجيل ان بلاده ابعد ما تكون عن الحلم الشيوعى وان اقتصادها قد تخلف تحت أعباء الادارة البيروقراطية وان الراسمالية التى ينافسها كانت اقدر منه على تحقيق الثورة الصناعية الثانية او الثورة التكنولوجية وان عليه ان يلحق بها اولا ، وانه لا أمل فى ذلك الا بان يطرح عن كاهله عبء سباق التسلح وإلا بان يعيد استدخال اقتصاديات السوق التى يتم من خلالها


ادولف هتلر

دنج سياو بنج


ستالين

جروميكو

فرز النجاح من الفشل والربح من الخسارة وان المدخل السياسى الوحيد الى ذلك هو الديمقراطية التى بدأ تطبيقها فى الاتحاد السوفييتى على استحياء اولا تحت اسم حرية النقد والجلاسنوست اى المكاشفة والمعارضة وصولا كما عبرت المظاهرات الاخيرة فى العيد الثانى والسبعين للثورة الى المطالبة بالسماح بتعدد الاحزاب السياسية .

ان الثورة التى بدأت بديكتاتورية البروليتاريا قد انتهى ابناؤها الى المناداة باسقاط كل اثر لتلك الديكتاتورية واصبحت اعادة بناء الاشتراكية فيها تعتمد على اعادة التعلم فى مدرسة الراسمالية التى قطعت اشواطا فى تطورها

● ولم يكن من المتصور ان يبقى هذا

التطور محصورا داخل الاتحاد السوفيتي دون ان يمتد الى سائر المعسكر الاشتراكي الذى تعاونت فيه وتعددت صور ردود الافعال لبرويسترويكا جورباتشوف سلبا وايجابا :

● كان اوضح تغيير عملي هو ما حدث في بولندا حيث اضطر الحزب الشيوعي البولندي الى التخلي عن سيطرته على الحكم بعد فشله في انتخابات جريئة حرة ، فازت فيها نقابة تضامن بالاغلبية الساحقة فسلم اليها حكم البلاد في حكومة ائتلافية الشيوعيون فيها اقلية وإن كانوا قد احتفظوا بمنصبي وزيرى الدفاع والداخلية بحكم الروابط التي لاتزال قائمة داخل المعسكر وحلف وارسو العسكرى بين بلاده .

● اما أوضح تعبير نظرى فكان في المجر حيث قرر الحزب الشيوعي المجرى أن يتحول إلى حزب اشتراكي ديمقراطي على الطريقة الغربية ، وانه سوف يسمح بتعدد الأحزاب بحيث يكون بقاؤه في السلطة أو خروجه منها بناء على ما تقرره الأغلبية الشعبية في انتخابات حرة ، فضلا عن التحول الى سياسة السوق المفتوحة .

● ولكن الصين ، رغم أنها قد سبقت الاتحاد السوفييتي ، وبرويسترويكا جورباتشوف الى اعادة بناء اقتصادها عن طريق إدخال آليات السوق ، والتعاون مع الاستثمارات الراسمالية الخارجية ، فإنه عندما امتدت تداعيات البرويسترويكا إلى الجانب السياسي ، وفي أثناء زيارة جورباتشوف للصين في منتصف العام الحالي الذى اوشك على أن ينصرم . تحولت المظاهرات المطالبة بالديمقراطية الى ما يشبه الثورة على حكم الحزب الشيوعي ، الذى كلف الجيش بقمعها بالدبابات وقوة السلاح .. وهي ثورة لاتزال نيرانها تتأرى تحت الرماد ولابد من أن تفرض تغييرا على نحو ما للوجه السياسي لتلك الدولة الضخمة وخاصة بعد انتهاء عهد امبراطورها دنج سياوبنج !

● ثورة أخرى شهدتها المانيا الشرقية التي تقف على الحدود الاوروبية للمعسكرين واتخذت شكل الفرار المتواصل من شبابها الى الجزء الغربي من المانيا وسهلت الدول المجاورة وخاصة المجر ، ثم تشيكوسلوفاكيا هذا الفرار أمام آلوف الشباب حتى اضطرت حكومة المانيا الشرقية بعد سقوط هونيكر زعيم الحزب الشيوعي السابق الى الاعتراف بشرعية رحيل رعاياها الى المانيا الغربية ووسط مظاهرات صاخبة تستحق بدورها اسم الثورة من أجل الاصلاح والديمقراطية ، يتوالى سقوط أجهزة الحكم من رئيس البلاد إلى الوزارة الى المكتب السياسي السابق للحزب ، أما ماينتظره السقوط حقا فهو حائط برلين الذى يفصل شرقها عن غربها . ولكن سقوطه يبدو مرتبطا بسقوط ديكتاتورية الحزب الشيوعي الذى وافق أخيرا على أجراء انتخابات نيابية حرة تشترك فيها مختلف الجماعات السياسية ، وأهم من ذلك سقوط انقسام العالم إلى معسكرين والمانيا الى دولتين ، وهو أمر قد يشهده التاريخ القريب جداً ، خاصة بعد القمة العائمة المنتظرة في آخر هذا العام بين بوش وجورباتشوف رئيسي الدولتين العظميين ، ومحاولتها الوصول الى صيغة جديدة لعالم الموحد .





العالم في سطور

حرص الهلال ان يتغير شكل « العالم في سطور » هذا الشهر لرصد حصاد الثمانينات في الأدب العالمي

الولايات المتحدة

ابرز الادباء :

جون ارفنج ، ستيفن كنج ، جيم هاريسون (روائيون) ، جويس كارول اوتس (روائية) ـ ويليام كيندى (الحائز على جائزة بوليتزر ١٩٨٣) ، يوسف برودسكى (الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٧) ـ الروائي تشارلز بوكوفسكى ـ جون ابدايك (روائي) .

ادباء راحلون :

ارسكين كالدويل (١٩٨٧) ، جيمس بولدوين (١٩٨٨) ـ برنارد مالامود (١٩٨٦) ـ جون شيفر (١٩٨٢) ـ ترومان كابوت (١٩٨٤) ، ـ تينسي ويليامز (١٩٨٣)

سمات بارزه :

انتشار ثقافات الالبومات المرسومة ، سيادة روايات الرعب والعنف ، انحسار




ترومان كابوت   تينسي ويليامز

الرواية الرومانسية التي كان من فرسانها اريك سيجال ـ انتشار الروايات الضخمة الحجم التي تباع بارقام تتعدى ملايين النسخ .

فرنسا :

ابرز الأدباء :

برنار هنرى ليفى (فيلسوف وروائي) باتريك موديانو (روائي) ، ريجين ديفورج (مؤلفة الدراجة الزرقاء) ، باتريك كوينار (روائي) ، فيليب جان (مؤلف رواية ٣٧٫٥° صباحا) ـ الطاهر بن جلون .

ادباء راحلون :

الشاعر رينيه شار (١٩٨٧) ، الفيلسوف والروائي جان بول سارتر (١٩٨٠) ، سيمون دى بوفوار (١٩٨٦) الاديبة مرجريت يورسنار (١٩٨٧) ، الروائي جورج سيمنون (١٩٨٩) جان آنوى (١٩٨٧) ـ الروائي رومان جارى (١٩٨٠) ـ الكاتب المسرحي جان جينيه (١٩٨٦) .





جان آنوى   سيمون دى بوفوار

سمات بارزة :

انتشار الكتاب الكاسيت ـ ازدهار الرواية الجديدة ـ ازدهار الادب الفرانكفونى ـ انتشار ظاهرة الرواية الاولى للكتاب الجدد ـ نجوم السينما يتحولون الى ادباء ـ منح الروايات المترجمة جوائز محلية .

بريطانيا :

اسماء بارزة :

الروائيون المخضرمون : انتونى برجيس ، جراهام جرين ، دوريس ليسنج ، ويليام جولدنج (الفائز بجائزة نوبل ١٩٨٣) ، ايريس مردوخ ، وسلمان رشدى عقب نشر رواية « إيات شيطانية » ـ والكاتبة مرجريت درابل ـ الروائية انيتا بروكنر .

ادباء راحلون :

الروائى والفيلسوف شارلز ب . سنو (١٩٨١) ، الروائى والمفكر ارثر كوستلر الذى انتحر مع زوجته فى عام ١٩٨٣

سمات بارزة :

نزوح اغلب الادباء العواجيز الى جنوب



ليوناردو شاشا   ايطالو كالفينو

اوروبا ـ قلة الاسماء البارزة من الشبان ـ الاهتمام بالشكل التقليدى فى الرواية والمسرح ـ ظهور جيل من الادباء الهنود والذين يهاجمون الشرق والاسلام مثل سلمان رشدى ونايبول .

ايطاليا :

اسماء بارزة :

البرتو بيفلاكوا (روائى ومخرج) ادوارد سانجنيتى (روائى وفيلسوف) فنشنزو كونصولو (روائى) ، والروائيون ليوناردو شاشا ، البرتو مورافيا ـ امبرتو ايكو ـ بريمو ليفى ـ فرناندو كامون

ادباء راحلون :

ايطالو كالفينو (روائى مات عام ١٩٨٦) ـ الاديبة السامورانته صاحبة رواية . "تاريخ" (١٩٨٥)

سمات بارزة :

ظهور اجيال كثيرة من الادباء الجدد ـ سيادة الادباء الشيوخ ـ منح جائزة مونديللو لادباء كبار مثل السامورانته ـ ازدهار ادب الاطفال والترجمة من الآداب الاخرى

















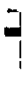


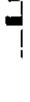
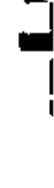
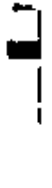
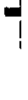
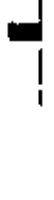
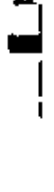




















بيـتر هاندكه

هاينريش بُل

المانيا والنمسا :

اسماء بارزة :

بيتر هاندكه ـ بيتر شنايدر ـ مارتن فاسلر ـ هانز فرنرريختر ، اليزابيث ملسن (وجميعهم روائيون ومسرحيون)

ادباء راحلون :

المسرحى بيتر فايس (١٩٨٢) ـ الروائية انا سيجرز (١٩٨٣) الروائى هاينريش بل (١٩٨٧) ـ الروائى توماس برنارد (١٩٨٩)

سمات بارزة :

رحيل ابرز ادباء اللغة الالمانية ـ تعدد الانشطة ، للعديد من الادباء ـ منح جائزة بوخنر لادباء اقل شهرة ـ جونترجراس لم يتوقف عن العطاء

يوغسلافيا :

اسماء بارزة :

الروائى بوزين بافلوفسكى ـ الاديبة فول فونشو .

جـون لوكاريه

دانيلو كيش

ادباء راحلون

دانيلوكيش (١٩٨٩)

سمات بارزة :

ازدهار الادب المقدونى ـ الاهتمام بالتراث الاسلامى فى الادب المقدونى ، ترجمة الكثير من مؤلفات الشباب الى اللغات الادبية .

اسبانيا

اسماء بارزة :

خوان جويتسولو ، روائى ومستشرق ، كاميلو خوسيه ثيلا (حائز على جائزة نوبل) خورخه سمبرون (روائى اصبح وزيرا) ـ الروائى ادوارد مندوسا .

ادباء راحلون :

بسنت اليخاندره ، الشاعر الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٧٧ مات عام (١٩٨٤) ـ خورخه جهين (شاعر مات ١٩٨٤)

سمات بارزة :

فوز اسبانيا بجائزة نوبـل للمرة الخامسة ـ الاهتمام بالاندلسيات ـ تعيين





خورخـه سمبرون   خورخه لويس

الاديب سمبرون وزيرا للثقافة ـ احتواء الكتاب الهاربين من امريكا اللاتينية ـ ذيوع التيار التجريبي فى الرواية والشعر والمسرح .

امريكا اللاتينية

اسماء بارزة :

خوسيه ليما ـ الروائى ارنستو ساباتو ـ مارفارجاس يوسا (رشح نفسه لرئاسة الجمهورية) ـ جابرييل جارثيا ماركيز ـ ايزابيل الليندى (روائية من شيلى) .

ادباء راحلون :

خوليو كورتثار (١٩٨٥) ـ اليهو كاربنتير (١٩٨٦) ـ خورخه لـويس بورخيس (١٩٨٧)

سمات بارزة :

فوز ماركيز بجائزة نوبل ـ الاهتمام بادب امريكا اللاتينية على الصعيد العالمى ـ هجرة الادباء المضطهدين سياسيا الى اوروبا والولايات المتحدة .




مارى فارجاس يوسا   سيشو ماتسوموتو

اليابان

اسماء بارزة :

الروائيون جوتشريو تانيزاكي ، شوشى ايمورا ، سيشوماتسوموتو (يكتب روايات بوليسية)

ادباء راحلون :

نيسان ديشمار (أديب رحل عام ١٩٨٢)

سمات بارزة :

سيادة الشيوخ فى عالم الادب ـ انحسار ابداع الشباب ـ محاولة صناعة نموذج ادبى غربى خاصة فى ثقافة الطفل ـ الترجمة عن الآداب الاخرى اكثر من ذى قبل .

الصين :

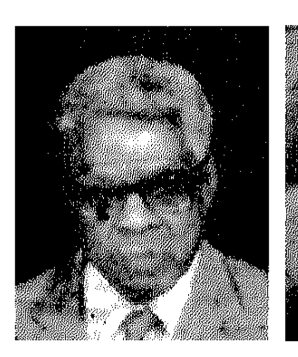
اسماء بارزة :

باكين (المرشح دوما لجائزة نوبل) ، الكاتبة سن جوشى ـ الروائى الشاب دنج لنج ـ الروائية المعروفة هان سوين .


باكين



اندريه سينيافسكى


الكسندر زينوفيف

إيميه سيزار

سمات بارزة :

الاهتمام بادباء الاقاليم الصينية ـ محاولة التركيز على ادب الشباب بصفته معبرا عن مرحلة ما بعد الثورة الثقافية ـ انتظام صدور مجلة بالادب الصينى بلغات عديدة كمحاولة للتعريف بالأدب الحديث فى الصين .

الاتحاد السوفيتى

اسماء بارزة :

اندرية سينافسكى ـ فاسيلى جروسمان ـ فلادمير بوكوفسكى ـ جيورجى سيمنوف ـ (جميعهم من الروائيين المنشقين) جنكيز ايتماتوف صاحب رواية "جميلة" .

ادباء راحلون :

ميخائيل شولوخوف (حاز على جائزة نوبل عام ١٩٥٦ مات عام ١٩٨٤)

سمات بارزة :

نشر رواية " اطفال الاربات " لريباكوف ـ عصر البيروستريكا فى الادب ـ السماح بنشر روايات المنشقين ـ الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد الشاعرة آنا أخماتوفا

افريقيا :

ابرز الاسماء :

وول سوينكا ـ شينو اشيبا ـ الاديبة نادين جورديمر ـ سينجور ، الروائى اندريه برينك من جنوب افريقيا ـ الشاعر والمسرحى ايميه سيزار .

سمات بارزة :

ازدهار ادب البيض المناهضين للتفرقة العنصرية ـ حصول افريقيا على جائزة نوبل عام ١٩٨٧ ـ ازدهار الفرانكفونية فى الادب والسينما ـ محاولة البعض كتابة الابداع باللغات المحلية



شعر : محيي الدين عطية

لماذا يظل المريض قرونا يعاني صنوف الضنا والرهق ؟
وهل علة الداء في فقره ؟ فما بال آباره تندفق ؟
اشكواه من ندرة في الرجال وابناؤه يحجبون الشفق ؟
ام الداء من قلة في السلاح وشاكيه يوشك ان ينطلق ؟
وهل يدعي انه ضائع ؟ بلا مذهب صالح يعتنق ؟
وكيف وفي راحتيه كتاب ، به جاوز السابقون الافق ؟

★ ★ ★

لعمرك إن البلاء بعقل تثاءب حتى انغلق
فمازال يبكي على امسه ، ويصنع احلامه من ورق
ومازال يتهم الآخرين بقنص العيون وسلب الحدق
فهذا يكيد له في المساء وذاك يباغته في الغسق
كان بصيرته اظلمت ، وان النهار لديه احترق
ومازال يرجع اسبابه ، لكل الخرافات حتى اختنق
ومازال يعبد اصنامه ، وقد صاغها درهما من ورق
فلما تمكن من بعضها ، تبعثر بين الهوى والفرق
فذاك العليل الذي نرتجي ، شفاء لادوائه لو صدق





انتصار السينما الامريكية

وانديانا جونز بطل الثمانينيات

عشرة أعوام فى عمر أى فن ، فيما عدا فن السينما ، ان هى الا طرفة عين . أما بالنسبة لفن لم يمض على ميلاده سوى مائة عام الا قليلا ، فتلك الاعوام العشرة لها ولاشك تاثير كبير على مساره ان بالسلب او الإيجاب .

وعلى كل فأول ما يلفت النظر فى سينما الثمانينات التى ذهبت أيامها كالحلم قبل ساعات هى السينما الامريكية باعتبارها الاغنى والاقوى والمتجددة دائما وابدا مثل العنقاء طائر الاساطير

فتلك السينما . وعلى نقيض السينما فى جميع انحاء العالم ، استطاعت ان تتغلب على جميع الصعاب كالفيديو والإرسال التليفزيونى بواسطة الاقمار الصناعية وما إلى ذلك من وسائل الاتصال وثورة المعلومات .

فإذا بإنتاج الافلام يرتفع الى عدد يناهز الخمسمائة فيلم سنويا . واذا المبيع من التذاكر يصل الى الف مليون او يزيد واذا بدخل الشباك السنوى يتجاوز فى كثير من الاحيان الاربعة بلايين دولار .

والفضل فى كل ذلك انما يرجع الى عوامل كثيرة لعل اهمها اولا : انحسار الرقابة بحيث اصبح دورها متحصرا فى حماية الصغار .

ثانيا : تجميع الشركات المنتجة والموزعة فى اتحادات ضخمة تتبع احتكارات مهولة . حتى تستطيع تمويل الافلام التى ارتفع متوسط تكلفتها الى خمسة عشر مليون دولار للفيلم الواحد .

ولعل خير مثلين على ذلك هما تجميع شركة بارامونت ومتروجلدوين مـاير والفنانين المتحدين ويونيفرسال تحت راية اتحاد مشترك .

وصفقتا دمج شركتى وارنر اخوان وكولومبيا الاولى فى مؤسسة تـايم الصحفية والثانية فى شركة سونى اليابانية ، وذلك قبل انتهاء الثمانينات بايام .

ثالثا : تغيير قيادات تلك الشركات بلا هوادة ولارحمة ، وذلك فيما لو لم يكتب اى نجاح جماهيرى لواحد من افلامها التى تدخل فى تعداد الانتاج الضخم .

واكاد اعتقد فى هذا الخصوص. ان البلاء العظيم الذى اصاب شركة الفنانين المتحدين ، فأدى الى تصفيتها ودمجها فى الاتحاد الذى يضم بارامونت ومترو ويونيفرسال فضلا عن فصل جميع كبار العاملين فيها ، هذا البلاء انما يرجع فشل فيلم "بوابة النعيم " (١٩٨١) لصاحبه "مايكل سيمينو" مخرج "صائد الغزلان" الحاصل على عدة جوائز اوسكار من بينها جائزتا احسن فيلم واخراج ذلك الفشل

الذى ادى الى اصابة الشركة بخسائر تعدت الاربعين مليون دولار .

ومن اسباب نجاح السينما الامريكية ، المخرجان المنتجان "جورج لوكاس" و"ستيفين سبيلبرج" مبدعا افلام الخيال العلمى وانديانا جونز عالم الآثار الامريكى الذى يركب المخاطر لا لشىء سوى ان روح الاكتشاف والمغامرة تجرى فى دمائه وان قدره المقدور هيأه لانقاذ الانسانية جمعاء من براثن الاشرار .

● انديانا ريجان

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ما جنحت إلى القول بان بطل مصنع الاحلام فى هوليوود ابان عقد الثمانينات هو بلا منازع انديانا جونز- وليس العميل الانجليزى جيمس بوند او الملاكم روكى او المحارب رامبو .

واكاد اقطع ان جيل هذا العقد هو جيل انديانا جونز او بمعنى اصح "انديانا ريجان" .

وليس محض صدفة ان ينتهى العقد بجدران مدن الولايات المتحدة واوروبا واستراليا واليابان مغطاة بملصقات آخر افلام ذلك البطل المغوار "انديانا جونز والحملة الصليبية الاخيرة" . وان يكون هذا الفيلم واحدا من انجح افلام الايام الاخيرة من العام .

وقد يكون من المفيد هنا ان اشير الى كوكبة من المخرجين الشبان الواعدين استطاعت بما ابدعت من افلام خارجة عن المألوف فى السينما الامريكية ان تشكل موجة جديدة قد تدفع تلك السينما الى امام .

ولعل اهم مخرجيها هم "جيم جارمش" صاحب "اغرب من الفردوس" و "سبايك لى" المخرج الاسود صاحب "افعل



انديانا جونز .. نموذج الثمانينات خلف ابيه - جيمس بوند القديم نموذج الستينات

الصح" و "ستيفن سبيلبرج" المخرج الذى ليس له من العمر سوى ستة وعشرين ربيعا ، ومع ذلك ابدع رائعة مهرجان كان الاخير "جنس واكاذيب" و "شريط فيديو" تلك الرائعة الفائزة بالسعفة الذهبية (١٩٨٩) والتى تعد واحدة من اروع الاعمال السينمائية ابان الثمانينات واكثرها ابهارا .

ومن المفارقات التى تلفت النظر ان يكون الفيلم الوحيد الذى يعرض للثورة الصينية باسلوب فنى رفيع "الامبراطور الاخير" انجليزى الجنسية من إبداع



مخرج ايطالى "برناردو برتولوتش" صاحب التانجو الاخير فى باريس .

● القربان الاخير

ومن المفارقات الآخرى أولا : ان تبدأ السينما فى شبه القارة الهندية فى التدهور .

هذا فى نفس الوقت الذى تنهض فيه السينما فى اصغر القارات الستة ، استراليا .

ثانيا : ان يجد اشهر مخرجى اليابان واعظمهم قدرا "اكيرا كورا ساوا" نفسه مضطرا الى طلب العون من شركة "كوبولا" المخرج الامريكى صاحب "الاب الروحى" وذلك حتى يمكنه اخراج الفيلم الذى يتمنى "كاجوموشا" .

ثالثا : ان ينحسر الاشعاع السينمائى فى اوروبا الغربية حتى ينحصر فى اسبانيا وذلك بفضل عودة الديمقراطية اليها بعد اختفاء فرانكو ، فضلا عن ظهور كوكبة من السينمائيين الموهوبين لعل اشهرهم الآن "بدرو المودوفار" صاحب فيلم "نساء على شفا الانهيار العصبى" (١٩٨٨) .

رابعا : ان تفوز السينما الدينماركية المغمورة باوسكار احسن فيلم اجنبى مرتين .

الاولى عام ١٩٨٨ بفضل "وليمة بابيت" للمخرج "جبرائيل الكس" .

والثانية فى العام التالى مباشرة وبتتويج "الفازى بيلى" للمخرج "بليه اوجوست" بتلك الجائزة المشتهاة .

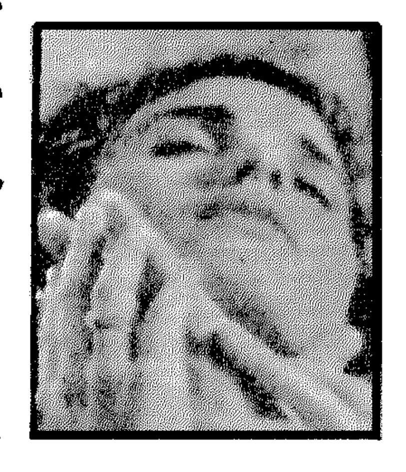
خامسا : ان يترك اهم مخرج سوفييتى اندريه تاركوفسكى وطنه مهاجرا الى ارض السويد حيث اخرج آخر رائعة له "القربان" ثم اسلم الروح صريع داء السرطان .



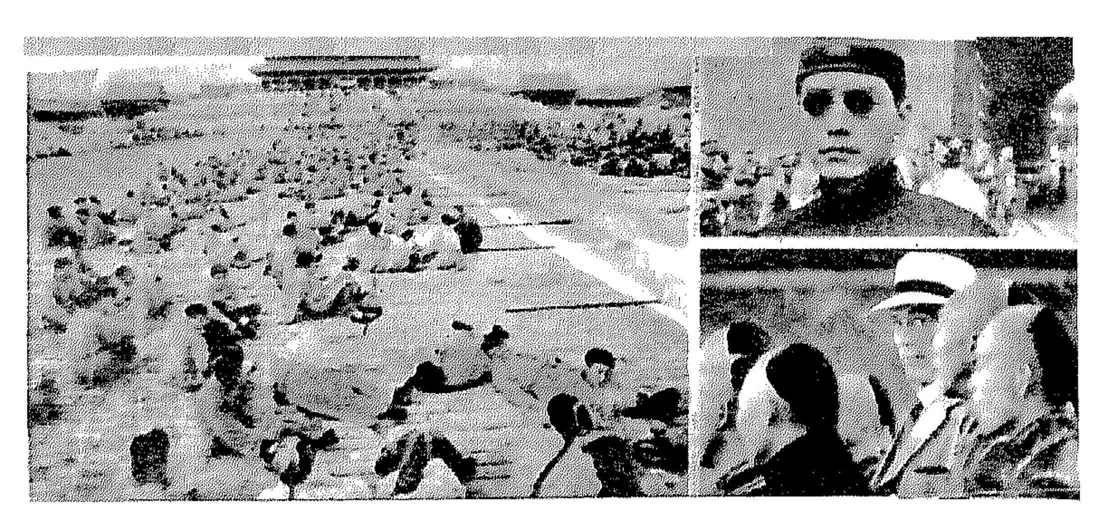
جنس واكاذيب .. على شريط فيديو ..



جيمس سبيدر حاز على جائزة احسن ممثل فى مهرجان كان عن فيلم « جنس واكاذيب »



أندى ماكدويل .. امراة تنتابها الرغبة فى « جنس واكاذيب ..... »



الامبراطور الاخير .. الفيلم انجليزى ، والمخرج ايطالى ، والثورة صينية

فاذا ما انتقلنا الى الوطن العربى لوجدنا انفسنا امام صورة قاتمة قد تنحدر بنا الى منزلة بغيضة من اليأس .

فدور العرض تختفى شيئا فشيئا ، حتى وصل الامر ببلد غنى كالكويت ان يصبح بلا دار واحدة .

ونقاد السينما عندنا منشغلون بالشجار والخلاف وتبادل الاتهامات على صفحات الجرائد والمجلات والنشرات . ومع ذلك فثمة نقطتان مضيئتان .

اولاهما "عرس الجليل" ذلك الفيلم الفلسطينى الذى افجأ مخرجه "ميشيل خليفى" العالم بروعته الاخاذة .

وكان اول فيلم عربى يتوج بجائزة النقاد فى مهرجان كان قبل عامين فضلا عن الجائزة الكبرى فى كل من مهرجان مونتريال وسان سبيستيان

اما النقطة المضيئة الاخرى فهى تخصيص مجلة الهلال ذات الجلال بابا شهريا للفن السابع وهو امر غير مسبوق فى عمرها الطويل السابق على الثمانينات .

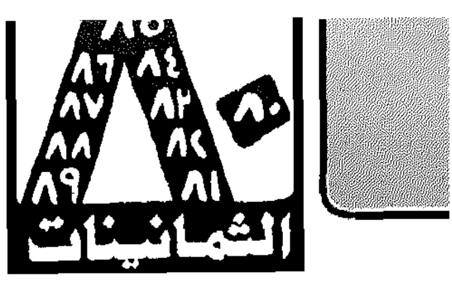
بعد هذا العرض لخلاصة الاحداث السينمائية موجزة يبقى ان اقول ان ثمة حدثا هاما مرّ حتى على المهتمين بالسينما ، مرّ الكرام ، مع انه قد يكون له على مستقبل الفن السابع تأثير كبير .. فما هو ؟

انه "أكتب على الاثير" اول فيلم ينتج بطريقة آى ماكس (اختصار لكلمتى العين بأقصى حد لها فى اللغة الانجليزية) .

فلقد عرض بمناسبة الاحتفالات بالثورة الفرنسية فى حضور رئيس جمهورية فرنسا بدار "جيبود" بمدينة العلوم والصناعة فى باريس .

ولااظن اننى مسرف اذا ما قلت ان هذا الفيلم الروائى الاول الذى يتيح للمتفرج ان يرى ما يعرض امامه وكأنه وسط المشهد يعيش : هو بداية عهد جديد .

م ٠ م



عقد خيبة أمل الدول النامية

بقلم: د. عصام الدين جلال

اختارت الدول النامية التعاون الدولي في التنمية العلمية والتكنولوجية كاحد اهدافها الرئيسية منذ منتصف السبعينات إلى جانب أهدافها الاقتصادية الأخرى مثل النظام الاقتصادي العالمي الجديد وتحقيق العدالة في نصيبها في التجارة والاستثمار الدولي.

● ابتدأت الجهود الرسمية للدول النامية عام ١٩٧٤ باقتراح ميثاق دولى لنقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى الدول النامية . وهدف هذا الميثاق هو تقنين هذه القناة الحيوية للتنمية بقصد ايجاد درجة من التوازن العادل بين المصدر والمستورد ، وتحقيق رقابة على جدية وفاعلية عملية النقل وخدمتها لقدرات الدول المستوردة وامكانيتها وترشيد استنزاف مواردها وضمان حصول كل طرف على عائد عادل لاسهامه . وكان لى الحظ ان أبقى المتحدث الوحيد باسم الدول النامية الذى استمر فى تمثيلها فى هذه المفاوضات حتى انقطاعها بعد اثنتى عشرة سنة .

والحقيقة ان الدول الغربية لم تكن تريد فى أى وقت اجراء اى حوار او قبول اى تنظيم لهذا الاحتكار او العائد الاقتصادى والسياسى الوفير . ولكنها تحت ضغوط سياسية متصلة قبلت فى عام ١٩٧٥ ان تبدأ مفاوضات ليس بقصد توقيع اتفاق دولى كما طالبت الدول النامية ولكن بقصد وضع ميثاق اختيارى غير ملزم تسترشد به الاطراف عندما تريد . ورغم هذا التنازل الضخم الذى قدمته الدول النامية ورضوخها لإصرار الدول الصناعية فان التلاعب والمماطلة والمكابرة صبغت موقف الدول الصناعية فى كل مرحلة من مراحل التفاوض .

وكان الموضوع الوحيد الذى أمكن إنهاء التفاوض عليه والذى يتعلق بالحق السيادى للدول النامية فى تقنين قواعد ونظم التعامل مع التكنولوجيا داخل حدودها والذى كان لى الشرف بالتفاوض عليه باسم الدول النامية نتيجة لما افلحنا فيه من احداث انشقاق فى صفوف ممثلى الدول الصناعية انعكاسا لعدم انسجام مصالحها بما أسقط فى يدها فى فجر اليوم النهائى لدورة المفاوضات التى استمرت ثلاثة اسابيع .

وفى عام ١٩٨٧ تحجر موقف الدول الصناعية وعلى راسها الولايات المتحدة بالعزوف عن الرغبة فى استكمال المفاوضات بحكم اصرارها على شروط

قاسية فى مقدمتها أن تستثنى من قواعد الميثاق فروع الشركات المتعددة الجنسية داخل الدول النامية وهى القناة الرئيسية لنقل التكنولوجيا ، وعدم خضوع النزاع بين الاطراف حتى الذى يتم داخل الدول النامية لقوانينها او قضائها وابدية السرية لما ينقل بما يمنع استيعابه او انتشاره داخل الدول المستوردة وبعد عناء وتكاليف وجهود مضنية أمكن خلالها انهاء صياغة ابواب الميثاق الثمانية فيما عدا ما يتعلق بتلك الشروط التى رفضت بمقتضاها الدول الصناعية ومازالت ترفض العودة للتفاوض واستمرأت استمرار الانفراد بالاطراف الضعيفة والمفتقرة الى الحسرة من دول ومصانع الدول النامية . ورغم ان بعض الدول النامية التى تملك القدرة حاولت تنظيم هذه الناحية بتشريعاتها الخاصة فان كثيرا من هذه الدول ومنها مصر لم تبادر الى سد هذا الفراغ بما يحقق اضرارا كثيرة لها .

● برنامج التعاون العلمى

وكانت المحاولة الثانية هى الدعوة الى مؤتمر فيينا عام ١٩٧٩ لوضع برنامج للتعاون العلمى العالمى والذى ينتهى باعتماد دولى لبرنامج فيينا المشهور . ومرة اخرى كان لى شرف المشاركة فى مولد ورعاية هذا المولود منذ منشئه حتى رآستى للجنة الاستشارية للامم المتحدة المسئولة عن تنفيذ هذا البرنامج حتى عام ١٩٨٨

ومرة اخرى لم تقدم الدول الصناعية اى دليل على حسن النية او الرغبة الصادقة فى التعاون المجدى على المستوى الدولى فمنذ البداية رفضت كبراها بزعامة الولايات المتحدة دفع النصيب المتفق عليه من صندوق تمويل البرنامج ورغم استمرار المحاولات والنداءات اخطرت الدول النامية لقبول تصفية هذا الصندوق والاعتماد على برنامج التنمية للأمم المتحدة لمنح فتات لايغنى ولا يشبع ومرة اخرى لم تظهر الدول الصناعية اية رغبة هذا العام عند اعادة مراجعة وتقييم البرنامج لقبول اى التزام او ارتباط فى إحياء آمال ومتطلبات الدول النامية والتى اصبحت أشد إلحاحا وضرورة بعد اشتداد الازمة الاقتصادية وتصاعد المديونية .

وفى ديسمبر الحالى القاعد بعد جهود وبذل وعناء عشرين عاما والاسى يعصر قلبى أن حصيلة الدول النامية لم تتجاوز الآمال والرجاء . وكثير منها تدهور حاله وتقلصت قدراته وموارده عن تلك التى ابتدأنا بها فى اول هذا العقد بقصد تنميتها .

وفى خطاب الوداع لممثلى هذه الدول انتهيت إلى وصيتين أنه بالرغم من كل المرارة وخيبة الأمل لابد من الإصرار على الاستمرار فى المحاولة والمفاوضة من موقف الوحدة والتماسك ، وانه لايعطى من العلم والتكنولوجيا إلا من معه . ولايزود بالمعلومات إلا من يعرف ولن تزاد قدرات الا من نما قدراته اولا . بجهوده وسياسته وخططه .



التقدم على حساب

• مطلوب تحويل العلوم إلى وسائل تغيير

بقلم: محمد فتحى

على الرغم من ان وحدة المعارف باتت مسلمة من مسلمات العصر يكشف التطور الذى يعيشه عالمنا ارتخاء متزايدا فى قبضة الفلسفات والايديولوجيات على تطوره ، وذلك فى مقابل احكام متزايد لما تمليه انجازات التقدم العلمى ومتطلباتها .. لقد صارت الانجازات العلمية تحدد نمط الانتاج وتحرك الممارسة السياسية ونوع الاعمال التى يمارسها الناس ونوع الثياب التى يلبسون ، والبيوت التى يسكنون ، بل وعدد ماينجبون من اطفال وطبيعة ما يرتكبون من جرائم .

ولم يعد يكفى للمتخلفين ، حتى يسايروا التطور العالمى ، مجرد استيعاب المعارف الجديدة او امتلاك الادوات العلمية (كالكمبيوتر مثلا) ، ذلك ان القول الفصل بات يكمن فى تحويل المعارف والانجازات العلمية الجديدة الى ادوات تغيير .. وهنا هو المازق الذى يطرق عقد التسعينات على العالم بشكل عام وعلينا بوجه خاص ..

● صباح احد ايام عام ١٩٨٠ فوجئت بالهاتف يدق فى منزلى الموسكوفى ، وكانت المرة الاولى التى يستدعينى فيها عملى على عجل .. طرقت باب زميلى العربى الذى يسكن نفس المنزل ، وكان « يتلفن » لام زوجته حتى تأتى وتبقى مع اطفاله الصغار ، حيث كان الاستدعاء يشمله هو الاخر .. وانا انتظره رحت أستقرىء الوقائع بصدد موضوع الاستدعاء ، وتراوحت عشرات الخواطر التى راودتنى بين قطبين ..

كان الاتحاد السوفييتى مشغولا بالانشطة الفضائية ، وكان يحقق

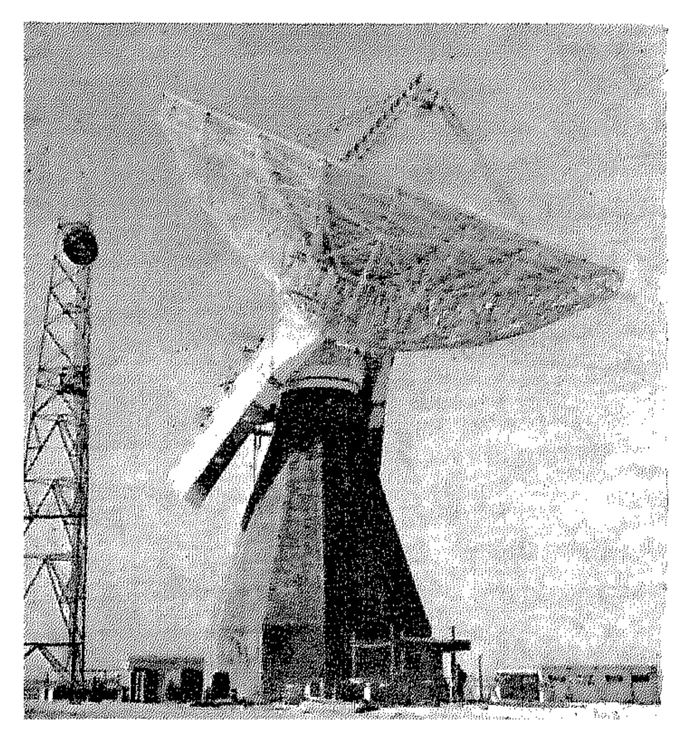
الفقراء

انجازا وراء انجاز ، وكنت أعرف أن محطة مدارية جديدة تستعد لضرب أرقام قياسية فى الفضاء ·· فهل وقع حادث فضـــائى جلل يتطلب المساهمة بجهد فى تغطيته اعلاميا ، كانت الشعلة الاولمبية قد أطفئت ·· فهل هناك اجراء بصدد الانتقال الى مقر عملنا الجديد ، الذى كان يشغله حتى ايام المقر الصـــحفى للدورة الاولمبية ؟

بين هذين القطبين المهنى والعام راودتنى عشرات الافكـــار ، وكانت جميعا تبعث على السعادة ·· سعادة أن تزف حادثا جللا للناس أو أن تخبر ممارسة العمل الصحفى (فى المقر الجديد) مسلما بآخر الانجازات التقنية للعصر ، التى كنت اقتصر حتى اللحظة على الاستمتاع بثمارها من خلال متابعة الاحداث الرياضـــية الكبيرة ، وأينما وقعت ، فى التـو واللحظة ، على شاشة التلفاز ··

وحين وصلنا الى العمـــل كانت المفاجأة المحبطة أن المطلوب هو أخذ بعض القياسات لرءوسنا وأجسامنا فى اطار عملية لاعداد ملابس واقية من الحرب الذرية !!

على هذا النحو كان مبلغ التوتر الدولى ، وكان الحديث يتكاثر حول امكان قيام حرب نووية محدودة ·· كانت الولايات المتحدة قـــد طوت الصفحات الاخيرة فى كتاب كارتر ، لتبدأ كتاب ريجان المليء بالتهديد ، والوعيد فى حق امبراطورية الشر أو



محطة الاقمار الصناعية بحلوان

الشيطان وربما كانت افكاره حول مبادرته الدفاعية (حرب النجوم) آخذة فى الاختمار ··

تذكرت هذه الصورة التى تنتمى الى بداية الثمانينات حين كلفتنى مجلة « الهـلال » بالمشاركة فى حصـادها للثمانينات ، ورحت أقرنها بالصورة التى تصنعها أوراق عملى هذه الايام فالمسافة بين الصورتين توضح بشكل من الاشكال هذا الحصاد ·

● الدنيا فى سريرك

وفى مقابل الامكانات الخيالية لنقل المباريات الرياضية عن طريق الاقمار الصناعية ظهرت الامكانات الخيالية لتلقى الانسان فى أرجاء مختلفـــة من العالم ـ آخذة فى الاتســـاع ـ الارسال التليفزيونى العادى للدول الاخرى مباشرة عن طـــريق الاقمار



الصناعية وهكذا تحول العالم كما اكد ماكلوهان قبل سنوات الى قرية اعلامية اتصالية حقيقية ..

وفى مقابل الاعتماد على الكمبيوتر فى تسيير العمل داخل وكالة صحفية بما يعنيه ذلك من كتابته المواد ونقلها والاستعانة بخدمات الارشيف و .. (الناتج هو مادة مجموعة منسقة جاهزة على الطبع) بات بالامكان فعل ذلك فى كثير من البلدان ، من داخل البيت ومن موقع الحدث .. بل وصار ممكنا مع اتصال البيوت بشبكات الكمبيوتر عن طريق هواتف جديدة تتعامل بلغة الكمبيوتر ، صار بالامكان القيام من البيت بانشطة كثيرة اوسع بما لا يقاس مثل العلاج والشراء والتعلم ، بل والغزل والبحث عن شريك العمر .. ونكرر ان كل ذلك يتم اعتمادا على الهاتف المنزلى وحده !!

وفى مقابل استعانة زميل بام زوجته للجلوس مع الاطفال بتنا نقرا هذه الايام عن حموات وضعن ارحامهن تحت طلب بناتهن حتى يخففن عليهن اعباء الحمل والولادة وحتى لا ينقطعن عن اعمالهن ..
وليس هذا الفعل الغريب الا «بروفيلا» واحدا من عشرات « البروفيلات » التى اتاحتها الانجازات المذهلة فى مجال علوم الحياة ، دع عنك الحديث عن علوم الهندسة الوراثية (!) .

● عالم واحد

وفى مقابل الحرب النووية ومبادرة الدفاع الاستراتيجى (حرب النجوم) بات الحديث الاساسى هذه الايام يدور حول انفراج العلاقات وتدمير الاسلحة وتبادل زيادة كل طرف لاكثر مشروعات الطرف -الاخر- سرية وفى مقابل الرحلات التى يقوم بها سكان الارض الى الفضاء القريب منهم تزداد الاحاديث عن مهام اضخم فى فهم كنه هؤلاء الذين يحطون من عوالم وحضارات اخرى بعيدة بمركباتهم الفضائية على كوكبنا اتين من عوالم وحضارات اخرى بعيدة جدا ، لابد وانها اكثر تقدما بما لا يقاس احتكاما الى قدراتنا التى لا تمكننا حتى من فهم من اين اتى هؤلاء او الوسائل التى يتعاملون بها معنا !!

عشر سنوات فقط .. لكن يالهول ما حدث فيها من تغيرات !!

وان كان الهول نابعا من مسافة « التقدم » التى تم انجازها فى هذا او ذاك من المجالات او فيها كلها او بعضها متشابكة فان الوجه الاخر للهول يكمن فيما ينطوى عليه هذا « التقدم » من تناقضات صارخة ..

ان مجمل التطورات التى تاكدت خلال العقد الماضى مثل تحول العالم الى قرية اتصالية ، وسقوط الحدود بين الدول (مع الخروج الى الفضاء) بل ومن خلال التاثيرات السلبية مثل تحول معنى الحرب الى دمار للكل (مع الاسلحة النووية والصواريخ) وتهديد التغييرات البيئية للكل (كما فى تاكل طبقة الاوزون وارتفاع درجة حرارة الكوكب وما يستتبعه من ذوبان للجليد وغرق لليابسة) ، و .. وحتى الوصول الى مواجهة عالمنا لعوالم وحضارات اخرى ..

ان مجمل هذه التطورات يعزز صورة العالم الواحد الذى يواجه مصيرا مشتركا الامر الذى يتناقض مع عدم سريان هذه التطورات بصورة متجانسة فى اوصاله بل وفى دفعها الى زيادة الاستقطاب (لا الى زوال الفروق) ، بين الاغنياء والفقراء

او المتقـدمين والمتخلفين (لم يعـد لتسمية العالم الثـالث أو النامى معنى) ذلك انه يدفع بالمتقدمين الى التعامل والحركة بسرعة الضوء حقيقة لا مجازا ، بينما يضع الحواجز فى طريق الفقـراء ، الذين لا تتجـاوز القدرات التى يتعـاملون بها ، فى أحسن الاحوال ، الحصان الميكانيكى !

وينبغى التاكيدهنا على أن طبيعة الانجازات العلمية الحديثة ، على حيادها فى حد ذاتها ، تساعد الاغنياء المتقدمين فى تكريس هذا الاستقطاب ٠ ذلك يحدث أما لعدم ادراك الفقراء أو قصورهم فى فهم هذه المستحدثات أو عجزهم عن ادارتها لصالحهم أو٠٠ ويحسن هنا التطرق الى بعض الامثلة التطبيقية ٠٠

ان خمس دقائق من التصـوير الفضائى اليوم تتيح من المعلومات ما تستغرق الطـائرات فى جمعه فى عامين كـاملين ، وما لا يتيسر للبعثات المساحية الا فيما يقرب من ثمـانين عاما ٠٠ والمعـلومات الفضائية ليست ضربا من الترف أو الخيال ، فهى تخص مجالات هـامة تمس مختلف جوانب حياة الانسان ، من حالة طقس وتربة الى بحث عن ثروات طبيعية ، ومعلومات تساعد فى مقاومة الامراض (الملاريا مثلا)

والمهم أن الفقراء والمتخلفين اكثر من غيرهم افتقارا ـ وحاجة فى نفس الوقت ـ الى مثل هذه المعلومات ، والحصول عليها بالطرق التقليـدية اجراء بطىء وباهظ التكاليف ، تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر وضعف البنى الاساسـية ، ونقص الكوادر الفنية ، ٠٠ و٠٠

وعدم استيعاب الفقراء لذلك أو عدم وعيهم بأن تكاليف الحصـول على المعـلومات من هذه الصـور الفضائية صارت أهون بما لا يقاس مقـارنة بالطرق الاخرى ، يجعل علاقتهم ـ الفقراء ـ بمعارف الفضاء فى غاية الشذوذ ٠٠ اذ لا يستفيدون اقل استفادة منها رغم انكشاف أدق خصوصياتهم لكل القوى التى تحاول تكريس حالة الاستقطاب دون استيعاب لتغيرات العصر ٠٠

وحتى حين يعى الفقـراء بعض المتغيرات التقنية ويحاولون الاستفادة منها يجدون أنفسهم يدورون فى اطار استراتيجية الاغنيـاء فاذا اخذنا مجال الكمبيوتر والمعـلومات على سبيل المثال لوجدنا البلدان الفقيرة تعلم وتدرب قطاعا من مواطنيهـا ليتسرب نوابغ المتعلمين والمتدربين الى العمل فى اطار مشروعات الاغنياء وحين يفتقر الفقراء الى الموارد يقدم لهم الاغنياء المعونات التى تركز على ما يحتاجونه هم لاعلى ما يحتـاجه الفقراء ، الذين يوقعهـم الاعتماد على الخبـرات الاجنبية الى جوار الموارد الاجنبيـة بين سندان عدم استيعاب الاجانب لظروفهم الخاصة ومطرقة المآرب الخاصة التى تحركهم وهكذا يجدون انفسهم بين خيارين ٠٠ اما التخلى عن هذه التقنيـات وتكريس التخلف ، أو التعرض ـ دون وجـود ضـوابط فى تأمين المعلومات الخاصة بهم ـ لاستنزاف معارف حيوية تخصهم ، وربما دون دراية منهم ، فيزداد انكشافهم امام الاغنياء ٠٠

وقد تتم مثل هذ الامور كتحصيل



حاصل دون شبهة « جنائية » لكنها تجرى فى بعض الحـالات مع سبق الاصرار والترصد ولا بأس ان يكون مثالنا هنا التكنولوجيا الحيوية ، التىتزيد الكيمـاويات بنشاط من عالمنا ، التى يمكن أن تشكل مخرجا ناجعا لمواجهة المجاعات التى تجتاح البلدان الفقيرة ·· ذلك أن كثيرا من الشركات العـاملة فى هذا المجـال تسعى الى الكسب الباهظ ، على نحو لو أخذ مداه ، لتحـول الى كارثة للفقراء الذين تشـترى (تسرق) الشركات ثرواتهم المتمثلة فى القاعدة الوراثية لعالمهم النبـاتى والحيوانى بابخث الاثمـان ، وربما دون اية دراية منهـم ثم تعود وتبيعهم نتـاج معالجة هذه الثروة الحيوية (على شـكل بذور وسـلالات محسنة) بابهظ الاثمان اعتمادا على البراءات التى سجلتها لهذا النتاج ··

هذا وقد ضربت الانجازات التقنية الحديثة كثيرا من العوامل التقليدية التى كان وجود الفقراء يعتمد عليها ذلك أن التوسـع فى الاعتمـاد على الروبوت (الانسـان الآلى) ساعد على انتاج كثير من السـلع الارخص تكلفة والاكثـر جودة مما قضى على « ميزة » الايدى العـاملة الرخيصة ، كما ساهم وجود مواد جديدة فى الحـط من قدر المـواد التقليدية التى كانت فى خـاماتها تقيم أود الفقراء ··

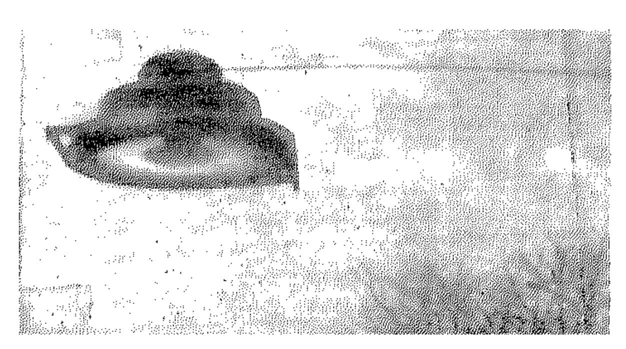
على هذا النحو راحت الانجازات العلمية التقنية الحـديثة تغير من صورة العالم خلال الثمانينات ·· وقياسا الى الموقع الذى نطل منه على هـذه الصـورة لابد وأن نرى فى مقدمتها الرهـق الذى يتعرض له الفقراء فالانجازات التقنية تضعهم فى مأزق لا يحسدون عليه ولابد أن يلفت نظـرنا بين رهق المتخلفين نصيبنا نحن العرب من هذا الرهق ، ذلك ان اسرائيل استطاعت بارتباطها المصيرى مع الولايات المتحـدة أن تكون فى الخـط الاول من التطور العلمى ممتلكة أحدث الادوات العلمية والتقنية المؤثرة من الذرة الى تقنيات الفضاء مرورا بتقنيـات الكمبيوتر والليزر والهندسة الوراثية ··

لقد حذرنا على صفحات « الهلال » فى منتصف الثمانينات من مشاركة اسرائيل فى برنامج حرب الفضـاء ، ويمكن أن يكشف وتيرة الخطر الذى يداهم العـرب أن نفس العقـد من السنين لم ينطو الا واسرائيل تمتلك الى جوار صواريخها واسـلحتها النووية مخططات واضـحة لانتاج صـواريخ بعيدة المدى ، ولاطـلاق اقمار صناعية للاتصالات الى جوار اقمار التجسس التى بدات اطلاقهـا بالفعل ·· ذلك بينما شـهد العرب خلال الثمانينات سنوات عجاف لم تلح بوادر الافاقة منهـا فى الشهور الاخيرة ·· فهل يمكن أن يحمل العقد القـادم صورة أكثر اشراقا فيمـا يخصهم ·· ؟

اننا لا نملك هنا الا التأكيد على أن الانجـازات العلمية والتقنيـة انجازات محايدة فى حد ذاتها ·· لكن توظيفها فى خدمة هذا التجمع البشرى او ذاك ـ بما فى ذلك الفقراء والعرب ـ رهن بإرادة تبـدع ، من خلال الوعى بما يحيط بها ، ما يحول المعارف والانجازات العلمية الجديدة الى ادوات للتقدم ·



هذه بعض الانجازات العلمية التى تمت فى الثمانينات



حقيقة العوالم الأخرى

طوال الثمانينات تواترت الانبـاء عن مشاهدات لاطباق طائرة تحـلق هنا أو هناك من المناطق التى تشهد انشطة غير عادية ·· الخليج العربى ابان حـرب الخليـج ، ومدينـة سفردلوفسك السوفييتية حيث توجـد انشطة فضائية وصناعية مكثفة ·

لكن نهاية الثمانينات شهدت اول حادث موثق فى هـذا الصدد ، ففى يوم ٢٧ سـبتمبر المـاضى هبطت فى منتـزه بمدينة فورونيج السوفيتية مركبة فضائية غامضة ، وبعد جولة سريعة قام بها من كانوا على متنهـا فى المنطقة عاودت السفينة تحليقها ، وخلفت وراءها حفرة عمقها ٢٠ مترا ·· وأعلن علماء فى الفلك والحيـاة والطبيعة زاروا المنطقة بعـد ذلك ، أن الظواهـر العلمية المتخلفـة فى المنطقة تؤكد كلهـا على هبوط جسم لا يقل وزنه بحال عن ١١ طنا !

والمعروف أنه كانت قد شكلت فى الاتحـاد السوفييتى اخيـرا لجنـة لتقصى الحقائق حول قضية الاجسام الطائرة المجهولة وانتخب رئيسا لها فلاديمير عجـاجة وهو حاصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم التقنية ، ومعروف بحماسه الشـديد لهذه القضية ، وانتخب نائبـا له الملاح الكونى بافل بوبوفيتش ·· وقد صرح رئيس اللجنة ان أولى مهامها سيكون صياغة نظام للحصول على المعلومات بخصوص هذه الظواهـر توطئـة لمعالجتها وحفظها ، بحيث يصبح ممكنا لكل الراغبين الاستعانة بها ، كما ستتطرق مهام اللجنة الى تنسيق أنشطة العديد من جمـاعات البحث والافراد المتحمسين لهــذا الموضوع ·

وما هى الا أيام بعد ذلك حتى اقر أعضاء الندوة السوفييتية للبحث فى الظواهر الخـارقة ، والتى انجزت عملها فى عاصمة كاريليا السوفييتية، أن عدد الاشخاص الذين رصـدوا اجساما مجهولة الاصل مثل الاطباق الطـائرة والكرات الملونة ، ازداد كثيرا فى الاونة الاخيـرة ·· وأن أحاديث هؤلاء وجدت صدى لها على صفحات الجرائد والمجلات ·

هذا وقد أصبح بامكان كل راغب ان يشارك فى دراسة هذه الظاهرة ، ابتداء من شهر أكتوبر ، ذلك انه تأسست فى موسكو مدرسة مجانيـة لدراسة الاجسام الطائرة المجهـولة الاصل ، ولسوف يساعد الطلاب علماء اكاديميـة العـلوم ، وبعض رواد الفضاء ·

كوكتيل مخلوقات والهندسة الوراثية

اخذت مسألة الجمع بين العوامل الوراثيـــة لكائنين مختلفين ، التى كانت حتى عهد قريب مجرد نبت فى محيط الخيال ، اخذت تحث خطـاها فى معـامل الهندسة الوراثية • ولم تقف عنـد خلط مكونات النبـاتات ، مثلمـا حدث بين خليتى الطمـــاطم والبطاطس ، حيث أمكن انتاج نباتات جديدة تجمع بين صفات النوعين ، تنقل صفاتها الى الاجيال التالية •

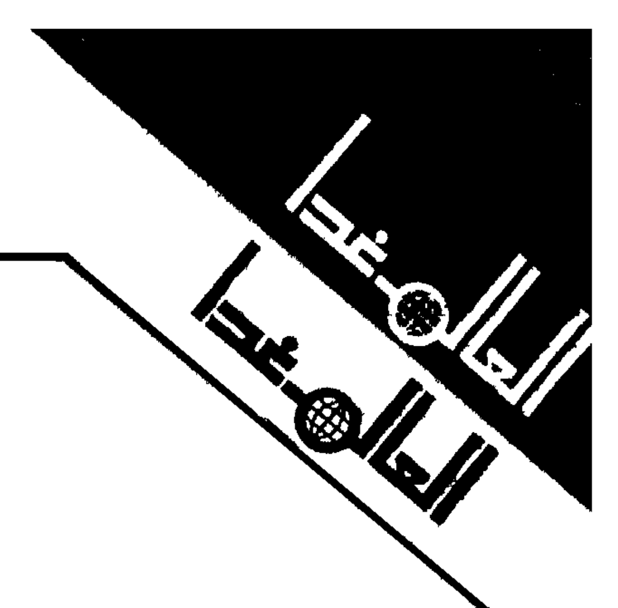
ولم تقف التجـارب عنـــد عالم النباتات بل امتدت الى عالم الحيوان، وتمكن الباحثون ـ على سبيل المثال ـ من زرع مورث أو جينـة خاصة بلون العينين فى أجنة ذباب الفاكهة ، فجاءت عيون نسبة منها معبرة عن الجينة المزروعة • وانتقلت الصـفة الجديدة (اللون الاحمر الوردى بدلا من اللـــون البنى) الى الاجيـــال المتعاقبة •• بل وتجاسرت المؤسسات العلمية على الجمع بين صفات النبات والحيوان ، كما حدث مثلا عنـــد ادخال العلماء مورثات الذباب المضىء فى نبات الدخـان • وحصـلوا بذلك على نوع منه يضىء فى الظـلام •• ووصل أمر التجريب الى الحيوانات الثديية الولودة ، التى ينتمى الانسان اليهــا • اذ أمكن عزل الجينـات المسئولة عن نمو الانواع الكبيرة من الجرذان فى حالة نقيـة ، ثم حقنت هذه الجينات فى نواة خلايا ملقحـة ـ فى أنابيب الاختبـار ـ لنوع من الفئران الصغيرة ، نقلت بعدانقسامها الى أرحام فئران من نفس النوع •• وعندما ولدت هـذه الفئـران بدأت الذرية تنمو نموا غير عادى ، حتى اصبحت فئـران « سوبر » وصلت أحجامها الى ضعف وضعفين وثلاثة أضعاف حجم الفئران الاصلية ••

المهم انه بدأ أخيرا تنفيذ مخططات تهدف الى نقل هـذه الممارسات الى الانسان بهدف التصدى لعـدد من الامراض الوراثية عن طـريق تغيير المورثات التى تتسبب فيها •

تليفونات ذكيــة



اكتسبت أجهـزة الهـاتف خـــلال الثمانينات بعض المهـارات التى لم يكن يقدر على القيام بهـــا سوى الانسان فهذا هاتف يختزن عشرات الارقام فى ذاكرته ويقوم بالاتصـــال بأى منها ، ما أن يشير اليه صاحبه بذلك •• وهناك هاتف من هذا النوع مزود بساعة يمـكن أن يستخدمها المرء فى وضع جدول زمنى لمجموعة متكاملة من المكالمات ، يقوم الهاتف بانجاز كل منها فى حينه ، كما أن هناك ذلك الهاتف الذى يستطيع أن



يبلغ رسالة مسجلة لمجموعة كبيرة من الارقام على التوالى .

عشرات من الاستخدامات الجديدة التى نبعت من تزويد الهاتف القديم بذاكرة صغيرة حولته الى جهاز الكترونى فيه الى جانب الهاتف التقليدى ، كمبيوتر صغير ، أهله لان يتذكر أشياء من قبيل الارقام الاكثر استخداما ، ولان يرفض المكالمات غير المستحبة ولان يستمع الى الاوامر الصوتية .

لكنه مع نهاية الثمانينات ظهر هاتف مختلف تماما يقوم بأدوار أكثر تعقيدا لان التغيير لم يقتصر على هاتف واحد ، ولا على مجموعة متناثرة منها ، بل لان مجموعة هائلة من الهواتف ذات الذاكرة صارت تعمل مع بعضها ، ضمن شبكة موحدة وفق أسس تقنية مخالفة تماما .. ذلك ان أجهزة التحويل المستخدمة مع الهاتف الجديد الذكى صارت كمبيوترات مصنوعة من الرقائق السلكونية العجيبة القادرة على تخزين كم هائل من المعلومات والقيام بعدد هائل من العمليات وفق برامج محددة تجعلها قادرة على القيام بمهام متنوعة وفق ما يمليه احد المتصلين فى حق أى من المشاركين الاخرين فى اطار الشبكة كلها .. فحين يود احد أن يتجنب مكالمات أصحاب أرقام معينة فما عليه الا أن يضغط زرا معينا فى هاتفه ، ثم يدق كل الارقام التى لا يود الحديث معها ، واذا حاول أى منها طلبه فلن يدق هاتفه بالمرة ، بينما يتلقى الطرف الاخر الاعتذار عن اتمام المكالمة ، ويبقى الهاتف على موقفه حتى اشعار آخر .

وقس على ذلك مجموعة من الخدمات الاخرى مثل تقديم أصحاب أرقام معينة على المكالمات العادية أو أن يجعل الطالب رقم هاتفه يظهر على هاتف من يطلبه .

ومثل هذه الشبكات الكمبيوترية الجديدة معروفة اليوم فى عدد من المدن اليابانية والامريكية والبريطانية والفرنسية ويمكن استخدام هذا الهاتف فى كل الخدمات التى يمكن انجازها من خلال شبكة كمبيوتر مثل حجز تذكرة سفر بالطائرة أو تلقى خدمة صحية ما أو ...

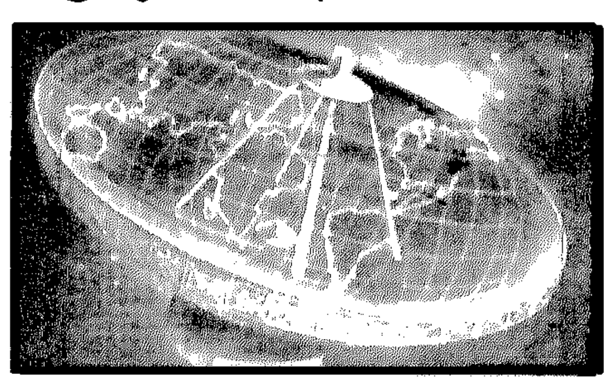
مجتمع المعلومات

غزت تقنية المعلومات مختلف الانشطة والقطاعات فى البلدان المتقدمة ، على نحو لم تعرفه الحضارة البشرية مع أى من التقنيات السابقة ، وأدى هذا الغزو الى انقلاب هائل فى مختلف مناحى الحياة ، ذلك أن تقنية المعلومات أدت الى تعديل الهياكل التنظيمية فى المؤسسات ، وغيرت من نمط مركزية السلطة ، كما غيرت مصادر بيانات الادارة وأساليب المتابعة والرقابة .

وقد حث ذلك باطراد الطلب على القوى العاملة التى تستوعب تكنولوجيا المعلومات ، وزاد من معدلات الابتكار ، ومن أساليب الاداء كما غير من هياكل الاجور ، ونظم الحوافز والمكافآت ، وأدى فى نهاية

المطاف الى اعادة توزيع الادوار فى الحياة الاجتماعية وبدل مجـالات التوظيف ، وزاد الطلب على التدريب لمواجهة المتغيرات فى ظروف العمـل وكان من نتيجة ذلك كلهزيادة الكفاءة التخطيطيـة والتنفيـذية ، وزيادة معـدلات الانتـاج ، ورفع مسـتوى الخدمات ، الامر الـذى ينعكس فى النهـاية على النـاتج القومى لاى مجتمع .

تفاصيل جسد الأرض



مع الخبـرات المتعـددة خـلال الثمانينات اكـد النشـاط الفضائى مفـارقة أن الانسـان يرى الارض « أوضح » كلما ابتعد عنها . وكلما تم التصوير من ارتفـاع اكبر زادت دقة الصور ، بل وظهـرت التفاصيل التى يعجز الانسان أن يراها بوسيلة أخرى .. ومع ما اصاب الانسـان من انبهار ودهشة بدأ تفكيره يتفتق عما هو جديد تماما .

ان التصـوير الفوتوغرافى ليس سوى نوع واحد من انواع التصوير التى خبرها الانسـان على الارض . ومن المعروف أن هناك نوعا اخر من الصور تتعامل معه أجهزة التلفاز ، ونوعا ثالثا تتعـامل معه أجهـزة الرادار ، ونوعا رابعا تتعامل معـه أجهزة الرؤية الليلية .

أنواع وأنواع من الصور يرجـع تعـددها الى كون « الموجـات الكهرومغناطيسية » سلما طويلا لانرى بعيوننا الا جزءا يسيرا من درجاته ، ويتعامل كل نوع من أنواع التصوير مع درجات أخـرى عليـه .. كان الانسـان يدرك أن الصـورة التى يلتقطها جهـاز أشعة اكس « الهيكل العظمى » غير الصورة التى يلتقطهـا جهاز الرؤية الليلية .

وهكذا شرع الانسـان فى نقـل خبـراته « التصويرية » الى الفضاء ومضى يرصـد ما تحتـه بمختلف الطـرق . واكتشف الدارسون انه ليس بمقدورهم التفرقة — فى صور معينة — بين الخضرة والرمال ، وان أمكن تفريقهما معا عن سطح المياه . ثم تبينوا أن ظـلال طريقـة ثانية لا تفرق بين المياه والخضرة ، وان فرقتهما معـا عن الرمال .. وهكذا أمكن من حصـيلة صورتين التفـرقة بين الخضرة والرمال والمسـطحات المائية ، ومن حصيلتهما مع صـورة ثالثة الكشف عن طبيعة الصـخور وطبيعة الخضرة ، ومن صورة رابعة التفـرقة بين المسـاحات السليمة والمساحات المصابة بآفة من الافـات حول نبات بعينه .. هذا كما مكنته صورة خامسة من الكشف عمـا هو كامن تحت سـطح الارض أو سطح الماء .

المهم أنه الى جوار تحديد ما هـو فوق الارض وتوقع ما هو تحتهـا بلغت دقة صور الفضاء مع نهـاية الثمانينات حـدا يمكن الانسان من تحديد هوية الاشياء التى تقـاس ببضعة سنتيمترات على الارض .

رحلوا في الثمانينات

توفيق الحكيم .. رائد المسرح العربى

بالرغم من اسهاماتـه الخصبة الغزيرة فى مجالات الرواية ، والقصة القصيـرة ، والنقـد الأدبى والفنى والسيرة الذاتية والمقالة الذاتيـة الادبية والصحافية والسياسية ، وآثار تلك الاسهامات القوية الواضحة فى ادباء جيله والأجيال التالية له ، يظل اسهام توفيق الحكيم الأكبر والاقوى فى ادبنا ،العربى متمثلا فى مسرحياته الثمانين التى كتبها بين ١٩١٩ و ١٩٧٢ وهو أكبر عدد من المسرحيات الفه كاتب عربى حتى الآن فيما نعلم ، فضلا عن اضافاتها الفنية والفكرية المخصبة الى ادبنا ومسرحنا .

كان مسرحنا قبله يتارجح بين الغنـائيـات الـراقصـة السـاذجـة ، والهـزليـات المـاجنـة الصـاخبـة ، والميلـودرامات الـدمويـة العنيفة ، ويغلب عليه الترجمة والاقتباس مع محاولات جادة قليلة لفرح أنطون وابـراهيم رمزى ، ومحمـد تيمور ، وغيرهم لم يقدر لها الصمود فى مواجهة تيارى الهزل والعنف المسيطرين على مسرحنا حتى اليوم .

فبعد تجارب عديدة ودراسات أدبية وفنية وفلسفية وعلمية شاقة نشر توفيق الحكيم أولى مسرحياته « أهل الكهف » سنة ١٩٣٣ ، فاذا بكبار أدباء العصر ونقاده يرحبون بها باعتبارها اول مسرحية مكتملة فى الأدب العربى ، ويكتب عنها د . طه حسين مقاله الشهير الذى قال فيه :

« .. لا أتردد فى أن أقول إنها أول قصة تمثيلية حقا ، ويمكن أن يقال إنها أغنت الأدب العربى وأضافت إليه ثروة لم تكن له .. ويمكن أن يقال إنها قد رفعت من شأن الأدب العربى وأتاحت له أن يثبت للآداب الأجنبية الحديثة والقديمة ..»

والحق أن « أهل الكهف » كانت أول مسرحية عربية تعالج موضوعا انسانيا عميقا على النحو الذى فعلته كل روائع المسرح العالمى الباقية ابتداء من ماسى سوفو كليس حتى درامات ابسن وشو وبيراندللو .. ولأول مرة يرتفع كاتب عربى بقامته الى عالم هؤلاء الشوامخ ليقول رأيه فى احدى مشاكل الكون ، وهى علاقة الانسان بالوجود ، وصراعه الخالد مع الزمن ، ويفعل ذلك فى بناء درامى محكم ومن خلال شخصيات حية مقنعة .

ولذلك اختيـرت « أهل الكهف » يفتتح بها « المسرح القومى » سنة ١٩٣٥ ولو أنها حققت على خشبة المسرح مثل نجاحها ككتاب لتغيرت مسيرة المسرح العربى .. ولكن البيئة

الثقافية العربية لم تكن تهيأت بعد لاستقبال مثل هذا المسرح الجديد الجاد ، ولعلها لم تتهيأ له حتى اليوم تماما مع انتشار الأمية الأبجدية والثقافية وسيطرة الاتجاهات الجارية على ثقافتنا وفنونها .

ومع ذلك فإن ازدهارة المسرح المصرى والعربى فى الستينات مدينة لتوفيق الحكيم بالكثير ، لا لمسرحياته الاجتماعية والسياسية التى قدمت خلالها فحسب ، ومن ابرزها « الصفقة » (١٩٥٧) ، « السلطان الحائر » (١٩٦٢) ، « شمس النهار » ، « ياطالع الشجرة » ، « الطعام لكل فم » (١٩٦٤) . ولكن كذلك بفضل تلاميذه العديدين الذين قامت تلك الازدهارة على مسرحياتهم كنعمان عاشور والفريد فرج ، وسعد الدين وهبه .. وغيرهم ..

حتى نجيب محفوظ رائد الرواية العربية والفائز بجائزة نوبل اعترف بفضل « الحكيم » عليه وعلى ادبه فى مناسبات عديدة ، كان آخرها يوم فوزه بالجائزة العالمية إذ قرر انه هو وطه حسين والعقاد كانوا احق منه بالفوز بتلك الجائزة الكبرى .

فؤاد دواره



توفيق
الحكيم

رحلوا في السنينات

فتحي رضوان

النجم الذي إزداد تألقا فى الثمانينيات

بقلم: صافي ناز كاظم

● حين توقف قلم فتحي رضوان عن الكتابة ، وكان ذلك ١٠ أكتوبر ١٩٨٧ ، اى عام قبل رحيله فى ٨٨/١٠/٢ ، داهمه المرض فجأة ، شعرت كأنى فقدت النطق ، فقد كانت كتاباته التى تصاعدت سخونتها مع مطلع الثمانينيات هى الناطقة بلسانى والحقيقة انه رغم الحياة العريضة الطويلة لفتحي رضوان فإننى لم أتوحد مع كتاباته الا مع الثمانينيات ، ولم أسعد بلقائه الا فى ١٩٨١/١١/٢٥ فى قصر العروبة يوم الأفراج عنه وعنى مع السياسيين الذين تم التحفظ عليهم ضمن قرارات سبتمبر من نفس العام .

● حين رأيته هتفت فى فرح اكبر من فرح الافراج : « أستاذ فتحى لقد شرفنى أن أكون فى قائمة اعتقال على راسها فتحى رضوان » ابتسم ـ وكان عابسا ـ وكانت دعوتنا للقاء بالرئيس مبارك قد بدأت ، وحياه الرئيس وأجلسه الى جواره فى مودة وتقدير ، وكان الرجال قد انتخبوا متحدثا بلساننا بدأ يتحدث وعارضت فى سرى وتمتمت : « لا أحد يتحدث بلسانى الا فتحى رضوان » وكنت اقصد مقالاته التى كان ينشرها اسبوعيا واجدها بلسما لجراح قلبى وروحى وفمى ، تخفف احساسى بالاختناق . فما من مقولة قيلت او اجراء تم او حادث حدث وتمنيت فى اثره رفع صوتى وقلمى بالراى الا ووجدت عند استاذنا فتحى رضوان مايشفى غليلى ويكفينى وقد اسرع بمبادرته متصديا بصدره فى شجاعة وشهامة : مواجها العين بالعين فى فتوة ونصاعة وشموخ ، وكنت اقول : كأن الله سبحانه وتعالى قد ادخره كل تلك السنوات ليخوض مرحلة صعبة وليكون من اشد فرسانها جسارة وبسالة ، يقول الحق كاملا ، ووقت لزومه ـ مهما تعقد قوله وتكلف امره ـ فى يسر وبساطة : شهيقا وزفيرا : تنفسا طبيعيا لصدر الأمة ، وتوطدت بعد ذلك صداقتى مع استاذى وانطلقت اعدو فى ردهات عالمه الأدبى



الخروج من المعتقل .. بعد احداث سبتمبر ١٩٨١

والفنى الوسيع اتلمس كتاباته التى تفيض بها حيويته وينجزها نشاطه المبهر خاصة فى مجلتى الهلال والدوحة ، مع محاولتى استكمال الناقص من كتبه عندى ، كان يوصينى كلما سألته سؤالا عن نفسه ان اقرأ « خط العتبة » و« الخليج العاشق » وحينما فشلت فى الحصول عليهما استعرت نسخته الوحيدة وصورتها ، لكنه اهدانى « محام صغير » و« ٧٢ شهرا مع عبد الناصر » وبهذه الكتب الاربعة اكتملت لدى سيرته الذاتية منذ ان كان طفلا فصبيا فشابا فكهلا وشيخا ، وهى اعمال ادبية تجتذبك مع شفافيتها بأسلوبها الوهاج المفعم بالحيوية الذى ـ كما قلت مرة ـ يأخذك عدوا وانت تلهث بين الصفحات كأنك فى زورق على سطح شلال لاتملك ان تتوقف او تلتقط انفاسك حتى تبلغ منتهاه ، وتفيق لتجد رغم سرعة حركة الصور ، انك صرت متملكا لهذه الصور المتتالية الكثيفة حتى لتخالها بتفصيلاتها الدقيقة وتداخلاتها المتراكمة جزءا من تجربتك انت الشخصية وفصولا حية من ذكرياتك تجتر نوادرها فتضحك وتستعيد الامها فيعتصر قلبك ، حين كنت اجلس امامه وهو يتحدث بتدفق وعنفوان كنت لا اجد فاصلا يحدد الفرق بين اسلوب حديثه واسلوب كتاباته ، كلاهما حالة من الفوران والجيشان والاحتشاد . لم اتصوره صامتا ابدا لانه حتى وهو مغلق الشفتين تلمس غليانه الداخلى بمونولوجات تنتهز فرصتها لتفيض . فى خط العتبة يقول : « .. التأمل فى الناس ودراسة تصرفاتهم متعة من متعه الذهنية المحببة » هذا صحيح وتؤكده كتاباته المليئة بالصور والوجوه ، وخبايا الانفس ، لكن لاشك ان عملية التأمل عنده كانت تتم اثناء احتدامه فى



فتحي رضوان
اللقطة الاخيرة

فعل الكتابة والخطابة والحديث . فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان عمره ٤١ سنة وكان وراءه جهاد خاضه ضد المحتل وضد الملكية يقرب من الربع قرن ، ولانه كان فرحا بسقوط الملكية واعلان الجمهورية انكمشت حركته الجهادية على الساحة السياسية قرابة ربع قرن اخر ، تفرغ خلاله لانتاجه الادبى ومهنة المحاماة فاخرج ستة عشر نصا مسرحيا اشهرها « دموع ابليس » و« مومس تؤلف كتابا » و« شقة للايجار » و« الحائرون » واربع مجموعات من القصص القصيرة منها « شافع ونافع » و« السارق والمسروق »

ومن ادب التراجم « محمد الثائر الاعظم » و« مصطفى كامل » و« طلعت حرب = بحث فى العظمة » وقائمة بكتب اخرى تربو على العشرين بالاضافة الى ماذكرت من كتب سيرته الذاتية .. حتى جاء الظرف التاريخى الذى رأى انه من المحتم ان يترك ساحة الجهاد بركانا متفجرا فى صف المعارضة مع نهاية السبعينات حتى مداهمة المرض عام ٨٧ ، واصبحت له اجيال جديدة قارئة ومستمعة ومتابعة وبدا نجم الحركة الوطنية فى الثلاثينيات والاربعينيات اشد التماعا وتألقا فى الثمانينيات وانتهى من حيث بدأ داويا وضاويا فى فنين لازمين لمراحل الجهاد : **فن الخطابة وفن المقال اللذين قدم فيهما فتحى رضوان نفسه ابنا متطورا ممتدا من موقف وبلاغة الزعيم الخالد مصطفى كامل ليهدأ اخيرا الى جواره فى الضريح الذى اختاره له وقام بنقل رفاته اليه فى ذات يوم عام ١٩٥٦ .**

عبد الرحمن الشرقاوى

فارس الكلمة الشريفة

عاش الشرقاوى مؤمنا بان الكلمة شرف وانه لن تسود ابدا الا الكلمة الشريفة ولن يعلو فى حياة اصحاب الكلمة شيء فوق شرف الكلمة ..

رفع هذا الشعار وصدقه ، فكانت حياته فى حقيقتها هى هذا الشعار ، وكان هذا الشعار عنده هو الحياة نفسها ..

ولكن الكلمة عنده لم تكن مجرد الحروف التى يكونها ، ولا العقد الذى ينتظمها فى انطلاق لتغدو عبارات وجمل وفقرات وفصول .. او الذى ينتظمها فى وزن لتغدو ابيات شعر او فصولا فى مسرحيات .. انما كانت الكلمة عنده كائنا حيا له جذوره وماضيه ، وواقعا معاشا يحمل هموم

عصره واحلام العصر ، واستشرافا لغد لابد من وضوح الرؤية اليه كهدف ، ووضوح الطريق اليه كمسار نحو الهدف .. ومن هنا امتزج عنده فى تلاحم كامل ، تراث الكلمة العربية الوجدانى ، واولها الدين الاسلامى ورموزه ، وثانيها الشعر العربى فى عصوره ، ومغامرات الشعراء فى تطويع الكلمة لعطائهم على مر العصور .. هذا التراث امتزج بالواقع المعاش ، الواقع الاجتماعى المرير بكل تناقضاته ومظالمه ، والواقع التاريخى الحى المتحرك فى احداث متتالية مثيرة ، مليئة بالصراع الدامى ، والصراع الفكرى فى آن واحد .. هذا التراث وهذا الواقع امتزجا معا بالرؤية المستقبلية التى كانت ترى ان الغد ملك للشعب بمجموعة لا لافراد قلائل من ابنائه وان الشعب احق بثرواته ، ونتاج كدحه وعرقه ، واحق بثمرات هذه الثروات وخيرتها .. هذه العناصر الثلاثة الممتزجة والمتلاحمة كونت معنى الكلمة عند الشرقاوى . فكان ابداعه مرتبطا بها كل الارتباط ، وكان وجوده الفكرى حصيلتها مجتمعه وممتزجة معا .. فمن العنصر الاول عنصر التراث خرج كتابه عن محمد رسول الحرية ، وخرج كتابه عن عمر ابن عبد العزيز خامس الخلفاء وخرج كتابه عن الفاروق عمر بن الخطاب وخرج كتابه على امام المتقين فى جزئين .. وكلها محاولات رائدة لكتابة الترجمة للاعلام ، امتزج فيها الاسلوب الروائى بالحس القصصى ، ووضحت فيها الرؤية التى تريد من التراث انقى ما فيه ، واشد ما فيه ارتباطا بالحس



عبدالرحمن الشرقاوى

الانسانى الذى يكون الحضارة ويبنى الانسان .. والرموز التى اختارها الشرقاوى لم تات عفوا ، وانما هى رموز مختارة بدقة لاروع ما ابرز الاسلام من معانى الدين وانقى ما اختار من معانى الدنيا ومثلها معا ولمعنى اكثر دقة ابر مافى الكلمة من شرف فى الشرفاء من كلمة وانعكس ذلك كله كما انعكس معنى الموروث الثقافى العربى عنده فى كتابه عن ابن تيمية الفقيه المعذب ، وكتابه شخصيات اسلامية ـ ائمة الفقه التسعة ، وكتاب قراءات فى الفكر الاسلامى ..

والكلمة عنده فى هذا ليست فكرة مضيئة ، ومعلومة راسخة وحسب وانما هى انفعال صادق مؤمن يجيش وجدانه ، ويستفز طاقاته المبدعة فيخرج لنا مسرحيات ثأر الله : الحسين ثائرا ، والحسين شهيدا .. ويخرج لنا مسرحيات النسر الاحمر : النسر



عبدالرحمن الشرقاوى

والغربان والنسر وقلب الاسد .

وهذا العنصر الاول - عنصر التراث يشي اولا بتركيبة الشرقاوى الثقافية فليس من فراغ يوجد الكاتب وليس من فراغ يتم الابداع .. والارتباط بالاصالة ليس مجرد شعار . انما هى كلمة شريفة تعنى العناء فى التحصيل والعناء فى الاستيعاب ثم العناء فى الابداع النثرى والشعرى على السواء ..

كان من المفروض ان يرضى هنا اصحاب الاصالة ودعواها .. ولكن العكس هو الذى حدث ، انبهروا واعجبوا واندهشوا ، ولكنهم لم يرضوا .. ذلك ان اصحاب السلفية غلبوا باصواتهم العالية على اصحاب الاصالة وازعجتهم كلمة الشرف النابضة بالحياة وبمعنى التقدم والحرية ، وبمعنى الحب الانسانى الاصيل ، فادانوا فكره كله ، وهلجموا جهد الحياة والعناء والعرق فاذا هو عندهم دخيل لامكان له .. لان فكره لايريد للحياة ان ترجع الى الوراء ، ولان كل هذه الاعمال تضمنت امل التقدم والعدالة للانسانية كلها ..

ثم ياتى العنصر الثانى وهو ان الكلمة واقع مجرب ومعاش .. على المستويين الاجتماعى ، والتاريخى المتحرك المتمرد الثائر .. وتاتى مجموعة ارض المعركة المبكرة جدا والتى كتبت قبل الثورة لتربط بين الواقع المخزى المعاش والمعنى الكفاحى التاريخى الممارس .. وتاتى فى هذا الثوب المتميز الذى برز فيه الشرقاوى وراد وطور ، اعنى ثوب القصة القصيرة بمعناها المعاصر وفحواها التراثى القديم ، وموضوعها الشعبى المعاش فى مزيج من الواقع والتاريخ ، وبين الكفاح من اجل مكان فى المجتمع ومكان فى الحياة الحرة لهذا المجتمع ثم قدم مجموعة قصصية اخرى تغوص فى دنيا هذا المجتمع وهى احلام صغيرة ، استجابت كل قصة فيها لنبض الم ، وصرخة معاناة وانه جرح مظلوم يعانى لعلها تذكرنا برواية طه حسين العظيم المعذبون فى الارض ثم تاتى رائعته العظيمة الأرض .. لتؤكد رباطه بالارض وبالمعذبين فيها ، ولتؤكد ارتباطه بطه حسين تلقيا وتجربة وحبا ومتابعة .. ثم قدم رواية الشوارع الخلفية ليقدم الفلاح كرواية تجمع التجربة المعاشة كلها وتبلورها فى هم واضح مقيم .. الفلاح - رؤية المستقبل وامل ان يكون هناك غد عادل عظيم .

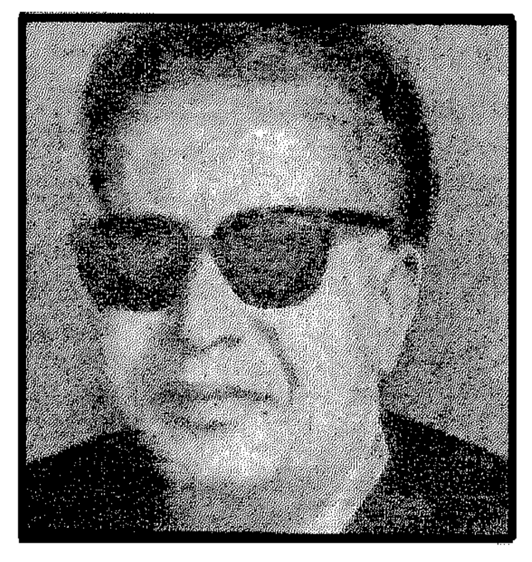
ثم بين العنصر الثالث عنصر الاستشراف لغد الانسان العربى المشرق ، وامل وجوده المستقبلى كجزء لاينفصل عن الوجود الانسانى الساعى نحو الحرية ، والمقاتل ضد الاستعباد والاستغلال والظلم .. فيقدم الشرقاوى عن فضيحة قنبلة هيروشيما قصيدة من اب مصرى الى الرئيس ترومان وتوزع القصيدة فى شوارع القاهرة كانها منشور كفاح منظم يرفض الدمار والتعاسة . ثم يقدم قصيدة

باتدوج والسلام العالمى ، ثم يقدم رسالة الى جونسون فى قصيدة طويلة ـ ثم يتوج هذا الاتجاه كله بمسرحية شعرية هى تمثال الحرية فيهتم اليمين باليسار واقصى اليسار الم يهاجم امريكا والم يهاجم الامبريالية هو اذن يسارى بل وشيوعى ..

ويتمرد اليسار ويرفض . الم يكتب عن محمد وعلى وعمر وعمر بن عبد العزيز فهو يمينى متطرف ورجعى ، ويرفض .

ولكن الدوائر الثلاث تكون فكر مصر فى رحلة عُمر الشرقاوى فكر مصر الذى تعرض لهجوم الرجعية ولهجوم الشيوعية فكر مصر المتوازن المتكامل الذى يسير فى خط المصلحين العظام نحو التطور المؤمن المستشرف الثائر المتمرد .. وليت من يفهم .

من صميم الشعب
عبد السميع عبد الله
١٩١٦ - ١٩٨٦



الفنان عبدالسميع عبدالله

شرفتنى « الهلال » مرتين .

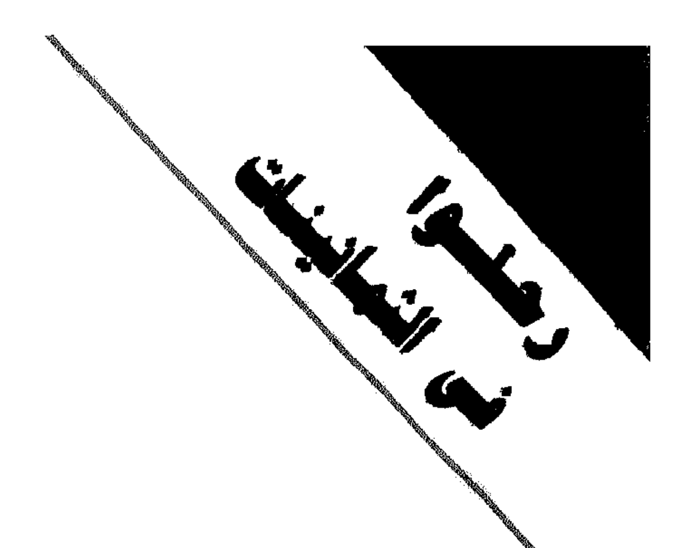
● الأولى : حين طلبت الىّ ان اشارك فى عددها التاريخى الذى يقف بسطوره وكتابه على مفصل عقدين ، تنوعت تراكيب - كل منهما - السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وتشابكت بشكل ـ ربما ـ لم يشهد جيلى مثيلا له .

● الثانية : حين كانت مشاركتى المطلوبة هى كتابة مقال عن رسام الكاريكاتير العملاق ، والقصاص المصور .. المسرحى عبد السميع عبد الله .

وربما لم اجد ما هو اكثر مناسبة لعنونة هذا المقال سوى جملة (من صميم الشعب) التى قدم بها احسان عبد القدوس لالبوم رسوم عبد السميع الأول (ابيض واسود) قبل ٣٥ عاما .

عبد السميع ـ بالفعل ـ كان فنانا من صميم الشعب منذ فتح عينيه على الدنيا ، وفى احدى القرى الصغيرة جدا بمحافظة المنوفية فى ٨ نوفمبر ١٩١٦ .

ثم كان « من صميم الشعب » وهو يجوب ارض الوطن شبرا شبرا ابان عمله فى مصلحة المساحة المصرية ، يرصد تجارب الناس ، ويسمع حكاياهم ، ويشرب الشاى معهم فى « خص » على ضفاف ترعة ، وتتوزعه احاسيس عميقة بكل تفاصيل حياة

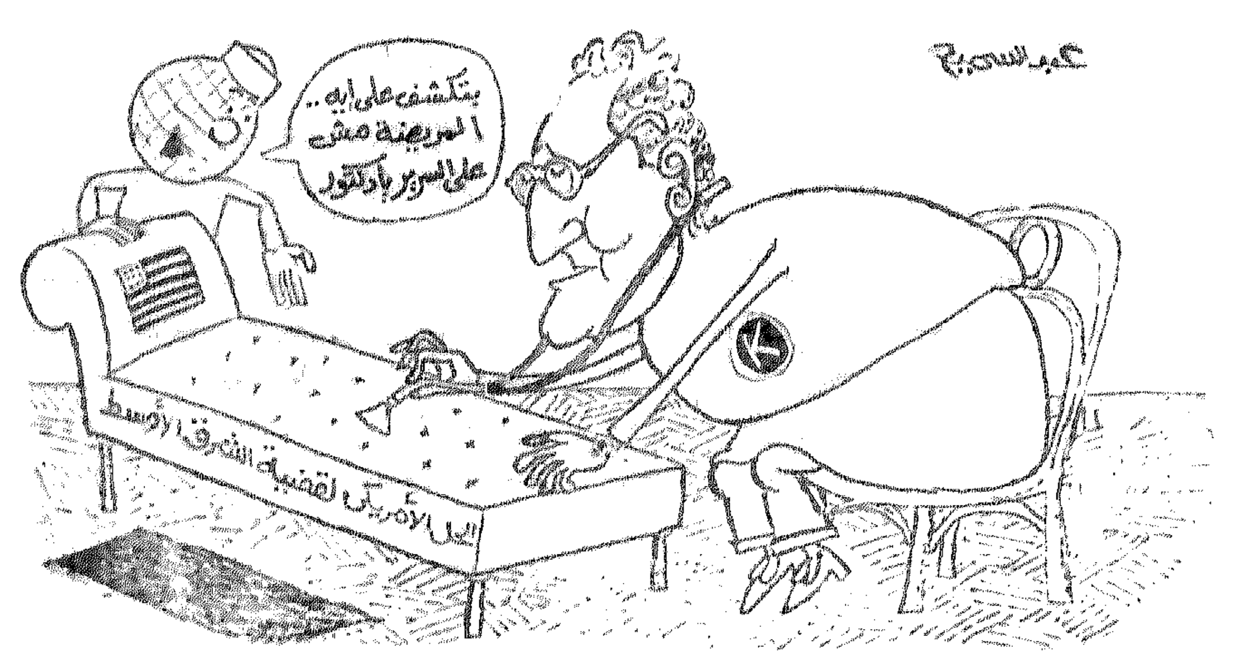


الفلاحين وهم يبوحون له بكل مايفور فى صدورهم من غضب او بما يجول فى عقولهم من فلسفات بسيطة ، عبقرية ، مذهلة ، بالطبع بعد ان اطمئنوا ان « الافندى » القادم من القاهرة مع « القياسين » ليس فى النهاية الا واحدا منهم .

وهو يترك اخبار اليوم ـ التى رسم فيها بعد روز اليوسف ملحقا كاملا كاريكاتوريا بالالوان ـ الى الشعب (جريدة الثورة) ، ثم الجمهورية حين كان احد ضحايا مذبحة ١٩٦٤ ، دون سبب مفهوم او مبرر معقول ، الى ان استقر فى دار الهلال ابان رئاسة الاستاذ احمد بهاء الدين لها وحتى وفاته .

وكان فى كل ذلك (من صميم الشعب) يعبر بوسائل تعبير مختلفة ، علم نفسه اسرارها وقواعدها كلما ضاقت به سبل التعبير فى واحدة ، استخدم الاخرى ، وكلما ضاقت على ريشته دوائر الاسقاط او الرمز او التلميح او غيرها من وسائل الاقناع المختلفة للكاريكاتير ، بادر الى كتابة قصة او رسم صورة زيتية او انشاء مسرحية .

عبد السميع كان احد اضلاع المثلث الذهبى للكاريكاتير المصرى فى الاربعينيات والخمسينيات (عبد السميع ـ صاروخان ـ رخا) ولكن الاختلاف الواضح فى افكاره واسلوبه فى الرسم جعل منه النواة الحقيقية لمدرسة روز اليوسف فى الكاريكاتير التى دفعت من بعد عبد السميع بكتيبة هائلة من الرسامين تضم صلاح جاهين



وحجازى وبهجت وايهاب واللباد ورجائى والليثى وجورج وغيرهم . ويندر ان تجد احدا من هؤلاء لم يتأثر فى بداياته بعبد السميع ، او لم يستلهم اسلوبه فى التحريض السياسى والنقد الاجتماعى .

اما صاروخان ورخا فقد كانا (رغم خروجهما من معطف روز اليوسف كانا النواة الحقيقية لمدرسة اخبار اليوم الكاريكاتيرية ، لارتباطها باسلوب وافكار التابعى الذى انتقلا وراءه واحدا بعد الاخر ، لصحف اخبار اليوم وظلا فيها حتى وفاة كل منهما .

وربما حاصرت رسومه ـ فى سنواته الاخيرة ـ ظروفا ليست من صنعه ، الا انها اضافت لها ـ واقعيا ـ كأى عمل فنى كبير بعدا اخر مُهما ، وهو بعد فلسفى فيه سخرية انسانية عميقة تبتعد عما تيسر عن السياسة وكانها فى النهاية تحقيق عملى لمقولة فولتير : « يلهو باصفاده » .

● د . عمرو عبدالسميع

صلاح جاهين .. والأمر المحال

انا اللى بالأمر المحال اغتوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته .. ماطلتوش .. ايه انا يهمنى
وليه ؟ مادام بالنشوة قلبى ارتوى
عجبى

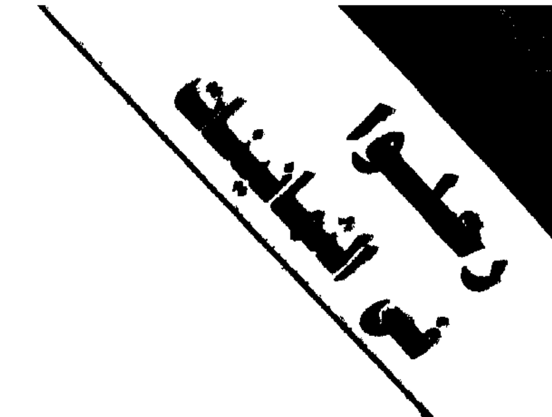
ان رباعيات صلاح جاهين بتركيزها وتكثيفها تلخص كثيرا من جوانب الحياة ، وفى المواقف التى نواجهها فى الحياة ، والمزاجات النفسية المتنوعة التى تعترينا ولكن هذه الرباعية ، بالذات تتميز عن سواها بانها تلخص صلاح جاهين نفسه ، وحياته التى ابت ان تطول بالقدر الذى كنا نتمناه .

(١)

« انا اللى بالأمر المحال اغتوى »

ان الحلم الرومانتيكى الثورى (صناعة كبرى . مزارع خضراء ، تماثيل رخام ع الترعة واوبرا . فى كل قرية عربية) ، حلم الجمهورية العربية المتحدة ، الدولة الكبرى المتقدمة المتحضرة التى تضم كل الدول العربية . اثبت ـ ولو مرحليا ـ انه من قبيل « الامر المحال » ولكن الشاعر لابد له من حلم والشاعر الرومانتيكى العادى حلمه فردى ، ويدور فى الغالب حول امرأة ، وهو حلم هروبى يتخذ من المرأة او الطبيعة الخضراء ملاذا من قسوة او سوقية الحياة ولم تكن الخمسينيات عصر هذا النوع ، من الحلم ، او هذا النوع من الشعر ، او هذا النوع من الشعراء ، كان صلاح جاهين تمثيلا حقيقيا لجيله وعصره ، عصر الرومانتيكية الثورية عصر الحلم الجماعى بعالم جميل لكل الناس . .

ايش تطلبى يانفس فوق كل ده .
حظك بيضحك وانتى متنكدة .
ردت قالت لى النفس قول للبشر .
مايبصوليش بعيون حزينة كده .





يا خالق الكون بالحساب والجبر .... وخالقني مالي بالاختيار والجبر
كل اللى حيلتي زمزمية امل .... وازاى تكفيني لباب القبر؟
عجبى (ص . ج)

عجبى -

كان صلاح جاهين اذن جماعى الوجدان ، فهو حين يحلم لايحلم لنفسه فقط ، وكان ايضا حالما ثوريا ، فرؤياه المتمثلة فى شعره ليست هروبية فلذا كان الرومانتيكى دائما يرفض الواقع ، فان النوع الثورى فى الرومانتكية يابى الهروب من الواقع ويسعى الى تغييره ليتطابق مع رؤى الشاعر الجميلة . والمستحيلة .

(٢)

« شفت القمر .. نطيت لفوق فى الهوا »

كانت قفزة عالية فى الهواء (١٩٥٦ - ١٩٦٧) ، قفز عبد الناصر فقفز صلاح جاهين معه ، قفزت مصر فقفز شاعرها معها ، كانت القفزة ممتعة ، وكانت حقا هائلة ، ولكن قوانين الجاذبية الارضية ، لاترحم ، وبقدر علو القفزة تاتى بشاعة السقوط والارتطام . ولااظن ان الحال تحتمل ، او ان احدا يحتاج ، الخوض فى تفاصيل هذه القفزة ، وهذا السقوط فكلاهما معروف ، وقتلناه بحثا ونقاشا وبكاء .

وحتى ماحدث لصلاح جاهين بعد ان انتصرت على قفزته ، وقفزة وطنه وزعيمه قوانين الجاذبية الأرضية ، امر خاضته الاقلام ولاكته الافواه طويلا بعد وفاته فهو ايضا لايحتاج شرحا ولا استرسالا يكفينا ان نسمع ما قاله عن مصر بعد رواح السكرة .

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ماشاء .
انا مصر عندى احب واجمل الاشياء
باحبها وهى مالكة الأرض شرق وغرب
وباحبها وهى مرمية جريحة حرب
باحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء
واكرهها والعن ابوها بعشق زى الداء .
واسيبها واطفش فى درب وتبقى هى فى درب .
وتلتفت تلتقينى جنبها فى الكرب
والنبض ينفض عروقى بالف نغمة وضرب .

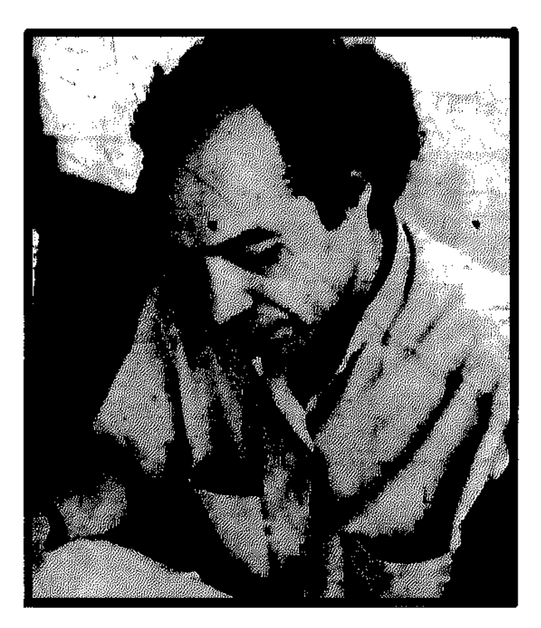
على اسم مصر

(٣)

« طلته .. ماطلتوش .. ايه انا يهمني ؟
وليه ؟ مادام بالنشوة قلبي ارتوى »
هنا بيت الداء .. خاب ظن الشاعر حين قال « ايه انا يهمني ؟ » فحين لم يستطع الوصول الى القمر بتلك القفزة الرائعة التي قفزها مع وطنه لم يسلم من اثار الارتطام بارض الواقع لقد اراد ان يغير الواقع مع جيله الذي امتلأ بامثاله في الحالمين الثوريين وعلى راسهم جمال عبد الناصر . فلم يستطع ولم يستطع جيله ، وزعيمه ، وكان هذا فاتحة الجزء الثاني من حياة صلاح جاهين .. راحت السكرة . وجاءت الفكرة .

● بهاء جاهين

ريشة نبيل السلمي



في صباح الرابع من يوليو ١٩٨٧ اختار قلبه ان يتوقف عن النبض احتجاجا على كل المتناقضات التي يراها في العالم من حوله ..

انه نبيل السلمي ، احد اهم رسامي الكاريكاتير المصريين واجرؤهم ، واكثرهم حسا ورهافة .. واكثرهم عطاء ، وتدفقا منذ ان ولد في مدينة اسوان في يناير ١٩٤١ .

ومنذ ان نشر اول رسومه بجريدة الشعب .. وهو في التاسعة عشرة من عمره حيث تتلمذ على يد الفنان عبد السميع .

وقد رسم نبيل السلمي وحدة رسوم كاريكاتير مستقلة في النقد الاجتماعي واستقل باسلوب خاص متميز وبمساحات رسم فيها الكاريكاتير السياسي . وسافر للمرة الاولى الى اوروبا في رحلة طويلة مع توامه الفني ماهر حيث اقام الاثنان معارض لرسومهما في العواصم الاوروبية . وفي منتصف السبعينات اختار ان يستقر في برلين الشرقية لاكثر من عشر سنوات تزوج خلالها من كاترين استاذة اللغات الشرقية بجامعة همبولت مثلما جاء في كتاب "الاشتعال السريع" الذي اعده الفنان/ محيي الدين اللباد .

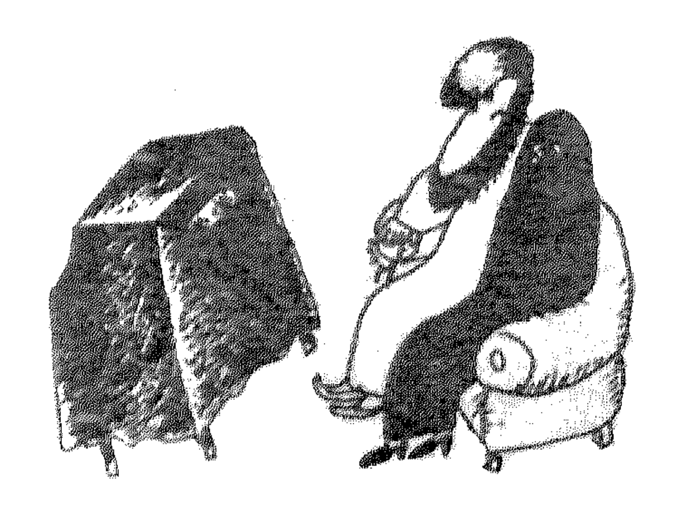
رحلوا في الثمانينيات





وفي هذه الفترة اشترك في معارض عديدة وبرز كرسام معارض كما اصدر مجموعة من الكتب من اهمها "ظننت انك انـا" وهو مجموعة من نوادر جحا وفكاهاته . واصبح اسما معروفا لدى قراء الكاريكاتير في المانيا الغربية .

وفي عام ١٩٨٤ عمل نبيـل السلمي في مشروع الكومبيوتر العربي "صخر" وبرامجه التعليمية للناشئين ومن هذا العمل استوحى فكرة كتابة "جمليوتر" عن مفارقات العلاقة بين التخلف والتقدم التقني وجعل من الجمل بطلا للعديد من الـرسومـات التي توضـح هذه المواقف .



نعمان عاشور رائد المسرحية الواقعية

نعمان عاشور رائد من رواد المسرح المصرى والعربي المعاصر الذين جاءوا بعد جيل توفيق الحكيم بل وشاركوه في اقامة المسرح المصرى الذى اتضحت ملامحه الفنية خلال حركة الثراء المسرحى فـي فترة الستينيات .

ومسرح نعمان عاشور مسرح اجتماعى واقعي وشخوصه الناس البسطاء من الطبقة المتوسطة



نعمان عاشور

الكادحة الذين يتطلعون الى التغيير الى الافضل عن طريق تفاعل وصراعات ومواقف تقع وتحدث وتنمو حتى تعبر عن النظرة الواقعية والمستقبلية الدائمة .

يقول نعمان عاشور عن مسرحه الاجتماعي : اننى اكتب مسرحياتى على اعتبار انها اشياء حقيقية وليست كلها من نسيج الخيال فالفن عندى يسعى الى معرفة معنى الحياة بغية اكتشاف الحقيقة الموضوعية .. والعمل الفنى خلق يقوم على الخيال .. من اجل هذا تستند الواقعية فى مسرحياتى على المسايرة المحدودة للتطور الاجتماعى وبالتالى فانها تشكل ما يمكن ان يكون عالما دراميا خاصا .

ولذلك حظى مسرح نعمان عاشور على مدار عمله الفنى المسرحى بتسابق الكتاب والنقاد باطلاق كثير من المسميات والالقاب على مسرحه فهو رائد المسرحية الواقعية او ابو الواقعية المسرحية المصرية المعاصرة وهو تشيكوف المصرى وهو فارس الدراما المصرية وهو المسرح الكوميدى التراجيدى وهو الاب الحقيقى للمسرح الحديث .

تاثر نعمان عاشور فى بداية حياته الفنية بالممثل العربى الشهير نجيب الريحانى وبمسرحياته الاجتماعية المتعددة كما تاثر بالكاتب الروسى تشيكوف خاصة فى عمله بستان الكرز وتاثر لفترة طويلة بكتابات برنارد شو وارثر ميللر .. اما الكاتب الذى له تاثير خاص وبصمات واضحة فى تشكيل رؤياه الفنية فهو الكاتب جون اوكيزى . ويمثل الاستاذ توفيق الحكيم مكانة خاصة لدى نعمان عاشور فدائما كان يردد : إن توفيق الحكيم ادخل المسرح إلى الادب العربى كفن خالص كما ان مسرحياته اضافت إلى الادب العربى نوعا جديدا من الادب لم يسبقه إلى معرفته أحد .

كتب الاستاذ نعمان عاشور ست عشرة مسرحية بداها بمسرحية المغماطيس ثم الناس اللى تحت ، الناس اللى فوق ، سينما أونطة ، جنس الحريم ، عيلة الدوغرى ، وابور الطحين ، عطوة افندى ، الجيل الطالع ، ٣ ليال ، بلاد بره ،



بشير التقدم ، برج المدابغ ، لعبة الزمن ، مولد وصاحبه غايب ، ثم حملة تفوت ولا شعب يموت .

كما كتب القصة القصيرة وله فيها ثلاث مجموعات حواديت ثم عم فرج وفوانيس وسباق مع الصاروخ .

قالت

شعر : صلاح عبدالصبور

من ديوان (أقول لكم)

لانجد مانحيي به ذكرى صلاح عبدالصبور إلا نشر هذه القطعة من شعره



صلاح عبدالصبور

قالت : لايولد إنسانان على قدر إلا التقيا
فمتى ألقاه ؟! ..
أيامي موحشة ، وليالىّ تؤانسها الآه ..
قالت : إنى أنظر فى أحداق الناس ، وفى شفتيهم أتملاه ..
ووجدتهم أغرابا عن روحى ، وأخو الروح بعيد .. ما أقساه ..
قالت : فى ذات مساء سوف يهل على دنياى أنا دنياه
سيمد إلىّ يديه ، ويناديني ، وسأعرفه
وسأخطر فى يمناه

★ ★ ★

يا أختى ، أنا قد أنفقت الأيام أحاورها وأداجيها
وكان الله
لم تنسج كفاه لقلبى قدرى الانسان .. الله
لا ينسانا يا أختاه ! ..

لحظة ميلاد عند أمل دنقل

لم تكن لحظة ميلاد القصيدة هى الصورة النهائية او الابداع الاخير ، عند امل دنقل ، ولكن كانت اعادة النظر فى القصيدة تشكل عنده اهمية كبرى ، حيث تخرج من ثوب الميلاد العفوية ، بشكلها المثالى ، الى درجة كبيرة من الوعى يشكل به ملامح قصيدته بصورة نهائية .

ويحضرنى على سبيل المثال قصيدة « مقابلة خاصة مع ابن نوح » التى كتبها عام ١٩٧٦ ، فقد كتبها اساسا كرد فعل لفكرة السفر المطروحة كحل للخروج من الأزمة الاقتصادية ، وقد كتب القصيدة كنوع من الرفض لفكرة السفر ، واختار البقاء فى المدينة بعد تدمير السفينة ، واحب الوطن .

يرقد الان تحت بقايا المدينة
وردة من عطن .
بعد ان قال « لا » للسفينة
واحب الوطن .

قال لى وهو يقدم لى قصيدته انها اول قصيدة اكتبها من اجلك ، رغم انها كانت قصيرة تحمل رؤية سياسية واجتماعية .

قلت له : لكننى غير موجودة فى القصيدة .

فرد : كيف بل انت صلبها الاساسى لقد استطعت ان تعيدى لى الاحساس قويا وجميلا للوطن .

الجدير بالذكر ان الكثيرين طالعوا هذه القصيدة برؤى مختلفة . فقد توقف الدكتور لويس عوض عند دلالة . سفر المثقفين خارج مصر . وانهم اشبه بالخارجين عن سفينة نوح . ورفضوا البقاء فى السفينة .

● عبلة الروينى



امل دنقل



اخر الفحول فى الشعر الحديث

أنا العـراق ، لسانـى قلبـه ، ودمـى
فـراتـــه ، وكيانـــى منـــه أشـــطار

بقلم : د. محمد عبدالعزيز الموافى

- ١ -

فى أوائل العقد الأول من القرن العشرين (١٩٠٣) ولد أبو فرات : محمد مهدى الجواهرى فى النجف التى كانت حينذاك المركز الأدبى الأول فى العراق ، فتخرج من حلقاتها الثقافية كثير من الأدباء .. وقد كان من خصائص هذه الحلقات أن يتكفل كل من يتقن فرعا من فروع العربية بتعليمه للآخرين .. كما كان من الضرورى لكل دارس فيها أن يلم بهذه الفروع فى البداية إلماما شاملا ، ثم يتخصص فيما بعد ، ويستقل عن الحلقة إذا شاء .. بل إن بعض البيوت العريقة فى النجف كان فيها معلم لفرع من تلك الفروع هو الأب أو الأخ الأكبر أو الابن الأكبر « فى أيامى - كما يقول الجواهرى - كانت هناك ثلاثة بيوتات شهيرة فى النجف هى المسيطرة علميا وماديا : بيت آل كاشف الغطاء ، وبيت الجواهرى ، وبيت بحر العلوم ، وبرغم تبدل الأجيال وتوالى العصور لاتزال لهذه البيوت مكانتها الخاصة إلى الآن » وتجدر الاشارة الى صلة الجواهرى الوثيقة بتلك المنابع الثقافية الثرة ، فجده لأبيه من آل كاشف الغطاء ، وجدته لأمه من آل بحر العلوم .



الكاتب مع الشاعر العراقي
الجـواهـرى .. خـريـف ١٩٦٨



بريشة الفنان العراقي : السيد جواد سليم

- ٢ -

وقد احتلت أسرته مكانا مرموقا فى ميداني العلم والأدب ، بعد أن أسس مجدها جده الشيخ محمد حسن مؤلف « جواهر الكلام » ، ثم برز منها اعلام كثيرون على امتداد التاريخ الحديث للعراق .

ومن المدهش ضعف الرابطة بين شاعرنا وأبيه فهو- كما يقول الجواهرى - « لايشغل بالى من أمره اكثر من انه كان يتحمل الألم .. ولكن بصمت ! بلا ثورة على الألم ، وبلا تجديف !.. وأنه كان يغنى ، ثم خاف فترك الميدان ! وكل من هو على شاكلته من المغنين لايشغل بالى من أمرهم شيء !! »

وعند موته لم يرثه الجواهرى ، وقد علل ذلك - خلال لقائى معه اثناء وجودى فى العراق سنة ١٩٦٨ - بعنف الصدمة ! لكنه لم يجادلنى كثيرا عندما زعمت انه لم يكن يحب أباه الحب الكافى ، أو انه بموته شعر بتحلله من القيود الضاغطة على نفسه الرافضة الثائرة !

وطفولة الجواهرى ملأى بالأحداث الغريبة التى تدل على الرفض المبكر والاصرار على التفرد ، وكأنها كانت ارهاصا بحياته العنيفة المتقلبة ، اننى



وقد شارفت على التسعين أضحك من طفولتي ، حتى كأنني لا أعرف مرحلة من مراحل العمر غيرها ... فشدد على هذه الناحية في دراستك ... وأنك لواقع على أشياء جديدة ، واعتبر هذا توجيها مني قد لا ينبهك إليه أحد ... فأنت أول واحد من خمسة ، قد كتبوا الى أني موضوع أطروحاتهم ، حصل مني على جواب شاف ، أضف ذلك إلى حسناتي إذ تكتب عنها ! »

- ٣ -

وعن ثقافته يتحدث هو : « ... كان لي في المرحلة الأولى من حياتي منهج ، في صلبه ديوان المتنبي خاصة ، والأمالي والبيان والتبيين ، والكامل ، وأدب الكاتب ... ثم هناك المزاج الفطرى ، وبدأ لي أن مزاجي يقارب مزاج المتنبي فتأثرت به ... وهناك البحترى ، أنا أغالي في إعجابي به ... خمسون سنة لم يفارقني ديوانه » ويقول : « لقد حفظت ديوان المتنبي وديوان البحترى وديوان الشريف الرضى ... وهناك شعراء غير مشهورين حفظت أيضا دواوينهم ، إني أحفظ مائة ألف بيت من الشعر .. وقد تأثرت كثيرا في صباى بالشعر اللبناني في المهجر .. تأثرت بجبران كثيرا في طفولتي ...»

ولكثرة محفوظه الشعرى صار أشبه بالراوية .. يكمل القصيدة بعد سماع أبيات منها ! وصار وهو في الرابعة عشرة من عمره الرابع دائما في المساجلات الشعرية التي تعقد في النجف ، كذلك قرأ كثيرا في الثقافة الفارسية والفرنسية ، فأتاح له كل ذلك إخصاب موهبته وإثراءها .

- ٤ -

وينتقل الجواهرى سنة ١٩٢٤ الى بغداد ليبدأ مرحلة جديدة من حياته ، وليعايش أهلها الذين عرفوه من خلال شعره المنشور في كثير من الصحف .. ويفاجأ الجميع بتعيينه في البلاط الملكي ، ويصدمهم هو بتثاقله عن تسلم هذا العمل الذى تهفو إليه الأفئدة ، بسبب فكرته الوطنية المتطرفة المعادية لفيصل الأول في بداية تنصيبه ! وقد أكرمه الملك وأحسن استقباله لكنه لم يمكث في القصر أكثر من ثلاث سنوات ، ويبدو أنه شعر بالتناقض بين أجواء القصور وطبيعته كشاعر وسياسى ، وهذا ماكان بعد نشره قصيدة « الرجعيون » و « جربيني » فقد حزم حقائبه وغادر القصر غير مصغٍ

للاغراءات الكثيرة بالبقاء ، ومع ذلك بقى لايستأذن له عند الدخول على الملك ! ويصور الجواهرى ماحدث : « وجدتنى بدفعة من دفعات القدر محمولا الى مكان مرموق فى ظاهره ، ممجوج فى مخابره ، إلى مقر لم يخلق لى ولم أخلق له .. ولم يكن على وجه الكرة الأرضية مكان أكثر منه تناقضا مع نفسى ومزاجى وانطلاقتى الفكرية ، هو بلاط فيصل ... تعرفت إلى أمور وأمور ... وتعرفت على كثير من أعلام السياسة المزيفين ! »

وما قاله الشاعر صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن مزاجه الحاد الساخط المتقلب كان ذا تأثير كبير فى هذا الموقف .. بل وفى كثير من المواقف على امتداد حياته ، فعاش كثيرا من فتراتها يعانى معاناة قاسية انعكست على حياة أسرته ، وها هو ذا فى اهدائه ديوانه لابنه الأكبر يصور بعض ذلك !

« الى من اخاف عليه عدوى الوراثة ، الى من أرجو أن أكون عبرة بالغة له ، تساعده على مقاومة كل ميل أدبى ، وتساعده فى شق طريق له فى هذه الحياة الصاخبة ، من غير طريق الشعر .. إلى فرات ! »

وهو فى ذلك ابن بيئته ، فالعراق لايقتصر على العنصر العربى ، بل يضم عناصر أخرى كثيرة ، متميزة ذات تراث ثقافى قديم .. كذلك كان للقبائل شأن خطير فى حياة العراق ، فهى مجتمعات صغيرة متفردة .. كما كان للانقسام الطائفى اثره فى تغذية الاضطراب والتمزق ، كل ذلك وغيره حال دون صهر العراقيين فى بوتقة الوطنية ، وامتزاجهم الكامل بعضهم ببعض ، وأدى الى وجود مايمكن أن نسميه « المزاج العراقى » الذى يتسم بالحدة والتقلب ، والنفور من الاستقرار ، أو على حد قول الجواهرى :

ودجلة تمشى على هونها .. وتمشى رخاء عليها الصبا
تريك العراقىَّ فى الحالتين يسرف فى شحّه والندى

ونتيجة لذلك كله ، ولسوء أحوال العراق السياسية فى العقود الأولى من القرن العشرين ، سيطر اليأس على نفوس العراقيين ، وانعكس على وجدان الشاعر فصبغه بالقلق والتمرد والتقلب والتناقض .. وهذا مايفسر اندفاعه وتورطه فى تأييد انقلاب بكر صدقى ضد الإخائيين فى منتصف الثلاثينات ، وإسناد الوزارة الى حكمت سليمان المنشق عليهم .. بل إنه يطالب باستئصالهم فى عدوانية سافرة :

فضيق الحبل واشدد من خناقهم فربما كان فى إرخائه ضرر

ثم يصدر صحيفة « الانقلاب » لتواكب شعره فى تأييد قائده تأييدا عنيفا



والهجوم المحموم على « ياسين الهاشمي » الذى كان قمة الوطنيين حينئذ .

ولم يكن ذلك هو الموقف الوحيد الذى يبرز تناقضه ! إذ تعددت هذه المواقف فى حياته ، فكانت سببا فى لوم الكثيرين له ، وتعنيفهم إياه ، وانصرافهم عنه .. لكن البعض يغفر مثل هذه الخطايا للطفل الكامن فى أعماقه ، ويقبل منه تبريراته واعتذاراته عن تناقضاته .. بل قد يثنى كثيرا على اعترافاته الصريحة المثيرة للاشفاق والاعذار :

هى النفس نفسى يسقط الكل عندها
اذا سلمت فليذهب الكون عاطبا !

نافقت إن كان النفاق ضرورة — متحرقا من صنعتى مترمضا ..
ومزيتى ، وهى الوحيدة اننى جاريت طبعى فى الكثير كما اقتضى

وليس من شك فى أن الشاعر نفسه ، بالأسلوب الذى سلكه فى حياته ، كان مدعاة لجلب كثير من العداوات له ! مهما يكن من شىء فقد مثلت حياة الجواهرى أنموذجا غريبا لما تكون عليه حياة الشعراء ، فى العصر الحديث على الأقل ، فقد عاش هذا العصر ، وانفعل بما فيه ، وانعكست عليه سوءاته قبل حسناته ، فوجدناه متناقضا ، طموحا إلى تحقيق الآمال الواسعة .. أسيان رافضا عند إخفاقه فى تحقيقها !

ونتيجة لذلك كله وجدنا الشعوبية من التهم التى تلصق به ، الم يذم الهاشمى ؟ ولم يثن على الطبيعة فى ايران « الفارسية » ؟! ونسى المتهمون قوله :

انا لى دينان : دين جامع — وعراقى ، وغرامى فيه دين !

وتغافلوا عن نظرته الانسانية التى تسمو فوق التعصب لأنها تراه أحد أدواء العراق :

وتنابذوا بالجاهلية شجُّها — من قبل نور الفكر والاسلام
قبيلة يلجا اليها مقعد — لا الحزم ينجده ولا الإعزام

وقريب من ذلك ارتباطه بالماركسية لدى الكثيرين ، وهذا الارتباط وإن كان له شواهد صدق تدعمه فانه ظل خاضعا لشخصيته الحادة المتقلبة النافرة من قيود الالتزام : « أنا لا أدين بشىء محدد ، فكل ماهو محدد أنفر منه ... لقد أخذت من أقصى اليمين وأقصى اليسار ... بعد تكوين الحزب الشيوعى العراقى كنت من أكبر مؤيديه .. وان لم أرتبط بتنظيماته ، وهم الشيوعيون .. يعتبروننى من القوى الدافعة للحزب لدى الجماهير .. فهم الذين انضموا

الىّ » أى أن اتجاهه الحزبى قد تأثر بطبعه المرهف الحاد المتقلب ، وبطموحه الذى عذبه كثيرا ، ودفعه إلى ركوب موجات كثيرة متناقضة كان يتوهم الوصول الى مايريد بركوب احداها !

فى العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين تربع الجواهرى فوق القمة ، فتغنى الملايين بشعره ، وأشادوا بوطنيته لأنه اختار الموقع الذى يناسبه وسط الجموع محباً لها ، مدافعا عنها ، عنيفا على تخاذلها وصمتها ! « مجد شامخ ، أنى أظل مع الرعية ساغبا !» ويظل المجد الأدبى الذى حققه ، والقمة السياسية التى تسنمها يغريان بالمزيد منهما نتيجة طموحه المسرف ، واعتداده الزائد بشخصه :

طموح يريغى كل شىء اناله وإن جل قدرا دون مايبتغى قدرا !

كلما حدّثت عن نجم بدا حدثتنى النفس ان ذاك انا !!

وقد يختلف الناس ـ ولهم الحق أن يختلفوا ـ فى الجواهرى السياسي ذى المواقف المتناقضة ، ولكنهم يكادون يجمعون على الاعجاب بشعره السياسى الذى بلغ درجة عالية من الجودة ، بل انه يفوق غيره من أغراض شعره الأخرى .. وما ذلك الا لأنه مهيأ أساسا للوقوف فى صف المناضلين ضد الفساد السياسى والظلم الاجتماعى .. وهو الخط الذى سار فيه شوطا طويلا من عمره المديد .. ولايغمط فضله عدوله عن السير فيه أحيانا ، فلكل جواد كبوة ، ولكل شاعر هفوات !

وكثير من شعره السياسى اتجه به نحو عملاء الانجليز من العراقيين لأنهم العدو القريب الدار الذى يناط به تنفيذ خطط المستعمرين :

وروايـة حبـك الـزمان فصولها فبدت لنا ممسوخة الأدوار
وممثليـــن تصنعـــا ووراءهـم خلـف الستـار ملقن متوار
نزلوا على حكم الغريب وغرسوا فـى ظـل ماثمـة لـه وفجار

وهاهوذا يشوى هؤلاء الخائنين بحممه اللاهبة خلال تصدره المدّ الشعبى الجارف خلال الوثبة الوطنية الكبرى سنة ١٩٤٨ :

ولقد راى المستعمرون فرائسا منا ، والقوا كلب صيد سائبا



فتعهدوه ، فراح طوع بنانهم يبرون انيابا لـه ومخالبا

ولاتكاد تخلو قصيدة سياسية للشاعر من تجريح هؤلاء العملاء ، بل إنه لم يهاجم انجلترا كثيرا كما هاجمهم ، لأن الانجليز مهما عصفوا بالشرق والاسلام فهم مستعمرون غرباء ، ومن أجل تحقيق غايتهم استخدموا كل وسيلة ، حتى لو كانت خسيسة ، أما أولئك فخائنون آثمون ، يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حريتها ، ويهينون كرامتها ، ويعيثون فى الأرض فسادا .

وبالطبع يعرف هؤلاء المستوزرون مايكنه الشعب لهم من احتقار فيقابلونه بالبطش العنيف . ولا بأس من اختلاق مايبرر جرائمهم الآثمة بالتأويل الكاشف المكشوف للدستور . المؤيد من الخشب المسندة الجالسة فوق مقاعد البرلمان :

ولقد اقول لرافعين أصابعا ليست تحس كانها أحطاب !
ماذا نويتم سادتى : هل انتم بعد الرئيس كعهده أخشاب ؟!
هل تنهضون إذا استثيرت نخوة أو تجمدون كأنكم أنصاب ؟!

لقد قطع هؤلاء النواب صلتهم بالجماهير المطحونة ، وتناسوا همومها وأدواءها القاتلة ، وكبلوها بالقوانين الظالمة :

شعب يجاع وتستدر ضروعه ولقد تمار لتحلب الأغنام
فالوعى بغى والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام
ومدافع عما يدين مخرب ومطالب بحقوقه هدّام

وهكذا تزعم الجواهرى بشعره المد الشعبى الكاسح خلال وثبة ١٩٤٨ ، وبخاصة بعد استشهاد أخيه « جعفر » أثناءها . فيستقيل من عضويته للبرلمان الذى سعى إليه استقالة مفاجئة ، تذكرنا بتأييده المفاجىء لانقلاب (بكر صدقى) ثم تراجعه عنه بعد عدة شهور . وبتورطه فيما بعد فى تأييد عبدالكريم قاسم تأييدا عنيفا وتحريضه على إبادة القوميين بذات الشعر الموجه للانقلابيين « فضيق الحبل » ثم خروجه عليه فجأة ، ونفيه نفسه طوعا من العراق ! لقد كان دعبل الخزاعى يقول : « أحمل صليبى ولا أجد من يصلبني عليه ! » والجواهرى يقول : « أما أنا فقد صلبت الف مرة ! »

إن الجواهرى لايشعر بوجوده ولايجد نفسه إلا وسط الكادحين من أبناء الشعب .

نعم قد يشذ عن ذلك ، ولكن لفترات محدودة ولدوافع وقتية ، سرعان مايعود بعدها ليقف مع الجماهير ضد الحاكم الذى جسد - غالبا - القهر والاستبداد . لقد نذر نفسه وشعره للغضب الصارخ الذى زلزل مقاعد المستبدين من أجل تحقيق مثل أعلى للحكم الذى ينشده ، فتغلغل بشعره فى وجدان أمته ، بحيث غدا الكثير من تطلعاتها مشربا بصور من شعره !

وكان أبوفرات على وعى بذلك ، فالشعر يصبح ترفا وعبثا « إن لم يسل ضرما وجمرا لاهبا" فبات العراقيون كلما تأزمت الأمور أو ادلهمت الأحداث يتوقعون منه قصيدة تؤجج الخواطر وتنفس عنها فى وقت معا ، وكأنهم فى علاقتهم به يجددون ارتباط القبيلة الجاهلية بشاعرها قديما ، أما هو فقد ظل لسانها الذى يصب قصيده المحموم على رءوس الجلادين .

وهو فى مجابهته الصامدة للطغاة قد يلجأ إلى سخرية موجعة ، تفوق الغضب المباشر ، فى مخاطبة الحكام . كأن يقول فى « ماتشاءون » بوزن يتراقص على الشفاه وطيه خناجر مسلولة :

ماتشـــاءون فاصنعـــوا	فـرصــة لاتضيّــع !
ما الــذى يستطيعـــه	مستضامــون جـوّع ؟!
فشبـــاب يخيفكـــم	للمطـــاميـــر يـدفــع
ولســان ينــوشكـــم	بالــدنانيـــر يقطــع
وضميـــر يهـــزكـــم	بالكـراســى يـزعــزع
عــن ذويكـم وعنكـم	الــدساتيـر تــدفـع

فالتجربة هنا أشد ماتكون عنفا وضراما وتوقدا . إنها تجربة المجابهة والمقارعة ومنازلة الحكام . والعاطفة المحركة لها هى الغضب الماحق الذى انقلب نارا تحرق وتدمر . إن هذا الشعر كان سببا - بقدر ماكان نتيجة - لثورات العراق وانتفاضاته ؛ فهو هنا شاعر يعمل بالسياسة بمقدار ماهو سياسى يقول الشعر ! إنه لاينتظر الحدث ليرصده بعد وقوعه ، بل يسبقه ويرهص به ويمهد له ، ثم يلقى بنفسه فيه !

وقد أبدع الشاعر « ماتشاءون » سنة ١٩٥٢ ، وقبلها بنحو عامين أنشد درتيه الرائعتين : « أطبق دجى » و « تنويمة الجياع » وهما نوع من خصام المحبين بينه وبين مواطنيه . وكلتاهما تختار الوزن المغنى الراقص ، تشديدا على المفارقة بين الايقاع ومحتواه . وإبرازا - من ثم - للسخرية والألم !

فى « أطبق دجى » يفتن فى استطباق الدجى على غابة بشرية يتصف الناهش فيها والمنهوش بخصال الحيوان الضارى ، كأن العالم خراب كبير تنغل فيه الضوارى والكواسر والديدان فى وحشية مقززة ، وصورة راعية سوداء قاتمة تشف عن عنف التوتر والفجيعة واليأس :



أطبق دجى أطبق ضباب | أطبق جهاما ياسحاب
أطبق دخان من الضمير | محرقا ، أطبق عذاب
أطبق دمار على حما | ة دمارهم . أطبق تباب !
أطبق على متبلد | ين شكا خمولهم الذباب !
لم يعرفوا لون السماء | لفرط ما انحنت الرقاب !
أطبق على متفرقين | يزيد فرقتهم مصاب !

والقصيدة جد طويلة ، وهى بأكملها لعنات ماحقة صبها على قومه إذ تخاذلوا . بيد أن غضبه فيها يمثل قسوة الرحمة على أمة استكانت الى الدعة والخمول . إنها تبدأ بهذا الأمر المتوالى « أطبق .. أطبق » ليشكل نبوءة حادة بالنذر المخيفة من الدمار المتربص بهؤلاء المتخاذلين . ومثل هذه القصيدة تقترب من المثال الكامل لشعر يستهدف التأثير فى الجماهير ، ويحرك فيها عوامل النقمة والشعور بالاضطهاد ، وبأنها ضحية يجب أن تثور على الذابحين لها .

ومن أساه ولوعته على ابن وطنه المحروم ، صرخ فى وجهه حاثا محرضا معنفا :

فقل للمقيم على ذله | هجينا يسخَّر أو يلجم !
تقحَّم ـ لُعنت ـ ازيز الرصاص | وجرِّب من الحظ مايقسم !
تقحَّم ـ لُعنت ـ فما ترتجى | من العيش عن ورده تحرم
تقحم ممن ذا يخوض المنون | إذا عافها الأنكد الأشام !

أما « تنويمة الجياع » فهى نجوى حزينة تنبع من القلق والشفقة ، تلبس فيها الفاجعة لبوس السخرية ، مما لانجده كثيرا لدى الجواهرى . إنها تصدر عن ذات النبع الذى انطلقت منه « اطبق دجى » ولكنها هنا أنشودة حزينة مليئة بالحب . وهى بالاضافة إلى هذا ذات بناء موجه ، لايتحكم فيها الاسترسال الغاضب كما سيطر على القصيدة السابقة ، فهى تبدأ بافتتاح غنائى متناه فى غنائيته ، وتنتهى بخاتمة مريحة ، إنه يدعو الجياع إلى النوع ... ويستمر فى هذه الدعوة حتى يحيل تعاستهم إلى مسرات وهمية :

نامى جياع الشعب نامى | حرستك آلهة الطعام
نامى فإن لم تشبعى | من يقظة فمن المنام !
نامى تصحّى ! نعم لوم | المرء فى الكرب الجسام
نامى وسيرى فى منامك | ما استطعت إلى الأمام

نامى على تلك العظات	الغر من ذاك الإمام
نامى فما الدنيا سوى	« جسر » على نكد مقام !
نامى فإن الوحدة العصماء	تطلب ان تنامى
ان الحماقة ان تشقى	بالنهوض عصا الوئام

لقد وضع بين أيدينا النقيضين ، فآلهة الطعام تحرس جياعها وآلهة الحرب تغنى الحان السلام ! والقصيدة جد طويلة (١٠٤ ب) وفى مقطع منها تتحول لهجة الخطاب إلى قسوة يخفف من حدتها الحزن والحب « ولاتتجادلى ، القول ماقالت جذام ! » ثم يبدأ فى مكاشفتها بما خفى عنها ، فان نومها فيه الصلاح لكل فساد « حتى لاتقطع رزق الأنام ! » وفى المقطع التالى يضع الجياع بقوة امام آكليها ، ثم يتوجه إلى الجياع بغنائية تشف عن حب عميق لهم وامتزاج كامل بهم ، واشفاق صادق عليهم :

نامى شذاة الطهر نامى	يـادرة بين الركام
يانبتة البلوى ويا	وردا ترعرع فى اهتضام
ياحرة لم تدر ما	معنى اضطغان وانتقام
ياشعلة النور التى	تعشى العيون بلا اضطرام

– ٦ –

يطول بنا القول لو حاولنا الافاضة أو الاستقصاء لشعره السياسى والاجتماعى . وحسبنا ان نشير إلى حربه التى لم تهدأ لحظة ضد الاقطاع والجهل وغيرهما من الأدواء التى تنخر فى كيان مواطنيه . ويحمد له أنه لم يقف ـ كغيره من شعراء الوطنية ـ كثيرا عند مظاهرها الجزئية ، ليقينه بأن المجتمع كالجسم الحى لايصلح بعضه إلا بصلاح كله ، فالعلاج لايجدى إلا بقلب النظام المتعفن بما يمثله من أوضاع اجتماعية واقتصادية ، فهو يسقط من حسابه الشعر الاجتماعى بالمفهوم الذى حظى باهتمام الشعراء ، من التعاطف مع امرأة تورطت فى الاثم او العطف على يتيم بائس ، لأن الوضع الاجتماعى الذى يحاربه ، هو واليساريون تكتسب فيه كل تفاصيله بعدا سياسيا ، فلا مناص من نسف الواقع السياسى حتى يتحقق العدل الاجتماعى المنشود !

ولعله مما يرتبط بذلك أن نجد معجمه الشعرى فى هذا الغرض يدور حول الضراوة والدمار والخراب والبوم والضوارى والديدان والعقاب والذئاب والهوام والأظفار والأنياب والاصطلام .. الخ .. اما الدم الذى يضحى به المكافحون فهو رقراق ومطلول ومسفوح وركاض !

ومن المعروف ان الجواهرى فتن فى شبابه ـ ولايزال ـ بـ « هكذا تكلم زرادشت » الذى يصور فلسفة القوة التى اعتنقها مؤلفه « نيتشه » لدرجة أنه لم يكتف بقراءته بل نسخه عشر مرات ! فليس من العجيب ان يطلب من المستضعف المستضام أن



يرد على مستذليه بالدم « فأفهمهم بدم من هم » و « افهمهم بدم أنهم عبيدك ! » ولابد أن يخاض عام بالدماء وعام ! »

ولما لم يتحقق أنموذجه الذى نشده ارتد أسيان يائسا ، وهتف :

ياس تجاوز حده حتى لقد — امسيت اخشى الشر قبل حلوله !
ويلدت حتى لا الذ بمفرح — حـذر انتكاستـه ، وخوف عدوله !

ثم هو تارة أخرى ينتفض مذعورا :

مـن لهـمّ لايجـارى — وآهـات حيـارى ؟!
ولمطـوى علـى الجمر — سـرارا وجهـارا ؟!

ولعله فى اعتناقه فلسفة القوة ، ويأسه وتشاؤمه ، بل وفى كثير من مواقف حياته . يذكرنا بسلفه العظيم « أبو الطيب المتنبى » الذى كان محل إعجابه ومثلا أعلى له ، بل بدا وكأنه يطاوله قامة وضخامة ، بل لغة وجزالة ، ولكن مع إعجاب ومحبة ، فلا يحرجه أن يرجع الكثير من أصدائه . فالمتنبى يتدفق لديه بحسه البطولى وبتمرده ورفضه ويأسه حتى لنكاد نقع على صدى صوته فى كثير نتاج الجواهرى . وإذن فلا يقتصر الأمر على التلاقى بينهما فى بعض مواقف حياتهما أو التقارب فى بعض الصور الفنية ، مع أن هذا جد كثير ، فمثلا قول الجواهرى :

كذبوا فملء فم الزمان قصائدى — ابدا تجوب مشارقا ومغاربا

يجعلنا نستعيد على الفور إعجاب المتنبى الزائد بشعره وإدلاله المستمر به :

وما الدهر إلا من من رواة قصائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وعندما نقرأ له :

كلما حدثت عن نجم بدا — حدثتنى النفس أن ذاك أنا !

يتجسد أمامنا شموخ أبى الطيب واعتداده الزائد بذاته « انا الصائح المحكى والآخر الصدى ! » وبقومه الذين تأنف نفوسهم « أن تسكن اللحم والعظما ! » .

وتجدر الاشارة إلى أن الجواهرى لم يكن إقليميا فى شعره السياسى ، بل لقد



الشاعر وزوجته وابنته وحفيداه صورة عائلية فى خريف ١٩٦٨

استوعبت نفسه الثائرة كل الأحزان والمآسي القومية لأمته العربية وفى المقدمة محنتها الكبرى فى فلسطين السليبة :

فاضت جروح فلسطين مذكرة   جرحا بأندلس للآن ما التأما

كما شارك فى الاشادة بانتصاراتها ، وتمجيد النابهين من أبنائها . ويكفى أن نشير إلى قصائد مثل « أبو العلاء » و « جمال الدين الأفغانى » و « ذكرى المالكى » و « حافظ ابراهيم » و « أحمد شوقى » و « طه حسين » و « بورسعيد » و « الجزائر » و « قل للشباب بمصر » و « دمعة على دمشق » و « تونس » .

بل إن له قصائد تتفق واتجاهه اليسارى نحو « عيد العمال » و « سواستبول » و « ستالينجراد » هذا إذا اقتصرنا على مجرد العنوان فى تصنيف قصائده وتقييمها . والحقيقة ان شعره عصى على مثل هذا التقسيم ، لأن همومه القومية كثيرا ماتبرز من خلال معالجته لقضايا وطنه ، وهذان المستويان الوطنى والقومى يجسدهما كثيرا فى شعره الانسانى يستوى فى هذا التمازج معظم القصائد برغم ماتوحى به عناوينها من ارتباط بزعيم سياسى أو بعلم من أعلام الفكر والأدب ، أو بمناسبة وطنية أوقومية أوعالمية . فشعره ذو منبع موحد متجانس ، لأنه يصدر عن وجدان مرهف ثائر على الواقع المتدنى لوطنه ، وأمته ، ونفس تواقة إلى التغيير وتحقيق الحياة الكريمة لها .

وهكذا ظل أبو فرات على امتداد عمره المديد الصوت المعبر عن آلام قومه وآمالهم .. قد يزيغ أو ينتكس ، أو ييأس ويمل :

ارح ركابك من اين ومن عثر   كفاك جيلان محمولا على سفر

لكن سرعان مايتبوأ مكانه الصحيح !

كل عرس انا « المغنى » وفى كل عزاء انا الهتوف الناعى



عناق بين القديم والجديد

بقلم : مصطفى درويش

لباريس "روح" تمتاز بها عن كل مدن العالم . فهى اذا نسبت إلى بعض مدن العالم القديمة مثل القاهرة والقدس ودمشق واسطنبول وروما . كانت طفلة بنت يوم . بل بنت ساعة .

غير أنها بين مدن الدول المطلة على المحيط الفاصل بين أوروبا والعالم الجديد من أقدمها ، وهى تباهى كل المباهاة بقدمها ، وبما فيها من آثار تاريخية تعود الى الثورة الفرنسية وما قبلها وبعدها .

وهى تفاخر بلقبها "مدينة النور" .

ففيها من المعاهد العلمية والفنية والمتاحف وبيوت الازياء ما ليس فى سواها .

وقد انجبت نفرا من خيرة الفلاسفة والعلماء والفنانين التشكيليين والموسيقيين والسينمائيين والأدباء .

وهى ضنينة بمبانيها . شديدة الحرص على احجارها القديمة الكريمة ، حتى أنها تفضل فتح ابوابها للغزاة مستسلمة للعار ، على ان يصيب حجر من تلك الاحجار اى دمار !

ولكن ثمة مفارقة فى هذا الخصوص تلفت الانظار ، وتتطلب شيئا من التامل والتفكير .

فرغم كل هذا الشغف بالاحجار والحرص عليها ، فانه لم يتبق من مبانى باريس ما قبل الثورة ، الا اقل القليل .

هرم اللوفر

قوس نصر نابليون



عناق بين القديم والجديد

● **الفتنة الباقية**

فعلى الضفة اليسرى لنهر السين ، لم يعصم من الضياع سوى مبنى الانفاليد حيث مستقر "بونابرت" الأخير ، والبانتيون حيث تحفظ رفات العظماء أمثال فولتير وروسو ، وقصر اللوكسمبورج الذى شيد فى عصر لويس الثالث عشر كى تقيم فيه امه الملكة "ماريا دى ميديش" والحى اللاتينى يحيط بازقته الضيقة الملتوية اكثر جامعات فرنسا عراقة "السوربون" .

اما "الايل ديلاسيتى" تلك الجزيرة التى انبعثت منها باريس ، كما خرجت من أمواج البحر ڤينوس ربّة الجمال ، فليس فيها من مبانى العهد القديم سوى كاتدرائية نوتردام التى جرى تشييدها على امتداد قرنين الا اثنى عشر عاما .

وعلى بعد خطوات حيث مبنى وزارة العدل ، توجد حبيسة فنائه جوهرة باريس "مصلى السانت شابل" الصغير بنوافذه العالية الثمانية المرصعة بمئات التصاوير المنمنمة المستوحاة من قصص التوراه والأناجيل ، والمرسومة بقطع زجاج صغيرة من جميع الالوان تسر الناظرين .

وقلعة "الكونسيير جرى" (١٢٩٨/ ١٣٥٣) ذلك السجن الرهيب الكئيب الذى كان من بين نزلائه أرملة لويس السادس عشر "مارى انطوانيت" روبسبيير ، شارلوت كوردى قاتلة "مارا" ، مدام "دى بارى" و"دانتون" .

واحد منهم لم يكتب لعنقه نجاة من القطع بالمقصلة التى اشتهرت باسم مخترعها "جيلوتين" .

فاذا ما انتقلنا إلى باريس الضفة اليمنى ، لما وجدنا من المبانى العتيقة التى يرتد عمرها الى ما قبل الثورة شيئا ، باستثناء ميدان "ڤوج" بمبانيه الانيقة المشيدة بأمر من هنرى الرابع (١٦١٢/٥) ، ومتحف اللوڤر ، يقف على بعد خطوات منه تمثال صغير ذهبى اللون لحصان تمتطيه "جان دارك" يزدان به ميدان الاهرامات المجاور لحدائق التويليرى المواجهة للمتحف الشهير .

● **الهدم .. لماذا ؟**

والذى أعمل معول الهدم فى مبانى تلك الضفة ، هو "لويس نابليون" الذى انقلب على الجمهورية ونصب نفسه امبراطورا (١٨٥٢)

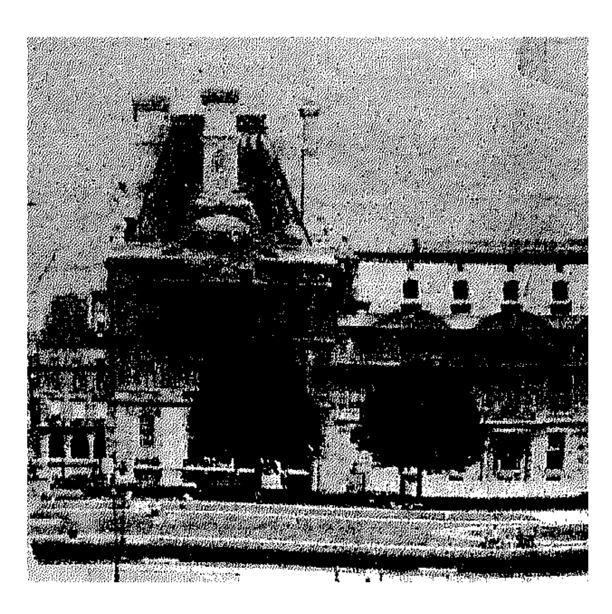
ففى عصره الذى طال الى ثمانية عشر عاما ، ولم ينته الا بهزيمة منكرة ادت الى سقوط باريس فى ايدى الغزاة الالمان (١٨٧٠) ؛ فى ذلك العصر الذى غالى الشاعر الفرنسى "ڤيكتور هيجو" فى ذمّ امبراطوره

المغتصب للسلطة ، وهجائه هجاء لاذعا لم يسمع له مثيل ، تغيرت معالم باريس ، اختفى ستون فى المائة من مبانى ضفتها اليمنى ، لتحل محلها شوارع فسيحة ، ترتفع على جانبيها اشجار باسقات ، فروعهـا تعانق السماء : كل ذلك للحيلولة بين الشعب وبين تقليد ما حدث فى اعوام ١٧٨٩ و ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ؛ بـالثورة على النظام الحاكم ، وحمايتها من قوات الامن باقامة المتاريس .

● **انتصـار الجديـد**

اذن فباريس المعاصرة بأبهـة مبانيها ذات الطـابع الكـلاسيكى (البلـدية والاوبـرا) ، وقصورهـا الشامخة (شايو) ومتاحفها الغنية بروائع الفن (بومبيدو ، اورسى) وشوارعها الخضراء لا يُرى لامتدادها نهاية ، وساحاتها المزدانة بالنافورات والاعمدة واقواس النصر ، ورياضها وحدائقها الغناء تنفح بالعطر الهواء وبرجها الحديدى "ايفيـل" يشق الفضاء ، باريس هذه انما هى بنت الثورة الفرنسية ، ليس فيها من القديم السابق على تلك الثورة الا القليل وفيها من الجديد اللاحق على احداثها الشىء الكثير .

انها بحق باريس "هاوسمان" نسبة الى البارون المهندس "چورچ اوچين هاوسمان" الذى عمل على هدمها واعادة بنائها تنفيذا منه للامر الصادر



متحف اللوفر ، زاوية جانبية



اليه بذلك من الامبراطور المغتصب نابليون الثالث (١٨٥٣)

ومن المفارقات أن اقدم اثر فى باريس ليس فرنسيا ، ولا حتى اوربيا ، بل مصريا .

انه مسلة رمسيس الثانى احد الفراعين ، انتقلت من الاقصر الى باريس ابان عصر محمد على الكبير ، بفضل "شامبليـون" ذلك العـالم الفرنسى النابغة الذى اعاد الروح الى لغة قدماء المصريين بفك طلاسم حجر رشيد ، حيث انتصبت منذ مائة وخمسين عاما أو يزيد (١٨٣٦) فى ميدان الكونكورد (الوئام) . بديلا للجيلوتين تنحنى له رءوس اعداء واصدقاء الثورة على حد سواء كى يجرى قطعها بالمئات تحت قبـة السماء .

اوبرا باريس .. مابعد الثورة

الجديد .. والقديم .. لوحة واحدة

جان دارك .. قادت فرنسا الى النصر

باريس عناق بين القديم والجديد

● هرم الانفاق

والحديث عن مسلة رمسيس التى يتحلى بها الكونكورد ، ذلك الميدان الذى يعتبر بحق واحدا من أجمل ميادين باريس ، بل قل العالم ، لابد وأن يسحبنا الى الوقوف أمام الهرم الزجاجى الذى أقامه المهندس المعمارى الامريكى "بى بى" المنحدر من أصل صينى هو ونفر من المعماريين الافذاذ ، وسط فناء نابليون على بعد عشرات الأمتار من تلك المسلة ، وعلى بعد خطوات معدودات من متحف اللوفر ، ذلك أنه لم يجر تشييده أصلا إلا ليكون مدخلا لهذا المتحف العتيق الذى وصل عدد مقتنياته الى أربعمائة ألف من بينها الكاتب المصرى ولوحة موناليزا (الجوكندا) التى نهبها بونابرت اثناء حملته الايطالية .

هذا وقد افتتحه الرئيس فرانسوا ميتران بمناسبة الاحتفال بمرور مائتى عام على ثورة الرابع عشر من يولية .

لو القينا نظرة طائرة مهرولة على هذا الهرم الصغير الشفاف الذى يغلب عليه طابع التجريد لاعتبرناه عملا متطفلا على الفناء الذى يحيط به مبنى اللوفر من ثلاث جهات ، مقتحما حرمة مكان له طابع كلاسيكى ذو جلال .

● عصر الفضاء

ولكن لو تأنينا فى نظرتنا ، لبدا لنا وكأنه سفينة فضاء شدت الى الأرض ، ولكنها على وشك الرحيل عائدة من حيث اتت ، بعد ان رأى روادها متاع المتحف وقروا عينا .

وليس من شك انه هرم قوامه مزيج من العلم والفن وفقا لاقصى ما بلغاه فى الربع الرابع من القرن العشرين .

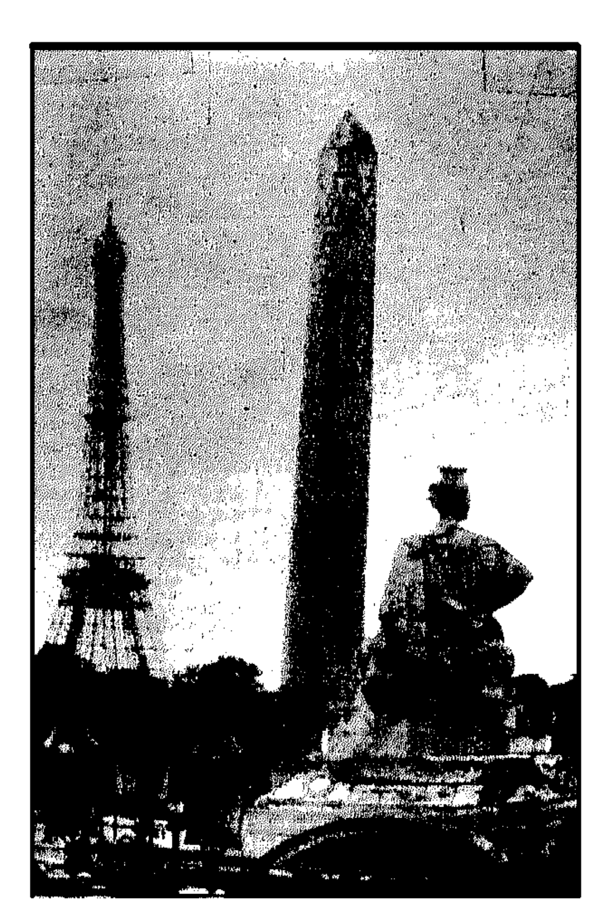
وهو بوصفه كذلك انما يتماشى مع ميل الباريسيين الى التعاصر ، وولعهم الشديد بكلمة التعايش ، يقصدون بها ان يجاور الجديد القديم فى تواصل وانسجام .

● سقطة

ولكن كل هذا المديح ، لا يعنى انه هرم بلا مشاكل فلقد شاء مبدعوه ان يحيطوه بثلاثة اهرامات زجاجية صغيرة .

وكان هدفهم من ذلك ان يغمر ضوء النهار الطبيعى الممرات التى تحت الأرض ، تلك الممرات التى تصل الهرم الرئيسى باجنحة مبانى اللوفر القديمة حيث يوجد عزيز المقتنيات التى جرى جمعها من جميع انحاء العالم على امتداد قرنين من عمر الزمان .

ورغم نبل هذا الهدف ، فإنه ، والحق يقال ، ليس ثمة مبرر لهذه الاهرامات الثلاثة ، لاسيما وان وجودها انما يضعف ذلك الاحساس الذى اسلفنا ذكره ؛ اثيرية الهرم


المسلة والبرج .. عناق فى السماء

الرئيسى ، وما يتفرع عن ذلك من تخيلنا له اشبه بسفينة فضاء اسطورية حطت على الأرض امام اكثر متاحف فرنسا روعة وجمالا .

● فقدان الاتجاه

هذه واحدة ، اما الأخرى فهى مشكلة يلزم بموجبها ان نعود الى الصلة بين طراز هذا الهرم وبين الطراز المعمارى الضخم السائد حوله من جميع الجهات .

من المعروف ان اللوفر يقع عند نهاية طريق النصر من الجهة الشرقية ، ذلك الطريق الذى يعتبر فى نظر البعض اعظم محور مدائنى فى العالم ، اذ يمتد فى خط عمودى من قوس نصر الكاروسيل المشيّد تكريما لانتصارات بونابرت (١٨٠٨/٦) ، مرورا بحدائق التوليرى ، فميدان الكونكورد حيث مسلة الاقصر . ثم شارع الشانزليزيه ، فميدان شارل ديجول (اتوال) حيث قوس النصر) ، ومنه الى وزارة الدفاع .

وكما سبق ان ذكرنا فمبانى اللوفر تحيط بفناء نابليون من جهات ثلاث اما جهته الرابعة فمنفتحة على هذا المحور العظيم .

ولكن ذلك الفناء ليس واقعا على خط عمودى مستقيم مع المحور المذكور . انه خارجه ببضع درجات .

وهكذا ، فعندما يقف المرء فى منتصف فناء اللوفر ، فانه لا يرى المحور العظيم من منتصفه مستقيما وانما يراه منكسرا قليلا .

ومن الغريب ان بناة الهرم قد وضعوه فى منتصف فناء نابليون تماما ، بحيث يحيط به جناحا اللوفر بشكل يتسم بالتناسق الكامل .

وهو ما يعنى ان الهرم قائم على محور اللوفر وليس على محور طريق النصر .

وهنا الخطأ .

فلقد كان من الاسلم ان يوضع الهرم على محور ذلك الطريق ، بحيث يكون امتدادا مستقيما لقوس النصر .

● طريق الندامة

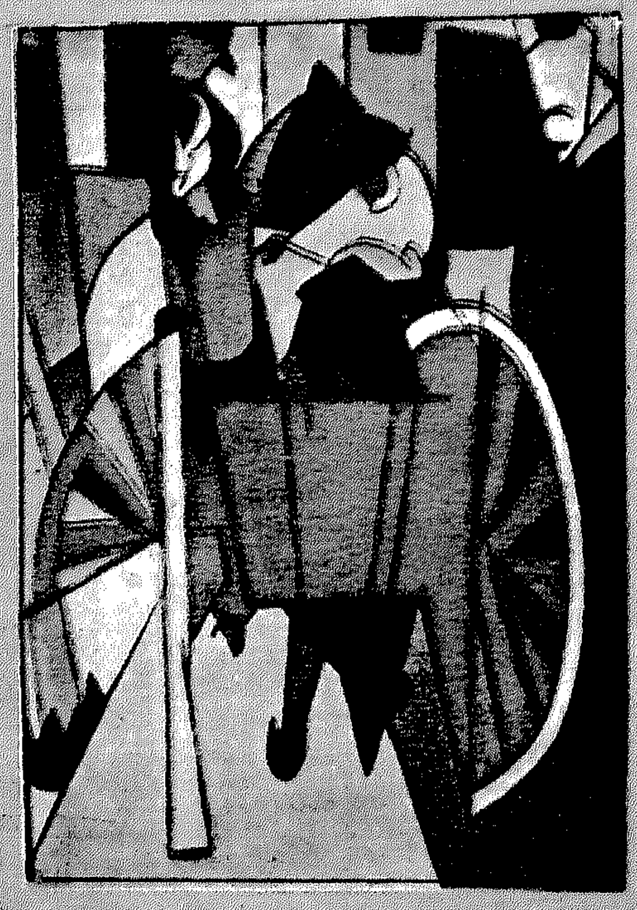
وهذا مؤداه بحكم اللزوم الا يكون موضعه فى منتصف فناء نابليون على



موناليزا .. منهوبة



لوحة حديثة من متحف بومبيرو



بعد متساو من جناحى اللوفر .

والمشكلة الآن هى ان الهرم بوضعه الحالى ، انما يرنو بشكل او بآخر الى ان يكون انعكاسا مكملا للنظام الكلاسيكى الذى هو الطابع المميز لمبانى اللوفر الاكثر منه قدما .

ولكن الهرم لا يشكّل جزءا من هذا النظام .

انه على العكس يمثل النقيض له ، المتمرد عليه .

وهو بوصفه كذلك يعتبر فى حقيقة الامر جزءا من صرح طريق النصر الاكثر شمولا وشموخا ، باقواسه وحدائقه ونافوراته ، وتماثيله ، ومسلته المصرية تبرز من بين كل هذا الجمال المتداخل المتواصل خطا واحدا صاعدا دالا على ارادة الانتصار .

والسؤال المحير بعد ذلك ، هو كيف غاب كل هذا عن بال بناة الاهرام أمام المتحف العتيق ؟



شعــر: مــاجدة بركـة

سكن الليل وآبت غزلان الأحراش الى مسكنها
وطيوف بيضاء تتحرك فى كهف النسيان

سقط الشاطر من فوق حصان
وأميرته جاثية فوق الرمل الأبيض
والوردة فى الشعر اللامع تبتهل بليل
والقمر قباب وجوامع

قيثـار
والنغم لآلىء تنهمر بليل
سكن الليل
وآبت غزلان القلب الى وحشتها
والصمت كيان ..
ألمسه ويواسينى ونسير سويا
الصمت صفى الجزلان

حزنى ؟؟.. بل ان الفرحة تملكنى حتى الدم
انزف كل دمائى الفاسدة
وتشرق فوقى الاكوان
هذى خنسائى تدعو ولدا آخر أن يستشهد
وترا آخر من أوتار القلب
أن يتمزق
ان ينخرط العسر بيسر
دمعة ملح ان تسقط فى كأس الخمر الحلوة
سكن الليل

وعادت للنفس طمأنينتها
للبارىء نفس مهدية
عودى ساكنة يا أيتها الأطياف البيضاء
عودى مخضلة
وليمنحك المسك طيوبه .... ولتمنحك الطيبة ملمسها
وليمنحك الله البركة ..



محمود بقشيش

الصالون التاسع للجمعية الأهلية للفنون الجميلة

تراجع المتقدمون وتقدم المتراجعون !

دعا نقاد الفن ، منذ سنوات ، الجمعيات الفنية الى التمرد على مبدأ (سد الخانة) في إقامة المعارض والندوات والمحاضرات ، والحرص على أن تكون لتلك المجالات توجيهات واضحة ، وكان الثابت عندها هو الخلط بين الوسائل والغايات . وبتعبير آخر ـ كانت ممارسة الأنشطة ، سالفة الذكر ، هي الغاية ، بغض النظر عن الكيفية التي تتم بها . لهذا تشابهت كل الجمعيات في التوجه التراكمي والمرتجل .

وقد استجابت بعض الجمعيات لما دعا اليه النقاد .

● فأقامت "جمعية محبي الفنون الجميلة" معرض "القطعة الواحدة" ، وجاءت "الجمعية الأهلية" لتقدم هذا العام ، مبادرة تستحق التوقف عندها . فقد ضم معرضها كل أجيال المبدعين .. ابتداء من جيل الأطفال حتى الشيوخ !

.. وكان لسان حال الجمعية يقول ليتفاعل كل الموهوبين المصريين .. أملا في ابتكار إضافة جديدة الى الحركة التشكيلية المصرية !

وكما امتد المعرض ـ رأسيا ـ واحتوى مساحة زمنية كبيرة (من سن السادسة حتى سن السبعين) فقد اتسع ـ أفقيا ـ وضم مجالات تشكيلية تجاوزت المعتاد ، وتجاوزت التعبير التقليدي "للفنون الجميلة" ، مثل "التصوير الفوتوغرافي" ومجال "العرض المجسم في الفراغ" ولم تنس الجمعية الفنانين الذين سقطوا في الطريق ، فكرمت هذا العام اثنين منهم .. هما : عبد المنعم البطاوي ونجوى عبد الجواد .



انتصر معرض الأطفال ـ الذي أقيم بقاعة ملحقة داخل قاعة النيل الكبرى ـ

« موسيقى بصرية مجسمة » للفنان محمد عبدالحميد

مفردات شعبية للفنان محمد الطحان





على اطفال الفنانين فقط . وعلى الرغم من تأثر الاطفال بأساليب الآباء الفنية ، وتوجيهاتهم .. فإن طزاجتها لابد أن تغرى الآباء ، ذات يوم باستلهام ابداعات اطفالهم .. وبالنسبة لى فقد كان معرض الصغار نزهة ممتعة ، وأمنيتى أن تتألق تلك المواهب ، وأن تتخطى عـوائق التعليم ، وفساد الذوق العام ، والصورة المريضة التى تحرص وسائل الاعلام المصرية على تقديمها عن الفنان ، وترجيح الغيبوبة على العقل ، وسيادة مبدأ : أخطف وطر ! "..

ولاشك أن "الموهبة" التى تتخطى غابة الحواجز تلك .. ستكون جديرة بأن تتوج رأس "مصر المستقبل" !

• انـقـــلابـــات !

كان أحد شواغلى ، عند زيارتى هذا المعرض أن أطمئن على مستوى الفنانين الذين نالوا جوائز اولى فى صالون الشباب الأول (الجائزة الأولى لكل فرع كانت قيمتها ثلاثة آلاف من الجنيهات) غير أننى عندما التقيت بأعمالهم صدمت ، ولم أصدق أن يتراجع فنان عن مستواه هذا التراجع الخطير .. وتساءلت بينى وبين نفسى ـ وقد كنت عضوا فى لجنة التحكيم ـ هل أخطأنا التقدير ، ولم نتمكن من تمييز الموهوبين من غير الموهوبين ؟!

هل كانت المسابقة وقيمتها المادية الكبيرة محركا لنوازع الخلق .. فلما اختفى الدافع اختفت الموهبة !؟

هل كانت الاعمال الفائزة بالجوائز الأولى منقولة ـ كما أشيع ـ ولما جاء معرض بلا جوائز .. لم يجد الفائزون مبررا للنقل .. فانكشفوا ؟!

هذه الاسئلة وغيرها دارت فى رأسى .. بعد لقائى ، غير السعيد بأعمالهم ، فقدم "هشام نوار" ـ الفائز الأول فى فرع المجسمات ـ عملا يصعب إدراجه فى أطار العمل الفنى ، واتسم عمله بركاكة شديدة ، وشاركه "طارق المشد" ـ الفائز فى التصوير ـ فى التراجع ، وإن لم يصل الى نقطة "الصفر" التى بلغها زميله ! .. بينما تكاسل "طارق الكومى" ـ الفائز بجائزة النحت الأولى ـ فاكتفى بتقديم نموذج مصغر لمنحوتة اشترك بها فى صالون الشباب وفى حين تراجـع المتقدمون ، تقدم المتراجعون ! ..

فقدم "جمال عبد الناصر" منحوتتين ، تثبتان اقدامه فى عالم النحت ، تتميزان بـ "الدينامية" والحوار الثرى بين الكتلة وفراغاتها البينية ، والخارجية . ويتسق هذا الحوار مع موضوعه المختار وهو "عازف الكمان" ، ولا تستطيع الفصل بين الآلة وصاحبها ، ويشكل العمل "وحدة" جامعة لعناصر الموضوع ، وعناصر الكتلة النحتية . ومن الايجابيات التى كشفت عنها هاتان المنحوتتان .. بداية تخلصه من مؤثرات : "جياكومتى" ومؤثرات "صبحى جرجس" وبالتالى ظهور تباشير اسلوب شخصى يتميز به .

وتقدم "حسام الدين أمين" الصفوف ، بلوحته المرسومة بالقلم الرصاص والتى كشفت عن براعة وحساسية فائقة فى

استخدام تلك الخامة . وقدرات واضحة فى الرسم والتكوين والخيال الجامح ، ولم يكتف بذلك بل أراد أن تقوم كل العناصر الاضافية بدور فعال فى تأكيد وحدة العمل الفنى ، فخشن سطح غطاء اللوحة الزجاجى .. حتى حدد الرسم ، وأعطى بهذه القيمة الملمسية ، غير المتوقعة ، دورا جديدا للغطاء الزجاجى ، وشارك "سامى كشك" "حسام أمين" ميله الشديد الى الاتقان ، وأن مال الى شىء آخر أحذره منه .. وهو "الميل السياحى" .. بالالحاح على شكل الأيدى الفرعونية ، ووصفها فى علاقات ذات طابع زخرفى .. بينما قدم "حمدى ابو المعاطى" لوحتين بالحبر الصينى والاصباغ الملونة ، اكد بهما احتفاظه بمستواه ، وحرصه على الدقة وقلل ، نوعا ما ، مما اعتدناه منه .. من ثرثرة بصرية .

واذا كان المتقدمون تراجعوا ، والمتراجعون تقدموا .. فإن هناك بعض الفائزين قد اختفوا اختفاء كليا فى هذا المعرض .. (ونرجو أن يكون المانع خيرا !)

● مختارات من المعرض !

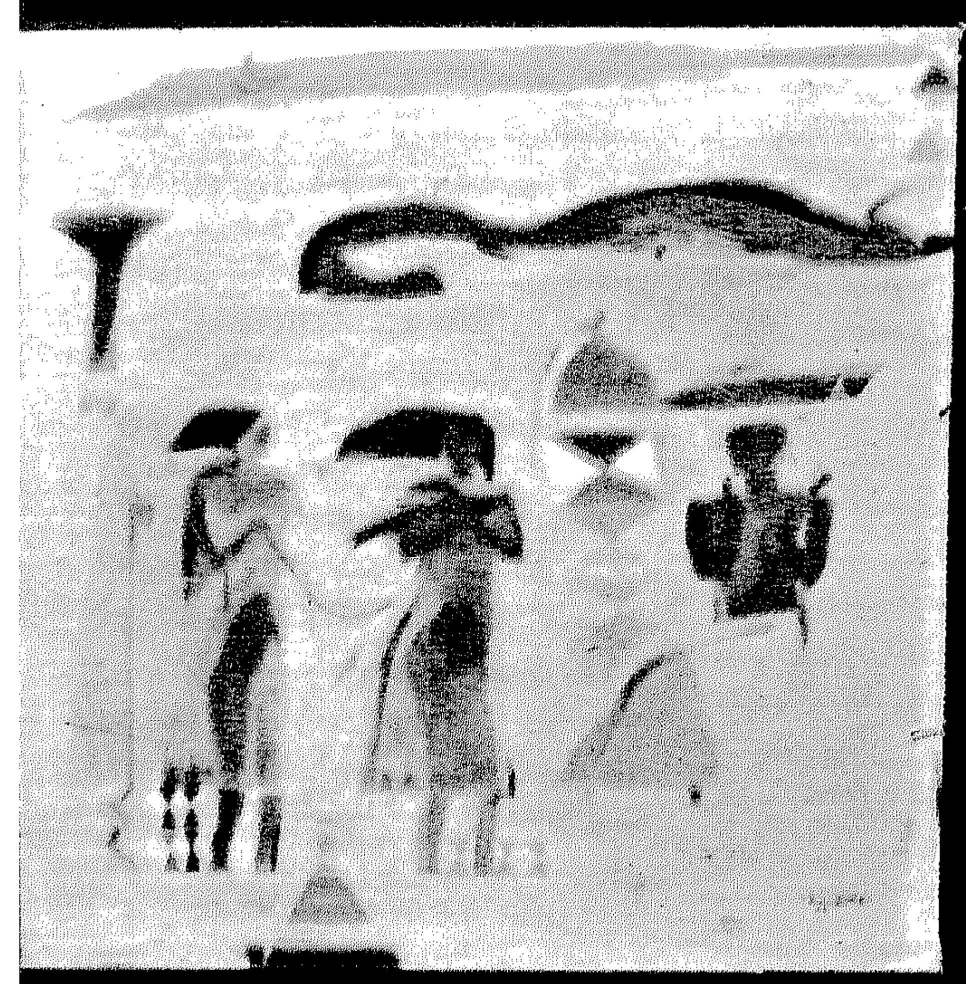
لاحظت أن معظم ـ واستخدام لفظه "معظم" بدقة ـ الاعمال المعروضة .. قد شوهدت ، مرات ومرات ، فى معارض سابقة ، ونوقشت ، مرات ومرات ، من النقاد وكتاب الاخبار المطولة ، وليس من المفيد للقارىء اعادة نفس الكلام ، والذنب ـ فى معظمه ـ لايقع على الجهة المنظمة بل على الفنانين انفسهم الذين يتعاملون بشىء من الخفة مع هذه النوعية من المعارض .. ورغم ذلك فإن من حاول اللقاء ـ عبر هذا المعرض ـ بمتذوقى الفنون التشكيلية أفضل من الذين تجاهلوه ولم يشتركوا فيه ..

والآن .. لنقدم بعض التعليقات النقدية على أعمال بعض المبدعين .. الذين لم أحظ وإياهم بلقاءات نقدية كثيرة !

● **محمد عبد الحميد** : قدّم أحدث منحوتاته ، وأكثرها جودة .. وكانت المنحوتة مقدمة أصلاً للاشتراك فى مسابقة "الاوبرا" . وهى ترمز لكائنات بشرية تغنى . تشبه الأعمدة ، وتنتصب مثلها فى صلابة ، وتشكل بالتصاقها صفين ، متماوجين ، متصلين وتجسدّ المنحوته بتنوعها الملمسى ، واختلاف أطوالها ، وخامتها البيضاء (المصنوعة من الحجر الجيرى) لحناً بصرياً ممتعاً . لقد أسس منحوتته "الكورالية" على وحدة .. لحنية/ بصرية .. تتكرر ، وتتنوع ، وتشكل باستمرارها لحناً جماعيا متخيلاً ، وحركة إيقاعية ، تكاد تكون ثابتة ، بين النور والظلال .

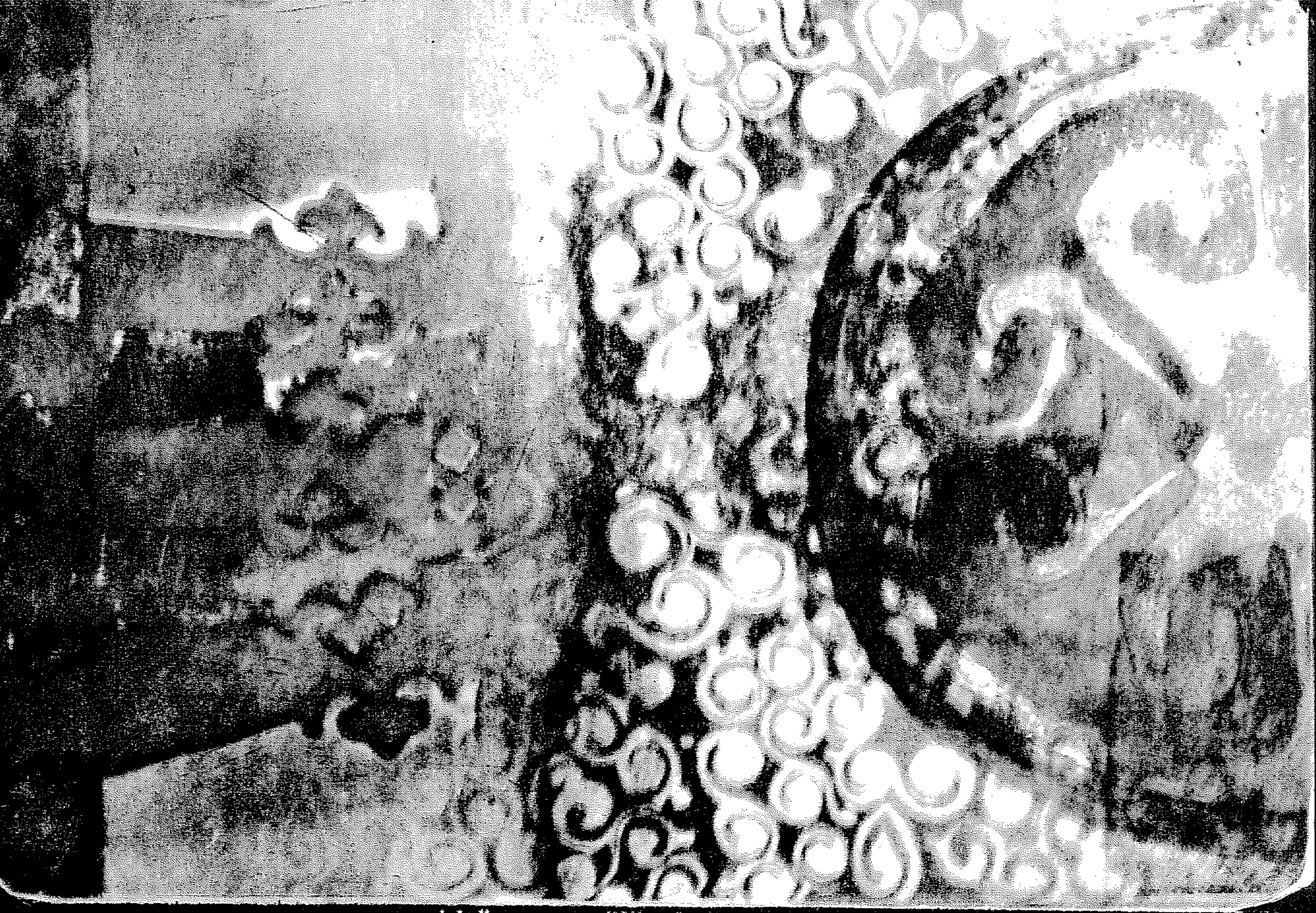
● **أحمد عبد العزيز** : يأتى على النقيض من "محمد عبد الحميد" فبدلاً من تسييد حركة إيقاعية ثابتة تشمل وجهى المنحوتة ، وجعلها فى حالة تقابل ، وجهٌ راسخ . بنائى . ذو طابع سكونى . أمّا الوجه الآخر فيفاجئنا بما يناقض الوجه الأول .. من علاقات مقلقة ، وعلى الرغم من أن كلا من الوجهين لايبرر الوجه الآخر . فإن كل وجه على حدة يحقق





احلام صحراوية
للفنان : محمد صفوت

تصميم زخرفي للفنان : سيد عبدالرسول



زخارف اسلامية .. للفنان مجدى عبدالعزيز



إمتاعاً للعين : الأول بمفاجآته وغرائبه ، والثانى بطابعه السكونى ! ..

● **عبد السميع السيد** : اكتفى النحات الراحل بسمات المنحوتة الفرعونية ، وعُرضت له منحوتة جرانيتية صغيرة الحجم ، تمثل أشكالاً ضبابية ، موحية بكيانات بشرية ، تتشكل فيما بينها اسرة متماسكة . وقد اختار لنفسه الخامات الصعبة التى ينفر منها الفنانون المصريون إلا اثنان فقط هما : محمود موسى وعبد السميع عبد الحى ، وقد أنجز هذه المنحوتة عام ١٩٨٣قبل وفاته بقليل .

● **محمد سيد توفيق** : تتسم منحوتته ، شأن منحوتاته الأخرى ، بالكثافة ، وهى لاتلفت نظر الزائر المتعجل .. لصغر حجمها (لايزيد ارتفاعها على ٣٠سم) من الخشب "الماهوجنى" .. وحركتها هامسة ، وتضاريسها تشبه الكثبان الرملية ، وكتلتها تنتسب إلى كتلة المنحوتة الفرعونية ، ويخلع كل هذا على المنحوتة غموضاً شعرياً ، ومذاقاً مصرياً .

● **محمود شكرى ومحمد العزازى** : يشتركان فى عديد من السمات الفنية بالاضافة إلى زمالتهما في كلية واحدة هى كلية الفنون التطبيقية ، فالخامة المفضلة لديهما هى خامة البرونز ، وكلاهما يميل إلى الكتل التى تقاوم الجاذبية أو ما يمكن أن نطلق عليه بـ "الكتلة الطائرة" . وإن اختلفنا بعد ذلك فى الرؤية ، ففى حين تغلب على "شكرى" روح غنائية . رشيقة وسطح لامع .. تصدمنا اشكال "العزازى" بإيحاءات عضوية قاسية ، وتلقائية خشنة .

● **محمود رضوان حجازى** : ينتمى إلى من يمكن أن نصفهم بـ "التراثيين الجدد" الذين تستغرقهم جماليات الحرف العربى ، وقدّم "حجازى" فى معارضه المختلفة تجارب متباينة فى التعامل مع هذا الحرف . ويقدم فى المعرض لوحتين بخامات لونية مختلفة مثل (الزيت والاكليريك واللاكيه) ويحاول أن يخرج الحروف المستخدمة من دلالتها المعجمية ، وأن يكتفى بإمكاناتها الحركية . وتتسم لوحاته بجرأة اللمسات ، وتمكنها ، وتلقائية التصميم .

وقبل أن أغادر المعرض أحب ألا يفوتنى ذكر أسماء الفنانين الذين أضعهم فى منطقة "الأمل" وهم : السيد عيد سليم ، عبد الوهاب عبد المحسن ، أمنية أحمد على ، جمال عبد الحليم ، حازم بدوى ، محمد صفوت ، حسام سعيد ، فارس احمد فارس ، عبد المنعم عبد السميع ، سمير الجنزورى .

● غنائيات أحمد الرشيدى

اقام الفنان احمد الرشيدى معرضا بقاعة أتيليه القاهرة ، ضم منتجات من

اخر انتاجه ، وبهذا المعرض يؤكد اصراره على اسلوب شخصى اختاره والتزم به ، ومن ناحية أخرى .. فإن معارض "الرشيدى" تمثل للمشاهد والمتابع ، والناقد .. واحات لتهدئة الاعصاب من ضغوط الحياة اليومية يحتل فيها وجه المرأة محوراً رئيسياً ويضم معرضه إلى جانب الوجه الانسانى محاور أخرى ، تمثل موضوعات عامة

عازف الكمان
للفنان جمال عبدالناصر



تستلهم مادتها من الحياة اليومية ويحتل موضوعه المفضل : "حاملات السلال" موقعاً مرموقاً ، وضم المعرض ايضا عدداً قليلاً من اللوحات استلهم فيها "المنظر الطبيعى" كما ضم بعض المجالات ، وكلها منفذة بخامته المفضلة : الالوان الزيتية

يمثل وجه المرأة الركيزة المحورية فى عالم "الرشيدى" الحالم ، فى حين يختفى الرجل اختفاء كليا ، وعندما كان يضطر اضطراراً - فيما مضى - إلى استحضاره فكان يُغيبه فى غلالات ضبابية ، ولايظهره إلا عن بعد ، بينما تتألق العروس فى

إثنين فى واحد (تكوين ٢) خشب ماهوجنى للفنان : محمد سيد توفيق





أغنية نوبية
للفنان : أحمد
الرشيدى

ملابس الزفاف ، تتوج قارباً يتهدى فى ضوء القمر .

وربما كان الفنان "عز الدين حموده" هو الفنان المصرى الوحيد الذى يشارك "الرشيدى" فى الانحياز الكلى إلى المرأة ، وإن اختلفا اختلافاً عميقاً فى الاسلوب الفنى ، ومنابع المثيرات ، ففى حين استقرت اختيارات "حموده" على وجوه ارستقراطية ، واسلوب فنى يستلهم "الكلاسيكية" بقى "الرشيدى" على عشقه المألوف مع فلاحات من صنع الخيال ، واسلوب شخصى يتسم بالسلاسة والبساطة . وكان من الطبيعى أن يتشكل عالم اللوحات الرقيق ، الحالم .

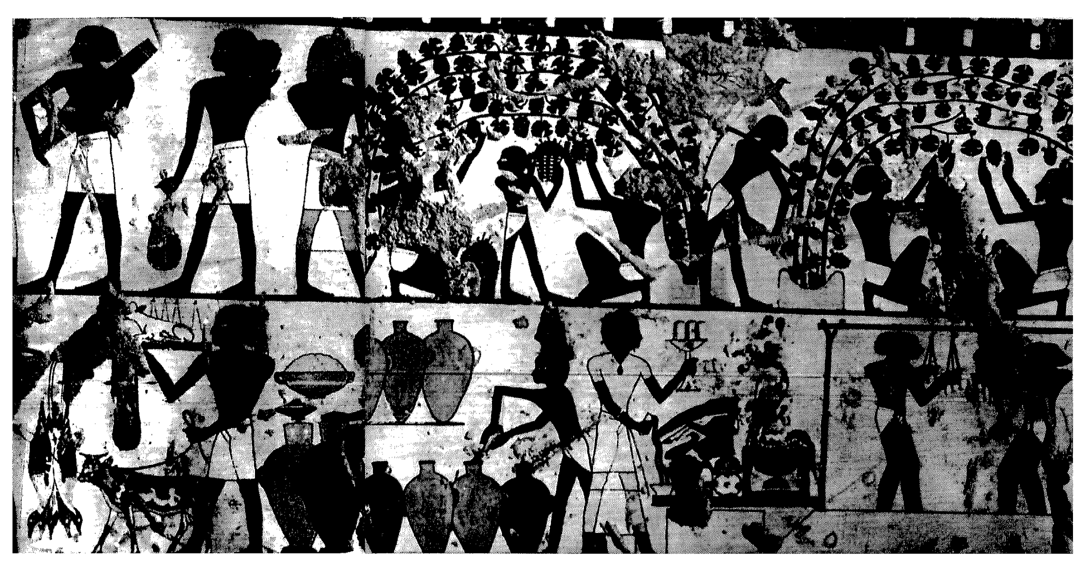


حروف عربية .. للفنان محمد رضوان حجازى

من نغمات خطيّة تحفل بالاقواس والمنحنيات ، والتآلفات .

ليس فى لوحات الرشيدى مكان للضد ! ليس هناك رجل يحاور امرأة .. ولا الوان تشتبك مع ألوان .. ولاظلال تواجه أضواء .. بل هناك تآلف وتناغم ، وصوت واحد يتغنى بلحن دافىء الالوان هادىء النبرة . الجديد فى هذا المعرض هو درجة من التجويد واضحة تبدت فى النسيج اللونى الذى صار اكثر ثراء عن ذى قبل .. والذى تشكل من مزيد من تداخلات "اللون الساخن" والاحتفاظ بدرجة معتدلة من سخونته ، يمكن أن نتصورها فى منطقة الدفء الهادى .. لا الصراخ .

الخمر فى مصر الفرعونية :



● يمضى التاريخ .. تاركا وراءه بصمات فوق السطح وفى بطن الأرض .. ثم تأتى الرياح فتطمس مواقع الأقدام وتمحو سطور الزمان .. وتأبى مصر أن تستسلم لسطوة الفناء أو تقهرها جحافل المحو . وتبقى سطور التاريخ محفورة فى سجل الزمن معابد وأهرامات ونقوش وبرديات نقرأ على أسطحها وصفحاتها ونشهد اصداء سحيقة نستشعرها بوجداننا .

فيتصل الماضى بالحاضر . وتنمحى الابعاد ويتمخض التاريخ عن عبق هامس ـ طيفى القوام ـ تسمع دبيبه حاسة جوانية يعيش فيها الماضى والحاضر . ليعلن للبشرية انه "لاجديد تحت الشمس" .



بقلم : د . سيد كريم





تضم الصفحة بعض القدور التى
اختلفت اشكالها من دولة لاخرى

عرف المصريون القدماء الخمر مع بدء طهور الحضارة أى ماقبل عصر الأسرات ، ومن اقدم الخمور التى صنعها المصريون البيرة والنبيذ وهما أقدم المشروبات التى انتقلت من مصر الى مختلف الحضارات عبر مسيرة التاريخ . وقد أختلف الباحثون والأثريون فى أيهما عرف قبل الآخر وكانتا تعتبران من المشروبات الشعبية التى عاصرت الحضارة منذ نشأتها حتى عصرنا الحديث . كما ظهرت بجوارها منذ اكتشاف المصرى القديم لهما انواع مختلفة من الخمور المصنوعة من ثمار الفاكهة التى أختصت بها كل منطقة بل وكل اقليم . فاشتهرت اقاليم الوجه القبلى بصناعة خمر "التمور" أو خمر البلح (العرق ولازال شائعا الى الآن بجانب الخمور التى تفننوا فى صناعتها من ثمار النبق والدوم والخروب . بينما تخصصت أقاليم الوجه البحرى بصناعة الخمور من ثمار التين والرمان والجميز .

كانت الخمر من المقدسات التى احتلت مكانها فى حياة المجتمع وفى علاقته بآلهته ومعتقداته كما ورد ذكرها فى أكثر من بردية من برديات كتاب الموتى ومتون العقيدة . **وصف كتاب الموتى الجنة التى وعد الاله بها المؤمنين بأن بها نهر من الخمر و آخر من الماء الزلال . وثالث من عسل النهر . كما وجدت فى لوحات القبور ادعية وصلوات يطلب فيها المتوفى أن يزود باهم مقومات الحياة فى نظره . وهى الخبز والبيرة ـ كما لاتخلو قائمة من قوائم القرابين فى كل من الدولة القديمة وعصر الأهرامات من البيرة والنبيذ .**

● البيرة (الجعة) : كانت البيرة من المشروبات الشائعة عند قدماء المصريين

فكانت شرابا رئيسيا على المائدة . وكانت تعتبر من المشروبات الشعبية التى عاصرت حياة المجتمع عبر تاريخه الطويل وكانت تعتبر من المواد الغذائية التى تقدم مع الخبز وتقدم للأطفال فى المدارس .

يطلق على البيرة اسم حق وحقت وحنقت تبعا لأنواعها ولايمكن وضع تاريخ محدد لبداية استعمال المصرى للبيرة أو اكتشافه لصناعتها فقد وجدت فى حفريات عصور ماقبل الأسرات جرار من البيرة لازالت تحتفظ ببقايا الشراب مدفونة مع أكثر من رجل يرجع بعضها الى ثمانية آلاف سنة كما وجد العديد من الأوانى والجرار ضمن حفريات جرزه ونقاده ومرمده ومقابر العصر العتيق .

ذكر المؤرخ ديودورس أن البيرة كانت مشروب الفقراء وعامة الشعب بينما شرب النبيذ كان مقصورا على القصور الملكية وعلية القوم . بينما سجلت الوثـائق والبرديات المصرية القديمة أن البيرة كانت المشروب المفضل لدى الملوك والحكام والكبراء وكانت البيرة تصنع فى مصانع خاصة ملحقة بكل قصر أو مزرعة كما شهدت كل عائلة بصناعة نوع خاص بها يحمل اسمها وتختم باختامها وتحتفظ بسر صناعتها أو توليفتها .

وقد وجدت فى قائمة الملك اوناس (٢٦٢٥ ق . م) قائمة أنواع البيرة التى كانت تعد خصيصا له وهى :

حنقت (البيرة العادية) .

حن سس (بيرة الصداقـة أو الضيافة)

شزرت (البيرة الممتازة المعطرة)

زيو (البيرة الحلوة)

كما ورد فى برديات الدولة القديمة ذكر أنواع أخرى من البيرة منها شدح (البيرة السوداء) التى كانت تخمر وتحلى بالبلح ونوع آخر من البيرة المسكرة التى تحلى أثناء تخميرها بعسل النحل ، والبيرة المرة التى كانت تخمر بإضافة أنواع من الأعشاب اليها .

كما ورد فى برديات أيبرز الطبية ذكر البيرة الطبية التى يضاف الى صناعتها مسحوق الترمس ووصفتها البردية كعلاج لقرحة المعدة . أما البيرة التى يتناولها عامة الشعب فكانت تعد فى مصانع خاصة تديرها الدولة وتشرف على توزيعها بواسطة محال خاصة لبيعها أو حانات لشربها يطلق عليها اسم (برحنقت) و (برايرب) و(پراربى) .

وكان تحضير البيرة فى العصر العتيق وفى عصور ما قبل الأسرات لايختلف عن صناعة (البوظة) التى اشتهرت بها بلاد النوبة وبعض مناطق السودان حاليا . حيث كانت ارغفة خبز الطعام تبل فى الماء وتترك حتى تتخمر ويتحلل الخبز . لقد تطورت صناعة البيرة فى أوائل الدولة القديمة حيث كشفت مجموعة من البرديات والنقوش والرسومات التى وجدت بمقابر من الوزير رخميرع وتى ومكت رع فى كل من بنى حسن والدير البحرى وسقارة عن تفاصيل طرق صنع البيرة بواسطة ما أطلق عليه (أقراص البيرة) . كانت سنابل القمح والشعير تنظف ثم تدق الحبوب بمدقات خشبية كبيرة فى إناء عميق من الحجر يشبه الهون ، ثم تبلل بالماء أو

ترطب لمدة يوم حتى تنتفخ ثم تترك لتجف وتغربل لفصل القشور فى إناء ذى ثقوب ثم تبلل مرة ثانية وتدق فى إناء خاص مع أستمرار إضافة الماء إليها حتى تتحول الى عجينة . توضع بعد ذلك على لوح خشبى وتضاف اليها الخميرة . وتقوم احدى النساء بعجنها ثم تشكل اقراصا مستديرة ثم تترك لتسوى فى الشمس وحرارتها بالوجه القبلى أو تخبز بشكل خاص لاتصل فيه الى حد النضج انما الى أن يعلو سطحها ويحمر وجهها مع بقاء قلب الأقراص نيئا . ثم يقطع كل قرص الى أربعة أجزاء (لوحات مكت رع) ويشكل كل جزء الى كرات تشبه الكشك الصعيدى المعروف حاليا . وتحفظ الكرات الصغيرة أو الاقراص تبعا لتشكيلها فى مخازن المنازل .

عند اعداد البيرة تلقى اقراص خبز البيرة فى أناء ملىء بالماء العذب وتترك حتى تتخمر . وعندما تصل الى درجة الاختمار المطلوبة تصب فى سلة بمثابة المصفاة تحتها اناء كبير من الفخار وتعجن بالايدى فيسيل العصير فى السلة حيث يتجمع فى الاناء .. وهذا السائل يكون هو البيرة المطلوبة .

ويستدل من بعض القرابين الخاصة بطعام الميت وشرابه أنه يفضل "البيرة الحلوة" التى يضاف اليها عصير البلح التى تصنع على ذمة الميت لأنها سهلة الحفظ ولايطرأ عليها الفساد .

كما كانت البيرة الحلوة تستخدم كغذاء للاطفال حيث يتناولونها فى المدارس والمنازل وضمن وجبات الغذاء ، وذلك بأن تنقع اقراص خبز البيرة فى الماء ثم تصفى وتشرب طازجة قبل بدء تخمرها



خبير التذوق يحدد صلاحيات مزيج النبيذ ، ونسب خلط الانواع (مقبرة سن أبى) طيبة .

وتحلى احيانا بعسل النحل أو عصير البلح ويطلقون عليها اسم البيرة النقية لخلوها من كحول التخمر وهى تشبه البيرة الخالية من الكحول المعروفة :

فى الدولة الحديثة امتداد الى عهد البطالسة كانت صناعة البيرة فى يد مؤسسات تنظمها الدولة ويديرها ملتزمون قائمون على ادارتها وكانت الحكومة تنظم توزيع الشعير على المتعهدين الذين يأخذون على عاتقهم توريد الكميات المقابلة لها من البيرة مع تحديد اسعارها والتى ارتبطت جميعها بنظام الضرائب الذى وضعته الدولة عليها مع تحديد طريقة تحصيلها . ويعد ذلك النظام أو القانون الذى وضع فى الأسرة الثامنة عشر اول تجربة عملية للحد من انتشار الخمور واستهلاكها المتزايد بين مختلف طبقات الشعب وخاصة الطبقات العاملة والشعبية المحدودة الدخل .

كما كانت الحكومة تنظم توزيع الشعير

على المتعهدين الذين يأخذون على عاتقهم توريد الكميات المقابلة لها من البيرة . وكانت هناك هيئة خاصة فى الدولة مكلفة بتوزيع البذور الدهنية لمصانع الزيوت والشعير والبقول اللازمة لصناعة البيرة مع الرقابة المستمرة والاشراف على صناعتها حتى لايتعارض انتاجها مع الاشتراطات الصحية التى تضعها الهيئة .

● إشراف للدولة

كانت صناعة البيرة تخضع مصانعها لقوانين خاصة ولها رخص تدفع عنها رسوم انتاج للدولة كما يخضع توزيعها لضرائب خاصة بالاستهلاك أما حوانيت البيرة (برحنقت) فى الدولة الحديثة فكانت جميعها ملكا للدولة وتدار تحت اشرافها واستمر العمل بهذا النظام حتى أوائل عهد البطالسة. وقد ذكر فى احدى البرديات انها فى عهد بطليموس الثانى كانت حوانيت البيرة ملكا للملك شخصيا يشترك معه بعض رجال الحاشية والأمراء . كانت تؤجر كما ورد فى بعض البرديات المعاصرة بواسطة مزاد علنى تقدم فيه العطاءات للحصول على أعلى الايجارات .

● صناعة النبيذ

كان المصريون القدماء يشربون النبيذ (ايرب) الى جانب البيرة الجعة (حقت) . ولم يستدل بصفة قاطعة فى الماضى اذا كان كروم العنب قد أستورد الى مصر من الخارج خلال الدولة الوسطى كما ذكرت بعد المراجع ، أو أنها أصيلة فى وادى النيل منذ عصر ماقبل الأسرات ولم يستخرج منها المصريون



حاملة البيرة ـ الدولة الحديثة

النبيذ الا فى عصور متأخرة حيث ورد اسم الكروم وصوره ونقوش تبين طرق

زراعته فى مقابر العصر العتيق والأسرات الأولى .

ذكر اسم العنب (كرم) فى تاريخ العظيم "متن" فى عهد الأسرة الثالثة فقد كانت له مزارع شاسعة لأنواع مختلفة من الكروم المتعددة الألوان والاشكال . كما دلت الاشارات الهيروغليفية والرسوم الزخرفية التى استخدمت فيها عناقيد العنب وثماره واوراقه فى عناصر تكوينها فى عهد الأسرة الأولى على أن نبيذ الكروم كان معروفا عند المصريين القدماء قبل بدء الاسرات يطلق عليه اسم "مشروب العظماء" وهو ما دعا كثيرا من المؤرخين بوصف البيرة بأنها مشروب الفقراء كما كشفت تحليل بقايا جرار الخمور فى مقابر عصور ماقبل الأسرات فى حفريات نقاده وحلوان وأون وجود آثار للنبيذ مما أكد للباحثين أن النبيذ وصناعته فى مصر قديم قدم البيرة .

وقد وجدت بذور العنب وبعض أجزاء من أغصانه (العقل) فى أحد قبور دير المدينة وفى بعض مقابر سيوه . وقد تم العثور على كثير من الصور والنقوش والرسوم التى تمثل طرق زراعة العنب وجنيه وعصره تمهيدا لصنع النبيذ وتعبئته فى الجرار وحفظه فى المخازن الخاصة بالتخمير كذلك طريقة صنع مختلف اشكال الجرار الخاصة بكل نوع من انواع النبيذ كما تفننوا فى صناعة اوانى تقديم المشروبات واكواب الشرب التى صنعوها من الفخار الرقيق المطلى او البللور والزجاج المتعدد الالوان أو السيراميك أو الاوانى والأكواب المحفورة من المرمر وقد تطورت فنون تشكيلها وزخرفتها من عصر لآخر وقد بدأ استخدام المعادن فى صنع الآنية والأكواب فى العصر المتأخر وعصر البطالسة وانتشر استعمالها فى عصر الرومان الاغريقى .

وقد تم اكتشاف بعض اوانى الشرب المعدنية فى حفريات الدولة القديمة بسقارة ولكنها لم تكن شائعة الاستعمال حيث كثر استعمال السيراميك والالباستر الشفاف فى صنع اوانى الشراب .

وقد عنى المصريون القدماء بزراعة العنب كشجيرات قائمة بنفسها لاتحتاج الى دعامات كما اعتنوا بزراعته على شكل اسوار للزينة تفصل أجزاء الحديقة عن بعضها سواء حدائق الزهور والزينة وحدائق الفاكهة وحدائق الخضراوات أو مزارع تربية الدواجن والمواشى والتى تفننوا فى تخطيطها وتنسيقها حول قصور الدولة الحديثة .

وتدل الاشارات الهيروغليفية ونقوشها الزخرفية على أن "تكاعيب" العنب كانت أكثر انتشارا عندهم وخاصة فى المزارع الكبيرة . كما تدل بعض نقوش الدولة القديمة على أنهم كانوا يزرعون اعنابهم وكرومهم بجوار أشجار الحور لتتسلق جزوعها وتشترك فى تزيينها . كما ظهرت تلك الطريقة فى العصر الرومانى بزراعة شجيرات العنب بجوار اشجار الكافور . ولقد حاول الرومان عند خروجهم من مصر نقل تجربة زراعة العنب المتسلق على الأشجار فظهرت فى حدائق بعض قصور البحر المتوسط جنوب روما حيث تم تجربتها على اشجار الحور التى تعلو بعضها من مصر كما قاموا بتجربتها على اشجار النخيل التى نقلوها معهم من مصر الى جنوب روما على شواطىء البحر المتوسط المواجهة لمصر .

● شهرة للكروم فى مصر

أشتهرت مصر بزراعة انواع عديدة من الكروم كان أشهرها ما اطلقوا عليه اسم (كانى كم) اى غذاء مصر ، وكان يصنع منه النوع المعروف باسم النبيذ الحلو .

ذكر المؤرخ "ايرمان" أن مصر القديمة اشتهرت بصناعة ستة أنواع من النبيذ وهى الابيض والأحمر والذهبى والاسود والمريوطى ونبيذ الواحات .

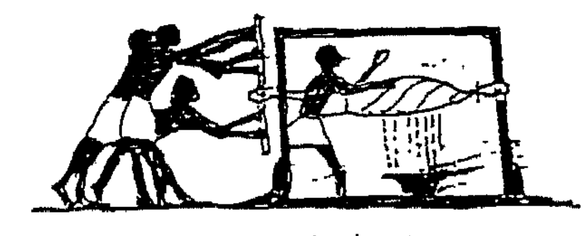
كما ذكر "لوريه" أنه ورد فى الآثار عشرة أنواع من النبيذ من بينها ما كان يدخل فى تحليتها عسل النحل أو عصير البلح بالاضافة الى آكثر من نوع مما أطلقوا عليه اسم النبيذ الطبى الذى تدخل فى صناعته بعض الأعشاب الطبية وقد ورد ذكره فى بعض البرديات الطبية كبردية "إيبرز" ولم تكن شهرة النبيذ المصرى مقصورة على البلاد المجاورة بل تعدتها الى جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان وفينقيا وروما التى كانت تصدر اليها حاملة اختاما مصرية تحدد انواعها ومصدرها ومواقع تصنيعها . ويعتبر النبيذ المريوطى من اشهر الانواع التى كانت تصدر للخارج ووصفه كتاب الأغريق والرومان بلونه الذهبى الصافى ومذاقه الحلو ووصفه شعراؤهم بأن لونه مستمد من اشعة شمس الأله ومذاقه من عصير فاكهة الجنة .

وهناك انواع كثيرة من النبيد نالت شهرة تاريخية خاصة وهى ماكان ينتج منها فى مزارع المعابد وبسـاتينها الخاصة من أشهرها مزارع معابد سيوه والفرافرة وطيبة وقفط واهناسيا وسايس ونقراطيس واشتهرت كل منها بلونها ومزاقها المميز . وسمى كل منها باسم احد المعبودات الاقليمية . كما اختلفت اشكال الجرار الخاصة بحفظ كل منها والاختام التى تختم بها والتى تحدد مصدرها ونوعيتها وسجل على بعضها تاريخ صنعها .

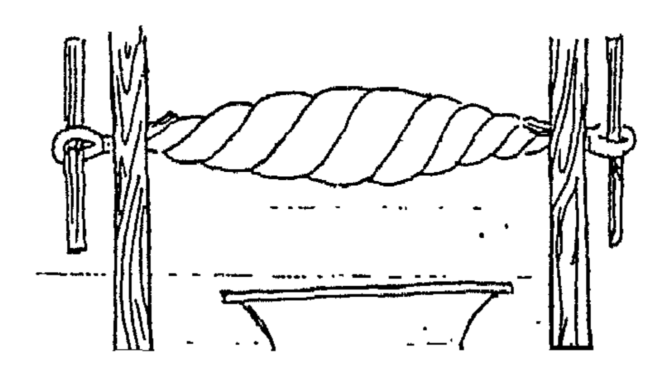
● وقد سجل قدماء المصريين طرق صناعة النبيذ وانتاجه مفصلة فى مختلف العصور الفرعونية ـ سواء بالحفر أو النقش والرسوم الزخرفية على جدران مقابر الدولة القديمة بسقارة ومنف ويرجع بعضها الى الأسرة الثالثة امتدادا الى



معصرة العنب



العصير بواسطة الاكياس



الأسرة السادسة وعصر الاهرامات . كذلك فى حفريات بنى حسن والبرشا فى عهد الدولة الوسطى كذلك فى الكثير من مقابر طيبة ووادى الملوك والملكات فى الدولة الحديثة ، كما وصل الينا الكثير من تفاصيلها مسجلة فى برديات ونقوش العصر المتأخر وعصر البطالسة .

كان القوم من أقدم العصور يقومون بجمع قطوف العنب الناضج سواء من "التكعيبات" أو المتسلقات أو الاسوار ويحملونه فى سلال من البوص أو زعف النخيل . ويحمل العنب الى المعاصر وكانت بسيطة الشكل لاتختلف كثيرا عن مثيلاتها التى تشاهد الآن فى بلاد شمال افريقيا أو جنوب اوروبا .

تتركب المعصرة من حوض طويل منخفض تقام فوقه دعائم خشبية يبلغ علوها ارتفاع او طول العاملين . كان الحوض يملأ بالعنب ثم يخوض فيه عدد من الرجال أو النساء يمسكون بايديهم فى العوارض العليا ويهرسون العنب باقدامهم . كانوا يقومون بعملية الهرس بحركات تقليدية منتظمة كالرقص الجماعى على انغام خاصة بتلك المناسبة وتظهر بعض النقوش فى برديات الدولة الحديثة عملية الهرس الايقاعى بمصاحبة عازف الناى أو منشد الايقاع كما هو الحال فى ممارسة الاعمال الجماعية التى يقوم بها عمال البناء أو العمال الزراعيين أو عمال جر السفن وتجديفها حيث يقوم العمال بتأدية أعمالهم بترديد الاغانى التقليدية الموروثة بمصاحبة المنشد أو عازف الناى وهى من التقاليد التى عاصرت الحضارة فى مسيرتها عبر القرون وعاشت مع ضرب نبضات حياتنا الى اليوم .

فى نقوش مقبرة "ابى" فى طيبة مجموعة من النقوش واللوحات تمثل صناعة النبيذ ابتداء من عملية زراعة الكروم وجنى محصول العنب وعصره تمهيدا لصنع النبيذ وحفظه فى الجرار .

يسيل العصير بعد هرسه فى الحوض الطويل فى قنوات تصب فى حوض أو خزان كبير . وكان يعاد عصر مايتبقى من العنب فى اكياس تثبت فى أطرافها عصى ، وتدار فى اتجاهين مختلفين حتى يمكن الحصول على كل سائل العصير . كان العصير يترك للتخمر بعض الوقت فى الأحواض ثم تتم تصفيته ويعبأ فى الجرار الخاصة ليتخمر فيها الى درجة معينة وهى مكشوفة لبضعة ايام فى مخازن خاصة ثم تغلق تماما وتختم باختام المصنع وتحفظ للتعتيق ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن بعض انواع الخمر الممتازة فى المعابد كانت تحفظ لتعتق فى مخازن خاصة يصل حفظها الى جيلين من الزمان قبل فتح جرارها للاستعمال وخاصة فى الاعياد الدينية الرسمية .

● عرف المصريون القدماء ابتداء من الدولة القديمة جميع أنواع النبيذ المعروفة الآن لدى مختلف الشعوب فى العصر الحديث فقد وجدت قائمة فى مقبرة "سن نفر" وزير قصر الملك "أمنحوتب الثالث" ورد بها ذكر مختلف انواع واصناف وألوان النبيذ الخاصة بالقصر منها الابيض والوردى والاحمر والذهبى والاسود المصنوع من نوع معين من الكروم ذات الحبات الكبيرة السوداء يطلق عليه اسم عيون حورس اشتهرت به واحة سيوة . كذلك وردت اصناف النبيذ الحلو الذى يخمر بعسل النحل أو عصير البلح والنبق كذلك ماوصف بالنبيذ المعطر بالياسمين واللوتس وبعض النباتات

العطرية ، أو "النبيذ النارى" الممحوج بمختلف انواع البهارات كذلك النبيذ الطبى الذى يدخل فى تخميره حبوب الترمس وبعض النباتات والاعشاب الطبية . وقد حوت القائمة اكثر من ثمانية عشر صنفا من أصناف النبيذ .

كما ورد ذكر النبيذ الخاص بطهو الطعام وهو انواع مختلفة تختلف بأنواع الاطعمة التى تدخل فى طهيها كالطيور أو اللحوم أو الاسماك .

وهناك نوع خاص من النبيذ اطلقوا عليه اسم نبيذ الضيافة كان يقدم للضيوف وعلى موائد الضيافة أو الموائد العائلية فى موسم العصير ويتكون من عصير العنب الطازج الذى يقدم عند بدء تخمره وقبل أن يتحول الى نبيذ كامل التخمير وهو من الأصناف الشائعة الاستعمال فى أوروبا حاليا فى مواسم جنى ثمار العنب .

كثيرا ما كانت على الجرار أو اختامها تاريخ صنعها واسم صانعها أو المسئول عنها بجانب نوع النبيذ ودرجة الجودة التى كانت تحدد بالارقام من ٣ الى ٨ . امكن من مصادر النبيذ المسجلة على الجرار معرفة اماكن صناعتها ومواقع مزارع كرومها وانواع محاصيلها وثمارها ومن أشهرها مزارع كروم المريوطية (جناكليس الحالية) والفيوم والواحات ، وكانت مزارع المعابد ومصانعها يختار مواقعها على حدود الصحراء بالأراضى الطفيلية أو الطينية الرملية . فى عهد البطالسة أشتهرت مزارع كروم الشاطىء الشمالى وكانت تروى بالآبار التى يطلق عليها حاليا الآبار الرومانية وكانت مصانعها تمون بلاد الرومان بالنبيذ الذى كانت تحمله سفن وحاويات خاصة طوال العام

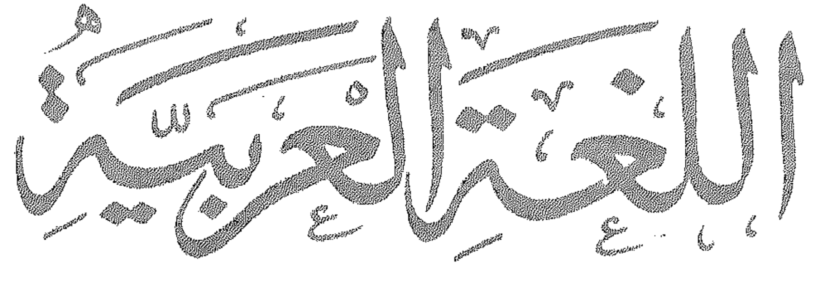
فى الدولة الحديثة كانت مصر تصدر النبيذ وتستورد أنواعا خاصة منه من البلاد الاسيوية وفلسطين وسوريا وتسجل احدى البرديات التى وجدت بمقبرة (رخمى رع) كشفا بتصدير ١٢٠٠ جرة من النبيذ الممتاز و ٥٠ جرة من الكحول و ٥٠ جرة من نبيذ طهو الطعام . كما كشفت حفريات العمارنة رسائل بعض المخاطبات الرسمية المتبادلة مع حكام الدول الاسيوية التى يطلبون فيها تزويدهم بشحنات من جرار النبيذ المصرى الفاخر ومبادلته بما تحتاج اليه مصر من الاحجار الكريمة والعاج وانواع خاصة من النسيج أو الاخشاب الخاصة اللازمة لصناعة السفن والتوابيت التى تستورد من لبنان وشواطىء فينيقيا .

وفى الدولة الحديثة تشرح النقوش الموجودة بمقبرة "نخت" طريقة طهو البط والطيور البرية بالنبيذ حيث تصور النقوش فن اعدادها ابتداء من صيد الطيور بالشباك من البركة المائية ثم تنظيفها وتعليقها على الخيوط لتعريضها لأشعة الشمس والهواء لتطهيرها ثم تتبل بالبهارات والأعشاب ويستعمل النبيذ فى عملية التحضير ثم فى عملية الطهو ولاتختلف تلك الطريقة عن الطريقة الفرنسية المشهورة فى اعداد البط وطهوه كما استعمل النبيذ ايضا فى طهو انواع معينة من اللحوم خاصة لحوم الصيد ولاتختلف طريقة معالجتها وطهوها عما هو متبع حاليا فى كثير من الدول الغربية فى معالجة وطهو حيوانات الصيد بالغابات .

محور مؤتمر وزراء الثقافة العرب

مكانة

يكتبها: لمعى المطيعى



في عالم اليوم

(إن الغرب احتل الوطن العربى ، واتجه الى مصادرة هويته القومية ، والى فرض لغته الغازية ، فانقسمت النخبة الى قسمين .. قسم يدعو الى التعريب وقسم يدعو الى التغريب ، ولم ينته هذا الانقسام بعد...)

● مؤتمر وزراء الثقافة العرب

(سألوا "كونفوشيوس" عما سيصنع اذا ما تولى أمر الصين فأجاب : "اصلاح اللغة" فسألوه .. لماذا ؟ قال : اذا لم تكن اللغة سليمة ، فما يقال ليس هو المقصود . واذا كان ما يقال ليس هو المقصود فما يستحق الانجاز لن ينجز ، واذا لم ينجز ما يستحق الانجاز فان الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط ، واذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تنحرف ، واذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم . وعلى هذا يجب التخلى عن الاعتباط فى القول ، وهذا أمر يتفوق فى اهميته على كل أمر) .

هكذا بدأ "د . زكى الجابر" الخبير الاعلامى ورقته التى قدمها الى مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى بدورته السابعة المنعقدة فى الرباط خلال الفترة من ١٠ ـ ١٣ اكتوبر ١٩٨٩ .

كانت الدورة السادسة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى التى عقدت بدمشق ابريل ١٩٨٧ قد قررت اعتماد الموضوع الرئيسى للدورة السابعة (اللغة العربية ومكانتها بين الثقافات العربية الاسلامية وفى الثقافات العالمية الأخرى) .

● البيان الختامى

وبعد مناقشات استغرقت وقتا طويلا من المؤتمر ، قرر الوزراء ورؤساء وأعضاء الوفود اسناد أمر الصياغة النهائية للبيان الختامى الى لجنة مصغرة من "مندوب فلسطين ، ومندوب الجماهيرية الليبية وبرياسة وزير الاعلام السودانى الأستاذ على شمو ، وهو رئيس وفد السودان" وفى الجلسة الختامية أقر المؤتمر ـ ١٢ أكتوبر ـ الصيغة النهائية للبيان الختامى حول الموضوع الرئيسى للمؤتمر ..

وبيان الرباط حول (مكانة اللغة العربية ...) يبدأ بشرح الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التى يلتئم فيها المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى بالرباط (أكتوبر ١٩٨٩) . ويوضح أهمية الموضوع الرئيسى ، وأهمية اختيار (اللغة العربية ...) كمحور للدورة السابعة اذ ان اللغة القومية أعظم أهمية وأشد خطرا من مجرد كونها وسيلة للتعبير والتفاهم ، انها بحكم عبقريتها الخاصة وبنائها رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى ، اذ هى اداة تلقى المعرفة ووعاء التفكير ورمزه وتجسيده ، انها الفكر نفسه فى حالة العمل .

واللغة العربية ـ يقول البيان ـ ذات صلة وثيقة بالخصوصية القومية والوحدة السياسية ، والتراث والتواصل الثقافى ، وحيوية الفكر العلمى ، والوجدان القومى ولسان القرآن المبين .

ان الوعى العميق بأهمية الموضوع وخطره ، هو الدافع الى ان يعتنى هذا البيان الصادر عن المؤتمر بالتركيز على القضية اللغوية . لقد تميزت اللغة العربية من حيث هى الذاكرة الحية للأمة العربية بثراء مزيد فى ما أنتجته ونقلته وحافظت عليه من تراث ضخم . ونحن مدعوون الى العمل لتكوين المحققين ، وتحقيق ما لم يحقق من مخطوطاتنا ووضع فهرس موحد شامل للمخطوطات العربية فى العالم وفهرسة التراث فهرسة نوعية موضوعية .

أن العناية بتراثنا وكنوزه وخدمته واحيائه بالاعتماد على أحدث المناهج والوسائل العلمية والتقنية المعاصرة تمثل هدفا جوهريا فى أهدافنا القومية .

وتظل قضية التعريب قضية جوهرية مصيرية ومسئولية سياسية وطنية وقومية وحضارية تقتضى القرار الحاسم والتخطيط المحكم والانجاز العاجل ، ولا تحتمل التردد والمساومة .

ان اعتماد اللغة العربية فى التعليم من جميع مراحله واختصاصاته ، وفى مختلف أجهزة العمل والادارة والاعلام ، وفى التأليف والابداع بجميع فنونه هو السبيل الوحيد لاستعادة اللغة القومية وظائفها

الطبيعية ، وهو الشرط اللازم لاثراء الثقافة العربية ولممارسة حقنا المشروع فى الإسهام الايجابى فى الحضارة الانسانية ، وهذا يقتضى أن نبذل الجهود المناسبة لتبسيطها .

ان اللغة العربية مدعوة لاستيعاب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة ومواكبة سرعتها فى التطور تأكيدا لصلاحيتها فى اطار المعاصرة الحضارية .

ان وضع خطط وطنية وقومية للترجمة ونقل مستجدات العلم والتقنية الى اللغة العربية ، شرط لازم لانجاح التعريب وتحديث اللغة القومية وتزكية البعد العلمى فيها .

لقد واكب نضج الثقافة العربية وعطاؤه الثرى ، ازدهار هذه اللغة ، فلما تراجع هذا العطاء فى عصور التخلف تراجعت معه اللغة عن التطور والمشاركة فى حياة العصر .

ان ظهور لسان عربى حديث علمى وجماهيرى معا ليس شرطا من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمى وحسب ، ولكن شرط لازم من شروط القوة والمناعة ، وسبيل الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، فهو هدف جدير بأن تجتمع العزائم الصادقة ، بغية تحقيقه .

● عودة الى الوراء

هذه هى اهم افكار البيان الختامى للدورة السابعة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب الى جانب توصيات وقرارات أخرى كثيرة أعدتها (اللجنة الدائمة للثقافة العربية) .

وقد تقرر فى الدورة الأخيرة أن تعقد الدورة الثامنة فى القاهرة .

ف المنظمة العربية ـ اليكسو

ولقد كان موضوع (اللغة العربية) هويتنا القومية ثمرة جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وجهود اللجنة الدائمة للثقافة العربية .

وقامت المنظمة بجمع عدد من الاخصائيين فى الموضوع ، من علماء واساتذة جامعيين ، تولوا اقتراح اسماء نخبة من المفكرين العرب فى مختلف الاقطار والجامعات العربية والمجامع اللغوية لاعداد دراسات فى هذه المحاور حسب الاختصاص والاهتمام ، وقد تركزت هذه الابحاث حول المحاور التالية :

- اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الاسلام .. للدكتور على الشابى .
- اللغة العربية والشعوب الاسلامية .. للدكتور تمام حسان .
- اللغة العربية ومكانتها فى الثقافة العربية الاسلامية .. للدكتور جميل عيسى الملائكة .
- اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم .. للدكتور ابراهيم بن مراد .
- اللغة العربية ومكانتها فى لغات افريقيا .. للدكتور يوسف الخليفة أبوبكر .
- اللغة العربية والاعلام الجماهيرى .. للدكتور زكى الجابرى .
- اللغة العربية فى مواكبة الفكر العلمى .. للدكتور محمد سويس .
- اشكالية الفصحى والدارجات .. للدكتور الطيب البكوش .
- النظريات المعجمية العربية والاحاطة

بالفكر العربى .. للدكتور محمد الحمزاوى .

والمطلع على هذه الابحاث سوف يلاحظ طابعها الاكاديمى ؛ وقد رأت المنظمة أن تبقى على المقترحات كما جاءت بأقلام أصحابها دليلا حيا على ما يخامر أذهان علمائنا ومفكرينا من شواغل تمس هذا الموضوع المصيرى . وقد نتفق أو نختلف حول ما ورد فى تلك الابحاث .

هذا وقد وضعت (المنظمة) ـ والمقصود بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ امام اعضاء المؤتمر وثيقتين هامتين .. الأولى : دراسة موسعة تشتمل على نصوص البحوث التى أشرنا اليها .. الثانية : خلاصة مركزة .

وليس من المتيسر هنا أن نعرض للدراسة الموسعة أو للخلاصة المركزة فالمجال لا يتسع ، وسوف نكتفى بأهم المقترحات والاشارات الرئيسية للملاحظات والأفكار وخاصة فى الموضوعات التى تتحمل مقترحات محددة ..

● آراء وافكار

فى مجال الحفاظ على الهوية ، يؤكد الباحثون أن الغرب احتل الوطن العربى واتجه مباشرة الى مصادرة هويته القومية ، والى فرض لغته الغازية ، فانقسمت النخبة الى قسمين .. قسم يدعو الى التعريب وقسم يدعو الى التغريب ، ولم ينته هذا الانقسام فى ظل الاستقلال .

ولهذا فان التعريب ضرورة يقتضيها انجاز مشروع حضارى ، وفى مجال مكانة العربية بين اللغات الأخرى ، فان العربية لا يمكن لها استعادة مكانتها بين لغات العالم الواسعة الانتشار الا اذا طبقت بشأنها سياسة لغوية محكمة التصور واضحة الأهداف .

فى مجال مكانة العربية بين الشعوب الاسلامية فى لغات افريقيا وغيرها يلاحظ أن العربية دخلت الأفكار التى دانت بالاسلام ، وبادر كثيرون الى تعلم العربية لفهم أحكام الدين . وأصبح للغة العربية منزلة كبيرة . فى مناطق كثيرة من العالم . ومن هذه اللغات التى اتصلت بها الفارسية والتركية والأوردية والسنغالية والسواحلية ولغات ما وراء النهر وافغانستان والسند والهند ومالطة واسبانيا وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا وصقلية. وتدعو الدراسات الى ضرورة تطوير التعليم العربى الاسلامى فى افريقيا بشكل يساير الحياة .

وفى مجال مواكبة اللغة العربية للبحث العلمى تشير الدراسات الى أن يلجأ العلماء الى الترجمة والنقل والتعريب . ولابد لحركة التعريب والترجمة الى العربية من الدعم المطلق من جانب الحكومات العربية لتخرج خير ثمارها .

أما فى مجال توظيف العربية فى مجال الاعلام ؛ فالمطلوب رسم سياسة لغوية على المستوى القومى قابلة للتطبيق مع ضرورة التخطيط اللغوى لتطوير العامية المحلية الى اللغة الموظفة فى التعليم والاعلام .

ويشير (المدخل) الذى كتبته ادارة الثقافة بالمنظمة كتمهيد للدراسة الموسعة ، يشير الى أن اهم مصدر للوثيقة الموسعة هو (الخطة الشاملة للثقافة العربية) التى اصبحت مصدرا رئيسيا لعمل المنظمة بعد اعتمادها من طرف الدورة الخامسة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب الذى عقد فى (تونس) سنة ١٩٨٥ .

وتشير الخطة الشاملة للثقافة العربية بوضوح الى أن (**الاصلاح اللغوى فى جميع مستوياته لا ينطلق فقط من ارادة الاصلاح والتغيير ، أو من السلطات العلمية واللغوية فحسب ، ولكن منطلقه الاساسى انما هو من القرار السياسى الوحدوى**) .

وجاء كذلك فى (ميثاق الوحدة الثقافية العربية) - ١٩٦٤ : (توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية ، لغة التعليم والدراسات والبحث فى مراحل التعليم كلها ، وفى الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة ، ومساعدتهم على اتقان الوسائل اللغوية التى تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة) .

هذه هى بعض الأفكار التى وردت فى وثائق الدورة السابعة ، ويجدر بنا أن نسجل عددا من التوصيات المحددة التى وردت ضمن الوثائق الضخمة..

● توصيات واقتراحات

● اعادة الاعتبار الى الكتاب باعتباره محور الحضارة .

● احداث جوائز عربية تشرف عليها اليونسكو ، وفى مقدمة هذه الجوائز جائزة للابداع العربى ، وجائزة للفكر العربى .

● اصدار دائرة معارف عربية على غرار دائرة المعارف البريطانية وغيرها .

● اصدار وزارات الثقافة لسلاسل ثقافية وعلمية كسلسلة (الالف كتاب) فى مصر ، و(عالم الفكر) فى الكويت (ص ٢٩ من الوثائق التكميلية - رقم ١)

● انشاء اتفاقيات ثقافية بين العرب والشعوب الاسلامية .

● العناية باختيار مقدمى الاخبار والبرامج فى الاذاعتين المسموعة والمرئية من المتمكنين من اللغة العربية .

● احلال اللغة العربية الفصيحة فى التمثيل والمسرح محل اللهجات العامية .

● دعم مشاريع التعريب فى الدول التى لم يكتمل فيها التعريب .

● اصدار فهارس بما تمت ترجمته من الكتب العلمية والثقافية .

● اصدار الفهرس الشامل لكل ما طبع من كتب باللغة العربية منذ بدء الطباعة ، وتوزيعه بأوسع نطاق .

● اصدار التشريعات القطرية والقومية لحماية حق المؤلف .

● مواصلة الدراسات والتجارب لاختزال صندوق حروف الطباعة العربية .

● وضع معجم عربى تاريخى يؤرخ بحسب النصوص والوثائق للغة العربية فى مختلف العصور لمختلف المفاهيم والدلالات .

● تأسيس معهد عربى عال لتكوين المترجمين المختصين .

والموضوع هام ومتشعب ، والوثائق والتوصيات والقرارات قد وضعت أمام وزراء الثقافة العرب ... وأردت فقط هنا أن أشرك القارىء العربى فى الموضوع الرئيسى للدورة .



تأليف: نجيبة العسال

بريشة الفنانة: سميحة حسنين

... وضعت هدى سماعة التليفون في بطء وهدوء وسبحت بنظراتها وهي تغالب مشاعر عديدة ..

اخيرا سترى الدكتور.. رجائي حسنين ابن صديق والدها الحميم عم حسنين ترى هل سيكون على الصورة تماما التى تتخيله عليها .. كلما تكلم يسال عن والدها .. لقد مر عام بالتمام .. منذ سمعت صوته فى المرة الأولى ومن يومها وكلما طلب والدها فى التليفون تتخيله على صورة واحدة .. لاتتغير حتى انها كانت تؤكد لنفسها بانها لو راته مصادفة في اى مكان دون ان يرشدها عليه أحد لسوف تناديه . وتعرفه بنفسها .. لم يخطر ببالها ابدا انه لن يكون إلا على تلك الصورة التى ترسبت داخل اعماقها .. طويل نحيف عيناه ضيقتان شديدتا السواد .. صدغاه مصفوفتان شفتاه رقيقتان . يعلوهما شارب اصفر اللون .. كث الشعر عريض كشوارب رجال الوجه القبلي .. ولاتدرى لماذا كانت تصر على ان شاربه اصفر اللون مع ان عينيه سوداوتان وكانت صورته لاتظهر ابدا امام خيالها الا وفى منتصف رقبته تلك العظمة البارزة الذى

يسمونها .. تفاحة آدم ويطلقون عليها دائما انها عنوان الرجولة الحقة الخشنة آه ياربي لماذا هو على هذه الصورة .. وكثيرا ماتساءلت هدى .. وخاصة كلما سمعت صوته فى التليفون فى كلماته القليلة



قصة قصيرة
التفاحة المقدسة



التي لاتزيد ابدا على طلب والدها ليبلغه بعض رغبات والده مثلا ...

- لقد ذهب والدى الى القهوة .. وهو يرجو من والدك ان يقابله هناك . فارجو ان تبلغيه هذا .. أو

- هل ذهب والدك الى ابى .. انه ينتظره هناك فى متجره .. وتظل هدى بعد سماعها تلك الكلمات القليلة سابحة مع نبرات صوته الدافئة .. الحنون وتروح تضرب كفا بكف فى اسف . مرير ما هذا هل كل هذه النبرات الدافئة والصوت الحنون الدسم المهذب هل كل هذا على هذه الصورة . النحيفة الجدباء صاحبة البروز المخيف . فى تفاحة ادم ... رباه اخشى ما اخشاه .. مدى هذه الصداقة بين والدى ووالده .. آه ياربى لماذا كلما سمعت هذا الصوت القوى المهذب خيّل اليّ ان تلك التفاحة البارزة والصدغين المصفوفين سيطالعنني ليلا ونهارا .. رباه ارجوك يارب واقبل رجائى ان تنتهى هذه الصداقة على خير وان ترحمنى ياربى من هذه العظام البارزة المخيفة .

يوما وهدى ترتدى ثيابها استعدادا للذهاب الى الجامعة طالبة فى السنة النهائية بكلية الآداب .. دق جرس التليفون . واسرعت هدى كعادتها فى التقاط السماعة وكان رجائى هو المتكلم ؟؟

- هل عم مصطفى موجود ؟؟؟؟

وقالت فورا ....

- موجود وتصور يادكتور انه لم ينم فى الليلة الماضية إلا قليلا جدا لقد عاودته آلام الكلى وفكرت أن اتصل بكم بعد منتصف الليل .

وقال رجائى فى صدق ...

- ياه انى لم اعلم من قبل انه مريض بالكلى لاباس عليه... لابد انْ أحضر لاراه .. وضحكت فى جذل كانت تتخيل شاربه الأصفر يهتز فى وقار فوق شفتيه الدقيقتين وجاءها صوته ..

- ساحاول ان اراه اليوم ضرورى لابد أن أزوره اليوم .

وحاولت ان تكون جادة وتوقف خيالها عن تصور شاربه قالت فى هدوء ..

- هل كنت تود ان تبلغ والدى بعض كلمات والدك ؟؟؟

واردف سريعا ...

- لاداعى انه كان يطلب منه أن ينتظره قبل الظهر فى متجره . ارجو ان تبلغيه تمنياتى بالشفاء العاجل وسأحضر اليوم لزيارته .. لابد من زيارته ..

وطوال الطريق الى الجامعة .. وكل وقت المحاضرة وفى طريق العودة من الجامعة وبين المحاضرات كانت تطل من خيال هدى عنق طويل رفيع

تبرز فى منتصفه تفاحة ادم ويعلوه شارب كث اصفر اللون .

بعد الغروب دق جرس الباب وكانت الساعة . حوالى السادسة بعد الظهر ... وفتحت هدى سريعا وكان امامها شاب طويل عريض وسيم على نسبة كبيرة من الاناقة . ورفع الشاب حاجبيه وهو يهتف معتذرا فى صوت مهذب . وان كان متلعثما بعض الشىء ..

- الواضح انى قد اخطأت الشقة المطلوبة

ونظرت هدى سريعا الى الحقيبة فى يد الشاب .. ياه ليكون هو ...

وعثرت هدى على صوتها بصعوبة لتقول ..

- اى شقة تطلب ..

وخيل اليها انه يحاول ان يهم بالاعتذار عن اقلاقه راحة السكان .

- انى اسال عن شقه الاستاذ مصطفى عبد الرحمن .

واعادت هدى السؤال وعيناها على اكتافه العريضة ..

- شقة الاستاذ مصطفى عبد الرحمن

وبدا انه يكاد يضحك . منها ولكنه هز راسه بالايجاب واردفت هدى سريعا وعيناها على الحقيبة فى يد الشاب الوسيم . وكانها تتاكد من انه فعلا الدكتور رجائى حسنين . وكانت تهتف داخل نفسها ... هل هذا معقول وقالت بصوت مسموع .. تسرى فيه فرحة غير واضحة ..

- انها فعلا شقته وانا .. انا هدى .. ابنته .

واتسعت عيناه سريعا وكانه غير مصدق .. وقال فى لهفة ...

هدى ابنته انى رجائى .. الدكتور رجائى حسنين ..

وفتحت هدى الباب على مصراعيه . وتقدمته بسرعة الى حجرة والدها . وهى ترتجف بفرحة طاغية وراح عن بالها تماما ان تعطى لوالدها خبرا بحضوره . قبل ان يدخلا عليه .. ثم .. ثم لم تمر بضعة ايام حتى كان البيت يموج بالانوار والزينات . احتفالا بخطبة رجائى وهدى .. وقال رجائى بعد الخطبة وعيناه تطوفان على قوام هدى الرشيق وتسبح داخل شعرها ... الذهبى الناعم ..

- هل تتذكرين قولى بانى ربما اكون قد اخطات الشقة ؟

وعندما هزت راسها بالايجاب وعيناها تمرحان على وجهه فى سعادة .. وهناء .. انفجر رجائى ضاحكا ثم قال وهو ياخذ انفاسه بين ضحكاته ..

- لانى كنت اتخيلك دائما رغم جمال صوتك سمراء عجفاء ذات شعر اسود جاف ولم اتصور ابدا ان بيت عم مصطفى يضم كل هذا الجمال ..

وبدات هدى تنفجر فى الضحك .. اكثر منه وهى تقول بين ضحكاتها السعيدة ..

- وانا ايضا منذ عرفت انك رجائى والى الآن وكلما نظرت اليك اروح ابحث فى رقبتك عن التفاحة المقدسة . تفاحة ادم .

وامتدت يدى رجائى فى هدوء لتحتضن يدى هدى فى حنان . بعد ان صمتت ضحكاتهما .. نظرت هدى الى السماء وهتفت تناجى ربها داخل قلبها ..

- اسفة ياربى ... انى جدا اسفة وارجوك اقبل اسفى .. لقد دعوتك ان تفصم صداقة ابى بأبيه .. ولكنك . اعلم بكل شىء ومهما تخيل الانسان فهناك خيال اقوى واعم : الخيال الاعظم الذى وهب الحياة .. التفاحة الكبرى .. التفاحة المقدسة التى سميت باسم .. الأب الاول .. للحياة ..

حكايات قديمة

الشيخ زكي وابن البلد

بقلم: فاروق خورشيد

بريشة الفنان: حلمي التوني

كلما قرات ديستوفسكي في محاولته للبحث عن الموجود الروسي ، اي ابن الأرض وابن البلدة تذكرت الشيخ زكي .. وكلما قرات تشيكوف في تصويره للشخصيات الفاعلة في الحياة والضائعة وسط الحياة ، تذكرت الشيخ زكي .. حكايات جويس وسط دبلن ، او حكايات ميللر في باريس ونيويورك ، وحكايات كافكا الهلامية وسط لامكان ولا زمان ، كلها تذكرني بالشيخ زكي .. فصول المازني . وشعر صلاح عبد الصبور ، وقصص يحيى حقي ، دائما ماتبرز امامي صورة الشيخ زكي .

وانا لم تفارقني ابدا صورة الشيخ زكي ، في قصصي القصيرة ، وفي رواياتي الطويلة ، وخاصة التي ترتبط بالتراث الشعبي ، وفي مقالاتي المتعددة عن الادب الشعبي والحس الشعبي ، والوجود الشعبي ، لم يكن اكثر من الشيخ زكي حضورا في كل هذه الرؤى والأفكار ، والانفعالات والتداعيات الوجدانية والعقلية معا .



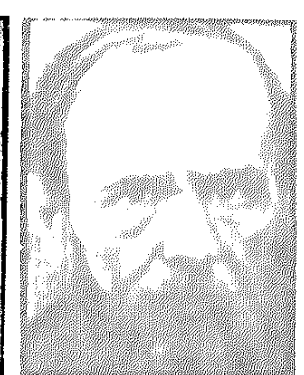
اذكر انني حين تفتحت على الدنيا كان هناك دائما الشيخ زكى يقودني ، ويمد يده الى يدى ليفتح امامى من الاماكن ما لم اكن اعرف . وما كان من المتعذر ان اعرف او ادرك لولا يده التى تمتد الى يدى ، وتقودنى عبر الممنوعات والمسموحات فى هذه الأونة الغريبة الثرية فى حياة مصر ، فترة الثلاثينيات والاربعينيات ، حيث تغيرت حياة مصر كلها ، فنا وثقافة ، ووجودا وحياة ، طبقا لارتباطها بنهاية الحرب العالمية الأولى ، ودخولها كجزء من العالم كله ـ فى بدايات الحرب العالمية الثانية ، ثم فى الحرب المخيفة الشرسة ، التى اعتبرتها البشرية آخر الحروب . وان لم تكن الا اول الحروب الخبيثة التى لاتورط الغرب وحده ، ولكنها تورط كل ابناء العالم الثالث ، فى صراعات القوى العظمى التى لاتنتهى . واين الشيخ زكى من كل هذا الحديث ؟ بل اين هو من كل هذا الكلام الذى لامعنى له عنده ، هو يفتح دكانه فى الصباح ، ومعه (صبيه) عبد اللطيف ، ليبقى طوال اليوم ، يشد النعل الى القالب ، ويضع وجه الحذاء (او الفوندى) فوق القالب ثم يدق مسامير ، وعبد اللطيف نفسه (يشمع) الفتلة عند باب الدكانة ، ويمر بائع الفول ، فيتوقف كل شىء ، حتى يمتلىء الصحن بالفول والزيت الحار والليمون وبصله ، وكثير من الملح والشطة والفلفل ، ويأكل الاثنان وهما يردان تحية كل عابر ، ويدعوانه الى مشاركتهما افطارهما الشهى الحافل .. ثم بعد حين ، حين ينتهى الفول من الاطباق الصغيرة ويشربان الشاى .. يتبادلان التعليق الضاحك واللاذع على كل حركة تمر امامهما فى الحارة .. صاحبة الملاءة المبرقعة ، وصاحبة المشية المتعالية ، وصاحب الشارب المنقوش ، والافندى وطربوشه مائل الى وراء ، وتلك التى ترتدى البلوزة والجيب ، كل منهم يمر امامهما ، كأنه واجب يومى محدد ، ومستمر ودائم ، ويقول الشيخ زكى : شمع الفتلة ياعبد اللطيف .. ثم يبدأ العمل الجاد ، والذى لايكف ولايتوقف حتى آخر النهار .

الشيخ زكى حين ينتهى الاسبوع يضع الاحذية الجلدية اللامعة الجديدة فى صناديق ورقية ويحملها مع صبيه عبد اللطيف .. ثم يقصدان السكة الحديد الى حيث تجار الاحذية ومعارض الاحذية فى الموسكى وبين الصورين ـ دسته وربما دستتان ، واذا أحسن القدر ، ولم يتم الشيخ زكى ، ولم يغب صبيه عبد اللطيف ، فهم ثلاث دست .. من الرجالى الى (الولادى) .. ورزقنا على الكريم ياعبد اللطيف . ولنبدأ من المصرى وحتى الحوفى ، تاجرا ، تاجرا ولن نبيع إلّا لأعلى سعر .. ويبيعان كل اسبوع حملهما .. ثم يعودان ..

وباقى السبت استحمام وراحة ، وليل السبت أول الفرح ، فالغد اجازة ، ولا عمل ولا وجع الدماغ ، مع (الفوندى) على القالب ، و (شمع) الفتلة ياعبد اللطيف .

وننطلق .. اعنى الشيخ زكى وانا ثم عبد اللطيف ، فما كنت استطيع ان اتحرك من غيره كما انه ما كان يستطيع ان يواجه اجازة الأسبوع دون أن يستأذن جدتى فى السماح له باصطحابى معه ..

وهو بهذا يسبقها ، ويوفر عليها الحاجا





دستويفسكى



عبدالقادر المازنى

عليه بأن اكون معه ، ثم يتابى ويتمنع ، حين تمد يدها اليه بما تظن المصاريف الكافية لرحلتى معه عبر مساء وليل القاهرة يوم السبت ، ثم صباح القاهرة وظهرها يوم الأحد ، وهذه الجولة الممتدة على مدار يوم كامل يبدأ من منتصف يوم ، وينتهى عند منتصف اليوم الذى يليه ، أتاحت لى ان ادخل عالم القاهرة من أرحب الابواب .. وان أعيش دفئها وحيويتها ، وان اغوص فى اسرارها التى يصعب على غير الشيخ زكى ان يزيل الاستار عنها .

فى مساء السبت تبدأ جولتنا على النيل ، اما فى الجزيرة وكوبرى قصر النيل ، والمساحات الخضراء الواسعة التى تقف امامها مراسى المراكب الصغيرة ذات المجاديف للهواة والمتنزهين ، او ذات الشراع للمجاميع الكبيرة التى ترقص وتغنى وتملأ سطح النيل طربا وموسيقى وحركة طوال العصر وحتى يبدأ حلول الظلام .. واما فى روض الفرج ومقاهيه المليئة بالحياة ، والتى تجلس فيها النساء الى جوار الرجال يشربون جميعا الكازوزة او البيرة فى احوال كثيرة .. وعلى الجانب المواجه النيل من الشارع العريض تطل مبانى الكازينوهات والملاهى ، بواجهاتها المزخرفة والملونة والمليئة بصور الممثلين والممثلات ، تشد خيالى وبصرى ، الذى يظل معلقا بها حينا ، وبالوجوه المثقلة بالطلاء ، والملابس الملونة الفاضحة التى ترتديها النساء الجالسات فى المقاهى واللاتى ينتمين بلا شك الى هذه الكازينوهات بشكل او بآخر فى كثير من الاحيان .. وقد اجهد نفسى وانا الى جوار الشيخ زكى ، فى محاولة ايجاد الصلة بين وجوه الجالسات ، والوجوه المعروضة على واجهات الكازينوهات ، بأحجامها المكبرة الملونة المزخرفة ، المليئة بالبسمات والضحكات والدعوات . وقد اجهد نفسى ايضا فى تصور هذه الوجوه تحت الأضواء فى داخل الملهى الليلى ، تأخذ مكانها فى الاستعراضات الغنائية الراقصة التى تقدم فى الصالات المغلقة والتى تنعكس عليها اضواء ملونة ، وتضج فيها موسيقى صاخبة ، وتتكشف فى جوها روائح العطور الرخيصة ، والخمور ، ودخان السجائر ، وروائح الاجساد المحصورة داخل المكان الضيق .

فقد دخلت مع الشيخ زكى اكثر من صالة من هذه الصالات ، نجلس فى المقاعد المرصوصة وسط الصالة ، لا على الموائد التى تحيط بمكان العرض ، فهذه مخصصة لمن يملكون المال والوقت ، والقدرة على (الفتح) للراقصات اللاتى يجلسن فى المكان بحثا عن فريسة تمنح (كوبا) غالى الثمن فى مقابل ابتسامة او ربتة على الكتف ، او ضحكة ماجنة تخترق جو الصالة كله ..

ومن مكانى فى المقهى ارقب النيل والحركة الدائبة فوق سطحه ، والزوارق الملونة التى تنطلق أيام السبت والأحد ، وربما ايام الجمعة ايضا ، والتى يهواها الحرفيون والعمال ، الذين تغلق محالهم فى هذه الأيام ، فيهرعون ليشاركوا أصحاب التجارة والمال هذه المتعة المباحة والتى لاتكلف من المال الكثير .. واكثر من مرة ركبنا هذه الزوارق ، واكثر من مرة شاركت فى التجديف فيها ، واكثر من مرة أهتز قلبى خوفا ورعبا عندما يوشك القارب ان يختل فى اتزانه ان اخطأ احد المجدفين الانتظام فى الايقاع بمجدافه مع زميله على المجداف الثانى فى جانب القارب .. وصوت الشيخ زكى صخاب دائما ، مرح دائما ، ضاحك دائما وصوت عبد اللطيف الذى تكون (البيرة) قد اثقلته الى حد ما ، اكثر صخبا واعلى ضحكا ،،واكثر مرحا ثم اكثر اضطرابا وقلقا بمجدافه ان كان يمسك بواحد من المجدافين .. والليالى التى ندخل فيها ملهى من ملاهى روض الفرج نادرة ، اذ انها بالنسبة لنا مكلفة ، وغالبا ماكان الشيخ زكى يعتمد فيها على مايمنحه له عبد السلام النجار ، وهو شاغل الدكان الذى يجاورة ، أو أحمد الجندى البقال وهو شاغل الدكان الذى يقابل دكانه .. فالاول رغم انه نجار متفوق ، ويهوى الغناء والعزف على العود ، وله صدقات وطيدة فى أوساط المغنين والعازفين ، وبالتالى فله معارف فى هذه الملاهى ، وربما كان يعزف ويغنى فى احداها ، لست ادرى .. الذى لاحظته ان حوائط دكانه كانت دائما تزدان بصور المغنيين ، واعلانات الحائط ، والاعلانات اليدوية لحفلات هذه الكازينوهات وغيرها ..

● عبد الوهاب والفن

اما الثانى فقد كان انتماؤه الى هذا العالم ـ اعنى عالم الغناء والفن ، يعود الى القرابة والدم .. فقد كان قريبا ، من ناحية امه او أبيه لا أدرى ، لمطرب العصر وكل عصر محمد عبد الوهاب ، او هذا على الاقل ماكان اهل الحارة يتناقلونه عنه ، ولم يكن الأمر مستبعدا ، فكل اهل الحارة يعرفون ان بيت اهل عبد الوهاب القديم كان فى داخل الحارة ،

وان لم ينجح منهم احد فى ان يشير اليه .. كان الجندى يعلق صورة عبد الوهاب فى داخل المحل كما كان يزين (فاترينة) المحل بصور فوتوغرافية عديدة لعبد الوهاب كما يظهر فى افلامه .. كما كان دائما مايهدى اولاد الحارة وشبابها بونات للمسارح والسينمات تتيح تخفيضا فى اجر الدخول .. واعتقد ان الفضل كان له ولهذه البونات فى تمكينى من حضور حفلة مسرحية ، فى مسرح على الكسار واخرى فى مسرح كشكش بك أو الريحانى ، فرأيت الاثنين فى وقت مبكر جدا ولاتزال تعلق فى ذاكرتى الى الآن صورة الكسار فى ملابسه التاريخية وهو يدخل (قافية) مع متفرج خفيف الدم يجلس فى الصالة ، ويتابع معظم حوار المسرحية بالقفشات والنكت ، والتعليقات الساخرة .. وكان خروج الكسار على النص ، وعلى مسار المسرحية ، وايقافه



يحيى حقى   تشيكوف

للحركة تماما على المسرح ، ليدخل (قافية) مع المتفرج ، يبعث حيوية فى الصالة وعند باقى المتفرجين ، وخاصة من يجلسون فى اعلى التياترو فى (الترسو) من امثالنا ولو انى اشك ان مثل هذا المتفرج كان يوجد عن عمد ، وربما باتفاق مع الكسار نفسه ، فيمارس هوايته فى الخروج على النص ، وبث الحياة فى الصالة ، او كسر الجدار بين المتفرج والممثلين ، واشتراك هذا المتفرج مع الواقفين على خشبة المسرح فى جدل ، يتيح نوعا من التواصل الوجدانى بين الممثلين والمتفرجين ، واظن ان هذا كان يعجب الممثلين الى حد كبير ويجعل ارتباطهم بالحوار الاصلى للرواية غير مهم بدرجة كبيرة ، فيكفى انهم يملئون الساحات الزمنية بالكلام ، وانهم يعيشون الجو العام للمسرحية المعروضة ..

وان كانت ارتجالاتهم كثيرا ماتبدو شاذة فى اطار الديكور التاريخى والملابس التاريخية التى يرتدونها .. فالكلمات الشديدة العامية ، والشديدة الخصوصية لدى القاهريين ، وابناء الاحياء الشعبية العريقة بالذات ، لا علاقة لها بالاميرة قمر الزمان او الملك ذو شاه ، ولكنها كانت تثير اهتمام المتفرجين وتخلط الأمر بين مافى الحكاية المقدمة على المسرح من بعد تاريخى ، وبين مايعيشون فيه من واقع اجتماعى ملموس ، خاصة وان تناولت العبارات المرتجلة اسقاطات على مشكلات حياتهم اليومية ، واخر الاشاعات التى تدور من فم الى فم فى القاهرة كلها ، حول أمر أو آخر من امور الحكم والسياسة ، أو من أمور الانجليز والالمان ، أو من حكايات القصر ، أو النجوم من دنيا الفن أو الحكم على السواء .. ولكن الليالى كلها لم تكن روض الفرج ، ولا العصارى كلها كانت الجزيرة ، فقد كنا نجوس فى شوارع القاهرة القديمة نصلى العصر أو المغرب فى الحسين أو السيدة او الشعرانى ونأكل الكشرى والكسكسى والبسبوسة والذرة المشوية ، ونشرب السحلب او الخشاف ، فى حوارى الجمالية وباب الشعرية ، ومحلات حى الحسين والدراسة ، والشيخ زكى يضع فى فمه من حين الى حين (المدفع) وهو مخدر رخيص ، كان بطىء المفعول ولكن ثابته ومؤكده ، فمع مرور الوقت يبدأ هذا المنشط او المخدر لست ادرى - يفعل فعله فى كيانه كله ، فيزداد مرحا ، ويزداد صوته علوا ، ويزداد حبه للعراك بروزا الى السطح ، وعندما نتزاحم على شباك الترسو فى السيتما ، يقفز بكل خفة فوق رءوس المزاحمين على الشباك ليصبح فى مواجهة الشباك تماما ثم يستقر منزلقا من فوق الاكتاف والرءوس

امام الشباك ، ليحصل على تذاكرنا ، وهو يرد على السباب بمثله ، وعلى الضربات بمثلها ، صاخبا لاعنا متواقحا متصارخا معا .. وما يبدأ كأنه معركة لابد منها ينتهي الى قافية متبادلة ، وضحكات تختلط بالكلمات واللعنات والقفشات .. ومعلهش ياعم الشيخ زكى ، ولله عملتها تانى ياشيخ .. وشوف الراجل ده مسطول ، واللا ماله .. ثم نسرع لندخل السينما ، افلام بحبح وام احمد في سينما مصر ، وافلام الشجيع وابو اسكندر في سينما رمسيس ، ومازالت سينما مصر موجودة ، وان اختفت سينما رمسيس التى كانت من اشهر سينمات الدرجة الثالثة في القاهرة .. وكانت لاتعرض الا افلام رعاة البقر او طرزان وحروب الكواكب ، كما كانت من السينمات التى تعرض المسلسلات الفيلمية التى تنتهى دائما عند موقف حرج يقع فيه البطل ، ولا حل للمأزق الا في الاسبوع القادم من الحلقة القادمة من المسلسل ، وتغير البروجرام كله .. ورواد السينما كلهم من العمال والحرفيين من سكان الحسين وباب الشعرية وعابدين ، وبعضهم كان يأتى اليها ليلة الاحد من السبتية وبولاق وشبرا ، والسينما عطنة الرائحة ، قديمة الماكينات ، والعامل الذى يدير بوبينات الفيلم لا يعبأ كثيرا ان يقدم بوبينة على اخرى ، وان يعيد عرض بوبينة سبق عرضها ، ويصرخ الجمهور الصاخب في السينما ويشتد ضرب الارض بالاحذية والتصفيق والصفير ، وهاتوا فلوسنا سينما آونطه ، ويتم تكسير مقعد او مقعدين ليزداد عدد المقاعد المحطمة في السينما ، وتزداد امكانية تمزيقها للملابس والبنطلونات والجلاليب ، وتضىء السينما لحظات ليعيد العامل الفيلم الى وضعه الطبيعى ، ويشتد الصفير ، ويامجدع .. واهو كده الكلام .. ثم يخيم الصمت الا من صوت الماكينة الواضح ، وأصوات الممثلين الأجشة التى يزيدها قدم الماكينة .. وقدم الفيلم ، وترودده وسط القاعة الضيقة ذات السقف المصنوع من الصاج ، غرابة على غرابة .. ثم يتسلل الشرير خلف البطل ، وترتفع صيحات التحذير من كل مكان في السينما ، ويصرخ واحد هنا ، وواحد هناك ، ثم يصرخ متفرج جالس في متفرج واقف ويشتبك الاثنان بالايدى ، وسرعان ماتمتلىء السينما بالمجموعات المتشابكة والصرخات ، وتتطاير المقاعد ، ثم يضاء النور ليدخل الفتوة بجسده الضخم ، ووسطه الذى تحيطه منطقة جلدية مليئة بالأزرار النحاسية ، ويشتبك مع المتشابكين اما بيديه واما بهراوة يحملها ، ثم يسكن كل شيء ويصيح واحد .. صلوا على النبى .. ليلتكم فل ، الفيلم حلو ياولاد ، ويقبل واحد راس آخر ، وترتفع ضحكة هنا ونكته هنا ، وقفشة من آخر الصالة ، يرد عليها واحد في اول الصالة ، ويطفأ النور من جديد ، ويعود الشعاع الأزرق يمتد من كابينة العرض في آخر الصالة لتعود الصورة فتظهر على الشاشة من جديد ، ويشد انتباه الجميع معركة

يدخلها الشجيع فى الحانة ، فينصرفون جميعا الى تشجيعه وشد أزره وتحذيره ممن يهاجمونه من الخلف .. وتخرج من السينما وقد تصدع راسك ، ولكن شيئا فيك قد استراح وهدأ ، كل شحنة الانفعال المكبوت قد خرجت فى المشاركة فى هذا الصخب والهياج والاندماج مع الفيلم والمسلسل ، وتعد نفسك انك لابد ستعود فى الاسبوع القادم لتعرف ماذا حدث للبطل بعد ان انقلبت به العربة والهنود الحمر يطاردونه عند منعطف التل .. تخرج وانت تقلد البطل فى مشيته ، وتشترى مسدسات من لعب الأطفال لتحملها فى كفك وتدور بأصبعك داخل المنطقة التى تحوى الزناد ، فى محاولة لتقليد البطل وهو يلف المسدس حول هذا الاصبع ، ومع كل لفة تنطلق رصاصة لتقضى على واحدا من الأعداء الذين يتساقطون عند طرف البار فى الحانة الضيقة واحد إثر الآخر ، وهو مشدود القامة ، مقطب الملامح ، بارد الاعصاب ثم تنفخ فوهة مسدسك الصغير ، لتبعد الدخان الوهمى المتصاعد منه بعد معركتك الصاخبة فى دنيا احلام يقظتك التى تملؤها معارك افلام ومسلسلات سينما رمسيس ..

● عمل .. ومرح

ولكن السينما والملاهى الليلية لم تكن هى كل حياة الشيخ زكى ، فأنت تلاحظ ان صورته التى اقدمها لك صورة شاب كادح صغير السن متفتح الى الحياة ، يعمل طوال الاسبوع كالالة التى لاتتوقف ، ثم يمرح آخر الاسبوع كأنه يقتص من الحياة ويقتضيها ثمن كل تعبه وعرقه .. ومع هذا فاسمه منذ عرفته اى منذ بدأت واعيتى على الحياة تلتقط الاشياء الشيخ زكى .. ولست ادرى من اين جاء بهذا اللقب على سنه الصغير .. وقد كان الناس فى بلادنا يسمون حافظ القرآن باسم الشيخ ، كما كانوا يطلقون هذا اللقب على كل من دخل الأزهر ، وايضا على كل من ارتدى الجبة والقفطان وهو رداء الشيوخ المميز وان كان ارتداؤه أمرا شائعا عند أوساط التجار والأعيان .. ولم يكن الشيخ زكى من هؤلاء ، ولم يكن قد دخل الأزهر ولكنه لاشك كان يحفظ القرآن ويؤدى الصلوات فى مواعيدها ، وهو يخصص صباح الاحد ليصحبنا معه لنزور المساجد والأولياء ومن الشعرانى إلى ابى العلاء ، الى السيدة سكينة والامام الشافعى ، مرورا بالحسين والسيدة زينب وسط الطرقات الضيقة والحوارى المتربة ، الى خارج القاهرة وطرق المقابر فإن تعبت من المشى الذى لاينتهى حملنى على كتفيه وهو يسرع فى مشيته التى يخب بها خبا من مكان الى مكان ، لايكل ولا يتعب . لايمر أمام ضريح ولى من اولياء الله الا وتوقف يقرأ الفاتحة ويشير بسبابته ، ثم يفرد كفيه رافعا اياهما بدعوات هامسة ثم يمر بهما على وجهه يمسح جبهته وذقنه وهو يغمض عينيه ، ثم يعود الى مشيته السريعة والى جواره عبد اللطيف يقلده فى كل شىء وان كانت عيناه بنظراتهما العابثة تشى بان الامر عنده لايجاوز السطح الى الاعماق فقد كان عبد اللطيف لايزال صغيرا وكان

شديد التحمس لحكاية روض الفرج والسينما ، اما اذا جئنا الى جولة الصباح في الاضرحة والمساجد ، فقد كان شديد التكاسل ، ويكاد يود لو يجد مخرجا يعفيه من هذه الرحلة المضنية .. والرحلة حقا مضنية ولكنى كنت أحبها واقبل عليها بشغف ، فلم تكن تمر دون اكتشاف معلم جديد من معالم القاهرة القديمة ، ودون المرور بشارع لم امر به من قبل ، او الجلوس الى مقهى او مطعم لم اجلس فيه من قبل .. فقد كان الشيخ زكى يعرف القاهرة القديمة كما يعرف كفه ، وكانت له فى كل مكان صداقات ، ولهذا فقد كنا نقابل بالترحاب من خدم الجوامع ، ومن الدراويش الذين يعيشون الى جوار ابنية الأضرحة ومن اصحاب المطاعم الرخيصة التى كانت مصدر طعامنا الدائم طوال الرحلة .. والشيخ زكى لابد حين يصل مسجدا او ضريحا ان يصلى ركعتين ولهذا فقد كانت الرحلة تقريبا رحلة صلاة من مسجد الى مسجد .. وطوال الطريق ينطلق يحكى لى حكاياته التى لاتنتهى ولايمل هو ذكرها ، ولا أمل أنا سماعها عن أولياء الله الصالحين من اصحاب هذه الأضرحة ، ومن غير أصحابها ، وعن كراماتهم ، وماحدث لهم فى حياتهم من امور مذهلة لايستطيع العاديون من امثالنا ، من أصحاب الايمان الضعيف أن يعرفوها او يأتوا بمثلها .. ومن حيَّات الرفاعى الى كرامات العدوى فى العثور على المفقودين .. الى كرامات السيدة زينب فى تحقيق الحاجات ، الى وساطة الحسين عند جده للشفاعة للمذنبين ، الى بطولات السيد البدوى ، يمضى الشيخ زكى فى حديثه الشيق الملىء بالأحاديث وايات القرآن والحكم القديمة الى جوار الحكم الشعبية والامثال والنكت ، كلها تتوالى فى خيط واحد بلا فاصل ولا توقف ، مما كان يكسب حديثه تشويقا واثارة لاتجعل للملل مدخلا الى سامعه الذى غالبا مايكون انا وعبد اللطيف أو انا وحدى

وكانت للشيخ زكى أمسيات يصحبنى فيها الى حلقات الذكر التى تقام فى الزوايا الصغيرة فى كل مكان ، فقد كان منتميا الى احدى الطرق الصوفية ، وننتقل معه من مسجد ابو حجر الى خوند بركة الى الحصرى الى سيدى الاربعين ، يبدأ الامر بالجلوس فى حلقة دائرية ، ويبدأ الانشاد الموقع ، ثم يقف كل افراد الحلقة يشاركون فى التوقيع الصوتى وترديد كلمات الذكر واسماء الله ، والحمد والتسبيح ويتصدر الحلقة أقدمهم فى الطريقة هو الذى يقود الانشاد والايقاع ، الذى سرعان مايتحول الى اهتزاز الاجساد مع الاسراع فى نغم الانشاد وايقاعه .. الى ان تتحول الكلمات التى تخرج من الأفواه الى مجرد مقاطع صوتية الى كل مايريدون قوله .

وعندما تنتهى الحلقة يجلسون الى ما أعده الداعى لهم من طعام هو فى غالب الأمر ثريد أما من مرق اللحم مع قطع اللحم ، واما من مرق العدس او مرق الفول



المنبت .. وهذه الاجساد التى مرت بهذه الرياضة العتيقة طوال هذا الوقت ترغم اصحابها على الانقضاض على الطعام فى سرعة وشراهة ، كثيرا ماكانت تمنعنى من المشاركة مكتفيا بمراقبة هذه المباراة الحامية فى الاتيان على مافى الاطباق الكبيرة من طعام .

وكانت هذه الصورة بالذات لاتفارقنى فى ليلى ، وتعود اجزاؤها وتفاصيلها تغزو خيالى ، وتملأ عقلى ، الرجال اصحاب اللحى ، والرجال اصحاب الشعور الطويلة ، وهذه الاهتزازات الموقعة والاصوات المتداخلة وهى تعلو فى صحن المسجد الصغير الخافت الاضواء غالبا ، والاجساد تتحرك فى عنف ، كل الاعمار من الشيوخ الى الكهول الى الشباب الى الصبية ، وكنت اشارك ولم أكن الا طفلا ..

ولكن هذا الطفل ـ بفضل الشيخ زكى ، تفتح على وجوه من الناس والحياة رسبت فى قلبه حب هذا الانسان البسيط الكادح اللاهى الضاحك المتدين شخصية ابن البلد حيث تمتزج فى اعماقه معانى الحب والوفاء والكرم، بمعنى الرهبة والعبودية والخشوع ، وحيث يرتبط بالامس واليوم فى مزيج متحد ، قوامه المعرفة المتلحة بكل حكمة الاجداد وثقافة الامس ، ومع ممارسة اليوم مع الحياة والناس .. هذا المزيج الشعبى المتجانس وان كانت مكوناته غريبة ومتناقضة ، هى التى جعلت من هذا الانسان نموذج الطيبة والجد والرقة والرهافة والارتباط بمعنى الفن والشدو الدائم الى الثقافة والمعرفة ، ومتعة الجسد والروح معا .

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

ابن جبير

١١٣٥ - ١٢١٧ م

رحالة اندلسى ، يعتبر كتابه عن رحلته من الناحية الفنية ذروة ما بلغه ادب الرحلات فى التراث العربى .
عمل بعض الوقت كاتبا لحاكم غرناطة من الموحدين ، ولم يلبث أن كسب الشهرة ككاتب وشاعر . وقد وصلتنا بعض الرسائل النثرية التى كتبها وقصائد متفرقة من ديوانه . غير ان رحلته هى التى ضمنت له مكانة مرموقة فى الأدب الجغرافى .

● غادر غرناطة وهو فى الثامنة والأربعين بقصد الحج . فمر بسبتة ، ثم سارت به السفينة بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية . ومنها ركب النيل إلى القاهرة ، فصعيد مصر ، فمرفأ عيزاب على البحر الأحمر ، عابرا إياه إلى جدة ، ثم إلى مكة حيث اقام نحو ستة أشهر . ثم مر بالمدينة فى طريقه إلى الكوفة ، وزار بغداد وسامراء والموصل وحلب ، ثم دمشق التى أمضى بها بضعة أشهر ، (كانت معظم سواحل الشام وقتها فى يد الصليبيين) . ومن ميناء عكا استقل ابن جبير سفينة للصليبيين قاصدا صقلية ، ومصادفا فى طريقه الكثير من الأهوال والمشاق مع إشراف السفينة على الغرق . وفى ابريل عام ١١٨٥ عاد إلى غرناطة بعد غيبة دامت عامين وشهرين .

ومن الجلى أن انطباعاته عن المشرق كانت قوية جدا ، وانعكست فى قصيدة طويلة كتبها يشيد فيها بصلاح الدين الأيوبى الذى تعلقت به آنذاك أنظار المسلمين . فما مضى عامان حتى سمع ابن جبير بخبر استيلاء صلاح الدين على القدس ، فإذا هو يخرج فى رحلة ثانية لمدة عامين (١١٨٩ ـ ١١٩١) ، ولكن لم يكتب عنها كتابا كما فعل عقب الرحلة الأولى . كذلك فإننا لا نعرف عن السنوات

في التاريخ الإسلامي

الأخيرة من حياته سوى أنه قام برحلة ثالثة إلى المشرق وهو شيخ كبير حزين على وفاة زوجته ، ولم يعد إلى الأندلس مرة أخرى ، بل أمضى أكثر من عشر سنين يتنقل بين مكة وبيت المقدس والقاهرة ، مشتغلا بالتدريس والأدب ، إلى أن وافته المنية بالإسكندرية عام ١٢١٧ .

أما كتابه عن رحلته الأولى فله أهمية قصوى في تصوير حياة عصر ابن جبير . فهو يقدم وصفا حيّا لمصر والشام وقت أن بدأت فيهما حركة التحرير الإسلامية ضد الصليبيين بزعامة نور الدين فصلاح الدين . وهو في هذا شبيه إلى حد كبير بمذكرات الأمير أسامة بن منقذ "كتاب الاعتبار" ، بالرغم من الاختلاف في المنهج وطريقة العرض . كذلك فإن للرحلة قيمة فريدة فيما يتعلق بتصويره لحياة مسلمي صقلية ، ولآثار الجزيرة ، ولبلاط النورمان الذين كانوا يحكمونها .

ويمتاز ابن جبير بقوة ملاحظة نافذة ، كما يمتاز على ابن بطوطة برفضه تصديق الخرافات والحوادث الخارقة مما سمعه أثناء رحلته . فإن كان وصفه المفصل للمباني والآثار مملا للقارئ العادي ، فإن أسلوبه يمتاز بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير ، كوصفه لجمارك الإسكندرية وما يتعرض المسافرون فيها من عناء ومشاق



وإهانات ، أو وصفه لكارثة السفينة عند سواحل صقلية . أما عرضه العلم فيستهدف الصنعة والأناقة ، وهو أحيانا يلجأ إلى السجع دون إفراط فيه أو مبالغة ، ودون أن يكون على حساب المعنى والسرد . فهو إذن كتاب رفيع الأسلوب ، شيق القراءة ، قد أفاد منه فائدة كبرى الجغرافيون والمؤرخون بعده ، من أمثال العبدري ، وابن بطوطة ، وابن الخطيب ، والمقريزي ، والمقري التلمساني ، وغيرهم ، ممن اقتطفوا فقرات

طويلة من كتابه فى مؤلفاتهم ، مع نسبتها احيانا إلى ابن جبير ، وأحيانا دون ذكر لاسمه

المقريزى

١٣٦٤ - ١٤٤٢ م

أعظم المؤرخين المصريين فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى . ويكفى دليلا على ذلك أن فطاحل هذا الجيل من المؤرخين فى مصر كانوا تلاميذ المقريزى ، مثل ابن تغرى بردى ، والسخاوى ، وأن ابن حجر العسقلانى وبدر الدين العينى لم يوجها كل عنايتهما إلى التاريخ ، كما فعل المقريزى ، بل كانا محدثين أكثر منهما مؤرخين

وقد أهّل المقريزى لهذه الزعامة إنتاجه الضخم الخصب ، وأنه كان عالما بكل ما تحمله كلمة عالم من معنى ، يحب المعرفة لذاتها ، ويجد المتعة فى البحث والدراسة والاستقصاء فهو ينص فى مقدمات الكثير من كتبه على أنه لم يقدم على تاليفها استجابة لطلب أمير أو عظيم ، وإنما كتبها إشباعا لذاته المتطلعة إلى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ولمن يريد أن يشاركه هذا النزوع نحو العلم . ونلاحظ أن المقريزى فى كتبه لم يكن - كالكثيرين غيره - مؤرخا راوية فحسب ، بل هو مؤرخ مبدع أيضا ، يناقش الأحداث والموضوعات ، ويدلى بآرائه الخاصة ، ويشرح الأسباب ويقترح العلاج ومعلوماته فى هذه الكتب وثيقة أكيدة تدل على قراءة واسعة ومعرفة متثبتة ، وفكر واضح منظم ، ومنهج علمى سليم ، وساعده على ذلك أمور كثيرة ، منها :

- أنه كان تلميذا للمؤرخ الفذّ ابن خلدون .
- أنه كان يملك مكتبة ضخمة فى مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة فى عصره
- أنه ولى وظائف كثيرة مختلفة مكنته من التعرف على دولاب الحكومة وكيف يُدار ، وعلى مختلف النظم الإدارية والمالية ، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية
- اشتغاله بعلمى الحديث والتاريخ ، وهما علمان يعتمدان أصلا على الجرح والتعديل ، والنقد والتحليل ، والتثبت من صحة كل قول أو رواية أو حقيقة علمية

أما مؤلفاته فنوعان :

كتب أو كتيبات صغيرة ألف معظمها فى أخريات حياته ، وهى لا تقتصر على تاريخ بل تمثل أنواعا مختلفة من العلوم ، مثل

"النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم" ، "البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب" ، "إغاثة الأمة بكشف الغمة" (وهو عن تاريخ المجاعات فى مصر) ، "الأجسام المعدنية" ، "الأكيال والأوزان الشرعية" ، "إزالة التعب والعناء فى معرفة حلّ الغناء" ، إلى آخره .

ومؤلفاته كبيرة فى التاريخ ، منها ماهو فى تاريخ العالم "الخبر فى البشر" ، ومنها ماهو فى التاريخ الإسلامى "إمتاع الأسماع" ، وأكثرها ما عنى فيه بتاريخ مصر الإسلامية من نواحيه العمرانية والسياسية والبشرية ، وهى أعظم كتبه جميعا .

بدأ دراسته لتاريخ مصر بكتاب "أخبار مدينة الفسطاط" الذى يتناول هذا التاريخ من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية ، تبعه كتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء" فى تاريخ مصر زمن الفاطميين ، ثم وصل ذلك يذكر من ملك مصر بعدهم من الأيوبيين والمماليك التركية والجركسية إلى زمنه ، فى مؤلف مستقل رائع سماه "السلوك لمعرفة دول الملوك" . وقد انفرد المقريزى فى هذه الكتب بإيراد الكثير من الوثائق والحقائق التاريخية التى لا نجد لها ذكرا عند غيره من المؤرخين ، ونقل فيها كذلك عن كتب كثيرة فقدت ولم تصل إلينا ، أو عن كتب لا تزال مخطوطة .

ومن روائعه الأخرى موسوعته الكبيرة "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ، وهى المعروفة اختصارا باسم "الخطط المقريزية" وفيه أرّخ المقريزى للمدن المصرية الهامة ، وما تضمه من خطط وحارات ودروب وأزقة وأسواق ، وما تناثر فيها من دواوين ودور مشهورة وقصور ، وما تحويه من مساجد وكنائس ، ومكتبات ومدارس ، ودور للحكمة والعلم ، مع تعرض لبعض الشخصيات التى ساهمت فى عمران هذه المدن أو إقامة هذه المنشآت ، فيترجم لها ترجمات مفصلة حينا ، وموجزة فى معظم الأحيان وهو فى هذا المؤلَّف الفريد الخصب يظهر شعورا مبكرا بالوطنية المصرية ، وإحساسا عميقا بحبه لوطنه مصر يقول فى مقدمته :

".. مصر هى مسقط رأسى ، وملعب اترابى ومجمع ناسى ، وموطن خاصتى وعامتى ، فلا تهوى النفس غير ذكره ، ومازلت مذ شذوت العلم ، أرغب فى معرفة أخبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة فوائد قلما يجمعها كتاب ، فأردت أن الخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية ، والقرون الخالية" ...

وهو شعور وطنى سبق به المقريزى عصره ، ولا نجد له شبيها حتى منتصف القرن التاسع عشر حين خرج الشيخ رفاعة الطهطاوى بكتابه "مناهج الألباب



أنت والهلال

• الأدب والدعاية •

● لم تعد شهرة الأديب أو مدى انتشار كتبه ، أو مقدار ما يحصل عليه من جوائز الدولة التشجيعية أو التقديرية دليلاً على النبوغ أو التفوق . كما لم يعد انحسار الشهرة والذيوع دليلاً على عدم التفوق أو فقدان الجودة ، لأننا فى زمن انعدمت فيه المقاييس الموضوعية والأحكام النزيهة ، والعبقرى هو من يمتلك الدعاية التى ترفع من تشاء وتخمل من تشاء ، وتطبل لمن تشاء .

ومن الجلى أن كل أدب محتاج إلى سلطان ، متمثلاً فى أجهزة الدعاية وإلا فهو محكوم عليه بالموت . وعلى ضوء ذلك كله لا تغتر الناس فى هذه الأيام بما تقوله الدعاية عن عملاق الفكر الفلانى ، والشاعر الكبير العلانى ، وعن زيد رائد القصة ، وعبيد رائد الرواية ، وحماد جهبذ نقاد العصر ، فلقد فقدت هذه الكلمات مدلولها .

وهكذا تبدو العبارة التى تقول (إن الأدب الجيد يفرض سلطانه) غير كافية فى التعبير عن حقائق الأمور فى هذه الايام التى غابت فيها الأحكام العادلة . وصار إعلان الكلمة او حجبها بأيدى الأقوياء وحدهم . فكم من اديب ومفكر ألمعى لا يكاد يسمع به أحد ، وكم من متشاعرين هم اليوم حديث الرائح الغادى

إن كثيراً من الباحثين المسلمين مازالوا مشغولين عن أدبهم ، ومن العجب أن نرى العديد منهم منصرفاً إلى إعداد الدراسات الأدبية أو النقدية عن شاعر ماجن أو كاتب منحرف ، بينما يهمل أصحاب الكلمة الطيبة الصادقة .

كم دراسة أعدها الكتّاب المسلمون عن إمرء القيس وأبى نواس وبشار بن برد وشاكر السياب ونجيب محفوظ وغيرهم من أصحاب الفكر المستورد ؟ وكم دراسة أعدت عن حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة وسيد قطب وعلى الطنطاوى ونجيب الكيلانى وعلى أحمد باكثير وغيرهم من أصحاب الكلمة الشريفة . ترى أهو الجهل بهويات الناس الذين يتحدثون عنهم ؟ أم أنهم سقطوا تحت بريق الدعاية وجاذبية الأسماء ؟.

إن على صاحب القلم المسلم أن يتقى الله فيما يقول وأن يحاسب نفسه ألف مرة قبل أن يمسك قلمه ليكتب كلمة عن أديب يسخر من الأنبياء والرسل ويذيع فاحشة بين الناس ـ وأن يتذكر أن الكلمة شرف وأمانة .

ولا يرددن احد مع أصحاب الشعارات المضللة قائلاً (إنها حرية الفكر) فهذه الحرية صارت حكراً على أصحاب الآراء المنحرفة والكلمة الزائغة ، وأما إذا عبر الادباء المسلمون عن افكارهم أو سجلوا تصوراتهم على الورق ـ سحبت حرية الفكر من القاموس . وخنقت تلك الكلمات فى مهدها لأنها رجعية لا يجوز إعطاؤها أى حظ من الحرية والنور .

عماد الدين ناصر حسن
استاذ الفقه بمعهد طهطا

● تعليق الهلال :

- لم نحذف من رسالتك هذه إلا الكلمات الجارحة عن يوسف إدريس وصلاح عبد الصبور والفيتورى ونجيب محفوظ وغيرهم . فإن كلماتك عنهم تقع تحت طائلة القانون ، وقد تركنا لك سائر الرسالة بما احتوته من عنف !.. وانت تقول إن امرأ القيس وبشارا وابا نواس والسياب ونجيب محفوظ هم من اصحاب الفكر المستورد ، فمن اين استورد امرؤ القيس وبشار وأبو نواس افكارهم ؟!.. وهل تريد أن تكون كل الكتابات مقصورة على شخصيات دينية ؟!.. وانت تعرفنا بنفسك فتكتب تحت اسمك : "ليسانس شريعة وقانون - ماجستير فى الفقه المقارن من الازهر" .. فهل تظن أن اللغة العربية خالية من كلمات تحل مكان كلمات اوربية - لاهوتية الأصل - مثل ليسانس وماجستير ودكتوراه ، وهى الألقاب التى تتحلى بها انت وزملاؤك الأزهريون الآن وترفضون أن تتخلوا عنها مع انها كلمات مستوردة ؟!

● يادولة الشعر اسلمى ●

الشعـر يجرى فـى دمـى	وللقـوافـى انتمـى
هـذى القـوافى هـذبـت	نفسى واضحـت بلسمـى

لكن ركب الشعر يمضى فى طريق مظلم
يجتـاز أهـوالا ولا يـدرى بـأى يحتمـى

حتـى وصفنا كـل « شعـرور » بـدا بالملهم

مـن يطلـق الأشعـار مـن	قيـد المغيـر الغـاشـم
ونحـن نشـدو مثلـه	يـادولـة الشعـر اسلمـى

عبده محمد سلطان - الجيزة - أوسيم

● قارئة مصرية مهاجرة ●

● هذه هى اول رسالة اكتبها لمجلتكم الحبيبة ، وهى ايضا أول رسالة اكتبها لاية مجلة ؛ فقد كان تعاملى مع المجلات والجرائد مجرد القراءة فى الأشهر القليلة التى كنت اقضيها فى القاهرة ؛ فطبيعة عملى كانت تتطلب منى البقاء بعيداً عن الوطن شهوراً طويلة كل عام ؛ فأنا مدرسة لغة

انجليزيه ـ وهذا ما جعلنى أيضا أبتعد عن لغتى الأم ؛ فرغم اننى كنت أعمل فى دولتين عربيتين (الكويت ثم عُمان) إلا أن الثقافة هناك باهظة التكاليف جدا وأغلى بكثير مما هى عليه فى مصر ؛ وهذا بالإضافة إلى ندرة أعمال أدبائنا المعروفين ، ويكفى أن اذكر لكم أننى اشتريت يوماً قصة لأديب مصرى ، وكان سعرها (٥ر٣ ريال عمانى) أى حوالى ١٨ جنيهاً مصريا ، وهذا ما لا تتحمله ميزانيتى أو ميزانية أى شخص مهتم بالثقافة ، فليست الثقافة أهم من الخبز دائما .

إن مصادر الثقافة بالنسبة لى كانت : أولا مكتبة المدرسة وهى كمكتبة لمدرسة إعدادية لا تحتوى إلا على الكم الثقافى المطلوب لفتيات فى سن الطفولة والصبا (حتى سن الخامسة عشرة) وثانيا : المكتبات العامة (فى الكويت فقط) وهى تسمح لى بالقراءة ولا تسمح بالاستعارة الخارجية الا للمواطنين الكويتيين فقط ، وكانت طبيعة عملى لا تسمح لى بالبقاء فى المكتبة طويلا ، وثالثا : الشراء ، وهذا هو المجال الوحيد والأبهظ تكلفة المتاح امامى ، فلم أجد سواه لأسلكه ولكن ليس دائما ، فكنت عادة أصطحب معى من القاهرة بعض الأعمال الأدبية العربية والانجليزية لأتسلى بقراءتها طوال العام ؛ وإن كان هذا أيضا يعنى زيادة كبيرة فى وزن أمتعتى .

ولكن كل هذا لم يبتعد بى عن الثقافة فكنت أحاول بعض محاولات شعرية وقصصية ، واشتركت مرة فى مسابقة القصة القصيرة ومرة القصة الطويلة بنادى القصة وفزت بالمركز السابع فى القصة الطويلة فى العام الماضى وكنت أيامها خارج البلاد فلم أحضر حتى لمناقشة أخطائى .

وأخيرا عدت لوطنى وتسلمت عملى بإحدى الشركات وأحاول الآن أن أبدأ حياتى الثقافية من جديد .

وهاأنذا أبعث إليكم بإحدى محاولاتى الشعرية ، ولا أطمع فى نشرها ولكنى أطمع فى نقدها فأنا فى حاجة لمن يأخذ بيدى ويدلنى على أخطائى كى اتجنبها ، ومعذرة إذا كنت أطلت عليكم وأعدكم أن تقصر رسائلى القادمة وألا تنقطع ، كما أرسل بأحدث محاولاتى القصصية كتبتها للاشتراك بها فى مسابقة الهلال للقصة ..

حنان حسن محمد عبدالعال
شارع القناطر ميدان صلاح الدين بمصر الجديدة

● تعليق الهلال :

ـ مرحبا بك ايتها القارئة المخلصة للقراءة فى الوطن والمهجر ، ولا نظن أن المخلصات للقراءة كثيرات الآن .. اما محاولتك الشعرية فإنها طيبة حقا ، ولكن تنقصك معرفة الأوزان ، فهذه المحاولة نثر لا شعر موزون ، اما قصتك فانتظرى بشأنها رأى لجنة المسابقة ..

• أحبك .. ياعمرى •



وكتبت « أحبك ياعمرى »
وسط السطر
وكتبت بحبك أيام العمر
وكتبت به أحلى الشعر
وكتبت كتبت كتبت بحبك - إن تدرى -
فوق الورق ... فوق الصخر
ورسمت به وجه الدنيا وقت الفجر
لكنى حين أردت أعبر عن هجرانك فى شعرى
سكت القلم .. جفت فيه نقط الحبر

عبد العزيز الشراكي
تربية المنصورة - قسم اللغة العربية

• وداعا أيها الشعر •

● من اهم أسباب "موت القيم" الآن ما نراه من تراكم المنابر الثقافية غير المسئولة وغير الجادة ، واعطاء بطاقات مزورة مؤقتة أو دائمة ، لمن لا هوية ادبية لديهم ، ولمن مازالوا يبحثون عن اعتراف .. حالة من الفوضى وانعدام التوازن . حالة من التطاول والانتفاخ حتى الورم ، حالة من الهوس الطفولى والهذيان . حالة من القفز على أسطحة الثقافة والرقص فوقها . حالة من اللاقيم ، ولذلك ومن أجل ذلك ومن منبر مجلة الهلال اعلن استقالتى من "جمهورية الشعر" وآه ياعصر الرؤى المنقلبة فقد انتصرت كل الأخطاء !

عبد الناصر عبد الرحيم احمد
السـويـس

• اختنــاق •



من وقت لم يطرق باب الزهرة عطر
لا ياتى طير للفرع الأصفر
لم تهبط فوق دروبى ومضة شوق ..
فى وحشة ليل لم يبزغ فيه ضياء
كنا نشتاق للحظة شوق تسرى نهرا فى الأعراق
كان الفجر يبث الأضواء
نحلم بالأمل الذابل يخضر

يخرج أفراحا من سرداب اليأس
في وهج الحس الطالع للشمس
خط الصوت الرافض حرفا ينزف هجرا
تاه الحلم الأخضر في الأعماق
كان الكبت يزلزل فينا الرغبة
يقتل نبت الحب الطالع في وجنات الصبح
راح البدر غريقا في أنهار الغربة
والعشق سرابا للأحباب
ياصوت الفجر الآتي عبر خيوط الظلمة
ارجع لي ذاتي قبل نماء الشوك النابت من أغصان الغربة
ارجع لي لون البشرة
يامن جئت تبث الوجد
أرجع لي لون عيوني الباهت من عصف الإخفاق
أرجع لي من أيامي فصل ربيع

مديحة أبو زيد

• رد على الدكتور فؤاد مرسى •

لم أتعود الكتابة تعليقا على المقالات التى أقرؤها فى مجلتكم العريقة . لكننى هذه المرة لم أستطع أن أتخلى عن الالحاح الذي هيمن على بعد أن قرأت مقال الدكتور فؤاد مرسي بعنوان "لندع التاريخ يتكلم" وسبق للدكتور فؤاد أن كتب عدة مقالات لم أفهم منها الا أن سيادته قبل أن يتعامل مع الرئيس السادات (رحمه الله) من منطلق النضال ضد الاستعمار وبالتحديد للوصول الى حل للصراع العربي الإسرائيلي . وقرأت ضمن ما قرأت تعبيرات نسيناها تماما وهى : قوى اليمين ـ الإمبريالية ـ المكتسبات الوطنية والتقدمية ـ اليسار الناصرى ـ وهى تعبيرات صارت مع الزمن قاموسية ، ولكن سيادته يصر عليها ..

وقد حيرتني محاولته الجادة لتبرئة ساحته من جرم التعاون مع السادات . وكأنه يتعاون مع عميل أو خائن واعتقد ان السادات لم يكن بحاجة الى خدمات الدكتور فؤاد مرسي الجليلة والتي لم نسمع عنها قط وربما كانت خدمات خاصة لم تجد من يعلن عنها وهو ما حدا بسيادته أن يسرد لنا تفاصيل حديثه لصحيفة النهار حينا وتلخيصه حينا آخر . فهل يريد الرجل أن يوهمنا أنه أملى شروطه على السادات أو قبل العمل معه بأيدلوجية معينة ؟!.. سوف أصف نفسى بالسذاجة لو تسرب لى هذا الوهم !.

ربما حاول الدكتور أن يدعى دورا مهماً فى مقاومة ما أسماه هدف

الإمبريالية الأمريكية التى تسعى الى استمالة أجزاء مهمة من القوى الوطنية وتستخدم فى مسعاها أسلحة إغراء مثل شعار "الحل السلمى" وشعار "التنمية والرواج" . وأعتقد أن أسلحة الإغراء التى رفضها الدكتور ببعد نظره هى اليوم شعارات الأمة العربية كلها : الحل السلمى .. التنمية .

والهدف الثانى الذى تصدى له الدكتور بالمقاومة هو "شق صفوف القوى الوطنية وبذر الشقاق بين فئات وتعميق هوة أى خلاف يطرأ بين هذه القوى" . ولعله نسى أن هدف السادات حينئذ كان التخلص من تلك الفئات التى أسمت نفسها القوى الوطنية ولولا تخلصه منهم لما كان له أن يتخذ القرارات المصيرية .

وكنت أود أن يشرح ماهى محاولات الامبريالية ؟ وماهى قوى الثورة المضادة ؟ وماهى معالم القضية الوطنية فى نظر سيادته ؟

ولكن السؤال الذى أود منه أن يجيب عنه هو ماهو الذى تحقق فى بلادنا بعد مايو ١٩٧١ . وهل ما حدث فعلا بعد هذا التاريخ هو تأكيد لمخاوف الدكتور وتوقعاته ؟!

فهل كانت من المخاوف طرد الخبراء السوفييت أو العبور العظيم أو الحل السلمى ..

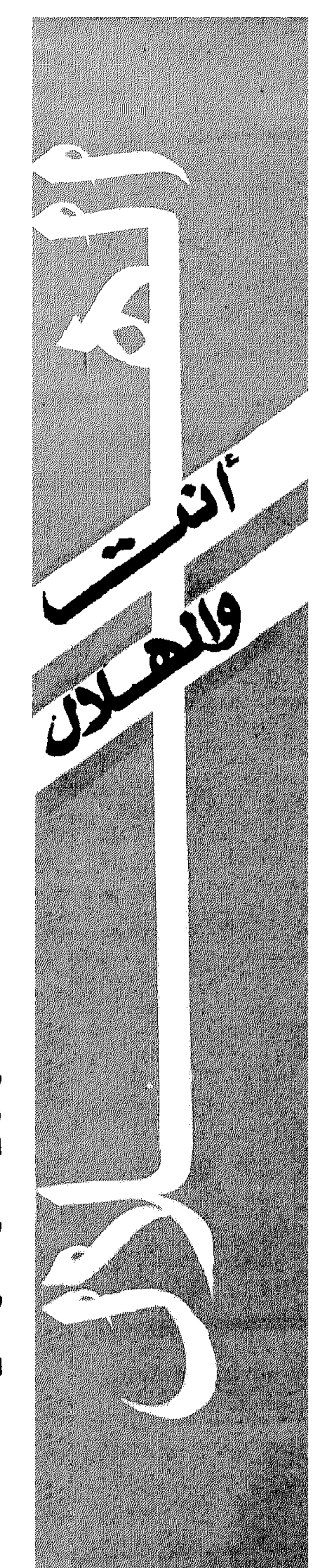
إذا كانت فعلا تلك هى المخاوف التى كان يخشاها الدكتور فإن محنة اليسار بلا شك هى أنه لا يفرق بين الشعارات وواقع الأمر .. وهى بلا شك السبب المباشر فى تلك الحالة التى تردى اليها اليسار عندنا وهى أنه مازال يتوهم أن هناك قوى إمبريالية تسعى لزعزعة القوى الوطنية .

أرجو الا أكون قد أطلت . وما دفعنى إلى ذلك الا غيرتى الشديدة على المجلة التى ساهمت فى صقل ثقافتنا على مر السنين .

حمدى عبدالله البطران
ابو جبل قبلى ديروط ـ أسيوط

● تعليق الهلال

ـ انت تتخذ موقفك فى جانب واحد تسند إليه الصواب كله ، وتجرد منه الآخرين ، حتى إنك تنكر وجود شىء اسمه الإمبريالية ، ولا ترى من ظلال الامبريالية إلا الخبراء السوفييت الذين كانوا يدربوننا على الأسلحة التى تلقيناها منهم وعبرنا بها ، ولا شك ان إنكار وجود شىء اسمه الامبريالية ، يقودنا بالضرورة إلى انكار وجود شىء اسمه الصهيونية الاستيطانية المغتصبة لأرض فلسطين ، وانكار وجود العنصرية فى جنوب افريقيا ، وانكار الاستعمار الاقتصادى عن طريق الديون وفوائدها الجنونية الخ .. ولا اظن اننا نستطيع ان ننكر وجود الأصل ، ثم لا ننكر وجود فروعه الكثيرة !..



• شعراؤنا المنسيون •

« ١ » محمد السيد شريف

● ولد شاعرنا في ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٠ بالجزيرة الشرقية احدى قرى المنوفية وحصل على كفاءة المعلمين سنة ١٩٤٩ ، وكان اول دفعته وعين مدرسا بالقاهرة ثم حصل على دبلوم الخطوط ودبلوم المعلمين الراقى وأشرف على تحرير « صحيفة المعلمين » وهو طالب وعرف انتاجه طريقه الى الصحف منذ عام ١٩٤٩ .

نشر معظم انتاجه بالبلاغ والمصرى والمساء والمعلم الأول والأهرام اذاع بعض قصائده بالأذاعة المصرية سنة ١٩٥٢ .

اصدر مجموعة « أناشيد الثورة ومسرحياتها » عام ١٩٥٦ وقد طبعه مرتين ترجمت اشعاره الى اللغات العالمية ونشرت بكبريات الصحف كصحيفة « لويز دوتيشلاند » بالمانيا الغربية وقد كتبت عن ذلك جريدة الجمهورية فى ٧ يوليه ١٩٦١ .

عضو وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا من عام ٥٢ الى عام ١٩٧٠ ، كتب عنه فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى التقويم الذى يصدره عن الشعراء ونشر جانبا من انتاجه عام ١٩٦٠ له ديوان آخر تحت الطبع ومجموعة من الأناشيد والمسرحيات ، وله ديوان صدر « يقظة العملاق » ..

« ٢ » بطرس ابراهيم

● ولد شاعرنا فى اسيوط عام ١٩٠١ وقد تلقى دراسته فى القاهرة وتدرج فى سلك الوظائف الحكومية نحو اربعين عاما وعشق الأدب والشعر منذ نعومة اظافره قرأ للشعراء الاقدمين والمعاصرين ولقد قدم لديوان الذى نحن بصدده المرحوم الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى حينذاك ورئيس رابطة الأدب الحديث وكان شاعرنا عضوا بها وكتب له مقدمة ثانية فى الديوان الاستاذ الدكتور والناقد الكبير . محمد عبد المنعم ولقد نشر معظم قصائد الديوان فى البلاغ والسياسة والمقتطف والأهرام والهلال .

وقصائده تنم عن ملكة موهوبة وشاعرية خصبة وموهبة صادقة الاحساس بالجمال .

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية ـ القاهرة

● مع أصدقائنا ●

● مصطفى خليفة حافظ ـ المحامى :

ـ تعليقكم على مقالة الدكتور فؤاد زكريا حول أزمة اليسار المصرى ، أحلناه إليه ، لأن الحوار قد انتهى فى المجلة حول هذا الموضوع .

● حسين محمد ابو غوش ـ عمان ـ الاردن :

ـ شكواكم من صعوبة نشر دواوين الشعر فى بلادكم ، هى نفسها الشكوى فى مصر وسائر البلاد العربية ..

● جمال الشاورى ـ طنطا :

ـ انت على حق فى استنكار جهل بعض الأدباء الناشئين باللغة العربية ، فلا يمكن أن يعبر الكاتب عن أفكاره إذا كان يجهل اللغة التى يعبر بها ، والادعاء بأن العلم باللغة لا ضرورة له ، هو نوع من المكابرة والجهل المركب !..

● يوسف عبد العزيز على ـ كلية الأداب ـ قنا :

ـ ندوة الشعر السنوية فى الهلال لا تقام فى ديسمبر ، بل تقام عادة فى الربيع .. وقد سررنا بتلقى قصيدتك "كنت احلم" .

● خالد محمد على برير ـ بالثانوية الازهرية :

ـ قصيدتكم "خداع" قرانا عنوانها بصعوبة لأنك جعلته رسما غير واضح .. أما القصيدة فتنقصها الأوزان .. ولا شك أن لديك فرصة لمعرفة الأوزان فأنت مازلت ـ كما تقول ـ فى الثامنة عشرة من عمرك .. وفقك الله ..

● عزة يوسف ـ ملوى :

ـ اكتبى على وجه واحد من الورق بخط واضح .. أما قصتك "الرجل والماضى والحرمان" فهى محاولة اولى نرجو أن تتبعها محاولات أخرى طيبة ..

ونشكر لأصدقائنا السادة : صلاح عبد الستار الشهاوى .. محمد فتحى غريب .. رضا ابراهيم عبد المعطى .. زغلول توفيق .. جمال الشورة .. وحيد غنيم .. عاصم فريد البرقوقى .. محمود عبد المجيد أحمد .. رفعت محمد بروبى .. إيمان محمد على .. امانى محمدجودة .. وائل محمد جاويش .. جمال عطا أحمد .. وفاء وديد ... أيمن فاروق فؤاد .. عبد المقصود السعيد عبدالمقصود .. سيد أحمد جاد محمود . محمد أحمد محمد .. أحمد فهمى غنيم .. ناهد محمود ابوسمرة .. محمد محمد حسانين .. زارع عبد الراضى رضوان .. أحمد رجب شلتوت .. زينب عبد الحميد شعيب .. عبد الله السمطى .. رمضان عبد اللطيف حامد .

إقرأ .. فى عدد قادم :

الفقيه المجدد الشيخ محمد الغزالى

حـزب الخضر .. ومجلة نـون

الكلمة الأخيرة

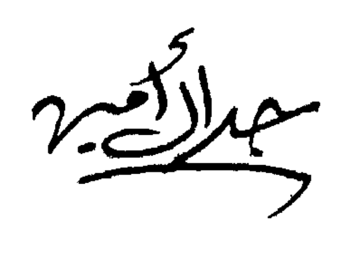
ليس من حق الحكومة بعد الآن ان تشكو من أن الناس ينتظرون منها ان تحل لهم كل مشاكلهم ، دون أن يبذلوا هم اى جهد لحلها . ذلك انه كلما حاول الناس ان يفعلوا شيئا لحل مشاكلهم صدّتهم الحكومة ووقفت فى طريقهم .

فمنذ شهور قليلة رفضت الحكومة السماح لبعض الأفراد بتكوين حزب يسمى " حزب الخضر " هدفه مكافحة تلوث البيئة والارتفاع بنوعية الحياة . مع انهم لم يطلبوا من الحكومة مالا او عتادا ، بل طلبوا منها فقط ان تتركهم وشأنهم اذا ارادوا توعية الناس بمشكلات البيئة ، وهم لا يستهدفون الوصول للسلطة بل تكوين جماعة تتصدى لمختلف أوجه النشاط المهددة للبيئة .

فى نفس الشهر رفضت الحكومة السماح لصفوة من المثقفات والمثقفين المصريين بإصدار مجلة دورية باسم " نون " تتبنى قضية المرأة المصرية وتدافع عن كرامتها ، فاضطروا إلى إصدارها بشكل غير دورى وقصر توزعها على الأصدقاء . دون أن يكون لهم حق عرضها للبيع .

والغريب أن كلا المطلبين اللذين رفضتهما الحكومة هما من اقرب المطالب لما تنادى به الحكومة نفسها فالدفاع عن البيئة تعتبره الحكومة من اهدافها ، والنهوض بالمرأة المصرية والدفاع عن حقوقها من اكثر الوسائل فعالية فى التصدى لمشكلة الانفجار السكانى التى تعتبرها الحكومة اولى القضايا بالاهتمام .

وكلا المطلبين من أنبل ما يمكن ان يطالب به احد فى مصر اليوم : الدفاع عن البيئة فى مناخ يسمح فيه بالقيام باى عمل إذا كان باسم التنمية ، والدفاع عن كرامة المرأة فى مناخ تلقن فيه المرأة انها ليست الا جسدا يشتهيه الرجل ويحصر تفكيرها فى هذه الدائرة . بل إن رفض هذين المطلبين يبدو شديد الغرابة فى وقت كان المفروض ان تحاول الحكومة فيه ان تساعد على سد الفراغ الفكرى الذى يواجه الشباب ويدفعهم إلى ما يسمى بالتطرف .






EGYPTAIR
مصر للطيران

